الي : عناق المجد والفقر!

١٩٥٢

١٩٨١

(Treasury Dealing Room)

وأحدث الخدمات العصرية

بنك الكويت الوطني كان ولا يزال الرائد في مجال التطور على مدى ٢٩ عاماً. هذا التطور الذي وضع التكنولوجيا الحديثة في خدمة زبائنه الكرام، والذي أدى الى توسع البنك فأصبح يملك ٤ فرعاً متصلة جميعها بالكمبيوتر المركزي وذلك لتأمين خدمات فورية للعملاء الكرام.

ان هذا التطور أدخل مفهوماً جديداً على الخدمات المصرفية في الكويت دون ان يمس تقاليدنا اللائقة وروح الخدمة التي كانت موجودة يوم افتتحنا أول فرع لنا عام ١٩٥٢

بنك الكويت الوطني ش.م.ك

المركز الرئيسي: شارع عبد الله السالم - ص.ب ٩٥ الصفاة، الكويت

عزيزي القارىء

.. مع أطيب تمنياتي !

بهذا العدد من مجلة « العربي » أكون قد توليت رئاسة تحريرها ، وتحدثت اليك شهريا على صفحاتها . . على مدى ثمانين عددا من أعدادها بالتمام والكمال . . أي ما يقل قليلا عن سبع سنوات .

أما مناسبة ذكر هذه الأرقام ، فهي أن رئاستي لتحرير مجلة « العربي » تنتهى بذهاب هذا العدد الذي بين يديك الآن ، الى المطبعة .

وقد تسلم مسؤولية رئاسة التحرير من أول يونيو ١٩٨٢ زميل وصديق ، هو الدكتور محمد غانم الرميحي ..

والدكتور محمد الرميحي ليس في حاجة الى التعريف ، فقد كان رئيس قسم الاجتماع فى جامعة الكويت ، ومؤسس مجلس دراسات الخليج والجزيرة العربية ، ورئيس تحريرها لمدة أربع سنوات وهو ليس في حاجة الى تقديم إلى قراء « العربى » ، فهو أحد الذين ساهموا بالكتابة فيها منذ سنوات . فوق أنه محاضر فى جامعات أوروبية وعربية شتى . ومساهم نشيط في ندوات فكرية كثيرة تعقد في مختلف أنحاء العالم العربى . وهو الى ذلك كله ، أحد رموز ذلك الجيل من شباب الكويت ، الذين يتحملون اليوم شتى المسؤوليات في شتى المواقع ، استمرارا لتطور هذا البلد العربي الأصيل وعطائه لأمته في شتى المجالات .. من المال إلى الرجال إلى الثقافة .

وقد يبدو غريبا أن يحتضن هذا البلد العربي الصغير، الحديد ، بدور الثقافة ، وأن يعطي منها ثمارا خصبة للعالم العربي الواسع

ولكن الكويت منذ الاستقلال بذلت جهودا غير عادية في مجال الثقافة ونشرها في العالم العربي وتيسيرها لكل قارىء عربي ، على أي مستوى ثقافي أو اقتصادي

فقد احتضنت الكويت في جامعتها ومعاهدها ومؤسساتها الثقافية والاعلامية أبرز الأسماء في العالم العربي وكما أعطاها هؤلاء علمهم وتجربتهم ، أعطتهم الأمن والحرية ، وهو أثمن ما يطلبون . كما أخرجت من هذا الجو المتميز خامات كويتية ممتازة بأي مستوى

ويكفي أن نذكر نشاطها في نشر التراث المنتقى بأرفع الأساليب . ونذكر اصدارها ـ وقبل غيرها من الدول الأقدم ـ مطبوعات في مستوى مجلة « عالم الفكر » الفصلية ومجلة « العربي » الشهرية وسلسلة « المسرح العالمي » الشهرية وكتاب « عالم المعرفة » الشهرى ومجلة « المجلات العالمية » الشهرية وكلها مطبوعات ـ بحكم الكثافة السكانية ـ يذهب تسعون في المائة منها الى العالم العربي الواسع .

وقد كان « مفتاح » نجاح كل هذه المطبوعات الثقافية شيئا أساسيا : أنها كلها خالية تماما من أي رائحة دعاية ما أو توجيه ما . انما هي ثقافة للثقافة . ولولا ذلك السطر النحيل الذي يقول انها « صدرت عن كذا بالكويت » في مكان غير بارز لما عرف القارىء الجديد في أى بلد صدرت ! .

وفي تجربتي الخاصة بمجلة العربي ـ وهي بحكم نوعيتها ولونها ـ الأوسع انتشارا بين فئات شتى من القراء . فلم يحدث قط أن كان لدولة الكويت مطلب ، أو اقتراح ، أو احتجاج .

وقد تسلمت مجلة العربي بعد أن كونت لنفسها قاعدة راسخة لدى القراء ، وكان توزيعها يدور حول ١٤٠,٠٠٠ ألف نسخة شهريا ، وكان ذلك الرقم الأكبر في العالم العربي لأي مجلة شهرية رقما مرتفعا بمستوى ذلك الوقت .

ومن تجربتي الطويلة في الاشراف على مؤسسات صحفية شتى : أعرف أن أكبر غلطة هي أن يأتي رئيس تحرير جديد ـ أو قديم ـ ويقلب جريدة أو مجلة رأسا على عقب ، مهما كان التجديد رائعا وكأنه بذلك يقدم للقارىء مجلة جديدة ، ويضعها في اختبار جديد . ثم ان رئيس التحرير لا بد له أن يعرف انه لا يصدر مجلة ترضيه أساسا لكي يقرأها هو ، ولكن هناك طرف آخر هو القارىء . وقراء كل مجلة أو جريدة لهم مزاج عام وتكوين ذهني عام فلا بد أن يجد صيغة ترضي آراءه ومبادئه في الصحافة وفي التوجه ، وترضي مجموع القراء . ليس بمعنى التطابق طبعا ، ولكن بمعنى « السباحة معا » في نهر واحد ، فيه خلاف واتفاق ، ولكن في اطار المجرى النهري الواحد » .

هكذا ـ كما تعودت دائما ـ كانت محاولتي في مجلة « العربي » هي . التجديد من خلال الاستمرار . أن نضيف الى القراء قراء جددا ، لا أن نستبدل قارئا بقارىء ، وتوسيع مجرى النهر لكي يتسع لمزيد من الثقافة ، دون أن يتحول النهر الى بحر متلاطم فوضوي لا يحده شاطئان .

من هذه المنطلقات حافظنا على الاهتمام بالتراث : مع محاولة الانتقال من مجرد نقله الى مناقشته وتأمله وتبادل الرأي فيه حتى يعود النبض الحي إلى كل ما هو صالح وأساسي فيه .

وحاولنا أن نطور الاستطلاعات المصورة من مجرد التسجيل الجغرافي ، المعلوماتي ، الى التحليل والتعميق . والى اختيار

موضوعات لها فكرة مثل سلسلة « المضايق العربية » و « البحار العربية » . . وهي عناوين تستدعي بطبيعتها المزج في الاستطلاع بين « التقرير الجغرافي والسكاني » الى الآفاق الاستراتيجية والسياسية والتكاملية في العالم العربي . كما ذهبنا خارج العالم العربي الى آفاق أخرى بعدت عنا قرونا لايقاظ روابطنا بها : فبحثنا ـ وأحيانا ـ بعناء كبير وراء التراث العربي والاسلامي من الصين شرقا . . . الى الجمهوريات السوفيتية . . الى أعماق أفريقيا . . الى جزر البحر الأبيض المتوسط كمالطة وقبرص وصقلية . . ثم الأندلس . .

وكان من أكبر اهتماماتنا أن نضيف الى ذلك « المعاصرة » . . فأضفنا موضوعات في السياسة القومية ، والاقتصاد ، والعلوم الحديثة . . . ثم الاهتمام بالفنون الحديثة كالمسرح والسينما والتليفزيون . . والتركيز في فن الرسم على الرسامين العرب المعاصرين في كل قطر عربي . وكل قضايا وعلوم « المستقبلية » .

وقد كانت لدينا مخاوف من هذه التغييرات والاضافات ، رغم إدخالها بتدرج غير مفاجيء وغير محسوس . ولكن ظهر أن العكس صحيح . وأن القاريء العربي لم يعد ـ كما يتصور البعض ـ قارئا تقليديا . . ولكنه قاريء استيقظت فيه روح المعرفة وحب الاستطلاع والحاجة الى فهم هذا العالم الجديد . . وانه يقرأ الأعمق والأرفع اذا قدم له في شكل جذاب ، يحترم عقله ، كسبيل وحيد للقدرة على مواجهته . . .

والقول الكريم « من تعلم لغة قوم امن شرهم » لا يقتصر مدلوله على « اللغة » بمعناها الحرفي . . انما يشمل كل شيء : الثقافة والحضارة والعلم والعوامل البشرية والمادية والروحية جميعا . .

وهكذا . . يطبع ويباع من هذا العدد الذي بين يديك ٢٦٥,٠٠٠ ألف نسخة ! . . والطلبات الموجودة ، التي لا نقدر على تلبيتها بسرعة ، تزيد هذا الرقم الى ثلاثمائة ألف .

وليس معنى ذلك أنني حققت وزملائي ، وكتابنا الكبار من أنحاء العالم العربي - كل ما نريده . .

فقد كنت أتمنى لو خرجت « العربي الصغير » مثلا . . في ثوب مجلة شهرية مستقلة رائدة .

وكنت أتمنى لو خرج « كتاب العربي » شهريا . . جامعا أهم ما شارك به كل كاتب في « العربي » على صفحات المجلة . . كطريقة سهلة للاقتناء . .
الى آخره . .

ولكن لا أظن أن أي إنسان مخلص مع ضميره ، يترك عملا تولاه فترة ، وهو راض كل الرضا عما حققه .

وقد كان « لا بد من صنعاء وان طال السفر » . وكان لا بد من عودتي الى مكاني في « الأهرام » في القاهرة . . . وان كان هذا - بكرم من المشرفين على العربي - لن يقطع صلتي بها . . . بالكتابة الى القراء الأعزاء على صفحاتها . .

تلك الصلة التي هي بالنسبة للكاتب أغلى ما لديه ، وأهم ما يحرص عليه ، مهما كان المكان ، أو الزمان . .

أحمد بهاء الدين

صورة الغلاف

○ الخيول المملوكية لم تكن مثل كل الخيول ، بل انعكس عليها كل ما اتسم به ذلك العصر - في اوج مجده - من فروسية وتأنق وترف اذ كانت الخيل سلاحا اثبت به المماليك وجودهم ، وتفوقوا فيه ، وحاولوا من خلاله ان يعوضوا كل ما لحقهم من مذمة او انتقاص في القدر

(انظر الدراسة ص ١٣٦)

قضايا عامة

عروبة واسلام

أدب وفنون

طب وعلوم

تربية وعلم نفس واجتماع

قضايا حيوية

شخصيات وتاريخ

استطلاعات مصورة

أبواب ثابتة

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

رئيس التحرير الدكتور محمد غانم الرميحي

مدير التحرير فهمي هويدي

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت
للعالم العربي وكل قارىء للعربية في العالم
الوزارة غير مسؤولة عما ينشر فيها من أراء
والمجلة غير ملتزمة باعادة أي مادة تتلقاها للنشر

ثمن العدد : بالكويت ٢٠٠ فلس ، السعودية ٤ ريالات ، العراق ٢٠٠ فلس ، الأردن ٢٠٠ فلس ، سوريا ٢٠٠ قرش ، لبنان ٢٠٠ قرش ، مصر ١٥٠ مليم ، السودان ١٥٠ مليم ، المغرب ٣ دراهم ، تونس ٣٥٠ مليم ، الجزائر ٣ دنانير ، البحرين ٣٠٠ فلس ، قطر ٤ ريالات ، الامارات العربية المتحدة ٤ دراهم ، اليمن الشمالي ٣ ريالات ، اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلس ، ليبيا ٢٥٠ درهم .

الاعلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات
المراسلات : باسم رئيس التحرير
عنوان المجلة بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧٦٤٩
تلغرافيا « العربي »

الاشتراكات

ترسل الطلبات الى :
قسم الاشتراكات
المكتب الفني ـ وزارة الاعلام
ص . ب (١٩٣) ـ دولة الكويت

على طالب الاشتراك تحويل قيمة الاشتراك بموجب حوالة مصرفية أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام ، طبقا لما يلي :

فلس دينار

ـ الكويت والبلاد العربية ٢/٥٠٠ (ديناران ونصف)
ـ بلاد غير عربية ٣/٥٠٠ (ثلاثة دنانير ونصف)

AL-ARABI NO.284
July, 1982 . P. O. Box 748 , KUWAIT .

خواطر

للدكتور حسان حتحوت

الإستقلال الأخضر

ما أكثر ما خرجت مع زملائي في المظاهرات ايام كنت طالبا في المرحلة الثانوية . وما اكثر ما هتفت مع غيري فاذا عدت الى اسرتي في ختام يوم الجهاد ، كان من اسباب رضائي وراحة ضميري ان يكون صوتي مبحوحا من فرط صياحي بمن يحيا ومن يسقط وانه الاستقلال التام او الموت الزؤام وما اكثر ما حطمت المظاهرات او احرقت .. يستوي في ذلك وسائل المواصلات وواجهات المحلات واطارات السيارات .

وكبرت وزاد الشوط الذي قطعته من رحلة الحياة ، وأنظر فاذا المظاهرات والاضرابات ومراسم الجهاد كما هي وان اختلفت القضايا واختلفت الهتافات باختلاف الظروف .. واريد هنا ان استبعد المظاهرات الملفقة أو واضحة التدبير كتلك التي خرجت مرة في احدى البلاد في ظرف معين تهتف بسقوط العلم وسقوط القانون . وانما أعني الصيحات الصادقة المخلصة للشباب العربي في كافة اقطار العروبة .. والتي بدأ معها صباي بالهتاف بان مصر للمصريين وتنادي بجلاء الانجليز عنها ، وتطالعنا الآن بان فلسطين عربية وتنادي بان يعيش الفلسطينيون احرارا في بلادهم الحرة .. وتشجب ـ على غرار ما درج عليه ساستنا وسادتنا ـ للمرة الالف بعد الالف آلافا مؤلفة ، ما يكيل لنا الصهيونيون من لكمات وركلات في ارضنا وعرضنا وكرامتنا وعبادتنا وارواحنا ومنشآتنا وحدودنا ومسجدنا !

ولقد استحوذت قضية فلسطين على اهتمامي منذ طفولتي وحتى الآن .. فانا كمسلم شهدت فيها عدوانا على الاسلام ، وكعربي شهدت فيها عدوانا على العروبة ، وكأنسان شهدت فيها عدوانا على الانسانية .. ثم لم احاول ان اقيم المناقشة أو المنافسة بين المسلم والعربي والانسان ، أيهم أولى بالتصدي لاحقاق الحق وازهاق الباطل ، لأن هذا النقاش يفضي الى خلاف يفضي الى اضاعة الجهد في السفسطة وليس في انقاذ فلسطين ، وان كنت اعلم ان النصر من بعد العمل والجهاد يأتي من الله ، وانه لا يتنزل على من انكر الله او عاداه .. وما إن تخرجت حتى تطوعت طبيبا في صفوف المناضلين فكنت في مدينة الرملة قبل

ان تتدخل الدول العربية تدخلها المشئوم ، ورأيت صورا من البطولة كما رأيت طعنة الخيانة التي اضاعت القضية وامام ذاكرتي تطور القضية في اسمائها المتلاحقة من الوطن القومي لليهود ، الى الهجرة اليهودية ، الى قضية التقسيم ، الى قضية اللاجئين ، الى قضية الشرق الاوسط ولا ادري ما يحمل الغيب في طياته

وقد تبلورت قضية فلسطين الآن في نظري ونظر العالمية من المفكرين في مفتاح واحد من كلمة واحدة هي « امريكا » فالجميع يعلمون أنه لولا أمريكا لما صمدت اسرائيل بضعة ايام وان بين امريكا واسرائيل عقد التزام لا نعرف ولكن نتيجته هي الا تنهزم اسرائيل في اي حرب تتعرض لها

المفتاح اذن في الضغط على امريكا ولقد ارتفعت بذلك أصوات محاولات أكبرها حظر النفط العربي في ١٩٧٣ . الذي أنهاه العرب في ايام واعلنوا بعدها ان البترول دخل دورة الاقتصاد وخرج من دورة السياسة

ان الصق شيء بالانسان بعد الهواء الذي يتنفسه لقمة الخبز التي تملأ معدته وتسد جوعه فان اصيب فيها فقد انصرف تفكيره عن كل ما سواها وقمحنا من امريكا . . وفي أحلك لحظات العلاقة بين العرب وامريكا ، وعندما كان رئيسنا يخطب فيقول ان على الأمريكان ان يشربوا من البحر ، وعندما كان اعتمادنا على المعسكر الشرقي في كل شيء ، ظل قمحنا يأتي من امريكا

واذا كانت امريكا تمسك بتلابيب الرغيف فهل نطمع حقا ان نضغط عليها او حتى أن نستقل عنها ؟

كل شيء يهون او يعوض او يصبر عنه · الا القمح

وعندنا الارض في مكان ، والسواعد في مكان ، والاموال في مكان . ألم يئن الأوان لتلتقي جميعا لكي ينتج العالم العربي لقمة خبز ؟

وهل نحتاج لعبقرية خاصة لنقرر ـ ان هذا التعاون على القمح ينبغي ان يكون بمأمن وبمعزل عن خلافاتنا السياسية ، فلا يتعطل لاي سبب حتى لو اعلنت حكوماتنا الحرب على بعضها البعض ، وتنص على ذلك المعاهدة القمحية بين الدول العربية ؟ فان الخلافات بيننا آنية وشخصية ولكن مصيرنا جميعا هو الأبقى وهو الأدوم ؟

اني ادعو لمفاوضات عربية قمحية عاجلة ، تحدد حصة صاحب الارض وحصة صاحب راس المال وحصة الفلاح . يتلوها التنفيذ الفوري ، وفي أعناق الحكام جميعا انه مهما طالت الالسنة والاقلام بالسباب ومهما اشتبكت الجيوش فيما بينها بالقتال فان معاهدة القمح لا تهتز ولا تتوقف ولاتنتهك . .

أساس الاستقلال ياسادتي هو استقلال القمح . . ولن تبنوا أيا من انواع الاستقلال الا على اساس من الاستقلال القمحي . الاستقلال الاخضر .

قناة البحرين الميت والمتوسط

خطر اسرائيلي يهدد العرب

بقلم : سمير صارم

المشـروع الاسـرائيـلي لـربط البحـرين : الميت والمتوسط ، خطر يهدد العرب جميعـا

لقد سبق واشارت « العربي » بايجاز لمؤامرة اسرائيل او لاحدى مؤامراتها ، التي تمرر وسط صمت عربي مطبق ، وهي حفر تلك القناة فيما بين البحرين ولكن نظرا لخطورة هذه المؤامرة ، ووضوح ابعادها العدوانية على الاصعدة السياسية والاقتصادية والعسكرية والاجتماعية ، سنحاول توضيح بعض هذه الابعاد ، مستندين الى ما نشر عنها من دراسات وتحليلات ، ليكون القارىء العربي على دراية بما ترمي اليه اسرائيل في هذا المجال ، وليعلم مدى خطورة الصمت العربي ، فالخطر لن يكون على الاردن وحده ، ولا على الاردن وسوريا ولبنان ، وحسب ، بل على الوطن العربي بأجمعه ، وستشمل الآثار المصير والمستقبل العربي ، وذلك من خلال النظرة التوسعية الاستيطانية الصهيونية من جهة ، ونظرتها الى مكانتها « الحضارية !! » في المنطقة العربية بمجملها من جهة ثانية

منذ القرن الماضي

فمنذ اواسط القرن التاسع عشر ، راودت الاستعمار الغربي فكرة ربط البحرين المتوسط بالميت ، ثم بالبحر الاحمر ، حتى المحيط الهندي والهند ، وذلك من اجل تأمين اقصر الطرق الاستعمارية الى الهند وشرق آسيا ، وكانت بريطانيا اول من فكر بذلك ، فأرسلت موفدا الى فلسطين عام ١٨٥٠ لدراسة هذه الفكرة ، وقد نشر هذا الموفد كتابا ضمنه تقريره الذي رفعه الى حكومته وحمل الكتاب عنوان « البحر الميت طريق جديد الى الهند » غير ان المشروع لم يتحقق بسبب تحول انظار بريطانيا الى مشروع قناة السويس ، لكن ذلك لم يمنعها من العودة للتفكير في الموضوع ، من منطلق انها قد تخرج من مصر في اي وقت ، فاوفدت بعثة من الخبراء الى فلسطين خلال عامي ١٨٧٣ ـ ١٨٧٥ ، وقامت البعثة بمهمتها

وفي أواخر القرن التاسع عشر ، رأى مهندس سويسري ، امكان الاستفادة من تفاوت الارتفاع بين سطحي البحرين الميت والمتوسط ، وعندما اطلع مؤسس الصهيونية « تيودور هرتزل » على هذه الفكرة تبناها ، لانها تتلاءم ومطامع الصهيونية العالمية في الشرق ، وتحدث في كتابه « اولد نيولاند » عام ١٩٠٢ عن قناة عرضها عشرة امتار تربط البحرين المتوسط والميت ، وعن عنفات ـ مائية توضع قرب البحر الميت تعمل على المياه الساقطة ، وهذا يزيد من كمية الكهرباء المتولدة لتغذية المنطقة الصناعية الجديدة ، التي ستقام على شاطىء البحر الميت .

ويمكن اعتبار عام ١٩٣٧ بداية التخطيط الصهيوني الفعلي لمشروع القناة ، عندما قام بعض الزعماء

خريطة توضح المشروع الاسرائيلي للقناة المزمع شقها بين البحرين المتوسط والميت

الصهاينة ، ومنهم « بن غوريون » بجولة ميدانية في مناطق الاغوار الجنوبية ، وكان من نتائجها بدء التفكير الجدي بانشاء القناة ، لكن التطورات السياسية في فلسطين وغيرها يومذاك حال دون ذلك

وفي عام ١٩٤٤ اصدر البروفسور الاميركي « والتركالاس لاودرملك » خبير الاراضي والري كتابا بعنوان « فلسطين ارض الميعاد » تحدث فيه عن امكان شق قناة بين البحرين المتوسط والميت ، ورأى ان للمشروع فوائد اقتصادية ، زراعية وصناعية ، وسيوفر امكانية العيش لأربعة ملايين يهودي من لاجئي اوروبا

وبعبارة موجزة ، لقد ظل هذا المشروع هاجس الصهاينة منذ ان فكر فيه زعيمهم « هرتزل » في مطلع هذا القرن ، لكنه تأخر تنفيذه ، لعدة أسباب منها

أ ـ الحروب التي كانت قائمة بين العرب والكيان الصهيوني

ب ـ وجود قطاع غزة والضفة الغربية خارج اطار الاحتلال الصهيوني حتى عام ١٩٦٧

جـ ـ عوائق فنية تتعلق بكلفة المشروع المالية ، وطريقة تمويله

د ـ التأثيرات المتوقعة للمياه المالحة في المياه الجوفية العذبة ، وعلى نسبة الاملاح في البحر الميت

لكن بعد عدوان حزيران (يونيو) قامت مجموعة من الخبراء الاسرائيليين او رجال الحكم ، بجولة ميدانية في منطقة الاغوار ، وبدأت بالدراسات الجادة لاقرار المشروع وتنفيذه وفي عام ١٩٧٤ تشكلت لجنة برلمانية لدراسة المشروع وجدواه وفي عام ١٩٧٨ تشكلت لجنة اخرى علمية برئاسة احد مؤسسي حزب « هتحيا » اي « النهضة » المتطرف ، وهو البروفسور « يوفال نئمان » العالم الفيزيائي والنووي ، واحد « صقور » اسرائيل السياسيين ، واستعرضت اللجنة تسعة ممرات للقناة

واخيرا قامت بتحليل ثلاثة ممرات رئيسية منها ، وهي
١ ـ الخط الجنوبي . ويبدأ على شاطيء المتوسط قرب تل القطيفة في قطاع غزة ، ثم يمتد جنوبا نحو بئر السبع ، فعين بقيق على البحر الميت

٢ ـ الخط الاوسط . ويمتد من أسدود مرورا بجنوب القدس ، منتهيا قرب مغارة قمران ، على شكل نفق بعمر على عمق ٢٠٠ متر

٣ ـ الخط الشمالي ويمتد من حيفا الى وادي الاردن عبر سهل مرج ابن عامر ، ثم وادي بيسان

وبعد دراسة استمرت سنة ونصفا،قدمت ما توصلت اليه حكومة الليكود ، مع توصية باعتماد الخط الجنوبي ، لما يتمتع به من مزايا سياسية وجيولوجية ، وقد اقرت تلك الحكومة برئاسة مناحيم بيغن الخط الجنوبي بجلستها المنعقدة بتاريخ ٢٤ آب (اغسطس) ١٩٨٠

الخط ومواصفاته :

كما اشرنا،يبدأ هذا الخط على شاطيء البحر المتوسط ، قرب تل القطيفة في قطاع غزة ، بين خان يونس ودير البلح ، وينتهي في عين بقيق على البحر الميت بالقرب من مسادا على طريق عين حدى ، مرورا ببئر السبع ، وعلى البحر الميت ستنزل المياه من مسقط كبير ، ارتفاعه حوالي ٤٠٠ متر ، تعمل فيه مولدات محطة للطاقة الكهربائية التي ستقام هناك ، وطول القناة ١١٠ كيلومترات ، منها ٨٠ كيلومترا داخل نفق في الهضاب المشرفة على البحر الميت ، وفرق الارتفاع بين موقعي طرفي القناة يبلغ ٤٠٠ متر بسبب انخفاض مستوى سطح البحر الميت ، عن مستوى سطح البحر المتوسط

وتقول الحكومة الاسرائيلية ان مياه المشروع ستستغل في انشاء بحيرات للسياحة وتربية الاسماك البحرية ، ومن اجل اقامة منشآت تبريد في قلب النقب لمحطات الطاقة الكهربائية والنووية بالاضافة الى اقامة مشروعات صناعية وانمائية وكهربائية الخ

وباختصار ، فان المصادر الصهيونية تشير الى ان المشروع سيؤدي الى نهضة صناعية حقيقية في اسرائيل ، وسيكون ـ ايضا حسب وجهة النظر الصهيونية ـ مرتكزا لسلسلة من المشروعات التي ستجتذب الطاقة البشرية رفيعة المستوى ، وسيساهم في حل مشكلات المنطقة ، وفي تغيير وجه النقب

لكن للمشروع بالاضافة الى ذلك اهداف سياسية وعسكرية واجتماعية سنتعرض لها لاحقا .

ومن المقرر ان يستغرق تنفيذ المشروع عشرة اعوام بتكلفة تقدر بـ ٨٠٠ مليون دولار باسعار عام ١٩٨٠ ، بالاضافة الى ٢٦٠ مليون شيكل اسرائيلي لعمليات الدراسة والبحث وغيرها

النتائج الاقتصادية ـ الاجتماعية :

● على الجانب العربي الاردني .

١ ـ تقليل مردود البوتاس بنسبة ١٥٪ ، مشكلا خسارة اجمالية مقدارها بالاسعار الحالية حوالي ١٠٠ مليون دولار سنويا

والبوتاس كما هو معروف يأتي من حيث الاهمية الاقتصادية بالمرتبة الثانية للقطر الاردني بعد الفوسفات ، وسيضطر الاردن لانفاق حوالي ثلاثة ملايين دولار لزيادة ارتفاع مواقع استخراج البوتاس حتى ٣٩٣ مترا

٢ ـ سيدمر منشآت البوتاس العربية ومرافقها ، وسيغمر مواقع الضخ

٣ ـ اغراق اجزاء كبيرة من وادي الاردن ، وعدد من القرى والمزارع والسدود الاردنية ، وعدد من الاماكن الاثرية والتاريخية

٤ ـ تدمير المنتجعات السياحية والمشروعات الصناعية التي تشارف على الاكتمال

٥ ـ سيهدد تربة وادي الاردن بزيادة ملوحتها ، مع ما يسببه ذلك من انعكاسات سلبية على الحياة النباتية والحيوانية ، وهنا تكمن خطورة المشروع على القطر الاردني بالقضاء على الاراضي الزراعية فيه

٦ ـ سيؤثر على خزانات المياه الجوفية وبالتالي على مياه الشرب ومجمل الحياة الانسانية في الاردن

● على الجانب الاسرائيلي

١ ـ سيكون المشروع مفتاحا للطاقة على مدى الخمسين سنة القادمة ، فهو سيحسن من محطات الكهرباء في النقب ، وسيسمح بانتاج ١٥٠٠ ميغا واط من الكهرباء سنويا بعد تحويل البحر الميت الى حوض شمسي مساحته حوالي ١٠٠ كيلو متر مربع ، كما ان الفارق بين مستوى المياه في البحرين المتوسط والميت ، سيعمل على تشكيل شلالات صناعية تسمح بتوليد طاقة كهربائية مقدارها ٦٠٠ ميغاواط سنويا ، وهذا بدوره سيوفر على اسرائيل حوالي مليار دولار سنويا نتيجة استغنائه عن شراء كميات من النفط ، وثلاثمائة مليون دولار بالاستغناء عن اقامة محطة كهربائية تعمل بالوقود ، وثمانمائة مليون دولار ، هي قيمة الوقود المستخدم في هذه المحطة ، ذلك ان المحطة

الهيدروليكية التي ستقام على القناة لن تكون بحاجة الى وقود .

٢ ـ المشروع سيساعد على انشاء قناة فرعية لجر المياه الى المنطقة الجبلية المطلة على البحر الميت ، حيث توجد كميات كبيرة من الصخور الزيتية التي يمكن استخدامها كبديل للنفط

٣ ـ يمكن اقامة محطة نووية في النقب ، الى جانب مفاعل « ديمونا » النووي الحالي ، وكذلك اقامة محطات كهربائية تستخدم في حالات الطوارىء

٤ ـ ستدر المحطة الكهربائية ارباحا مالية تصل الى مليار دولار سنويا على الاقل .

٥ ـ سيؤدي المشروع الى تطور زراعي كبير نتيجة استصلاح اراض واسعة في النقب وتوفير المياه اللازمة لها .

٦ ـ يمكن اقامة منشآت سياحية تساهم في زيادة الدخل العام للكيان الصهيوني

٧ ـ سيساعد في توفير الكهرباء الرخيصة

٨ ـ سيؤثر كل هذا على زيادة المستوطنات اليهودية لاحتواء الشباب اليهودي المهاجر الى فلسطين المحتلة ويزيد عددها

النتائج العسكرية

الخبراء الاسرائيليون يرون ان تنفيذ هذا المشروع يحقق لاسرائيل اهدافا عسكرية كبيرة تشير الى مطامعهم التوسعية ، اهمها :

١ ـ اقامة موانع طبيعية يصعب عبورها من الناحية العسكرية « لان منسوب المياه في نهر الاردن سيرتفع » كما ستتشكل بحيرات تزيد العبور صعوبة

٢ ـ حتى في حال نجاح العبور ستكون القوات المقتحمة مضطرة الى ان تسلك الطرق التي يريدها العدو لها .

٣ ـ ايضا وفي حال حصول ذلك فان عمليات العبور ستحتاج الى امكانات « تجسير »عبور ، ومعدات ، وآليات ثقيلة ، وهذه بدورها تحتاج لكي تنجح الى سيطرة جوية متفوقة بنسبة كبيرة .

٤ ـ سيتحول المشروع الى سلاح خطر في حالة الحرب باغراق الاردن بالمزيد من مياه البحر المتوسط التي يسهل تدفقها حيثما تشاء اجهزة الكيان الصهيوني

٥ ـ المحطات النووية التي سيتيحها المشروع ستكون مصدر قوة جديدة لاسرائيل

٦ ـ ليس مستحيلا كما تؤكد الدراسات والتحليلات العسكرية والسياسية ان تعمد اسرائيل مستقبلا الى تطوير هذه القناة الى ممر مائي دولي يضاهي في اهميته قناة السويس ، ويكون في الوقت نفسه مانعا مائيا جيدا في مستوى مناعة قناة السويس ، وفي هذه الحالة فان قناة السويس ستفقد أهميتها الدولية سياسيا واقتصاديا وعسكريا وجغرافيا « علما ان هذا الممر كما اشرنا كان مشروعا استعماريا بريطانيا عام ١٨٥٠ ليكون طريقا الى الهند » . وستصبح اسرائيل على المدى البعيد محاطة بالمياه من الغرب والشرق والجنوب ، ومن الشمال حيث تمتد اطماعها للوصول الى نهر الليطاني في الجنوب اللبناني

النتائج السياسية :

لا شك ان مجمل النتائج التي سبق واشرنا اليها ذات اثر سياسي بالاضافة الى آثارها الاخرى ، لكن هناك نتائج سياسية مباشرة ستؤثر بشكل سلبي على وطننا العربي ، مستهدفة وجودنا كأمة ، واهم هذه النتائج

١ ـ يعتبر المشروع تحديا جديدا للعرب ، وسيضيف المشروع اسبابا اخرى لتدعيم الوجود الاسرائيلي ، الى الحد الذي يصبح معه الإعتراف بهذا الوجود امرا ضروريا لا مناص منه .

٢ ـ المشروع يرتبط بسياسة الاستيطان ، وسيساعد على زيادة المستعمرات في الجزأين الاوسط والجنوبي من فلسطين المحتلة ، وبالتالي فان معدلات الهجرة اليهودية ستزيد ، وسيكون المجال رحبا لاستقبال المهاجرين اليهود الجدد .

٣ ـ بالاضافة الى ان المشروع يعتبر خرقا فاضحا للقانون الدولي ، نتيجة المساس بالبحار الدولية ، وبعمل وحيد الجانب ، وضمن اراضي الغير ، فان هذا المشروع يهدف الى تثبيت الوجود الاسرائيلي في فلسطين المحتلة ، عن طريق الوجود العسكري الامني ، والصناعي ، في قطاع غزة ، بهدف ضم هذا القطاع نهائيا الى الكيان الصهيوني .

٤ ـ للمشروع آثار مدمرة للمناطق المحتلة « الضفة الغربية وقطاع غزة » ويتضح ذلك من محاولة اسرائيل التغلغل في المنطقة ، والهيمنة عليها اقتصاديا من خلال ما يسمى بالتعاون الاقليمي الذي تسعى اسرائيل لاقامته على شكل خطوة اولى في منطقة البحر الميت ووادي عربة ، وخليج العقبة .

٥ ـ المشروع سيوفر لاسرائيل ذرائع جديدة للاحتفاظ بقطاع غزة ، والضفة الغربية من خلال خلق واقع جديد ، فالقناة ستمر في قطاع غزة ، ومحطة الضخ الرئيسية ستكون في القطاع ذاته

٦ ـ سيحقق التطور الصناعي امبريالية الكيان الصهيوني ، وبالتالي ستصبح اسرائيل الدولة الامبريالية الجديدة مستقلة نسبيا ضمن دول المعسكر الامبريالي

ذلك كله يشكل جزءا يسيرا من النتائج المتوقعة لذلك المشروع ذي المرامي الاقتصادية ، والاستيطانية ، والعسكرية ، والأمنية ، والمرامي السياسية الصهيونية

انه بايجاز مشروع عدواني آخر على امتنا العربية يستهدف ضربها باغتصاب الارض ، وتشريد الشعب ، والسيطرة على مصادر المياه العربية المحيطة بفلسطين المحتلة

ومن المؤلم ـ حقا ـ الا يتحسس بعض المسئولين العرب ، او بالاحرى غالبيتهم اخطار هذا المشروع وابعاده ، ولم يترفعوا فوق التناقضات الثانوية لدرء الخطر الاكبر الذي يشكله الوجود الاستيطاني الصهيوني الذي يهدد في الصميم المستقبل العربي من المحيط الى الخليج ، ان لم يكن بالاحتلال المباشر وتشريد الشعب ، فباستلاب الارادة العربية ، وتحقير الكرامة العربية ، والسيطرة الاقتصادية وغيرها

ان الخطر ـ وكما اشرنا في البداية ـ يتهدد الامة العربية ، والمطلوب اثارة الموضوع على اعلى المستويات والمحافل الدولية ، على ان يرافق هذا حملة اعلامية واسعة ، لفضح المشروع

ان املهم في استثمار مياه نهر النيل لا حدود له وهاهم وصلوا الى نهر الاردن ويعملون لوصل البحر المتوسط بالميت ، ولا تخفى اطماعهم في الوصول الى الليطاني في جنوب لبنان ، كل ذلك لتحقيق المشروع الصهيوني المتعلق « بتوفير المياه » الذي عملت الحكومات الصهيونية المتعاقبة على تنفيذه ، من اجل تثبيت دعائم الهيمنة الاسرائيلية ،الصهيونية ، بتوفير مقومات الحياة والقوة لها ، وهذه السياسة الاقتصادية المائية لا تقل خطرا عدوانيا مباشرا في حال تنفيذها عن السياسة العسكرية العدوانية التوسعية نفسها ■■

دمشق ـ سمير صارم

أقوال

- ■ مفتاح البطن لقمة ومفتاح السر كلمة
- ■ كلام الملوك ملوك الكلام
- ■ كل سر جاوز الاثنين شاع
- ■ لكل مقام مقال ولكل دولة رجال
- ■ من يرصد الريح لا يزرع ومن يراقب السحب لا يحصد
- ■ ما اضيق العيش لولا فسحة الامل
- ■ من الصغائر تعرف الكبائر .
- ■ لا تكن رطبا فتعصر ولا يابسا فتكسر

أقوال معاصرة

■ لم يبلغنا أحد أن لفرنسا دورا في لبنان ، واذا كان لها هذا الدور فيجب أن يوافق عليه العرب

« الرئيس السوري حافظ الأسد »

■ في أوروبا الغنية المتقدمة ثلاثون مليون فقير لايجدون قوت يومهم ، وأكبر نسبة للبطالة والفقر في بريطانيا !

« احصاء رسمي »

■ أصحاب الشعارات هم أسياد الشارع العربي

« الدكتور عزيز صدقي »
رئيس وزراء مصر الأسبق

■ الموقف الذي استحق عليه « كليف جيمس » جائزة أحسن ناقد هو كشف الحساب المليء بالأخطاء عن المرأة التي حولت بريطانيا الى دولة من الدرجة الثالثة

« سيمون هوجارت »

■ أنا اعرف تماما طريقي ان هيبة « الامبراطورية » في الميزان !

« مارجريت تاتشر »

■ بدأت فرعونيا ثم تأكد لي أن التراث الفرعوني لا يعيش في ناس مصر

« الشاعر أمل دنقل »

■ العقل العربي في اجازة ، وليس هناك من طريقة لمحافظته الا بالانقضاض عليه وتفجيره

« الشاعر نزار قباني »

■ أنا لاأنتظر الموت أنا أنتظر معجزة تعيدني الى الحياة !

« انجريد بيرجمان »

■ اني استعد لنشر مذكراتي ، وعندما أنتهي منها سترتفع أصوات كثيرة كفى عن النشر ، فكفي مالقينا من روحك !

« كليربوث لوس »
أرملة رئيس تحرير تايم السابق

نشرت العربي في عدد ابريل الماضي حول طه حسين للدكتور عبد العزيز المقالح الاديب والشاعر ومدير مركز الدراسات اليمنية في صنعاء ، ذكر فيه الاستاذ محمود شاكر ، منتقدا موقفه ، الامر الذى دفع الاستاذ «شاكر» الى كتابة هذا التعقيب ، بقلمه - وربما بسرطه - الذى لا يستغربه قراء باحثنا الجليل - ونحن ننشر نص التعقيب ، عملا بحرية الحوار والرد . والجدل حول طه حسين - ككل الذين يتركون اثارا عميقة في حياة مواطنيهم - لن ينتهي .

بقلم : محمود محمد شاكر

شيء مخجل ، شيء مخجل جدا ، ان يكون اول ما اكتبه لمجلة « العربي » ، متعلقا بكلام نشر بها ، وان يكون هذا الكلام مما لا يحسن السكوت عنه . لا لانه يتعلق بي ، بل لأنه يعطي قارىء هذه المجلة المتزنة الواسعة الانتشار ، معلومات اقل ما يقال في شأنها انها خطأ وانها مضللة

• قارىء مجلة العربي كما اعلم - يثق ثقة مطلقة عما تمده به من كان قد تعود ذلك منها منذ سنين

فانا اخشى هذا ، مما يزعزع ثقة قارئها بها . فلذلك احب ان ى كلامي ، عذر المجلة في نشـ [illegible] هذه الأخطاء

[illegible] كما تحترم قراءها ايضا كتابها ،

وتحسن الظن بهم ، وان هؤلاء الكتاب لايقدمون اليها الا خلاصة صحيحة لعلمهم وانا على ثقة من ان جهازها لا ينشر كل ما يكتبه اليها الكاتبون ممن هب ودب [illegible] تتحرى ان تنشر ما يكتبه المعروفون المشهود لهم بالا[illegible] والتمحيص ، وعلى رأس هؤلاء - بطبيعة الحال - حمله شهادة الدكتوراه ، الذين قطعوا مرحلة طويلة في [illegible] علومهم ، وتمرسوا بالدقة والاناة والامانة فيما يـ[illegible] وفيما يكتبون وكاتب هذه المقالة التي نشر[illegible] مجلة العربي ، حامل لهذه الدرجة العلمية الرفيعة [illegible] جهاز المجلة لايستطيع ان يفترض الشك فيما يكتب [illegible] ان التجربة ، تدلهم على ان حملة هذه الدرجة العلمـ[illegible] فيما كتبوا قديما ، وفيما يكتبون لها اليوم ، فأجاروا ا[illegible] وهم

على ثقة من ان كاتبها لم يحط حرفا مما كتب ، الا بعد ان مر ما كتبه بمرحلة التمحيص والامانة والاعداد السليم ، كما عودهم بقية الاساتذة الكتاب الذين ينشرون فيها ما يكتبون . ولكن لكل جواد كبوة . فهذا عذر مقبول ان شاء الله

كلام منقول بنصه

كتب الدكتور عبد العزيز المقالح ، مقالا في عدد شهر جمادي الآخرة سنة ١٤٠٢ (ابريل سنة ١٩٨٢) ، بعنوان « دفاع عن العقل والضمير العربيين . طه حسين ، والشك على الطريقة الازهرية » ، وهو يفتتح هذه المقالة ، بانها تحية للدكتور طه في ذكراه الثامنة ، وانها ليست دفاعا عنه ضد الاتهامات الباطلة الكثيرة ، ولادفاعا عن صمت تلاميذه المنتشرين على طول الساحة العربية ازاء هذا الهجوم ، ولكنها محاولة متواضعة للدفاع عن العقل العربي والضمير العربي ، وعن بوادر النهضة الفكرية والثقافية ، وعن ذلك الرجاء الذى كاد يقترب ثم ابتعد ، ويوشك الآن على الانطفاء ! هذا نص مقدمته وهذا كلام حسن ، ونية أحسن من الكلام . (ص ٥٤ من مجلة العربي)

ولكنه لم يكد يتجاوز هذه المقدمات حتى قال (ص ٥٥ من المجلة) ما يأتي :

« ومن بين الاتهامات المبالغ فيها ، والمسئول عنها طه حسين التهمة الثقيلة التالية : (اذا كان هناك تحريف في الثقافة المصرية ، فان المسئول عن هذا التحريف هو طه حسين ، لأن تشككه في الثقافة العربية ، قد احدث نوعا من التفريغ في العقل العربي) » ، فوضع الدكتور المقالح هذا الاتهام بين قوسين ، ومعنى ذلك عند كل قارىء انه كلام منقول بنصه ، او على الاقل تلخيص امين لكلام مكتوب منشور ، قرأه الاستاذ الدكتور ولخصه بأمانة . هذا واضح فيما أظن ، ولا يختلف عليه احد . ثم قال بعقب هذا الكلام المعكوف بالقوسين :

« الذى اطلق دخان هذه التهمة ، استاذ جليل ، وباحث يحترم قراءه ، ويحترمه قراؤه ، وهو الاستاذ محمود محمد شاكر . وهي تهمة تعطي لطه حسين من التأثير السلبي والخطورة السلبية ، اكثر مما تعطيه للاستعمار والصهيونية وقوى التحريب المختلفة . وهي تمنح ذلك الشيخ الضرير قدرة خارقة . لم تكن عفاريت الاساطير في القصص القديمة تمتلك بعضا منها . وفي تقديري ان مثل هذه المبالغات في القاء التهم ، وفي هدم الحسنات والسيئات معا ، هي التي تشكل بحق نوعا من التفريغ في العقل العربي المعاصر ، وتحمل القاريء العربي الذي لم يعد يكتفي بتكوين معارفه الثقافية ، من كتابة ما يكتبه الاستاذ شاكر وأمثاله ، تجعله حائرا متشككا غير قادر على المقارنة بين فكر رافض لايقوم على اساس من البحث والتمحيص ، وبين فكر لايتوقف عن الجدل حول اغلب الافكار المطروحة من قبل العصر ، بين الدعوة الى الغربة الروحية والعقلية ، وبين الاكتفاء بالخواء العقلي والروحي »

وانا قد نقلت هذا الكلام بنصه ، لأنه كلام لايحتمل التجزئة ، لتناسقه أولا ، ثم لانها عادتي في وضع النصوص بين يدى من يقرأ كلامي ، بلا عبث ، بلا تحريف . عادة يعرفها عني كل من قرأ ما أكتب .

في الطبعة الجديدة « للمتنبى »

وقبل كل شيء ، فليس من عادتي ايضا ان ارفع الناس فوق منازلهم ، ولا ان اضعهم دون منازلهم ، لا نصا بكلام اكتبه ، ولا استنباطا يمكن ان يستنبطه قارىء لما اكتب ، الا ان يتوهم متوهم اشياء ، فانا بالطبع غير مسئول عن هذا التوهم ، ولا املك اداة تحول بين العقول وبين التوهم . كل ما املك هو قلم اعبر به عن رأى اكتبه ، اكتبه بالفاظ محددة صريحة ، بلا رموز ولا اشارات

ولا مخاتلة هذا كل ما املك وهذا كل ما سأفعله هنا الآن ، لأنه غاية قدرتي

فاذا جاء كاتب ، كالدكتور المقالح هذا يقول اني اتهم الدكتور طه بتهمة تعطيه من التأثير اكثر مما تعطى للاستعمار والصهيونية وقوى التخريب المحتلفة ، وتمنحه قدرة خارقة لم تكن عفاريت الاساطير تملك بعضا منها فهذا الجائي ، بلا شك عندي ، لم يقرأ لي شيئا قط ، او قرأ ولم يفهم ، او فهم شيئا عن طريق التوهم ، لا عن طريق الاستنباط من لفظي وكلامي فانا قد عرفت الدكتور طه وقرأت له منذ كنت صغيرا في الرابعة عشرة من عمري سنة ١٩٢٣ م ، الى ان توفي سنة ١٩٧٣ م ، عرفته قارئا وتلميذا له في الجامعة ، ثم رحلا بيني وبينه من المودة ، مع بعد الشقة بيننا والاختلاف ، ربما اطول من مدة القراءة والتلمذة فليس اذن بمستساغ ولا معقول ان احالف عادتي فارفعه فوق منزلته عندي ، ولا ان أضعه دون منزلته في نفسه ، وانسب اليه هذه الخوارق التي ذكرها الدكتور المقالح لا ادري كيف توهم الاستاذ الدكتور هذا التوهم ! هذا شيء ! !

اما « التهمة » التي ذكرها ووضعها بين الاقواس ، فهي اشارة الى ما كتبته في مقدمة كتابي « المتنبي » ، الذي كتبته قديما سنة ١٩٣٦ ، فلما اعدت طبعه سنة ١٩٧٧ ، كتبت هذه المقدمة وسميتها « قصة هذا الكتاب ـ لمحة من فساد حياتنا الادبية » ، وتعرضت فيها لما سميته « التفريغ » وهو اللفظ الموحود في التهمة التي بين الاقواس

وانا مضطر هنا ان اتعرض لبيان ما في هذه المقدمة ، لانها هي التي جلبت على هذا السيل من الالفاظ التي استعملها الدكتور المقالح ، واعطت قراء مجلة العربي ، معلومات لا أصل لها عندي ، اى فيما كتبت مطبوعا منشورا في كتاب ! !

بدأت هذه المقدمة من ص ٩ ، الى ص ٢٦ ، وفيها قصتي مع الدكتور طه ، وكتاب الشعر الجاهلي ، وانا طالب في الجامعة وتلميذ للدكتور طه ، حتى تركت الجامعة في سنة ١٩٢٨ ووصفت الدكتور طه بالفاظ صريحة بلا عبث ولا مخاتلة ، وليس في هذا القسم ذكر لما سميته « التفريغ »

ثم قطعت هذا الجزء من المقدمة ، وابتدأت في حديث آخر من ص ٢٧ الى اواخر ص ٣٩ وبدأت هذا الفصل هكذا

« ومرت الايام والليالي والسنون ، ما بين سنة ١٩٢٨ ، وسنة ١٩٣٦ . وهي السنة التي كتبت فيها هذا الكتاب « المتنبي » ، وهمي مصروف اكثره الى قضية الشعر الجاهلي ، والى طلب اليقين فيها لنفسي ، لا معارضة لاحد من الناس (واعنى الدكتور طه بالطبع) ومشت بي هذه القضية في رحلة طويلة شاقة ، ودخلت بي في دروب وعرة شائكة ، وكلما أوغلت ، انكشفت عني غشاوة من العمى ، واحسست اني انا والجيل الذى انا منه ، وهو جيل المدارس المصرية ، قد تم تفريغنا تفريغا يكاد يكون كاملا من ماضينا كله ، من علومه وآدابه وفنونه وتم ايضا هتك العلائق بيننا وبينه ، وصار ما كان في الماضي متكاملا متماسكا ، مزقا متفرقة مبعثرة تكاد تكون خالية عندنا من المعنى ومن الدلالة ولانه غير ممكن ان يظل الفارغ فارغا ابدا ، فقد تم ملء الفراغ بجديد من العلوم والآداب والفنون ، لاتمت الى الماضي بسبب ، وانما لنستقبله استقبال الظامىء المحترق قطرات من الماء النمير المثلج »

وفي خلال هذه الاعوام تبين لي امر كان في غاية الوضوح عندى ، وهو قصة طويلة قد تعرضت لأطراف منها في بعض ما كتبت ، ولكني اذكرها هنا على وجه الاختصار (مقدمة المتنبي ص ٢٧)

« الجيل المفرغ »

ثم انطلقت بعد ذلك أقص القصة منذ عهد محمد علي ، وحفيده اسمعيل ، حتى جاء الاحتلال الانجليزي في سنة ١٨٨٢ ، وبمجيئه سيطر الانجليز سيطرة مباشرة على كل شيء ، وعلى التعليم خاصة الى ان جاء دنلوب (في ١٧ مارس ١٨٩٧) ليضع للأمة نظام التعليم المدمر الذى لا نزال نسير عليه مع الاسف الى يومنا هذا (المقدمة ص ٢٨) ، ثم بينت وسائل التدمير التي ارتكبها الاستعمار في حياتنا ، وما ادى اليه من التدهور المستمر المتتابع ، حتى قلت « وكذلك كان مقدرا لجيلنا ـ نحن جيل المدارس المفرغ ـ ان يتلقى صدمة التدهور الاولى ، لانه نشأ في دوامة دائرة من التحول الاجتماعي والثقافي والسياسي (المقدمة ص ٢٦) ثم ختمت هذا الفصل بقولي

« وفي ظل هذا كله ـ كما قلت ـ انتعشت الحياة الادبية

انتعاشا غير واضح المعالم واقول غير واضح المعالم ، لان الاساتذة الكبار الذين انتعشت على ايديهم هذه الحركة (ومنهم بالطبع الدكتور طه وغيره) ، كانت علائقهم بثقافة أمتهم غير ممزقة كل التمزق ، اما نحن ـ جيل

المدارس المفرغ - فقد تمزقت علاقتنا بها كل التمـريق ، فصار ما يكتبه الاساتذة - فيما له علاقة بهذه الثقافة - باطلا او كالباطل فهو لا يقع منا ومن انفسنا بالموقع الذى ينبغي له من الفهم ومن الاثارة ، ومن الترغيب في متابعته ، ومن اعادة النظر في ارتباطنا بهذه الثقافة بل كان عند كثير من اهل جيلنا غير مفهوم البتة ، فهو يمر عليه مرورا سريعا لا اثر له ، اما الذى اخذه جيلنا عنهم ، فهو الاتجاه الغامض الى المعنى المبهم الذى تضمنته كلمة « التجديد » ، والى هذا الرفض الخفي للثقافة التى كان ينبغي ان نتتمى اليها ، والى الانحيار الكامل الى قضايا الفكر والفلسفة والادب والتاريخ التي أولع الاساتذة بتلخيصها لنا ، لكي نلحق بثقافة العصر الذى نعيش فيه ، ومناهجه في التفكير ، كما صوروا لنا ذلك في خلال ما يكتبونه !! وغاب عن الاساتذة الكبار ان الزمن الدوار الذى يشيب الصغير ويفني الكبير ، هو الذى سيتولى الفصل بينهم وبين ابنائهم الصغار الذين كانوا يتعلمون اليوم على ايديهم والقصة تطول ، ومع ذلك فليس هذا مكان قصها على وجهها ، اذا انا اردت ان اقيد ما كان . كما شهدته فيما بين سنة ١٩٢٨ وسنة ١٩٣٦ ، بل الى ما بعد ذلك الى يومنا هذا » (مقدمة المتنبي ص ٣٧ ، ٣٨)

فهذا كما ترى - هو الفصل الذى جاء فيه ذكر « التفريغ » ، وهو شهادتي انا على جيلي الذى انا منه ، وهو جيل المدارس الذى فرغ من ثقافة أمته ، وتقطعت علائقه بينه وبين حضارتها على وجه بشع لاتزال آثاره هي العالبة الى يومنا هذا ، وكما ترى وكما تستطيع ان تتحقق ، ليس فيها ذكر للدكتور طه على الوجه الذى ذكره المقالح ، ومن أحب من القراء ان يرجع اليه ، فليرجع اليه ، اقول ذلك مخافة ان يفقد الثقة بما اقول ، كما سيفقد الثقة باقوال الدكتور المقالح

وبعد ان فرغت قلت مباشرة : « ومع ذلك ، فانا احب ان اقرر هنا حقيقة اخرى ، تعين على توضيح هذه الصورة التي صورتها ، وكنت انا احد شهودها سنة ١٩٢٨ - ١٩٣٦ ، فصورتها فيما سلف فالدكتور طه حسين - وهو احد الاساتذة الكبار - سوف يشهد في سنة ١٩٣٥ شهادته هو ، من موقعه هو ، اى من موقع الاستاذية ، من وجهة نظره هو ، ومن دوافعه هو الى الادلاء بهذه الشهادة » (المقدمة ص ٣٩)

كتاب الشعر الجاهلي

ثم في (صفحة ٤٠ من المقدمة) عدت فتعرضت لكتاب الشعر الجاهلي ، واثره على جيلنا نحن ، جيل المفرغين ، وما القاه علينا وقاله الدكتور طه ، وزعم انه « منهج الشك » فقال فيما قال عن هذا المذهب بلفظه من كتاب الشعر الجاهلي « ان هذا المذهب سوف يقلب العلم القديم رأسا على عقب ، وأخشى - ان لم يمح اكثره - ان يمحو منه شيئا كثيرا » وبينت ما قاله بعد ذلك مما يدل على الاستخفاف بكل شيء ، وقيدته بنصه من كتاب الشعر الجاهلي ثم شهدت بعد ذلك شهادتي على الجيل الذى انا منه فقلت

« والاستخفاف الذى بنى عليه الدكتور طه كتابه معروف ، اما الذى كان يقوله في احاديثه بين طلبته ، فكان استخفافه عندئذ يتجاوز حده حتى يبلغ بنا الى الاستهزاء المحض باقوال السلف ، واما الذى كان يدور بين طلبته الصغار « المفرغين » من ثقافتهم - كما قلت - فكان شيئا لا يكاد يوصف ، لانه كان استخفاف جاهل واستهزاء جاو ، يردد ما يقوله الدكتور ، لا يعصمه ما كان يعصم الدكتور طه من بعض العلم المتصل بهذه الثقافة وعلى مر الايام ، كانت العاقبة وخيمة جدا » (المقدمة ص ٤٠) ثم ذكرت كيف كانت العاقبة ، حين كبر هؤلاء الصغار ، وحاولوا ان يزاحموا الاساتذة الكبار (كالدكتور طه) في موقع الاستاذية فقلت « ولكنهم لم يسيروا سيرة الاساتذة في معالجة القديم بل كان الغالب على اكثرهم هو رفض القديم والاعراض عنه ، والانتقاص له والاستخفاف به وعندئذ أحس الدكتور طه بالخطر ، وهو الذى اضاء لهم الطريق بالضجة التي احدثها كتابه ، في الشعر الجاهلي » (المقدمة ٤١) ثم قلت بعد ذلك مباشرة

« كان احساس الدكتور طه بهذا الخطر الذى تولى هو كبر احداثه ، ظاهرا جدا ، ففي يناير سنة ١٩٣٥ بعد تسع سنوات من صدور كتابه في الشعر الجاهلي - بدأ ينشر في جريدة الجهاد مقالات ، كان محصلها رجوعا صريحا عن ادعائه الاول في سنة ١٩٢٦ ، الذى اعلنه في كتابه ، وهو قوله ان الكثرة المطلقة مما نسميه شعرا جاهليا ، ليست من الجاهلية في شيء ، وانما هي منتحلة مختلقة بعد ظهور الاسلام ، فهي اسلامية تمثل حياة المسلمين وميولهم واهواءهم ، اكثر مما تمثل حياة الجاهليين واكاد لا اشك في ان ما بقي من الشعر الجاهلي الصحيح قليل جدا ، لايمثل شيئا ولايدل على شيء »

ثم عقبت على هذا الذى قلته بما يأتي « قد بينت في بعض مقالاتي ان الدكتور طه قد رجع عن اقواله التي قالها في الشعر الجاهلي ، بهذا الذى كتبه في سنة ١٩٣٥ ، وببعض ما صارحني به بعد ذلك ، وصارح به آخرين ، من رجوعه عن هذه الاقوال ، ولكنه لم يكتب شيئا صريحا

يتبرأ به مما قال او كتب ، وهكذا كانت عادة الاساتذة الكبار ! يخطئون في الملن ويتبرءون من خطئهم في السر !! »

ثم ذكرت ما قاله الدكتور طه في مفتتح مقالاته التي كتبها ونشرها بعد ذلك في حديث الاربعاء ، في الجزء الاول منه ، عن شعر الجاهلية ، وذكر السبب الذي دعاه الى كتابة ما كتب ، وهو ما صاغه في محاورة بينه وبين صاحب له من جيلنا نحن ، يرفض الشعر القديم كله ، وصور احساس هذا الجيل تصويرا كاملا ، ثم قال « وقد تحدث الي المتحدثون بان امثال صاحبي هذا ، قد احذوا يكثرون ، ويظهر أنهم سيكثرون كلما تقدمت الايام » ، فقلت انا تعقيبا على ذلك : « وصدق طه الدكتور طه ، فقد كان ذلك ، وكان ما هو أبشع منه » (مقدمة المتنبي ص ٤١ ، ٤٢)

ثم سقت شهادة الدكتور طه على جيلنا المفرغ ، وما كان من امره وامرهم ، منقولة من مقالاته في سنة ١٩٣٥ ، والمنشورة في حديث الاربعاء (في ص ٤٣ ـ ٤٤) ثم قلت : « وليس من همي ان افسر هذه الشهادة ، ولا ان اوضح مدى صدقها حيث صدق توقع الدكتور طه في تكاثر عدد من وصمهم من « المثقفين » في شهادته ولكن الذي يجب على ان اقوله ان شهادة الدكتور على اختصارها ، انما هي وجه آخر لشهادتي التي كتبتها هنا ، قالها هو من موقع الاستاذية وقلتها انا من موقعي بين افراد جيلي الذي انتمي اليه ، وهو جيل المدارس المفرغ من كل اصول ثقافة أمته ، وهو الجيل الذي تلقى صدمة التدهور الاولى ، حيث نشأ في دوامة من التحول الاجتماعي والثقافي والسياسي ، الذي اشرت اليه آنفا (مقدمة المتنبي ص ٤٥ ، ٤٦)

هل يبقى الاتهام ؟

يستطيع الآن قارىء مجلة العربي ان يطمئن ، لاني وضعت بين يديه قضيتي انا صغيرا ، وقضية جيلي الذي سميته « الجيل المفرغ » ، وان امر « تفريغ » هذا الجيل الذي انا منه من ثقافة أمته ومن اسس حضارته التي ينتمي اليها ، منسوب كله الى الاستعمار وقوى التخريب المختلفة التي سيطرت عليه ، وعلى مجتمعه ، وعلى مدارسه ، ونشأته مفرغا غير قادر على مجرد الفهم لثقافة أمته العظيمة التي صار هو حلقا ، لايطيق الصبر على ما تركه له السلف من آبائه ، لابل لعله يرفضه بتظاهر وتعالم وسخف ايضا . اليس هذا واضحا جدا فيما اختصرته لك بالفاظه من مقدمتي لكتابي عن « المتنبي » ، والتي جعلتها اساسا لقصة هذا الكتاب الذي نشرته في يناير سنة ١٩٣٦ ، وجعلتها ايضا صورة لفساد حياتنا الادبية ؟ اليس واضحا ؟

وهذا الجيل « المفرغ » ، هو الجيل الذي تلقاه الدكتور طه في الجامعة منذ سنة ١٩٢٥ وانا واحد منه ، فشهدت شهادتي عليه ثم قلت ان الدكتور ـ حين تلقى هذا الجيل المفرغ والاجيال التي تليه من المفرغين ـ أخطأ خطأ شنيعا ، حين قال له ما قال في قضية الشعر الجاهلي ، وبالصورة التي قالها مثبتة في كتابه الشعر الجاهلي ، وفي كتابه المعدل الادب الجاهلي ، ثم تهوره (وأنا آسف لهذا التعبير ، ولكني لااجد غيره مناسبا) ، ثم تهوره حين طالبهم باتباع ما زعمه مذهبا وأنه هو الذي سوف يقلب العلم القديم رأسا على عقب ، « وأخشى ـ ان لم يمح اكثره ـ ان يمحو منه شيئا كثيرا » ، كما قال في كتابه في الشعر الجاهلي ص ٣

ثم قلت بوضوح ان الدكتور طه قد تبين هذا الخطر الذي تولى كبره ، بعد تسع سنوات لا اكثر ، فكتب او املى ، شهادة على هذا « الجيل المفرغ » ، بعد ان فارق الجامعة ، وبدأ يسامي الاساتذة الكبار ، وفيهم الدكتور نفسه ، ويجابهه برفض كل شيء . كتب الدكتور طه هذه الشهادة في سنة ١٩٣٥ على هذه الاجيال المفرغة ، فكانت شهادة من استاذ كبير ، شهدها من موقع الاستاذية ، وكانت فحواها مطابقة لشهادة واحد من هذه الاجيال التي تلقت « التفريغ » في نظام دنلوب ومدارسه ، شهدها من موقعه في هذا الجيل « المفرغ »

فهل في شيء من هذا ما يدل على اني وصمت الدكتور طه واتهمته ، بانه هو الذي فعل ذلك « التفريغ » ؟ واذا كان الامر الآن واضحا لقارىء مجلة العربي ، فماذا يقول لهذا الكاتب الذي يحمل شهادة الدكتوراه ، فيقول عني اني اول من اطلق اتهام الدكتور طه بتهمة وضعها بين قوسين ، هي : (اذا كان هناك تخريب في الثقافة المصرية ، فان المسئول عن هذا التخريب هو طه حسين ، لانه بتشككه في الثقافة العربية قد احدث نوعا من التفريغ في العقل العربي) ؟

وهذا الكاتب ـ كما قلت ـ بين ثلاثة امور : اما انه لم يقرأ لي شيئا قط ، واما انه قرأ ولم يفهم ، واما أنه فهم شيئا عن طريق التوهم ، لا عن طريق الاستنباط من لفظي وكلامي . ولا احب ان ادع قارىء مجلة العربي مترددا في اختيار خصلة من هذه الخصال الثلاث ، فلذلك سوف آتيه بالدليل القاطع على انه لم يقرأ ما كتبت عن الدكتور طه ، وانما هي الفاظ تلقاها من تخاليط جالس على مقهى من مقاهي الثرثرة . وذلك انه قال بعد ما نسبه الي مباشرة ما يأتي

« لقد كان طه حسين زميلا أزهريا للاستاذ شاكر ، سبقه الى ذلك المعهد العتيد ، وتعلم على مشايخه الأجلاء اساليب الحوار ، وطرائق الرفض والقبول ، وكانت ظروفه الاجتماعية ، وتكوينه النفسي ، يهيئانه لغير ما تهيأ له الاستاذ شاكر »

فالذى يقول مثل هذا الخلط ، لا يمكن ان يكون قرأ ما كتبت ولم يفهمه ، ولا ان يكون فهم شيئا عن طريق التوهم ولا عن طريق الاستنباط ، لاني قصصت في خلال كلامي عن « التفريغ » حرفا من تاريخ حياتي ، منذ كنت طالبا صغيرا في مدارس دنلوب ، ثم في القسم العلمي حتى نلت شهادة البكالوريا (الثانوية العامة) ، ثم دخلت الجامعة ، ثم فارقتها ، وفارقت أرض مصر مدة سنتين ، ثم عدت لأسير سيرتي التي انا فيها من يومئذ الى الآن فهل هذا هو « الأزهر » ؟ ولا استطيع ان اتوهم ان حاملا للدكتوراه لايستطيع ان يفرق بين « مدارس دنلوب » التي فرعتني وفرغت حبلي ، وبين لفظ « الأزهر »

هل يليق بعد هذا ان يدلى هذا الحامل للدكتوراه ، بمعلومات عن حي من الاحياء ، تحمل هذا القدر من العبث وقلة الاحتفال بالقراء هل يمكن ان يكون هذا الحامل للدكتوراه قد قرأ شيئا وفهمه ؟ بلا ريب ، لا ، فالذى في كتابي الذى يوهم القارىء انه قرأه ، وفي غيره من كتبي ، قصصت ما أصابني من « المدارس » التي سيطر عليها الاستعمار وشيطان « دنلوب » فكيف يأتي هذا الآتي ، فيجعلني زميلا لاستاذى الدكتور طه في « الأزهر »

وانا احتم هذا التصحيح ، بكلام ليس من كلامي ، بل من كلام هذا الاستاذ ، قدمه بين يدى الفقرة التي نقلها عند اول المقالة (العربي ص ٥٥) يقول « كما انه ليس من حق احد بل لا يليق بأحد ـ ان يختلق على مخالفيه الرأى من الاقوال والافعال ، ما لم يقولوا ، ولم يعملوا ، كما يحدث وحدث في الكتابات التي تناولت آثار طه حسين وجهوده الفكرية والثقافية ، فقد وصل الزيف والتضليل في بعض تلك الكتابات الى درجة لاتسيء الى طه حسين وحده فحسب ، وانما تسيء كذلك الى الفكر العربي والضمير » ، هكذا قال ثم عقب بذكرى وذكر التهمة الثقيلة التي بينت لقارىء مجلة العربي حقيقتها فيما سلف ، واني لم اختلق شيئا على الدكتور طه ، ولا نسبت اليه ما نسبه الي هذا الحامل للقلم وللدكتوراه .

تهمة أكبر

ومع ذلك ، فانا لا أنفي عن نفسي اني اتهمت الدكتور طه حسين لا بتلك التهمة السخيفة بل بتهمة أشنع وأبشع من التهمة التي اختلقها هذا الكاتب ، فان مقدمة كتابي « المتنبي » (من ص ٣ ، الى ص ١٦٤) مبنية على شيئين على قصة الكتاب كيف كتبته ، وعلى ظواهر فساد حياتنا الادبية ، وأكبر ظاهرة تعرضت لذكرها ، هي قصة « السطو » على افكار الناس واقوالهم » وقلت انها سنة سنها الاساتذة الكبار ، وان هذا « السطو » أتى على ايديهم في صورتين

الاولى سنة « تلخيص » افكار عالم آخر « أعني العالم الادبي » ويقضي الاستاذ منهم عمره كله في هذا « التلخيص » ، دون ان يشعر انه محفوف بالاخطار ، ودون ان يستنكف ان ينسبه الى نفسه نسبة تجعله عند الناس (اى عند العرب) كاتبا ومؤلفا وصاحب فكر ، وهذا ضرب من التدليس كريه (مقدمة المتنبي ص ١٦٣) ، وهذه خصلة شنيعة

والاخرى سنة « السطو » المجرد ، حين يعمد الساطي الى ما سطا عليه فيأخذه ويمزقه ، ثم يفرقه ويغرقه في ثرثرة طاغية ، ليخفي معالم ما سطا عليه ، وليصبح عند الناس صاحب فكر ومذهب يعرف به ، وينسب اليه كل فضله (مقدمة المتنبي ص ١٦٣) وهذه خصلة اشنع من الاولى

ثم قلت « اتلمت اليوم (سنة ١٩٧٧) الى ما اشفقت منه قديما من فعل الاساتذة الكبار ، لقد ذهبوا بعد ان تركوا ، من حيث ارادوا او لم يريدوا ، حياة ادبية ثقافية قد فسدت فسادا وبيلا على مدى نصف قرن ، وتحددت الاساليب وتنوعت ، وصار « السطو » على اعمال الناس أمرا مألوفا غير مستنكر ، يمشي في الناس طليقا عليه طيلسان « البحث العلمي » و« عالمية الثقافة » ، « والثقافة الانسانية » ، وان لم يكن محصوله الا ترديدا« لقضايا غريبة ، صاغها غرباء صياغة مطابقة لمناهجهم ومنابتهم ونظراتهم في كل قضية ، واختلط الحابل بالنابل ، قل ذلك في الادب والفلسفة والتاريخ والفن او ما شئت ، فانه صادق صدقا لا يتخلف ، فالاديب عندنا « مصور بغير قلمه والفيلسوف « عندنا » مفكر بعقل سواه ، والمؤرخ « عندنا » ، ناقد للاحداث بنظر غريب عن تاريخه ، والفنان « عندنا » نابض قلبه بنبض اجنبي عن تراث فنه (مقدمة المتنبي ص ١٦٤)

وهذه الخلاصة التي ختمت بها مقدمتي ومنذ أولها ـ نتيجة لاشياء ذكرتها ، وأطلت في ذكرها واسبابها ونتائجها ، وعلى رأسها قصتي انا مع الدكتور طه حسين في الجامعة ، حين سمعت باذني من فم الدكتور طه ، كلاما كنت قد قرأته بالانجليزية في احدى المجلات ، كتبه مستشرق غريب الشكل والعقل والاطوار يقال له « مرجليوث » فاذا الذى اسمعه ، هو نفس ما قرأته قبل ان

ان اسمع ما سمعت ، ولكني سمعته بلفظ عربي مستجاد ، وبالقاء استاذ بارع تصغي اليه فيأسرك لفظه والقاؤه ، وهو الدكتور طه حسين استاذ الادب العربي عند اول دخولي الجامعة ، ولكن فتنة هذا الاستاذ الكبير ، لم تمنعني يومئذ (سنة ١٩٢٦) - وانا طالب صغير- ان اقول لزملائي واساتذتي وللناس ان هذا « سطو » غير لائق على مقالة المستشرق الاعجمي ، وان الجامعة مكان للبحث والمناقشة ، لا مكان للسطو على اعمال الناس ، واشتد الامر علي وعلى من يحيط بي « حتى تدخل في ذلك ، وفي مناقشتي بعض الاساتذة الاجانب كالاستاذ نلينو ، والاستاذ جويدي من المستشرقين ، وكنت أصارحهما بالسطو ، وكانا يعرفان ذلك ، ولكنهما يداريان ، وطال الصراع غير المتكافيء بيني وبين الدكتور طه زمانا ، الى ان جاء اليوم الذي عزمت فيه على ان افارق مصر كلها ، لا الجامعة وحدها ، غير مبال باتمام دراستي الجامعية ، طالبا للعزلة ، حتى أستبين لنفسي وجه الحق في قضية الشعر الجاهلي بعد ان صارت عندي قضية متشعبة كل التشعب « مقدمة المتنبي ص ٢٣ ، ٢٤ »

ليس شكا ازهريا

وقد قصصت القصة كلها واضحة في مقالاتي في مجلة الثقافة المصرية حين تفضل الدكتور عبد العزيز الدسوقي فكتب عن كتابي « المتنبي » في طبعته الثانية سنة ١٩٧٧ ، وقلت فيها ما قلت ، من اتهامي للدكتور طه بالسطو على عمل من الاعمال ، واستنكرت ان يكون ذلك في « جامعة » « وان الجامعة « اذا قبلت هذا السطو » وسكتت عنه ، فانها تفقد هيبتها ، وطالت اساتذتي الذين ارادوا ان يحولوا بيني وبين ترك الجامعة ، في قصة طويلة ان ينصحوا الدكتور طه ان يصرح بنسبة هذا الذي قاله الى صاحبه مرجليوث ، فاذا فعل عدت الى الجامعة ونقضت عزمي على السفر ، هذه واحدة

وبهذه الواحدة يتبين ان الذي قاله المقالح ، من ان الدكتور طه شك شكا ازهريا !! كلام لا اصل له ، فهو ليس شكا ازهريا ولا ديكارتيا ، ولا اسطوريا (!!) بل الذي في كتاب (في الشعر الجاهلي) انما هو « سطو » لا غير ، وكان الله يحب المحسنين ، ومن الدليل على ذلك ايضا ان الدكتور طه نفسه ، لم يؤلف بعد ذلك كتابا واحدا يحمل ذرة من هذا « الشك » الذي زعم انه منهج ، ويزعمه له امثال الدكتور المقالح ، وهذه بالطبع غريبة من الغرائب

اما « الثانية » فاني نشرت كتابي عن « المتنبي » اول مرة ، في المقتطف (يناير سنة ١٩٣٦) ، وبعد سنة او اكثر (سنة ١٩٣٧) فأجاني الدكتور طه بكتابه « مع المتنبي » فرأيت وانا أقرؤه ، انه لم يفارق عادته التي اعتادها ، وانه وضعني تحت ابطه وهو يملي كتابه ، فيسألني عن منهجي في كل قضية تخص المتنبي ، فاذا فرغت سار على الدرب ، فرحا ومتفكها ومعاكسا ومستحرجا لغيظي ، الى آخر ما قصصت من القصة ، قصة السطو على كتابي ، وايضا لم يؤلف بعد ذلك كتابا عن شاعر من الشعراء ، غير كتابه « مع المتنبي » يحمل ذرة واحدة من هذا المنهج » الذي يزعم للناس انه هو منهجه في دراسة الشعراء وهذه بالطبع ايضا غريبة من اغرب الغرائب !!

ولكن يومئذ (سنة ١٩٣٧) ، لم اصبر عليه صبري عليه في قضية سطوه على مرجليوث ، بل نشرت مقالات متتابعة في جريدة البلاغ ، مرة في الاسبوع من ٣ فبراير سنة ١٩٣٧ الى مايو سنة ١٩٣٧ واتهمته بالدليل والبرهان على ان عادته في « السطو » لم تزل قائمة في نفسه لا يستطيع ان يفارقها ، ووردت الامر وضوحا في مقدمة كتابي التي كتبتها سنة ١٩٧٧ ، قلت ذلك في حياته ، كما ترى مع وجود تهمة « السطو » بلفظها وبلا كناية ، وسكت الدكتور طه حسين لانه لم يستطع ان ينفي عن نفسه التهمة ، ولا استطاع ذلك يومئذ « تلامذته المنتشرون على طول الساحة العربية ازاء هذا الهجوم الذي يكال لأستاذهم العميد ، كما يقول المقالح (مقالات البلاغ ، منشورة في الجزء الثاني من كتابي المتنبي)

وقلت في جميع ذلك ان الدكتور طه وسائر الاساتذة الكبار الذين تعودوا « السطو » هم الذين نشروا هذه السنة ، فصارت سنة سيئة متبعة الى يومنا هذا - بلا حياء - في جميع حياتنا الثقافية والادبية والفنية وشرح هذه القضية يطول ، وهي قضية اخرى غير القضية التي يذكرها المقالح ، فلم اتعرض لها بتفصيل ، لانه لم يذكرها في دفاعه عن « الدكتور طه » كما لم اتعرض لما حشيت به مقالته من الاخطاء التي لا تحصى

والآن ، ادع لقارىء مجلة العربي حرية الحكم والتعبير ، فهو حر في اختيار اللفظ الذي يناسبه ، في وصف ما كتبه الاستاذ الفاضل حامل الدكتوراه واشباهه اما انا فاكتفي بان اقول انه كلام خطأ كله ، وانه كلام مضلل ، واسأل الله العافية من البلاء ، وأستعفي قارىء مجلة العربي ، ليعفو عما جلبته عليه بالاكثار والاملال ، ولكن عذري اني لا أحب العبث بعقول القراء ، فاكثرت وامللت لكي أوضح وأصحح ، لا لكي أتباهى وأتبجح ■■

محمود محمد شاكر

حكام العصر .. تتار أم مماليك ؟

بقلم الدكتور محمد عمارة

ان الفكرة المحورية والدليل الاعظم الذى استند اليه كتاب (الفريضة الغائبة) في الحكم « بكفر » حكام البلاد الاسلامية المعاصرين ، وبوجوب قتالهم ، واستباحة أموالهم ، كغنائم ، هو فتوى شيخ الاسلام ابن تيمية (٦٦١ ـ ٧٢٨ هـ ١٢٦٣ ـ ١٣٢٨ م)في حكم قتال « التتار » ، الذين كانوا يحكمون مدينة « ماردين » (١) ولقد قاس الكتاب حكام العصر على هؤلاء « التتار » ، فسوى بينهم ، بل وحمل « حكام العصر » شرا من التتار ، فحكم بكفرهم ، وأوجب قتالهم !

وفي اعتقادنا اننا هنا بازاء خطأ جوهرى في الاستدلال بفتوى ابن تيمية ، ينم عن نهج يحتاج الى المراجعة حتى يستقيم مع النهج العلمي الامين في الاستدلال بالتراث ووقائع التاريخ على احوالنا المعاصرة ومشكلاتنا الراهنة وهنا نسأل هل ، حقا ، حكامنا المعاصرون هم مثل « التتار » الذين كانوا يحكمون « ماردين » ، والذين افتى ابن تيمية بكفرهم ووجوب قتالهم ؟؟

اننا ، ومنذ البدء ، نجيب على هذا السؤال بالنفي وسنستشهد بابن تيمية ذاته ، من خلال ذات فتواه التي يستند اليها كتاب (الفريضة) ـ على صدق ما نقول ؟ !

لقد عرض ابن تيمية في هذه الفتوى صورة العالم الاسلامي في عصره فقال لنا ان .

• المغرب الاقصى قد استولى الافرنج على اكثره والمسلمون فيه لا يجاهدون بل ان حكامه يسندون سلطانهم بجنود من الافرنج يعلقون على صدورهم الصلبان ؟ !

• واليمن مسلموه ضعاف ، عاجزون عن الجهاد ، او مضيعون له ، خاضعون لمن ملك بلادهم واستبد بالسلطان من دونهم مرتجفون من تهديد التتار ، حتى لقد ارسلوا لهم بالسمع والطاعة ؟ !

(١) احدى مدن اقليم الجزيرة ، بشمالي العراق بتركيا الآن

* وافريقية (تونس) يغلب عليها الأعراب ، الذين هم « شر الخلق » ؟ !

* والحجاز اكثر اهله خارجون على الشريعة قد فشت فيهم البدع والضلالات والوان الفجور والمؤمنون منهم مستضعفون عاجزون ؟ ! (٢)

* ومصر والشام يحكمها المماليك ، وهم يدافعون عن بلادهم ، وعن المجتمع الاكثر علما بالاسلام ، والاكثر قربا من تعاليمه - بالقياس الى غيره من مجتمعات المسلمين

* والتتار بالمشرق - وهم قد نطقوا بالشهادتين ، واعلنوا اسلامهم ، وانتسبوا الى الاسلام ، بعد ان كانوا وثنيين وفي رعيتهم كثيرون من المسلمين ، ولكنهم من مذاهب اسلامية يعاديها ابن تيمية من مثل الشيعة (الرافضة) - والجهمية - (الجبرية اتباع الجهم بن صفوان (١٢٨ هـ ٧٤٥ م) - والاتحاديين - (القائلين بالحلول والاتحاد بين الله والمخلوقات) الخ الخ

محاربون للمسلمين

فدولة المماليك ، من بين الدول التي تحكم أقاليم عالم الاسلام يومئذ ، كما يقول ابن تيمية « اقوم من التتار بدين الاسلام ، علما وعملا ، واعلم بالاسلام منهم ، واتبع له منهم » ومع ذلك ، فالتتار رغم انتسابهم للاسلام - يغزون بلاد الاسلام بالقتال ، ويتحالفون مع اعداء الاسلام ضد البلاد الاسلامية ، ويحترفون الغزو والتدمير ضد المجتمعات الاسلامية وهم في غاراتهم التي شنوها ويشنونها على البلاد الاسلامية ، ينقضون عهود الامان ويقتلون مئات الالوف ويسبون النساء والاطفال والرجال ويفجرون بالنساء الحرائر وينتهكون حرمة المقدسات وينهبون الاموال ويدمرون معالم الحضارة وجمهور عسكرهم لا يصلون ، وليس في معسكراتهم مؤذن ولا امام للصلاة ولا يحج منهم احد ، مع تمكنهم واستطاعتهم ولا علاقة لعروهم

(٢) ومع ذلك لم يفت ابن تيمية او يحكم « بكفر » احد من حكام هذه الاقاليم

وقتالهم بالاسلام ، بل هما في سبيل الملك ، الذى احتلطت شريعته الوثنية بالنصرانية باليهودية بالزندقة بالاسلام فهم يعظمون حنكرخان (٥٦٢ - ٦٢٤ هـ ١١٦٧ - ١٢٢٧ م) اكثر من تعظيمهم للرسول . عليه الصلاة والسلام ، بل ويعتبرونه ابنا لله ويسوون بين الاسلام وغيره من الديانات ، كاليهودية والنصرانية ، ويجعلونها جميعا عثابة المذاهب داخل الدين الواحد ؟

ومع ذلك كله فليتهم قبعوا في بلادهم بل يجردون الحملات الحربية على بلاد الاسلام وتمارسون في اهلها القتل والسبي والنهب والفجور والدمار انهم وان ادعوا الاسلام وانتسبوا اليه - محاربون للمسلمين وغزاة لأوطان اسلامية يذلون المسلمين ، وينصرون الاعداء ومع ذلك فابن تيمية لا يعتبر دارهم « دار حرب » ، تسرى عليها احكام الكفر ، باطلاق وكذلك فهي ليست « دار سلم » تجرى عليها احكام الاسلام ، باطلاق وانما هي مختلطة الحكم ففيها مسلمون ، تجرى عليهم احكام السلم والاسلام وفيها « دولة » ، تعلوها احكام يتجاور فيها الكفر والاسلام ، وهي لذلك وفي هذا النطاق ، دار حرب تسرى عليها احكام الكفار فقتالهم وصدهم عن بلاد الاسلام واجب بالكتاب والسنة واتفاق ائمة المسلمين انهم - مع حالهم هذه - غزاة ، محاربون للمسلمين وليسوا مجرد « بغاة » او مخطئين متأولين

لقد كان التتار - وهم « مغل » - يحكمون بقانون « الياسة - اى يحكمون بغير ما انزل الله - وكان المماليك ، في مصر والشام - وهم « مغل » كذلك - يحكمون فيما بينهم وفي الدواوين السلطانية - اى في الجيش والدولة - بقانون « الياسة » ايضا ولكن التتار كانوا غزاة يحترفون الدمار بينما كان المماليك مدافعين عن الحضارة ، ضد الدمار ، وعن الاوطان ضد الغزاة فالاولون مثلهم مثل الخوارج المارقة . وعلى المسلمين النهوض خلف المماليك - رغم ظلمهم وحكمهم فيما بينهم بغير الشريعة - لقتال التتار ، كما قاتل المسلمون الاولون الخوارج خلف امراء الجور والظلم والبغي كالحجاج بن يوسف ، ونوابه ، وامثالهم - على عهد بني امية وبني العباس

هذا هو جماع رأى ابن تيمية في احوال عصره ، وفي حكم الفرقاء المتنازعين فيه (٣)

لقد حكم ابن تيمية على « المغل - التتار » بالكفر ، واوجب قتالهم . وفي ذات الوقت قال عن « المغل - المماليك » انهم « احق الناس دخولا في الطائفة المنصورة التي ذكرها النبي ، صلى الله عليه وسلم ، بقوله في الاحاديث المستفيضة عنه « لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة » (٤) ؟ وادخلهم في « اهل الغرب » ، الذين عناهم الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، عندما قال « لا يزال اهل الغرب ظاهرين » (٥) فالشام ومصر تقع الى الغرب من « المدينة المنورة » ؟ وقال عنهم ابن تيمية ايضا « انهم كتيبة الاسلام ، وعزهم عز الاسلام وذلهم ذل الاسلام ، فلو استولى عليهم التتار لم يبق للاسلام عز ولا كلمة عالية ولا طائفة ظاهرة عالية يخافها اهل الارض تقاتل عنه » (٦) ؟ !

ولم تكن هذه التفرقة ، في حكم ابن تيمية والمماليك ، راجعة الى ان التتار يحكمون « بالياسة » المخالفة للشريعة . بينما المماليك يحكمون بالشريعة فلقد كان المماليك ، ايضا يحكمون فيما بينهم بنفس « ياسة » حنكرخان ؟ ! ولنقرأ ما يقوله مؤرخ ذلك العصر المقريزى (٧٦٦ - ٨٤٥ هـ ١٣٦٥ - ١٤٤١ م) في هذا الموضوع

« اعلم ان الناس في زماننا ، بل ومنذ عهد الدولة التركية - (المملوكية) - بديار مصر والشام يرون ان الاحكام على قسمين حكم الشرع ، وحكم السياسة فالشريعة هي ماشرع الله تعالى من الدين وامر به كالصلاة والحج وسائر اعمال البر والسياسة هي القانون الموضوع لرعاية الاداب والمصالح ، وانتظام الاحوال والسياسة نوعان : سياسة عادلة ، تخرج الحق من الظالم الفاجر ، فهي من الاحكام الشرعية . وسياسة ظالمة ، فالشريعة تحرمها . . . وليس ما يقوله اهل زماننا في شيء من هذا ، وانما هي كلمة « مغلية » اصلها « ياسة » ، فحرفها اهل مصر ، وزادوا بأولها سينا فقالوا « سياسة » ، وأدخلوا عليها الالف واللام ، فظن من لا علم عنده انها كلمة عربية ، وما الامر فيها الا ما قلت لك . . واسمع الان كيف نشأت هذه الكلمة حتى

---

(٣) (الفتاوى الكبرى) جـ ٣ ص ٣٤٥ - ٣٤٧ ، ٣٥٨ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٨ - ٣٤١ ، ٣٥٢ - طبعة القاهرة سنة ١٩٦٥ م .

(٤) رواه البخارى ومسلم وابو داود والترمذى وابن ماجة والدارمي وابن حنبل .

(٥) رواه مسلم

(٦) الفتاوى الكبرى جـ ٤ ص ٣٤٥ ، ٣٤٧ .

انتشرت بمصر والشام ان جنكزخان قرر قواعد وعقوبات اثبتها في كتاب سماه « ياسة » ومن الناس من يسميه « يسق » (٧) ، والاصل في اسمه « ياسة » حمله شريعة لقومه فالتزموه كالتزام اول المسلمين حكم القرآن فلما كثرت وقائع التتر في بلاد المشرق والشمال وبلاد القبجاق ، واسروا كثيرا منهم وباعوهم ، تنقلوا في الاقطار ، واشترى الملك الصالح نجم الدين ايوب جماعة منهم سماهم البحرية ومنهم من ملك ديار مصر . واولهم المعز ايبك وكانوا انما ربوا بدار الاسلام ، ولقنوا القرآن ، وعرفوا احكام الملة المحمدية فجمعوا بين الحق والباطل ، وضموا الجيد الى الرديء ، وفوضوا لقاضي القضاة كل ما يتعلق بالامور الدينية من الصلاة والصوم والزكاة والحج ، وناطوا به امر الاوقاف والايتام وجعلوا اليه النظر في الاقضية الشرعية واحتاجوا في ذات انفسهم الى الرجوع لعادة جنكزخان والاقتداء بحكم الياسة فلذلك نصبوا الحاجب ليقضي بينهم مع مقتضى الياسة ، وجعلوا اليه ، مع ذلك النظر في قضايا الدواوين السلطانية » (٨)

فالمماليك ـ بشهادة اوثق مؤرخي عصرهم ـ المقريزي ـ لم يكونوا يحكمون فيما بينهم وفي الدواوين السلطانية ـ اي في « دولة » ـ بالشريعة ، بل بـ « ياسة » جنكزخان ومع ذلك قال عنهم ابن تيمية انهم كتيبة الاسلام ، وطائفته المنصورة ـ بنص حديث الرسول ـ لانهم فرسان الدفاع عن الحضارة والفكر والوطن ولانهم حكموا الشريعة في شئون الرعية ، مع استبعادهم عدلها ، فلقد مارسوا من الظلم ما جعل عصرهم مضرب المثل في هذا المقام

على حين حكم ابن تيمية على التتار بالكفر ، واوجب قتالهم ، لا بسبب « الياسة » ، اساسا وانما لتعذيبهم وغاراتهم وغزواتهم التي اهلكوا فيها الحرث والنسل وهددوا الحضارة الاسلامية بالدمار

ذلك هو معيار حكم ابن تيمية ، وبه ووفقا له يصبح الشبه قائما بين « حكام العصر » وبين المماليك . وليس بينهم وبين التتار ؟ وتصبح معايير الحكم على ممارساتهم ونظمهم هي معايير

« الخطأ » و« الصواب » و « الظلم » و« العدل » لا « الكفر » و« الايمان » و« الردة » و« الاسلام »

الخلاف في الفروع

ثم ان كل ما يتعلق بالدولة وشئونها ، يندرج في فكر الاسلام تحت مبحث « الخلافة والامامة » وهو « مبحث اسلامي » لكنه ليس « ركنا ولا اصلا من أصول دين الاسلام وأركانه » . اجمع على ذلك عدا الشيعة من مذاهب الاسلاميين ومن ثم فان مصطلحات « الكفر » « والتكفير » للحكام المعلنين اسلامهم هو استمرار في الجريان على ذات السنة السيئة التي سنها الخوارج في تراثنا وتاريخنا ، عندما انتقلوا بالخلافات السياسية من اطار السياسة الاسلامية الى نطاق الدين لقد حكموا بالكفر على امير المؤمنين علي بن أبي طالب ، بسبب خلافهم معه في قضية سياسية هي « التحكيم » اما هو فلقد اذن لاصحابه ان يصلوا خلف الخوارج ، لان خلافهم السياسي معه ، وقتالهم له لم يخرجاهم ، في رأيه عن الاسلام والايمان وقال لاصحابه « لا تقاتلوا الخوارج بعدي ، فليس من طلب الحق فاخطأه كمن طلب الباطل فأدركه »(٩) ولقد تحدث عن قتلى خصومه في معركة « صفين » فلم يصمهم « بالكفر » وانما قال ان قبلتنا واحدة ، وديننا واحد ، وقرآننا واحد ، ونبينا واحد لم نختلف في شيء من ذلك ، وانما اختلفنا في « دم عثمان » ثم دعا الله ان يدخل قتلى الفريقين جنته بل ونهى اصحابه عن « سب » معاوية وجنوده وهم يقاتلون ؟(١٠)

ذلك هو النهج الاولى بالاتباع اذا كان الصراع « في نطاق الفروع » ـ والسياسة منها ـ وطالما كان الاسلام الدين يظلل الفرقاء المختلفين باصوله واركانه

لقد يبرىء فكر اصحاب كتاب (الفريضة الغائبة) من غلو الذين « كفروا » جمهور الامة وعامة المسلمين لكن النهج الخاطيء في الاستشهاد بفتاوى ابن تيمية « في التتار » قد جعلهم يرون في « حكام العصر » نظراء للتتار بل اسوأ منهم ، فاطلقوا عليهم حكم « الكفر » ، وجردوهم من « الايمان » وتلك سلبية تصم هذا الفكر بالغلو في هذه القضية وهو غلو ان افاد في شحن الشباب بالعداء لنظم الحكم الجائرة المستبدة فانه يفعل ذلك على حساب « الثوابت » الاسلامية ، المتعلقة بمعنى « الكفر » ومعنى « الايمان » وهي « ثوابت » لا يجوز العبث فيها مهما حسنت النوايا وشرفت الغايات

---

(٧) في كتاب (الفريضة الغائبة) يسميه « ياسق »

(٨) (خطط المقريزي) جـ ٣ ص ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٣ طبعة دار التحرير القاهرة

(٩) نهج البلاغة ص ٧٤ طبعة دار الشعب ـ القاهرة

(١٠) المصدر السابق ص ٢٥٦

لقد حكم كتاب (الفريضة الغائبة) ـ ص ٩ ـ على « حكام العصر » « المسلمين » « بالردة » ، ومن ثم باستحقاقهم عقوبة اشد من عقوبة الكافر الاصلي واستدل الكتاب على ذلك بقول ابن تيمية « وقد استقرت السنة بان عقوبة المرتد اعظم من عقوبة الكافر الاصلي من وجوه متعددة »

الردة والخيانة العظمى

وهنا نلاحظ ان نص ابن تيمية وحكمه قد انتزع من اطاره ، ووظف في مقام آخر لا علاقة له بالموضوع الاصلي فابن تيمية يتحدث عن « الردة » بالمعنى المرادف لما نسميه اليوم « الخيانة الوطنية » والهرب من الجندية والالتحاق بجيش الاعداء الغزاة لديار الاسلام والمقاتلين لاهله ؟ يتحدث عن طائفة من عسكر المماليك ، هربت والتحقت بجيش التتار الغزاة لديار الاسلام والمدمرين لحضارة المسلمين ولقد جاء حديثه عن هؤلاء « المرتدين ـ الخونة » بعد حديثه عن المماليك ، بالشام ومصر ، الذين وصفهم بانهم « هم كتيبة الاسلام ، وعزهم عز الاسلام ، وذلهم ذل الاسلام » ؟ ثم قال متحدثا عن العسكر الذين خرجوا عليهم ، والتحقوا باعدائهم التتار « فمن قفز عنهم الى التتار كان احق بالقتال من كثير من التتار ، فان التتار فيهم المكره وغير المكره وقد استقرت السنة بان عقوبة المرتد اعظم من عقوبة الكافر الاصلي (١١) « فالردة » هنا هي « الخيانة الوطنية » والالتحاق بجيش الاعداء الغزاة لديار الاسلام ومن ثم فان الاستدلال بهذا النص على « ردة حكام العصر » من المسلمين هو خطأ بين وكبير في الاستدلال ؟

ان الخلاف الدائر بين المسلمين اليوم ، بل ومنذ عصر الخلافة الراشدة ، متركز ومتمحور في قضايا سياسة المجتمع ونظم الحكم ، وحول « الخلافة والامامة » وجميع اهل السنة ، ومنهم ابن تيمية ـ الذي يستشهد كتاب « الفريضة الغائبة » بفكره في اغلب صفحاته ـ يتفقون على ان هذه القضايا جميعها من « الفروع » ، وليست من « اركان الدين واصوله » وهذا يعني ان مصطلحات مباحثها والجدل فيها والاختلاف حولها يجب ان تقف عند « الصواب » و« الخطأ » و« النفع » و« الضرر » والعدل و« الظلم » ومن ثم يجب ان تبرأ من « غلو » استخدام مصطلحات « الايمان » و«الكفر » في وصف الفرقاء المتصارعين فيها

والذين قالوا ان « الامامة » من اركان الدين واصوله هم « الشيعة » وحدهم وعليهم يرد ابن تيمية فيقول لهم كلا انها ليست من اركان « الاسلام » ولا من اركان « الايمان » ، ولا من اركان « الاحسان » لان الحديث النبوي الشريف يحدد ان « الاسلام ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت والايمان ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره والاحسان ان تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك »

يورد ابن تيمية هذا الحديث النبوي ـ الذي يقول « انه متفق على صحته ، متلقى بالقبول ، اجمع اهل العلم بالنقل على صحته » ليرد به على « الشيعة » الذين قالوا ان « الامامة » من اركان الدين والذين « كفروا » الصحابة لخلافهم مع علي بن أبي طالب في « الخلافة والامامة »(١٢) ؟

ورحم الله الامام الغزالي (٤٥٠ ـ ٥٠٥ هـ ١٠٥٨ ـ ١١١١ م) فلقد قال « ينبغي الاحتراز من التكفير ما وجد الانسان الى ذلك سبيلا ، فان استباحة الدماء والاموال من المصلين الى القبلة ، المصرحين بقول لا اله الا الله محمد رسول الله ، خطأ والخطأ في ترك الف كافر في الحياة اهون من الخطأ في سفك محجمة(١٣) من دم مسلم « واحد » (١٤) ؟

هذا هو نهج الاسلام وهكذا تحرر ائمته واعلامه من الخلط بين أصوله وفروعه ومن ثم عن « تكفير » الفرقاء المختلفين في قضايا الفروع فسنوا ، بذلك لنا السنة الحسنة التي برئت من غلو التكفير وتكفير الغلاة ! ■■

القاهرة ـ د محمد عمارة

---

(١١) الفتاوى الكبرى جـ ٤ ص ٣٤٧

(١٢) ابن تيمية (منهاج السنة النبوية)جـ ١ ص ٧٠ ـ ٧٢ تحقيق د محمد رشاد سالم طبعة القاهرة سنة ١٩٦٢م

(١٣) المحجمة كوب صغير يجمع فيه « الحجام » بالمصد الدم الفاسد

(١٤) الغزالي (الاقتصاد في الاعتقاد) ص ١٤٣ طبعة القاهرة ـ صبيح ـ بدون تاريخ

بقلم : أحمد عبد المعطي حجازي

من الظواهر الادبية التي اصبحت تلفت النظر في الايام الاخيرة اتجاه عدد من دور النشر العربية الى اصدار ترجمات لاعمال الادباء العرب الذين يكتبون باللغات الاجنبية وخاصة الفرنسية
اسمي ذلك ظاهرة لان هذه الترجمات ليست نتيجةلدوافع خارجية مؤقتة

كالتي ادت الى ترجمة بعض اعمال الكتاب الجزائريين في وقت الثورة ، وليست مبادرات فردية متناثرة يقوم بها المترجم وحده ، بل هي تبدو الان وكأنها مشروع ادبي منظم يشارك فيه الناشر والمترجم والمؤلف وفي الشهور الأخيرة ظهرت الترجمة العربية لمختارات من قصائد الشاعر اللبناني صلاح ستيتية الذي اطلعني ايضا على ترجمة مخطوطة لثلاثة اعمال اخرى من مؤلفاته في سبيلها الى الصدور كما علمت ان الكاتب المغربي عبد الكبير الخطيبي يتعاون مع بعض المترجين والناشرين على اصدار مجموعة مؤلفاته باللغة العربية ، وربما يكون بعضها قد صدر بالفعل ، وهناك الان مشروعات مختلفة لترجمة اعمال الشاعر المصري جورج حنين ، وكانت بعض اعمال الشاعر اللبناني جورج شحادة قد ظهرت قبل سنوات ، وبين حين وآخر تطالعنا المجلات العربية بقصائد ومقالات مترجمة لشعراء وكتاب آخرين مثل جمال الدين بن الشيخ وخالد بن جلون ،وبامكاننا ان نشير كذلك للترجمة المنظمة لمؤلفات بعض الباحثين العرب في المجتمع والسياسة والاقتصاد كالمصريين انور عبد الملك وسمير امين ، والمغربي عبد الله العروي وان كانت دلالة ترجمة الابحاث والدراسات تختلف عن دلالة ترجمة الاعمال الادبية بقدر ما تختلف وظيفة اللغة في الابداع

الادبي عن وظيفتها في البحث العلمي فاذا كانت اللغة هي المادة الاساسية في العمل الادبي ، فانتماؤه لثقافة أمته بالذات مسألة مطروحة ، بينما لاتهمنا هذه المسألة بذات القدر في البحث العلمي الذي ينظر اليه غالبا كنشاط عالمي غير قومي ، تلعب فيه اللغة دور الوسيط المحايد او الناقل الامين ، وان كانت هذه الفكرة محتاجة الى مناقشة اخرى

قلت ان اللغة هي المادة الاساسية في الادب لانها ليست مجرد وسيط معجمي لنقل افكار ذهنية محددة ومسبقة ، وانما هي التي تؤلف ما تنطوي عليه من افكار ودلالات عن طريق تجاوزها لمعانيها المعجمية المحدودة واحتشادها بكل طاقتها الابداعية وميراثها الذي كونته خلال تجربتها في التعبير عن روح الامة التي تتكلمها ولهذا تصبح الامة شريكة للكاتب او الشاعر في الابداع . لان إبداعها الجماعي لابد ان يتسرب الى ابداعه الفردي بوعي او بدون وعي .

من هنا تأتي مشكلة انتماء العمل الادبي حين يكون صاحبه اجنبيا بالنسبة للغة التي يكتب بها ان هذه اللغة ليست ملكا خالصا له ، ففيها الكثير من روح الامة التي تتكلمها وهذا الكاتب الاجنبي يتوجه بعمله الى قراء هذه اللغة ، وعمله يصب في تراثها . لكن هذا الكاتب يحمل

من ناحية اخرى ميراث امته الاصلية ويرى الاشياء والعالم بحساسية خاصة ورثها من بيئته الاولى ، فالى أي من هذين المصدرين ينتمي العمل الأدبي ، الى لغته وهي في هذه الحالة لغة اجنبية ، ام الى الوجدان القومي المتميز لصاحبه ؟

والاقرب الى المنطق ان العمل الادبي ينتمي الى اللغة اولا وذلك للاسباب التي ذكرناها ، لكن المسألة لاتطرح بهذه الحدة ، فصمويل بيكيت الأيرلندى ، أو أوجين يونسكو الروماني الاصل ، او ارابال الاسباني ، او غيرهم من الكتاب الاوربيين لايشعرون بالاغتراب في اللغة الفرنسية كما يشعر بذلك كاتب عربي مثل مالك حداد ، فاللغة الفرنسية من اهم لغات الحضارة الاوروبية التي ينتمي اليها هؤلاء الكتاب ، وتنتمي اليها ثقافاتهم ولغاتهم الاصلية . وهؤلاء الكتاب الاوربيون لم يكتبوا باللغة الفرنسية اضطرارا بل رغبة واختيارا وقد ظل صمويل بيكيت يكتب بالانجليزية حتى اشرف على الاربعين ثم هجرها الى الفرنسية التي حقق بها شهرته العريضة وليس الامر كذلك بالنسبة للكاتب العربي الذي ينتمي لحضارة مختلفة ، ويشعر غالبا انه مجبر على الكتابة بالفرنسية التي فرضها عليه اعداؤه المستعمرون فرضا وحالوا بينه وبين لغته القومية ولهذا كان الشاعر الجزائري مالك حداد يقول انه منفي في اللغة الفرنسية ، وكانت معظم اعمال الكتاب المغاربة عامة والجزائريين خاصة صرخات احتجاج ضد هذه اللغة وضد اصحابها ، من هنا تأتي حدة المسألة بالنسبة الكاتب العربي الذى يظل يشعر بالاغتراب والحنين الى لغته الام ، ومن هنا أفسر هذا المشروع الشامل لترجمة اعمال هؤلاء الكتاب العرب الى اللغة العربية وكأنها عودة الى النبع او الى احضان الام ، وذلك نتيجة لتخلخل الوضع الثقافي والاجتماعي الذي خلفته السيطرة الاستعمارية في بلاد المغرب العربي لقد نمت قوة الجماهير الشعبية التي لم يكن يحسب حسابها من قبل ، هذه الجماهير التي تظل الحصن الحصين للثقافة القومية ومع ان الجهود المبذولة في تعريب التعليم والادارة لاتزال دون المستوى المطلوب ، فقد ادت الى ترجيح كفة الثقافة العربية وازالة الحواجز التي كانت تفصل بين المثقفين بالعربية والمثقفين بالفرنسية في هذه البلاد ثم ان المثقفين العرب في اقطار المشرق اصبحوا الآن اكثر ادراكا للفائدة الكبيرة التي يمكن ان تجنى من المؤلفات المغربية المكتوبة باللغة الفرنسية باعتبارها نافذة تطل مباشرة على الحضارة الاوربية المتقدمة

واخيرا ما كان للقاءات التي تكررت في السنوات الاخيرة بين المثقفين المغاربة والمشارقة من نتائج ايجابية ملموسة .

لقد خلقت هذه الاسباب مجتمعة وضعا جديدا أصبح معه الكتاب العرب ـ باللغات الاجنبية ـ يشعرون بالعزلة ، ويسعون الى ردم الهوة بينهم وبين المجتمع ، حتى ان البعض منهم اصبح يفكر في التخلي عن اللغة الاجنبية والكتابة باللغة العربية التي لايحسنها تماما كما هو الحال بالنسبة للشاعر كاتب ياسين الذي كتب بعض اعماله المسرحية الاخيرة باللهجة الجزائرية ، داعيا الى اتخاذ هذه اللهجة لغة للجزائريين دون الفرنسية والعربية الفصحى

انها اذن عودة الابن المنفي لكن يبقى ان نسأل انفسنا بعد قراءة هذه الاعمال ، هل نجدها أدبا عربيا أم نجدها ادبا أجنبيا مترجما الى العربية ؟ ■■

أحمد عبد المعطي حجازي

الانعاش الصناعي والشريعة

بقلم : الدكتور احمد شرف الدين

ما هو موقف الشرع والقانون والاخلاق ، في قضية الانعاش الصناعي ؟

ان العصر الحديث يشهد حلقة من حلقات صراع علماء والاطباء مع الامراض المزمنة والمستعصية ، ولقد استعمل الاطباء في تحرهم للقضاء على آثار الامراض ارجاء لحظة النهاية المحتومة الى حين ، وسائل حديثة متعددة ولقد استحدمت بعض هذه الوسائل لتحقيق هدف معتبر في الشرع والقانون ، وهو العلاج ، اما لانه لا ضرر فيها اصلا ، او لان ضررها يسير ، فيتحمل من اجل منافعها الكبيرة وعلى العكس من ذلك ، فان من بين مكتسبات العلم الحديث طرقا طبية مشكوكا في فائدتها وفي اتساقها مع اهداف الشريعة العامة ، لما قد يرى فيها من تحد للطبيعة التي جبل الله تعالى الانسان عليها كذلك يتعين وضع قيود على ممارسة بعض الاكتشافات الحديثة للعلوم الطبية والبيولوجية حتى لا يخرج العمل الطبي والجراحي الذي يستند عليها عن هدفه ، وهو المحافظة على الحياة وصيانة الصحة ، الذي من اجله اتيح هذا العمل

والشريعة الاسلامية هي من بين المصادر التي قد تستمد منها هذه القيود اما تلك الاعمال المستحدثة في مجال الطب والجراحة فيما لم يرد به نص شرعي صريح فيتقرر حكمها في ضوء الاهداف العامة للشرع ، وبصفة خاصة حفظ النفس والنسل والعقل وقواعده العامة ، وبصفة خاصة قاعدة تحصيل أعلى المصلحتين ودرء اعظم المفسدين

ونحن نقدم هنا الانعاش الصناعي سواء في تركيب احهزته على مريض معين او ايقاف عملها ، كنموذج للاعمال الطبية التي يمكن ان يتأرجح حكمها بين الاباحة والتحريم وذلك بحسب ما اذا كان الهدف منها حفظ حياة قائمة او اطالة موت ثابت ولقد اثار الانعاش الصناعي مشكلة دينية تتعلق بالقدرة على اعادة الحياة للموتى ، فلقد قيل بان هناك اشخاصا ماتوا واعيدت لهم الحياة بوسائل طبية ، وهو الامر الذي يتعارض مع الحقيقة العقائدية التي تقضي بانه ليس في مقدور البشر اعادة الحياة وحتى يتبين لنا وجه الحقيقة فيما يشاع هكذا عن الانعاش الصناعي فانه يلزم تجريد حالة الانسان الذي يستخدم عنه من حيث الحياة او الموت ، وهو الامر الذي يترتب على معرفة ما اذا كان الانعاش الصناعي يعمل لاطالة الحياة او اطالة الموت

اولا . الانعاش الصناعي اطالة للحياة :

يتنوع الموت الى ثلاثة انواع يمثل كل نوع منها مرحلة من مراحل الموت ففي الاحوال العادية يحدث الموت الاكلينيكي ، في مرحلة اولى ، يتوقف القلب والرئتان عن العمل ، وفي مرحلة ثانية تموت خلايا المخ بعد بضع دقائق من توقف دخول الدم المحمل بالاكسجين للمخ ، وبعد حدوث هاتين المرحلتين تظل خلايا الجسم حية لمدة تختلف من عضو لآخر ، وفي نهايتها تموت هذه الخلايا ، فيحدث ما يسمى بالموت الخلوي ، وهذه هي المرحلة الثالثة للموت

ويستنتج من هذا انه من الممكن ان يتوقف قلب انسان عن العمل ، ولكن خلاياه اعني خلايا القلب ، تظل حية ولذلك فان موت هذا الانسان ليس الا موتا ظاهريا لا يمنع من اعادة القلب الى عمله الطبيعي عن طريق استخدام اجهزة الانعاش الصناعي اما اذا مات المخ ، بعد بضع دقائق من توقف القلب والرئتين عن العمل ، فلا امل - بحسب قدرة بني آدم وعلمهم - في اعادة الحياة الى المخ وبالتالي الى الانسان في مجموعه لذلك استقر الطب الحديث على ان موت خلايا المخ ، الذي يؤدي الى توقف المراكز العصبية العليا عن عملها ، وهو معيار موت الانسان موتا حقيقيا

وكما هو واضح فان المدة بين توقف القلب والرئتين عن العمل وبين موت المخ ، لا تستغرق اكثر من بضع دقائق قليلة ، وفي هذه المدة القصيرة يعد الانسان من الاحياء (يطلق على هذه الحالة اسم الاحتضار) ويتعين من ثم انقاذه حتى لا تموت خلايا مخه ، ولذلك فان الغرض من استخدام اجهزة الانعاش في هذه الحالة ، هو اطالة حياة المريض ولا يعد ذلك من قبيل اعادة الحياة اليه ، لانه مازال حيا في حكم الشرع والقانون ، حتى ولو كانت بعض مقومات حياته قد توقفت عن العمل التلقائي ، فمن قربت نفسه من الزهوق له من الحرمة ما للاحياء منها ، بحيث يستحق من يتسبب في ازالة ما تبقى له من الحياة العقاب ويؤدي الى ذلك انه اذا نفذ الطبيب التزامه القانوني او التعاقدي بتركيب اجهزة الانعاش الصناعي على مريض فلا يجوز له قبل موت مخه أن يفصل هذه الاجهزة والا تسبب في موت المريض موتا حقيقيا لا رجعة فيه ولا يشفع للطبيب في فعلته هذه وجود اناس آخرين في نفس حالة المريض في حاجة الى اجهزة الانعاش الصناعي لان مبدأ التساوي بين الناس معصومي الدم يمنع التضحية بحياة انسان لانقاذ حياة اخرى ، كما ان الضرر لا يزال بمثله ، والدليل على تساوي الناس في نظر الشرع - لا فرق بين حياة احدهم وحياة آخر - انه اوجب جزاء لا يختلف في نوعه او مقداره (القصاص او الدية) باختلاف المعتدي عليه ، لان هذا الجزاء يقوم على ما لكل انسان من حق في سلامة حياته وبدنه وهو حق يستوي فيه الناس جميعا كما في الحديث النبوي الشريف « المسلمون تتكافأ دماؤهم »

على ان مبدأ المساواة هذا بين حقوق الناس في الحياة وان كان يمنع الطبيب من حرمان انسان من الاجهزة التي ركبت فعلا على جسمه ليضعها على جسم انسان آخر في نفس حالة الانسان الاول . فان الطبيب قد يجد نفسه في موقف لا يحسد عليه بالاخص اذا وجد امامه اكثر من انسان في

النزع الاخير وهو لا يملك الا جهازا واحدا او اجهزة بعدد قليل لا تكفيهم ، فهنا اذا تساوت المصالح فان الطبيب مخول . طبقا للقواعد الكلية ، بالتخيير في التقديم والتأخير ، بشرط ان يقوم اختياره على معايير موضوعية واعتبارات اجتماعية تتصل بمدى نفع الشخص للمجتمع وبمدى امكان انقاذ حياته ، وليس على اعتبارات شخصية تعتمد على المال او النسب او السلطة ومن المناسب الا يوكل ذلك الاختيار الى فرد واحد بل ينبغي ان يتخذ القرار فيه فريق طبي

ثانيا : الانعاش الصناعي اطالة للموت

في مراكز الرعاية المركزة ، حيث لاتكفي الاعداد المتوفرة من هذه الاجهزة احتياجات المرضى ، يقف الاطباء في حيرة بين حالتين حالة تحتكر الجهاز مع موت صاحبها موتا حقيقيا ، وحالة في حاجة الى الجهاز لانقاذ حياتها ولا تجده . وهنا يثور التساؤل عن فائدة الاصرار على تركيب الجهاز على الحالة الاولى وحرمان الحالة الثانية منه

١ - هل الانعاش الصناعي احياء للموتى ؟

اذا ماتت خلايا المخ فان صاحبه يفقد كل الصفات التي تتميز بها الحياة الانسانية الطبيعية ويعد في حكم الموتى طبا وشرعا وليس في مقدور بشر ، بعد ذلك ، ان يعيد الحياة الطبيعية اليه واذا كانت اجهزة الانعاش الصناعي لا تكفل - في هذه الحالة الاخيرة - الا الحياة الصناعية لبعض خلايا الجسم ، فلا يصح القول بانها تعيد الحياة الى الموتى

ونظرا لأن مثل هذا القول يتعارض مع الاسس التي تقوم عليها الاحكام العقائدية في الشرع ، فلقد ذهب البعض الى ان الموت الحقيقي الذي لارجعة الى الحياة من بعده لا يتحقق بتوقف اجهزة الجسم عن عملها ، ولكن بموتها وتحللها الى عناصرها الاولية وفي اعتقادي ان الموت الحقيقي للانسان يتحقق في وقت يسبق تحلل جسمه الى التراب كما انه ليس في مقدور بني ادم ، حتى في هذه الحالة اعادة الحياة للموتى - بيان ذلك ان الموت الحقيقي ، - بحسب ما استقر عليه الطب الحديث - يتحقق بموت المخ والتوقف التلقائي لاجهزة الجسم التي تقوم بالوظائف

الاساسية للحياة (المراكز العصبية العليا والقلب والرئتان) وهو امر يستق بمدة ليست قصيرة تحلل الجسم الى عناصره الاولى ، والقول بان الموت الحقيقي للانسان يتحقق بتحلل خلاياه الى عناصرها الاولى ، هو قول يخالف الواقع لانه امكن حفظ الجثث من التحلل ـ على مدى الوف السنين ـ عن طريق التحنيط مع ان صاحب الجثة قد مات موتا حقيقيا

ويمكن ان يستفاد حدوث الموت الحقيقي للانسان قبل تحلل جسمه الى عناصره الاولى من قوله تعالى « أيعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون (٣٥ ـ المؤمنون) » فالعطف الوارد في الآية الكريمة يفيد المغايرة او على الاقل يفيد ان تحلل الجسم الى التراب ما هو الا نتيجة للموت الذي حدث من قبل

فاذا مات الانسان موتا حقيقيا ، بموت خلايا مخه ، فان القول باعادة الحياة اليه عن طريق الانعاش الصناعي ، فضلا عن انه يخالف الواقع لانه لا يعيد خلايا المخ الى الحياة ، يخالف الحقيقة العقائدية التي تقضي بان الاحياء والاماتة انما هي من الافعال التي لايشارك احد فيها الله تعالى فحقيقة منح الحياة وسلبها واعادتها هي سنة كونية حمية لا يملك الانسان منها شيئا « ولايملكون موتا ولا حياة ولا نشورا (٣ ـ الفرقان) الا ما أذن به الله تعالى

واذا كان من المستحيل بالنسبة لبني آدم اعادة الحياة لمن ماتت خلايا مخه « ان اجل الله اذا جاء لايؤخر لو كنتم تعلمون (٤ ـ نوح) » فهنا يحق لنا ان نتساءل عن فائدة تركيب اجهزة الانعاش الصناعي على جثته ، وبالتالي عن مدى شرعية ايقاف عمل هذه الاجهزة

٢ ـ هل ايقاف اجهزة الانعاش الصناعي جائز شرعا وقانونا ؟

اذا كان الشارع قد اباح العمل الطبي الجراحي لانه يحفظ مصالح راجحة اجتماعيا تتمثل في المحافظة على الحياة وصيانة الصحة ، فان علة الاباحة تزول متى زالت الحياة التي تتوفر لها صفات الانسانية ، ويتعين من ثم التوقف في العمل ، وهذا الامر يصدق على العمل الطبي المتمثل في الانعاش الصناعي لانسان ثبت موت مخه رغم تمتعه بحياة صناعية وبينما يعتبر علم الطب ان مثل هذا الانسان قد مات ، فان الفقه والقانون لا يعتبران انسانا ما قد مات طالما قلبه ينبض ، ويلزم لاعتباره ميتا اتخاذ اجراءات معينة كتحرير شهادة الوفاة بعد توقف قلبه عن النبض تلقائيا واذا كان الفقه والقانون يبدوان هكذا متخلفين عن ركب الامكانيات الحديثة للطب فان ذلك يرجع الى تمسكهما بحماية حقوق الانسان الى ابعد مدى في مواجهة هذه الامكانيات التي لاتخلو على الرغم من مزاياها التي لاتنكر ، من مضار

واذا استحالت عودة الوظائف الاساسية للحياة تلقائيا بسبب توقف عمل المراكز العصبية العليا بعد موت المخ ، فهل يتمتع من وصلت حالته الى هذا المستوى بحياة انسانية جديرة بالحماية ؟ وما هو حكم الاخلاق والشرع والقانون في ايقاف الحياة الصناعية ؟

أ ـ حكم الاخلاق : ـ

حكم الحياة الانسانية ، اي مقوماتها التي تميزها عن غيرها ، هو الادراك والشعور والقدرة على الاتصال بالعلم الخارجي والتعامل معه ولا شك ان من مات مخه ـ وبصفة خاصة ـ من توقف لديه عمل المراكز العصبية العليا التي تتحكم في وظائف الجسم ، لا يستطيع ان يتحكم في تعامله مع العالم الخارجي ، وتزول من ثم حياته الانسانية ويصبح في حكم الاموات ولما كان الانعاش الصناعي لا يعيد للحياة الانسانية مقوماتها ، الادراك والشعور والقدرة على الاتصال بالعالم الخارجي ، بعد ان ماتت خلايا المخ للانسان ، فلا يعد ايقاف عملها حرمانا له من حياة انسانية بعد ان فقدها من قبل ، صحيح ان ايقاف عمل هذه الاجهزة قد يبدو في الظاهر ، بالنسبة للطبيب ، عملا معارضا لغاية مهنية في المحافظة على الحياة وقد يتعارض بالتالي مع ضميره ، ولكن الصحيح ايضا ان الطبيب ـ كي يكون حكيما ـ مطالب بالا ينسى الحدود الانسانية للطب لذلك فان الطبيب الذي اقتنع انه يتعامل مع جثة ، مطالب بالا ينسى في كفاحه ضد الموت الاحترام الواجب للموت ان احترام الموت واحترام حياة الاقارب وحرمة الطب ذاته هي امور تقضي بالانحناء امام ما هو قائم فعلا . « ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها؛ إن ذلك على الله يسير ، لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ـ (الحديد ٢٢ ـ ٢٣)

ليس في ايقاف عمل اجهزة الانعاش الصناعي اذن ـ بالنسبة لمن مات مخه ـ ما يعتبر جريمة في حق الانسانية ، اذ ان موت المخ يعني انتهاء الحياة الانسانية وانفصال هذه الحياة عن الحياة العضوية التي تحفظها هذه الاجهزة التي اذا اوقفت عن عملها ، فان ما يحدث هو مجرد موت

عضوي . فاذا ترك الطبيب اجهزة الانعاش تعمل على جثة المريض ، بعد دلك ، فانه لا يفعل اكثر من اطالة الحياة العضوية بطريقة صناعية واطالة احتضاره وهذا ضرب من العبث ، طالما انه لا فائدة منه لأحد ، يجب ان يتنزه عنه الطب ويتعين من ثم فصل هذه الاجهزة عن الجثة لاستخدامها لصالح الاحياء ، فهذا هو ما يقضي به القانون الانساني الذي يعطي الاولوية لمصالح الاحياء

ومن المفترض ان المريض ، الذي فقد حياته الانسانية ما كان ليريد ان يكون طريقه الى الموت مصطربا مليئا بالعقبات ، لذلك فمن حق الاسرة - من وجهة النظر الانسانية - ان تطلب الى الطبيب ايقاف اجهزة الانعاش الصناعي ، كما ان من حق الطبيب ان يوقف عملها ، فهذا ما يمليه عليه واجبه الانساني

ب - حكم الشرع والقانون

واذا كان لا صعوبة في القول بان ايقاف اجهزة الانعاش الصناعي يعد قتلا اذا تم قبل موت مخ المريض ، وانه على العكس لا يعد قتلا اذا كان تركيب هذه الاجهزة قد تم بعد موت مخ المريض ، فحياته هنا كانت غير متحققة . فان الصعوبة الحقيقية توجد في حالة ما اذا كانت هذه الاجهزة علقت على المريض قبل موت مخه ، فحياته هنا كانت متحققة واوقفت عن العمل بعد ثبوت موت مخه . فالمريض في هذه الحالة وان كان قد فقد الحياة في رأي الطب الا انه ما زال يتمتع بها في نظر القانون طالما لم تتخذ الاجراءات الرسمية لاعلان وفاته

ان واجب الطب ، في مفهوم الفقه والقانون ، يكمن في المحافظة على الحياة او ما تبقى منها وليس في اطفاء شعلة الحياة التي تظل جذوتها قائمة في نظرهما ، لحين اعلان الوفاة رسميا ، واذا كان لموقف الفقه والقانون هذا آثاره الحميدة في حماية الحياة الانسانية ، حتى في الاحوال التي يشك في وجودها ، فانه يرتب آثارا انسانية وهي الآلام النفسية لدى الاقارب ، واخرى اقتصادية وهي تعطيل الاجهزة القليلة العدد فيما لا طائل منه ، يجب وضع حد لها تنتهي عنده نهاية الحياة الانسانية . لذلك فان التوفيق بين حماية حق الانسان في الحياة وبين حقوق الآخرين من فيهم اسرة المريض والمجتمع ، يقتضي وضع نظام تراعي في اركانه تغليب مصلحة الاحياء

(ج) الضمانات الواجب توافرها في قرار ايقاف الحياة الصناعية :

هناك مصالح متعددة يمكن ان تتأثر بايقاف اجهزة الانعاش الصناعي القليلة العدد ، على ان حماية مصالح الاحياء الذين يحتاجون الى هذه الاجهزة يجب الا ينسينا حياة من هو معلقة على جسمه ، وهي حياة يجب ان تحظى بالرعاية لحين ثبوت انتهائها بوجه رسمي . ونحن نعلم انه اذا تعذر تحصيل المصالح ودرء المفاسد جميعا فانه يجب - طبقا للقواعد الكلية - تقديم المصلحة اذا كانت اعظم من المفسدة . ولا شك ان مصلحة انقاذ الاحياء اعظم من مفسدة حرمان مريض من مجرد حياته العضوية الصناعية ، كما ان مصلحة الاحياء في المحافظة على حياتهم الطبيعية اولى بالرعاية من مصلحة مريض في المحافظة على حياته الصناعية

ونظرا لخطورة مركز القائم على ترجيح كفتي ميزان المقارنة بين المصالح فاننا نقترح هنا نظاما لا يخالف الشرع والقانون ويبعد كل شبهة عن قرار ايقاف اجهزة الانعاش الصناعي عن مريض ثبت طبيا موته موتا طبيعيا وحقيقيا بموت خلايا مخه . ويتلخص هذا النظام في ان الطبيب لا يجوز له ان يقنع برأيه الفردي بعدم امكان عودة المريض للحياة الطبيعية ، بل يجب عرض مثل هذا الامر على فريق طبي متخصص ، فاذا ثبت لدى هذا الفريق انه لا امل في عودة الحياة الطبيعية للمريض ، فانه يستأذن جهة رسمية مختصة (النيابة مثلا) في ايقاف اجهزة الانعاش الصناعي . وهذه الجهة الرسمية لن توافق على تنفيذ قرار ايقاف هذه الاجهزة الا بشرطين . الاول اتخاذ اجراء لاعلان الوفاة كتحرير محضر او شهادة الوفاة ، والثاني الحصول على موافقة الاسرة على تنفيذ القرار ، فاذا اوقف الطبيب اجهزة الانعاش تنفيذا للقرار المصدق عليه المستوفي لشروطه ، فان هذا الاجراء يكون سليما من الناحية الشرعية والقانونية ولا يؤاخذ عليه الطبيب

كان هذا مجرد اقتراح قد يكون صائبا وقد لا يكون استهدفت به التوفيق بين المصالح المتزاحمة في هذا المجال ، ورعاية منا لمصالح الاحياء دون اهدار للمصالح التي تتعلق بالمريض المركبة عليه اجهزة الانعاش الصناعي

ان صراع الانسان ضد الموت يجب الا ينسيه الحقيقة الاولية وهي ان هذه الحياة الدنيا انما هي دار غرور ، هي لابد الى فناء ، ولا يبقى الا وجه ربك ذي الجلال والاكرام « بل تؤثرون الحياة الدنيا ، والآخرة خير وابقى » ولو ادرك الانسان عن عمق واستنارة هذه الحقيقة لاقتنع بان للعلم - وبالتالي الطب - حدودا يجب الا يتعداها . ان الاولى ، عند اليأس من الحياة ان يكون نافعا للناس حتى في مماته ، وان هذه وسيلة لخلوده في الآخرة ■■

د . احمد شرف الدين
استاذ مساعد القانون المدني بجامعة الكويت

ولكني رايت حديقه سعى بأبواب حريقه
واطراف ـ مكان اصابع قطعت ـ ضباعه !
وسبع سنابل ماتت ! وسبع سنابل حيه !
رايت النهر من حولى ، وبعض مساء
ومركبه موليه
وحوذات بدائيه
ووجها نصفه في الظل ، والباقي مع الأنوار
فقلت وفرحتي تتحسس الحركه
أخيرا تقبل الملكه
أخيرا تصدح البركه
وألحان سماويه !

●●●

جميل انت في عيني ،فمجد كفي لآفاقك
لهذا السحر . هذا الخوف هذي الفرحه العذبه
ودفء في الزمان الرخو اقدام حديديه
فقلت وفي فمي باحت بكائيه
لماذا نصفك المحجوب فى السر المسائيه ؟
فهات النور . هات الشدو في إسرافه الباهر
تعال الى حدود الصحو ، والشمس الربيعيه
ـ وماج الكون حول المحور الدائر ـ
ولكن نصف هذا الوجه مقبرة عبر قرار
جحيم موحش الاسرار
متاهات خرافيه
ـ ترى من أنت يا من جاء فى حلمي
وايقظ دمعه الحزن الرماديه ؟ !

بقلم : الدكتور محمد مروان السبع

ترتبط الكائنات الحية جميعها مع بعضها البعض بروابط وثيقة تجعل من الحياة سلسلة ترتبط حلقاتها فيما بينها ، وكل حلقة تكمل عمل الاخرى بحيث تبرز وحدة الخلق وكأنها المهيمن الاكبر على مفاتيح الحياة في الخلائق هنا نستعرض الحلقات الكبرى المؤلفة لسلسلة الحياة ومفاتيحها

● **الجهاز الصبغي « الكروموزومات » :** فكل كائن حي مهما تدن موقعه في سلم الاحياء او عظم خطره وارتفعت اهميته يمتلك جهازا صبغيا كاملا متميزا خاصا به دون غيره من الاحياء والمبدأ في عمل الصبغيات واحد في كافة الانواع الحية فهو مؤلف من ازواج قرينة من الصبغيات او الكروموزومات ، وكل قرين مماثل لقرينه في حمل نفس الصفة او مضادها وكل من هذه الصبغيات العديدة يحمل المورثات (الجينات) عليه على هيئة سلسلة متتالية بمواصل معينة بين كل مورث وآخر ويختلف العدد الصبغي وكذا عدد المورثات على الصبغيات من كائن حي الى آخر الا ان المهم في الموضوع هو ان كل كائن حي ينقل الى انساله نفس العدد الصبغي المقرر له في مدة خليقته دون خلل او اضطراب ولو تغير هذا العدد نحو الزيادة او النقصان فسيؤدي الى خروج الفرد من نوعه او اصابته باختلالات وتشوهات تخرجه عن جنسه ، وبالتالي يستحيل على هذا الفرد ان ينقل عدده الصبغي وميراث آبائه واجداده الى انساله التالية

وهذا الوضع في الجهاز الصبغي والوراثي واحد بدون شك في الجراثيم الدنيئة والديدان على اختلاف انواعها واللافقاريات على تباين اجناسها وفصائلها والفقاريات بما فيها الانسان ونفس القوانين والسلوك والانحراف في المورثات نجدها كلها منطبقة على جميع الاحياء بدون جدال

ومن البديهي ان هنالك شذوذاً واستثناء لهذه القواعد البيولوجية في بعض الاحياء كوجود الجهاز الصبغي الآحادي او المضاعف او زيادة او نقصان في عدد الصبغيات والمورثات وما الى ذلك ، غير ان هذه الاستثناءات لا تلغي القاعدة الاساسية اطلاقا

● **الاستقلاب (Metabolism) :** من المعروف ان الكائنات الحية تتميز عن الجمادات بخاصية هامة الا وهي حادثة الاستقلاب ، اي ميكانيكية الهضم والتغذية بدخول المواد الغذائية عن طريق الجهاز الهضمي والتغيرات الطارئة عليها وما تتعرض له من هضم وتفتيت وتفاعلات كيميائية وانزيمية وحرارية وما تصب عليها من عصارات تحولها الى مركبات اخرى جديدة تبعدها عن التشابه مع اصلها ومصدرها ، ثم ما يصيبها من امتصاص وسريان الى كل خلية من خلايا الجسم ، واستقلابها هناك الى مواد اخرى نافعة للجسم ككل او لعضو او جهاز بعينه ، مثل تركيب البروتين او تخزين

الدهون والشحوم وتوليد مصادر الطاقة وتأمين النمو ، وزيادة عدد الخلايا وضخامة في احجامها ، وترميم الخلايا التالفة المستهلكة وتجديدها كل هذه العمليات الفيزيولوجية وغيرها كثير جدا تدخل ضمن مفهوم الاستقلاب فهذه العمليات الاستقلابية المعقدة وما ينتج عنها من افعال غريزية وحركة حيوية وتكاثر وانتاج وافراز لمركبات ومواد جديدة تجري في كل كائن حي بدءا من احقر الكائنات وادناها مرتبة ، كما في الجراثيم والبراميسيوم والاسفنج والديدان ، الى ارقاها درجة واعظمها خطرا كما في الانسان ، فكثير من الانزيمات والمركبات الكيماوية التي تشارك في هضم الغذاء وامتصاصه واحدة في كل الخلائق الحيوانية وكذلك الانزيمات الداخلة في تركيب مصادر الطاقة وتحرير نواتجها وفضلات الهدم

غير اننا نستدرك فنقول انه على الرغم من التماثل النسبي في الانزيمات والمركبات الكيميائية الا ان التميز والتفرد الخاص بكل نوع من الانواع الحية يسمح بامتلاك انزيمات ومركبات كيميائية من نمط معين لازم لمسيرة هذا الكائن في الحياة فالحبار مثلا ينفرد عن غيره من الكائنات بامتلاكه لمركبات كيماوية تسمح له بافراز سائل معتم كالحبر لتمويه الوسط المحيط به فيمكن للحبار الهرب عندما يهاجمه عدو مثلا وكذلك تنفرد الثدييات عن غيرها من الفقاريات بقدرتها على افراز الحليب وانتاجه بكميات وافرة بسبب امتلاكها لأنزيمات ومركبات كيميائية معينة واهليتها الوراثية لهذا النمط من الافراز

وقس نفس الكلام على الطيور والزواحف المفرزة للبيض ذي الخصائص المتميزة كوجود الصفار والزلال والقشرة الكلسية وكذا ينطبق نفس المعنى على حيتان العنبر المفرزة للزيت والعنبر الذكي الرائحة

فاذن على الرغم من معجزة الوحدة الكائنة بين الخلائق المتنوعة نجد اختلافا وتفردا لكل نوع حي بحيث يبرز بوضوح وجلاء تأمين استقلالية الكائن الحي وامتيازه عن غيره دون اي اخلال بالمبدأ السامي العام الا وهو وحدة الخلق

فسريان الحياة في الانواع المتلاطمة ومسيرة كل كائن

حي بغرائزه وتناسله ومعيشته وتكيفه واطراحه يجري في وقت واحد متماشيا مع وحدة الخلائق بتناسق رائع بديع ومبادىء مدهشة محيرة تجعلنا مأخوذين مبهورين من شدة الاعجاب لهذا التنظيم المبدع في سر الكون وهندسة الخلائق

● **التنفس والاطراح (الشهيق والزفير)**
تتضافر عوامل الحياة مع قاعدة التنفس والاطراح بتلازم عجيب أخاذ ، فصفة الحياة في الكائن الحي مرتبطة بوجود التنفس ، ولا حياة لكائن حيواني ما لم يتنفس . وليس حيا من لم يقم بالاطراح . والتنفس والاطراح عمليتان متلازمتان في الكائن الحي متباينتان في الوظيفة غير ان المهم في الموضوع هو ان عملية التنفس تعني الحصول على الاوكسجين اللازم لتشغيل عناصر العضوية وتسيير العمليات الاستقلابية المختلفة فهو يحقق اكسير الحياة ولا يتخلف اي كائن مهما كان موقعه في سلم الحياة عن اقرانه في الحصول على هذا العنصر الحيوي الهام وسواء أكان الحصول على الاوكسجين واستلامه عن طريق مباشر اي الهواء الجوي كما يتم ذلك في كل الكائنات الارضية والهوائية ، أم عن طريق غير مباشر كأن يكون الاوكسجين منحلا في الماء كما هو الحال لدى الكائنات المائية او البحرية ، فالهدف واحد هو الحصول على الاوكسجين بأي ثمن من اجل القيام بالعمليات التنفسية والاستقلابية والفيزيولوجية المختلفة

اما عملية الاطراح فهي ايضا واحدة في الاسلوب والمبدأ والغاية لدى كل الكائنات الحيوانية وان اختلفت في بعض التفصيلات الجزئية التي لا بد لها لتبيان استقلالية النوع وتميزه فكل حي يجب ان يتخلص بعملية الاطراح من غاز ثاني اوكسيد الفحم ، الناتج النهائي لعمليات التأكسد والتنفس وحرق الطاقة في الخلايا والانسجة ولا يغيبن عن البال في مجال الاطراح التخلص من حمض البولة واليوريا وبعض المركبات السامة والغازات الضارة كنواتج نهائية لهدم البروتينات والدهون والسكريات وغيرها

● **الهرمونات** وهي المركبات الكيماوية التي توجد في جسم العضوية الحية بكميات زهيدة للغاية . غير ان آثارها خطيرة وبطيئة الفعالية لكنها تدوم طوال حياة الكائن الحي فهذه الهرمونات تجمع بين الكائنات الحية في وحدة منسجمة متناسقة فوجود الهرمونات سواء كلها او بعضها من دلائل وحدة الخلق في الكائنات الحية . فهذا هرمون التستسترون المسبب لصفات الذكورة والفحولة واعطاء المظهر الرجولي والذكري والقدرة على التزاوج ، موجود في كل كائن ذكري بكميات متفاوتة طبقا للنوع الحي ومدى الحاجة الملحة والضرورة القصوى الى وضوح الصفات وتمايزها جلاء في الذكر

وكذلك نجد الهرمونات الانثوية كالاستروجين والبروجسترون موجودة في كل كائن انثوي تمده بالمظهر اللطيف والقد الرهيف ، وتسبغ على هذه الانثى ملامح الرقة واللين والنعومة ، وتهيء لها الاسباب والكفاءة والمقدرة على افراز الحليب كما في الثدييات او تكوين البيض كما في الطيور والزواحف وغيرها او افراز الحرير او بناء خيوط العنكبوت وغير ذلك من الاعمال المتخصصة التي تقوم بها الاناث لوحدها او مع الذكور فهذه الهرمونات الانثوية تقوم بنفس التأثيرات والأعمال في كل اناث الكائنات الحية

واما هرمون النمو فهو يعطي للكائن الحي المقدرة على النمو الطبيعي وزيادة عدد الخلايا في جسمه ضمن الحدود المرسومة من قبل المورثات وهذا الهرمون تتفاوت كميته في الكائنات الحية حسب الحاجة الى النمو الضئيل او العملقة المفرطة ولكن المهم في الموضوع هو وجود هذا الهرمون في كل كائن حي ينمو ويتطور من مرحلة الى اخرى كانتقال الحشرة من مرحلة اليسروع الى الشرنقة فالفراشة ، او تدرج الطفل من طور الرضاع الى الفطام الى الطفولة فالصبا فالمراهقة والشباب والكهولة والهرم والشيخوخة فمراحل الحياة المختلفة وتطوراتها اللازمة لكل كائن حي سواء في المرحلة الجنينية او ما بعد الفقس والولادة كلها تحتاج الى هرمون النمو ليتوائم النمو والتطور الفردي Ontogeny ويتناغم في مسيرة واحدة توصل الكائن الحي الى هدفه في الحياة

وليس من شك في ان هنالك هرمونات متخصصة لا توجد الا في بعض الكائنات الحية دون سواها وهذا بالطبع لا يلغي القاعدة الاساسية في وحدة الخلق ، فمن الطبيعي انه كلما ارتقى الكائن الحي درجة في السلم الحيواني ازداد تعقيد انسجته وتعمق تخصص خلاياه ولذا يتساوق الامر بشكل مطرد في زيادة الهرمونات وتخصصها فنحن نجد ان الانسان يمتلك اكبر تجمع واعظم تخصص في عدد الهرمونات ووظائفها وانواعها وهذا عائد الى كمال انسجته وخلاياه وايغالها في التخصص والتعقيد

● **الانزيمات والخمائر** . وكذلك تشترك الكائنات الحية في امتلاكها الانزيمات متماثلة في وظائفها كدليل اخر على وحدة الخلق فهناك مثلا انزيم الترسين المسؤول

عن تفكيك وهضم النشويات والبروتينات الى احماض امينية في القناة الهضمية للكائنات الحية فهذا الانزيم نجده في القاعي المهدب (البراميسيوم) وهو من الاوليات ذات الخلية الواحدة وكذلك في الانسان فهو الاحياء كمالاً وبالاضافة الى البرسين نلاحظ الانزيمات المختلفة المسؤولة عن استقلاب البروتينات والدهون والسكريات والانزيمات الوسيطة في عمليات التنفس والاطراح والافراز وفي اعمال الخلايا وتأثيراتها على الجهاز العصبي والخصائص الغريزية - وهي ترتبط بين مختلف مراتب الكائنات الحية وانواعها المتباينة

● **التشريح وعلم الاجنة** قد لا تبدو لاول مرة - لدى غير المتخصص - وحدة الخلق جلية واضحة في تشريح الاعضاء المختلفة للانواع الحية غير ان المدقق والمتعمق في هذا الموضوع يلاحظ انه على الرغم من التفاوت الكبير بين هيئات الانواع الحية فهنالك حالة التناظر في جسم العضوية الحية فبدءا من عضويات عديدات الخلايا نلاحظ التناظر في البنية التشريحية للكائن الحي بحيث يماثل الشق الايمن منه مع الشق الايسر بصورة عامة بغض النظر عن بعض التفاصيل الجزئية المتباينة والتي لا بد منها من اجل تمايز الكائن الحي واستقلاليته الخاصة ففي الديدان الحلقية كالعلق الطبي مثلا نجد التناظر الجيد في كل حلقة من حلقات الجسم وعند تشريح العلقة نلاحظ الكليات (الكلى) التي تقوم بوظيفة اطراح البول ونواتج الهدم متواجدة على الجانب الايمن والايسر من كل حلقة من حلقات الجسم وبالقرب من هذه الكليات تتوضع الحصى على الجانب الايمن والايسر من الحلقة في تناظر واضح جلي واما في الحشرات فالتناظر موجود ايضا سواء في الاجنحة أو العيون أو في ازواج الارجل والعكوك وقرون الاستشعار ولو ارتقينا درجة اعلى في سلم الاحياء الحيوانية لوجدنا التناظر رائعا في تناسق الاعضاء جليا في وضوحه لدى الفقاريات عموما والثدييات بشكل اخص

فالرأس المركب على جذع الجسم يحمل اعضاء تتصف بخاصية التناظر التشريحية فهناك الوجنتان والحاجبان والعينان والفكان وفتحتا الانف (او المنخران) وزوجا الرموش والاذنان والقرنان (كما في ذوات القرون كالابقار والاغنام والغزلان والماعز والجاموس وغيرها) ويستمر التناظر التشريحي متناسقا متناغما في الجذع ايضا فهناك الكتفان وعظما اللوح ونصفا القلب والرئتان وما يتفرع عن كل منهما من شرايين واوردة تحقق معجزة التناظر بشكل اخاذ فمنها يسرى ومنها يمنى ونجد الجنبين او الخاصرتين والكليتين والحالبين والثديين كما في الانسان والقرود او صفا الاثداء المتناظرة كما في الكلاب والقطط والخنازير وغيرها او الضرع الذي ينقسم الى نصفين متناظرين ايضا ايمن وأيسر كما في الجاموس والاغنام والابقار والابل ونجد المبيضين في اناث الفقاريات عموما والثدييات خصوصا والخصيتان في ذكورها وهكذا

● **علم الاجنة** يتماشى علم الاجنة كدليل جديد على وحدة الخلق مع ما سبقه من ادلة اخرى مقنعة فكل الكائنات الحية عندما تتناسل بالطريقة الجنسية ينشأ عن تلاقحها بيضة مخصبة تتوالى فيها الانقسامات الخلوية بسرعة مدهشة كي تحث الخطا نحو انشاء الجنين وتمايز اعضائه وخلاياه وتكون هذه الانقسامات متناسبة في تعقيدها ، متدرجة في تخصصها مع رقي الكائن وتطوره فأجنة اللافقاريات عموما كالديدان ومفصليات الارجل وشوكيات الجلد وغيرها تتماثل في طريقة انقساماتها ونوع الخلايا والوريقات التي تنشأ منها الاجهزة والاعضاء والانسجة المختلفة اما في الفقاريات كالاسماك والبرمائيات والزواحف وغيرها فالتماثل في طريقة تشكل الاجنة واضحة جلية للعيان والتخصص ارقى واعلى اذ يكون الجنين في بداية علوقه وتشكله عاما لا يمكن تمييزه ولا معرفة انتسابه الى اي من الفقاريات ، هل هو من الاسماك ام من الثدييات ام من الطيور ام من الزواحف ؟ ثم يسير هذا الجنين قدما في تطوره وتمايزه ليصبح معروف النوع يمكن انتسابه الى طائفته فهو جنين انسان او جنين طير او جنين عظاية أو جنين ضفدع وهكذا ثم يزداد وضوحه وتطوره فيعرف انتسابه الى سلالته وعائلته وفي النهاية يكتمل للجنين خصائصه ومزاياه وينفرد عن غيره من الاجنة بفصائل تبعده عنها باختلافات بينة للغاية

ومن المعروف ان هنالك اجهزة واعضاء قد تتشكل في بداية المرحلة الجنينية ولكنها قد ترتشف وتضمر اذا انعدمت الحاجة اليها وكانت متناقضة مع متطلبات النوع ، كنشوء الغلاصم (منطقة الحنجرة) في اجنة الزواحف والطيور والثدييات في مرحلة مبكرة من الحياة الجنينية ثم ارتشافها في وقت لاحق

● **التكاثر والتناسل** · عندما نستطلع العمليات الجنسية الجارية في مختلف الكائنات الحية وما يرافقها من انقسامات وتشكيل اعراس وافراز هرمونات تبهرنا وحدة الخلق المتجلية بين الانواع وفيما بين الجنسين الذكري والانثوي فنشوء الاعضاء الجنسية الانثوية والذكرية

يحصل من خلايا جنينية واحدة ولكنه يطرأ على الخلايا الجنسية في الذكر طارىء معين (هو امر وراثي من الصبغيات الجنسية التي يمتلكها الكائن وهيمنة هرمونية من الحاثات الذكرية) تسبب اتجاه تلك الخلايا نحو الوجهة الذكرية . وفي نفس والوقت يصيب الخلايا الجنسية في الانثى حافز معين (وهو امر وراثي من الصبغيات الجنسية أيضاً وسيطرة هرمونية من الحاثات الانثوية) يسوق تلك الخلايا صوب الوجهة الانثوية . ومع ذلك نجد التشابه النسبي في بنية الاعضاء المكونة للاجهزة التناسلية ففي الذكور تتشكل الخصيان (وقد يكون عددها اكثر من ذلك) يقابلها في الانثى المبيضان ثم تتشكل القناة المنوية الدافقة وما يرافقها من عدد ملحقة وفروعات بسيطة في الذكر يواجهها في الانثى تكون القناة البيضية وما يطرأ عليها من تحولات بسيطة لتشكل البوق والرحم والمهبل وبعض التخصصات اللازمة لكل كائن حي له استقلاليته وتفرده النوعي

وتتناغم وحدة الخلق الواحدة فيما بين الانثى والذكر في كل الكائنات الحية في موضوع تشكيل الاعراس التناسلية ايضا فالمبيض يقوم بتكوين البويضات الناضجة الجاهزة للاخصاب بعد ان تمر باطوار النمو والانقسام والنضج وتنتقل فيها الخلايا الجنسية من مرحلة الخلايا البيضية الامية الى الخلايا البيضية الاولية ، التي يطرأ عليها انقسام منصف يختزل عدد الصبغيات في الاعراس الى النصف من اجل ان تمتلك البويضة نصف العدد الصبغي المقرر للكائن الحي حتى اذا قدر لهذه البويضة ان تلتقي مع عريسها (النطفة الذكرية) المحتوية على نصف العدد الصبغي ايضا يعود هذا العدد الى وضعه الاصلي الذي قرر له منذ بدء خليقته والانقسام المنصف رائع في اسلوبه ، معجز في اسبابه ودوافعه ، مدهش في غاياته واهدافه فهو يقع في لحظة معينة ولا يتكرر اكثر من مرة لانه لو حصل التكرار سيقع الاختلال في العدد الصبغي فسبحان مقدر الخلائق ، منظم الاحياء وبعد ذلك تنتقل هذه الخلايا الى مرحلة الخلايا البيضية الثانوية ثم تتشكل الطليعة البيضية التي تتحول الى بويضة واحدة ناضجة قادرة على تغذية الجنين وتأمين مسيرته في الحياة واستمرارية النسل

اما في الذكر فنشاهد نفس المراحل ذاتها بالضبط ، ونفس موقع الانقسام المنصف ذاته ايضا ، حتى تنتهي الى الاعراس الذكرية اذ تقوم الخصية بتشكيل النطاف الجاهزة للاخصاب بعد مرورها بمراحل النمو والانقسام والنضج ايضا ، وتنتقل فيها الخلايا الجنسية من مرحلة الخلايا المنوية الامية الى الخلايا المنوية الاولية التي يقع فيها الانقسام المنصف بحيث يختزل عدد الصبغيات الى النصف ، ثم تتشكل الخلايا المنوية الثانوية ، فالطلائع المنوية التي يطرأ عليها تحولات فيزيولجية وشكلية يعطيها شكل النطفة المعروف كالرأس والرقبة والذيل المتحرك والسباحة في السائل المنوي

أليس هذا التماثل المبدع اعجازا يدل على الروعة والتناسق والنظام وانتفاء الخلل والفوضى على الاطلاق ويشير اشارة لا لبس فيها ولا غموض على وحدة الخلق في الكائنات الحية ■■

حلب - د . محمد مروان السبع

من حدائق أمثالنا الشرقية

× بحب الأوطان عمرت البلدان
× التائب من الذنب كمن لا ذنب له .
× بين الأب والابن كلمة الرحمه .
× تمام التحية الأخذ باليد والمصافحة باليمين .
× حرية الانسان أفضل من حياته .
× حسن النية خير من حسن الطويه

أثول فوجارد مؤلف ومخرج « السيد هارولد والأولاد »

السيد هارولد والأولاد

مسرحية جديدة لاثول فوجارد

بقلم الدكتور : خالد المبارك

هذا الكاتب «الأبيض» في حاجة إلى اهتمام أكبر في العالم العربي ، لأن التشابه بين قضية أصحاب الأرض في جنوب أفريقيا وأصحابها في فلسطين لا تحتاج إلى تأكيد .

كتبت عام ١٩٧٥ مقدما اثول فوجارد الكاتب الأبيض من اتحاد جنوب افريقيا، واشرت في جريدة «الصحافة» السودانية، الى أنه جورب في وطنه لمعارضته للتفرقة العنصرية، إذ سحب جواز سفره ثم أعيد، ومنع من تقديم مسرحيات يشاهدها جمهور مختلط من البيض والسود واوقفت السلطات عرض عدد من مسرحياته وواصل أثول فوجارد العمل رغم قوله ابداك «الموقف يتسم بالشدود ويصير اكثر خطورة وأتوقع أن يتدهور الموقف أكثر مستقبلا اسي متشائم في هذا الصدد» ولخصت يومها اسلوب فوجارد في التأليف المسرحي، وهو «البداية بالارتجال حول فكرة معينة ثم التوصل الى النص النهائي قبل تقديم العرض الأول».

اتيحت لي الآن الفرصة لحضور خطوة مهمة في تطور هذا الكاتب المسرحي الفذ، اذ قدم من جنوب أفريقيا لكي يخرج بنفسه العرض الأول لمسرحيته الجديدة «السيد هارولد والاولاد» وهي أول مسرحية له يتم عرضها الاول خارج وطنه كان يصر في الماضي على أن ترى مسرحياته النور في جنوب أفريقيا أولا قبل ان ينقلها للخارج ويشرها في الخارج سئل اثول فوجارد عن سبب عرض المسرحية بالخارج فقال لمندوب «الصحيفة الجديدة» الدكتور هانرش فون سساون «هذه أول مسرحية لي منذ اربعة وعشرين - هي عمري المسرحي - يتم عرضها الأول خارج جنوب افريقيا ومن الأسباب التي دعت الى ذلك وجود عناصر في «السيد هارولد والأولاد» لا يمكن أن تسمح بها الرقابة في جنوب أفريقيا».

الموضوع تتناول المسرحية الصداقة بين تلميذ مراهق أبيض هو هارولد وبين اثنين من السود هما سام وويلي، وكلاهما يعمل نادلا (جرسونا) في مقهى «سانت جورج بارك» الذي تملكه وتديره والدة هارولد تجري حوادث المسرحية عام ١٩٥٠ بورت اليزابيث في دولة جنوب افريقيا العنصرية الفتى هارولد في السابعة عشرة من عمره، وهو متوتر فوالده مقعد وسكير يصطدم على الدوام بوالدته ويجد الفتى نفسه مسحوقا بين شقي الرحى كان هذا حاله منذ طفولته الأمر الذي جعله يبحث عن الود والحنان وعن «صورة الاب» فلا يجد بغيته الا عند «سام» النسيط المضطهد لاحظ سام حالة الطفل وصمم أن يعده او يساعده ما استطاع احد التلميذ يعلم النادل نفس الدروس التي يتلقاها في المدرسة يوما بيوم وشرع سام في حمل الوالد السكير الى البيت وفي عمل طائرات لـ رق للطفل واصطحابه للنزهة ولكن الأم حاولت ان تضع حدا لصداقة ابنها الأبيض مع النادل الأسود الذي تعتبره أقل من البيض عنصريا، والذي يسكن في جناح الخدم بالمنزل فلم تفلح ويسخر هارولد في المسرحية من والده الكسيح ويطلب من والدته - بالتلفون - أن تتركه بالمستشفى وترشو المسؤولين لكي يؤخروا خروجه، والسبب أنه قد اصبح يصاب بالقرف من «حمل» القصرية «المليئة بالبصاق والبول والبراز» وعندما يعلم من والدته ان الأب سيعود للدار من المستشفى يصرخ في التليفون «انني احذرك، سأترك لكما الدار عندما تعودان إلى الشجار». ويقول ان الخلاف المستمر بين ابويه قد «أحال حياتي جحيما».

السيد هارولد!

يغضب سام عندما يسمع الولد يتحدث بسخرية وتقزز عن والده فيزجره قائلا «احترس! انك تتحدث عن ابيك!» فاجأ هارولد ويشعر بحرج شديد ولكنه لا يعترف بذلك فيصب غضبه على سام قائلا «لا تتدخل فيما لا يعنيك» ثم يذكر أن والدته طالما حذرته من «رفع الحواجز» معهما، وهي صادقة في ذلك وعلى حق ثم يأمر سام بأن يعرف مكانه ويلزم حدوده وأن «ينظف المقهى ويخدم الرواد» لأن هذه هي مهمته التي نال اجرا لها دائما ثم يطلب الى سام بأن يخاطبه بقوله «السيد هارولد» وليس «هالي» اسم المودة الاسرية ثم يواصل اغاظته فيحكي نكتة عنصرية رواها والده عن مؤخرات السود، فيتصدى له سام ذاكرا أن الأمر ليس مسليا ويفحمه بأن يستدير فجأة ويجذب البنطلون الى اسفل فتبدو - للحظة خاطفة - مؤخرته عارية ويسأل ان كان منظرها مضحكا؟! ويخرج هارولد ولكنه بدلا من الاعتذار يتمادى في غيه فيبصق في وجه سام الذي يهم بأن يضربه لولا تدخل «ويلي» الذي يقول انه «مجرد ولد أبيض صغير»

يهدأ سام ولكنه يقول لهارولد «انك جبان يا سيد هارولد، فالوجه الذي ترغب ان تبصق عليه هو وجه والدك غير انك وجهت البصقة الى وجهي أنا لأنك تحسب ان لونك الأبيض يضمن لك الحماية».

ويرقص على النغم!

وقبل ان تنتهي المسرحية يواجه سام هارولد مرة

سام هارولد و يلي

احرى ويقول له « انك تسعر بالخجل من اشياء كثيره ، وبدءا باليوم فسوف تشعر بالخجل من نفسك ايضا » ثم يخبره بأنه كان قد عاهد نفسه أن يساعده على ان ينشب سليما غير ملوث بالعنصرية ولا العقد ويعبر عن أمله ان تعود العلاقات بينهما لسابق عهدها قائلا « لا حق لى في ان ارشدك لكي تتصرف كرجل ، فانا نفسي لم اضرب المثل الحسن لذلك » يشير الى انه قبل وتحمل الصفعه دون رد فعل خوفا مما كان سيحيق به لو ثار لكرامته

يخرج هارولد وهو متشكك في امكانية استرداد الثقه بينه وبين سام وتنتهي المسرحية بأغنية للينا هورن تقول

« كف عن البكاء ايها الولد الصغير
لقد سرق أحدهم عربتك اللعبة
كف عن النحيب ايها الولد الصغير
فقد كان يومك عصيبا »
ويرقص ويلي وسام على الانغام

تعليق على النص

لم ينشر النص بعد ، غير أني اطلعت على نسخه المسرح المحفوظة بمكتبة جامعة ييل بمدينه نيوهيفن (على بعد تسعين دقيقة شمالي نيويورك) والجامعه هي التي استقدمت أثول فوجارد واستضافته لتخرج المسرحيه على مسرح فرقتها وهو المسرح الرئيسي في المدينه كلها واستطيع - بعد مطالعة النص مرة واحده - ان أقول أنه خطوة الى الأمام بالنسبة للكاتب في اكثر من ناحية

أ - لا ينحصر مغزى النص في جنوب أفريقيا وحدها ولا في الصراع بين السود والبيض بها ، بل يتحول هذا الصراع الى صوره مكبرة للخلافات الأسرية من ناحيه والى صورة مصغرة للصدامات الدولية من ناحية أخرى فالفتى يوجه سخطه الاسرى نحو الأجير الأسود العاجز عن الرد بسبب القهر العنصرى المسلح والحدث من الصدام على حلبة الرقص يقود سام لأن يقول لهارولد ان الرقص المتقن بديع « لاننا نريد ونتمنى أن تكون الحياة مثله » ثم يخبره أن الدنيا كلها صدامات أمه تصطدم بوالده وأمريكا تصطدم بروسيا ، وتصطدم انجلترا بالارجنتين . لا يذكر صدام الأبيض والاسود . فالمشاهد يراه على الخشبة

وهكذا فان المسرحية تشمل نطاقا أوسع من التفرقة العنصريه . وتتحول الى تأمل في التناسق والتنافر في المجتمعات الانسانية

ب - من سمات مسرحيات أثول فوجارد الاستناد إلى الحوار السلس والمواقف المتصاعدة الحدة والبناء الدقيق للشخوص وهو يحتفظ في هذا النص بكل هذه الخصائص التي جعلت منه كاتبا مسرحيا مرموقا في وطنه وفي العالم اجمع ، غير انه يزيد عليها افادته من « الصور المسرحية » أو « الاستعارة المسرحيه »

الطائرة الورق

فالمسرحيه تبدأ باستعداد « ويلي » لمنافسات الرقص السنوية ، وشكواه لسام من « هيلدا »

رميلته في الرقص الثنائي ، فهي لا تحضر للتمرين وتخص غيره بحبها ، يستمر الحديث عن الرقص بالمستوى الواقعي غير انه يكتسب بالتدريج بعدا آخر هو التعبير عن الوئام والصدام

هناك أيضا حديث سام عن طائرة الورق التي صنعها لهارولد عندما كان طفلا ، يتسع معناها بالتدريج حتى تصير من روافد « النص الثاني » التحتاني . اذ يشرح سام لهارولد أنه لم يجلس معه بعد أن حلقت طائرة الورق لأن المقاعد كانت مخصصة « للبيض فقط » وفي ختام المسرحية يعبر عن رغبته في استرداد الثقة بقوله . « نحاول مرة أخرى أن نصنع طائرة ورق ، ونرسلها في الفضاء » وهكذا يتحدثان أيضا عن طائرة الورق ويقصدان التفرقة العنصرية ونتائجها يقول هارولد « لقد قلت لي ان طائرة الورق لا يمكن أن تحلق في اليوم الممطر ، واليوم ممطر

سام ماذا نفعل اذن ستطر الجو الأفضل ، غدا ؟

هارولد لا ادري »

والشك في امكانية استمرار الصداقة بين الأبيض والأسود في ظروف يسود فيها القهر العنصري له ما يبرره اذ أن الدلائل تشير الى أن السود - في واقع الحال - لا يقبلون بصفة المجتمع في وجوههم وان الصداقة الحقيقية لا يمكن أن تكتمل الا مع التكافؤ ولعل هذا هو ما جعل أثول فوجارد يشك في السماح له بتقديم المسرحية في جنوب أفريقيا

جـ - كان فوجارد يفضل في الماضي أن يستند على الارتجال ، ثم يسجل النص في النهاية وهو في هذه المرة يبدأ بنص مكتوب سلفا أي أنه يجرب ولا يتمسك بأسلوب مسرحي واحد أو طريق واحد

لنكولن ونابليون

النص عالمي المضمون وهو يشك في كيان علاقات « السيد والمسود » ، اذ يبين النادل الأسود المضطهد كرجل حكيم يستحق التقدير لخلو قلبه من الحقد على البيض وهو - وان يكن بعيدا عن التمرد والثورة - لا يقبل أساس التفرقة العنصرية ويردد ما يجده في كتب هارولد عن ابراهام لنكولن وعن أن نابليون « اعتبر كل البشر سواسية أمام القانون واراد لهم أن يتمتعوا جميعا بفرص متساوية » سام معلول اليدين ولكنه طليق الجنان ، وهو أكثر مساعدة لهارولد من والديه ، بل هو والده فيما يتصل بالتربية والاكتواء بصورة المراهقة

***

إخراج مسرحية كهذه بصورة محكمة ليس أمرا يسيرا ، فيها ثلاثة أشخاص فقط سام وويللي ثم هارولد ويبقى ثلاثتهم على الخشبة تسعين دقيقة هي طول العرض يأتي صوت الأم أكثر من مرة عبر التليفون ولا يعبر في صعوبة شد الممثلين الثلاثة انتباه النظارة الى الخشبة التي لا يتغير فيها المنظر فيتيح فرصة للتنويع البصري أو لتشكيلات جديدة اختار المخرج - المؤلف أن يقدم العرض دون استراحة فحدد بذلك اسلوبه وهو التركيز المتصل في نفس واحد ممتد

بعد فوجارد الاخراج بداية وخيال غير انه آثر أن يبتعد عن المؤثرات المسرحية المشروعة فحرم العرض من فرصة التجسيد الأعمق والأكثر فعالية للمواقف ففي العرض الذي شاهدته يوم السبت ٣١ مارس ١٩٨٢ نجده قد فصل - مثلا - ألا يبين أي أثر خلال الحائط

سام وويللي

الرجاجي للجو الممطر ، مع أن الجو الصحو والممطر من مقومات الاشارات المبثوثة في النص للحديث المجاري عن المستقبل وعن التفرقة العنصرية كما اختار أن يترك الصور المسرحية محبوسة تحت ألسنة الأشخاص تظهر عندما ينطقون فقط ، أي أنه احتفظ بها « لغوية » ولم يدعمها من راوية نظر الاخراج بلوحات على الجدار أو أصوات من المذياع أو غير ذلك ويحيل الي انه استنفد شحنته الابداعية في تأليف النص ثم جاء الاخراج بعد الكتابة مباشرة فلم تستغره المهمة الى معالجة جديدة خلاقة كان النصف الأول من العرض بطيء الايقاع والبطء لا مفر منه أحيانا عند ارساء دعائم العرض ، غير أنه اذا فات حده يقود الى قطع الصلة بين الصالة والخشبة ، والى كسر تركيز النظارة هذا لا يعني أن الاخراج كان رديئا ، ولكنه يعني أنه لم يستخلص كل الامكانات المستكنة في النص ، ربما لأنه لم يقدم نظرة نعيين جديدتين

أستاذ في التمثيل

راكس موكا ـ الذي مثل دور سام في المسرحية ممثل ناضج الموهبة واسع الخبرة ، ولد ونشأ في جوهانسبرج ثم هجرها وأحرز نجاحا ملموسا في المسرح والسينما في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا بدأ التعاون مع اثول فوجارد قبل أن يغادر بلاده إذ شاركه في تأسيس « فرقة التدريبات » المسرحية ، ومثل في أول مسرحياته وقد درس التمثيل بالاكاديمية الملكية بلندن ، وعمل استاذا للتمثيل في الولايات المتحدة بجانب مساهمته العملية فيه

أفلح راكس موكا في تصوير سعي سام الداخلي لأن يعتز بانسانيته وكرامته رغم القهر الذي يكفي لتشويه انقى النفوس كما أفلح في تصوير ادراكه لوجه شبه بين حاله وحال الطفل الأبيض البريء الذي تقهره الأسرة ويكتم انفاسه هواؤها الفاسد نجح الممثل في تنويع الاداء فانتقل في يسر ممتع من التسلية بتعليم « ويللي » الرقص الى الحزم مع الفتى الأبيض ، الى الغضب عندما بصق الفتى على وجهه ـ شمل التوتر ساعتها كل جسده وليس وجهه فقط كما نسق الحركة مع المعنى فأسرع في خطواته حينا وابطأ حينا حتى بدا وكأنه يقتلع قدميه من الأرض اقتلاعا عندما بدأ يخاطب الفتى بـ « السيد هارولد » لأول مرة ، اذ فقد عندها أثره على « ابنه » وصارت حركته جنائزية ولولا براعة المستر راكس في التمثيل لصار الجزء الأول من المسرحية ثقيلا على النفس

أما دور « ويللي » فقد قام به الممثل الأمريكي الأسود داني جلوفر وجاهد كي يرتقي الى مستوى زاكس موكا وأفلح بالذات في مشهد تعلم الرقص والمشهد التالي للبصقة

مثل دور السيد هارولد جلجكو ابعاسك الذي ولد بيوغوسلافيا وتخرج في مدرسة لندن للموسيقى والفنون المسرحية وفي جامعة ييل بالولايات المتحدة الأمريكية ـ وهو ممثل صاعد النجم ساعده حجمه الدقيق على اتقان دوره العسير الذي يستلزم فهما وعرضا لتناقضات وتعقيدات الشخصية المراهقة فهارولد في فترة تكوينية شاقة والمؤثرات التي تتجاذبه قوية تكاد تمزقه في أكثر من اتجاه عبر الممثل بطبقات صوته المختلفة وقفزاته المفاجئة وتقلص قسمات وجهه عن التيارات التي تفور في صدره المراهق ، عن الحيرة وعن التطلع الحقيقي لتفسير مشاكل الأسرة وفهم العالم الخارجي وهو يخرج في نهاية المسرحية محتارا ، لا ندري ان كان سيتراجع عن الجلوس على المقاعد المخصصة « للبيض فقط » عندما يكبر أم سيتحول الى أحد مواطني النظام العنصري المؤيدين

.. والخلاصة

كان العرض ناجحا ، برهن مرة أخرى على أن اختيار المخرج للممثل المناسب من أهم واجباته اذ سد هؤلاء الممثلون الثلاثة أية فجوات في الاخراج ولم يقدموا عروضا منفردة جيدة بل عرضا مشتركا منسق التفاعل والتمثيل المتقن ـ كالرقص المتقن ـ بديع الأثر لأنه كناية عن التناغم الذي نحلم به للانسانية

لا ريب أن هذه المسرحية ستجد طريقها الى عدد كبير من المسارح العالمية وقد تلفت الانظار في الولايات المتحدة لأن آثار التفرقة العنصرية غير الرسمية لا تزال ملموسة في هذه البلاد ، رغم التقدم الذي احرزه السود ، ومناسبة اخراج المسرحية تجعلنا ننادي مرة أخرى بالتعاون بين الجامعات العربية والمسرحيين العرب والأجانب لتطوير المسرح في الأقطار العربية ، وأثول فوجارد ككاتب يحتاج لعناية أكثر في الوطن العربي فالتشابه بين أصحاب الأرض في جنوب أفريقيا وأصحابها في القضية الفلسطينية لا يحتاج لشرح أو تأكيد

نلخص من كل هذا الى أن أثول فوجارد أكد مكانته العالمية بهذه المسرحية الجديدة ●

خالد المبارك

نيوهافن ـ الولايات المتحدة الأمريكية

ديون الفقراء ومشورة الأغنياء !

بقلم . محمود المراغي

تمثل الارقام في بعض الاحيان مفترق طرق يمر هنا او هناك رقم يلخص الكثير . ويتحكم في الكثير

من هذه الارقام ما بدأ يتردد طوال السنوات الاخيرة حول موازين المدفوعات او ميزان الحسابات الجارية للدول النامية ، والتي تحدد الموقف المالي لكل منها مع العالم الخارجي

في الماضي . كان الاقتصاديون يمرون هذه الارقام دون انزعاج شديد فهنا عجز . وهناك فائض ، عام تتوازن فيه حسابات مجموعة دولية وعام لا تحقق فيه هذا التوازن وفي كل مرة تجري تحليل الاسباب التي كثيرا ما تكون محلية او عارضة

في السبعينات اختلف الامر

اصبح العجز ظاهرة تضم معظم البلدان النامية واصبح للظاهرة جذور مشتركة معروفة بل واصبح للعلاجات الموصوفة سمات تكاد تتفق

استيقظ العالم والنفط يرتفع سعره اربع مرات في نهاية ١٩٧٣ وبداية ١٩٧٤ ارتفعت بعده اسعار السلع الصناعية فاستوعبت بذلك دول الشمال الصدمة وتجاوزتها خلال عام واحد وبقيت الدول النامية تدفع للاثنين

زيادة ـ بقدر ما تستهلك ـ لفاتورة النفط

وزيادة غير محددة لسلع صناعية وزراعية

في نفس الوقت . لم تكن هذه الدول بقادرة على ان تزيد مواردها بنفس السرعة او النسبة فاتسعت ثغرة الموارد ، وزاد ما نسميه العجز الجاري

وتشير ارقام البنك الدولي الى ان عجز الحساب الجاري للدول النامية المستوردة للنفط قد ارتفع من (٨ر٦) ثمانية مليارات وستة أعشار من المليار من الدولارات عام ١٩٧٠ الى (٦٩ر٦) تسعة وستين مليارا وستة أعشار من المليار عام ١٩٨٠

ارتفع العجز نحو ثماني مرات في عشر سنوات والاخطر انه قد اصبح عجزا مزمنا يتكرر ويتزايد ويتفاقم والاكثر خطورة ان ذلك سوف يستمر . وتذهب توقعات البنك الدولي الى ان رقم العجز سوف يتراوح بين (١٣٠ ـ ١٧٣) مليارا عام ١٩٩٠ اى ان عجز عام واحد في نهاية الحقبة الحالية قد يساوى عجز عشرين عاما بمقياس عام ١٩٧٠

قد يظن البعض انها زيادة زائفة ، فمع التضخم تقل قيمة النقود وتصبح الارقام الضخمة ذات دلالة محدودة . ويصبح القياس المجرد خاطئا بالضرورة

ولاشك ان للتصحم اثره ولكن الصحيح ايضا ، وهو ما تثبته الارقام انه بحذف عنصر التضخم يظل الظاهرة قائمة ، والتزايد واضحا

وقد اجرى البنك الدولي محاولة لقياس تزايد العجز بعيدا عن اثر الاسعار ، فاتخذ من عام ١٩٧٨ اساسا ، ووحد الاسعار على هذا العام فكان رقم العجز عام ١٩٧٠ (بعد التعديل السعرى) (١٨ر٥) ثمانية عشر مليارا ونصف مليار وكان رقم ١٩٨٠ (٥٣) مليارا

كذلك جرت محاولة اخرى للقياس ، وهو تحديد الاهمية النسبية قياسا على الناتج القومي وكانت النتيجة ان العجز يساوي ٤ر٢٪ من الناتج القومي للدول النامية (في عمومها) عام ١٩٧٠ ويساوي ٤ر٤٪ من هذا الناتج عام ١٩٨٠

الظاهرة اذن حقيقة وخيمة

وقد استحسنا لها ـ كعالم ثالث ـ بالمزيد من الاعتماد على الخارج معونات ـ قروض ـ استثمارات

وعندما بدأت الظاهرة علت صيحات عدد من المنظمات الدولية التي يتحكم فيها الاغنياء المطلوب تغيير في السياسات الاقتصادية ، بحيث يمكن حذف رؤوس الاموال لهذا العالم الفقير ان توقعات خارجية اكثر قد اصبحت طوق النجاة

واستجاب الكثير من دول العالم الثالث لهذه المشورة فتحت الابواب حررت التجارة والاقتصاد سنت القوانين لتسمح بتدفقات اكثر

ولكن في نهاية الحقبة بدت الحقيقة واضحة ، فالاستثمارات لم تأت الا بقدر محدود للغاية والقروض قد احتلت نصيب الاسد

اصبح العالم الثالث اكبر مدين في التاريخ ، بالقياس لحجم اقتصاده . وبلغ مقدار الدين غير المسدد للدول النامية المستوردة للنفط (٣ر٣٠١) مليار دولار في نهاية ١٩٨٠ مقابل ٤٨ مليارا فقط عام ١٩٧٠

كذلك ، أصبح للقروض ميكانيكيتها الخاصة فهي تأتي لسد عجز طارىء ثم تأتي لسد عجز شبه دائم يتزايد مقداره بتزايد عبء الديون وفي كثير من الاحيان لايكاد الاقتراض الجديد يغطى التزامات الاقتراض القديم

في نفس الوقت تغيرت طبيعة الديون ، فاصبحت بشروط أسوأ وتجارية اكثر مما يسمح بتضاعف الحجم وانكماش الاثر على النمو

والأخطر احتمالات الثمانينات ، والتي تثير قلق المنظمات الدولية مما تراه من عجز متوقع في التمويل (بالقدر المطلوب ، والشروط المرجوة)

انها ازمة القروض والتي بدأت بازمة العجز في حسابات جارية

والان العجز أصبح مزمنا ، ولأن محاولات التكيف والاعتماد على الغير لم تحل إشكالاولم ترد نسبة نمو ، أو تترك اقتصاديات أكثر صحة

لأن الامر كذلك أصبح السؤال عند الكثير من الاقتصاديين هل تشهد الثمانينات سياسات اقتصادية اخرى في العالم الثالث أم تتسع دائرة العجز من عجز تجاري وحسابي الى عجز عن مواجهة المستقبل ، واختيار السياسات الملائمة

وسوف يظل السؤال ملحا طوال الثمانينات ■■

هل يؤدي حقاً إلى تدهور المستوى العلمي ؟

بقلم : الدكتور فخري الدباغ

أصبح مبدأ تعريب التعليم الجامعي أمراً « مرغوباً » فيه بعد أن أشبع مناقشة وتحليلا فمن باب الاسهاب والتكرار اعادة ذكر ما تم الاتفاق عليه و القناعة به ، وبعد أن برأناه من النزعة أو الاندفاع الانفعالي البحت ، وبعد أن ثبتت أسسه الموضوعية والعلمية أيضا .

إلا أن ما يقلق الكثير من المسؤولين وقادة الفكر ورجال التربية والتعليم والبحث العلمي هو ألا يكون تطبيق التعريب « منزلقاً أو ورطة تؤدي بالنهاية الى انخفاض المستوى العلمي للجامعات ، وبذلك نكون قد حصلنا على شيء وخسرنا شيئا أو اشياء أخرى من خلال التسرع أو عدم استكمال النهج والخطة من أجل ذلك يبرز أمامنا السؤال الخطير الآتي « كيف نحافظ على المستوى العلمي ونحقق عملية التعريب في آن واحد ؟ » ويعبر هذا التساؤل عن خوف وقلق مشروعين لأن نقاد وممارسي التعريب (في الكليات العلمية ـ والطبية منها في الأخص) مافتئوا يذكرون انخفاض المستوى العلمي كمبرر لعدم البدء أو حتى التفكير في تعريب التعليم الجامعي ، علما بأن المستوى العلمي تعرض للنقد مسبقا وأشير الى أنه في حالة تهدد بالانخفاض او التذبذب ، وهي حالة ان صحت فعلا فقد حدثت وبدأت قبل عملية التعريب وانني لا أريد أن اطرح سؤالا تعجيزيا الآن ، لكنني سأطرقه في آخر مقالي هذا ، انما أود ان أقول أن أمامنا الآن « فرضية » تقول ان التعريب يؤدي على الأغلب الى انخفاض المستوى العلمي فاذا اتبعنا المنهج العلمي في النقاش والتحليل لاثبات او دحض هذه الفرضية ، فان أول خطوة يمكن اتباعها في هذا المنهج العلمي في النقاش والتحليل لاثبات أو دحض هذه الفرضية ، فان أول خطوة يمكن اتباعها في هذا المنهج هو أن نفترض كذلك ـ مع المفترضين ! بأن التعريب يحتمل ويمكن أن يؤدي الى انخفاض المستوى العلمي للأسباب التالية

١ ـ تقيد الطالب الجامعي بالكتاب المقرر العربي وانغلاق فكره أمام المصادر الأجنبية الأخرى

٢ ـ ويؤدي ذلك به الى إهمال اللغات الأجنبية لعدم حاجته الماسة إليها « مرحليا »

٣ ـ عدم مواكبة عملية التعريب لسرعة التطور العلمي والاكتشافات الحديثة

٤ ـ عدم امكانية ترجمة المجلات العلمية والمصادر الكبرى التي تحتاج الى جهود هيئات واساتذة وكادر طباعي في الطبع والترجمة والنشر

٥ ـ عرقلة الطالب الجامعي ووضع العقبات اللغوية أمامه اذا ما رغب في اكمال دراسته العليا .

٦ ـ عدم توفر المصطلح العلمي العربي المرادف للمصطلح الأجنبي

٧ ـ وكذلك سرعة ظهور مصطلحات جديدة في حالة مستمرة

٨ ـ توجس ، وربما شعور بالاحباط والعجز من قبل بعض الاساتذة عند تدريسهم باللغة العربية التي لا يحسنونها

كمصحي او علمية دقيقة ، فيعكسون بذلك خلل التعبير وينقلونه الى طلبتهم مرتبكا

وكل هذه العوامل مجموعها ستؤدي بالنتيجة الى انحفاض المستوى العلمي

علم نفس اللغة

هذه الأسباب الوجيهة التي تخيف وتقلق الحذرين المتأنين تستدعي منا ـ ومن الذين يؤمنون أن لا علاقة وطيدة للتعريب بالمستوى العلمي ـ أن نأتي بالادلة المقنعة التي تنقض وتبدد هذه الافتراضات المنطقية ظاهراً وانني ابدأ خطوة فخطوة لأطرح الأجوبة مع النقاش لأصل الى نتيجة مؤداها ان التعريب شيء والمستوى العلمي شيء آخر ، وأن الرابطة بينهما ليست سببية ، وأن بالامكان تعريب التعليم الجامعي دون المساس بالمستوى العلمي حسب خطة أو مشروع خطة مطروحة للنقاش

أولا ـ اذا فهمنا أن تعريب التعليم الجامعي هو استخدام اللغة القومية (أي اللغة الأم) في نقل المعلومات لضمان الفهم السريع والادراك العميق للمقررات الدراسية من قبل الطالب ، استطعنا أن نسقط ونزيل كثيرا من الالتباسات والمغالطات حول عملية التعريب

فعلم نفس اللغةpsycholinguestics يؤيد ان التخاطب والتبادل الفكري التعليمي باللغة الأم أيسر ذهنيا من استخدام لغة أجنبية لأن المصطلح الاجنبي يمر بعملية سريعة من ترجمة عقلية للمفهوم الأجنبي الى المفهوم اللغوي الأصيل (الأم) ، وتتخلل هذه العملية احتمالات الخطأ والسهو والخلل في الفهم الدقيق للمدلول ، فالأفضل والأسرع في الفهم هو التعليم باللغة الأم

ثانيا ـ ان الكتاب المنهجي المعرب (مترجماً كان أو مؤلفاً) هو دليل ومؤشر للطالب يقدم له الخطوط العريضة والاطار العام والمعلومات الأساسية عن الموضوع الذي يدرسه ، والمبدأ العام هو ألا يكون الكتاب المقرر المصدر الوحيد للمعلومات حتى لو أبقينا على التدريس باللغة الأجنبية وكان لدينا كتاب منهجي أجنبي

ثالثا ـ لذلك فان اول ما يجب أن يعرفه ويؤمن به الطالب والاستاذ على السواء هو عدم اعتبار الكتاب المنهجي المعرب الكتاب الأمثل والأوحد للمادة ، وأن عليهما الاستناد الى المحاضرات والى المصادر والكتب المساعدة الاخرى ونحن نعرف أن الكتاب العلمي المنهجي في أي تخصص وموضوع يتأخر فعليا عن المعلومات الحديثة بمعدل خمس سنوات حسب التقدير المتعارف عليه في جامعات العالم

رابعا ـ ولابد لنا ههنا أن نأتي الى بيت القصيد في العملية التعليمية ـ وهو دور الاستاذ فالأستاذ الكفء الذي هو في مستوى المسؤولية الجامعية المطلوبة ـ يجب ان يحتل المركز الأساسي وان يكون المحرك الأول في نقل وايضاح المعلومات الحديثة من خلال المحاضرة بحيث يشعر الطالب ان المحاضرة أهم من الكتاب المنهجي ، وان الكتاب متأخر عن المحاضرة في بعض النقاط والمواضيع ، وإلا يصبح من الممكن للطالب ان يجلس في غرفة داره ليقرأ الكتاب المنهجي بدل أن يتعب نفسه بالاستيقاظ المبكر والتزاحم على وسائط النقل ليصل الى قاعة المحاضرات ويصغي الى المحاضرة لولا وجود بعض الدروس العملية التطبيقية والميدانية التي تضطره الى حضور الكلية

مواصفات ضرورية في الأستاذ

خامسا ـ وهذا يعني ان الاستاذ الكفء الذي يتقدم على الكتاب المنهجي بمراحل يجب ان يكون ذا مواصفات أساسية تعتبر جواز مروره ورخصة دخوله الى الوسط الجامعي التدريسي ومن أهم هذه المواصفات اتقانه للغة أجنبية أو أكثر ، واجادته واستيعابه للغته العربية ،

سادسا ـ وإتقان الاستاذ للغة أجنبية أمر بديهي وموجود في جامعاتنا العربية ، لأن معظم الاساتذة قد أتموا دراساتهم العليا في بلدان أجنبية ، وباستطاعتهم بل من واجبهم أيضا تتبع كل ما يستجد من معلومات في حقل اختصاصهم ونقله الى طلبتهم من خلال المحاضرة وعليّ ان اذكر حقيقة يؤيدني فيها كثيرون من زملائي الأساتذة الذين حضروا مؤتمرات وحلقات دراسية ودورات علمية داخل وخارج القطر ، كيف ان معظم الاساتذة الأجانب الباحثين يتقنون أكثر من لغة أجنبية ، وكيف يشعر الأستاذ العربي شيء من الحرج والخجل لأنه يتقن لغة أجنبية واحدة ويرى الآخرين وهم يعرفون ثلاث لغات أو أكثر وقد تصل احيانا الى اثنتي عشرة لغة أجنبية

سابعا ـ ان تتبع الأستاذ للمعلومات الحديثة يتم أولا « وبصورة أساسية عن طريق الدوريات أو الكتب الحديثة جدا » المقتصرة على اختصاصات دقيقة ، ولن نتوقع من طالب الدراسة الجامعية الأولية أن يطالع مجلة دورية علمية ـ ليس لأنه عاجز أو مهمل ـ ، بل لأن وجود المجلة بين يديه واستطاعته قراءتها قد يضر به أو يربكه في تلك المرحلة الدراسية ان الاستاذ مثلا « قد يقرأ مقالة أو بحثا

طويلا » في المجلة يتناول موضوعا « أو بحثا » أو مناقشة ، لكنه يرى ـ بحكم التجربة والممارسة ـ أن يلخص تلك المقالة الطويلة للطالب الجامعي بجملتين فقط أو يرى عدم جدوى ذكرها في المحاضرة

ثامنا ـ وعليه ، فان الذين يتصورون عملية التعريب يجب أن تشمل تعريب الدوريات وتلخيصها لتكون في متناول الطالب يضعون حجة غير عملية وغير واقعية - على الاقل مرحليا ، لأن من واجب الاستاذ قراءتها أولا وانتقاء المهم والحيوي منها وإهمال أو تأجيل بعض المواضيع الأخرى غير الثابتة أو موضع الشك والترعرع أو لأنها أعلى بكثير من مستوى الدراسة الجامعية الأولية ، أو لأنها بحث في طريقه الى التكامل

تاسعا ـ ثم ان تعريب التعليم الجامعي يجب ألا يكون حاجزا « ومانعا » من تعلم لغة أجنبية اذ ان طموح الطالب الجامعي النابه هو الذي يرفعه الى تعلم لغة أجنبية أو اكثر ، وهي مفروضة عليه كجزء من المقررات المنهجية الجامعية

عاشرا ـ ويجب ان نعترف ـ وبتجربة واقعية ـ أن تدريسنا الطب لحد الآن باللغة الانكليزية ليس بالمستوى المطلوب والمجزي الذي نريد ان نحرص عليه ونعتز ونفتخر به (وكذا هي الحال في الكليات العلمية الاخرى حسب اطلاعي سابقا ـ وقبل التعريب) ، لأن بعض الاساتذة لا يتقن التعبير السلس المبسط باللغة الاجنبية وبالدقة المطلوبة ولأن الطلبة لا يزالون يرتكبون أغلاطا لغوية تدهشكم اذا قلت اننا كنا نحاسب عليها سابقا عندما كنا نحن في مرحلة الدراسة الاعدادية وأحد أدلتي على ضعف اللغة الاجنبية في تدريس الطب أن نتائج امتحانات القبول في انكلترة للدراسات الطبية العليا التي تسمى ال plab وال TRAB لا تتجاوز نسبة النجاح فيها الـ ٣٥/ لأنها محملة باسئلة لغوية اكثر من الأسئلة العلمية وانني أرمي من كل ما تقدم الى القول بأن حرصنا على التدريس باللغة الأجنبية لم يؤد لحد الآن الى اتقان مجريء ومناسب للغة الأجنبية من ناحية ، وأن التعريب مع تدريس اللغة الأجنبية مكافيء لنفس الوضع ، هذا الى أنني اتوقع تقدما اكثر في اللغة الأجنبية لمن يرغب في الدراسات العليا اذا اتبعنا سياسة تدريس لغة اجنبية في الكليات مع اعادة النظر في كيفية واصول تدريس الأنكليزية في المدارس الثانوية

حادي عشر ـ ثم ان الاحصائيات من دوائر البعثات ومن الجامعات العربية توضح النسبة القليلة من الطلبة الذين يكملون دراستهم العليا مقارنة بالآلاف من الخريجين في الدراسة الجامعية الاولية فهل المقصود لدى معارضي التعريب أنه من اجل نسبة قليلة من طلبة الدراسات العليا أن نستمر على التعليم باللغة الأجنبية ، أم ان من الأنسب والأوفق افهام وتعليم الجمهور الكبير من طلبة الجامعات بلغة قومية واضحة ، وهم الذين سيخدمون في كافة مرافق الدولة والمجتمع ويتعاملون باللغة الأم ، علماً بأن الاهتمام بالأغلبية من خريجي الكليات لا يعني سد الطريق أمام الأقلية التي ترغب في دراسة عليا متقدمة وبلغة أجنبية ،

ثاني عشر ـ والتعريب لا يعني الانعزال عن العالم أو الانغلاق والتقوقع فالانفتاح اللغوي والثقافي يمكن أن يتم اذا ما أدركنا أن بالامكان التدريس باللغة الأم وبالامكان ايضا « الاطلاع على الخبرات الأجنبية والتدريب عليها ودراسة العلم الحديث في الوقت نفسه كما تفعل دول متقدمة حضارياً » مثل السويد والدانمرك وهولندة واليابان التي تدرس طلبتها باللغة القومية ، ولكن أساتذتها وطلابها الجامعيين يقرأون ويكتبون الأنكليزية أو الفرنسية أو الألمانية أو جميعها رغم دراستهم باللغة الأم .

ولعل كل ما ذكرته يبدو وكأنه دفاع عن التعريب وليس « نهجا » أو « استراتيجية » لضمان الحفاظ على المستوى العلمي مع التعريب والحقيقة أن كل ماذكرته يمكن ترجمته الى استراتيجية ومشروع خطة أتقدم بها لضمان الحفاظ على جودة المستوى العلمي مع التعريب ، وذلك باتباع الخطوات الآتية

١ ـ أن يقتصر تعريب التعليم الجامعي ـ مرحليا في الأقل ـ على مرحلة الدراسة الجامعية الأولية ، وهي الفترة المهمة والحساسة لتخريج وإعداد كادر علمي ـ اجتماعي أي الطالب الجامعي الذي يخدم المجتمع وخطط التنمية ويتلقى معلوماته بلغة قومية مفهومة ميسورة وبذلك نكون قد طورنا لغتنا العلمية وأعددنا الطالب والخريج بالمستوى والمواصفات المطلوبة وهو الذي يمثل أغلبية الخريجين

٢ ـ أما الأقلية من الطلبة الخريجين المتميزين والمؤهلين لان يكونوا اساتذة المستقبل أو المتخصصين بفروع دقيقة ونادرة ذات حقول واتجاهات معينة ، والذين يريدون أو يريدهم مخططو التعليم العالي ، إكمال دراساتهم العليا فان بامكانهم تحقيق ذلك بتعلم اللغة الأجنبية واجادتها داخل وخارج القطر ويمكن ان يتم ذلك بعدة طرق ، بينها تعليم اللغة الأنكليزية العلمية في اثناء الدراسة الجامعية ، ولبضع سنوات دراسية ، مما يتيح لجميع

الطلبة معرفة لغة أجنبية

ومن هذه الطرق ايضا تنشيط حركة البحث العلمي بين الطلبة عندما يطلب الأستاذ القائم بابحاث معينة مع مجموعة من الطلبة النابهين المتحمسين بأن تكون مصادر مراجعتهم لموضوع البحث باللغة الأجنبية

٣ ـ وأن تسعى الجامعات دائما « وأبدا » الى تشجيع واختيار الأساتذة الذين يتقنون لغة أجنبية واحدة في الأقل أما الأساتذة الذين يدرسون في الكليات الاساسية باللغة العربية أصلا فهم غير معذورين ـ في نظري ـ لعدم معرفتهم لغة أجنبية أخرى ، لأن التقدم العلمي والحضاري يحتم على من يخدم في الجامعة ومراكز البحوث ان يكون ملما بلغة أجنبية أما كيفية تحقيق ذلك فيحتاج الى تفاصيل وحلول لا ضرورة ملحة لذكرها الآن

٤ ـ ان ما ذكرته كخطة مرحلية قد تمتد عشر سنوات أو عشرين سنة لا يمنع أبدا ـ في يوم ما يحين نضجه وموعده ـ أن ننسج حركة الترجمة والتأليف الى المصادر الكبرى أو الى بعض الدوريات « الجامعة » ـ أي التي تجمع مقتطفات من المجلات العلمية الأخرى وتلخص أبحاثها (أو ما تدعى بال excerpts أو abstracts)لتكون في متناول جميع المتتبعين

ولكني أتساءل ، لماذا التسرع والتعجل في جعل عملية التعريب كبيرة شاملة بحيث نشترط عليها أن تشمل على كل شيء وعلى جميع المراحل الجامعية الأولية والعليا وما بعد العليا ؟ أو ليس من الأسلم البدء بخطوة واثقة وأمينة وسليمة وهي تعريب التعليم الجامعي الأولي الذي يقتصر على استخدام اللغة الأم في التخاطب والتوصيل والتعليم وما يتعلق بذلك من كتب أساسية (منهجية أو مساعدة) ؟

وقد قيل « أن ما لا يدرك كله لا يترك جله »

وهذا ما ينطبق على ما تقدمت به من اقتراح التعريب في نطاق محدد يمكن السيطرة عليه ـ وهو مرحلة التعليم الجامعي الأولي

ان البلدان المتقدمة حضاريا تتيح لطالب الدراسات العليا أحيانا اختيارين

أ ـ الدراسة وكتابة الأطروحة باللغة الأم ، أو الدراسة وكتابة الأطروحة بلغة أجنبية وقد وجدت ذلك ساريا في دول صغيرة مختلفة مثل السويد وهولنده وحتى بولنده

وفي تصوري أن بامكاننا الوصول الى هذه المرحلة في المستقبل ، لكن ما عرضته يؤيد كون التعريب اكثر ما يقتصر على الدراسة الجامعية الأولية كأساس ثم يتبع ذلك انفراج ومرونة في لغة التدريس

ثم ، هل سيمنع التعريب حقا اولئك اللامعين الحريصين الطموحين من الخريجين من تتبع ومواكبة التقدم العلمي في موضوع ممارسته ؟ واني ـ للاجابة عن هذا التساؤل ـ أقول كم من خريجي الكليات العلمية يتابعون كتبا أو دوريات أجنبية بعد التخرج ؟ وكم منهم يحتفظ بكتاب منهجي أو يقتني « مرجعا » أو « مصدرا » في موضوعه ؟

فان اردتم أرقاما تقريبية عن الأطباء العموميين الذين يتتبعون الدوريات والكتب الجديدة فاني أجازف بالقول أنهم لا يتجاوزون ال ٥٪ ، وهم الذين يحرصون على اكمال دراستهم العليا أما البقية فيتابعون قصاصات الدعاية ونشرات الشركات التجارية الأجنبية فكيف بالكيمياويين والفيزياويين والمعماريين والبيولوجيين ؟

فاذا سأل سائل « أحقا أن المستوى العلمي الجيد سيبقى على ما هو عليه أو يرتفع بهذا الأسلوب من التعريب ؟ » ، عندئذ لا أتمالك الاجابة بطرح سؤالي التعجيزي الذي أشرت اليه في بداية المقال وهو

● هل يؤدي التعريب حقا الى تدهور المستوى العلمي ؟

بما أن المستوى العلمي للجامعات قد اتهم بالانخفاض التدريجي من قبل بعض المربين الأفاضل المهتمين في مسيرة وتطوير التعليم العالي والبحث العلمي ، وقدموا جردا من التفاسير والأسباب لذلك ، أفلا يعني ذلك بأن المستوى العلمي قد بدأ ينخفض قبل تعريب التعليم الجامعي ؟ إضافة الى ان التعريب لم يذكر كسبب لانخفاض المستوى العلمي ، وعلما بأن التعريب لم يطبق لحد الآن في كليات الطب العربية (عدا السورية) ، ألا يعني ذلك انه اذا اردنا الحفاظ على المستوى العلمي فيجب ان نداوي ونعالج اسباب انخفاضه الحقيقية ، وان نعرف مفهوم المستوى العلمي ومعاييره قبل التشبث بحجة جديدة في ان التعريب يخفض المستوى العلمي ؟

وأحسب أن بعض زملائي من الأساتذة قد تطرق الى ذلك على صفحات العربي والمجلات التربوية والعلمية الرصينة ، ولكني أقولها صريحة انما اذا أردنا البحث في اسباب انخفاض المستوى العلمي فان التعريب لن يكون أحدها بل اننا سنجدها في عوامل كثيرة أخرى

ويتضح مما تقدم ، أنني بتأكيدي على امكانية التعريب في المرحلة الجامعية الأولية أرى من الضروري والواجب أيضا التأكيد على أهمية معرفة اللغات الأجنبية كأداة اتصال بالعالم الخارجي وللحاق بمصادر الاشعاع العلمي والتقني وتتبع كل ما يستجد - ، وأن الازدواجية الظاهرة في هذه الخطة ما هي في الحقيقة الا مرونة في التطبيق وجمع بين حاجتين قومية وعلمية نجحت في أقطار متعددة هي في مقدمة البلدان الصناعية والعلمية والحضارية كما ذكرت ■ ■

دكتور فخري الدباغ

بقلم : عجاج نويهض

نشرنا في الجزء السابق (العربي ٢٧٣) رأي المنفلوطي في كتاب مصر (منقولا عن كتاب النظرات)، وطلبنا من مجلة «المقتبس» أيار (مايو) سنة ١٩١٠. واقترحنا يومئذ ان تكتب مقالة مثلها عن كبار الكتاب في سورية (متصرفية لبنان والاردن وفلسطين وبيروت)، وجاءنا الرد التالي لكتاب لم يفصح عن اسمه

اذا قلت انه لم ينشأ في الشرق كاتب يستحق ان يطلق عليه لقب كاتب شرقي فلا شك اني اعد مبالغا اريد بالكاتب من تكون كتابته نتيجة بحثه وتنقيبه او تجربته واستقصائه، لا من تكون كتابته او بحثه اشبه بصدى الحاكي (الفونوغراف) لبحث غيره، ولا تكون كتابته رص المفردات، وتنسيق الاساليب، فان الاول في عرفي مقلد، والثاني منضد

لا الوم الشرقي، ولا اقرظ الغربي، فهذا دفع للارتقاء بدافع طبيعي وذاك دفع عن الارتقاء بدافع طبيعي، لكن الاول يسير مع الدافع، والثاني يقاوم الدافع، وشتان بين السائر المطرد، والسائر المطارد

طلب مني طالب ان ابين طبقة حملة الاقلام في سوريا او اصف درجتهم، فوجمت واحجمت، لاني اعتقد بهم مالا يتفق مع رأي الاكثرين، «ولكل اعتقاده ورأيه» واني لا اكره احدا على ان يعتقد ما اعتقد ولا ان يرتئي ما ارتأى، ثم لم اجد بدا من اجابة الطلب فكتبت السيدة الآتية المرتبة على حروف الهجاء ووصفت بها الكتاب كمنشئين منمقين، لا باحثين مدققين، وان اغفلت ذكر احد منهم فذلك اما عن ذهول واما عن عدم قراءتي له شيئا من الانشاء، وربما اذكر ما ذهلت عن ذكره في مقالة الشعراء

(أ)

ابراهيم الحوراني جمع في كتابته بين الفضيلتين فضيلة المنقولات وفضيلة المعقولات، فهما فيه ككفتي ميزان، كلما انحطت احداهما شالت الاخرى

احمد طبارة صحافي قادر وهو في ادارة جريدته اقدر منه في كتابته

احمد عباس الازهري محفوظاته اكثر من معلوماته، ونثره المسجع ارقى من نثره المرسل

احمد رضا يجيد تنسيق الآثار، والبحث في الاسمار

احمد صلاح الدين اول الغيث قطر ثم ينهمر

احمد الصابوني يعد عالما آليا اكثر منه كاتبا اخلاقيا

احمد عارف الزين بينه وبين محمد علي حشيشو صلة ادب اشتبكت وشائجها فلا تقدر أن تميز مقدرة هذا من ذاك.

اسكندر العازار هو رستم الكتاب وان عصب رستم الشعراء، ولولا «الخواطر»[1]، لكان له اول وليس له آخر

اسكندر عيسى المعلوف هو الذي يكاد يكون كاتبا باحثا، وليته يطلق عروس الشعر طلاقا بائنا لان بينهما بينونه طبيعية

(١) «الخواطر» مختصر من خواطر الاطعمة في البيت كالزيتون «والجبنة» واللبن والبيض مما هو جاهز ابدا حل بالبيت ضيف يحتاج الى الاكل ليس هناك طبيخ ساخن، وكان العازار ينشر خواطره في جريدة «البرق» لشارة الخوري (الاخطل الصغير) اسبوعيا

اسعاف الشاشيبي (القدس - فلسطين) الذكاء وحب الشهرة محسمان فيه
امين الريحاني نسجت الطبيعة من دماغه ثوبا ملونا بجميع الوانها فكتابته اشبه بذنب الطاووس فيها من كل لون رقعة
اميل الخوري تنم عليه كتابته بانه رقيق الشعور حتى كاد يشق مع المشوق في بيروت
امين العريب صحافي دو عنجهية (بعد الاستذان من الأستاذ الخياط (محيي الدين الخياط - بيروت)
امين ناصر الدين نسخة من « الصفاء »[2] والصفاء نسخة منه
امين صباغ يحاول ان يصبغ نفسه بصبغة الكتاب ،
(ب)
بشارة الخوري حسن اختياره دليل على حسن ذوقه ، وذوقه الشعري خير من ذوقه النثري
(ج)
جبر ضومط الأبجدية في العلوم العربية
جبران مسوح منشيء فطري مطلق ، يكره التصنيع والتقيد حتى انه يكره صناعة العلوم العربية وقيودها
جرجي يني نسخة من التاريخ العام
جرجي باز يجلي في الاجتماعيات والاخلاقيات ويكبو في عبرها حتى في « السانيات »
جرجي عطية شاعر ناثر ولوكان حل شعره « كبائيته » لرقي الى رتبة الشعراء المحلين (بائيته اسم قصيدة عامرة)
(ح)
حسين الحبال مداعباته في « المضحكات المبكيات » ، خير من تكلفه للحديات
حليم دموس شاعر في نظمه ونثره . واحسن ما قرأته له تعريب وحديات الشاعر البرازيلي كاريمير دي ماريه
(خ)
خليل زينيه صحافي ثابت على مبدئه واعجب ما فيه ثباته على ما يلقب به نفسه (اسم مستعار) في ديوان كتابته (مع ان هذا اللقب يدل على المراوغة)
خليل سعد كاتب يطرق كل موضوع ويجيد في بعض موضوعاته
داود مجاعص مداركه اوسع من معارفه ، وجرأته ابلغ من كتابته
(ر)
رشيد عطية « نسخة من الاعراب ، في لغة الاعراب » (اسم كتابه)
(س)
سعيد الشرتوني نسخة من « الجاسوس على القاموس » (لاحمد فارس الشدياق)
سليم عقاد من اراد أن يعرف ما هو فليقرأ « الاحوال »[3] فهي هو او هو اياها (وان غضب سيبويه)
(ش)
شبلي ملاط شاعر مطبوع وكاتب مصنوع
شكيب ارسلان كاتب محقق ، وشاعر مغلق ، فهو من القليل الذين اشار اليهم ابن خلدون
شكري العسلي كاتب مقل لكنه مجيد

---

(٢) (الصفاء) لعلي ناصر الدين ، اول الامر كانت مجلة في لبنان ثم تحولت الى جريدة مع بقاء الاسم نفسه وجعل يحررها امين ناصر الدين ، وعلي والده

(٣) هذه الجريدة في بيروت وهي الوحيدة في صحف العالم العربي ، التي في سنة ١٩١٤ جعلت تصدر مرتين

(ط)

طاهر الجزائري [٤] فهرس كتب خطه ، او ديل « لكشف الظنون »

طه المدور مثال للشيبه الكريمة المادي.

(ع)

عارف البكري والبدر اول ما يكون هلالا

عبد الحميد الزهراوي هو الكاتب المشرف من ذروة فكره النير على سهول الحقائق

عبد الغني العريسي لو ارتقى قلمه المتدفق حية الى اعلى من الحسيات لخدم وحده امته العثمانية خدمة كبيرة

عبد الباسط فتح الله كاتب مقل نير الفكر

(ف)

فيلكس فارس خطيب يغوص في بحر من النور والهواء ، فهو كالسمكة في الماء ، اذا فارقه ادركه العياء

فؤاد حتتس هو والعريسي كالشاخص والظل

(ك)

كامل حية واذا رأيت من الهلال نموه ـ ايقنت أنه سيصير بدرا كاملا

(ل)

لويس شيخو لو حلت كتابته في التصغر لكان الباحث الشرقي الفذ

(م)

محيي الدين الخياط اقدر الكتبة على الناس كتابته الثوب الذي يريده ، ولولا العريب في شعره وبعض نثره لكان اقدر من كتب وعلم

محمد كرد علي لو مزج المعقولات بالمنقولات ، وحفف من المملولات لكان « المقتبس » و « الهلال » كفتي ميزان[٦]

محمد الباقر ذكاؤه اكثر من علمه ، وعقله اكثر من حسه

محمد علي حشيشو نسخة من مجلة « العرفان » لصاحبها احمد عارف الزين

مصطفى الغلاييني لو انصرف للخطابة وحدها وكان في الشرق حميات اشادية تشبيرية لما اختارت غيره خطيبا ، يستدني الأصم في خطابته

(ن)

نعوم لبكي اقدر من يخدم الاحزاب المتصارعة في كتابته ■■

(٤) الشيخ طاهر الجزائري كان صديق مدحت باشا والي سوريا المصلح المشهور أو اخر المصلحين الكبار في الدولة العثمانية في الثلث الأخير من القرن الماضي فاستفاد الشيخ طاهر من صحبته معه كثيرا والشيخ طاهر هو منشئ « المكتبة الظاهرية » المشهورة في دمشق ، والظاهرية نسبة الى الملك الظاهر

---

(٥) شنق في دمشق وقت الحرب العامة الاولى كما شنق عبدالغني العريسي في بيروت شنقهما السفاح أحمد جمال باشا التركي قائد الجيش الرابع

(٦) « الهلال » لجرجي زيدان « والمقتبس » اسم مجلة انشأها محمد كرد علي في مصر اولا وبعد اعلان الدستور العثماني نقلها الى دمشق

البلانكتون .. طعام المستقبل

بقلم . رجب سعد السيد

مند سنوات ، بدا العلماء فى دراسة امكانيات استغلال الهائمات البحرية التي تتمثل فى الاعداد الهائلة من الكائنات الميكروسكوبية ، والماكروسكوبية (اكثر قليلا) ، نباتية وحيوانية ، التي تعيش هائمة مع التيارات والامواج فى الطبقة السطحية من البحار

وهذه الكائنات الهائمة النباتية (الفيتوبلانكتون) ي المصدر الاول للحياة في البحر ، أو الأساس العريض هرم الغذائي في البحار والمحيطات فهي تقوم عمليات التمثيل الضوئي ، فتحيل الاملاح المعدنية وجوده فى مياه البحار (فوسفات ونترات وغيرها) الى واد سكريه ، خلال عملية التمثيل الضوئي ، وتاتي لكائنات الهائمة الحيوانية فتتغذى على هذه الكائنات هكذا

ولا بد أن يتوفر للفيتوبلانكتون أن ينمو فى الطبقة لسطحية التي تغمرها أشعة الشمس ، مصدر الطاقة في عملية التخليق وهذه الطبقة من المياه تختلف في عمقها ن مكان لاخر تبعا لخط العرض ، ومدى شفافية الماء ، لكنها فى الغالب لا تتعدى المائة متر عمقا

دور لحركة المياه

ومن العوامل الأساسية التي تسبب زيادة تركيز الهائمات البحريه ، وبالتبعية الاسماك ، الحركة الافقية والرأسية للماء ، والتي تأتي بالاملاح الغذائية من الاعماق فهذه الأملاح هي نواتج تحلل المواد العضوية الميتة المترسبة عند القاع ويؤدي التغير الموسمي فى المياه على الاعاصير الغازية ، في المناطق المعتدلة ، الى ازدهار البلانكتون في فصلي الربيع والخريف

وفى أماكن أخرى ، خاصة في احزمة الرياح التجارية " Trade Wind Belts " ، تكون حركة المياه عنيفة ، وتتحرك لتحل محلها المياه العميقة الغنية بالمواد الغذائية ، وتعطي بذلك فرصة عظيمة لعمليات الصيد ، كما في بيرو وجنوب أفريقيا فزيادة الهائمات البحرية تعتمد على حركة المياه ووجود هذه الهائمات معناه غنى المنطقة بالاسماك

وبالرغم من أن البلانكتون النباتي يعتبر المنتج الاساسي فى البحار ، فانه مستبعد من تفكير المهتمين باستغلال الهائمات البحرية كمادة مناسبة للرعي المباشر على مستوى اقتصادي كبير . وذلك لصغر حجم وحداتها ، ولصعوبة الاحتفاظ بها ، على الأقل فى هذه

المرحلة من التقدم التكنولوجي لذلك ، كان من الضروري التحرك على مدى السلسلة الغذائية وانتقاء الهائمات الحيوانية (زوبلانكتون) ، وهي المرحلة التالية للبلانكتون النباتي

وتتكون الهائمات الحيوانية من تشكيلة كبيرة من الكائنات الحية ، منها مكونات دائمة ، ومكونات موسمية فاذا كان الهدف هو أن نحصل على نوع معين منها ، فلا بد من خروج كميات بسيطة من أنواع أخرى معها . وللتحكم في هذه الكميات ، وجعلها في حدود معقولة ، تكون الشباك مناسبة ، أساسا ، لصيد الكائنات الكبرى فهي تعطي نتائج أفضل

ويقترح بعض العلماء الاعتماد على مجموعة من أهم المجموعات المكونة للبلانكتون الحيواني ، وهي Euphausiid Group وهي مجموعة تحتوي على بعض القشريات التي لا تحتاج الى مجاهر قوية للتعرف عليها ، اذ يتراوح الطول في معظم أنواعها بين ١٥ و ٢٥ ملليمترا وهذه المجموعة تصنف كبلانكتون لأنها ـ بالرغم من كونها سابحات نشطة ـ فهي ليس لديها القدرة الكافية على الحركة المستقلة وسط الحركة العامة للتيارات البحرية

٢٨ مليون طن

ويختلف موسم التغذية لهذه القشريات البلانكتونية تبعا للنوع والمنطقة وهو ، في المنطقة الشمالية الشرقية من المحيط الاطلنطي ، يأتي في شهري فبراير ومارس ، حيث تعتبر هذه الفترة أكثر انتاجية في الصيد . ولكنها ، على كل حال ، ليست الفترة الوحيدة

وقد وضعت عدة تقديرات لكمية أفراد هذه المجموعة في بحار العالم ، منها تقدير I. a. Ponomareva الذي يشير الى أن وزن هذه الكائنات في بحار العالم يصل الى ٢٨ مليون طن ، أي بمعدل ٠٫٠٨ جم / متر مربع من سطح البحار

وفي القطب الجنوبي ، حيث تشتد حركة المياه ، تكون كثافة هذه الكائنات ـ التي تسمى بصفة عامة كريل Krill — ١٠٠٠متر مكعب من الماء على طول سطح طبقة قدرها ١٠٠ متر ، كما أن هناك مناطق أخرى بها تركيزات كبيرة من « الكريل » تمتد بين كوريا واليابان ، وفي جنوب كاليفورنيا ، وكذلك على طول السواحل الشمالية الشرقية بين الولايات المتحدة الأمريكية وجرينلاند ، وفي البحار الشمالية ، والشمالية

العربية الاوربية وتجري ، في الوقت الحالي ، دراسات لمعرفة مدى تواجد هذه الكائنات في سواحل كل من روسيا واليابان والنرويج ، وذلك لادراك العلماء في هذه الدول لمدى الأهمية المستقبلية لهذه المجموعة من القشريات الماكروسكوبية البلانكتونية

وجدير بالذكر أن الكريل يمثل الغذاء المفضل لأنواع عديدة من الحيتان كانت تستهلكه بكميات كبيرة وربما لحسن الحظ ، فان المخزون العالمي من الحيتان قد وصل الى حافة الهاوية ، أو الاندثار لذلك فان الكميات الضخمة التي كانت تستهلكها الحيتان باتت متوفرة ليستغلها الانسان

وثمة طريقتان لجمع أو حصاد مراعي الكريل الشباك ، والمصحات وتشير التجارب الى أن اتحاد الوسيلتين أفضل من استخدام أيهما على حدة كذلك يصبح الأمر أفضل كثيرا اذا استخدم الضوء الصناعي مع اتحاد الطريقتين

ويتم جر الشباك ، في المياه السطحية ، بسرعة صغيرة ، لاعطاء الفرصة للكائنات الكبرى ، مثل الأسماك ، لتهرب ويتطلب الأمر بعض الوقت للبحث عن هذه القشريات ولكن ، عند رؤية تجمعاتها يصبح الأمر سهلا ، ويعوض الوقت الذي انفق في البحث عنها
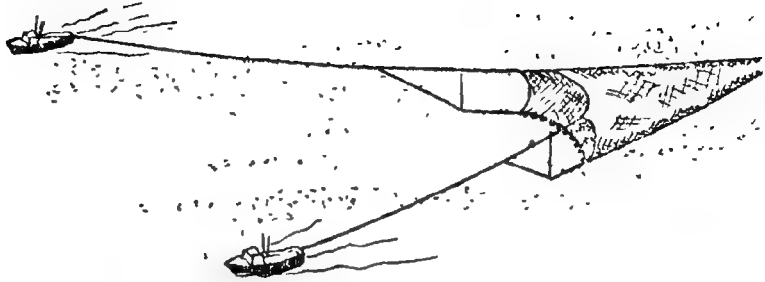
طريقه حصاد البلانكتون ، فاربان صغيران يجران الشبكه و « سفينة ام » تسحب حرطوم ، أن عمليه « الحصاد » تتم في المناطق الغنيه بالبلانكتون والمحددة من ة

ويوضح الشكل المصاحب للمقال كيف أن الشبكة التي يجرها قاربان صغيران تقوم بجمع المحصول ، بينما تقوم مضخة في السفينة الكبيرة في الخلف (تسمى السفينة الأم) بسحب المحصول خلال خرطوم مرن ولتوفير كافة ضمانات النجاح الاقتصادي للعملية ، فان قوارب الجر تظل مشغولة بعملها طول الوقت ، بينما ينقل المحصول بواسطة سفن نقل أخرى الى مراكز التعبئة والتصنيع ، أو يتم ذلك فوق السفينة الأم ذاتها ، فلا تتعطل عملية الحصاد

ومما هو جدير بالذكر أن هذه الهائمات تقوم برحلة يومية عموديا في البحر ، فتصل الى أعماق كبيرة خلال ساعات من النهار ، ثم تصعد الى السطح في الليل لذلك يلزم ، خلال النهار ، استخدام أجهزة تساعد في الكشف عن تجمعاتها وتقدر كثافتها وبعدها عن مجال الشباك ويمكن ، في مجال استكشاف تجمعات الكريل عامة ، استخدام الرؤية البشرية للتعرف على وجوده من خلال لون المياه ، اعتمادا على الخبرة الطويلة ، ويمكن ، أيضا ، استخدام وسائل أخرى تعد من الدلائل على وجود الكريل مثل تواجدالحيتان في نفس المنطقة وأيضا

تتبع الاصاءة طيفك مائلا بمنامي
كائنات الكريل الا كعبتي وإمامي ؟

ويبقى أن ـة من ثغرك البسلم
الـكريل للاستاستبقي بها أيامي
المحاولات أن نعد
المطابع فور خروجهس منيتي وحمامي
نكهة محببة ، ورائحت ستور ظلامي
الى الارز ابداعه الهامي

وأمكن ، أيضا ، اد
عديم الطعم ، له قابلية كـ
كما يستخدم مرق الدجاج اد شبه سهلم
وأصناف الطعام الأخرى الفقيره ا، حسلم
الغذائية
ا.

ان ثمة آمالا كبيرة تعلق على الكريل كنوع يضاف الى قائمة الأغذية البشرية ■■

رجب سعد السيد
باحث بمعهد علوم البحار والمصايد ـ الاسكندرية

× قال بعض السلف « الايادى ثلاثه . يد بيضاء ، وهي الابتداء ويد خضراء وهي المكافأة ، ويد سوداء وهي المن » .

مرثية حب

شعر جمال حماد

دي حصامـك هد كمـاك ملامي   ليس الهـوى مارادتـي ومرامي
تروميـن العتـاب ترفقي   ان الهـوى قدر من العلاّء
ـمك قد أصاب جوانحي   فلـم العتـاب وقسـوة اللوام
طرفٌ فاتك   ويلام من امسى شبيه حطنه
ـحـب واصل   بلـع الـدرا ومواطـس الأحراء
حب ظالم   فعلى شهيد الحـب ألف سلام

●●●

ع معذب   من برح أشجانـي ومـن أسقامي
فلا يرى   الا ظلامـا في خضـم ظلام
ـون يذيبه   وحـدي ويستهـويه فرط هيامي
عذاؤه   نار سرت في أضلعـي وعظامي
شرابه   من سـع أوجاعـي ومـن الامي
في بطـن الثرى   سيظـل حبـك في التـراب ذمامي

●●●

لحـب الكتـوم كأنني   قيثـارة محبوسـة الأنغام
أغانـي الـنّوح لحنـا باكيا   وعـدت خمائلـا بغـير حلم
وعـدت مراتعنـا وأيكة حبنا   منزوعـة الأزهـار والأكمام
وكأن أنغـام القـريض وبحره   معزوفـة أنعـي بهـا أحلامي
وكأن أبياتـي نواح قصيدة   أرثـي بهـا أشـلاء قلبـي الدامي
وكأن اهاتـي عويل جنازة   شيعـت فيهـا مهجتـي وغرامي
وكأن واحتنـا ببيداء الهوى   لمع السراب وجنـة الأوهام

معقو
الكائنات
ويقترح نع
المجموعات المكونة
Euphausiid Group وذاه
بعض القشريات التي لا تحتاج
عليها ، اذ يتراوح الطول في معظم ا
ملليمترا وهذه المجموعة تصف ك
بالرغم من كونها سابحات نشطة ـ
القدرة الكافية على الحركة المستقلة و
للتيارات البحرية
٢٨ مليون طن
ويختلف موسم التعدية لهذه المجموعة
تبعا للنوع والمنطقة وهو ، في الجنوب
من المحيط الاطلنطي ، يأتي
حيث تعتبر هذه الفترة أكثر ا
على كل حال ، ليست الف
وقد وضعت عدة
في بحار العالم ، و
يشير الـ
٨

وألوم نفسي لو نسيتك لحظة ... ويظل طيفك ماثلا بمنامي
وعشقت روحك عشق عبد خاشع ... هل أنت الا كعبتي وإمامي ؟
وأبيع كل عوالمي ورغائبي ... في ومضة من ثغرك البسام
ما أنت الا الروح يحييني بها ... حبي وأستبقي بها أيامي
لولاك ما كانت لنفسي غاية ... ولذقت كأس ميتتي وحمامي
ما أنت الا النور يهدي وهجه ... عيني ماأزاحت ستور ظلامي
ما أنت الا الوحي من اشراقه ... شعري ومن ابداعه الهامي

●●●

وجمالك الخلاب سحر غامض ... واللحظ في عينيك شبه سهام
والرقة السمحاء سحر معجز ... والقامة الهيفاء مثل حسام
من أنت يا رمز الجمال وتاجه ... حيرت كل مدارك الأفهام
هل أنت من بين الملائك آية ... أم نفحة من صنعة العلام
عاتبت فاهتاجت شجون خواطري ... هل يشكو من فتك السهام الرامي ؟
ورطت في صب يجود بروحه ... ليرد عنك غوائل الأيام
أفديك ان مست جناح بعوضة ... خديك أم من هبة الأنسام
فاليوم أهديك القصيد يصوغه ... قلبي وليس صناعتي وكلامي

قصة بقلم : الدكتور شكري محمد عياد

لمحة تاريخية عن قرية « ك »

قرية « ك » قرية حدودية . لا أعني انها واقعة على حدود بلادنا المحروسة ، بل أنها تجاوزت المفهوم العادي لكلمة « قرية » وان لم تبلغ ان تسمى مدينة . فسكانها يتكاثرون بسرعة رهيبة ، رغم الجهود اليائسة التي تبذلها الحكومة ، والمؤسسات الأهلية ، وبعثة الخدمة الاجتماعية التي تنفق عليها الدولة العظمى ، والتي اتخذت لها مقرا دائما في وسط البلدة . فاليمين واليسار في قرية « ك » لم يتفقا على شيء الا محاربة هذه المؤسسات ، ولذلك تضاعف عدد سكان قرية « ك » خلال السنوات العشر الأخيرة ، وهو مستمر في الزيادة بمتوالية هندسية لا يمكن وقفها .

لقد ازدهر العمران في قرية « ك » بصورة تدعو الى الفخر فيها الآن مدرسة اعدادية للبنين وأخرى للبنات ، وعدة مدارس ابتدائية ، وأهلها يطالبون منذ سنوات بمدرسة ثانوية ، وقد راحت اشاعة في العام الماضي بأن مشروع المدرسة الثانوية مدرج فعلا في الخطة الخمسية الحالية ، فذهب وفد من الأعيان الى مقر المنطقة التعليمية في عاصمة الاقليم ليستعجلوا التنفيذ ، وهناك فوجئوا بأن ناسا في الوزارة والمنطقة يزعمون أن المشروع المقرر هو انشاء معهد فني (زراعي صناعي) بعد الاعدادية ، وهنا ثاروا ثورة عارمة ، لأنهم شعروا أن الوزارة (وربما المنطقة أيضا) ما زالت تنظر اليهم على انهم مجرد قرية على شمال السماء ، في حين أن سكان « ك » بلغوا في التعداد الأخير ثلاثين ألفا ، ولا شك انهم تجاوزوا الآن خمسين ألفا ، ولعلهم ـ وقت كتابة هذه السطور ـ يقتربون بسرعة الصاروخ من رقم الستين ألفا ، وهو رقم يقارب أو يعادل أو يفوق تعداد سكان بعض الدول التي تتمتع بكراسي في منظمة الأمم المتحدة

وقد امتد العمران في قرية مدينة « ك » الى درجة تثير اعجاب جميع ركاب الأوتوبيس الذي يربط بين عاصمة الأقليم وعاصمة البلاد فاينما التفتوا على مشارف القرية المدينة من جهة الجنوب أو الشمال رأوا بنايات أنيقة لا تختلف في شيء عن تلك التي تزدان بها ضواحي عاصمة الاقليم أو العاصمة الكبرى نفسها ومن المؤكد أن قلة قليلة منهم فقط هي التي تتمتع بالسكنى في منازل تشابهها من حيث النظافة والراحة ، وان كان من المستحيل ـ بداهة ـ أن تشابهها في نقاء

ـانها الذي يأتي من الحقول ، اذ أن قرية مدينة « ك » تزال تحيط بها الحقول من كل ناحية ، فهي لم تلتحم ـد بالمدينتين المجاورتين ، اذا استثنينا المناطق القريبة ـن الطريق الزراعي ، ولا تزال هناك مساحات واسعة ـصل بينها وبين القرى المجاورة التي تحاول عبثا أن ـخل معها في منافسة للظفر بلقب مدينة ، مع ما ـصاحب هذا اللقب من انشاء « مركز » اداري ومحكمة ـزئية ورواج تجاري وارتفاع في اثمان الأراضي وايجارات لمساكن

وقد حلت محل التسمية القديمة الساذجة للطريق لزراعي باسم المدينة التي يتجه اليها ـ عاصمة الاقليم ان اردت الاتجاه شمالا ، وعاصمة البلاد الكبرى ان اردت الاتجاه جنوبا ـ أسماء أخرى تليق بالتطور الحضاري الذي حققته البلدة ، وتسجل بعض الأحداث التاريخية المهمة التي أثرت في حياتها فالقسم الجنوبي من الطريق الزراعي اسمه شارع الثوار ، لأن معظم البنايات التي بنيت على جانبيه ـ وهي بنايات متواضعة في الحقيقة ـ ملك لمجندين حاربوا في البلد البعيد وعادوا منه بمعظم أعضائهم ـ واحيانا بأعضائهم كلها ـ سليمة تقريبا والقسم الأوسط اسمه شارع الأحرار ، وهو أحدث وأوجه من سابقه ، ومعظم ملاكه من الفلاحين الذين تحولوا الى عمال بناء ، وسافروا الى البلاد التي بارك الله حولها وعادوا بعد بضع سنين وقد امتلكوا أراضي زراعية لا يزرعونها بأنفسهم والقسم الشمالي ـ وهو أحدث الأقسام الثلاثة وأشبهها بضواحي المدن الكبرى ـ اسمه شارع التجار ، ومعظم ملاكه ـ كما يمكنك أن تتوقع اذا كنت ملما بالتاريخ المعاصر ـ من المدرسين المعارين الذين عادوا من تلك البلاد السعيدة برؤوس أموال طيبة استغلوها في التجارة دون ان يتخلوا عن وظائفهم التعليمية في البلدة وما حولها

وعندما كانت « ك » قرية فقط ، لا قرية مدينة ولا قرية حدودية ، لم تكن أيام العطلات الرسمية تختلف عن غيرها من الأيام في أي شيء بل كانت كلمة « عطلة رسمية » تعني دائما مفاجأة غير سارة ، عندما يذهب أحد الأهالي الى عاصمة الاقليم لقضاء مصلحة في جهة حكومية ، فيفاجأ بهذه الكلمة التي تساوي عنده مشوارا خائبا ويوما ضائعا أما في هذا العصر ـ عصر الوحدة المجمعة والجمعية التعاونية والمدارس الكثيرة اعدادية وابتدائية بنين وبنات ـ فقد أصبحت العطلة الرسمية تعني يوما من التراخي والكسل فيما عدا القلة

العليلة الذين يذهبون بمواشيهم الى الحقول مع النحمة بطل قرية مدينه « ك » نائمة او هاجعه او مسترخية او مستمعه رجالها ونساؤها يتعللون في المصاحع حتى وقت متاخر من النهار وأطفالها اما يشاهدون التلفزيون (اذا كانوا من سكان شارع الفلاب) واما يلعبون الكرة في ساحة الحرن أو في حي السكة الحديد أو على الطريق الزراعي نفسه

الساعات الأولى

في ذلك اليوم (لم يعد الناس يذكرون متى اصبح عائلة رسمه او لماذا) انتبهوا على صياح ينبعث من مكبر للصوت قوي طبوا أول الأمر انه اعلان عن محل تجاري جديد . ثم رجحوا انه احتفال من احتفالات النشاط المدرسي في المدرسة الاعدادية للبنين . فقد كان الصوت ياتي من هناك . وكانت تتخلل الكلام بعض الأناشيد الحماسية ولكن الرجال ما لبثوا أن اعتدلوا مصطجعين على مرافقهم ، بينما أسرعت نساؤهم الى الشبابيك ، وكل واحدة تسأل جارتها أما الاولاد فقد تركوا الكرة تجري وحدها ، وأرهفوا اسماعهم ثم انطلقوا عدوا الى المدرسة الاعدادية

لقد خرقت اذانهم ـ بعد الضجة الأولى التي تلقوها بدون اهتمامهم ـ كلمات مثيرة كلمات مرعبة

ولاحظ الأولاد وهم يعدون أن جدران بعض المنازل على الطريق الزراعي مغطاة باعلانات ذات خط سحري كبير جميل ، يمكن أن يقرأه ركاب الأوتوبيس أما على المدرسة نفسها . فقد كان هناك ما هو أفظع

كانت هناك لافتة من القماش بطول عشرة أمتار تقريبا ، تتوسط واجهة الطابق الثاني . وقد كتب عليها بنفس الخط . ولكن بحروف كبيرة جدا . يمكن أن يقرأها الواقف على بعد مائتي متر « المقر المؤقت لجبهة التحرير الوطني »

وعلى يسار اللافتة . برز من الشرفة المتصلة بحجرة مدير المدرسه علم كبير مكون من شقتين مخططتين من القماش أحمر والأسود

أخذ الأولاد في الصياح . ولكن صوتا مرعجا انطلق من الميكروفون المثبت على سطح المدرسة

ـ أيها المواطنون أيها المواطنون انتبهوا جيدا لا تقتربوا من السور السور مكهرب السور مكهرب السور مكهرب نحن واثقون من تأييدكم واثقون من مشاعركم الوطنية بحركتنا نابعة منكم من أعماق ضمائركم وإن ساعة الزحف المقدس لم تحن بعد ابقوا

في مواقعكم انتظروا ساعة الخلاص سنناديكم الى قريبا قريبا جدا لتؤدوا دوركم وسط جموع شعبنا الزاحفة

اشتد الصياح واختلط بجلبة الأناشيد الحماسيه وفي دقائق قليله أصبح الحشد أمام المدرسة الاعدادية يقدر بالمئات . ان لم يتجاوز الألف رجال ، نساء أطفال وعند الطرف الأقصى لهذه البركة البشرية وقف العمدة وضابط النقطة وقد بدا على وجهيهما الرعب والذهول . وبين لحظة وأخرى يلتفت احدهما الى صاحبه محاولا النطق ببعض كلمات . ولكن شفتيه تتحركان بصعوبة الصوت لا يخرج . الريق جاف . الوجه قطعة من الهباب

لطم العمدة خديه واحس ضابط النقطة بألم كاو في أسفل خدعه حين سمعا النداء التالي

ـ نداء الى سلطات البلدة نداء الى سلطات البلدة نحذركم من ابداء أي مقاومة ان الثورة ستضرب بيد من حديد على العملاء والخونة يسقط الظلم يسقط الاستبداد تسقط الرشوة تسقط المحسوبية لقد حانت ساعة القصاص

ردود الفعل في قرية « ك »

لم يشعر أهل بلدة بالحقارة والعظمة مجتمعتين كما شعر أهل قرية مدينة « ك » في ذلك اليوم تهامس الشباب المتعلمون . من كان يظن أن شرارة الثورة تنطلق من هنا . من كان يظن أن قريتنا المتواضعة (سيبا) بهذه الصورة . فغر الفلاحون أفواههم ما الحكاية ؟ ما الخبر ؟ لماذا لا يتركون في حالهم ؟ لا بد أن تأتي الحكومة الآن . وياكل رجال الحكومة كل ما بقي عندهم من أوز وبط ودجاج . هذا غير البيض والفطير هز الحدود رؤوسهم وشخصت عيونهم من تحت حواجبهم الشعثاء التي احتلط سوادها بالبياض ما كانت هكذا « الهجة » الكبيرة التي شاركوا فيها وهم في عمر هؤلاء الصبية بعد سنة مستريبة ينادي الحد أحد أحفاده ليلعب معه « السيجة » الى أن تنجلي الامور اما اشد أهل البلدة فزعا فكانوا هم سكان السرايات الوجيهه الذين تجلت لهم الحقيقة المرعبة فجأة حقيقة أن ما شادوه باراقة دمائهم مرة وماء وجوههم مرة أخرى . سنين وسنين . يمكن أن يهدم في لحظة . حين تأتي جيوش الحكومة فلا تبقي المدافع والدبابات والبلدوزرات شيئا يدل على ما كان يوما شارع الثوار أو شارع الأحرار أو شارع التجار

خطوات حازمة لتصفية الحركة

على الرغم من الرعب الذي استولى على قلب العمدة وقلب ضابط النقطة ، فيجب أن يقال ـ للحقيقة والتاريخ ـ انهما اثبتا شجاعة منقطعة النظير ، حين سحبا من موقفهما على حاشية الجمهور الحاشد واسرعا الى الدوار ، حيث وجدا أحد الخفراء معمى عليه واخرين اصيبا باسهال شديد مفاجيء . وكان اخشى ما يخشاه العمدة ـ هكذا ظل يردد طول الطريق ـ ان يكون الاتصال التلفوني قد قطع . لذلك تمم بالشهادتين لما سمع صوت المامور نفسه على الطرف الآخر ، واذ سأله رجل الحكومة عما يكر به هتف بصوت ملتاع

ـ الحقنا يا سعادة البيه . البلد مقلوبة . عند المدرسة الاعدادية . الحقنا بالعسكر الى عندك كلهم . كلهم .

وعندما استطاع المامور ان يستخلص منه حقائق الموقف ، لم يستغرق اصدار قراره الحاسم اكثر من دقيقة واحدة . فقد اتصل بمدير الأمن . الذي أبلغ المحافظ الذي ابلغ وزير الداخلية . الذي أعلن حالة الطوارىء القصوى في طول البلاد وعرضها ، وعقد مجلسا من كبار اعوانه

ويجب أن يقال ـ للحقيقة والتاريخ أيضا ـ ان هؤلاء الرجال لم ينظروا الى المسألة باستخفاف . حقا ان خبرتهم الطويلة بمثل هذه الحركات الطائشة تعفي اعصابهم في ثلاثة مهما تأزمت الأمور ، ولكنهم لم ينظروا الى المسألة باستخفاف . وقد اجريت الاتصالات اللازمة بوزارة الدفاع وتقرر ما يأتي

أولا . اعلان حالة الطوارىء القصوى في الجيش اضافة الى قوى الأمن .

ثانيا . تتوجه سريتان من قوى الأمن الداخلي بالاقليم الى الموقع باسلحتها الخفيفة .

ثالثا . نظرا لأن الدبابات تتمتع بسمعة طيبة في قمع الاضطرابات واظهار قوة الحكومة ، ترسل القيادة العسكرية الاقليمية دبابتين من طراز (يحسن أن نتجاوز عن تحديد الطراز ، لئلا نتهم بافشاء اسرار عسكرية ، ويكفي القول أن هذا الطراز اختفى من معظم جيوش العالم منذ الحرب العالمية الثانية) لتنضما الى قوى الأمن .

رابعا . ترسل القيادة العسكرية فصيلة من المظليين تتدخل في الوقت المناسب طبقا لأوامر قائد قوى الأمن

وكانت بعض الآراء في المجلس تميل الى مضاعفة اعداد القوات لضمان اخماد الحركة في اسرع وقت ، ولكن الوزير ، بحصافته المعروفة ، قدر احتمال كون الحركة التي ظهرت في هذا الأقليم المشهور بهدوئه واستقراره مجرد خدعة لتحويل الانظار عن بؤرة الاضطرابات الحقيقية . وهذا هو في الواقع معنى القرار رقم (أولا) .

والحقيقة التي لم يصرح بها الوزير لأحد هي أنه كان يشك دائما في سلامة التقارير التي يرفعها اليه مدير الأمن . فقد كان رأيه في هذا المدير أنه يجمع الى صفة الغباء صفة الكسل ، ولذلك فان مراعيه عن هدوء الأحوال وخلو اقليمه من كافة أنواع النشاط المتطرف أو الهدام لم تكن تعني أكثر من عدم استعداده لبذل أي جهد لكشف المؤامرات التي يدبرها العملاء والخونة لقلب النظام . وكان قرار الوزير ـ الذي أرجأ اعلانه الى أن يتم اخماد الحركة وينسى الناس أمرها ـ هو احالة هذا المدير الى الاستيداع في الحركة المقبلة التي ستكون في الواقع حركة تطهير .

في الوقت نفسه كان مدير الأمن في الموقع يطل من نافذة سيارته الأمريكية السوداء ، وبصحبته اثنان من ضباط المخابرات ، وخلفه فصيلتان من قوى الأمن في سيارتي نقل . وكانت خطته هي جمع أكثر ما يمكن من المعلومات لتقدير حجم العملية والأخطار المحتملة قبل القيام بأي عملية يمكن أن تثبت رعونتها اذا وقع المحظور ، الذي كان يتمثل في شيئين

الأول ـ احتمال وجود رهائن داخل المدرسة

الثاني ـ احتمال اصابة أحد من سكان المنازل المجاورة . ولذلك قامت القوة الصغيرة التي رافقت مدير الأمن باخلاء السكان (من بقي منهم) وكانوا قد وصلوا الى حالة من الرعب تثير الاشفاق

أما الجمهور الحاشد الذي تجمع أمام المدرسة فلم يحتج الى جهد في تفريقه ، فما ان رأوا رجال البوليس بملابسهم السوداء والخوذات على رءوسهم والبنادق معلقة بأكتافهم ، حتى انسحبوا الى مسافة بعيدة ناحية البلدة ، بحيث تمكنهم ملاحظة ما يدور وهم بمأمن من الخطر وقام الخفراء ـ وقد ارتفعت معنوياتهم منذ قدوم مدير الأمن ـ بتفريق البقية الباقية ، وكان معظمهم من التلاميذ الكبار في المدرسة او تلاميذ المدرسة الثانوية في عاصمة الاقليم

(الأوامر التي أصدرها مدير الأمن في هذا الخصوص كانت مشددة وعاجلة وحاسمة . فالى جانب اخلاء ساحة المعركة حتى يمكن تحريك قواته بالمرونة المطلوبة ، كان من الضروري ابعاد الشبان الطائشين من تلاميذ المدارس ضمانا لعدم وصول معاونة خارجية من أي نوع الى المعتصمين داخل المدرسة)

كان أخشى ما يخشاه مدير الأمن في هذه المرحلة أن يقدم العصاة على احتلال بعض البيوت المقابلة للمدرسة والتحصن فيها ، وبذلك يكونون شبه كماشة على قوات الحكومة ، ويمكن أن تتطور الحركة الى أبعاد لا يعلمها الا الله فمدير الأمن نفسه لا يعلم الا القليل عما يجري في اقليمه ، ولكنه يملك الشجاعة الكافية للاعتراف بذلك على عكس نظرائه في الأقاليم الأخرى الذين يحرصون على أن يمدوا الوزارة مرة أو مرتين كل سنة ببيانات ملفقة عن تحركات مريبة أو منظمات قائمة فعلا تخطط لقلب نظام الحكم في حين أن كل من عمل في الريف يعلم أن العلاقات العائلية لا تزال تحكم كل شيء فيه ، بما في ذلك السياسة ، وليس ببعيد أن يتستر العمدة نفسه على ارهابي خطر أو حتى مجرم فار مدعيا الجهل بكل شيء ، اذا حتمت عليه اعتبارات عائلية عليا هذا التصرف المشين

والحقيقة أن مدير الأمن كان محبوبا من عمد الاقاليم على الخصوص ـ لأنه يفهم جيدا كيف تسير الأمور في الريف ، وكان فوق ذلك انسانا بسيطا وأكثر تواضعا من أي مأمور مركز عرفوه

في ساحة المعركة

اتخذ مدير الأمن من احدى البنايات المواجهة للمدرسة مقرا لقيادته ، واختار غرفة بالطابق العلوي (يبدو انها كانت مخصصة لاستقبال الضيوف ، فهي ضيقة نوعا ، وكراسيها مغطاة ببياضات من قماش الدريتون) وأحضرت له منضدة كبيرة من منزل مدير المدرسة فبدت الحجرة مقر قيادة لا بأس به

عن يمينه جلس العمدة ، وعن يساره مدير المدرسة ، وهو يمت الى العمدة بصلة قرابة

أكد الرجلان كلاهما أن قضية الرهائن يمكن اهمالها ، وأردف العمدة ـ

ـ سعادتك عارف لو كان هناك رهينة واحدة لسمعت سعادتك «صوات » النساء وأنت في مكتبك بالمدينة

بقيت المشكلة الخطيرة الداهية العظمى كيف يا حضره العمدة ؟ كيف يا حضرة مدير المدرسة ؟ كيف حدث هذا كله وانتما نائمان ؟ ارهابيون ! في هذه القرية الصغيرة الهادئة ! (امتعض العمدة ومدير المدرسة قليلا عند سماع هذه الجملة الأخيرة) ماذا سيقال عنا في الوزارة ؟ ماذا سيقال عني أنا ؟ أين كنت يا حضرة العمدة ؟ وأنت يا حضرة مدير المدرسة ؟ هل تستطيع أن تفسر لي السبب في اختيار مدرستك بالذات لتكون مركزا لعصيان مسلح (الى هذا الوقت لم تكن قد اطلقت رصاصة واحدة ، ولكن ظواهر الأمور كلها كانت تؤكد أنه عصيان مسلح ، وربما كان خطيرا أيضا)

تنحنح مدير المدرسة وقال بصوت هامس مرتجف : يشك في شخص معين ، مدرس جديد منقول من إحدى مدارس العاصمة

انتهر العمدة قريبه لأنه لم يخبره بأمر هذا المدرس قبل ، واضطر مدير الأمن الى التدخل لتهدئة الموقف على الأقل حتى يحصل على كل المعلومات المهمة من مدير المدرسة ؟

ـ انتظر أنت هل هذا المدرس يعقد اجتماعات في بيته ؟

تشجع مدير المدرسة ، واستطاع أن يقول بعبارات متقطعة انه لم يهمل الأمر قط ، انه حريص دائما مع هؤلاء الجدد ، وخصوصا القادمين من العاصمة ، انه كلف أحد السعاة بمراقبته دون أن يشعر ليس من هذه الناحية ، لا ، فلم يكن شيء من ذلك يخطر بباله قبل اليوم ، ولكن سعادتك تعرف النواحي الأخلاقية هذه النواحي مهمة جدا بالنسبة لمدرس في الريف ـ وهو يستطيع أن يقرر بناء على مراقبة دقيقة لم تنقطع طوال الأشهر الثلاثة التي قضاها هذا المدرس في البلدة انه عزب ملازم بيته طول الأسبوع لم تدخل امرأة واحدة بحجة تنظيف المنزل أو تزويده باللبن والزبدة لا يعطي أي دروس خصوصية يذهب يومي الخميس والجمعة وأيام العطلات الى العاصمة وفوق ذلك فهو محافظ على مواعيده ، لم يرسل مرة واحدة طالبا اجازة مرضية ، لم يستعمل يوما واحدة من اجازته العرضية

نظر مدير الأمن الى مدير المدرسة بازدراء وقال من بين اسنانه

ـ لماذا تشك فيه اذن ؟ هل تريد حضرتك ان تضللنا ؟

كان هذا أكثر مما يطيقه مدير المدرسة هو يعلم أنه في موقف صعب فعلا ان يوم العطلة الرسمية هذا يوم منحوس من أوله ، ولكنه رجل مجرب ، أزرق الناب ، ومهما ارتعد أمام السلطة فانه يعرف دائما كيف يجيب وكيف يتفادى الطامات

حلف بالله ودعا على عينيه الاثنتين بالعمى ان كان قد أخفى شيئا ، أو كان ما يقوله سوى الحق الخالص الصريح ، ومع ذلك فان لديه اسبابه الخاصة للشك في هذا المدرس بالذات

أولا ـ هو متكبر ، لم يره أحد مبتسما ، ولم يدخل حجرته « حجرة المدير » الا مرتين طوال هذه المدة من حين جاء لتسلم العمل ، ومرة ليطلع على تقرير مفتش المادة ويوقع عليه بالعلم

ثانيا ـ متحفظ . منطو لا يختلط بأحد من زملائه او من أهل القريه ، كان للمدير احب عابس لا يكف عن الشجار مع زوجته ، ومدير المدرسة ، همس بادب انه درس الترسة وعلم النفس وفضلا عن ذلك فهو دائم القراءه فى علم النفس . اى أن علم النفس هو هوايته المحببه وليس مجرد مادة درسها فى معهد المعلمين ، مجرد ان هؤلاء الانطوائيين . أو هذا الصنف من الانطوائيين بوجه خاص هم اخطر فئات الجنس البشرى على الاطلاق

ثالثا ـ وأخيرا ـ هناك هذه الرحلات الدائمه الى العاصمه ومن الواضح أن حضره المدير لا تمكنه مراقبتها فضلا عن أن هذه المراقبه ليست من اختصاصه

ثم فضلا عن كل ذلك . فالشيء المؤسف حقا هو أن ملف المدرس المذكور لا يحتوى على أى تقرير سرى يتعلق بنشاطه السياسي والذى يرجحه المدير هو ان السبب الحقيقي لابعاد هذا المدرس الى الريف هو انه عضو فى خلية ارهابية . وانه دبر العملية بليل مع رفاقه واتباعه . الذين يمكن أن يحضر عشرات بل مئات منهم بالحافلات الى القرية ويتسللوا الى المدرسة من مختلف الاتجاهات دون أن يلحظ حركاتهم أحد . وكيفما كان الحال فلا شك أن المسئول الوحيد هو الفراش المناوب . الذي كان يجب عليه ان يبقى في المدرسة لحراستها كما تقضي اللوائح . ولكنه فضل بكل تأكيد أن يذهب الى العزبة بمجرد انتهاء الدراسة . وضمها رأسا الى حضن زوجته وهو من أجل ذلك يستحق الضرب بالرصاص لا مجرد الفصل

كان مدير الأمن في تلك الأثناء ينصت الى الميكروفون الذى يجلجل من فوق سطح المدرسة وقد وصل الى البيان رقم ٧ . وأعاده مرتين لم يكن فى البيان رقم ٧ شيء يلفت النظر سوى سب الحكومة . أما الوعود بالرفاهية والعدالة ومحاربة الفساد وعدم الانحياز فلا تختلف عما تعلنه بيانات الحكومة نفسها لذلك شعر مدير الأمن بشيء من الملل وفي هذه الأثناء وردت اشارة بقرارات الوزارة . فلم يكن في وسعه أن يأمر باستدعاء سريتين من قوى الأمن . مع بقاء فصيلة المظليين فى الثكنات انتظارا لتعليمات أخرى

الهجـــوم

ربما بدافع الملل وحده قرر مدير الأمن أن يبدأ الهجوم سمع من العمدة ومدير المدرسة قصة السور المكهرب فانفجر ضاحكا حتى شعر الرجلان بالخجل والحيرة قال لهما انه يستطيع أن يستدعي فصيلة كاملة من المظليين فيكونون هنا بعد خمس دقائق على الأكثر . ولكنه يستطيع فى دقيقه واحده ان يقطع التيار الكهربائي وكفى الله المؤمنين شر القتال وابدى دهشة لان الفزع بلغ بهما الى حد نسيان هذه الفكره التافهة بعد لحظات كان سيار من قنابل الدخان يحجب سماء المدرسه . وثلاثون من قوى الأمن باسلحتهم الخفيفة يقفزون فوق السور . بينما كان مدير الامن يتابع سير المعركة من مقر قيادته

●

لحظات من الصمت الرهيب . عندما انجلى الدخان كان الجنود الثلاثون قد انتشروا فى فناء المدرسه فى مجموعات . اثنين أو ثلاثة أو أربعة متحصنين وراء جدران الأبنية الخارجية حجرة الاشغال ، دورة المياه ، حظائر الدواجن

تلا ذلك اطلاق رصاصات قليلة على النوافذ والشرفات المغلقة كان الهدف لا يعدو اجبار العدو على الظهور لاصطياده بعد ذلك لاحظ مدير الأمن أن شبحا يتحرك بحذاء سور السطح مقعيا مثل الكلب . وبيديه مدفع كلاشينكوف . ركزه على زاوية السور الجنوبية الغربية

قنبلة يدوية واحدة . جيدة التصويب كان يمكن أن تنسفه بمدفعه ولكن مدير الأمن اكتفى بمتابعته بالنظر لا . هذا انسان لم يمسك مدفعا فى حياته لعله حصل عليه منذ أيام فقط . فليس بينهما ذلك الارتباط الحميم الذى يكون بين الجندي وسلاحه هو يتحرك كمن يمشي فى نومه . ملامح وجهه خالية من أي تعبير . ربما يكون قد اختار هذا الموقع بذكاء . ولكنه غير قادر على الاستفادة منه رفع رأسه قليلا فوق السور . ونظر حوله لمح أحد القناصة فوهة المدفع . ورأسه يطل فوقها صوب الى الرأس باحكام سقط قبل أن يطلق رصاصة واحدة

●

ـ فتشتم المكان جيدا ؟

ـ كل بوصة

تأمل مدير الأمن الوجه الساكن على جبينه دائرة حمراء . كأن أمه أرادت أن تعاقبه وهو نائم

سأل مدير المدرسة

ـ هو ؟

ـ نعم هو

أمر مدير الأمن بانزال اللافتة والعلم الأحمر والأسود . ووضعهما في حرز . ونقل الجثة الى المشرحة

شكري محمد عياد

هل مات داروين حقاً؟

بقلم : الدكتور أحمد أبو زيد

انقضى قرن كامل على وفاة تشارلز داروين فقد توفي في التاسع عشر من ابريل عام ١٨٨٢ عن ثلاثة وسبعين عاما وخلال السنوات المائة التي مرت منذ وفاته ظهرت عشرات الآلاف من الكتب والمقالات التي تتناول بالدراسة والتحليل حياته ونظريته في التطور والتي تعتبر تلك النظرية احدى المنجزات الرئيسية الهامة في تاريخ العلم ، كما ظهرت في الوقت ذاته آلاف أخرى من الكتب والمقالات التي تهاجم النظرية وصاحبها وتوجه اليهما الكثير من الانتقادات او التي تحاول ادخال بعض التعديلات الهامة على تلك النظرية ..

ولقد بدأ الانقسام في الرأي حول النظرية واضحا بمجرد صدور كتاب داروين عن « أصل الأنواع » عام ١٨٥٩ ، اذ تحمس له عدد كبير من علماء البيولوجيا بالذات ، ولعل أهمهم توماس هكسلي الذي كان يصف نفسه بانه (كلب داروين الحارس) بينما تصدى للهجوم على الكتاب ونقده وتسفيهه رجال الدين

بين داروين وماركس

وقصة الصدام بين هكسلي والأسقف ويلبرفورس ، أسقف أكسفورد أثناء اجتماع « الرابطة البريطانية » في اكسفورد عام ١٨٦٠ قصة مشهورة ، وتكشف عن مدى اختلاف الرأي والنظرة الى داروين ونظريته . فقد نهض ويلبر فورس يهاجم النظرية وينقدها في أسلوب خطابي لاذع ، والتفت في نهاية خطابه الى الاستاذ هكسلي قائلا في سخرية « أود ان أسأل الاستاذ اذا كان ينتمي الى القردة من ناحية أبيه أو ناحية أمه ؟» فيرد هكسلي - حسب احدى الروايات - بقوله « ليس للانسان ان يخجل من ان يكون قردا واذا كان لي حد اخجل من ان اذكره فلابد ان يكون هذا الجد انسانا له عقل قلق متقلب ، وتفكير غير مستقر ولا يقنع بالنجاح في مجال نشاطه الخاص ، وانما يلقي بنفسه في المشاكل العلمية التي ليس له بها دراية او معرفة حقيقية ، وكل ما يفلح في ان يفعله هو أن يضفي عليها ستارا من الغموض عن طريق الخطابة الجوفاء ، وان يصرف انتباه السامعين عن النقطة موضوع الخلاف وذلك عن طريق اللجوء الى الاستطرادات البليغة والاعتماد في حذق ومهارة على اثارة المشاعر الدينية »

ومن الطريف ان كارل ماركس كان يريد تصدير الترجمة الانجليزية لكتابه « رأس المال » بعبارة إهداء

عن التايمز اللندنية   بريشة بيتر بروكس (١٩/٤/١٩٨٢)

الى داروين مما يكشف عن مدى اعجابه وتقديره له ، ولكن داروين اعتذر في أدب عن قبول ذلك العرض ، ومع ذلك فقد كتب ماركس بخطه على النسخة التي أرسلها اليه عبارة « من المعجب المخلص » والظاهر ان داروين وضع الكتاب في مكتبته دون أن يقرأه ابدا بل الاكثر من ذلك هو أن داروين كتب الى ولاس Wallace ، فيما بعد يقول « انه من الغباء ان تسود في المانيا فكرة وجود علاقة بين الاشتراكية والتطور عن طريق الانتخاب الطبيعي » ولقد ظل ماركس متحمسا لكتاب « أصل الأنواع » ولنظرية التطور لدرجة انه كتب الى انجلز Engels ، يقول « على الرغم من ان هذا الكتاب يعالج نظرية التطور بأسلوب انجليزي فج فانه يحتوي اسس التاريخ الطبيعي لنظريتنا »

وكان يبدو غريبا ، على الاقل في القرن التاسع عشر ، ان ينادي داروين بهذه النظرية التطورية التي تبدو في رأي الكثيرين من موقف العادي وتنكر فكرة الخلق او على الاقل تتعارض معها ، مع أن داروين كان قد درس اللاهوت لمدة ثلاث سنوات في جامعة كمبردج بعد أن أخفق في دراسة الطب في جامعة ادنبره ولكن داروين يقول عن تلك السنوات الثلاث التي أمضاها في كمبردج « انها كانت فترة ضائعة تماما من عمره ومن حياته » وعلى الرغم من موقف رجال الدين منه ومن نظريته ، فقد دفن داروين في كنيسة وستمنستر ولم يكن هو نفسه يطمع في مثل ذلك التشريف والتكريم على الاطلاق ، وأقصى ما كان يصبو اليه من مظاهر التكريم حين يموت هو أن يدفن في فناء الكنيسة المحلية في بلدته ، ولكن المكانة العالية التي كان يحظى بها اس

ـه العالم الشهير فرانسيس جالتون Francis Galton وما دار بينه من اتصالات في ذلك الشأن ادى الى السماح بدفن داروين في تلك الكنيسة الشهيرة.

وارب ولس حالقا

ويرتبط اسم داروين ـ على الاقل في اذهان عامة المثقفين في العالم ـ بانه الرجل الذي ربط به التطور متحديا فكرة الخلق ، وذهب في ذلك الى حد القول بانحدار البشر من القردة العليا ولكن « الحقيقة اكثر تعقيدا من ذلك ، حسب تعبير الاستاذ كريستوفر بونر فلم يكن داروين هو مؤسس تلك النظرية اذ سبقه اليها عدد كبير من العلماء الطبيعيين الذين كانوا يرون ان صور الحياة المختلفة تطورت كلها عن شكل واحد بسيط ، اي ان هذه الاشكال لم تخلق خلقا مستقلا ومتميزا كل منها عن الاخرى كذلك كان علماء الجيولوجيا يؤكدون ان علم الصخور وعلم الحفريات كـ واقعة بكثير حد من الفكرة العامة التي كانت سائدة لدى معظم الناس في القرن التاسع عشر والتي كانت ترد عمر الارض الى ما لا يزيد على ستة الاف سنة وقد انتشرت هذه الافكار قبل ظهور كتاب داروين عن « اصل الانواع » بسنتين على الاقل وكل ما فعله داروين هو انه قام بتجميع تلك الافكار والآراء المبعثرة المتناثرة وتحليلها بطريقة منهجية فيها قدر كبير من محاولة الفهم والتعمق وقد ساعد كتاب « اصل الانواع » على توطيد فكرة التطور وترسيخها

ولكن الاهم من ذلك هو ان الكتاب يقدم نظرية متماسكة عن الطريقة التي حدث بها التطور ووضع في ذلك مبدأه الشهير عن « الانتخاب الطبيعي » الذي فسر به استمرار بعض الانواع في الحياة واختفاء البعض الاخر في معركتها الكبرى وصراعها من اجل الحياة ولقد دعم داروين نظريته بالمعلومات الدقيقة التي جمعها سواء من ملاحظاته اليومية لمظاهر الطبيعة المختلفة او تلك التي حصل عليها من جزر جالا باجوس اثناء رحلته الشهيرة فوق ظهر السفينة بيجل Beagle وليس من شك في ان مبدأ الانتخاب الطبيعي ، وهو مبدأ بيولوجي في الاصل كان له تاثير هائل في تفكير القرن التاسع عشر بحيث يعتبره الكثيرون بمثابة ثورة حقيقية على الاوضاع التي كانت سائدة في مختلف العلوم والتخصصات وفي ذلك يقول الاستاذ الفريد كروبر وهو من اكبر علماء الانثروبولوجيا المعاصرين ان هناك « نوعا من عدم التناسب بين الاسهام المحدود الذي اسهم

تشارلز داروين

(١٢ فبراير ١٨٠٩ ـ ١٩ ابريل ١٨٨٢)

به داروين في العلم والذي ينحصر في وضع وتحديد مبدأ الانتخاب الطبيعي وبين كل ذلك التأثير الهائل الذي تركه تأسيس هذا المبدأ البيولوجي على العلم الكلي فقد دفع هذا المبدأ علماء القرن التاسع عشر الى البحث عن اصول الاشياء وظهرت بذلك كتابات كثيرة تتناول اصل اللغة واصل الحضارة واصل المجتمع واصل العائلة واصل الدين وما الى ذلك بنفس الطريقة التي تناول بها داروين مشكلة اصل الانواع ومع ذلك فان داروين يعتبر في نظر الكثيرين من العلماء وارثا « ولس » حالقا لمشكلة الاهتمام العام بالتطور بل ان هذا الاهتمام كان اقدم بكثير من ظهور كتاب « اصل الانواع » على ما ذكرنا ولكن لا بد من الاعتراف طوال الوقت بانه على الرغم من ان داروين لم يكن هو اول من ذهب الى القول بتطور الانسان من حالة حيوانية دنيا متواضعة ، فان فكرة التطور كانت قبله مجرد « فكرة نظرية بحتة » فاصبحت على يديه ، وبعد ظهور كتاب « اصل الانواع » ، مبدأ علميا معترفا به ، رغم كل الشكوك والانتقادات والمآخذ التي وجهت والتي لا تزال توجه ، الى هذه النظرية

ومن الطبيعي ان تأتي اول حركة للانتقاد والاعتراض وأشدها عنفا من رجال الدين اي أن معظم النقد لم يصدر في الاصل نتيجة لرفض فكرة امكان وجود علاقة بين الانسان والقردة العليا ، بقدر ما كان

ناشئا عن موقف داروين من فكرة الخلق. ومن الإنصاف أن نقول إن داروين في كتاب «أصل الأنواع» كان حريصا إلى حد كبير على أن يتجنب الكلام عن أصل الإنسان ولم يتعرض لذلك إلا في مرحلة تالية. ومع ذلك فقد وجهت إليه منذ البداية تهمة محاولة التدليل في ذلك الكتاب على انحدار الإنسان من القرود.

وقد أثارت هذه التهمة كثيرا من الدهشة والارتياع والشعور بالمهانة. وقصة زوجة أسقف كنيسة ورستر في ذلك قصة شهيرة وطريفة. فحين أثار أحد المعركة بين هكسلي وويلبرفورس سألت زوجها في ارتياع «هل صحيح أننا انحدرنا من سلالة القردة؟ إني أرجو مخلصة أن يكون ذلك غير صحيح. ولكن لو صح ذلك فإني أرجو أن يبقى الأمر سرا غير معروف».

التطور خطوة خطوة

إلى جانب هذين المبدأين الرئيسيين أعني مبدأ نشأة كل صور وأشكال الحياة من أصل واحد، ومبدأ الانتخاب الطبيعي الذي يعرف لدى معظم الناس بمبدأ «البقاء للأصلح» وهو تعبير صدر عن هربرت سبنسر وليس عن داروين. هناك مبدأ ثالث هام لم ينل الكثير من عناية العلماء التطوريين في القرن التاسع عشر وأوائل القرن الحالي، وأعني بذلك حدوث التطور في خطوات بطيئة وتدريجية ولكنها ثابتة ومطردة، وأن عملية التطور تتم على شكل سلسلة طويلة من التغيرات الصغيرة التي كانت تستغرق حقبا طويلة جدا من الزمن.

ولقد لقيت هذه المبادئ أو العناصر الثلاثة درجات متفاوتة من القبول أو الرفض من علماء البيولوجيا والانثروبولوجيا الفيزيقية. وربما كان العنصر الأول أي تطور كل أشكال الحياة من نفس المبدأ، هو العنصر الوحيد في نظرية التطور الذي لا يزال يجد كثيرا من القبول من أغلب علماء البيولوجيا في الوقت الحالي وبخاصة بعد أن بينت البحوث التي أجريت في مجال الوراثة أن كل الكائنات العضوية تخضع لنفس الشفرة الوراثية Genetic Code مما يقوي - في نظر هؤلاء العلماء - احتمال وجود أصل واحد مشترك لكل هذه الأشكال من الحياة. وإن كان بعض العلماء يرون أن الحياة بدأت أول ما بدأت على كوكب آخر غير الأرض ويدخل في زمرة هؤلاء العلماء فرانسيس كريك الحائز على جائزة نوبل في البيولوجيا، وفريد هويل العالم الفلكي البريطاني الشهير، وليزلي اورجل عالم الكيمياء العضوية وغيرهم من كبار العلماء في مختلف التخصصات التي لها علاقة بعلوم الحياة.

أما المبدأ أو العنصر الثاني، وهو مبدأ الانتخاب الطبيعي الذي يعتبره داروين القوة الدافعة والموجهة الرئيسية في عملية التطور، فقد لقي كثيرا من الاعتراض منذ أيام داروين نفسه. ولا يزال الكثيرون من علماء البيولوجيا في الوقت الحالي يرفضون اعتباره أساسا للتغيرات والتطورات التي تحدث في الكائنات العضوية، ويردون استمرار وثبات الجينات أو المورثات إلى عامل الصدفة وليس إلى الانتخاب الطبيعي. كما يردون ظهور الأنواع الجديدة إلى التغيرات الهائلة التي تطرأ على كروموسومات الكائنات العضوية الموجودة بالفعل، دون أن يكون لذلك أي علاقة بقدرة تلك الكائنات على الاستمرار في الحياة أو صلاحيتها للبقاء.

حلقات كثيرة مفقودة

كذلك يلقى تصور داروين للتطور على أنه عملية متصلة ومستمرة - وإن كانت تتم بشكل بطيء وتدريجي - اعتراضات كثيرة من جانب عدد من علماء الانثروبولوجيا الفيزيقية المعاصرين، ممن أتيحت لهم الفرصة للبحث الميداني والتنقيب والعثور على بعض الحفريات القديمة التي قلبت كل النظريات السابقة رأسا على عقب.

ويكاد هؤلاء العلماء يجمعون الآن على أن الأنواع «الجديدة» لم تكن تظهر نتيجة لتراكم «التغيرات الصغيرة» خلال فترات طويلة جدا من الزمن كما قال داروين، ولكنها كانت تظهر فجأة، ثم تستمر في الوجود دون أن يطرأ عليها أية تغيرات كبيرة حتى تندثر وتختفي تماما، لكي يظهر من بعدها - وبطريقة فجائية أيضا - أنواع أخرى تختلف عنها اختلافا كبيرا، ودون أن يكون هناك مقدمات أو شواهد في الأنواع القديمة تبشر بظهور هذه الأنواع الجديدة الأكثر تطورا - وتمهد لها.

وقد استند أصحاب هذه النظرية الجديدة، إلى جانب الحفريات التي عثروا عليها إلى وجود فجوات وثغرات واسعة جدا في «السجل الحفري» يمتنع معها إمكان تصور التطور على أنه عملية واحدة متصلة ومستمرة. فالسجل الحفري يكشف عن وجود كائنات عضوية تنتمي إلى أنواع مستقرة ومتكاملة التكوين ومتمايزة، ويمكن تحديد رتبتها بكل دقة. ولكنه لا يضم حفريات تشير إلى وجود أي أنواع هامشية أو وسيطة تمثل مرحلة الانتقال من نوع متكامل معين إلى النوع الذي تطور منه ونشأ عنه

واذا كان داروين تكلم عما يسميه بالحلقة المفقودة بين القردة العليا والانسان بوجه عام ، فالواقع ان هناك (حلقات مفقودة) كثيرة تتمثل في تلك الأنواع او الأشكال الهامشية والوسيطة التي تخلو منها سجل الحفريات وقد انتبه داروين بنفسه الى ذلك النقص الخطير واعترف بان السجل على ابامه كان « ناقصا للغاية » حسب تعبيره ولكن هذا الاعتراف يحمل بين طياته ضمنيا راى داروين في ان العثور على مزيد من الحفريات كفيل بسد تلك الثغرات ، وبالتالي اثبات صحة نظريته وهذا امر لم يتحقق حتى الان على اية حال

كل هذه الانتقادات صدرت في الحقيقة عن علماء تطوريين، ولذا فانها لا ترفض مبدأ التطور بوجه عام ، وان كانت تعارض بعض الاراء والاستنتاجات التى جاء بها داروين، وتحاول ان تعدل نظريته او ان تستكمل ما بها من نقص ، وتصحح ما يعيبها من اخطاء كشفت عنها البحوث البيولوجية الحديثة والشيء الواضح من هذا كله هو انه على الرغم من كل ما قاله داروين وكل ما كتبه العلماء التطوريون طوال المائة والعشرين عاما التي انقضت على ظهور كتاب اصل الانواع ، فليس ثمة اتفاق بين هؤلاء العلماء على اصل الحياة وكيف بدأت ؟ وكيف تطورت؟ فلا تزال النظريات العلمية تتضارب وتتعارض الى ابعد حدود التضارب والتعارض

المشكلة أمام القضاء

كل هذه المآخذ والانتقادات التي تتعرض لها نظرية التطور التى تمنع من انها تعتبر واحدة من اهم الانجازات العلمية في ميدان البيولوجيا الحديثة ومع ذلك فان تدريس النظرية يلقي شيئا من المقاومة في عدد قليل من البلاد لاسباب دينيه تتعلق بتعارضها مع قصة الخلق والطريف في الأمر هو أن عددا من الولايات الامريكية ترفض تدريس نظرية التطور في المدارس الثانوية الا اذا درست الى جانبها قصة خلق العالم كما وردت في الكتاب المقدس

والظاهر ان فكرة الخلق تكسب الآن مزيدا من الأنصار والمؤيدين في امريكا حتى بين صفوف العلماء وقد بدات هذه الحركة في امريكا عام ١٩٢٥ حين طالبت بعض العائلات المحافظة والمتدينة في ولاية تينسي بضرورة منع تدريس نظرية التطور في المدارس لانها تفسد عقول النشء وتتعارض مع تعاليم الكتاب المقدس . ورفعت الامر الى القضاء الذي حكم بعدم جواز الاكتفاء بتدريس نظريه واحدة عن اصل الكون ونشأة الكائنات

ولكن انصار فكرة الخلق لم يقنعوا بذلك وانما احذوا يلمون صفوفهم ويعملون على اضفاء الطابع العلمي على القصة الدينية بل وانشاوا عددا من مراكز البحث والكليات والمعاهد العليا التي تقوم باجراء دراسات وبحوث في مجالات البيولوجيا والانثربولوجيا الفيزيقية والحفريات لكي تستخلص منها شواهد يعتمدون عليها في التدليل على صدق ما جاء في الكتاب المقدس، وظهر بذلك « علم » جديد هو « علم الخلق » Creation Science ، ثم اثيرت المشكلة امام القضاء مرة اخرى في العام الماضي وأدلى سبعة من كبار العلماء ـ كان احدهم عالم رياضيات مشهور ـ بشهادتهم وحاولوا تقديم البراهين والحجج العلمية على بطلان نظرية التطور وصدق نظرية الخلق

وقد يكون العلماء اخفقوا في اقناع القضاة بصدق دعاواهم بحيث اصدروا حكمهم بانه ليس ثمة ما يمنع من تدريس قصة الخلق في المدارس كجزء من التربية الدينية ، او ضمن مقررات التاريخ او العلوم الاجتماعية دون اعتبارها نظرية علمية نظرا لصعوبة البرهنة عليها باساليب ومناهج موضوعية تعتمد على الاحصائيات وعلى القياس كما هو الشان في العلوم الحديثة ولكن هذا لا يعني ابدا انحسار الموجة ، فكل الظواهر تدل على العكس من ذلك تماما والتغييرات التي حدثت في الكتب الدراسية خير دليل على ذلك فكتاب البيولوجيا المقرر على المدارس الثانوية في بعض الولايات الامريكية كان يعرض لحياة داروين في ١٣٧٣ كلمة ولكنه في اخر الطبعات عرض الموضوع ذاته في خمس وأربعين كلمة فقط وانخفض عدد الكلمات التي تتناول بها موضوع أصل الحياة من ٢٠٢٣ كلمة الى ٣٢٢ كلمة ، كما أن عدد الكلمات التي كان الكتاب يعالج بها رأي داروين في التطور من ٢٧٥٠ كلمة الى ٢٩٦ كلمة فقط بينما حذفت تماما الاجزاء الخاصة بتكوين الحفريات والحقب الجيولوجية وهذا يصدق على كثير من الكتب المدرسية التي تمس موضوع التطور بشكل أو بآخر

بل ان الامر وصل الى حد اغفال هذه الكتب وضع اي صور او أشكال توضيحية عن الحفريات كوسيلة لارضاء انصار فكرة الخلق ، بينما تحرص بعض المدارس على الكلام عن « التغير » بدلا من « التطور » بقدر الامكان وبذلك فان التلاميذ يتلقون دروسا عن

الطيور مثلا واحرى عن الرمائيات ولكنهم لا يعرفون شيئا عن العلاقة بين الفئتين . وكل هذا معناه في آخر الامر ان أنصار فكرة الخلق أفلحوا بالفعل في تغيير الكتب والمعلومات التي يتلقاها النشء على الرغم من فشلهم في الحصول على حكم رسمي من القضاء باعتبار القصة الدينية نظرية علمية جديرة بان تؤلف جزءا من مقرر البيولوجيا في المدارس الثانوية .

وواضح من هذا كله أنه بعد مرور مائة سنة على (وفاة) داروين فان نظريته لا تزال عرضه للهجوم والنقد ومحاولات التعديل من جهة والتسفيه من جهة اخرى ، مما يدفع الى التساؤل عما اذا كانت كل هذه الحركات والاتجاهات المناوئة هي مؤشر على قرب نهاية نظرية التطور وموتها . وبالتالى (موت) داروين نفسه بعد ان شغل اذهان العلماء أكثر من قرن كامل . قد يكون من الصعب الاجابة على هذا التساؤل . ولكن ليس من شك في ان البحوث البيولوجية التي تجري الآن وكذلك الاكتشافات الانثربولوجية والحفريات القديمة التي يتم العثور عليها بكميات متزايدة وفي مناطق مختلفة من العالم هي وحدها التي سوف تحدد مصير هذه النظرية كما سوف تقرر المكانة الحقيقية التي يجب ان يحتلها داروين في تاريخ العلم .

وبعد .

فمنذ شهور قليلة ، وفي أواخر عام ١٨٨١ ظهر في انجلترا كتاب يحمل عنوانا طريفا هو « التطور من الفضاء Evolution From Space » ، قام بتأليفه عالم الفلك الشهير سير فريد هويل Sir Fred Hoyle ، الذي سبقت الاشارة اليه ، وعاونه في ذلك استاذ هندي يدرس الرياضيات في جامعة كارديف . ويعترف الاستاذان بصراحة في ذلك الكتاب بأنهما ملحدان ولا ينتميان لأى دين او عقيدة ، وانهما يعالجان أمور الفضاء وحركات الكواكب باسلوب علمي بحت ومن زاوية عقلانية خالصة لا تخضع ولا تتأثر بأي موقف ديني . ويدور الكتاب حول مسألة احتمال وجود حياة على الكواكب الاخرى ويتناول بالبحث الدقيق الفكرة التي سادت في بعض الكتابات التطورية عن ظهور الحياة تلقائيا من الوحل الاولى Primeval Soup ، نتيجة لبعض الظروف والتغيرات البيئية . ومع أن هناك نظريات معارضة لهذا الاتجاه ، وهي نظريات ترى ان احتمال ظهور الحياة من هذا الوحل او الطين الاولى لا تزيد عن ١ : ١٠ فان هويل يرى - بعد حسابات رياضية معقدة وطويلة ودقيقة - ان هذا الاحتمال لا يزيد بحال عن ١ : ١٠ ٤٠,٠٠٠ اي واحد الى عشرة أمامها اربعون الف صفر مما يعني انه لا تكاد توجد فرصة لظهور الحياة عن طريق التوالد التلقائي من هذا الطين ، وبالتالي فان الحياة لا يمكن ان تكون نشأتْ عن طريق الصدفة البحتة ، وانه لابد من وجود عقل مدبر يفكر ويبدع لهدف معين .

وعلى الرغم من اعتراف المؤلفين الصريح - كما قلنا - بالحادهما فانهما لا يجدان امامهما مفرا من ان يكتبا الفصل الاخير من الكتاب تحت عنوان « GOD - الله » .

أحمد أبو زيد

السياسي النزيه !

● وقف الكاتب « اناتول فرانس » مع احد اصدقائه امام تمثال لرجل مقطوع الرأس والذراعين ، من صنع المثال الكبير « رودان » فسأله الصديق :

- ماذا يمثل هذا التمثال ؟

فاجاب اناتول فرانس على الفور :

- انه كما ترى يمثل شخصا لا يقدر على عمل شيء مفيد ، اى انه يمثل السياسي النزيه !

عندما يحسم المختبر قضايا المواريث

بقلم الدكتور سينوت حليم دوس

رغم ان المواريث محددة طبقا لنصوص القرآن الكريم بتفصيل شديد ، الا ان ثمة حالات لا يمكن التصل فيها دون الرجوع الى العلم فالميراث وانصبة الورثة تتحدد في الآيتين التاليتين من سورة النساء

ـ « يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين ، فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وان كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد ، فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فلأمه الثلث فان كان له اخوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصي بها أو دين »

ـ « ولكم نصف ما ترك أزواجكم ان لم يكن لهن ولد ، فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها او دين ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد ، فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين وان كان رجل يورث كلالة او امرأة وله اخ او اخت فلكل واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصي بها او دين غير مضار وصية من الله والله عليم حليم »

ونستخلص من هاتين الآيتين الاحكام التالية

اولا للذكر نصيب الانثيين في الميراث

ثانيا الابن يحجب باقي الورثة من العصبات

ثالثا للزوجة التي لم تنجب ربع التركة ، فان أنجبت فلها الثمن اما الزوج فيكون له النصف ، فان انجب فله ربع التركة

رابعا الدين مقدم على الميراث تطبيقا للمبدأ الشرعي ، أن لا تركة الا بعد سداد الديون ، فدفع المضار بالنسبة للدائنين خير من جلب المنافع بالنسبة الى الورثة

خامسا تخالف الشريعة الاسلامية غيرها من الشرائع في حرية الايصاء والهبة فقد جعلت هذه الحرية بالنسبة للمورث مقصورة على ثلث التركة ، فخير للمورث ان يترك ورثته اغنياء من ان يتركهم فقراء يتضورون جوعا

سادسا ترث البنات بالفرض فان بقي شيء من التركة فانه يعود اليهن تعصيبا

وهذه هي الاحكام العامة التي تحكم نظام المواريث في العالم الاسلامي ، ولكن قد يدق الامر فيصبح متعذرا على رجل القانون وضع حل قاطع بعيدا عن الشك لمشكلة يدق يدق الامر فيصبح متعذرا على رجل القانون وضع حل قاطع بعيدا عن الشك لمشكلة يدق الامر فيصبح متعذرا على رجل القانون وضع حل قاطع بعيدا عن الشك لمشكلة معروضة عليه وهذه المشاكل الحدية هي التي يرجح فيها حق المدعي كما يرجح حق المدعى عليه ، وفي نفس الوقت لا يجد قاضي الدعوى مناصا من اللجوء الى اهل الخبرة من رجال العلم والطب الذين يستطيعون داخل مختبراتهم ترجيح حق كل طرف . فيزول الشك ويصدر الحكم اقرب ما يكون الى وجه الصواب باعتبار ان الأحكام هي عنوان للحقيقة

من قضايا امام المحاكم

وفي الدعاوي الثلاث التالية نماذج من بين دعاوي عديدة في هذا الفرع . استطاع رجل العلم عن طريق ابحاثه وبراعته وداخل مختبره ان يضع الحل القاطع بتقرير الذي يصدره الى قاضي الموضوع الذي لا يسعه سوى التصديق عليه واصدار حكمه مستندا اليه

القضية الاولى : توفي أحد الاثرياء وأنجبت زوجته بعد وفاته طفلا توفي بعد ساعات من ولادته كما ادعت الزوجة في دعواها واكدتها بشهادة وفاة الطفل والطبيب الذي تم الوضع على يديه

وأنكر ورثة الزوج عليها هذه الأدلة بقولهم انها ، تلد منذ زواجها منه ولمدة عشر سنوات

والسر من نسبتها في حالة كسب دعواها وخسارتها كبير ، فميراثها في الحالة الاولى سيكون الثمن مضافا اليه ميراثها في الابن ـ كما انها ستحجب الارث الذي يصل اخوة الأب واخواته فيحجبه بذلك ارث اولادها من زوج اخر ، طبقا للمسألة الحجرية المعروفة في الفقه اما في حالة ثبوت موت الابن او ولادته ميتا فانها سترث الربع فقط

عرض الأمر على أهل الخبرة . فاستطاعوا اثبات ان الابن قد ولد حيا وبقي على قيد الحياة لبضع ساعات ، عن طريق تحليل بعض أعضائه التنفسية والرئتين حيث ثبت وجود نسبة من اكسجين الهواء الجوي بها

وهنا قال رجل الخبرة رأيه بأن الحياة دبت في هذا الوليد ساعات . فصدق على ذلك التقرير قاضي الموضوع مقررا ان الزوجة ولدت الابن حيا فهو اذن يرث الأب في كل التركة تعصيبا ، ثم توفي الابن فاصبحت الام ترثه من بعده بالاضافة الى ما تكون قد ورثته اولا مع الابن من التركة ـ كما يرث إخوه هذا الطفل غير الاشقاء ويحجب بعض العصبات من ابناء عمومة الزوج المتوفي

القضية الثانية

توفي الزوج ولم ينجب أولادا فشرع الورثة في تقسيم تركته ـ الا ان الزوجة بادرت برفع دعوى مستعجلة طالبة وقف تقسيم التركة وتعيين حارس عليها حتى يتم وضعها لمولودها الذي هو ولد للمتوفي (وكلمة ولد هنا تطلق على الذكر والانثى سواء) ـ وقدمت شهادة من احد الاطباء تثبت حامل في الشهر الرابع مصحوبة بشهادة من احد المعامل التي اثبتت ان نسبة البروجسترون في بولها ودمها تؤكد وجود حمل لديها

ورغم طعن الورثة في هذه الأدلة بقولهم انه حمل كاذب ، الا ان المحكمة استجابت لدعواها وأوقفت توزيع التركة وعينت حارسا عليها حتى يتم الوضع ومعرفة نوع المولود

ولا شك في أن نوعية المولود ستلعب دورا كبيرا في نسبة ارث اقارب الاب . فإن كان ذكرا فإن سيحجبهم ويمنعهم من الارث ، وإن كان انثى فسيكون لاقارب الاب نصيب معها

وجاء في حيثيات حكم هذه الدعوى

« ان في توزيع التركة وحصول كل وارث على نصيبه فيها رغم قيام حالة الاستعجال ووجود ضرر محقق قد يلحق بابن المتوفي او ابنته وهو لاشك اجدر بالرعاية في نظر المحكمة ـ فان في وقف التوزيع والانتظار حتى يصبح الامر ما يوجب تعيين حارس للقيام على شأن هذا المال حتى ينتهي امر النزاع المعروض اما بالولادة او التأكد من عدم صدق حملها كما تدعي المدعى عليهم ـ وان كانت المحكمة ترى ان شهادة ﷺ مل في وقد قدمت دليلا ماديا لزيادة نسبة الهرمون في بولها ودمها ـ فانها تقدر هذا الدليل الموضوعي وتضعه في الصدارة عن غيره من أدلة وشهادة للشهود »

القضية الثالثة

عقب انتهاء مزاد بيع مخلفات وتحف الملك السابق فاروق في منتصف الخمسينات ، فاز احد الاطباء باكثر من ربع هذه التحف واصطحبها معه واقام وزوجته بأحد فنادق القاهرة

وفي صباح اليوم التالي توفي الزوجان معا وعللت الوفاة بان عامل التحضير قد نسي مدخنة التحضير الخاصة بقتل الحشرات فتسرب الغاز اليهما فنجم عن ذلك وفاتهما

ولم يكن الطبيب وزوجته قد أنجبا اطفالا فنشب بين ورثة الزوج وورثة الزوجة منازعات عديدة حول أحقية كل منهم في الحصول على نصيب في ميراث الزوج وميراث الزوجة

وادعى ورثة الزوج بأنها توفيت قبله وبذلك فلا تحصل على ميراث منه وان كان هو الذي يرثها في هذه الحالة ـ وادعى ورثة الزوجة بانها ماتت بعده بدليل انها صغيرة في السن ، ووجدت جثتها قريبة من النافذة . وهذا دليل على انها قامت بمحاولات يائسة رائعة في فتح النافذة لانقاذ حياتها ولكن القدر لم يمهلها من تحقيق رغبتها في حين أن الزوج قد توفي أسرع منها فكانت جثته مسجاة على سريره

وقاضي الموضوع هنا لايستطيع ان يضع رأيا أو حكما

صائبا بدون الاعتماد على رأي اهل الخبرة في تحديد من توفى قبل الآخر من الزوجين

فاذا ثبت ان الزوجة توفيت قبل زوجها فان اهل الزوج سيرثون كل التركة ونصف تركة الزوجة ، في حين لوكان العكس فان اخوة الزوجة واخواتها سيرثون ربع تركة الزوج وكل تركة الزوجة ، ولا يبقى لورثة الزوج الا ثلاثة ارباع التركة

وكانت المفاجأة عندما جاء في تقرير الطبيب الشرعي بعد تشريحه للجثتين أن وفاة الزوج والزوجة لم تكن من اثر تبخير الحجرة وانما وجد في امعائهما السم مختلطا بالطعام ـ وبهذا ثبت ان الوفاة كانت عمدية وعن طريق السم

وأمام هذه الواقعة افترضت المحكمة ان الطعام دس السم فيه وان الوفاة قد لحقتهما في وقت واحد فيرث الزوج اخوته فقط ويرث الزوجة اخوتها فقط

وهكذا وبناء على واقعة السم افترضت المحكمة ان الوفاة قد تمت في وقت واحد طالما قد تشابهت ظروفهما في تناول هذا الطعام

وبناء على تقرير الطبيب الشرعي السالف رفضت دعوى التعويض التي اقامها ورثة الزوج والزوجة على صاحب الفندق باعتبار ان الوفاة لاعلاقة لها بتبخير الغرفة ، وترجع الى السبب الاجنبي الذي يعتبر صاحبه مجهولا

وهكذا يؤدي المختبر خدمات جليلة الى العدالة ليستطيع القضاء الجالس والقضاء الواقف التعاون معا لايصال الحق الى اصحابه في سهولة ويسر ودون أدنى شك فيما يحط من احكام تتفق مع الحق والواقع والتأسيس السليم

د . سينوت حليم دوس

كلية الطب ـ جامعة السليمانية ـ العراق

« المظ » في سطور

هي مطربة مصرية من اصل سوري تربعت على عرش الغناء والطرب لفترة طويلة . بدأت بترتيل آيات القرآن فكان صوتها عذبا وحلوا ، ثم تعلمت الموسيقى والغناء على يد استاذها محمد نوار السمنودي وكانت تتلقى دروسها وهي محجبة .

تمتعت المظ بشخصية جذابة كثيرة الميل الى المداعبات وقد ساعد هذا مع عذوبة صوتها ورخامته على نجاحها الفني فنافست عبده الحامولي منافسة قوية ولكن الحامولي استطاع ان يحد من منافستها ويحافظ على مستواه الفني بالزواج منها ثم منعها عن الغناء .

مع أمير الشعراء أحمد شوقي

هو اشهر شعراء العرب في العصر الحديث . ولد بالقاهرة سنة ١٨٦٨ ، وهب حياته كلها للشعر فكتب قصائد رائعة في اكثر فنون الشعر ، تناول الاحداث السياسية والاجتماعية فكان مرآة لعصره احدث تجديدا في الادب العربي بمسرحياته الشعرية مثل « مصرع كليو باترا » و« مجنون ليلى » سافر الى فرنسا سنة ١٨٨٧ درس الحقوق بجامعة موسلبيه ونهل من الادب الفرنسي . مثل مصر في مؤتمر المستشرقين سنة ١٨٩٦ . اصبح عضوا في مجلس الشيوخ سنة ١٩١٩ توفي في أكتوبر سنة ١٩٣٢ من اثاره ديوان الشوقيات »
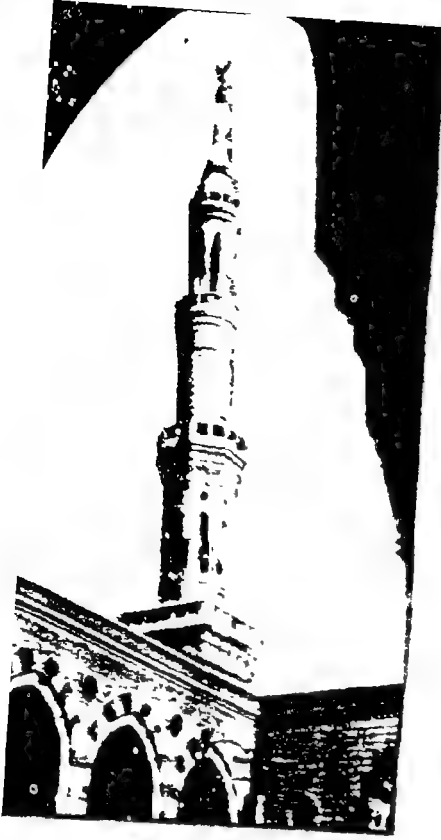
قونيا .. في رمضان

اعداد ـ أحمد سعيد رزق

شهر رمضان في قونيا له طابع مختلف ، ومذاق اشد اختلافا

تقع قونيا وسط هضبة الاناضول في تركيا ، ويبلغ عدد سكانها اكثر من سبعمائة الف نسمة اغلبهم من الاتراك وقليل منهم من الاكراد ، اما العرب فهم قليلون هناك . اذ ان العرب المتتركين يقطنون في جنوب البلاد التركية بوجه عام

ولعل هذه المدينة هي المدينة التركية الوحيدة التي لا تحوي اقليات غير مسلمة ، وهذا ما يبرر لنا تمسك اهلها الشديد بدينهم الحنيف اكثر من اهالي اية مدينة تركية اخرى

واذا استعرضنا حجاج احدى القوافل التركية فاننا سوف نجد نسبة كبيرة من هؤلاء الحجاج ينتمون الى المدينة التي نتكلم عنها (قونيا)

ولـ قونيا تاريخ حافل ومجد عريق فهي عاصمة البلاد في ايام السلاجقة ، وفيها قبر الشاعر المعروف ابن الرومي المشهور هناك بـ مولانا جلال الدين بالاضافة الى ذلك فهي (قونيا) مركز اثري وحضاري وسياحي كبير يؤمها السياح بأعداد كبيرة لوفرة آثارها الاسلامية القيمة

ومدينتنا هذه هي المدينة الرابعة من مدن تركيا اذ انها تأتي بعد انقرة واستانبول وازمير

وفيها معهد اسلامي كبير يشبه كليات الأزهر في مصر مدة الدراسة فيه اربع سنوات وفيها ايضا عدد كبير من المساجد ربما يزيد عن خمسمائة مسجد اشهرها مسجد علاء الدين كيكبات ، وقد اشرف على بنائه رجل دمشقي عمل في زخرفته على طراز الجامع الاموي بدمشق فجاء آية

من الفن والروعة والابداع

وتقرب المدن الى قونيا انقرة العاصمة وتبعد عنها مائتين وخمسين كيلو مترا

اما عن التقسيمات الادارية في قونيا فهناك ست عشرة قضاء تتبع لها اهمها قضاء سيدي شهر وتبعد عنها حوالي ستين كيلو مترا وعدد سكانه حوالي مائة الف نسمة وفيه اشهر معمل للالمنيوم في الشرق الاوسط وهو شركة روسية تركية

كذلك من اهم اقضية قونيا قضاء قره مان وتبعد عنها ستين كيلو مترا ايضا وعدد سكانه سبعون الف نسمة تقريبا اما بالنسبة للحالة الاقتصادية للبلاد فنستطيع ان نقول ان قونيا مدينة زراعية عريقة شعبها مزارعا على الاطلاق الحنطة . وما تنتجه قونيا من حنطة تكفي لاستهلاك تركيا باكملها . ساعد على ذلك كثرة الامطار والاراضي الخصبة والمناخ الملائم للزراعة

كذلك تشتهر قونيا بزراعة القمح والشعير والحمصات وكثير من انواع الفواكه والخضار

التحضير لرمضان

ان شعب قونيا شعب يعرف مذاق طعامه ويجتهد لا في نوع الطعام فحسب ، وانما في كيفية طبخه واعداده ايضا واذا علمنا ذلك فانا ندرك مدى اعتنائهم بجودة الطعام وإعداده وتهيئته تساعدهم في هذا خصوبة اراضيهم وامدادها لهم كما قلنا بما تنوع من اصناف الخضار والفواكه وسائر المحاصيل فشعب قونيا ادن لا ينسى انتقاء بعض صنوف الطعام لتحضيرها لشهر رمضان وكذلك بعض المواد التي تصنع لصناعة الحلوى بشكل خاص والتي تدخل في غذائهم بشكل عام والتي اهمها السكر والارز والبرغل والطحين والمعكرونة والعدس واصناف اخرى كثيرة تعنى المحال عن حصرها

ولعل زحمة الاسواق التي تبدو قبيل رمضان هي دليل من الادلة الكثيرة التي تظهر لنا مدى اشتياق اهل قونيا هذا الضيف العزيز

اما بالنسبة للعمل فكما هو معلوم فانا نستطيع ان نقسم العاملين عامة الى موظفين وعاملين في المجال الحر اما الموظفون الرسميون فان دوامهم لا يختلف في رمضان عن غيره ويحضرون على رأس عملهم من الثامنة صباحا حتى الثانية عشرة ظهرا . ومن الثانية حتى الرابعة بعد الظهر

اما العمال الذين يعملون في المجال الحر او لدى القطاع الخاص ، فانهم يكتفون في ساعات العمل تحت اشراف ارباب حرفهم ومعلميهم . وربما تجد من يترك العمل في رمضان مكرسا وقته للعبادة ومتفرغا نفسه لطاعة الله

هذا ويستقبل الشعب شهر الصيام بنفسه مسرورة غمرة وهي شديدة الحماس . فالمعروف عندهم ان لا يصح ان يفتح مطعم مطعمه ولا يبيع طعامه بكافة في نهار رمضان احتراما لهذا الشهر وقدسيته

وفي غمرة انشغال شعب قونيا في التحضير المادي فانهم لا ينسون التحضير الروحي لشهر رمضان

فقبيل رمضان تعم الفرحة والبهجة والسرور ارجاء البلاد ويعبر المسلمون هناك عن فرحتهم بوضع لافتات قماشية في الاسواق يخطون عليها عبارات الترحيب برمضان وكأنه زائر عزيز او ضيف كريم . وهو عندهم اكثر من هذا

اما في جامع جلال الدين الرومي فهم يكتبون عبارات الترحيب هذه بالاضواء اضافة الى اللافتات وتزين المساجد كلها بهذه المناسبة بعد تنظيفها وتلبس المدينة حلة جميلة من الاضواء والزينة واللافتات احتفالا بشهر رمضان ذلك الضيف الحولي الكريم

ويكفي لمن لا يعلم ما هو رمضان ان يمر قبيل حلوله بأحد احياء المدينة لكي يشاهد مدى احيي من مظاهر الاحتفال والحماس لدى الناس والازدحام الطارىء في الاسواق ويعلم قيمة هذا الشهر الكريم عند ذلك الشعب المؤمن

كما وتجري قبل رمضان حملة توعية دينية يقوم بها الخطباء والوعاظ والمدرسون الدينيون في المساجد لكي يعلموا الناس قيمة زائرهم وليقوموا بواجبات الضيافة التي تكون على قدر الضيف

وكذلك يطهر المسلمون قلوبهم قبل رمضان لكي يجدوا صفاء خاصا مع اداء فريضة الصيام فترى كثيرا منهم

يصومون الايام المأثورة قبل رمضان كيوم ٢٧ رجب و ١٥ شعبان وغيرها وربما صام بعضهم شهري رجب وشعبان او بعضا منها

والخلاصة ان شهر رمضان يأخذ ابعاده وينال حقوقه في تلك المدينة اكثر من كثير غيرها من المدن والبلاد الاسلامية الاخرى

التماس الهلال

يعتبر قونيا كما قلنا عظم الاندفاع فهو لا ينتظر المصادر الرسمية التي تعلن بدء رمضان او انتهاءه و الاعلان عن ايه مناسبة اخرى ويذهب الى ابعد من ذلك حيث انهم لا يعتمدون على الجهات الرسمية في هذا حتى انهم يكملون بطباعة تقاويمهم الهجرية حيث ان الحكومة لا تهتم بمثل هذه الامور دائما

وهكذا يكون بدء صيامهم بناء على جهود فردية تتجلى في ذهاب بعض الرجال الى مكان مرتفع لمراقبة الهلال . وبعدها يجري الاعلان عن بدء رمضان بشكل شعبي عن طريق المآذن والتبليغ الفردي باشراف شيخ المسجد وبأمره . ويكون ذلك الاعلان عبارة عن صيغة خاصة بنغمة مميزة بصلوات على النبي (ص) ثم يتبعها المؤذن بالاعلام عن بدء شهر رمضان

وكان بعض المسلمين هناك يصومون مع الدول العربية والاسلامية المجاورة ، فترى قوما صائمين وقوما مفطرين بعضهم يقلدون وبعضهم يجتهدون وربما تغلب عادة التقليد شيئا فشيئا لتعم الناس هناك ويصبحون تابعين لاخوانهم المسلمين في صيامهم وافطارهم واعيادهم وهذا ما يحاولون تحقيقه مستقبلا

بعد التأكد من ظهور هلال رمضان يخرج الناس لصلاة التراويح . وعندما نقول الناس فلا نستثني منهم احدا ، الرجال والنساء والشباب والكهول والصبيان كلهم يخرجون في الليلة الاولى لأداء التراويح فتغص بهم المساجد على رحبها وكثرتها ولا يتسع فيها لموطىء قدم احيانا فيصلي المتأخرون في الطرقات المتصلة بهذه المساجد

وبذلك تحيا المساجد من جديد وتستيقظ بعد رقاد طويل وكأن رمضان عندما يحيى قلوب المسلمين فانه تمتد آثاره لتشمل احياء المساجد بالطاعة والعبادة والابتهال

ومن نافلة القول ان نذكر ان المذهب السائد في قونيا (من المذاهب الاربعة) هو المذهب الحنفي وهذا ما يفسر لنا اداءهم لصلاة التراويح كل اربع ركعات بسلام واحد وهكذا اما المذهب الشافعي فهو يسود في شرق تركيا عامة وفي مناطق الاكراد وبذهنهم بشكل خاص.

وهناك في قونيا يتبرع من كل حي رجل ليقوم بمهمة ايقاظ المسلمين النائمين لتناول سحورهم ويستعملون الطبل وسيلة لذلك ، ولهم في هذا نغمات خاصة جميلة وعبارات مأثورة لطيفة ويقدم الاهالي لهذا العامل المضحي بصحون السحر طعاما يوميا له ولعائلته اضافة لما يجمعون له من مبالغ في اليوم الاول من ايام العيد وكذلك فان بعضا من المؤذنين يعلنون ابتداء السحور وانتهاءه بواسطة مكبرات الصوت بعد قصيدة مخصوصة سابعة هذا من طرف اهلي اما من طرف رسمي فان الحكومة تهتم احيانا باطلاق المدافع ايذانا بالسحور والامساك فجرا وبالافطار مساء

اشهر المأكولات والاشربة

كما قدمنا فان احوالنا القونيين يهتمون بتنوع طعامهم وجودته ايضا ومن اشهر مأكولاتهم في وجبة السحور الاجبان والمربيات والالبان ومشتقاتها كل ذلك متوفر عندهم بشكل ميزونة متسقا اضافة الى بعض الاطعمة الاخرى

اما طعام الافطار فلهم فيه عادات متبعة وتقاليد موروثة فهم عادة يبدؤون طعامهم بالحساء (شوربا) يصنعونها من العدس او الارز او البرغل او غيرها ، ثم يتناولون الخضار المطبوخة واشهرها الفاصولياء الخضراء والخضراء المطبوخة باللحم . والباذنجان المحشي والفلفلة المحشوة والدولمة المحشوة ارزا ايضا اما الكوسا المحشي فهي نادرة عندهم

بالاضافة الى هذا فمن بين مأكولاتهم اكلة تشابه ما نسميه (صفيحة او لحم بعجين) وهي عبارة عن قطعة دائرية كبيرة من العجين يصل قطرها الى اكثر من نصف متر يكسونها باللحم ثم يصنعونها في الفرن ، وبعد نضجها يقطعونها قطعا قطعا ويأكلونها وكذلك يشتهر عندهم ما يسمى (كباب اسكندر)

اما المعكرونة فهي من الاطعمة التي ربما لا تغادر مائدة

عائلة من العائلات التركية اضافة للشوربا وهم يسمون المعكرونة (مقربا)

ومن الخضروات التي لا نعرفها والمتوفرة عندهم نوع يشبه الفاصولياء الحب اسمه (ترميا) لونه اصفر ويكون في اول الشتاء ، ولا يتوفر هذا النوع من الخضار الا في قونيا خاصة

بعد ان ينتهوا من تناول طعامهم يأكلون الفاكهة التي تتوافر عندهم بكثرة والتي اشهرها الحمصيات بشكل عام والتفاح والاجاص (الكمثري) وله انواع والتين وله انواع ايضا والقثاء والخيار والعنب والكرز والبطيخ ذو الحجم الكبير جدا وحدثني احدهم (من سكان قونيا) انه ربما زاد وزن البطيخة الواحدة عن المائة كيلو غراما احيانا وكذلك السفرجل فيتميز بحجمه الكبير اذ كثيرا ما يصل وزن الحبة منه كيلو غراما او اكثر اما الخوخ فهو متوفر بشكل كبير وثمنه بخس رخيص

ويندر في فواكههم الموز والنارجيل (جوز الهند) والتمور

اما الشراب فهم يصنعونه من الليمون أو الكرز او البرتقال او غيره وتتميز قونيا بوفرة الكازوز (الشراب الغازي) بشكل ملفت للنظر وهم لا يعرفون التمر هندي ولا يتذوقونه الا خارج تركيا وكذلك العرقسوس

وهم يهتمون بصنيع المحاصيل الزراعية والفواكه بشكل خاص فتراها تملأ الاسواق بشكل علب كونسروة ومجففة ومن جميع الانواع

اما الحلويات فهي شائعة عندهم بكثرة ومشابهة لما عندنا من معمول وكول واشكور وشعيبيات وكنافة الى غير ما هنالك من حلويات ويصنعون كما نوهنا نوعا خاصا منها يسمونها حلويات رمضان وهي عبارة عن عجين يضعون فوقه السمسم والحليب والسكر ثم يقطعونه الى قطع صغيرة

وكذلك يصنعون حلاوة اسمها حلاوة الشام وهي ما نسميها نحن بـ (الهريسة) وتتكون من السميد مع السكر وتشوى بالفرن وبعدها يوضع فوقها السمن والقطر (محلول السكر المذاب) وبعض القلوبات من صنوبر وجوز ولوز وغير ذلك

وكذلك يصنعون الـ (رز بحليب) ويبتكرون له ما يجعله لذيذا طيب المذاق

بعد ان يتناول مسلمو قونيا طعام سحورهم يؤذن المؤذن اذان الامساك فيمسك من كان يأكل عن الطعام ويتمضمضون استعدادا لبدء نهار جديد من نهارات رمضان ، وبعدها يؤذن المؤذن لصلاة الفجر فيتوجهون الى المساجد لأداء فريضة الصلاة ، وهم يقرءون بعد صلاة الصبح الذكر الوارد والدعاء المأثور ويضيفون عليه الآيات لو انزلنا هذا القرآن

وبعد الانتهاء من الصلاة والاوراد يلقي شيخ المسجد درسا دينيا في الوعظ والارشاد فيه يعلم المسلمين احكام الصيام وادابه وما يتعلق به من امور ويستمر درس الفجر الى ما بعد طلوع الشمس حيث يصلي المسلمون بعد ذلك ركعتي الضحى ثم يتوجهون الى اعمالهم ان كانوا موظفين او مستخدمين وذوي اعمال رسمية ، اما اصحاب الاعمال الخاصة فقد يعطلون كما اسلفنا أو يذهبون الى اعمالهم متأخرين عن عادتهم في غير رمضان وليست الدروس الدينية مقتصرة على ما بعد الفجر فحسب وانما هناك دروس بعد صلاة العصر وبعد المغرب اي قبل العشاء ايضا ويحضر تلك الدروس الرجال والنسوة واحيانا تحضرها النساء

وهذه الدروس تقام خاصة في شهر رمضان وهناك دروس اخرى تقام في جميع ايام السنة ويكون وقتها قبيل صلاة الجمعة بساعة تقريبا لكي يتهيأ المسلمون لسماع الخطبة ومن ثم لصلاة الجمعة

والمسلمون في قونيا يحبون لقراءة القرآن فهم غالبا ما يختمونه بأكمله في رمضان ، بالاضافة الى أنهم مواظبون على الصلوات الخمس في المساجد وتتجلى مواظبتهم كما هو معروف في رمضان اكثر من غيره من الشهور

ولعله مما يميز رمضان في قونيا عن غيرها من البلاد هو كثرة الموالد المقامة في هذا الشهر ففي كل بيت مولد وفي كل مسجد مولد وفي كل حي مولد ، واحيانا يقام في الحي الواحد عشرات وعشرات من الموالد ، وليس للمولد عندهم وقت محدد وان كانت اغلب الموالد تقام في النصف الثاني من الشهر وبعد صلاة العشاء

اما عن الاعتكاف فهناك زوايا صوفية منتشرة بكثرة يعتكف فيها المسلمون وخاصة المتصوفة وكبار السن منهم ويكون هذا الاعتكاف لوقت لا يتجاوز ساعات ، اما

الاعتكاف ليلا فهذا مالا يتسناه احوانتا القونيون وإذا كان النوم في مساحدنا عادة شائعة في بلادنا فان مسلمي قونيا يقدسون المسجد ويحترمونه احتراما منقطع النظير فهم يمنعون الناس من النوم فيه بل حتى من الاتكاء او الجلوس فيه على هيئة تدل على سوء ادب او تعالي او لا مبالاة

في النصف الثاني من الشهر

في النصف الثاني من رمضان يرددون اناشيد الوداع في المساجد بعد صلاة التراويح وهم يجتهدون في تلك الايام بالعبادة والذكر وتلاوة القرآن الكريم والتهجد وربما احيوا ليالي العشر الأخيرة المفردة التماسا لليلة القدر وفي ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان لا تجد نائما او غافيا وانما تجدهم جميعا في تهجد وصلاة وذكر وتلاوة عسى ان تكون هذه الليلة ليلة القدر التي وردت أحاديث كثيرة بفضلها العظيم وهم يصلون صلاة التسابيح في تلك الليلة كما تكثر فيها الموالد والولائم بشكل ملفت للنظر

ومنذ بداية هذا النصف الثاني يؤدي مسلمو قونيا زكاة فطرهم وهم يؤدونها جميعا وبدون استثناء وتحت اشراف الشيخ ، كما توزع بمراقبته على الفقراء وربما ارسلوا منها شيئا الى مسلمي القرى المجاورة او الاحياء القريبة

ويكون للشيخ دور كبير في حثهم عليها ومساعدة المسلمين الفقراء منها

وما قلناه عن زكاة الفطر ينطبق نوعا ما على زكاة المال فهم يؤدونها غالبا في رمضان لتكون لهم عادة مضاعفة وثوابا جزيلا

وقبل العيد بأيام قليلة تغص اسواق المدن والقرى بالقونيين لشراء ما يحتاجونه في عيدهم من لباس جديد واطعمة متنوعة وحلويات لذيذة فترى زحمة هائلة في اسواق اللباس واسواق اللحوم والحلويات والاطعمة وما فرحتهم بالعيد بأقل من فرحتهم برمضان ولا غرابة فالعيد عندهم بل عند جميع المسلمين هو جائزة الصيام وانعم به من جائزة

كذلك فهم يزينون مساجدهم وبيوتهم بعد ان ينظفوها وربما اعادوا ترتيبها كما يضعون في الطرقات لافتات الترحيب بهذا العيد العظيم

ويتم الاعلان عن العيد بواسطة الاذاعة والصحف ، هذا على صعيد رسمي اما على الصعيد الاهلي والشعبي فيتم الاعلان عنه بالكيفية نفسها التي تم بها الأعلان عن بدء شهر رمضان

وهم يحيون ليلة العيد وفي الصباح يخرجون لأداء الصلاة بعد ان يكونوا قد تناولوا الطعام صباحا

وبعد الخطبة يتحلقون حول الشيخ ويسلمون عليه وبعدها يخرجون لزيارة الاقرباء والاصحاب والاصدقاء

ان عادات احواننا القونيين في الصيام وما اليه لا تختلف جوهرا عما هي عليه في بقية البلدان الاسلامية ولو انهم ربما كانوا اشد حماسا واكثر اندفاعا من غيرهم

وفقنا الله لما يرضاه وكل عام وانتم بخير ■■

دمشق ـ أحمد سعيد رزق

عقول العباقرة

● اليك ما حدث للعالم الطبيعي الكبير سير اوليفرلودج . فقد حاول حل مسألة رياضية معقدة اياما واسابيع دون ان يهتدي الى الحل الصحيح . ومكث ذات ليلة الى هزيعها الاخير وهو يجهد فكره في الامر دون جدوى ، حتى اذا نال منه التعب غفا قليلا ، فاذا به يرى اعرابيا واقفا الى جانبه يشرح له المسألة ويوضح حلها الصحيح ..

اتشك بعد ذلك في أن عقول العباقرة لا تغفو ولا تنام ؟

الدموع : لماذا ؟

بقلم . الدكتورة سرى فايز

هذه القطرات المتلألئة التي تترقرق في العين عندما تجيش النفس بشتى الانفعالات . هل خلقت عبثا !

لقد قيل ان الدموع سلاح المراة عندما تضعف الكلمة عن البيان وتقصر الحجة عن الايضاح ، يرى بها البعض ضعفا مهينا ، ويرىها آخرون تنفيسا وترويحا وجسها البعض في عيون المسنين انكسارا وتسليما . هذه الدموع لعل بها أسرار كثيرة اكتشفها العلماء ، واسرارا اخرى ما زالت طي الخفاء ستنتظر ان يطلقها المستقبل . فهل لك عزيزي القارىء ان تستزيد معرفة عنها ، انها ما خلقت عبثا الدمع اكثر الدلالات وضوحا وكشفا لتعابير انسانيه شتى وهو ميزه للطبيعه البشرية عندما يعتريها الحزن والفرح والالم وهو أكثر ما يقترن بالبكاء . فالانسان يبكي عندما ينقبض الانسان من سعة رباط جأشه فتصبح الدموع من عينيه . هذه الظاهره ينفرد بها الانسان اذ ان الحيوان لا يبكي وان كان دمعه يسيل اذا هيجت النهايات العصبية الحسة في عينيه . وهنالك حيوانات لايستثار دمعها أبدا كالتماسيح التي امتنعت استثارة الدمع فيها على العلماء الباحثين مع ان التشريح اثبت وجود عدد دمعية متكاملة لديها . لذلك كان مثل (دموع التماسيح) مجانبا للدقة

يتألف الدمع الذي يطلي ويرطب سطح العين الامامي من ثلاث طبقات منضدة فوق بعضها البعض . ذات سماكة تبلغ ٧ ميكرونات الطبقة السطحية دهنية يدخل في تركيبها الكولسترول والدهون الشمعورية والدهنيات الثلاثية والطبقة الوسطى مائية تحوي املاحا معدنية وبروتينات وخمائر حالة لجدر الجراثيم اما الطبقة العميقة فتتألف من مادة مخاطية وهذه تلامس مباشرة السطح الاثليالي للقرنية ان الماء يؤلف ٩٨ - ٩٩/ من السائل الدمعي وأما التوتر السطحي فيبلغ ٠,٦ - ٠,٧ من توتر الماء السطحي . والمشعر الانكساري ١,٣٣٧ ، وتوتر الدمع يماثل توتر البلازما الدموية . والضغط الحلولي فيها ٠,٩ / من كلور الصوديوم عندما تكون العين مغلقة و ١ / عندما تكون العين مفتوحه ، لذلك تتألم العين اذا وضعت فيها محاليل تزيد أو تنقص في الضغط الحلولي ، عن الدمع . ولذلك تعمل مصانع الادوية على دقة الضغط الحلولي في القطرات والمراهم العينية ، أما البوتاسيوم فيزيد في الدمع اضعافا عما في مصل الدم ، وأما الكلور فيزيد في الدمع قليلا جدا عن نسبته في مصل

الدم ان تفاعل الدمع يميل قليلا نحو القلوية ولكن أثناء الرصوص العينية يصبح تفاعل الدموع شديد القلوية ويحتوي الدمع على كمية قليلة جدا من السكر بالمقارنة مع الدم أما البروتينات فتتراوح نسبتها من ٢,٠ - ٦ ٠ ملغ / أي اقل بكثير من نسبة البروتين في الدم ولذلك يكون الدمع صافيا ان اغلب البروتينات هما الالبومين والغلوبيولين والليروزيم

وقد وجد ان الدموع التي تفرز نتيجة البكاء والاثارات العاطفية والتي تسيطر عليها المراكز العصبية العليا هي ذات تركيز بروتيني اكثر مما في الدموع التي تنطلق من تخريش انعكاسي في القرنية ذاتها وقد وجد ايضا ان بعض لابسي العدسات اللاصقة يكون دمعهم غنيا بالبروتين ، وهذا يجعل الدموع اكثر ترطيبا ، فاذا قلت كمية البروتين في الدمع يتشكل فيه الزبد الرغوي ويحتوي الدمع أيضا كمية من الهستامين ، فاذا زادت عن حدها اصبحت سببا في عدم تحمل العدسات اللاصقة ان الميروزيم أو الخمائر الحالة تؤلف ٣٠٪ من مجموع البروتينات الدمعية فهذه الخمائر المضادة للجراثيم قادرة على هتك الجدار الخلوي الجرثومي ، أما عندما تسيل الدموع بافراط أو عندما تصب المحاليل في العين تقل كمية الليزوزيم وتتعرض العين للالتهابات الجرثومية

بين الشح والافراط

تختلف وتتفاوت نسبة الدمع المفرزة كمية ونوعا حسب اختلاف الظروف الداخلية والخارجية ولكن يبلغ ذلك معدلا يتراوح بين ٠,٧ - ١٠٠ ميكرولتر في الدقيقة ، ويبدو أن النساء اكثر ذرفا للدمع من الرجال ، وهذا قد يفسر كونهن اكثر نجاحا في لبس العدسات اللاصقة عند الولادة يكون افراز الدمع في حده الاصغر ، وقد لا نلاحظ الدمع قبل الاسابيع الاربعة الاولى من العمر وقد لايبدأ افراز الدمع المائي قبل الشهور الستة الاولى وكذلك تقل كمية الدمع عند كبار المسنين ، ويقل افراز الدمع في حالات الارهاق العصبي ، والجسمي ، ومن الملاحظ قلة افراز الدمع وحدوث جفاف العين والفم في نهاية النهار بعد يوم حافل بالتعب المتواصل بعض الادوية تنقص افراز الدمع كالاتروبين والحبوب المانعة للحمل ، والادوية المدرة للبول ، أما القطرات الخافضة لضغط العين ، كالبلوكاربين فتزيد في افراز الدمع

قد يشح الدمع في امراض كثيرة لا حصر لها فتحدث جفاف العين منها نقص فيتامين ا من الغذاء أو عدم امتصاصه بسبب أمراض الجهاز الهضمي ، والتهابات العين السطحية المخرة وخاصة مرض التراخوما ، والحماة الراشحة الاخرى والدفتيريا وامراض المناعة الذاتية ، وخاصة تلك التي يرافقها التهابات مفصلية . فقد يحدث فيها تليفات في الغدد الدمعية وشح في افراز الدمع والرصوص التي تحدث تشوهات في الاجفان وقصورا في الرمش وعيبا في اغلاق العين والحروق الشديدة سواء كانت كيماوية أو حرارية أو شعاعية ، ان اسها تعري العين من الدمع الواقي وتخرب الغدد المفرزة للدمع . وهذا يحدث آلاما شديدة وتقرحات قرنية مستمرة وتعتيما في الرؤية يجعل المريض رهن التعاسة ويصبح في مأساة من الجفاف الذي يؤدي ، لموت الخلايا السطحية الطهارية ، وتوسفها وانقلاعها

وقد يفرط افراز الدمع ، في معظم الحميات التي يرافقها التهابات في الملتحمة أو القرنية ، وفي التهابات العين الحادة ، ولدى انغلاق الطرق المفرغة للدمع ، اذ ان الدمع عندما يفيض عن حاجة ترطيب العين ينصرف من خلال قنوات صغيرة الى كيس الدمع الموجود في الناحية الانسية من الجوف الحجاجي . حيث يسرع الى الأنف عبر القناة الانفية الدمعية . فاذا طرأ انسداد على مسار الانابيب المفرغة ، يركد الدمع في العين فيطفح ويهمر ، وكذلك اذا زاد افراز الدمع عن طاقة استيعاب صحه عبر كيس الدمع يحدث الدماع ، اذن لا بد من اعاضة العين بالسوائل الدمعية اذا شح الدمع ، ويجب معالجة اسباب نقصه حتى لا تذوي العين وتجف وتتكدر وتعمى وكذلك لابد من معالجة فرط الدماع وفتح مجاري الدمع المغلقة اذا طفح الدمع لئلا يضطرب البصر وتتقرح الاجفان ويصبح وضع الشخص في مجتمعه محرجا مؤرقا حتى تبقى دورة الدمع متزنة مقدرة حسب حاجة العين والتي تختلف حسب الشخص والمكان والزمان

الغدة الدمعية . والوظائف

يفرز الدمع من الغدة الدمعية ومكانها في الزاوية الوحشية العلوية من سقف الحجاج . ومن غدد دمعية ملحقة منتشرة على سطح الملتحمة . ومن غدد دهنية وخلايا مخاطية كثيرة موجودة في بطانة الاجفان ان اهم مصدر للدمع هو الغدد الدمعية حيث يفرز الجزء المصلي من السائل الدمعي ، أما الغدد الدهنية فتضيف للدمع الدهون . وأما العنصر المخاطي فيأتي من خلايا خاصة في الملتحمة تتعصب الغدة الدمعية بألياف عصبية ذات مصدرين مختلفين . الأول أعصاب حسية من العصب المثلث التوائم والثاني الياف عصبية من الجهازين العصبيين الودي ونظير الودي الالياف الودية ، تنظم الافراز اليومي الطبيعي الضروري لابقاء العين رطبة

صحية والالياف نظيرة الودية تسيطر على الافرار الانعكاسي والدمع الغزير

فأي تخريش لنهايات الاعصاب الحسية المتشرة على سطح القرنية والملتحمة تثير دمعا غزيرا سائلا وكذلك هو الحال عند تخريش الانف وآلام الاسنان ، والتهابات الجيوب ، والحرارة والبرودة والجفاف أما المثيرات الضوئية ، والروائح المخرشة والحركات الارتجاحية كالعطاس والتقيؤ والسعال والتثاؤب والضحك الشديد ، فتثير الدموع نتيجة انعكاس عن طريق العصب المبهم (نظير الودي) وعند قلة من الناس تكفي حركات المضغ لاثارة الدموع ، وهذه الحالة يطلق عليها اسم دموع التماسيح ، وترى عادة لدى المرضى الذين كان لديهم شلل أو لقوة في العصب الوجهي ، اما المركز المسيطر على البكاء نتيجة اثارة العواطف الجائحة فينبعث من المنطقة العصبية المسماة تحت السرير او من التلفيف الثاني من الفص الجبهي في الدماغ والدموع الناجمة هنا مختلفة جدا في الافراد وعند البعض تكون عملية البكاء تحت سيطرة ارادية وعلى كل فافراز الدموع ينقص عند حدوث آفة في العصب الوجهي أو العصب المثلث التوائم حيث ان الغدة الدمعية تشتق اعصابها من الياف تمر عبر هذين العصبين

وللدمع وظائف عديدة ، من أهمها :

● الوظيفة البصرية تكاد تكون اهم وظائف الدمع اد يحافظ الدمع على ألق القرنية ، ويسد الثغر الموجودة بين خلايا السطح القرني الظهاري ، فيسوي ويمهد بطلائه سطح القرنية لتقوم بوظيفتها البصرية خير قيام

● ويقوم الدمع بوظيفة دفاعية وقائية ، فبواسطة المواد التي يحتويها وخاصة الليروزيم أو الخمائر الحالة يستطيع ادابة وتخريب حدر الكثير من الجراثيم فلا تعود قادرة على الغزو والاستفحال والتكاثر فتبقى العين سليمة صحيحة رغم تعرضها للجراثيم والعضويات الضارة الموجودة بكثرة في الهواء ، لذلك فالعين منيعة على الغزو الجرثومي ، بمقدار كفاءة المواد الدمعية الحالة للخمائر ، فاذا قصر الدمع واضطرب تركيبه لامر ما سهل على العضويات المؤذية غزو العين واحداث الالتهابات والتخريب بها وقد اخذ العلماء يجرون التجارب الخصبة على مادة الليروزيم الدمعي قبل البدء بتطبيق اي عقار عيني جديد

● ووظيفة مرطبة ، فهو سقاء للعين وطلاء ضروري لأن الجفاف أذى وبلاء فطالما بقيت العين رطبة ، كانت خلاياها السطحية سليمة صحيحة ، فاذا ما جفت توسفت الخلايا وربما تقرنت فيذوي ألقها وينعدم البريق منها ، فتتكمش الخلايا وتتليف ، وتغزوها العروق الدموية ويتجلد سطحها ولتنظيم توزيع الدمع على سطح العين كلما جفت طبقة الدمع التي تطليه خلقت عملية الرمش ، التي تحدث طوعيا ولا اراديا بمعدل ١٢,٥ مرة في الدقيقة ويدوم اغلاق العين فيها ٠,٣ من الثانية في كل رمشة عين ، فلو فتح جفنا العين قسريا وامتنع الرمش مدة ، شعرت العين بالجفاف وبألم حارق ووائز ، وربما يحدث بعد ذلك دماع انعكاسي فيهمر الدمع ولو فحص سطح العين اثناء ذلك لوجد ان فتح العين القسري مدة نصف دقيقة كاف لاحداث بقع جافة على سطح القرنية خالية من طبقة الدمع التي سبق الحديث عنها وقد لوحظ ان بقع الجفاف تتشكل بسرعة اكثر اذا كانت العين قد عانت سابقا عملا جراحيا كما في استئصال الساد أو مكافحة داء الزرق

● ووظيفة طارحة للفضلات ، فما ينتج عن مخلفات استقلاب سطح وحمة القرنية من الماء وثاني اوكسيد الكربون وتوسف الخلايا الميتة وما يفيض عن المواد المخاطية والمفرزات الدهنية يجرفها الدمع وينقلها الى زاوية العين الانسية حيث تصب في مجاري الدمع الى الانف

وهذا ما يحدث بالنسبة للفقاعات الهوائية والغبارات وجزئيات الغبار التي لا تحس بها القرنية كأجسام غريبة فتجرف بواسطة الدمع على سطح العين الامامي

● ووظيفة غذائية ، بالرغم من عدم كبر أهميته كطريق غذائي فإنه يحمل بعض المواد المغذية للغشاء الظهاري في العين ، والاهم من ذلك هو أن الجزء الاكبر من مادة الاوكسجين تأتي للقرنية من أوكسجين الجو الذي ينحل في الدمع ، لذلك تتأثر العين اذا بقي الجفن مغلقا زمنا طويلا كما في النوم العميق لساعات أو أيام

● ووظيفة تزليج وطلاء ، فلولا الدموع لما امكن تثبيت العدسات اللاصقة اذ تتبع درجة تحمل العدسات اللاصقة ونجاح استعمالها درجة القوة المزلجة في الدمع

اذن فالدموع تهب الرطوبة الكافية والطلاء الواقي والملوسة الضرورية للقرنية ، وتنقل للقرنية اوكسجين الجو الضروري لغذائها وتطرح فضلات النسج السطحية في العين وهي خط الدفاع الاول في العين ضد غزو الجراثيم والعضويات المؤذية ، تغسل العين مما يعتريها من الشوائب وتنهمر بشدة لتجرف كل جسم غريب متطفل ، كل ذلك حفاظا على ألق العين ودعما لوظيفة البصر ■ ■

عمان - د سرى فايز سبع العيش

علاف كتاب محفوظ مصيص أساطير المسيح الأسود

الشاعر التشيلي محفوظ مصيص

عبير فلسطين في أمريكا اللاتينية

بقلم : الدكتور محمد عبد الله الجعيدي

الشاعر محفوظ مصيص ، التشيلي الجنسية والمولد ، العربي الأصل ، الانساني المقاوم لكل ظلم وجبروت في مواقفه وشعره ، ولد سنة ١٩١٦ ، وبدأ الكتابة في فترة مبكرة من حياته ، وكان عضوا نشطا بين الكتاب التشيليين ،فشغل خلال الستينات منصب رئيس جمعية الكتاب في بلاده ، ومدير مجلة « بوليميكا » وقد نشر حتى الآن حوالي سبعة دواوين شعرية ومجموعة قصص وكتاب نثري ودراسة نقدية

وقد تميز شعر محفوظ باسلوبه الفريد ، وباستخدامه للموضوعات غير المألوفة ، الامر الذي جعل الجدل النقدي يدور شديدا وعنيفا حول كل كتاب يصدر له ، فقد كان القراء والنقاد ينقسمون بين مؤيد ورافض لطريقته في الكتابة ، الا أن كلا الفريقين كانا يتفقان في النهاية على انها ظاهرة أدبية مدهشة تستحق التحليل والدراسة

لقد أجمع نقاد شعره على انه يعيش الواقع الانساني المعذب بكل جوارحه ، الأمر الذي جعل روح التمزق الانساني والعذاب البشري المر يظهران بوضوح في شعره ، وهو بهذا ـ الى جانب بابلو نيرودا ـ يمثل أقوى تيارات الخلق الشعري تحريضا في تشيلي ، هذا الى جانب العمق والاصالة « والطريقة » الخاصة والكثافة التي يتميز بها شعره ، وهو ـ كما يقول بدور بابلو باريديس ـ كشاعر يزداد كل يوم اصالة في أسلوبه ونغمته ، الأمر الذي جعله « مفخرة تشيلي »

ولادة موت جديد

والحقيقة أن ازدواجية الانتماء والأصل عند محفوظ قد أثرت تأثيرا قويا في شعره . فقد جمع بين حضارات

الشرق الغابرة بعلومها ومعتقداتها ، وثقافات الاسدير القديمة باساطيرها وحيالها ، وعس هدا الخمع تمحصت فلسفته الشعرية في نظرتها للمفاهيم الحماتية والفلسفة كالموت والحياة والحب الح ، فحاء شعره عدبا ، صادقا وحيويا كأساطير الاسدير القديمة . تهب عليه رياح حائرية من مصر القديمة فتصنع الحد الذي يفصل بين الانهيار والامل في شعره وقد ظهر أثر هده الاردواحيه قويا في ديوانه « مرثية تحت الأرض » ، حيث ان الكلب الذي هو أكثر ظهورا في شعر محفوظ مصيص ، يظهر في هدا الديوان في صورة الاله انوبيس دي الرأس الكلبه يزن ارواح الموتى ، وفي شعر محفوظ نجد ايضا الملائكة حاضرة يستخدمها استخداما خاصا ، وان كان بلبك قد قال « ان كل ملاك مرعب » فان محفوظ مصيص ـ كما تقول خوسيفيه بلا ـ يحمل حدود الرعب الملائكي الى أبعد مما يستطيع أي شاعر « ملائكي » متطرف في استخدام هدا العنصر كدانتي أو بودلير او بوي مثلا ان يحملها وترى الناقدة داتها ان الموت في شعر محفوظ مصيص هو تجربة حية ، مرعبة وغريبة في ظاهرها ، نسق وقتها ، حيث يصر الشاعر على الفصل بين الموت والحياة ، فينتهي به الأمر الى تجشم الاثنين معا دون أن يخلط بينهما حيث تتلخص هده التجربة في قول الشاعر نفسه « بان كل ما نراه وما نحبه يعش ويموت ونحن ننظر اليه » ، وباختصار فانا نجد في شعر محفوظ « ولادة موت جديد »

وشعر محفوظ ـ على جودته ـ يغطيه ضباب لزج تتلألأ من تحته الاستعارات الساحرة

اما لغته فقد وصفها النقاد ، لكثافتها وصلابتها وقتامتها ، « بلغة التزول » أو « لغة النسج » التي قلما يتمكن القاريء العادي من الكشف عن إبداعيتها

وحسب صحيفة « اونيبرسال » الكراكاسية (فنزويلا) فان محفوظا شاعر دو قيمة كبيرة ورفيعة ، ويمثل أكثر عمليات الخلق الشعري ثورية في تشيلي ، حيث ان احدا في هدا البلد ـ حسب برناردو كروث ـ لا يكتسب الصورة المركزة ، المعبرة ، الرائعة التي يستخدمها محفوظ مصيص و بالرغم من هده العشاوة التي تظهر في عناوين كتبه مثل « الحصان الديك الأسود » ، و « اساطير المسيح الأسود » ، و « كتاب النجوم المطفأة » ، و « وحوش الالم » فان شمسا تبدو من وراء تلك العشاوة ساطعة ما تلبث ـ اذا ما امعنا النظر في حقيقتها ـ ان تمزق تلك العشاوة الجنائزية كاشفة عن روح ثورية متمردة تنظر الى الأمور نظرة واقعية تأملية تسمح برؤية المستقبل رؤية حقيقية

« في هذه الأرض التي تسحقها الآلام والمجاعة
محتومة تظهر في السماء
علامة الثوره فوق السم والشرور
فهي عبور من خلال الموت
وصيحة عبر جدار الصوت »

ومن هدا الموقف الذي لخصته الابيات السابقة لاحد عمالقة شعرنا العربي المعاصر ، انطلق محفوظ مصيص يكتب شعره المقاوم ، وهو في منفاه في كاراكاس بعد ان شردته السلطات الدكتاتوريه من وطنه ، ومن منفاه راح ينشد مؤيدا كل قضايا الحرية العادلة في العالم داعيا أصحابها الى تضييق الخناق على الظالمين والمعتدين وهنا لم ينس أكثر قضايا الانسانية المعاصرة عداله فتبوأت عنده « فلسطين في القلب » مكانها

فلسطين في القلب

الى فدائي الثورة الفلسطينية

عند قدم هده السلسلة الجبلية القاسية البيضاء
أقف عاريا أنا
محفوظ مصيص
غير فلسطين في القارة الأمريكية
مواطن من العالم الثالث
من العين الثالثة
من هدا القمر الفارغ
كمهرة أرفع صوتي في وجه السماء المكفهرة
لن ابكيك أرض أبي العتيقة
لن ابكي شهداءك او
نساءك المهتوك عرضهن ، الملقيات
الى الخيمة السوداء ،
أو اطفالك المشرئبة الى الشمس وجوههم ،
أطفالك الدين يعدهم قلبي ،
لن أبكي دورك دات الحجارة الأزلية
المسكونة من كل الأمم ،
عربان عيونها زرقاء ،
أو خضراء
أو صفراء
أو حمراء كشقائق نعمان دموية ،
لن أبكي مسنيك الدين يغنون تحت الاحياش
سماء هجرتها العصافير
ولا صلواتك لاله مات في
الحجر مند زمن طويل
الدمع وحده

● الشاعر التشيلي محفوط مصيص

نعى الحجر سرنق
كالموت
ويسقط سقوط الماء على السيف المحرد
عسه العين الناصسه العين لا التي لا رطوبة فيها .
شرب
يرى دموعي في وحدتي . عندما
لاستطيع حتى الموت رويتي . وانت وانت .
روحي بطين
اين نائم
منصه يد . عرق وحم بركاسة ، دلك ما أريد
احرحوا ،
اطفال الشوط والحفر الباردة ،
في أيديهم المفاتيح .
حرحوا التمر من سواكم
عودوا الى المهد لدى فيه عاب اباؤكم
فيه مات الحد في احر أمسه مسمعا حنة الحطار
ونعاءها الربرحدي
هم أصحاب عسو اوروبا ،
الذين لم يتعلموا الدرس ،
من توسي لعحور . وارسلوا
كلابهم المسعوره الى فلسطين .
واسراب صرانهم في ثياب أحبار
او اسماك فوش حرسه
او ارسلوا الحرال الذي . بعين واحدة . صلده كالماء المتحمد
تعواء يحوں في الوهاد . حرق
الارض الطيبه .
أشحار الليمون يرجف
كثدي ارملة بها الذكريات قد عصفت
أشحار رمانك
التي لا ستهي وصناعتك التقليدية
لسطة . عندما كنت تشعلين الصدف
وتنقشين على خشب الريتون الحالد
مروا بطن دير ياسين واستعرضوا
مساتك عاريات
وشربوا بين افخاذهن الندية .
كالشمعدان . حرقوا
زهورك . قذفوك بالنابالم والريت الأسود .
ودفعوا ابناءك . يحملون على اكتافهم
أحرنقب مسمار في الذاكرة
لكن هناك بعيدا
في المخيمات
في كل محصل وترابي واحشائي . وأعمى

في محاريب الرعب ، أو بهرال الاحساد
التي في كل يوم تموت ،
بين القطران والحثالة
بين أشياء
كثيرة مسها الأرض ،
انسحب فجأة . فسلة دم مائة
الف رأس كبرد قرمزي .
ككلمة عدل محفوره في
كل عين . وكل قلب يائس .
من كل
شوط الى قلب الليل فداني قمر ،
قبب الليل الرهيب السابق لكل تاريخ
والطفل اصبح الان فداننا هائجا
. للسين الحاف كحريق في علماء .
لكم أسماء الطل الساطعين
هذه الورثه البارده
هذه الدماء التي لا تزال يجرون . ومن
الوهاد الساحلية . ومن هذه الصحرة الكوكبية .
للاهوال والعظام
حمل لعتي الى بارود ،
أشعل أساطيري الحاصة
وعلى صهوة جواد جامح اصحبكم
في رحلتكم
أقول
المجد لكم في الدرا
وهنا في السهوب لكم المجد
المجد للصناديد عند شروق
الحجر ، فلتسعد الصدور
التي منها رصعتم لس الكواكب السيارة المر
فلتسعد امرأة
وضعت على جباهكم أول قبلة .
امرأة تغطي وجوهكم في الساعة السوداء الأخيرة الخالدة
عندها . اثني على رجولتكم .
وسواعدكم القوية ،
وباسمكم
أرفع صوتي
كمن يشهر سيفا
في امريكا اللاتينية
وابحر الالهة
احتفاء بمولدكم ،

■■

مدريد ـ د محمد عبد الله الجعيدي

اعداد : مصطفى نبيل

اعتبارات غائبة في تقييم الحركات الإسلامية

بقلم : حسين أحمد أمين

ثمة اعتارات أربعة تغيب عن الكثيرين في العالم العربي وخارجه ، في تقييمهم للحركات الاسلامية التي ظهرت على المسرح خلال السنوات الأخيرة

○ الاعتبار الأول وهو من أبرز سمات التاريخ الاسلامي من عهد النبي (ص) الى يومنا هذا ، هو أن الحركات الثورية التي أثارتها في دار الاسلام دواع اجتماعية واقتصادية ، واتخذت بالتالي طابعا سياسيا ، قد ارتبط كل منها منذ بدايته ارتباطا وثيقا بفكر ديني ، دون أن يدور بخلد أتباعها أن احتجاجهم على السلطة نابع عن غير العقيدة الدينية ، ولا أن لهم من الأهداف غير تخليص الأمة من حكم لا يرضاه الله ، والعودة بها إلى طريق الدين القويم

لذلك فقد كان تعبير المسلمين - في العادة - عن مناهضتهم أو مناصرتهم لهذا النظام القائم أو ذاك ، تعبيرا دينيا بصورة أساسية فالحكومة التي فقدت - في ظلها - هذه الفئة الاجتماعية أو تلك امتيازاتها ، أو هددت مصالحها ومقوماتها ، أو خلخلت من دعائم كيانها ، حكومة كافرة ، والجنة لمن استشهد في سبيل اسقاطها والنزاع الذي قد يبدو في ظاهره نزاعا حول فكرة دينية محضة كذلك الذي دار في العصور الوسطى حول ما اذا كان القرآن مخلوقا (كلمة الله المستحدثة) أو قديما قدم الله ، يهولنا أن نلمح وراءه صراعا سياسيا أو اجتماعيا محتدما ، قد يكون قادته واعين له

○ الاعتبار الثاني أنه تظهر في بعض المجتمعات التي تمر بهزات عنيفة ، أو تطورات ضخمة متلاحقة ، جماعات دينية انعزالية تميل الى أن تغلق الأبواب على نفسها في عالم خاص بها ، وتقلل الى أقصى حد ممكن من صلاتها وعلاقاتها بالمجتمع الذي تعيش فيه وقد ظهرت مثل هذه الجماعات بين كل من اليهود والمسيحيين والمسلمين

وربما بين غيرهم من أتباع الديانات الأخرى فمن أبرز الأمثلة التاريخية على رفض التكيف وفق الأحوال الجديدة ، موقف الفريسيين اليهود من غير اليهود اذ وضعوا القواعد المفصلة الصارمة التي تكفل تجنب كل صلة بمن هو ليس يهوديا وقد كان هذا الموقف محمودا في القرن الثاني قبل الميلاد حين كانت الهيلينية تهدد بابتلاع الديانة اليهودية واستئصالها من الوجود أما وقد تغير الوضع خلال القرن التالي حين شاع في الامبراطورية الرومانية الاستخفاف بالعقائد الوثنية ، وظهر ميل واضح لدى الآلاف في مدن الامبراطورية الى البحث عن عقيدة قوية متماسكة كالعقيدة اليهودية ، فلم يعد لمثل ذلك التعصب من قبل الفريسيين مبرر ، وجاءت الديانة المسيحية تيسر قبول الأمة للأوضاع الجديدة ومسايرتها ، وكانت أخلاقياتها خير سبيل الى ضمان التعايش السلمي بين أهل فلسطين وحكامها الرومان ، في حين كانت أخلاقيات الفريسيين تعرقل هذا الانسجام

كذلك ظهرت في بقاع كثيرة من العالم المسيحي ـ حاصة مند منتصف القرن التاسع عشر ـ جماعات (أشهرها حماعة شهود يهوه) أفرادها من المسيحيين الأتقياء الذين وحدوا من الصعب أن يوفقوا بين الاكتشافات الحديثة في علوم الفلك والطبيعة والكيمياء والنظريات المتعلقة بتاريخ الأرض وظهور الحياة نيها ، وبين مفهومهم التقليدي عن الكتاب المقدس وكان أن وجهوا همهم الأكبر الى تجنب الاتصال بالتيارات العلمية والفكرية التي سادت مجتمعهم ، ورأوا أنه لابد من أجل حماية عقيدتهم من عزلة صارمة وسط مجتمع لابد أن تؤدى به ثقافته وعلومه وأنماط عيشه الى الكفر وكانت النتيجة أن قبلت هذه الجماعات وضع الأقليات في مجتمع أفراده على نفس دينها في الظاهر على الأقل

وقد تكرر حدوث مثل هذه الظاهرة في الاسلام ، وكان أحدث مثال لها الجماعة المسماة بالتكفير والهجرة في مصر

يعنينا هنا أمران

الأول أنه ليس كل من مال الى مثل هذه الجماعات قد دخلها لحماية دين هو غيور عليه فالواضح لنا أن الكثيرين قد اتخذوا الدين ستارا لما أحسوا به في أنفسهم من عجز عن المدافعة والمزاحمة في معترك الحياة ، أو انخرطوا في سلك هذه الجماعات لاشباع رغبة طبيعية في الانتماء ، أو رغبة في الاحساس بالتفوق على محيط لفظهم

الثاني أن هذه الجماعات تتميز باتخاذ مواقف صلبة من العقيدة في وجه الظروف المتغيرة التي قد تتطلب مرونة في التفسير والتطبيق ولا بد من القول بأن لمثل هذا الموقف المحافظ حسناته الأكيدة ، اذ يضمن عنصر الاستمرار في شؤون الدين ، كما أن أى اتجاه محافظ في أى الميادين له الفضل في حماية كل ما لا يزال من القديم يصلح للمجتمع القائم غير أنه لا بد كذلك من القول بأنه قد يحدث في بعض الأزمنة من التغيرات الجوهرية ما يكتسح المجتمع بأسره ولا يمكن للجهد البشرى العادى أن يقف في سبيله ، فيرى الأفراد لزاما عليهم ـ من أجل صحتهم النفسية بل والبقاء ـ أن يوفقوا بين أنفسهم وبين هذه التطورات ، وأن يبدوا من المرونة ما يمكنهم من معايشة ما لا سبيل إلى مقاومته أو وقفه ، مع التمسك في نفس الوقت بعنصر الاستمرار في الرؤية الأصلية للدين

غير أننا لا نرى مثل هذه الجماعات ، للأسف ، تبذل مثل هذا الجهد

○ الاعتبار الثالث . أن القرنين الماضيين كانا شديدى القسوة على الاسلام والمسلمين فقد تعرض العالم الاسلامى فيها للعديد من هجمات الأوروبيين ، وأسفرت تلك الهجمات عن وقوع جل أقطاره في براثن الاستعمار الغربي وقد أزعج المسلمين ما منوا به من هزائم على يد مخالفيهم في الدين ، وهم الذين كانت انتصارات جيوش الاسلام السابقة في أعينهم من أقوى الأدلة على صدق الرسالة المحمدية وكان أن بدأت ثقتهم بأنفسهم تهتز ، وأن بدأ الشك يتطرق الى قلوب الكثيرين من المسلمين في عقيدتهم اذ يرون قوة شوكة الغرب المسيحى وتفوق حضارته المادية وقد حدث منذ أن اتخذت الحضارة الغربية لنفسها اطارا دنيويا بحتا ، أن أزيل الحاجز الذى ظل في العصور السابقة يحول دون استقبال الحضارات الأخرى غير الغربية لها ، ألا وهو الدين فلما بلغنا منتصف القرن العشرين حتى كان العالم غير الغربي بأسره قد تبنى الصورة الدنيوية لحضارة الغرب

وقد أحدث اتصال المسلمين الوثيق بالمدنية الغربية وغزو هذه المدنية لبلادهم أثرا عميقا في طبقة المسلمين المستنيرين وفي علاقة أفرادها بما توارثته من نظريات وتقاليد دينية ، إذ شعروا بحاجة شديدة ملحة الى التقريب والملاءمة بين هذه النظريات والتقاليد وبين الأحوال الجديدة التي وجدوا أنفسهم فجأة في ظلها وقد كان من المؤسف أن تجيء جهود هؤلاء الساعية الى التوفيق بين الحياة والفكر الاسلاميين وبين مطالب الحضارة الغربية في الوقت الذى تزعزعت فيه ثقتهم بتراثهم بل وبدينهم ، ونظروا إلى المستعمرين نظرتهم الى أنصاف الآلهة فلم يكن من الغريب اذن أن تغلب على محاولاتهم نزعة عقلية هى نزعة أوربية محضة ، وأن تتأثر أفكارهم بالتيارات الفكرية السائدة في المدنية الغربية ، وأن يتبنوا قيما كلها أو جلها من قيم الغربيين المستعمرين

غير أن الذى لا حظه الجميع ـ في الداخل والخارج ـ أن شعوب الأقطار الاسلامية لم تأخذ ـ كما أخذ اليابانيون مثلا ـ عن الغربيين همتهم وفاعليتهم وكدهم فى التحصيل والبناء ، وانما أخذوا عنهم عاداتهم الاستهلاكية وأزياءهم ووسائل قضائهم لأوقات فراغهم ثم كانت المأساة المضحكة هى أن في اللحظة التاريخية التى تم فيها تبنى الشعوب الاسلامية لقيم الحضارة الغربية الدنيوية بعد التخلى عن تراثها الثقافى وعن تقاليدها ودينها ، وجدت

هـذه الشعوب نفسها قد وقعت في شباك أزمة العرب الروحية الخطيرة التي انتابته على نحو مفاجيء خلال القرن العشرين فمنذ نشوب الحرب العالمية الأولى بدأ الغربيون أنفسهم يدركون أن حضارتهم الدنيوية الحديثة ليست بالحضارة الكاملة الدائمة كما خالوها في البداية ، وأنها أبعد ما تكون عن الحصانة ضد الانهيار وضد عنف الأزمات في حين كانوا يظنون صورتها الدنيوية بعد تحررها من ربقة الدين هي الصورة النهائية الناضجة للحضارة بوجه عام ، والتي لا يمكن أن يعتورها تدهور أو فساد

وقد أصبحت هذه الأزمة الروحية بالغة الخطورة نتيجة لانتشار الحضارة الغربية في العالم بأسره ، مما جعل الأزمة من شأن الدول غير الغربية هي الأخرى وبذا يكون الغرب ـ دون قصد منه ـ قد غش الحضارات الأخرى ـ ومن بينها الاسلام ـ بأن باعها حضارة اتضح أنها ليست بالصفات التي ظنها فيها البائع والمشتري وقت البيع ، وخدعها بأن صور لها حضارته على أنها دنيوية محضة لا سبيل للأزمة الروحية اليها ، وهي الأزمة التي باتت اليوم تنهش في حيويته نهشا والأمر في الواقع أمر مؤسف بالنسبة للشعوب الأخرى مثل الشعوب الاسلامية أكثر منه بالنسبة لشعوب الغرب فقد وجدت الأولى نفسها معلقة بين تراث دين وتقاليد قد هجرتها وفقدت ثقتها فيها ، وحضارة غربية لم تملك بعد ناصيتها ، ولم تكد تبلغ يدها الثمرة حتى بدت تلك الثمرة معيبة فاسدة

وكان أن نتج عن هذا في العالم الاسلامي شعور حاد من المرارة تجاه الغرب ، وحدوث انفصام في المجتمع وفي نفوس الأفراد يصعب علاجه صاروا كالعامة التي يتحدث المثل العربي القديم عن أنها ذهبت تبحث عن قرنين فعادت بلا أذنين . أو كالغراب الذي مضى يتعلم مشية الطاووس ، فلم يتعلمها ، ونسي مشيته

وعلى هذا الأساس من المرارة والاحباط ، والتمزق والعداء للغرب ، والأمل في أن يكون سبيل النجاة هو العودة الى قيم ماض ارتبط في أذهان المسلمين بالتفوق والغلبة والنصر ، يرتفع صرح الدعوة الدينية في العالم الاسلامي

○ الاعتبار الرابع أن حياة الغالبية من أفراد المجتمعات الاسلامية هي من القسوة والشظف والافتقار الى كل أو جل دواعي البهجة ، بحيث يمكن أن ينطبق عليهم وصف ميلتون Milton للشعب الروسي في القرن السابع عشر « شعب لا يهاب الموت لأن حياته ليست أفضل كثيراً » فان أضفنا اذن الى اعتقاد جمهور المؤمنين بأن الجنة هي مأوى المجاهدين في سبيل اقامة مجتمع اسلامي ، ذلك الاستخفاف بالموت الناجم عن شظف العيش ، أمكننا أن نتصور عبث الاعتماد على القسوة والعنف في سبيل استئصال التيارات الدينية المتطرفة ذلك أنه ما لم تسع السلطات جاهدة الى علاج الأسباب الاجتماعية والاقتصادية التي تقف خلف هذه التيارات ، فسنجد أنفسنا أمام وضع مشابه لما كان يحدث أيام محاربة الأباطرة الرومان للمسيحية ، حين كان يخرج من بين النظارة في السيرك ، مسيحيان جديدان مقابل كل مسيحي يلقى به الى السباع !

كتابنا وتعليم الجهل

بقلم : عبد الوهاب أحمد الأفندي

الفتى الذي لقيني في ذلك اليوم كان من قبل مشروع مستقبل طيب لولا انه يقرأ الصحف المحلية

قال لي في تجهم

اني سأسقط في امتحان اللغة العربية وليس الذنب ذنبي

قلت

- ذنب من اذن ؟ لاتقص فوك !

قال

ذنب واضعي المناهج والمعلمين انهم يعلموننا مالا ينفع ولا يثير اهتماما ماذا استفيد انا من قصائد قيلت في الزمن الجاهلي ، ونصوص تحكي تجارب مرت على قوم آخرين في عهود سحيقة ؟ يجب ان يعلمونا ماله صلة بواقعنا وحاضرنا

قلت

أعطني مثالا على ما يعلمونك مما لا ينفع

أجاب

هذه المعلقة التي ندرس مثلا انها من عالم مختلف لغة وروحا ، ألم تقرأ ما كتبه ذلك الاستاذ الكبير عنها في الصحف وغيره من انها لا تلائم قط عقولنا ولا مرحلتنا التعلمية ؟

قلت في نفسي

- هذا هو بيت القصيد اذن

كنت قد اطلعت على ما كتبه البعض في الصحف السيارة عن المعلقة التي تدرس في نهاية مرحلة تعليمية معينة ، وما نسجته بعض الاقلام التي يحمل اصحابها القابا علمية رنانة

كانت الحجة التي أوردت ان تدريس هذا المستوى من الشعر اضاعة لوقت الشباب وعبء على عقولهم لا طائل من وراء تحمله

وشكا هؤلاء الكتاب من انهم انفسهم يجدون عسرا ومشقة في فهمه فضلا عن تذوق هذا الشعر واضرابه

كان تعليقي على ما قرأته جملة واحدة

- يا سبحان الله ! يعلمون الناس الجهل ويمدحونه ؟ !

قلت لمحدثي الفتى

- هل سمعت بـ « الياذة هوميروس » ؟

أجاب بالايجاب

قلت

- هذه الملحمة عمرها أكثر من ثلاثة آلاف سنة ، ومازال الناس يجدون فيها حتى اليوم ما يبهر ويشد . ولو كان عمرها مليون سنة لما تغير الامر . وهناك روائع أقدم مثل ملحمة جلجامش البابلية ما زالت حتى عصرنا تتربع على قمة العطاء الانساني

ذلك ان الابداع هو في حقيقته تحدي البعد الزماني والتطلع الى الخلود ، وهو من الخصائص البشرية الاساسية . ومنذ وجد انسان العصر الحجري ، وهذا الانسان يتطلع بشوق الى تحطيم اغلاله ، ويتعالى على آلامه ومآسيه وحصار الطبيعة ليصوغ من الجميع الملحمة الخالدة وحتى التمثال البسيط

الابداع لا يتآكل بالعمر ، فهو تحدي العمر . ولكن الروائع الانسانية لا يزيدها تقادم العمر الا مزيد بريق وتوهج . وما زالت هنالك قمم بلغت أوجها في الماضي ينظر اليها جميع اللاحقين شاخصة ابصارهم

وتقدم الزمن لا يعني تطور الابداع ، بل احيانا العكس . فاذا كان الابداع هو التوصل الى اروع ما يمكن صنعه مما في يديك ، فان زيادة ما في يديك لا يعني زيادة الابداع ، بل ان التحدي يظل هو نفسه . والمقياس واحد في كل الازمان ، والانبهار الذي ينتج عن الابداع يظل نفس القوة ، سواء امام تمثال طيني للانسان البدائي ، او رسومات طفولية على جدران كهف ، او لوحة لبيكاسو

صمت الفتى هنيهة قبل ان يعترض

قد يكون ما قلت صحيحا . ولكن لكل عصر أدواته ومواده التي يبدع منها . فيما يخص عصرنا ويخصني ، اعتقد ان من الاكثر ملاءمة ان اطلع على قصائد الشابي ونزار قباني كمدخل لنظم شعري الخاص . اما معلقة لبيد ، وديوان امريء القيس ، فلا أرى لها نفعا في هذا المضمار

قلت

بالعكس . ان الابداع وخاصة في مجال الشعر هو عملية اختيار . القرآن ، وكل الروائع الادبية من نثر وشعر تتكون من نفس الكلمات التي يستعملها الناس العاديون في مخاطباتهم العادية ، ولكنها في داخل النص الابداعي لها وقع خاص لانها تخضع لعملية اختيار ثلاثية هي روح الابداع

فالفنان الذي يرسم بالكلمات يختار اولا الشكل العام للوحته ، والروح التي يريد ان تسري فيها وتغلفها . ثم هو يختار من الكلمات أدقها اداء للمعاني بحيث يحجب كل معنى لايريده ، ويظهر كل معنى يريده . ثم هو اخيرا يراعي في اصوات هذه الكلمات وترتيبها تقاربا وتباعدا وتشابها وتنافرا ان تعمق الاثر الذي يريد اعطاءه ، وتقوي بناءه الادبي وتعطيه الحياة

ولكن الشخص الذي لا يملك خيارا لا يملك ابداعا . فالذي يعرف كلمة واحدة او تعبيرا واحدا لكل حالة هو فاقد للخيار ، وبالتالي فاقد للابداع ، حتى وان ملك موهبة الابداع . فهو كالنحات الفاقد للازميل ، والمضطر للاكتفاء بما شكلته الطبيعة . وهذا متفرج وليس مبدعا

ولهذا حين توجه الشاعر المبدع ابو نواس في صباه الى من يعلمه الشعر اوصاه معلمه بان يحفظ خمسين الف بيت من عيون الشعر ، ولما فعل امره بان ينساها ، ولم يسمح له بقول الشعر الا بعد ان فعل

وفي هذا حكمة اي حكمة . فحفظ روائع الاقدمين يساعد المبدع على شحذ ادواته ويرفع ذوقه الفني ، ويمده

عن اخطاء السابقين ، كما يعصمه من تكرار ابداعاتهم والزعم بانها روائع جديدة . وقد قال احد فلاسفة الغرب ان مأساة الهواة انهم يشقون انفسهم فيما فرغ منه المحترفون منذ دهور ، فيكررون كل اخطاء السابقين دون ان يضيفوا شيئا

وما تريد ان تفعله انت هو كمن يريد ان يسقي قرية فلا يضع في خزان الماء الا ما يكفي كل افرادها حسب ظنه ولا يزيد . وهو لا يضع في ذلك حساب التبخر ، ولا ما يبقى في الخزان والانابيب ، ولا مايصل الى الناس وتكون النتيجة ان يعطش الجميع

والله كان اكرم منك ومن امثالك حين سقى الناس بالانهار ، فهي تأتي بالماء حين يطلب وحين لا يطلب وعلى مثالها فانتـد لو كنت تريد ان تكون من زمرة المبدعين . فالمبدعون من كان عطاؤهم كالانهار ، دائما ، وغنيا ، وشافيا

قال صاحبي

على كل فان الشعر سينتهي كوسيلة تعبير ، واللغة العربية نفسها ستندثر . الا ترى الى ان كل التكنولوجيا الحديثة تتآمر على ذلك . هذه هي الانجليزية قد اصبحت لغة كل العلوم ، وهاهي العقول الالكترونية خازنة المعلومات الكبرى في العصر تستخدم الانجليزية فقط ، حتى عند العرب . وبعد قليل لن يصبح للغة العربية اثر الا في المتاحف

اما الشعر فهو قد غرق سلفا في فيضان الافلام السينمائية والفيديو والاذاعة والتلفزيون والصحافة ، وبعد قليل لن يبقى منه شيء الا في اغاني « البوب ميوزيك »

قلت له

– لا أوافقك الرأي . ولكن هب ان ما تقول صحيح ، وان الشعر ولغتنا العربية الى اندثار ، فان هذا لن يحدث خلال عمرك المديد ان شاء الله ، فلا تعلق نفسك بالاوهام ، واقبل على هذه المعلقات وعيون الشعر ومتع نفسك بها ، فان لغتها ستبقى وسيلة التعبير ، ومادة الابداع ما عشت

وحتى ان كانت هذه الروائع في طريق الزوال ، فان هذا سيكون سببا اضافيا للاقبال عليها ، فعسى الا نجدها غدا

وقد ظلت حالات الفراق الابدي عماد التحدي التراجيديا الانسانية ، ومنبعا ثريا وزاخرا للابداع فافعل كما قال سابقك المبدع

تمتع من شميم عرار نجد
فما بعد العشية من عرار

ولا تكن كالآخر النادم القائل :

لو كنت اعلم ان آخر عهدكم
يوم الرحيل فعلت مالم افعل !

أحقاً لم يكن هناك أي مثال لفن عربي يقتدى به ؟

بقلم : حلمي التوني

قرأت في عدد شهر ابريل ١٩٨٢ من « العربي » في باب « قضايا حيوية » تحت عنوان « هل هناك أزمة فن تشكيلي عربية ؟ » مقالا للأستاذ فريد منصور يتعرض فيه لمشكلة الفن التشكيلي العربي يقول فيه ما نصه

منذ حوالي قرن تقريبا وباحتكاك الدول العربية بالفن التشكيلي العربي بدأت قلة من الموهوبين العرب في هذا البلد او ذاك تمارس فن الرسم والنحت . وبالطبع لم يكن ، هنا ، يومذاك اي مثال لفن عربي محلي يقتدى به وبالتأكيد لم يكن ثمة أية تقنية فنية عربية يستقى منها ذلك ان الحضارة الاسلامية في البلدان العربية خاصة لسبب أو لآخر ، لم تنتج اي شيء يذكر في ميداني النحت والتصوير ، بل ان تيارها الفني كان قد انصب كله

ـسب الهندسة المعمارية وما رافقها في فنون الكتابة الزخرفة »

. ثم يستمر كاتب المقال في عرض حال الفن في بلادنا في تلك الفترة وهجرة الفنانين العرب الى اوروبا ، و سفرهم اليها ، وعودتهم بتقنية الغرب وبأفكاره لملسفية أسلوبا وشكلا يعبرون بها ويعالجون موضوعاتهم الفنية المحلية العربية ، ويسوق الكاتب - وهو فنان لبناني صديق - امثلة من القطر اللبناني مصطفى فروخ وعمر الانسي وغيرهما

ينتقل المقال بعد ذلك الى استعراض التقدم البطيء في مجال الفن التشكيلي المعاصر في الاقطار العربية ويستثني من ذلك مصر التي يذكر انه قد قامت فيها شبه نهضة فنية كان من ابرز ملامحها وأهم روادها النحات محمود مختار الذي استطاع ان يجد هويته ويستعيد شخصيته الفنية

لقد ورد في هذا المقال بعض الاحكام والاقوال التي توجب التعقيب والرد

أولا ما يذكره الكاتب من أنه لم يوجد أي مثال لفن عربي يقتدى به ، ولم تكن ثمة تقنية عربية يستقى منها وان الحضارة الاسلامية في البلدان العربية لم تنتج أي شيء يذكر في ميدان النحت والتصوير (!!)

وفي رأيي المتواضع - وحسب معلوماتي القليلة - ان هذا حكم ظالم ، او على الاقل غير دقيق ، فأين ذهبت روائع المخطوطات الاسلامية العربية وتصاويرها الفائقة الجمال ذات الشخصية الفريدة والاسلوب المتميز والتقنية الخاصة جدا ؟

وأين المدرسة البغدادية الموصلية الواسطية العباسية ؟ ثم المدرسة المملوكية المصرية بعد انتقال مركز الحضارة الفنية الاسلامية العربية الى القاهرة عقب تدمير بغداد عام ١٢٥٨م ؟ ثم أين مدارس الفن الشعبي العربي الاسلامي المستمرة (الرسم على الزجاج) في الشام وتونس ؟ ثم اذا لم يوجد فن نحت اسلامي عربي بارز عدا تماثيل قصور المشاتي في بادية الشام) لأسباب تحفظية تقليدية خوفا من عقدة الوثنية البائدة الم توجد فنون اخرى تمثلت في فنون النحاس والزجاج والخشب والخزف والتكفيت والتذهيب والساعات المتحركة والآلات الى آخره مما يصنفونه ويسمونه في حضارة الغرب بالفنون

الصغرى ونعتبره نحن من صميم فنوننا الاسلامية العربية الكبرى ، (وبالمناسبة هل كتب علينا تقليد الغرب في فنونه واذا نجونا من ذلك وقعنا ولم نستطع ان ننحو من استعارة مقاييسه وتصنيفاته في الحكم على فنوننا وحضارتنا ؟)

دعك من فن الخط العربي الذي تجاوز أشكال التحسين والزخرفة التي تسعى اليها اشكال خطوط اللغات الاخرى مثل القوطي وغيره ليصبح فنا قائما بذاته وليس ملحقا وتابعا لفن العمارة كما يذكر الصديق كاتب المقال ، ثم هل نذكر - ام لا داعي لذلك - الفن الذي يسمونه في الغرب فن « الارابيك » والذي تؤلف الكتب (في الغرب ايضا) لتحليله وادراك قيم ومواطن الجمال والسمو فيه ؟ الا يعتبر نقاد الغرب ودارسوه هذا الفن من فنون البشرية الاكثر تقدما ورقيا بمقاييس) هم مقاييس التجريد « والاستاطيقا » المجردة ؟

الا يوجد في كل هذا
« فن عربي يقتدى به » أو « ثمة تقنية فنية عربية يستقى منها »؟!!

نقطة اخرى
هو ما يسوقه الأخ كاتب المقال في مجال المثال على ايجاد الحل وتجاوز الازمة الفنية التشكيلية العربية أزمة الهوية

واستعادة الشخصية ، فالمثال في رأي الكاتب هو الفنان النحات المصري محمود مختار الذي عاد الى الفن المصري الفرعوني ليجد فيه القدوة

. . وطبعا هذا حل لا اعتراض عليه ولكنه يبقى احد الحلول ، وتبقى الثروة الفنية القومية في كل قطر عربي واسلامي - على حدة - منبعا ومنهلا لمن يريد ولكن
اذا جاز لنا واستطعنا ان ننظر الى الخلف « لمسافة » الاف السنين ، فلا شك اننا نستطيع ان نمد ابصارنا وايدينا عبر « مسافة » لا تتجاوز مئات السنين الى كنوز حضارتنا القريبة

أليس غريبا أن ننسى او نقفز من فوق ، ولا اريد ان اقول ان ننكر ونجحد ونتغافل عن الثروة الفنية الهائلة ، ثروة الحضارة الفنية الاسلامية العربية المنتشرة في اراضي هذه البلاد ووجدان أهلها ، وايضا في قاعات عديدة ممتدة في كافة متاحف ومكتبات عالم اليوم غربه وشرقه .

أفقياً

الحاسب الكرخي

رأسياً

الزهراوي

اثنتان في واحدة .

(٨) أفقيا الحاسب الكرحي عالم رياضي اسلامي ، عاش في القرن الحادي عشر ، واعتمد على أعمال الخوارزمي في كتبه التي من بينها « الكافي » في الحساب ، و « الفخري » ، و « البديع » في الجبر والمقابلة . وكان يكتب الأعداد بالطريقة اليونانية

(٨) رأسيا الزهراوي طبيب وجراح أندلسي ، ولد في قرطبة في القرن الحادي عشر . ويعتبر من أشهر الجراحين المسلمين وضع كتابا في ثلاثين جزءا يسمى « التصريف لمن عجز عن التأليف » ، كتب فيه عن التعقيم والتوليد ومداواة الحسد

الفائزون بالمسابقة

■ الجائزة الأولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها محمد علي مبارك ـ دمشق / سوريا
■ الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها أمين عبد الله أحمد العلي ـ الاحساء / السعودية
■ الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها سلوى أحمد ابراهيم الصفار ـ الشعب / الكويت

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

(١) السباعي حماد بن علي ـ وجدة / المغرب
(٢) صالح مبارك صالح ـ المكلا / اليمن الديمقراطي
(٣) فرج بشارة الصايغ ـ عمان / الأردن
(٤) عبد المنعم علي الأمين ـ المهدية / السودان
(٥) أحمد محمد سليم عضبان ـ بيروت / لبنان
(٦) موسى مروان الموسى ـ الشارقة ـ الامارات العربية
(٧) جمال محمود شحاته ـ المنوفية / مصر
(٨) علي عبد الكريم رمضان ـ البحرين

حكايات الأطفال العرب

بقلم : الدكتور علي الحديدي

نعود « بداية أدب الأطفال » في الزمان الى أول الزمان ، وذلك منذ أن تكاملت قدرة الانسان على التعبير ، وأخذت الأمومة والطفولة البشرية تسلك طريقها المرسوم نحو تكوين أسرة وجماعات . ثم انحدر في مسيرته مع الأيام على الدرب الطويل من عمر الانسان ، تحكيه الأمهات والجدات ميراثا يتلقفه وجدان الصغار ، وتهفو إليه آذانهم استمتاعا وترويحا وتسلية ، واستوعبه ضمير الجماعة ، ليحقق به كثيرا من مواقفه ، ويرسب جانبا كبيرا من عواطفه ومعارفه . واحتفظت به ذاكرة الزمن ليسهم بنصيب كبير في نقل تراث البشرية وخبراتها من جيل إلى جيل . وخلال التطور الانساني المبكر ، كانت القصص ـ وهي مادة الحياة ـ سواء رويت للكبار أو حكيت للصغار ، وسيلة لتقاسم الخبرة والتعليم ، ولونا رفيعا من ألوان الامتاع والمؤانسة

والمجتمعات الانسانية القديمة لم تكن تهتم بالطفل الا بالقدر الذي يؤهله كي يكون قادرا على تحمل مسئولياته تجاه المجتمع الذي يعيش فيه ، ولم تكن مرحلة الطفولة عندهم مرحلة مهمة في ذاتها أو مستقلة بذاتها . بل مرحلة انتقال تعبر بالكائن الصغير إلى مراحل الشباب والنضج والرجولة ومن ثم لم تكن هذه المجتمعات القديمة تعامل الطفل فيها أو تنظر إليه حلالها إلا على أنه راشد مصغر ، وكانت تتصور أن ما ينطبق على الراشد ينطبق على الطفل سواء بسواء ومن هنا لم تفرد الأطفال بأدب خاص بهم ينشئه لهم فنانون يبدعون خلقه ، بل سطت لهم حكايات الكبار من خرافات ، وأساطير ، وحكايات الحيوان ، والجن ، وقصص التاريخ أو الحرب والبطولات إلى غير ذلك من القصص التي ابتكرها الانسان الكبير في تاريخه الطويل

وعاش أدب الأطفال عالة على التراث الأدبي للكبار ، يتخذ منه مصادر يغترف منها المادة والصورة والخيال وكلما تطور التفكير الانساني وتطور معه الأدبي ، تطورت معه حكايات الصغار لتصبح هي الأخرى جزءا من مادة الحياة ، ووسيلة اتصال أساسية للبشرية ، وسبيل الأجيال المتعاقبة لنقل الأفكار والقيم الروحية والمثل ومستويات السلوك والتقاليد وصارت حكايات الأطفال كالجدول ينساب في موازاة النهر العظيم من قصص الكبار ليستمد منه الحياة

عندما تغير وجه الصورة

وعلى الرغم من أن الأطفال العرب ظلوا طوال العهود المزدهرة من الدولة العربية محرومين من الأدب الرفيع المؤلف لهم خاصة إلا أنهم عاشوا في فيض مبسط من قصص الكبار التي زخر بها المجتمع العربي ، شعبية رائعة ومؤلفة مبتكرة ، متاحا للعقلية العربية التي منحت حظا موفورا من الخيال ، وأعطيت القدرة على صياغة المادة المحيطة بها وعصا جميلا ، وامتازت بالموهبة المبدعة التي تعيد تأليف القصص القديمة المتوارثة وتخرجها في من يكاد يكون جديدا ، والتي تستقبل الحكاية المنقولة إليها بحفاوة وتقدير ، وتصوغها من جديد بمهارة ودربة فائقتين ، وتضيف إليها روحها العربية ، وتضفي عليها الكثير من موهبة الخيال والفن التي تتملك ناصيتها ، فلا يملك التاريخ إلا أن ينسبها إلى العرب وينسى مصدرها الأول

وتغير وجه الصورة المزدهر منذ توالت النكبات والكوارث على بلادنا العربية . فقد اجتاحها « هولاكو » بجيشه المغولي ـ ١٢٥٨م ـ ١٢٦٠م ـ وأهلك الحرث والنسل وحرق بغداد ودمشق ، ولم يوقف تدميره للبلاد العربية إلا هزيمته وإبادة جيشه على يد المصريين في موقعة « عين جالوت » وبعد نحو مائة وخمسين عاما جاءنا إعصار « تيمور لنك » المدمر ، فخرب عواصم الثقافة العربية بغداد ، ودمشق ، والقاهرة ، وهدم البلاد وأهلك العباد ثم كانت المرحلة العثمانية ، التي بدأت في عام ١٥١٦م ، واستمرت حتى اوائل القرن العشرين ، وفي ظلها عاش العالم العربي عزلة سياسية منعت العرب من الاتصال بالدول الخارجية ، وعزلة ثقافية وفكرية أخرجت العرب من تيار الثقافة العالمي فلم يعد هناك تفاعل بينهم وبين الثقافات الأخرى بالتبادل الفكري ، وعزلة تاريخية ، قطعت صلتهم بماضيهم وثقافات أجدادهم التي غذت العالم فكريا نحو تسعة قرون ثم جاءت الطامة الكبرى على البلاد العربية بالاحتلال الأوروبي أحفاد الصليبيين الذين تقاسموا العالم العربي فيما بينهم وكانوا جميعا يصدرون عن هوى واحد ، هو التحكم في العالم العربي بأنواع القهر والاستغلال ، ونهب ثرواته وإشاعة الاضطراب والشك في مفاهيمه الدينية والقومية ، وإعلان الحرب على معنوياته حتى يفقد شخصيته ويفقد بذلك كيانه إلى الأبد

لم يعد العربي يشعر بذاته بعد هذه النكبات المتوالية ، وابتعد عن الحياة العامة فتجمد وتخلف ، وأصبح يعيش في ظلمة الجهل وظلمة الاستبداد ، ظلمات بعضها فوق بعض ومن الطبيعي أن تنحدر الحياة الأدبية الرسمية في عصور التخلف وظلمات الجهالة وفقدان الذات ويتولى الأدب الشعبي مهمة التعبير عن هذه الحياة فيخرج صدى لما تعانيه الأمة العربية ، ممسوخ الخيال مريض التصور بعد أن شوهته عهود الظلم والتدهور ، ويكون صورة صادقة لما في نفوس الكبار المقهورة ، وقلوبهم المكلومة ، ونفوسهم المضطربة الخائفة ، وحريتهم السليبة ، في قصص وأغان مليئة بالرعب والخوف ، وحكايات ممزوجة بالألم والتعذيب تنفيسا وإسقاطا رمزيا وبعد ذلك كله وتسرب من نهر الأدب الشعبي للكبار إلى الجدول الصغير من « أدب الأطفال » وعاش الأجيال من الأطفال العرب الذين عاصروا عهود الاضمحلال ونكبات الاستعمار يعانون من فقر التجربة وجدب العاطفة وتشويه الخيال ، ويقاسون من حكايات الرعب والخوف والصرع التي تسربت اليهم من قصص الكبار فعاشوا تطاردهم أشباح شخصياتها المخيفة في الصحو والمنام

في عصر التنوير

وبدأت النهضة العربية الحديثة وأحدثت الحياة في البلاد العربية تتغير صورتها رويدا ليعود إليها شيء من صفائها ، وبعث التراث الأدبي ، ودخلت البلاد عصر التنوير . ودبت الحياة فيما دون من التراث الأدبي الشعبي لعهود الازدهار ، وانتشر التعليم ، ورحل المستعمر ، واجتاحت البلاد حركة ثقافية نشطة تعوض سني التخلف والجهل وكان التركيز كله منصبا على أدب الكبار وثقافتهم ولم يهتم أحد بثقافة الطفل وأدبه ، بل ظل سوء الطالع ملازما للأطفال العرب ، فأدبهم المبسط من أدب الكبار في عصور الازدهار لم يكن مدونا ، ولم يلتفت إليه أحد من رواد حركة إحياء التراث الأدبي الشعبي في بلادنا العربية فاختفى في رمال التاريخ وسقط من ذاكرة الزمن ، ولم يبق منه إلا النادر القليل الذي قاوم عوادي الدهر وتوارثت كل منطقة عربية منه ما يعبر عن جانب من الحياة فيها ، أو يرسب من معارفها ، أو يحقق حرفا من مواقفها وعواطفها

ونشأت أجيال العصور الحديثة من أطفالنا العرب ورصيدهم من الحكايات نوعان القليل النادر من مخلفات تراث الماضي المجيد والمبسط من قصصه الشعبي في عصور الازدهار فيبعث فيهم روح المرح والمتعة ، ويجلب لهم بألوان الخيالات المبهرة ، ويفتنهم بشخصياته الأسرة التي تشد إليها الصغار فيتعلمون منها حرارات الحياة وهي تعرض الحق في بهائه ، والعدل في قصائه ، والصدق في صفائه ، والجمال في روائه لكن أكثر ما يحكي لهم قصص تعبر عن عصور التخلف والتدهور والاحتلال ، في صور من التراث الشعبي ترمز إلى الظلم والاستبداد وقهر الرجال ، فتبعث في قلوب الأطفال الخوف والاضطراب وعدم الأمان ، ويحسون ما فيها من ألم وعذاب . وتقلقهم أشباحها المرعبة بعدائها وعدوانها ، وتروعهم شخصياتها المخيفة بظلمها وجبروتها ، من مردة تعذب الأطفال ، أو غيلان تخطفهم وتسحبهم في الظلام ، أو سحرة أشرار يمسخونهم حجارة وحيوانات ، أو آدميين مجرمين يعذبونهم ويحرقونهم بالنار ويطبخونهم طعاما للآكلين !!

والعلماء متفقون على أن الطفل في مرحلة الطفولة المبكرة - قبل السادسة - يجب أن يجنب حكايات الرعب والفزع والتعذيب والخوف ، وكذلك القصص التي تحوي مضامين تنتهك التقاليد الاجتماعية أو العواطف الدينية ، أو تقلل من شأن القيم الوطنية والأخلاقية ، فلا تحكي لهم قصص الشياطين والغيلان والمردة والسحرة الأشرار ، أو الآدميين المجرمين ، أو القصص التي تضم ما يخالف تعاليم الدين أو التقاليد في المجتمع ، لأن أطفال هذه السن ليست لديهم خبرة بالحياة في هذا العالم ، وتغلب عليهم السذاجة فيصدقون كل ما يقال لهم ولا يفرقون بين الرمز والحقيقة وحين تحكي لهم مثل هذه القصص يعيشون حياة ملؤها الألم والعذاب ، أو تهتز في نفوسهم القيم السائدة في مجتمعهم

الأطفال بعد السادسة

أما أطفال السادسة وما بعدها ، فقد اختلف العلماء في أن تحكي لهم قصص تضم الرعب والخوف والفزع وهناك من يرى أن مثل هذه القصص يجب أن تمحى من أدب الأطفال ، ذلك لأن الطفل - وهو أمل المستقبل وعلى عاتقه تقع مهمة التغيير إلى الأفضل وإلى ما فيه خير المجتمع والانسان - يجب أن يتهيأ له المعين الذي يغترف منه الصدق والحق والخير والعدل والأمن والمثل الأعلى الذي يحتذيه ومن الظلم أن نطالبه بالانطلاق إلى الحياة نموذجا لانسان المستقبل ونحن نفطر له في طفولته - عن طريق القصص - ما يبعث في نفسه الاضطراب وعدم الأمان والاحساس بالظلم والمعاناة من الخوف والرعب والذعر من الحياة وانضم علماء النفس إلى هذا الفريق . واحتجوا على حكاية مثل هذه القصص للأطفال ، وكان من تأثير هذا الاحتجاج أن أعيدت في أوروبا كتابة حكايات الجنيات والخرافات المرعبة لتخفيف ما تحويه في أصولها المتوارثة من تفصيلات البشاعة والتعذيب ففي قصة « الغربان السبعة » من مجموعة « الأخوين جريم » مثلا ، وفيها الأخت الصغيرة التي يتحتم عليها أن تقطع إصبعها لكي تتمكن من دخول القصر الخفي وتنقذ إخوتها السبعة ، عدلت القصة بحيث لا تشير إلى الألم أو الدم الذي سال من بتر ذلك الاصبع

والذين لا يجدون ضيرا من حكاية مثل هذه القصص لطفل السادسة وما بعدها كما هي دون تعديل ، يؤمنون بأن القصص الشعبية تصور قدر الانسان ومصيره . وهي رمز للخير والشر معا كما يوجدان في الحياة ، ويرون أن الطفل في سن السادسة لديه معلومات أكثر عن العالم تؤكد له عن طريق الحقائق أن هذه القصص وهم وخيال . وفي نفس الوقت يقولون إن الرعب في هذه الحكايات قد تكون عاملا للتنفيس عن مشاعر الخوف والقلق الكامنة في نفس الطفل . وذلك كما يحدث في قصة « الغربان السبعة » السابقة فمن سياقها يتمثل بر إصبع الأخت التضحية بها جراء مسؤليتها عن اللعنة التي أصابت إخوتها السبعة

قصص الخوف والفزع

والعلماء الذين يبادرون بنقد القصص التي تقدم للأطفال عامة لأنها تحوي الخوف والفزع لا بد لهم من أن يدركوا أن الأطفال لديهم مخاوفهم الخاصة بهم . وبعد أن يقرأ أو يسمع طفل السادسة أحداث الفزع يجد الحنان والحب والأمن بين أهله فترتد إليه نفسه الهلعة الخائفة ، ويعرف أن ما سمعه أو قرأه إنما هو خيال كاتب أو قصاص لن يمسسه منه سوء أو يصيبه من جرائه مكروه . وقد تكون الكتب التي تقرأ والقصص التي تحكي هي الوسائل الأولى التي عن طريقها يتعلم الأطفال كيف يواجهون مصاعب الحياة ومشاقها ، ومن ثم لا بد أن يواجهوا هذه المصاعب في قصصهم لكي يعرفوا شيئا عن آلام الحياة وصعوباتها ، وعن الرعب والقسوة والغدر في الحياة ، وعن الحرب وما تخلفه من قتل وبؤس وتدمير وشقاء ، وعن الخيانة والحقد والخداع بوجوهها السوداء . وليس هناك من سبب لحماية عقول الأطفال أو تدليلها أكثر مما ينبغي

ومن ناحية أخرى ليس هناك من سبب يدعو لأن نصدم الأطفال الصغار ـ ما قبل السادسة ـ بهذه المفزعات متعمدين تخويفهم بها في هذه السن المبكرة . ومن ثم إذا كنا سنقدمها لهؤلاء الأطفال ، يجب أن نعدل فيها حتى نخفف منها حدة الفزع والخوف والألم والتعذيب ، أو ننتظر حتى يأتي الوقت الذي يتطور فيه الطفل ويصل المرحلة التي تتكون فيه القوة الداخلية ليواجه مصاعب الحياة ويتعرف مآسيها . وتلك مسألة نسبية تتوقف على السن الادراكي للطفل ، وعلى تجاربه ، والبيئة المحيطة به . كما أنها تشير إلى أهمية معرفة الأمهات والمربيات والمدرسات وأمناء المكتبات ورواة القصص لهؤلاء الصغار معرفة وثيقة يصلون منها إلى قلوبهم وعواطفهم . والمرحلة التي تتكون فيها تلك القوة الداخلية عند الأطفال الأسوياء هي سن السادسة وما بعدها

وقصص الأطفال الشعبية التي تضم الخوف والفزع والتعذيب ليست هي وحدها ما يجب أن يحسبها الأطفال في المرحلة المبكرة ، بل هناك نوع آخر أكثر خطرا على وجدان الطفل وتكوين عواطفه تجاه دينه ومجتمعه ووطنه ، تلك هي القصص التي تحوي مفاهيم تنتهك تعاليم الدين ، أو تستهين بالتقاليد الاجتماعية الأصلية أو تحط الروح الوطنية في نفسه . وتتمثل في سلوك شخصيات القصة فتترسب في ذهن الطفل وتستقر في وجدانه وعواطفه والطفل وهو مستغرق في سماع الحكاية لا يكون مدركا قوة التأثيرات التي يستجيب لها لأنها تحدث دون شعور منه ، وذلك بواسطة عقله الباطن الذي يعي السلوك والتجربة من أحداث القصة أو من سلوك شخصياتها ويقوم الطفل بعملية توحد مع الصور والنماذج المعروضة في القصة ، ويميل إلى المحاكاة والتقليد لها ، ويتأثر بما يسمع فينمو لديه الخيال المريض ويكسبه المعاني السيئة ، ويثير في نفسه القلق والشك والاضطراب ونزعة الاجرام حين يقوم بعملية موازنة ومقارنة بين ما يسمع من القصص وما يرى في واقع المجتمع الذي يعيش فيه . وإذا كان الطفل سريع التأثير بما يحيط به من مؤثرات مختلفة وتتكون اتجاهاته ومثله وأهداف الحياة عنده في مرحلة طفولته ، فتجاربه الذاتية بما يسمع ويقرأ لها أهمية كبرى في مستقبل حياته

في الخليج العربي

وإذا استعرضنا ما يحكي اليوم للأطفال في منطقة الخليج العربي من التراث الأدبي الشعبي نجده يضم بين ما حملته الأيام من أعماق التاريخ حكايات الجنيات والسحرة ، والقصص الشعبية ، وحكايات الحيوان ، والأغاني ، والأحاجي ، وحكايات البحر ، والحكايات الدوارة ، وقصص الأذكياء والحمقى وغيرها من صنوف الحكايات الشعبية المختلفة . هذه الحكايات التي ما زال الكبار يروونها للصغار حتى هذه الأيام جديرة بالدراسة لبيان ما يصلح منها للأطفال وما لا تصلح حكايته لهم . وعسير أن يتناول بحث واحد أجناس الحكاية الشعبية كلها في منطقة الخليج ومن أجل ذلك سنبدأ بأمثلة من حكايات الجنيات والسحرة

وجمهور العلماء والباحثين في التراث الأدبي الشعبي يطلقون مصطلح « حكايات الجنيات والسحرة fairy tales على القصص التي تدور حول الجنيات أو المخلوقات التي فوق مستوى البشر ، ومع ذلك فالمجموعات المختلفة من هذه القصص لا توجد الجنيات إلا في عدد قليل منها ومن ثم أطلق جوزيف جاكوبس هذا المصطلح في مقدمته لكتابه english fairy tales على القصص التي تحدث فيها الخوارق أو الأمور الغريبة ، كأن يكون فيها جنيات أو عمالقة أو أقزام ، أو حيوانات تتكلم ، أو يكون فيها عمل غير طبيعي كالحمق والغباء وأطلقت روث تـور هـذا المصطلح في كتابها story telling على القصة التي كتبها مؤلف واحد ، وتدور حول قوى سحرية أو خارقة تحقق الآمال والأحلام ، وهي في رأيها غير القصة الشعبية لأن القصة الشعبية مجهولة المؤلف ، أو يتعدد مؤلفوها

وفي عصرنا الحديث لا يمكن لأحد أن يفكر في طفل وحكاية دون أن يفكر في قصص الجنيات والحكايات الخرافية ترى أهي عادة سيئة خلفتها لنا ـ فيما خلفت ـ البدائية الأولى ؟ أو أنها رواسب من تفكير العصور القديمة ومعتقداتها ؟ أم أن هذه الحكاية تستطيع أن تبرر علميا شهرتها وذيوعها بين الأطفال ، وأن تثبت أن حب الأطفال وشغفهم بها له نتائج تربوية مؤكدة ؟ وهل يمكن أن نرغم ونحن في عصر الأقمار الصناعية وعصر التقدم في بحوث علم نفس الطفل وطرق تربيته أنها بوجه عام قصص تلائم الأطفال في هذا الجيل وتصلح أن نقدمها لهم ؟

نعم ، إن حكايات الجنيات الخالية من الفزع والخوف وقتل الأطفال وتعذيبهم والتي استطاعت عبر هذه القرون الطويلة أن تحتفظ بحب الأطفال لها ، وأن يشتد ولعهم بها في عصور مختلفة التطور والحضارة ، لا بد من أنها تحوي في جوهرها من عناصر الحياة ما يجعلها قادرة على تلبية كثير من حاجات الطفولة فالعجوز المسكينة التي تستند بيدها المرتجفة على عصاها السحرية تستطيع بحركة من هذه العصا أو بكلمة مرتعشة من فمها الخالي من الأسنان أن تبعث في الأطفال روح المرح والمتعة ، تلك التي نبذل نحن الكبار قصارى جهدنا لنحركها فيهم ونوجه مشاعرهم نحوها ،[1] ويمكنها كذلك أن تقرع بعصاها السحرية الأبواب المغلقة فتنفتح على كل ألوان الخيالات العجيبة المبهرة والمغامرات الآسرة التي تخلب لب الطفل وتفتنه ، وتشد اليها خياله فيحلق في عالم جديد تتفتح له تصوراته ومدركاته ، ويشارك في الأحداث ، وينفعل بالعواطف ، ويستمتع بالمغامرة

وحكايات الجنيات تلائم أطفال عصرنا ـ عصر الأقمار الصناعية ـ وتلبي كثيرا من احتياجاتهم الخيالية والعاطفية وسط عالم طغت عليه المادية وتفيدهم من طرق شتى ، ومن ذلك قدرتها العليا على عرض الحق والعدل والصدق والجمال والخير في ثوب من الخيال والتصور ، وذلك هو الطريق الذي اتخذه جنس الأطفال تجاه الحكمة ، والذي تسلكه الفطرة والغريزة لكل طفل ميراثا من براءة الطفولة واستجاباتها الفطرية للحق والصدق والعدل

كذلك تعرض كثير من حكايات الجنيات الحقائق الأولية لقانون الحق والخير والعدل في صورة متخيلة من تجارب الانسان ومع أن الطفل حين سماعه القصة لا يدرك إلا الخيالات لكن الحق والتجربة يمتزجان بوجدانه ويصبحان جزءا من تجربته الشخصية يميزهما في المراحل التالية من حياته حين يتعرض فيها لمواقف مماثلة ، كما تضيف عنصرا جديدا لمخزونه من الاستنتاجات ولرصيده من الأخلاقيات يستخدمها ويتعامل بها في حياته المستقبلة وفوق ما تحويه من صور الحق والعدل والتجربة ، فإن شخصياتها الرئيسية تتميز بالخصال الحميدة من شجاعة وشهامة وأمانة ووفاء ، كما أن فيها من الآثار والذخائر والتراث ما يصل الطفل بألوان الفنون الشعبية لأمته ، وهذه عناصر ضرورية تدخل في تكوين الذوق الفني لكل إنسان ومع ذلك فهذه الأسباب وغيرها تأتي تبعا للغاية الكبرى من حكاية قصص الجنيات للأطفال وهي تسليتهم وإمتاعهم وإدخال السرور عليهم وقد لا زمتها هذه الغاية من أول الزمان إلى عصرنا الحديث ، لم تتخل عنها إلا في فترة الاضمحلال والتدهور والاحتلال والاستبداد وظلمة الفقر والجهل ، فترة فقدان الذات التي جرح الخيال فيها ممسوخا والتصور مريضا مشوها في قصص وأغان مليئة بالرعب والهلع والخوف ، وحكايات مجروحة بالألم والتعذيب تنفيسا وإسقاطا رمزيا وحكايات هذه الفترة المظلمة هي ما يتحتم أن تجنب الأطفال الصغار سماعها ، كما يتحتم ألا نقصر الحكايات التي نحكيها لأطفالنا على قصص الجنيات وحدها ، بل نقدمها لهم لونا من ألوان التسلية مع غيرها من القصص الشعبية الأخرى كحكايات الحيوان والقصص التاريخية والعلمية والبطولية وغيرها من قصص الأطفال وسوف يدرك الطفل أن قصص الجنيات إنما هي وهم من خيال وتصور ■ ■

(الجزء الثاني في العدد القادم)

د علي الحديدي

مالي : عناق المد

دوافقر !

طلاع : فهمي هويدى

: أوسكار متري

في مالي انهزم التاريخ امام الجغرافيا ، وانكسر المجد تحت وطأة الجفاف والفقر ، وقسا الزمان على ابناء « الماندنجو » ، حتى صاروا نموذجا لهذا الذي نرثى له دائما عزيز القوم الذي عرف الهوان والذل !

ذلك هو النصف الفارغ من الكوب !

في النصف الملآن يفاجأ المرء في مالي بشعب عجوز ، طاعن في السن والتجربة ، منحته عصور المد والجزر ، والصعود والهبوط ، حلما وصبرا عظيمين ، مكناه من الثبات في مواجهة عوادي الزمن بشجاعة نادرة ، فظل قابضا ، بأسنانه وأظافره ، على دينه وهويته وكرامته ، متحصنا في ذلك باصوله الحضارية ، التي تقف شواهدها وسط البلاد في شموخ ، تعلن عمق الجذور واستحالة الاقتلاع

في النصف الملآن من الكوب ، يكتشف المرء انهم فقراء حقا ، لكنهم صامدون وشرفاء !

مشكلة زائر مالي انه يقع فريسة « الرثاء من اول نظرة » ، فمنذ تطأ قدماه باماكو - العاصمة - يخيل اليه انه اجتاز ابواب سرادق عزاء كبير ، وان مستودع التاريخ انقلب مستودعا للحزن ، وانه ربما اخطأ الطريق ، وهبط في كوكب آخر ، انفصل عن العالم والعصر !

ذلك ان القادم الى مالي لا تقع عيناه - عند النظرة الاولى - الا على النصف الفارغ من الكوب وباماكو - لسوء الحظ - تحتل بجدارة موقعا متقدما في هذا النصف !

كان الوقت ليلا عندما حلقت بنا الطائرة فوق المدينة ناعسة بدت ، ومتدثرة بملاءة سوداء كبيرة ، تناثرت في بقع متباعدة منها نيران اشبه بالحرائق منها الى اضواء المصابيح قيل لي فيما بعد انها حرائق تعمد الناس اشعالها لابادة الزراعات الجافة ، التي ماتت من جراء شح المطر وانقطاع الري وان هذه الابادة ضرورية قبل ان تظهر الافاعي في شقوق الارض وتحتمي بتلك الزراعات ، فيتضاعف الكرب والهم فاذا كان الناس قد فرض عليهم الجوع ، فليس هناك ما يبرر أن يتهددهم الموت ايضا ، يكفيهم شر الجوع ومحنته

مسجد موبتي ، لاحظ التصميم الفريد ، والعمارة الافريقية العربية الشاهقة المسجد يمتلىء بالمصلين كل يوم جمعة ، الذين يسدون الطريق المؤدي اليه الى مسافة نصف كيلو متر (انظر حلقه)

باماكو في الذاكرة القريبة مدينة غير عادية فهي عاصمة لبلد كان يعد احد رموز عدم الانحياز والكبرياء الافريقي ، ودعامة للقوى الرافضة للسيطرة الفرنسية ، ثم هي بمثابة القلب في بلد على مفترق الطرق بين شمال القارة ووسطها وغربها فضلا عن انها عاصمة اهم دولة زراعية في غرب افريقيا ، بل كانت تعد حتى عهد قريب « مخزن حبوب » القارة

لكن باماكو في الحقيقة لم تكن سوى قرية كبيرة فباستثناء عدد محدود من الطرق المرصوفة في وسطها ، وباستثناء حي السفارات الاجنبية ، وحي كوليا الذي اقامه الفرنسيون فوق ربوة تشرف على العاصمة ، وخصصوه للوزارات ومقر الحاكم الفرنسي ، فان باماكو لا يمكن ان توصف الا بانها قرية كبيرة ، لا تعرف - خارج تلك الدائرة - لا الانارة ولا شبكات المياه ، ولا تعرف المواصلات ولا الطرق المرصوفة ، ينتشر فيها الشحاذون ومرضى الجذام في النهار ، وتحتل مواقعهم جيوش البعوض طوال الليل !

في الشكل ايضا تعاني باماكو من مأساة كثير من عواصم العالم الثالث ، واعني بها عملية مسخ الشخصية الذي تفصحه عمارة المدينة وبناياتها وهي مأساة تتبدى بصورة اكبر عندما يكون للبلد طراز معماري مميز ، يتم التخلي عنه لصالح الشخصية الاوروبية بحجة الحداثة والتطور فباستثناء السوق الكبير الذي يقع في الجزء القديم من المدينة ، فليس فيها شيء من العمارة الافريقية التي تزهو بها مدن اخرى في مالي ، مثل تمبكتو وجني وموبتي

تجسد باماكو حقا ذلك البلد الذي هده الجفاف ، وانهكه الغلاء والتضخم ، وافترسه المستغلون من التجار والسماسرة ، وحاصرته المصالح الاستعمارية الفرنسية ، عقابا له وتأديبا

فما هو سلبي في المدينة لا يطل فقط من هيئتها وصورتها العامة ، ولكنه ينعكس بصورة أكبر من حجم الهموم الجاثمة فوق صدرها فحيث يذهب المرء يسمع قصصا لا تنتهي في مسلسل الحزن المخيم منذ حل الجفاف في عام ٧٣

يحدثونك عن الكساد الذي عم ، وعن السلع التي نقصت ، وعن الصدقة التعسة التي جمعت بين حلول

الجفاف وارتفاع اسعار النفط في وقت واحد وقد وضع امامي وكيل وزارة التخطيط ـ كابا كامارا ـ صورة بالارقام لمعالم تلك المأساة ، تشير الى انه منذ ذلك العام المشئوم ، نقصت الامطار بنسبة ٧٠٪ ، فهلك ٤٧٪ من مختلف انواع الماشية ، في حين ان ابقار المناطق الشمالية نقصت بنسبة ٧٠٪ ، بينما وصلت النسبة في منطقة جاو الى ٨٥٪ وفي العام الماضي (١٩٨١) شهد « محصول الحبوب » التقليدي ، عجزا في الحبوب قدره نصف مليون طن وفوق هذا كله ـ يقول مسئول التخطيط ـ فان اسعار النفط تضاعفت عشر مرات في الفترة من عام ٧٣ الى الآن ومع ذلك يظل مطلوبا من البلد ان يقف على قدميه ، ولا ينهار أو يسقط في أي لحظة !

يحدثونك عن ألوف العاطلين الذين يفدون الى العاصمة ، من المزارعين الذين هجروا الارض بسبب الجفاف ، وعما حمله هؤلاء القادمون من هموم جديدة اضيفت الى احزان المدينة وامراضها .

يحدثونك عما فعلته فرنسا بهم عندما عاقبت مالي لتمسكها بسياسة عدم الانحياز ، واصرارها على الاستقلال عن فرنسا في عام ١٩٦٠ ، وخروجها من منطقة الفرنك رفضا للهيمنة الفرنسية ، وكيف ان باريس قطعت عنها كل معونة ، وسحبت خبراءها الفنيين ، وحاصرت مالي سياسيا واقتصاديا حتى عجزت اشهرا عديدة عن دفع رواتب الموظفين ، وحتى تدهورت قيمة الفرنك المالي بصورة مفزعة فبعد ان كان يعادل الفرنك الفرنسي في عام ١٩٦٠ ، اصبح الفرنك الفرنسي الآن يعادل مائة فرنك مالي !

بين التاريخ والجغرافيا

تكاد الهموم تستغرق القادم الى باماكو ، وتصرف انتباهه عن النصف الملآن من الكوب ، وعن المسرح العريض الذي لا يستطيع الكوب ان يستوعبه ويحتويه ، وذلك شوط ليس سهلا على الاطلاق ، فقد تبين لي ان الرحلة « الى » مالي ، اهون بكثير من الرحلة « في » تلك البلاد

ذلك ان مالي ليست فقط ذلك البلد الذي يتوزع على سبعة اقاليم ومساحته مليون وربع مليون كيلومتر مربع ، ويبلغ طول حدوده سبعة آلاف كيلومتر ، بينها ٤ آلاف مع دولتين عربيتين هما موريتانيا والجزائر ، والباقي موزع على اربع دول افريقية اخرى لو ان هذا هو الاطار الذي يمكن ان نتعرف من خلاله على وجه مالي لهان الامر وتم بغير عناء ولكن الصعوبة في ان بلدا مثل مالي ، وان كان شديد الفقر في موارده الراهنة ، الا انه شديد الغنى والثراء في مكوناته وعناصره ، واشد غنى وثراء في تاريخه وتراثه وان كانت تلك مفارقة محزنة ، لكنها الحقيقة على اي حال

المشكلة في مالي انك لا تسبح في بلد مترامي الشطآن فقط ، ولكنه ايضا يشكل وعاء بشريا كبيرا يضم خليطا من القبائل ذات الاصول والاعراق المختلفة ، الزنجية والحامية ، ومجتمعا زراعيا ورعويا بالدرجة الاولى ، ومجتمعا نهريا بالدرجة الثانية ، فضلا عن انه يشكل وعاء تاريخيا لامبراطوريات افريقية عريقة تمتد جذورها الى القرن الثالث الميلادي على الاقل ، وهو التاريخ المرصود لمولد امبراطورية غانه ، اقدم امبراطوريات غرب افريقيا ، والتي تتابعت في اعقابها امبراطوريات وممالك اخرى عديدة

ومع ذلك ، فثمة لبس ينبغي ان يحسم في البداية ، بين مالي في التاريخ ، ومالي في الجغرافيا اعني بين مالي التي عرفها العالم في القرون الخوالي ، ومالي التي استقرت في خريطة هذا الزمان اذ ان هناك تطابقا في الاسم ، واختلافا في المحتوى

مالي في التاريخ الافريقي اسم رنان وضخم ، ارتبط بقوة السلطان وبريق الذهب

وربما يكون ابو عبيد الله البكري اول مؤلفي العرب الذين ذكروا مالي في القرن الحادي عشر ، وان اشار اليه بانه « بلد اسمه ملل ، وملكهم يعرف بالمسلماني

وفي القرن السادس عشر كتب القاضي السوداني محمود كعت يقول وكنا نسمع من اعوام عصرنا يقولون سلاطين الدنيا اربعة ، خلا السلطان الاعظم (يقصد الخليفة العثماني في استنبول) ، سلطان بغداد ، وسلطان مصر ، وسلطان برنو (يقصد مملكة برنو حول بحيرة تشاد) وسلطان مل

وليس معروفا على وجه الدقة متى ظهرت مالي الى الوجود وان كان السعدي يذكر انها كانت قائمة في عصر دولة غانه ، وذلك قبل البعثة النبوية وانه خلال تلك الفترة ، التي يقدر مداها بسنوات حكم ٢٢ ملكا في غانه ، كانت دولة مالي تنمو وتتسع تدريجيا في اقليم كانجابا على نهر النيجر لكن تاريخ دولة مالي بدأ يعرف منذ القرن السابع الميلادي ، وبلغت ذروة مجدها خلال القرن الرابع عشر الميلادي ، ثم تلاشى نفوذها واختفى دورها المؤثر من المسرح الافريقي في اواخر القرن السادس عشر

على اكتاف قبائل الماندنجو قامت وهي القبائل

السوق في باماكو ، البناء الرئيسي على طراز قريب من خطوط مسجد موبتى ، والبضائع تملأ ساحته الواسعة
خليط من السلع يعطي كل احتياجات الناس   الى اليسار ، واحدة من نسوة البمارا وقد ارتدت قرطا
ضخما من الذهب ، يذكر بثراء العصور الخوالي

الزنجية التي تسيدت لبضعة قرون المنطقة الفسيحة الممتدة بين نهر النيجر والمحيط الاطلسي .

وفي عصر ازدهارها ، امتد سلطان امبراطورية مالي ، حتى نقل العمري عن ابي سعيد الدكالي ، الذي عاش في مالي خمسة وثلاثين عاما ، ان « طول هذه المملكة اربعة شهور وازيد ، وعرضها مثل ذلك » .

في تلك الرقعة الواسعة ، اجتمعت لدولة مالي في عصر ازدهارها ثروات حملت صيتها يتردد عاليا في عالم العصر الوسيط ، اذ كانت تضم مناجم الذهب في « وبقاره » ، ومناجم الملح في « تغاره » ومناجم النحاس في تكده . وعندما خرج منسا موسى ، اعظم ملوك مالي ، للحج في عام ١٣٢٤ م ـ ٧٢٤ هـ ، واصطحب معه موكبا ضخما ، وكميات هائلة من الذهب تناقل اخباره التجار الاوروبيون الذين يعملون في تبادل السلع مع افريقية ، وذهل عالم ذلك الزمان ، واعتبرته الخرائط الأوروبية التي صدرت وقتئذ « ملك الذهب » .

يروى المقريزي ان السلطان موسى كان يركب جوادا ومعه ستون الف جندي ، وبصحبته خمسمائة عبد بيد كل عبد عصا من ذهب ، في كل عصا خمسمائة مثقال ذهب (يقدر المثقال بثمن اوقية) . وذكر ابن خلدون ان منسا موسى كان قد اعد لنفقته من بلاده ، فيما يقال ، مائة حمل من التبر ، في كل حمل ثلاثة قناطير .

وايا ما كانت المبالغة في تقدير حجم الذهب الذي حمله معه السلطان موسى وهو مسافر الى الحج ، فان الصورة تعكس مدى الثراء الذي توفر له .

تقدر مساحة مالي في عصر ازدهارها بما يعادل مساحة كل دول غربي اوروبا مجتمعة . ورقعتها تلك تضم الآن جمهورية مالي في الوسط ـ وموريتانيا الجنوبية في الشمال ـ والسنغال وغينيا في الغرب ـ واراضي ساحل العاج الشمالية والفولتا في الجنوب ـ وجمهورية النيجر في الشرق .

واذا كانت امبراطورية مالي قد احتلت هذه المكانة في التاريخ الافريقي ، فمن الانصاف ان نقرر ان تلك البقعة من الارض كانت تعيش ـ قبل مالي ـ في ظل امبراطورية غانه التي وصفها ابن خلدون بأنها « أعظم أمة واضخم ملك » . حتى باتت تعتبر بحق اولى حلقات التاريخ القومي لغرب افريقيا . وأول تجربة ، أو أقدم ما عرف من تجارب الحكم الوطني الناجح بتلك البلاد .

ومن الانصاف ايضا ان نذكر انه في اعقاب دولة مالي ـ وفوق الرقعة ذاتها ـ قامت امبراطورية صنغي من منتصف القرن الخامس عشر الى اواخر القرن السادس عشر ، وعرفها المؤرخون العرب باسم كوكو وكان اشهر ملوكها واعظمهم شأنا ، اسكيا محمد (١٤٩٣ ـ ١٥٢٨) ، الذي قام برحلة الى الحج لا تقل فخامة ولا اهمية عن رحلة منسا موسى سلطان مالي .

ومنذ بدايات القرن السادس عشر ، كانت اساطيل الغرب قد بدت تدق ابواب غرب افريقيا ممثلة في البواخر البرتغالية في البداية ، ثم الاحتلال الفرنسي في النهاية الذي ثبت اقدامه في مالي في بداية القرن الحالي ، واطلق عليها اسم السودان الفرنسي . وعندما حانت ساعة رحيل الفرنسيين ، حاولوا ربط مالي مع السنغال في اتحاد بين البلدين أقيم عام ١٩٥٩ ، ولكن الفكرة لم تنجح ، فحدث الانفصال ، واستقلت مالي بقيادتها في عام ١٩٦١ ، تحت رئاسة موديبو كيتا الذي استمر في الحكم سبع سنوات ، ثم نحي في عام ٦٨ ، ليتسلم العسكر الحكم بقيادة الملازم موسى تراوري ، رئيس اللجنة العسكرية للتحرير الوطني ، ورئيس دولة مالي .

في زمن الجزر !

لقد انتهت عصور المجد والمد ، وباتت مالي الآن تشهد عصرا جديدا ، ربما لم تعرفه ولم تتوقعه في تاريخها الطويل . اصبحت دولة متواضعة ، لا تعاني فقط من مشكلة الجفاف ، لكن موقعها ذاته بكل قيمته التاريخية بات يشكل عبئا عليها ، وعقبة أمام نموها . فوجودها في وسط الصحراء ، محاطة بست دول اخرى وبعيدا عن المحيط ، قطع خطوط اتصالها المباشر مع العالم الخارجي وبالاخص العالم العربي ، الذي اصبح مصدر الانتاج الصناعي والخبرة ، الذي تعتمد عليه كافة دول العالم الثالث . وهي الجسور التي باتت ضرورية وحيوية ليس فقط منذ سنوات الاحتلال الفرنسي ، ولكن ايضا منذ انتقلت مراكز التجارة والصناعة والمعرفة من الشرق الى الغرب .

وهي مفارقة تلفت النظر ، عندما كانت دولة مالي ممتدة الى المحيط ، لم يكن للمحيط هذه الاهمية ، وانما كان يشكل حدودا جغرافية لا اكثر . وكانت صلات مالي والدول التي قامت بعدها ، متجهة كلها الى دول المغرب ومصر . وهي الصلات التي توثقت عبر طرق القوافل العديدة التي كانت تشق الصحراء ، منذ القرن الهجري الاول (السابع الميلادي) . عندما حفر العرب عدة آبار على طريق القوافل بين جنوبي المغرب الاقصى ، واودغشت على حافة الصحراء الجنوبية . الامر الذي اضفى اهمية كبرى على مدن الصحراء التي كانت مراكز لهذه القوافل ، مثل اغاديس في النيجر ، وتمبكتو في مالي . وقد بلغ من اهمية تلك الجسور الصحراوية ان قافلة

خرجت من مالي الى مصر في القرن ١٤ كان قوامها اثني عشر الف جمل

لكن مالي عندما انحسر سلطانها ، وقامت دول اخرى بينها وبين المحيط ، كان ذلك مقترنا بانتقال دفة الحضارة من الشرق الى الغرب ، الامر الذي اصبحت معه حاجة مالي الى المحيط اشد اهمية واكثر الحاحا

نعم لا تزال طرق القوافل قائمة الى الآن ، ولكن اهميتها باتت ثانوية الى حد كبير واخطر ما تنقله هو الملح ، من مناجمه الشهيرة في « تاوديني »باقصى شمال مالي ، فضلا عن بعض التمور وانتاج الحرفيين من الجزائر وموريتانيا لكن النقل كله ، والاحتياجات الحقيقية للبلاد باتت تجيء اما بالبحر الى السنغال ، وتنقل عبر خط السكة الحديد الوحيد ، الذي اقامه الفرنسيون من داكار الى باماكو ، او تصب تلك السلع في ابيدجان ساحل العاج ، ثم تنقل برا الى حدود مالي

المفارقة الثانية ، اللافتة للنظر ايضا ، ليست فقط في ان جمهورية غانة الحالية تحمل اسم دولة قامت على ارض مالي في الاصل ، ولكن ايضا في ان نهر النيجر يلعب في مالي دورا اشد خطورة من دوره في جمهورية النيجر ، التي تحمل اسمه

فمن بين ٤٢٠٠ كيلو متر هي طول نهر النيجر ، ـ الذي يبدأ في غينيا وينتهي الى الاطلسي في نيجيريا ـ فانه يخترق ١٨٠٠ كيلومتر في اراضي مالي وحدها ، مشكلا عصب الحياة وشريانها الاساسي في البلاد ، وقائما بدور الجسر الذي يربط فيها بين السافانا والصحراء ، وبين قلب افريقيا السوداء وحدود الشمال الافريقي ، او بين القبائل الزنجية والقبائل ذات الاصول العربية والبربرية

المفارقة الثالثة ، والاكثر غرابة في مالي ، انها رغم توفر هذا المصدر المائي الكبير لديها ، فان زراعتها لا تزال معتمدة على الامطار ، الامر الذي ضاعف من حجم الكارثة التي اصابت البلاد عندما حل الجفاف المشكلة ان استثمار مياه نهري النيجر والسنغال يجب ان تتم من خلال شبكة سدود تقام على كل منهما ، ولكن هذه السدود تحتاج الى تكاليف تقدر بملايين الدولارات او الفرنكات ، وهي مبالغ لا تتوفر للدول المحيطة بالنهرين وبمساعدة بعض الدول العربية والمؤسسات الدولية بديء باقامة سد سلنجي ، مما ساهم في توفير الطاقة الكهربائية للبلاد ، وهم يحلمون باقامة سد كبير آخر على نهر السنغال في منطقة كاي - جنوبي مالي - هو سد مانتنالي ، الذي تشير الدراسات الاولية الى انه سوف يساعد على ري ٤٠٠ ألف هكتار في مالي والسنغال وموريتانيا .

ان مشكلة الزراعة والري في مالي لا تكمن في ندرة المياه ، بقدر ما تتعلق بالعجز عن استثمار الموارد المائية المتوفرة وهو المازق الذي دفعت مالي ـ ولا زالت ـ ثمنا باهظا نتيجة له

لقد لعبت « المياه » دورها في تقسيم مالي الى ثلاث مناطق جغرافية ، السودان في الجنوب ، وهو الاوفر حظا من المياه ، وفيه المزارع والغابات ، والساحل في الوسط ، وهو الاقل نصيبا من المياه ، والاكثر استيعابا للمراعي ، في الشمال ، حيث الجدب والقحط ، اذا استثنينا الجزء الذي يمر فيه نهر النيجر ، الذي قلنا ان دوره في النقل اساسا ، ودوره في الري آت عندما تقام السدود المرتقبة

وفي ضوء هذا التقسيم ، فان الانتاج الزراعي تركز في الجنوب وهو المتمثل اساسا في القطن والذرة والقمح والارز والفول السوداني ، عبر الغابات وكان طبيعيا ان تقوم في الجنوب ايضا ، الى جانب خاماتها ، صناعات النسيج والسكر (اقامها الصينيون) ، والزيوت مع مضارب الارز ومحالج القطن ، وقد اجتمعت اهم تلك النشاطات الصناعية في مقاطعة « سيجو » الجنوبية ، من ناحية اخرى ، تركزت قطعان الماشية في الوسط وتمركز صيد الاسماك ايضا في هاتين المنطقتين وهو يشكل حجما لا يستهان به ، جعل مالي ثاني دولة في غرب افريقية في ثروتها السمكية بعد السنغال ـ اذ تصدر منها ما يعادل ٢٠ / من الانتاج السنوي

أما الصحراء ، فان نصيبها من المعادن قد حفظ لها اسهامها في الاقتصاد القومي ، فبالاضافة الى مناجم الفحم في تاوديني الشمالية ، يحتل الحديد المقام الاول ـ من حيث الكمية ـ في معادن البلاد ويقدر الاحتياطي منه بحوالي بليون طن يليه البوكسيت (خام الالومنيوم) ويقدر احتياطيه بـ ٨٠٠ مليون طن ، ذلك غير المنجنيز والفوسفات والفضة ، واحلام النفط واليورانيوم في الشمال

أما الذهب ، فيظل رصيده في التاريخ اضعاف رصيده في الواقع الراهن وان كان الامر لا يمنع من تعلق الجميع بحلم العثور على ذلك المعدن النفيس ولا تزال احدى الشركات السوفيتية تنقب في مقاطعة سيكاسو على بعد ٢٠٠ كيلو متر جنوب باماكو عن منجم للذهب ، والشائعات ، او التمنيات ، تروج ان المنجم قائم فعلا ، وانه بسبيل الانتاج قبل منتصف الثمانينات ، ومع ذلك فان الامر لا يمنع من ان يعثر البعض هنا وهناك على كسرات من الذهب الخام ،

في داخل مدرستين لتعليم اللغة العربية ، الاقبال ضخم من جانب كل شرائح المجتمع ، رغم ان مستقبل الدارسين

محفوف بالمخاطر ، اذ لامجال لاستمرار بقية مراحل التعليم بعد الابتدائى والاعدادى

ضريبة الرؤوس !

تعدادهم ستة ملايين من البشر ، هكذا يقول الاحصاء الرسمي ولكنك تجد من الخبراء في اجهزة الدولة من يحذر من الاعتماد على هذا الرقم ، ويشكك في دقته

وأيا كان الرقم الحقيقي لعدد السكان ـ وهو بين ٦ و٧ ملايين على احسن الفروض ـ فان الوعاء البشري في مالي يضم خليطا من القبائل والأجناس ، تتعدد قسماته العرقية والاجتماعية ، بصورة مثيرة ومدهشة

وبشكل عام ، فان سكان مالي يتوزعون على اصول ثلاثة زنجية ، وبربرية ، وعربية ورغم ان هذه الاصول لا تعيش في عزلة عن بعضها ، وانما تداخلت تجمعاتها السكانية بقدر تشابك مصالحها الاقتصادية ، الا انه يمكن القول ان الزنوج يتركزون في الجنوب ويعملون بالزراعة والصيد والبربر والعرب يتركزون في الوسط والشمال ويعملون بالرعي والتجارة اي انهم منتشرون في القطاع القريب والمفتوح على الجزائر من ناحية ، وموريتانيا من ناحية اخرى ، مشكلا مثلثا يفصل بين البلدين يغرس راسه في عمق الصحراء الفاصلة بينهما

واذا اقتربنا اكثر من الصورة ، فسوف نجد ان هذه الاصول الثلاثة افرزت عشر مجموعات من القبائل على الأقل تتعايش جنبا الى جنب فوق ارض مالي ، وهذه القبائل هي

١ ـ البمبارا ، ويعيشون في وسط وغرب وجنوب البلاد ، اغلبهم مسلمون ، ويعملون بالزراعةوالتجارة ،

٢ ـ الفولانيون ، وهم موزعون في انحاء مالي ، بحسب اشتغالهم بالرعي والتجارة اولا ، ثم بالزراعة بعد ذلك وهم جميعا مسلمون

٣ ـ الصنغاي ، في الشمال والشرق ، كلهم مسلمون ويعملون بالزراعة والتجارة

٤ ـ الطوارق ، وهم في الشمال ، ويشتغلون بالرعي ، وهم جميعا مسلمون

٥ ـ المركا او السراكولي ، في الغرب ، كلهم مسلمون ، ويعتبرون اشطر التجار ، حتى ان البعض يعتبرهم « يهود مالي »

٦ ـ البورو ، في الوسط والشرق ، اغلبهم مسلمون ، والاقلية وثنية ، ويعملون بصيد الاسماك وتجفيفها

٧ ـ الدوجون ، في الشرق ، يشتغلون بالزراعة وهم خليط بين الوثنيين والمسلمين

٨ ـ سونبو ، في الجنوب ، ويعملون بالزراعة ، واغلبهم وثنيون

٩ ـ العرب ، في الشمال ، وهم رعاة وتجار ، وكلهم مسلمون

١٠ ـ المانيكا ، في الغرب ، ويعملون بالزراعة ايضا ، وهم مسلمون ووثنيون

ومن هذه القبائل سبع مجموعات ذات اصول زنجية هي البمبارا ، والسراكولي ، ومورو ، والمينكا ـ وهؤلاء من فروع الماندنجو ـ والصنغاي والدوجون وبوبو ، من اصول زنجية اخرى

والعرب من اصول عربية بطبيعة الحال ، ولكن الفلانيين يختلط فيهم العنصر السوداني بالعربي والطوارق من اصول بربرية كما هو معروف

والبمبارا هم اكبر قبائل مالي ، وهم يمثلون ٣٥ من مجموع السكان ، الا ان اللغة البمباراوية منتشرة بقدر يفوق حجم قبائل البمبارا ، اذ يتحدث بها حوالى ٦٠٪ من السكان وفضلا عن انها لغة الشارع في العاصمة ، الا انها باتت لغة التجارة ايضا رغم ان اكثر التجار من السراكول

سبعون بالمائة من السكان على الاقل مسلمون ، وخمسة وعشرون بالمائة وثنيون ، وخمسة بالمائة مسيحيون تلك ايضا نسب متداولة ومستقرة في دوائر الحكومة

بين الشمال والجنوب

قسمات مجتمع المسلمين متعددة ومختلفة ، يلعب دورا فيها ان الاسلام في الشمال اسبق منه في الجنوب فاذا كان الاسلام قد وصل الى المناطق الشمالية منذ الفتح الاسلامي لشمال افريقيا في القرن السابع الميلادي ، فانه قد انتشر في المناطق الجنوبية في عهد المرابطين ، في القرن الثاني عشر الميلادي ، ذلك ادى الى ان اصبح الاسلام في الشمال اكثر رسوخا منه في الجنوب ، ليس فقط بفعل الفارق الزمني وانما ايضا لان مصدر « التبليغ » اختلف فقد تلقى الاولون تعاليم الاسلام من مصادره العربية الصحيحة ، رغم ان ذلك لا يمنع من تأثر هذه التعاليم واختلاطها بالعادات فيما بعد ، بينما تلقى الآخرون الاسلام على ايدي شيوخ الطرق الصوفية ، بما اضفوه على التعاليم من اجتهاداتهم الشخصية ، التي تأثرت بنمط الحياة والاعراف في تلك المناطق النائية

فاذا كان السفور والاختلاط شائعين في الجنوب ، فان الاوضاع على عكس ذلك تماما في الشمال في الجنوب تستقبل المرأة ضيوف زوجها مثلا وتحادثهم ، في حضور او غيبته ـ وهو مالاحظه واستنكره ابن بطوطة ـ بينما المرأة في الشمال لا تتحدث الا من وراء حجاب ولا تجالس ضيوف زوجها

..ادا كان تعدد الروحات قـائما ومرحبا بـه في مجتمع ...سمين ككل ، الا ان الطوارق يتمردون بالحرص على زواج بواحدة فقط ، نظرا للمكانة المتميزة التي تحظى بها ...ساوهن ، ولكن هنا فـارق آخر يثير الانتباه فيما بين الحنوبيين والشماليين ، هو انهم في الحنوب يعرفون تقليد المعاشرة والانجاب ، ثم عقد القران بعد دلك ، وهو ما ...يه الشماليون ويعتبرونه ربما مرفوصا من الاساس.

الطرق والقبض والارسال

وادا كـان الحميع عـلى المذهـب المـالكي ـ شأن أهـل الشمال والعرب الأفريقيين ـ الا انه في اطار المقابلة بين الحنوب والشمال في مالي ، تلاحظ ان الطريقة التيجانية منتشرة في الحـنـوب ، والـطريقـة القـادريـة منتشـرة في الشمال ويفسر دلك بان المنطقة الحنوبية تقع بين معاقل التيجانية في السنغال والنيجر وفولتا العليا ونيجيريا فضلا عن ان تلك المنطقة كانت خاضعة لسلطان الحاج عمر الفوتي الدي انطلق من السنغال لنشر تعاليم التيجانية في الربع الثاني من القرن التاسع عشـر حتى وصل في عـام ١٨٤. الى حال فوتا حالـون في الحنوب الغربي لمالي ، ومند دلك اتبـاعه وخاض سلسلة من المعارك لنشـر دعوته ، الى ان لقى حتفه على ايـدى القادريين في عـام ١٨٦٠.

وفي شأن الطرق الصـوفيـة في مـالى نسجـل ثـلاث ملاحظات

ـ الملاحظة الاولى ، أن نسجـل هذه الـطرق حافـل بالذكريات المرة ، التي تدور حول المصادمات المستمرة بين القادرية والتيجانية طوال القرنين الثامن عشر والتاسـع عشر وقد ظل الفريقان يتبادلان الاتهامات ، التي بلغت حد التشكيك في سلامة الاعتقاد

وشهد القرن التاسع عشر مواجهات دامية بين التيجانية والقادرية ، في ظـل زحف الحاج عمـر الفوتي ، الـدي ...حم مملكة ماسينا التي اقامها الفلانيون ، وقتل زعيمها ...سره ، وهدم عاصمتها « حمدالله »وحرقها ، مع قرى ...رى حولها ، الامر الـذي ادى الى هدم حـوالي ٦٠٠ ...سة لحفظ القرآن في هذه الحملة

الملاحظة الثـانية ، ان هـذه الصفحة من الصـراع ...ت وصارت تاريخا وقصصا تروي عن الماضي ، وان ...ريين والتيجانيين وان ظل وجودهما مستمرا في مالي ، ...ر لا تأثير لهما او فاعلية في مسرح الحياة العامة ، بعكس كالسنغال وربما كان الفارق الاساسي بين البلدين ان ...نظام الحاكم في مالي كان رافضا لنفود الصوفية على طول الخط ، في حين ان الدولة في السنغال ظلت تشجع تلك الـطرق ، وتستخـدمهـا في فـرض سلطانها وتسكـين الحماهير ، خاصة في عصر الاحتلال

طوال عهد الرئيس موديبو كيتا (٦٠ ـ ٦٨) كان الباب معلقا امام نشاطات الطرق الصوفيـة ، سواء كـان دلك لعدم ايمان بهده الطرق ، او نتيجة وجود تيارات يسارية في نظام الحكم السائد ، الامر الذي دعا بعد الاسر المالية دات التاريخ المرتبط بالنشاط الديني او الطرقي ، الى الهجرة الى الدول العربية والاسلامية الاخرى ، مثل ليبيا والحزائر ومصر والسعودية وقد كان بعض رجال الطرق الصوفية الذين يجيئون للتبشير وبث التعاليم يلاحقون من قبل السلطات ، والاهالى احيانا ، اينما دهبوا

وعنـدمـا تغير الـنظام ، وزالت عنـه شبهـة الانتمـاء لليسار ، ظل الموقف كما هو من الطرق الصـوفية ، لها وجود ، غير متزايد ، وغير مؤثر او فعال

ـ الملاحظة الثالثة ، ان هنـاك تيارا متناميا في انحـاء متفرقة من البلاد ، يناهض الطرق الصوفية ، ويكيل لها مختلف الاتهامات واصحاب هدا التيـار يسمون اهـل السنة او السلفيين او الوهابيين ولهم دعاتهم النشطون ، ومساجدهم المعروفة التي لا تكف عن اعلان الحرب على كل « بدع »المتصوفة

وأشهرها في باماكو العاصمة مسجد « كانزا محو » ، الذي يخطب فيه امام أهل السنة ـ هكذا يلقبونه ـ الشيخ احمد حماه الله

ويبدو ان موسم « الحج » كان ولا يزال ، هو القناة التي تنقل الى مالى كل افكار مناهضة الصـوفية ، وقـد تبلور الخـلاف بين السلفيـين والطرقيـين في مسـألـة « القبض والارسال » السلفيون يقبضون الايدي على الصدر عند الصـلاة ، والـطرقيـون يرسلون الايـدى الاولـون يتمسكون بالقبض ، والآخرون يعتبرونـه ضلالا يبطل الصلاة ، وسبيل الى الكفر عند البعض !

وقـد قال لي احـد شيوخ القـادرية في تمبكتـو ، ماذا نفعـل ؟ ، بعض الناس يـدهبـون الى الحـج مـرسلين ، ويعودون منه قابضين ؟

وبسبب هده القضية نشـأت مشكلات كثيـرة ، بينها قصص بلا حصر عن طرد مصلين من المساجد ، لانهم يقبضون ايديهم اثناء الصلاة ، بل وطرد امام مسجد في احدى القرى ، عاد « قابضا » من السعودية ، فصدم فيه اهل قريته ومنعوه من دخول المسجد ، الا اذا « صحح دينه »وعاد الى الارسال

مسجد حي ، الخطوط المعمارية ذاتها ، الفريدة والشاهقة ، والمساحة الكبيرة   الصورتان السفليتان ، احداهم

لحلسة حوار مع فقهاء حي ، والثانية من تسكتو ، في « كتاب » مدرسة بيتيه تعلم القرآن والفقه

قرشيون وانصار

ومن القسمات التي تثير الانتباه من مسلمي شمال مالي ، انقسام القبائل الى قرشيين وانصار !

وهذه القبائل من سلالة اولى موجات الجند المسلمين الذين قدموا الى المنطقة عند فتح الشمال الافريقي في القرن الهجري الاول قبائل الانصار هم سلالة مسلمي المدينة ، وتنتشر قبائلهم في مالي وليبيا فقط ، اما القرشيون فانهم يعرفون بالامويين ، نسبة الى بني امية ، او الكنتيين نسبة الى قبيلة من السلالة حملت اسم « كنت » وهؤلاء منتشرون في مالي وموريتانيا وجذورهم قديمة بطبيعة الحال ، حتى ان ابي عبيدة البكري عندما زار المنطقة في القرن الخامس الهجري ، ذكر انه مر وهو في طريقة الى « بلاد السودان » على بئر « يزعم قوم ان بني امية صنعتها »

ومع ذلك فان الامر كله بعد صفحة مطوية من التاريخ ، لم يبق منها الا الذكريات التي يتناقلها الابناء عن الاجداد ، ويحتفظ البعض بحلقاتها (الثقافية) ، من نثر وشعر انما لا تزال قبائل الانصار والكنتيين قائمة الى الآن ، ومتركزة ـ في مالي ـ منطقة تمبكتو الشمالية وما حولها

ورغم تعدد السمات واختلافها في مجتمع المسلمين ، فان ثمة قدرا مشتركا ـ وواضحا ـ من الحرص على التمسك بشكل التعاليم في العادات بوجه اخص وتحتل الصلاة مقدمة تلك التعاليم التي لا يستطيع احد ان يتراخى في تنفيذها

فعندما يدعو المؤذن الى الصلاة ، فان الجميع يلبون النداء ، وكثيرون يصلون في اماكنهم ولأهمية هذا الالتزام ، فان المتكاسلين لا يستطيعون ان يتحللوا ، وان انخرطوا في المصلين بغير وضوء ، كما حكى لي بعضهم لأن هذا التحلي يعد شيئا معيبا في منظور القيم السائدة

بل انه عندما يموت انسان ما ، ويدعى امام المسجد للصلاة عليه ، فانه لا يلبي الدعوة الا اذا كان مقتنعا بان المتوفي من المصلين ، وكثيرا ما يحدث ان يرفض الامام الدعوة اذا كان يعلم انه لم يكن حريصا على الصلاة

ويلعب رجال الدين او الفقهاء ـ والمعنى هنا نسبي ـ دورا هاما في حياة الناس ، يكفي ان كل واحد ينبغي ان يكون له « شيخ » ، يتلقى عنه ويستفتيه ، بصورة تكاد تماثل علاقة المسلمين من اتباع الشيعة الجعفرية بفقهائهم ، اذ ان الفرد العادي ينبغي ان يكون « مقلدا » لواحد من هؤلاء الفقهاء

محنة اللغة العربية

وقد كانت اللغة العربية هي لغة الخطاب الرسمي في مجتمعات المسلمين حتى بداية عهد الاحتلال الفرنسي الذي جثم على قلب المنطقة منذ بداية القرن الحالي ومن الثابت ان جميع الوثائق الهامة في الممالك الاسلامية غرب الافريقية كانت تكتب بلغة القرآن ، فضلا عن انها كانت لغة الحكومة والمراسلات الدولية والتجارة ، حتى يقول توماس ارنولد ان العربية غدت لغة تخاطب بين قبائل نصف القارة الافريقية واشار القلقشندي الى ان كتابتهم بالخط العربي على طريقة المغاربة ، وقد ورد الى السلطان الناصر (محمد بن قلاوون) كتاب من موسى (سلطان مالي) بالخط المغربي ، وذلك في القرن الرابع عشر الميلادي

ومن الثابت ايضا ان اللغات الافريقية المحلية ظلت حية طوال تلك العهود ، ولكن اللغات المنتشرة منها في غرب افريقيا كانت تكتب بالحروف العربية ، مثل الهاوسا والبمبارا ، والولوف في حين كانت بقية اللغات منطوقة وليست مكتوبة

وقد كان القضاء على اللغة العربية هدفا للاستعمار الفرنسي منذ البداية ، وهو ما تحقق الى حد كبير في الدول التي خضعت لسلطانه ، وان قوبلت هذه السياسة بمقاومة عنيفة من جانب مجتمعات المسلمين الافارقة

وحينما الح المسلمون في فتح مدارس اهلية على نفقتهم الخاصة تعلم اللغة العربية ، فان السلطات الفرنسية لم تملك الا ان تستجيب لذلك الضغط الشعبي الملح ، ولكنها وضعت نظاما بموجبه الحقت هذه المدارس بوزارة الداخلية ، وليس بوزارة التربية والتعليم ! ولم تكن تلك المدارس وحدها هي المعتبرة « قضية امنية » وانما الحقت بها المساجد ايضا ، حتى اصبحت رموز الاسلام ولغته من اختصاص اجهزة الامن طوال سنوات الاحتلال !

وقد كان ذلك موقفا غريبا لا يخلو من سوء نية ، ولكن الاغرب منه ان يستمر ذلك الوضع في ظل الاستقلال . وهو ما فوجئت به في مالي ، عندما زرتها في بداية ثمانينات القرن العشرين ، اي بعد اكثر من ٢٠ عاما على الاستقلال !

حاولت ان اجد تفسيرا لهذا الموقف ، فذهبت الى مقر وزارة الداخلية في باماكو ، حيث لقيت المستشار الفني للوزير ، وهو شاب في الثلاثينات اسمه باباسيلا لا يتكلم الا الفرنسية ، ودار بيننا الحوار التالي

سألته لماذا تتبع المدارس العربية دون غيرها من

مدارس وزارة الداخلية ؟

قال كل بلد له ظروفه ونظامه

ـ لماذا لا تلحق تلك المدارس بوزارة التربية والتعليم ؟

ـ المدارس الفرنسية ، والفرانكو اراب (الفرنسية العربية) هي التي تتبع التربية والتعليم ولما كان الائمة والمساجد تحت اشراف الداخلية ، فقد كان من المناسب ان تشرف وزارتنا على تلك المدارس ، على اعتبار انها تخرج ائمة وخطباء ايضا

ـ هذا خطأ اضفتم اليه خطأ آخر وما يبنى على الباطل يظل باطلا

ـ لا تعليق !

ـ وزارة التربية لديها شواغل عديدة ومسئوليات كثيرة ، وفي ظل حكومة واحدة ، فان الامر لا يمنع من أن تتحمل اي وزارة بعضا من اعباء وزارة اخرى ، خدمة للصالح العام !

وانتهى الحوار عند هذا الحد

مناضلون من اجل اللغة

واذا كان موضوع التعليم العربي ومدارسه محاطا بظروف غريبة منذ بدايته ، الا ان المدهش حقا هو حجم هذه المدارس الآن ، الذي بلغ حدا تجاوز توقعات الكثيرين ، وتطور بصورة مفاجئة ، سببت ارعاجا شديدا لكافة ابناء المدرسة الفرنسية

وطبقا لارقام الداخلية فان في مدن مالي الآن ٢٠٠ مدرسة اهلية تدرس اللغة العربية والثقافة الاسلامية ، ينتظم فيها ٥٠ الف تلميذ وتلميذة

وقد علمت في باماكو ان موضوع مستقبل المدارس الاهلية العربية ، اثير اكثر من مرة في المكتب السياسي للحزب الحاكم (الاتحاد الديمقراطي للشعب المالي) ، وفي جلسات مجلس الوزراء ، وقد اثير الموضوع باعتباره ينذر بمشكلة في المستقبل ، عندما تستمر تلك المدارس في تخريج الالوف ممن يجيدون اللغة العربية ، وتاثير ذلك على الخريطة الثقافية في البلاد ، التي تقوم اساسا على التمسك بالثقافة الفرنسية

وهم يجمعون من بينهم الاموال ، ويقيمون فصلا او اثنين ، ثم يفتحون الباب لاسهام من يستطيع من الاهالي . واحيانا يكملون مشروعاتهم بدعم من بعض الدول العربية ، من خلال مؤسساتها المختصة بالدعوة الاسلامية ، التي تقدم بعض المساعدات المالية واعدادا من الكتب لكن المهم ان اللبنة الاولى يضعونها هم ، ثم يلتمسون بغيرهم ليساعدهم في اكمال البناء

التقيت واحدا من هؤلاء ، وهو الشيخ احمد حماه الله الذي يلقبونه بامام اهل السنة في مالي ، ومن خريجي دار العلوم الشرعية بالمدينة المنورة عام ٥٢ وبسبب تضييق السلطة الاستعمارية لم ينجح في البداية في تحقيق حلمه بانشاء مدرسة عربية في باماكو ، فاتجه الى فولتا العليا المجاورة ، وانشأ مدرسة هناك ، ثم عاد الى باماكو مرة اخرى عام ٥٧ ، واستطاع وضع الاساس لانشاء « المعهد الاسلامي » الذي يعد الآن أقدم معهد لدراسة العربية بالبلاد

بعض ما يملك ، ويقدر من المساعدات المحلية واسهامات التجار ، ثم بعض العون العربي ، كبر المعهد عاما بعد عام ، حتى اصبح يعطي المرحلتين الابتدائية والاعدادية ، ويستوعب ١٢٤٨ تلميذا وتلميذة (الطالبات عددهن ٦٠٠) واساتذة المعهد ١٢٥ ، بينهم ٣ مصريين وسعودي وليبي ، والباقون من ابناء مالي ومن خلال الصلات مع الدول العربية ، استطاع الرجل ان يرتب منحا دراسية لـ ١١٥ طالبا من خريجي المعهد

وزرت مدرسة ثانية في العاصمة تحمل اسم « مدرسة الهلال الاسلامية » ، ومديرها سفيان سالم الدرامي ، الذي قال لي ان للمدرسة سبعة فروع في باماكو وبعض الاقاليم تضم ٢٤٥٢ تلميذا وتلميذة في حين تضم المدرسة الأم ـ التي طفنا بها ـ ١٧٥٠ تلميذا وتلميذة ، في المرحلتين الابتدائية والاعدادية يدفع الواحد منهم في الشهر مصروفات بين دولارين وثلاثة دولارات ، ومنهم من يعجز عن دفع المصروفات تماما ويدرسون ـ ايضا ـ منهج مدارس الأزهر مضافا اليه اللغة الفرنسية

المشكلة التي تعاني منها مثل هذه المدارس هو الفقر الشديد في الامكانيات ، وبالاخص في الموارد المالية وفي الاساتذة وفي مقاعد التلاميذ وطاولاتهم وكتبهم ، هذا اذا تجاوزنا الابنية ـ معتبرين ان اي جدران اربعة تصلح فصلا

ورغم الجهد الذي تبذله تلك المدارس ، الا انه مهدد بالاجهاض نتيجة لانها جميعا تغطي المرحلتين الابتدائية والاعدادية ، وفي غيبة فصول المرحلة الثانوية ، فان حامل الشهادة الاعدادية اما ان يواصل تعليمه في المدارس الثانوية الفرنسية ، حيث يمحى تدريجيا ما حصله في تعليم العربي ، او ينخرط في الحياة العامة ليبتعد عن سلك التعليم ، وتتحقق ذات النتيجة المؤسفة ، ويمحي تعليمه العربي ، او ان يحصل على منحة للدراسة في اي بلد عربي بالخارج والحل هو ان تنشأ مدرسة ثانوية ، تسد تلك الثغرة الخطيرة ، وتنقذ مستقبل اللغة التي تعلمها تلاميذ المدارس الحالية لكن تلك قضية اخرى تحتاج الى جهد

موبق ، السوق الصحم الذى مىه تىطلق كافة السلع ـ العدائية حاصة ـ الى أىحاء مالى ىموقعها عىد لقاء ىهرى الىب

نهر نابي ، يعطيها ميزة كبيرة في الاتصال النهري بمختلف الاقاليم ، عبر القوارب الافريقية المستطيلة التي تغطي صفحة النهر

لا يستطيعه القائمون على التعليم العربي الآن

وهذه النقطة الاخيرة ، تثير مسألة التنسيق الغائب بين اصحاب المدارس العربية ، ذلك ان وجود هذا التنسيق يسمح باقامة صيغة لتوزيع الجهد واستثمار الامكانيات في كافة مراحل التعليم. ولكن الامر المؤسف ان اصحاب تلك المدارس لا يجمع بينهم سوى الحماس الشديد لتعليم اللغة العربية والدفاع عنها. وفيما عدا ذلك ، فالتنافس قائم بين الجميع ، والموارد تصل كل طرف حسب صلاته الشخصية ، والجسور التي استطاع ان يقيمها مع مصادر التمويل في الداخل او الخارج.

على ابواب جني

واي ذكر للاسلام والمسلمين في مالي ، لا بد ان يشار في خلاله الى مدينة « جني »التي كانت اسما لامعا وكبيرا في المنطقة حتى القرن السادس عشر على الاقل.

في البدء كانت « دبا الصغيرة » ، بلدة ظهرت في قلب دلتا نهر النيجر ، على انقاض احدى مدن مملكة غانا ، في اوائل القرن التاسع الميلادي ، لكنها دخلت الاسلام في بداية القرن الثالث عشر ، بعد انتشار المرابطين في غرب افريقيا ، ودخلت التاريخ في القرن الرابع عشر ، في ظل العصر الذهبي لامبراطورية مالي الاسلامية.

ولن نجد وصفا لها ، أدق وأوفى مما كتبه في منتصف القرن السابع عشر المؤرخ الافريقي الشهير عبد الرحمن السعدي ، في مؤلفه الهام « تاريخ السودان ».

قال عنها انها « مدينة عظيمة ، ميمونة مباركة ، ذات سعة وبركة ورحمة. جعل الله ذلك في ارضها خلقا وجبلة. وطبيعة اهلها التراحم والتعاطف والمواساة ».

« وهي سوق عظيم من اسواق المسلمين ، وفيها يلتقي ارباب الملح وأرباب الذهب وكلا المعدنين المباركين ما كان مثلهما في الدنيا كلها ، فوجد الناس بركتهما في التجارة اليها كثيرا ، وجمعوا فيها من الاموال مالا يحصيه الا الله سبحانه ».

وفي اشارته الى حجم مملكة جني ، يذكر « قيل ان في ذلك الارض سبعة آلاف وسبعا وسبعين قرية متقاربة بعضها الى بعض ».

وعن فقهائها يقول السعدي انه « قد ساق الله تعالى لهذه المدينة المباركة سكانا من العلماء والصالحين من غير اهله ، من قبائل شتى » ، منهم مورمغ كنكي الذي « كان فقيها صالحا عابدا جليل القدر ». ثم يروي كيف كان هذا الفقيه يعلم طلابه فقال انه « في نصف الليل يخرج من داره الى الجامع لنشر العلم ، فيجلس الطلبة حوله يأخذون العلم ، الى الاقامة ومن بعد الصلاة الى الزوال. ثم يرجع لداره ، ثم بعد صلاة الظهر كذلك الى صلاة العصر. هكذا عادته مع الطلبة ».

تقفز هذه الصورة المتتابعة الى الوعي ، في الطريق الى جني.

من موبتي خرجنا في وقت مبكر من الصباح لنتجه بالسيارة الى جني. لم تكن الرحلة طويلة بالمعدلات الافريقية. كانت ١٥٠ كيلو مترا فقط ، مخترقة حقول الارز والذرة والقطن المتناثرة على ضفاف نهر باني.

الآن تروح القوارب وتجيء طوال الوقت عبر فرع النهر الى جني. وللسيارات عبارة خاصة وفرتها الدولة خدمة للسائحين ولكبار موظفيها. لم تستغرق العملية سوى ١٥ دقيقة ، حملتنا خلالها العبارة عبر فرع النهر.

اكتشفت عندما اقتربنا اكثر انه لايزال امامنا شوط آخر لبلوغ المدينة ، التي بدت مطلة على شاطىء فرع ثان للنهر ، ويصلها بالمكان الذي كنا فيه جسر طويل بني في عهد الاحتلال. بدت المدينة حصنا حقيقيا ، حمته الاقدار « بخنادق نهري » يحيط به من كل جانب ، هو الذي ساعدها على ان تظل مملكة مستقلة لعدة قرون ، وهو الذي افشل محاولات اقتحامها من جانب ملوك مالي ، وهو الذي جعلها عصية على ملوك صنغاي ، حتى طال حصارها لسبع سنوات ، وتحول المحاصرون لها الى مستوطنين حولها ، اضطروا للاشتغال بالزراعة ليؤمنوا مواردهم عبر تلك السنوات.

يروي قاضيها محمود كعت ، صاحب تاريخ الفتاش ، ان اشهر ملوك صنغي « اسكيا محمد » التقي وهو في طريق عودته من الحج بفقيه مصر عبد الرحمن السيوطي ، واخبره بما سيكون في بلاده ، وكانت « بلد جن » مما سأل عن مصيره اسكيا محمد ، فكان رد السيوطي « خرابه وهلاك اهله الغرق بمجاهم الماء ويغرقهم اجمعين » !

لكن نبوءة السيوطي ، ان صحت قصتها ، لم تتحقق وظلت جني محاطة بالماء ولم تغرق ، بل انها تظل معزولة ومحاصرة طوال فترة الفيضانات التي تستمر في العادة ثلاثة اشهر. في غير ذلك. فان عزلتها تخف ، اذ تجف بعض الفروع فيتيسر على البعض الوصول اليها سيرا على الاقدام او بالدواب.

شرح لي مرافقي خريطة. قال اننا على مشارف المدينة ولسنا في المدينة ذاتها وان المكان الذي بلغناه هو مقر اجهزة الحكومة الذي انشىء في عهد الاحتلال الفرنسي اذ كان الفرنسيون يحرصون على ان يقيموا مقار الادارة في اطراف المدن ، بعيدا عن الاهالي ، ويقيموا الى جوارها مقر الحاكم.

فهمت منه ايضا ان المدينة مازالت تنمو على ذات الرقعة

التي كانت عليها قبل قرون وان الناس يرفضون السكنى على الجانب الآخر الذي كانا فيه ، وان هذه الخرائب القائمة ليست الا مساكن بنيت تحت ضغط الحاجة الى الامتداد لكن الناس هجروها وعادوا الى حيث كانوا

مرة اخرى ، والسبب هو ذلك الاعتقاد الشائع بان تلك منطقة يسكنها الجن وربما لهذا السبب اطلق عليها منذ القدم - كما عند صاحب الفتاش - « بلدة جن » ورغم ان حكاية الجن في المدينة قديمة الا انها التصقت بها الآن

مقر الحاكم يشغله الآن شاب من ابناء مالي عمره ٣٢ سنة ، كان معلقا رياضيا ، ثم جذبته الوظيفة الحكومية ، فصار حاكما على جني يرتدي ثيابا عسكرية في مكتبه ، ولم يبق له من تاريخه سوى قامة طويلة وعضلات مفتولة ، وذكريات صاخبة ومرحة

فهمت من حاكم المنطقة ، واسمه سيك (شيخ) مادي ديابيت ، ان جني الآن محافظة ضمن احد اقاليم الوسط تضم ١٦٧ قرية ، ويسكنها حوالى ١١٨ الف نسمة ، وان حكاية السبعة الاف قرية التابعة لها ، والتي ذكرها السعدي ، صارت تاريخا مرتبطا بعصر ولى ولن يعود وان جني المدينة هي مركز المحافظة ، وتتبعها ٣٠ قرية بل لم تعد اكبر المراكز اذ ان مركز « سوفارا » في المحافظة ذاتها تتبعه ٣٩ قرية

قال شيخ مادي أيضا ان المدينة تعيش الآن على الصيد والزراعة والثروة الحيوانية ، وان هناك بقية من علم وفقه لدى الشيوخ وكبار السن ، ولكنه من الصعب القول بأنها ما زالت منارة المعرفة ، كما كانت في الماضي

ذهبنا لنعبر الجسر الى المدينة ، الى جواره مررنا ببناية صغيرة من حجرتين ، قيل لي انها مدرسة لدراسة اللغة العربية مررنا بشوارع جني الضيقة قبل ان نصل الى مسجدها الكبير

رائحة التاريخ تفوح من كل مكان مررنا به الشوارع المتربة البيوت الواطئة المبنية من الطين ، الطراز الافريقي للعمارة الذي يطل من مختلف واجهاتها كأن الدنيا لم تتغير عبر القرون ، وكأن الملك سني علي غادرها امس فقط !

لأنها حكومة علمانية

كان مسجدها الكبير علامة لاتخطئها العين ، فحيثما ذهب المرء يلمح جانبا من عمارته الشاهقة والمميزة حلنا ساحة واسعة ، ذات استطالة ملحوظة ، تتصدرها المسجد بواجهاته المهيبة ، والباحة الواسعة التي احاطت

به من كل جانب ، مرتفعة عن الارض بأكثر من متر ونصف متر

كانت اولى المفاجآت ان امام المسجد لا يتكلم اللغة العربية يكتب ويخطب بالعربية ولكنه لا يتكلم هكذا قال لنا الذين جلسوا حوله عندما تطوع احدهم بايضاح الموقف وعندما سألتهم كيف يمكن ان يكتب المرء ويخطب بالعربية ، ولا يعرف كيف يتحدث بها الى الآخرين ، متغاضيا عن فكرة ان يكون الخطيب حافظا لبعض العبارات والخطب العربية ، يرددها في كل مناسبة ، ولا يجد نفسه مضطرا الى تعلم غيرها ، عندئذ رد احد الجالسين قائلا انه يمكن ان يكون المرء بليغا وليس فصيحا ولا غرابة في ذلك لان البلاغة في الجنان ، والفصاحة في اللسان » !

وسمعت منهم قصة المسجد

قالوا انه كان في الاصل مقرا لقصر الملك كنبرو ، الذي اسلم في القرن الثالث عشر ، فهدم القصر واقام مكانه مسجدا ، وظل المسجد يؤدي وظيفته الى ان خضعت جني لسلطان ملك ماسنا شيخو احمد ، ابن الحاج عمر الفوتي ، في القرن التاسع عشر وكان شيخو احمد متصوفا تيجانيا ومتبنيا لفكرة محاربة البدع في زمانه ، فاعتبر ان تصميم المسجد - ارتفاعه بالاخص - يخل بالبساطة الواجبة في بيوت الله ، فقرر نقله الى مقر مدرسة اسلامية يدرس بها كما قرر نقل نشاطات التجار واسواقهم من جني ، وانشأ لهم مدينة موبتي المجاورة ، التي صارت اهم مركز تجاري بالبلاد

وبعد الاحتلال ، وصل العسكر الفرنسيون الى جني في ١٩٠٦ ، واراد الحاكم الجديد ان ينشىء مدرسة فرنسية في المدينة وعندما استشار بعض رجالها ، فاقترح احدهم ان يسلم المسجد ، الذي كان مدرسة سابقة ، الى الحاكم الفرنسي لينفذ عليها مشروعه ، وان يعود المسجد الى حيث كان في السابق وهو ما تم بالفعل وعاد المسجد الذي اقيم مكان مقر الملك كنبرو الى سابق وظيفته ابتداء من عام ١٩٠٨

لكنهم رغم نقل المسجد ، وحلت مكانه المدرسة كما كانت ، فانهم لم يستطيعوا ان يتحللوا من تقليد لا يزال ساريا الى الآن ، وهو اعلان اذان الظهر يوم الجمعة ، من فوق المدرسة الفرنسية ، اولا ، ثم ترديد الاذان من فوق المسجد الكبير بعد ذلك !

سألتهم عما بقي من جني معقل الثقافة الاسلامية ومدينة علماء السودان والبيضان كما قال السعدي تبادلوا النظرات ، وقالوا ان الامر اختلف فقد صار في المدينة ثلاث مدارس فرنسية ، ومدرسة فرنسية عربية (فرانكو

الصورة العلوية من سوق باماكو ، بينما الصورتان السفليتان من تمبكتو . فهذا محز مقام على حافة الشارع ومثله مخابز كثيرة منتشرة في تمبكتو ، ثم احد رحال الطوارق من أبناء مرحلة الجفاف .

آراب) ، ومدرسة اهلية واحدة لتعليم اللغة العربية غير ان مجالس العلم والكتاتيب مازالت قائمة ، وتؤدي دورها بالقدر الممكن في المدينة ٥٠ كتابا ، كانت معطلة وقتئذ بسبب موسم حصاد الارز و « فقهاء » المدينة لا يزالون يعلمون الناس في حلقات يعقدونها بعد صلاة العصر في بيوتهم

كان للمسجد باب واحد كبير ، هو الباب الرئيسي ، غير ١٢ بابا آخرين تعود الى الباحة الواسعة المحيطة به خارج المسجد اضرحة لبعض الاولياء ثم قول يشيع بان بالمدينة ٣٠٠ ولي ، لا احد يعرف اين هم ، ولكن القدر المتفق عليه هو ان هذه الاضرحة المقامة خارج المسجد تضم الامام اسماعيل ـ يقولون انه من سلالة الحسين عليه السلام ـ والضريح المجاور له مخصص لامته ، التي لا يعرفون اسمها ـ في حين ان زوجته ، وهي ايضا تعد من الاولياء ، مدفونة في مكان آخر ، بالمدينة ، ثمة ضريح ثالث لواحد من الصالحين اسمه الشيخ حمد ليس للاضرحة اية علامة معمارية مميزة ، باستثناء السور، سور متواضع اقيم حولها » الى جوارها دفنت في الارض اوعية فخارية كبيرة مملوءة بالماء ، لوضوء المصلين اذ ان التقليد هنا ايضا ـ كما في المساجد التاريخية الاخرى ، ان لامكان لدورة المياه في المسجد او ملحقاته

الامر المثير للدهشة ان الحكومة لا علاقة لها من قريب او بعيد بالمسجد ، وان امر خدمته وصيانته وترميمه متروك للناس الذين يتطوعون لاداء تلك المهام كل بحسب قدرته المالية والجسدية

شرح لي احدهم الموقف بلهجة لا تخلو من الالم والسخرية ، فقال ان الحكومة في بلادنا علمانية مثل فرنسا بالضبط ، ولا علاقة لها بالشئون الدينية لهذا السبب فقد رفعت يدها عن المسجد بكل قيمته التاريخية الفريدة ، وتركت امره للناس

المدرسة العربية الوحيدة

طلبت زيارة المدرسة العربية ، تبادلوا النظرات وسكتوا ثم انبرى واحد منهم ، تبين انه احد مؤسسي المدرسة ، وقال ان الامر يحتاج الى شرح وايضاح

وروى ابو بكر برو ـ وهذا هو اسمه قصة المدرسة العربية الوحيدة ، التي تحاول ان تقف على اقدامها في جي ، في ثمانينات القرن العشرين قال انه اشترك مع زميل له ـ امام كوريرا ـ في استئجار مبنى حولوه الى مدرسة لتعليم اللغة العربية في المدينة ، ولقي المشروع اقبالا حتى التحق بالمدرسة ٣٠٠ طفل خلال سنتين كـ... مصروفات الدراسة في حدود ما يعادل دولارين في الشهر ، وكان يتولى التدريس بها ثلاثة ، وهم كل العمل بالمدرسة ، هم المعلمون والاداريون والسعاة والفراشون ولكن لان قدرات الناس محدودة ، فقد عجز كثيرون عن دفع المصروفات ، واصبح من المتعذر استمرارها في اداء رسالتها ، فعرضوا على السلطات الحكومية تسلمها ، على ان تكون مدرسة عربية فرنسية وتم ذلك بالفعل ، لكنهم اكتشفوا انها غدت مدرسة فرنسية ، وان اللغة العربية تدرس بشكل اسمي ، بل هي مجرد لافتة لارضاء مشاعر الناس لا اكثر

عندئذ عزم الاثنان على تكرار المحاولة ، وصمما على انشاء مدرسة عربية اخرى ، اختاروا لها منطقة خارج المدينة ، على الضفة الثانية من فرع النهر وبعد الاتصال باطراف عديدة محلية وعربية ، قدمت لهم السفارة السعودية مبلغا من المال مكنهم من بناء حجرتين ، بغير ابواب او نوافذ كما ان المبلغ لم يعط اي شكل من اشكال التأثيث ، ولو حتى البساط من الحصير وكانت المشكلة هي كيف يتم التدريس في هاتين الحجرتين بدون اية امكانيات ، بما في ذلك السبورة

وللحل الاشكال لجأوا الى السلطات المحلية ، لعلها تعيرهم سبورة او بعض الطاولات ، ولكن هذه السلطات اعتذرت عن المساعدة وكان الحل الذي انتهيا اليه هو عرض اتفاق على السلطة المحلية ، يقضي بان تعطى احدى المدارس الحكومية حق استخدام واحدة من الحجرتين كفصل تابع لها يدرس الفرنسية في الصباح ، على ان تزود الحجرة بطاولات وسبورة ، وبشرط ان تستخدم في المساء للدراسة العربية وتمت الصفقة

تنبكتو .. الى اين ؟

وتنبكتو هي الوجه الآخر لجي ، فلا تذكر احداهما الا وذكرت الاخرى وزعم ان الاولى من مواليد القرن الثاني عشر الميلادي ـ اسسها الطوارق ـ والثانية من مواليد القرن التاسع الا انهما تلازما في سنوات المجد والمد ، التي اظلت منذ القرن الرابع عشر في العصر الذهبي لدولة مالي ثم صنغي ، عندما كانت تنبكتو هي مركز القوافل التجارية القادمة من شمال افريقيا ومصر ـ بل ثبت انها كانت تتعامل مع الثغور الايطالية ، وبخاصة فلورنسه ، عن طريق تونس وطرابلس ، في القرن الخامس عشر ، حين كانت جي هي مملكة التجارة ومركزها الكبير في قلب دلتا نهر النيجر

واذا كان لكل من المدينتين باعه في التجارة ، فدور...

، الثقافة لا يقل اهمية ، فكما كانت جني مركزا للعلم والعلماء ، كذلك كانت تنبكتو ، التي وصفها ابنها البار عبد الرحمن السعدي بقوله انها ما دنستها عبادة الاوثان ، ولا سجد على اديمها قط لغير الرحمن ، مأوى العلماء والعابدين ، ومألف الأولياء والزاهدين ، وملتقى الفلك السيار فجعلوها خزانة لمتاعهم وزروقهم الى ان صارت مسلكا للسالكين في ذهابهم ورجوعهم

وتظل « عرائس تنبكتو وعجائبها يومئذ لا تدخل تحت حصر ، ولا يحيط بها حفظ حافظ »كما يقول محمود كعت

الا ان العصر الذهبي للمدينة ، الذي يعتبرونه عصر سلاطين صنغي العظام ، امثال اسكيا محمد واسكيا داود ، هذا العصر انتهى بغزو سلطان مراكش لها في اواخر القرن السادس عشر ، الامر الذي حولها الى « جسم بلا روح ، وانعكست امورها ، وتبدلت عوائدها ، ورجع اسفلها اعلاها ، واعلاها اسفلها » كما يقول صاحب الفتاش

ودارت دورة الزمن ، حيث ... مراكش ، حتى استولى عليها الطوارق في عام ... ثم الفلانيون عام ۸۲۷ ... ، ودخلها الفرنسيون ... في عام ۱۸۹٤

وطوال عصورها تلك كان اسم تنبكتو يلهب خيال الغربيين ، الذين عدوها مدينة مليئة بالثروة ، لاتجارها في الذهب وريش النعام والعاج والعبيد مما اغرى كثيرين من الرحالة بالالحاح في المغامرة للوصول اليها فقتل في سبيل ذلك الميجور لينج ، واستطاع رينيه كاييه ان يرفع عنها الحجاب في عام ۱۸۲۸ ، حيث اتضح له انه كان واهما في تقدير ثروتها ، وزارها الرحالة بارت في عام ۱۸٥۳ ، وكتب عنها الكثير بعدما وضع يديه على كثير من مخطوطاتها العربية

هذا التاريخ العريض ، لم يبق منه لتنبكتو سوى بعض المنشآت التي تشهد للتاريخ وترمز الى عصور المجد ، على رأسها جنجبير ومعناها المسجد الكبير بلغة الصنغاي ، وهو اقدم مساجد المدينة ، ولا يعرف على وجه التحقيق متى انشىء وان كان المتداول انه كان هناك مسجد في موضعه في القرن الثالث عشر الميلادي وهناك قول بان سلطان مانسا موسى هو الذي امر ببنائه بعد عودته من الحج ، وان المهندس « ابو اسحاق الساحلي » هو الذي تولى هذه المهمة واذا اختلفت الاقوال في العمر الحقيقي للمسجد القائم حاليا ، فان الاتفاق يكون تاما على ان هذا البناء الحالي يمتد عمره الى القرن السادس عشر على اقل تقدير

بعد مسجد « جنجبير »يأتي مسجد سنكوري ، الذي شيدته سيدة مجهولة في رحلة تتراوح بين القرنين الرابع عشر والخامس عشر ، وقد استمد قيمته التاريخية من انه كان بمثابة جامعة حقيقية ، يؤمها طلاب العلم والفقهاء من كل مكان ، حتى قيل ان طلابها كانوا بالمئات

وثالث تلك الابنية التاريخية ، مسجد سيدي يحيى ، وهو احد الصالحين في القرن الخامس عشر ، ورغم ان الذي بنى المسجد هو حاكم تنبكتو ، محمد نادي ، الا ان اسمه ارتبط باسم امامه سيدي يحيى ، الذي اشتهر بورعه وتقواه

ومن المعالم الهامة القائمة الآن في تنبكتو ، مركز احمد بابا للمخطوطات ، الذي يتولى عملية جمع وصيانة ثروة المخطوطات الموجودة لدى القبائل في تلك المنطقة ، ورغم فقر امكانياته وجسامة المشقة والمسئولية الملقاة على عاتقيه ، فان جهده كمركز للجمع والتوثيق يسهم اسهاما جليلا في الحفاظ على تراث تلك المنطقة الغنية بالتاريخ

وتنبكتو الآن غير درة الصحراء التي لمعت فيما بين ـ بين الرابع عشر والسادس عشر لقد كان عدد سكانها في القرن الخامس عشر ۱۰۰ الف نسمة ، وهم لان ۲٥ الفا فقط في الثمانيات علت عليها الهموم ، وباتت تعاني من الجفاف وزحف الصحراء اللذين يشكلان شبحا مخيفا يهدد المدينة ويضيق عليها الخناق يوما بعد يوم

وعندما التقيت بالمسئولين عن المدينة لم يكن لهم حديث الا عن تلك الهموم التي يعجزون بقدراتهم المحدودة عن مواجهتها وفرحت عندما قالوا لي ان مؤسسة بلجيكية استصلحت ۷۰۰ هكتار بالقرب من نهر النيجر ـ ليس بعيدا عن المدينة ـ وان الناس تهافتوا عليها لزراعتها

وان الالمان اقاموا مركزا لزراعة ٥۰۰ نوع من الاشجار ، واختيار ايها اكثر صلاحية للتربة ، وانهم احيوا قناة حفرت منذ الاربعينات ، وسوف يطوقونها بحزام من الاشجار لمنع زحف الرمال

ان اساطير المدينة تقول انها مصانة ببركة ۳۳۳ من الاولياء ، وان فارسا ابيض ملثما اسمه الفاروق يطوف بارجائها الاربعة طوال الليل وحتى بزوغ الفجر ، حاميا لها وحارسا

ولكنهم ـ مع ذلك ـ يخشون من غدر الزمان

يخشون من ان تتحقق فيها نبوءة السيوطي للملك صنغي اسكيا محمد ، عندما سأله عن « بلد تنبكتو » ، فكان رد الفقيه المصري اخوف ما اخاف عليه ان يكون خرابه واتلافه بالجوع ! ■■

فهمي هويدي

من ماكينة الزمن
الى حرب النجوم
نوع يبحث عن شكل !

ماذا الذي تريده منا ، وتقدمه لنا ، سينما الخيال العلمي ؟

حلا الفيلم السوفيتي « سولاريس » (١٩٧٢) من اية ابهارات تقنية ولكنه حفل بتصور دقيق لفكر انساني محتمل في المستقبل . إلى أعلى من « ستارترك » (١٩٨٠) · ضمن موجة افلام الخيال العلمي التي ارادت ان تستغل نجاح « حرب النجوم » بالاعتماد على الحبكة البوليسية في قالب من الابهار التقني

« ماكينة السحق » هو عنوان أول « فيلم » خيالي علمي حق في التاريخ ، هذه كلها أوصاف محارية خالصة « فماكينة السحق » شريط لا يزيد طوله على دقيقة وا.دة ، الفه واخرجه وصنعه وعرضه الأخوان لوميير في عام ١٨٩٥ في باريس قبل أن يعرضا شرائطهما عن السكة الحديد وعمال مصانع ليون فهو محارا فيلم وهو محارا خيال علمي لانه شريط كوميدي نرى فيه حيوانات تتحول الى « سحق » اذا ما ادخلت الى الماكينة وهو خيال علمي « حق » لانه كان « أول فيلم » أمين للوسيط الوليد ـ السيما فلم يلجأ الاخوان لوميير الى أي وسيط اخر ـ كالادب مثلا لكي يستلهما موضوعا لفيلمهما لقد خلقا « الحقيقة » الخاصة بفيلمهما كما ارادها تماما

أما « حرب النجوم » فكثيرون يعرفونه جيدا هو فيلم « حراق » في كل شيء في مؤثراته البصرية وفي ارباحه التي فاقت أي فيلم آخر في تاريخ السيما لقد تكلف اكثر قليلا من عشرين مليون دولار وعاد بما يزيد قليلا عن ثلاثمائة مليون دولار خلال عامين من افتتاحه في عام ١٩٧٧

نفي من العنوان النوع الذي يبحث عن شكل النوع في السيما يشير الى الموضوع فهذا نوع استعراضي وذاك كوميدي وثالث حربي وهكذا والشكل هو القالب ذي السمات المعينة التي تحددها اساليب الفنانين المختلفة لهذا النوع أو ذاك

الآن صار عنوان المقال واضحا ،

حيث لا يوجد ظلام

بعد عامين من الآن سيحل موعدنا مع عام « ١٩٨٤ » ـ عنوان رواية الكاتب الانجليزي جورج اورويل التنبئية ولا أظن ان كل من قرأ الرواية مشوق ليرى ماذا سيحل بنا في عام ١٩٨٤ ، فمعظم ما ذهب اليه اورويل متحقق منذ أكثر من نصف قرن في عالم مزقته حربان عالميتان فعليتان ، ومئات الآلاف من لحظات التهديد بحروب جديدة تحت مظلة راعبة دائمة اسمها الخطر النووي في رواية اورويل يلتقي بطله ونستون ـ الذي يعيش في ظل نظام شمولي مرعب ـ مع أحد ممثلي هذا النظام ظن فيه ونستون تعاطفا معه ولأن ونستون خرق النظام بمحاولته الكتابة والتفكير فقد دفعه خياله الذي ايقظته الكتابة الى تصديق « اوبريان » (أحد ممثلي النظام) وعندما يلتقيان يقول له اوبريان سنلتقي في المكان الذي لا يوجد فيه ظلام

ومع اطراد موجة الخيال عند ونستون يظن انهما سيلتقيان في « نور الحقيقة » ويلتقيان في مكان لا يوجد فيه ظلام فعلا في غرفة تعذيب مستمد لا يغيب « نورها » أبدا

كيف يمكن للوسيط السينمائي ان يعبر عن عبارة كهذه سنلتقي في المكان الذي لا يوجد فيه ظلام.

هذه هي مشكلة الوسيط السينمائي مع ادب الخيال العلمي او النوع الذي يبحث عن شكل وهي مشكلة الاقتباس السينمائي عموما على أية حال

وعندما عرض فيلم « ١٩٨٤ » في عام ١٩٥٦ من اخراج مايكل اندرسون) جاء الفيلم مخيبا للامال وبررت باوضح صورة محنة الادب العلمي الخيالي مع وسيط اخر هو السيما

بيد ان هناك أدبا كان طوال الوقت طيعا ولينا في يد الوسيط السينمائي ربما لانه مبني على تخيلات ونبوات علمية بحتة ذات مغزى اخلاقي واضح وهذا هو بالتأكيد ما جعل من قصص جون فيرن الذي عاش منذ نحو مائة عام اكثر قصص الخيال العلمي شيوعا فهو نوع من الخيال العلمي يناسب الشباب صغار السن يسعى الى اطلاق ملكاتهم الخيالية على نحو معقول . في نفس الوقت تزويدهم بدرس اخلاقي بسيط مفاده « العلم يجب ان يكون في خدمة الانسان » وان « العلم يسعى ان يكون سلاحا في خدمة السلام وليس الحرب »

في « ٢٠٠٠٠ فرسخ تحت الماء » والكابتن نيمو « ومغامرة عند حافة العالم » شاهدنا اعمالا سينمائية بسيطة تحاكي القصص الأصلية ولا تحمل تفسيرات مركبة أو استنتاجات معقدة فهذا هو الأدب وتلك هي السيما وكلاهما هنا يتلاقيان في يسر وبساطة بصورة واضحة اللقطات تحل محل الكلمات والمشاهد تحل محل الفقرات والمراحل تحل محل الفصول في الكتب ، تحقق الأفلام نجاحا جماهيريا يكون بمثابة القاعدة الشعبية لقبول « نوع » الخيال العلمي

خيال ممكن وأسئلة مستحيلة

في وقت مبكر من هذا القرن شرح ... ويلز

. « آلة الزمن » و « حرب العوالم » في « آلة
» مصى ولر بحياله و (آلته الخيالية) يحلق
ش ويتصارع مع الماضي ومع المستقبل غير أنها
ن مجرد رحلة خيالية تثير وتمتع الأطفال كانت
. في جوهرها تساؤلا عن امكانية اعادة التجربة
سانية « الماضية » وعن امكانية اتاحة الفرصة
سان لكي « يرى » عوالم المستقبل الكامنة في رحم
.

مثل هذه الايقاعات غابت عن فيلم « آلة الزمن »
ركي ، ومرة أخرى احتفت السينما - الهوليوودية - في
ة مثل هذه التساؤلات وتساءل النقاد عن قابلية
ط السينمائي لتناول نتائج اخلاقية عميقة للتقدم
ي في « حرب العوالم » تحولت حرب العراة وسكان
س الى معركة « كاوبوي » بين عصابة وسكان
. اميركية صغيرة وكان هذا مثالا « لاستغلال »
يا لنوع ادبي

ثورة الخيال العلمي

ـوه ان عرضت افلام مثل « يوم توقفت الأرض » و
ة ناهشي الجسد » وكل أفلام ما قبل عام ١٩٦٨ ،
النقاد الجادون يتساءلون عن جوهر العلاقة بين
م النقي السينمائي وبين تقديم أفضل لأدب الخيال
ي وكانت الاجابات تحصيل حاصل فالمؤكد ان
ا تقدم خيالا علميا لا بد وان تكون تقنيتها على
ون هذا الخيال - او « الايهام » بمصداقيته حتى
.

ولكن كان على الشكل السينمائي ونوع الخيال
مي ان ينتظرا ستة وستين عاما (منذ ظهر فيلم
ح ميلييس الخيالي « رحلة الى القمر » عام ١٩٠٢
نفسه جون فيرن) فقد شهد عام ١٩٦٨ انطلاقة
في التقنية السينمائية وخاصة في مجال المؤثرات
سه البصرية والصوتية ولم يطلق هذه الثورة
ـلـ » سينمائي أطلقها فنان ذو خيال مبدع كميلييس
هو ستانلي كيوبريك الذي قدم أهم اسهامات
ـل السينمائي في مجال الخيال العلمي بفيلمه
٢ اوديسا الفضاء » الذي جب ما قبله من أفلام
العلمي وجعلها تبدو العاب أطفال ، ودفع بالنقاد
ـه جدولة تساؤلاتهم حول الشكل السينمائي ونوع
العلمي

هنا نلتقي بقطعة من الفن الخالص خلق فيها الفنان
مادته و « حقيقته » بنفسه على غرار ما فعل الاخوان
لوميير في الجوهر ولكن الأهم من هذا هو الثورة التقنية
التي فجرها الفيلم وافتتح بها عصرا جديدا من أفلام
الخيال العلمي

هنا رحلة اوديسية الى المشتري وما وراءه ولكنها
مسبوقة برحلة اوديسية كبرى للانسان منذ كان بدائيا الى
أن بلغ في العام ٢٠٠١ ذروة اللقاء مع الكائنات الذكية
الأخرى في الكون ولكن هذا اللقاء مأساوي فجهل
الانسان افحش من أن يدع له مجالا للسيطرة على
الكون

ويزخر الفيلم - شأنه شأن أي عمل فني عظيم -
باستنتاجات أخلاقية كبرى حول الوجود الانساني في
الماضي وفي المستقبل كما تظهر فيه قدرة الشكل السينمائي
على أن يسبق الشكل الادبي باستقلاليته كشكل وعدم
لجوئه الى اية تعبيرات ادبية فما نشاهده على الشاشة هو
سينما خالصة وهنا يجد « نوع » الخيال العلمي شكلا
سينمائيا ملائما قدر له أن يفتح آفاق عصر جديد في
العلاقة بين نوع الخيال العلمي وبين السينما

ولكن مهلا ! فليس بالتقنية وحدها يصنع فن
عظيم « فالورطة » الانسانية في عصر الثورة العلمية
يمكن تناولها ببساطة تقنية كبيرة شريطة توافر الفنان
المبدع وقد تحقق هذا في الفيلم السوفييتي
« سولاريس » (عام ١٩٧٢) الذي ابدعه فنان السينما
السوفييتي الخلاق اندريه تاركوفسكي ففي محيط
السولاريس يمكن للمخيلة ان تستدعي أشخاصا من
الماضي ولكنهم مجرد صورة ملموسة وحية فقط الى حدود
اللحظة التي ماتت فيها فوق الارض وهذا ما حاوله
اعضاء بعثة علمية للسولاريس وتكون النتيجة
احتلالا عقليا يصيبهم فهم بشر وهم يعيدون - أو
هكذا للسولاريس وتكون النتيجة احتلالا عقليا
يصيبهم فهم بشر وهم يعيدون - أو هكذا يبدو -
التجربة الانسانية « التي ماتت » ويوفد عالم النفس
كريس لاستطلاع أمر العلماء الذين لا يردون على رسائل
الأرض وهناك يلتقي عقل كريس « المنطق »
والرياضي بعالم فوق المنطق وفوق الرياضة وفوق
الواقع وفوق أي حساب وعندما يستدعي روحته
المنتحرة مع الاحقاق الكامل في بعث الماضي وتصحيح
التجربة يصل مريس والانسان - الى قمة ازمته

إلى اليسار بعد « اوديسا الفضاء » راحت الابتكارات التقنية التي واكبت دخول سينما الخيال مرحلة جديدة من الفن ومن الاستغلال التجاري ايضا

حقق « حرب النجوم » (١٩٧٧) والجزء الثاني منه « الامبراطورية ترد الهجوم » نجاحا «جماهيريا» ، اذ حقق الفيلمان ثورة في التقنية لم يحدث لها مثيل من قبل كما حققا نجاحا جماهيرا ساحقا ، بالتأكيد لانهما كانا تعبيرا عن الوفاء لمدرسة التسلية كغاية لفن السينما

النوع خيال علمي والشكل سينمائي خالص ولكن الفيلم لا يحفل بالابهار والايهام التقني ان تركيزه يتوجه صوب الجوهر محنة الانسان أمام التساؤلات المحردة المستحيلة ويكتسب « شكل الفيلم » هنا شرعيته وحيويته وكينونته الخاصة من قوة « أسلوب الرجل » الذي صنعه المخرج تاركوفسكي

التليفزيون يطارد اهل الكتاب

« اذا كانت الحكومة عاجزة ، كثيرة التكاليف ، ترهق الناس بالضرائب الفادحة ، فمن الافضل للجميع أن يتحملوا ذلك بدلا من أن يعيشوا في قلق دائم والحل ؟ أشغل الناس في هذه الحالة بمسابقات عن

الأغاني المشهورة باسقاط أو تغيير بعض الكلمات ليتذكروها أو عن اسماء عواصم الولايات أو الاحصائيات الزراعية ، أحشد أذهانهم بمعلومات لا يعارض بعضها البعض الآخر ، وبالحقائق حتى يشعروا بأنهم بارعون ، راضون عن انفسهم ، وعندئذ يشعرون انهم يفكرون ويحسون في الوقت الذي لا يفكرون فيه في الحقيقة لا تعطهم اشياء فيها مزالق كالفلسفة أو علوم الاجتماع مما يعقد الأمور ويجلب الحزن والأسى

نحن فتيان السعادة ، ونحن نقف ضد تلك الموجة الضئيلة التي تريد للجميع الشقاء والتصارع حول النظريات والافكار ، ويجب علينا الثبات في موقفنا »

هكذا تحدث بي العصر الجديد حارق الكتب الكابتن بيتي فقد توصل مجتمع المستقبل كما رسمه الكاتب الاميركي راي برادبيري (في أوج الحملة المكارثية في مطلع الخمسينات ، وهي الحملة التي استهدفت العقول للتفتيش فيها عما اسمته الأفكار التقدمية) الى سبب الاسباب في العلل البشرية الكتب الكتب بالافكار والنظريات والمذاهب هي التي أدت الى اشتعال الحروب والفتن دعونا نحرق الكتب ونضع على كل جدار في كل بيت شاشة تليفزيون عملاقة تبث البرامج التافهة لكيلا يتعب أحد ويفكر ولكن مونتاج الذراع اليمنى لحارق الكتب في قصة وفيلم « فهرنهيت ٤٥١ » يكتشف الكتب ويكتشف معها عالما لامتناهيا من المتعة والحقيقة فيهجر كل شيء لينضم الى أهل الكتب الذين حفظ كل واحد منهم كتابا وتسمى باسمه فهؤلاء هم مشاعل النور المتحركة في عالم كله ظلام

هذا خيال علمي له اصداء راسخة في الماضي والحاضر ، ولهذا لم يكن مهما - ولا مطلوبا - ان [illegible] هانه المبدع الى مؤثرات خاصة وتقنيات مركبة فما [illegible] المخرج فرانسوا تروفو هو من نتاج « اسلوبه » هو [illegible] سينمائي يبدو ككتاب غير قابل للاحتراق مستوعب [illegible] الطاقة الخيالية التي يشعها كتاب برادبيري ولكنه في نفس الوقت حافل ، بالدلالات واللغويات السينمائية الخالصة

ماذا ستفعل الانسانية بعد أن تصل الى ذروة الرفاهية غير ذلك ؟ تنمي نوازع العنف الطبيعي التي لا بد لها من افراغ ؟

في العنف المجاني مثلا العنف لذات العنف ؟

ليكن كذلك في فيلم « البرتقالة الآلية » (١٩٧١) لستانلي كيوبريك (مأخوذ عن رواية قصيرة لانتوني بيرجس) فهذه رؤية عدمية معرقة في التشاؤم للمستقبل

نلتقي هنا باليكس الشاب الذي ارتكب جريمة وحشية ، وتقرر تحويله عبر برنامج معين إلى إنسان مسالم ولكنه يتحول بدلا من ذلك الى زعيم عصابة تغتصب وتسرق وتقتل في عنف مجاني لا مبرر له

أو ليتم تحقيق افراغ العنف في رياضة عنيفة مثلا ؟

رياضة الرولربول (وهي مزيج جهنمي من الرولرديربي وسباق الدراجات والبيسبول) في فيلم « رولربول » (١٩٧٥) من اخراج نورمان جويسون هي الرياضة التي حددها مجتمع الشركات (المحكوم بست شركات دولية عظمى تحكم العالم) لكي تكون متنفس الرفاهية بعد أن وصل المجتمع الى ذروتها وفي هذا النوع من الرياضة هناك فرق - كما في عالمنا اليوم - ولكن من غير المسموح لكابتن الفريق أن يتفوق اكثر من اللازم فدور الفرد محدد وبمجرد أن ينتهي تصدر الشركات قرارا باحالته الى التقاعد ويناوىء « جوناثان اي » البطل الفرد ويدخل في صراع نتعرف فيه على سمات مجتمع الرفاهية الذي تجهد البشرية في الوصول اليه ، مجتمع الخواء الروحي والمتعة الآلية والعواطف « الموضوعية » الميتة

في كلا الفيلمين يبرع الشكل السينمائي في تقديم نوع الخيال العلمي على نحو يفوق المصدرين الادبيين للفيلمين وبراعته تعود الى امانته مع مواصفاته [illegible] من ترجمته لموضوع أدبي

حرب النجوم والتسلية الخالصة

اذا كان « أوديسا الفضاء » قد افتتح عقدا ذهبيا من عصود سينما الخيال العلمي ، فقد وصل النوع (الخيال العلمي) الى قمة استغلاله التجاري في واحد من انجح الأفلام عبر التاريخ « حرب النجوم » (١٩٧٧) لجورج لوكاس الذي تبعه في العام التالي بالجزء الثاني منه « الامبراطورية ترد الهجوم » ويفكر حاليا في انتاج جزء ثالث .

لا مجال للمقارنة بين الفيلمين فهما متشابهان تماما ومختلفان تماما بمعنى أن كليهما قد دفع باللقاء بين نوع الخيال العلمي وبين الشكل السينمائي الى غايات قصوى والاختلاف الكامل بينهما ليس في الموضوع ولكن في شكل التناول وغاية الفن السينمائي في كلا العملين . « فأوديسا الفضاء » يرسم بطله ديف كبطل تراجيدي في مستقبل تسوده الكائنات الذكية وعقول الكترونية قوية كالعقل هال ٩٠٠٠ الذي يتمرد على ديف ورفيقه في رحلتهما الى المشتري انه يشبه

السيمفونية التاسعة لبيتهوفن (مع استبدال نشيد الفرح بأغنية حنين الى أمنا الأرض وأيامها القديمة الطيبة) اما « حرب النجوم » بحرفيته فهو حكاية شعبية تثير خيال الصغار وتمتع الشباب وتوفر تسلية خالصة من اية استنتاجات أخلاقية مركبة هنا اشرار بقيادة دارث فادار في كوكب الموت ، وهناك اخيار بقيادة بن كينوبي العجوز الحكيم ولوك سكاي ووكر الشاب الذكي الجريء ، وهان سولو الكابتن الشجاع والأميرة الجميلة ليا ورجلين آليين مضحكين صراع بين اخيار واشرار ينتهي بنهاية أخلاقية بسيطة من نوع اخلاقيات حول ضرورة انتصار الخير في النهاية .

هنا فقط يتغير مكان الصراع الاساسي من مغامرات ...ران مثلا ـ الى مكان وزمان ما في المستقبل ويصبح ...شير هو تحقيق الخيال على الشاشة من خلال ثورة ...قنية السينمائية الكبرى المؤثرات الصوتية والبصرية لا أظن أن فيلما يمكنه أن يخرج اليوم ليدعي انتسابه الى ...ع الخيال العلمي دون أن يكون لثورة المؤثرات تأثير ...سيه

● من « ماكينة السجق »

واذا كان « حرب النجوم » قد استغل النوع من خلال المؤثرات الباهرة استغلالا تجاريا هائلا ، فان فيلم ستيفن سبيلبرج « لقاءات قريبة من النوع الثالث » (١٩٧٩) لم ينجح كثيرا في ذلك ، فقد حاول أن يعالج سينمائيا الافكار الشائعة عن الأجسام الفضائية المجهولة التي رغم بعض الناس أنهم شاهدوها ومعروف علميا أن العلماء يستطيعون الاتصال مع سكان وكائنات مجهولة فيما يعرف بلقاءات النوع الأول غير أن لقاءات النوع الثالث التي يلتقي فيها سكان الأرض وجها لوجه بكائنات أخرى غير أرضية ما تزال « خيالا علميا » ويحاول المخرج سبيلبرج أن يطوع محاولة خيالية لتحقيق الاتصال لتلتقي مع الشكل السينمائي وتنجح المحاولة نجاحا محدودا لانه وقف في طريق وسط بين الاستغلال التجاري للوسيط السينمائي وبين الاخلاص لهذا الوسيط على نحو يجعل فيلمه أكثر فنا وليس فنية

بيد أن الفيلم يضاف الى الرصيد الايجابي لسينما الخيال العلمي

● ● ●

والآن ما الذي نريده من سينما الخيال العلمي ؟ ما الذي تقدمه لنا ؟ وما الذي يطمح اليه كتابها ؟

اكاد اقول ان سينما الخيال العلمي « الحقة » (أي عندما يستوعب الشكل السينمائي النوع الخيالي استيعابا فنيا خالصا) تهدف الى إثارة شعور أساسي فينا شعور تاريخي فطري علاف الخوف من المستقبل الخوف من المجهول تحذير من الرفاهية تحذير من الحرب تحذير من الدمار الوشيك من الخراب القادم الخوف الاساسي من الذات الانسانية نفسها والخوف من الآلة انه أدب وسينما الرؤية التحذيرية التشاؤمية والتي تلتقي مع أكثر المشاعر قلقا في تاريخ الانسان الفكري والعلمي انها سينما الحلم بعالم أفضل خال من المجاعات والحروب والنزاعات الدولية الحلم باليوتوبيا (المدينة الفاضلة) وسينما انتصار الخير وسينما الانسان فكتاب وصانعو سينما الخيال العلمي لا يستطيعون الا ان يكونوا اساسيين حتى وهم يتخيلون أكثر الجوانب ظلاما في المستقبل الاساسي .

واتصور أن هذا هو « الخوف » الذي نريده .

هل نحس بحاجة الى خيال لكي نتخيل كيف سيتطور شكل سينما الخيال العلمي في المستقبل وهل ستستوعب السينما أحد أقدم أنواعها استيعابا خالصا وخلاقا في المستقبل ؟

أتصور أننا بحاجة الى « فيلم » يجيب على هذه التساؤلات ● .

فاروق عبد العزيز

كنت اسعد رجل في الدنيا كانت اجمل لحظات حياتي هي ا
اقضيها بين ابنائي واحفادى الى أن جاءوا بي الى هذا الس
لأعيش فيه حتى نهاية العمر !

العصافير .. وشجرة الليمون !

بقلم : منير نصيف

في هذا اليوم صحا مبكرا كما تعود ان يفعل كلما جاءت عطلة نهاية الاسبوع منذ أن حملوه الى هذا المكان الجديد الذى أصبح مقرا له وبيتا فهو اليوم على موعد مع الذين يحبهم وقفز من فراشه الذى لايتركه عادة قبل ان ينتصف النهار في بقية ايام الاسبوع الطويل ، فهو يتناول افطاره في الفراش ، فاذا انتهى منه عاد يغمض عينيه من جديد ويذهب في رحلة بعيدة مع الذكريات كان يجد في وسادته التي يريح عليها رأسه المتعب صديقا يحكي له متاعبه وآلامه !

كان هذا « البيت » الجديد الذى انتقل ليعيش فيه منذ بضعة اشهر ويقضى ما تبقي له من عمر هو نهاية المطاف بعد حياة طويلة مليئة بالعمل والحب فقد تقدمت به السن وذهبت زوجته ورفيقة عمره ، وتركته يواجه الحياة وحيدا عجوزا بعد أن جاوز السادسة والسبعين كانت له الصدر الحنون الذى يستند برأسه اليه ، وكان هو العصا التي تتكيء عليها . ثم رحلت وتركته وحده يواجه الوحدة في هذه الغرفة الصغير في « بيت العجائز » وبقيت صورتها معه وذكراها تملأ قلبه المتعب لقد كانت دائما تشفق عليه من هذه الوحدة التي يعيش فيها اليوم وكانت تداعبه وهي تحدثه عن « الميثاق » الذي عقداه بان يرحلا معا في نفس اليوم في نفس الساعة . ولكنها لم تستطع ان تفي بهذا الوعد !

العصافير وشجرة الليمون !

كان يجلس في شرفة غرفته المطلة على الحديقة التي امتلأت بالزهور وكان له فيها اصدقاء كثيرون يحدثه من بعيد ويحيل اليه احيانا انهم يسمعونه انها العص الصغيرة التي تمرح له فوق اغصان الشجر وش الليمون باغصانها الوارفة المليئة بالثمار ، فقد كان يج شبها كبيرا بينه وبينها ! كما كان يرى في العصافير أولاد وأحفاده الصغار !

كان يشعر انه حرم من ثمار حياته من ابنائه واحفاده ، وكان يحس انه يختنق بين جدران الحجرة ، فيتركها وينزل مهرولا باحثا عن اصدقائه العجائز الذين يشاركونه العيش في « البيت » الكبير كلهم مثله ، حملهم ابناؤهم الى هذا المكان الغريب البعيد عن الأهل والجيران والأصدقاء الذين قضوا بينهم سنوات شبابهم الذى ولى ولن يعود !

ونظر الى الساعة التي رافقته في رحلته الطويلة مع الحياة انها الشيء الوحيد الذي بقي كما هو فهي مازالت تدق بقوة ، كما كانت تفعل منذ اكثر من اربعين عاما مضت انها لم تتوقف مرة واحدة لاتتقدم ولاتؤخر . العمر وحده هو الذي تقدم بها ، ولكنه لم يستطع أن يصنع معها ما صنعه صاحبها !

سوء الموعد !

لم يبقى من الوقت إلا بصع دقائق في العاشرة تماما سوف يجيئون ابنته وروحها واحفاده الثلاثة معها ، وابنه الصغير وروجته وطفلهما الرضيع كلهم سيكونون معه ، سيقضي معهم لحظات سعيدة أمضي الاسبوع كله ينتظرها سيضمهم الى صدره ويقبلهم ويلعب معهم فوق الحشائش الخضراء التي تكسو أرض الحديقة تحت شجرة الليمون ، ويستمعون معا الى العصافير الصغيرة وهي تغني وتقفز فوق اغصان الشجرة التي احبها ، وتمنى لو أنهم كانوا مثلها قريبين منه !

لقد اعد لهم كل شيء يحبونه بالامس بعث برسول ليشتري له الحلوى والشيكولاته انها هنا في انتظارهم وخرج الى الشرفة لقد اقتربت الساعة من العاشرة وراح يرقب الطريق امام « البيت »

مرت الدقائق ولم يصلوا وبدأ يشعر بالقلق ماذا حدث ؟ هل نسوا هل اصاب احدهم مكروه لماذا تأخروا ؟ ربما كانت الطرق مزدحمة بالسيارات في العطلة ! من يدري ! وانقضى نصف ساعة ثم ساعة كاملة ولم يظهر احد ! « كان بوسعهم ان يتصلوا بي تليفونيا !! أو أن يأتي احدهم اي احد منهم ليقول لي لن يتمكنوا من زيارتي هذا الاسبوع ! » ولكن شيئا هذا لم يحدث !

ونزل الى الحديقة ، وجلس يستظل تحت شجرة الليمون ، ويسمع العصافير وهي تغرد وبدا له وكأنها تشاركه قلقه ، ترى ما الذي حدث ؟ أين هم الآن ؟ هذه هي المرة الاولى التي يتخلفون فيها عن زيارته في « بيته » الجديد منذ أن انتقل اليه قبل أكثر من خمسة أشهر !

ومر الوقت ثقيلا متباطئا ، وكان النهار قد انتصف أو كاد ، ولم يذهب لتناول طعام الغداء ، لم يشعر بالجوع أحس برغبة في أن يعود الى غرفته ويلقي بجسمه المتعب فوق الفراش ويضع رأسه فوق وسادته ويستغرق في التفكير وفي الغوص في بحر الذكريات !

صورة من الماضي !

وانقضى اليوم ، وهو في فراشه لم يبرحه ، حتى اذا ما جاء الليل ، كان الألم قد بلغ به حدا لم يعد قادرا معه على ان يحبس دموعه التي ظل يقاومها طوال ساعات النهار ! وبكى الجد العجوز في وحدته ووجد نفسه يسأل نفسه دون أن يشعر . لماذا ؟ لماذا جاءوا بي الى هذا المكان ؟ لم أكن ابدأ عبئا على احد . عندي من المال ما يكفيني ويزيد كنت اعيش في بيتي الذي امضيت فيه أجمل سني عمري مع زوجتي وأولادي لماذا لم يتركوني أكمل فيه رحلة العمر مع الذكريات التي كنت أجدها في كل شيء يحتويه ان حالتي الصحية لا بأس بها لرجل في مثل سني ،

وقد كنت قادرا على ان اخدم نفسي بنفسي لم اطلب يوما مساعدة من احد . كنت فقط حرا اذا افتقدت ابنائي واحفادي ذهبت اليهم لأقضي وسطهم بضع ساعات اعود بعدها الى بيتي وفراشي والى الحياة التي اعتدتها كنت اذهب اليهم دائما محملا بالهدايا وكنت اشعر انني اسعد رجل في الدنيا وانا اجلس وسط احفادي على الارض العب معهم واحكي لهم القصص التي يحبونها وكنت اقرأ في عيونهم اشياء كثيرة كنت ارى فيها طفولة ابنائي وكنت انعم بضحكاتهم وبسماتهم وهم يجرون وراء الدب الصغير الذي ينطلق أمامهم على عجلات !

سجن بلا قضبان !

« لماذا حرموني من قضاء اسعد ايام عمري بجوار احفادي هل هو خوفهم الي من العيش في الوحدة التي كنت فيها ؟ ! ولكنني هنا اشعر بوحدة اشد واقسى اني اعيش في سجن بلا قضبان احس كما لو كنت قد اقتربت من رحلة لا بد وان امضي الى نهايتها وحدي بعيدا عن الناس وعن كل الذين احبهم لا ليست هذه هي النهاية لابد ان اترك هذا المكان لابد ان اعود الى بيتي والى ابنائي واحفادي ! اريد ان اعيش باقي ايام عمري وسط هؤلاء الذين احببتهم وعشت لهم ومن اجلهم ! »

لايهم ان نعرف كيف انتهت قصة هذا الجد العجوز الذي اختاروا له حياة الوحدة في بيت العجائز خوفا عليه ورحمة به ولكن المهم ان هذه القصة حدثت بكل تفاصيلها هل اخطأ الابناء ام كانوا على صواب عندما حملوا والدهم الى هذا البيت بعد رحيل امهم ، ثم نسوا انهم تركوه فيه !

عندما يخطىء الابناء

من رأي علماء النفس ان الابناء يرتكبون خطأ كبيرا عندما يفرضون نوع واسلوب الحياة التي يرونها على آبائهم بعد ان تتقدم بهم السن حقيقة ان الحياة تغيرت ، واليوم غير الامس ، والحاضر يختلف عن الماضي في كل صورة ولكن تبقى بعد هذا كله الرغبة عند هؤلاء الذين احرقوا شمعة حياتهم من اجل ابنائهم ، في ان يختاروا هم اسلوب الحياة الذي يروقهم في المكان الذي يختارونه هم ، طالما انهم يشعرون بان وجودهم لايشكل عبئا على احد ، وانهم قريبون من هؤلاء الذين احبوهم وما زالوا يعيشون من اجلهم بالامس كانت الشيخوخة وساما يحمله الكبار ، ويستحقون المكافأة على هذا الانجاز الذي قضوا حياتهم كلها يعملون من اجل تحقيقه وكان الا . والاحفاد يتسابقون على اسعادهم والترفيه عنهم ، كانت الحياة اسهل مما هي عليه اليوم ، وكانت الروابط الاسرة اقوى واعظم ، فقد كانت المجتمعات بسيطة والحياة فيها غير معقدة وكان البيت الواحد الكبير يجمع الاب والام والابناء والاحفاد كلهم تحت سقف واحد وكان الصغار دائما في خدمة الكبار

المستقبل والماضي

اما حياتنا المعاصرة ، فقد اختلفت الصورة فيها تماما ، اصبح الاستقلال طابعها ، لايكاد الشاب يتخرج في الجامعة ويتزوج حتى يستقل بحياته الجديدة في بيت جديد واصبح المجتمع نفسه مسخرا لخدمة الشباب ، فهؤلاء هم المستقبل ، والابناء الصغار من بعدهم واصبحت الشيخوخة مرحلة تثير الخوف في نفوس الناس الذين بدأ العمر يتقدم بهم ، فتراهم يستعدون لها عندما يشعرون بها تزحف اليهم . فهي تعني عندهم ان « الاستقلال » الذي ظلوا ينعمون به طول حياتهم قد بدأ يتداعى ، ويحل محله الاعتماد على الغير وهنا يأتي دور الأبناء

ولكن كيف ؟ ان دعوة الاب او الام او الاثنين معا الى الاقامة في بيت ابنائهم حيث يكون من السهل تقديم الرعاية التي هم في حاجة اليها ، قد يكون حلا مناسبا ولكنه قطعا ليس الحل الامثل ، ففي اغلب الاحيان يرفض الآباء هذه الدعوة فتراهم يتشبثون ببيتهم القديم الذي قضوا فيه الجانب الاكبر من عمرهم ففي هذا البيت وحده يشعرون بالحرية والاستقرار اللذين لايجدانهما في اي مكان آخر مهما ازدادت ظروف الحياة صعوبة وحول هذا البيت الاصدقاء والجيران الذين قضوا معهم سنوات عمرهم في شبابهم وشيخوختهم ، وهم لايحتملون الافتراق عنهم ! كل شيء في البيت وفي الشارع وفي هذا الحي القديم الذي نريد ان نقطع صلتهم به يقول لنا إنهم مازالوا احياء وانهم هم لم يتغيروا كل ما في الامر ان حطامهم قد اصبحت اكثر بطئا ، وتحركاتهم اضعف مما كانت عليه ، وهي تزداد بطئا وضعفا كل يوم

الا الشعور بالعطف

اذن ماذا ؟ نتركهم في بيتهم مع ذكرياتهم واسلوب حياتهم الذي اعتادوا عليه ، ولكن لاندع يوما يمر دون نتصل بهم ونتعرف اخبارهم بوسيلة او باخرى ، والا ندع مناسبة تمر دون ان يكون لنا معهم لقاء طويل نزور

في بيتهم حاملين ابناءنا ، الذين هم احفادهم الصغار او الكبار حتى يمتلىء البيت بالذين يحبونهم ، ولا ننسى بعد هذا ان نحمل معنا ايضا كل ما هم في حاجة اليه ولا بأس من ان نقبل ثمن الغذاء والدواء الذي اشتريناه ، اذا كان المال لايعوزهم ، فليس هناك اسوأ من ان يشعر الكبار انهم قد اصبحوا معدمين حتى لو لم يكونوا كذلك ، وان ابناءهم انما يفعلون ما يفعلون شفقة بهم وعطفا عليهم كل ما في الامر أن الابناء مروا بالسوق في طريقهم اليهم فاشتروا لهم ما هم في حاجة اليه ، لانهم اعرف بها من غيرهم !

رحلة مع الأمس

تروي جين اوستن قصة الام العجوز التي كانت تعيش وحدها في بيتها الذي لم تبرحه ابدا ، وكان ابناؤها يترددون عليها ، فلا يمر يوم دون ان يسأل عنها احد ابنائها ويطمئن عليها ويلبي لها طلباتها ، حتى اذا جاءت عطلة نهاية الاسبوع ، ذهب الابناء والاحفاد الى بيت الجدة العجوز لقضاء اليوم معها وكانت تسعد بهم ، وتصر على ان تعد لهم هي طعام الغذاء كما كانت تفعل رغم انها كانت قد جاوزت الثمانين وقد بدأ بصرها يضعف ولم تعد قادرة على ان تميز بين الاشياء وكانوا يتركونها تفعل ما تشاء فقط كانوا دائما قريبين منها ، حتى اذا اخطأت كان من السهل عليهم ان يتدخلوا بسرعة لاصلاح الخطأ

وكان لها صديقة تسكن في البيت المجاور لها تماما وكانت اصغر منها سنا بقليل ، وكانت لا تفترق عنها الا عندما يجيء موعد النوم او يأتي ابناؤها لزيارتها كانتا تخرجان معا وتأكلان معا وتذهبان الى السوق القريبة معا

وكانت الام والجدة العجوز تجد في تلك الساعات القليلة التي يقضيها معها ابناؤها واحفادها رحلة جميلة يحملونها فيها الى الماضي ، وربما ايضا الى المستقبل الذي كانت تراه في وجوه احفادها ، وتتمنى ان تعيش معهم فيه !

مازالوا في حاجة الي

ولكن اجمل اللحظات كانت تقضيها الام هي تلك التي كانت تجلس فيها بعد الغذاء تستمع الى القصص التي كانت ترويها لها بناتها عن الاهل والاصدقاء الذين تعرفهم وما تزال تذكر كل شيء عنهم ، ولكنها لم تعد تعرف عنهم أي جديد الا من خلال ما كان ابناؤها يروونه لها بعضهن كن زميلاتهن في الدراسة ، وبعضهن بنات صديقاتها هي اللواتي رحلن مع ازواجهن وتركن الشارع والحي القديم الذي نشأن فيه منذ سنوات طويلة ولكن لم تنقطع صلة الابناء ببعضهن البعض ثم يلتقط الابناء الحديث ويروون لامهم كل شيء عن مشاكلهم في العمل ، ومشاكلهم مع زوجاتهم وابنائهم وماذا صنع أصغر احفادها مع زميله في المدرسة ! وكانت الام تجلس في مقعدها الكبير وتتابع قصص ابنائها وبناتها باهتمام شديدوكأنها لاتريد لها ان تنتهي ! وكانت تعيدها كلها على مسامع صديقتها !

سألتها صديقتها يوما : « الا تشعرين بالضيق وانت تستمعين الى كل هذه الحكايات التي لاتنتهي ! ؟ »

وقالت الام « بالعكس فهم يحاولون ان ينقلوا لي بعض ما في العالم الذي حولي ، بعد ان عجزت أنا عن ان انتقل اليه ! »

وتعود الصديقة تسأل « ولكن كل هذه القصص عن مشاكل حياتهم ومشاكلهم مع اولادهم ، الا تشعرين بالانزعاج وأنت تستمعين اليها ! »

وتقول الام « لا اشعر بان ابنائي مازالوا في حاجة الي ، وانني استطيع ان اساعدهم بما تبقى عندي من اقتراحات وحلول ! انني احس بان الحياة قد عادت بي عشرين عاما الى الوراء كلما جلست استمع الى حكاية من الماضي عن هؤلاء الذين اعطيتهم عمري ! » ■■

منير نصيف

* ابتسامة المرأة الجميلة . . شعاع من أشعة الشمس .

فولتير

* تضحك المرأة متى تمكنت . . . ولكنها تبكي متى أرادت .

جورج صاند

في عالم
الخيول المملوكية

اذا كان للخيل عند العرب مقامها المميز ، فانها عند المماليك كانت لها مكانتها الرفيعة ، وعالمها الملىء بمختلف عناصر الاثارة والتشويق ،

القاهرة المملوكية

نتجه الى ميدان الرميلة الممتد تحت قلعة الجبل ، ربما كان التجول في سوق الخيل مدخلا طبيعيا الى عالم رحب ، وثيق الصلة بكافة تفاصيل الحياة خلال العصور الوسطى ، لم يتغير موقع السوق طوال العصر الوسيط ، ترتفع صيحات الدلالين والمنادين ، انواع عديدة من الخيول ، لكنها مورعة على ثلاثة اقسام رئيسية ، الخيول العربية انفسها ، واعلاها قيمة ، مطلوبة للسباق ، وللحاق ، مصدرها بلاد الحجاز ، ونجد ، واليمن ، والشام ، والعراق ومصر وبرقة ، النوع الثاني تركي أو عجمي وكانت تسمى الهماليج ، او الاكاديش مرغوبة لصبرها على السير الحثيث ، وسرعة المشي ، والنوع الثالث مولد بين العربية والاعجمية ، اذا كان الاب أعجميا والام عربية قيل له هجين وان كان العكس قيل له مقرف ، وهو وسط بين النوعين السابقين ، اما الخيول الافرنجية فهي اقشل الانواع ، وارخصها ثمنا هنا ، ولا يقبل عليها احد

الخيول العربية ذاتها تنقسم الى عدة انساب ، الحجازي اشرفها ، والنجدي ايمها ، والمصري افرهها ، والمغربي اسلها ، وعندما ترد الى السوق خيول مؤصلة فانها تعرض على السلطان كان السلاطين مهتمين جدا باقتناء انفس الانواع ، وانقى الانساب ، كان الناصر بن قلاوون شغوفا بجلب الخيول العربية ، وبسببها بالغ في اكرام العرب من آل مهنا وآل فضل المتخصصين في احضارها له ، ولم يكن يبخل بأي ثمن ، حتى اتته العرب بأجود الانواع ولم تبق طائفة الا قادت اليه عتاق خيلها وافرد لها دفاتر تسجل انساب الخيل ، كما تسجل انساب الادميين وعندما مات ترك خلفه ما يقرب من ثمانية آلاف فرس في اصطبلاته اما السلطان برقوق ـ الذي رد تيمور لنك بخيوله البرقية العربية ـ فقد خلف وراءه ٧ الاف فرس كان اقتناء الخيول والاهتمام بها مظهرا من مظاهر القوة ، والجاه ، ولا عجب ، فقد قام النظام المملوكي على دعامتين ، الفارس ، والفرس ، ربما كان ذلك سببا قويا في اهمية سوق الخيل ، وقربه من قلعة الجبل ، مركز الحكم ، ورمز السلطة في مصر وقتئذ ، في السوق ترى الوانا عديدة ، غير ان الالوان الاساسية اربعة ، وما عدا ذلك متفرع عنها ، الاول اللون الابيض ، وكان سلاطين المماليك يفضلونها ، ويطلقون عليها الفرس البوز ، ويذكر ابن اياس في بدائع الدهور ان السلطان الغوري عندما خلع على قرقد بيك العثماني اهداه فرس بوز بسرج ذهب وكنبوش ولا يذكر خروج السلطان الغوري في الموكب الا ممتطيا فرس بوز ابيض

اللون الثاني هو الاسود ، وكل فرس شديد السواد كان يطلق عليه « ادهم » ، والثالث هو اللون الاحمر ، ويسمى الكميت ، واللون الرابع هو الاصفر

ومعرفة ألوان الخيل امر ضروري بالنسبة للفرسان وقادة الوحدات العسكرية ، واحيانا كان بعض الفرسان يحرصون على ركوب فرس ذات لون معين في كل يوم ، وجرى العرف ان يكون ركوب الادهم اي الاسود يوم السبت ، ويوم الاحد للابيض ، والاثنين للاخضر ، والثلاثاء للكميت ، والاربعاء للابلق وهو ما كان بياضه بين بين ، ويوم الخميس للأشقر ، ويوم الجمعة للمحجل

ولهذا الالوان علاقة بالتفاؤل ، ولا يقتصر التفاؤل والتشاؤم على اللون العام للفرس ، وانما يتعلق الامر ببعض العلامات في جسده ، فالغرة اى البياض الذي يكون في وجه الفرس ، اذا استدارت او كانت تشبه حرف الحاء فانها تدل على اليمن والبركة واذا اصاب البياض صدغا دون الاخر ، فان الفرس يكون مكروها ، ويتشاءم منه كذلك ان عطت عينا دون الاخرى ، فيصبح من المتوقع ان تقتل مع صاحبها ، اما اذا عطت العينين فانها تقهر مع فارسها ، وان مالت الى اليمين تدل على الشؤم ، والى اليسار فانها تدل على المكاسب ، وان وصلت الى الانف فانها تدل على البركة والخير ، واذا كان هناك لون يخالف لون الفرس في رجلين مختلفتين فانه مكروه ، وفي سنة ٨٠٢هـ ـ ١٣٩٩م ، كسر الامير تنم وسقط اسيرا ، واستفسر المؤرخ ابن تغري بردى عن

سبب وقوع الامير عن فرسه ، ثم اسره ، فقالوا ، كان في فرسه شؤم ، واشاروا الى هذه العلامة ، وقالوا ان اصحابه نهوه عن ركوبه فأبى .

الفرس السباق

في سوق الخيل نلاحظ ان المشترين والفاحصين يطيلون التحديق لاختبارها وفحصها ، والتفرس له قواعد ، فلابد ان ننظر الى الفرس في جميع حالاته ، خاصة اثناء الجري ، والفرس الجيد ، الفرس السابق يعرف من شدة نفسه ، وحدة نظره ، وصغره كعبيه ، ورقة جحافله ، وقصر ساقيه ، وقلة التوائه ، ولين التفاته ، واذا نظر الانسان الى آثار قوائمه وقت جريه ، وقاس مابينها ، فإذا كانت ست ادرع ، يكون فرسا سباقا ، واذا كانت المسافة اربع اذرع او ثلاثا فهو بطيء ، اما من اربع اذرع الى خمس فيكون متوسط الجرى ، كما يجب ان يكون صافيا عند الصهيل ، فهذا دليل صحة الرئتين ، وعلامات اخرى عديدة كان المتفرسون يعرفونها ، وسجلتها كتب الفروسية ،

اذا ما فرغنا من التحول في سوق الخيل ، فاننا نصعد قليلا الى القلعة ، الى باب السلسلة ، هنا اكبر الاصطبلات في البلاد ، اصطبل السلطان عما يحتويه

الاصطبل السلطاني

البناء مسقوف داخل القلعة ، جيد التهوية ، يضم عدة منشآت ، اولها المكان المخصص لايواء الخيول ، الارض مفروشة برمل ناعم ، اوبأعواد من خشب ، وذلك حتى اذا راث الفرس او بال ، فيروم الرمل ، ويأتي برمل يابس غيره ، او اعواد اخرى نظيفة ، والتراب غير مستحب لان البول اذا احتلط به يحدث رائحة قذرة ، لأن الرطوبة تلين الحوافر بخلاف الارض الصلبة ، سواس الاصطبل يمسحون ابدانها صباح كل يوم وينظفونها ، كما انهم مسئولون عن تمريغ الفرس بعد المجهود الذي تبذله في الجري لتليين اعضائها ، من المباني الملحقة بالاصطبل ، (الركاب خاناه) ، اي المكان الذي تحفظ فيه معدات الركوب ، من السروج ، واللجم ، والكنابيش ، والمراكيب ، واردية الخيول ، والمخالي ، كثير من هذه المعدات محلي بالذهب ، او الفضة ، ويقول المقريزي انه رأى بعض الركاب مصنوعة من الذهب الخالص ، المسئول عن هذا الجزء هو المهتار (كبير الغلمان) ومعه عدد من الرجال لمعاونته ، وكان الاصطبل يحتوي على ما يلزم ثلاثة آلاف فرس ، وتجهيزها بشكل كامل .

يسمى الاصطبل وملحقاته بالاصطبلات الشريفة ، اما ما يخص الامراء فيطلق عليه الاصطبلات السعيدة وينقسم الاصطبل السلطاني الى عدة اقسام ،

الاصطبل الخاص الشريف وبه الخيول الخاصة بالسلطان

اصطبل الحجوره ، وبه الخيول الخاصة بلعبة الكرة ، او الرياضة ،

اصطبل الحوق ، وبه خيول المماليك التابعين للسلطان

اصطبل البيمارستان ، وبه الخيول الضعيفة

اصطبل الجشار ، وبه الخيول الهرمة التي حان احلها

اصطبل البريد ، وبه خيل البريد

ونلاحظ ان الخيول الهرمة او الضعيفة لم تكن تقتل ، كما يحدث في عصرنا ، بل يخصص لها مكان تقيم به حتى تلفظ انفاسها ، وترحل مكرمة ،

ومن المباني الملحقة ، الجامع السلطاني بالاصطبل ، ولأن المكان يؤي الخيول رمز القوة ، فقد كان السلاطين ينزلون اليه ، ويجلسون فوق المقعد المطل عليه ، ويديرون امور الحكم ، ويسبق نزولهم موكب الاصطبل الذي يتكرر مرتين في الاسبوع ، السبت والثلاثاء ، وبدأت هذه العادة منذ ايام السلطان برقوق ، وفي زمن السلطان تمربغا الظاهري ،

سار المنادي معلنا بأن كل مظلوم أو من له شكوى عليه الوقوف بالاصطبل يوم السبت والثلاثاء للنظر في شكواه ، وكثيرا ما كانت تنفذ العقوبات الفورية في الاصطبل ، يقول ابن اياس انه في جمادي الآخرة سنة ٨٧٢هـ ، تعبر حاطر السلطان الظاهر ابي سعيد تمربغا على القاضي خروف فضربه بين يديه بالاصطبل ضربا مبرحا ، كما كانت مبايعة السلطان تتم في الاصطبل احيانا ،

في سنة ٧٨٤هـ حضر الخليفة المتوكل على الله ، وقضاة الاسلام الاربعة وعلماء العصر الى الاصطبل السلطاني وقلدوا - برقوق - امور العباد والبلاد

وفي سنة ٨٠١هـ تكرر نفس المشهد بالاصطبل عندما بويع فرج بن السلطان برقوق بالسلطنة ، وتقلد امور المسلمين ، كذلك بويع قايتباي المظيم في الاصطبل ، كثيرا ما تم عرض المماليك في الاصطبل ، كما جرت فيه مشاورات عديدة لتوزيع الثروات ، أو لحسم المنازعات ، وكانت اصطبلات الامراء تعكس مدى اهمية الامير وقوة مركزه ، ونفوذه ، بعدد ما تحتويه من خيول ، مسجد السلطان حسن هذه التحفة المعمارية القائمة في واجهة القلعة ، بني مكان اصطبلين كانا يملكهما الامير يلبغا اليحياوي ، والامير الطنبغا المارواني ، وكان نواب السلاطين بالشام يمتلكون اصطبلات ضخمة ، وكثيرا ما كان السلطان ينفق عليها ، كما حدث في زمن السلطان بيبرس ، ومن تلاه من ملوك

وظائف الاصطبل

المسئول الاول هنا هو امير آخور كبير ، وآخور كلمة فارسية تعني العلف أو العليق ، اي انه امير العلف ، ولايتولى الوظيفة الا امير مقدم الف ، اعلى رتبة بين المماليك ، ولا يتولاها الا اهل الثقة ، بل ان هذه الثقة وصلت الى حد ائتمانهم على حريم السلطان ، كما حدث في عصر الناصر محمد بن قلاوون عندما ائتمن امير اخور على حريمه ، وأمره بالخروج معهم الى الحجاز ، كما انه زوج الامير يشبك امير آخور ابنته ، كما كان السلاطين يسيرون في جنازات امراء اخوريتهم وفي ايام الفتن كان الاصطبل اول ما يتعرض للنهب ، وذلك لكسر شوكة صاحبه ، وتجريده من قوته ،

حدث في زمن السطان المنصور ابي بكر بن الناصر محمد أن تكتل الأمراء ضده ، وما ان علم بذلك حتى اسرع الى الاصطبل وامر ايدغمش امير آخور بشد الخيل للحرب ، لكن الامير اخبره انه لم يبق في الاصطبل غلام أو سائس ، عندئذ علم السلطان ان امير اخوره قد خذله ، وانه هزم ، كذلك عهد السلاطين الى امراء اخوريتهم بكثير من المهام السياسية والعسكرية ، وذلك لحنكتهم وقدرتهم ففي سنة ٨٠١هـ توجه سودون الطيار أمير آخور الى الشام يكشف اخبار ابن عثمان ، وفي سنة ٩٢٠ هـ عين السطان الغوري الامير قاني باي امير اخور قائدا للتجريدة التي توجهت الى حلب ، ومن قبل في سنة ٨٠٣ هـ توجه امير آخور الى تيمور لنك بكتاب السلطان

وكانت الوظيفة ترشح صاحبها ليتولى مناصب اعلى ، حتى السلطنة نفسها ، فالسلطان برقوق كان امير اخور ، والسلطان يلباي ايضا ، ولكن احيانا كان امير آخور يرقى الى منصب اكبر ، ولكنه من الناحية العملية اقل نفوذا ، حدث ذلك للامير جقمق العلائي في سنة٨٣٧هـ عندما رقي الى امير مجلس ، واشار عليه أصحابه بأن امير آخور كانت افضل له من ناحية المنفعة والنفوذ ، واذا كان لابد من التغيير فليختر امير سلاح لتعوضه هذه الوظيفة عما فاته ، وظل يسعى حتى تحقق ذلك

يعاون امير آخور في ادارة الاصطبل السلطاني موظفون آخرون لهم درجات ومراتب ، منهم السراخور ، وهذه الكلمة مركبة من لفظين فارسيين معناهما ، كبير العلف ، وهم كبار المسئولين عن علف الدواب ، اما الغلمان وسواس الخيل والاسطوات فهم الذين يتولون خدمة الخيول مباشرة ، يقومون بتنقية العليق ، ويطعمونها بأمانه لأنه لا لسان لها يشكو الا الى الله تعالى ، ولاتسجل كتب التاريخ حوادث اختلاس من العلف ، والله اعلم !

وكان السواس يعلقون احرازا في رقاب الخيول تشتمل على آيات من القرآن الكريم وقد عاب أحد مؤلفي كتب الفروسية عليهم ذلك ، لأنها تتمرغ في القذارة ، ولاتخرج الخيول من الاصطبل مرتدية مايتفق ، فلكل لون زي من العبي والكنابيش ، الفرس الاسود له العباءة البيضاء ، والدوال الابيض ، والاشهب له العباءة السوداء والدوال الاسود ، والاحمر له العباءة الحمراء ، والاشقر له اللون العسلي ، والاصفر له العباءة التي من نفس لونه ، أما اذا كان الفرس بوزا أي ابيض ، فان لون العباءه يكون بنفسجيا ، واللون الاخير يطل علينا به جواد السلطان الغوري في مواكبه وخرجاته التي وصفها ابن اياس ، ايضا فان الوزن المحدد لكل فرس محدود ، وقد فضل العارفون بالجياد المائه والعشرين رطلا ، تشمل وزن الفارس والسلاح ، والعدة ، حتى لاترهق الفرس ، وهذه الخيول مدربة عبر عناء طويل وصبر ، فالخيول ذات نفوس عزيزه ابيه ، وليست كغيرها من البغال أو الحمير ، ان فرس السلطان دربت على ان تحمل البزاة بالجلاجل ، وتعليق الاجراس وحمل الصولجان ، والخوض في الماء ، وتخطي السواقي ، والقعود في رفق ، وبقية الخيول مدربة على دخول الأزقة ، والأسواق ، والمرور بين الجماعات ، والنظر الى الاعلام ، والأشياء الضخمة العجيبة ، كالافيال ، والاسود ، والزراف ، واذا خاف لايضرب حتى لاينفر ويجزع ، انما يؤخذ برفق ، كما انها مدربه على الدوران برفق ، والقعود ، والانعطاف يمنة ويسرة ،

وهناك قواعد دقيقة تنظم عملية اللجم ، وتعدد أنواعها ، كذلك السروج .

وأحيانا كانت الامور المالية تنعكس على الناس ، لقد كان المماليك يبالغون في كسوة خيولهم ، ومن هنا فرض بعض السلاطين ضريبة خاصة بالعبي ، لكن السلطان الناصر محمد بن قلاوون الغاها سنة ٧١٠هـ ، كما كانت بعض الاضطرابات سببها اكل الخيول من تبن وشعير ، كان يصرف للمملوك جراية من الخبز لطعامه ، وحراية من الشعير لاطعام حيوله ، وفي سنة ٨٥٩هـ ، ثار المماليك الحلبان واشاعوا الفوضى وتوجهوا الى بولاق ونهبوا شون الامراء ليحصلوا على الشعير لخيولهم ، وفي سنة ٨٦١هـ كان احد مطالب المماليك من السلطان ان يكون الشعير والتبن مغربلا ، وفي سنة ٩٢٠هـ ، انتقد المماليك السلطان الغوري لان العليق الخاص بالخيول مسوس لاتقبل عليه الجياد ، ونزل السلطان عند رغباتهم وأمر بصرف العليق المعربل لهم وفي الربيع كانت الخيول تخرج الى المراعي لتأكل البرسيم ، وكان هذا يسبب بعض الخطورة احيانا ، ففي سنة٧٥٥هـ عندما هزم السلطان حسن من مملوكه يلبغا ، البس مماليكه في القلعة ، لكنه لم يجد لهم خيلا ، لان الخيول كانت ترعى في مراعي الربيع ، ولكن في حالة المخاطر الخارجية كانوا يقصرون الفترة الزمنية ، أو يستدعون الخيول من مراعيها ، وفي فصل الصيف اعتمدت الخيول على الدريس ، ونظرا لأهميته عمد المماليك الى تخزينه ، وفي سنة ٩١١هـ ، عندما بدأ الشاه اسماعيل الصفوي يستعد لمهاجمة البلاد ، أكثر المماليك من تخزين الدريس ، وصاروا يسكون الناس غصبا لنقله ، وسرى الارتباك بسبب ذلك ، وقال العامة : اهرب ياتميس ، والايمملوك الدريس ،

وفي سنة ٩٢٢هـ عندما اشيع اقتراب ابن عثمان من بلبيس صدر امر باحراق الشون المحتوية على التبن والدريس والقمح والشعير ، حتى لاينهبها عسكر ابن عثمان ، فتزداد خيولهم قوة ، وكان المصروف على عليق الخيول مبالغ ضخمة

السلطان بيبرس كان ينفق على دوابه ودواب من يلوذ به في كل سنة ثمانمائة الف درهم ، وكانت خيوله تستهلك خمسة عشر ألف عليقة في اليوم الواحد ، أي ستمائة اردب ، والسطان برقوق ، بلغ عليق خيوله في الشهر أحد عشر الف اردب شعير وفول ، وكان الذي يشرف على كل هذه الشئون هو امير اخور كبير

استعراض القوة

نتجه الآن الى احدى ساحات السباق ، ان الفرسية ترتبط ارتباطا وثيقا بالرياضة ، وسباق الخيل اهم الوان الرياضة ، واكثرها استعراضا للقوة ، كان السلطان بيبرس يأمر عساكره بالركوب الى الميدان الاسود تحت القلعة ويتراكضون فيه ، وجرب على ذلك عادة السلاطين من بعده الذين خصصوا ساحات متعددة للسباق ، واعتاد العرب ان يسموا ساحة السباق بالحلبة ، اما موضع المسابقة فيسمى بالمقمار ، والمدى يسمى غايته ، وتكون الغاية طبقا لما يتفق عليه ، وكانوا يجعلونها مائة غلوة ، والغلوة رمية السهم العربي ، وهي خمسمائة ذراع ، وقد تجعل من مواضع معلومة الى مواضع معلومة ، وهذا ما طبقه المماليك

ويذكر المقريزي انه رأى بميدان العتق عواميد من رخام تعرف بعواميد السباق ، بين كل عامودين مسافة بعيدة ، وانه كان بين قبة الامام الشافعي وباب القرافة ميدان تتسابق فيه الامراء والاحناد ، واسلوب السباق الذي نراه في الساحة يتلخص في وقوف الخيل في الميدان ، ثم تصف على المقوس ، اي الحبل الذي يمد في صدور الخيل لتكون متساوية ، وترص حوافرها كالمشط المنظوم ، ثم ترفع المقوس كاسرع ما يكون ، فتنطلق عشرة ، عشرة ، دفعة واحدة ، والسباق يحتاج الى فارس ذكي عارف باحوال الخيل ، خفيف الجسم ، قليل اللحم ، في عصر السطان الناصر اهداه الامير العربي مهنا فرسا شهباء للسباق ، وطلب الا يركبها عند السباق الا بدوي ، وجاءت هذه الفرس في مشهد طريف تحفظه لنا كتب المقريزي وابن تغري بردى ، اذ كان يركبها بدوي بدون سرج ، وقادها عبر السباق وهو يرتدي قميصا وطاقية فقط ، وسبقت كل الخيول ،

وهناك ساحات اخرى كان المماليك يلعبون فيها الكرة أو الجوكان ، وهي اللعبة المعروفة الآن باسم« بولو » ، اهتم السلاطين بها وخصصوا لها الخيول ، والموظفين ، كان الواحد منهم يسمى الجوكندار ، أي الذي يحمل الجوكان ، وهي عصا مدهونة طولها نحو من اربع أذرع ، وبرأسها خشبة مخروطة محدودبة تنيف على نصف ذراع ، ويقسم ميدان اللعب بخطوط بيضاء ، ويقف فرسان المماليك بيد كل منهم عصا طويلة ، ويحاول كل منهم جذب الكرة التي توضع في وسط الميدان ، وكان المهزوم يقيم وليمة كبيرة ، واحيانا كان السطان يتحمل نفقاتها تخفيفا عن المغلوب ، وقد حدث ان توفي الملك السعيد

محمد بن الظاهر بيبرس عقب تعثره بفرسه اثناء لعبه بالكرة عام ٦٧٨هـ

وكان تدريب الفارس يبدأ منذ أيام الصغر ، في البداية يعلمون القراءة والكتابة ويلقنون آيات القرآن الكريم وتعاليم الدين ، ويلقنون الاخلاق المثالية ، وفي المرحلة التالية يؤخذ المملوك بالشده فيتعلم السباحة ، واللعب بالسيف ، والضرب بالرمح والقذف بالاطواق ، وركوب الخيل ، ويبدأ تعليمه الخيل بتعوده على الوثوب والنزول على تمثال للفرس من الطين أو الخشب ، فان أتقنه حمل على التمثال سرج ، فان اتقنه ، ارتدى السلاح ووثب به ، ثم يبدأ الوثوب على فرس عارية من السرج ثابتة ، فاذا حذق ذلك تدرب على ركوب فرس مسرجة ، وطرق احذ الاعنة ، وامساك الرمح ، فإذا اكتسب الخفة ، تمرن على السوق شيئا فشيئا ، حتى يصل الى الركض بالفرس ، ثم يتمرن على ركوب الفرس والنزول عنه أثناءركضه ، أو القفز خلف فارس راكب ، ثم يتدرب على القتال بالاسلحة ، والتقاطها من الارض وهو راكب ، ثم يتدرب على الالتفات والدوران ودخول البرجاس ، وعند بروز مواهب المملوك ، فانه يشترك في مبارزة أو سباق ، وعند ثبوت شجاعته تكون مكافأته ان يعتق ، وترد اليه حريته ، ويوكل اليه امر احدى الوظائف ويكتب له اقطاعها ، « جزء من الارض يستغله كما يشاء » ، ويمنح خيلا وقماشا ، ويترقى فى سلوك الوظائف حتى يصل الى ماشاء له حظه ، كثيرا ما جنح بعضهم الى مطالعة العلم ، ودراسة الادب ، أو كتابة الشعر

وشجاعة الفرسان المماليك ليست في حاجة للبرهنة عليها ، وامامنا حروبهم خلال فترة دولة المماليك البحرية وايقاعهم بالفرنجه وهم خلاصة جنود اوروبا ، وهزيمتهم للتتار الذين اشاعوا الرعب في العالم ، ومن ازهى مشاهد التاريخ واكثرها اثارة للحنين ، والخيال ، وصف ابن اياس والمقريزي ، وابن تغري بردى ، وغيرهم ، لركوب فرسان المماليك ، ونزولهم من القلعة ممتطين خيولهم بينما تسمع قعقعات اسلحتهم ، وتبهر العيون الوان جيادهم ، وارديتهم ، والكنابيش المطعمة بالذهب ، وتلك المباهاة بالقوة والفروسية .

في الحرب والسلم

يعد الفارس سنوات من اجل لحظات أو ايام قليلة عندما تنشب الحرب ، كذلك الخيول ، وكما يتوزع المحاربون على اقسام الجيش المختلفة ، فان الجياد كذلك ، هناك خيول النوبه ، وتخص السلطان ، والقواد ، وهي مسرجة دائما ، في الليل والنهار ، تقف في اقرب مكان من السلطان احتياطا لكل مفاجأة ،

وخيول الطلائع ، مخصصة للاستكشاف ، ولابد ان تكون من اجود الانواع سليمة الحوافر ، لاتجمح ، وخيول السرايا ، تضم انواعا ممتازة ترسل للاغارات السريعة على العدو ، وسميت بالسرايا لانها تسرى بالليل ، اما الكميمة ، فيجب ان تكون قليلة الشغب ، لاصهيل لها ، ولاحمحمة ، صابرة ، لاتضجر ، حسنة الاخلاق ، لاسعال بها ، ولاخراط ، ولابد ان تكون كلها ذكورا أو اناثا ، اذ ان اجتماع ذكر الخيل واناثه ربما اثار الجلبة ،

أما الخيل الطواسن ، فهي صعبة الانقياد ، لانفع منها ،وتلك لها وظيفة في الحرب اذ تضرب بالسياط ، وتدفع بالضجيج صوب مخيم العدو لاشاعة الرعب فيه تمهيدا لهجوم الفرسان عليهم ، ويتردد تعبير جرائد الخيل كثيرا في كتاب ابن اياس « بدائع الزهور » ، وتلك تستخدم لاتباع المهزمين ، ومطاردتهم ،

وفي ايام السلم ، يتم الركوب وفقا لتقاليد ونظم ،فأول المواكب ، هو موكب تقليد السلطان ، تقدم اليه فرس النوبة بسرج مذهب ، وكنبوش مزركش ، واذا هم بالركوب يقرأ الفاتحة ، وعند وضع رجله في الركاب يقول . بسم الله ، سبحان الذي سخر لنا هذا وماكنا له مقرنين ، وانا الى ربنا لمنقلبون ، ويخرج راكبا والامراء مشاة بين يديه الى ظاهر القاهرة ، حيث يلبس خلعة السلطنة ، ثم يدخل من باب الفتوح ، أو باب النصر ، والوزير بين يديه راكبا فرسه حاملا عهد السلطان الذي كتبه له الخليفة بسلطنة مصر فوق رأسه ،

وكان هناك موكب الركوب في الميدين ، ومن شعاراته ان يكون في عنق فرس السلطان رقبة من حرير اصفر ، وكانت الغاشية تحمل بين يدي السلطان ، وهي غاشية سرج محلاة بالذهب ، يحملها الركبدار رافعا لها على يديه ، يلفتها يمينا وشمالا ، وامام السلطان ايضا يركب الجفتاوات ، وهما اثنان من موظفي الاصطبل متقاربان في السن ، عليهما قباءان اصفران ، وعلى رأسيهما قبعتان مزركشتان , وتحتهما فرسان اشهبان يشبهان فرس السلطان ، كأنهما معدان لركوبه ،

ومن المواكب الاخرى التي يركب فيها السلطان موكب

الاصطبل ، ومواكب الكرة ، وموكب كسر الخليج ووفاء النيل ، وموكب دوران المحمل ، وموكب الصيد والأسفار .

وكان كبار الامراء يركبون الخيول النفيسة ، اما اتباعهم فيركبون البغال ، كذلك كان اصحاب الوظائف الدينية من القضاة والعلماء يركبون البغال ، وان كان يسمح للمتعممين بركوب الخيل واقتنائها كمظهر من مظاهر احترامهم ، اما عامة الناس ، فيركبون البغال .

نعود الى سوق الخيل تحت قلعة الجبل ولاتزال دلائل عديدة تكشف اهميتها ، فالسلاطين أوصوا مماليكهم بالايقفوا في اسواق العطارين ، والقماش ، والصناعة ، ولكن يجب ان يقفوا بسوق الخيل ، أو سوق السلاح ، أو سوق الكتب .

ولأن سوق الخيل يتضمن العديد من معاني الجهاد ، ولان السلاطين يؤمنون ببركة الخيل ، فقد جرت عادتهم على الاحتفال بشمائهم هنا ، واذا مرض عزيز لديهم يأمرون ببيع احد الخيول الثمينة بالسوق ، والتصدق بثمنه على الفقراء ، هكذا فعل السلطان برقوق ، والاشرف برسباي ، والسلطان خشقدم ، والمؤيد شيخ ، والسلطان الكامل شعبان

ولأن السوق قريبة من القلعة ، فكثيرا ما وقع به العديد من ، الاضطرابات السياسية ، والاقتصادية ففي سنة ٧٤٢هـ ، تجمع افراد من الشعب بسوق الخيل وطالبوا بذهابهم إلى الملك الناصر والعودة به ، وفي سنة ٨٤١ هـ ، عندما مرض السلطان برسباي واصبح احتمال موته قريبا ، تجمع المماليك بسوق الخيل تحت القلعة .

وتوجد اسواق اخرى تكمل سوق الخيل ، منها سوق المهمازيين لبيع المهاميز والتي صنع بعضها من الذهب أو الفضة ، وكان هذا نادرا ثم بطل مع مرور السنوات ، أما سوق اللجميين فتباع فيه آلات اللجم مما يتخذ من الجلد ،وكان بعضها يصنع من الجلد البلغاري الاسود ، أما سوق الجوخيين فمخصص لبيع الجوخ المستورد من بلاد الفرنجة ، وكان يصنع منه ثياب السروج

ونفارق عالم الخيول ، وسوق الخيل ، وكل ما يتعلق بها ، بعد ان طواها الزمن ، وهان امرها ، واصبحت في عموم أحوالها تجر العربات الكارو المحملة بالأثقال ، وتسام العذاب ، وفي احوال الحظ ، تستخدم كحلية راكدة في المواكب ، وبعض الاستقبالات الرسمية ●●

القاهرة : جمال الغيطاني

القانون

● اضطر بياس الفيلسوف يوما ان يحكم بالقتل على اعز اصدقائه عملا باقتضاء القانون . فما كاد ينطق بصيغة الحكم حتى شرع في البكاء وسط المحكمة . فقيل له ما يبكيك وانت الحاكم المطلق تغير الحكم كيف شئت . فقال انما بكيت اسفا وحنانا على من اصيب بنكبات الدهر ولكن القانون فرض على ان لا اعتبر هذه الطبيعة ولا اجرى على اميالها .

الشاعر والامبراطور !

● كان فردريك الاكبر يحب الشعر . فينظم قصائد ركيكة ، ثم يعطيها لفولتير لاصلاحها له .. فلما تشاجرا طرد فردريك فولتير قائلا : « اننا نلقى قشر البرتقالة بعد ان اعتصرناها » .

فلما سمع فولتير ذلك ، قال مشيرا الى تنقيحه لشعر الامبراطور : « لقد كنت اغسل للامبراطور ثيابه القذرة » .

القريب .. البعيد!

■ أبدا أنت هنا، فوق متاهات حياتي
فوق إصراري على البعد، وفوق الذكريات
في دمي، في عمق أعماقي، بأطياف سماتي
نبضه في كل حين، وهج ملء جهاتي
أرج من عطر الأحلام، عذب النفحات
سهر للفكر، والروح، حياة لمواتي
أبدا أنت خيالي البكر، نار اللهفات
من سنا حسنك يبدي الحسن شفاف السمات
أنت ذاتي، ياسناه أسكرت بالعطر ذاتي
موجب حبا وصبا، من سنىً الغانيات
غادرا بالقلب روض، عبقري الزهرات
مرحبا يافرح الغابات، شمس الكلمات
لست أخشى الموت إن عشت أيا خلد رفاتي!

* * *

يا ارتواء المتعب اللهفان عبر الفلوات
وعسى المعسر في ضنك السنين الممحلات
وحصاد الشوق، من أحلام كل الغابيات
عدت؟ ما أحلى معادا يتصبى رغباتي
عدت؟ ماأشهى ربيعا هلّ كالصبح المواتي
عدت؟ ماأسمى انتصارا قد سرى في عزماتي
أشرق الكون بمرآك، وحنّت بسماتي
واستجدّ الروح حلما، صيغ من ماضيّ وآت
سوف أشدو لك ماعشت أناشيد غداتي
سيبقى حبّنا الخالد أنغام حداة!

جدة ـ حسن عبدالله القرشي

أسلحة ليزر السوفياتية في عام ١٩٩٠

● يمضي العمل على قدم وساق في تطوير أشعة ليزر وتنويع الأغراض التي يمكن استعمال تلك الأشعة من أجلها وتشمل تلك الأغراض فيما تشمل صحة الانسان وعلاج بعض الأمراض التي ما زال يعاني منها ولكنها تشمل أيضا الفتك بحياته أفرادا وجماعات ونشر الدمار في الحروب

ولعل النجاح الذي أصابوه في تطوير أسلحة ليزر الفتاكة يفوق كل ما أحرزوه في تطوير أجهزة ليزر للأغراض الطبية ولعل الاتحاد السوفياتي هو المتقدم في السباق الذي كان وما زال قائما بينها وبين الولايات المتحدة في هذا الصدد، هذا على الأقل، هو ما يؤكده خبير قسم الأبحاث الفنية الهندسية في وزارة الدفاع الأمريكية - البنتاجون - واسمه ريتشارد دي لاور R Delaouer . فقد ذهب الخبير الى أن الاتحاد السوفياتي سيتمكن من اطلاق أقماره الصناعية الخاصة بأشعة ليزر في غضون السنة المقبلة (١٩٨٣) وسيكون في وسع الأقمار السوفياتية تدمير الأقمار الأمريكية الخاصة بالتجسس والمواصلات في برهة وجيزة وكأن شيئا لم يكن وقد لا تأتي سنة ١٩٩٠ حتى يصبح للاتحاد السوفياتي - كما يقول الخبير الأمريكي - مجمع هائل ودائم في الفضاء الخارجي ويصبح في مقدوره بالتالي القضاء على مختلف الأسلحة الأمريكية، الدفاعية منها والهجومية وسواء منها الأرضية أو البحرية أو الجوية أو حتى الفضائية

ومما يذكر أن تنبؤات الخبير الأمريكي هذه لم تكن بلا أساس

وتجدر الاشارة الى ان الدولتين العظميين اتفقتا منذ سنة ١٩٦٧ على حظر اسلحة الفتك والدمار الجماعي التي تعمل من الفضاء الخارجي ولكنهما فشلتا في الوصول الى اتفاق يشمل الأقمار الصناعية المضادة للأقمار ويشمل أيضا أسلحة ليزر الفضائية

الجزر: يقي من سرطان الرئة

● هل تريد تجنب الاصابة بسرطان الرئة ؟ عليك اذن بتناول الجزر بكمية كافية يوميا

هذه ليست وصفة شعبية، لا تضر اذا لم تعد بفائدة بل انها نتيجة لدراسة علمية ميدانية مطولة نشرت خلاصتها المجلة الطبية البريطانية « لانست » في شهر ديسمبر الماضي (١٩٨١) وقد قام بالدراسة نفر من العلماء

اعداد : يوسف زعبلاوى

الباحثين بأشراف الدكتور ريتشارد شكل Dr. R. Shekelle أحد كبار الاطباء العاملين في مركز شيكاغو الطبي المعروف Rwsh – Presbyterian Stlukes' والغريب انهم باشروا هذه الدراسة سنة ١٩٥٧ ولم يستوفوا جميع المعلومات فيها ويصرفوا الى تصنيفها واستخلاص ما يمكن استخلاصه منها الا مؤخرا ، بعد مضي ١٥ سنة على بدء تلك الدراسة

وقد شملت الدراسة الميدانية ألفين (٢٠٠٠) من الرجال العاملين في شركة وسترن الكتريك Western Electric كانوا كلهم من متوسطي الاعمار وراح العلماء يسجلون تاريخ هؤلاء الرجال ، بالمفهوم الطبي ، ويرصدون مايقبلون على أكله من الوان الطعام وما لايقبلون قصدهم من ذلك تحديد العلاقة بين المواد الغذائية والأمراض وخاصة مرض السرطان

ذلك أن دراسات أخرى كانت قد اجريت في الستينيات ، وشملت الحيوان فضلا عن الانسان ، واشارت الى أن في فيتامين (أ) بعض الوقاية من السرطان ـ سرطان الرئة بالذات وبدا هذا الكلام وجيها في نظر الدكتور شكل نظرا لان مهمة الفتامين (أ) اصلا هي الاسهام في نمو

الأنسجة التي تبطن ممرات الهواء في الرئة الأنسجة الظهارية epithelial tissue وبدت تلك الدراسات السابقة بحاجة الى مزيد من بحث وتمحيص فكانت بمثابة نقطة بدء

للدراسات الواسعة النطاق التي قام بها الدكتور شكل وصحبه

وميزت الدراسات الجديدة بين نوعين من الفيتامين (أ) ، النوع المستهلك او الممارس Performed ويوجد في

سيارة تكسي المستقبل

السيارة التي ترى في الصورة هي سيارة التاكسي التي ابتكروها مؤخرا في مونتريال في كندا .

وتمتاز هذه السيارة بمقاومتها للصدمات والخدوش .. فهيكلها مصنوع من مادة اليوريثين ، ومن اسفله ولارتفاع يقارب المتر ، كما يدل على ذلك اللون الاسود الذي يغطي نصف السيارة الاسفل .. ومن خصائص اليوريثين ان ألواحه تمتص الصدمات وتعود الى حالتها الاصلية بسرعة .. وهو غير قابل للتخدش وكذلك الزجاج ويقاوم التآكل .. وقد ركبت هذه الالواح بحيث يسهل على السائق استبدال التالف منها ، إذا تلف ، في غضون دقائق معدودة .

وتمتاز السيارة بمزايا اخرى عديدة نذكر منها ابوابها المنزلقة التي تسمح بدخولها والخروج منها بسهولة فائقة .

الحليب والجبن والزبدة والبيض ويسمى Retinol والنوع الآخر من فتامين (أ) هو الذي يصنعه الجسم من الكاروتين Carotene . ويوجد هذا الكاروتين بكثرة ، كما هو معروف ، في الجزر والسبانخ والكوسى والطماطم والبطاطس الحلوة والتفاح ويوجد أيضا في اللفت والقرنبيط

ولم تجد الدراسات الجديدة أية علاقة بين السرطان وبين ما يتناوله عمال شركة وسترن الكتريك من الرتنول ، أو البيض ومستخرجات الألبان التي تحتوي على الفيامين (أ) المذكور . ولكنها وجدت مثل تلك العلاقة بين سرطان الرئة وبين ما يتناوله العمال من فواكه وخضار تحتوي على مادة الكاروتين

وتفصيل ذلك أن العلماء حصروا اهتمامهم بمجموعتين من العمال قوام كل منهما ٥٠٠ رجل بل ٤٨٨ رجلا بالتحديد وكان رجال إحدى المجموعتين ممن يقبلون على تناول الاطعمة التي تحتوي على كاروتين بينما رجال المجموعة الاخرى لا يقبلون وأثبتت الفحوص أن عدد المصابين بسرطان الرئة بين هؤلاء الذين لا يكثرون من تناول الكاروتين بلغ (١٤) ولم يرد على (٢) بين رجال المجموعة الاولى الذين يقبلون على أكل الجزر أو السبانخ أو التفاح أو الخضار والفواكه الأخرى التي تحتوي على الكاروتين

ويعقب الدكتور شكل على بحوثه هذه بأنها ليست نهائية وأن العلاقة بين سرطان الرئة والكاروتين ما زالت بحاجة الى بحوث أخرى عديدة تحدد تلك العلاقة بدقة وتفصيل

إلا أنه حذر بشدة من الافراط في تناول حبوب الفتامين (أ) التي يمكن الحصول عليها من الصيدليات فهذه تحتوي على مادة كيمائية يمكن أن تصبح سامة اذا تناولها المرء بجرعات كبيرة والأمر ليس كذلك فيما يتصل بالفواكه والخضار الغنية بالكاروتين فالافراط في تناول هذه لا يضر أبدا ومع ذلك فنصف كوب من عصير الجزر يوميا كاف ، في رأي الدكتور شكل ، لتجنب سرطان الرئة حتى في الذين يعتبرون عرضة للاصابة بهذا المرض

بصمات العيون . .

نعم حتى العيون لها بصمات . فشبكية العين في اي فرد تتميز عما هي عليه في اي فرد اخر وبصمتها لا تقل دقة في تحديد هوية المرء عن بصمات اصابع اليد

هذا ما اكتشفه احد العلماء الامريكيين في مطلع هذه السنة وقد دفعه اكتشافه هذا الى ابتكار جهاز الكتروني يستطيع تصوير بصمة عين الانسان تصويرا الكترونيا فوريا والجهاز يعمل تلقائيا ولا يحتاج الى عامل يديره فهو لا يحتاج الى اكثر من الضغط على زر ليقوم بوظيفته ويقوم بهذا الضغط الشخص المراد تحقيق شخصيته فهو ينظر عبر عدسة الجهاز ثم يركز بصره على نقطة معينة وعندها يضغط على الزر فلا يلبث الجهاز ان يوافيه بصورة لبصمة عينه ويقرر في الوقت نفسه ما إذا كان من الاشخاص المسموح لهم باجتياز الحاجز او الدخول او المحظور عليهم هذا وذلك فالجهاز يحتفظ ببصمات عيون الكثيرين ممن يهمه امرهم ويقارن بين هذه البصمات والبصمة التي صورها لتوه ويتخذ قراره بالسلب او الايجاب

وغني عن البيان ان قوام هذا الجهاز كمبيوتر صغير جدا وآلة تصوير هي الاخرى صغيرة للغاية من هنا كانت السرعة الخارقة والدقة الفائقة التي يؤدي بها وظيفته والتي تفوق الأسلوب التقليدي في تحقيق الهوية الشخصية باعتماد بصمات اصابع اليد

رعاية الآخر

بقلم الدكتور :

عبد الله محمود سليمان

ان رعايتك للآخرين وحبك لهم هو أعظم استثمار لانسانيتك !

« هل تهتم بي وترعاني ؟ سؤال يبدو أن قائله ضعيف بائس قد رحل عنه أهله ، ولم يعد له أحد يستند اليه حين تصرعه الحياة !

ولكني محتاج اليك مثلما تحتاج انت الى - هل نسيت انك كنت يوما طفلا صغير الحجم ، محدود الحركة والادراك ، لاتستطيع ان تفعل لنفسك شيئا ؟! لو لم تمتد اليك تلك اليد الحانية - يد أمك - بالماء حين كنت ظمآن ، وبالطعام حين كنت جائعا لو لم تربت هذه اليد على جسمك تخفف عنك الالم ، وتوصل اليك الحنان ، لما كنت اليوم على قيد الحياة ! والآن ، تحس في نفسك بعض القوة ، وتظن واهما أنك قد ملكت زمام الحياة من حولك لا اريد ان اتهمك بقصر النظر ولا بالغباء الاجتماعي ، لأني هم بك بل أنا أشفق عليك ، ان يأتي ذلك اليوم الذي ستجدني فيه الاهتمام حين يهن جسمك ، وتشيخ اكرتك ، وتحتاج الى من يأخذ بيدك عبر الطريق

ولكني اهتم بك برغم انك لاتهتم بي ، ولذلك اكتب بك ، وأنا لا اهتم بك أنت فقط ، بل اهتم بكل من عرف لاتعجب فأنا افكر دائما في الانسان ، وأتأمل في طبيعته ، وكلما فكرت فيه ، تأكدت من أن رعاية الآخر جزء أصيل من طبيعته فالانسان يولد عاجزا ، ولولا رعاية الآخر له ، لما استمرت حياته ثانية واحدة فلولا رعاية الأم والاب والاخوة ، ولولا رعاية الطبيب والمعلم والمهندس . لولا رعاية الآخرين لنا ، لما استمر احدنا على قيد الحياة

سأهتم بك وارعاك ، برغم انك لاتهتم الا بنفسك ، ولاترعى الا ذاتك . عفوا ! فاني لا أزعم أني قد بلغت من القوة قدرا يجعلني أتخطى ضعفك ، وأتجاوز أنانيتك ان لي ضعفي ، ولذلك فاني احتاج الى من يرعاني ويهتم بي ، وأنا أجد في اهتمام صديقنا « عمر » بي ما يعينني على هذا الضعف لكن هل سيستمر لي اهتمام عمر أم أني سأنظر حولي يوما فلا أجد من يهتم بي ؟. لو حدث ذلك فاني سأعجز حتى عن أن أهتم بك وأرعاك أترى أن اهتمام صديقنا عمر بي هو الذي يمدني بالقوة ويمنحني القدرة على الاهتمام بك ؟ حقيقة اني اهتم به اكثر مما اهتم بك . لاتعجب ، فهو يسقيني رحيق زهوره لترتد اليه عسلا ، وتنال انت بعضا منه »

كنت استمع اليه وكياني كله معه وفرغ من قراءة الخطاب ، ونظر الى فارتسمت على وجهه دهشة كبيرة ، وقال ـ انك معي تماما !

ابتسمت ، فقال ـ لم يعطني أحد مثل هذا الاهتمام !

قلت ـ ألم تقل أن كلا منا يحتاج الى الآخر

وشرع يمرق الخطاب ، فأمسكت يده برفق ، فتوقف ، فسألته . ـ لم تفعل ذلك ؟

قال ـ حسبي منك هذا الاهتمام لن أرسل اليه هذا الخطاب ، اني لا احتاج اليه

قلت ـ هذا يناقض فلسفتك لايوجد انسان لاتحتاج اليه

قال هو لن يفهم هذا الكلام

قلت ـ من يدري ؟

قال ـ كلا ! لن يفهمه ، فهو غارق في انانيته

قلت مؤكدا ـ ربما كان فيه بقية من انسانية

فكر لحظة ثم قال ـ سأحتفظ بهذا الخطاب مع اوراقي ، شاهدا على ان في مجتمعنا أنانيين

ـ في كل مجتمع أنانيون

ـ ولكنهم في مجتمعنا الكثرة الغالبة بل النادر أن تجد انسانا مخلصا

حاولت ان يوصل صوتي اليه فهمي لموقفه ، فقلت ـ انت متشائم جدا

قال في نبرات يائسة ـ انها رحلة الحياة الكئيبة مع الآخرين

حاولت ان اطمئنه ، فقلت ـ لاتقنطوا من رحمة الله ـ ليرحمنا الله ما اشد حاجتنا الى رحمته

اردفت قائلا ـ ان الله رحيم هل سترسل الخطاب ؟

أرى أن ترسله

لن تجف الانسانية ما دام في الانسان قلب ينبض ربما حرك خطابك ماني صديقك من الخير المدفون في اعماق نفسه

بدأ توتره يقل ، وانبسطت اسارير وجهه قليلا ، وقال

سافعل ، فقط لانك اعطيتني من الاهتمام ما لم يعطه احد لي لابد ان عندك حكمة

قلت مشجعا ـ انها حكمتك انت التي تجعل قلبك يصفو للآخر

وحياني بوجه مطمئن

وبعد أيام لقيته يقبل علي بوجه يفيض بالبشر ، وبادلته سعادة بلقائه ، ولا ادري فيما كنا نتحدث ، فقد طغت حلاوة الحديث على مضمونه ولكني سألته فجاة

ـ هل جاءك رد ؟

ـ كلا لم يجيء رد ، ومضى وقت طويل

ـ لاتستعجل

ـ كلا لن أستعجل وحسبي اني حاولت ا أصل الى انسان فلم استطع

ـ وان جاءك رد

سأهتم به

لقد بهرني هذا الصديق لم أكن قد التقيت به إلا منذ أيام قليلة ، كنت في نادي الجامعة اتناول قدحا من الشاي لمحته ينظر الى وقبل ان يبتعد بوجهه ابتسمت له . فرد تحيتي وقال في تردد

ـ حضرتك استاذ علم نفس

ـ نعم

ـ هل أستطيع ان أسالك سؤالا ؟

ـ بكل سرور

بادرني بالسؤال مباشرة ـ هل يدرس علم النفس « الصداقة » ؟

ـ علم النفس يدرس الانسان ، والصداقة من اهم خصائص الانسان

ـ والحيوان أليس قادرا على الصداقة ؟

ـ بالتأكيد ، الحيوان قادر على الصداقة

قال بشيء من الأسى

ـ صداقة الحيوان عندي أفضل من صداقة الانسان ان لي صديقة ، قطتي الصغيرة ، أحبها جدا ، وأجد مشاعرها نحوي أكثر ايجابية من مشاعر كثير من البشر

قلت ـ لابد أنها تخلص لك

قال تخلص لي وتسعدني لو رأيتها ساعة ان أدخل المنزل ، وهي تقفز ، وترقص تموء كأنها تناديني ، وتشكو مضايقة الصغار أشعر أنها تحدثني ليتني أفهم لغتها

ثم أضاف ـ وحين أجلس لاستريح أو لأطالع كتابا ، تجلس بجواري على نفس المقعد ، أو تحت قدمي ، تلصق جسمها بي في اطمئنان جميل ، وأحس أنها تستمتع بصحبتي

ـ الحيوانات وفية

صاح مؤكدا الحيوانات أوفى من الانسان !

قلت يبدو أنك لا تثق في بعض الناس

قال لقد أخذت من وقتك الكثير ، لكن هل استطيع أن آخذ عشر دقائق أخرى ؟ ابتسمت وقلت بكل سرور. ليس عندي ارتباط عاجل

ـ سأقرأ لك خطابا

وقرأ خطابه

أثار حديث ذلك الفتى في نفسي خواطر كثيرة الرعاية والاهتمام ، هما هو جوهر الحياة الانسانية هما ركن أساسي في طبيعة الانسان وهما أيضا مشكلة حياته

حين أراد جوزيف شوبن ، استاذ علم النفس بجامعة كولومبيا ، ان يحدد صفات الانسان السوي ، اعتبر رعاية الآخرين والاهتمام بهم صفة هامة من هذه الصفات وهي صفة لا تضاف الى الانسان ، بل هي تنبع من صميم طبيعته ، فالطفل الانساني ـ كما يرى شوبن يتميز بالعجز وعدم التكامل البيولوجي ، ويصاحبه العجز فترة طويلة من حياته ، وطوال هذه الفترة ، لا يستطيع الطفل اشباع حاجاته الأساسية بمفرده ، بل لا بد من أن يتم اشباع حاجاته بواسطة شخص آخر ، واذا لم يوجد هذا الشخص الآخر ، فان حياة الطفل لا تستمر ومن هنا يعتبر شوبن ما اسماه « المسئولية الاجتماعية » صفة هامة من صفات الانسان السوي والمسئولية الاجتماعية تعني أن الراشدين مسئولون عن الصغار وان الأقوياء مسئولون عن الضعفاء ، وأن الذين يقدرون مسئولون عن الذين لا يقدرون ، وأن الأخ مسئول عن أخيه ، وأن كلا منا مسئول عن الآخر

ان السلطة والقوة في رأي شوبن ترتبطان بالمسئولية والغيرية ، بأن يعتبر الانسان القوي ذو المركز نفسه مسئولا عن اشباع حاجات الآخرين

أين ذلك مما يحدث في مجتمعنا ! بل أين ذلك من قول الرسول الكريم « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » ، وقوله « كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته »

الاتري معي أن الانسان منا يتلهف على السلطة حتى يمتلكها ، ليثبت للناس انه قادر على المنع قبل العطاء ، وانه قادر على ارهاب الناس قبل تطمينهم ؟ قلة قليلة هم أولئك الذين يمتطون السلطة فيطوعونها لخدمة الآخرين الغالبية العظمى من الناس تركبهم السلطة كانها عفريت يسخرهم لأذى الآخرين ولا يدرى هؤلاء من تخريب يحدثون في مجتمعهم ، فهم يدمرون حماس الناس للعمل ، ويملئون ايامهم بالشقاء ، ويفجرون فيهم دوافع التدمير

ان رعاية الاخر شرط اساسي لاستمرار الحياة الانسانية ـ لكن ما هو المقصود بالرعاية ؟ كان س ت رن استاذ علم النفس الارشادي بجامعة ولاية اوهايو يرأس حلقة بحث لمجموعة من طلاب الدراسات العليا بجامعة نيفادا في لاس فيجاس ، وقد سأل الاستاذ افراد هذه المجموعة ان يحددوا له معنى رعاية الآخر ، فقدموا له اربعين ورقة صغيرة ، استخلص منها الاستاذ رن ، ومن مناقشات الجماعة التعريفات الاتية

الرعاية هي : ان تعرف القدر الكافي عن البيئة وعن عملية التعلم لكي تفهم مشكلات تعلم الانسان وعموما ، فالمعرفة هي صورة من صور الرعاية

ان توصل للاخر انك تهتم به ، بان تقول له ذلك ، وان تنصت اليه جيدا ، وان تعطيه من وقتك الكثير (ولقد عرفت احدى المرشدات اهتمامها بالاخر ، بان وصفت ما عملته في ست ساعات امضتها مع مدمن مخدرات ، وثلاث ساعات امضتها مع اب مكتئب لخمسة اطفال ، وقد تطوعت بتخصيص ذلك الوقت لانها كانت تهتم بهذين الانسانين)

ان تدعم ايجابيا تصور الانسان عن نفسه كشخص ذي قيمة

ان تكون تحت تصرف الاخر تماما حينما تقول ذلك ، وان تهتم به بدرجة تفي فيها بوعودك

ان تقول لا بحزم أحيانا مع استعدادك لتوضيح اسباب ذلك واذا لم يحدث ذلك ، يمكن ان يفسر التلميذ « او الطفل في علاقته مع والديه » السماحة على انها تعني عدم الاهتمام وتعني عدم تكبد العناء لمناقشة الامور ، وعدم مشاركتك فيما يهتم به الاخر

ان تعطي بدون توقع المقابل (وهذه صفة للرعاية والاهتمام وافق عليها اعضاء حلقة البحث بشدة)

ان تؤيد دون ان توجه ، وان توضح للآخر انك تحب ان يبقى مستقلا وموجها لذاته .

ان تبتهج مع الآخر حينما يكون سعيدا ، وان تكون معه حينما يكون مضطربا

ان تفهم الآخر فهما وجدانيا ، وان تضع نفسك مكانه بقدر ما تستطيع ، بينما تكون واعيا بذاتك ان تكون ذاتيا وموضوعيا ، وان تكون مع الآخر ، ومع ذلك تظل مستقلا

● ●

رعاية الآخر والاهتمام به اذن تعني فهم الآخر ، وتشجيعه ، وتأييده تعني ان تكون تحت تصرفه ، ان تسعد معه ، وان تشاركه اضطرابه ، وان تضع نفسك مكانه ، وتعني ان يكون اتجاهك هو رعاية الجميع وبذل ذاتك من اجلهم

لكن واحدة من خصائص الرعاية والاهتمام تسترعي انتباه الاستاذ رن هي · ان تعطي بدون توقع المقابل

هل يوجد انسان يستطيع ان يعطي دون ان يتوقع مقابلا ؟؟ هل يستطيع انسان ان يحب دون ان يعطي

الحب ؟ ربما استطاع ذلك قديس ، ولكن بالنسبة للانسان العادي ، بالنسبة لي ولك ، فان هناك مبدأ هاما يفسر سلوكنا هو « التدعيم » فسلوكنا يستمر حين يكافيء ، انا استطيع ان ارعي الآخرين وان اهتم بهم حين احد شيئا من التقدير عند بعض الناس عندئذ ، وعندئذ ، فقط استطيع ان ارعي الآخرين وان اهتم حتى بأولئك الذين لايهتمون بي

وهنا اتذكر من خطاب ذلك العقل الثاقب قوله لصديقه الجاحد : « اترى ان اهتمام صديقنا عمر بي هو الذي يمدني بالقوة ويمنحني القدرة على الاهتمام بك ؟! واذا فان رعاية الاخر لي ترد اليه رعاية مني وحبا » بل ان اثر هذه الرعاية ليمتد مني الى الذين نضبت قلوبهم من حب الناس ، فينالون بعضا من هذه الرعاية

ولكن حذار ان تتصور انك تستطيع ان تتجاهل الآخرين ، وتغفل رعايتهم ، بل وتعاملهم كأدوات وتستغلهم لتحقيق مآربك ، وتتوقع مع ذلك أنهم سيظلون يهتمون بك ويرعونك فنحن قد نرعي الآخر الذي يتجاهلنا ونهتم به اعتقادا منا انه يحتاج الى رعايتنا ، او انه ضعيف او عاجز عن الحب لكن ما ان نكتشف انه يستغلنا حتى نعزف عنه ونسقطه من حسابنا

كان أحد رؤساء الأعمال ذا سلطان وشهرة ، وكان يعامل زملاءه على أساس ما يحققون له من منافع مادية ومعنوية ولكي يحتفظ بفائدتهم له ، وتحقيقهم لمصالحه ، كان يلجأ الى التسلط احيانا ، والى اللين احيانا اخرى لكن هدفه كان استغلالهم قيل لهذا الرئيس يوما « لا يجوز ان تعامل زملاءك بهذا الاسلوب أتنسى ان السلطان سيزول عنك يوما حين تحال الى التقاعد وانك حينذاك ستحتاج الى زملائك حين تنفض الحياة من حولك ؟ قال مكرا « لن احتاج اليهم ، ولن يحتاجوا الى نحن نعيش في عالم الذي يكسب فيه هو الذي يستطيع ان يستغل واذا لم استغلهم فسيستغلوني هم كلا ! لن احتاج اليهم غدا

ورأيته حين أقبل الغد وأحيل الى التقاعد ولكنه ظل يؤدي بعض الاعمال في موقعه كان في أشد الحاجة الى كلمة رقيقة ، ونظرة حانية ، واهتمام انساني ، بل رأيته بالامس حين كان يمارس سلطانه ، يداهمه البؤس وتعلمه الوحدة ، ويصرخ قائلا « انهم يعاملونني بالقانون لاتمسني قلوبهم ، ولايصلني حبهم »

وكيف يحبونك ، وانت تسلبهم الحب ، وكيف يعاملونك كانسان وانت تسلبهم انسانيتهم ! اترى ياصديقي ان رعايتك للآخرين وحبك لهم هو أعظم استثمار لانسانيتك ! ■■

د . عبد الله محمود سليمان

قسم علم النفس - كلية الآداب - جامعة الكويت

اعتذار !

● لاحظ عازف البيانو ارثور شنابل في بداية احدى الحفلات الموسيقية ان سيدة تجلس في الصفوف الامامية قد اخذتها سنة من النوم . وقد ظلت نائمة طوال الحفلة كلها .

وعندما انتهت الحفلة دوى التصفيق الحاد - وبينا كان الموسيقي ينحني ردا على تحية الجمهور استيقظت السيدة فجأة .. فانحنى شنابل للامام وقال لها معتذرا : - ان التصفيق هو المسئول ياسيدتي .. فانني كنت اعزف بهدوء قدر الاستطاعة .

أين الخلل ؟

● قالت ربة البيت وهي تستقبل عامل اصلاح التليفزيون عند الباب : ان الصورة واضحة الآن ... فقد تبادلت انا وزوجي نظارتينا بطرق الخطأ .

(سكاوت) الطائرة الاسرائيلية الصغ

الطائرات الموجهة ذلك السلاح الجديد الخطر

بقلم الدكتور سامي على شاكر

هذه الطائرات الصغيرة الحجم والموجهة لاسلكيا بدون الحاجة الى طيار لقيادتها ، تستطيع ان تقوم بكثير من المهام التي كانت حكرا على الطائرات التقليدية التي تفوقها حجما وكلفة .

في الثاني عشر من أيار مايو ١٩٨١ بلغ التوتر اوجه في منطقة الشرق الاوسط عندما تناقلت وكالات الانباء نبأ مفاده ان بطاريات صواريخ سام - ٦ (SA 6) السوريه المتمركزه في وادي البقاع في جنوب لبنان قد اسقطت طائرة اسرائيليه من على ارتفاع ١٥٠٠ متر بعد ان اطلقت البطاريات ثلاثة صواريخ اصابت اثنان منها الهدف ولكن بعد الاعتداء الاسرائيلي على المفاعل النووي العراقي كشفت بعض المصادر العسكرية العربية ان الطائرة التي اسقطت في جنوب لبنان لم تكن اكثر من طائرة صغيرة جدا نسبيا وبدون طيار وهي ما تسمى بالطائرات الموجهه وبينما كانت بطاريات الصواريخ السورية مشغولة باسقاط هذه الطائرة كانت هنالك طائرة اسرائيلية اخرى من نفس النوع تطير على ارتفاع شاهق وتعمل ...وه على جمع المعلومات فيما يخص خواص الرادار ...ستخدم في بطاريات سام - ٦ وبما ان شبكة الصواريخ ...عية للجيش العراقي هي من نفس النوع فان هذه ...مات كانت في غاية الاهمية في عمليتهم العدوانية ضد ... ان استخدموا هذه المعلومات الغاية في السرية من ...لتشويش على أجهزة الرادار العراقية ببث الترددات ...كية المناسبة

...ذه الحادثة تمثل احدث برهان يقدمه الخبراء ...عربيون المتحمسون للطائرات الموجهه تضاف الى سلسلة الادلة على فعالية هذا النوع من الطائرات فما هي الطائرات الموجهه وما هي قصتها ؟

فوق فيتنام وكوبا

الطائرات الموجهة هي طائرات صغيرة بدون طيار توجه عادة من قواعد ارضية باستخدام اللاسلكي ويتم اطلاق هذه الطائرات اما من قواعد ارضية متحركة مثل الناقلات العسكرية او من طائرات عسكرية تقليدية وبعد ان تؤدي مهمتها يمكن استرجاعها بتوجيهها لكي تعود الى قواعدها ويتراوح وزن هذه الطائرات بين (٢٠) كيلو غراما للانواع الصغيرة الى حوالي ١٠٠كيلو غراما للانواع الكبيرة الحجم نسبيا وقد يصل مدى هذه الطائرات الى دائرة نصف قطرها ٢٠٠ كيلو متر ويمكن ان تكتسب سرعه تصل الى ١٦٠ كيلو مترا في الساعة وهذه الطائرات تزود عادة بمحرك كباس او بمحركين كما في الطائرات الاسرائيلية من نوع (سكاوت) التي تزن حوالي ١١٨ كيلو غراما ويمكن ان تحلق على ارتفاعات تبلغ ٣٠٠٠ متر بسرعة قد تبلغ (١٥٧) كيلو مترا في الساعة وبعد ان تطلق من منجنيق محمول على شاحنة عسكرية فانها تطير تحت توجيه الطيار الآلي الموجود على متن

الطائرة . اما دور محطة التحكم الارضية فهو يقتصر على التحكم في وجهة الطائرة وارتفاع تحليقها والطائرة مجهزة بآلة تصوير تلفزيونية تتدلى من بطن الطائرة وتقوم ببث الصور لا سلكيا الى المحطة الارضية وقد ادخلت الطائرة بصورة رسمية في الجهاز العسكري الاسرائيلي والطائرة سابقة الذكر تعمل برفاس (مروحه) ولكن هنالك نماذج اقل انتشارا تحلق بصورة عامودية وبواسطة رفاس افقي شبيه برفاس طائرة الهليكوبتر ، وبالنسبة للمهام الميدانية البسيطة فهنالك تصميم بسيط بدون محرك في هذا التصميم

الطائرة تكون مربوطة بسيارة عسكرية بواسطة سلك يؤدي غرضا مزدوجا ، فهذا السلك يربط بين الطائرة والسيارة وفي نفس الوقت ينقل المعلومات التي تجمعها لاقطات الطائرة سلكيا الى اجهزة السيارة وتطير هذه الطيارة على ارتفاعات منخفضة تبلغ ١٠٠ متر ولفترة بضع دقائق وتكفي لجمع بعض المعلومات عن ميدان القتال وهي تحلق عن طريق سحبها من قبل السيارة حتى تكتسب السرعة الكافية لتحليقها بسبب دفع الهواء لها ، بنفس الطريقة التي يستخدمها الاطفال بالنسبة للطيارات الورقية

أما بالنسبة لتاريخ هذا النوع من الطائرات فالظاهر ان المانيا هي اول بلد استخدم هذه الطائرات اذ من الثابت انهم في سنة ١٩٣٩ قاموا بتجارب ميدانية على عدة طائرات موجهة بدون طيار كما جهزوها بآلات تصوير خاصة للأغراض الاستطلاعية ، الا ان الفكرة لم تخترق النطاق التجريبي وظلت في طي النسيان بعد الحرب حتى قامت شركة طيران امريكية اسمها (ريان) بعد عدد من الزمن باحياء الفكرة من جديد بتطوير نماذج من هذه الطائرات الا ان الفكرة لم تلاق التشجيع من الدوائر العسكرية الا خلال التورط الامركي في فيتنام في منتصف الستينات ، اذ برهنت على فعاليتها وفائدتها كبديل للطائرات التقليدية في العمليات الاستطلاعية فوق فيتنام ، ولا سيما ان عدد الطائرات الامريكية التي كانت تسقط في هذه العمليات اخذت بالتزايد الى حد مقلق للمسؤولين الامريكان وقد قامت هذه الطائرات الموجهة بأكثر من ٣٠٠٠ عملية تصوير تجسسية ناجحة خلال الحرب الفيتنامية ولاقت الفكرة رواجا لا سيما ان نسبة الاصابات كانت اربعة في المائة أي ان لكل مائة عملية طيران من قبل هذه الطائرات الموجهة فان اربعة منها كانت تسقط في المعدل وهذه نسبة جيدة جدا اذ اخذنا بنظر الاعتبار خطورة العمليات التي كانت تؤديها ومن المعروف ايضا ان هذه الطائرات استخدمت بصورة منتظمة في جولات تجسسية فوق كوبا وخاصة بعد حادثة اسقاط طائرة تجسس تقليدية ووقوع الطيار في الاسر مما سبب حرجا دبلوماسيا لأمريكا وقتها

مهام الطائرة

والطائرات الموجهة تجد لها استخدامات في عدة مهام مختلفة فهي وسيلة مثالية في عمليات الاستطلاع اذ يمكن تزويدها بآلات تصوير خاصة لتصوير المواقع الحساسة للعدو وكذلك يمكن تزويدها بآلات قياس راديوية لقياس خواص الموجات المستخدمة في رادارات العدو ومن ثم تستخدم هذه المعلومات للتشويش على رادارات العدو كذلك يمكن استخدامها في الاستطلاع للاغراض السلمية مثل المساحة ورصد الانواء الجوية الاستخدام العسكري الثاني يتم بتزويدها بأسلحة خاصة لضرب اهداف معينة وعند تزويدها بأجهزة الكترونية خاصة فانه يمكن استخدامها لتوجيه اسلحة موجهة اخرى مثل الصواريخ الموجهة لاسلكيا كذلك يمكن استخدامها للتشويش على اجهزة الرادار عند العدو بصورة فعالة اكثر من اجهزة التشويش الارضية لانها ستكون اكثر قربا من الرادار وفي موقع اكثر ملائمة لهذا الغرض كونها موجودة على ارتفاعات شاهقة وبسبب رخص تكاليف هذا النوع من الطائرات فان الخبراء يقترحون ارسال سرب من هذه الطائرات الموجهة والمزودة بمتفجرات لكي تحوم فوق ارض المعركة وعند محاولة اي من اجهزة رادار العدو في ارسال اشاراتها فانها تنقض عليها لتدمرها فهي كالذباب الحائم الذي ينقض على إناء العسل حين كشف الغطاء عنه

(ميراش ٣٠٠) طائرة موجهه متعددة المهام ، ايطالية الصنع مع قاعدة الاطلاق المتنقلة .

تشكيلة متنوعة من الطائرات الموجهة من انتاج الشركة الامريكية (تيليدايس ريان)

هذا العمل وبعض الشركات المختصة في انتاج هذا النوع من الطائرات طرحت بعض النماذج المتعددة المهام التي تستطيع ان تؤدي اكثر من غرض في نفس الوقت

احتمالات المستقبل

وفي حرب الاستنزاف (١٩٦٧) بين العرب واسرائيل استطاع زورق حربي صغير تابع للبحرية المصرية اغراق باخرة حربية كبيرة هي ايلات تابعة للبحرية الاسرائيلية وسر نجاح هذه العملية كان استخدام سلاح لم يكن معروفا كثيرا ، هذا السلاح كان الصواريخ الموجهة وكانت هذه الحادثة سببا في تطوير الصواريخ الموجهة بصورة محمومة وادخالها بصفة رسمية في الجيوش العصرية اذا انها برهنت على فعالية هذا السلاح في الفتك حتى بالآليات الضخمة مما ادى الى ان اسرائيل اعادت النظر في جهازها الحربي البحري وبدلت البواخر الحربية الضخمة بأخرى صغيرة وجهزتها بالصواريخ الموجهة ، كما انها استخدمت الصواريخ الموجهة بصورة [illegible] في حرب ١٩٧٣ والحادثة التي حصلت فوق الجنوب [illegible] والتي ذكرناها في بداية المقال لعبت دورا مشابها اذ [illegible]ت اعين العسكريين على الامكانيات الضخمة لهذه [illegible]ت الرخيصة الثمن نسبيا والواقع ، بالرغم من [illegible]ات التي حققتها هذه الطائرات في الحرب الفيتنامية [illegible] من القادة العسكريين لم يقتنعوا بفعالية هذه [illegible] وكان هذا الشعور هو السبب في تردد الكثير من [illegible] العربية في ادخالها في السلاح الجوي التابع لها

ويعزي الخبراء في هذه الصناعة هذا التحفظ الى عقلية اكثر القادة العسكريين اذ يتهمونهم بالخوف من امكانية سلب هذه الطائرات الاهمية التي يتمتع بها الطيارون العسكريون في الجهار العسكري ، ومن ثم التأثير سلبيا على عدد المتطوعين الذين تستهويهم روح المغامرة وبريق الانجازات البطولية والحقيقة ان امام هذه الطائرات بعض النواقص التي يجب ان تتغلب عليها لكي تكون في مستوى يمكن الاعتماد عليها كليا في الحروب العصرية ، فمثلا كونها تعتمد على وسائل اطلاق واسترجاع خاصة تزيد من كلفة وتعقيد استخدام هذه الطائرات كما ان كون التحكم بهذه الطائرات يتم عن طريق الاشارات الراديوية فانه نظريا يمكن التشويش عليها وتضليلها بحيث تصبح عديمة الفائدة الا انه من الانصاف الاشارة الى ان هذا السلاح ما زال في دور التجربة عموما وهنالك الكثير مما يمكن عمله لتحسين اداء هذه الطائرات ولا شك انها ستكون اضافة ممتازة للاسلحة العسكرية لا سيما بالنسبة للجيوش العربية التي تعاني عموما من نقص في عدد الطيارين المدربين تدريبا عاليا كما ان طبيعة المخاطر التي تواجه اكثر البلدان العربية هي من كيان مجاور يقع ضمن مدى هذه الطائرات والمعروف ان اسرائيل تنتج هذه الطائرات وادخلتها في جيوشها واستخدمتها بنجاح في عدوانها ضد العرب فأحرى بالعرب ان يتعظوا والمؤمن لا يلدغ من جحر مرتين ■■

د . سامي علي شاكر
استاذ مساعد الفيزياء ـ جامعة اليرموك ـ الاردن

من نماذج الف ليلة وليلة

غانم ابن أيوب اليتيم المسلوب

بقلم : عباس خضر

يلحظ قارىء الف ليلة وليلة اتجاها غالبا الى تصوير نماذج للخير والانسانية تصارع قوى الشروط والاحباط ، حتى تنتصر في النهاية حقا ان ذلك ملحوظ في معظم القصص بانواعها وازمانها واماكنها المختلفة ، من قديم وحديث ، سواء اكانت من كتابة كاتب معروف أم ترددها اجيال الشعب شفاها ثم تطبع . صراع بين الخير والشر يتخذ الوانا واشكالا . ولكن حكايات الف ليلة وليلة تقف استاذا للجميع ، وموحيا يوحى الى كتاب العالم ، غربيه وشرقيه ، وان كان الاولون « الغربيون » يأخذون بالنصيب الاكبر . يفوح منها عطر عرفناه في مجتمعنا العربي العريق ، اذ تجري الكلمة الشريفة مجرى العقد المكتوب ، ويشعر الانسان بانه انسان !

في هذه الحكاية (حكاية التاجر ايوب وابنه غانم وبنته فتنة) تحكي شهرزاد للملك شهريار ما وقع لغانم بن ايوب مع جارية هارون الرشيد ، يحبها ويتيم بها ، ولكنه عندما يعلم انها جارية الخليفة ابن عم رسول الله يناجي نفسه لا ، ليس لي حق فيها !.

مثال رائع للأمانة وطاعة ولي الأمر الحاكم ، طاعة يحرسها الضمير في غياب السلطة !

وهارون الرشيد في حكاياتنا هذه مشجب تعلق عليه الحوادث بما فيها من لهو ومجون وترف زائد ، وما يكون من معاناة القلق في بعض الاحيان مما يدعو الى التسلي بالتخفي والتجول ليلا وبطبيعة الحال ليس الامر تاريخا صحيح الوقائع منطقي السرد ، انما هو فن لا يتقيد بالصحة التاريخية وان كان يمسك بالزمام . فهارون الرشيد هنا يلهو ويزاول الوان الترف الى درجة المبالغة المسرفة ، ولكن ـ بما انه خليفة المسلمين وابن عم رسول الله ـ لايقرب « المنكر » ويعف عن الظلم وينعطف على المنكوبين ويزيل كربة المكروبين

الحكاية تقول

الحكاية تقول انه كان في قديم الزمان تاجر له مال وله ولد كأنه البدر ليلة تمامه ، فصيح اللسان ، يسمى غانم بن ايوب اليتيم المسلوب ، وله ابنة اسمها فتنة من فرط حسنها وجمالها .

توفى التاجر وترك لولديه مالا جزيلا . . من جملته مائة حمل بعير من القز والديباج ونوافج المسك والعطور . ...

قد اعدها كي يقصد بها بغداد ويبيعها في اسواقها فلما
سوفاه الله ومضت مدة ، أخذ ولده هذه الاحمال وسافر بها
الى بغداد ، وكان ذلك في زمن هارون الرشيد وقبل
سفره ودع امه واخته واقاربه وخرج متوكلا على الله
تعالى وكتب الله له السلامة ، حتى وصل الى بغداد ،
فاستأجر دارا حسنة وفرشها بالبسط والوسائد وانزل فيها
الاحمال والبغال والجمال ، ووفد عليه تجار بغداد واكابرها
وسلموا عليه .

وفي صباح اليوم التالي اخذ اثوابا من القماش النفيس
ونزل بها الى السوق ، فرحب به التجار وأنزلوه في دكان
شيخ السوق وباع القماش فربح في كل دينار دينارين .

ولم يزل كذلك سنة كاملة ، وفي أول السنة الثانية جاء
الى السوق كعادته فرأى بابه مغلقا فسأل عن السبب ،
فقيل له : توفي أحد التجار وذهب الجميع يمشون في
جنازته

فسأل عن محل الجنازة كي يذهب اليه ويمشي معهم ،
فدله الناس عليه ، وصلى على المتوفي مع المشيعين ،
وساروا مع الجنازة حتى وصلوا الى المقابر ، فوجدوا أهل
الميت قد ضربوا خيمة واحضروا الشموع والقناديل ، ثم

دفنوا الميت وجلس القراء يقرءون القرآن وجلس التجار ومعهم غانم بن أيوب وقد غلب عليه الحياء فقال في نفسه : لا يصح ان أفارقهم حتى أنصرف معهم

فلما اقبل الليل قلق غانم وخاف على بضاعته من اللصوص ، وقال في نفسه ، انا رجل غريب ومتهم بالمال ، فان بت الليلة بعيدا عن منزلي سرق اللصوص ما فيه فقام وخرج من بين الجماعة مستأذنا كي يقضي حاجة. سار غانم نحو المدينة حتى وصل الى بابها فوجده مغلقا ، اذ كان الوقت يشرف على نصف الليل ، لم ير احدا ولم يسمع سوى نباح الكلاب ، فقال · لا حول ولا قوة الا بالله ، كنت خائفا على مالي فصرت الآن خائفا على روحي

رجع يبحث عن مكان ينام فيه الى الصباح ، فوجد قبرا محاطا بأربعة جدران ، وفيه نخلة ، وله باب مفتوح ، فدخل وأراد ان ينام ، فلم يجئه نوم ، واخذته رجفة ووحشة وهو بين القبور ، فقام ونظر فرأى نورا يلوح على بعد من ناحية المدينة ويتجه الى القبر الذي هو فيه ، فأسرع بالصعود على النخلة ليتوارى فيها ، ثم تأمل فرأى ثلاثةعبيد اثنان يحملان صندوقا والثالث في يده مصباح وفأس ، ويدور حوار بين الثلاثة يعبرون فيه عن هواجسهم ، ويحكي كل منهم ما وقع له حتى صار « طواشيا » وهم جالسون يستريحون وغانم من أيوب فوق النخلة يسمع ما يقولون

ثم قاموا وحفروا حفرة وضعوا فيها الصندوق وهالوا عليه التراب ، وانصرفوا

حيلة العجوز

أما ما كان من أمر زبيدة فانها تحيرت ماذا تقول للخليفة عندما يعود من سفره ويسأل عن قوت القلوب ؟ فدعت بامرأة عجوز كانت عندها ، واطلعتها على الامر ، فاشارت عليها العجوز بان تعهد الى نجار في عمل صورة ميت من خشب ، وتحفر حفرة كالقبر في فناء القصر وتوضع فيها ، وتوقد حولها الشموع فاذا أتى الخليفة وسأل،يقولون له ان قوت القلوب قد ماتت ودفناها في القصر لمعزتها عندك

عاد الخليفة من سفره ، وأخبر بموت قوت القلوب ، فحزن عليها ، وجلس بجانب القبر يبكي

وذات يوم دخل الحريم بعد انفضاض مجلسه ، ونام ساعة وجارية عند رأسه واخرى عند قدميه ثم انتبه على حديث هامس بين الجاريتين .

قالت احداهما للأخرى . ـ ان سيدنا ليس عنده علم بما جرى حتى انه يسهر على قبر لا شيء فيه الا خشبة صنعها النجار

وحكت الجارية لصاحبتها جميع ما جرى ، الى ان د ت انها سمعت ان قوت القلوب عند شاب تاجر اسمه م ابن أيوب

قام الخليفة مسرعا واستدعى الوزير جعفر البر ي وأمره ان يذهب مع جماعة من العسكر ويسأل عن ت غانم بن ايوب ويأتي بقوت القلوب ، فأجابه جعفر بالسمع والطاعة

عرف جعفر بيت غانم ، وذهب اليه بمن معه من العسكر ، وأحاطوا بالمنزل ، لاحت من قوت القلوب التفاتة فوجدت البلاء احاط بالدار ، فعرفت ان خبرها وصل الى الخليفة ، فاصفر لونها ، ونظرت الى غانم فأهابت به ان يهرب ويتركها تتصرف فقال

ـ كيف اخرج وقد احاطوا بالدار ؟

ألبسته ثوبا باليا ، ووضعت فوق رأسه قدرا فيها بعض الطعام ، وخرج بهذه الحيلة كأنه خادم ، ودخل الوزير ونظر الى قوت القلوب فقامت وقبلت الارض بين يديه ، وقالت

ـ يا سيدي ، جرى القلم بما حكم الله

ـ لا بأس عليك ، فان أمير المؤمنين ما اوصاني الا باحضارك وبالقبض على غانم بن ايوب ، فاين هو ؟

ـ ذهب الى دمشق ، ولا علم لي بغير ذلك

اتجهوا الى قصر الخلافة وهي معهم مكرمة ، أمر الخليفة ان يذهبوا بها الى مكان منعزل في القصر وان تلازمها عجوز لقضاء حاجاتها ، وقد ظن السوء بها وبغانم ، وأمر بالبحث عن غانم ، فلم يعثروا عليه

هائم على وجهه

أما ما كان من أمر غانم بن أيوب المتيم المسلوب فانه سار هائما على وجهه حتى تعب وازداد به الجوع فقصد الى مسجد في البلد الذي وصل اليه ، دخل وجلس مسندا ظهره الى حائط المسجد وهو في شدة الجوع والاعياء ، وظل كذلك حتى الصباح ، رآه المصلون فقالوا له

ـ من أين انت أيها الغريب وما سبب ضعفك وحزنك ؟ فتح عينيه ونظر اليهم وبكى

ذهب احدهم ، وجاء له بطعام ، فأكل واعتدل في جلسته ، ولما رأوا ما هو عليه من ضعف واعتلال ، اتفقوا على ان يرسلوه الى المارستان (المستشفى) ببغداد ، واحضروا رحلا معه جمل وقالوا له احمل هذا الص الى بغداد وانزله عند باب المارستان فسار به الجمال حتى انزله عند باب المارستان . رقد غانم بجوار الباب خائر القوى ، والتف حوله الناس ، وكان من جملتهم سح

...ور ، فرق لحاله ، وقال في نفسه انا اكسب الثواب
المسكين لأنهم ان ادخلوه المارستان عذبوه ثم امر
...يانه فحملوه الى بيته ، وأعد له فراشا في احدى
...جرات ، وقال لزوجته ·
- اعتني بهذا المسكين واخدميه ، كي تنالي ثواب الله
أجابت بالسمع والطاعة ثم شمرت وسخنت ماء
...سل به ، واحضرت له ثوبا من ثياب زوجها وقدمت له
...طعام والشراب ، وبذلت في خدمته ما أعاد عليه
...حته ، ولم يعد ينغص عليه الا بعده عن حبيبته قوت
...لوب

ولم تنس هي ايضا حبيبها غانم وذات يوم مر الخليفة
...يا من مكانها ، فسمعها تنشد ثم تقول

- يا حبيبي يا غانم ، ما احسنك واعف نفسك
...سنت الى من اساء اليك ، وحفظت حرمة من انتهك
...منك

فلما سمع الخليفة كلامها ذهب الى مجلسه وامر
...حضارها ، فلما مثلت بين يديه أطرقت حزينة بالية فقال

- يا قوت القلوب ، من هو الذي حفظ حرمتي
...تهكت حرمته ؟

- غانم بن أيوب ، وحق نعمتك يا أمير المؤمنين انه لم
...ربي بفاحشة

- لا حول ولا قوة الا بالله ، تمني علي وأنا أبلغك
...ادك

- أتمنى عليك محبوبي غانم بن ايوب

- أحضره ان شاء الله مكرما ، واهبه لك

- أشكر لك هذا العطف يا أمير المؤمنين ، وأرجو ان
...ن لي في البحث عنه

صبيّة في صندوق

لما خلا المكان لغانم انشغل باله بما في الصندوق ، فنزل
... فوق النخلة ، وأزال التراب حتى كشف الصندوق
...خرجه ، من الحفرة ، ثم عالجه فانكشف الغطاء عن
...بية نائمة فيه « غائبة عن الوعي » ذات حسن وجمال
...يها من الذهب والقلائد مالا يقدر بمال
...ج الصبية من الصندوق وأرقدها على ظهرها ، فلما
... الهواء عطست وسعلت فوقع من حلقها قرص
...فتحت عينيها وتكلمت .

- ...جاء بي من بين الستور والخدور ووضعني في هذه
...فقال لها غانم وقد بهره جمالها ·

- ...سيدتي ، لاخدور ولا قصور ولا قبور ، ما هذا إلا
...م بن أيوب

- أيها الشاب المبارك ، من جاء بي الى هذا المكان ؟

حكى لها ما رأى وما جرى ، ثم سألها عن خبرها ،
فقالت له : - أيها الشاب ، الحمد لله الذي رماني عند
مثلك ، عند مثلك ، فقم الآن وضعني في الصندوق ،
واخرج بي الى الطريق ، فاذا وجدت مكاريا فاكتر منه بغلا
أو حمارا لحمل الصندوق ، وخذني الى بيتك ، وهناك
أحكي لك حكايتي

فرح وخرج الى الطريق وقد أشرقت الشمس ،
فاكترى بغلا وصاحبه لحمل الصندوق ، وساروا الى داره
، ثم اخرجها من الصندوق ، فنظرت فرأت المنزل مليحا
مفروشا بالبسط ذات الألوان الجميلة ورأت قماشا واحمالا
علمت منها انه تاجر ذو مال ، ونظرت اليه وتأملته فاذا هو
شاب مليح ، فوقع حبه في قلبها ، كما وقع حبها في قلبه ،
قالت له

- هل عندك شيء نأكله ؟

- حبا وكرامة

نزل الى السوق واشترى شواء وحلوى وغيرها ، وعاد
الى البيت ، وأكلا وشربا وهما في غاية السرور

لما أقبل الليل قام المتيم المسلوب غانم بن أيوب وأوقد
الشموع والقناديل ، وجلسا يلعبان ويضحكان
ويتناشدان الاشعار وقال لها .

- يا سيدتي ، ائذني لي بقبلة لعلها تبرد نار قلبي

- يا غانم ، اصبر واعلم أنه لا يصح لك ذلك لأمر
ستعلمه

انكسر خاطره ، وزاد عنده الغرام ، ولم يزالا على هذه
الحال مدة شهر كامل ، وفي ليلة قال لها

- يا سيدتي ، ارحمي أسير هواك ومن قتلت عيناك ،
كنت سليم القلب قبل ان أراك

- والله يا سيدي ونور عيني انا لك عاشقة وبك واثقة
والآن أوضح لك أمري حتى تعرف قدري وتقف على
سري

أنا لك وأنت لي

ثم أمسكت بذيل قميصها ومدت له يدها وهي تشير الى
كلمات مكتوبة على ناحية من القميص ومنسوجة بخيوط
من الذهب ·

« أنا لك وأنت لي يا بن عم النبي »

قال لها وقد ذهل

- اذن فأنت

- محظية أمير المؤمنين واسمي « قوت القلوب » وقد
رباني أمير المؤمنين في قصره ، ولما كبرت نظر الى صفاتي
ومحاسني فأحبني وأسكنني مقصورة خاصة ، وامر لي بعشر

جوار يخدمنني ، واعطاني هذه الحلي والجواهر التي تراها هنا تنتقل قوت القلوب ـ وهي تروي حكايتها لغانم ـ الى ما لا يمكن ان تعلمه وهي غائبة عن الوعي ولا بأس ان نغض النظر عن ذلك لنسمعها تقول

ثم سافر الخليفة الى بعض البلاد ، فاستدعت السيدة زبيدة زوجة الخليفة جارية من الجواري اللاتي في خدمتي ، وكانت في الاصل جاريتها ، وقالت لها

ـ اذا نامت سيدتك قوت القلوب فضعي هذه القطعة من البنج في أنفها او في شرابها ، ولك علي من المال ما تريدين

ـ حبا وكرامة ياسيدتي

ونفذت الجارية ما أمرتها به زبيدة ، ولما تمت حيلتها وضعتني في ذلك الصندوق ، واحضرت العبيد سرا وانعمت عليهم ، وارسلتني معهم في تلك الليلة التي كنت فيها فوق النخلة بالمقبرة ، وفعلوا ما رأيت ، ثم كانت نجاتي على يديك ، هذه قصتي ، وما أعرف الذي جرى للخليفة في غيبتي

لما سمع غانم هذا الكلام تأخر الى الوراء من هيبة الخليفة ، واخذ جانبا بعيدا عن جارية امير المؤمنين وصار حائرا بين وجده وغرامه وبين حق الخليفة فيمن عشق وليس له اليها وصول

لما رأته قوت القلوب مهموما ، أقبلت عليه تلاطفه وتداعبه ، فارتد عنها وهو يقول

ـ أعوذ بالله ، ان هذا شيء لا يكون ، ان الذي لمولاي يحرم علي ان أقربه

ثم بكى ، وبكت لبكائه

رجل فقير

ذهبت الى سوق التجار ، وأعطت شيخ السوق الف دينار ، وقالت له : تصدق بها على الفقراء ، فقال لها

ـ عندي رجل فقير لا أهل له ولا مال ، فهل لك ان تذهبي الى داري وتنظري اليه ؟

ـ أرسل معي من يدلني على الدار

استقبلتها زوجة الشيخ بالتحية والاكرام ، [illegible] الى غانم فلم تعرفه لانه قد تغير حاله وزاد [illegible] فانبهم عليها امره ، واخذتها الشفقة عليه [illegible] ذاهلا فلم يلتفت اليها وكررت الزيارة وفي [illegible] تعطي زوجة الشيخ مالا وتوصيها به ، وذات [illegible] تأملته وتأملها قال

ـ قربي مني يا قوت القلوب !

فاقتربت منه مدهشة

ـ من أنت ؟ غانم بن ايوب ؟

ـ أنا هو المتيم المسلوب

ـ وافرحتاه !

حكت له ما جرى بينها وبين الخليفة ثم دخلت الى الخليفة وقبلت الارض بين يديه ، وانبأته نبأها وحدث غانم بن أيوب

أمر الخليفة باحضاره فحضر وحكى حكايته كلها ، ثم قال له الخليفة

ـ أتحب قوت القلوب ؟

ـ يا أمير المؤمنين ، ان العبد وما ملكت يداه لسيده

ـ هي لك ياغانم ، ولك الف دينار

وأقيمت الأفراح والليالي الملاح

كثيرا ما تتضمن حكايات الف ليلة وليلة مواقف انسانية رائعة ، وهنا نرى شيخ التجار وزوجته يرعيان غانم بن ايوب ، وقد تشرد وساءت حاله دون ان يعرفا من امره الا انه شاب مسكين ، وكذلك يفعل شيخ التجار عندما [illegible] أم غانم وأخته وهما في أسوأ حال ، ويأتي بهما الى داره حيث تشملهما الزوجة بالرعاية والاكرام ، امرأتان مسكينتان يؤويهما كما آوى غانما من تشرد ، ويطعمهما من جوع ويؤمنهما من خوف ، ويكسوهما بما يليق من ثياب نظيفة بدلا من الخرق البالية ، ثم تتعرف الام على ابنها في مفاجأة مذهلة ■■

عباس خضر

الحي الميت

قال رجل حكيم : « كيف حال أخيك ؟ » .

فأجاب : « ان أخي قد مات » .

فقال له الرجل : « ما سبب مماته ؟ » .

فأجاب « حياته » .

طبيب الأسرة

يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

حصاة المرارة

● أعالج منذ سنوات من حصاة في المرارة . ولكن الطبيب أشار علي بضرورة إجراء جراحة . . فما الذي يحتم اجراء الجراحة ومتى لا يجدي العلاج الباطني ؟

الحويصلة المرارية هي غدة صغيرة نسبيا ـ طولها حوالى ١٠ سم وعرضها ٢ سم وتتسع لـ ٤٥ ملليمترا من السائل ، وتكمن على السطح الداخلي للكبد ، وتأتي اهميتها في كونها تختزن للكبد عصاراته ، بل وتعمل ايضا على تركيزها ثم تعيد افرازها عبر القناة المرارية الى الامعاء ، حيث تعاون وتسهل عملية تكسير المواد الدهنية وهضمها وامتصاصها في دورة الايض الغذائي العامة للجسم كله

واصابة الحويصلة المرارية بالالتهاب سواء الناشيء عن مرض ميكروبي كالتيفود أو أو اختناق القناة المرارية م عالبا عن انسدادها بما حصاة مرارية » ينتج ما لمريض من آلام شديدة أحيانا الى درجة تستلزم استئصال الحويصلة بما

لكن يمكن علاج نوبات الألم المتكررة بمسكنات الألم اذا لم يكن السبب قويا كوجود حصيات صغيرة او كون الالتهاب مؤقتا وحاليا يستخدم العلاج الطبي لتفتيت الحصاة المتكونة على المدى الطويل اذا كانت من النوع القابل للتفتيت

ولكن أحيانا ورغم الوجبات الخالية من الدسم الى جانب العلاج الطبي يظل المريض عرضة لنوبات الالم المتكررة مع تزايد حدتها الى جانب خطورة تعرضه للمضاعفات ، والتي تبدأ بتحول الالتهاب الى حالة مزمنة ، وقد يمتد الالتهاب لأعضاء مجاورة وتنثقب الحويصلة المرارية فينشأ عنها التهاب الغشاء البريتوني المغلف للأمعاء كله وقد يكون إزمان الالتهاب مقدمة لمرض خبيث يستشرى من مستصغر الشرر

لذا يلجأ الطبيب الى تحديد أهمية ونوع تلك الحصاة عن طريق الاشعة العادية اولا ثم الملونة التي تحدد طبيعة هذه الحصاة وهل هي من الكوليسترول أم من الصبغيات أو من كليهما معا ؟ كما تحدد أيضا حجمها ، وهل تتزايد بسرعة تهدد بانسداد القناة في اى لحظة أم ان هناك أملا في أن تمر مع العصارة الى الامعاء بسهولة ،

وقد يلجأ الطبيب لاستخدام المنظار الضوئي ثم أخيرا تحليل البراز ، لاستجلاء الموقف

واذا حل الفحص أيا من تلك الاخطار ، وجب اجراء جراحة لاستئصال الحويصلة المرارية ، وهي عملية مضمونة الى حد كبير ، يعافي المريض بعدها تماما خلال خمسة عشر يوما ويوصى بعد ذلك بالاقلال من المواد الدهنية وليس تحريمها ومحاولة تقليل وزنه مع ممارسة رياضة غير عنيفة كالمشي ساعة يوميا ـ تبدأ بالتدريج ـ ويتخلص نهائيا من نوبات الألم الحادة بل والقلق والخوف من الاحتمالات التي هي كفيلة وحدها باحداث أزمة مرارية حادة

الذبحة الصدرية والتدخل الجراحي

● دارت وتدور مناقشات طبية موسعة منذ بدأت عمليات ترقيع الشرايين التاجية بقطع مماثلة من أوردة الساق أو الصدر تحل محل الشريان الذي يبلغ به العطب حد العجز سواء كان بانسداده بجلطة أو أكثر وفي البداية لم توضع الكثير من الشروط لاجراء العملية فكانت تجري لكل من يرغب من مرضى

الشرايين التاجية بعد أن يجري له فيلم ملون يفصح عن مكان الانسداد في الشريان مما يسمى قسطرة الشرايين

ولكن بمرور الوقت واتصاح جدوى أو عدم جدوى العملية وبعد ما تكشفت تقريبا كل فوائدها ومضارها على المدى الطويل تراجع عدد من المراكز العلمية العالمية ومنها مايعمل به الطبيب المصري الشهير مجدي يعقوب والذي كان احد اوائل روادها عن اجراء العملية لكل مرضى الشرايين حيث ثبت بالفعل انه يجب التدقيق جيدا في الشروط الواجب توافرها في المريض والصورة التي عليها شرايينه فقد وجد أنه من الأفضل الاستقرار على نظام طبي لمرضى الشريان الواحد - أي الذي عنده اصابة في واحد فقط من شرايينه الهامة وعددها ثلاثة - أما المصابون بالشرايين الثلاثة فتجرى لهم العملية اذا كان القلب بالفعل يسير الى هبوط وكفاءته تقل باستمرار أما ما بينهما فيجب تقييم حالتهم تقييما دقيقا قبل التفكير في اجراء أي تدخل جراحي قد لا يقيهم من انسداد آخر بعد العملية !

وعلى هذا فان التدخل الجراحي لا يلزمه سن معين ولا علاقة له بالألم أو فتراته لكن الذي يحدده صورة الشرايين الكاملة والتي لا تتضح الا بقسطرة الشرايين ثم قياس كفاءة عضلة القلب ذاتها وهل هناك مضاعفات فعلية أو متوقعة وشيكا الى جانب حالة المريض الصحية العامة وهذا في الواقع قرار الطبيب الباطني والجراح معا فليس لأحدهما وحده حق القرار

الحساسية من الأدوية

● ماذا تعني الحساسية لدواء معين ؟ ما هي أعراضها وكيف يمكن تجنب حدوثها وعلاجها اذا حدثت بالفعل ؟

حساسية الدواء هو التعبير الذي يطلق على مجموعة من الظواهر المرضية التي قد تنشأ نتيجة لتعاطي دواء معين ، بالطبع دون ان تكون في الحسبان ولا تعكس رد فعل طبيعي لتعاطي الدواء ، لذا فهي تنشأ من تعاطي دواء عند شخص بالتحديد ولا تظهر اطلاقا عند استعماله مع البقية من المرضى

وتختلف الاعراض والنتائج من شخص لآخر كما تختلف من دواء لآخر ، فهي في العادة تختلف من اعراض جلدية كالبقع الحمراء او الرغبة في حك الجلد او ظهور بثور صغيرة الى التورم ، وربما للجسم كله ، كألم المفاصل ، وتورم الغدد الليمفاوية ، والتهاب الكبد او الحمى او التهابات الشرايين

كما تختلف ايضا حدة الأعراض من دواء ضعيف الى صدمة عصبية كما يحدث مع البنسلين وربما الموت المفاجيء قبل ان تدرك المريض يد الاسعاف

وتنشأ الحساسية للدواء من وجود اجسام مضادة (antibody)في دم المصاب عادة ضد العنصر الفعال في العقار او نتيجة تفاعل جانبي ينشأ من تفاعل مجموعة كيمائية من الدواء مع جزيء بروتيني من الدم أو الأنسجة

ومن أهم العقاقير التي يعرف عنها احداث الحساسية البنسلين ، السلفا ، الاسبرين الاستربتومايسين ومركبات الباربتيوريت والتراسيكلين الى جانب مركبات اليود

وللوقاية من حساسية الدواء تتم بعض الاختبارات التي تعتمد على اعطاء المريض جرعات صغيرة متزايدة من العقار و[illegible] ما يحدث بالتحديد ، فبالنسبة للبنسلين يحقن بكميات ضئيلة تحت الجلد ، ولكن يجب ان تتم ذلك في المستشفى وفي وجود غرفة للانعاش

اما العلاج فيختلف طبقا

للحالة ففي الحالات البسيطة يكتفي بايقاف العقار والبحث عن اخر بديل ثم علاجات موضعية للالتهابات الجلدية ، وقد تستخدم مضادات الهستامين لتثبيط التفاعلات ، والادرينالين والكورتيزون بنسب تتفاوت حسب حجم الاعراض وخطورتها

وتجرى حديثا تجارب لاستحداث مواد تمنع حدوث حساسية الدواء خاصة حينما لا يتوافر البديل ، ولا يحقق ذات النجاح لتقلل من ردود فعل الجسم ضد العقار وبالذات البنسلين ، نظرا لاهميته الشديدة وخصوصيته العلاجية لعديد من الميكروبات كالتهابات القلب البكتيرى التي لا تجدى معها نفعا العقاقير الاخرى

مرض السكر وقاع العين

● أعالج من مرض السكر ، وقد اوصاني الطبيب باجراء فحص لقاع العين مرة كل ستة أشهر . . . فأي علاقة تربط بين مرض السكر والعين ؟ . . .

يعد قاع العين مرآة عاكسة لحقيقة شرايين جسم الانسان ككل وهو ـ بلا جدال ـ احدى الوسائل الدقيقة والمرهفة في تحديد درجة تصلب الشرايين ونسبة ارتفاع ضغط الدم ومدى تأثر الجسم به كما انه أيضا يساعد على اكتشاف بعض انواع فقر الدم الغير مألوف ، الى جانب انه يكشف عن مدى تأثر الشـ[رايين] من مرض السكر ، حتى أن مر[يض] السكر قد يصاب تدريجيا [بانتقـ]ـاص حدة الأبصار نظرا [لتأثر] شرايين العين الدقيقة ـ يعد [علا]مة مبكرة لتأثر العين [بالـ]ـسكر ـ ثم انفجار بعضها [...]يا بشبكية العين ، واذا [...]ئامه يلتئم بالتليف مما يفقد الشبكية جزءا من نسيجها البصرى المتميز

فالعين يغذيها شريان رئيس (الشريان السباتي) يتفرع فيها الى تفريعات عديدة لانهائية تغذي العين بالدم حاملا الاكسجين ، ونظرا للاهمية القصوى لحاسة النظر فقد تميز نسيج عمق العين الى الشبكية ـ النسيج العصبي الذى تقع عليه الصورة المرئية ـ ثم تلك الشبكة الغنية بالشرايين الدقيقة الى جانب العصب البصرى الذى يأخذ شكلا واضحا ومنه ايضا يمكن التنبؤ بوجود اورام المخ

على هذا تبدو أهمية فحص العين دوريا فقط لمريض السكر ، ولكن لكل من بلغ سن الاربعين فالفحص في غاية البساطة عند طبيب العيون

كما يحمل قاع العين ايضا صورة واضحة حقيقية لكفاءة جهاز الانسان الدورى فدورة دموية نشطة وشرايين مفتوحة ذات قطر مناسب تمي دائما شبكة من التفريعات الشريانية عالية الكفاءة بلا متاعب ابصار او تعرض لنزيف الشبكية او الانفصال الشبكي الذى حتى لو عرف طريقه للعين لسبب او لآخر ، فان اشعة الليزر تعطي معه نتائج باهرة

ومن جهة اخرى فان البعض من التفاعلات الجانبية للادوية قد تعلن عن نفسها في قاع العين قبل ان تنسحب على الجسم كله ، كمدرات البول مثلا ، اذا استخدمت عشوائيا فانها تحدث انتفاخا (او ديما) في الشبكية كما ان مدمني التدخين يعانون من تقلصات شرايين العين نتيجة للنيكوتين

وللمحافظه على سلامة شرايين العين وجعلها دائما في حالة جيدة ننصح بتناول فيتامين (C) & (E)الى جانب عناصر الكالسيوم والزنك والمنجنيز والحديد والنحاس لأنها تدخل في تركيب المادة اللاصقة للخلايا المبطنة للشرايين

من هنا جاءت أهمية فحص قاع العين الدورى سواء لمريض السكر او الضغط او الكلي . كما ان لها أهميتها في تشخيص أمراض الشرايين مبكرا والدم وأورام المخ . . بل وأيضا تكمن أهميتها في تأمين سلامة السنوات القادمة من عمر الانسان .

علوم اللغـــة ..
ينبغي تقليمها وتخليصها من الطفيليات

بقلم : محمد خليفة التونسي

بعد تخرج أديبنا العبقري الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني في مدرسة المعلمين (العالية) ـ ١٩٠٩ ـ اختارته وزارة المعارف (المصرية) لتدريس اللغة الانجليزية بمدرسة دار العلوم (العالية) ، وكان طلبتها يختارون من الشبان الطموحين ممن أتموا علوم المرحلة الثانوية في الأزهر ، حتى اذا تخرجوا في دار العلوم اختيروا لتدريس الدين واللغة العربية ـ وغيرهما عند الحاجة ـ في مدارس التعليم العام حكومية وأهلية ، وكانوا يتمسكون غالبا بزيهم الأزهري كما نشئوا ، حتى بعد تخرجهم فكانوا يلقبون « المشايخ »

في الدروس الأولى في أحد الفصول بدأ الأستاذ المازني يلقنهم بدايات الانجليزية اذ لم يكن لهم بها عهد في الأزهر ، فشرع يعلمهم اسماء الأشياء المحيطة بهم كالباب والشباك والكرسي وبعض الجمل البسيطة للاعمال التي يزاولونها يوميا كالقيام والجلوس مع تمثيلها أمامهم بنفسه ومحاكاتهم له في النطق والعمل ، فكان منها فعل الأمر Sit down (اجلس) والفعل الماضي Sat down (جلس) . وفطن طالب متحذلق الى ما بين هذين الفعلين Sit و Sat ، من تشابه في النطق والكتابة ـ وكان بحكم تعلمه في الأزهر مطلعا على باب « الاعلال » في الصرف ـ فسأل الأستاذ هل (سات) أصلها (سَيَتَ) . وفطن الأستاذ الى الفكرة التي تحوك في ذهن الطالب المتحذلق ، ولم يكن أقل منه علما ولا جرأة ، فأجابه مداعبا نعم . (سات) أصلها (سَيَتَ) تحركت الياء وانفتح ما قبلها فقلبت ألفا ، كما نقول في « باع » أصلها (بَيَعَ) وكذلك فعل الأمر (سِتْ) أصلها (سِيتْ) أيضا التقت الياء والتاء الساكنتان فحذفت الياء لضعفها لأنها حرف علة ـ منعا لالتقاء ساكنين

ثم قال الأستاذ « افهمت ، أفهمتم يا مشايخ » .

وما كاد الطالب يطمئن الى ذكائه وحسن فراسته وسلامة قياسه للكلمات الانجليزية على العربية ، وما كاد الطلاب يفرغون من غبطتهم لزميلهم حتى فوجئوا بالاستاذ يقول لهم محتدا « يا مشايخ ، يا أولاد افسدتم اجرومية[1] اللغة العربية بهذا الهراء ، افتريدون ان تفسدوا أجرومية الانجليزية بمثله . إياكم وهذا العبث . نحن ننطق الانجليزية كما ينطقها أهلها ، وندرسها كما يدرسونها

هذا أو ما في معناه هو خلاصة القصة كما سمعناها نحن وغيرنا من استاذنا الكبير عباس محمود العقاد وكان صديق العمر للأستاذ المازني عليهما رحمة الله

أما ما دعاه أديبنا المازني فسادا في قواعد لغتنا فأمر واقع لا شك فيه ، فقد ادخل على هذه القواعد مئات ومئات من التعقيدات والتزيدات الوهمية العقيمة مما جعل الفساد يتسرب اليها ، ويصيبها بالورم والترهل ويضخمها ، حتى ان كميتها تبلغ أحيانا مئات ومئات من الصفحات ، وهي مع كثرتها متضاربة مما جعلها عسيرة على الاستيعاب أو الاهتداء الدقيق بها عند

---

(١) الاجرومية تعني هنا قواعد النحو (والصرف) وكانت هذه الكلمة شائعة بهذا المعنى في مدارس مصر حتى منتصف هذا القرن ، وهي ـ أصلا ـ اسم كتاب صغير في النحو « الكوفي » كان يدرس للمبتدئين نسب الى كنية صاحبه ابن آجروم ، واسمه محمد بن محمد بن داود الصنهاجي (ت ٧٢٣ هـ)

الحاجة الى القول الفصل . ولا نعرف مثل هذا ولا سمعنا به في اى لغة ، وأما ان الأزهر هو المسئول عن هذه الغثاثات فلا ، بغير تردد ، بل هي أقدم منه بأكثر من قرن ، اذ نشأت في عهد الرواد الأول الذين وضعوا قواعد اللغة في أواخر القرن الهجري الأول إلى ما بعد منتصف القرن الثاني ، وشاهدنا على ذلك « الكتاب » لسيبويه في القواعد ، وهو أول كتبها أو أقدم ما جاءنا منها ، وفيه أنواع شتى من هذه العيوب كما سنبين في صفحة لاحقة

ونعود الآن الى القضية التي أثارت المازني ، ومثل بها لما في قواعد لغتنا من فساد فنقول لم يزعم أحد من علماء لغتنا انه سمع من عربي ـ تؤخذ عنه اللغة ـ لفظ (بَيَعَ) أو (قَـوَلَ) فعـلا ماضيا ، ولا (يَبْيِعُ) و (يَقْوُلُ) ونحو ذلك مما يفترضه علماؤنا في تصريف الالفاظ المعتلة ، فان فروضهم وهمية ، وهي في خير احوالها حيل تعليمية ، أداهم اليها اجتهادهم الخاطىء حين قاسوا الكلمات المعتلة على الصحيحة ، ولا بأس عندنا من الحيل التعليمية اذا كانت تحل مشكلة أو تسهل صعبا ولو قامت على وهم ، كما هو الحال في حيلة خطوط الطول وخطوط العرض الأرضية التي اصطلحنا عليها ، فهي تسهل على الناس معرفة مواقعهم حيث كانوا من الأرض ، وإن كانت هذه الخطوط وهمية

وخير من قياس الكلمات المعتلة على الصحيحة أن نجعل للمعتلة شواهد ، كما جعلنا للصحيحة شواهد ، للقياس عليها ، فنحن في الافعال الثلاثية الصحيحة نقول باب (نصر) أو (ضرب) أو (علم) وصفة الفاعل على وزن (فاعل) وصفة المفعول على وزن (مفعول) فلنقل هكذا في الأفعال المعتلة على اختلاف موضع العلة منها - فنقول مثلا ، باب (وقف) و (باع) و (قال) و (مشي) و (سها) و (سعى) ونصرف هذه الأفعال المجردة والمزيد منها بحسب أزمنتها في حال اسنادها الى المتكلم ، والمخاطب ، والغائب ، مفردا ، ومثنى وجمعا ، كما نصرف منها صيغ الصفات للفاعل والمفعول .. وأسماء الزمان والمكان والآلة ، ونحو ذلك من المشتقات .

والأمر في لغتنا أسهل فمجال الاشتقاق فيها ـ وان كان أوسع مما هو في غيرها ـ ينحصر في صيغ موزونة معدودة ، يسهل الالمام بها . ويساعد على معرفتها ان معظمها يجري على ألسنتنا حتى اليوم في لهجاتنا الدارجة ، لأن لهجاتنا تقوم على جذور وأوزان عربية فصيحة (أكثر مما يظن) وان كان بعضها ينحرف عن هذه الصيغ قليلا

اذ ليس الاعلال ولا الابدال ولا الادغام ظواهر لغوية خاصة بلغتنا بل هي شائعة بين اللغات ومع ذلك لا يحاول علماؤها فرض حيل كحيل علمائنا مما أثقل الصرف وسائر قواعد لغتنا باعباء باهظة ، حتى لدى المختصين ، ونحن نريد أن يفرغ أولادنا من قواعدها الضرورية العملية وهم في مطالع الشباب

ليس لشيء في قواعد لغتنا أي سند الا « هكذا تكلمت العرب »

ولا يعني طالب اللغة .. أي لغة .. الا ناحيتها العملية

نحن لا نتعلم علوم اللغة للتعبد بها بل لنتمكن من التعبير الصحيح شفاها أو كتابة عما يخالج نفوسنا ولا سبيل الى هذا بهذه العلوم ، بل بالتوسع في الاطلاع على أبلغ النصوص الأدبية السهلة ، وحفظ أكبر قدر منها ، بعد اتقان تذوقها ونقدها ، مع ممارسة الكلام بها شفويا وكتابيا حيث احتجنا الى التعبير الفصيح ولا سيما داخل المدارس ، وأوجب ما يكون ذلك خلال الدروس اللغوية والدينية ، ولو أمكن الالتزام بها في كل الدروس لكان هذا أسرع في اتقانها ، ولا بد من السماع في أي حال فهو العون الذي لا غنى عنه في كل لغة حية

ولا مفر لنا من ثورة في مجال تعليم اللغة ، ولا بد أن تشمل هذه الثورة مناهج اللغة وكتبها وطرق تعليمها في كل المعاهد العامة والعالية لتحببها الى الناشئة وغيرهم ، فان مناهجها وكتبها وطرق تعليمها الحالية قد أدت الى عكس الغاية من تعليمها ، فبغضت الى الناشئة دروس اللغة ، وجعلتهم ضعافا أو عجزة فيها ، بل جعلت الكبار كذلك ، ومن هنا تكثر العثرات

ووسائل الاعلام المنتشرة اليوم ، المكتوبة والمسموعة ، خير عون لنا في هذه المهمة القومية الملحة على ما في هذه الوسائل الاعلامية من قصور أو تعثر ، فهي نعمة كبيرة في مجال التعليم حتى اللغوي لو احسنا الانتفاع بها ■■

شاكر حسن آل سعيد
ورحلة رائد تجربة البعد الواحد

بقلم : اياد الموسوي

المغامرة التي خاضها الفنان التشكيلي العربي ، عندما فلسف الخط العربي الى اتجاه تشكيلي واطلق عليه اسم « البعد الواحد » هذه المغامرة وضعته امام عالم جديد ، ليس بعيدا عنه ، ولكنه مكتنز في وجدانه ولسانه ومعرفته الجنينية . كيف اكتشف الفنان هذه النافذة ، نحو هذا العالم ؟ يحدثنا الفنان التشكيلي العراقي شاكر حسن السعيد احد أهم رواد الحركة التشكيلية في العراق مفكر متصوف له العديد من البحوث النظرية التي تبحث جدليات الوجود وطبقاته وحضورها في العمل الفني

يحدثنا عن الحركة التشكيلية في القطر العراقي باعتباره من الرواد المؤسسين لجماعة بغداد للفن الحديث ، التي ترأسها الفنان العراقي الراحل جواد سليم ، وكان شاكر حسن ال سعيد من منظريها واعضائها النشطين ..

« ان الرواد الاوائل للفن العراقي هم اولئك الذين وضعوا الاسس التي تطور من عندها هذا الفن ، تطورا وطيدا ، وانا لا استطيع ان اعتبر نفسي من هذا الرعيل

ومع ذلك فان دوري في الفن العراقي يتحدد في مساهمتي تأسيس جماعة بغداد للفن الحديث عام ١٩٥١ مع جواد سليم ـ وفي تحديد أهمية الطرح الفني الحضاري من خلال كتاباتي النقدية الاولى في الصحف والمجلات المحلية والعربية فضلا عن أعمالي الفنية نفسها »

هكذا يحدد شاكر حسن ال سعيد دوره في نمو الحركة التشكيلية المعاصرة في العراق . ويشير الى تأثر الفنانين العراقيين بالفن الاوروبي عندما يقول

ـ رسمت في البداية متأثرا بالفن الاوروبي ، سيزان وفان جوخ ، والوحشيين . ثم اكتسبت تأثيرات عربية واسلامية وشعبية في منتصف الخمسينات ، وهكذا استطيع أن أقول اني كنت من اوائل الفنانين العراقيين الذين عمقوا مفهوم التراث في الفن العراقي الحديث قبل ثلاثين عاما مضت .

حينما حسم شاكر حسن ال سعيد موقفه في البدء بالعمل الفني كانعكاس لشخصيته .. انطلق منذ أكثر من ثلاثين سنة من التعبير الانطباعي ، ولم يكن يعرف تماما لماذا كان سيزان يستهويه عن سواه ، وحينما سأله مرة استاذه في مرحلة دراسته الجامعية .. ماذا يعجبك من بيكاسو . ؟ قال اني لا أفهم بيكاسو ولكني استطيع ان أفهمه في المستقبل وسأعجب به .. حينئذ ، أما الان فانا احترمه فحسب ..

العودة الى الطفولة

كانت شمس تشرين تطل عليه من بعيد منعكسة على واجهات الابنية في مدينة الكويت ، عندما انهمك في البحث عن مدخل في موضوع ابداعه الفني . ومن أين يبدأ في ابداعه ؟

يقول لم أكن لاحد إلا عند العودة الى طفولتي ، ولقد عثرت عليها مدونة في مقال لي حول الطفل وحضور الانسان . وطفقت اقرأ في كل مرة هذه العبارة ألا تكمن قطرة الطل في هذا المستنقع ؟

كانت ألوان شاكر تنبع من أحزانه ولم تكن لتنبع من أحقاده ، فهي اذن ألوان هادئة وحينا تصبح الألوان هادئة تنتقل نقطة البحث عند الرسام الى مستوى الابعاد في الشكل او الحجم ، او الخط .

لذلك فانه اختار سيزان .. لكنه تحول بعد الخمسينات الى الفنان العراقي القديم .. ثم الى المزخرف الاسلامي ، والخطاط العربي .. وتختلط في بحر ثلاثة اعقاد مهمة الرسام التشكيلي بمهمة الفنان الحضاري ثم الكوني ، وهذه هي محاور المراحل الفنية التي مر بها شاكر حسن ال سعيد

فمنذ عشر سنوات أسس تجمع البعد الواحد ، وأخذ يفلسف كل أبحاثه بمفهوم البعد الواحد . هذا من الناحية التقنية . أما من ناحية الرؤية .. فانه يرى العالم كوحدة وجود صوفية ..

« اني افني في فني وفي عالمي . كما يفني الخط فيما بين السطوح .. وكعبد القادر الجيلاني سأقول لجمهوري « موتوا في وقد حييتم . اي احيوا حيواتكم في وعي العمل الفني وليس في حياتي أنا .. اذن فلسوف تحيون حياة حقيقية .

وهكذا يواصل شاكر حسن ال سعيد بحثه الفني بروحه وفكره الصوفي على خطا الحلاج . انه يجب ان يتخلص الانسان من همومه الدنيوية ، وان يحيل ملذاته الى حقائق روحيه ، وان (يحيا) ايمانه لا ان يكتفي به فحسب .. ولكن مثل هذا الأمر لا يطيقه بشر ، فكيف يتسنى لقطرة الطل ان تحافظ على نقاوتها بعد ان اصبحت قطرة في مستنقع آسن ؟

وهكذا كان على استاذي قبل أكثر من سبعمائة عام ان (يقطر) ذاته مختبريا فاستنتج ما يلي . « اذا كانت المعرفة كاملة في القرآن : كلام الله فان فهمنا لكلام الله يقتضي التشرب به . اي تحويله من معرفة لغوية الى معرفة وجودية » .

١٩٦٢
وادرك شهرزاد الصّباح ....!

هنا كان علي تصوره الابعادي لحضور المعرفة ان يستحيل الى تصور زماني ، اي ان يفكر بان المحور المكانـي لكلام الله لابـد ان يصـل به في حجمـه (ككتاب) الى حجمه كمجرد (نقطة) . أما كيف كان عليه ان يتصور كلام الله زمانيا فقد قال هو في ذلك . « وعلم النقطة في الارل وعلم الازل في المشيئة وعلم المشيئة في غيب (هو) ، وعلم عيب هو (ليس كمثله شيء) ولا يعلمه الا (هو) .»

كانت اذن رحلته في المعرفة تبدأ في العالم اللغوي لتنتهي الى العالم الامي . أما رحلتي انـا في المعرفـة الابعادية فتقتضي اختـزال الكثافـة في السطـح .. اي التحلي عن رؤية سيران برؤية الفنـان الحضـاري في الشرق الاوسط » ثم اختزال السطح في الخط اي البعد الواحد ، ثم اكتشاف معنى الخط ..

وهكذا عرفت اولا كيف ارسم الخط عن طريق الظل والضوء ككثافة متدرجة في مجال « الدرجة الكونية » ثم اكتشفتـه ثانيا كفـراغ عن طريق رسـم « الشقـوق » العقلية في اللوحة ولا زلت أجهل الكثير عنه

ولكن اللوحة ظلت عندي ماثلة كعالم في بعدين .. أي ادن لا ازال اتشوق الى مزيد من المعرفة . واين انا منها ؟

بين الشكل والمحتوى

يواصل شاكر حسن ال سعيد حديثه عن تجربته الفنية كان ذلك في صيف ١٩٧٩ عندما التقينـا في معرضه الخاص الذي اقامـه بالـكويت ، وكانـت تلك المرحلة تؤثر تلك الآراء التي يطرحها ال سعيد .. والتي ترى مصداقا لها في لوحاته التي اضاءت جانبا من بحثه بين الشكل والمضمون ، وماهية المضمون الانساني التي تتحرك بواياه ودوافعه منذ أول لحظة حنينية يبـدأ بهـا المخلـوق رحلـة وجـوده البشري واستعـان في تلك الشقوق والكتابات والاشارات التي يؤشرهـا الاطفـال على الجدران ، دون وعي .. ولا أقصد ..

ومع ذلك كله .. فهو يقف بتواضع ويقول لكي ابدأ بالرسم فلابد لي ان أقف على أرض لا تعور وكان هذا اول ما حاولت ان اتعلمـه ان عالـم اللوحـة هو السطـح التصـويري ، عالـم البعـدين وان ابداعـي يتحقق لو تمكنت منه في التعبير عن البعد الواحد وذلك يتطلب مني ايضا ان احقق بنية عملي الفني وهذه البنية افهمها كنظـام من العلاقـات الشـكلية . انهـا اللـون والدرجـة والمسافـة وكل مفـردات لعتـي الحسية التشكيلية ، اي ما أحسه بصريا اولا . لكيا المحسه ببصيرتي من بعد ثانيا ، ثم وجدتني اخر الامر اكتـب العبارة المقروءة في رسومي ولكي اقاسم فيها جمهوري جعلتها جملا مجزوءة او كلمات مجزومة .

وهكذا أدركت اخر الامر انني اعامـل الشـكل في رسومي كمحتوى ، في الوقت الذي اعامل فيه المحتوى كشكل .

واختلطـت القيم الحسية بالقيم العقلية الى حد الهوس فلماذا يتحتـم علي ان اخضـع الحـرف لعالـم السطح التصـويري المحسوس ؟ ولماذا يتحتم علي ان لا أوجد بـين العـالمين « كمـركب » وليس (كخليط) ؟

ورسمت ، ولا زالت رسوما يمكن قراءتها ولكنها قراءة جديدة تطلب حسا كونيا ، وقارئا أكثر انسانية من ان يكتفي باختزال المعرفة القرآنية الى نقطة حرف الف .

انها القراءة التي يستطيع من خلالها ان يتجاوز معرفته الشكلية واللغوية جمعاء الى امية في المعرفة لان في ذلك وحده سيستحيل الى قارىء كوني . الى قلامة اظفر او ذروة في هباء او طيف في ضوء شجي في ليل مظلم . وفي هذا المجال جربت الرسم (بالحزوز) والاكتفاء أحيانا ببعض الخطوط الافقية او العمودية والنقاط ولكن الامر على اتمه لم يتحقق بعد ..

ولقد كانت مهمتي الثانية هذه تتطلب شيئا من المغامرة فلكي تتحول مياه المستنقع الى قطرة طل نقية لابد لنا من تقطيرها اين اذن هو الانبيق الهائل الذي سيسخن كل مياه البحور الآسنة ياترى ؟ ولكيا تتساقط من جديد كقطرات من المطر الربيعي المنعش ؟

وفكرت في بنية عملي الفني كعالم من القيم التشكيلية واللغوية ؟

كان ذلك مبهما على اول الامر . فلقد اخترت اعتباطا معنى ان اقتبس الحرف في رسومي ثم استنتجت بعد لأي من الزمان ان دراسة وجود الحرف في اللوحة يقتضي تطويعه لحساب اللوحة واصبحت الحروف المستعارة ضروبا من الحلزونيات والاشكال العمودية والافقية المستقيمة او المنحنية . انها تطمس ماهية الحروف اللغوية حتى (باصواتها) حتى اصبحت اللوحة هشيا من الحروف ارسمها معبرا فيها عن (ذاتي) وعما آلت اليه في محيطها . جدران المدن واعمدتها

الفنان ـ اللوحة ـ الجمهور

ان ما يميز شاكر حسن آل سعيد عن أقرانه انه لا يلتزم بنموذج شكلي (او ادبي) لعمله الفني ولا يضع حيثيات مسبقة لما يجب ان يكون عليه الشكل او اللون او الخط حتى في اقصى حالات التصرف ازاء العمل الفني وان القياس لديه هو قياس تأملي ، يرصد نمو الفكرة وتفاعلها وعوالمها الجديدة التي تفتحها بطاقتها الذاتية ، وباشعاعها الخاص . لذلك فهو في بحث مستمر عن عناصر العمل الفني ، وابعاد كل عنصر ، وسبل تحديد تلك العلاقات المتشابكة بين هذه العناصر لبلوغ مشارف الوعي الانساني عند سطح قماش اللوحة وتحقيق استقلالية العمل الفني خارج المكان والزمان بالرغم من انه يغذيها بالقيم التي يحمل ل ارشفتها تاريخيا

● شاكر حسن آل سعيد

عندما التقيت ، بشاكر حسن ال سعيد مؤخرا ، وجدته يتحدث عن اخر محطات فلسفته الفنية ، ورأيته متحمسا أكثر من ذي قبل لعمله الفني الذي قدمه في معرض خاص بالكويت في مطلع شهر مايو والذي استوحى أغلب أعماله من زيارة قام بها الى منطقة القنيطرة السورية

يحدد شاكر عناصر العمل الفني كالتالي :
الفنان ، اللوحة ، الجمهور

يتحقق حضور العمل الفني بمعناه التام من خلال كل من (الفنان ، واللوحة ، والجمهور) على ان هذا التلاحم يختلف باختلاف موقع كل من هذه العناصر الواحد بالنسبة للآخر فالعمل الفني الذي يبدو « كفن تعبيري » هو الذي يتحقق فيه ذلك بان يصبح فيه موقع الفنان في الاول ثم تليه اللوحة فالجمهور ، اي ان (ذات) الفنان هي التي تطالعنا عند رؤيتنا للعمل الفني والذي تكمن قيمته ما بعد (داتية) الفنان ، ثم يلي ذلك ما يستطيع الجمهور ان يكتشفه عبر حضور اللوحة ومشاعر الفنان التي انعكست عليها

أما العمل الفني الذي يكرس فيه الفنان ما يكرسه من أجل الجمهور ، فهو الذي يعكس لنا في البداية ما يمثل ذوق الجمهور بل الجمهور العريض ، اي ان تكون اللوحة مرسومة باسلوب طبيعي ، ثم يلي ذلك ماضمنه الفنان فيها من مشاعر وأحاسيس وأخيرا يأتي دور اللوحة لذاتها حيث تبدو ولا قيمة لها بذاتها الا كمجرد اداة لتوصيل فكرة الفنان وأحاسيسه ومشاعره للجمهور في حين ستطيع ان نحقق العمل الفني بمعناه الواقعي والتوثيقي معا ، حينما نضع نصب اعيننا اننا ننجز لوحة ما أولا بأول وفي مثل هذه الحال فان اللوحة ستكون هي الطبقة الاولى للعمل الفني فهي اذن مرسومة بصورة موضوعية انها مستقلة ذاتها بذاتها او ان الرسام فيها حقق بصورة موضوعية وجودها ، فهو لم يعبر فيها أولا بأول عن مشاعره الذاتية ولا عبر عن ذوق الجمهور ، بل عن موضوعية سطح تصويري فحسب وهكذا فان الطبقة التالية ستكون ذات الفنان او اختياره التقني والاسلوبي وأخيرا يأتي دور الجمهور

والواقع ان هذا النظام الطبقي للوحة الفنية وبهذا الشكل الأخير يضمن موضوعية كل من الفنان والجمهور ازاء اللوحة ، فوجودها بهذا المعنى هو وجود (بنيوي) فهي مجرد بنية تشكيلية انعكست عليها بصورة تلقائية معالم الوجود ، كما ان اسلوب الفنان في رسمها هو الذي يحدد هذا المعنى ، اي حينما يحاول الفنان ان لا يصبح عند رسمه اياها تعبيريا او احتماعيا ، ولكنه يصبح موضوعيا وتوثيقيا ليجعل منها مجرد (لقية) من (اللقى) المحيطية .

اني في الفترة الاخيرة ارسم بهذا المفهوم مطورا رؤيتي السابقة من كونها حوارا ما بين الفنان والمحيط (ويضمنه الجمهور) الى كونها وجودا مستقلا للوجود الفني كلوحة مقتطعة من المحيط نفسه وفي هذا الحال يتضح لي ان تجسيد العمل الفني (كبنية) مادية وثقافية معا يعتمد على مدى امكانيتي في حجب (ذاتي الفاعلة) عن اللوحة وكذلك في تجنب اشكالات حضور الجمهور وذوقه على حساب ثقافة الفنان

وهكذا فاني في اسلوبي التأملي كتجريد بنيوي Structural Abstraction احاول ان احقق موضوعية انجازي الفني أكثر من السابق

بالاضافة الى نشاط شاكر حسن ال سعيد الفني فقد تفرغ منذ سنة من التدريس في معهد الفنون الجميلة في بغداد للكتابة عن جوانب في سيرة الحركة التشكيلية في العراق من خلال روادها ، اذ انه عرف بنشاطه في الكتابة النقدية والتحليلية ، التي ترامنت مع تجربته الفنية العريضة ■■

اياد الموسوي

عرس !

● في عام ١٩٣٦ اقيم بمعبد المعابد الانثوسية عرس بهيج الانف النامل احتفل الاهل بحرهم خارج المعبد في انتظار اتمام مراسيم العرس ، وخرج العروسان بعد ساعات فاذا بهما زوجان من القردة . زينت الانثى منهما بجاملات بآلاف لا تقدر بثمن . وكان احد المهراجات يقتني هذين القردين ، ولم يكن له اولاد فاراد ان « يفرح » بهما وامر باعداد ذلك العرس الكبير!

مقالات وكلمات

بكاء المرأة

■ تضحك المرأة متى تمكنت ولكنها تبكي متى أرادت

(جورج صاند)

■ عندما تبكي المرأة . تتحطم مقاومة الرجل .

(شكسبير)

■ كل امرأة تظل على خطأ حتى تبكي . . وعندئذ تصبح على صواب فورا

(هاليرتون)

■ انا لا استطيع احتمال بكاء امرأة الا بين دراعي امرأة اخرى . وفيما عدا ذلك فانا لا احس باي شيء .

(غاستون كافييه)

■ اي جمال في الطبيعة يستطيع ان ينافس جمال المرأة التي تحب

(لامارتين)

■ على قدر حب المرأة يكون انتقامها .

(ابراهيم المصري)

■ المرأة تحب من يحبها . . واما الرجل فيحب المرأة . .

(هيدار)

■ الحب شعلة لا تدخل نفس المرأة حتى تطهرها . . . . .

(جول دي كاستين)

■ المرأة تحيا لتسعد بالحب . . والرجل يحب ليسعد بالحياة

(جان جاك روسو)

■ الجمال للمرأة . . كالمال للرجل . . قوة وسلطان .

(دوروتي ماي)

■ المرأة الجميلة تطرب لشروق الشمس . وتنسى ان لها أفولا . . .

(تشارلز ديكنز)

■ الجمال للمرأة ضرورة وللرجل ترف . .

(شيشيرون)

...chinson's case report may have been ... however, by an observation in ... Tadh... of Ali Ibn Isa of Bagdad (940-1010 A.D.) ... noted a relationship between the inflamed ... arteries and visual symptoms (3). In speaking ... removal and cauterization of arteries, he ... stated, "By these means one treats not only mi... graine and headache in those patients that are subject to chronic eye disease, but also acut... sharp catarrhal affections, including those sh... ing beat in and inflammation of the tem... muscles. These diseased conditions may ... nate in loss of eye sight...."

...myalgia arteritica

SIR,—There are two factual errors in your leading article on polymyalgia arteritica (23 April, p 1046) which require correction if future generations are not to be confused. The first is that Jonathan Hutchinson (1890)[1] has many years' precedence over Horton (1932)[2] in describing temporal/cranial/giant-cell arteritis, although it is not unlikely that Ali Ibn Isa,[3] born in Baghdad in AD 940, deserves precedence over both. He noted a relationship between inflamed arteries and visual symptoms not only in migraine but also in "affections showing heat in, and inflammation of temporal muscles. These conditions may terminate in loss of sight."

وفقرة من مجلة الطب الامريكية (العدد الاول ـ يناير ١٩٧١ ـ المجلد ٥٠)

فقرة ماخوذة من المجلة الطبية البريطانية (العدد ٦٠٧٢ ـ ٢١ مايو ١٩٧٧)

خبر عمره تسعة قرون !

في تذكرة الكحالين

أول وصف لمرض التهاب الشريان الصدغى

TEMPORAL ARTERITIS

بقلم الدكتور : محمود الحاج قاسم محمد

للانصاف ، لابد أن تذكر أن شرف الدين علي بن عيسى البغدادي الكحال ، هو أول من وصف هذا المرض : التهاب الشريان الصدغي .. وكان ذلك منذ حوالي تسعة قرون !

للموضوع جوانب ثلاث

الاول ـ تعريف المرض ، حيث من المهم إعطاء فكرة مبسطة عن هذا المرض مرض التهاب الشريان الصدغي **Temporal Arteritis** ، مرض غير نادر ، سببه غير معروف ، يصيب كبار السن ويصيب النساء بصورة خاصة وهو التهاب يحدث على الأغلب في شرايين الصدغين إلا أنه يصيب بقية الشرايين كشرايين القحف وشبكية العين ، والدماغ ، وجسم القلب ، وأحيانا ينتشر في شرايين الجسم كله

أما التغيرات المجهرية التي تحدث في الشرايين ، فهي عبارة عن تجمع خلايا وحيدة النواة وخلايا ملازمية مع خلايا عملاقة ، ويصاحب ذلك تنخر في قناة الشريان ، وعقب تكون النسيج الحبيبي يظهر تندب ، وأحيانا يحدث تخثر في القناة

أعراض المرض تتلخص مما يلي صداع شديد ، رهاب الضوء ، اضطراب في الرؤية وأحيانا يؤدي الى فقدان البصر أما الأعراض العامة فهي ارتفاع في درجة الحرارة ، نحول ، آلام روماتيزمية في العضلات والمفاصل ، فقدان في الشهية ، انحطاط في القوة .

أحيانا تكون الأعراض بسيطة يتشافى المصاب بعد أشهر ، وأحيانا تكون شديدة تؤدي الى الوفاة خاصة عندما تكون الاصابة في شرايين الدماغ أو القلب

علاج المرض سابقا كان مبنيا على سل الشريان الصدغي أو كيه ، أما في الوقت الحاضر فان العلاج المفضل هو حبوب البريدنيزولون

● الثاني ـ ذكر المرض لاول مرة :

وهو الجزء التاريخي والاساسي من الموضوع

في العدد (٦٠٧٢) ٢١ ـ مارس ـ ١٩٧٧ من المجلة الطبية البريطانية (بي ام جي) .B.M.J ، كتب (جي دبل يو.بولي) J.W.PAULLEY ، في رسالة لرئيس التحرير ، نقتطف منها الفقرة التالية « سيدي ـ هناك خطآن بينان في بحثك عن التهاب العضلات العام الشرياني Polymyalgia Arteritica ، المنشور في العدد ٢٨ ـ نيسان ـ ١٩٧٧ من المجلة ، يقتضيان التصحيح لأجل ان لا يختلط ذلك بالنسبة للأجيال المقبلة ـ اولهما ـ ان جوناثان هجنسن Jonathan Hutchinson ، سنة ١٨٩٠ ، قد سبق بسنوات عديدة هورتون Hortion ، سنة ١٩٣٢ ، في وصف مرض التهاب الشريان الصدغي والقحفي في الحجيرات العملاقة cranial temporal giant cell arteritis ، علما بأنه ليس من المستبعد أن يكون علي بن عيسى المولود في بغداد سنة (٩٤٠م) هو الذي يستحق ان يعتبر أسبق من الاثنين فقد لاحظ بأن هناك علاقة بين الشرايين الملتهبة وأعراض الرؤية ليس في داء الشقيقة فحسب وانما في اصابات الحرارة والتهاب العضلة الصدغية ، والتي قد تؤدي الى فقدان البصر » ، ويشير بأن مصدره في ذلك مقال منشور في مجلة الطب الامريكية Medicine عدد ١ مجلد ٥٠ كانون الثاني ١٩٧١ المقال بعنوان (التهاب الشريان في الخلايا العملاقة مع التهاب الشريان الصدغي GIANT CELL ARTERITIS INCLUDING TEMPORAL ARTERITIS بقلم جارلوس ار هاملتون ورملائه ، وعند رجوعي للمقال المذكور وجدت فيه هذه الفقرة

ان الحالة التي سجلها هاجيسون Hutchinson ، قد سبق أن لوحظت في تذكرة علي بن عيسى من بغداد (٩٤٠ ـ ١٠١٠م) الذي بين العلاقة بين الشرايين الملتهبة وأعراض الرؤية ذكر ذلك عندما تحدث عن سل الشرايين وكيها قال علي بن عيسى (٭٭٭٭٭)

ولدى رجوعنا الى كتاب تذكرة الكحالين لعلي بن عيسى الكحال ـ الاصل العربي ـ ، وجدنا بأن الفقرة التي ذكرها هاملتون موجودة فعلا ونصها حسب ما جاءت في الاصل العربي كما يلي « الباب الخامس والعشرون ـ في سل شريان الصدغين وكيها ـ قد تعالج أوجاع الشقيقة والصداع والذين تعرض لهم نزلات مزمنة في الأعين او نزلات الاصداغ حتى ربما خيف على البصر التلف »

ثم بعد ذلك يصف كيفية اجراء عملية سل الشريان وكيه فيقول « فينبغي حينئذ أن تأمره بحلق الرأس وتفتش عن الشريانات بالاصابع بعد تسخين الموضع

(٭) الكحال ـ علي بن عيسى/ تذكرة الكحالين ، الطبعة الاولى ١٩٦٤ ص ٣٤

بالدلك وبالكماد بالماء الحار ويكون ذلك بعد شد الرقبة والخنق الرقيق حتى اذا ظهر الشريان علمت عليه بالمداد ثم تحدب الجلد اليك بالاصبعين من اليد اليسرى ثم تشقه بالمقراض شقا معتدلا ويكون الشق في الجلد وحده ـ ثم تمد العرق اليك بصنارة حتى يخلص من جميع جهاته وتكويه ، فان كان الشريان دقيقا فأدخل تحته مبضعا وابتره » (*) فتحية إكبار اوجهها لهذا الطبيب العربي المسلم الذي استطاع بعقله النير وتجربته الرائدة ، ان يدخل اسمه في سجل التاريخ الطبي كأول واصف لهذا المرض ، وباعتراف كل الباحثين عن تاريخ هذا المرض

الثالث ـ رحلة علي بن عيسى

هو شرف الدين علي بن عيسى الكحال ، على الأرجح كانت ولادته ووفاته بين (٩٤٠ ـ ١٠١٠م) طبيب كحال عربي مسلم من بغداد ، عاش زمن المتوكل ، من أشهر أطباء العيون العرب له كتابان

الاول كتاب (مخطوط) اسمه المنافع التي تستفاد من اعضاء الحيوان

الثاني هو كتاب تذكرة الكحالين الذي اشتهر به

يعتبر كتاب تذكرة الكحالين بالنسبة لمؤرخي الطب أول كتاب جامع لنظريات المتقدمين وتجربات المحدثين في أمراض العيون وعلاجها وهو مع ما فيه من الخصوصية قد احتوى على جميع ما لابد منه في موضوع واحد في الطب وبقي هذا الكتاب نصا وحيدا لطلبة الطب ومرجعا عاما لاطباء القرون الوسطى في الأزمنة التي لم يبق فيها اثر لطب اليونان والاعريق إلا ما كان محفوظا في التراجم العربية ولم يكتف الكحال بجمع نظريات اليونان فحسب بل نقدها وزادها وأضاف اليها تجرباته الشخصية كطبيب ماهر وحكيم حاذق ، ولأجل ذلك قد تفرد هذا الكتاب في فنه لكونه مجملا ومفصلا وجامعا ومانعا وخاليا من عيوب القدماء ومحتويا على تجارب لم تكن معروفة حتى عند الاطباء اليونانيين ـ كما قال الطبيب الألماني هرش برج في مقدمته الألمانية (لكتاب التذكرة) وقال ايضا ان علي بن عيسى أول كحال اقترح التنويم والتخدير بالعقاقير في العمل الجراحي ولم يكن معروفا عند اليونانيين وذكر هرش برج هذا الكتاب في الصفحة السادسة من كتابه المعروف Die Artbischen Leuhrbucher der Augenhil Kunde Berlin - 1905 الذي طبع في برلين سنة ١٩٠٥م وقال فيه هذا أصح الكتب من الكتب القيمة في هذا الفن ، وقد وصل الينا على ما كان في اللسان العربي » (*)

الكتاب مقسم على ثلاث مقالات الاولى في تشريح أعضاء العيون والبحث عن وظائفها والثانية في الأمراض الظاهرة والثالثة في الأمراض الباطنة ، وفي آخرها ذكرت الادوية المفردة التي تفيد في علاج العيون على وفق حروف الهجاء ، وبين أيضا مائة وثلاثين مرضا مما يتعلق بالعين خاصة ودل على علاجهابمائة وثلاثة واربعين دواء

طبع الكتاب سنة ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م في الهند عني بتصحيحه والتعليق عليه الحكيم السيد غوث محيي الدين القادري الشرفي

وكلمة أخيرة

لابد من ذكرها ، بأن ما ذكرناه دليل بسيط يضاف للأدلة الكثيرة التي تبين بان في تراثنا الطبي ـ كغيره من أنواع التراث ـ كنوزا نجهل الكثير منها ، واذا كتب عن بعضها مقالات ودراسات نشرت هنا وهناك فانها مازالت في حاجة الى من يسبر اغوارها ويكشف عن الصفحات المشرقة المطوية فيها وأن ذلك الدين يقع في المقام الاول على عاتقنا نحن العرب قبل الغرباء ، أما عندما يقوم به أناس غير العرب (من أمثال من ذكرنا في هذا المقال) انصافا واحقاقا للحق عندها يستحق مثل هؤلاء منا التحية والاكبار ألف مرة . ■■

(*) مقدمة محقق كتاب تذكرة الكحالين (المصدر نفسه) بقلم الحكيم السيد غوث محيي الدين القادري الشرفي

قصة قصيرة

من عجائب الصدف

بقلم حسني فريز

لماذا لا يستطيع النوم ؟ ما سبب الارق ؟ انه أبدا يعمل طول النهار فلا تأتي الساعة العاشرة الا وقد دب النعاس الى جفنيه ، وانساب في اعضائه ومضى الى الفراش ، ولا يستيقظ الا في الساعة الخامسة في الصباح او بعيدها

ليس له ولع بالليل ، ويستغرب كيف يتغنى به الناس، وكيف لا يطيب الغناء الا بمناداة الليل حقا ان الكلمة ذاتها لينة خفيفة وترجيعها في مقدمة الغناء له حلاوته وقد سمع الناس يقولون الليل نقل الاديب والنقل ما يتنقل به مع الشراب كالفستق . فكأن الليل يعين على انتاج الادب ، مثلما يعين النقل على الشراب

انه الليلة لا يحس بالتعب ولا بالنعاس تناول سيجارة وراح يدخنها في غرفة النوم ماذا صنع بنفسه ؟ لقد ترك زوجته ليلى او عروسه ولم يمض على العروس الا اسابيع وجاء الى لندن انه مضطر ما في ذلك ريب لا بد ان يرى عملاءه التجار الذين يتسلم بضائعهم ويتلقى على بيعها عمولة مجزية لا ينبغي ان يلوم نفسه على هذا الفراق المؤقت بل لعله استجمام للفريقين

هو ينيف على الاربعين منذ زمن وعروسه عانس نصبت له شراك الحب فوقع فيها كانت تبادره من حيث يدري ولا يدري ، وتقف له بكل طريق متبسمة مرة وأسيفة مرة اخرى وفي كلتا الحالتين تنصب له الشرك ، ويعرف انه شرك ولكنه يستحبه تدعوه الى نزهة ، تمضي به الى بيتها ، وتولم له وتنظر الى كل ما يحبه فتقربه له او تفعله من اجله ، والحق ان لها صوتا ساحرا ، فاصبح لا يطيق عنها ابتعادا في اول الامر كان يحس انه يفتقد شيئا ، فيحاول ان يعرف ما الذي يبتغيه فلا يدري ويظل حائرا حتى يرن الهاتف صباح الخير ذكرتك امس باللفظ ولو انك لا تغيب عن خاطري ، كنا جماعة من الاقرباء والصديقات ، كانت كل الضحكات والحديث بلا لون ، بلا معنى اتدري لماذا ؟ لانك لم تكن بيننا اسمع لا تقاطعني هذا شعوري

بعد سماع كلامها يغمره السرور ، وينقله الى آفاق من النشوة ان صوتها موسيقي اكثر سحرا من اي موسيقى عرفتها اسماعه

كان جليل لا يبالي بمصيره في سبيل ان يستمع الى صوتها منخفضا ومرتفعا او ممزوجا بالضحكة التي يصدح فيها كل ما يشيع في الروح الطرب انه يستعيد على ذهنه بعض الامور لا ليثبت رأيه في صواب الزواج ، بل هي ذكريات قريبة حلوة . انه لا يشكو هذا الزواج ، الا انه يجد في نفسه ذكرى تواكبه ايضا ولا

يستطيع منها فكاكا لكن لماذا ؟ انه الآن قد تجاوز
الاربعين من زمان وكان ينبغي ان يتزوج أليس من
حقه ان يكون أبا ؟ وماذا يقول الناس لو ظل معاشرا
لتلك العانس سلمى من غير رباط شرعي ومن غير امل
في الانجاب ؟ ماذا يقولون ؟ لقد قالوا بالحق بالباطل فيه
وفيها ولم يؤثر القيل والقال في حياته اليومية فتجارته
رابحة والناس لم ينقطعوا عن التعامل معه ، وبيته عامر
ولم يمتنع احد من معارفه او اصدقائه عن زيارته هم
وزوجاتهم . كل ذلك حصل ايام كان حديث الناس على
اشده كان الناس يتكلمون وأثر في كلامهم زمنا ثم
سئمته وتعب الناس فسكتوا . حقا ان ايامي مع سلمى
كانت بهيجة ولم يكن بيننا ما يدعو الى اي شكوى من
كلينا واخيرا هي التي الحت على ودفعتني الى

الزواج نعم هي لكنها لما ان رأتنا عروسين كادت
عيناها تدمعان حقا وغيرة مسكينة ذلك قدرها ان
تذوق مرارة الفراق وقدري ان اجد المرارة في فمي وفي
نفسي لانني لم اكن وفيا

مسكينة انها الان في المكان الذي لا تجد فيه زوجا
يذهب عنها غول الوحدة نعم انها وحدها الآن من غير
انيس ولا جليس ، لكنها تحب القراءة والكتابة وتتسلى ،
الا ان القراءة ممكنة ايام النشاط والفتوة ، حين يقرأ
الانسان ساعات وهو مستغرق لا يحس بتعب ، اما بعد
ذلك فان القوة تتضاءل . لماذا ألوم نفسي على هجرها ؟
كلانا كان يخشى الفراق ولكنني كنت مضطرا امام
الضغط الاجتماعي . آه من المجتمع ومن اعتباراته . لقد
الناس الآن اشد ضراوة واكثر وضوحا منه قبل الزواج

قبل ان اتزوج قالوا ينبغي ان لا ابقى بغير حلف قالوا (ابن الشارب للحية واس الشيبة للحيبة) ومع الايام خفت من الخيبة التي قرعوا بها سمعي ، وخرقوا بها بلدي ، ماذا فعلت ؟ سيت تلك التي منحتني مودتها ، وصفاء حبها ، سيت انقطاعها لخدمتي وتفقدها لمواقع مسرتي ، ابي ناكر الجميل ، لكن الم يكن دلك متوقعا ؟ الم يكن سيفا مسلولا فوق رأسينا ، وقد صاقت هي بالخوف من الفراق ، وطوقتها الفكرة ، وارعجها الترقب واقلقتها محنته فمررت عيشها واخيرا رأت ان لا بد لها من مواجهة المصيبة فألحت واشارت ثم صرحت باستحال الواقعة ولا ريب انها هي ، والناس ونفسي قد اشتركنا في اتخاذ القرار

كلانا كان عرضا لكلام الناس ، وعشنا في جو مشحون بالوان الهذر والعيبة لست ادري ما شأن الناس ونحن لم نؤذ احدا منهم بل لقد كنا ابدا نعين على نوائب الايام ، وقل بين الناس من ينفق من وقته ويسخو بجاهه وبماله اكثر منا ، ومع دلك انعقدت فوق رأسينا سحب سود من القيل والقال وصاب كثيف من الحسد والضغينة ، واحيانا يبدو بالاعتذار والشعور بالمواساة ، ما هو بالنكاية والتشفي احذر ومن هذا وذاك واشباهها صرنا لا نطيق الحياة الى ان تروحنا وافترقنا

غير ان الناس لم يسكتوا ، بل انفتح باب جديد لالوان النقد ، كيف تركت صديقتي التي صحت من اجلي ، لقد طرحتها حين لا تستطيع ان تتخذ لنفسها رفيقا لم افعل ذلك من سنوات ، ايام كان البديل ممكنا ، ان في هذا الفراق انتقاما او كأنه انتقام وهكذا

بقينا في نفس الدوامة التي كنا فيها هدفا للسباب والشتائم والنقمة والحسد ، ضاق صدري وعيل صبري ، الافضل ان لا اعير الناس سمعي فاستريح

وهنا رن جرس الهاتف فتناولت السماعة مرحبا من اين ؟ من هنا من لندن ؟ في اي فندق ؟ في نفس الفندق الذي انا فيه ما احلى هذه الصدفة احلى من الف موعد كيف عرفت اسمي هنا في غرفة الاستقبال ؟ جارة لي في نفس الطابق في الغرفة المجاورة رقم ٩ سألبس ثيابي وآتي

انت لابسة وستأتين ؟ أهلا والف اهلا ومرحبا ■

عمان ـ حسني فريز

قطر الندى بنت خمارويه

كانت قطر الندى مع جمالها موصوفة بفضل العقل خلا بها المعتضد يوما للانس في مجلس افرده لم يحضر غيرها ، فلما نام ، خرجت فجلست على باب المجلس ، فاستيقظ فلم يجدها فاستشاط غضبا « ، ونادى بها فاجابته على قرب .

فقال : ما هذا ؟ استخليتك اكراما لك ، ودفعت اليك مهجتي « دون سائر خطاياي ، ثم تتركينني وتخرجين ؟.

ـ فقالت : ياامير المؤمنين ، ما جهلت قدرما نعمت به علي واحسنت فيه الي ، ولكن فيما ادبني به ابي ان قال لي : لا تنامي بين الجلوس ، ولا تجلسي بين النيام . فاستحسن المعتضد اعتذارها .

السنغال في مصيدة التغريب

● نشرت مجلة العربي في عدد يناير/ ٨٢ استطلاعا تحت عنوان « السنغال في مصيدة التغريب » والحقيقة ان هذا الاستطلاع قد اتاح لكافة القراء العرب معرفة الكثير عن احوال هذا البلد الافريقي الذي مازال يعاني من وطأة الاستعمار الثقافي

وباعتقادي ان واجبنا ـ نحن العرب ـ نحو هذا البلد الافريقي مساعدته للتغلب على هذا الوضع ان نعمل الآتي

١ ـ ان نمد شعوب غرب افريقيا بالبعثات التعليمية القادرة على تصحيح المسار وانقاذ هذه الشعوب من المصائد التي تنصب لها

٢ ـ امداد هذه الشعوب بالمعونات المالية لبناء المدارس العربية وشراء الكتب اللازمة لعملية التعليم . وقد يستغرب القارىء اذا قلت له ان الجامعة الاسلامية في النيجر قد توقف بناؤها بسبب قلة الاموال اذ ان هذا البناء يتكلف ٦٠ مليون دولار ، لايوجد منها لدى صندوق التضامن الاسلامي سوى ١٨ مليونا فقط

٣ ـ مساعدة هذه الشعوب عن طريق ارسال الكتب الاسلامية والعلمية والادبية المكتوبة باللغة العربية .

محيى الدين سيد سليمان
الاسكندرية ـ مصر .

نسبية الشرعية

○ تعقيبا على ما كتبه رئيس تحرير مجلة العربي عن « الشرعية » في عدد مارس ٨٢ القول ان الجميع يتحدثون عن الشرعية ، والجميع يرونها دائما بجانبهم ، ولا يرونها في غيرهم ، فهم الشرعية والشرعية هم ، ودوما هناك اصوات هامسة في هذا العالم او صامتة ، لا زالت ترى ان ذلك المفهوم لزيف قهري وامر واقع لا مفر منه في سياق التطور الانساني للقوى الحاكمة .

وللعدل انه كما كان لكل زمن رجاله ، فقد كان لكل زمن شرعه وشرعيته . ومنذ ان تطورت المجتمعات لحاكم ومحكوم ، كان الحكام يرون ان كل ما يتهدد بقاءهم خارج عن الشرعية ، وجريمة اجتماعية خطيرة عاقبوا عليها بأشد العقوبات المتنوعة عبر العصور . ومع ذلك تطورت المجتمعات وعرفت شرعيات مختلفة ، وزالت امم وامم وظهرت شرعيات ولايزال الحديث عن شرعية مثالية مثارا للجدل .

وباستعراض عادل لتاريخ الشرعيات يلمح المرء ومضات مشرقة ومشرفة لشرعيات رائعة العدل والعدالة . كأيام الاسلام المشرقة الاولى قبل ان تتحول تلك الشريعة السمحاء مطية للحكام المنافقين اللذين تظاهروا بالحكم بها .

ومن هذا نخلص لنتيجتين : الاولى بأن الشرعية تخضع لمفهوم النسبية فما كان شرعيا بالامس ليس بالضرورة شرعيا اليوم ، واضرب مثالا على ذلك شرعية الاكاسرة ، والاباطرة ، والقياصرة ، والسلاطين ، وهتلر وغيرهم

والنتيجة الثانية ان المجتمعات بتطورها تطور شرعيتها وتقترب شيئا فشيئا من المثالية . وان القوانين والتشريعات لاي مجتمع تمثل القوى الحاكمة لهذا المجتمع فقد تكون الشرعية شرعية فردية او شرعية جماعة او شرعية مجتمع . مع التذكير بان السوء قد لايكون في نص القانون وانما يأتي من خلال تطبيقه ورجاله وعدوانيته

ونعود للتساؤل عن اطار الشرعيات المثالية للمجتمعات ومن المقدمة تدرك ان الامر الاول فيها هو تطور تلك المجتمعات حضاريا ومدنيا وأخلاقيا وادراكها الصحيح للعدالة والحرية والديمقراطية وحقوقها وحقوق غيرها .

فتلك المجتمعات المتطورة عندها ستبسط قوانينها وتوضحها وتحفظ لنفسها بحرية تطوير قوانينها ومناقشتها وان يصبح القانون في خدمة تطورها لا عبئا ثقيلا او قيدا مكروها لها .

الدكتور عبد الاله [illegible]
طرطوس ـ سوريا

جلجامش .. خلافات هامة.

● نشرت مجلتكم الموقرة بعددها المرقم ٢٧٨ الصادر في شهر كانون الثاني ١٩٨٢ ملخصا لملحمة جلجامش بقلم السيد جمال الكناني وقد لفت نظري ان الكاتب ذكر وقائع الملحمة دون الاستناد الى المراجع الاصلية واود فيما يلي بيان بعض الخلافات الهامة.

١ - ان جلجامش لم يكن عازما على الزواج عندما التقى بانكيدو عند مدخل « بيت العرس » بل انه كان على عادته يسبق كل عريس ليلة زواجه فيواقع العروس قبل دخول العريس عليها

٢ - ان جلجامش كان على سابق علم بوجود العفريت همبابا ولم يتوصل الى معرفته عن طريق الحلم

٣ - اهمل الكاتب ذكر حادث مهم من احداث الملحمة وهو محاولة الآلهة عشتار اغراء جلجامش وغضبها منه لصدها وتوبيخها مما دفعها الى انزال الثور السماوي لكي ينتقم لها منه ، الا ان جلجامش تغلب على الثور وقضى عليه بمساعدة صديقه انكيدو وهذا الحادث يمثل نقطة تحول مهمة في مجرى الملحمة اذ انه يؤدي الى موت انكيدو بقرار من الآلهة ترضية لعشتار

٤ - ان النوتي الذي ارشدت صاحبة الحانة جلجامش اليه لم يكن هو صاحب سر الخلود بل انه مجرد نوتي تابع لأوتونابشتيم بطل الطوفان ، وهو الذي اخذ جلجامش في سفينته وعبر به مياه الموت فاوصله الى اوتوناشتيم الخالد

٥ - ان كاتب الملخص جعل من جلجامش بطل الطوفان في حين ان بطل الطوفان الحقيقي هو اوتونابشتيم الذي هو نوح نفسه اما جلجامش فكان خامس ملك من ملوك اور في زمن ما بعد الطوفان

٦ - ان الكاتب قد اعتبر الطوفان الذي ورد في ملحمة جلجامش مستقلا عن الذي ورد ذكره في التوراة في حين ان هناك طوفانا واحدا في التاريخ ، وقد نقل اليهود قصته عن البابليين عند وجودهم اسراء في ارض الرافدين وقد حرفوا الاسماء والوقائع ونسبوها الى انفسهم بحيث صح فيهم قول فولتير

« ان اليهود قد فعلوا اذن بالتاريخ وبالأسطورة القديمة ما يفعله تجارهم بألبستهم العتيقة اذ يقلبونها ويبيعونها كسلعة جديدة بأعلى ثمن ممكن »

بغداد - يوسف بيو

فاسكودي جاما

● قرأت في ملحق العربي عدد ٢٦٦ حديثا عن فاسكودي جاما جاء فيه قوله لاقوا حتفهم في ميناء قليقوت (كلكتا) الهندية ثم جاء بعد سطور قوله وصل فاسكو الى كوا على ساحل الهند الجنوبي الشرقي

ولما كان الكاتب قد أخطأ في موضع البلدين حتت بهذه الكلمة للتصويب آملا نشرها

فالبلدة التي جاءت باسم قليقوت وظنها الكاتب كلكتا هي في الواقع ميناء كاليكوت الواقع في الجنوب الغربي من شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ومدينة كوا هي ايضا تقع على الساحل الغربي من شبه الجزيرة الهندية الباكستانية الى الجنوب من مدينة بمبي (بين بمبي وكاليكوت) وقد كانت مستعمرة برتغالية فحررتها الهند سنة ١٩٦١

قارىء

العربي تأسف ، وما تقوله هو الصحيح

العربي والجزائر

● ان كان في السطور سحرا ، فاننا سحرنا مما تضمنته صفحات مجلة العربي وان كانت الكلمات تروي الظمأ ، فاننا لم نرتو إلا لما نرشف من معين مجلتكم التي - وللاسف - تصلنا باعداد قليلة ومتقطعة ، تتخاطفها الايدي فور وصولها الاكشاك وهذا يدل على اتساع شهرتها وانبساط صيتها ، وفرص وجودها على كل ناطق بلغة الضاد على مستوى العالم العربي والاجنبي وهذا لا يتأتى الا بفضل رجالها ، وسهرهم الليالي من أجل ان تخرج هذه المجلة في الحلة الجذابة وبالشكل الأخاذ ، وبالمضمون الذي لا يستغني عنه كل طالب علم

نادي نوار
ولاية سكيكدة - الجزائر

الاشتراك في مجلة العربي

● نلفت نظر قراء العربي الى أنه قد تم فتح باب الاشتراك في المجلة منذ أكثر من شهرين ولمزيد من التفاصيل نحيل القراء الى الصفحة الخامسة من العدد ، التي تضمنت إشارة الى الراغبين في الاشتراك بالمجلة للاتصال بالمكتب الفني بوزارة الاعلام بدولة الكويت - ص ب ١٩٣ .

عمر المختار

● قرأت في العدد الأخير من مجلة العربي لشهر ربيع الثاني سنة ١٤٠٢هـ فبراير (شباط) ١٩٨٢ م مقالا للأستاذ محمد المنصف عن سيرة المجاهد الشهيد عمر المختار روح الله روحه وقد تناول قصة محاكمته واعدامه فرجعت بالذاكرة الى قصيدة المرحوم احمد شوقي في رثائه التي مطلعها

ركزوا رفاتك في الرمال لواء
يستنهض الوادي صباح مساء

ولقد كنا سمعنا ان الشهيد طلب شربة ماء قبل اعدامه فأبى جلاده عليه ذلك وهكذا قضى ظمآن مظلوما واذا كانت هذه الرواية صحيحة كما ورد في قصيدة امير الشعراء فلماذا لم يذكرها الاستاذ المنصف في مقاله لأهميتها ؟ واذ قرأت مقاله الممتع والفقرة التي تبين عن انقطاع الحبل بالشهيد والكلمة العذبة التي نطق بها ، كتبت الابيات التالية مستوحاة من قصيدة أمير الشعراء

هات الحديث وعطر الارجاء
واشف الصدور فان فيه شفاء
واذكر لنا عمر الكرامة والندى
من ساد في العليا سنى وسناء
واستوح من ذكر الفخار كرامة
كانت تنير جبينه الوضاء
كيف البطولة جُمّعت في واحد
يقفو بها الاسلاف والأبناء
وأبى الخنوع وقالَ قولته التي
سارت منارا للورى لألاء
بادت حبالهمو وبادوا وارتمى
يزري بهم عمر كما هو شاء
راع العدو ببأسه وهو الذي
بعديده وعتاده قد جاء
ان الغرور سقى العدو بكأسه
وجنى عليه مذلة وشقاء
وتنادت الأساد في ساح الوغى
مستبسلين ليطردوا الدخلاء
وقضى من الابطال فرسان سموا
شرفا فكانوا سادة كرماء

الشيخ محمد احمد السطامي
نابلس . دائرة الاوقاف

هذا الكتاب الهام صدر بالروسية مترجما عن الالمانية وقد استعرض في صفحاته ال ٣٧٠ تاريخ اكتشاف الجزيرة العربية ، منذ الألف الرابع قبل الميلاد ، وحتى عصرنا الحاضر . .

وقد صدر الكتاب في موسكو مع نهاية عام ١٩٨١ عن معهد الاستشراق التابع لاكاديمية العلوم السوفيتية ، مترجما عن الكتاب الالماني **Otto Baumhauar. Dokumente Zur Entdeckungsge Schichte, Bd. 1 G. Von Wissmann. Arabien.**

وأهمية الكتاب لا ترجع فقط الى المساحة الزمنية التي تعطيها ، ولكن أيضا لأنه يتضمن شرائح حية من الوثائق الأصلية ، التي خلفها الرحالة والبعثات العلمية بدءا من أول بعثة معروفة الى هذه المنطقة وانتهاء بآخرها

وقد نسقت هذه الشرائح بشكل يعطي لوحة بانورامية بما فيه الكفاية للحياة في الجزيرة العربية على مر العصور ظروفها الطبيعية والمناخية واخلاق سكانها وعاداتهم واحتكاكهم بالشعوب الاخرى المجاورة وكما يشير لوندين في تقديم هذا الكتاب * فإن الجزيرة العربية ، ذات الموقع الجغرافي البالغ الاهمية ، كانت منذ أقدم العصور على ارتباط وثيق بأقدم الحضارات البشرية ، التي قامت في وادي النيل وبلاد الرافدين ، كما كانت تشكل همزة وصل بين مناطق حوض البحر المتوسط وشمالي افريقيا والهند والصين ، وبالتالي فان جذور اكتشاف الجزيرة العربية تعود الى العصور الغابرة ـ وبالتحديد الى منتصف الالف الثاني قبل الميلاد . ففي عهد الملكة المصرية حتشبسوت نظمت الرحلات التجارية الى بلاد « بنط » (الاسم الذي اطلقه قدماء المصريين على المنطقة الواقعة حول بوغاز باب المندب ، على الشاطئين الافريقي والاسيوي) وعلى ذلك تدل الرسومات والنقوش ، التي عثر عليها في الدير البحري . والواقع أنه لا يجوز اعتبار

● نظرا لطبيعة الكتاب الوصفية فقد اقتصرت في عرضه على تعريف القارىء بأهم مراحل تاريخ اكتشاف الجزيرة العربية معتمدا على مقدمتي الكتاب الالمانية والروسية

ـه الرحلات الاولى من نوعها الى بلاد « بنط » اذ يرجع
، بداية الاحتكاك المصرى بالجزيرة العربية تعود الى
الف الرابع ق م . وعلى ذلك تدل الوثائق القديمة ،
ي يعود تاريخها الى الاسرة الخامسة ، ففي حوالى الالف
ثاني ق م غادرت ميناء القصير على البحر الاحمر فرقة
امها ثلاثة الاف محارب على سفينة بيبلوسية التصميم
ممة وجهها شطر بلاد العطور

وفي العصر الهلنستي ازداد احتكاك الجزيرة العربية
بالبلدان المجاورة ، بعد أن تحولت الى مركز تجارى دولى
ير وكان من البديهى أن تكون العوامل الاقتصادية
افرا للدراسة العلمية ، فوضعت في هذه الفترة أول
خارطة للجزيرة العربية وذلك على يد بطليموس في حوالى
ام ١٥٠ ق م كما تم وضع دليل تجاري وملاحى
بحر الاحمر والمحيط الهندى

وفي بداية القرن السابع الميلادى حدث انعطاف حاسم
تاريخ الجزيرة العربية . فمع ظهور الاسلام وقيام
الدولة الاسلامية تحولت البلاد الى مركز سياسي
ايديولوجي للدولة العظمى ، الممتدة من المحيط
الاطلسى غربا حتى حدود الصين شرقا ، وعلى الرغم من
انتقال مركز الخلافة الى دمشق ، ومن ثم الى بغداد ، فقد
ظلت الجزيز العربية محافظة على اهميتها كمركز ثقا
وفكرى لعالم الاسلامى

همزة الوصل

وكان من الطبيعى أن تساهم النهضة العلمية ز
الخلافة الاسلامية في كشف صفحات جديدة من تار
الجزيرة العربية ففى هذه الفترة وضع ابو محمد الح
بن احمد الهمدانى (توفي في النصف الاول من الق
العاشر الميلادى) وصفا جغرافيا مفصلا لشبه جـ
العرب والف كتابا خاصا مكرسا للمعالم الاثرية والمعـ
فيها ـ « صفة جزيرة العرب » ، ومن المرجع أن
الكتاب يعتبر الاول من نوعه في العالم في مجال ا
الاثرية ، وأحد الاعمال الجغرافية البارزة في الـ
الوسطى فنحن مدينون للهمدانى بالوصف البالغ
لوضع جنوب الجزيرة العربية في القرن العاشر الميـ
ومظاهرها الطبيعية واجناسها وقبائلها وثرواتها و
ومواطن الاستقرار البشرى فيها . كما ان كتابه ها
همزة وصل قيمة بين المصادر الرومانية والاغريقية
نتائج الابحاث والدراسات المعاصرة

أما الرحالة العربي المشهور ابن بطوطة فقد زار جزيرة العرب أربع مرات ، وكانت رحلاته مكرسة لدراسة الوضع الجغرافي والتاريخي والسياسي والديني والاقتصادي في هذه المنطقة ، ويعتبر فاتحها الاول بحق

بيد أن الكثير من انجازات العلوم العربية وما يجرى في شبه جزيرة العرب ظل مجهولا بالنسبة لاوربا التي كانت غارقة في ظلام العصور الوسطى ، ولم يقتصر الامر على ذلك ، بل ان اوربا فقدت حتى تلك المعلومات ، التي كانت متوفرة لدى الاغريق والرومان ، وهكذا فبعد الكشوف الجغرافية العظمى اضطرت اوربا الى البدء باكتشاف الجزيرة العربية من الصفر ، وبالتالي فان اصطلاح « اكتشاف » جزيرة العرب يطبق على العلوم الاوربية فقط

الكشوف البرتغالية والايطالية

منذ بداية الكشوف الجغرافية العظمى احتلت الجزيرة العربية مكانة متميزة في الابحاث والبعثات الجغرافية الاوربية فلم يكد فاسكو دى جاما يكشف الطريق البحرى الى الهند حتى بدأت السفن البرتغالية تحط الرحال على الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة العربية ، وقد رأى البرتغاليون في الجزيرة العربية منافسا خطيرا لهم في التجارة مع الهند ، فعمدوا الى وضع حد لهذه المنافسة بأبشع أساليب القرصنة ، مستغلين قوتهم العسكرية ولم تلبث أن ظهرت نقاط الاستناد البرتغالية على ساحل الجزيرة العربية ، ولما كان هدف البرتغاليين هو القضاء على التجارة بين الهند والجزيرة العربية ، فانهم لم يهتموا باكتشاف المنطقة ، ولم يصلوا الى أعماقها الا كأسرى ، ومما لا شك فيه أن وجودهم - وان كان محدودا - قد زودهم بالمعلومات الهامة عن هذه المنطقة ، ولكن رغبتهم في الاحتكار جعلتهم يحتفظون بهذه المعلومات طي الكتمان ، وبالتالي فان نشاطهم لم يتمخض عن أية نتائج علمية

وكان نشاط منافسيهم الايطاليين اكثر جدوى ، فقد كان هذا النشاط أحد الاسباب الكامنة وراء رحلة لودفيكو دى فارتيما في بداية القرن السادس عشر ١٥٠٣ - ١٥٠٥ ، الذى كان أول أوربي يزور مكة والمدينة وعدن وصنعاء ، وعلى مدى طويل ظلت نتائج رحلته المصدر الوحيد للتعرف على الجزيرة العربية في اوربا

وفي القرنين السادس عشر والسابع عشر لم تكن المعلومات عن جزيرة العرب تصل اوربا الا عن طريق الاسرى ، الذين كانوا يرافقون اسيادهم الحجاج ، أو عن طريق التجار ، الذين كانوا يترددون على اليمن وحضرموت والمناطق الداخلية وفي هذه الآونة يكتسب جنوب جزيرة العرب شهرة عالمية ويطلق عليه اسم « بلاد البن » ، حيث كان البلد الوحيد في العالم الذى كانت تنمو فيه شجرة البن آنذاك

ومن بين الرحالة المشهورين في هذه الفترة برز الرحالة الالماني فيلدين ، الذى زار مكة في عام ١٦٠٧ والهولندى فان دين بروك ، الذى زار مرافيء جنوب جزيرة العرب اكثر من مرة ، وقام في عام ١٦١٦ برحلة من مخا الى صنعاء

« كولومبوس جزيرة العرب »

في عام ١٧٦١ وصلت أول بعثة علمية عربيه الى الجزيرة العربية وقد ضمت هذه البعثة المستشرق جريستيان ، وعالم النبات فورسكول والطبيب وعالم الحيوان كرامر والفنان باوريبعايند والجغرافي نيبور وقد قامت هذه البعثة بدراسة اليمن بشكل خاص ووضعت أولى خرائط البلاد ووصفا رائعا لثروتها النباتية ورسمت لوحة مفصلة للحياة السياسية في كتاب نيبور « وصف الرحلة الى جزيرة العرب والبلدان المجاورة » وهذا الكتاب الذى صدر في ثلاثة مجلدات منذ أكثر من قرنين من الزمن (طبع آخرها في عام ١٨٣٧) والذى لا يزال ، على الرغم من قدمه ، أحد المراجع الاساسية للتعرف على المنطقة اضف الى ذلك أن هذه البعثة ونتائجها كانت أكبر حافز لتنظيم بعثات ورحلات أخرى الى الشرق الاوسط ، فلاغرابة اذن أن يعتبر كارستين نيبور كولومبس جزيرة العرب في العصر الجديد

وفي القرن التاسع عشر استمرت الدراسات الجغرافية للجزيرة العربية بوتيرات أكثر سرعة ، وقد برز من بين الرحالة في هذا القرن زيتسين ، الذى تجول في شمال ووسط وجنوب الجزيرة العربية ، والذى ضاعت آثاره في رحلته الاخيرة في عام ١٨١٥ واذا كان نيبور هو أول من تحدث عن الآثار القديمة في مأرب دون أن يراها فان الفضل في اكتشاف النقوش القديمة في مأرب يعود الى زيتسين ، حيث قام اثناء رحلته الاخيرة بارسال خمسة نصوص عثر عليها في اطلال ظفار ، العاصمة الحميرية القديمة ، ولكن هذه النصوص كانت عبارة عن نتف صغيرة سيئة النسخ ، ولذا فان رموزها لم تحل حتى الآن

المسجد الكبير في مكة المكرمة
من رسوم كتاب كارستين بيوري وصف حريرة العرب ١٧٧٢'

« النقوش . . النقوش »

ي عام ١٨٣٤ اكتشف ضباط البعثة الجغرافية
انية او يلستيد وكروتيندين وخالتون اطلال حصن
وعدة نقوش محفورة على الصخر ، بما فيها نصا
، لعب فيها بعد دورا بالغ الاهمية في دراسة تاريخ
القديم

بد أثار اكتشاف هذه النقوش القديمة اهتمام القنصل
سي في حلة فرينيل ، الذى سبق له أن نشر عدة
، حول تاريخ جزيرة العرب في القديم ، فأقنع
لى الفرنسي ارنو العامل في الفوج المصرى المتمركز
ة بالقيام برحلة الى مأرب بحثا عن النقوش القديمة ،
الرغم من أن رحلة ارنو كانت محفوفة بالمصاعب
اطر فقد تكللت بالنجاح الباهر ، حيث زار مأرب
ودرس سدها العظيم واكتشف اطلال صرواح ـ العاصمة السبأية القديمة ، قبل مأرب وقد جلب أرنو نسخ عشرات النقوش ، التي لعبت دورا اساسيا في تطور العلم السبأى ، الذى يدرس لغة وتاريخ وثقافة الجزيرة العربية في القديم

وفي عام ١٨٦٩ أرسلت الاكاديمية الفرنسية للنقوش والفنون الجميلة أحد علمائها ـ هاليفى ـ الى اليمن لجمع ودراسة النقوش القديمة وقد عاد هاليفى وفي جعبته حوالى ٧٠٠ نسخة من النقوش القديمة والاهم من ذلك أنه اكتشف دولة معين القديمة

أما غلازر ، الذى كرس كل حياته لجمع الاثار اليمنية القديمة ، فقد قام بثلاث رحلات طويلة الى الجزيرة العربية في الفترة ما بين ١٨٨٢ و١٨٩٤ حيث جمع عددا كبيرا من النقوش القديمة يربو على ١٨٠٠ وبفضل

شاكر حسن آل سعيد
ورحلة رائد تجربة البعد الواحد

بقلم : اياد الموسوي

المغامرة التي خاضها الفنان التشكيلي العربي ، عندما فلسف الخط العربي الى اتجاه تشكيلي واطلق عليه اسم « البعد الواحد » هذه المغامرة وضعته امام عالم جديد ، ليس بعيدا عنه ، ولكنه مكتنز في وجدانه ولسانه ومعرفته الجنينية . كيف اكتشف الفنان هذه النافذة ، نحو هذا العالم ؟. يحدثنا الفنان التشكيلي العراقي شاكر حسن السعيد . احد أهم رواد الحركة التشكيلية في العراق مفكر متصوف له العديد من البحوث النظرية التي تبحث حدليات الوحود .. وطبقاته وحضورها في العمل الفني

يحدثنا عن الحركة التشكيلية في القطر العراقي باعتباره من الرواد المؤسسين لجماعة بغداد للفن الحديث ، التي ترأسها الفنان العراقي الراحل حواد سليم ، وكان شاكر حسن ال سعيد من منظريها واعضائها النشطين

« ان الرواد الاوائل للفن العراقي هم اولئك الذين وضعوا الاسس التي تطور من عندها هذا الفن ، تطورا وطيدا ، وانا لا استطيع ان اعتبر نفسي من هذا الرعيل

ومع ذلك فان دوري في الفن العراقي يتحدد في مساهمتي بتأسيس جماعة بغداد للفن الحديث عام ١٩٥١ مع جواد سليم ـ وفي تحديد أهمية الطرح الفني الحضاري من خلال كتاباتي النقدية الاولى في الصحف والمجلات المحلية والعربية فضلا عن أعمالي الفنية نفسها »

هكذا يحدد شاكر حسن ال سعيد دوره في نمو الحركة التشكيلية المعاصرة في العراق . ويشير الى تأثر الفنانين العراقيين بالفن الاوروبي عندما يقول

ـ رسمت في البداية متأثرا بالفن الاوروبي ، سيزان وفان جوخ ، والوحشيين ثم اكتسبت تأثيرات عربية واسلامية وشعبية في منتصف الخمسينات ، وهكذا استطيع أن أقول اني كنت من اوائل الفنانين العراقيين الذين عمقوا مفهوم التراث في الفن العراقي الحديث قبل ثلاثين عاما مضت

حينما حسم شاكر حسن ال سعيد موقفه في التمسك بالعمل الفني كانعكاس لشخصيته . انطلق منذ أكثر من ثلاثين سنة من التعبير الانطباعي ، ولم يكن يعرف تماما لماذا كان سيزان يستهويه عن سواه ، وحينما سأله مرة استاذه في مرحلة دراسته الجامعية .. ماذا يعجبك من بيكاسو ؟ قال اني لا أفهم بيكاسو ولكنني استطيع ان أفهمه في المستقبل وسأعجب به .. حينئذ ، أما الان فانا احترمه فحسب ..

العودة الى الطفولة

كانت شمس تشرين تطل عليه من بعيد متعكسة على واجهات الابنية في مدينة الكويت ، عندما انهمك في البحث عن مدخل في موضوع ابداعه الفني ومن أين يبدأ في ابداعه ؟

يقول . لم أكن لاحد إلا عند العودة الى طفولتي ، ولقد عثرت عليها مدونة في مقال لي حول الطفل وحضور الانسان .. وطفقت اقرأ في كل مرة هذه العبارة ألا تكمن قطرة الطل في هذا المستنقع ؟

كانت ألوان شاكر تنبع من أحزانه .. ولم تكن لتنبع من أحقاده ، فهي اذن ألوان هادئة وحينما تصبح الألوان هادئة تنتقل نقطة البحث عند الرسام الى مستوى الابعاد في الشكل او الحجم ، او الخط

لذلك فانه اختار سيزان .. لكنه تحول بعد الخمسينات الى الفنان العراقي القديم .. ثم الى المزخرف الاسلامي ، والخطاط العربي .. وتختلط في بحر ثلاثة اعتقاد مهمة الرسام التشكيلي بمهمة الفنان الحضاري ثم الكوني ، وهذه هي محاور المراحل الفنية التي مر بها شاكر حسن آل سعيد

منذ عشر سنوات أسس تجمع البعد الواحد ، وأخذ يفلسف كل أبحاثه بمفهوم البعد الواحد هذا من الناحية التقنية أما من ناحية الرؤية . فانه يرى العالم كوحدة وجود صوفية .

« اني الفني في فني وفي عالمي . كما يفني الخط فيا بين السطوح . وكعبد القادر الجيلاني سأقول لجمهوري « موتوا في وقد حييتم اي احيوا حيواتكم في وعي العمل الفني وليس في حياتي انا .. اذن فلسوف تحيون حياة حقيقية ..

وهكذا يواصل شاكر حسن آل سعيد بحثه الفني بروحه وفكره الصوفي على خطا الحلاج . انه يجب ان يتخلص الانسان من همومه الدنيوية ، وان يحيل ملذاته الى حقائق روحيه ، وان (يحيا) ايمانه لا ان يكتفي به فحسب .. ولكن مثل هذا الأمر لا يطيقه بشر ، فكيف يتسنى لقطرة الطل ان تحافظ على نقاوتها بعد ان اصبحت قطرة في مستنقع آسن ؟

وهكذا كان على استاذي قبل أكثر من سبعمائة عام ان (يقطر) ذاته مختبريا فاستنتج ما يلي « اذا كانت المعرفة كاملة في القرآن . كلام الله فان فهمنا لكلام الله يقتضي التشرب به . اي تحويله من معرفة لغوية الى معرفة وجودية » .

وأدرك شهرزاد الصّباح ....!

ها كان على تصوره الابعادي لحضور المعرفة ان تتحيل الى تصور زماني ، اي ان يفكر بان المحور كاسي لكلام الله لابد ان يصل به في حجمه كتاب) الى حجمه كمجرد (نقطة) أما كيف كان به ان يتصور كلام الله زمانيا فقد قال هو في ذلك وعلم النقطة في الارل وعلم الازل في المشيئة وعلم شيئة في غيب (هو) ، وعلم غيب هو (ليس كمثله ء) ولا يعلمه الا (هو) »

كانت ادن رحلته في المعرفة تبدأ في العالم اللغوي تهي الى العالم الامي أما رحلتي انا في المعرفة معادية فتقتضي احترال الكثافة في السطح . اي حلي عن رؤية سيران برؤية الفنان الحصاري في شرق الاوسط » ثم احترال السطح في الخط اي البعد واحد ، ثم اكتشاف معنى الخط

وهكذا عرفت اولا كيف ارسم الخط عن طريق الظل لضوء ككثافة متدرجة في مجال « الدرجة الكوبية » ثم كتشفته ثانيا كفراغ عن طريق رسم « الشقوق » مقلية في اللوحة ولا زلت أجهل الكثير عنه

ولكن اللوحة ظلت عندي ماثلة كعالم في بعدين ي ادن لا ازال اتشوق الى مزيد من المعرفة . واين انا ها ؟

بين الشكل والمحتوى

يواصل شاكر حسن ال سعيد حديثه عن تجربته لفنية كان ذلك في صيف ١٩٧٩ عندما التقينا في عرضه الخاص الذي اقامه بالكويت ، وكانت تلك

● شاكر حسن ال سعيد

المرحلة تؤثر تلك الآراء التي يطرحها ال سعيد والتي ترى مصداقا لها في لوحاته التي اضاءت جانبا من بحثه بين الشكل والمضمون ، وماهية المضمون الاساسي التي تتحرك نواياه ودوافعه منذ أول لحظة جنينية يبدأ بها المخلوق رحلة وجوده البشري واستعان في تلك الشقوق والكتابات والاشارات التي يؤشرها الاطفال على الجدران ، دون وعي ولا أقصد

ومع ذلك كله فهو يقف بتواضع ويقول لكي ابدأ بالرسم فلابد لي ان أقف على أرض لا تمور وكان هذا اول ما حاولت ان اتعلمه ان عالم اللوحة هو السطح التصويري ، عالم البعدين وان ابداعي يتحقق لو تمكنت منه في التعبير عن البعد الواحد وذلك يتطلب مني ايضا ان أحقق بنية عملي الفني وهذه البنية افهمها كنظام من العلاقات الشكلية انها اللون والدرجة والمسافة وكل مفردات لغتي الحسية التشكيلية ، اي ما أحسه بصريا اولا . لكيا المحسه ببصيرتي من بعد ثانيا ، ثم وجدتني اخر الامر اكتب العبارة المقروءة في رسومي ولكي اقاسم فيها جمهوري جعلتها جملا محزوزة او كلمات مجروحة .

وهكذا أدركت اخر الامر انني اعامل الشكل في رسومي كمحتوى ، في الوقت الذي اعامل فيه المحتوى كشكل

واختلطت القيم الحسية بالقيم العقلية الى حد الهوس . فلماذا يتحتم علي ان اخضع الحرف لعالم السطح التصويري المحسوس ؟ ولماذا يتحتم علي ان لا أوجد بين العالمين « كمركب » وليس (كخليط) ؟

ورسمت ، ولا زالت رسوما يمكن قراءتها ولكنها قراءة جديدة تطلب حسا كونيا ، وقارئا أكثر انسانية من ان يكتفي باختزال المعرفة القرآنية الى نقطة حرف الف

انها القراءة التي يستطيع من خلالها ان يتجاوز معرفته الشكلية واللغوية جمعاء الى امية في المعرفة لان في ذلك وحده سيستحيل الى قارىء كوني . الى قلامة اظفر او ذروة في هباء او طيف في ضوء شجي في ليل مظلم وفي هذا المجال جربت الرسم (بالحزوز) والاكتفاء أحيانا ببعض الخطوط الافقية او العمودية والنقاط . ولكن الامر على اتمه لم يتحقق بعد ..

ولقد كانت مهمتي الثانية هذه تتطلب شيئا من المغامرة . فلكي تتحول مياه المستنقع الى قطرة طل نقية لابد لنا من تقطيرها . اين اذن هو الانبيق الهائل الذي سيسخن كل مياه البحور الآسنة ياترى ؟ ولكيما تتساقط من حديد كقطرات من المطر الربيعي المنعش ؟

وفكرت في بنية عملي الفني كعالم من القيم التشكيلية واللغوية ؟

كان ذلك مبهما على اول الامر فلقد اخترت اعتباطا معنى ان اقتبس الحرف في رسومي ثم استنتجت بعد لأي من الزمان ان دراسة وجود الحرف في اللوحة يقتضي تطويعه لحساب اللوحة . واصبحت الحروف المستعارة ضروبا من الحلزونيات والاشكال العمودية والافقية المستقيمة او المنحنية . انها تطمس ماهية الحروف اللغوية حتى (باصواتها) حتى اصبحت اللوحة هشيا من الحروف ارسمها معبرا فيها عن (ذاتي) وعما آلت اليه في محيطها جدران المدن واعمدتها

الفنان ـ اللوحة ـ الجمهور

ان ما يميز شاكر حسن ال سعيد عن أقرانه انه لا يلتزم بنموذج شكلي (او ادبي) لعمله الفني . ولا يضع حيثيات مسبقة لما يجب ان يكون عليه الشكل او اللون او الخط حتى في اقصى حالات التصرف ازاء العمل الفني . وان القياس لديه هو قياس تأملي ، يرصد نمو الفكرة وتفاعلها وعوالمها الجديدة التي تفتحها بطاقتها الذاتية ، وباشعاعها الخاص لذلك فهو في بحث مستمر عن عناصر العمل الفني ، وابعاد كل عنصر ، وسبل تحديد تلك العلاقات المتشابكة بين هذه العناصر لبلوغ مشارف الوعي الانساني عند سطح قماش اللوحة . وتحقيق استقلالية العمل الفني خارج المكان والزمان بالرغم من انه يغذيها بالقيم التي نجح في ارشفتها تاريخيا

عندما التقيت ، بشاكر حسن ال سعيد مؤخرا ، وجدته يتحدث عن اخر محطات فلسفته الفنية ، ورأيته متحمسا أكثر من ذي قبل لعمله الفني الذي قدمه في معرض خاص بالكويت في مطلع شهر مايو والذي استوحى أغلب أعماله من زيارة قام بها الى منطقة القنيطرة السورية

يحدد شاكر عناصر العمل الفني كالتالي
الفنان ، اللوحة ، الجمهور

يتحقق حضور العمل الفني بمعناه التام من خلال كل من (الفنان ، واللوحة ، والجمهور) على ان هذا التلاحم يختلف باختلاف موقع كل من هذه العناصر الواحد بالنسبة للآخر فالعمل الفني الذي يبدو « كفن تعبيري » هو الذي يتحقق فيه ذلك بان يصبح فيه موقع الفنان في الاول ثم تليه اللوحة فالجمهور ، اي ان (ذات) الفنان هي التي تطالعنا عند رؤيتنا للعمل الفني والذي تكمن قيمته ما بعد (ذاتية) الفنان ، ثم يلي ذلك ما يستطيع الجمهور ان يكتشفه عبر حضور اللوحة ومشاعر الفنان التي انعكست عليها

أما العمل الفني الذي يكرس فيه الفنان ما يكرسه من أجل الجمهور ، فهو الذي يعكس لنا في البداية ما يمثل ذوق الجمهور بل الجمهور العريض ، أي ان تكون اللوحة مرسومة باسلوب طبيعي ، ثم يلي ذلك ماضمنه الفنان فيها من مشاعر وأحاسيس وأخيرا يأتي دور اللوحة لذاتها حيث تبدو ولا قيمة لها بذاتها الا كمجرد اداة لتوصيل فكرة الفنان وأحاسيسه ومشاعره للجمهور في حين ستطيع ان نحقق العمل الفني بمعناه الواقعي والتوثيقي معا ، حينما نضع نصب اعيننا اننا ننجز لوحة ما أولا بأول وفي مثل هذه الحال فان اللوحة ستكون هي الطبقة الاولى للعمل الفني فهي اذن مرسومة بصورة موضوعية انها مستقلة ذاتها بذاتها او ان الرسام فيها حقق بصورة موضوعية وجودها ، فهو لم يعبر فيها أولا بأول عن مشاعره الذاتية ولا عبر عن ذوق الجمهور ، بل عن موضوعية سطح تصويري فحسب وهكذا فان الطبقة التالية ستكون ذات الفنان او اختياره التقني والاسلوبي وأخيرا يأتي دور الجمهور

والواقع ان هذا النظام الطبقي للوحة الفنية وبهذا الشكل الأخير يضمن موضوعية كل من الفنان والجمهور ازاء اللوحة ، فوجودها بهذا المعنى هو وجودٌ (بنيوي) فهي بمجرد بنية تشكيلية انعكست عليها بصورة تلقائية معالم الوجود ، كما ان اسلوب الفنان في رسمها هو الذي يحدد هذا المعنى ، اي حينما يحاول الفنان ان لا يصبح عند رسمه اياها تعبيريا او اجتماعيا ، ولكنه يصبح موضوعيا وتوثيقيا ليجعل منها مجرد (لقية) من (اللقى) المحيطية .

اي في الفترة الاخيرة ارسم بهذا المفهوم مطورا رؤيتي السابقة من كونها حوارا ما بين الفنان والمحيط (ويضمنه الجمهور) الى كونها وجودا مستقلا للوجود الفني كلوحة مقتطعة من المحيط نفسه وفي هذا الحال يتضح لي ان تجسيد العمل الفني (كفنية) مادية وثقافية معا يعتمد على مدى امكانيتي في حجب (ذاتي الفاعلة) عن اللوحة وكذلك في تجنب اشكالات حضور الجمهور وذوقه على حساب ثقافة الفنان

وهكذا فانني في اسلوبي التأملي كتجريد بنيوي Structural Abstraction احاول ان احقق موضوعية انجازي الفني أكثر من السابق

بالاضافة الى نشاط شاكر حسن ال سعيد الفني فقد تفرغ منذ سنة من التدريس في معهد الفنون الجميلة في بغداد للكتابة عن جوانب في سيرة الحركة التشكيلية في العراق من خلال روادها ، اذ انه عرف بنشاطه في الكتابة النقدية والتحليلية ، التي ترامنت مع تجربته التقنية العريضة ■■

اياد الموسوي

عرس !

● في عام ١٩٣٦ اقيم باحد المعابد الاندونيسية عرس شهده الاف الناس واحتشد الالاف غيرهم خارج المعبد في انتظار اتمام مراسيم العرس ، وخرج العروسان بعد ساعات فاذا بهما زوجان من القردة . زينت الانثى منهما بأساور ولآلىء لا تقدر بثمن . وكان احد المهراجات يقتني هذين القردين ، ولم يكن له اولاد فاراد ان « يفرح » بهما وامر باعداد ذلك العرس الكبير !

مقالات في كلمات

بكاء المرأة

■ تضحك المرأة متى تمكنت . ولكنها تبكي متى أرادت

(حورج صاند)

■ عندما تبكي المرأة . تتحطم مقاومة الرجل .

(شكسبير)

■ كل امرأة تظل على خطأ حتى تبكي وعندئذ تصبح على صواب فورا .

(هاليرتون)

■ انا لا استطيع احتمال بكاء امرأة الا بين ذراعي امرأة احرى . . وفيما عدا ذلك فانا لا احس باي شحن .

(عاستون كافييه)

■ اي حمال في الطبيعة يستطيع ان ينافس حمال المرأة التي تحب

(لامارتين)

■ على قدر حب المرأة يكون انتقامها . .

(ابراهيم المصري)

■ المرأة تحب من يحبها . . واما الرجل فيحب المرأة . . .

(هيدار)

■ الحب شعلة لا تدخل نفس المرأة حتى تطهرها . .

(جول دي كاستين)

■ المرأة تحيا لتسعد بالحب . . والرجل يحب ليسعد بالحياة . . .

(حان جاك روسو)

■ الجمال للمرأة . . كالمال للرجل . قوة وسلطان .

(دوروتي ماي)

■ المرأة الجميلة تطرب لشروق الشمس . . وتنسى ان لها أفولا . . .

(تشارلز ديكنز)

■ الجمال للمرأة ضرورة . . وللرجل ترف . . . . .

(شيشيرون)

...hinson's case report may have b...
however, by an observation in ...
of Ali Ibn Isa of Bagdad (940-1010 ...)
noted a relationship between the inflamed
...eries and visual symptoms (3). In speaking
removal and cauterization of arteries, he
...ated, "By these means one treats not only
...graine and headache in those patients that are
subject to chronic eye disease, but also acut...
sharp catarrhal affections, including those sh...
...ing heat in and inflammation of the tem...
muscles. These diseased conditions ma...
...nate in loss of eye sight. . . ."

...algia arteritica

SIR,—There are two factual errors in your leading article on polymyalgia arteritica (23 April, p 1046) which require correction if future generations are not to be confused. The first is that Jonathan Hutchinson (1890)[1] has many years' precedence over Horton (1932)[2] in describing temporal/cranial/giant-cell arteritis, although it is not unlikely that Ali Ibn Isa,[3] born in Baghdad in AD 940, deserves precedence over both. He noted a relationship between inflamed arteries and visual symptoms not only in migraine but also in "affections showing heat in, and inflammation of temporal muscles. These conditions may terminate in loss of sight."

فقرة ماخوذة من المجلة الطبية البريطانية (العدد ٦٠٧٢ - ٢١ مايو ١٩٧٧)

وفقرة من مجلة الطب الامريكية (العدد الاول - يناير ١٩٧١ - المجلد ٥٠)

خبر عمره تسعة قرون !

في تذكرة الـ ـالين

أول وصف لمرض التهاب الشريان الصدغي

TEMPORAL ARTERITIS

بقلم الدكتور : محمود الحاج قاسم محمد

للانصاف ، لابد أن نذكر أن شرف الدين علي بن عيسى البغدادي الكحال ، هو أول من وصف هذا المرض : التهاب الشريان الصدغي .. وكان ذلك منذ حوالي تسعة قرون !

للموضوع جوانب ثلاث .

الاول ـ تعريف المرض ، حيث من المهم إعطاء فكرة مبسطة عن هذا المرض مرض التهاب الشريان الصدغي Temporal Arteritis ، مرض غير نادر ، سببه غير معروف ، يصيب كبار السن ويصيب النساء بصورة خاصة وهو التهاب يحدث على الأغلب في شرايين الصدغين إلا أنه يصيب بقية الشرايين كشرايين القحف وشبكية العين ، والدماغ ، وجسم القلب ، وأحيانا ينتشر في شرايين الجسم كله

أما التغيرات المجهرية التي تحدث في الشرايين ، فهي عبارة عن تجمع خلايا وحيدة النواة وخلايا بلازمية مع خلايا عملاقة ، ويصاحب ذلك تنخر في قناة الشريان ، وعقب تكون النسيج الحبيبي يظهر تندب ، وأحيانا يحدث تخثر في القناة

أعراض المرض تتلخص بما يلي صداع شديد ، رهاب الضوء ، اضطراب في الرؤية وأحيانا يؤدي الى فقدان البصر أما الأعراض العامة فهي ارتفاع في درجة الحرارة ، نحول ، آلام روماتيزمية في العضلات والمفاصل ، فقدان في الشهية ، انحطاط في القوة

أحيانا تكون الأعراض بسيطة يتشافى المصاب بعد أشهر ، وأحيانا تكون شديدة تؤدي الى الوفاة خاصة عندما تكون الاصابة في شرايين الدماغ أو القلب

علاج المرض سابقا كان مبنيا على سل الشريان الصدغي أو كيه ، أما في الوقت الحاضر فان العلاج المفضل هو حبوب البريذنيزولون

● الثاني ـ ذكر المرض لاول مرة :

وهو الجزء التاريخي والاساسي من الموضوع .

في العدد (٦٠٧٢) ٢١ ـ مارس ـ ١٩٧٧ من المجلة الطبية البريطانية (بي ام جي) .B.M.J ، كتب (جي دبل يو.بولي) J.W.PAULLEY ، في رسالة لرئيس التحرير ، نقتطف منها الفقرة التالية « سيدي ـ هناك خطآن بينان في بحثك عن التهاب العضلات العام الشرياني Polymyalgia Arteritica ، المنشور في العدد ٢٨ ـ نيسان ـ ١٩٧٧ من المجلة ، يقتضيان التصحيح لأجل ان لا يختلط ذلك بالنسبة للأجيال المقبلة ـ اولهما ـ ان جوناثان هجنسن Jonathan Hutchinson ، سنة ١٨٩٠ ، قد سبق بسنوات عديدة هورتون Hortion ، سنة ١٩٣٢ ، في وصف مرض التهاب الشريان الصدغي والقحفي في الحجيرات العملاقة cranial temporal giant cell arteritis ، علما بأنه ليس من المستبعد أن يكون علي بن عيسى المولود في بغداد سنة (٩٤٠م) هو الذي يستحق ان يعتبر أسبق من الاثنين فقد لاحظ بأن هناك علاقة بين الشرايين الملتهبة وأعراض الرؤية ليس في داء الشقيقة فحسب وانما في اصابات الحرارة والتهاب العضلة الصدعية ، والتي قد تؤدي الى فقدان البصر » ، ويشير بأن مصدره في ذلك مقال منشور في مجلة الطب الامريكية Medicine عدد ١ مجلد ٥٠ كانون الثاني ١٩٧١ المقال بعنوان (التهاب الشريان في الخلايا العملاقة مع التهاب الشريان الصدعي GIANT CELL ARTERITIS INCLUDING TEMPORAL ARTERITIS بقلم جارلوس ار هاملتون ورملائه ، وعند رجوعي للمقال المذكور وجدت فيه هذه الفقره

ان الحالة التي سجلها هاجيسون Hutchinson ، قد سبق أن لوحظت في تذكرة علي بن عيسى من بغداد (٩٤٠ ـ ١٠١٠م) الذي بين العلاقة بين الشرايين الملتهبة وأعراض الرؤية ذكر ذلك عندما تحدث عن سل الشرايين وكيها قال علي بن عيسى (٠٠٠٠٠)

ولدى رجوعنا الى كتاب تذكرة الكحالين لعلي بن عيسى الكحال ـ الاصل العربي ـ ، وجدنا بأن الفقرة التي ذكرها هاملتون موجودة فعلا ونصها حسب ما جاءت في الاصل العربي كما يلي « الباب الخامس والعشرون ـ في سل شريان الصدغين وكيها ـ قد تعالج أوجاع الشقيقة والصداع والذين تعرض لهم نزلات مزمنة في الأعين او نزلات الاصداغ حتى ربما خيف على البصر التلف »

ثم بعد ذلك يصف كيفية اجراء عملية سل الشريان وكيه فيقول . « فينبغي حينئذ أن تأمره بحلق الرأس وتفتش عن الشريانات بالاصابع بعد تسخين الموضع

(*) الكحال ـ علي بن عيسى/ تذكرة الكحالين ، الطبعة الاولى ١٩٦٤ ص ٣٤ .

بالدلك وبالكماد بالماء الحار ويكون ذلك بعد شد الرقبة والخنق الرقيق حتى اذا ظهر الشريان علمت عليه بالمداد ثم تجذب الجلد اليك بالاصبعين من اليد اليسرى ثم تشقه بالمقراض شقا معتدلا ويكون الشق في الجلد وحده ـ ثم تمد العرق اليك بصنارة حتى يخلص من جميع جهاته وتكويه ، فان كان الشرياني دقيقا فأدخل تحته مبضعا واتره » (*) فتحية إكبار اوجهها لهذا الطبيب العربي المسلم الذي استطاع بعقله النير وتجربته الرائدة ، ان يدخل اسمه في سجل التاريخ الطبي كأول واصف لهذا المرض ، وباعتراف كل الباحثين عن تاريخ هذا المرض

الثالث ـ رحلة علي بن عيسى

هو شرف الدين علي بن عيسى الكحال ، على الأرجح كانت ولادته ووفاته بين (٩٤٠ ـ ١٠١٠م) طبيب كحال عربي مسلم من بغداد ، عاش زمن المتوكل ، من أشهر أطباء العيون العرب له كتابان الاول كتاب (مخطوط) اسمه المنافع التي تستفاد من اعضاء الحيوان

الثاني هو كتاب تذكرة الكحالين الذي اشتهر به

يعتبر كتاب تذكرة الكحالين بالنسبة لمؤرخي الطب أول كتاب جامع لنظريات المتقدمين وتجربات المحدثين في أمراض العيون وعلاجها وهو مع ما فيه من الخصوصية قد احتوى على جميع ما لابد منه في موضوع واحد في الطب وبقي هذا الكتاب نصا وحيدا لطلبة الطب ومرجعا عاما لاطباء القرون الوسطى في الأزمنة التي لم يبق فيها اثر لطب اليونان والاغريق إلا ما كان محفوظا في التراجم العربية ولم يكتف الكحال بجمع نظريات اليونان فحسب بل نقدها وزادها وأضاف اليها تجرباته الشخصية كطبيب ماهر وحكيم حاذق ، ولأجل ذلك قد تفرد هذا الكتاب في فنه لكونه مجملا ومفصلا وجامعا ومانعا وخاليا من عيوب القدماء ومحتويا على تجارب لم تكن معروفة حتى عند الاطباء اليونانيين ـ كما قال الطبيب الألماني هرش برج في مقدمته الألمانية (لكتاب التذكرة) وقال ايضا ان علي بن عيسى أول كحال اقترح التنويم والتخدير بالعقاقير في العمل الجراحي ولم يكن معروفا عند اليونانيين وذكر هرش برج هذا الكتاب في الصفحة السادسة من كتابه المعروف Die Artbischen Leuhrbucher der Augenhil Kunde Berlin - 1905 الذي طبع في برلين سنة ١٩٠٥م وقال فيه هذا أصح الكتب من الكتب القيمة في هذا الفن ، وقد وصل الينا على ما كان في اللسان العربي » (*)

الكتاب مقسم على ثلاث مقالات الاولى في تشريح أعضاء العيون والبحث عن وظائفها والثانية في الأمراض الظاهرة والثالثة في الأمراض الباطنة ، وفي آخرها ذكرت الادوية المفردة التي تفيد في علاج العيون على وفق حروف الهجاء ، وبين أيضا مائة وثلاثين مرضا مما يتعلق بالعين خاصة ودل على علاجها بمائة وثلاثة واربعين دواء

طبع الكتاب سنة ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م في الهند عني بتصحيحه والتعليق عليه الحكيم السيد غوث محيي الدين القادري الشرفي

وكلمة أخيرة

لابد من ذكرها ، بأن ما ذكرناه دليل بسيط يضاف للأدلة الكثيرة التي تبين بان في تراثنا الطبي ـ كغيره من أنواع التراث ـ كنوزا نجهل الكثير منها ، واذا كتب عن بعضها مقالات ودراسات نشرت هنا وهناك فانها مازالت في حاجة الى من يسبر اغوارها ويكشف عن الصفحات المشرقة المطوية فيها وان ذلك الدين يقع في المقام الاول على عاتقنا نحن العرب قبل الغرباء ، أما عندما يقوم به أناس غير العرب (من أمثال من ذكرنا في هذا المقال) انصافا واحقاقا للحق عندها يستحق مثل هؤلاء منا التحية والاكبار ألف مرة ■■

(*) مقدمة محقق كتاب تذكرة الكحالين (المصدر نفسه) بقلم الحكيم السيد غوث محيي الدين القادري الشرفي

قصة قصيرة

من عجائب الصدف

بقلم حسني فريز

لماذا لا يستطيع النوم ؟ ما سبب الارق ؟ انه أبدا يعمل طول النهار فلا تأتي الساعة العاشرة الا وقد دب النعاس الى جفنيه ، واساب في اعصابه ومضى الى الفراش ، ولا يستيقظ الا في الساعة الخامسة في الصباح او بعيدها

ليس له ولع بالليل ، ويستغرب كيف يتغنى به الناس وكيف لا يطيب الغناء الا بمناداة الليل حقا ان الكلمة ذاتها لينة خفيفة وترجيعها في مقدمة الغناء له حلاوته وقد سمع الناس يقولون الليل نقل الاديب والنقل ما يتنقل به مع الشراب كالفستق ، فكأن الليل يعين على انتاج الادب ، مثلما يعين النقل على الشراب

انه الليلة لا يحس بالتعب ولا بالنعاس تناول سيجارة وراح يدخنها في غرفة النوم ماذا صنع بنفسه ؟ لقد ترك زوجته ليلى او عروسه ولم يمض على العروس الا اسابيع وجاء الى لندن انه مضطر ما في ذلك ريب لا بد ان يرى عملاءه التجار الذين يتسلم بضائعهم ويتلقى على بيعها عمولة مجزية لا ينبغي ان يلوم نفسه على هذا الفراق المؤقت بل لعله استجمام للفريقين

هو نيف على الاربعين منذ زمن وعروسه عانس نصبت له شراك الحب فوقع فيها كانت تبادره من حيث يدري ولا يدري ، وتقف له بكل طريق متبسمة مرة وأسيفه مرة اخرى وفي كلتا الحالتين تنصب له الشرك ، ويعرف انه شرك ولكنه يستحبه تدعوه الى نزهة ، تمضي به الى بيتها ، وتولم له وتنظر الى كل ما يحبه فتقربه له او تفعله من اجله ، والحق ان لها صوتا ساحرا ، فاصبح لا يطيق عنها ابتعادا في اول الامر كان يحس انه يفتقد شيئا ، فيحاول ان يعرف ما الذي يبتغيه فلا يدري ويظل حائرا حتى يرن الهاتف صباح الخير ذكرتك امس باللفظ ولو انك لا تغيب عن خاطري ، كنا جماعة من الاقرباء والصديقات ، كانت كل الضحكات والحديث بلا لون ، بلا معنى اتدري لماذا ؟ لانك لم تكن بيننا اسمع لا تقاطعني هذا شعوري

بعد سماع كلامها يغمره السرور ، وينقله الى آفاق من النشوة ان صوتها موسيقى اكثر سحرا من اى موسيقى عرفتها اسماعه

كان خليل لا يبالي بمصيره في سبيل ان يستمع الى صوتها منخفضا ومرتفعا او ممزوجا بالضحكة التي يصدح فيها كل ما يشيع في الروح الطرب انه يستعيد على ذهنه بعض الامور لا ليثبت رأيه في صواب الزواج ، بل هي ذكريات قريبة حلوة ، انه لا يشكو هذا الزواج ، الا انه يجد في نفسه ذكرى تواكبه ايضا ولا

ستطيع منها مكاكا لكن لماذا ؟ انه الآن قد تجاوز
الاربعين من زمان وكان ينبغي ان يتزوج . اليس من
حقه ان يكون أبا ؟ وماذا يقول الناس لو ظل معاشرا
لتلك العانس سلمى من غير رباط شرعي ومن غير امل
في الانجاب ؟ ماذا يقولون ؟ لقد قالوا بالحق بالباطل فيه
وفيها ولم يؤثر القيل والقال في حياته اليومية فتجارته
رائجة والناس لم ينقطعوا عن التعامل معه ، وبيته عامر
ولم يمتنع احد من معارفه او اصدقائه عن زيارته هم
وزوجاتهم . كل ذلك حصل ايام كان حديث الناس على
اشده كان الناس يتكلمون وأثر في كلامهم زمنا ثم
سئمه وتعب الناس فسكتوا . حقا ان ايامي مع سلمى
كانت بهيجة ولم يكن بيننا ما يدعو الى اي شكوى من
كلينا واخيرا هي التي الحت على ودفعتني الى
الرواج . نعم هي لكنها لما ان رأتنا عروسين كادت
عيناها تنفجران حنقا وغيرة . مسكينة ذلك قدرها ان
تذوق مرارة الفراق وقدرى ان اجد المرارة في فمي وفي
نفسي لاني لم اكن وفيا

مسكينة انها الان في المكان الذي لا تجد فيه زوجا
يذهب عنها غول الوحدة نعم انها وحدها الآن من غير
انيس ولا جليس ، لكنها تحب القراءة والكتابة وتتسلى ،
الا ان القراءة ممكنة ايام النشاط والفتوة ، حين يقرأ
الانسان ساعات وهو مستغرق لا يحس بتعب ، اما بعد
ذلك فان القوة تتضاءل لماذا ألوم نفسي على هجرها ؟
كلاما كان يخشى الفراق ولكنني كنت مضطرا امام
الضغط الاجتماعي . آه من المجتمع ومن اعتباراته . لقد
الناس الآن اشد ضراوة واكثر وضوحا منه قبل الزواج

قبل ان اتزوج قالوا ينبغي ان لا ابقى بغير خلف وقالوا (ابن الشارب للحية وابن الشيبة للحيبة) ومع الايام خفت من الخيبة التي قرعوا بها سمعي ، وحرقوا بها جلدي ، ماذا فعلت ؟ نسيت تلك التي منحتني مودتها ، وصفاء حبها ، نسيت انقطاعها لخدمتي وتفقدها لمواقع مسرتي ، اني ناكر الجميل ، لكن الم يكن ذلك متوقعا ؟ الم يكن سيفا مسلولا فوق رأسينا ، وقد ضاقت هي بالخوف من الفراق ، وطوقتها الفكرة ، وارعبها الترقب واقلقتها محنته فمررت عيشها واخيرا رأت ان لا بد لها من مواجهة المصيبة فألحت واشارت ثم صرحت باستعجال الواقعة ولا ريب انها هي ، والناس ونفسي قد اشتركنا في اتخاذ القرار

كلانا كان عرضا لكلام الناس ، وعشنا في جو مشحون بالوان الهذر والغيبة لست ادري ما شأن الناس ونحن لم نؤذ احدا منهم بل لقد كنا ابدا نعين على نوائب الايام ، وقل بين الناس من ينفق من وقته ويسخو بجاهه وبماله اكثر منا ، ومع ذلك انعقدت فوق رأسينا سحب سود من القيل والقال وضباب كثيف من الحسد والضغينة ، واحيانا يبدو بالاعتذار والشعور بالمواساة ، ما هو بالنكاية والتشفي احذر ومن هذا وذاك واشباهها صرنا لا نطيق الحياة الى ان تروحنا وافترقنا

غير ان الناس لم يسكتوا ، بل انفتح باب جديد لالوان النقد ، كيف تركت صديقتي التي صحت من اجلي ، لقد طرحتها حين لا تستطيع ان تتخذ لنفسها رفيقا لم افعل ذلك من سنوات ، ايام كان البديل ممكنا ، ان في هذا الفراق انتقاما او كأنه انتقام وهكذا

بقينا في نفس الدوامة التي كنا فيها هدفا للسان والشتائم والنقمة والحسد ، ضاق صدري وعيل صبري ، الافضل ان لا اعير الناس سمعي فاستريح

وهنا رن جرس الهاتف فتناولت السماعة مرحبا من اين ؟ من هنا من لندن ؟ في اي فندق ؟ في نفس الفندق الذي انا فيه ما احلى هذه الصدفة احلى من الف موعد كيف عرفت اسمي هنا في غرفة الاستقبال ؟ حارة لي في نفس الطابق في الغرفة المجاورة رقم ٩ سألبس ثيابي وآتي

انت لابسة وستأتين ؟ أهلا والف اهلا ومرحبا ■

عمان ـ حسني فريز

قطر الندى بنت خمارويه

كانت قطر الندى مع جمالها موصوفة بفضل العقل خلا بها المعتضد يوما للانس في مجلس افرده لم يحضر غيرها ، فلما نام ، خرجت فجلست على باب المجلس ، فاستيقظ فلم يجدها فاستشاط غضبا » ، ونادى بها فاجابته على قرب .

فقال : ما هذا ؟ استخليتك اكراما لك ، ودفعت اليك مهجتي » دون سائر حظاياي ، ثم تتركينني وتخرجين ؟.

ـ فقالت : ياامير المؤمنين ، ما جهلت قدر ما نعمت به علي واحسنت فيه الي ، ولكن فيما ادبني به ابي ان قال لي : لا تنامي بين الجلوس ، ولا تجلسي بين النيام ، فاستحسن المعتضد اعتذارها .

السنغال في مصيدة التغريب

● نشرت مجلة العربي في عددديناير/٨٢ استطلاعا تحت عنوان « السنغال في مصيدة التغريب » والحقيقة ان هذا الاستطلاع قد اتاح لكافة القراء العرب معرفة الكثير عن احوال هذا البلد الافريقي الذي مازال يعاني من وطأة الاستعمار الثقافي

وباعتقادي ان واجبنا ـ نحن العرب ـ نحو هذا البلد الافريقي مساعدته للتغلب على هذا الوضع ان نفعل الآتي .

١ ـ ان نمد شعوب غرب افريقيا بالبعثات التعليمية القادرة على تصحيح المسار وانقاذ هذه الشعوب من المصائد التي تنصب لها

٢ ـ امداد هذه الشعوب بالمعونات المالية لبناء المدارس العربية وشراء الكتب اللازمة لعملية التعليم وقد يستغرب القارىء اذا قلت له ان الجامعة الاسلامية في النيجر قد يتوقف بناؤها بسبب قلة الاموال اذ ان هذا البناء يتكلف ٦٠ مليون دولار ، لايوجد منها لدى صندوق التضامن الاسلامي سوى ١٨ مليونا فقط

٣ ـ مساعدة هذه الشعوب عن طريق ارسال الكتب الاسلامية والعلمية والادبية المكتوبة باللغة العربية

محيى الدين سيد سليمان
الاسكندرية ـ مصر

نسبية الشرعية

○ تعقيبا على ما كتبه رئيس تحرير مجلة العربي عن « الشرعية » في عدد مارس ٨٢ اقول ان الجميع يتحدثون عن الشرعية ، والجميع يرونها دائما بجانبهم ، ولا يرونها في غيرهم ، فهم الشرعية والشرعية هم ، ودوما هناك اصوات هامسة في هذا العالم او صامتة ، لا زالت ترى ان ذلك المفهوم تزييف قهري وامر واقع لا مفر منه في سياق التطور الانساني للقوى الحاكمة .

وللعدل الله كما كان لكل زمن رجاله ، فقد كان لكل زمن شرعه وشرعيته . ومنذ ان تطورت المجتمعات لحاكم ومحكوم ، كان الحكام يرون ان كل ما يتهدد بقاءهم خارج عن الشرعية ، وجريمة اجتماعية خطيرة عاقبوا عليها بأشد العقوبات المتنوعة عبر العصور . ومع ذلك تطورت المجتمعات وعرفت شرعيات مختلفة ، وزالت امم وامم وظهرت شرعيات ولايزال الحديث عن شرعية مثالية مثارا للجدل .

وباستعراض عادل لتاريخ الشرعيات يلمح المرء ومضات مشرقة ومشرفة لشرعيات رائعة العدل والعدالة . كأيام الاسلام المشرقة الاولى قبل ان تتحول تلك الشريعة السمحاء مطية للحكام المنافقين الذين تظاهروا بالحكم بها .

ومن هذا نخلص لنتيجتين : الاولى بأن الشرعية تخضع لمفهوم النسبية فما كان شرعيا بالامس ليس بالضرورة شرعيا اليوم ، واضرب مثالا على ذلك شرعية الاكاسرة ، والاباطرة ، والقياصرة ، والسلاطين ، وهتلر وغيرهم

والنتيجة الثانية ان المجتمعات بتطورها تطور شرعيتها وتقترب شيئا فشيئا من المثالية . وان القوانين والتشريعات لاي مجتمع تمثل القوى الحاكمة لهذا المجتمع فقد تكون الشرعية شرعية فردية او شرعية جماعة او شرعية مجتمع . مع التذكير بان السوء قد لايكون في نص القانون وانما يأتي من خلال تطبيقه ورجاله وحدوديه

ونعود للتساؤل عن اطار الشرعيات المثالية للمجتمعات ومن المقدمة ندرك ان الأمر الاول فيها هو تطور تلك المجتمعات حضاريا ومدنيا وأخلاقيا وادراكها الصحيح للعدالة والحرية والديمقراطية وحقوقها وحقوق غيرها .

فتلك المجتمعات المتطورة عندها ستبسط قوانينها وترضيها وتحفظ لنفسها بحرية تطوير قوانينها ومناقشتها وان يصبح القانون في خدمة تطورها لا عبئا ثقيلا او قيدا مكروها لها .

الدكتور عبد الاله الحسناني
طرطوس ـ سوريا

جلجامش .. خلافات هامة .

● نشرت مجلتكم الموقرة بعددها المرقم ٢٧٨ الصادر في شهر كانون الثاني ١٩٨٢ ملحصا لملحمة جلجامش بقلم السيد جمال الكناني وقد لفت نظري ان الكاتب ذكر وقائع الملحمة دون الاستناد الى المراجع الاصلية واود فيما يلي بيان بعض الخلافات الهامة ·

١ ـ ان جلجامش لم يكن عازما على الزواج عندما التقى بانكيدو عند مدخل « بيت العرس » بل انه كان على عادته يسبق كل عريس ليلة زواجه ليواقع العروس قبل دخول العريس عليها .

٢ ـ ان جلجامش كان على سابق علم بوجود العفريت هبابا ولم يتوصل الى معرفته عن طريق الحلم

٣ ـ اهمل الكاتب ذكر حادث مهم من احداث الملحمة وهو محاولة الالهة عشتار اغراء جلجامش وغضبها منه لصدها وتوبيخها مما دفعها الى انزال الثور السماوي لكي ينتقم لها منه ، الا ان جلجامش تغلب على الثور وقضى عليه بمساعدة صديقه انكيدو وهذا الحادث يمثل نقطة تحول مهمة في مجرى الملحمة اذ انه يؤدي الى موت انكيدو بقرار من الآلهة ترضية لعشتار

٤ ـ ان النوتي الذي ارشدت صاحبة الحانة جلجامش اليه لم يكن هو صاحب سر الخلود بل انه مجرد نوتي تابع لأوتونابشتيم بطل الطوفان ، وهو الذي اخذ جلجامش في سفينته وعبر به مياه الموت فاوصله الى اوتونابشتيم الخالد

٥ ـ ان كاتب الملخص جعل من جلجامش بطل الطوفان في حين ان بطل الطوفان الحقيقي هو اوتونابشتيم الذي هو نوح نفسه اما جلجامش فكان خامس ملك من ملوك اور في زمن ما بعد الطوفان

٦ ـ ان الكاتب قد اعتبر الطوفان الذي ورد في ملحمة جلجامش مستقلا عن الذي ورد ذكره في التوراة في حين ان هناك طوفانا واحدا في التاريخ . وقد نقل اليهود قصته عن البابليين عند وجودهم اسراء في ارض الرافدين وقد حرفوا الاسماء والوقائع ونسبوها الى انفسهم بحيث صح فيهم قول فولتير « ان اليهود قد فعلوا اذن بالتاريخ وبالأسطورة القديمة ما يفعله تجارهم بألبستهم العتيقة اذ يقلبونها ويبيعونها كسلعة جديدة بأعلى ثمن ممكن »

بغداد ـ يوسف نير

فاسكودي جاما

● قرأت في ملحق العربي عدد ٢٦٦ حديثا عن فاسكودي جاما جاء فيه قوله لاقوا حتفهم في ميناء قليقوت (كلكتا) الهندية ثم جاء بعد سطور قوله وصل فاسكو الى كوا على ساحل الهند الجنوبي الشرقي

ولما كان الكاتب قد أخطأ في موضع البلدين جئت بهذه الكلمة للتصويب آملا نشرها

فالبلدة التي جاءت باسم قليقوت وظنها الكاتب كلكتا هي في الواقع ميناء كاليكوت الواقع في الجنوب الغربي من شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ومدينة كوا هي ايضا تقع على الساحل الغربي من شبه الجزيرة الهندية الباكستانية الى الجنوب من مدينة بمبي (بين بمبي وكاليكوت) وقد كانت مستعمرة برتغالية فحررتها الهند سنة ١٩٦١

قارىء

العربي . نأسف ، وما تقوله هو الصحيح

العربي والجزائر

● ان كان في السطور سحرا ، فانا سحرنا بما تضمنته صفحات مجلة العربي وان كان الكلمات تروي الظمأ ، فاننا لم نرتو إلا لما نرتشف من معين مجلتكم التي - وللاسف - تصلنا باعداد قليلة ومتقطعة ، تتخاطفها الايدي فور وصولها الاكشاك وهذا يدل على اتساع شهرتها وانبساط صيتها ، وعرض وجودها على كل ناطق بلغة الضاد على مستوى العالم العربي والاجنبي وهذا لا يتأتى الا بفضل رجالها ، وسهرهم الليالي من أجل ان تخرج هذه المجلة في الحلة الجذابة وبالشكل الأخاذ ، وبالمضمون الذي لا يستغني عنه كل طالب علم

نادي نوار

ولاية سكيكدة - الجزائر

الاشتراك في مجلة العربي

● نلفت نظر قراء العربي الى أنه قد تم فتح باب الاشتراك في المجلة منذ أكثر من شهرين ولمزيد من التفاصيل نحيل القراء الى الصفحة الخامسة من العدد ، التي تضمنت إشارة الى الراغبين في الاشتراك بالمجلة للاتصال بالمكتب الفني بوزارة الاعلام بدولة الكويت - ص . ب ١٩٣ .

عمر المختار

● قرأت في العدد الأخير من مجلة العربي لشهر ربيع الثاني سنة ١٤٠٢هـ فبراير (شباط) ١٩٨٢ م مقالا للأستاذ محمد المنصف عن سيرة المجاهد الشهيد عمر المختار روح الله روحه وقد تناول قصة محاكمته واعدامه فرجعت بالذاكرة الى قصيدة المرحوم احمد شوقي في رثائه التي مطلعها :

ركزوا رفاتك في الرمال لواء
يستنهض الوادي صباح مساء

ولقد كنا سمعنا ان الشهيد طلب شربة ماء قبل اعدامه فأبى جلاده عليه ذلك وهكذا قضى ظمآن مظلوما واذا كانت هذه الرواية صحيحة كما ورد في قصيدة امير الشعراء فلماذا لم يذكرها الاستاذ المنصف في مقاله لأهميتها ؟ واذ قرأت مقاله الممتع والفقرة التي تبين عن انقطاع الحبل بالشهيد والكلمة العذبة التي نطق بها ، كتبت الابيات التالية مستوحاة من قصيدة أمير الشعراء

هات الحديث وعطر الارجاء
واشف الصدور فان فيه شفاء
واذكر لنا عمر الكرامة والندى
من ساد في العليا سنى وسناء
واستوح من ذكر المختار كرامة
كانت تنير جبينه الوضاء
كيف البطولة جُمِعَت في واحد
يقفو بها الاسلاف والآباء
وأبى الخنوع وقالَ قولته التي
سارت منارا للورى لألاء
بادت حبالهمو وبادوا وارتقى
يزري بهم عمر كما هو شاء
راع العدو ببأسه وهو الذي
بعديده وعتاده قد جاء
ان الغرور سقى العدو بكأسه
وجنى عليه مذلة وشقاء
وتنادت الأساد في ساح الوغى
مستبسلين ليطردوا الدخلاء
وقضى من الابطال فرسان سموا
شرفا فكانوا سادة كرماء

الشيخ محمد احمد السطامي

نابلس دائرة الاوقاف

هذا الكتاب الهام صدر بالروسية مترجما عن الالمانية وقد استعرض في صفحاته ال ٣٧٠ تاريخ اكتشاف الجزيرة العربية ، منذ الألف الرابع قبل الميلاد ، وحتى عصرنا الحاضر .

وقد صدر الكتاب في موسكو مع نهاية عام ١٩٨١ عن معهد الاستشراق التابع لاكاديمية العلوم السوفيتية ، مترجما عن الكتاب الالماني **Otto Baumhauar. Dokumente Zur Entdeckungsge Schichte, Bd. 1 G. Von Wissmann. Arabien.**

وأهمية الكتاب لا ترجع فقط الى المساحة الزمنية التي تغطيها ، ولكن أيضا لأنه يتضمن شرائح حية من الوثائق الأصلية ، التي خلفها الرحالة والبعثات العلمية بدءا من أول بعثة معروفة الى هذه المنطقة وانتهاء بآخرها

وقد نسقت هذه الشرائح بشكل يعطى لوحة بانورامية بما فيه الكفاية للحياة في الجزيرة العربية على مر العصور ظروفها الطبيعية والمناخية واخلاق سكانها وعاداتهم

واحتكاكهم بالشعوب الاخرى المجاورة وكما يشـ لوندين في تقديم هذا الكتاب ● فإن الجزيرة العربية ذات الموقع الجغرافي البالغ الاهمية ، كانت منذ أقـ العصور على ارتباط وثيق باقدم الحضارات البشرية ، ا قامت في وادى النيل وبلاد الرافدين ، كما كانت تشـ همزة وصل بين مناطق حوض البحر المتوسط وشـ افريقيا والهند والصين ، وبالتالى فان جذور اكتشـ الجزيرة العربية تعود الى العصور الغابرة ـ وبالتحديد منتصف الالف الثاني قبل الميلاد . ففى عهد الملكة المصـ حتشبسوت نظمت الرحلات التجارية الى بلاد « بنـ (الاسم الذى اطلقه قدماء المصريين على المنطقة الوا حول بوغاز باب المندب ، على الشاطئين الافر والاسيوى) وعلى ذلك تدل الرسومات والنقوش ، عثر عليها في الدير البحرى والواقع أنه لا يجوز اءـ

● نظرا لطبيعة الكتاب الوصفية فقد اقتصرت في عرضه على تعريف القارىء بأهم مراحل تاريخ اكتشاف الجزيرة العربية معتمدا على مقدمتى الكتاب الالمانية والروسية

هده الرحلات الاولى من نوعها الى بلاد « بنط » اذ يرجع أن بداية الاحتكاك المصرى بالجزيرة العربية تعود الى الالف الرابع ق م وعلي ذلك تدل الوثائق القديمة ، التي يعود تاريخها الى الاسرة الخامسة ، ففي حوالى الالف الثاني ق م غادرت ميناء القصير على البحر الاحمر فرقة قوامها ثلاثة الاف محارب على سفينة ببيلوسية التصميم ميممة وجهها شطر بلاد العطور

وفي العصر الهلنستي ازداد احتكاك الجزيرة العربية بالبلدان المجاورة ، بعد أن تحولت الى مركز تجارى دولى كبير وكان من البديهى أن تكون العوامل الاقتصادية حافزا للدراسة العلمية ، فوضعت في هذه الفترة أول خارطة للجزيرة العربية وذلك على يد بطليموس في حوالى عام ١٥٠ ق . م كما تم وضع دليل تجاري وملاحى للبحر الاحمر والمحيط الهندي .

وفي بداية القرن السابع الميلادى حدث انعطاف حاسم في تاريخ الجزيرة العربية · فمع ظهور الاسلام وقيام الدولة الاسلامية تحولت البلاد الى مركز سياسي وايديولوجى للدولة العظمى ، الممتدة من المحيط الاطلسى غربا حتى حدود الصين شرقا ، وعلى الرغم من انتقال مركز الخلافة الى دمشق ، ومن ثم الى بغداد ، فقد ظلت الجزيز العربية محافظة على اهميتها كمركز ثقا وفكرى لعالم الاسلامى .

همزة الوصل

وكان من الطبيعى أن تساهم النهضة العلمية ز الخلافة الاسلامية في كشف صفحات جديدة من تار الجزيرة العربية ففى هذه الفترة وضع ابو محمد الح بن احمد الهمداني (توفي في النصف الاول من الة العاشر الميلادى) وصفا جغرافيا مفصلا لشبه جـ العرب والف كتابا خاصا مكرسا للمعالم الاثرية والمع فيها ـ « صفة جزيرة العرب » ، ومن المرجع أن الكتاب يعتبر الاول من نوعه في العالم في مجال ا الاثرية ، وأحد الاعمال الجغرافية البارزة في ال الوسطى فنحن مدينون للهمداني بالوصف البالغ لوضع جنوب الجزيرة العربية في القرن العاشر المية ومظاهرها الطبيعية واجناسها وقبائلها وثرواتها و ومواطن الاستقرار البشرى فيها كما ان كتابه ها همزة وصل قيمة بين المصادر الرومانية والاغريقية نتائج الابحاث والدراسات المعاصرة

أما الرحالة العربي المشهور ابن بطوطة فقد زار جزيرة العرب أربع مرات ، وكانت رحلاته مكرسة لدراسة الوضع الجغرافي والتاريخي والسياسي والديني والاقتصادي في هذه المنطقة ، ويعتبر فاتحها الاول بحق

بيد أن الكثير من انجازات العلوم العربية وما يجرى في شبه جزيرة العرب ظل مجهولا بالنسبة لاوربا التي كانت غارقة في ظلام العصور الوسطى ، ولم يقتصر الامر على ذلك ، بل ان اوربا فقدت حتى تلك المعلومات ، التي كانت متوفرة لدى الاغريق والرومان ، وهكذا فبعد الكشوف الجغرافية العظمى اضطرت اوربا الى البدء باكتشاف الجزيرة العربية من الصفر ، وبالتالي فان اصطلاح « اكتشاف » جزيرة العرب يطبق على العلوم الاوروبية فقط

الكشوف البرتغالية والايطالية

منذ بداية الكشوف الجغرافية العظمى احتلت الجزيرة العربية مكانة متميزة في الابحاث والبعثات الجغرافية الاوربية فلم يكد فاسكو دى جاما يكشف الطريق البحرى الى الهند حتى بدأت السفن البرتغالية تحط الرحال على الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة العربية ، وقد رأى البرتغاليون في الجزيرة العربية منافسا خطيرا لهم في التجارة مع الهند ، فعمدوا الى وضع حد لهذه المنافسة بأبشع اساليب القرصنة ، مستغلين قوتهم العسكرية ولم تلبث أن ظهرت نقاط الاستناد البرتغالية على ساحل الجزيرة العربية ، ولما كان هدف البرتغاليين هو القضاء على التجارة بين الهند والجزيرة العربية ، فانهم لم يهتموا باكتشاف المنطقة ، ولم يصلوا الى أعماقها الا كأسرى ، ومما لا شك فيه أن وجودهم ـ وان كان محدودا ـ قد زودهم بالمعلومات الهامة عن هذه المنطقة ، ولكن رغبتهم في الاحتكار جعلتهم يحتفظون بهذه المعلومات طي الكتمان ، وبالتالي فان نشاطهم لم يتمخض عن أية نتائج علمية

وكان نشاط منافسيهم الايطاليين اكثر جدوى ، فقد كان هذا النشاط أحد الاسباب الكامنة وراء رحلة لودفيكو دى فاريتم في بداية القرن السادس عشر ١٥٠٣ ـ ١٥٠٥ ، الذي كان أول أوربي يزور مكة والمدينة وعدن وصنعاء ، وعلى مدى طويل ظلت نتائج رحلته المصدر الوحيد للتعرف على الجزيرة العربية في أوربا

وفي القرنين السادس عشر والسابع عشر لم تكن المعلومات عن جزيرة العرب تصل اوربا الا عن طريق الاسرى ، الذين كانوا يرافقون اسيادهم الحجاج ، أو عن طريق التجار ، الذين كانوا يترددون على اليمن وحضرموت والمناطق الداخلية . وفي هذه الآونة يكتسب جنوب جزيرة العرب شهرة عالمية ويطلق عليه اسم « بلاد البن » ، حيث كان البلد الوحيد في العالم الذي كانت تنمو فيه شجرة البن آنذاك

ومن بين الرحالة المشهورين في هذه الفترة برز الرحالة الالماني فيلدين ، الذي زار مكة في عام ١٦٠٧ والهولندي فان دين بروك ، الذي زار مرافىء جنوب جزيرة العرب اكثر من مرة ، وقام في عام ١٦١٦ برحلة من مخا الى صنعاء

« كولومبوس جزيرة العرب »

في عام ١٧٦١ وصلت أول بعثة علمية عربية الى الجزيرة العربية وقد ضمت هذه البعثة المستشرق حريستيان ، وعالم النبات فورسكول والطبيب وعالم الحيوان كرامر والفنان باورينفايند والجغرافي نيبور وقد قامت هذه البعثة بدراسة اليمن بشكل خاص ووضعت أولى خرائط البلاد ووصفا رائعا لثروتها النباتية ورسمت لوحة مفصلة للحياة السياسية في كتاب نيبور « وصف الرحلة الى جزيرة العرب والبلدان المجاورة » وهذا الكتاب الذي صدر في ثلاثة مجلدات منذ أكثر من قرنين من الزمن (طبع آخرها في عام ١٨٣٧) والذي لا يزال على الرغم من قدمه ، أحد المراجع الاساسية للتعرف على المنطقة اضف الى ذلك أن هذه البعثة ونتائجها كانت أكبر حافز لتنظيم بعثات ورحلات أخرى الى الشرق الاوسط ، فلاغرابة اذن أن يعتبر كارستين نيبور كولومبس جزيرة العرب في العصر الحديث

وفي القرن التاسع عشر استمرت الدراسات الجغرافية للجزيرة العربية بوتيرات أكثر سرعة ، وقد برز من بين الرحالة في هذا القرن زيتسين ، الذي تجول في شمال ووسط وجنوب الجزيرة العربية ، والذي ضاعت آثاره في رحلته الاخيرة في عام ١٨١٥ واذا كان نيبور هو أول من تحدث عن الآثار القديمة في مأرب دون أن يراها فان الفضل في اكتشاف النقوش القديمة في مأرب يعود الى زيتسين ، حيث قام اثناء رحلته الاخيرة بارسال خمس نصوص عثر عليها في اطلال ظفار ، العاصمة الحميرية القديمة ، ولكن هذه النصوص كانت عبارة عن نسخ صغيرة سيئة النسخ ، ولذا فان رموزها لم تحل حتى الآن

المسجد الكبير في مكة المكرمة

من رسوم كتاب كارستين نيبوري وصف جزيرة العرب ۱۷۷۲

« النقوش .. النقوش »

وفي عام ١٨٣٤ اكتشف ضباط البعثة الجغرافية البريطانية او يلستيد وكروتيندين وخالتون اطلال حصن قديم وعدة نقوش محفورة على الصخر ، مما فيها نصا كبيرا ، لعب فيها بعد دورا بالغ الاهمية في دراسة تاريخ اليمن القديم

وقد أثار اكتشاف هذه النقوش القديمة اهتمام القنصل الفرنسي في جدة فرينيل ، الذى سبق له أن نشر عدة أعمال حول تاريخ جزيرة العرب في القديم ، فأقنع الصيدلي الفرنسي ارنو العامل في الفوج المصرى المتمركز في جدة بالقيام برحلة الى مأرب بحثا عن النقوش القديمة ، وعلى الرغم من أن رحلة ارنو كانت محفوفة بالمصاعب والمخاطر فقد تكللت بالنجاح الباهر ، حيث زار مأرب ودرس سدها العظيم واكتشف اطلال صرواح ـ العاصمة السبأية القديمة ، قبل مأرب وقد جلب أرنو نسخ عشرات النقوش ، التي لعبت دورا اساسيا في تطور العلم السبأى ، الذى يدرس لغة وتاريخ وثقافة الجزيرة العربية في القديم

وفي عام ١٨٦٩ أرسلت الاكاديمية الفرنسية للنقوش والفنون الجميلة أحد علمائها ـ هاليفى ـ الى اليمن لجمع ودراسة النقوش القديمة وقد عاد هاليفى وفي جعبته حوالى ٧٠٠ نسخة من النقوش القديمة والاهم من ذلك أنه اكتشف دولة معين القديمة .

أما غلازر ، الذى كرس كل حياته لجمع الاثار اليمنية القديمة ، فقد قام بثلاث رحلات طويلة الى الجزيرة العربية في الفترة ما بين ١٨٨٢ و١٨٩٤ حيث جمع عددا كبيرا من النقوش القديمة يربو على ١٨٠٠ وبفضل

المسجد الكبير في المدينة المنورة

الاعتماد على السكان المحليين ، وتعليمهم أصول النسخ ، تمكن من الحصول على النقوش المعنية المشهورة ونقوش تمنع عاصمة قطبان والنقوش السبأية وغير ذلك من النصوص ، والواقع أن معظم المراجع تتجاهل قسط العرب هذا في دراسة تراثهم

وفي القرن العشرين استمر تدفق النقوش الجديدة من الجزيرة العربية ولا بد من الاشارة هنا الى أن القرن العشرين بدأ يضع شروطا اكثر تشددا ازاء هذه النقوش وغيرها ، حيث لم يعد كافيا العثور على هذا الاثر او ذاك بل أصبح من الضروري تحديد نوع الكتابة ومكان العثور على هذا الاثر وما يحيط به الخ ، اذ أن هذه المعلومات الثانوية غالبا ما تكون أهم من النصوص نفسها ، وهكذا فقد بدأت في تاريخ اكتشاف الجزيرة العربية مرحلة نوعية جديدة هي مرحلة الحفريات الاثرية

اول بعثة اثرية

والواقع أن تاريخ اول بعثة اثرية الى الجزيرة العربية يعود الى نهاية القرن التاسع عشر ، ففي عام ١٨٩٨ ارسلت اكاديمية العلوم في فينا بعثة لهذا الغرض ، ولكن هذه البعثة لم تتمكن من الوصول الى عمق البلاد ، ومع ذلك فقد حققت نجاحا كبيرا في دراسة لهجات الساحل الجنوبي للجزيرة العربية وسوقطرة ، حيث تبين ان هذه أقرب الى لغة النقوش القديمة منها الى اللغة العربية « الكلاسيكية » ومع مطلع القرن الحاري ظهر الخبراء التقنيون الاوربيون في الجزيرة العربية ، وتم تمديد الخط الحديدي الحجازي ، الذي يصل دمشق بالمدينة المنورة ، مما سهل أعمال البحث . كما ان وضع مشروع لتمديد

حديدى في اليمن قد تطلب وضع الخرائط لمساحة
ـعة من الاراضى

رتتابعت البعثات الجماعية والرحلات الفردية الى
ـيرة العربية . وكان ابرزها الرحلة التي قام لها راتين
ن ويسمان ١٩٢٧ ـ ١٩٢٨ الى الجزيرة العربية لاجراء
ـاسات والابحاث الجغرافية والجيولوجية والتاريخية
ـقافية ، وقد تركز عمل هذه البعثة في شمال صنعاء ،
ـث تم العثور على الكثير من الاثار الهامة وبعد عشر
ات (في عام ١٩٣٨) قامت ثلاث باحثات بريطانيات
طومسون وغادرنر وستارك بالاشراف على الحفريات
ـرية في حريد وحضرموت ولا تزال نتائج ابحاثهن
ـعا اساسيا في تاريخ الجزيرة العربية وبعد الحرب
ـلية الثانية مباشرة توجهت عدة بعثات عربية الى
ـيرة العربية وكان من ابرزها بعثة العالمين المصريين
ـق ومحرى الى اطلال مأرب ومعين

وفي عام ١٩٥٠ بدأت البعثة الامريكية (ـ صندوق
ـة الانسان)Foundation for the Study of
ـشاطها في جنوب الجزيرة العربية في ومأرب بشكل
ـن حيث عثرت على كمية كبيرة من النقوش الجديدة
ـثار الفنية ، بما فيها نماذج رائعة من النحت
ونزى ولكن من الواضح أن علماء الاثار الامريكيين
ـناسوا أصول الحفريات العلمية وتحولوا الى باحثين عن
ـور ، والا كيف يمكن تفسير التستر التام على النتائج ،
توصلت اليها هذه البعثة ، سواء في تمنع ومأرب ، أو
ـلعار والسلال ووادى حضرموت ؟

آفاق واعدة

ـهكذا فان الدراسة الاثرية للجزيرة العربية لا تزال في
المحاض . وبالتالى فان دراسة جنوب الجزيرة العربية
ـزال في نفس المستوى ، الذى كانت عليه في مرحلة
ـريات الاولى ، اى منذ قرن مضى ، في الوقت الذى
فيه الحفريات في اليمن بمادة بالغة الاهمية سواء في
الاثار الفنية والنحت البرونزى بشكل خاص ، او في
الاثار الكتابية ، ليس على الحجر والبرونز فقط ، بل
ـ الجلد والرق وعلى الخشب وسعف النخيل

ـفي الوقت الحاضر أصبحت نقوش الجزيرة العربية
ـصدرا بالغ الاهمية لتأريخ اثيوبيا ووسط الجزيرة
ـبية ، ويرجح أن تساهم هذه النقوش في رفد تاريخ
شعوب شرق افريقيا والهند واندونيسيا ، وحتى بلدان
الشرق الاوسط بالكثير من المواد الهامة . وهذا ما يجعل
تنظيم التنقيبات المنتظمة والمبرمجة في الجزيرة العربية امرا
بالغ الاهمية

بقى أن نشير الى الجانب الاخر في تاريخ اكتشاف
الجزيرة العربية ـ ان القارىء المتمعن لابد أن يلاحظ ضيق
أفق الرحالة الاوربيين في القرون الاولى من عصر النهضة
السادس عشر ـ الثامن عشر ، ففي الوقت الذى كان
هؤلاء الرحالة يتحدثون باسهاب عن « تعصب » سكان
الجزيرة العربية ويهزأون من « الشكليات السخيفة »
للعادات الاسلامية ، كانوا ، هم انفسهم ، مكبلين بقيود
التعصب الديني.وفيما بعد ، في القرنين التاسع عشر
والعشرين لم تختف المحدودية الدينية الا لتحل محلها
محدودية أخرى ـ المحدودية الاستعمارية والهزء من فقر
وتخلف سكان الجزيرة العربية ، على الرغم من أن النير
الاستعمارى بالذات هو أحد أهم الاسباب الكامنة وراء
هذا التخلف والفقر وتجدر الاشارة الى ان هذه
المحدودية بنوعيها وهذا التهكم كانا يختفيان لدى الرحالة
دوى الاهتمامات العلمية لتحل محلها مشاعر الود
والتعاطف المتبادلة ، وهذا ما يطالعنا في أعمال غلازر
وفيلبى وفون ويسمان وغيرهم من الرحالة ، كما يبرز
ذلك بشكل خاص بالنسبة للرحالة تريزيغر ، الذى قام مع
حفنة من البدو باجتياز الربع الخالى وقد آلفت المصاعب
والمحن المشتركة بينه وبين زملائه فجاء وصف رحلته مفعما
بمشاعر الحب والامتنان

ونفس الشيء يمكن ان يقال عن تشارلز دوتى الذى
تجول داخل الجزيرة العربية زهاء عشرين شهرا (بين
١٨٧٦ و١٨٧٨) ، فقد وصف لورانس كتاب دوتى
بقوله . « في هذا الكتاب تعيش الصحراء كلها، هضابها
وسهولها بكثبانها وقراها بناسها وحيواناتها انه
الجزيرة العربية حقيقة بكل قذارتها وروائحها ، وبكل
طيبتها وحريتها ، وهذا الكتاب خال من أى شيء زائف
ومن كل تزويق مختلق ، بالاختلاف عن جميع كتب
الرحالة الى الشرق . . ان كتاب دوتى كل متكامل لا يجوز
أن يضاف اليه شيء او يقتطع منه أى جزء . وهو يشمل
الجزيرة العربية بأسرها . ولا يبقى لمن يأتى من بعد دوتى
الا أن يدخل بعض اللمسات التشليلية الضئيلة . » وهذا
الكتاب الذى نقدمه يشكل احد هذه اللمسات ، الجديرة
بالترجمة الى العربية ■ ■

هاشم حمادى

* *

* *

مسابقة العدد

■ مسابقة هدا العدد هي (الكلمات المتقاطعة) والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحة العدد بقطعها منه اما المنشور في أسفل الصفحة المقابلة ، فمن الضروري ان يرفق بالاجابة حتى تفوز بواحدة من الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار تمنح على الوجه الآتي

الجائزة الاولى قيمتها ٣٠ دينارا ـ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا ـ الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و ٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير

ترسل الاجابات على العنوان التالي مجلة العربي ـ صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ٢٨٤ » وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو أول سبتمبر (١٩٨٢)

اثنتان في واحدة

اذا استطعت حل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، ستجد في (٨) أفقيا اسم مهندس ورجل صناعة عربي قديم . كما ستجد في (٨) رأسيا اسم فلكي ومخترع أندلسي ..

كلمات أفقية :

(١) من الأشجار ـ أردي ـ من الأقارب .
(٢) لقب الظاهر بيبرس ـ يحكي
(٣) عقله ـ رائد العرب في مجال العلم الطبيعي في العصر الحديث
(٤) للتفسير ـ أجيب ـ رمي ـ ضمير
(٥) دولة أفريقية ـ في الدير ـ مقام موسيقي
(٦) تجدها في كلمة (عادت) ـ أعجب ـ آلة موسيقية
(٧) من أنواع النسيج ـ فسيحة ـ من المحاصيل الزراعية
(٨) مهندس ورجل صناعة عربي قديم .
(٩) رمز هندسي ـ مصور معروف من عصر النهضة الايطالي ـ فرت .
(١٠) من الفنون التشكيلية ـ من الحوامض .
(١١) صاحب ـ عودة ـ جواهر ـ حرف استفهام
(١٢) منحت ـ حرف استفهام ـ وعاء ـ أرض مرتفعة .
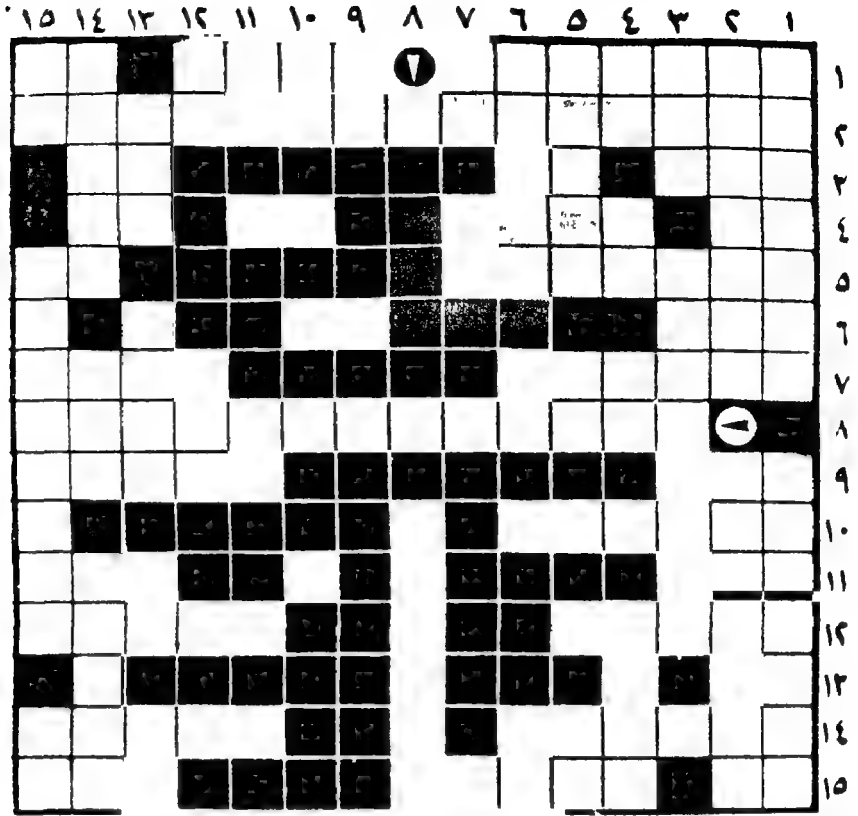
١٣) عمت ـ حطابه
١٤) يتمهل ـ نصف كلمة (يهلك) ـ آثام
١٥) كشف ـ صعب ـ للنوم ـ حرفان متشابهان

كلمات رأسية :

١) دولة أفريقية ـ من الغازات
٢) لقب شاعر عربي معاصر ـ من المقاييس الطولية ـ اكتمل
٣) صحة ـ من الاسلحة الحربية ـ من أوجه القمر.
٤) نصف كلمة (مجون) ـ من الاقارب ـ من رتب المملكة الحيوانية ـ نصف كلمة (وعيد) .
٥) من الأمراض ـ نستر ـ عاشق عربي شهير .
٦) نصف كلمة (نقبل) ـ بيت ـ لفظة ضيق ـ قبل اليوم
٧) يترك ـ عاصمة منغوليا .
٨) فلكي ومخترع اندلسي .
٩) عطره !؟ ـ أديب عربي معاصر .
١٠) من حروف الهجاء ـ مرتفع ـ نقوم الليل .
١١) أشرب ـ بسط .
١٢) عاصمة ألبانيا ـ من أعمال بودلير .
١٣) وسائل انتقال ـ يضاهي ـ من المكاييل .
١٤) رقة في الحواس ـ ضوضاء ـ نزق .
١٥) سلط ـ من الفاكهة ـ حرفان متشابهان .
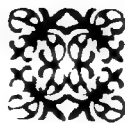
حول الدائرة السوداء
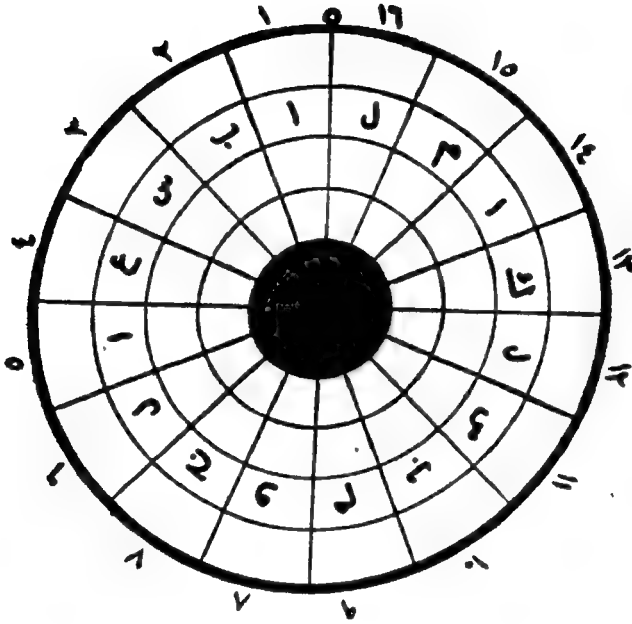
ضع الكلمات ذات الأحرف الأربعة ، والتي نعطيك معانيها ، في أماكنها وفقا للأرقام .. يساعدك وجود الحرف الثاني من كل كلمة . ستجد حول الدائرة السوداء اسم

مهندس بريطاني صمم خزان أسوان في مصر وأشرف على بنائه

(١) شهر ميلادي (٢) يظهر (٣) فلك (٤) يرتفع (٥) فارغ (٦) من أوجه القمر (٧) يعدو (٨) عاصمة أوربية (٩) من الطيور (١٠) أختبر (١١) من الدهون (١٢) مريض (١٣) ريب (١٤) شهر ميلادي (١٥) يجوز (١٦) قعود ..
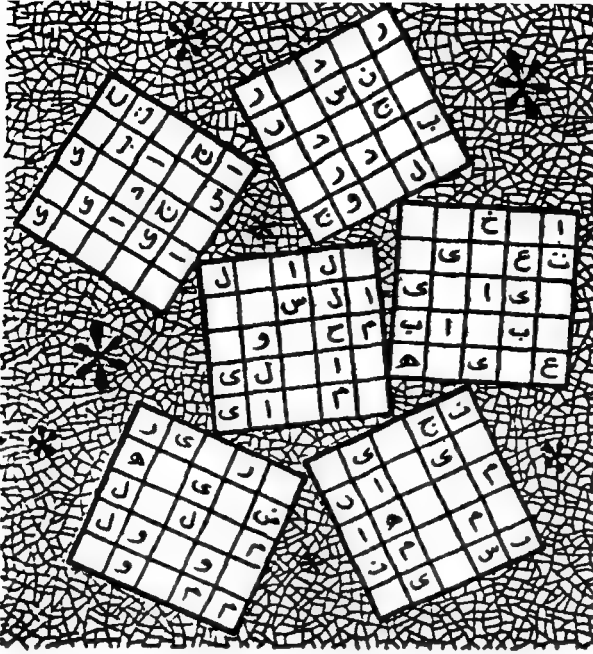
أمامك ستة مربعات ذات اطارات خارجية ثقيلة . في كل مربع من هذه المربعات خمس كلمات ذات خمسة حروف ، ينقصها جميعا نفس الحرف . اجمع الحروف الناقصة في المربعات الستة ، ورتبها لتحصل على اسم عاصمة عالمية

أمامك مثل عربي ، يرمز لكل حرف من حروفه أحد الرسوم ، بحيث يمثل الحرف الواحد نفس الرسم دائما . على سبيل المساعدة نعطيك بعض الحروف من كلمات المثل في مواضعها . هل يمكنك الوصول الى المثل اذا عرفت انه يحض على :

البدء بالتفاهم قبل توقيع العقوبة

الحلول

حول الدائرة السوداء : سير ويليام ويلكوكس .

العواصم : بلجراد .

مثل عربي : العتاب قبل العقاب .

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ دولة الكويت

يوليو
١٩٨٢م

العالم بعد مائتي عام

الثورة العلمية والتكنولوجية خلال القرنين القادمين

تأليف : هيرمان كان وآخرين
ترجمة : شوقي جلال

الكتاب الخامس والخمسون

المراسلات :
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

مِنَ المسرح العالمي

وزارة الإعلام في الكويت

أول يوليو ١٩٨٢

٢٥٤

الجدة الأولى

تأليف : فرانس جريلپارتسر

ترجمة وتقديم : د. باهر الجوهري

مراجعة : د. كمال صفوت الألفي

مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية

تصدر عن جامعة الكويت

رئيس التحرير

الدكتور عبد الله الغنيم

صدر العدد الاول في كانون ثاني (يناير) ١٩٧٥

تصل أعدادها الى ايدي نحو ٠٠٠ر١٢٥ قارئ

يحتوي كل عدد على حوالى ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير يشتمل على -

مجموعة من الأبحاث تعالج الشئون المختلفة للمنطقة بأقلام عدد من كبار الكتاب المتخصصين في هذه الشئ

عدد من المراجعات لطائفة من أهم الكتب التي تبحث في النواحي المختلفة للمنطقة

ابواب ثابتة تقارير وثائق -- يوميات ببليوجرافيا

ملخصات للابحاث باللغة الانجليزية

ثمن العدد ٠ فلس كويتي او ما يعادلها في الخارج

الاشتراكات للافراد سنويا دينارات كويتيان في الكويت ، ١٥ دولارا أمريكيا في الخارج (بالبريد الجوي)

للشركات والمؤسسات والدوائر الرسمية ١٢ دينارا كويتيا في الكويت ٤٠ دولارا امريكيا

في الخارج (بالبريد الجوي)

منشورات المجلة

تصدر المجلة ايضا دراسات مستقلة متعلقة بشئون المنطقة صدر منها

١ - كتاب التكامل الاقتصادي في الخليج العربي (د محمد هشام خواجكية) ١٩٧٩

٢ - كتاب آفاق التنمية الصناعية في دول الخليج العربي (د عبد الاله أبو عياش) ١٩٧٩

٣ - كتاب حقوق الطفل في دولة الكويت (د بدرية العوضي) ١٩٧٩

٤ - كتاب الاحصاءات الاقتصادية في المملكة العربية السعودية (بدوي خليل) ١٩٨٠

٥ - دور جريدة فتاة الجزيرة في أحداث عام ١٩٤٨ بصنعاء (سلطان ناجي) ١٩٨٠

سلسلة وثائق الخليج والجزيرة العربية لعام صدر منها

الكتاب الاول وثائق الخليج والجزيرة العربية لعام ١٩٧٧ ١٩٧٩

العنوان جامعة الكويت - كلية الآداب والتربية - الشويخ - دولة الكويت

ص ب ١٧٠٧٣ - الخالدية

الهاتف ٨١٦٨٠٧ - ٨١٦٧٩٩ - ٨١٦٨٢

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير

شوال ١٤٠٢هـ - اغسطس (آب) ١٩٨٢م

عزيزي القارئ

يفترض ان نوجه في هذه الرسالة بطاقة تهنئة بمناسبة عيد الفطر ، مشفوعة بدعاء الى الله ـ ورجاء ـ ان يعيد هذه الايام على الامة الاسلامية ، وهي في حال افضل ، تسترد فيه مزيدا من الثقة في الحاضر والمستقبل . لكننا لانستطيع ان نبعث بالبطاقة دون ان نصب فيها بعضا من همومنا التي يتعذر التحلل منها ، وهي بين العام والخاص .

اذ تظل كلماتنا في تلك المناسبة مكسوة بغلالات كثيفة من الاحزان ، اسقطها المناخ العام الذي يعيشه وطننا العربي ، فيما سمي بحق « عام الهوان العربي » . ولكننا لا نريد ان نستسلم لليأس ، فتلك هوة يراد لنا ان نسقط فيها ، وانما ـ ونحن نطلق بعضا من الزفرات الحبيسة ـ نظل على يقين من انه لن يصح الا الصحيح ، وان البشر وان استطاعوا ان يقتلوا البشر ويدمروا المدن ويقطعوا خطوط الكهرباء والماء وامدادات التموين ، لكنهم لن يستطيعوا ان يغيروا من نواميس الكون ولا عدالة السماء .

تعزز ثقتنا في المستقبل تلك الوقفة الباسلة والمشرفة ، التي تقفها جماهيرنا الفلسطينية واللبنانية ، وهي تصد بشجاعة نادرة زحف قوى الظلام في صيدا وصور وبيروت وغيرها من القرى اللبنانية . ذلك يزرع فينا نبت أمل أخضر ، ويحول بيننا وبين القنوط ، ويشعل وسط السواد الحالك ذبالة ضوء تتحدى الاعاصير .

* * *

في اطار الهم الخاص ، فان هناك الكثير مما نود ان نقوله لقراء المجلة وكتابها ، بدءا برجاء ان يتوخى كل من يكاتب « العربي » ان يسجل اسمه كاملا وعنوانه ، لان الرسائل المجهولة التوقيع ، او الموقعة برموز لا دلالة لها ، تستبعد تماما من اي فحص او دراسة ، ولصاحب الرسالة ـ ان شاء ـ ان ينبه المجلة الى ان رسالته ليست للنشر ، او ان تحتفظ المجلة باسمه لديها . . لكن يظل من حق المجلة دائما ان تعرف من الذي يخاطبها ومن اين . . ؟

ثم لنا رجاء لدى كتاب « العربي » ، ان يسجل كل منهم ايضا اسمه ثلاثيا وعنوانه وتخصصه ، او مراجعه فيما يكتب كلما أمكن ، حتى نستطيع ان نقدم خدمتنا الى القارىء على افضل صورة . ونرجو ان يعذرنا كتابنا اذا تأخرنا في نشر مقالاتهم التي تصل غير مستوفية تلك العناصر .

رجاؤنا الثاني ان يلتزم كتاب المقالات بالحيز الذي استقر عليه العرف والعمل في المجلة ، وهو ـ للتذكرة ـ لا يتسع لاكثر من ٢٠٠٠ كلمة كحد أقصى ، علما باننا في عصر تطلب فيه بالحاح تلك المقالات التي ينطبق عليها وصف « ماقل ودل » .

رجاؤنا الاخير الانضطر بين الحين والآخر الى تذكير الجميع بهذا الذي قلناه هنا . . وقلناه مرة من قبل !

وكل عيد وانتم طيبون .

(المحرر)

صورة الغلاف

● رحلة العربي في هذا العدد الى جبل العرب في محافظة السويداء بالقطر السوري حيث موطن الدروز في سوريا ومسقط رأس زعيم الجبل الراحل سلطان الاطرش ولوحة الغلاف لواحدة من بنات الجبل، بزيها التقليدي، وقد رسمها للعربي الفنان سهيل عثمان (انظر استطلاع ص ١٠٠)

القسم العام

عروبة واسلام

طب وعلوم

ادب وفنون

قضايا حيوية

تاريخ واشخاص

تربية وعلم نفس واجتماع

استطلاعات مصورة

ابواب ثابتة

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

رئيس التحرير الدكتور محمد الرميحي

مدير التحرير فهمي هويدي

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت للعالم العربي وكل قارىء للعربية في العالم . الوزارة غير مسؤولة عما ينشر فيها من آراء والمجلة غير ملتزمة باعادة أي مادة تتلقاها للنشر .

ثمن العدد بالكويت ٢٠٠ فلس ، السعودية ٤ ريالات ، العراق ٢٠٠ فلس ، الأردن ٢٠٠ فلس ، سوريا ٢٠٠ قرش ، لبنان ٢٠٠ قرش ، مصر ١٥٠ مليا ، السودان ١٥٠ مليا ، المغرب ٣ دراهم ، تونس ٣٥٠ مليا ، الجزائر ٣ دنانير ، البحرين ٣٠٠ فلس ، قطر ٤ ريالات ، الامارات العربية المتحدة ٤ دراهم ، اليمن الشمالي ٣ ريالات ، اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلسا ، ليبيا ٢٥٠ درهما

الاعلانات يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراسلات : باسم رئيس التحرير

عنوان المجلة بالكويت صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١

تلغرافيا « العربي »

الاشتراكات

ترسل الطلبات الى

قسم الاشتراكات

المكتب الفني ـ وزارة الاعلام

ص ب (١٩٣) ـ دولة الكويت

على طالب الاشتراك تحويل قيمة الاشتراك بموجب حوالة مصرفية أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام ، طبقا لما يلي :

فلس دينار

ـ الكويت والبلاد العربية ٢/٥٠٠ (ديناران ونصف)

ـ بلاد غير عربية ٣/٥٠٠ (ثلاثة دنانير ونصف)

AL — ARABI, NO, 285

AUGUST, 1982, P.O. Box 748, KUWAIT

د. احمد زكي

العربي ..

عندما صدرت « العربي » في الكويت في أواخر ١٩٥٨ كمجلة ثقافية شهرية مصورة ، كان الوطن العربي في حال . . . وبعد ثلاث وعشرين سنة من صدورها أصبح الوطن العربي في حال آخر .

عندما صدرت « العربي » كانت ثورة ١٩٥٢ المصرية عمرها سبع سنوات فقط ـ تلك الثورة التي أثرت تأثيرا عميقا في البنى السياسية والاجتماعية في مصر والوطن العربي وكانت شعاراتها تلقى الترحاب في أرجاء الوطن العربي قاطبة . .

ومنذ أسابيع قليلة ، مرت على هذه الثورة ثلاثون سنة تغيرت فيها أمور كثيرة في شئون السياسة والمجتمع والاقتصاد ، وتراجعت شعارات كي تحل محلها شعارات أخرى .

عندما صدرت مجلة « العربي » كان الاحتلال الاسرائيلي للأرض العربية بالكاد قد مضى عليه عقد واحد من السنين ، وها هي ثلاثة عقود تنصرم

د . محمد الرميحي

احمد بهاء الدين

في عالم متغير

بقلم : الدكتور محمد الرميحي

وتصبح الرقعة الصغيرة رقعة أكبر تحيطها بالقوة فراغات أمنية . . . وتصل الدبابات الاسرائيلية منها لتدق أبواب بيروت بعد أن دقت أبواب القدس الشريف .

عندما صدرت « العربي » كان عدد من الأقطار العربية تحت النير الاستعماري المباشر ، واليوم أصبحت كل الأقطار العربية مستقلة لكل منها علم ونشيد ومقعد في الأمم المتحدة .

عندما صدرت « العربي » كان عدد المتعلمين العرب محدودا بعشرات الألوف ، وأصبح اليوم بالملايين تخرجهم الجامعات والمعاهد العليا التي

انتشرت في شرق الوطن العربي وغربه

عندما صدرت « العربي » كانت المجلات الثقافية في الوطن العربي تعد على أصابع اليد الواحدة فأصبحت اليوم تعد بالعشرات .

عندماصدرت« العربي» كان برميل النفط يباع بدولار واحد ثم أصبح اليوم يباع بأكثر من خمسة وثلاثين دولارا للبرميل الواحد

التغيرات التي حدثت في الوطن العربي خلال العقود الثلاثة الأخيرة اذن هي تغيرات عميقة وجذرية سواء الاقتصادية منها أو الاجتماعية أو السياسية

تغيرت أنظمة وسقطت أحزاب وتبدلت شعارات ، وتركت فئات اجتماعية كاملة مكانها لفئات اجتماعية جديدة . قامت وحدات واستمرت . وسقطت وتفتتت أخرى ، قبلت أيديولوجيات وانتشرت ثم تقلصت وظهرت أيديولوجيات أخرى بدلا منها كل ذلك في تفاعل حيوي لم تشهده منطقة في العالم كما شهده الوطن العربي

***

لقد كتب المرحوم الدكتور أحمد زكي في أول عدد صدر من « العربي » (ديسمبر ١٩٥٨) مقالا مطولا يشرح أهدافها لخصه بقوله :

(ان « العربي » للفكرة العربية الخالصة ، وهي كل ما يتمخض عن الفكرة العربية من معان . فهي ضد الجهل ومع المعرفة في هذا الوطن العربي كله . وهي ضد المرض ومع الصحة . ومن الصحة صحة العقول . . . وهي ضد الفقر ومع الغنى تطلبه للفقير فيستغني .) .

ولا نحدنا بعد طول هذه المسيرة مختلفين مع تلك الأهداف ، لكن طرق تحقيقها هي التي تسمح بايجاد مجال للاجتهاد والتطوير كي يتناسب مع التغيرات البنيوية الهائلة في شتى المجالات والتي ألمت بأجزاء الوطن العربي فتأثر بها

في هذا العالم المتغير تصر « العربي » من جديد على الأهداف العامة والأساسية التي صدرت لها ومن أجلها - تصر على ان «العربي » هي هدية الكويت العربي الثقافية للوطن العربي من أجل تعميق الثقافة الجادة وتعريف المواطن العربي بوطنه وبالتطور الذي يطرأ على العلم والثقافة والأدب في وطنه الكبير وفي العالم . ملتزمة بمبادىء الأصالة والتجديد - التراث والمعاصرة .

سبيلنا الى ذلك اتباع الطرق العلمية في التطوير والمتابعة . . . فلقد صدرت في الوطن العربي فيما قبل من الزمن مجلات ثقافية وانتشرت ولكنها بعد حين خبت واضمحلت ، وبعضها فارق عالم الحياة - ولم يكن ذلك لعدم وضوح الهدف انما كان لقصور في التجديد والمتابعة .

وخطوات التجديد في « العربي » - والتي سوف تؤخذ على مهل وروية - هدفها تحقيق أهداف « العربي » بتقديم وجبات ثقافية وعلمية وأدبية تتناسب مع التغيرات الثقافية القائمة في وطننا العربي اليوم - من أجل تحقيق الأهداف الواضحة في تعميق الثقافة العربية وتأصيلها والعناية بتعريف الوطن العربي وإحياء تراثه الخالد والالمام بمظاهر الحضارة الانسانية .

***

كل ذلك في اطار اتباع طرق علمية متطورة لتحقيق أهداف « العربي » الوطنية والقومية والانسانية ، وتحدونا في ذلك حكمة تقول (لو دامت لغيرك ما وصلت إليك) تلك الحكمة التي يعتز بها تراثنا الحديث تؤيدها من العلم الحقائق وتؤيدها من التاريخ الوقائع . . . وتضعف بعض النفوس أمامها غير مصدقة عمق هذه الحكمة لضعف فيها أو قصور ذاتي جبلت عليه النفس البشرية .

تلك الحكمة تعني في اطار عملنا ان الانسان الفرد مهما طال بقاؤه في الحياة - فهو شبح عابر - والبقاء للأعمال - للأصلح من الأعمال - لذلك فان « العربي » في حاضرها ومستقبلها سوف تتوجه لبناء المؤسسة العربية الثقافية التي لا يربطها بهذا أو ذاك من الناس رابط لافكاك منه . . . صحيح ان الفرد مؤثر في عالمنا الثالث - الا أنه لا يجوز في مؤسساتنا الثقافية والعلمية وحتى السياسية ان نظل مرتبطين بالأفراد حسن عملهم أو كان غير ذلك ، ولكن لابد من التوجه لبناء المؤسسات التي تفرض علينا مواكبة التقدم وتقدم لنا اطار

الاستمرار والديمومة ، والمؤسسة تعني ان « العربي » لقرائها وكتابها ، وتعني أيضا ان ما ينشر فيها لابد من أن يخضع لفحص علمي محايد ـ ما أمكن للنفس البشرية ذلك ـ حتى يحقق الهدف منه . . . وتعني فوق ذلك كله وقبله ان « العربي » تفسح صدرها لكل نقد بناء واقتراح تطوير ومتابعة .

***

في هذا العالم المتغير وفي اطار فلسفة المؤسسة وأمام العبء الثقيل الذي تحمله مجلة العربي لجمهرة قرائها ، بعد مسيرة طويلة ربت فيها « العربي » جيلا من المثقفين العرب ، تتضح صورة المعاناة والمسئولية التي تثقل كاهل من يتصدى لمتابعة المسيرة . . . مسئولية . عشقت الكويت العربية ان تقوم بها لخدمة الثقافة العربية ، وأصبح قدرنا ان نحمل جزءا منها في الطريق الطويل تكاتفا مع اسرة «العربي » وقرائها لتقديم خدمة ثقافية ضمن حدود العلم والعقل والمنطق والاشتغال بالكليات لا الجزئيات ، الاساسيات لا التوافه ، في اطار وعي كامل وواضح بأهمية الدور الهائل الذي تمارسه وسائل الاعلام ـ خاصة المكتوبة ـ في عالم اليوم الشديد التعقيد والسريع التغير .

لقد كتب الاستاذ أحمد بهاء الدين في أول استهلال لحديث الشهر (يناير ١٩٧٦) حول هذا الموضوع يقول :

« قيمة الشعوب في هذا العصر تقاس بقوة الرأي العام فيها ، وقدرته على التأثير في أمورها ، ولكننا ـ ككثير من الدول النامية ـ ما زال الرأي العام دون هذا . ويؤخر قوة الرأي العام ممارستنا السياسية أحيانا وانتشار الضحالة في وسائل التثقيف العام أحيانا أخرى . . . » .

فالتأثير في الرأي العام مسئولية ضخمة تعتمد على حسن استخدامها وتوجيهها الوجهة الصحيحة التي تهدف الى مصالح الوطن العربي والمواطن بعد فهم حقيقي لواقع هذا الوطن وذاك المواطن نعتزم السير ، ومن حلال غلبة لا جلبة

ونسأل الله السداد ■■

د . محمد الرميحي

■ ابراهيم ، نحن مازلنا احياء ، ونقيم تحت اشجار الليمون في الرشيدية مع والدتك واحوتك

من رسالة اذاعية وجهها الاب الفلسطيني خالد ابراهيم سالم الى ابنه المفقود بعد غزو لبنان

■ معص الانظمة استخدمت القضية الفلسطينية وسيلة لتسوية مشاكلها الداخلية .

الرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد

■ الصحية الاولى في اي حرب هي الحقيقة !

الصحفي الانجليزي فيليب نايتلي

■ لن اعادر بيروت إلا الى فلسطين

ياسر عرفات

■ أنا امة وطن يموت فيه القمر وتزدهر تجارة الحشث

الفنانة اللبنانية فيروز

■ لسنا بناية تهدم فتنتهي القصية

الدكتور جورج حبش · زعيم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين .

■ لسنا قطيعا من الاعنام يمكن نقله بالسفن والسيارات الى هذا المكان او داك

صلاح خلف (ابو اياد)

عضو اللجنة المركزية لحركة تحرير فلسطين .

■ حروج اسرائيل من الاراضي اللبنانية ، ربما يكون اكثر صعوبة من دحولها .

صحيفة نيويورك تايمز الامريكية

■ لايوحد في الاسلام اعتيال ، انما فيه النصيحة وكلمة الحق .

فضيلة الشيخ سيد سابق .

خواطر

للدكتور حسان حتحوت

في منع الحمل والسياسة

في عملي الطبي كثيرا ما اصف الحبوب وغيرها من وسائل منع الحمل ، وأومن بالمخاطر الصحية التي تزيد النسبة المئوية لحدوثها في السيدات اللاتي يتجاوز انجابهن عددا معينا من الذرية ، كما اعترف بحق اسرة بذاتها ان تؤجل او تباعد ما بين حمل واخر وفق ظروف خاصة بها ولا ارى ان منع الحمل في ذاته حرام كالاجهاض ، فالاجهاض ، كما قال الامام الغزالي جناية على موجود حاصل هو الجنين في رحم امه ، اما في منع الحمل فلا يوجد مجني عليه أصلا فليست هناك جريمة

على ان قضية منع الحمل وتقليص زيادة البشر مسألة طبية في اقلها سياسية في معظمها . سياسية على النطاق العالمي وعلى النطاقات الاقليمية فأما المسألة العالمية فلن نطيل الوقوف عندها ، اذ تنادي بأن سكان العالم سيتجاوزون عما قريب ما يمكن ان تتيحه الأرض من غذاء ولباس وسكن وطاقة ، وهي نظرية موضع نظر اذ تحداها اخيرا « براون ومارتل » في كتابها « السنوات المائتان المقبلة » ، وتحدثا عن الخط طويل الأمد للتكاثر البشري وعن التعاون بين القادرين والمحرومين وعن الكوامن الهائلة من الرزق والطاقة في الفضاء الخارجي وباطن الارض وعلى ظهرها وفي اعماق المحيطات ، وهو كتاب جيد وجدير بالقراءة

واما على صعيد القطر أو الاقليم فقد بات جليا ان للموضوع ابعادا سياسية ... ولنضرب على ذلك مثلا بدولة اسرائيل فان معدل الانجاب للسكان العرب فيها ... كثيرا معدل انجاب اليهود ، ومعنى ذلك أن تمضي اجيال معدودة فاذا اليهود فيها ... ضئيلة والعرب اكثرية كاثرة وفي هذا ما فيه من تهديد لليهود لهذا اصبحت القضية ...

بالمقام الاول واصبحت شغلا شاغلا يستدعي من الاجراءات الديموجرافيه الوقائيه ما يحول دون وقوع المحظور من هذه الاجراءات مثلا مصادره الارض الزراعية حول قريه من القرى والقرية ان حرمت زمامها الزراعي اصبحت لسكانها قفصا وسجنا ومجاعه ، فلا يكون امامهم الا الالتحاق بالعمل في الهيكل الصناعي الاسرائيلي وينقلون من منتجين مستقلين الى عالة رزقهم رهن الراتب الذي يتقاضونه كل شهر ويبرر اليهود اخذ الارض بمبرر الظروف الامنية

ومن ذلك ايضا رفع الضرائب على اصحاب المتاجر ، فاذا افلسوا فقدوا اعتمادهم على انفسهم في تحصيل الرزق وصاروا عالة على الحكومة ومنه ايضا ان يكون نسف المنازل من بين عقوبات نزلها القانون جراء طائفة من التهم (وقد تكون كاذبة) مثل ايواء فدائي او التعاطف مع المنظمة ، مع التضييق الشديد في منح رخص جديدة للبناء ولو على ارض يملكها العربي طالب الرخصة ، ومنه تعسير تسجيل عقود الزواج او شهادات الميلاد الا للعرب الذين يحملون الهوية الاسرائيليه ومن يثبت سلوكه انه مسالم معهم ، وما ازال اذكر الرواية المشهورة « جذور » والجهد الذي بذل لاقناع الافريقي المخطوف بان يدع اسمه الحقيقي « كونتا كنتي » ويقتنع بالاسم الجديد « توبي »

كل هذا ـ مع تيسير صفقة الممتلكات بالبيع المربح والهجرة ـ يفضي الى سلسلة سببيه تؤدي على مرور الزمن الى تغيير الواقع السكاني الى نمط جديد يحقق سياستهم ولو بعد حين

وليس هذا كل ما في جعبتهم فهناك وسائل اخرى لو كنت مكانهم لاستعملتها ولكني بطبيعة الحال لا اود ان اكشف عنها وهناك وسائل لمقاومتها والتغلب عليها ولهذا لا نود ايضا ان نمضي بها على صفحات الجرائد فنحرقها ونهدرها

وليست اسرائيل المثال الوحيد فكم من مجتمعات في عالمنا الواسع تحاول الاقلية فيها ان تصبح اغلبية بالترويج للاستعمال من جانب واحد فقط لوسائل منع الحمل والتعقيم والاجهاض ، وتسخير الاعلام الحكومي والطبي والعلمي والاقتصادي لنشرها في عملية غسل مخ لفريق مع التنبيه على فريق اخر سرا بعدم اللجوء اليها او الاخذ بها ولقد كنت مرة في زيارة علمية لاحدى البلاد الافريقية المبتلاة بداء العصبيات المتنافسة ، وعند اطلاعي على سجل عمليات تعقيم النساء وجدت بجلاء ان كل النساء المعقمات كن من جانب بينما خلا السجل تماما من نساء الجانب الآخر

لقد ان الأوان الذي ينبغي ان يصحو الاطباء الى ان الممارسة الطبية لا تنحصر آثارها في المحيط الطبي وحده ، واذا كانت سعة الافق دائما وشمول النظره من مميزات الطبيب الماهر منذ اقدم العصور ، فلعلها في هذا العالم المعقد المتشابك اولى والزم ■■

لة التوسع الصهيوني :

بقلم الدكتور : أسعد عبد الرحمن

كان الحديث عن المطامع الصهيونية التوسعية في مطلع الخمسينات حديثا نظريا لدى العديد من القطاعات العربية والاجنبية . ومع نهاية الستينات ، أصبحت الغالبية الساحقة من تلك القطاعات تدرك ، بالشواهد العملية ، الطبيعة الاستعمارية التوسعية للحركة الصهيونية وما كادت حقبة السبعينات تنتهي وتبدأ معها مرحلة الثمانينات حتى وصلت جميع قطاعات الرأى العام العربي والعالمي ، وربما باستثناءات نادرة ، الى درجة أصبح معها اقتناعها بالجوهر التوسعي للفكرة والحركة الصهيونيتين ، المدعوم بالقرائن والوقائع المادية الملموسة ، اقتناعا كاملا وشاملا .

بما لاشك فيه أن هذا التحول الكبير في نظرة الرأى
ي كان نتيجة مباشرة لازدياد الوعي العربي والعالمي
بقة الاهداف والمخططات الصهيونية ، تماما مثلما كان
ة مباشرة لمسار الحركة الصهيونية التي حرصت - طوال
حل السابقة - على وضع تلك المخططات موضع
يذ وفي هذا النطاق ، ما كان بمستطاع كافة جهود
مية والاعلام المنبعثة من مراكز البحث ودور النشر
اتب الاعلام الفلسطينية أو العربية أو الاجنبية أن
، ذلك القدر من الوعي بالاهداف والمخططات
طبيقات التوسعية الصهيونية ، لولا أن تلك الجهود
بت مع سعي الحركة الصهيونية الحثيث والدؤوب
سيد غايتها على أرض الواقع سواء في فلسطين أو في
اضي العربية المجاورة وفي ضوء التطورات الأخيرة
لساحة اللبنانية وغيرها ، لعله من المناسب بذل محاولة
اضافية وموجزة للتذكير بالاهداف الصهيونية وبالكيفية التي عبرت فيها الحركة الصهيونية عن نفسها فكرا ومسارا سواء في الماضي أو في الحاضر مع اطلالة - ولو سريعة - على المستقبل

الفكرة التوسعية الصهيونية :

تأثر نشوء الفكرة الصهيونية ، بصيغتها المعاصرة ، بمجمل الظروف التاريخية التي أحاطت بالجاليات اليهودية في روسية القيصرية وسائر بلدان أوروبة الغربية أساسا وقد توزع الفكر السياسي اليهودى ، في سعيه للخلاص من حياة ومعاناة وعقلية « الجيتو » ، بأبعاده الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، على مدارس فكرية متعددة كان

١٩٤٧
اسحبت بريطانيا من الميدان
وتحولت القضيه الفلسطينيه الى هيئـ
الامم المتحده في نيويورك في ٢ نيـ
١٩٤٨ وفق خطه مدبره لتنفيذ مشر
التقسيم الذي وضعت اسسه قبل نصـ
سنين .
ـ قررت الهيئه العامه انتداب لجـ
خاصه عهد اليها بمهمه التحقيق .وتوصـ
اللجنه الى مشروعين :
الاول اقرته الاقليه ويقضي بثلا
دوله اتحاديه .
والثاني اقرته الاكثريه ويقضـ
بتقسيم فلسطين .
جنين
نابلس
الخليل
بئرسبع
النقب
توزع السكان عند صدور قـ
التقسيم :
● عدد سكان فلسطين (٦٨٥,٠٠٠
منهم (١,١٢٠,٠٠٠) عربي والباقـ
يهـود .
● كان على (٤٠٧,٠٠٠) عربي اذا
القرار ان يعيشوا تحت حكم الدولـ
اليهوديه .
● كان على (١٠,٠٠٠) يهودي اذا
القرار ان يعيشوا تحت حكم الدولـ
العربيه .
الصهيونيون ومن ورائهم امريكا
جهودهم ومغرياتهم لاستمالـة
الذين كانوا قد ابدوا
لمشروع التقسيم ، حتى يصبحوا
اللازمه لاقرار المشروع .
اولا في تاجيل الاجتماع المقرر
١١/٢٦ مرتين ، للضغط على
انهم .
التصويت في ١١/٢٩ كانوا قد
بعض الاعضاء ، واقـر
وبـال اغلبيه الثلثـين
صوتا مقابل ١٣ ، وامتناع
) .
التقسيم على انهاء الانتداب
عن اليوم الاول من آب
دولتـين مستقلتين :
. وتنشا في القدس اداره
توزيع الاراضي حسب قرار التقسـ
● الدولـه اليهوديه (٩٤٦ر٢٦١ر
دونم
النسبه المئويه ٧ر٥٦ ٪
● القدس الدولية (٠٠٤ر١٧٥) دونـ
النسبه المئويه ٦٥ر٠ ٪
● الدوله العربيه (٨٧٠ر٥٨٩ر١١) د
النسبه المئويه ٨٨ر٤٢ ٪
حـدود فلسطين سـنه ١٩٢
و١٩٤٧ .
الدوله اليهوديه المقترحة .
الدوله العربيه المقترحه .
مستوطنات يهوديه تشملها الد
العربيـه .
القدس وضواحيها : منطقة د

أبرزها مدرسة أولى دينية تدعو الى انتظار «المسيح المنتظر»، ومدرسة ثانية تتبنى مقولة الاندماج والذوبان في المجتمعات الاوروبية القائمة، ومدرسة ثالثة تنادي بالهجرة من المجتمعات الاوروبية المفعمة بالمشاعر اللاسامية الى المجتمعات الليبرالية حيث لا تسود تلك المشاعر، ومدرسة رابعة تحث اليهود على الانخراط في الحركات الثورية باعتبار أن الثورة الجذرية هي «خشبة الخلاص» للجاليات اليهودية الموشكة على الغرق، ومدرسة خامسة أخيرة تعتبر أن خروج اليهود من المأزق لن يكون الا من خلال العبور على جسر الدعوة القومية اليهودية بصيغتها التي عرفت لاحقا باسم «الصهيونية».

ورغم أن البوادر الاولى للصهيونية المعاصرة بدأت بالتشكل نتيجة تحالف وتصارع أفكار كل من ربي هيرش كاليشر (١٧٩٥ - ١٨٧٤) وموزس هيس (١٨١٢ - ١٨٧٥) وليوبنسكر (١٨٢١ - ١٨٩١) واشر هيمرمرج (١٨٥٦ - ١٩٢٧) علاوة على أفكار وجهود ناشطي جمعيات «أحباء صهيون»، فان التطور الحاسم في الفكرة الصهيونية كان على يدي تيودور هرتسل الذي تحول، مع العام ١٨٩٦، من دعوته الى «ذوبان اليهود» في المجتمعات المختلفة ليصبح منذئذ أبرز الداعين لقيام «دولة يهودية». ولم يمض عام واحد على ذلك حتى نجح هرتسل في الدعوة الى عقد «المؤتمر الصهيوني الأول» في بازل - سويسرة وفي تشكيل «المنظمة الصهيونية» التي تبنت «البرنامج الصهيوني» المعروف باسم برنامج بازل (أو بال). وقد جاءت «المنظمة» و«البرنامج» الصهيونيان على نسق المؤسسات والبرامج القومية الاستعمارية الرأسمالية المعروفة عندئذ في أوروبة الغربية، تماما مثلما كانا منسجمين مع الحركة القومية الاوروبية في مرحلتها الرأسمالية الاستعمارية.

ومع أن «البرنامج الصهيوني» حدد «غاية» الصهيونية بالدعوة الى «خلق وطن للشعب اليهودي في فلسطين»، فان أمر «موقع» و«حدود» ذلك «الوطن» بقي بين أخذ وعطاء في الأوساط الصهيونية حتى بعد وفاة هرتسل في العام ١٩٠٤. فقد استمر هرتسل وغيره من القادة الصهيونيين يتعاطون مع أفكار تدعو اما الى تأسيس ذلك «الوطن» في فلسطين، أو في العريش او شبه جزيرة سيناء او قبرص باعتبارها «مراكز للانقضاض» اللاحق على فلسطين، أو في الارجنتين أو أوغندة أو غيرهما لتكون بمثابة «معسكر ليلي» يتم منه الانتقال، لاحقا، الى فلسطين. إلا أن ذلك التردد في الأوساط الصهيونية سرعان ما حسم، مرة واحدة، لصالح تحديد «فلسطين» مكانا للدولة اليهودية المنتظرة وذلك أثناء المؤتمر الصهيوني السابع في العام ١٩٠٥. ولكن أي «فلسطين» [illegible] سعى الصهيونيون، منكرين، الى احتلالها و[illegible] عليها؟

البعد التوسعي في الفكرة

[illegible]ن في الاجابة على هذا السؤال الأخير دلائل قاطعة عن البعد التوسعي في الفكرة الصهيونية. ذلك البعد الذي طالما شكل واحدا من الأبعاد الأساسية المكونة والواضحة التي انطوت عليها الفكرة الصهيونية منذ أن كانت [illegible] هذا المجال، تمثل في أفكار كل من تيودور هرتسل «مؤسس المنظمة الصهيونية» ودافيد تريتش، أحد قادة الأوائل، ما يغني عن الاستعراض التفصيلي لأفكار العديد من القادة الصهيونيين «التاريخيين» الذين جاهروا [illegible] شات مستمر - بنواياهم التوسعية (انظر الخريطة المرفقة).

يؤكد هرتسل، في واحدة من صفحات مذكراته اليومية الطويلة المنشورة، أكثر من مقولاته التي تظهر جانب التوسعي الأصلي في الفكرة الصهيونية، أن المساحة [illegible] عام «الدولة اليهودية» عليها هي مساحة «تزداد مع ازدياد أعداد المهاجرين» الصهيونيين. ثم يضيف هرتسل في صفحة أخرى محددا، أن تلك المساحة ستكون حدود (٧٠) ألف كيلومتر مربع وأنها لا تقتصر بالتالي - على مساحة فلسطين المعروفة والتي تقدر بما يقرب من (٢٦) ألف كيلومتر مربع. ثم ان هرتسل لا يتردد في صفحة أخرى من مذكراته، في تثبيت حقيقة كون المساحة المطلوبة ستكون «من نهر مصر الى الفرات».

أما المقولات التوسعية التي نادى بها دافيد تريتش والتي نالت اعجاب وتأييد وحماس هرتسل وغيره من القادة الصهيونيين، فكانت - بالمعيار الزمني - سباقة وأكثر جرأة. فهو أول من تحدث وعمل - وبوضوح استعماري - من أجل تعديل «برنامج بال» الصهيوني بحيث تشمل لفظة «فلسطين» المذكورة في ذلك البرنامج كلا من العريش وشبه جزيرة سيناء (التي أسماها «فلسطين المصرية») علاوة على قبرص. ذلك [illegible] هذه المناطق شكلت في منظور تريتش ورفاقه ومن [illegible] جزءا طبيعيا وعضويا و[illegible] ما من أرض «[illegible] الكبرى» المطلوبة صهيونيا [illegible] ما دفع تريتش ورفاقه [illegible] بقوة - على طريق الدعوة الى [illegible] مصادر فلسطين والبلاد المجاورة لا سيما وأن زعماء الصهيونية يريدون و[illegible]

الدولة اليهودية تثبت أقدام احتلالها ١٩٤٨-١٩٤٩
عملت الدوله الصهيونيه من اسار ١٩٤٨ على سبب اقدامها في المنطقه العربيه .
ففي ٢٩ ايار ١٩٤٨ دعا مجلس الامن الى هدنه اربعه اسابيع (من ١١ حزيران — ٧ تموز) ، فاستغل الصهيونيون الهدنه للحصول على الطائرات الحربيه والمدفعيه والسيارات المصفحه الثقيله .
اعاد اليهود فتح طريق القدس وسيطروا على السهل الساحلي والجليل الاعلى واللد والرمله وجزء كبير من وسط فلسطين .
بعد ١٠ ايام اصدر مجلس الامن اوامره بوقف القتال ، وبدات الهدنه الثانيه يوم ١٨ تموز ١٩٤٨ (غير محدوده زمنيا) .
استمرت القوات الاسرائيليه في نشاطها العسكري واستولت على بئر السبع يوم ٢١ تشرين اول (اوكتوبر) ، وبيت حانون ٢٢ اكتوبر ، وبيت جبرين (منطقه الخليل) ، وارغموا المصريين على الانسحاب من النقب .
وافقت الاطراف المعنيه على وقف اطلاق النار اعتبارا من ٢٢ تشرين الاول ١٩٤٨ . لكن الاسرائيليين هاجموا الاراضي اللبنانيه (٣١ اكتوبر) ، واحتلوا خمس عشره قريه لبنانيه .
تحركوا في تشرين الثاني (نوفمبر) باتجاه خليج العقبه . وفي ٢٢ كانون الاول (ديسمبر) احتلوا منطقه العوجه وتوغلوا في سيناء .
لبنان
سوريا
نهاريا
حيفا
عين جيف
جنين
طولكرم
قلقيليا
تل ابيب
يافا
شرق الاردن
القدس
البحر الميت
الخليل
البحر المتوسط
غزة
رفح
العريش
ابو عجيلة
القسيمة
مصر
(سيناء)
النقب
كونتيلا
ام الرشراش
مناطق تحت سيطره اسرائيل منذ اول حزيران (يونيو) ١٩٤٨
مناطق احتلتها القوات الاسرائيليه بين حزيران (يونيو) وتشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٨ .
مناطق احتلتها القوات الاسرائيليه بين تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٨ وكانون الثاني (يناير) ١٩٤٩ .
مناطق احتلتها القوات الاسرائيليه وقد انسحبت منها خلال الاشهر الاولى من ١٩٤٩ .
حدود اسرائيل بين ١٩٤٩ و١٩٦٧
المفاوضات لعقد اتفاقات هدنه
في رودس تحت اشراف القائم
الوسيط الدولي رالف بانش (مصر
فبراير) ١٩٤٩ — لبنان ٢٣ اذار
١٩٤٩ — شرق الاردن ٣ نيسان
١٩٤٩ — سوريه ٢٠ تموز
١٩٤٩) .
الاتفاقات الاربعه في جنباتها
دائمه ، وان اختلفت في مدى
التفاصيل المحدده .
ذلك خرق الاسرائيليون اتفاقات
بالتحرك جنوبا حتى وصلوا
، واحتلوا مخفر ام الرشراش
بعد) في ١٩٤٩/٣/١٠
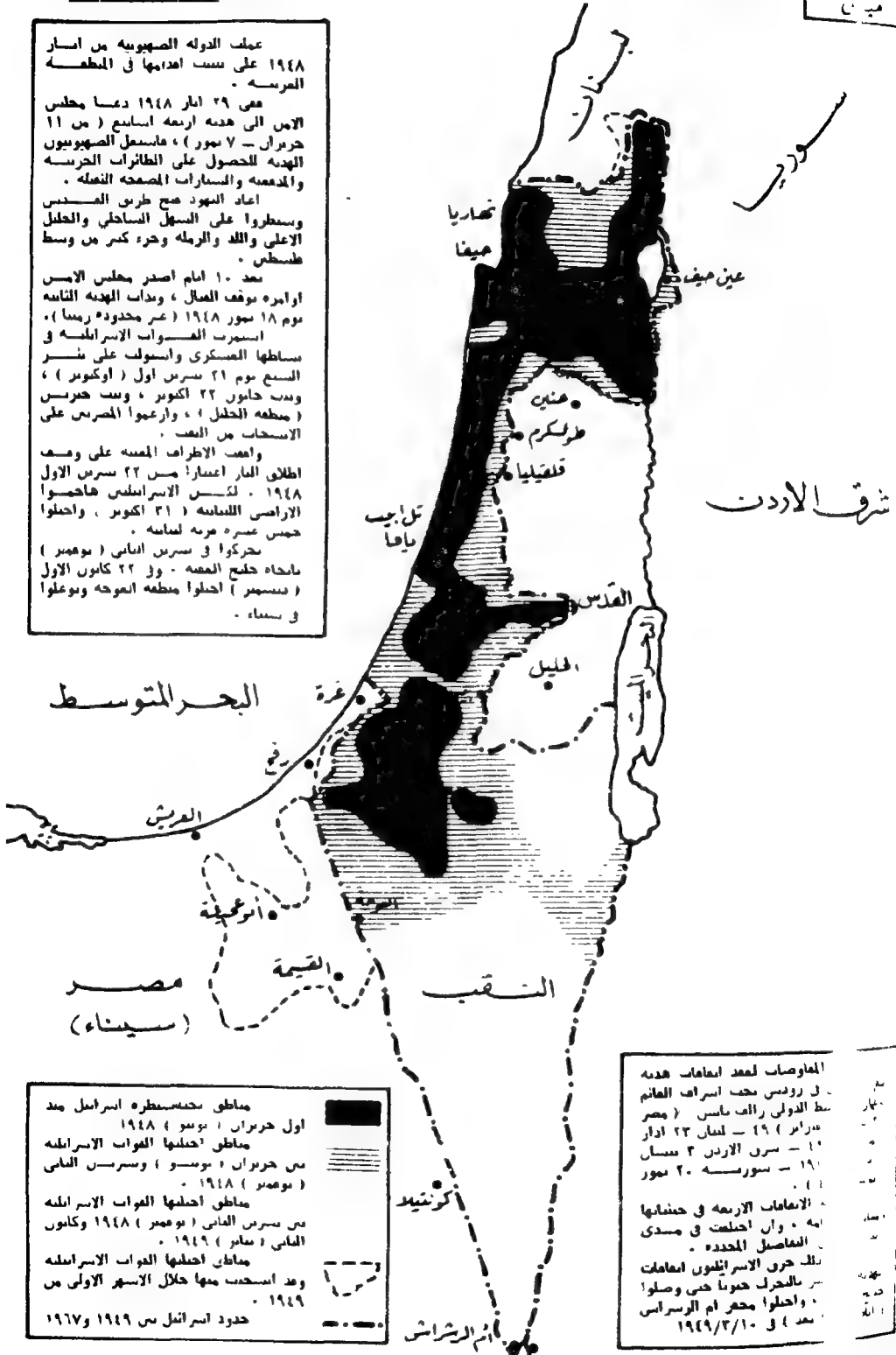
لمجموع الشعب اليهودي »

ولم يقتصر البعد التوسعي الأصلي في الفكرة الصهيونية على ما نادى به وعمل من أجله كل من هرتسل وتريتش فهذا هو البروفسورأوتو واربورغ ، الرئيس الأسبق للمنظمة الصهيونية ، يشترك هو وغيره من القادة الصهيونيين مع تريتش في « لجنة برلين » التي سعت الى تنفيذ فكرة « اسرائيل الكبرى » وكذلك الحال مع القائد الصهيوني البارز ماكس نوردو كما أن الدكتور حاييم وايزمن ، آخر رؤساء المنظمة الصهيونية قبل قيام اسرائيل وأول رئيس لدولة الكيان الصهيوني ، كان قد أصر ـ رغم صورته الشهيرة كزعيم صهيوني « معتدل » ـ على أن تشمل فلسطين « شرق الاردن » أيضا وفي هذا النطاق ، لم يختلف وايزمن عندئذ ـ الا تكتيكيا ـ عن جابوتنسكي ، « رائد » الدعوة الصهيونية المنادية باشتمال فلسطين على « شرق الاردن » بل ان اصرار جابوتنسكي هذا على التمسك بشرق الاردن كجزء من « الوطن القومي اليهودي » سرعان ما قاده الى الانشقاق عن المنظمة الصهيونية والى بلورة مجموعة سياسية اصطلح على تسميتها بمجموعة « الصهيونيين التصحيحيين » وقد شكل هؤلاء ـ لاحقا ـ « المنظمة الصهيونية الجديدة » وأسسوا وقادوا منظمتي « الأرغون تسفاي لئومي » و« شتيرن » الارهابيتين اللتين عادتا فاندمجتا ـ بكوادرهما الأساسية ـ في « حزب حيروت » الذي يشكل الآن العمود الفقري للتكتل الصهيوني الحاكم في اسرائيل (الليكود) بقيادة مناحيم بيغن منذ العام ١٩٧٧

وتؤكد الوثائق الصهيونية الرسمية ، وبالذات تلك الخاصة بفترة شباط/ فبراير ١٩١٧ ـ شباط/ فبراير ١٩١٩ ، على « النضج » المبكر للفكر التوسعي الصهيوني ، وعلى أنه فكر لا يقتصر على تيار من التيارات الثانوية للحركة الصهيونية فقد أطنبت « نشرة فلسطين » ، الصادرة عن « لجنة فلسطين البريطانية » الصهيونية ، في عرض تفاصيل حدود « فلسطين » المطلوبة صهيونيا في عدة مقالات نشرتها على امتداد أشهر تلك الفترة . بل ان خلاصة تلك المقالات أصبحت ، مع انعقاد « مؤتمر السلام » في العام ١٩١٩ ، موقفا صهيونيا شاملا من مسألة رسم حدود « فلسطين الكبرى » التي طالبت بها « المنظمة الصهيونية » في مذكرتها الرسمية الشهيرة المقدمة لذلك المؤتمر وتكشف هذه المذكرة ـ بوضوح قاطع لا لبس ولا غموض فيه ـ عن أن الحركة الصهيونية تطالب بأن يكون الحد الغربي لدولتها هو البحر الابيض المتوسط أما حدها الشرقي فهو غربي الخط الحديدي الحجازي ، في حين يكون حدها الجنوبي عند نقاط قريبة من كل من العقبة والعريش و[illegible] سرا ، تتضمن الحدود الشمالية للدولة اليهودية المطل[illegible] نهر الليطاني ، الى بانياس ، على مقربة من منابع نهر ا[illegible] دن ثم في اتجاه جنوبي شرقي الى نقطة جنوبية قريبة من دمشق والخط الحديدي الحجازي » وبذلك ، اتسعت حدود « فلسطين الكبرى » المطالب بها رسميا في الأوساط الصهيونية بحيث أصبحت تهدف الى ضم شرق الاردن برمته ، وسهل حوران الكبير ، وجبل الشيخ ومنطقة دمشق (وربما مدينة دمشق ذاتها) ، والمنطقة الفاصلة ما بين هذه الأخيرة والحدود اللبنانية ـ السورية الراهنة ، ومنطقة صيدا وصولا الى منابع المياه في جبال لبنان وحتى جسر القرعون ثم الى البير ، وتتبع الخط الفاصل بين حوض وادي القرن ووادي التيم ثم الى اتجاه جنوبي يتبع الخط الفاصل بين المنحدرات الشرقية والغربية لجبل الشيخ » أما فيما يتعلق بمنطق « فلسطين المصرية » (أي العريش وسيناء) فان الحركة الصهيونية أبدت كثيرا من « الكرم » عندما لم تصر على ضمها الى أطماعها الثابتة غير القابلة للتصرف (كما هو حال المناطق الأخرى) وتركت مسألة البت النهائي فيها لمفاوضات اقترحت إجراءها مع السلطات المعنية !

البعد التوسعي في الممارسة

يتلخص أبرز ما يميز الحركة الصهيونية في كونها حركة لا ترفع الشعارات لتتلحسها لاحقا ، ولا تضع المشاريع لتتخلى عنها مستقبلا ذلك أنها حركة تعني ما تقول ، وتصر دوما ـ بجشع مثابر ـ على تجسيد أفكارها وطروحاتها وأهدافها مغتنمة في ذلك الفرصة المناسبة ولهذا كانت « المنظمة الصهيونية » دائما حركة نظرها مشدود باستمرار الى غايتها البعيدة مع استعداد كلي لصياغة حركتها المرحلية دون « مزايدة » من جهة ، ودون « تفريط » من جهة ثانية . ولذلك ، وفي الوقت الذي تمسكت فيه الحركة الصهيونية تمسكا لا هوادة فيه بأهدافها النهائية ، فانها اعتنت ـ في الوقت ذاته ـ بخلق الظروف المؤاتية (عبر تعبئة أيديولوجية وسياسية وتنظيمية واعلامية واقتصادية وعسكرية مستمرة) للوصول الى غاياتها الاستراتيجية البعيدة من خلال تكتيك مستند الى سياسة « القضم والهضم » التدريجي . وعلى طريق تنفيذ ذلك لم تعدم الحركة الصهيونية تغطية أطماعها تلك بغير قوامه مجموعة من الذرائع والاسباب والعوامل المرتبطة بالدعاوى الدينية ، أو التاريخية ، أو العس[illegible] ية ، أو الاقتصادية . الخ

التوسع الاسرائيلى ١٩٦٧ و١٩٨٢
اعطتها هذه الاراضي الشاسعة عمقا استراتيجيا كانت تفتقر اليه ، وجعلت المناطق الاهلة بالسكان بعيدة في قلب الاراضي المحتله . ومكنتها من استخدام سلاحي الجو والدروع الى اقصى حد في تنفيذ مخططاتها ضد الجيوش العربية وتحركاتها . ومكنتها من تسريح نسبة كبيرة من جنود الاحتياط والاحتفاظ بقواتها النظامية على خطوط وقف القتال مع جنود الخدمة الالزامية .
ومن الناحية الاقتصادية اوجدت اسرائيل حلا اوليا لنقص الايدي العاملة ، كما انها استفادت من الثروات الاقتصادية الانتاجية للمناطق المحتله . (الزراعة في الاردن والجولان . والبترول في سيناء) .
— ومن الناحية السياسية وضع الانتصار العسكري الاسرائيلي اسرائيل في موقع سياسي واضح القوة .
دمشق
سعسع
القنيطرة
سوريا
الناصرة
نابلس
عمان
اريحا
بيرسبع
غزة
بلغ مجموع الاراضي العربية التي سيطرت عليها اسرائيل بعد ١٠/٦/٦٧ نحو ٨٩٫٣٥٩ كم٢ :
٢٠٢٥٠ كم٢ اراضي فلسطين المحتله عام ١٩٤٨ ، ٥٨٧٨ كم٢ اراضي الضفة العربية ، ٣٦٣ كم٢ قطاع غزه ، ١١٥٠ كم٢ اراضي هضبة الجولان . ٦١١٩٨ كم٢ اراضي شبه جزيرة سيناء المصرية .
العقبة
ايلات
السعودية
خليج السويس
خليج العقبة
٥٠
ميل
اسرائيل بين ١٩٤٩ و ٤ يونيو .
الاراضي العربية التي احتلتها بين ٥ و ١١ يونيو ١٩٦٧ .

وتتضح جميع أبعاد العملية الصهيونية الاسرائيلية الخاصة بخلق « الظروف المؤاتية » ـ على مختلف الأصعدة الايديولوجية والسياسية والتنظيمية والاعلامية والاقتصادية والعسكرية ـ من خلال التعبئة والممارسات الصهيونية/ الاسرائيلية المعبر عنها في عدم وضع دستور (حتى الآن) يرسم حدود الدولة الصهيونية ، وفي وضع وتبني البرامج التوسعية من قبل جميع الاحزاب الصهيونية الحاكمة والمعارضة منذ العام ١٩٤٨ وحتى اللحظة الراهنة. كما أن العملية ذاتها تتضح من الجهد الدائم الذي تبذله المنظمة الصهيونية سواء في مجال تجميع يهود العالم من حول اسرائيل والحركة الصهيونية ، أو على صعيد احكام الطوق على مراكز صناعة القرارات وأجهزة الاعلام وبالذات في دول العالم الغربي. وأخيرا ، تكتمل حلقات عملية خلق « الظروف المؤاتية » من خلال بث وتعميق جذور العزلة في معسكر « الاعداء العرب » وأنصارهم ، وعبر تعبئة الطاقات البشرية والموارد الاقتصادية المختلفة لخدمة أهداف المؤسسة العسكرية الاسرائيلية التي أولتها الحركة الصهيونية واسرائيل عناية فائقة.

وكما هو متوقع ، كانت كل هذه الجهود موظفة من أجل صب الماء في الطاحونة الاسرائيلية ، المقبلة شهية منقطعة النظير ، على تنفيذ مخطط « القضم والهضم » الصهيوني/ الاسرائيلي. ويتضح المسار العملي لعملية تنفيذ ذلك المخطط من الحقائق الصلبة الملموسة التالية.

١ ـ قيام القوات الصهيونية ، حتى قبل انسحاب جيش الانتداب البريطاني من فلسطين ، بمهاجمة واحتلال عدد من القرى والمدن الداخلة في « الدولة العربية » التي رسم حدودها مشروع التقسيم للعام ١٩٤٧ والذي أوصت به الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة. ومن الامثلة الواضحة على ذلك ، التوسع الصهيوني في مدن يافا ، وعكا ، وطبريا ، وصفد.

٢ ـ وعشية انسحاب بريطانيا من فلسطين في ١٥ أيار/مايو ١٩٤٨ ، لم تتوان الدولة الصهيونية عن توسيع رقعتها باحتلال أراض اضافية مخصصة للدولة العربية مستغلة في ذلك الصدامات مع الجيوش العربية وما أعقبها من اتفاقات وقف اطلاق النار والهدنة في العامين ١٩٤٩/٤٨. ومن الامثلة الواضحة على ذلك ، التوسع الاسرائيلي في النقب.

٣ ـ وبعد قيام اسرائيل ، اغتنمت الدولة الصهيونية كل سانحة لاحتلال أراض عربية جديدة طوال الفترة الفاصلة ما بين العام ١٩٤٩ والعدوان الثلاثي على مصر في نهاية العام ١٩٥٦. ومن الامثلة الواضحة على ذلك توسع اسرائيل في العديد من المناطق الحرام المنزوعة السلاح الواقعة بينها وبين « دول الطوق » العربية.

٤ ـ وأثناء عدوان ١٩٥٦ على مصر وبعده ، نجحت اسرائيل أخيرا في سلب بعض حقوق السيادة المصرية بعد أن أصرت أصلا على الاحتفاظ بجزء من الاراضي الفلسطينية والمصرية باعتبارها جزءا من « الاراضي الاسرائيلية المحررة ». ذلك أنه عندما اضطرت اسرائيل للانسحاب من قطاع غزة والعريش وصحراء سيناء في مطلع العام ١٩٥٧ ، حرصت على أن يترافق ذلك الانسحاب مع وضع قوات طوارىء دولية في الجانب المصري علاوة على « تثبيت » حقها في « المرور الحر » من والى ميناء ايلات.

٥ ـ وفي الحقبة الفاصلة ما بين ١٩٥٧ ـ ١٩٦٧ ، عاودت اسرائيل ممارسة سياستها التوسعية في المناطق المجردة من السلاح على « الحدود » بينها وبين كل من الاردن وسورية. ومن الامثلة الواضحة على ذلك ، توسع اسرائيل في أراضي قرى يالو وعمواس واللطرون في الضفة العربية ، اضافة الى بعض الاراضي الواقعة عند سفح الهضبة السورية.

٦ ـ وبعد حرب حزيران ١٩٦٧ وحتى نهاية الحقبة التالية في العام ١٩٧٧ ، توسعت اسرائيل في المرحلة الحزيرانية بحيث اشتملت حدودها الجديدة ـ التي تتحدد باستمرار بالمدى الذي يصل اليه الجندي الاسرائيلي ـ على كامل الضفة العربية ، وقطاع غزة ، وشبه جزيرة سيناء والهضبة السورية ، علاوة على جزيرتي تيران وصنافير السعوديتين. ومن الامثلة الأوضح على الممارسة التوسعية الاسرائيلية في المرحلة الثانية من هذه الحقبة ، قيام الدولة الصهيونية بضم القدس الشرقية (بعد توسيع رقعتها بحيث ضمت أراضي عربية مجاورة) اليها رسميا وباحتلال أجزاء جديدة من سورية ومصر أثناء حرب ١٩٧٣ ، وباقامة عشرات المستوطنات الاسرائيلية على امتداد الاراضي الفلسطينية والعربية المحتلة سواء في الضفة العربية وغزة ، أو في الهضبة السورية أو في سيناء.

٧ ـ وفي الفترة اللاحقة الممتدة من زيارة الرئيس السادات الى اسرائيل في نهاية العام ١٩٧٧ حتى الآن سعت اسرائيل ـ رغم اتفاقية الصلح مع ... الى تجديد سلب بعض حقوق السيادة المصرية على ... بعد

صعيد مدرحص للمناطق الحدودية المصرية على صعيد السلاح والقوات وبالاصرار على إدخال تعديلات - توطيعية - على الحدود الدولية وبالذات في منطقة طابا مدا ، علاوة على احتلال اسرائيل للشريط الحدودي من لبنان ، وما سبقه وواكبه وتبعه من نشر للمستوطنات الاسرائيلية في الضفة الغربية وقطاع غزة والهضبة السورية ، واعلان القدس « عاصمة أبدية » لاسرائيل ، وتطبيق القانون الاسرائيلي رسميا على المرتفعات السورية ، وتسمية « الضفة الغربية » باسم « يهودا والسامرة » ، والاعلان الرسمي المتكرر عن أن الاراضي الفلسطينية المحتلة في العام ١٩٦٧ ستبقى (حسب وجهة نظر اسرائيل في اتفاقات كامب ديفيد ووفقا لمشروع الادارة المدنية « الاسرائيلي ») تحت السيادة الاسرائيلية الى الأبد ! هذا كله ، فيما عدا ما سيحسم نهائيا من سلب حقوق السيادة اللبنانية وأراضي لبنان في أعقاب الغزو الاسرائيلي الراهن والذي بدأ مع مطلع حزيران / يونيو ١٩٨٢ وفي هذا النطاق ، ثمة دلائل كثيرة على نية اسرائيل في تحويل عملية غزوها شبه الشامل للبنان الى نقطة تبدأ فيها مرحلة جديدة من الصراع العربي - الصهيوني مرحلة الهيمنة الاسرائيلية العلنية على مقدرات السياسة الداخلية والخارجية لعدد من الدول العربية وفي طليعتها لبنان انها مرحلة « الامبراطورية الصهيونية » أو مرحلة « الدولة العظمى » الاسرائيلية في دائرة الاقليم شرق الأوسطي

الضعف العربي ؟

لقد كان نجاح الحركة الصهيونية في الحصول على جزء من الارض الفلسطينية وفقا لقرار التقسيم في العام ١٩٤٧ ، وما أعقب ذلك من توسع (استعماري - عسكري) صهيوني قبل قيام « اسرائيل » في العام ١٩٤٨ وبعدها ، أحد أبرز معاجل الجوهر الاستعماري الاحلالي التوسعي للايديولوجية الصهيونية غير أن هذه الجوهرة ما كان لها أن تخرج من حيز الامكان الى حيز الفعل لولا أنها تجسدت في قوة سياسية - عسكرية - اقتصادية - منظمة تمثلت في المنظمة الصهيونية وأجهزتها قبل ١٩٤٨ ، وفي الدولة الصهيونية وأجهزتها أساسا بعد العام غير أن هذه الحقيقة الرئيسية ، على أهميتها ، ليست الا أحد وجهي العملة الصهيونية

لقد راجت هذه العملة الصهيونية وانتشرت لأنها حققت - بقوة تنظيمها الشامل - طرد العملة العربية الرديئة والعاجزة نتيجة افتقادها الى التنظيم الشامل القادر على تعبئة طاقات وموارد الامة العربية وهكذا ، فان الوجه الآخر للعملة الصهيونية / الاسرائيلية المتفوقة هو الضعف العربي وعليه ، فانه بالقدر الذي كان فيه قيام وتوسع اسرائيل احد أبرز معاجل الايديولوجية الصهيونية المجسدة في قوة مادية منظمة ، فانه كان أيضا أحد معاجل الوهن العربي الذي لولاه لبقيت الدولة الصهيونية (بصيغتها الضيقة الأولية وبصيغتها التوسعية الراهنة) أسطورة خيالية بل انه لولا الوهن العربي لبقيت الايديولوجية الصهيونية (باعتبارها جذر الدولة الصهيونية الاستعمارية الاحلالية التوسعية والجائعة دوما لمزيد من التوسع) مجرد خرافة وأحلام يقظة مريضة ليس الا وفي هذا السياق ، ليس من قبيل المبالغة القول بأنه اذا كان لقيام وتوسع الدولة الصهيونية مليون سبب وسبب ، فان السبب الأخير عائد الى قوة تنظيم الصهيونية الذي مكنها من تعبئة صهيونيي العالم ونسج التحالفات مع الاستعمار والامبريالية ، في حين أن المليون سبب المتبقية انما هي مرتبطة ، بشكل أو بآخر ، بالضعف العربي

لقد حصلت الصهيونية على مشروع « الدولة اليهودية » في العام ١٩٤٧ نتيجة التمزق وفقدان القوة العربية وتوسعت الصهيونية في العامين ١٩٤٧ / ١٩٤٨ بفضل غياب الوحدة والتضامن العربيين وما أفرزاه من ضعف مادي عربي وما كانت اسرائيل لتقوم وتتوسع - في ظل دعم العالم الاستعماري الغربي لها - طوال الفترة ١٩٤٨ - ١٩٨٢ لولا أنها وجدت فوة لم يكن أمامها سوى الفراغ العربي بل ان اسرائيل مرشحة للبقاء ، ولقضم وهضم المزيد من الاراضي العربية ، ولتوطيد ونشر هيمنتها على النظم السياسية العربية خارج دائرة احتلالها التوسعي أبدا ، طالما بقي الفراغ الفعلي العربي قائما ويوم يملأ ذلك الفراغ بالطاقات المادية والبشرية العربية المنظمة والمعبأة ، ستبدأ عندئذ رحلة تبخر وتلاشي الايديولوجية الصهيونية وما نجم عنها من كيان صهيوني استعماري احلالي توسعي يكاد أن يغدو - ان لم يكن قد أصبح فعلا - « امبراطورية صهيونية » أو « دولة عظمى » اسرائيلية مرشحة لأن تبسط مظلتها الشيطانية على الوطن العربي بكل ما فيه من ملوك ورؤساء ، وحكومات وأحزاب وقوى وبشر ، ناهيك عن كل ما فيه من مصادر وموارد وثروات □□

د . اسعد عبد الرحمن
استاذ مساعد بقسم العلوم السياسية ورئيس تحرير مجلة العلوم الاجتماعية بجامعة الكويت

بقلم : الدكتور محمد فاروق النبهان

تلعب « الأعراف » دورا أساسيا في حياة المجتمعات البشرية ، وتسهم في تنظيم مسيرتها اليومية ، وتعبر عن طبيعة تلك المجتمعات وحاجاتها ، وتكشف عن مدى تطورها الحضاري والأخلاقي والقانوني ، وتقوم مقام القانون عند فقدانه ، وتكمل دوره في التنظيم عند وجوده ، وتعتبر احدى أهم مصادره الاساسية ، ولايمكن للقانون ان يتجاهل دور الاعراف في تنظيم حياة المجتمعات ، كما لايمكن لقواعده ان تتصادم كلية مع الاعراف القائمة ، ما لم تكن تلك الاعراف منافية كل المنافاة لقيم الأمة واخلاقها ومصالحها .

وتطلق كلمة العرف على الشيء المعروف الذي تستحسنه الأمة ، من العادات التي تتكرر مع الزمن ، سواء كانت في الاقوال أو الافعال ، وهو في اللغة ضد النكر ، وقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى « خذ العفو وأمر بالعرف » ـ الأعراف (١٩٩) . والعرف الذي أمر القرآن به ، هو العادات التي استقرت في الأمة واطمأنت اليها النفوس ، سواء كان مصدرها العقل او الاديان السماوية ، او الاخلاق الفاضلة ، وذلك مالم تصطدم بنص شرعي يبطل دورها ، ويلغي اعتبارها .

أقرت الشريعة الاسلامية الأعراف ، سواء كانت عامة او خاصة ، اذا توفرت فيها الشروط التي تكفل احترامها ، واعتمدت الشريعة في اقرارها لمبدأ العرف ، على ما ورد في القرآن الكريم من احترام الاعراف ، وقد أوضح المفسرون معنى العرف الوارد في الآية السابقة بأنه يشمل كل خصلة ترتضيها العقول وتطمئن اليها النفوس[1] .

وورد في الآثار المنقولة عن ابن مسعود ان ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن ، وهذا الحديث وان لم تثبت نسبته الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فان علماء الاصول يعتمدون عليه في الاستدلال على اعتبار العرف مصدرا تشريعيا معتمدا . .

وأعتقد أن قوة العرف تكمن في حاجة النا[illegible] ليه ، وهي دليل على استحسان الناس لعادة من الـ[illegible]ت التي

---

(١) انظر تفسير القرطبي جـ ٧ ، ص : ٣٤٦ .

برتضيها المجتمع ، وان المجتمع لايمكن ان يجمع على قبول عرف او عادة ما لم يكن ذلك العرف ملبيا لحاجة اجتماعية ملحة ، وما لم يكن منسجما مع أخلاق ذلك المجتمع

ومع هذا فان الشريعة الاسلامية قد طوقت العرف بشروط تكفل قبوله ، واحاطته بقيود لايمكن ان يقبل بدون توفرها ، والغاية من ذلك هي التفريق بين العرف الحسن الذي تقبله الشريعة وتحترمه ، والعرف الفاسد الذي تنكره الشريعة وترفض اعتماده كمصدر للأحكام الشرعية

شروط ضرورية للأعراف

اشترطت الشريعة الاسلامية لقبول الأعراف ما يلي (٢)

اولا عدم مخالفة الأعراف للنصوص الشرعية . ويعتبر هذا الشرط من اهم الشروط المرتبطة بقبول العرف ، وذلك لان المبدأ المقرر في الشريعة ان النصوص مقدمة على المصالح والأعراف ، ولايمكن للمصالح او الاعراف ان تلغي الاحكام الشرعية القطعية ، لان ذلك يؤدي الى ابطال تلك النصوص ، ومن القواعد المقررة في الفقه الاسلامي ان النصوص القطعية لايمكن ابطالها او تعطيل احكامها وكل عرف يترتب عليه ابطال نص فلا يمكن اعتماده او اقراره ، اذ من شروط قبول الاعراف الاتصطدم باي نص شرعي ، والا يترتب على الأخذ بها تعطيل اي نص قاطع وبناء على هذا الشرط فقد ابطل الاسلام كثيرا من الاعراف الجاهلية التي كانت قائمة ، كالتبني ، ونكاح الشغار ، وعادات كثيرة في التعامل والمبايعات ، كشرب الخمر ، والتعامل بالربا والاحتكار وذلك لأن النصوص قد الغت تلك الاعراف ، وابطلت اعتبارها ، ويمكننا ان نطبق هذه القاعدة اليوم على جميع الاعراف القائمة في مجتمعنا ، فكل عرف يصطدم بنص شرعي قاطع لايمكن قبوله ، ولو اشتدت حاجة الناس اليه .

ثانيا [illegible] يكون العرف مطردا او غالبا ، والمراد باطراد العرف او [illegible]ته ان يكون مما يجري العمل به باستمرار ، وفي جميع [illegible]حوال ، ويختلف العرف هنا عن العادة الفردية التي يلتزم [illegible]فرد دون غيره ، فان مثل هذه العادة لايمكن اعتبارها [illegible] وبالتالي لايمكن اعتبارها ملزمة ، اعتمادا على العر[illegible] ذلك لانتفاء العرف في هذه الحالة . .

ثالثا : عدم الاتفاق على مايخالف العرف ، وذلك لان العرف ينشىء التزاما معينا معتمدا على قبول العرف القائم ، فاذا اتفق الطرفان في العقد على ما يخالف العرف ، فان الاتفاق يعبر بطريقة مؤكدة وصريحة على ارادة الطرفين الحقيقية ، وهذا الاتفاق واجب الاحترام ، ولايمكن اللجوء الى العرف الذي يفيد الدلالة الظنية في مواجهة الارادة الصحيحة الممثلة في الاتفاق المبرم

ومن الصعب علينا ان ننكر دور الاعراف في اثراء الشريعة الاسلامية بالاحكام الفرعية المتجددة التي كانت تمثل الحاجات الاجتماعية في عصر من العصور

ولم يغلق الفقهاء المسلمون ابواب الشريعة امام الاعراف الاجتماعية ، سواء منها ما كان قائما في العصر الاسلامي الأول ، او ما استجد في الاقطار الاسلامية خلال فترات التاريخ الاسلامي ، ولم يكتف التشريع الاسلامي بقبول الاعراف وانما اعتبر العرف مصدرا تبعيا من مصادر التشريع الاسلامي ،

ومن اليسير علينا اليوم ان نلاحظ اثر الاعراف في الفقه الاسلامي من خلال ما نتتبعه في كتب الفتاوي والنوازل التي ازدهرت بعد القرن السابع الهجري ، وكانت تمثل التطبيقات لاحكام الشريعة الاسلامية في عصر من العصور ، ولذلك فقد اختلفت كتب الفتاوي باختلاف العصر كما اختلفت باختلاف الاقطار الاسلامية ، وهذا الاختلاف لايعبر عن اختلاف في اصل الحكم الشرعي ، وانما يعبر عن الاعراف السائدة في المجتمعات الاسلامية ، وبخاصة مايتعلق منها باحكام الأسرة : كالزواج والخطبة والطلاق والمهر والنفقات وحقوق الاولاد ، او مايتعلق باحكام المعاملات المختلفة ، وكثيرا ما كان الافتاء او القضاء يرجع الى ما جرى عليه العمل في ذلك . .

عمل أهل المدينة عند المالكية

أخذ الامام مالك بعمل اهل المدينة ، واعتبره مصدرا شرعيا ، وذلك لان ما كان يجري في المدينة يعتبر من جملة السنة التي اطلع عليها النبي صلى الله عليه وسلم ، وأقرهم عليها ، او تأثر فيها اهل المدينة بما سمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم ومن صحابته ، وبناء عليه فان عمل اهل المدينة يعتبر المصدر الرابع من مصادر الشريعة الاسلامية ، وهو مقدم على القياس وعلى خبر الآحاد ، وذلك لأن « العمل » الذي جرى عليه العرف لدى جمهور اهل المدينة ، لابد ان يكون معتمدا على سنة فعلية ،

(٢) [illegible] في نظام الحكم في الاسلام » ص ٣٩٦

والسنة المنقولة عن طريق التواتر اقوى من خبر الآحاد الذي يصطدم بعمل اهل المدينة.

اما المعارضون لرأي الامام مالك في الأخذ بعمل اهل المدينة، فانهم يسلمون بأن عمل اهل المدينة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم كان حجة، لوجود النبي صلى الله عليه وسلم الذي لايمكن ان يقرهم على خطأ، ولأن معظم الصحابة في ذلك الحين كانوا في المدينة، واجماعهم على عمل او عرف يعتبر حجة، اما «العمل» الذي كان في عهد الامام مالك فلا يمكن اعتباره حجة، وذلك لأن سكان المدينة قد ادخلوا كثيرا من العادات على حياتهم خلال الفترة الممتدة من وفاة النبي صلى الله عليه وسلم الى عصر الامام مالك، وبناء عليه فان عمل اهل المدينة لم يعد يصلح حجة، تترك لاجله اخبار الاحاد.

واعتقد ان الخلاف بين المؤيدين والمعارضين لاينصب على اعتماد عمل اهل المدينة او عدم اعتماده، وانما ينصب على ان المؤيدين لاعتماده والاخذ به يرون فيه امتدادا لما كان عليه العمل في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وقرينة على وجود السنة المتوارثة جيلا عن جيل، اما الذين يعارضون في ذلك، فانهم لايرون ذلك الرأي على وجه العموم. فان ثبت لهم ان العمل موافق للسنة اخذوا به بلا خلاف.

العمل لدى علماء المغرب

لقد اسهمت الاعراف اسهاما كبيرا في امداد الفقه الاسلامي بالاحكام الجزئية. واذا كان الامام مالك قد اعتبر ان عمل اهل المدينة يعتبر حجة في مجال التشريع، فان فقهاء المالكية في بلاد المغرب والاندلس قد توسعوا في هذا المجال، انطلاقا من فكرة «العمل». واصبح «العمل» من الكلمات المألوفة في كتب الفقه المالكي، وبخاصة كتب النوازل التي اعتمدت على ماجرى عليه العمل. واشتهرت في المغرب كلمة العمل الفاسي والعمل السوسي والعمل الغرناطي، اي ما جرى عليه العمل في هذه البلاد من احكام واعراف.

ويبدو أن كلمة «العمل» او اصطلاح «ماجرى عليه العمل» الذي نجده كثيرا في كتب المتأخرين من فقهاء المغرب، قد نشأت في الاندلس، وكان يراد «بالعمل» العدول عن القول الراجح او المشهور في بعض المسائل الفقهية المعتمدة في المذهب الى القول الضعيف فيها مراعاة لمصلحة عامة يستدعيها حاجة الامة. ثم يجري ... ذلك في مجال القضاء والافتاء بهذا الحكم، ... جرى عليه العمل.

وظهرت مؤلفات فقهية خاصة «بفقه العمل» ... بها الاحكام التي جرى عليها العمل في ... المغرب، او في بلد ما من بلاد المغرب ... المعتمد او المشهور في المذهب المالكي، لحاجة ... او لدرء مفسدة، او سد للذريعة، ومن اهم الكتب ... عرضت لفقه العمل كتاب «نيل الامل فيما به ... جرى العمل» لابي العباس احمد بن القاضي، ... عبد الرحمن الفاسي منظومة ذكر فيها ثلاثمائة مسألة جرى به العمل بمدينة فاس، كما الف ... السجلماسي في العمل المطلق.

ولم يقتصر دور «العمل» على الاحكام الفقهية ... تجاوز ذلك الى الدراسات المتعلقة بالقرآن والقراءات ... وقد جرى العمل خلافا للمشهور على ... وقطعها، كما جرى العمل في بلاد المغرب ... الوقف في القرآن، على يد المقرىء ابي عبد الله ... كتابه «وقف القرآن»[3].

ثم يترك علماء المغرب فكرة «العمل» ... تؤدي الى الانحراف، وذلك لان اقرار مبدأ «العمل» ... البداية، انطلق من فكرة الحاجة الاجتماعية ... لمصلحة، او درءا لمفسدة او سدا للذريعة ... لحاجة، ومع هذا فان فقهاء المغرب والاندلس ... اقروا مبدأ العمل، قيدوه بقيود كثيرة، لئلا يكون ... للعبث او وسيلة للانحراف.

واهم هذه القيود ان يكون «ماجرى عليه العمل» ... منسجما مع قواعد الشرع واحكامه، ... الرواية مخالفة للرواية الراجحة والمشهورة، ... «فقه العمل» عمن يوثق بدينه وعلمه وخلقه، ... ذلك عنه بادلة قاطعة.

وسبب هذا الاشتراط هو التأكيد على ان مخالفة ... المشهورة لايجوز ان تصدر الا ممن توافرت ... الاجتهاد من العلماء، ممن يمكن لهم فهم الاحكام ... وتقدير حجم المصلحة في مخالفة الرواية الراجحة ... وجريان العمل ـ بعد ذلك ـ بها[4].

واعتقد ان «فقه العمل» يمثل الفقه الذي ... المجتهدون في عصر من العصور او في بلد من ...

---

(٣) انظر تفصيل ذلك في «العرف وماجرى عليه العمل في المغرب» للدكتور عمر الجيدي، وايضا نظرية ... جرى عليه العمل للسيد عبد السلام العسري، رسائل علمية جامعية غير منشوره.

(٤) انظر العرف وما جرى عليه العمل في المغرب ص ٣٣٨.

مراعاته في الاحكام ، جلبا لمصلحة او درءا لمفسدة ، او ظروف تفرضها الضرورة ، وهو مؤشر على مرونة اصول المذهب المالكي فيما يتعلق باهمية المصالح وبضرورة مراعاة الاعراف التي تفرضها التطورات الزمانية والمكانية ، والتي تحقق مصلحة مؤكدة للامة ، ويستمر الاخذ بما جرى عليه العمل مما اقره الفقهاء المجتهدون من احكام مخالفة للروايات المشهورة ما استمرت الحاجة والمصلحة الى ذلك الحكم ، فاذا انتفت المصلحة فعندئذ يجوز لاهل الاختصاص من الفقهاء الاخذ بالرواية الاصلية الراجحة

اهمية فقه العمل وضوابطه

ويجدر بنا ان نشير الى ان ما جرى عليه العمل يعتبر مصدرا اجتهاديا هاما من مصادر الفقه الاسلامي ، ويمثل هذا المصدر الشريان المتجدد الذي يصل الفقه الاسلامي بحياة الناس واعرافهم ومصالحهم ، بحيث تكون مسيرة الحركة الفقهية متوازية مع مسيرة المجتمع الاسلامي في تطوراته وحاجاته المتجددة

غير ان هذا يوجب علينا ان نحدد الاطار الذي يمكن لفقه العمل ان يتحرك في فلكه ، لكيلا يكون هذا الباب مدخلا لتقديم العادات والاعراف والمصالح على النصوص القطعية ، وهذا مدخل خطير ، لايمكن اقراره كليا او جزئيا ، كما يجب اغلاق كل الممرات التي تؤدي اليه

ولا احد ما يمنع من الاستفادة من فقه العمل في المسائل التي لم ترد فيها النصوص اصلا ، او في مسائل الخلاف المذهبي ، او فيما لايخالف نصا شرعيا ثابتا ، وعندئذ يعتبر فقه العمل هو الاجتهاد الذي يجد مبرره في المصلحة المقررة شرعا ، وفي اطار القواعد الاصلية

اما اذا ثبت ان حكماً من احكام فقه العمل يخالف نصا من النصوص فلا يجوز الاخذ به ، ولا اقراره ، لان النصوص مقدمة على المصالح والاعراف

وبناء عليه فاننا لو تتبعنا احكام فقه العمل في المذهب المالكي سواء في الاندلس او في المغرب ، فسوف نجد ان معظم ما ... به العمل لايخرج عن هذا الاطار

ومن ... المسائل التي جرى بها العمل مايلي

... العمل بان المرأة اذا كانت من ذوات الاقراء ... انتهاء عدتها باقل من ثلاثة اشهر ، مع ان ... يحدد ذلك بثلاثة اقراء ، وذلك لئلا تتخذ ... الاقراء وسيلة لاختصار فترة العدة ، ... عصر ضعف فيه الوازع الديني

... العمل في « فاس » بان الاب الغني يشارك في ... زواجها بما يعادل صداقها ، فان وقع الخلاف بين الزوجين بعد الزواج ، يحكم القاضي بما جرى عليه العمل ، مع ان الاصل لايوجب ذلك على الاب ، ولايمكن للزوج ان يطالب بذلك عن طريق القضاء ، لانه تبرع ، وهذا الحكم قضى به علماء فاس ، ولم يأخذ به غيرهم

- جرى العمل على أن يضمن الرعاة ما تلف من المواشي ، وذلك لئلا يؤدي عدم الضمان الى اهمالهم في رعاية الماشية ، مع ان الحكم المشهور في المذهب ان لاضمان على الرعاة الا فيما تعدوا فيه

- جرى العمل على جواز العقوبة بالمال ، ردعا للمجرم ، مع ان العقوبة في الاساس تكون في الابدان دون الاموال

- جرى العمل على جواز شهادة اللفيف ، وهي شهادة عدد كبير من الناس ممن لاتتوفر فيهم شروط العدالة ، وذلك لان اشتراط العدالة يمكن ان يؤدي الى ضياع الحقوق وبطلان الشهادات ، وبخاصة في عصر ضعف فيه الدين ، وتعذر فيه توافر العدالة

واذا كان « فقه العمل » قد نشأ في بلاد الاندلس ثم انتقل الى المغرب ، وحفلت به كتب المذهب المالكي ، وتناثرت احكامه في كتب النوازل « الفتاوي » فانني اعتقد انه قد اعطى للفقه المالكي قدرة على النمو والتفريع ، واستطاع هذا الفقه في فترة ازدهار فقه العمل ان يوجد مدارس فقهية عديدة ، متحدة في اصولها ، ومختلفة في احكامها وفروعها ، بما يلبي حاجة العصر ، وما يعبر عن المصلحة التي هي من اهم المقاصد الشرعية

وبالرغم من سيطرة الروح المذهبية خلال القرون الهجرية التي اعقبت القرن الخامس الهجري ، وبروز فجر التعصب المذهبي ، فان ازدهار فقه العمل كان يمثل المنهج المعبر عن رفض التعصب المذهبي ، والاستفادة من آراء الفقهاء الآخرين ، سواء في اطار المذهب أو خارجه ، وهذا منهج جدير بالاهتمام والتشجيع ، ودليل حي على قدرة تشريعنا على ان ينمو بثبات ، في ظل فهم اصيل ، لمقاصد الشريعة واهدافها

وفي ظل « فقه العمل » يمكن لتشريعنا اليوم ، ان ينمو ويزدهر ، دون ان يكون ذلك الازدهار ، منافيا لنص شرعي او متعارضا مع قاعدة اصولية ، فالازدهار والنمو لايعني ابدا الانحراف والفساد ، وانما يعني في الدرجة الاولى ان مستوى الوعي بالقيم والمفاهيم الاسلامية قد ازدهر في المجتمع ، واصبح المجتمع بفضله قادرا على تمثل قيم الاسلام الحقيقية ■■

الرباط ـ د محمد فاروق النبهان

وراء السلسلة المفجعة من مظاهر القصور والفشل ، يقف شبح استـ ـرار الوطن العربي في الاعتماد الكامل في التنمية على مصادر المعارف الا- ـنبية

ومسيرته المتعثرة في الوطن العربي

بقلم الدكتور أسامة أمين الخولي

قصة العرب مع العلم في العصر الحديث مليئة بالشواهد تعكس كل معالم الواقع المحزن الذي تعيشه الامة العربية . وهذه محاولة لتتبع مسار القصة وتقييم فصولها .

من أين يا ترى نبدأ ؟ ربما كانت المواجهة مع نابليون بجيوشه وعلمائه هي اللحظة المناسبة في التاريخ الحديث . فلقد فتحت هذه الغزوة ثغرة كبيرة في ستار العزلة الذي عاشت وراءه الشعوب العربية أيام العثمانيين . ولقد ازدادت هذه الثغرة اتساعا وتدفقت عبرها جحافل الاستعمار والاستغلال منتشرة في مشرق الوطن العربي ومغربه . وتكشف لنا الكتابات العربية المعاصرة عن موقف أهل البلاد آنئذ من نخبة العلماء الفرنسيين الذين جاءوا مع نابليون وانصرفوا بجد ومثابرة الى اجراء مسح شامل لمصر كما كانت عليه في ذلك الوقت . لقد كان موقفهم هو موقف الاندهاش والانبهار مما جاؤوا به من أعاجيب الأدوات والآلات والحيل وامتزج هذا الموقف بالحيرة التي قاربت السخرية من بعض مظاهر هذا العمل مثل تسجيل الآثار وتقييم الموارد الطبيعية ولكن ما زلنا حتى اليوم نتحدث عن كتاب وصف مصر ونعيد طبعه ونشره ، ونرى فيه مرجعا أساسيا يفوق قيمته كوثيقة تاريخية .

فماذا كان رد الفعل في مصر لهذه الغزوة ؟ لقد حاولت أن تتسلح بنفس السلاح الذي هزم به المماليك . ففي خلال سنوات معدودات من حكم محمد علي كان المجتمع المصري قد نفذ ، أو على الأصح قد نفذ فيه تغيير جذري بحق في نظام التعليم . وصاحب هذا جهد لم يتحقق مثله حتى اليوم في نقل أمهات المراجع العلمية المعاصرة الى اللغة العربية وطورت نظم الري والزراعة وأنشئت الصناعات الحديثة وتشكل في مصر جيش قوي قيل أن كل احتياجاته في البر والبحر من المهمات والعتاد والسلاح تقريبا كانت تصنع في مصر . وكثير من هذا معروف والحديث فيه يتردد متواترا في مناسبات متلاحقة مصحوبا بمشاعر الاعجاب والتقدير . لكن الأمر الهام في نظري هو ان القوة الدافعة وراء هذا كله جاءت من شخص غير عربي ، غريب عن المنطقة ، وانه فرض هذه التحولات فرضا على شعب لم يتح انتشار الأمية فيه حدا أدنى من فهم هذا الذي كان يجري على أرضه بل ان ما دفعه الشعب المصري ، في مشروعات التنمية داخل مصر والمغامرات العسكرية خارجها ، من ثمن تمثل في الأرواح التي أزهقت والثروات التي استنزفت والنسيج الاجتماعي الذي تهتك كان ثمنا باهظا حقا ، ثم فرض استيعاب المنطقة في السوق الدولية التي كانت أوروبا الآخذة في التصنيع تشكلها لـ

ت الوقت القضاء على محمد علي وانهيار نظامه مع ترسيخ
ساط مصر تلك السوق ولم يتبق لمصر من هذه الومضة
قصيرة العمر سوى حفنة من الرحالة من أمثال رفاعة
لطهطاوي وعلي مبارك ممن تعرفوا على هذه الحضارة
مارية وان لم يتبوأوا مواقع المسؤولية إلا في أزمنة لاحقة
لاحظ هنا أننا لا نعرف أو نتحدث اليوم عن أحد من
ـه النهضة ، العلمية ـ التكنولوجية المصريين في تلك
ترة ولا نجد لهم بعد ذلك أثرا في الحياة العامة فهل
ني هذا ان الاهتمام بعلم الآخرين وانجازاتهم والذي
ا قد بدأنا في الأخذ بشيء منه لم يكن يومئذ اهتماما
صيلا ؟ ألا يعني هذا ان ذلك المجتمع العربي الذي قدر له
يكون أول من واجه الغزوة الحضارية الأوروبية لم يكن
ى بعد في العلم أنه مصدر قوة لا مجرد فضيلة تزين الفرد
ن لم تدعم المجتمع ؟ ألا ترى بين هذا الموقف وبين
تشار الأمية في ذلك المجتمع وفي غياب أي مظهر ، ولو
كلي من مظاهر المشاركة في هذه النهضة سببا رئيسيا في
لنكسة الحادة التي قضت عليها في المهد ؟

اليابان . . ومحمد علي

ولنستطرد هنا قليلا فانه يحلو للكثيرين ممن اليوم أن
ارنوا بين هذه البداية وبين بدايات النهضة في اليابان بعد
صلاح ميجي في منتصف القرن وأن يتحسروا على ما آلت
ه محاولتنا من بوار وحدب ، بينما ازدهر الغرس في
صى الشرق وأينع وهم ينسون بهذا فروقا جوهرية بين
تجربتين فاليابان ـ وأنا أطرح جانبا هنا الملابسات
تاريخية والجغرافية الخاصة بها والتي تختلف تماما في
طاتها عن مصر ، وأصرف النظر عن غيبيات الحديث
ن الشخصية اليابانية وعن القيم الاجتماعية السائدة في
مجتمع الياباني وهو ما لا أومن كثيرا بأن له القدح المعلى في
حديد مصير محاولات الأمم للنهضة والتقدم ـ اليابان
صدت أبوابها في وجه كل ما هو أجنبي ودخيل ،
مكفأت على نفسها تحاول محاكاة ماحققه الآخرون ، لا
مثلما فعل محمد علي حين جعل من مصر في عهده مرتعا لألوف
الغرباء من فرنسا وايطاليا والنمسا وانجلترا
وأمريكا ممن عهد اليهم بإدارة أجهزة الدولة المدنية
والعسكرية وتركهم يسيطرون تماما على نظام التعليم

ومؤسسات الانتاج وكانت سيطرتهم على هذه المرافق هي
سيطرة المرتزق الذي يمارس عمله من منطلق مهني محض ،
على أحسن الفروض فلا عجب اذن ، عندما نقرأ ان
كلوت بك الفرنسي مؤسس مدرسة الطب في مصر عندما
لجأ اليه حاكم مصر طالبا المشورة لمواجهة النقص الخطير في
عمال السخرة الكادحين تحت أسوأ وأقسى الظروف في
شق الترع والقنوات التي طورت الزراعة المصرية
وحولت مصر السفلى الى الري الدائم لتزيد بهذا ولا شك
من عائد القطاع الزراعي الذي هو عماد الاقتصاد
المصري ، نتيجة لتفشي الطاعون بينهم ، لا نعجب اذ
نرى رائد مهنة الطب الانسانية في مصر الحديثة يوصي
محمد علي باستجلاب الرقيق من السودان والحبشة ولا
ينصرف فكره الى تطبيق أبسط مبادىء السيطرة على الأوبئة
والتي كانت معروفة في الممارسات الطبية في ذلك الوقت ان
هذه هي حقا النتيجة المنطقية للقيمة المتدنية للانسان العربي
في ذلك الزمان

ثم شهدت المنطقة بعد هذا مبادرة أخرى للتنوير
العلمي جاءت من لبنان وحمل ميراسها الآباء المبشرون
وكورنيليوس فان دايك بالذات ، الذي كانت لكتاباته
ومحاضراته آثار لا تنكر في تنشيط الاهتمام بالعلم وتعزيز
مكانته داخل نظام التعليم في هذا المجتمع الصغير غير
المتجانس ولقد جاء كثيرون من أبناء هذه المدرسة الى
مصر حيث وجدوا فيها مجالا أفسح لنشر دعوتهم الى
التنوير العلمي ، وان بقيت محصورة في أوساط القلة
المتعلمة وسمعت في ذلك الوقت صيحات متناثرة حول
دور العلم في بناء الأمم ، وان لم تكن قد أبرزت مفهوم ان
العلم قوة تدعم استقلال الأمم ونماءها ، وجاء بعد هذا
أو معه تقريبا ، احتلال الانجليز لمصر وبدء تنفيذ خلتهم
لحسر النفوذ الفرنسي وترسيخ أقدامهم في المستعمرة
الجديدة ، وهو ما لم يتحقق الا على يدي لورد كرومر ممثل
الاستعمار البريطاني بمصر في مطلع القرن الحالي
وشهدت هذه الفترة تسخير أحدث الانجازات
التكنولوجية المعاصرة في استغلال ثروات مصر ، فكانت
تجهيزات سلسلة مصانع السكر في صعيد مصر ومحالج
الأقطان في طول البلاد وعرضها وغيرها من المنشئات
الصناعية من أحدث مستوى معاصر للتكنولوجيا الصناعية
ولقد جرى هذا كله بمعزل شبه تام عن أية مشاركة وطنية ،

ولم تصاحبه أية محاولات للنهوض بمستوى البلاد العلمي أو التكنولوجي ، اللهم باستثناء ما جرى من احياء لمدرسة الهندسة لتوفير الاعداد اللازمة من مشرفي الري اللازمين لتشغيل شبكة الترع والقنوات التي توسعت كثيرا تحت اشراف مهندسي الري الانجليزيين الذين جاء معظمهم من الهند.

وبحلول القرن العشرين لم تكن في أية دولة عربية مدرسة واحدة لتدريس العلوم الحديثة. واقتصرت المدارس التكنولوجية على هندسة الري والمعمار وشيء من العلوم الزراعية اللازمة للحفاظ على مستوى الانتاج الزراعي المصري المتميز من القطن طويل التيلة ومن قصب السكر. ومع اشتداد عود حركة مقاومة الاستعمار وعودة حفنة من أبناء الطبقة الموسرة التي تلقت تعليمها في الخارج ، ومع زيادة احتكاك تلك الطبقة التي قادت حركة الاستقلال في ذلك الوقت مع العالم الخارجي وكثرة أسفارها الى أوروبا ، بدأ الاهتمام بانشاء جامعة أهلية ، لم يكن للعلوم الطبيعية فيها مكان الا بعد استقلال مصر بأربع سنوات عندما تحولت الى الجامعة المصرية وضمت كلية العلوم. وبهذا كان في الوطن العربي الذي نشطت فيه الحركات الوطنية في أعقاب الحرب العالمية الاولى مدارس علمية في مصر (جامعة فؤاد الأول) ولبنان (الجامعة الأمريكية) والسودان (كلية جامعية تدار من لندن) وجامعة وليدة في العراق. الا أن هذه العشيرة العلمية الصغيرة ضمت في ذلك الوقت علماء أفذاذا مشهودا لهم دوليا بمكانة مرموقة في العلوم الرياضية والطبيعية ، بل ان مستوى الدراسة فيها كان يضارع مستواه آنئذ في البلاد المتقدمة . ولكن هذا النشاط العلمي بقي منعزلا عن مسائل تنمية المجتمع ومشاكل الممارسات التكنولوجية فيه وكان هذا العلم فضيلة وحلية ، لا قوة فعالة في تغيير المجتمع .

كيانات علمية وهياكل جوفاء

أما على الصعيد التكنولوجي ، والذي اتفقنا في مناسبة سابقة* على أهمية التمييز بينه وبين العلم ، فلقد نشطت الحركات الوطنية الى الدعوة الى تأكيد سيطرة العناصر الوطنية على الاقتصاد القومي ، وأنشأ طلعت حرب « بنك مصر » وشركاته في أعقاب الحرب العالمية الثانية وظهرت حركة « المصري للمصري » بزعامة سلامة موسى وأنشئت شركة بيع المصنوعات المصرية على أنقاض واحد من أعرق البيوت التجارية المصرية التي لم تصمد أمام زحف شركات أجنبية. واندفع أحمد حسين ـ أحد الشخصيات السياسية في تلك المرحلة ـ في حملة جمع التبرعات « لمشروع القرش » لانتاج الطربوش في مصر. وتعاظم تيار قيام الصناعات الوطنية لاحلال الانتاج المحلي محل السلع الاجنبية المستوردة وأصبح المواطن المصري يتباهى بأنه يشتري انتاج بلاده .

ولكن أسلوب بناء هذا الصرح الصناعي الوطني كان هو ذاته أسلوب معتمد على أساسا فلقد استوردنا الآلات والمعدات وأتينا معها بالخبراء وبقيت منابع المعرفة التكنولوجية في أيدي أصحابها يمدوننا منها بقدر وشروط لا يتعارض بالطبع مع مصالحهم. ومع ذلك انعكس هذا التوجه على التعليم التكنولوجي فاتسع مجاله كما وكيفا وتحقق قدر أكبر من اكتساب العناصر الوطنية لعمر المعارف التكنولوجية في تشغيل هذه المصانع وصيانتها وتجاوزت التخصصات في التعليم الهندسي مجالات هندسة الري والمعمار التقليدية الى الهندسة الميكانيكية والكهربية والكيميائية ولم يكن هناك حتى ذلك الحين بشكل هام حوار بين « العلميين » و « التكنولوجيين » ، اذ نظر الأولون الى الآخرين بترفع وتحفظ ، فما كانوا ليرضوا لأنفسهم أن يهبط علمهم الى أرضية « المصنع » أو « الورشة » أو « موقع التشييد » ، أو أن يفقد نقاءه في خضم الاعتبارات الاقتصادية والادارية والتنظيمية ، ولكن عام اندلاع الحرب العالمية الثانية شهد مع ذلك حدثا جديدا في تاريخ العلم العربي المعاصر . ففي عام ١٩٣٩ صدر مرسوم ملكي بانشاء « مجلس فؤاد الأول الاهلي للبحوث » وحددت أهدافه بأنها اجراء البحوث اللازمة لتدعيم الصناعة المصرية . وكانت هذه أول بادرة خارج قطاع الزراعة الذي انشغل بتطوير فصائل القطن طويل

*انظر عدد مجلة العربي الصادر في شهر فبراير سنة ٨٢

البلد وفقدت السكر الحيد لانشاء جهاز للبحث التطبيقي يربط بين العلم والانتاج ولكن مساره انحرف عن هذا الهدف عندما هيىءله أن يرى النور بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ . ولعل أكبر فشل لهذه الحركة الوطنية في المجال العلمي التكنولوجي هو عجزها عن ادراك الأهمية الحاسمة لبناء القدرة الذاتية العلمية ـ التكنولوجية لمساندة مشروعاتها الطموحة في التنمية . والتي جاءت مرة أخرى في تكرار مؤسف على نفس نمط مبادرات محمد علي قبلها بأكثر من مائة عام

ثم حلت الحرب العالمية الثانية وجاءت بعدها تحولات اجتماعية وسياسية شملت العالم بأسره وشهد الوطن العربي بالذات في أعقابها تغيرات كثيرة ومتلاحقة وتحقق الاستقلال السياسي تدريجيا للاقطار العربية في المشرق ، ثم في المغرب وحل محل حركات الاستقلال والتحرير الاهتمام بتنمية المجتمعات العربية الجديدة وأصبح هذا هو التحدي القائم أمام القوى الوطنية الحاكمة وصاحب هذا طفرة في مجالات العلم والتكنولوجيا ، شهدنا تكاثرا سريعا ونماء في الجامعات والمعاهد العلمية ، وزيادة مطردة في اعداد الشباب الموفد للخارج لمزيد من المعرفة وظهرت مراكز ومجالس ووزارات ومؤسسات وأكاديميات للبحث العلمي وأغرقتنا منظمة اليونسكو في فيض تصورات نظرية لا تمت لواقعنا أو احتياجاتنا بصلة ، وطرحت علينا تنظيمات وهمية لهذه التشكيلات وما يجب أن تكون عليها علاقاتها بأعلى سلطة في البلاد وظلت هذه الكيانات في كل ربوع الوطن العربي وربما بلا استثناء وحتى يومنا هذا هياكل جوفاء بلا مضمون عمل ولا فاعلية أو جدوى تذكر وعاد العلم مرة أخرى حلية ومظهرا من مظاهر التقدم والمعاصرة ولم يكن له دور واضح أو مفهوم محدد لدى صانع القرار

مسلسل الاحباط

وسيـ[illegible] ـب رجلا أو قائدا أو مسؤولا أو صانع قرار [illegible] عربي العربي لم يمتدح في أكثر من مناسبة دور [illegible] في المجتمع ولم يجهر ايمانه بهذا الدور ولم يؤكد [illegible] العلماء ولكني لا أعرف منهم القدر [illegible] لديهم حد ادنى من وضوح الرؤية حول حقيقة هذا الدور ، أو من الدراية بالطبيعة الخاصة للعمل العلمي أو باستراتيجيات تسخيره لخدمة أهداف التنمية . ومن ثابروا ودأبوا في مساندة النشاطات العلمية الوليدة وحمايتها من طغيان موجات الجهالة التي كانت تتسرع خطاءها ولا تدرك حقيقة الثمن الذي يجب أن تدفعه

وبلادنا اليوم حافلة بأشلاء مراكز ومعاهد علمية بلغ عددها زهاء الخمسمائة ، نشأت وسط ضجيج الدعاية السياسية قصيرة النظر وهي تعيش اليوم في « اعراف » العجز والقصور ، فلا هي تمت لتحقق شيئا من الآمال التي كانت معقودة عليها ، ولا هي قضت نحبها ووورييت التراب لتصبح عبرة لمن يعتبر

أما الدعوات التي صدرت لدعم نشاط علمي قومي في مؤسسات عربية اقليمية تتوفر لها موارد من مستويات تفوق بكثير مستويات أي اتفاق قطري فلم تجد ـ ولا يبدو أنها ستجد ـ استجابة قريبة فالدعوة الصادرة عن مؤتمر القمة العربي السابع عام ١٩٧٤ لانشاء مؤسسة عربية للبحث العلمي طواها النسيان ، ومشروع انشاء الصندوق العربي للتنمية العلمية ـ التكنولوجية الذي أقر بعدها بعامين واستكمل عام ١٩٧٨ ما زال يتراوح في مكانه ومجلس التعاون الخليجي لم يبلور بعد فكره في أمر اقامة تعاون علمي ـ تكنولوجي خليجي أما المشروعات القطرية الطموحة مثل المشروع الليبي لانشاء مدينة علم عربية فقد طواه النسيان ، والمشروع السعودي العالمي التوجه ما زال في علم الغيب والعالم العربي الذي تحمل الكادحون من أبناء الامة العربية تدبير نفقات تعليمه وتأهيله حتى تبوأ مكانا لائقا في العشيرة العلمية ، لا يجد اليوم على أرضه المناخ العلمي ولا الحرية الشخصية التي يتوق اليها .

ووراء كل هذه السلسلة المحجمة من مظاهر القصور والفشل يقف شبح استمرار الوطن العربي في الاعتماد الكامل في التنمية على مصادر المعارف الاجنبية ، وعلى الرغم من الفرص الذهبية التي أتاحتها الاستثمارات الخيالية في مشروعاتها والتي لم يتهيأ مثلها لكثير من بلاد العالم الثالث وحري بكل عربي اليوم أن يتصفح كتاب انطوان زحلان المصور « البعد التكنولوجي للوحدة العربية » كي يتعرف على حجم هذه الاستثمارات وعلى

مظاهر فيه أية محاولة جادة لتخصيص قدر ضئيل من هذا الانفاق لبناء قدرتنا الذاتية كما فعل غيرنا ، في كوريا وسنغافورة ، أو اليونان وبلغاريا ، أو بعض دول أمريكا اللاتينية

قبض الريح في أيدينا !

ولقد أدخلت الغزوة الصهيونية في قلب المشرق العربي عام ١٩٤٨ عاملا جديدا في الموقف ، برز معه مفهوم الأمن القومي من خلال الهزائم العربية المتعاقبة ، والتي كان للعلم والتكنولوجيا فيها دور واضح في تفوق اسرائيل العسكري ولقد بادرت مصر في أعقاب المواجهة الاولى مباشرة الى انشاء الصناعات الحربية وكان ذلك قبل أن تستكمل الدولة الصهيونية الوليدة مقومات وجودها وتنصرف الى نفس النشاط والمشاهد ان التصنيع العسكري في مصر سبق جهود التصنيع المدني بعقد كامل تقريبا وانه تميز عن هذا الاخير بانصرافه في مرحلة مبكرة الى ارساء دعائم الصناعات الأساسية وانه كان أكثر حساسية وتقديرا لأهمية تنمية الموارد البشرية وتدريبها بل انه حاول أكثر من مرة أن يبدأ في تصميم وتطوير وانتاج سلاح عربي ولم تتوفر لأي من المشروعات الكبرى في هذا المجال ، وهي مشروعات اتسع نطاقها مع تكرار المحاولة حتى جاءت آخرها جهدا قوميا اشتركت فيه أربع دول ، فترة زمنية كافية بلا مساندة فعالة تتيح له فرصة بلوغ الهدف مما استثمر فيه من مال وجهد وكان العدو الاسرائيلي متنبها تماما لخطورة هذه المحاولات فلعبت أجهزة مخابراته وعلاقاته مع الدول الاستعمارية أدوارا لم يكشف النقاب بعد عنها بالكامل لتخريب هذه الجهود وعرقلتها من الداخل ومحاصرتها من الخارج وانصرفت اسرائيل في نفس الوقت بدأب الى بناء قاعدة صناعاتها الحربيّة وأنشأت مشروعات مشتركة بدأت بانتاج تصميمات أجنبية واكتسبت من خلال ذلك دراية بأساليب التصميم والانتاج والتشغيل وانتقلت بعد ذلك خطوة خطوة عبر أقلمة التصميمات المستوردة الى تطوير تصميمات جديدة وحتى أصبحت أكبر دول العالم الثالث المصدرة للسلاح

ولكن الجهد العلمي الاسرائيلي لم يقتصر على الصناعات الحربية وحدها ، اذ انصرف في نفس الوقت الى مجالات أخرى ذات أولوية في واقع المجتمع

مع تراكم كل هذه المتناقضات ، ومع توالي ضياع الفرص ، بدأنا ندرك ـ أو يدرك بعضنا على الأقل ـ أن ما اشتريناه بأموالنا الوفيرة لم يكن هو العلم والتكنولوجيا اللذين سعينا منذ قرن ونصف مضيا للحصول عليهما وعرفنا اليوم أنهما في حقيقة الأمر نشاط انساني ابداعي في اطار علاقات وأوضاع اقتصادية وقيم اجتماعية معينة وان قبض الريح في أيدينا ليس الا النتاج السريع القادم لهذا النشاط من السلع ونظم العمل ، وان السبيل الذي سلكناه قد ترك معنا مشكلة الاقتصاد المزدوج يزداد الفقراء فقرا وعزلة ، والاغنياء غنى وارتباطا تابعا بالمجتمعات صاحبة العلم والتكنولوجيا ، يشكل فكرهم وهويتهم ويستنزف أموالهم في تنشيط اقتصادياتها ويربط مصالحهم المادية وتوجهاتهم السياسية بمصالح وتوجهات هذه المجتمعات وهكذا اتسعت الهوة بين الريف والبادية وبين الحضر ، وبين قطر عربي وقطر عربي آخر ملاصق له

ولكن هذا الادراك لم يسفر بعد بأي حال من الاحوال عن برنامج عمل قومي صالح للتطبيق وهنا لا مفر من أن يتحمل رجال العلم والتكنولوجيا العرب حكم الاجيال القادمة عليهم بقصورهم في بلورة مثل هذا البرنامج وبمسؤوليتهم عن شيء مما نحن فيه اليوم من الضياع ويوم يخرجون علينا بمثل هذا المخطط المتكامل المتناسق ويوم يطرحونه في حلبة الكفاح السياسي لتتبناه القوى صاحبة المصلحة في الأخذ به وتطالب حكامها بتنفيذه وتصارعهم من أجل تحقيقه ، يومئذ ستسقط الاقنعة الزائفة وتتكشف حقيقة الفئات المتسلطة صاحبة المصلحة في الركوع أمام أصحاب التكنولوجيا واستجداء رضاهم ، ومن ثم في الوقوف في وجه كل جهد جاد لبناء قدراتنا العلمية ـ التكنولوجية يومئذ يصبح الكفاح الوطني من أجل البناء الداخلي سبيلنا لبناء مجتمع المستقبل الذي يحترم كرامة المواطن العربي ويطلق العنان الى آخر المدى لطاقاته الابداعية المقهورة حتى يستعيد ما سلب في الداخل وفي الخارج .

د . أسامة أمين الخولي

هل ننتظر حتى يأتينا التحرر « معونة » من الغرب ؟!

الاقتصاد : هل هو علم أخلاقي ؟

بقلم الدكتور عارف دليلة

هل هناك حد على نشاط العقل غير العقل نفسه ؟
وهل هناك حكم على أي علم غير العلم نفسه ؟ وبماذا
يتمثل ، وما هو مصدر هذا الحد أو الحكم ، اذا وجد ؟

كان نوبل عالما فذا من علماء الطبيعة ، قضى حياته بحثا عن أسرار المادة ، ولم يكن خلال بحثه ينظر الى اية أبعاد يمكن أن تنجم عن مكتشفاته غير الاهمية البالغة لهذه المكتشفات بحد ذاتها وقاده هذا التوغل في العلم المجرد الى اكتشاف الديناميت وبعد أن تحقق من خطورة هذا الاكتشاف على حياة الجنس البشري وهب كل ما يملك لتأسيس جائزة تمنح بعد موته سنويا للمبدعين في مختلف أبواب المعرفة التي تخدم حياة الانسان والسلام ، وذلك تكفيرا عن المخاطر التي يمكن أن تلحق بالبشرية بدون قصد وهو يتعبد في محراب العلم ، متجاهلا الانسان وقضاياه

أما أبو القنبلة الأمريكية النيترونية فهو يروج اليوم لبضاعته بدرجة عالية من الغبطة والرضا النفسي والتفاخر لا تضاهيها في ذلك الغبطة التي ستعلن بها مؤسسة أو دولة .. عن اكتشاف دواء قاهر للسرطان ينقذ أرواح عشرات .... البشر . انه يطلق على القنبلة النيترونية « السلاح ... » ، لأنها تفتك بالأحياء وتحافظ على الأشياء . .. نظيفة بقدر ما هي بريئة من دم الأشياء فقط ! ولعل .. الكبير يفكر الآن في كيفية تحويل هذا السلاح .. الى « عرائس » يفرح لها الأطفال ويتغزل بها .. الرومانسيون . وهذا هو بالفعل ما نقرأه في تصريحاته وتفسيراته التي يتغنى فيها باختراعه الذي يقد... للعالم على أنه من أنبل الخدمات التي قدمها العلم للبشري...

الاقتصادى يعالج أمة ، أو يدمرها !

انني اقتصادى متعصب للعلم الذي أنتمي اليه ، ح... أزعم أنه اذا كان الطبيب الناجح يستطيع ان يعالج انس... من مرضه فان عالم الاقتصاد الحق يستطيع ان يعالج أ... بكاملها من أمراض فتاكة مستعصية تدمر حاضرها وتقتل... مستقبلها ، كالفقر والجهل والمرض والتبعية ولكنه يستطيع أيضا ، اذا ما سخر نفسه وعلمه لخدمة عكس هذ... الهدف ، أن يقود الأمة الى الخراب والدمار ، كذلك الطبيب الذي يرتعش شفقة على مريضه فيعطيه جرعا... تريحه كليا ، ليس من المرض وحسب ، بل ومن الحيا... كلها !

ولكن تجربتي المتواضعة في ميدان علم الاقتصاد بينت لي أن الكثير من « البديهيات » التي تنتشر في معظم الكتب الاقتصادية التي يتدرب عليها طلبة الجامعات الغربية ومنسوخاتها في الجامعات العربية تقوم بدور الطعم الطيب الذي يمتزج مع أدوية الأطفال لكي يجعلها مستساغة

المذاق، دون أن يكون له علاقة بفعالية أو وظيفة الدواء. وهكذا تظهر الكثير من الصناعات الفكرية في مظهر نظري أو رياضي أو بيان أخاذ فاقد الصلة بأية وقائع فعلية يزعم التعبير عنها. لكنها تضع الخبراء ثقة كاملة بالأسس وعلوم ظاهرية لا جدال فيها على خدمة أهداف أصحاب القرار الذين يهتمون، قبل كل شيء، بالأطروحات الشكلية التي تزين صورة الواقع القائم، على حساب أي منطق أو معقولية اجتماعية أو غائية تاريخية مبررة.

سنعرض في هذا المقال الخلاف في النظرة الى علم الاقتصاد ووظيفته وغاياته ووسائله من خلال استعراض ثلاثة نماذج بارزة من الفكر الاقتصادي المعاصر. النموذج الأول وهو لعالم اقتصادي من بلد متقدم يعد من أبرز علماء الاقتصاد في القرن العشرين، حاز على جائزة نوبل في العلوم الاقتصادية، تجاوز المدارس الاقتصادية التقليدية الغربية ليقف في النهاية موقفا مضادا لها. كما يتميز بأنه واحد من أبرز من استطاع الغوص في أعماق مشكلة التخلف التي يعيش فيها العالم الثالث اليوم. إنه العالم السويدي جونار ميردال. وأذكر من بين مؤلفاته الشهيرة «دراما اسيا» واخترت له الآن كتاب «تحدي الفقر».

أما النموذج الثاني الذي اعتمد عليه فهو لعالم من العالم الثالث كان له دور كبير في قيادة التطور الاقتصادي والتخطيط ... في بلده على مدى الستينات ثم اكتشف، بالتجربة، فشل الفكر الذي خدمه والتجربة التي قادها مهتديا بهذا الفكر وانتقل في السبعينات الى التبشير بفكر آخر والدعوة الى خوض تجربة مضادة. إنه محبوب الحق، وزير التخطيط السابق في الباكستان وأحد مديري البنك الدولي حاليا. واخترت له كتاب «ستار الفقر: خيارات أمام العالم الثالث».

واذا كان النموذجان السابقان يشتركان في معظم منطلقاتهما ومبادئهما، فان النموذج الثالث يقف في الموقع المضاد. ولكثرة المؤلفين والمؤلفات التي تمثل هذا النموذج وهيمنته على علم الاقتصاد الأكاديمي في الجامعات الغربية، ومسوحاته المنقولة الى الجامعات العربية، فانني ... كتابات ومواقف تمثل هذا النموذج الذي يوصف ... «التقليدي».

... الخلافية ... التي تقف هذان الاتجاهان في ... عارضة بعضهما ... حول طرفيها هي: ماذا يهتم علم الاقتصاد؟ بحركة الأشياء أم بحركة الناس، بحياة الأشياء أم بحياة الناس. فالأشياء من أجل الأشياء؟ فالأشياء من أجل الناس؟

يقول جونار ميردال: «إن من الضروري في كل بحث اقتصادي أن نعمل من البداية وحتى النهاية بمبادئ ... واضحة ... لنعيد الى علم الاقتصاد طابعه كعلم أخلاقي». أما الموقف التقليدي المضاد فيقول ... بصدد البحث في حقيقة العلاقة بين علم الاقتصاد والعلوم الأخرى لا مناص من تجريد العالم الاقتصادي من كل صفة أخرى سوى أنه عالم اقتصادي لا يعني الا بمجال دراسته».

لنر كيف يترجم هذان الموقفان المتضادان في النظرة الى علم الاقتصاد وفي استخدامات هذا العلم في التطبيق الواقعي.

عبادة الأشياء

يقول الاتجاه التقليدي ... «ما لا يعني الاقتصادي الا مشكلة الندرة والاختيار بين الاستعمالات البديلة لوسائل اشباع الرغبات المتعددة المتنافسة. فلا يعني، مثلا، ما اذا كانت هذه الوسائل النادرة سلعا نافعة أو ضارة من الوجهة الصحية (المشروبات الروحية)، أو ما اذا كانت سلعا محرمة او غير محرمة بمقتضى القانون (المواد المخدرة)، أو ما اذا كانت دوافع السلوك الاقتصادي للفرد والجماعة تتفق او تتنافى مع المبادئ الأخلاقية المعروفة (كالغش أو المخادعة أو الانتهازية في عمليات المبادلة، الربا الفاحش في عمليات الاقراض أو الاقتراض). فهذا التمييز بين ما هو أخلاقي وبين ما هو غير أخلاقي ... سلوك اقتصادي لا يدخل في دائرة اختصاص ... الاقتصادي (١). فالاقتصادي لا يعني الا بالسلعة بوصفها سلعة تشبع رغبة انسانية معينة. ومع ذلك فكثير من النواحي الأخلاقية لا تهم الاقتصادي في كثير أو قليل فهو اخصائي في وسائل تحقيق الأهداف لا في اختيار هذه الأهداف».

فالاقتصادي بالنسبة للاتجاه التقليدي لا تثير اهتمامه الا حركة الأشياء وكيفية تطويرها ويغض النظر كليا ... أن تقود اليه هذه الحركة من انعكاسات على حياة ... والمجتمع. فالاقتصادي، اذن، مثل نوبل ... كان غارقا في اكتشاف خواص المادة. لكن ... بعد ذلك، عندما استيقظ، ان خدمة الانسان ...

خدمة المادة   أما الاقتصادي في الاتجاه التقليدي فلا يقظته   لكن الأمل يأتي من خارجه ومن الاتجاهات المضادة له ، أو من الاتجاهات التي هضمته فأصيبت بمشكلات كثيرة حتى تحولت عنه واكتشفت نفسها من موقع جديد ، على مثال الاقتصاديين البارزين جونار ميردال ومحبوب الحق

يقول محبوب الحق   « ان المخططين يحرصون على أن يقدموا خطة متسقة   وهم يغفلون في بهجة عما اذا كانت خطة حوفاء أم لا   وكم اكتظت صناديق اقتصادية حوفاء بقليل من المحتوى السياسي »

« كان هناك انشغال لا حدود له بتحسين حساباتنا القومية على حين لم يكن هناك عمل كاف في مجال المشكلات الحقيقية لفقر الجماهير »

« نحن نعرف أن بعض البلدان النامية قد حققت معدلا عاليا حقا للنمو بعد فترة طويلة   ولكن هل أحدث هذا المعدل أثرا عميقا في مشكلات الفقر الجماهيري ؟ هل أسفر عن انحصار في أكثر أشكال الفقر سوءا ـ سوء التغذية ، المرض ، الأمية ، السكان الذين لا مأوى لهم ،

بين الاقتصادي والسياسي

في الواقع القائم يتولى السياسي ادارة الاقتصادي ويجد هذا الواقع تبريره في الفكر الاقتصادي التقليدي الذي جعل من الاقتصادي مأمورا لأداء خدمة محددة وليس له أي رأي   يقول الاقتصاديون التقليديون . « لنفترض أن جماعة ما قررت أن تعلن الحرب على جماعة أخرى ، فهذا الاعلان في حقيقته قرار سياسي ، وليس قرارا اقتصاديا   فليس من مهام الاقتصادي أن يصدر مثل هذا القرار السياسي   ولكن حالما يصدر هذا القرار فسيلبي الاقتصادي نداء السياسي ليسدي اليه النصح في كيفية تحقيق الهدف من الناحية الاقتصادية . ولا خيار هنا في أن يأخذ الاقتصادي هذه الأهداف على علاتها (!) ويسلط عليها [illegible] التحليلية المعروفة ليستخلص من ذلك السطر[illegible] التي يمكن اتباعها في سبيل تحقيق هذه الأهداف

[illegible] [illegible]ادي ، حسب التصور التقليدي ، ليس [illegible] [illegible]صوا في مجتمع ، ويجب أن يكون مجردا من أية [illegible] [illegible]احية أخلاقية سوى التزام واحد وهو تنفيذ [illegible] دون مناقشة ، والسياسي وفق هذا

التصور ، يكتسب شرعيته من الملأ الأعلى ، وآراؤه غير قابلة للنقاش !

لكن الصورة الجديدة للاقتصادي مغايرة تماما فالاقتصاد يتحكم بالقاعدة المادية لأي حياة اجتماعية أو فردية ، وطريقة بناء هذه القاعدة تحدد شكل ومضمون التقدم الاجتماعي أو ترسخ التخلف والبؤس

لذلك فان غونار ميردال بعد أن يؤكد على ضرورة الانطلاق في علم الاقتصاد من مبادىء قيمية واضحة يقول « ويمكن عقلانيا استخلاص السياسة الاقتصادية من هذه المبادىء القيمية ، وملاحظة الأحداث من وجهة نظر هذه المبادىء نفسها » فاستخلاص السياسة هو مهمة الاقتصادي أيضا

ويقول ميردال . ويؤخذ على المؤلفات الاقتصادية المخصصة لمشاكل التنمية في البلدان المتخلفة انها تخفي انحرافات انتهازية على نطاق واسع .   وما من بحث يمكن أن يكون حياديا وأن يكون بهذا المعنى « واقعيا » و « موضوعيا »   ولكننا ما دمنا لا نختار بصورة عقلانية ولا نوضح المبادىء القيمية التي تقود بحثنا فاننا نخلق حيزا من الغموض الذي تستطيع به الانحرافات أن تدخل في التحليل »

تفسير الأشياء بالأشياء

فلكي يقف الاقتصادي الى جانب السياسي ، على الأقل ، أو يتحد معه ، ولكي يلعب دوره التاريخي بصورة ايجابية ، يجب أن يكون متحررا من الانحرافات الانتهازية ، اذن . فما هي هذه الانحرافات من وجهة نظر غونار ميردال ومحبوب الحق ؟ لنقرأ في الاقتصاد التقليدي أولا

الاقتصادي التقليدي يفسر الأشياء دون أي موقف قيمي أو تدخلي ، فيقول   « اذ يأخذ الاقتصادي السلوك الخارجي للأفراد كما هو وعلى علاته فهو لا يبحث فيما يكمن وراء هذا السلوك من دوافع داخلية ، فاذا ارتفع سعر الشاي مثلا ، فكل ما يمكن أن يستخلصه الاقتصادي من نتائج هو أن استهلاك الشاي سيهبط الى حد معين مع كل ارتفاع معين في سعره » . فالمهم بالنسبة للاقتصادي هنا هو الشاي ، كشاي ، وأسعار الشاي كمؤشر على ربحية هذه المادة ، وليس الشاي كمادة يستهلكها الانسان ، والأسعار كمؤشر على مستوى تكاليف المعيشة ومستوى الحياة !

والحق يقال ان اقتصاديا من هذا النوع يفعل السياسي خيرا إذا قام بإبعاده كليا عن مركز اتخاذ القرار لأن جعجعته لا تحمل شيئا يهم المجتمع لا من قريب ولا من بعيد . وكثيرا ما يفرح السياسيون في الدول المتخلفة لأمثال هؤلاء الاقتصاديين ويضعونهم في قمة المراتب الوظيفية لكي يبرروا لهم اعمالهم . وقديما « هنأ » الشاعر العربي مثل هؤلاء الناس بقوله : « واقعد فانك انت الطاعم الكاسي » .

فاذا ما تساءل هذا الاتجاه في علم الاقتصاد عن « سبب الفقر والمجاعات التي يعاني منها السواد الأعظم من الناس في كثير من المجتمعات ، وبالأخص في عالمنا الشرقي ، أو بعبارة أخرى ، لماذا لا يتوافر في المجتمع القدر الكافي من مختلف السلع الاستهلاكية التي ترد غائلة الفقر عن أفراده وتحفظ عليهم الحد الأدنى لمستوى المعيشة ؟» فلا يستطيع البحث عن الجواب والتفسير في طبيعة النظام الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية القائمة وانما في عالم الأشياء ونظام علاقاتها نفسها : « والاجابة عن هذا السؤال أو ذاك تتلخص في أن حجم الانتاج ليس هو الحجم الملائم » ! ولماذا ؟ هل الأشياء هي التي تنتج نفسها بنفسها ؟ وهل سيزول الفقر والجوع بمجرد أن يصبح الانتاج في « الحجم الملائم » ؟

يفسر لنا عبوب الحق هذا الالتزام بالأشياء وإنكار الانسان عند الاقتصاديين التقليديين بقوله . « ان كثيرين منا من أبناء البلدان المتخلفة يعتبرون في الأساس نتاجا لليبرالية الغربية وقد عادوا الى بلادهم لانقاذ التنمية لكنهم انتهوا في أكثر الأحيان بتوزيع المزيد من التوتر

ويفسر ميردال الموقف الاقتصادي السلبي للاقتصادي التقليدي من عملية الاصلاح والتغيير الاجتماعي بانحياز الاقتصادي لمصلحته الخاصة وانسياقه وراء مراكز العمل الأكثر اغراء من ناحية الامتيازات المادية والوظيفية . يقول ميردال : « ان ما يمنح المرء مكانة في العالم الأكاديمي ويشق الطريق أمامه الى مراكز في مؤسسات البحث والتعليم في مهنتنا كما ييسر له امكان استخدامه مستشارا لدى الحكومات والمنظمات ودنيا الأعمال هو أن يعمل في الخط المقرر من قبل وأن يظهر دهاء وعيالا في تعقيده . والى هذه الدوافع الهامة على الصعيد المادي نفسه يجب أن نضيف قوة التقاليد » .

غير أن أهم القوى هي بطبيعة الحال القوى التي تمارس في المجتمع كله ضغطا على علماء الاقتصاد كي يوجهوا أعمالهم نحو نتائج تتفق مع المصالح والأوهام السائدة » .

الاتجاه الحديث في علم الاقتصاد يذهب ، اذن ، اتجاه مضاد للمصالح والأوهام السائدة . وهذا ما يتطلب قبل كل شيء تحرر الاقتصادي من تبعيته حتى يستطيع دعوة المجتمع للتحرر من التبعية ، وتحرره من ضغط القوى المهيمنة التي تعيش على المصالح والأوهام السائدة حتى يستطيع أن يقدم أي بديل .

البحث عن البديل

يقول ميردال : « أما فيما يتعلق بدراسة مشاكل البلدان المتخلفة ، هذه الدراسة التي تحظى بقسط متعاظم من وسائلنا في البحث ، فانني أعتقد أننا قد أسأنا معالجة هذه القضايا . وقد تجنبنا بوجه خاص الاهتمام بحاجة البلدان المتخلفة الى اصلاحات جذرية تدعو الى المساواة ، اصلاحات كشفت لي دراساتي عن أنها ضرورية من أجل تطوير سريع منتظم تصحبه زيادة في الانتاجية »

وهكذا ، بينما يؤكد الاقتصادي التقليدي على « أن المجتمعات ، بأشكالها المختلفة (!) لا تعول كثيرا على طريقة اعادة التوزيع لأنها لا ترفع مستوى المعيشة الا قليلا ، ذلك أن مستوى المعيشة يتحدد أساسا بعاملين هما حجم الانتاج وكثافة السكان (!) » (أي بغض النظر عن شكل التوزيع القائم) ، نجد أن غونار ميردال يرى بأن « علماء الاقتصاد أغفلوا عادة ، سواء أكانوا من أبناء البلاد (المتخلفة) أم غربيين ، التفاوت في الدخل ،وحتى عهد قريب جدا على الأقل ، حتى لقد برروه بتأكيدهم أن هذه البلدان الشديدة الفقر لا يمكنها أن تجيز لنفسها أن تفكر بلغة العدالة الاجتماعية وأن تدفع ثمنا لاصلاحات ترمي الى المساواة قد تعرقل ، برأيهم ، التنمية الاقتصادية » ، ويؤكد ميردال : « لقد أثبت التاريخ بشكل جيد أن الاصلاحات الاجتماعية كانت بوجه الاجمال تدعيما للتقدم الاقتصادي وليست عائقا له على الصعيد القومي » . فمن المهم جدا النظر الاجتماعي للتغيرات الاقتصادية ، أكثر من التغيرات نفسها « فعلينا أن نحافظ على رؤية أوسع ، بل لنزداد اطلاعا في الوقت نفسه

المد للعلاقات الاجتماعية التي لا يمكن أن تقتصر على
دائر عواملنا « الاقتصادية المجردة »

« مادام لم يتوقف وينعكس الاتجاه الحالي السائر الى توسيع التفاوت في الدخل فان التنمية ستعاق وتجهض »

أما « الحجة المألوفة القائلة بأن التفاوت الاقتصادي يجلب الغنى لطبقة عليا قادرة على أن تحقق من دخلها مزيدا من الادخار فهي حجة أقل ملاءمة أيضا في معظم البلدان المتخلفة حيث الملاك العقاريون والأشخاص الأغنياء الآخرون معروفون بتبذير دخلهم في استهلاكات من أجل الوجاهة وفي استثمارات من أجل النفوذ وأحيانا (وليس في أمريكا اللاتينية وحدها) بتهريب رؤوس الأموال وبسبب العجز الشديد في تحديد مطرح الضرائب وفرضها فان التفاوت في الدخل والثروة لا يمكن لذلك أن يساعد على الادخار العام »

« فالاصلاحات الرامية الى المساواة ، الحسنة التخطيط والتنسيق ، تؤلف حتما في هذه البلدان من الناحية الوطنية أنفع استثمار ممكن وهكذا فان النظام التقليدي بجملته يتخذ اتجاها معاكسا للتنمية »

الاستراتيجية الجديدة للتنمية

فلم يعد الاقتصادي ، ولا المجتمع ، يهتم كثيرا بتزايد الدخل القومي ، ولا بارتفاع معدلات نموه ، ولا بزيادة الانتاج بحد ذاتها ، وانما بما يصيب المواطن من هذه المؤشرات الاقتصادية بصورة وسطية حسابية يقول محبوب الحق وليس صحيحا أن معدلات النمو العالية تكون بالضرورة ، بسبب ما يترتب عليها من توسيع الخيارات أمام المجتمع ، مفضلة على معدلات النمو المنخفضة وانما يتوقف ذلك كله على بنيان معدلات النمو هذه فاذا تحقق معدل نمو عال من خلال الانفاق العسكري المتصاعد أو من خلال انتاج السلع الكمالية التي يستهلكها الأغنياء والمتميزون فان هذا المعدل لا يكون بالضرورة أفضل من معدل نمو أدنى يتم توزيعه بقدر أكبر من المساواة ان المسألة ليست مجرد مقدار السلع التي يتم انتاجها وانما هي نوع هذه السلع وكيفية توزيعها ومن سوء الطالع أن قياسات الناتج القومي الاجمالي لا تتضمن ... عما يتحقق من الرضا الاجتماعي » .

و ان ...اتيجية الجديدة للتنمية يجب أن ترفض الفكرة ... الفقر يمكن مهاجمته بطريق غير مباشر من خلال ... النمو التي تتساقط رذاذا على الجماهير انها يجب ... على المقدمة المنطقية القائلة بأن الفقر يجب مهاجمته ...مباشر »

« ان نمط وتنظيم الانتاج نفسه يمليان نمطا للاستهلاك والتوزيع يكون من العسير للغاية من الناحية السياسية تغييره فما دمتم قد زدتم ناتجكم القومي الاجمالي في صورة انتاج المزيد من السيارات والمساكن الفاخرة ، فانه لا يكون من السهل على الاطلاق تحويلها الى مساكن قليلة التكلفة ، أو حافلات للنقل العام . ويترتب على ذلك بالضرورة نمط معين للاستهلاك والتوزيع ان الفصل بين سياسات للانتاج والتوزيع زائف وخطير . فسياسات التوزيع تصاغ في نمط تنظيم الانتاج »

« لقد آن الأوان لأن نوقف النظرية الاقتصادية على رأسها »

« ان هدف التنمية يجب أن ننظر اليه على أنه هجوم انتقائي على أكثر أشكال الفقر سوءا ، كما أن أغراض التنمية يجب تعريفها من زاوية الخفض المتصاعد والالغاء الفعلي لسوء التغذية ، والمرض ، والأمية ، والفقر المدقع ، والبطالة ، ومظاهر عدم المساواة . لقد تعلمنا أن نعتني بناتجنا القومي الاجمالي باعتبار أن ذلك سيؤدي الى العناية بالفقر فدعونا الآن نعتني بالفقر باعتبار أن ذلك سيؤدي الى العناية بالناتج القومي الاجمالي . وبعبارة أخرى *دعونا نهتم بمضمون الناتج القومي أكثر من اهتمامنا بمعدل زيادته* »

ويؤكد غونار ميردال على هذه الاستراتيجية الجديدة للتنمية بقوله « ان ادخال مساواة أكبر بفضل اصلاحات ترمي الى المساواة ، مخططة تخطيطا معقولا ، سيوسع امكانيات النمو والتنمية . والواقع أن الاصلاحات المحلية في هذا الاتجاه تؤلف بالنسبة الى التنمية السريعة الثابتة شرطا أوليا أعظم شأنا بكثير من أي نعمة تأتي من الخارج »

هل كان غونار ميردال ومحبوب الحق طوباويين مثاليين ؟ ام أنهما لم يغفلا أن استراتيجيتهما التنموية المعاكسة للاستراتيجيات التقليدية ستواجه ليس فقط بالمضادات الداخلية المعروفة ، وانما أيضا بالمواجهة الخارجية التي تحبط كل مجهود بناء في هذا السبيل ؟

تحاول البلدان المهيمنة اقتصاديا اعاقة ومنع أي اصلاح يدفع عملية التنمية في اتجاه تحقيق انجازات حقيقية في البلدان المتخلفة انها قبل كل شيء ، تحاول اشاعة وتشجيع الفساد والاتجاهات المضادة للاصلاح الاقتصادي في هذه البلدان . يقول غونار ميردال الذي اشتهر بالكشف عن أخطار الرشوة والفساد وآثاره المدمرة على

عملية التنمية : « ولرسوخ الفساد في البلدان المتخلفة سبب هام هو عادة تقديم الرشوة الى السياسيين والموظفين التي تلجأ اليها الشركات الغربية من أجل الحصول على أسواق لها وتمرير أعمالها بدون أن تلاقي عقبات كبيرة » . « ان البلدان الغربية دعمت الرجعية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية من النوع الأشد شؤما في البلدان المتخلفة وعندما تحاشى الاقتصاديون تحليل أهمية الاصلاحات المحلية الجذرية الأساسية لتنمية البلدان المتخلفة كان هذا الانحراف مرضيا ليس للأقليات الحاكمة في هذه البلدان وحسب بل كان مؤاتيا أيضا للسياسات التي تنتهجها بالفعل البلدان المتطورة »

أين المخرج اذن ؟

يقول محبوب الحق

« لقد علمنا التاريخ درسا واحدا على الأقل هو أن الفقراء والضعفاء يتعرضون للاستغلال ما لم يكونوا منظمين ولا يستثنى من ذلك نظامنا العالمي الراهن فكثيرا ما رأينا فقرنا وضعفنا يستغلان باسم مبادىء عظيمة طنانة

بيد أنه لا جدوى من التحيب ، فليس هناك استغلال يمكن أن يستمر طويلا دون التعاون الضمني من جانب من يقع عليهم الاستغلال وأخشى أن نكون قد سمحنا لأقلية في العالم المتطور بأن تشكل الرأي العام العالمي لفترة زمنية طويلة للغاية فاذا كان هناك أي خطأ فهو بوضوح خطأنا نحن

في هذه الاستراتيجية البديلة ، الاقتصادي لا ينتظر اشارة من السياسي لأداء مهمته ، وانما مهمته هي اظهار الطريق السليم لتنمية اقتصادية - اجتماعية مستقلة ذلك ، كما يقول محبوب الحق « ان استقلالنا الوطني لن يكون كاملا أو ذا مغزى ما لم يعقب التحرر السياسي تحرر اقتصادي وثقافي »

فهل ننتظر أن يأتينا التحرر « معونة » أيضا من الغرب ؟ وهل نستمر في القاء مسؤولية ما نحن فيه على الغرب في الوقت الذي نزداد فيه ابتهالا له ؟

يقول محبوب الحق « اننا لا ندعو مجتمعاتنا الى أن تتخذ من النظام الدولي مبررا مريحا لكل الافتقار الى التقدم على الجبهة الداخلية كما أننا لا نتوقع أن يحمل العالم الخارجي أعباءنا نيابة عنا بل نحن نؤمن بأن على العالم الثالث أن ينتهج سياسة للاعتماد على النفس تمتد الى مختلف مجالات النشاط الاقتصادي ولا تقتصر على ا[illegible] وحدها . والواقع أن الاصلاحات التي تدخل على [illegible] الدولي ستكون بلا معنى ، بل كثيرا ما سيكو[illegible] المستحيل تحقيقها ما لم تتم اصلاحات مقابلة في [illegible] القومية »

وهذا يعني أن اصلاح العلاقات الخارجية لدولة [illegible] يبدأ باصلاح أوضاعها الداخلية ويتوقف اصلاح النظام الاقتصادي العالمي فعليا على مدى اصلاح النظم الاقتصادية الاجتماعية الداخلية باتجاه التخلص من الأزمات والتحرر من التخلف والتبعية والغاء مرتكزاتها المحلية .

ولكن هل يمكن تحقيق ذلك ما دمنا نؤكد على تحرر علم الاقتصاد من أية التزامات اجتماعية - اخلاقية مسبقة ؟

لقد كان ابن خلدون أول عالم يبحث في الاقتصاد من منظور اجتماعي - اخلاقي فقد كان ابن خلدون أول من طرح نظرية القيمة في العمل ، أي نظرية الانتاج والتوزيع العلمية التي تقول ان جميع القيم هي من انتاج العمل الانساني حصرا ولذلك فقد رفع ابن خلدون من شأن المنتجين الذين يقدمون بعملهم كل وسائل الحياة للمجتمع ، وخفض وأذل شأن الطفيليين الذين يقتصر دورهم على شفط المداخيل واستهلاك ما ينتجه الآخرون

وما أحوج أي نظرية في التنمية الى علم العمران الخلدوني ، الذي يتزين بهذا الموقف الأخلاقي العلمي السامي

واذا كان الخروج من دائرة التخلف لا يمكن أن يتم بصورة عفوية ، ولا يمكن أن يتم بمعونة من الخارج ، وانما بجهود ذاتية ارادية واعية ، من خلال تطوير القدرات الاجتماعية على الانتاج والانجاز والابداع ، أفلا يدعو ذلك الى التفكير في الأسس والمبادىء التي تنطلق منها وتهتدي بها عملية التنمية الحقيقية ؟

فالتنمية ليست تنمية ماذا ؟ فقط انها تنمية ماذا ومن وبمن ومن أجل من وكيف ؟ وعلى الاقتصادي أن يجيب على كل هذه التساؤلات دون انتظار سؤال من أحد ■■

د . ع . ف دليلة

الكويت - المعهد العر[illegible] للتخطـ[illegible]

الدكتور جمال حمدان في أعماله الكاملة

بقلم الـدكتـورة نعمـات أحمـد فؤاد

رحلة الدكتور حمال حمدان في عالم التأليف ، تعكس تجربة فريدة لواحد من العلماء العرب البارزين ، الذين نذروا حياتهم للبحث المعمق والاصيل ، دفاعا عن وطنه الصغير والكبير في عدد يونيو الماضي من العربي ، قدمنا أحدث موسوعة له حول شخصية مصر . والآن نأتي الى بقية كتبه تباعا

○ ٦ أكتوبر في الاستراتيجية العالمية

تكلم فيه عن ماضي الصراع العتيد ومستقبله
كلم عن العالم والمعركة معركة التحرير الكبرى ولكني
فت طويلا في هذه المواضع .
(سيناء ليست مجرد « صندوق من الرمال » كما قد
وهم البعض انما هي « صندوق من الذهب » مجازا كما
ي حقيقة ، استراتيجيا كما هي اقتصاديا ، فأما من الناحية
لاقتصادية فنحن نعلم أنها كانت منذ الفراعنة منجم مصر
لذهب والمعادن النفيسة وهي الآن بئر بترولها الأكبر
الثمين ، أي صندوق من الذهب الأسود بالفعل وأما
سراتيجيا فان من المهم جدا أن ندرك أن سيناء ليست
جرد فراغ ، أو حتى عازل انها عمق جغرافي وانذار مبكر
بكر أن نشتري فيه الزمان بالمكان انها ككل خط الدفاع
الأخير - مصر الدلتا والوادي ، اذا كانت فلسطين هي
بطوروس الأول) ص ٣٦ .
سيناء تعني نظرية الأمن المصري فانها (من
ساه ودائما محصنة تحصينا أساسيا . ولا يكاد
عون أو سلطان مصري ، ابتداء من بيبي
الأول ، يخلو من ذكر انشاءاته وتحصيناته
سيناء ، ابتداء من رفح والعريش الى
س ومن العقبة الى نخل . . . الخ ومن

هنا أيضا كانت مصر تسارع الى ملاقاة أعدائها خارج سيناء وتنقل المعركة الى « بر » الشام . ولم يكن من قبيل الصدفة قط أن معظم معارك مصر الحربية الفاصلة ، سواء منها المنتصر أو المنهزم ، انما دارت على أرض الشام وفي ربوعه حسمت ، ومعها حسم مصير مصر يصدق هذا ابتداء من شاروهن الهكسوس وقادش رمسيس ، ومجد وتحتمس الى قرقميش البابليين ، ومن حطين صلاح الدين وعين جالوت قطز حتى مرج دابق الغوري وحمص ونصيبين محمد علي .)

سيناء تحمل بصمات مصر حضارة وثقافة وطابعا وسكانا بالقوة نفسها التي يحملها بها أي اقليم مصري آخر ومنذ بدأ تاريخ مصر المكتوب ، والنقوش الهيروغليفية تثبت الوجود المصري على كل حجر ، والانتماء المصري لكل حجر ، في سيناء ، معبرا كانت أو معبرا ، ممرا كانت أو مقرا بل ان تراب سيناء وقد امتزج بالدم المصري المدافع ربما أكثر من أي رقعة أخرى مماثلة من التراب الوطني فحيث كان ماء النيل هو الذي يروى الوادي ، كان الدم المصري هو الذي يروي رمال سيناء) ص ٤٠

والرد العملي عنده أي عند الانسان المصري هو . التعمير . . التعمير البشري أو « التبشير » العمراني . . ان التعمير هو التمصير .

○ كتاب (قناة السويس نبض مصر)

يعرف الدكتور جمال حمدان ، قناة السويس بقوله (هي بالدرجة الأولى سلاح سياسي واستراتيجية حرب تصل انعكاساتها واشعاعاتها الى كل المحيطات والبحار السبعة وتمثل موقعا حاكما في استراتيجية الصراع البحري العالمي مثلما تشكل عقدة نووية في الملاحة والتجارة الدولية

فأما الأخطار الأولى فتتمثل في المحل الأول في الوجود الاسرائيلي واعتداءاته المتكررة القائمة أو الكامنة والمسلطة أبدا ثم كل ما يتصل بالصراع العربي الاسرائيلي عموما من صوابط وتداخلات معقدة وانعكاسات وظلال مستمدة من لعبة السياسة الدولية واستراتيجية القوة العالمية

أما الثانية فنقصد بها صراع النقل البحري عموما كما يتمثل في منافسة الطرق البديلة ، برية كانت أو بحرية ، أنابيب أو ناقلات في هذه الحالة أنابيب المشرق وناقلات العرب ، ولكن بالأخص والتحديد الناقلات العملاقة وطريق الرأس .

اسرائيل ليست فقط العدو الأول والأساسي لمصر ، ولا كذلك للعرب وبترولهم ولكنها أيضا العدو الأول والأخطر للقناة

واذا كانت فلسطين من بين العرب هي كبرى ضحايا اسرائيل بداهة ، فان مصر بعدها هي أكبر من عانى من وجودها ، ليست فقط بما بذلت من دم ومال ولكن أيضا بما تتعرض له من أزمات ومشاكل في الداخل والخارج

وليس هناك أدنى شك في أن اسرائيل هي أكبر عامل منفرد في تأزيم ، ولا نقول « سرطنة » اقتصادها وتعثر تخطيطها وخلخلة واضطراب تنميتها انها باختصار النواة الدفينة الكامنة والبؤرة « الصديدية » المزمنة خلف كل المتاعب والأخطار السياسية ـ الاستراتيجية وكذلك الاقتصادية والمادية التي تحدق بقناة مصر وبمصر القناة) ص ٢٣ ـ ٢٤

ويرى الدكتور جمال حمدان ، البترول ، توأم القناة وعميلها الأساسي الذي نشأ وشب ونما تحت وصايتها ، وفي رعايتها حتى ليقول (لقد نشأ « زواج اقتصادي » وثيق بين بترول العرب ، وقناة العرب .) ص ٢٩ .

أما عن القناة والاستعمار فهو يرى أن القناة اذا كانت على الرغم من ارادتها (قد سهلت للاستعمار القديم مهمته في الشرق، فانها هي بالذات والتحديد التي ردت اليه حريته واعتباره فيما بعد . فعلى ضفاف القناة ومن أجل استردادها دارت معركة السويس المجيدة سنة ١٩٥٦ ، تلك التي دفنت الاستعمار وعصر الاستعمار والامبراطورية الى الأبد ودشنت بلا جدال عصر في العالم وافتتحت موجة الاستقلال في العالم بأسره وبذلك جاءت القناة آخر وأخطر الاستعمار القديم مثلما كانت من أبرز بداياته بوابة للاستعمار ومدخلا ، فصارت مقبرته وخاتمته انتقمت القناة لنفسها ولضحاياها ردت الدين و... الرهينة

○ كتاب (العالم الاسلامي المعاصر)

الدكتور جمال حمدان العالم الجغرافي بمعطيات سطح الأرض ، يرى الأديان تشكل غلافا شفافا غير مادي ـ الغلاف الروحي كما يسمى Noosphere هذا الغلاف (يمكن أن يضاف الى طبقات الغطاءات المادية المتعددة التي تغلف سطح الكرة الأرضية) ص ٦

وحين يمن الاستعمار على الاسلام بتيسير مهمته في الانتشار ، على طريقة ألفاظ الأضداد ، يراه عالمنا الجغرافي قد (أثقل خطوته وان لم يستطع حقا أن يشل حركته) لقوة ذاتية كامنة فيه

ويضرب الأمثلة لتعويق الاستعمار ، تعميق الصراع بين المسلمين والهندوس في الهند وما يعمله التبشير في أفريقيا .

ويظل الاسلام بعد هذا دينا عالميا أو كوكبيا بلا مراء على الرغم (مما يدعيه البعض من أنه دين جزئي أو اقليمي أحيانا ، أو من أنه دين « أفريقاسي » أحيانا أخرى)

حين تقف اليهودية بحجمها (١٥ ـ ١٦ مليونا) وباحجامها عن التبشير « قوقعة حضرية » بلا تحفظ أو تحيز

واذا كان الاسلام قد تراجع أو تضاءل في أوربا ، فهو على العكس من ذلك في أفريقيا جبهة مدية راجحة بقوة وايقاع لا يعرفهما في أي قارة أخرى كما لا يعرفهما أي دين آخر سواه ، في الوقت الحالي في أي مكان

وهكذا اذا كان الاسلام قد فقد البحر المتوسط « كبحيرة اسلامية » فانه قد كسب أفريقيا « كقارة اسلامية ») ص ١٧

ويختلف زحف الاسلام في العصر الحديث عنه في العصر الوسيط فبينما كان (في الماضي اكتساحة سريعة أخاذة وخاطفة كالطوفان ، اذ هو الآن أقرب الى الانتشار القشائي « الأسموزي » الهادىء ، وئيد ولكنه أكيد ص ١٧ .

ومع أن الاسلام في أفريقيا من حيث القوة ...ـية ، لا يزيد عنه في باكستان أو أندونيسيا (الا أن ... ا ، أكثر من أي قارة أخرى ، تعد جبهة ريادة و... الاسلا...

...امي بوسمه في المستقبل لكل شيء باجماع - وقلق - ...كتاب والمشرين الغربيين قبل سواهم يشير الى أن ...مستقبل في قارة المستقبل انما هو الاسلام) ص ١٠٨

العالم الاسلامي بأبعاده وأعماقه سياسيا وحيويا حضريا وجغرافيا ، موضوع كامل متكامل في هذا الكتاب

○ كتاب (المدينة العربية)

يتحدث عن المدن العربية القديمة والحديثة وحضارة المدن

يتحدث عن المغرب وليبيا والسودان والشام والعراق والجزيرة العربية وساحل الخليج الذي يسميه ساحل الريب

يتحدث عن عواصم العرب

فمدينة (الرملة) التي أسسها سليمان بن عبد الملك عاصمة فلسطين العربية ورثت بذلك (العاصمية) من قيسارية الرومان) ص ١٩٣

أما مدينة « الرياض » فهي فرساي السعودية أو بوتسدام الجزيرة

ومن الطريف ، (أن الرياض ليست العاصمة السياسية بل الدينية ، بينما مكة مهد الاسلام هي العاصمة السياسية !) ص ٢٥٤

○ كتاب « جغرافية المدن »

يقول هذا الكتاب ان الدين عامل أساسي في نشأة كثير من المدن فالمدينة نطاق مقدس كذلك فللمدن صبغة دينية عند الأشوريين والمصريين ففي مصر كانت تسمى بأسماء الآلهة مثلا بوصير ، بوبسطه ، برمانتو Per-mantou (بيت أوريس - بيت بسط - بيت منتو على الترتيب)

وتوت أمون أي مدينة آمون

وحتى الآن لا يزال الأساس الديني هو أساس التفرقة في انجلترا بين Town, City فالأولى ، كانت مركز الأسقفية وبها كاتدرائية ، والثانية ، ليست هذا وقد كان لكل مد... قديسها المحامي وفي فترات الاضطرابات والاضط...ت الدينية ظهرت مدن للحماية والالتجاء الديني ...موعة مدن Salvetats Sauvete-s مثلا

...فهو على وجه اليقين خالق للمدن بدرجة ...حة كما يقول ديفونتين ، وكان بناء للمدن ...ـير حورج

...ـم يثرب بعد الاسلام الى المدينة ، وهو اسم علم واسم نوع معا وقد كان المسجد أول أساس يقام في المدينة الاسلامية الحديثة

هكذا في كل العصور كانت فترات النشاط المدني هي فترات الانقضاض الديني

من كل هذا نجد كما يقول الدكتور جمال حمدان ، (ان المدينة مدينة للدين بأصولها في كثير من الأحيان ، وان الشيوخ والأنبياء ، وليس فقط الملوك والحكام كانوا من زرعة المدن) ص ١٧٦

○ كتاب (الجمهورية العربية الليبية)

من هذا الكتاب نعرف أن (أحدث اسم لليبيا هو أقدم أسمائها ، فلقد أطلقه الاغريق القدماء على كل الجزء الشمالي من أفريقيا حيث تسود البشرة البيضاء Libyae تمييزا لهم عن أثيوبيا ، وهي منطقة العناصر السوداء أو السمراء من القارة Ethiopige وبالتدريج تقلص مجال التسمية وتخصص ، حتى اختص بشمال أفريقيا غرب مصر ، أي المغرب الآن ، ثم انحصر في النهاية في ليبيا الحالية وتطور مدلول الاسم هذا اتجه من الاتساع الى الضيق ، عكس اسم أفريقيا مثلا الذي اتسع من (أفريقية) تونس الى القارة بعامة ص ٧٢

ثم تحدث عن دور « البترول » في ليبيا وكيف (صحح أخطاء الكيان الجغرافي بقوة الكيان الجيولوجي) ص ٧١ وكيف تتحول ليبيا بسرعة - بترولية - الى مدينة كبرى واحدة ص ١٤٥

ثم تكلم عن « البترول » كقوة سياسية ومادة استراتيجية بل المادة الاستراتيجية الأولى في العالم انه (الاستعمار السائل) ولهذا حرص النظام مع الاستعمار على الفصل بين السياسة والاقتصاد في مجال البترول ، مما عمقه سياسيا بل كان البترول بالفعل أداة للاستعمار السياسي والنفوذ الأجنبي كان مادة للاستعمار البترولي وعلى العكس من ذلك تماما ، جاءت الثورة الليبية وجوهرها يكمن في « تسييس » البترول ، وهنا تحققت معادلة القوة الكامنة الجديدة فأصبح البترول أداة تحرير وسلاح قوة سياسية حاسما ص ١٧٨

○ كتاب (بين أوروبا وآسيا)

يتساءل الدكتور جمال حمدان وكأنه يردد سؤالا عاما يلوح لنا جميعا ·

لماذا - أولا - أوروبا وآسيا ؟ ولا يلبث أن يجيب (الاختيار ليس صدفة ، فالقرابة بين القارتين ليست مجرد قرب جغرافي أو اتصال أرضي ، وانما هي أعمق من ذلك تركيبيا ووظيفيا تركيبيا سنجد أن النسيج الطبيعي

في كل منهما يتشابه الى حد ما في خيوط ... او في رفع أما وظيفيا ، فقد تداخل والتحم تاريخ ... سارتين في تفاعل عميق بحيث يتعذر أن نفهم أحدهما دون الآخر . ومنذ فجر التاريخ ، كان الانسان على وعي كاف بهذه الحقيقة ، حتى لقد عكسها في تسميته للقارتين ، وهي التسمية التي ظهرت غالبا في منطقة العالم الأغريقي القديم فكان مشرق الشمس آسو Asu في آسيا الصغرى . ومن خلفها « آسيا » بينما كان مغرب الشمس « ارب Ereb في اليونان ومن ورائها أوربا » ثم جاء جغرافي العصر الحديث فأكد هذه العلاقة الحميمة وصكها في تركيب مزجي يختزلها الى « أوراسيا » ص ٢٠ ـ ٢١

وآسيا هي القارة الأم بالمعنى البشري أيضا ، فاذا لم تكن البشرية قد خرجت من رحمها أو من معطفها ، فان قدرا كبيرا على الأقل من أجناس وعناصر أوربا تأصلت أصلا في آسيا في عصور ماقبل التاريخ ص ٢١

أما من حيث التاريخ الحضاري والسياسي فان أوربا لم تفلت قط من نفوذ وتأثير آسيا ٢١

ومضى الدكتور جمال حمدان يحلل أوربا وآسيا بدءا من الاسم ـ كما رأينا ـ الى السكان ، والتاريخ السياسي ، والأرض ، والعمران وغيرها من النظائر والنقائض الجغرافية وانتهى بعد مقارنات متوسعة الى أن آسيا هي القارة الأم وأن كل سكان أوربا الحاليين جاءوا أصلا من آسيا اذ كانت روسيا بحكم موقعها هي الممر الطبيعي لكل الموجات البشرية والغزوات التاريخية من آسيا الى أوربا (كذلك فان قرنين من حكم المغول والتتار ، بالاضافة الى توسع الروس في سيبيريا فيما بعد ، أدخلوا عنصرا آسيويا محققا في تركيب السكان . وتوضح سجلات انساب القرن الـ ١٦ مثلا أن ١٧٪ من عائلات النبلاء كانوا من أصل تتري وشرقي ، ولو أن هذا لا يعني صحة المثل الشائع : (اخدش روسيا تجد تحت جلده تتريا .) ص ٣٢٠

وأخيرا نأتي الى أصغر كتبه ولكنه موضوع الساعة أو أرق وقلق الساعة

○ كتاب (اليهود انثروبولوجيا)

اذا ذكر اليهود ، ذكر « الجيتو » فمن اللازمات اليهودية « الجيتو Ghetto » حي اليهود أو معزلهم في المدينة ! (فطوال عصور التاريخ ، وفي كل البلاد والأقاليم ، ارتبط اليهود كقاعدة بلا استثناء بالعزلة السكنية في حي خاص من المدينة الجيتو كما يقال له في كثير من بلاد أوربا وأمريكا ، أو حارة اليهود في المانيا Judengasse وكما نقول نحن في مصر ، وهو اليوديريا في اسبانيا الوسيطة Guderiq او هو الملاح meelah كما يقال في مدن المغرب العربي أو القاع . . قاع اليهود في مدن اليمن .

وكثيرا ما كانت هذه الوحدة الخلوية اليهودية ... بحائط خاص داخل المدينة ، وأحيانا كان الحي برمته ... خارج أسوار المدينة الأم ذاتها امعانا في العزل ... الغالب الأعم يؤلف حي اليهود قطاعا من الأحياء ... المنحطة من المدينة ، ويكفي في هذا الصدد أن ... كمجرد مثال حي ستبنى وهو ايتشابل Stepeny Whitechapel في الايست اند نطاق الفقر الشهير في شرق لندن ومع ذلك فقد كان أغنياء اليهود يتعدون هذا الحصار ليعيشوا في الأحياء الراقية غير اليهودية ، كما ان تطور الحياة الاجتماعية يقلل الآن كثيرا من صرامة عزلة الجيتو .) ص ٥٠ .

ومن أهم ما في هذا الكتاب عرض الدكتور جمال حمدان للأفكار الخاطئة وأهمها :

* تسمية اضطهاد اليهود « بضد السامية » فنحن في الحقيقة ازاء « ضد اليهودية » ببساطة وبلا تعقيد
* الاضطهاد النازي لليهود في المانيا لم يكن في جوهره الا اضطهاد ألمان لألمان ، لا يقل معظمهم عنهم في الآرية والنوردية ، وانما يختلفون فقط في الديانة وطريقة الحياة
* يسقط كذلك ببساطة وتلقائية أي دعوى قرابة بين العرب واليهود قد يكون يهود التوراة والعرب أبناء عمومة ـ وانما تاريخيا فحسب حين بدأ الكل قبائل مختلفة من الساميين الشماليين وحين كانت العبرية لغة تشتق من الأصول العليا التي تفرعت عنها العربية ، وقد يكون من الصحيح ، بل انه لصحيح بالفعل ، أن اسماعيل أبا العرب واسحق أبا اليهود أخوة غير أشقاء وكلا ابنا ابراهيم ـ ولكن في البداية فقط تصدق هذه الأخوة على تسليمها ، أما بعد ذلك فقد ذاب نسل أحدهما في دماء غريبة ووصل الذوبان الى حد الاحلال حتى أصبحنا ازاء قوم غرباء لا علاقة لهم البتة باسحق فضلا عن اسماعيل ولا يمكن بعد أن اختفى يهود التوراة كشبح أن يكون يهود أوروبا والعالم الجديد أقارب العرب جنسيا أكثر من قرابة الأوربيين والأمريكيين للعرب !

وبعد . . فهذه اطلالة على عالم الدكتور جمال حمدان الرجل والكتاب . . العقل والقلم الفكر والاسلوب . . وقد تكتفي هذه الاطلالة في بعض الكتب بالاشارة في غير اطالة . وقد تتوسع في مواضع أخرى لا يغني فيها أصبع يشير عن ذراع يحيط . وحسبي أن تكون هذه الدراسة في وقفاتها مجتمعة ومتفرقة ، دليلا اليه . راهب فكر ونموذج حياة عقلية . ... ■■

انسانا وكاتبا . . شخصا وشخصية .

د . نعمات أحمد فؤاد

بيروت خيمتنا الأخيرة

للشاعر محمود درويش

هذه الابيات : للشاعر محمود درويش التي أسماها قصيدة بيروت . . نظمها والقاها في العاصمة اللبنانية في أوائل العام الماضي . . ونحن هنا ننشر مقاطع منها بلا تعليق . . ففي كلماتها كل الكفاية

تفاحة للبحر . نرجسة الرخام . فراشة حجرية . بيروت . شكل الروح
في المرآة .
وصف المرأة الأولى ، ورائحة الغمام .
بيروت من تعب ومن ذهب ، وأندلس وشام .
فضة زبد . وصايا الأرض في ريش الحمام .
وفاة سنبلة . تشرد نجمة بيني وبين حبيبتي بيروت . لم أسمع دمي من
قبل ينطق باسم عاشقة تنام على دمي . . . وتنام . .
من مطر على البحر اكتشفنا الاسم من طعم الخريف وبرتقال
القادمين من الجنوب كأننا اسلافنا نأتي الى بيروت كي نأتي الى بيروت . . .
مطر بنينا كوخنا ، والريح لا تجري فلا نجري كأن الريح مسمار
لصلصال تحفر قبونا فننام مثل النمل في القبو الصغير
تنا نغني خلسة :

بيروت خيمتنا
بيروت نجمتنا

سبايا نحن في هذا الزمان الرخو
أسلمنا الغزاة الى أهالينا
فما كدنا نعض الأرض حتى انقض حامينا على الأعراس والذكرى فوزّعنا
أغانينا على الحراس .
من ملك على عرش
الى ملك على نعش
سبايا نحن في هذا الزمان الرخو
لم نعثر على شبه نهائي سوى دمنا
ولم نعثر على ما يجعل السلطان شعبيا
ولم نعثر على ما يجعل السجان وديا
ولم نعثر على شيء يدل على هويتنا
سوى دمنا الذي يتسلق الجدران
ننشد خلسة

بيروت خيمتنا
بيروت نجمتنا

ونافذة تطل على رصاص البحر
يسرقنا حيما شارع وموشح
بيروت شكل الظل .
أجمل من قصيدتها وأسهل من كلام الناس تغرينا بألف مدينة مفتوحة

وبأبجديات جديده ،

بيروت خيمتنا الوحيدة
بيروت نجمتنا الوحيدة

افق رصاصي تناثر في الافق
طرق من الصدف استدارت في الطرق
ومن المحيط الى الجحيم
من الجحيم الى الخليج
ومن اليمين الى اليمين الى الوسط
شاهدت مشنقة فقط
شاهدت مشنقة بحبل

واحد

من أجل مليوني عنق !
« وداعا للذي سنراه
للفجر الذي سيشقنا عما قليل
لمدينة ستعيدنا لمدينة
لتطول رحلتنا وحكمتنا

و‍ا للسيوف وللنخيل
لحمامة ستطير من قلبين محروقين بالماضي
الى سقف من القرميد .
هل مر المحارب من هنا
كقذيفة في الحرب ؟
هل كسرت شظاياها كؤوس الشاي في المقهى ؟
أرى مدنا من الورق المسلح بالملوك وبدلة الكاكي ؛ أرى مدنا تتوج فاتحيها
والشرق عكس الغرب أحيانا
وشرق الغرب أحيانا
وصورته وسلعته
أرى مدنا تتوج فاتحيها
وتصدر الشهداء كي تستورد الويسكي
وأحدث منجزات الجنس والتعذيب .
هل مر المحارب من هنا
كقذيفة في الحرب ؟
هل كسرت شظاياه كؤوس الشاي في المقهى ؟
أرى مدنا تعلق عاشقيها
فوق أغصان الحديد
وتشرد الأسماء عند الفجر
عند الفجر يأتي سادن الصنم الوحيد
مادا نودع غير هذا السجن ؟
مادا يخسر السجناء ؟
نمشي نحو أغنية بعيدة
نمشي الى الحرية الأولى
فنلمس فتنة الدنيا لأول مرة في العمر
هذا الفجر أزرق
والهواء يرى ويؤكل مثل حب التين
نصعد
واحداً
وثلاثة
مائة
وأله
... نائم في هذه الساعات
عند ... عند الفجر ، نختتم القصيدة
ور... ...صى على درجات هذا الفجر
... ...ساة
... ...ماء

فوق الأرض
لا تحت الطغاة
تحيا الحياة !
تحيا الحياة !

قمر على بعلبك
ودم على بيروت
يا حلو ، من صبك
فرسا من الياقوت !
قل لي ، ومن كبك
نهرين في تابوت !
ياليت لي قلبك
لأموت حين أموت

وثمر قبلة ؟ فندخل حانة في فندق الكومودور
ـ يعجبني كثيراً صمت رامبو
أو رسائله التي نطقت بها إفريقيا
ـ وحسرت كافافي
ـ لماذا ؟
ـ قال لي لا تترك الاسكندرية باحثا عن غيرها
ـ ووجدت كافكا تحت جلدي نائما
وملائما لعباءة الكابوس ، والبوليس فينا
ـ ارفعوا عني يدي
ـ ماذا ترى في الأفق ؟
ـ أفقا آخراً
ـ هل تعرف القتلى جميعا ؟
ـ والذين سيولدون
سيولدون
تحت الشجر
وسيولدون
تحت المطر
وسيولدون
من الحجر
وسيولدون
من الشظايا
يولدون
من المرايا

يو ين
مر روايا
وسيولدون
من الهزائم
يولدون
من الخواتم
يولدون
من البراعم
وسيولدون
من البداية
يولدون
من الحكاية
يولدون
بلا نهاية
وسيولدون ، ويكبرون ، ويقتلون
ويولدون ، ويولدون ، ويولدون

احرقنا مراكبنا وعلقنا كواكبنا على الاسوار
نحن الواقفين على خطوط النار نعلن ما يلي

بيروت تفاحه
والقلب لا يضحك
وحصارنا واحه
في عالم يهلك
سنرقص الساحه
ونروح الليلك

أحرقنا مراكبنا وعلقنا كواكبنا على الاسوار
لم نبحث عن الاجداد في شجر الخرائط
لم نبحث خارج الخبز النقي وثوبنا الطيني
لم نبحث في صدف البحيرات القديمة صورة الآباء
لم نسأل كيف تم الانتقال الفذ مما ليس عضويا
الى العضوي ؟
لم نسأل

قد ولدنا كيفما اتفق
انتشرنا كالنمال على الحصيرة
ثم أصبحنا خيولا تسحب العربات
نحن الواقفين على خطوط النار
أحرقنا زوارقنا ، وعانقنا بنادقنا
سنوقظ هذه الارض التي استندت الى دمنا
سنوقظها ، ونخرج من خلاياها ضحايانا
سنغسل شعرهم بدموعنا البيضاء
سنسكب فوق ايديهم حليب الروح كي يستيقظوا
ونرش فوق جفونهم اصواتنا
قوموا ارجعوا للبيت يا أحبابنا
عودوا الى الريح التي اقتلعت جذوب الارض من أضلاعنا
عودوا إلى البحر الذي لا يذكر الموتى ولا الأحياء
عودوا مرة أخرى
فلم نذهب وراء خطاكم عبثا
مراكبنا هنا احترقت
وليس سواكم ارض ندافع عن تعرجها وخضرتها
سندفع عنكم النسيان ، نحميكم
بأسلحة صككناها لكم من عظم أيديكم
سنبحث بجمجمة لكم
ومركبة زلقت
فليس سواكم أرض نسمر فوقها أقدامنا

عودو لنحميكم
ولو أنا على حجر ذبحنا
لن نغادر ساحة الصمت التي سوت أياديكم
سنفديها ونفديكم
مراكبنا هنا احترقت
وخيمنا على الريح التي اختنقت هنا فيكم
ولو صمدت جيوش الأرض هذا الحائط البشري
لن نرتد عن جغرافيا دمكم
مراكبنا هنا احترقت
ومنكم [illegible] من نزاع لن تعانقنا
سنبني جسرنا فيكم
[illegible] لشمس
[illegible]
[illegible]

ولو . على حجر ذبحنا
لن نقول « نعم »
نمر منا الى دمنا حدود الارض
من دمنا الى دمنا
سيف عيونكم وحقول ايديكم
ساديكم
فيرتد الصدى بلداً
ساديكم
فيرتد الصدى جسداً
من الاسمنت
نحن الواقفين على خطوط النار نعلن ما يلي
لن نترك الخندق
حتى يمر الليل
بيروت للمطلق
وعيوننا للرمل
في البدء لم نخلق
في البدء كان القول
والآن في الخندق
ظهرت سمات الحمل

تفاحة في البحر امرأة الدم المعجون بالاقواس
تضريح الكلام
شقة بروح استغاثات الندى
نمر خضم فوق مصطبة الظلام
بيروت والياقوت حين يصيح من وهج على ظهر الحمام
حلم سنحمله ونحمله متى شئنا نعلقه على أعناقنا
وقبة ... مديح الرنزلخت معاطف للبحر والقتلى
سطوح ... المواكب والخيام
تصدح ... ارتطام بين قبرتين تختبئان في صدر
سهم ... جلست على حجر تفكر
... عند بيروت صوت فاصل بين الضحية والحسام
... على ألواح الوصايا

ليست الحياة وحدها ذات معنى

معنى الموت!

بقلم الدكتور عبد المحسن صالح

ترددت كثيرا فى كتابة سلسلة من الموضوعات عن « معنى الموت » ، وسبب التردد يرجع الى عوامل عدة ، اهمها على الاطلاق هو ما وقر فى عقول الناس ، لأن الناس عادة تقيس الأمور بما يتمشى مع الأفكار المتوارثة ، وما يتوافق مع المزاج الخاص لكل منهم ، اذ مما لاشك فيه ان الأفراد تنظر أولا الى ذاتها ، وتحاول أن تجعل كل شيء مناسبا لاستمرار هذه الذات ، لكن هيهات ، لأن نواميس الكون والحياة التي أرسى الله قواعدها في كل مانرى ، ومالا نرى ، قد جاءت من أجل أهداف أسمى ، وغايات أعلى ، ليدور كل شيء دوراته الصغرى أو الكبرى ، وبحيث يؤدي ذلك الى ديناميكية متجددة دوما .

ولكى يكون الحكم صحيحا ، فلابد أن نؤسس ذلك على الحالات العامة دون الخاصة ، أو ننظر الى ظاهرة الموت والحياة نظرة شاملة جامعة ، اذ كلما كانت النظرة أعمق وأوسع وأكبر ، كانت الرؤية أوضح ، والأحكام أصح

ونحن نعترف مقدما - وبناء على استقراءات من أحداث سابقة - نعترف أن الناس دائما تقاوم كل فكرة جديدة تصطدم بأفكارهم القديمة ، ولهم في ذلك عذرهم ، لأن « الناس أعداء ماجهلوا » ، ولهذا فقد وقفوا ضد الأنبياء ، وحاربوا الحكماء ، وعذبوا العلماء ، وأحداث التاريخ خير شاهد على مانقول ، ورغم كل هذا ، فقد انتشرت رسالات الأنبياء ، وخلد الزمن أفكار الحكماء ، وسادت تطبيقات العلماء ، فنحن نرى الآن الانجازات الضخمة التي حققوها في مجالات لانكاد نحصيها عدا ، لأنهم ناصروا الله في قوانينه الكونية ، فنصرهم الله ، ويسر أمورهم ، وتيسرت حياة الناس تبعا لذلك ، ولاينكر كل هذا الا جاحد لعقله أولا ، وللعلم ثانيا ، ولن يزيده الأمر الا تخلفا ، والعياذ بالله من التخلف ، لأنه قاتل لكل تجدد ، ومانع لكل تطور !

نظرة أشمل وأوسع

بعد هذه المقدمة القصيرة ، نستعين بالله على التعرض لأساسيات هذا الموضوع الحساس والمثير ، وهو - على أية حال - اجتهاد منا ، فان أصبنا ، فذلك فضل من الله ، وان أخطأنا ، فلا أحد بمعصوم عن الخطأ ، ثم ان الله غفور رحيم .

أحدا لايستطيع أن ينكر أن كل شيء في الكون والحد، قد جاء بنظام مذهل ، وتكوين مقدر ، ليسري حسب شرائع ونواميس لاتبديل فيها ولاتغيير ، ربما مصداقا لقوله تعالى « إنا كل شيء خلقناه بقدر » (القمر/ ٤٩) . « ان الله بالغ أمره ، قد جعل الله لكل شيء قدرا » (الطلاق/ ٣) . « فقدرنا فنعم القادرون » (المرسلات/ ٢٣) . . الى آخر هذه الآيات التي تبدو أكثر اشراقا في عقول من يعلمون الكثير ، عن أسرار الخلق على مستواه الصغير والكبير .

معنى الموت والحياة عند الناس ، غير معنى الموت والحياة عند العلماء ، فللناس الظاهر ، وللعلماء الباطن ، وعندما تتعمق في نظام أي شيء ، فقد تدرك معنى الموت ، كما تدرك أيضا معنى الحياة ، لأنهما - في الحقيقة - ظاهرتان متلازمتان ، وبحيث تؤدي احداهما الى الأخرى أو هما كالهدم والبناء ، فلابناء بغير هدم ولاهدم بغير بناء ، بمعنى ، أنك لو أردت أن تقيم شيئا أو تبنيه ، فلابد أن تهدم في شيء آخر ، لتحيل المهدوم الى بناء « ومن نعمره ننكسه في الخلق ، أفلا يعقلون » (يس/ ٦٨)

فما الحياة اذن ، حتى نستطيع تعريف الموت ؟

الحياة بمعناها الشامل هي نظام قائم ونقيضه نظام زائل ، لأنه فقد عناصر نظامه ووجوده ، ولهذا فان « فاقد الشيء لايعطيه » - على حد مايقول المثل الشائع

ونحن لن نتحدث في هذه الدراسة عن حياة الانسان وموته وبعثه ، بل سنرجيء ذلك لمقال قادم ، وعلينا أن نتعرض هنا لمعنى الموت او فقد الكينونة على أدق مستوى كشفت عنه العلوم الحديثة ، وما أكثر ما كشفت النقاب عن موت وبعث تتجلى أموره في الكون وما حوى ، والفضاء وماطوى . . اذ أن كل نظام لاشك زائل ، والانسان نظام من هذه النظم التي تحيا وتموت وتبعث كأي شيء آخر في الكون العظيم ، لكن البعث هنا يختلف عن البعث الذي وضع أسسه قدماء المصريين مثلا ، ثم نادت به الأديان بعد ذلك ، فمع تقديرنا لبعث السماء ، وحياة الخلود مع أن الخلود لله وحده ، ولايدرك معناه سواه) ، الا أن ... والموت صفتان متلازمتان في طبيعة الأشياء ، ولن يمـ... ـنا معنى ذلك الا اذا تعمقنا في أي نظام من ملايين ... النظم التي تنتشر حولنا في كل مكان . . فيما و... ...ض والسماء فأي هذه النظم نختار ، حتى يصبح ... ...ى لما يقال ؟

الو... الكون المجسد كله ، من بدايته حتى نهايته ، ومن ... ...يء فيه ، الى أكبر شيء يطويه ، انما يتأسس ويقوم على الذرات ، لأن الذرة هي أصغر وأدق شيء مجسد يتعامل معه العلماء ، ولهذا فعلينا أن نبدأ بها ، لنعرف منها معنى الموت ، واذا أردت أيضا ، فلنقل معنى الحياة !

لحظة من فضلك ! أو ليس هذا خلطا لايجوز الا على ضعاف العقول ؟ هكذا قد يتسرع البعض ويقول ، ثم قد يستطرد معقبا فيذكر ان الذرة ليست كائنا حيا حتى نضفي عليها صفة الموت والحياة ، فهذا - على حد ظنه - افك وبهتان وخلط مبين !

والذي يتسرع ويقفز الى الاستنتاجات قفزا ، ودون أن يتدبر مافي خلق الاشياء من نظم ، نعطيه بعض الحق فيما فكر فيه ، وبنى حكمه عليه ، فهو على قدر ماعرف ، قد أفتى واعترض ومع ذلك فان باطن الخلق يشير الى أن الذرة نظام مادي تتوه فيه العقول ، وقد يهدم هذا النظام ، والى زوال يصير ، لكن لاشيء - في الحقيقة - الى فناء أو زوال ، حتى ولو بدت لنا ظواهر الامور كذلك ، ولهذا كان لزاما علينا أن نوضح ماغم على بعض العقول .

ان الانسان ، او أي كائن حي آخر ، هو - في الحقيقة - نظام قائم ، فاذا حدث خلل في هذا النظام ، كان المرض والموت والتحلل والاختفاء ككيان كان بيننا قائما ومجسدا ، لكنه لم يختف ولم يزل من الوجود حقا فما زالت مادته التي كانت تبنيه لتعطيه كيانه ونظامه موجودة برمتها على هذا الكوكب ، ولكن بصورة مشتتة بين حبيبات الثرى ، أو هائمة كجزيئات بسيطة في الهواء ولقد كان الانسان جسدا . . الجسد من أعضاء . . الأعضاء من أنسجة . . الأنسجة من خلايا . . الخلايا من جزيئات . الجزيئات من ذرات الذرات من جسيمات ، وهنا نكون قد وصلنا الى نهاية المطاف في التكوين المادي . . وهي كما ترى نظم من داخل نظم من داخل نظم . لكن أي نظام منها ليس بخالد . بداية من الانسان الذي يجادل ، ونهاية بالذرة التي ليست خالدة كذلك ، اذ قد يختل نظامها أيضا ، وتفقد كينونتها التي جاءت بها لتمثل وحدة أو شيئا في بدايات الخلق !

ولكن تطمئن القلوب ، وترتاح النفوس ، فلا أقل من أن نشير الى الاية الكريمة « وإن من شيء الا يسبح بحمده » (الاسراء/ ٤٤) « يسبح لله مافي السماوات ومافي الأرض » (التغابن/ ١) وطبيعي أن الأشياء لاتمسك بمسبحة ، وعلى حباتها تعد ، وبالسنتها تردد « سبحان الله . . سبحان الله » - كمايفعل البشر ، فهذا ليس واردا

على اي تفكير سليم ، لكن الأشياءتسبح بنظام ربها الذي وضعه فيها ، فاذا توقف النظام ، توقف التسبيح ، حيث يختفي ـ على الأقل ـ من عقولنا معنى النظام فكل الأشياء والأحياء والحجارة والصخور والأرض والكواكب والشموس والمجرات ستقبر ، طال الزمان أو قصر ، ولقد اكتشف العلماء هذه القبور في السماء ، وهي ليست كقبور الأرض ، بل أعمق وأعرب قبور لو كنتم تعلمون !

لكن يبدو أننا قد خرجنا من موضوع الى موضوع ، الا أن الكلام يجر بعضه ـ كما يقولون ، فلك أن معنى الموت على مستواه الذري والكوني ، أو ما بينهما من جزيئات وخلايا مخلوقات ، هو ـ وكما سبق أن ألمحنا ـ موضوع عام يجب أن نتناوله على مستواه الشامل الجامع ، وحتى لايتشعب بنا الحديث ، كان لابد ان نقصر حديثنا هنا على معنى الموت في درة ، ثم نعود لتوضيح المعنى داته في كل ما تأسس على الذرات من خلق في دراسات أخرى قادمة

وبالنظام نبدأ

لكي ندرك معنى الموت على اساس ، فان ذلك يستلزم أن نتعرف على معنى النظام في أي شيء فلنبدأ ـ اذن ـ بأصغر كيان قائم ، نعني الكيان أو النظام الذري ، فالتي تعطي الذرة وجودها ، هي مكونات بسيطة غاية البساطة ، ومع ذلك كان لابد ان نستدرك ونشير الى أن هذه البساطة قد حيرت العقول ـ أعظم عقول لو كنتم تعلمون ، فرغم البحوث الذرية التي استمرت طوال قرن من الزمان ، الا انها لم توضح لنا حتى الآن كل ماتطويه الذرة من نظم وأسرار ، ويبدو أن احدا لن يصل فيها الى قرار ، لأنك كلما تعمقت في الأصول ، تريد بذلك ان تصل الى جوهرها ، أشاحت الحقيقة بوجهها ، فلا نكاد نعرف لها بداية من نهاية ، ولا ان كانت من عالم مادي متجسد ، أو من عالم موحى منطلق عالم لايقاس بحدود الزمان ولا المكان !

ان الذرة ببساطة تتكون من أنواع ثلاثة من الجسيمات اثنان منها موجودان في مركزها او نواتها ، والنوع الثالث يطوف حولها ، فأما الذي في النواة فهو البروتون الذي يحمل شحنة كهربية موجبة ، ومعه النيوترون الذي لاشحنة له ، أي انه جاء متعادلا وأما الذي يطوف حول النواة فهو الاليكترون الذي يحمل شحنة كهربية سالبة

خذ على سبيل المثال ذرة الكربون ، وهي من الأساسية التي تدخل في تكوين أجسام كل الا والدليل على ذلك أن أي كائن حي اذا احترق تفحم الفحم ذاته صورة من صور الكربون ، لكن لاع دلك ، فالذي يهمنا هنا هي درة الكربون التي يسـ نواتها بروتونات ستة ومعها نيوترونات ستة كذ ولكي تصبح الذرة بناء متعادلا ، فلابد ان يدور حو اليكترونات ستة كذلك ـ والحكمة في ذلك لاتخفى عن لبيب ، لأن البروتونات الستة في النواة تحمل شحنات كهربية ستة موجبة ، ولابد ان تقابلها شحنات كهربية سالبة ، هذه تساوي تلك تماما ، والا لما كان التعادل ـ تعادل النظام

وهذه واحدة من اصغر النظم التي قامت ، حياتها على النقيضين أي ستة موجبة مع ستة سالبة في تيسر البناء لكن الأمورلاتسري تمثل هذه البساطة الظاهرية ، لأن الاليكترونات قد سبحت بدورها في مدارات ، وأبسط تشبيه لذلك هو المجموعة الشمسية فالشمس تحتل مركز المجموعة ، او هي بمثابة نواتها وحولها تدور كواكبها في مدارات قدرت تقديرا مذهلا كذلك قدرت في كتلها وسرعتها ودورانها حول نفسها تارة ، وحول شمسها تارة اخرى ، لتتوازن امور الجاذبية في تلك الأجرام السماوية ، كما تتوازن ايضا في هذه الجسيمات الذرية ، فيصبح لكل شيء كيانه ، ان تو احتل هذا النظام او ذاك ، فقل على كل شيء بهم السلام !

ومما لاشك فيه ان أية شحنة كهربية تجذب نحوها شحنة كل شحنة اخرى نقيضة ، ولهذا تجذب النواة اليها اليكتروناتها التي تطوف حولها في مداراتها ، والجذب لاشك كائن ، والتعادل قائم ، لكن هناك قوة اخرى هائلة تعادل قوة الجذب النهمة هذه القوة تتمثل في دوران الاليكترونات حول أنويتها بسرعة فائقة ، فلكي لاينجذب الاليكترون ويسقط في نواته ، فعليه أن يدور في كل ثانية سبعة آلاف مليون مليون دورة ، وطبيعي أن أحد لايستطيع ان يتصور ذلك ، لكننا ذكرناه هنا لبيان تلك القوى الرهيبة التي سارت بها هذه الأجرام الدقيقة ، وبحيث تتساوى وتتعادل فيها قوى متضادة وهائلة ، تتمثل لنا في شحنات سالبة وموجبة وفي قوى جذب مع قوي طرد ، ولكل شيء هنا حساب ومقدار وكأنما يتطبق عليها قول القرآن الكريم « ... كل شيء موزون » (الحجر/ ١٩)

عود على بدء

لكن ماذا يعني هذا أو غيره بالنسبة للموت ؟

الواقع أنه يعني الكثير اذ لو اختل هذا النظام الدقيق الكائن في عالم الذرات ، لفقد كل شيء - سار به ، وتأسس عليه - كيانه ، والأمثلة على ذلك كثيرة جدا ، فالناس يشهدون هذا الخلل الذي يؤدي الى مرض وموت في المخلوقات المنظورة ، لكن الأمور تتعداها الى ماهو أصغر من ذلك وأكبر ، ويراها العلماء في مفاعلاتهم الذرية ، ويشهدها الفلكيون في السماوات

ونحن لانريد هنا ان نستبق الحوادث ، بل علينا أن نأخذ الأمور أخذا يسيرا ، ذلك أن موت الانسان يعني خللا في نظامه ، وقد يأتيه هذا الخلل من داخله ، او يتسلط عليه من خارجه الاشعاع الذرى القوي قد يخترق جسم الانسان دون عاهات واضحة ، ومع ذلك فهو قاتل ومميت ، لأنه أخل بنوى ذراته ، وتلاعب بالكتروناته ، وأطاح بمداراته وبالاختصار فلقد حل بتدمير غير منظور بأساسيات تكوينه ، والأساس هنا ذرات ترابطت في جزيئات في خلايا الخ ، وما دام الأساس ذاته قد اختل ، فلا تنتظر خيرا في هذا البناء الحي !

أو قد يموت الانسان برصاصة أو شظية تصيبه اصابة مباشرة في مخه أو قلبه ، فتهدم نظاما تعتمد عليه النظم الأخرى في جسمه ، وما دام الخلل قد حدث في أي مركز حساس ، فالموت قادم لامحالة

كذلك تموت الذرات كأدق كيان منظم عرفه العلماء ، وموتها لاتأتي أيضا الا عن طريق اصابة مباشرة في قلبها - ... نواتها ، فتنفلق او تتفتت ، وينطلق تكوينها كأشلاء متناثرة وطبيعي ان الاصابة تحدث أيضا عن طريق « رصاصات » تناسب عالمها ، أي لابد من ضربها بشيء من ... تكوينها ، فكما لايفل الحديد الا الحديد ، كذلك لايفل ... جسيمات الذرية في بنائها الا جسيمات مثلها

... مبدأ هو الذي اتخذه العلماء كوسيلة فعالة لمعرفة ... ، ثم ماتأسس عليه بعد ذلك من تحرير ... الطاقة ... في السلم والحرب ، فلا تطبيق بغير علم ، ... التطبيق ، دون أن تدرك السر الذي قام ... معرفة ما يجري في جسم الانسان ، يستلزم حتما ... الجسم وكذلك الحال مع الذرات

خاصة ، أو المادة عامة ، فلابد أيضا من « تشريحها » للنظر في مكوناتها ، وهو تشريح يناسب عالمها ، وهو يمزقها اربا اربا ، وعلى الألواح الحساسة تظهر مسارات الجسيمات التي تفككت من نظامها الذري الذي كان يجمع شملها في تكوين قائم في الزمان والمكان ، لانظام . اذن لاكيان !

ثم ان الذرة هي الأساس في بناء المادة التي نعرفها في حجر وصخر وماء وغاز وحديد وفحم وما شابه ذلك ، ونعرفها أيضا في بناء المادة الحية التي تقوم على أساسها المخلوقات ، لكن موت المادة الحية يختلف عن موت الجماد ، ولقد تعددت الأسباب ، واختلفت الظواهر لكن الموت واحد والموت بمعناه الشامل الجامع هو هدم نظام قائم ، ليتحول الى شتات !

لكن مادا يعني موت الجماد حقا ؟ والى أي شيء يصير ؟

بعث وموت على أدق مستوى

لكي نجيب على ذلك ، فلابد ان نتعرض لمبدأ علمي هام يتمشى مع نواميس الكون ، وشرائع الوجود هذا المبدأ يشير الى أن « المادة لاتفنى ولاتستحدث » بل تتحول من صورة الى أخرى ، قد نحسبهما لاختلافهما في ظواهرهما منفصلين ، لكن أحدهما ينبع من الآخر ، أو يؤدي اليه ، وينطوي عليه !

وليس هناك دليل أعظم اقناعا الا القنبلة الذرية ، ففيها يفنى أو يموت جزء ضئيل من المادة ، أو بمعنى اخر يتحلل عن نظامه المادي ، ويتحول الى صورة اخرى تعرف باسم الطاقة النووية التي أصبحت في زماننا هذا ملء السمع والبصر والفؤاد ، وهي - بلاشك - طاقة رهيبة يحسب لها العالم ألف حساب وحساب ، وكأنما هي تعيد الى أذهاننا قصة الجني او العفريت التي وردت في الأساطير القديمة ، فكأنما المادة دائما بمثابة « قماقم » تنطوي على طاقات وقوى رهيبة ، فاذا انطلقت عربدت وخربت ودمرت وقتلت ، ولهذا فان من يستطيع ترويضها والسيطرة عليها ، تعطيه خيرات كثيرة ، وكأنما لسان حالها يقول« لبيك لبيك أنا خادمة مطيعة بين يديك » ليس بالشعوذة والسحر والدجل ، لكن بالعلم والمعرفة والتطبيق !

والواقع أن هذه الظاهرة المثيرة - ظاهرة موت المادة وبعث الطاقة - هي لعبة العلماء في مفاعلاتهم الذرية ليل

اذ يسجلون على الألواح الحساسة احداثا مثيرة
ت والحياة على مستوى الذرات والجسيمات ، ونحن
طيع أن نتعرض هنا للتفاصيل ، لأنها تنطوي على
كثيفة ومتشابكة من الأحداث الذرية ، والتفاعلات
ية ، والصراعات الجسيمية ، ومايتمحض عنها من
ر محيرة وغريبة على عقولنا وزماننا ، يتوه العلماء فيها
م تيه ، اذ كلما تعمقوا في تفاصيلها ، يريدون
سول الى جوهر الحقيقة فيها ، أشاحت الحقيقة
بها ، لتبدو بوجه اخر مختلف ، وبحيث لانستطيع ان
ع حدودا فاصلة بين موت وحياة ، او ولادة ،
ث ، او بداية ونهاية ، أو مادة وطاقة ... الخ

أننا نحن هنا نزيد الأمر غموضا ، بدلا من أن نزيده
يحا ، لكن ذلك يرجع الى ما ينطوي عليه هذا العالم
ظواهر محيرة ربما تكون اكبر من عقولنا ومداركنا - الآن
الاقل ، ولكي نبسط هذا الأمر ، فعلينا أن نقارنه
رة ملموسة من واقع حياة الناس ، فالذي يقول ان
سان روح وجسد ، كان على حق فيما يقول ، والذي
الى أن الانسان طاقة ومادة ، لم يجانبه الصواب ، لأن
ته هذه تتمشى مع أساس المبدأ العام الذي يسرى في
ن

لو أنك تعمقت في أصول الخلق ، وتأملت في طبائع
ياء ، مستعينا على ذلك بتجارب علمية تكشف لك
ى على الناس لوجدت أن الكون كله أصله واحد ،
هذا الأصل تميزت ظواهر ، وهي التي نراها
سينا ، ونحاول ان نضع لها حدودا زائفة ، لكن
ود هنا وقتية ، اذ من الممكن ان نشهد المادة وهي
ج ، والموجات وهي تتجسد ، والمادة - كما نعرفها -
كة بزمان ومكان ، لكن الموجه طليقة ، اي انها
بط بحدود زمانية او مكانية ، وعندما تتجسد ، فانها
- شكلا ونظاما ... بدايتها جسيمات ... تنتظم في
ت ... تتآلف في جزيئات تدخل في تكوين المادة الحية
امدة ، ومع ذلك فالجمود هنا نسبي ، لأنه قد يتحرر
لق بصورة اخرى - هي الطاقة !

انها ظواهر مثيرة حقا . فأحيانا يكون الكون
سيدا ، وأحيانا اخرى يكون تجريدا . بمعنى ان الطاقة
ة ، او ان المادة طاقة ، اذا ظهرت هذه بوجه ، اختفت
خرى ظاهريا فقط ، وهي أقرب الى مفهومنا بظاهرة
ت والحياة ، لكن لاشيء الى فناء أو زوال ، بل الكل
موجود دون زيادة او نقصان ، ربما مصداقا للآية الكر
« ومايعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا
السماء ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر ، إلا في كتاب مب
(يونس/ ٦١)

أعمار بين مولد وموت

وفي تعامل العلماء مع بدايات الخلق على مستوياته
الدقيقة ، يشهدون في معاملاتهم الذرية الجبارة مولد
جسيمات بهيئتها المادية ، وهي تنشأ من الطاقة او الموجات
الكهرومغناطيسية البالغة العنف والضراوة ، وفي الوقت
ذاته تموت اخرى ، او بمعنى ادق تتحلل عن تجسيدها الى
تمويج ... وفي هذه المعاملات يحطمون نوى الذرات
بجسيمات مندفعة بطاقة رهيبة ، فتتفتت الى أشلاء ، أو
جسيمات أصغر ، مع انبعاث موجات مصاحبة ، ولقد
كان حصادهم في ذلك وفيرا ومحيرا ، وبحيث لم تصبح
المادة الذرية - كما كان معروفا في الماضي - من بروتونات
ونيوترونات واليكترونات ، بل وصلت أعدادها الى
العشرات ، ولهذا قسموها الى مجموعات وعائلات ،
بعضها ثقيل او متوسط أو خفيف ، ولكل دورانه وكتلته
وشحنته وعمره ... الخ

وطبيعي اننا لانستطيع ان نقدم هذا الحصاد الكبير هنا
لضيق المجال ، لكن يكفي ان نذكر ان الجسيمات التي
تسكن النواة (أي البروتون والنيوترون) ليست
جسيمات بسيطة أو صلبة - كما ظنها الأوائل ، لكن يبدو
ان كل جسيم منها ينطوي على جسيمات ادق وأدق ،
تنتظم في نظم أصغر وأصغر ، فاذا تفتتت ، انطلقت ، في
عالمنا لتجرى بسرعات هائلة ، وطاقات جبارة ، لكنها
لاتعمر طويلا .

ان أقصر فترة سجلها العلماء بين ولادة جسيم وموته
تكمن في واحد يسمى « روميزون » اذ لايعمر في عالمنا الا
لـ ١,٦ جزء من مليون مليون مليون مليون جزء من الثانية
(المليون مكررة أربعا) ، وهناك ايضا ما يعيش اطول
عمرا منه بمائة مليون مرة ، ويسمى « البيون » المتعادل ،
لكنه يولد كجسيم مادي ، ويودع حياته الجسيمة بعد
جزء واحد من عشرة الاف مليون مليون جزء من الثانية ،
وينطلق بسرعة الضوء على هيئة ومضتين من اشع مدمر
(اشعة جاما) .. وثالث يعيش اطول من « البيون »
المتعادل بمائة مليون مرة ، ويعرف باسم الميزون ، ومنه
نوعان ، احدهما يحمل شحنة كهربية موجبة والا شحنة

كـ...بية سالبة ، وكل منها ليموت بعد جزء واحد من مائة مليون جزء من الثانية ويوجد ايضا « الميزون ك » المتعادل ، لكن عمره أقصر من عمر « اخويه » بمائة مرة ، لأنه يولد ويموت بعد جزء من عشرة الاف مليون جزء من الثانية ... الخ

ونحن لانستطيع بعد ذلك ان نذكر المزيد ، لأن الحصاد - كما ذكرنا - وفير ، اذ ان انواع هذه الجسيمات التي تظهر وتموت قد وصل عددها الى حوالى ٢٢٠ نوعا ، ويقابلها ايضا حوالى ٢٢٠ نوعا من جسيمات مضادة ، أي أن كل جسيم يتجسد من طاقة منطلقة لابد ان يتحلق معه نقيضه ، فكأنما بداية التجسيد المادي قد نشأت ايضا على النقيضين ، لكن النقائض تميت بعضها ، وهنا نكون قد وصلنا الى مرحلة اخرى في معنى الموت ، وكأنما هذه النقائض او الاضداد قد جاءت ليكون بعضها لبعض عدوا مبينا ... انها عداوة متوارثة في طبائع الجسيمات ، ومع ذلك فعليها ينشأ التناسق الذي نراه في عالمنا الكبير ، حتى ولو كان هذا التناسق يحمل معنى الموت والحياة ، ذلك ان معنى الحياة لن يتضح في عقولنا الا اذا عرفنا معنى الموت ، فالوجه الواحد من الحقيقة ليس له معنى ، وربما كان ذلك اشارة لما المحت اليه الآية الكريمة « ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها » ..اذ بدون هذا لن تدرك ذاك لكن ذلك موضوع آخر قد نتعرض له في دراسة قادمة

امام عوالم غريبة

الموضوع لم يكتمل بعد لضيق المجال ، خاصة وأننا أمام عوالم دقيقة وغريبة لها وجود ، ولها فناء ، ولها أعمار ولها أجيال . فقد نرى جسيما يركل جسيما آخر فيغيره من حال الى حال ، وبحيث يعطيه صفة او « شخصية » غير التي جاء بها الى الحياة ، أو قد تشهد جسيما يتحلل ، ومن تحلله يخرج من صلبه أجيال وأجيال ، فتعيش لحظاتها الخاطفة ، ثم تتحلل بدورها الى أجيال تالية من جسيمات أصغر وأصغر ، ثم قد تتحلى هذه عن تجسيدها المادي ، لتتحلى لنا بصمتها الموحية التي تظهر كومضات خارقة ، في عالم من أحداث متشابكة ، فيها الموت وفيها الحياة وفيها النعـ... النشوء والارتقاء درجات درجات ، وبحيث قد نرى ... ما يعيش حياة أقرب الى الخلود !

وكـ... ...هر جسيمات وتموت في لحظة خاطفة ، توجد اخرى ... لفترة طويلة ، فالنيوترون - احد الجسيمات الثلا... ...سية في تكوين الذرة - اذا خرج من نواته ، وعاش ... ، فانه قد يعمر الف ثانية ، في حين ان الـ...جسيم الأول في النواة لايتحلل ويبقى الا بعد مرور الف او عشرة الاف بليون بليون بليون سنة ، اي ان عمره هنا اطول من عمر الكون بحوالي مائة بليون بليون مرة ، ومع أن احدا لم يشهد حتى الآن موت بروتون واحد وتحلله ، الا ان الاحتمال قائم ، والمعادلات تشير الى اي شيء سيصير امره ، ومن اجل هذا يوجد الآن حوالى ٣٠ معهدا وجامعة قد شيدت مفاعلات ذرية حبارة في اعماق الأرض (بعيدا عن الاشعة الكونية) ، وتحت الجبال والهضاب ، وتكلفت الاف الملايين من الدولارات ، لعل احدا من هذه المفاعلات يكون له السبق في تسجيل موت بروتون واحد وتحلله الى أجيال تشير اليها المعادلات مقدما

ولماذا كل هذا ؟

لأن العلماء يرون الحقيقة تتجلى باوجه مختلفة ، وتتراءى بقوى متباينة ، والبحوث العميقة في اسرار المادة والطاقة ، وما ينبع منها من مجالات الجاذبية والكهربية والمغناطيسية ، وما يصاحبها من تفاعلات نووية ضعيفة وقوية ... كل هذا وغيره يشير الى ان الأصل واحد ، وان اختلفت ظواهره ، وهم مقتنعون تماما أنهم يقتربون أكثر فأكثر الى صياغة نظرية توحيد بين هذه القوى والمجالات المختلفة في معادلة واحدة تربطها في نسيج واحد ، ومن هذا النسيج الواحد او الموحد قد يصلون الى فهم أعمق لأسرار الكون ، وبدايات الخلق على مستواه الدقيق ، فهذا - بلاشك - سينير لهم الطريق ، وكأنما هم - في الحقيقة يطبقون المبدأ الذي اشارت اليه الآية الكريمة « قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق » (العنكبوت/ ٢٠) ... والذين ساروا ونظروا بحثوا وتعمقوا ، وصلوا وتقدموا وسادوا ، والذين عاشوا على الكلام والجدل والسفسطة تخلفوا ، وعلى افكارهم القديمة تجمدوا ... ولم يتطوروا ... « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون » !

هذه - اذن - لمحات قصيرة عن موضوع متشعب وعويص ومثير وفيه اوردنا ما يسمح به المجال عن تلك العوالم الدقيقة التي تولد وتموت وتبعث في صور شتى ، وكأنما هي تجمع نقائض عالمنا الكبير بما فيه من موت يؤدي الى حياة ، وحياة تؤدي الى موت ... ليس فقط على مستوى الجسيمات والذرات ، بل ايضا على مستوى المخلوقات والسماوات ، وهو ما سنتعرض له في دراسات قادمة ، لنتعلم منه مالم تكن نعلم ، وما أكثر مالا نعلم « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » ! ●●

الاسكندرية : د. عبد المحسن صالح

علاف كتاب « مختارات من الأدب والفكر المعاصرين في المغرب العربي » الصادر في مدريد في مارس ١٩٨٢

قراءة في كتابات الأدباء المغاربة

بقلم : الدكتور محمد عبد الله الجعيدي

الصورة التي يقدمها كتاب « مختارات من الأدب والفكر المعاصرين في المغرب العربي » ، تعطي القارىء انطباعا شديد الايجابية عن واقع الأدب المغربي ، الذي تظهر عليه بوضوح سمة « الأدب المقاوم »

وهذه الصورة ليست مستغربة في حقيقة الأمر ، انما هي نبت طبيعي للظروف التي عاشتها المغرب في العصر الحديث

ففي سنة ١٩١٢ وقعت المغرب فريسة للاستعمار الذي فرض هيمنته حتى سنة ١٩٥٦ عندما انتزع الشعب المغربي استقلاله بعد نضال طويل ضد الاستعمار والفتنة ، استمر حوالي نصف قرن في الريف والاطلس

ولكن الوضع قبيل الستينات ـ كما يقول الاديب المغربي الدكتور احمد المديني ـ قد بلغ حدا من الفوضى والاختلاط ادى الى تضارب في المفاهيم وتداخل في السلطات والمسؤوليات وتبين ان حلم الاستقلال قد تبخر ، وان المطامح والاماني التي كان المواطنون يعلقونها على عودة الملك وانتزاع حرية البلاد ، قد غدت سرابا او ما يشبه السراب ، وان الامور قد آلت الى غير ما كان في الحسبان .

هكذا يفتح الشعب العربي في المغرب عيونه ليرى ضوء الاستقلال فيصدمه الواقع بمشاكله الاقتصادية والاجتماعية والثقافية حتى العقلية ـ كما يقول القاص المغربي عبد الرحمن تشيرقي الذي كتب مقدمة المختارات ـ

بين منطقة النفوذ الفرنسي في الجنوب ومنطقة النفوذ الاسباني في الشمال لمدة نصف قرن من الزمان ، ويزداد الوضع غليانا حتى يتفجر في أحداث الريف والأطلس الشهيرة سنة ١٩٥٨ ، ومنذ تلك الفترة اخذت الحركة الوطنية تتبلور فظهر « حزب الاستقلال » ، وبالمقابل ظهرت البرجوازية الصغيرة متمثلة في « الاتحاد الوطني للقوى الشعبية » ذي الافكار والاتجاهات المضادة وتبعت ذلك احداث السنوات ١٩٦٣ ، ١٩٦٥ ، ١٩٧١ التي تركت بصماتها واضحة على جبين الأدب العربي في المغرب

وهكذا كتب على الانسان في هذا الجزء من الوطن العربي أن يعيش تلك الازدواجية التي لا تسمح بوجود طرف ثالث ، حيث انها ازدواجية فرضها القوي المسيطر المتحكم في الامور على الفقير المغلوب على امره الذي لا حول له ولا قوة حتى في لسانه يعيش الانسان هذه الازدواجية فهناك لغة ادارية تتحدثها الخاصة هي الفرنسية ، ولغة رسمية تتحدثها العامة ولهجة عامية

... تستطيع كتابتها او قراءتها ـ نتيجة لتفشي الامية ـ ... ـة العربية هذا بالاضافة الى ازدواجية هامشية ... في سيادة الاسبانية في الشمال (محافظتي سبته ومليلة) وسيادة البربرية في الجنوب

وهكذا تشتت العطاء الادبي بين طرفي الازدواجية اللغوية فهناك ادب مكتوب بالعربية وكتابه قليلون بعضهم أحياء وبعضهم اقترب من درجة الجودة في أعماله وهناك من كتبوا بالفرنسية فجاء نتاجهم ـ على جودة وبصحح الكثير منه ـ مزيجا غريبا للفكر العربي باللغة الفرنسية التي فرضت نفسها على بعض الكتاب ، مثل العروي والخابي واللعبي ، كنتيجة لدراستهم في مدارس فرنسية او حتى اعدادهم لدرجاتهم العلمية في فرنسا

وتمتد هذه الازدواجية اللغوية الى وسائل الاعلام والتعليم الجامعي ، حتى يصل الامر الى انه لايستطيع مغربيان التفاهم فيما بينهما بلغة واحدة ، كما يؤكد على ذلك من تجربة شخصية الاستاذ تشيرقي في مقدمته لكتاب المختارات الذي نحن بصدده

وفي الستينات تحتدم الظروف وتتأزم الحالة الفكرية والنفسية للكتاب فيجدون في الكتابة ملجأ ومسكنا يخفف من وطأة الاحساس بالقهر ، فتكون القصة القصيرة هي الاقدر على تكوين الملجأ وتقديم المسكن

دور جيل الوسط

اذا كانت الظروف السابقة قد شكلت الاطار الذي ترك داخله الكاتب العربي في المغرب فانها ايضا قد وثقت علاقته بالواقع المعاش ، وان كانت هناك بعض العوائق التي كانت من الحين والحين تعمل على تمييع هذه العلاقة كالأمية المتفشية وارتفاع الكتاب احيانا بمستوى تعبيرهم [illegible] الى حد تنقطع عنده صلة القارئ باعمالهم ، [illegible] المتكاملة للامور عند الكتاب ، الامر [illegible] اعمالهم تعبيرا عن شريحة ضيقة من [illegible] هذا يفقد العمل الادبي خصوصيته في ان [illegible] قرائه

[illegible] لادب المغربي المعاصر بالاضافة الى مايحمله من غموض في المعاني ولجوء في [illegible] صعب معها فهم النص ـ وخاصة [illegible] شعرهم الاجتماعية [illegible]

ينقصه النضج والوضوح ، الامر الذي يجعل عملية تحديد معالم هذا الادب ـ في بعض الاحيان ـ صعبة وعسيرة هذا اذا استثنينا بعض الاصوات الشعرية الجديدة بان ترد لهذا الادب الاعتبار والمنزلة التي يستحقها كما هو الحال في الطنبال والعرقاني والمحاتي وبنيس والمجذوب ، الذين صنعت شعرهم مسحة من الالم والتهكم فرضتها الظروف المعاشة

كما انه من الاهمية بمكان ذكر ان هذا الادب لايتجاوز عمره العشرين عاما ، اي انه لايزال يواصل نموه والتخلص من الشوائب التي تشوبه او تقطع تواصله كما حصل بالمسرح الذي لم تمكنه الظروف من الوقوف على رجليه فاندثر قبل نضوجه ، بالرغم من الدور الذي لعبه في الحياة السياسية حيث كان من بين كتابه من هم سياسيون محترفون مثل عبد الخالق الطريس في « انتصار الحق بالباطل » اما اليوم فالمسرح المغربي يعتمد في غالبيته على النص المترجم وعلى وجه الخصوص من اللغة الفرنسية ـ هذا بالاضافة الى محاولات تخطو خطواتها الاولى ويقوم بها عبد السلام الحبيبي وعبد القادر السميحي وبوعلو وعبد الكريم برشيد

ويتسم الادب المغربي ايضا بطابع نضالي يتجه نحو التحديد وتحقيق العدل والمساواة بصفته ادبا اصبحته ظروف الصراع الاجتماعي والايديولوجي ، وخاصة في الستينات من هذا القرن

كما ان الادب في المغرب يتأرجح في اشكاله وتراكيبه وموضوعاته بين الشرق والغرب وكما يقول العروي فانه يعاني تحللا مزدوجا بين الشرق والغرب ، الامر الذي خلق فيه عنصر التحدي والتصدي للواقع الاجتماعي القاهر

وبهذا نرى ان الادب المغربي في مجمله يكاد يقتصر على القصة القصيرة ومن ثم الرواية ، اما الشعر فحاله يكاد يشبه حال المقال الذي يعد من الكماليات او حال النقد الادبي الذي يعتبر ـ باستثناء علال ومحمد الفاسي وكنون من القدماء والناقوري حديثا ـ ثانوي الاهمية ، ولانجد فيه مادة تكفي للدرس ، حيث ان ما يكتب في هذا المجال لايعدو مستوى التعليقات الصحفية

اما مراحل الادب المغربي فتتضح من خلال المختارات حيث نجد ثلاثة اجيال او ثلاث مراحل ولها السلفية [illegible]

المربي والعلوي وابوبكر زنيبر ، وقد خاض هذا الجيل صراعا مستميتا لاسترداد هويته العربية ، فناضل تارة سرا واضطر تارة اخرى لرفع صوته مع مافي ذلك من تعرضه لعواقب وخيمة ، ولكنه جيل واصل نضاله محتميا براية الدين ، وفي مجال الفن القصصي ـ باعتباره الفن الرئيسي في المغرب ـ ظهر من هذا الجيل عبد العزيز بن عبد الله ومحمد بن تاويت ، وقد كانت اعمالهم متأثرة ـ كما هو متوقع ـ تأثرا كبيرا بفن المقامة

وبجثوم الاستعمار على ارض المغرب وفرض ثقافته ولغته عليها ، التقى كتاب هذا القطر بثقافات كالفرنسية والاسبانية ، وفي هذا الجو نشأ جيل جديد وهو مايمكن ان نسميه بجيل الوسط وهو الجيل الذي يمثل حلقة الوصل بين السلفيين والمجددين وفي عهد هذا الجيل اخذ الادب في النضوج وخطا اولى خطواته نحو التجديد والتحديث ومن اهم مميزات هذا الجيل ان معظم ادبائه من الباحثين والاساتذة ، وفي اعمالهم تنعكس ظروف الازدواجية القومية الاجنبية ، الامر الذي دفع بهم للغوص في باطن التاريخ بحثا عن ملجأ يخلصهم من قسوة هذه الازدواجية ، فكانت الاندلس هي ذلك الملجأ

نماذج وملاحظات

اما الحديث عن ادب مغربي ـ وخاصة في مجال القصة ـ فيه قدر من النضوج فسوف يتيسر لنا في الاربعينات من هذا القرن بظهور اعمال مثل « في الطفولة » لعبد المجيد ابن جلون و « عادة اصيلة » لعبد العزيز بن عبد الله وتتواصل مسيرة هذا الفن القصصي الذي يحمل بوادر علامات النضوج فتظهر « قصص من المغرب » لاحمد البقالي و « بوتقة الحياة » لاحمد البكري . الخ

ويأخذ الحديث عن النضوج في هذه الاعمال صورته الجدية مصحوبا بتحفظات وقيود بظهور مجموعة عبد الكريم غلاب القصصية « دفنا الماضي » وذلك سنة ١٩٦٦ . وقد لخصت مقدمة المختارات ملاحظاتها على هذه المجموعة من الناحية الفنية بانها لا توازن بين توزيع الاحداث ، الامر الذي يجعل الشخصيات احيانا تبدو ضئيلة بالمقارنة بما يتراكم فوقها من احداث ومن الناحية التاريخية فالكاتب يقحم آراءه الشخصية على الدوام في تطور الاحداث التاريخية وهو امر يتكرر في روايته « المعلم علي » ١٩٧١ ، حتى يظن القارىء ان « غلاب » ليس على دراية كافية بتاريخ بلاده ، وهو امر يرفضه كل من [illegible] على كتابه « تاريخ الحركة الوطنية في المغرب من نهاية [illegible] الريف حتى اعلان الاستقلال » الصادر سنة ٧٦

والحقيقة ان هذه المرحلة قد تميزت بطغيان الـ[illegible] التاريخي عليها ، الذي قد يكون بمثابة ردة فعل [illegible] الاوضاع وهروبا منها وقد نجد لذلك تفسيرا في ممور كبرى الشخصيات العلمية التي كرست حياتها لدراسة تاريخ الاندلس مثل عبد الرحمن الفاسي ومحمد بن تاويت ومحمد بن شريفه

ويمكننا ان نلحق بجيل الوسط اعمال محمد عزيز الحبابي الذي كان يتجه بادبه القصصي وجهة فلسفية خالصة كما يبدو ذلك في « جيل الظمأ » ١٩٦٧ . ومن ثم في « اكسير الحياة » ١٩٧٤ حيث يصر على التجريد الفلسفي بصورة متعسفة ويحاول معالجة القضايا المحيطة به بمفهوم فلسفي شخصي

وتأخذ المقدمة على الروايتين فقدانها للحبكة الروائية الضرورية التي تسم العمل الادبي الروائي بطوابعه المميزة كما يؤخذ على « اكسير الحياة » جمود بعض شخصياتها التي تولد وتموت في نفس اللحظة والمكان ، وفي هذه الرواية ايضا حلل تركيبي من الناحية الايديولوجية ، حيث انه لا مجال لاتخاذ موقف اجتماعي محايد في اقطار العالم الثالث ، ولهذا فمحمد عزيز الحبابي متهم ـ على الدوام ـ بانه كاتب برجوازي ، وذلك لانه لا يمكن الحكم على الاوضاع في المغرب وقياسها بالمقاييس والمفاهيم الغربية ، لان المغرب يحتاج الى طرح خاص لقضاياه ومن طوابع ادب الحبابي القصصي السهولة المفرطة في الاسلوب الى درجة تصل به الى السطحية

بين الحربين العالميتين

وهكذا نجد ان فن القصة الذي ظهر بين الحربين العالميتين قد تطور بعد الحرب العالمية الثانية كما هو واضح في مجموعتي قصص « عمي بوشناق » لعبد الرحمن الفاسي و « فاس في سبع قصص » لاحمد البناني ، وبعد الاستقلال تتطور القصة وتتخذ اتجاهات متنوعة منها التاريخي والمجتمعي والاستلابي والتأملي والعلمي [illegible] على وجه الخصوص بتصوير الواقع المعاش كما نجد ذلك [illegible] اعمال كتاب مثل مبارك ربيع وعبد الله العمروي [illegible] البقالي وعبد القادر السحيمي ومحمد الصـ[illegible] وادر

الخو... ومبارك الدربيبي وزينب فهمي وخناثة بنونه وعبد الكريم علاب ومحمد زفزاف ومحمد برادة .

فهذا الجيل الثالث الذي نشأ في ظل الاستقلال غلب عليه الاتجاه التقدمي واهتم بالقضايا القومية ، وشعر بمأساة انفصاله عن الوطن الام نتيجة للظروف التاريخية المعروفة حيث ان الاتراك سيطروا على الوطن العربي كله ما عدا المغرب ومن ثم جاء الاستعمار الاوروبي ليواصل هذا الفصل كل هذا خلق في نفوس كتاب هذا الجيل حماسا عارما لقوميتهم ووطنهم العربيين ، ويظهر هذا في شكواهم الدائمة من عدم وصول الكتب والمجلات العربية المشرقية اليهم . ويمكننا ان نطلق على هذا الجيل الاخير اسم « جيل السبعينات » ، حيث يبرز منه كما اسلفنا مبارك ربيع الذي تطير شهرته على المستويين المغربي والعربي ، ليقدم للقارىء سنة ١٩٧١ روايته « الطيبون » ثم سنة ١٩٧٦ روايته « رفقة السلاح والقمر » التي اتخذت من النضال الفلسطيني موضوعا لها

ويأخذ النقاد على روايات مبارك التناقض في طبيعة شخصياتها التي تتسم بالحيرة والجدلية والسلبية . وتبحث عن خلاصها في الخنس والشراب والسحر ومن ثم في السياسة كمهنة ويكون هذا الهروب نتيجة لخيبة امل شعرت بها هذه الشخصيات بعد ان عايشت الواقع وتجرعت مرارته

ويمكن ان نشير ايضا في هذه الفترة الى « الغربة » التي نشرها عبد الله العروي سنة ١٩٧١ بعد ان كتبها في منتصف الستينات ، وهي تجربة تتقولب في القوالب التقليدية ، وتغوص في اعماق النفس الانسانية وتعيش الأحداث في اطار مشبع بالرموز والاساطير المحلية ، الامر الذي يجعل من قراءتها في بعض الاحيان امرا عسيرا

ويمثل هذا العمل جيل خيبة الامل السائدة اثر الاستقلال ... ونفس الاحكام يمكن اطلاقها على رواية عبدالله العـ... الثانية الصادرة في ١٩٧٨ بعنوان « اليتيم » من حيث ... الرموز السحرية وقلة العناية بلغة النص .

ومن ك... قصة الذين يبشرون بمستقبل زاهر محمد زفزاف ال... حظ الاستاذ عبد الرحمن تشيرقي على قصصه ... الحجة حقها من الوضوح والاثبات ، وان ساهم ... ي تشويه بعض الشوالب كما هو الحال في قصصه ... وجدران » الصادرة في بغداد سنة ١٩٧٤ ، ولكنه يلاحظ نضجا وتطورا في روايته التالية « المرأة والوردة » الصادرة في بيروت في نفس العام ، كما يلاحظ على روايات زفزاف اضطراب التركيب ومحاولة تطويع اللغة العربية للصيغ الفرنسية مما يؤدى الى تدهور البناء اللغوي .

عمل جماعي

وقبل ان نتطرق الى المواضيع التي تتناولها مادة المختارات لن يفوتنا ذكر ان هذا الكتاب هو عمل جماعي ساهم في ترجمته واختيار نصوصه عدد من الاساتذة والباحثين باشراف الاستاذ فرناندو دى الهريدا الذي ساعدت خبرته وعلاقاته الوطيدة بهذا الجزء من الوطن العربي على انجاز هذا العمل ، والحقيقة ان علاقة فرناندو بالادب المغربي تعود الى سنة ١٩٦٩ عندما اعد اطروحته في موضوع « فن القصة العربية في المغرب » ، ومنذ تلك الايام واصل توثيق علاقته بالموضوع ، فاصدر سنة ١٩٧٠ كتابا بعنوان « استقصاء في الادب المغربي » .

ويبدو ان الحديث عن اعداد كتاب من هذا النوع جمع في خمسمائة وتسعين صفحة من الحجم الكبير اعمالا لثمانية وثمانين اديبا تراوحت بين المقالة والقصة والشعر والمسرح أمر سهل يخفي وراءه حقيقة الجهود التي بذلت في جمع هذه المادة واختيارها ويخفي حقيقة الجرى وراء هذه المادة في المجلات العربية والاجنبية المختلفة ، حيث ان هذا الادب لا يزال في دور التطور ، وموادة مشتتة والقليل منها مجموع في كتاب واحد ، هذا بالاضافة الى ان رواد هذا الادب من الدارسين لا يزال عددهم لا يتجاوز اصابع اليد ، نذكر منهم السيد حامد النساج في كتابه « الادب العربي المعاصر في المغرب » الصادر في القاهرة سنة ١٩٧٥ ، واحمد المديني الذي نشر اطروحته للدكتوراه في بيروت سنة ١٩٨١ بعنوان « القصة القصيرة في المغرب ، نشأتها وتطورها واتجاهاتها » ، ومحمد الصادق عفيفي في كتبه : « القصة المغربية الحديثة » الصادر في بيروت سنة ١٩٦١ و « الفن القصصي والمسرحي في المغرب » الصادر في بيروت سنة ١٩٧١ ، و « النقد الادبي الحديث في المغرب » الصادر في بيروت سنة ١٩٧١

من المهاجرين الى فلسطين

اما مضمون الكتاب فقد دار في مجال الالتزام بقضايا الانسان على الصعيد المحلي المغربي والقومي العربي

والانساني العالمي ، حيث ان اغلب الكتاب اللذين ترجمت لهم اعمال في هذه المختارات في الثلاثينات من العمر وخاصة كتاب القصة والشعر والمسرح ، اما المقال فهو احرق تاريخا والمختارات تؤكد خروج هذا الادب الى الحياة العامة ومعالجة الواقع وعدم التوقف عند الموضوعات التقليدية والتركيبات الجامدة

وفي هذا الاطار احتلت الموضوعات المتعلقة بالاواصر العربية الاسبانية ، قديمها وحديثها ، وبقضايا العرب المصيرية ، وهموم الانسان على الصعيد العالمي مكان الصدارة حيث ظلت الاندلس وفتوحاتها العظيمة مهيمنة على جزء كبير من الكتاب ، ضمن المقالات نجد « معركة وادي المخازن » التي انتصر فيها المسلمون العرب على الملك دون سيبستيان ملك البرتغال واسبانيا سنة ١٥٧٤ ، والمقال كتبه عبد المجيد بن جلون المتوفى سنة ١٩٨١ م ومن المقالات ايضا نجد « الفردوس المفقود » لمحمد الخطابي اما في مجال القصة فقد حظيت الاندلس بعدد من القصص نذكر منها على سبيل المثال « عادة سنة » لعبد الرحمن الفاسي وهي من مجموعته « عمي بوشناق » وتدور احداثها اثناء فتح طارق بن زياد للاندلس وايضا قصة « طارق الذي لم يفتح الاندلس » لمحمد المسناوي وهي من مجموعته التي تحمل نفس العنوان ، وهي من انضج القصص رمزا ومن اوضح الدلائل على ان الكاتب المغربي كان يلجأ للاندلس هروبا من واقعه المؤلم ، وفي مجال المسرح نجد لحسن الطريق مسرحية شعرية بعنوان « وادي المخازن »

وقد حصلت اسبانيا المعاصرة على نصيبها في هذه المختارات ، فمنها خصص لها قصيدة احمد بن ميمون « خروج قلب بيكر من اشبيلية » التي يتحدث فيها عن الشاعر الاسباني ادولفو غوستافو بيكر (١٨٣٦ - ١٨٧٠) وقصيدة « موت لوركا » لمحمد الصباغ وقصة عبد القادر السميحي « بيكاسو الصغير » التي تتخذ من الطفولة الخلاقة موضوعا لها

والمجد النضال التحرري الوطني مكانه ، فخص عبدالكريم الخطابي باعمال نذكر منها قصيدة عبد الكريم الطبال بعنوان « عبد الكريم » وفيها يعقد مقارنة بينه وبين عبد الكريم ليخرج من ذلك الى مقارنة عصره باعتباره عصر عجز وظلم وذل وخضوع ، بعكس عصر الثورة والانطلاق والكرامة والاباء الذي يمثله عبد الكريم رغم وجود الاحتلال وقصيدة الحسين القمري « عبد الكريم الخطابي » كما خلدت هذه المختارات معركة انوال التحريرية التي خاضها الثوار المغاربة سنة ١٩٢١ ضد الاحتلال الاسباني بقصيدة « انوال » لمحمد ... الفرقاني

اما معاناة المواطن المغربي في المهجر فتصورها قصيدة الطاهر بن جلون بعنوان « المواطن » وهي من ديوانه « دون ان تعلم الذاكرة » الصادر بالفرنسية في مارس سنة ١٩٨٠ ، حيث العامل المغربي المسحوق المتشرد في العواصم الاوروبية يلتقي بفتاة طالبة من بلده تدعوه للتحدث معه وعندما تقبل دعوته يهم بان يدفع لها ثمن موافقتها تماما كما يفعل في المواخير ، حيث كل شيء حول هذا العامل قد فقد انسانيته وضميره ، فاصبح يتصرف حياله بصورة آلية

ومن الموضوعات التي تضمنتها المختارات موضوع القضية القومية التي لم ينسها الكاتب المغربي ولو للحظة واحدة ، وظلت هذه القضية حاضرة في ذهنه يعيشها بكل جوارحه ومشاعره ، فكلما داسه الزمن بمسه او صدمه القدر بجبروته وغطرسته ، رجع مباشرة الى اصول مأساته مشيرا الى ان الحل والخلاص لا يأتي الا بالقضاء على مسببات هذه المأساة ومن هنا خص الكاتب المغربي هذه الاصول متمثلة في فلسطين الارض والانسان بعيون اعماله الابداعية ، ومن هذه العيون ضمت المختارات نماذج نذكر منها على سبيل المثال مقال محمد التازي « دور الادب المغربي في مواجهة الاستعمار والصهيونية » وهو جدير بالقراءة لانه يعطي خلاصة لهذا الدور ويؤكد عن عمق احساس ادبائنا في المغرب بالخطر الذي يهدد قوميتهم وعقيدتهم ، وكذلك من الموضوع الفلسطيني في الادب المغربي نود ان نذكر بقصيدة عبد السلام الريتوني « رسالة الى فدوى طوقان » حيث يؤكد الشاعر على انه رغم كل العقبات المفروضة ، وانه مهما ازداد ظلام الواقع حلكة فان يوم الخلاص قريب ، وان الانسان العربي سينطلق من اعالي الاطلس الى ضفاف الفرات ليغسل ترابه من عار الهزيمة والخنوع والتبعية ، ويطالب الشاعر شعبا في صراع الاحتلال الصهيوني - ممثلا في شخص الشاعرة فدوى طوقان - بألا يفقد ايمانه بأمته ■■

د . محمد عبد الله الحميدي

استاذ بقسم الدراسات العربية والاسلامية كلية الآداب جامعة مدريد

صلاح ستيتيه والخيام

بقلم : أحمد عبد المعطى حجازى

سألني صلاح ستيتية بعدما أطلعني على ترجمات مخطوطة لبعض قصائده هل تجدها شعرا عربيا ؟
لكن القارىء لن يفهم السؤال ولن يتابع الاجابة الا اذا تعرف أولا على الشاعر
صلاح ستيتية شاعر لبناني ذو أصول عربية اسلامية قوية لكنه تلقى ثقافته المنظمة باللغة الفرنسية التي صار الآن واحدا من شعرائها المعدودين ، مثله مثل مواطنه جورج شحادة وان اختلف عنه في نواح اساسية فجورج شحادة يبدو في شعره ، وحتى في حياته ، طبيعيا ومنسجما داخل اطار الحضارة الاوربية مع مذاق شرقي خاص ، فهو شاعر فرنسي يحتفظ بجنسيته اللبنانية بينما يبدو لي صلاح ستيتية اقل انسجاما او اكثر قلقا ، فهو شاعر يعبر باللغة الفرنسية عن وجدان عربي اسلامي مع مذاق اوربي خاص وجورج شحادة يكبر صلاح ستيتية بما يقرب من عشرين عاما ، فهو ينتمي الى جيل الشعراء الذين ظهروا في اواخر الثلاثينات واوائل الاربعينيات مثل جان فولان ، وجيميك ، ومانديارج وغيرهم ممن ظلوا محافظين بدرجات متفاوتة على القيمة الغنائية وعلى التركيبات النحوية المألوفة للجملة الشعرية ، رغم عصريتهم وتنوع اتجاهاتهم الفنية والمذهبية اما صلاح ستيتية فينتمي للجيل الذى بدأ ظهوره في الخمسينيات مثله مثل ايف بونفوا ، وميشيل دوجي وغيرهما ممن اتجهوا الى تحطيم التركيبات المألوفة وخلق لغة جديدة يمتزج فيها التحرر بالزخرفة ، والشعر بالفلسفة ، وهذا هو التيار الذى حاول صلاح ستيتية ان يحقق فيه شخصيته الخاصة كشاعر عربي مسلم يكتب بلغة اجنبية

انه في اطار هذا التيار يستطيع ان يكتب بالفرنسية ، لكنه يكتب بفرنسية شخصية تحاول التحرر من ميراثها الاوربي الخاص ، وتسمح له بان يحملها شيئا من ميراثه القومي المتميز من هنا يأتي شعر صلاح [illegible] ...يا غامضا على الرغم من نداوته ، وهو لايخلو من بعض العناصر الزخرفية رغم خياله البدائي او الاص... ى

... صيغة اللغوية الخاصة تستند الى صيغة فكرية تماثلها . فصلاح ستيتية يتبنى الفكرة التي تقول بوحدة المتوسط ... وباصولها الدينية الشرقية التي يعتقد انها مازالت حية الى اليوم ، وهو يجد في تاريخ البحر المتوسط ... امثل لهذه الفكرة التي تمنحه حق المواطنة في الشعر الفرنسي وان يكن عربيا مسلما ومن هنا

وصف الشاعر والناقد الفرنسي الان بوسكيه لشعره اذ يقول انه « في نقطة اللقاء بين شعر اوربا المسيحية وشعر العرب ، هو فن البيت حيث الكل يسطع ، باحتجاب وغموض »

تلك هي باختصار الملامح الأساسية لهذا الشاعر الذى صدرت اخيرا عن دار الآداب ببيروت ترجمة لمختارات من قصائده ، قام بالجانب الاكبر منها شاعر عراقي شاب هو كاظم جهاد ، وقام الشاعر ادونيس بالباقي ، وسوف أعرض نماذج من هذه الترجمة مع بعض ملحوظاتي ، تمهيدا للاجابة عن السؤال الذى سألني اياه الشاعر والذى افتتحت به هذا المقال

○

لا يستطيع أحد ان يقلل من قيمة المجهود الذى بذل في هذه الترجمة التي تصدت لشعر صعب يستمد قيمته قبل كل شيء من لغته التي كتب بها في الاصل ، وهذا ما دفع كاظم جهاد الى ان يضيف للقصائد التي ترجمها مجموعة من المقالات التي تعالج شعر صلاح ستيتية لتكون للقارىء العربي عونا على تذوقه

لكن الترجمة رغم المجهود المبذول تبدو مفتقرة الى خطة واحدة ، وربما كان السبب انها من عمل مترجمين اثنين ، يجتهد احدهما ـ وهو كاظم جهاد ـ في ان يكون أمينا مع لغة الشاعر الاصلية لدرجة النقل الحرفي ويجتهد ادونيس في ان يعالج عيوب نقل الشعر من لغته الاصلية باضافة شاعريته الى النص المترجم ، فيبتعد عن الاصل قليلا او كثيرا بل ان المترجم الواحد منهما يسير على اكثر من خطة

فكاظم جهاد ينقل السطور أحيانا بهيئتها التي كانت عليها في الاصل ، فاذا كان الشاعر يفصل في النص الاصلي بين الكلمة وأداة تعريفها فعل مثله في الترجمة

الليل هابط على قنديل ، والـ
لغة لها جذر في هذا القنديل

والمترجم يشير الى ذلك قائلا (القطع الممارس هنا على بعض الكلمات يعكس بالطبع اجراء مماثلا يمارسه الشاعر في الفرنسية) لكن المترجم لايراعي هذه القاعدة دائما ، واذا كان يلتزم غالبا بنقل لغة الشاعر الى العربية بدلا من تعريبها كما يفعل ادونيس ، فهو يلجأ احيانا اخرى الى التصرف كترجمته كلمة **le manque** (ندورة) ، مبتعدا عن المقابل الدقيق للكلمة الفرنسية وهو النقص او الانعدام ، ومحرفا كذلك الكلمة العربية (ندرة) ولولا مخافة التطويل لقدمت أمثلة أخرى

أما ادونيس فقد لجأ الى التعريب فحافظ بقدر امكانه على شاعرية بعض النصوص ، لكنه التفت الى الصور والعبارات في انفرادها واستقلالها اكثر من التفاته اليها في علاقاتها ووحدتها ، وربما كان السبب افتراضه استحالة المعنى في هذا الشعر الطليعي الصعب او عدم اهميته ومن هنا جاءت بعض النماذج في ترجمته مرتبكة ، وهذا واحد منها اقدمه متبوعا بالنص الفرنسي

Sont le pere et la mere	إنهما الأب والأم
Acclames par le feu	تهتف لهما النار
Et ses figures	واشكالها حين تعانق النار النار
quand le feu etreint le feu.	هنا ، الوداع قاحل أية ثمار
Ici adieu aride : quels fruits	وستأتي وتمتزج بثمار أخرى
Viendront se melanger a d'autres fruits	تطلق الاب وتطمئن الرمل
Calmer le sable et delier le pere ?	أيتها الأم بسيفها
O mere avec l'epee	الذى يناهض الرحم القاسية ، خام هو الطفل
Contre le beau sein dur l'enfant cru :	قبل الروح ، كانت النار تصرخ داخل النار
Le feu avant l'esprit criant dans le feu	

.. شيء من التروى نكتشف ان هذا النص الذى يبدو لأول وهلة عديم المعى أو شديد الغموص ، اما يتحدث بلغة خاصة عن الشهوة ، والخلق ، والعذاب وفي هذا الضوء يمكن ان نقرأه كما يمكن أن نترجمه ترجمة أقرب الى الدقة

ان كل كلمة في هذا النص يمكن ان تترجم بواحدة من عدة كلمات عربية ، والمعى الشامل هو وحده الذى يعين الكلمة الاوفق كلمة **aride** ، مثلا تعنى حاف ، وقاحل ، وعقيم ، وبارد وقد اختار منها ادونيس كلمة (قاحل) ربما بسبب مجاورتها للكلمة التي ترجمها بكلمة (ثمار) لكن كلمة (عقيم) تتفق اكثر مع معنى النص وعبارة **Ie beau sein** ، ترجمها بكلمة (الرحم) مع ان المقابل الصحيح والبسيط هو النهد او الثدى وعبارة (الطفل الخام) اغمص من ان تعبر عن الجنين الذى لم يتكون وهكذا انساق ادونيس في غيبة المعنى الى المقابل البعيد ايثارا للاغراب والادهاش واذا كان لى ان اقترح بعض التعديلات على هذه الترجمة فها هي

الاب والام

تهلل لهما النار

وصورها حين تعانق النار النار

هنا الوداع عقيم ! اية فاكهة

ستأتي وتمتزج بفاكهة اخرى

تهدىء الرمل وتحرر الأب

أيتها الأم بالسيف

تجالد ثديها القاسي وطفلها الجنين

والنار ، قبل الروح ، صارخة في النار

●

قلت لصلاح ستيتية ردا على سؤاله اما ان هذا شعر فهو كذلك ، واما انه شعر عربي ففي النفس منها شيء !

قال لى الا ترى ان الترجمة العربية لرباعيات الخيام قد دخلت التراث العربي ؟

قلت ولكن الخيام كان يكتب بالفارسية وهي لغة من لغات الحضارة الاسلامية وهو يتناول الموضوعات التي كان يتناولها الشعراء العرب والمسلمون عامة ، فيتحدث عن الخمر واللذة والطبيعة والخوف من عقاب الآخرة والرجاء في عفو الرحمن وقد اتيحت لشعره ترجمات مختلفة منظومة ومنثورة أحبها القارىء وتأدت اليه حتى فتح لها باب تراثه فعسى ان يتاح لشعرك في العربية ما أتيح لشعر الخيام ! □

باريس ـ أحمد عبد المعطى حجازى

قصة قصيرة

الدوامة

بقلم : فاروق خورشيد

هل تصدق ؟ أو لا تصدق
لم أستطع أن أكتب حرفا واحدا ، الورق أمامي وحولي ، أكثر من عمل ينتظر كلمات ليمضي في طريقه وأنا عاجز عن كتابة هذه الكلمات التي يمكن أن تنهي واحدا من الأعمال الناقصة ، المتراكمة حولي ، الليلة ملأني احساس مر بأني معزول عن الحياة والناس ، وبهذا فلن أستطيع أن أكمل أي عمل يتحدث عن الحياة والناس

خرجت من بيتي في وقت متأخر ، وغريب طبعا أن النقود التي معي كانت تكفي سهرة ضخمة ، أو عدة سهرات متواضعة وكنت محتاجا الى هذه النقود ، ولكن احتياجي الى أن أحد نفسي كان أكبر فمتى أحتاج الى النقود ؟ ان الأولاد يريدون ، وان الأسرة تريد ، وان البيت يريد فأنا نفسي لا احتياجات لي ربما كنت أبالغ بعض الشيء ، ولكن البنت تريد لي أن أحجز لها شقة في عمارة جديدة تبنيها جمعية تعاونية ، والولد ، يريد أن أجمع له ألفين من الجنيهات ليشتري (شبكة) لخطيبته ، فهكذا قررت أم الخطيبة ، بل هكذا قرر أبوها أيضا ، وهو ثري فتمكن ، من أثرياء عصر التمكن والقدرة ولكنه يريد لابنته أن تحصل على أعلى شبكة يمكن أن يقدمها شاب في سنها ، مهندس حديث التخرج - والمصيبة - مجند في الجيش أيضا ، وكان هذا يعني أن أتولى أنا عنه دفع هذه الكفالة ، التي تؤهله للحياة الزوجية التي يريدها صهره ، وبيت خطيبته معا

أما الولد الأصغر فهو شغوف بالفروسية ، ولهذا فهو عضو في أكثر من ناد ، ويخصص جزءا من نشاطه الرياضي للخيل ، وهو يركب الخيل ، ثم يشتري أدوات ركوب الخيل ، وملابس ركوب الخيل ، ومستلزمات الدخول في فرق المنافسة على بطولات الخيل ، ثم هو يقبع في حجرته ، يدور حول نفسه ، ويسمع آخر ما أخرجته أشرطة الكاسيت من أغان ويسهر ، فيسى موعد المدرب ، وموعد الخيل ، وموعد النادي ، أي ناد ، المهم انه ينسى وينام والسلام

وأمهم ماتت أمها منذ فترة صغيرة ، فهي مشغولة تماما ، بيوم الخميس وصباح الجمعة كل أسبوع - ولم أكن أعرف من قبل أن أيام الخميس ، وان صباح الجمعة له كل هذه الأهمية المقدسة ، التي تكاد تدخل حيز الطقس الديني المهيب ، الا بعد وفاة حماتي ، والا بعد اهتمام زوجتي المستمر كل خميس بالذهاب الى بيت أختها حيث يجتمع النساء والرجال من أبناء الأسرة ، والأقارب المقربين والأقارب الأكثر بعدا ، وحيث تصبح المسألة مسارح لأهواء بعض الرجال ، وذكاء بعض الاناث اللاتي السواد ، والقرآن يقرأ ، والطعام يقدم واحدا يدور ، مرة صريحا واضحا ، ومرة مهيا ... والتلميحات ، والوعود الغامضة و ...

الشاب في حجرة منعزلة يقرأ بعض السور ، وأمامه من حين الى حين ماء ساخن أذيب فيه السكر . وفي حين آخر كوب شاي وبين كل هذا تتسلل اليه أقداح القهوة ، وهو ماض يجيل ببصره في الموجودين ، ويبسمل ويحوقل ، ويسمع كل ما يدور من حديث ، ثم يستأنف قراءته المنغمة . وعيناه تدوران في كل ما حوله ، وجوه الرجال المشدودة ، وأحديثهم اللامعة ، ووجوه النساء المنكسة ، وأربتهن السوداء ، ورموشهن المريضة ويرقب في صمت ، الأحاديث والكلمات ، والضحكات ، ثم يخرج عن صمته ... ات أخرى ، تعيد الى الكل وقاره وهدوءه الى حين حين يسكت الشيخ تتحدث العيون فترة ، ثم الكلمات ... نقلب الكلمات الى شيء صريح ، ربما كان ثمة ... مرة ، وربما كانت فيه حكايات عصوية ولكن ... ر في حياة كاملة لا علاقة لها بما يقرأ ، ولا عما ... شرب من سكر أو شاي . وبعد حين ... ة ، وقد انجلى صوته ، وأصبح بصره ... رصد ، ويسكت ، ولا يتكلم . فبعد ... له الحاجة ، أطباق الطعام متتالية ، ثريد ولحم ، وخضار ولحم ، وأرز ولحم المهم ان اللحم كثير ، وأنه مطهو بأكثر من طريقة ، وله أكثر من طعم ، ويأكل ويصمت ، ويحوقل ويبسمل ويسكت ، واللحم أمامه يكسوه سواد ، وبراق لامع وحوله كلمات رجال ، وأحداث اذ تتحرك أقدام رجال ، ثم تتلون وجنات رجال ، وتدور كلمات عربية بعضها يفهمها ، وبعضها لا يعنيه أن يفهم منها شيئا فقط يده تتحسس قطع اللحم على الثريد ، أو وسط صحن الخضار ، أو فوق الأرز لحم يا سيدي ، يا مدبولي ، ويأكل ويملأ فمه ، ويقول وسط الهبرات

ـ ما شاء الله سبحان الله . . أعزكم الله رحم الله موتانا وموتى المسلمين .

ثم ينسى نفسه ، ومن حوله في غمرة الدسم والمرق ، ونسل اللحم ، وأشياء الطعام وينتهي ذات خميس ، ليبدأ ذات خميس والعلاقات تزداد تشابكا ، وشيخنا يزداد شحما ، والقرآن يخرج من فمه أكثر تثاقلا ، ويدور الليل ، ويدور واللحم يزداد أمامه ، أكثر دسما ، أكثر لمعانا

هل تصدق صدق أو لا تصدق
فأنت حر فيما تأخذ وتدع في القطار ، قطار الضواحي الذي أركبه من منزلي لأصل الى وسط البلد ، قال صعيدي ملتحف بملاءة قديمة ممزقة ، مليئة بالبقع ، لصديق له جالس القرفصاء على أرض العربة في القطار

ـ لماذا أشتغل في العريش في سيناء ، أخرج من أسوان ، الى آخر العالم ، مقابل جنيهات لا معنى لها ، هناك شيء اسمه التأمين الاجتماعي يا أخ ، منذ أسبوع مرض عبد الموجود ، أو هكذا ادعى في المصنع ، عشرة أيام ، أخذ عنها عشرين جنيها كاملة ، أي اليوم جنيهين ، فلماذا الفلسعة والسهر وغيره ، اذا تعبنا مرضنا ، وأخذنا التأمين ثم صمت وضحك ضحكة جلجلت في العربة كلها ، وهو يرفع طرف جلبابه بيده ، وقال

ـ لقد انتهت أيام « التكلة » يا عبد العال ، وما لازمته ؟ القرش هو كل شيء ، أتعرف أحمد بن الحاج منذور ، تخرج وكيل نيابة ، يذهب في الصباح ، نصف ساعة ويمضي ، ثم يخرج ، ويعمل في العصر والمساء محاميا لشركة ، طظ في الشركة ، لماذا تريد محاميا بالله عليك ولكنه يقبض من الشركة مائة وعشرين جنيها ، وهو في الصباح يقبض من وكالة النيابة ، ستين جنيها ، خط مجرد يوقع على الحضور ، ثم يوقع على المحاضر ، ويسرع الى الشركة وهناك لا يعمل سوى ما فعله في الصباح ، ولكنه يقبض مائة عشرين جنيها وبعد ساعات ينتهي اليوم وأقعي مستمعه على قدميه وهو يلف ملاءة صعيدية قذرة وقبعته فوق كتفيه ويقول في لهجة الواثق العارف المتأكد

ـ وماذا يأخذ ؟ لا شيء ، الآن لا عبرة بهذه المبالغ يا أخ الواحد يكسب في اليوم ستة جنيهات لمجرد أنه مقيد اسمه في مقاولة ، اشتغل أو لم يشتغل المبلغ تمام

قال الأخ الأول وهو ينظر حوله في تحد واضح

ـ كان معي في الغيط ، ولكنه ضيع نفسه في المدارس ننزل في محطة السيدة زينب ورفعت عيني فرأيت ، (الكمساري) يتقدم نحونا وهو يضرب على خشبة مليئة بالتذاكر ويصيح في رتابة .

ـ تذاكر

وعرفت لماذا انقطع سيل الحديث المتدفق فجأة ، وتحول عن مساره

ومددت يدي الى الكمساري بالتذكرة ، ومزقها في صمت ، ثم التفت الى الراكبين من الصعيد وقال

ـ تذاكر يا بلديات

وقال الأول

ـ التذاكر معنا ، صبرك

ـ وقال الثاني

ـ كم ثمن التذكرة من دار السلام ؟

وهز الكمساري رأسه في صبر وقال .

ـ معكم أم ليست معكم ـ التذاكر

قال الأول

ـ يا بلديات ، الله كريم

قال الكمساري في صبر .

ـ ثمن التذكرة ، وزيادة غرامة الأولى يا بلديات

صاح الثاني في فهلوة

ـ يا بلديات نحن لا نجلس على الكراسي

وبدأ صوت الكمساري يحمل غضبا حميا

ـ هنا درجة أولى يا محترم ، ادفع أو اذهب الى الدرجة الثانية

صاح الأول في صراحة

ـ كلها محطة

وقال الكمساري

ـ تدفع أو تذهب الى الدرجة الثانية

قال الثاني في شهامة

ـ بل يدفع يا عم هو المبلغ كم ؟

وانصرفت عنهما الى النافذة ، تأكل في جريها السريع الخضرة والمساكن والناس أكلا وتمضي نعم أنت حر فيما تأخذ ، حر فيما تدع

كانت الكأس الأولى حريفة ، وأكلت النابت معها في صمت والبارمان يقول

ـ لم نرك يا بك من زمن طويل

وعرفت أنه لم يغش الكأس وشربت جرعة ماء مثلجة وابتسمت وأنا أقول

ـ لم أكن هنا ، كنت في الخارج

قال جابر وهو يمسح البار في دأب واصرار رغم أن سطح البار نظيف تماما

ـ حمدا لله على السلامة ، العالم نظيف بره

قلت .

ـ العالم أنظف هنا ؟

ولم يفهم ، فقط التفت الى زبون يطلب كأسا فملأ له ، ونظر الي نظرة تائهة ، وابتسم ابتسامة لرحه وهو يقول .

ـ كأسك تمام يا بك .

قلت .

ـ تمام يا جابر

وأخذت أتابع ما حولي في صمت وأنا أمهل كأسي في بطء واصرار ، لم يعد في البار أحد أعرفه ، ... هناك بيك اشتري زجاجة أخرى كاملة وفتحها وبعد صديقتين ، والبارمان سعيد ، يكدس الثلج والـ... والحس ، وهو يملأ لصديقتيه ويشرب ، و... وهو

يمـ .ساں

س ورائي تماما جاء صوت أحش يقول

ـ اشرب كأسا يا جابر . ؟

وروى حابر ما بين حاجبين وقال

ـ نعم

ثم مصى عنه الى آخر البار يملأ كئوسا ويضع فيها ثلجا ، ويكتب حسابا ، ويرفع صوت الراديو ويمسح بقعا غير موجودة على سطح البار ، والرجل بجلبابه البلدي وكرشه المريض ، ووجهه الأصم ما زال واقفا ، وكلمات تعود هادئة لا طعم لها . .

ـ اشرب كأسا يا جابر

ويهز حابر البارمان كتفيه في استسلام وهو يقول

ـ طبعا

ويمد يده الى زجاجة الروم يملأ منها الكاس ، ثم يمد يده الى صاحب الكرش المريض وهو يقول

ـ كأسك يا معلم

ويأخذ (المعلم) الكأس وينسحب الى ناحية من جدار يسند اليها ظهره وأشرب رشفة من كاس ، ثم أغسل الخس وآكل فرعا منه ، بينما يقول البيك الى جانبي

ـ تصوروا « محسن » الذي ربيته وأوصلته الى مدير عام ، يرفض طلبا لي اليوم ، شيء مخيف ، ويرفع كأسه ، ويرفع معه الصديقان الى جواره كأسيهما ويشربان ويهزان رأسيهما في أسى وحزن بينما يرتفع صوت فيه لكنة عند ناصية البار الأخرى صائحا

ـ هات له كأسا ، هات للمعلم كأسا أخرى

والتفت ، كان صاحب الكرش المريض والجلباب البلدي قد أنهى كأسه ، ورفعها في يده ضارعا في احتجاج صامت ، وعاد صاحب اللكنة المخمورة يقول لي صياح

ـ هو البواب يا أخي ، حارس البيت ، لا بد أن يشرب ، هات له كاسا

وانفعل جابر وصاح من مكانه خلف البار

ـ هذا عيبٌ يا سيد

وصاح صاحب الصوت الذي أصبحت كلماته لا تشوبها أي لكنة .

ـ عيب لماذا ؟ هو الحارس ، وهو صديقنا يا أخ .

وقلت لجابر

ـ حسابكم كم

ونظر الي في تعاسة ، ووضعت النقود في يده وانصرفت

وكان هواء الليل نقيا ، وكنت أنا كذلك . هل تصدق ؟

ويقول ضابط المخابرات السابق وفي عينيه لمعة صاخبة

ـ لم أرك منذ زمن يا حلوة

وتقول في استكانة ، وشعرها يتموج فوق البلورة السوداء ، وفي كلماتها موسيقا ونغم .

ـ أنت لم تسأل يا انكل

ويهف كذكر البط ، ويتجاهل (انكل) وما تعنى

تماما   ويمد يده الى شاربه يعبث به في اعتزاز

ـ الملطة علطتنا   لا بد أن نتزاور

وتصيح روحته من ورائه

ـ يا حميد ، انتهى العزاء ، وهيا بنا

ويتراجع ، وتتردد كلماته ، ولكن لمعة عينيه لا تنطفيء ، والفتاة أمامه ، حرة جسدها خلف البلورة لا تتوقف ، ويقول

ـ هذا واجب ذكرنا العزاء به   ولا بد أن تزورونا فنحن أهل

وتصرخ الزوجة

ـ هيا بنا وكفى ، فقد أدينا الواجب

وتحصص المرأة الصغيرة رأسها ، وشعرها المتماوج تغطيه غلالة سوداء رقيقة يهتز ، وهي تقول في خفوت

ـ نحن تحت الامر رقم هاتفنا معك

لعلك صدقت ، وان لم تصدق فأنت حر

في البار الثاني قال سعيد   وهو سمين عند الوسط ، وبليد عند الحركة ، وذكي عند لمحة العين وحركة اليد

ـ أول مرة نراك هنا يابك

ويصيح من ورائي صوت مشروخ أجش

ـ لا البيك رأيناه من قبل ، ولكن لنا زمان لم نره

وصاح شاب من آخر البار

ـ يا حسن يا كفتة ألا تنسى وجها رأيته

وقلت

ـ وأنا أمد يدي الى كأسي الجديدة في البار الجديد

ـ أنا أعرفه وهو يعرفني ، من زمن كنا نشرب معا هنا وهناك

صاح بصوته الخشن السكران

ـ تمام يابك من زمن ، يا زمان على الرحال ، أنت لا بد سافرت وذهبت الى هنا وهناك ورأيت الدنيا والناس ، ولكن نحن هنا كما تركتنا نشرب البراندي ونسكر ونبحث عن الكلمة الحلوة

ثم سكت واقترب مني مهتزا ، ووضع يده على كتفي وهو يقول

ـ حمد الله على سلامتك

ولم يكن الوجه غريبا عني أبدا ، فلا شك أنني رأيته في عشرات البارات التي كنت ارتادها من زمن ، ولم أكن سافرت ، الا ان كانت العزلة سفرا ، ولكني كنت أحس أنني غريب بالفعل   وقال صاحب الصوت الأجش

ـ لا خوف منه يا سعيد فهو على ضمانتي

وابتسم في كرم ، وعاد الى مقعده ، وامتدت يدي الى كأسي ، وامتدت يدي الأخرى الى صحن الترمس

وغصت في داخلي   وداخلي يمور بالضيق   هل أصبح من الضروري أن أخوض اختبارا بنجاح حتى يسمح لي بدخول مثل هذا المكان   ألم تصدق   لو أحس... تصدق   وقمت ، وشبت ، فالولد يخطف وا... تريد الشقة ، الثالث يركب الفرس ، والنقود لن ت... هي الليلة وهم أولى بها

قالت المرأة في القطار

ـ أنا متعبة يا عالم   أليس في الرجال شهامة

وقام ولد من مقعده ، معروقا مصفرا هزيلا وقال ...

ـ تفضلي

وتقدمت كالمحمل ، مليئة شحيمة مناحة وجلست ،

ووقف الولد المعروق   وقال الصعيدي

ـ استعملته يا ملديات

وقال صاحبه يطلق الحديث

ـ هل يظن نفسه شهما ، فمالك أنت

قال الأول

ـ أبدا ، وأنا مالي يا موي   كل حمار يحمل مكلته ، ويرضى به

ولم أفهم   ولكن حركة القطار   الرؤية صرفتني عنهما

في الغد   تجتمع الأخوات في المدافن ، كل واحدة تحمل قرصا وملحا وبرتقالا ، وتوزع الرحمة ، وتبكي وتنوح

امرأتي وحدها تجلس في صمت ، في سوادها الكئيب تتلو القرآن تبكي ، برزت عروقها وتحطمت جيوبه... وهدها الحزن

الطبيب قال

ـ ابعد الكلاب ، الكلاب تحمل مرضا واحدا ينقله الى من يباشرونها من الناس فتهزلهم ، وتحطم جيوبهم

ولكني جبان   لم أقل لها شيئا   وهي تعطف على الكلاب ، أي كلاب   كلابنا ، والكلاب الضالة من ذوي القربى

وهل أجرؤ   الصمت خير منجاة من لسان ، نكف حتى أخرج من جلدي

هل تصدق   صدق أو لا تصدق

منذ عدت بعد جولتي التعسة ، وأنا عاجز أمام الورقة والقلم ، أنظر في صمت الى أعمالي الناقصة   تنتظر كلمات تدفع عملي فينتهي ، ويريحني لألتفت الى غيره

ولكني عاجز عن الكتابة ، ويملؤني الاحساس بأني عاجز ومنعزل عن الحياة والناس

ومهما خرجت عن دائرة وجودي ، فأنا محصور في هذه الدائرة ، ولا فكاك منها ، ولا كلمات عنها   ... أنا قادر على الانفصال والعودة الى التقاط حروف ... لكلمات جديدة □□

فاروق خورشيد

..بن اتجهت الثقافة الى امتداح
..ضي ، اصبحت ثقافة أثرية »

بقلم : عمر كامل مسقاوي

التعرف على فكر مالك بن نبي ، لم يتيسر لي فقط من خلال كتاباته الغنية واللامعة ، وانما تحقق وبالدرجة الاولى من تجربة ومعايشة شخصيته ، اتاحت لي ان اقف على عمق رؤية هذا المفكر الاسلامي الفذ *

..في الفترة ما بين عام ١٩٥٦ وحتى ١٩٦٠ وكنت اذاك ..ما في القاهرة ، عرفت « مالك بن نبي » وافدا الى مصر ..ل كتابه بالفرنسية « الفكرة الافريقية الآسيوية » وقد ..شر في سلسلة « اخترنا لك »

وكان ان تحدثت عنه مجلة « روز اليوسف » في لقاء مع ..د محرريها الدكتور مصطفى محمود ، فلفت انتباه صديق ..من المغرب هو الدكتور عبد السلام الهراس (استاذ ..دب الاندلسي حاليا في جامعة فاس) ، وكنا اذ ذاك ..حة دراسة نتقاسم السكنى ونسر النجوى في موغل ..مال ثم نتلقف الحديد استشراف فضول

..هكذا وصلنا الصديق المغربي بالمفكر الجزائري مالك ..ن نبي عبر قصيته ومنهجيته في الحديث فاستقمنا لها ..معا واستمت لنا حطة ادراك

..وبعدها .. بعضا بعضا حديث مالك بن نبي في ندوات ..دمشق ، فقد كثر الوافدون من طلاب البلاد العربية والاسلامية ، وبدت الحاجة الى كتاب في العربية نقرؤه وترتسم في مفاهيمنا قواعده اعمق واقوى ، وبدا لمالك ان يطور في وسائل لايضاح وهو يشرح لنا كتابه « شروط النهضة » بلهجته الجزائرية نقلا عن النص الفرنسي الصادر عام ١٩٤٧ فاضاف اليه من الفصول الجديدة

هكذا غامرت في مهمة لم تكن بعد اهلتني اليها معارفي الذاتية فعكفت باشراف الأستاذ مالك على اخراج كتابه الاول بالعربية « شروط النهضة » عام ١٩٥٧ اخراجا في الاسلوب فقط فيما تولى هو نقل النص عن الفرنسية

ولقد توثقت بيني وبينه اواصر الصلة الفكرية والروحية معا ، ووحدتني على غير تأهب منغمرا في مجالس مالك بن نبي بعدها تناقل الناس « شروط النهضة » بالعربية وعليه اسم ذلك الطالب والمترجم معا

---

* الـ..ـاه الكاتب في محاضره بجامعة المقاصد الاسلامية في بيروت

مشكلة حضارة

ولد مالك بن نبي عام ١٩٠٥ في مدينة قسطينة في الجزائر وكانت مراحل دراسته الابتدائية والثانوية بين تبسه وقسنطينة كما يروي في كتابه « يوميات شاهد القرن » ثم انتقل الى باريس حيث تخرج عام ١٩٣٥ مهندسا

لقد حمل معه الى باريس ـ وهو بعد ما يزال في سني الدراسة ـ احساسه العميق بمشكلة اس المستعمرات ، وبدلا من ان يأخذه الانبهار والشعور العميق بالاحباط ، اخذ يتتبع بمنهجية تاريخ الحضارة الاوروبية ذلك التاريخ الذي اورث ما سماه « الحالة الاوروبية » وقد اناخت بثقلها على مسيرة الانسان في العالم الاسلامي ، حينما استقالت الحضارة الاسلامية من التاريخ ، بعد زوال دولة الموحدين في المغرب

هكذا غرق المجتمع الاسلامي بعد تلك الفترة في العدم ، واسلم نفسه لنوم عميق نسي فيه تراثه وفكره ، فيما كانت الحضارة المسيحية تنطلق اثر انتهاء الحروب الصليبية ، حاملة في تضاعيفهاثمرة ما افضت اليها الحضارة الاسلاميةمن فكر وما أمدت من ثقافة ، آخذة في اندفاعتها حصيلة الروح المسيحية التي استفاقت في العصر الكارولنجي لتجمع الجهود بروح من التعاون بثتها الاديرة لانطلاقة جديدة ، تستلم فيها مقود التاريخ

لقد استلهمت الحضارة المسيحية مربع الثقافة الهلينية الرومانية وبدا ذلك نمطها او كما قال ديورانت في قصة الحضارة « فقد كانت المسيحية اروع ما انتجت الثقافة الرومانية » وبالتالي فقد امتدت خارج حدودها النفسية تحت شعار « السلام الروماني » ثقافة سيطرة وقهر ، لا ثقافة احتواء ووعي ، كما لاحظ هانز شتيمر المفكر الالماني

وهكذا بدا العصر الصناعي حلقة من مسيرة الحضارات التاريخية تطرح العلاقات الانسانية في اطار كمي اقتصادي ، لا مكان فيه للقيم الانسانية في مقياسها المطلق

ولقد انعكس هذا الواقع النفسي والاقتصادي والاجتماعي على مسيرة الانسانية منذ بداية عصر النهضة ، وكانت ظاهرة الاستعمار مظهرا من مظاهر امتداده نحو الآخرين ، ليس فحسب في الاطار ا[illegible] والعسكري ، بل في الاطار الفكري والتربوي ايضـ[illegible]

كانت هذه هي رؤية مالك بن نبي المهندس الذ[illegible] ليحط طريقه في عالم الاشياء اي في الاطار الذ[illegible] الى التنمية عبر التكنولوجيا التي ابتدعها ا[illegible] الصناعي وفيما هو في طريقه هذه يرسل الى احدى [illegible]لاد الاسلامية طلبا يسهم في مسيرتها التكنولوجية [illegible] انتباهه ذلك العالم الاسلامي الذي تقطعت شبكة علاقاته على كل صعيد ، فاذا كتابه لا يحظى باي جواب

هكذا حذبته القضية الى حلبتها فاذا مالك بن نبي المهجي يحط طريقه في عالم الافكار بدلا من عالم الاشياء كيما يطرح لمسيرة النهضة الاسلامية طريقا حديثا [illegible] المشكلات في اعماقها

المشكلات ؟

ما هي المشكلات ؟ انها تبدو هنا الجهل ، وهنالك الفقر ، او ـ في اطار سياسي ـ الاستعمار والاحتلال الاجنبي ، وفي مجال آخر النقص في الامكانيات والثروات الطبيعية

لقد طرح مالك بن نبي الاعراض هذه كلها في مختلف كتبه وعالجها معالجات متعددة لكنها تصب كلها في اطار واحد انها مشكلة حضارة نحن خارجها ومشكلة ثقافة ، يتكامل اطارها في منقلب حياتنا اليومية ونحن لذلك شتى النوازع والقلوب والوسائل ، تتعارض الامكانيات في مختلف الاصعدة ثم تسقط هذه في هوة الفراغ والضياع وعدم الفعالية

وكانت هذه مسيرة النهضة الاسلامية الحديثة على اختلاف عناوينها تقدمية او رجعية او اسلامية لان الاساس الذي هو خارج اطار الحضارة والثقافة مما لا يجديه تكديس المعلومات عن النماذج المستقاة من عناء الحضارة المعاصرة

ومنذ الاربعينات من هذا القرن تساءل مالك بن نبي ما هي الثقافة ؟ وبدا له من ذلك ان اي تعريف اكاديمي وفق مصطلحات العالم الغربي الاوروبي لا يصبح بعالم المتخلف حقيقة قابلة للتطبيق ذلك ان اكثر ما شغل المفكرين في العصر الحديث هو الاتفاق على تعريف محدد لمفهوم الثقافة التي بدت مصطلحا مستحدثا [illegible] الادب اللغوي

.. ان مضمون الثقافة كاطار تاريخي ـ سواء كان اطار.. لحضارتنا الاسلامية التي سلفت ، او اطارا للحضارة المعاصرة ـ قد اغرق رحاله في معطياتها ، ولذا نحن نحدث مفكر اوروبي عن الثقافة فانما يتحدث عن تجربة معاشة فعلا ، يتلمس مظاهرها المختلفة ، وقد يحيط بها معنا وقد لا يحيط ولذلك اختلف الشراح في تعريفها وكل فيما عرف وحدد تناول صورة وصفية لا تمنح اولئك الذين يعيشون خارج تجربتها من متعلمي العالم المتخلف ـ حقيقة قابلة للتطبيق في اطارهم الاجتماعي ويرى مالك بن نبي ان هوريو « Hauriou» قد فوجىء هو نفسه حينما سأله سائل عن تعريف للثقافة فقال « الثقافة ، انها ذلك الذي نحتفظ به حينما ننسى ما تعلمناه »

من هنا يرى مالك بن نبي انه لا يجوز ان نتلهى بتعريف مجرد للثقافة بل علينا ان نبحث عن وظيفتها الاجتماعية في خطة تحليلية نضعها في اطار برنامج قابل للتطبيق

فمالك بن نبي يرى « انه ينبغي ان ننقي مفهوم الثقافة من خليط متراكم النصوص الادبية ، ومن كل اكاديمية ومن كل اقحام فولكلوري

واذا كان لا ريب في ان الفولكلور جزء من الثقافة ، فالثقافة ليست فولكلورا يتأنق في قليل او كثير مما يناسب ذوق العصر ، وبالخصوص ذوق السائح الذي تستهويه المشاهد الغريبة عن وسطه

فالثقافة هي اسلوب للحياة ، الاسلوب المشترك الذي ينتظم المجتمع على سواء اما الفولكلور فهو اقليمي اي ان عالم الاحساس يجد في حدود الاقليم كل ما يريده عن تاريخ ومغزى ومعنى الفولكلور

لكننا لا نستطيع دراسة فكر واعمال ابن خلدون ونحن نعلق عليها وعلى انفسنا حدود هذه الرقعة الجغرافية

فمجال ثقافة ما انما هو جو حضارة ومؤلف المقدمة شعر به بحدة كبيرة ، وبكل مأساوية ، في عصر الانحطاط الذي انتهت به الحضارة ، اذ حينما تأمل بثاقب نظره .. التحول الثقافي في المغرب شد عصا الترحال الى المشرق .. الاسلامي وفي قلبه الحسرة والحنين »

مالك بن نبي اذن يطرح مشكلة الثقافة كبرنامج .. صحيح لبناء القيمة الاجتماعية للعالم الاسلامي ، .. رسالته في العالم وهو يقول بحق ان طرحه في .. لمشكلة الثقافة من جانبها التحليلي هذا قد جاء

بعيدا عن التصورات والافكار الجارية ليس في العالم الاسلامي فحسب ، بل حتى في العالم الاوروبي ايضا

وكلما تفاقمت ازمة الحضارة الاوروبية الحديثة ، سواء في عالمها الداخلي ، او في علاقاتها الانسانية ، بدا للكثير من المفكرين الخطر الذي يتهدد الحضارة العربية او يتهدد الانسانية بالفناء

انما نراه يقول .. « وحين صارت الثقافة تحصيل المعلومات لم تعد وعيا بل عملية تجميع ، والخوض في التفاصيل بل الخوض في التطبيق العملي ايضا ـ وبمعنى آخر نرى ان الثقافة الفلسفية ان صح لي ان استخدم هذه الكلمة ـ اي الثقافة التي تدور في فلك فلسفة معينة دون ان تخوض فيها كممارسة ـ كان في القرن الماضي وحتى عقدين من الزمان اي حتى اواسط الستينات ، مجرد ثقافة تقريرية وليست تحليلية تهتم بالجامد والثابت بدل ان تهتم بالمتغيرات على كل صعيد »

وان كان الامر يتطلب بناء ثقافة او تركيبها بعد ان نقوم بتحليلها فلندلف اذن الى معالجة مالك بن نبي في هذا الاطار ولندخل الى فكرته عبر نقده اللاذع لفوضى حركتنا العلمية ، منذ اتصالنا بالعالم الاستعماري

عندما استيقظ المسلمون

واذا كان لنا ان نؤرخ لنهضتنا عبر الاتصال الاول بالحضارة الغربية ، فلننطلق من منتصف القرن التاسع عشر ، او بالاحرى منذ عام ١٨٥٨ ذلك التاريخ الذي ارخ لامتدادات الاستعمار في الهند والجزائر ورفع صيحة جمال الدين الافغاني ودق ابواب اليابان بقيادة الكومودور الامريكي بيري في العصر الميجي

كان سوط الاستعمار كما يرى مالك بن نبي قد ايقظ الجفون السادرة في اوهام الزوايا والحروز المنكفئة على نفسها بعيدا عن مسيرة الحضارة حيث كان العصر الصناعي يطرح امتداده خارج حدود رقعته الجغرافية ، مدفوعا بانتاج الوفرة ، ومعدلات التكاثر ، مأخوذا بسيطرة العلم التي جعلت من الانسان الاوروبي مالكا لناصية المجهول من حوله ، باسطا عصا السلطة التي جمعت خريطة العالم في قبضته اثر الاكتشافات الجغرافية

كانت هذه نقطة اتصال هامة اتاحت للعالم الاسلامي ان

يستشعر الخطر من حوله ، فانطلق يدفع عن نفسه ويدافع عن عقيدته مأخوذا بما احاط به من سحر العلم ، وقوة الآلة ودفع الحضارة المسيطرة

لقد استيقظ العالم الاسلامي وقد افلت من يده مفقود الفكرة التي انتظمت حياته قرونا بحمل من الثقافة تنشر شباكها بين المغرب والمشرق وتجمع في ردائها قيم الفكر والتقاليد والعادات فاذا مناقشات العراقي حول الفلسفة في المشرق يتلقفها ابن رشد في الاندلس بالرد والتمحيص لقد احتضرت الثقافة الاسلامية المسافات الجغرافيه وبدا الذي يجتاز مشرقا ومغربا بين طرفي رقعة الحضارة الاسلامية يمر ومن حوله ذلك الاطار الذي سحته القيم الاسلامية عطا في الحياة ، المأكل والملبس والامن الذي ينتظر ابن السبيل

كانت هذه حضارة استقالت من مهمتها حينما استيقظ العالم الاسلامي وفي يده مجموعة الافكار القاتلة واخرى مقتولة لانها فقدت فعاليتها

وفي مرحلة كان المجتمع الاسلامي فيها خارج اطار الحضارة « بدت المشكلة في آفاق الرواد الذين اتصلوا بالحضارة العربية هي في الدخول مجددا في اطار الحضارة ولكن من اي باب تدخل مجددا حلبة النهضة

يقول مالك بن نبي لقد واجهت اليابان هذه المشكلة بطريقة منهجية عن قصد بحيث اختارت النموذج الغربي وهي تتعلم ما هو جوهري رئيسي في اختيارها بينما واجه العالم الاسلامي المشكلة كيما تنحل من تلقاء نفسها بقوة الاشياء لا بحكم الفكر

ومن هنا يتضح لنا كيف يتصور المجتمع الاسلامي كما يرى مالك بن نبي في « وجهة العالم الاسلامي » دور الطالب الذي يسافر الى اوروبا فالهدف الوحيد ان يدرس لغة او يتعلم حرفة لا ان يكتشف ثقافة

ولقد ساهمت المدرسة الاستعمارية بوسائلها التربوية في خلق هذا الوضع اذ لم تكن تهتم بنشر عناصر الثقافة الاوروبية بقدر ما تحرص على توزيع معاياتها التي تحيل « المستعمر » عبدا للاقتصاد الاوروبي فهي لا تسعى الى اكتشاف ذكاء تلاميذها او دفع مواهبهم وانما تسعى الى خلق آلات ذات كفاءة محدودة

ولقد نشأ عن هذا الانحراف في زاوية الاتصال بالحضارة الحديثة ان المسلم اصبح في اتصاله باوروبا لا يكترث بمعرفة كيف تم ابداع الاشياء بل قنع بمجرد الحصول عليها ، وهكذا كانت المرحلة الاولى من تحديد العالم الاسلامي ، مرحلة تقتني اشكالا دون بروحها ، فأدى هذا الوضع الى تطور في الكم زاد الحاجات دون ان يعمل على زيادة وسائل اشباعها العرام بكل ما هو مستحدث في جميع طبقات المجتمع

فالطالب الذي يعيش في باريس لا يرى المرأة التي تجمع قبضات العشب لارانبها ، وانما يرى التي تصبغ اظافرها وشعرها ، وتدخن في المقاهي والندوات وهو لا يرى الصانع والفنان مكبين على عملهما ليحققا فكرة على صفحة المادة ، لانه وقد خضع لتأثير معنى المنفعة لم يعد يلاحظ الطاقات الخفية ، الطاقات التي تخلق القيم الاخلاقية والاجتماعية ، والتي تجعل الانسان المتحضر في وضع يمتاز فيه عن الانسان البدائي « فان الثقافة تبدأ متى تجاوز الجهد العقلي الذي يبذله الانسان حدود الحاجة الفردية »

لقد اكتفى الطالب المسلم بقراءة الحضارة فتعلمها دون ان يتذوقها . وقد ادت هذه الى انعكاسات تكف كل تفاعل بيننا وبين اوروبا يلحق بنا في ركب التقدم .

ولكي ندرك حصيلة هذا الاتصال في اطار النهضة العلمية لمجتمعاتنا نرى اننا غرقنا في اطار من المفاهيم الكمية وهكذا اصبح المثل الاعلى كما يقول مالك بن نبي ان يصبح المرء « بحر علم » يردد العلم ويفتقد معنى دوره الاجتماعي واي درس عن التفسير يتيح لنا ملاحظات لثقافتنا التي استعبدتها الصيغ والعبارات

ويضيف الاستاذ مالك

« حين اتجهت الثقافة الى امتداح الماضي اصبحت ثقافة اثرية لا يتجه العمل الفكري فيها الى امام بل يتكس الى وراء وكان هذا الاتجاه المعاكس المسرف مما في اطباع التعليم كله بطابع ميت لا يتفق ومقتضيات الحاضر والمستقبل وبذلك اصيبت الافكار بتغيرة التشبث بالماضي ، كأنما قد اصبحت متنفساته

ولكي نختتم تلك اللوحة التي بسطنا عليه مساوئ ثقافة ما بعد الموحدين « يجب ان نضيف نقيضها التعلق الواهم « بالكم » ونلاحظ حتى ... الذين احتكوا بالثقافة الغربية - والنزوع الى الشعر ونحوه

عند ... بالثقافة الازهرية والزيتونية ومن شأن النزعه الكمية ... يعود المرء النظر الى فاعلية الشيء والى قيمته من خلال الكمية او العدد فتحدد يقوم كتابا ما بعدد صفحاته المكدسة

فالحركة الحديثة ليس لها في الواقع نظرية محددة ، لا في اهدافها ولا في وسائلها ، والامر بعد هذا لا يعدو ان يكون عراما بالمستحدثات فسبيلها الوحيد هو ان تجعل اسمنه ، ربونا ، مقلدا دون اصالة لحضارة غربية تفتح ابواب متاجرها اكثر من ان تفتح ابواب مدارسها

عودة الى الاصول

على انه اذا كان اتصالنا بالعالم الحديث قد انحرف نحو زاوية الاشياء دونما رابط يربطها بفكرتها فان طريق الحضارة لا يمكن حطه تبعا للصدفة باقامة مدرسة هنا ومصنع هناك وسد هنالك ، او بوضع سلة معدنية في جانب هذا الشارع حيث لا احد يفكر في القاء المهملات التي يريد التخلص منها

ان علينا ان ننتقل من تكديس الاشياء الى بنائها وفق اطار من النموذج المستلهم لروح الثقافة ، وهذا هو الشرط الاساسي لفعالية الاقتباس وقيمته في بناء الفكرة والاطار

فالذوق العربي الاسلامي لا يدرك تماما « استغرابه » اعني الاطار الاساسي لقيمة الاشياء المقتبسة من العالم الغربي لانه لم يفكر يوما في ربط الاشياء بالفكرة التي ابدعتها والذوق الذي اضفى عليه طابعه انه لم يفكر في مشكلة النموذج الخاص به كيما يدرك الفواصل التي تفصله عن النموذج الذي اقتبس منه اشياءه ووسائله وهو العالم الاوروبي ، بينما على العكس من ذلك نرى الذوق الغربي يدرك تماما « استشراقه » اعني معرفته بالشرق عندما ...

واذا كان من العبث ان نضع ستارا حديديا بين الحضارة ... والحضارة الحديثة ، فليس من الواجب ... حضارة ان نشتري كل منتجات الاخرى لان ... كمه وكيفا وبالتالي فان الطريق الامثل ان ... التربوية ادراكا تحليليا للمشكلات ... خلال ثقافة تتمثل فيها قيمتنا الاجتماعية

... متأهب لدخول التاريخ لا بد له ان يوظف طاقاته الروحية والفكرية والمادية معا وهذا التوظيف يستمد فعاليته من الارادة الحضارية والامكان الحضاري

اما الارادة الحضارية فهي التي تتصل بلحظة الاقلاع في كل مجتمع حينما تندفع الروح نحو مثلها الاعلى لتغير واقعها وتغير معه التاريخ فالدين هو الذي يلعب هذا الدور دائما حينما تتهيأ مرحلة الاقلاع النفسي المتصل بالارادة ، فانه لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم

والارادة الحضارية هي التي تحقق الامكان الحضاري عبر ما توظف معطياتها المادية والفكرية كيما تحقق اهدافها من خلال وسائلها

فهناك شرطان موضوعيان لا بد من تحقيقهما ان نتبع سياسة تتفق ووسائلنا ـ ان نوحد بأنفسنا وسائل سياستنا

واذا نحن سرنا في التحليل الى ابعد مداه منطلقين من هذين المبدأين الاساسيين فان مجتمعا لا يزال خارج اطار الحضارة لا يجد لديه من عدة يعتد بها غير العدة الاولى التي انطلق بها التاريخ

الانسان ـ التراب ـ الزمن

فتفاعل الانسان مع الامكانات المحيطة به في اطار الزمن الضروري هو الذي دفع التاريخ في مسيرته

والتاريخ حينما يتحدث فانما يتحدث عن الانسان المتحرك في اطاره والمتفاعل مع وسائله والمسيطر على مصيره وانما هي الحضارة تتعاقب عبر العصور

على انه لكي يكون الانسان متأهبا غير متخلف يدفع مسيرة الحياة وفق سننها في التطور لا بد من ان تترابط بينه وبين اخيه اواصر التعاون والتعاون لا بد فيه من رابط يشد الناس بعضهم الى بعض والروابط هذه تكبح الغريزة من ان تسترسل في انانيتها وهي لا تكبحها الا اذا ارتفع الانسان مقاما محمودا في مثله وتلك هي القيم التي يورثها الدين روح الانسان

على ان الروح اذا ما انبعثت بالانسان فانما تندفع به لتوظف طاقاته وفكره طبقا لمثل اعلى ينشر لونه وذوقه ونمطه واسلوبه على رقعته الجغرافية والبشرية معا . فاذا ما ارتسمت معالم هذه الرقعة فذلك هو المجتمع في صورته المتحركة يترك بصماته على صفحة التاريخ فنا وقيما وتراثا وانجازا وتلك هي الثقافة في صورتها التاريخية

فالثقافة كما يقول بن نبي « تتحدد بصفة عامة عندما تصبح تاريخا فتتمثل لاعين الاجيال في صورة معجزة اغريقية او امبراطورية رومانية »

فالثقافة حينما تصبح انجازا تصبح في سجل الماضي ومن العبث ان نقتبس منها نموذجا جاهزا ليصبح المقياس الذي نسبر به مشكلاتنا المستقبلية ومن خلال هذا المفهوم يرى مالك بن نبي مثلا انه لا بد في اطار علم الاجتماع وعلم النفس ان ينشأ علم خاص هو علم اجتماع الشعوب التي لا تزال خارج إطار الحضارة المعاصرة

فعلم الاجتماع الحديث حتى في نظرته الى العالم الثالث انما يستمد مصطلحاته من تجربته الخاصة التي تحكمها ثقافة السيطرة والتي تتعالى عن ادراك التجربة الانسانية خارج حدودها واطارها

ومن هنا فان الطريق الى المشاركة في مصير الانسانية مرهون بقدرتنا على بناء ثقافتنا وفق النموذج المستمد من قيمنا الحضارية التي احتوت الانسانية جميعها فالاسلام ليس دينا فحسب بل انه اطار حضارة امدت عالمنا الاسلامي ذا العقائد المختلفة بالنمط والاسلوب والنظرة الى الانسان نظرة تتفق والحقيقة العلوية المطلقة وبالتالي فان نظرتنا مبرأة من حدود الوثنية التي اغرقت العالم الحديث في حدود الكم واعطت للعلاقات الانسانية مفهوما تبادليا يرتكز على المنفعة المتبادلة وحجرت بينها وبين سائر الشعوب كيما تظل معزولة عن استخدام وسائلها مقهورة بسوط قدرة الكبار مأسورة لوسائلهم ومصالحهم في تقرير مصير الحضارة والانسانية

الافكار القاتلة

وحينما نتطلع بروح جديدة الى النماذج الثقافية المعاصرة فسوف ننظر اليها كمنجزات دخلت سجل الماضي ، وحينئذ سيكون اقتباسنا منها اقتباسا تحليليا غير استهلاكي اننا سنسبر تجربتها بمبضع المدرك لمسيرة هذه الثقافة ودوافع تكوينها ومراحل تطورها وعوامل تآكلها وما اذا كانت في قمة الازدهار او مراحل السقوط والانحدار من خلال ازماتها الناشئة عن اختلال العلاقة الروحية الآخذة بمجامع الادارة نحو التعاون والتآلف

ففي كل ثقافة افكار قاتلة تنبعث عبر مسيرة الحضارة حينما تبدأ مسيرة العقل تمحص ما قد اندفعت فيه الروح نحو المثل الاعلى حينئذ تبدأ الحضارة منعطفا جديدا يوشك بها اذا هي استمرت عبره غير ممسكة بقيمها الروحية ولان فيها افكارا قاتلة فسوف تصبح فيها افكارا مقتولة

لكن مجتمعنا الاسلامي بدلا من ان يرقب الحضارة المعاصرة بروح المنهج التي تدرك الا[...] والمسببات ، اذا به وهو في عالم ثقافي مشحون بالافـ[...] التي فقدت فعاليتها ، يستعين بافكار بدأت تقتل [...] الذي ولدت فيه وتهدد بسقوطه كما تنبأ شبنجـ[...] الرأسمالية والماركسية والفكر التقدمي انما هو [...] اختلال في وحدة العلاقة الاجتماعية بين [...] المجتمع تلك الوحدة التي تكفلت بها بواكير الحضارة المسيحية منذ العصر الكارولينجي فاورثت روح [...] وكانت مسؤولة عن انبثاق عصر النهضة والعصر الصناعي وما تبعهما من اطراد رأسمالي وتطور شيوعي

فالازمة الرأسمالية المبنية على استغلال الطبقة العاملة والحلول الماركسية القائمة على الصراع الطبقي . كلاهما اطراد خاص بمسيرة الحضارة المسيحية التي اختارت مثلها من خلال المنفعة الكمية ، وهذا الانقسام في وحدة المجتمع انما هو المؤشر المبكر لانهيار قد لا ندرك ـ نحن الذين نهو[...] قوة العصر الصناعي ـ مفهومه ومداه

وهكذا يرى مالك بن نبي ان هذه الافكار القاتلة في موطنها ستصبح اشد قدرة على القتل في مجتمعنا حين نستوردها دون الجذور التي لا نستطيع حملها والتي احتوت على مضادات السميات التي كانت تخفف من شدة ضررها في موطنها الاصلي وفقا لتعبير مالك

وعلى هذا النحو يقتبس المجتمع الاسلامي المعاصر الافكار الحديثة والتقدمية من الحضارة الحديثة

ومن هنا فان الخروج من ازمتنا الراهنة انما هو [...] ثقافتنا وفق النموذج الذي يأتلف مع تاريخنا واصالتنا

واذا كنا نرفض اقتباس الثقافة نموذجا وانجازا [...] الحضارة المعاصرة فاننا مضطرون لموقف تحليلي يسمح [...] ببناء ثقافة من خلال عناصرها الاساسية

فكل ثقافة نشهدها انجاز تاريخي ، وهي في [...] سلوك متحرك له لونه ورائحته وتناسقه و[...] ومجموعة هذه المظاهر هي التي تحدد معالم الثقافة و[...] معا ، فنقول هذه ثقافة رومانية وتلك اغريقية واخرى يابانية او هندية

واذا ما نحن حللنا العناصر المشتركة [...] الثقافات نرى انها ترتكز على مبادىء اساسية [...] الاخلاقي ـ الذوق الجمالي ـ المنطق العملي [...]

فالثقافة كما يراها مالك بن نبي تربية [...]

علاقة اجتماعية سليمة وهي مثل اعلى يشد الانسان الى ملكوت. فهي اذن عقيدة في اطار المجتمع وهي صلة مستمرة بين عالم الاشخاص والافكار والاشياء، فهي اذن تعطي اسلوبها الفاعل المنسق المنظم فتأخذ العوالم هذه صورتها المتقدمة المتطورة وتمنح حوها ودوقها وجمالها على رقعتها

ونرتبط الثقافة بالحضارة ارتباطا عضويا في جانبها التربوي انها من الكيان الحضاري القائم عثابة الدم من الجسد بمنحه الحياة فلكي يصبح منهاجا لثقافة لا بد ان تتفاعل اذن مع العوالم الثلاثة في المجتمع عالم الاشخاص وعالم الافكار وعالم الاشياء، وحينها تتضافر هذه العوالم الثلاثة في مسيرة واحدة متناغمة وفي عملية تربوية مدركة لخطواتها وابعادها، فهذه هي الثقافة لانها حصيلة التعاون الخلاق المبدع في اطار المجتمع وهي حصيلة الذوق الجمالي الذي ينتظم ذلك المجتمع من خلال تعاونه الفاعل، وهي حصيلة الفكر المتصل بالاشياء من خلال المنطق العملي الذي يمنح النشاط فعالية وهي حصيلة الخبرة التقنية التي تعطي الثقافة صورتها المتكاملة على صعيد الاشياء

فاذا ما استوت الثقافة على سوقها كانت الامكانيات طوع اليد، والطاقات طوع الفكر، والمصير طوع الارادة وكان التخطيط طريق المجتمع في بناء حضارته، فالحضارة هي الاطار الأعم الذي في داخله تتحرك الثقافة وتحرك بها المجتمع نشيطا منطلقا فاعلا متفاعلا متعاونا

ولا يمكن لمجتمع ان يبني ثقافة من غير مثل اعلى يكون هو المسوغ لكل تحرك وحينما يفقد المجتمع مسوغاته فانه يقع في وهدة العبث والضياع والهيبية والمخدرات مما يعانيه المجتمع الصناعي اليوم، والاسلام في هذا الاطار يشكل قاعدة من القواعد النفسية والتاريخية التي تؤهل مجتمعنا كيما يدخل التاريخ وبالتالي فالفكر الاسلامي مدعو باجراء عملية تحدد مسار حطته ووسائله في دفع المجتمع حتى يستعيد مصيره

وحينما ... من قاموسنا السياسي كلمة استعمار وكلمات ... من وسائل الاستعمار وطرق الامبريالية ومكائدها ... هو دارج في لغتنا السياسية والا ... نتيجة لمرض اساسي اصابنا انه القابلية للاستعمار والصراع الفكري الذي خططت له المصادر الاستعمارية ... احسنت كما يقول مالك بن نبي في كتابه الصراع ... ي» احكام حطتها اذ سلطت على مسرح الاحداث العالمية اضواء على المشكلات الهامشية بينما تركت في الظلام ووراء الكواليس كل رؤية منهجية سليمة تفتح الطريق امام خطط التنمية الفاعلة والمتفاعلة مع حركة التاريخ

فاذا تحدثنا في الاطار السياسي او الاقتصادي او الاجتماعي نرى ان الفكر المنهجي قد استطاع ان يستقطب بوسائله المختلفة خيوط تحركنا لاننا تخلينا عن كل نظرة تحليلية تسبر المشكلات بعقل المؤمن الكيس الفطن

يقول بن نبي «ان هناك حركة تاريخية ينبغي الا تغيب عن نواظرنا والا غابت جواهر الاشياء فلم تر فيها غير الظواهر، هذه الحركة لا تبدأ بالاستعمار بل بالقابلية له لانها هي التي تدعوه»

ومالك بن نبي يرى ان دورنا في الثلث الاخير من هذا القرن ان ندرك ادراكا بعيدا ازمة عصرنا الحديث هذا الذي اصبحت الانسانية رهينة آلته واصبح الفكر والثقافة انعكاسا لازمته القاتلة واضحى المسلم في عالم اقتصاده طاقة استهلاكية وغدت ثروته نهبا لتقلبات النقد العالمي

وان دورنا من هذا الجانب لا يتعلق باللحاق به في اطار التكنولوجيا، فان تسارع خطاها قد جعل سبقه فيها من المحال، فالانسانية تتطلب اطارا ثقافيا يتجاوز حدود الرقعة الحضارية العربية الى الانسانية جمعاء، وان هذه مهمة الاسلام الذي نظر الى الانسان والحياة نظرة فيها القداسة والتكريم ذلك التكريم الذي يستمد اساسه من الاتقان المطلق لكل ما خلق الله وصنع «صنع الله الذي اتقن كل شيء» والاتقان الذي لا يبخس الناس اشياءهم (ولا تبخسوا الناس اشياءهم)

فالعالم الاوروبي بدأ اليوم يشعر بأزمته وأزمة ثقافته في عالم يجنح نحو الانفتاح والتقارب الانساني

والمسلم لا يستطيع ان يمارس دوره في تبليغ الاسلام الا اذا مارس دوره الاساسي في الارتفاع الى مستوى الحضارة

فالاسلام كحقيقة صادقة وصحيحة لا يمكن تبليغها عبر كتاب نكتبه بل عبر نموذج حي يبصره اولئك الذين نخاطبهم بلغة الاسلام فالعالم اليوم يتفاعل بالحدث اكثر مما يستجيب لمنطق الافكار

ومن هنا نرى اهمية فكر ابن نبي الذي تناول جوانب عديدة من حياتنا الاقتصادية والاجتماعية والسياسية عبر كتبه المتعددة وهو في كل ما يحلل انما يرد الامور الى الاصول الاساسية لبناء ثقافة تحرك مسيرة الحضارة وتتفاعل من خلالها الامكانيات جميعا امكانياتنا المادية والروحية التي في جوهرها خلاص الانسانية جمعاء ■■

طرابلس ـ لبنان ـ عمر كامل مسقاوي

العالم التاجر

بقلم محمود المراغي

كان الانسان الاول ينتج ما يحتاج ، يقدم لنفسه الطعام والشراب والملبس والمأوى ووسيلة الانتقال من الطبيعة المحيطة به ، ولكن مع تطور البشرية ، وظهور ما يعرف بالتخصص وابتكار فنون انتاجية مختلفة أصبح التبادل ضرورة ، واصبحت التجارة مهنة ، واصبحت النقود - في مرحلة متقدمة - بديلا للمقايضة لتحديد القيمة

حدث ذلك على مر التاريخ وخلال رحلة طويلة قطعتها البشرية لم تفقد التجارة معناها - كوسيلة لسد حاجة ما او تعبير عن فائض في الانتاج او الاثنين معا ، وهي القاعدة السائدة

يصدق ذلك على الافراد ، والجماعات ، والدول فالتبادل يعكس في النهاية موقف الانتاج وموقف الاستهلاك والتعامل مع الغير يسبقه تعامل مع الذات يحدد الموقف الاقتصادى لهذه الدولة او تلك ، او هذه الجماعة او تلك

واذا راجعنا أرقام التجارة العالمية ، فسوف نجد الترجمة الدقيقة لذلك

كانت صادرات العالم عام ١٩٨١ ، ووفقا لأرقام « الجات » (١٩٧٠) مليار دولار احتلت الدول الصناعية منها نصيب الاسد (١٢١٥ مليارا) واحتلت المجموعات الدولية الاخرى من عالم ثالث وكتلة شرقية النصيب الأقل

و نفس الشيء على مستوى الواردات ، التي بلغت في ذلك العام (٢٠٣٠) مليار دولار من بينها (١٣١٥) مليارا للدول الصناعية وحدها

معنى الارقام ، ان الدول الصناعية التي شكل سكانها في نهاية السبعينات (١٥٫٦٪) من السكان ، تستأثر وحدها بـ ٦١٫٧٪ من الصادرات و٦٤٫٨٪ من الواردات

وبصيغة اخرى فان أقل من خمس سكان العالم يستأثرون بثلثي تجارته على وجه التقريب

و استطرادا للمعنى فانه يمكن القول - والتجارة تعبير عن الانتاج - ان ذلك الجزء من العالم يقدم الجزء الاعظم من الانتاج بينما يقدم الجزء الاعظم من السكان - وهم بقية العالم - الجزء الاقل

وتأكيدا لذلك فان سكان العالم الذين بلغ تعدادهم - طبقا لارقام البنك الدولي ٣٢٧٠ مليون نسمة عام ١٩٧٩ كان ٧٦٫٨٪ ، منهم من ينتمون لما نسميه العالم الثالث ، وكان نصيب هؤلاء - اى ثلاثة ارباع العالم تقريبا - ربع التجارة العالمية فقط عام ١٩٨١

اللاتوازن اذن هو القاعدة السائدة في العالم والتفسير اذن ان انتاجية الفرد في العالم الصناعي

تريد عدة اصعاف عن انتاجية الفرد في العالم النامي قد تدحل بعض العوامل التي تجعل المقارنة غير دقيقة ، فالعالم المتقدم يعرص شروطه واسعاره ، والعالم النامي يخصع ويدفع ويتبع السلع الصناعية مرتفعة دائما ، والسلع الاولية منخفضة السعر في اغلب الاحيان والفرق بين الاثنين يمثل ثمن العمل ، او الجهد البشرى الذى يحيل الخامات الى سلع مصنوعة ولكن ، وهنا ايصا ، يختلف سعر العمل في الدول الصناعية عن غيرها ، واذا كانت التكنولوجيا الحديثة ووفرة الموارد قد جانت انسان العالم المتقدم ، فان النظام الاقتصادى العالمي ، وسيطرة الاقوياء ، وسطوة النظام ، الرأسمالي جعلت لوحدة العمل في الشمال ثمنا آخر غير الذى تتقاضاه ابناء الجنوب ربما لنقص الانتاج او الانتاجية

واذا كانت هذه هي الصورة العامة التي تعكسها أرقام بسيطة واجمالية في التجارة ، فان التفاصيل تقدم جديدا آخر

لقد سادت ظاهرة اللاتوازن في كل العالم عدا كتلة واحدة حددتها ارقام « الجات » بالكتلة الشرقية فالتوازن يكاد يكون تاما بين صادرات الدول الشرقية ووارداتها يصدق ذلك على عام ١٩٨١ ، عام ١٩٨٠ على السواء

الاكثر من ذلك ان التوازن يكاد يكون تاما ايضا من عدد سكان هذه المجموعة الدولية ، وبين نصيبهم في التجارة الدولية وفقا لارقام البنك الدولي كان سكان اوروبا الشرقية عام (٧٩) ١٧ر٨/ من [illegible] العالم ، و في ذات الوقت ووفقا لأرقام [illegible] ة عام ١٩٨١ ، كان نصيب هذه الكتلة [illegible] ٩/ من صادرات العالم و(٧٦ر٨/) [illegible] راته

هو ادن العالم الوحيد المتوازن وما عداه فقد توازنه بالتفوق او بالتخلف

واذا استرسلنا في دراسة « اللاتوازن » سوف نقف على حقيقتين

الاولى ـ استمرار وجود فائض كبير في موارد دول الاوبك التي صدرت بما قيمته (٢٧٠) مليار دولار عام ١٩٨١ واستوردت بما قيمته (١٥٥) مليار ، وبما يعني وجود فائض تجارى قيمته (١١٥) مليارا (وبالطبع فان ذلك لا يعني بالضرورة ان الفائض المالي بنفس القدر ، فمن هذا الفائض تدفع دول الاوبك ثمن تجارة اخرى في مجال الخدمات كما تدفع التزامات دولية مختلفة ابرزها المعونات الاقتصادية)

الحقيقة الثانية ـ استمرار عجز الدول النامية الأخرى ، والذى بلغ في العام الماضي (٦٥) مليار دولار وهو ما يزيد مديونية هذه الدول عاما بعد عام

ويعتقد الغرب ـ وتتبنى المنظمات الدولية هذا المدخل ـ ان علاج الخلل في التجارة أي بحرية التجارة ، فعندما يزيد التدفق السلعي ، تنشط مراكز الانتاج وتزيد نسب النمو

ولكن

بالتجربة لم يستطع الغرب ان يرفع كل الحواجز ، وان يحرر كل التجارة

وبالتجربة لم يستطع العالم النامي ان يزيد من نسب نموه عن طريق انفتاح تجارى ، فقد قلت نسب النمو ، وزاد الاعتماد على الخارج خلال تجربته في تحرير التجارة

على اى حال ـ ومن خلال دعوة الحرية ، وغيرها من عوامل ـ حقق العالم الصناعي هذا التفوق الذى تعكسه ارقام التجارة واصبحت المشكلة في سلة العالم الثالث ماذا يختار ليصلح الميزان ؟

اعداد : مصطفى نبيل

الحرية الأكاديمية

بقلم : الدكتور السيد عمار

في مجال الحديث عن الحرية تذكر ألوان مختلفة منها حرية الفكر والتعبير وحرية العقيدة والعبادة والحرية السياسية وحرية المرأة وغيرها من الحريات المتعارف عليها الا أن هناك شكلا من أشكال الحرية لم ينل القدر الوافي من التعريف به في مجتمعاتنا ويعرف باسم الحرية الأكاديمية وتعتبر الحرية الأكاديمية نوعا من الحصانة التي تمنح لأساتذة الجامعات والعلماء والمدرسين بحكم دورهم الهام والفعال في المجتمع

والحرية الأكاديمية تعني حق الاساتذة والباحثين خصوصا في الجامعات والكليات في الدراسة والبحث والتدريس في مجال تخصصاتهم دون خوف من السلطة، ودون أي قيد من الادارة، أو تهديد بفصلهم أو عزلهم من عملهم ويستند هذا الحق الى أن البحث والتنقيب الحر والمفتوح في شتى المجالات هو أساس التقدم العلمي، والاكتشاف والابتكار، وتنمية العلم والمعرفة كما أن هذا الحق أساس ضروري للعملية التعليمية وحسن الاداء بالجامعات والمعاهد والبحوث

والحرية الاكاديمية معترف بها في البلاد المتقدمة وهي التي تعتبر التعليم وسيلة لزيادة التوسع في حجم المعرفة وليس مجرد وسيلة لتكرار وزيادة المعلومات والحقائق المعروفة دونما اي تجديد، كما ان الحرية الاكاديمية تضمن ان يكون بقاء الاستاذ الجامعي في وظيفته وترقيته مرتبطة بكفاءته العلمية وبسلوكه الذي يتفق مع تقاليد الجامعة ومعايير الشرف والاخلاق المهنية نابذة بذلك اي معايير اخرى مثل الانتماءات السياسية او التعصبات الدينية او الانتماء العرقي

ولقد تبلور المفهوم الحالي للحرية الاكاديمية في القرن السابع عشر وان كانت قد عرفت درجة معينة من الحرية الاكاديمية في العصور الوسطى، وهي مجرد بعض الحقوق القانونية مثل حق الاستقلال في الادارة والحماية المدنية للنقابات الجامعية، وحتى في اوائل القرن السابع عشر كانت الاكتشافات العلمية خاضعة لاعتبارات فقهية ودينية، وكانت الآراء المتعارضة مع المعتقدات الدينية السائدة في ذلك الوقت تعتبر ضربا من البدع والضلال وليس ادل على ذلك من غضب البابا بول الخامس على جاليليو ومحاكمته وادانته ومصادرة ابحاثه التي اثبت فيها ان الارض تدور حول الشمس بعكس ما كان معتقدا في ذلك الوقت من ان الارض ثابتة وان الكون يدور حولها ولكن جاليليو عندما هم واقفا بعد ان كان جاثيا على ركبته همس بقوله الشهير «ولكنها تدور فعلا»

وتعتبر الجامعات الالمانية من اوائل الجامعات الاوروبية التي طبقت الحرية الاكاديمية بمعناها الحالي فجامعة هالة التي انشئت في عام ١٦٩٤ وجامعة جوتنجن التي تأسست في عام ١٧٣٧ حظيتا بقدر عظيم من الحرية الاكاديمية بعد وقت قصير من انشائهما، واما جامعة برلين التي بدأت في عام ١٦١٠ فقد اكدت حرية التدريس والتعليم والبحث العلمي واكدت ريادة المانيا للحرية الاكاديمية في القرن التاسع عشر، ومع تقدم العلوم التجريبية وانتشارها ونتيجة لتقلص قبضة رجال الدين عن الجامعات فقد تمتعت الجامعات الاوروبية والامريكية بقدر كبير من الحرية الاكاديمية، وبالرغم من ذلك فقد بقيت الامتحانات الدينية في انجلترا شرطا للحصول على الدرجة العلمية والمنح الدراسية ووظائف التدريس الى ان تلاشى ذلك في نهاية القرن التاسع عشر

واحب ان اشير الى ان جامعة الازهر الاسلامية اقدم جامعة معاصرة في العالم عرفت الحرية الاكاديمية بمعناها الحديث،

ورغم ازدهار الحرية الاكاديمية في الدول الاوروبية

وامر   ي النصف الاول من القرن العشرين الا انها تعرضت   هزات شديدة عصفت بها وكبلتها بالاغلال والقيود وكنتيجة لظهور الانظمة الشمولية والديكتاتورية في ايطاليا والمانيا وروسيا   ففي ايطاليا فرض على الاساتذة والمعلمين ان يتعهدوا ويقسموا بتأييد الفاشية وكذلك مورست الضغوط في المانيا على المعلمين لتدريس النظريات التي تتسم بالعنصرية وعلى ان يكون ولاؤهم للنازية الهتلرية

أما في الاتحاد السوفيتي فان الحرية الأكاديمية بمعناها الغربي غير معروفة اذ أن أنظمة التعليم والبحث العلمي يجب أن تكون في خدمة المذهب الشيوعي وأن تكون نابعة من تعاليم الماركسية اللينينية ،

والضيق على الحرية الاكاديمية حدث أيضا في أمريكا في القرن العشرين وتمثل في محاكمة المدرس الامريكي توماس سكوبس في مدينة دايتون بولاية تنيسي في عام ١٩٢٥ فقد حوكم هذا المدرس وأدين لأنه درس نظرية التطور (نظرية دارون) مخالفا بذلك قانون الولاية الذي يمنع تدريس النظريات المخالفة للكتاب المقدس في المدارس العامة   ورغم ادانة المدرس الا أن محاميه استطاع أن يحاصر ممثل الادعاء وهو وزير خارجية أمريكي سابق ومرشح سابق لرئاسة أمريكا ، وأثبت أن ممثل الادعاء يجهل النظريات العلمية الحديثة مما سبب حرجا شديدا لطائفته الدينية التي كان يتزعمها   ومازال هذا القانون موجودا للآن ولكنه لا يطبق

وفي اعقاب الحرب العالمية الثانية كان هناك خوف شديد في أمريكا من تغلغل الحزب الشيوعي في حقل التعليم كما اتهم بعض المعلمين بعضويتهم في الحزب الشيوعي أو ولائهم له   وفصل بعض المعلمين على أساس أن انتماءهم للحزب الشيوعي أو ولاءهم له يستتبع استغلال وظائفهم في ترويج مبادئه بين طلبة المدارس مما يتنافى مع تقاليد وآداب مهنة التدريس

وعندما ظهرت المكارثية في أوائل الخمسينات وبدأت تحقيقات الكونجرس في تهمة الشيوعية المنسوبة الى الكثيرين   ومع هذا فقد قضت المحكمة العليا بحق الكونجرس في استجواب الاساتذة والمعلمين عن عضويتهم   الحزب الشيوعي

وفي   لعربي انتشرت شعارات العلم من أجل المجتمع   بعض الدول محاربة بذلك العلم من أجل العلم   تكون الابحاث تطبيقية وليست أكاديمية وداعية   أجل السياسة في الامور العلمية يعد من والواقع

معوقات التقدم العلمي ولا يمكن أن تكون هناك أبحاث تطبيقية بدون أبحاث أكاديمية

كما تعرضت الحرية الاكاديمية في بعض الدول العربية الى اعتداءات صارخة مثل الاستغناء عن بعض أساتذة الجامعات ونقلهم من وظائفهم لمجرد الشك في ولائهم للسلطة   ومازلت أتذكر منشورا طلب فيه من الاساتذة عدم الادلاء بأية معلومات علمية أو غير علمية للصحف أو كتابة مقالات للصحف أو المجلات دون الرجوع الى العميد شخصيا ، واعتبر البعض ذلك قيدا على الحرية الاكاديمية مما سبب لهم المتاعب   وحتى أوائل الستينات من هذا القرن ، كانت الحرية الاكاديمية حقا للأساتذة فقط ، مما دعا الطلبة الى اتخاذ مواقف عنيفة ومظاهرات سادت امريكا واوروبا في الستينات واوائل السبعينات

وطالب الطلبة بحقهم في الحرية الأكاديمية الذي يتمثل في مطالبتهم بأن يكون لهم دور فعال في وضع المناهج الدراسية وتقييم الأساتذة ونظم الامتحانات وفي الحياة الطلابية وتمثيلهم في اختيار رؤساء الجامعات والعمداء والاشتراك في ادارة الجامعة   وربما كان لتورط القوات الأمريكية في فيتنام في ذلك الوقت أثر كبير في اندلاع مظاهرات الطلاب واشتباكاتهم مع قوات الأمن واحتلالهم للجامعات   ولقد حقق الطلبة الكثير من مطالبهم ومازلت أذكر نداء في احدى الصحف الجامعية في أمريكا موجها من حكومة الطلبة بالجامعة الى الطلاب لابداء رأيهم في أساتذتهم من أجل المصروفات التي يدفعونها للجامعة

وكان الاتجاه السائد في كل دول العالم هو منح الطلبة الكثير من التنازلات لتهدئتهم وامتصاص ثورتهم والحد من أعمال العنف   ولقد وصف أحد الأكاديميين الأمريكيين هذه الفترة بأنها عصر قوة الطلبة وعصر ضعف وتدهور قوة الأساتذة

وبانسحاب القوات الأمريكية من فيتنام في عام ١٩٧٣ وانهاء التجنيد الاجباري أخذت مواقف الطلبة تتسم بالهدوء النسبي واختفت المظاهرات   بينما اشتدت حركة العنف بين الطلاب في أوروبا الغربية وأدت الى تكوين تنظيمات عنف وارهاب في ألمانيا الغربية وايطاليا ودول أخرى

ومن أجل تأكيد الحرية الأكاديمية لأساتذة الجامعات والمعلمين في أمريكا وجدت عدة هيئات مثل الجمعية الأمريكية لأساتذة الجامعات وجمعية التعليم القومي تتولى الدفاع عن مصالح الأساتذة والمعلمين

وتقوم هذه النقابات بالدفاع عن الأساتذة في حالة

فصلهم أو انهاء خدمتهم دون سند قوي أو تأخير ترقياتهم كما أن هذه التجمعات المهنية تعترض على الولاء الذي تطلبه بعض الجامعات ، وتعتبر ذلك تعديا على الحرية الأكاديمية

وهناك اجماع على ان هيئات التدريس في ... و لتعليم العالي هم حجر أساس مؤهلين لتطبيق ... العليا من الأخلاقيات والتقاليد الجامعية و ... حفاظهم على أداء القسم

المعاهد الأجنبية

بقلم : حسن عيتاني

سألتني احدى الآنسات في باريس

ـ هل عندكم شعر وشعراء ؟

عجبت كثيرا من هذا السؤال ، تلقيه على آنسة جامعية وأجبت ألم تدرسي شيئا عن العرب وآدابهم في العصور القديمة والحديثة يا آنسة ؟

ـ أبدا لا شيء

ـ ولكنك لو سألت آنسة من أوانسنا ، أو شابا من شبابنا الذين تثقفوا ثقافة ثانوية ، ولا أقول جامعية ، عن أي شاعر أو أديب فرنسي ، لاجابك بتوسع ، ولانشد لك شيئا من شعره ، وذكر لك مؤلفاته ، وناقشك في خصائص أدبه ، ولما احتلمت معلوماتك عن معلوماته في شيء

ـ عريب اذا أنتم شعب مثقف

ـ نعم يا آنسة مثقف ثقافة أجنبية قلت ذلك بابتسامة ساخرة شاركتني فيها تلك الآنسة التي تجهل عن العرب وبلادهم وآدابهم كل شيء

ودخل أحد أساتذة الأدب الفرنسي المنتدبين للتدريس في معهد ثانوي من معاهد لبنان الوطنية ، على طلاب صف البكالوريا بعد الحرب العالمية الأولى فابتسم عند أول مقابلة وأخذ يتفرس في وجوههم وملابسهم ويزداد ابتساما وهو صامت لا ينطق ولا يبين فقال أحدهم يبدو أنك مسرور برؤيتنا ، وبالاجتماع بنا ، والتعرف الينا يا أستاذ ، فنحن نشكرك على هذه العاطفة فأجاب ، وهو يهز برأسه « أقول لكم بصراحة ، اني أضحك من نفسي هذه أول مرة أخرج فيها من فرنسا بعد أن نلت شهادة الليسانس في الآداب ، وحين انتدبت للتدريس في لبنان كنت أحمل في نفسي صورة خيالية شعرية عن هذه البلاد التي عرفت أنها جزء من البلاد العربية حسبت نفسي سأحضر الى صحراء رملية جميلة يظلل النخيل واحاتها وانني سأجد الطلاب جالسين على الحصر بعباءاتهم التقليدية لقد أوصتني والدتي كثيرا بأن أحترس وأكون على حذر حتى لا أذهب ضحية العلم فأنا ذاهب لتمدين شعب بدوي متأخر لا أدري متى يحلو له أن ينقلب علي فيجعلني شهيدا من شهداء التعليم

لقد حملتني والدتي صندوقا من الشوكولاته وهي تودعني وتذرف الدمع سخيا وقالت « احرص باعرابي على هذا الصندوق ، فستمكث سنة أو سنتين ، من يدري لا تعرف طعما للشوكولاته وأنت الذي تعود منذ صغره أن يأكل لوحا أو لوحين منها كل يوم

قال ذلك وقهقه ضاحكا وقهقهنا نحن معه

ان الأوروبيين ، والأجانب بصورة عامة ، لا يعرفون شيئا عنا أما نحن فنعرف عنهم كل شيء بينما نجهل أنفسنا وبلادنا وتاريخنا

سل أي طالب تخرج من معهد أجنبي فرنسي في لبنان عن أصغر نهر في فرنسا ، وعن موقع أي بلد شئت وعن الصادرات والواردات وعن القادة والشعراء والأدباء وعن تاريخ تلك البلاد وجغرافيتها فانه يجيبك بالتفصيل وسله عن أقرب بلد عربي اليه سله عن ... وعن

عن مصر ال سله عن لبنان مصه تحده حاهلا
حجي هدا العالم الذي يعيش فيه
هد قل في الطالب الذي ينشأ في المدارس التشيرية
نكلمريه والأمركية والايطالية
مسعره وروب الثقافة لا تزال تحتل المركز الاول في
معصه وثقافتنا الوطنية ، ومنهج تفكيرنا فكيف
و ان تخلق تلك المدارس مواطنين صادقين يتحلون
عه الوطنية الصادقة والاحساس القومي العميق

ن الوطنية الصادقة والايمان القومي لا ينشقان الا من
مة واداما . والتاريخ والجغرافية والتربية الوطنية
لما درس الناشيء لغته أحبها وآمن بقدرتها على الحياة
لخلود وكلما عرف تاريخ بلاده ازداد تعلقا بها وايمانا
برامتها لقد دخلت البعثات الأجنبية بلادنا مند
ن ، وهي تحمل رسالة تبشيرية استعمارية ، فاتخذت
لم ستارا لها وكانت لدينا مدارس وبعثات ايطالية
رنسية وانكليزية وألمانية وروسية وأمريكية خلقت هذا
لخلل الفكري والقومي الذي نراه بيننا ، وأحدثت تلك
صبيات الطائفية وحطتها حتى جعلت تفكيرنا
مصالحنا المشتركة ووحدتنا الاجتماعية رهينة الذين
سرعات الملية ، وحتى اضطرت المخلصين من أهل
لاد الى انشاء معاهد تقاوم هذا التيار الأجنبي الجارف ،
ف في وجهه لتحفظ لقسم كبير من أهل البلاد دينهم
سرونتهم وتاريخهم فكانت هذه المؤسسات نفسها
بيرية وطنية ، وظلت في نزاع عقائدي وثقافي ، مع
معاهد الأجنبية حتى يومنا هذا ان المعاهد الأجنبية في
ان هي اليوم مراكز دعاية استعمارية لدولها ، ومبعث
رقة وتناقض لسكان البلاد ولقد أدركت خطورتها
من البلاد العربية منذ أمد قريب فقاومتها بالأساليب
طنية الفعالة حتى قضت أو كادت تقضي عليها لقد
أ ظل تلك المعاهد يتقلص عن كل بلد عربي ليتمركز
سع وينمو في لبنان ، حتى يظل هذا البلد - كما يريده
جانب لا كما نريده نحن - أمينا على علاقته التقليدية مع
ل تلك المعاهد التي تسيطر عليه ثقافيا ، وتخلق منه مركز
شعاع للشرق والغرب اشعاع موبوء اشعاع قد
يء في كل مكان الا في نفوس أبنائه وقلوبهم
موسهم

ان المع الأجنبية تعرض نفوذها بشكل مباشر وغير
اشر عن ولة نفسها والبرهان على ذلك أن احدى
ت المؤ الكبرى قد فرضت ارادتها في تعيين وزير
وص ن الخارج ، وحين تم لها ذلك اضطرت

احدى المؤسسات المناهضة لها الى فرض وزير مفوض آخر
في الخارج عملا بسياسة التوازن والمساواة وكانت
الحكومة متسامحة في قبول الفرضين وان سياسة المعارف
في لبنان ، ومناهج التعليم لا تزال تحت سيطرة هذه المعاهد
بشكل مفضوح ، ولا تزال اللغة العربية مساوية للأجنبية
لا ميزة لها ولا أفضلية

ان في استطاعة لبنان اليوم ، وهو في عهد استقلالي
حديث ، أن يفرض سلطته على تلك المعاهد ، فيضمن
توجيهها وفق سياسة الدولة على الأقل ، ويعمل على
صهرها في بوتقة التوجه الوطني الحديث فيفرض عليها
معلمين يختارهم للغة العربية وللتاريخ والجغرافيا والتربية
المدنية ليضمن الروح الوطنية في ناشئتها ولكنه لم
يعمل وفي ظننا أنه لن يعمل وفي يقيننا أن هذه
المعاهد ستنمو وتتسع وتزداد في هذا العهد ، أكثر مما كانت
عليه في عهد الانتداب فقد كان ذلك الانتداب يشجع
لونا واحدا منها ، أما اليوم فتشجع الانتدابات - وما
أكثرها - جميع الألوان والمذاهب واللغات ، وتفتح
الحكومات أبواب البلاد على مصراعيها لكل من يدعي
- خدعة - أنه يحمل لنا رسالة العلم والفكر والاشعاع

ان الواجب القومي يحتم علينا بانشاء جامعات لبنانية
كثيرة ، وأن نلغي كل معهد أجنبي لا يحترم اللغة العربية
كل الاحترام ، ولا يجعلها المحل الاول في مناهجه ، ولا
يدرس آدابها بتوسع ولا يعنى بتاريخ العرب وجغرافية
بلادهم ، ولا يرفع اسم محمد وعيسى عاليا كأصحاب
رسالة وحدت خير البشر لا لتفرقتهم نحن لسنا بحاجة
الى تبشير ، فالاديان تسري في دمائنا ونحن على استعداد
لتصدير أكبر عدد من المبشرين ورجال الدين الى الخارج
ليحملوا الى الوثنيين والمتأخرين من البشر رسالة الأديان
السماوية ان في لبنان من رجال الدين ما يكفي لغزو
أفريقيا كلها وحمل قبائلها الوثنية وشعوبها البدائية متدينة
مؤمنة برسالة عيسى ومحمد

واذا لم يكن لنا بد من التعليم الديني ، فلتكن لنا
مدارس وطنية أهلية وحكومية تعلم مبادىء الدينين
الاسلامي والمسيحي معا فيفهم الناشيء اللبناني تلك
الحقائق التي جاء بها عيسى ومحمد ، ويؤمن بخيرها
ونفعها ، ويتفتح قلبه لتقبل رسالتها الروحية السامية التي
تبعده عن كل تعصب ذميم

لا يجب أن نفرح بجلاء الجيوش الأجنبية عن بلادنا ،
بل يجب أن نبتهج ونفرح بجلاء المعاهد الأجنبية عن
تفكيرنا وأرواحنا فالجلاء عن الفكر والروح هو الجلاء
الحقيقي ■■

العامية انفصالية

بقلم: حامد السويداء

تحتل اللغة العربية لدى العربي منزلة سامية تبلغ مبلغ القداسة والتقديس فهي أم اللغات واعرقها وأصلها واعظمها واشرفها قاطبة وقد كرمها الله تعالى فجعلها لغة قرآنه الحق ، فهذه اللغة تتمتع بكمال أمثل وجمال نموذجي يتمثلان بفصاحتها وبلاغتها الفريدتين ، ويدعم ذلك ما تتسم به من قوة ومتانة وجزالة من دقة ورهافة وسلاسة من لين وطراوة ومرونة ، من رقة وحلاوة وعذوبة ، من رونق وجاذبية ، من خصب وامتلاء وثراء ، من حيوية وفاعلية وخلق ، من ترتيب وتنظيم واتساق ، من تناغم وانسجام وتناسق مما يمنحها القدرة على استيعاب مختلف نشاطات الروح والعقل والقلب والضمير والمخيلة والحس ، وغدت اللغة في حاضرها كما في ماضيها تهيمن هيمنة ايجابية شاملة على العالم الاسلامي الجديد ، وغدت اللغة الفريدة للادب والدين والعلم والفن والفلسفة والسياسة ، وأصبحت الوعاء الكلي الأوحد للثقافة العربية السائدة

وقد ادرك أعداء العروبة والعربية قيمة وأصالة لتكوين الحضاري للأمة العربية فسعوا جاهدين للنيل منها بشتى الوسائل وانتحوا طريقين اثنين في هجومهم عليها ـ الطريق الاول العبث بها مرة من الداخل عن طريق دعوات مغلوطة لاستبدالها باللهجات المحلية بها تكريس واقع انفصالي والطريق الثاني التهجم عليها من الخارج والتشكيك بقدرتها على استيعاب فاعلات النشاط الانساني ، وقصورها عن التعبير عن مدا التفاعل وافتعال الثغرات الوهمية في كينونتها البنيوية ـ ولكن هذه العدوانية على اللغة العربية كانت خاسرة كل مرة وتحطمت كل محاولات العبث والافساد كل الدعوات الانفصالية ، وكما اثبتت اللغة العربية اصالتها في الماضي فكانت وعاء تراثيا في الدولة الاسلامية الممتدة من الصين شرقا حتى البروفانس جنوبا وفرنسة غربا ، يؤكد ذلك إستخدام العربية لكتابة الفارسية والأوردية والتركية والملاوية دون أي تعديلات في شكلها وولادة الشعراء التروبادور من عمق العربية الأندلسية

تاريخ الدعوات العامية

إن النزاع القائم ما بين اللغة العربية الفصحى واللهجات العامية المحلية نزاع قديم من حيث نشأته وتطوره حيث كان يأخذ أبعادا مختلفة في كل دور وزمن فمرة كانت عن طريق الدعوة الى ابدال اللهجة العامية المحلية باللغة العربية الفصحى وخاصة في ميدان كتابة القصة والمسرحية ، ومرة اخرى عن طريق الدعوة الى إبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية ومرة من طريق الدعوة الى استعمال العامية في الأعمال التمثيلية في وسائل الاعلام المختلفة وفي الشعرية العامية ايضا وان هذا النزاع بعيد الأمد بين الفصحى والعامية كان الدافع الرئيسي له تلك الأطماع السياسية والمحلية والاقليمية والتي بدأت في الربع الاول والثاني من القرن العشرين عندما عمد بعض الادباء الى تبني الفكرة وان دعم التيار القائل بضرورة استعمال اللهجة المحلية وكان من بين الاوائل الذين نادوا بهذه الفكرة في مصر الدكتور محمود عزمي والكاتب توفيق الحكيم وفي العراق الاديب انور شاؤول وظهرت هذه الدعوة المبكرة في فترة كان للاستعمار مصلحة خاصة في تبنيها وترويجها عبر أسس لا تستند الى أية مرتكزات علمية ، ووجد المتحمسون لها انه ليس في وسع اللهجات العامية مجاراة الفكر العربي المتطور ، غير أن الفكرة عادت فظهرت لتتحدث من امثال يوسف العاني وشاكر خصباك وسعد حورانية ويوسف الخال وغيرهم أقنية للتمدد والانطلاق عبر الواقع الذي يمكن ان يتحول تسجيلا تاريخيا موضوعيا

قد اثبت ان ما قام به هؤلاء لم يكن بأكثر من انتفاضة عرير به سرعان ما تلاشت ودفنت في طيات أكفانها

ولا بد من الاشارة الى ان الدعوة الى استخدام اللهجة العامية كانت قد لقيت في البلاد العربية خلال الحكم الاجنبي دعما وتشجيعا من قبل المستعمر ، فمن شانها ان تقوى التفرقة وبالتالي أن تجعله أقدر على التحكم في البلاد العربية التي لهم فيها مصالح واستثمار غير محدود

ثم عادت العامية الى الظهور في منتصف الربع الثالث للقرن العشرين على يد أحد كبار الشعراء العرب وهو الشاعر اللبناني سعيد عقل الذي لا يعرف الوقوف عند حدود منطقية علمية أو تاريخية-حيث دعا الى اصطناع اللغة العامية كوسيلة للتعبير في الكتابة ، وبتجاوز ذلك بدافع من أفكاره الذاتية غير المتكاملة لنقول انه علينا ان نستبدل الابجدية اللاتينية بابجديتنا على نحو ما قام به كمال أتاتورك في تركيا عام ١٩٢٤ ، وان هذه الدعوة ليست من مبتكرات الأديب سعيد عقل وانما كانت تأثرا واستمرارا نرجسية متقدة بالاسقاطات التاريخية التي ابتليت بها اللغة العربية

وكان الرد الحاسم على دعوات سعيد عقل ما قاله العقاد « إن في حروف العربية وخطها من كمال ومرونة ما يصعدان بها درجات فوق اللاتينية في احكام كتابة الالفاظ والاصوات » وكما تأكد شأن دعوة سعيد عقل العاصفة انه لدى جمع مفردات وكلمات العامية وجدت لا تتجاوز الخمسمائة كلمة بينما تتطلب الحياة العلمية المتطورة عشرات آلاف الكلمات لا بل مئات الآلاف لنستطيع التعبير عن المدركات الجديدة التي جاءت حصيلة لتطور الفكر الانساني . صحيح أن في لغتنا الفصحى كلمات نسيت أصولها غير ان هذه الكلمات ظلت حية في طاقاتها التولدية . كما ظلت ايضا تراثا مدنا بما نحتاج اليه من مضامين ومعان جديدة لكل مشكلة فكرية تعترض تطورنا الذي لا يعرف للتوقف أو التردد معنى . ولا ننسى في هذا المجال ان نذكر اقطاب الحركة ... ية التي كانت تشكل قطاعا عريضا على امتداد ... العربي والتي تصدت لحركة الردة الفكرية التي ... الداعون الى العامية . وكان على رأس الحركة ... ة المناهضة عبد الرحمن عزام وعباس محمود العقاد ... ه الاخير الذي تصدى بفكره وكتاباته لكل

الدعوات الانفصالية والعامية وبرهن على انحطاطها وارتباطها بمخططات اعداء الامة والعروبة

ان البلاد العربية ليست كلها على مستوى واحد من حيث الثقافة والتطور الاجتماعي غير ان هناك عوامل مشتركة تجمع كثيرا من تياراتها المتعددة ، كما في نفوس ابنائها النزوع الى وحدة شاملة ذات سيادة وتحرر مطلقين ، ولعل من اقوى هذه العوامل المشتركة عامل اللغة الفصحى التي تجمع جمعا ذهنيا قويا بين السوري والمصري والعراقي والتونسي والاردني والكويتي والجزائري واللبناني والمراكشي والفلسطيني تلك الاقليميات المزعومة التي صنعها الاستعمار

ان الانصراف عن الفصحى التي هي اللغة المشتركة بين الاقطار العربية والتي تحفظ التراث العربي الفني وتصونه عبر احداث التاريخ - أقول - ان الانصراف عنها الى اللهجات المحلية العامية شأنه ان يجعل بالتالي لكل بلد عربي لغته الخاصة تنشق من لهجته المحلية ثم تتطور وفق الحاجات التي تعترض سبيل ابنائه في حياتهم اليومية تتطور بالتالي فتصبح اداة انفصال وانعزال ومن شأن مثل هذه النتيجة في سيكولوجيا الافراد والجماهير ان يضعف من صلة الرحم ، وان يجعل التراث العربي الفني مادة متحجرة تفتقر الى مقومات الخلق والابداع والتوجيه . لقد كانت اللغة اللاتينية في اوروبا خلال الفترة التي تلت القرن الخامس عشر لغة الكتابة والتأليف كما كانت اللغة التي يعمد اليها رجال الفكر في شحن المضامين الاكاديمية على مختلف انواعها ثم اصبحت اللغة اللاتينية لغة قديمة بعد ان اخذت اللهجات المحلية لكل بلد اوروبي تتطور في لغات خاصة لها متبعدة في ذلك عن الأصول والجذور التي نشأت فيها ، وكانت في يوم ما أداة ربط وصلة ويعرف رجال التاريخ كيف ان زوال اللغة اللاتينية كان له تأثير مباشر في عزل الشعوب الاوروبية بعضها عن البعض الآخر ، وفي المساهمة في تكوين كيانات مستقلة مختلفة ، واذا تم عندنا ما تم عند الأوروبيين فانا لا شك سنصل في الوطن العربي الى حدود نضطر عندها أن نستخدم تراجمة لنتفاهم مع ابناء بلد عربي آخر ، ولا شك أن هذا أقصى ما يصبو اليه الاستعمار وخاصة بعد معرفته أن من شأن اللهجات المحلية أن تقف عقبة كأداء في سبيل وحدة الأمة العربية والتي لم يستطع أي تيار أجنبي أن يخفف من شدة نزوعها ومن قوة أصالتها

رسالة من كوسوفا

بقلم الدكتور محمد موفاكو

تعتبر المناطق الواقعة حاليا داخل الاطار اليوغسلافي ، والتي كانت سابقا داخل الاطار العثماني ، من أغنى المناطق في أوربا بالطرق الصوفية وبشكل عام ، يمكن أن نقول ان كافة الطرق الصوفية المعروفة في الاسلام قد وجدت امتدادا لها في هذه المناطق ، وبالاضافة الى المناطق الأخرى في البلقان

وفي هذه المناطق يمكن أن نجد استثناءات أيضا ، بمعنى انه لدينا فروع جديدة انشئت في هذه المناطق وسميت باسم اولئك الذين تبحروا في تلك الطرق المعروفة وقد يبدو أن غنى هذه المناطق بالطرق الصوفية يحتاج الى تفسير ما ان هذا الغنى يكاد يرتبط ، فيما ، يرتبط بالظروف التي صاحبت دخول الاسلام ومن ثم انتشاره في هذه المناطق ، فيما لو سلمنا بدخول الاسلام الى هذه المناطق ، قبل دخول الاتراك اليها ، نجد أن هذا يرتبط بشخصية غريبة هي ساري سلطاك **Sari Saltak**، الذي يبدو انه وصل البلقان خلال القرن الثالث عشر ، أي قبل وصول الأتراك اليها

ومع انه يقال أنه وصل رومانيا ، الا أن نفوذه الروحي انتشر أساسا في المناطق الالبانية ويدلنا على هذا كثرة الأضرحة المقامة له من ناحية ، وكثرة الروايات التي لا تزال حية حول كراماته ومعجزاته والشيء الذي يثير ان الايمان بكراماته ما زال سائدا حتى الآن ومن هذا نذكر اننا كنا في زيارة ، في أواخر صيف ١٩٨١ ، لبيت قريب لنا ، في مدينة بيجا **Peja**، في جنوب يوغسلافيا ، حيث يوجد ضريح لهذا الولي وقد ذكرت لنا بالصدفة زوجة هذا القريب ، وهي في الخامسة والعشرين من عمرها وحاصلة على الشهادة الثانوية ، ا... تستعد للذهاب لزيارة ذلك الضريح ، لتضع شيئا من النقود فيه ولما سألناها عن السبب ، روت بأنها شاهدت الضريح في حلمها ، والعادة تقضي على من يشاهد هذ... الضريح في حلمه بأن يذهب اليه في صباح اليوم التا... حيث يترك فيه بعض النقود

والشيء الذي يهمنا هنا ، أن شخصية هذا الولي قد ارتبطت ، على ما يشاع عليها باحدى الطرق الصوفية الا وهي الطريقة البكتاشية وفي الحقيقة ، ان دخو... الاسلام وانتشاره هنا قد يتصاحب مع ظاهرة خاصة ... وهي نشاط اتباع بعض الطرق الصوفية الذين كانو... يأتون أحيانا من البلاد العربية ، قاطعين الاف... الكيلومترات وحائضين المصاعب ، والمشقات للتبشير... بالدين الاسلامي في هذه المناطق ، بالروح ... ... طبعا من خلال طرقهم

هذه الطرق ازدهرت بشكل خاص ، ... ... ما كانت

لوحة نادرة للحاج محمد شيحو ، من مشايخ الطريقة القادرية في النصف الثاني للقرن ١٩ من مدينة جاكوفا

تواجهه من مقاومة خلال العهد العثماني ، وقد تراجعت كثيرا ، خلال تواجد هذه المناطق في الاطار اليوغسلافي القديم ١٩١٨ - ١٩٤١ / مع تراجع حجم ودور المسلمين بسبب محاولات التهجير ، اذ أنه كان يكفي أن يهاجر شيخ الطريقة الى تركيا حتى يلحق به الكثيرون من اتباعه ، وقد استمر هذا التراجع في وجود هذه الطرق الدينية خلال الفترة الاولى من يوغسلافيا الحديثة ، الخمسينيات والستينات ، مما خلق انطباعا ، بان هذه الطرق في طريقها الى الاندثار ولكن في السبعينيات نجد أن الروح قد عادت الى بعض هذه الطرق ولا شك في أن هذا يعود في حملة ... يعود ، الى تشكيل هيئة اسلامية في يوغسلافيا ١٩٧٤ ... تعني فقط بهذه الطرق الدينية

... هذه الطرق تشكل أهمية خاصة ، اذ أن لدينا ... الطرق تراثا واسعا من الكرامات والمعجزات ... ، الذي يرتبط بشيوخ واولياء هذه ... هذا التراث أهميته الكبيرة في اطار دراسة واعادة تركيب العلاقات التي كانت تربط بين العرب وبين سكان هذه المنطقة ، وبشكل خاص للعلاقات العربية الالبانية ، بسبب أن هذه الطرق انتشرت خاصة لدى الألبانيين

لماذا القادرية

وقد اخترنا في هذه المناسبة الطريقة القادرية لسبب جوهري ، الا وهو أن هذه الطريقة قد انتقلت بشكل مباشر أيضا من الجانب العربي الى الجانب الالباني ، ولكن هذا لا يعني كما سنرى انتقالها غير المباشر في بعض الحالات ، ونحن نأمل في مناسبة أخرى أن نتعرض لبقية الطرق ، التي انتقلت أيضا بشكل مباشر فقط من الجانب العربي الى الجانب الألباني

بشكل عام ، يمكن أن نعيد انتشار هذه الطريقة في المناطق الواقعة في يوغسلافيا الى مركزين أساسين ، والى وقت واحد تقريبا وهذان المركزان هما مدينة بريزرن وسراييفو ، ففي المدينة الأولى ، بريزرن **PRIZREN**، ما يجعلنا نعتقد أنها من أقدم التكايا القادرية الموجودة حتى الآن ، اذ انها تعود الى بداية القرن السابع عشر ويرتبط وجود هذه الطريقة ، التي تتبع في الحقيقة فرع الرنجيلة بشخصية آتية من خارج هذه المنطقة ، الا وهي الشيخ حسن الخراساني الذي يوحي لقبه بانه من خراسان ، وحول هذه الشخصية نجد أن المصدر شبه الوحيد يقوم على ما بقي حيا في ذاكرة اتباع هذه الطريقة فمما يروى عن هذا الشيخ أنه قدم سائحا في بلاد الله للتبشير بالدين ، حتى وصل مدينة سكوبية ، عاصمة مكدونيا حاليا ، ويبدو أن مدينة سكوبية كانت ، حسب هذه الروايات ، مركزا لتكيه أقدم أو على الأقل لشيخ بدون تكية فهذه الروايات تفيد أن هذه الشخصية اجتمعت بشيخ في هذه المدينة ، وقد نصح هذا الشيخ حسن الخراساني بأن يبني تكية خاصة له في منطقة ما ومن المثير ان نذكر هنا ما ترويه الروايات عن كيفية اختيار مكان تلك التكية .

تفيد هذه الروايات بأن ذلك الشيخ اشار على الشيخ حسن بأن يمسك حجرا ويرميه على قدر استطاعته ، ومن ثم يقوم ببناء تكية في المكان الذي يسقط فيه الحجر ، وعلى هذا فقد أمسك الشيخ حسن حجرا ورماه بقوة ، واذ بهذا

الحجر يسقط في مدينة بريزرن ، التي تقع فقط على بعد أكثر من مئة كيلومتر من المدينة الأولى ، ويمكن أن نضيف هنا ، أن الحجر ، كما يقول اتباع هذه الطريقة ، ما زال موجودا حتى الآن ، ويمكن رؤيته في هذه التكية في مدينة بريزرن ، وقد تعاقب على هذه التكية عدة شيوخ ، وحاليا يوجد على رأسها الشيخ عبد القادر ، وهو الشيخ الثاني عشر منذ تأسيسها

ومع التأكيد على أهمية هذه التكية ، يهمنا هنا أن نتوقف عند مدينة ثانية ، مدينة جاكوفا GJAKOVA التي تقع حاليا في اقليم كوسوفا ، لما لهذه المدينة من أهمية بالنسبة لانتشار الطريقة القادرية في جنوب يوغسلافيا الحالية ، وبشكل خاص لاهميتها من حيث كونها تشكل انتقالا مباشرا من الجانب العربي الى الجانب الالباني

ومن هذه المدينة ، يرتبط وجود وانتشار الطريقة القادرية في هذه المناطق بشخصية ثانية ، الحاج الشيخ اسلام ، الذي عاش في النصف الأول للقرن التاسع عشر وحول هذه الشخصية تفيد روايات احفاده بأنه كان صاحب حرفة في المدينة وبأنه جمع ثروة من هذه الحرفة استثمرها في شراء الاراضي . وقد رغب مرة بتأدية فريضة الحج ، وذهب بالفعل الى مكة المكرمة ومن هناك تملكته رغبة بزيارة بغداد الا أنه ضل طريقه في الصحراء وفي الجزء الثاني من الروايات نجد تدخل عنصر الكرامات والمعجزات فقد عانى هذا الشيخ ما عانى في تلك الصحراء التي ليست له خبرة بها ، حتى بقي على رمقه الأخير ، ولكن شيخ الطريقة القادرية في بغداد أحس بوجوده ، وهذه طبعا من كراماته ، في تلك الصحراء الشاسعة فارسل عربيين من اتباعه لانقاذه وحمله الى بغداد وفعلا انقذ الرجل وحمل الى المدينة ، وفي بغداد بقي ستة شهور ، تبحر خلالها في الطريقة القادرية ، وأخذ الخلافة من هناك وعاد الى مدينة جاكوفا ليرفع فيها راية القادرية

من كرامات الشيخ اسلام

وكما قلنا ، فالروايات تذكر انه كان غنيا وقد استثمر ثروته في شراء الأراضي ، حيث كانت له ساحات من الأراضي في عدة قرى محيطة بمدينة جاكوفا كدميان Da-mian وبوستوسيل Postosel ورادوست Radost

وتضيف هذه الروايات انه ، حين عاد من بغداد ... الخلافة للطريقة القادرية ، تخلى عن ثروته ... للفقراء ، وهنا تعجب أقاربه من هذا السلوك وسألو...

- كيف تفعل هكذا ؟ لديك ولدان ويجب أن تترك لهما شيئا ليعيشا منه !

فرد عليهم الشيخ اسلام قائلا

- يكفي أن أترك لهما طريق الحق اذا تركت لهما هذه الثروة سيصابان بالغرور وسيشان الى سمعتي من بعدي

وحول هذا الشيخ يمكن للمرء أن يسمع في هذه الأيام ما بقي حيا في داكرة الناس حول كراماته المختلفة ، ومن هذه نكتفي هنا بتسجيل واحدة فقط ، لما تتضمن من دلالات يمكن ربطها بالمحيط السائد حينذاك

دعي الشيخ اسلام مرة للافطار في احدى القرى ، قبل ٥ دقائق فقط من الموعد ، فقال له الدرويش المصاحب له لا يوجد وقت لدينا فأجاب الشيخ سنذهب وسنصل ووصل الشيخ في نفس اللحظة الى مكان الدعوة ، أي قبل ٥ دقائق من الافطار ، واحتفل أصحاب الدعوة بالشيخ ودعوه للطعام ، الا أنه رفض وقال للدرويش لنذهب عند ذلك الفقير لنأكل الخبز والحليب فتعجب الدرويش وسأله لماذا نترك هذا الطعام الفاخر ونذهب عند ذلك الفقير ؟ فأجابه الشيخ طعام هؤلاء فيه حرمة ، لأنهم تعدوا على أموال الغير وطعام ذلك الفقير حلال كله

وليس هناك من شك في أن الشيخ اسلام يعتبر من أهم الشخصيات في تاريخ الطريقة القادرية في هذه المناطق ويؤكد هذا طبعا الكرامات المختلفة التي ما تزال تروى عنه بشكل خاص ، والتي ما تزال حية حتى الآن وتنبع أهمية الدور الذي قام به هذا الشيخ بأنه أرسى تقاليد هذه الطريقة في عائلته ، التي تخرج منها على امتداد قرن تقريبا عدد كبير من شيوخ هذه الطريقة في جنوب يوغسلافيا

نلاحظ في البيان المرفق (أنظر مخطط سلالة الشيخ اسلام) ، فنجد في الفرع الثاني من زوجة الشيخ اسلام الأولى ان الحفيد الأخير هو الشيخ ابراهيم ، الذي حافظ على تقاليد الفرع ، ويمكن اعتباره من أحدث ... هذه الطريقة سنا

أما من الفرع الآخر ، فيبدو معنا ان تقاليد الفرع

قد توقفت أخيرا لدى الشيخ الأخير ، الشيخ حقي ، الذي توفي في ١٧ مايو ١٩٧٨ ولما كان ابنه البكر أستاذا جامعيا ، والثاني يعمل في ادارة أحد المصانع ، لم يتبق من هذه العائلة من يرث هذه التقاليد وبالتالي بقي مكان هذا الشيخ شاغرا حتى الآن وقد انتهى الأمر عند هذا الحال ، مع ان هذا الشيخ يعتبر من أهم شخصيات الطريقة القادرية في هذه المناطق ، حتى انه يمكن أن يقارن فقط مع جده الأكبر ، الشيخ اسلام ، وذلك لما كان لكل منهما من دور في نشر هذه الطريقة ، واذا أردنا التحديد ، فقد كان للأول الفضل في نشر هذه الطريقة ، على حين كان للثاني الفضل في احيائها ونشرها ثانية

رحلة السلالة

ولد هذا الشيخ في مدينة حاكوفا ، في ١٣ يناير ٩١٣ وقد تحول منذ حداثته الى طلب العلم والتبحر في الطر... الا أن وفاة والديه اضطرته الى قطع دراسته ، ولذلك ... أسرته ، ولهذا أصبح اماما لأحد المساجد في ... حاكوفا ، وبقي في هذا العمل لأكثر من ثلاث... وخلال هذه الفترة ، تابع تقاليد عائلته

وتسلم أخيرا التكية القادرية ، التي تتبع فرع الرزاقية ، في مدينة حاكوفا ، وكما قلنا فان فضل هذا الشيخ يكمن في احياء الطريقة القادرية في هذه المناطق ، التي كانت قد بدأت في الاضمحلال خلال الخمسينيات والستينيات

فبواسطة هذا الشيخ أعيد فتح عدة تكايا تابعة للطريقة القادرية في اقليم كوسوفا فقد فتحت بعد سنوات طويلة من اغلاقها تكية للطريقة القادرية في مدينة بريزرن ، حيث نصب عليها الشيخ حصر ، كما أحيا تكية أخرى في مدينة متروفيسا Mitrovica وأعطى الخلافة فيها للشيخ رضا بيرامي ، ومن ثم أنشأ تكية أخرى في مدينة بيجا peja وترك عليها الشيخ عابدين ، وفي الحقيقة ، لم تقتصر جهود هذا الشيخ على احياء الطريقة في اقليم كوسوفا ، بل وفي البوسنة أيضا ، التي كانت غنية جدا بالطرق المختلفة وبفضل هذا الشيخ تم أخيرا افتتاح مقر الطريقة القادرية في مدينة سرايفو ، التي تعتبر من أقدم التكايا القادرية في يوغسلافيا ، والتي بقيت مغلقة لأكثر من عشرين سنة ، وتتمتع هذه التكية بأهمية تاريخية وأثرية ، مما دفع الدولة أن تدخلها تحت حمايتها

ولهذه التكية في الحقيقة ، تراث عريق ، فقد نبغ فيها بعض المشايخ ، الذين اشتهروا لا بنشاطهم الديني وحسب بل وبنشاطهم الأدبي وربما يكفي أن نذكر من

هؤلاء ، الدرويش محمد عوراني Dervish Muhamed Gurani الذي كان من أفضل شعراء عصره . وقد ولد هذا القادري في سراييفو سنة ١٧١٣ من عائلة مشهورة جاءت من برزنيا . وفي شبابه احتك بتكية القادرية في سراييفو وانخرط فيها ، على زمن الشيخ محمد أفندي ، الذي منحه الانابة فيما بعد.

وبعد وفاة هذا الشيخ ، أصبح محمد عوراني شيخ هذه التكية ، ولكن شهرته في الحقيقة عمت البوسنة على كونه شاعرا مجيدا ، حتى ان المؤرخ ملا مصطفى وصفه بأنه لا يوجد له مثيل في البوسنة . ومع هذا ، يبدو ان تكيته في ذلك الحين كانت تعاني من بعض المصاعب ، حتى انه انتهز زيارة الوزير البوسنوي عبد الله باشا دفترداره الى مدينة ترافنيك البوسنية خلال ١٧٨٠ ـ ١٧٨١ ليزوره وليرجوه المساعدة في اصلاح التكية . الا أنه مرض وتوفي خلال هذه الزيارة في تلك المدينة . وقد خلف لنا بعد موته الكثير من الأشعار التي تتجاوز دائرة الطريقة حيث نجد فيها الكثير من الغزليات بروح ذلك الزمان.

الآن ، ومع رحيل الشيخ حقي الذي تحدثنا عنه سابقا ، أصبح السؤال يطرح نفسه : ما مدى حيوية هذه الطريقة الآن في يوغسلافيا ، وما مدى اتجاهها نحو الاضمحلال والتلاشي ؟

بشكل عام ، يمكن للمرء أن يلاحظ ان هذه الطريقة بقيت متمركزة في جنوب يوغسلافيا ، في اقليم كوسوفا وفي جمهورية مكدونيا ، حيث يعيش الالبانيون أساسا ، على حين أنه في البوسنة ما زالت في نطاق ضيق ، حيث ان اعادة فتح تكية سراييفو قد لا يشكل شيئا بالمقارنة مع تقاليد هذه الطريقة في البوسنة . وحتى في الجنوب ، في اقليم كوسوفا ، وجمهورية مكدونيا ، فان وضع هذه الطريقة ليس في حالة مرضية ، بل نجده يسير ببطء نحو التقلص ، الذي قد يؤدي مستقبلا الى التلاشي.

٤ تكايا باقية

وحول هذا ، قد يكفي كمثال مدينة جاكوفا بالذات ، التي تعتبر من أغنى المدن في يوغسلافيا بالطرق الدينية ، ففي هذه المدينة نجد الآن أربع تكايا فقط للطريقة القادرية ، وهي على الوضع التالي :

١ ـ تكية الشيخ حقي ، الذي تحدثنا عنه فيما سبق ، وقد بقيت هذه التكية شاغرة بدون شيخ منذ وفاته (١٩٧٨) ، حيث ان ظروف ولديه لا تتيح لهما التفرغ لخدمة التكية والطريقة ، ومع هذا ، بقيت التكية تفتح فقط يوم الجمعة ، حيث يأتي مريدو الشيخ حقي بعد صلاة الجمعة ويقومون بالذكر حوالى نصف ساعة ، ومن ثم ينصرفون.

٢ ـ تكية الشيخ شعبان ، وقد توفي هذا الشيخ في جاكوفا ، وجاء من بعده الشيخ محمود . الا ان هذا الأخير ، مع من هاجر من الألبانيين الى تركيا في الخمسينيات ، وبالتالي بقيت التكية شاغرة ومغلقة حتى الآن.

٣ ـ تكية الشيخ اسماعيل ، وقد أسس هذا الشيخ التكية بنفسه ، الا أنه لم يخلف ولدا . وبعد موته بقيت التكية شاغرة ومغلقة.

٤ ـ تكية الشيخ ابراهيم ، التي كانت نشيطة تحت عهده والده ، الشيخ عزيز ، ومع وفاته آلت اليه وأصبح شيخا ، مع أنه ما زال شابا في الثلاثين من عمره . ومع هذا فهي التكية الوحيدة التي تعتبر متكاملة ، بوجود شيخ على رأسها.

ومع أننا لا نملك صورة تقريبية عن عدد اتباع هذه الطريقة في يوغسلافيا ، الا أن هذا الوضع الميداني للطريقة في احدى أهم المدن يشير الى تضاؤل أتباعها بشكل تدريجي . ومع هذا ، ان ما يعنينا من هذه الطريقة هو التراث الذي نشأ بين أتباع هذه الطريقة ، والذي يشكل مادة غنية للدراسات المختلفة ، فهذه المادة تشمل الأدب الشعبي والأدب الديني وهي تعنينا أساسا لوجود المؤثرات العربية الاسلامية فيها.

وبالاضافة الى هذا ، لدينا في هذه الطريقة ، كما في غيرها من الطرق ، جانب جديد يدفع للاهتمام ، ألا وهو مدى الاضافات التي لحقت بهذه الطريقة في هذه المناطق والشيء الأساسي الذي يمكن التوقف عنده هو تلك المسحة الشيعية التي تبدو بارزة في هذه الطريقة ، مع ان وجودها في بقية الطرق أوضح بكثير . ونأمل أن نعود الى هذا في مناسبة لاحقة ■■

برشتنا ـ كوسوفا ـ د . محمد موفاكو

دلالة صمت يوسف إدريس عن الإبداع القصصي

بقلم : عبد الرحمن أبو عوف

لنبدأ بالاعتراف أن موهبة الابداع المراوغة والفذة والأصيلة عند يوسف ادريس . والتي تمر الان بمحنة البحث عن شكل ولغة وبينة اتصال وتجسيد وحوار مع الاخرين («القارىء» ، تضع النقد امام مسئولية مرهقة محيرة من التعبير والتلمس لتقصي وفهم جوهر أزمتها ، أزمة ذات ابداعية موهوبة متفردة مع الموضوع ، مع مادة العمل الادبي والفني ، والذي هو في النهاية تقطير واعادة خلق وتجاوز للواقع الاجتماعي والانساني الذي يعيشه الكاتب في مرحلة تاريخية وحضارية محددة

لأن ما استحدثه وأبدعه يوسف ادريس ـ من عشرات بل مئات القصص القصيرة وبعض من الروايات القصيرة ، وما عمقه وفجره وأضافه لمفهوم الدراما المصرية والعربية ، جعل من اسهاماته ، مرحلة متألقة تجاوزت فيها القصة القصيرة ـ شكلا وموضوعا ـ نفسها ، واصبح لها أصالتها ، بعد طول تسكع في التأثر باتجاهاتها العالمية في المبنى والمعنى

انه كاتب مطبوع يكتب في التهاب ونهم وتوقد وحدة ذكاء ساطع وشهوة عارمة عصابية ، تتقصى جوانب الواقع الانساني وما بعد أو وراء البعد الانساني والنفسي ، وتلتقط في نفاذ ديمومته وتحولاته في تحاور لآنية اللحظة

وأنا أغامر ، ومنذ البداية بصدق (يوسف ادريس) في كثير من أقواله وتصريحاته وأحاديثه عن اكتشاف الكاتب فيه وكاتب القصة القصيرة بالذات ، فلا جدال انه وبرغم هذا الاسهام المبدع المتكامل الذي قدمه لادبنا المعاصر من عديد القصص القصيرة الفذة والروايات القصيرة والمسرحية ـ مازال قلقا مهموما هاويا بعيدا عن الاحتراف ، وربما هذا هو سر روعته وأرقه في التوقف عن الابداع فترات ، وأخيرا قمة هذا التوقف في السنوات الأخيرة والذي نبدأ دراستنا بفهمه وتحليله ورصد دوافعه وأسبابه الكامنة والظاهرة

وإن يقينا يتأكد أن الكشف النقدي التحليلي والدقيق عن مكونات شخصيته بأوسع مدى ، ومكونات شخصيته الادبية والفنية بالذات من قدرة على الملاحظة ، ومن ثقافة مهيمنة مطعمة وثقافة مكتسبة ، ومن عديد علاقاته بالواقع الاجتماعي من حدود الاسرة حتى شبكة علاقات المجتمع والموقف من القيم ، والطبقة والسلطة ، وسواء قبل ان يكتب او بعد ان كتب هذا الفيض الكبير من الابداع ، ان كل ذلك ضرورة ، ولكن الاهم هو تحليل المرحلة الاجتماعية وظروفها السياسية والحضارية والادبية والثقافية التي تكون ربما دون ان يدري أو يدرس (يوسف ادريس) خلالها

ثم ـ هو الأهم ـ فحص موقف المستوى الابداعي سواء في الفكرة او البناء الجمالي للقصة القصيرة والمسرح في وقت اقتحامه ومشاركته الابداع في حقل وصمت ، وبتشجيع من قلة موهوبة من أصدقائه وزملائه الاطباء ـ وبالذات ـ الذين كانوا يكتبون بين الحين والحين القصة القصيرة

المصرية في بناء القصة القصيرة

ولعل ابرهيم باعترافه هو نفسه اكثر من مرة ، دكتور يسرى أحمد ـ الذي قرأت له ثلاث أو أربع قصص ذات مستوى رفيع ، غير ان الملفت لنظر الناقد هو الحاح (يوسف أدريس) في هذه المرحلة على ضرورة البحث عما أسماه المصرية في بناء وكتابة القصة القصيرة ، بمعنى أنه يتشوف ويظمأ ويبحث عن جديد ، وعملية البحث عن جديد لديه لاتقوم فيما قرأنا له من أحاديث او مقالات حول هذا الموضوع ، حول نقد وتقييم لمستوى القصة القصيرة وقتها فنيا وفكريا ، الأهم ملاحظات عامة ص... اتجاهاتها النافذة من طوال تكامل وتأثر القصة الـ... بالاتجاهات العالمية وخاصة أثر كل من (جي دي موبـ... و (انطون تشيخوف) و (همينجواي) و (... جوركي)

وهذا ـ كما سبق أن قلنا ـ يقتضينا التوقف مرة عند صحة هذه الملاحظات ، فالواقع ان اللحظة التي بدأت تنشر فيها قصص (يوسف ادريس) بحرارة وتألق ... للنظر ـ هي أواخر الخمسينات وأوائل الستينات ، والغريب اننا سوف نجد في أولى مجموعاته (ارخص ليالي) قمة نضج مرحلة البداية ، ولقد عثرنا قبل هذه المجموعة على بعض قصص أخرى لم يضمها في مجموعة نشرت في مجلات متفرقة مما كتب للجميع وغيرها من المجلات القصصية او السياسية التي كانت تزخر بها مرحلة أواخر الخمسينات وأوائل الستينات

لقد كانت خريطة القصة القصيرة المصرية تتحدد في سيل متراكم من الكتابات ، لا نجد في تراكمها بعضا نادرا من القصص ذات النسق والفنية والتوحد مع اتجاه ورؤية اعتقادية ذات ملمح مذهبي من مذاهب القصة

كان الانتاج في معظمه يغلب عليه التورم الرومانسي او الميلودرامي او الواقعي اليلي ، او الوصف للاحوال والشخصيات ، والغرام بالحكاية والنادرة والغرابة والمصادفة

وبرغم أن فترات معينة كانت القصة القصيرة المصرية قد حققت لها تواجدا جماليا وموضوعيا يخلو من التأثر المباشر من القصة العالمية بكل اتجاهاتها

ومضات الثلاثينات

وذلك في أبرز المحاولات الريادية التي قدمها في أوائل الثلاثينات محمد تيمور وعيسى عبيد ، خاصة مجموعة عيسى عبيد الهامة (احسان هانم) ، ثم في أواسط الثلاثينات وأوائل الاربعينات الكاتب الموهوب (طاهر لاشين) في مجموعتي (يحكي أن) و (سخرية الناي) برغم ذلك فهذه ومضات ، يمكن ان تضاف اليها مهارات أعمال (يحيى حقي) رغم قلتها وتذبذبها بين الواقعية والصوفية ، بين اللقطة الحساسة المرهقة وبين احترام الواقع وصدقه ، اما الغالب والمريب فهو ابداع القصة القصيرة في طريق التمصير والحكاية وتقمص الاثر والوصف ، ولقد حيرنا اسهام كاتب مثل (س... مكاوى) كان يبشر في بداياته بقدرات القصاص المدرك الهادف شروط وجوهر وطبيعة جمالية القصة القصير... ولقد ...

إك من مجموعة ، غير أنك كنت تجد فيها قصة او قصتين ، على مستوى باهر من الاقتداء والشفافية ، ولكن بقية المجموعة تخضع لنوع من القصص المعطوطة المملة والمسطحة الموضوع والبناء

يبقى كاتب واحد لم يأخذ حقه من التقييم النقدي رغم ريادته وهو أحد اساتذة رواد القصة القصيرة المصرية وهو (محمود البدوي) الذي يعتبر ابداعه القصصي خاصة في مراحله الاولى ارتقاء دات حساسية واعية ماصول فنية شكل القصة القصيرة ، ان عددا ضخما من قصصه في عدة مجموعات متتابعة له ـ لعل أبرزها ، غرفة فوق السطوح ، والجمال الحزين ، والعربة الاخيرة ، ودئاب جائعة ـ

تقدم حساسية وخبرة حرفية ، بادراك أن القصة القصيرة نقطة على منحنى الطريق من خلال التركيز عليها ، تطل على الجهات الاربع في المكان والزمان ، ومن خلال تعمقها كحدث درامي في علاقته بالأشخاص او الشخصيات تطل على أوسع مدى للزمن الماضي والحاضر والمستقبل ، والاهم الزمن النفسي لصراع الشخصية مع الواقع ، ولا جدال أن روح وظلال ورؤى أمير القصة القصيرة (انطون تشيخوف) قد ظلت تطل برأسها عبر قصص عديدة قدمها (محمود البدوي) ٠ غير أن مأساة (البدوي) هي غياب المفهوم الاجتماعي ، أو لامبالاته أو عدم وعيه بجدلية اللحظة التاريخية في مصر والعالم ، وما يحدث في قلب العملية الاجتماعية في المجتمع ، هو مصور وصحيح لايمكن ان تتهمه بغياب مفهوم ما عن الانسان وعلاقاته مع الآخرين ، ولكنه يتوقف في الغالب بعدسته عند هوامش تجربة الحياة ، هو مبهور ومتشوق دائما لتصوير (المأساة والملهاة) في حياة البسطاء العاديين في الحارات والمقاهي ومكاتب العمل والاسواق وقرى الصعيد ، والغرف المفروشة ، ولعله أبدع من صور حياة الغربة ومعايشة الاجانب في البانسيونات ، أو حتى محاولاته وصف علاقات المصري بالأجنبي الغريب في بعض قصص تقترب من ادب الرحلة ، خلال ما أتيح له من سفريات عديدة في الغرب والشرق ، ثم اقترانه من معنى وجوهر الجنس ، كان ـ وبلا جدال ـ محاولة متفردة [illegible] من القصص التي محورها علاقة الرجل بالمرأة [illegible] تقدم دراسة وجدانية واجتماعية عن مشاعر [illegible] والمرأة في مجتمع شرقي متخلف يعاني من [illegible] وبقايا النظر للمرأة في صورة الجسد فقط دون [illegible] دميتها ونفسيتها

[illegible] يوسف الشاروني) و (ادوارد الخراط) [illegible] سدات في الأعمال الأخيرة (ليوسف [illegible] اثناء (ظهور يوسف ادريس) وبتطبيق ادوارد الخراط) ظل كلاهما يسبحان في

تيار القصة التجريبية المطعمة بتأثرات (كامو) و (كافكا) واصداء أشعار (اليوت) ومسرح (ستردنبرج) ٠ ويبدو انها لم تكن قادرة على التعبير عن اللوحة العريضة التي كان يجتازها الوجدان المصري ، اما ورثة أو مقلدو (تشيخوف) و (جي دي موبسان) فقد استهلكتهم برودة التفاعل مع طبيعة الواقع وما يطرحه من مهمات وقدموا ركاما كميا من أعمال قصصية

الواقعية الاشتراكية والواقعية الجدلية

لاتمتلك قدرة مخاطبة دخيلة أعصاب القارىء المصري وقت ذاك ، وربما كانت الرواية في وضع اكثر اكتمالا ونضجا ، وربما عبرت ايضا على أيدي (نجيب محفوظ) مرحلة عالية من النضج والوعي والمعاصرة

ويبقى من خريطة اتجاهات القصة القصيرة المصرية والعربية نوع من قصص الاتجاه الواقعي ورصد ما صدر في هذه الفترة من أواخر الخمسينات حتى اوائل الستينات ، فقد كان خليطا من الواقعية التسجيلية والواقعية التقدمية والواقعية الاشتراكية التي لم تكن بالذات وكمذهب أدبي قد تحققت لها اصول نظرية وجمالية في منابعها ، تبين ماهي طبيعة وجوهر وشكل القصة الواقعية الاشتراكية

وانا من النقاد الذين قتلوا هذا الموضوع بحثا ـ فلسفيا وجماليا وادبيا ـ فوجدت ايسمى (واقعية اشتراكية) مصطلح خاطىء ، والأصح والاقرب للحقيقة العلمية ان تسمى (واقعية جدلية) اي ان الرؤية الفلسفية الجمالية وراء الابداع تؤمن بالمفهوم الشمولي عن الكون والحياة والمجتمع وعلى أسس المادية الجدلية ، وقبل وخلال ظهور قصص (يوسف ادريس) حدث التباس وبلبلة في هذا المفهوم سواء عند اوائل النقاد الذين قننوا له في ثقافتنا وادبنا ونذكر منهم (محمود امين العالم) و(عبد العظيم انيس) و (حسين مروة) و(محمد ابراهيم دكروب) وآخرين

ولقد كانت حصيلة هؤلاء النقاد التبشير والتنظير والتعريف بمذهب (الواقعية الاشتراكية)ولكن شاب هذا التعريف والتفسير والتطبيق ـ ونتيجة ظروف سياسية واجتماعية متناقضة ـ قصور كثير ، فقد وقفوا عند أوليات مفاهيم علم الجمال الجدلي ، وبسطوا في سذاجة علاقة الفن بالحياة ، ولقد اندفع كتاب كثيرون الى ابداع قصة واقعية منهم عبدالرحمن الشرقاوي وعبد الرحمن الخميسي ، وحنا مينا ، ومحمد صدقي ، وصلاح حافظ ، وابراهيم عبد الحليم ، وغائب طعمه فرمان وآخرون ،

ولكن كان في البداية والنهاية أبرزهم (يوسف ادريس)

الابن الشاطر

لقد جسدت كتابات (يوسف ادريس) من زمن بعيد مجد المدرسة الواقعية الجدلية المجهضة في ادبنا الحديث ، كان الابن الشاطر من حيث تفكيره ومواهبه والتزامه البحث الجاد عن الخلاص ، ويمكن اعتبار آثاره في تلك الفترة آثارا انتقادية معممة فيها ، تحمل عنه وجدان متنبه وصارم ، وتبدو وكأنها تنحني وهنا تحته ، لقد اراد ان يكون قاص الامل والتمرد والعنف الجماعي ، ويبدو انه فهم قبل غيره أن الادب لم يعد يمكنه ان يكون لعبة ولا وثيقة كذلك كانت آثاره الأولى ، آثار طاقة ونشاط والتزام وحرية ووجدان ، كانت قانون عمل انقاد الى مفتاح حياة ، فمهدت لنا الطرق التي نواصل شقها ، وربما ساعدتنا على توسيعها ، بيد أن هذه الاعوام الاخيرة أتاحت له فرصة مصالحة عامة

لقد بعثت كتابات (يوسف ادريس) الاولى في اطار المد الثوري لاستكمال مهام الثورة الوطنية ، وساهمت مع كتيبة كتاب الواقعية بمختلف مستوياتهم ومواهبهم وامكانياتهم في صياغة فجر الثورة الاشتراكية التي كان ولا يزال مجتمعنا يحملها في احشائه

انعكاسات الواقع على الفنان

ولقد انعكست كل تناقضات الواقع المصري في تحولاته على وجدان هذا الفنان ، فعكست في اعماله الاولى رؤية واعية تدرك الصراع المستمر في حياتنا بين الجمود والحركة بين الآلية والوعي ، فالعمل ونظم المجتمع وكافة ما ينتج عنها من روتينية يميت فينا الوعي بالحياة ، لكن طبيعتنا كأحياء لاتتلاءم أبدا مع هذا الجمود ، ومن هنا نريد ان ننقض عليه ونريد ان نستعيد وجداننا الحقيقي بالواقع ، لذلك حاول الكاتب ان يقدم لنا رؤية جديدة لواقعنا عن طريق عمل فني ما او تعيش تجربته حتى تتفتح جوانب الواقع التي كانت أشبه بتراكم آلي في المكان ونحن تحت سطوة العمل والروتين

ونشير هنا لمجموعة القصص التي تضمنتها (أرخص ليالي ، وجمهورية فرحات ، وقاع المدينة ، وحادثة شرف والنطل ، واخر الدنيا ، والعسكري الاسود) ، ويمكن ان تضم اليها روايات (الحرام) و (العيب) ، ومسرحيات (ملك القطن) و (جمهورية فرحات) ، و (اللحظة الحرجة)

ويسيطر على بناء هذا العالم المتخيل رؤية جدلية ...ومن بالترابط بين جزيئاته المبعثرة وتكشف قوانين التغير الذي يحكمه ، لذلك اصبحت عملية الخلق الفني لديه تدور حول تشكيل خامة الواقع المصري بالربط بين عناصره المبعثرة والاحتفاء بالحركة واشاعة ايقاعها المستمر وكل ذلك حول الواقع العادي الى واقع محلل واع ومصمول واقع اكثر رحابة وعي من الواقع نفسه

ويضعف هنا الالمام بعديد اللحظات الانسانية الدافئة التي احتارتها عدسته الحادة وتغلغلت في أعماقها ، وتشعر بالحيرة وسط عديد من نماذجه المقطرة من حيوات بسيطة حالمة ومسحوقة في دوامة الصراع اليومي ، لقد عالج هذه الموهبة المتهوسة بالحياة قضايا الجنس والموت والتمرد والانسحاق والامل ، وأحالت على مستوى الصورة المحارية كل تمزقات الوجدان المصري في صراعه الاخلاقي والاجتماعي ، ووقفت امام معاني كلمات ذات وقع السحر والرعب (كالعيب والحرام والشرف وتسللت لعوالم شفافة كلها بكارة ونقاء في مجموعة قصص عن حياة الاطفال وعالمهم (كآخر الدنيا ، وهي دي لعبة والمثلث الرمادي ولأن القيامة لاتقوم وصح) ومع ذلك فهذه الملحمة من الاحساس لها تناقضاتها ، فرغم قدرة هذا الكاتب على الاستيلاء على ذهن القارىء واجباره على الانغماس في قلب الموقف الذي تعيشه نماذجه ومعرفته ... الوتر الذي يعزف عليه المقدمة التي ستتولى على الاساس

المرحلة الاولى لاعمال ادريس

رغم كل ذلك فالمحير والمثير هو فقدانه أحيانا هذا الوتر ، فكثيرا ما يتوه منه الموضوع وبالتالي تحته الادوات التعبيرية بعضها ببعض ، يصبح مباشرا وساذجا من ضعف الانسان رغم مشاركته آلامه ، ... المتألق النادر وبين الانهيار المفتم الغث في كثرته ... المتماسك المتقن والاضطراب واللهوجة كثير ما تعصر الشحوب على سحر عالمه ، فثمة كلمات ولغة ... موسيقية عذبة مشحونة بالظلال والمعاني ... ايضا ـ وفي نفس الوقت ـ كلمات رخيصة ... عاميتها ، تتراكم بلا اداء درامي ، ان المرحلة ... خيال متسلط يغامر باحتواء كل ماليس ... واقع غير محدود ، ومن زمن لاينتهي

وقد بهرنا العالم القصصي الرحب المقدم هنا عن تقصي هذه عوامل متصارعة كانت تلعب دورا رئيسيا وراءها نحده فيه من سمات متماسكة واخرى ممزقة في المستوى الفكري والجمالي رغم دورانه ايضا وبحساسية حول عموم الحياة المصرية في سيولة ورحم الريف المصري وايضا المدينة

تلك سمات اجمالية فكرية وجمالية عن مرحلة (يوسف ادريس) الاولى التي يمكن ان نجد فيها انجازا في فهم الواقعية التقدمية اصبح رصيدا له أهميته في قصتنا ، غير انه كان اكثر أبناء جيله معرفة بالمتطلبات الاساسية التي يطرحها الواقع الاجتماعي والحضاري في تغيير مفاهيم القصة في بنيتها ومعناها وامكانياتها لتحقيق الحساسية بتحولات الواقع بكليته الانسانية

والمرحلة الثانية

ولنحدد في البداية ما يقصده بالمرحلة الثانية وما كتبه يوسف ادريس خلالها حتى توقف بعد صدور مجموعته (بيت من لحم) ومسرحية (المخططين) بجانب ما هو أساسي في اعتقادنا بالنسبة للفنان ، وهو الوقوف وجها لوجه امام وجدان مهمل ، وعاجز ، وامام واقع تاريخي في مرحلة الصنع تمسه رياح التغيرات العتيقة ، واقع يبدو صامتا ومرهقا ، ولاشك ان كل ابداعه القصصي والمسرحي بعد مرحلته الاولى يريد ان يتجاوز التشوش الاولي وان يجد معنى مقبولا للحياة ، غير انها محاولات اختارت الذهاب الى اخر هذا التشوش ، محاولات غريزية بعيدة النظر الى الدرجة القصوى المفرطة ، تتكل ثم سوقف بارواحها ، قوية وصميمة على الرغم من دقتها ، يعيشها نفس عميق خلاق تتبدى في معظمها كأنها لا أعضاء لها كالماء المتأهب لاتخاذ جميع الاشكال ، انها في النهاية آثار خاصة عصابية تعاني من طبيعة حواشي الحياة المصرية . غير أنها مثقلة بالشمول وبالجوهري اكثر من آثار اخرى في قصتنا المعاصرة

وقد نلمس صدق هذا الانطباع الاولى مبلورا لحد ما في مجموعات السداهة) و (لغة الاى أي) ومسرحيات (الفرافير و (المهزلة الارضية) إن بعضا هاما من هذه المحاولا الاخيرة يلتزم ذات البحث عن أسلوب جديد ، نوعا من الانتقال يتهيأ مع اتصاله المستمر بالاشغالا سابقة ويمكن ان نسجل هنا قوله في أحد أحاديثه (مجلة حوار) بعد أن حدد مسئوليته لتخطي مرحلة التأثر بتشيخوف وجوركي والتمرد على المواصفات الجاهزة لقصص عبرت عن عصر انقضى ، يقول (يوسف ادريس) اني أبحث عن رؤية جديدة ، غير أنها في الحقيقة امتداد لرؤياي السابقة الى مدى ربما أبعد ، ربما أعمق ، ربما أشمل ، ذلك الامتداد الذي ربما جعل من الظواهر المتفرقة ظاهرة واحدة مترابطة ذات قانون، وربما جعل من الظاهرة التي كنت أراها محدودة ظاهرة أشمل وأعم، حتى لتأخذ شكل القانون العام معنى ذلك هي مرحلة يلتقي عندها الواقع الخارجي كما أحسه بالفلسفة الداخلية كما تبلورت من خلال تجاربي بالرغبة في الخروج للناس بحلول جديدة لمشاكل قديمة ، تقترح هذه العناصر الثلاثة لتكون ما أسميه بالعالم الفني الواري الموضوعي ولكنه لا يخضع لقوانين لأنه يملك قوانينه الخاصة وقيمه الخاصة)

من القصة الى المقال

وعلى ضوء هذه الرؤية نتابع انتاج (يوسف ادريس) القصصي مما يحتاج لدراسة تفصيلية غير انه وفجأة استسلم للندوب والتآكل والسقوط الذي حاصر الحياة الثقافية والفنية منذ السبعينات وبدأ يتحول من كتابة القصة الى المقال الاسبوعي واستغرقته المشكلات السياسية المتناقضة التي مرت بالمرحلة وظواهر الازمة التي أحاطت بكل شيء ، فاندفع مستغرقا في كتابة سلسلة مقالات استعمل فيها قدراته على الملاحظة الفذة والاسلوب المتوهج غير أنه تخبط في كثير من أحكامه وتفسيراته وتبريراته للأحداث التاريخية التي شكلت منحنيات على طريق مرحلة النضال الوطني والاجتماعي

وبدأ يقنع نفسه بأن كتابة الفن والقصة في هذه المرحلة القلقة ترف وابتعاد عن صميم مايعكر فيه الشعب من مشكلات آنية

وكل ذلك لايقنع الناقد فربما ينطبق الأمر نفسه على (يوسف ادريس) فهو قد ظهر وكتب أهم أعماله في ظروف انتقالية وازمات سياسية ربما اخطر مما يتعرض له الان ، فأزمة توقفه اذا بجانب ظروفها الموضوعية تتوقف في البداية والنهاية على مسئوليته هو نفسه

ولعل ذلك يحتاج لدراسات تفصيلية اخرى ، فكم هي مثيرة ومغرية القضايا النقدية التي يوحي بها عالم يوسف ادريس القصصي ■■

عبد الرحمن ابو عوف

سوالف كويتية

من سميج الى غصون وأخيها الغزال !

بقلم : الدكتور علي الحديدي

حكايات الجنيات والسحرة التي تحكى للاطفال في الكويت يمكن أن تتخذ نموذجا لما يحكى في منطقة الخليج كله ، ذلك أن التراث الشعبي القصصي الذي يحكى لأطفال قطر خليجي يتماثل أكثره ويتشابه مع الحكايات الشعبية في الأقطار الخليجية الأخرى ، وقد يتشابه مع حكايات عربية في أكثر من قطر عربي خارج محيط الخليج ، وفي أحيان أخرى قد تتشابه بعض حكاياته أو تتماثل مع حكايات شائعة في مجتمعات غير عربية

وإذا أمعنا النظر في حكايات الجنيات والسحرة والخوارق التي تحكى للأطفال في الكويت نجدها أقساما ثلاثة

القسم الأول

ماتصلح حكايته للأطفال جميعاً لأنه خال من الخوف والفزع ، ويتضمن مايبعث المتعة وروح المرح والتسلية في نفوس الأطفال . ويبث فيهم الأخلاقيات الحميدة بما يحمل في سياقه وسلوك شخصياته من قيم الحق والعدل والجمال ، وبما يتضمنه من ألوان الخيالات المبهرة والمغامرات المثيرة ، وبما تتمتع به شخصياته من خصال حميدة تعرض الحقائق الأولية للقانون الأخلاقي في ثوب من تجارب البشر وخوارق فوق مستوى الانسان وحين تحكي مثل هذه القصص للأطفال يتسرح ذلك كله بخيالاتهم ويصبح جزءا من تجاربهم الشخصية ، تأخذهم عند سماعها وتحلق بخيالاتهم الى عوالم جديدة تأسر لبهم ، وتتفتح لها مدركاتهم فيشاركون في الأحداث وينفعلون بالعواطف ، ويستمتعون بالمغامرات

القسم الثاني قصص لاتصلح حكايتها للأطفال وخاصة ما قبل السادسة ، وهي ما تحوي في ثناياها الخوف الشديد والفزع المرعب ، أو تتضمن ما يخالف المعتقدات الدينية أو القيم الأخلاقية ، أو انتصار الظلم وأخرى تشويه العلاقة بين الطفل وأهله ، أو ما تأتي في سياقها ألفاظ واشارات حسية فاضحة ، مثل هذه الحكايات تبعث في قلوب الأطفال الخوف والاضطراب وعدم الأمان ، ويعانون مما فيها من ألم وعذاب ويخافون من أشباحها المفزعة بعدائها وعداوتها ، ويبر... من شخصياتها المرعبة بظلمها وجبروتها ، وفوق ذلك ... الطفل بواسطة عقله الباطن يعي - دون شعور منه - السلوك والتجربة من أحداث القصة أو من ... شخصياتها ، ويقوم بعملية توحد مع الص... المعروضة في القصة ، ويتأثر مما يسمع فينمو ... المريض ويكسبه المعاني السيئة ، ويثير في ...

والشك وبرعة الاحرام وتتشوه العلاقات الأسرية والمعتقدات الدينية في دهه

القسم الثالث حكايات يمكن تعديلها حتى يحذف ما بها من فزع ورعب ، ولكن تتلاءم مع تقاليد المجتمع ، وتتواءم مع القيم الدينية ، وتتفق مع الحقائق الأولية للقانون الأخلاقي ، وتساير قانون الحق والخير والعدل كل ذلك شريطة ألاتخل بنسق الحكاية أو بعناصرها الرئيسة

وحـ ـ الحبيات the fairy tales التي تصلح حكاياتها للأطفال من تراثهم الشعبي القصصي في الكويت والخليج كثيرة ومتنوعة تشد اليها آذان الصغار وتهفو اليها قلوبهم منذ سماع بدايتها التقليدية السوالف تروح وتيجي ، وما يعمنا الا الصلاة على النبي وادا حاما وحاكم خير لعانا ولعاكم ، وشر تعدانا وتعداكم زور من الزرزور الى عمره ما حلف ولا كذب زور ، دسح نقة وترس سمة قدور ، وترك اللحوم والشحوم كلها على الصواني تدور » وهي مقدمة توحي بما في القصص من مبالغات وخيال بعيد عن الواقع ، ثم تتوالى القصص فيسعد الأطفال بها ، ويبهرون بما فيها من خيال يبعث في نفوسهم حب الخير وقيم الحق والعدل ، ويبث فيهم روح المرح والمتعة ومن هذه القصص [1]

---

(١) ... قصص هنا لايكتب بالأسلوب الذي يجب أن يكتب أو يحكى به للأطفال

قصة سميميج(٢)

وهي حكاية البنت الطيبة اليتيمة الأم « نورة » التي تعيش مع زوجة أبيها القاسية الحاقدة وأختها المدللة غير الشقيقة ، وأبيها المشغول عنها بكسب القوت من صيد السمك ، وقد أتى أبوها يوما بسمكة كبيرة لتكون طعاما للأسرة ، وأمرت زوجة الأب « نورة » أن تنظفها في البحر ، وعلى السيف (الشاطيء) همت نورة بشق بطن السمكة ، فنادتها من بين يديها « هديني وأصبيك « فأولادي الصغار في حاجة الي ورق قلب « نورة » للسمكة الأم لكنها أبدت تخوفها من زوجة أبيها القاسية ، فوعدتها السمكة بأن تحضر لها سمكة أخرى مثلها وأطلقتها « نورة » ، وبرت السمكة بوعدها ، وقبل أن تغوص ثانية في الماء قالت لنورة اذا احتجت شيئا تعالي الى السيف وناديني « يايمه يا سميميج » فكانت كلما حاجت تذهب الى البحر وتنادي أمها السمكة فتأتي لها بالطعام اللذيذ فتأكل وتسمن وتزداد حلاوة وجمالا

وأقام السلطان حفلا كبيرا دعا اليه الأسر وبناتها وذهبت زوجة الصياد وبنتها المدللة ، ورفضت أن تصحبها « نورة » ، وخلطت لها العدس والماش والأرز وأمرتها أن تفصلها عن بعضها ، وأن تغسل الماعون في البحر ، وعلى الشاطيء بكت « نورة » من القهر وتذكرت أمها السمكة فنادتها ، وجاءتها على عجل ، وعرفت رغبتها في الذهاب الى الحفل فغسلتها وزينتها وكستها الحرير وقلدتها الذهب من « راسها لساسها » ، حتى الجمال كانت ذهبية وأعطتها ماء ورد وزعفران وطلبت منها أن ترشها على الضيوف وعلى ابن السلطان ، وأعطتها كيس ملح وكيس تراب وطلبت منها أن تقذف بها في وجه زوجة أبيها وأختها ، وجاءت سمكة ولمستها فانقلبت فرسا مزينا ركبته « نورة » الى قصر السلطان

ودخلت « نورة » الحفل فبهرت الناس بجمالها ودلالها وزينتها ، ورقصت ونثرت ماء الورد والزعفران على الناس جميعا وعلى ابن السلطان الذي أعجب بها وحين قابلت أختها وزوجة أبيها لم تعرفاها فقذفتها بالتراب والملح ، وخرجت من الحفل مسرعة ، وركبت الفرس لتعود الى البيت قبل عودتهما وفي الطريق عطش الفرس

ومال على عين ماء ليشرب فسقط من نورة معضد الذهبي (٣) في الماء

وخرج ابن السلطان ثاني يوم إلى الصيد ، وعطش فرسه وحين أراد أن يشرب من نفس العين لم يشرب ، ونظر العبيد والحراس ليروا ما أمر ... فوجدوا المعضد الذهبي يتلألأ في العين الصافية ... من الماء ، وعرفه ابن السلطان ، وطلب من أمه ... صاحبة المعضد الذهبي ودار العبيد والحراس على ... يقيسونه على سائها ، وكانت دار الصياد آخر ... وخبأت زوجة الأب « نورة » في التنور وغطته ... مكسورة ، وبعث للحراس أن تكون هناك ... بنتها ، فصاح الديك « كوكو عمتي نورة طاحت في التنو عليها حبة الرحى والحبة مكسورة » وأخذ الديك يكرر صياحه بذلك القول حتى تنبه الحراس وأخرجوا « نورة » من التنور وكانت المفاجأة أن طابق المعضد عضدها وقرر ابن السلطان الزواج من « نورة » وأصيبت زوجة الأب بالقهر والغم ، ونكاية فيها طلبت لها مهرا كيسا من التمر وسلة « متوت » يابس ، وأمرتها أن تأكل مهرها كله ليلة عرسها ، فانتفخت بطن « نورة » وخبثت رائحتها وذهبت الى البحر تشكو لأمها السمكة ما فعلته بها زوجة أبيها فأعادتها الى حالتها الطبيعية وغسلتها وزينتها وعطرتها ، وأركبتها فرسا ذهب بها إلى قصر ابن السلطان ففرح بها وأقام لها الأفراح سبع ليال

وكان للسلطان ولد آخر أراد أن يتزوج من بنت الصياد الأخرى ظنا منه أنها جميلة كأختها وستأتي في مثل زينتها وبهائها ، وقدم لها مهرا مماثلا لمهر أختها ولما أكلته انتفخت بطنها وخبثت ريحها ، وحين زفت الى ابن السلطان الآخر وجدها قبيحة المنظر ، ونفر من رائحتها ، فطلقها وأعادها الى أمها ليأكل قلبها القهر والغم ويعيشا في حزن ونكد وتعيش نورة مع ابن السلطان في فرح وسرور

والقصة تصور العدل في أنصاف اليتيم المظلوم الطيب القلب الكريم الخلق وعقاب الحاسد الظالم الحقود ، وقصة « سميميج » تكاد تتطابق في أكثر عناصرها مع قصة سندريلا المشهورة ولاندعي أن قصة « سميميج » قد هاجرت الى أوروبا وتحورت ...

(٢) للقصة أسماء مختلفة منها سميحة ، بنت السماك ، ياسمهيجتي ، نورة طاحت في التنورة وأسماء ...

(٣) وفي روايات أخرى سقط « حيولها » حلجالها ، أو دملجها ، أو نعلها الذهبي ، أو قبقابها الذهبي ، و... حلية تلبسها النساء حول المعصد ، وتنطق مصعد في القصة ، وهي السوار

وسندريلا » أو العكس فذلك يحتاج بحثا ودراسة من المتخصصين في علم الفولكلور ، ولكننا نقرر أن كل شعب لديه موهبة الخيال يبتكر من القصص ما يشابه قصص الشعوب الموهوبة الأخرى اذا ما مر بنفس ظروفها

قصة لعبة الصبر

وتحكى قصة « بيبي » بنت التاجر الكبير التي تقرأ القرآن عند المطوعة وفي كل صباح تعطيها « نيرة » (عملة ذهبية) وتحييها تحية الصباح فترد عليها المطوعة « لاصحك ولا رحك ياخادمة البيت سبع سنين ومالك بخت » وضاقت البنت بما تقوله المطوعة فسرت الى « البر » ، وأثناء سيرها في الصحراء وجدت قصرا فدخلته ولم تجد فيه أحدا لكنه كان مليئا بالخيرات ، وكلما فتحت غرفة من غرف القصر وجدتها خيرا من سابقتها ، وفي آخر غرفة وجدت شابا جميلا ممدوحا على السرير دون حراك وجسمه مغطي بالابر المغروسة فيه ، فعرفت أنه مسحور ، وظلت تسل الابر وتذهب مكانها أياما وليالي وسنين ، واشترت من قافلة مرت حوار القصر عبدة لتخدمها وتتولى أعمال المنزل بينما هي تسل الابر من جسم الشاب المسحور ، واستطاعت بعد سبع سنين أن تسل جمع الأبر وبقيت واحدة كانت في رأسه ، وطلبت من العبدة أن تنظف الحجرة وخرجت « بيبي » لتتريض ، فأسرعت العبدة وسلت آخر ابرة من رأس الشاب فذهب عنه السحر وقام سليما معافي وسأل العبدة من سل منه الأبر فادعت بأنها قامت بذلك طوال سبع سنوات فتزوجها وصارت سيدة القصر « وبيبي » خادمة لها

واعتزم الشاب السفر فسأل « بيبي » عما تريده هدية لها فطلبت « لعبة الصبر » وبعد أن أنهى مهمة السفر وركب مركب العودة نادى النوخذة على الركاب بآخر نداء لمن نسي وصاياه ، فتذكر الشاب « لعبة الصبر » وأسرع يبحث عنها حتى وجدها عند شيخ كبير السن ، فباعها له ، ثم أوصاه بأن يرقب من طلبها لأنه مظلوم وسيموت مغبونا ومحطم ......

وبعد سيدة الشاب أعطى « بيبي » هديتها وفي يوم أخذتها ..... الى البحر ، وتبعها الشاب واختفى خلف بقايا مركب على الشاطىء ، وسمعها تحكي « للعبة الصبر » قصتها طوال السنوات السبع منذ هربها من المطوعة الى اخر ابرة سلتها العبدة وبعد كل جملة كانت اللعبة ترد عليها « الحكم حكم الله يا بيبي ، يا ام الخدم والعبيدي » ، واسمع يا « قرنفل »[4] ما تقول « البيبي » وظلت اللعبة تنتفخ حتى طفت على الماء ، ودخلت الى البحر ، وحاولت « بيبي » الامساك بها فكادت تغرق وادركها « قرنفل » وانقذها ، وطلب منها ان تسامحه ، فما كان يعرف انها التي صبرت سبع سنين تسل من جسمه الابر حتى انقذته من السحر ، وسألها عما يعمله بالعبدة جزاء ما اقترفت من كذب فطلبت ان يقتلها ويجعل قبرها عند الباب ليكون موطئا لها كلما خرجت او دخلت القصر ، وتزوج « قرنفل » من « بيبي » الصابرة وعاشا في سعادة وهناء

والقصة تدل على ان من يعمل الخير لا يعدم جوازيه فلا يذهب العرف بين الله والناس مهما طال الزمن ، وتعلم الانسان اخذ الامور ومعالجتها اذا خرجت من يده بالصبر ، فمن صبر ظفر

قصة يا خال خلخلة

وهي حكاية البنت التي توفي والداها وتعيش مع أخيها الذي يحبها ويرعاها ويكرس حياته لها ، ولا يريد الزواج حتى لاتؤذيها زوجته وكانت لهما جارة خبيثة تحببت الى البنت وتظاهرت بالطيبة والعطف عليها ، وظلت بالبنت حتى أقنعت أخاها بأن يتزوج من جارتها الطيبة وما ان تم الزواج حتى ظهرت الزوجة على حقيقتها وانقلبت على البنت تسومها العذاب

وسافر الزوج في تجارة فذهبت الزوجة الى السوق واشترت من بائعة عجوز ساحرة « بيض السمي وبيض المحمرة » [5] وأكلت الزوجة بيض السمي لتسمن وتتحمل وقدمت للبنت بيض المحمرة لتأكله ، فانتفخ بطنها وظهر عليها الحمل وحين عاد الأخ أحدث زوجته توغر قلبه على أخته وتوهمه أنها حملت سفاحا ، ولأن الأخ يحب أخته كثيرا لم يقتلها على عادة العرب بل أخذها الى الصحراء ، وحين جاء الليل ألقيا الرحال تحت شجرة جوار عين ماء ، ثم تركها نائمة وعاد

---

(٤) ...... المسحور

(٥) ... من الشعبي الخليجي بيض السمي من يأكله سمن وتجمل ، وبيض المحمرة بيض مسحور من يأكله ..... كله حبيبا لثعبان أو طير

ودهرت البنت حين استيقظت ولم تجد أخاها وهي لاتعرف طريق العودة ، لكنها أسلمت أمرها الى الله ، وصارت تأكل من ثمار الشجرة وتشرب من عين الماء وحين جاءها المخاض خرجت من حلقها ثلاث حمامات بيض وكبرت سريعا وطارت بعيدا الى دار خالها ، ووقفت على مسمع منه تقول « يا حال يا حلحلة ، يا طايع شور المره ، ترى أختك ما ربت الا من بيض المحمرة » ، وفي اليوم التالي جاءت الحمامات وقالت « يا حال يا الدندرة ، يا مايع أختك من مرة ، ترى الحريمة ما حلت الا من بيض المجمرة » وتنبه الرجل لصوت الحمامات ، وتابعها حتى عثر على أخته وعرف الحقيقة فطلق زوجته ، وعاش مع أخته وحماماتها الثلاث ، وأقسم الا يتزوج أبدا حتى لاتأتي زوجة فتؤذي أخته الحبيبة

والقصة توضح علاقة الحب والاعزاز بين الأخ وأخته ، وتكشف عن النفوس الشريرة التي تكيد للأبرياء دون ذنب لكن الحق ينتصر وينال الشرير جزاءه

قصة غصون وأخيها الغزال

وهي قصة « غصون » البنت الطيبة التي تعيش هي وأخوها الصغير بعد أن توفيت أمهما مع زوجة أبيهما الشريرة القاسية وقد تركت لهما أمهما بقرة ميراثا منها وكانت البقرة حبيبة الى قلب الطفلين لانها ترعاهما وتعطف عليهما فتخفف عنهما قسوة زوجة أبيهما ، وكانا كلما حرمتهما زوجة أبيهما من الطعام ذهبا الى البقرة فتحضر لهما التمر وتسقيهما من لبنها فيأكلان ويشبعان وتظهر عليهما علامات الصحة ، وعرفت زوجة الأب سر البقرة ، فادعت أنها مريضة ، واتفقت مع العجوز التي تعالج المرضى أن تصف لها كبد البقرة دواء ولم يشفع بكاء « غصون » وأخيها عند أبيهما فذبح البقرة ، وفي الليل اخذت غصون وأخوها جلد البقر وفرا الى الصحراء ، وكانا يفترشان الجلد وينامان عليه ليلا ، وفي الصباح يجدان عليه بجوارهما التمر واللبن

ومرا في سيرهما على قليبين [٦] ، وكان العطش قد نال منهما فأسرع كل الى قليب يشرب منه ، وكان قليب الغلام مسحورا فتحول بعدما شرب من مائه غزالا ، وأخذت غصون تبكي أخاها ، لكنه كان يمسح دموعها بلسانه ويواسيها وكان يتكلم معها وحدها بكلام الآدميين وفي الطريق قابلهما فارس يصطاد الغزلان فخافت غصون على أخيها وتعلقت به وأخذت تبكي ، وجاءها الفارس يمس بجمالها وطمأنها على غزالها ، وأبدى لها اعجابه وطلب منها الزواج ، فاشترطت عليه أن تصطحب الغزال وجلد البقرة وحملها الى قصره ، وعرفت أنه الأمير ابن السلطان وتزوجها وحملت منه

وكان للأمير بنت عم حاقدة تأمل في الزواج منه مراد حقدها وصارت غيرتها من غصون كالنار تأكل قلبها وتغيب ابن السلطان في سفر بعيد ، فصادقت بنت عمه زوجته « غصون » وظلت تتظاهر بمحبتها حتى أمنت لها ، وأخذتها يوما الى الحديقة وجلستا على حافة عين ، وعلى حين غرة دزتها [٧] في العين ، لكن جلد البقرة كان أسرع فأصبح فراشا معلقا « لغصون » ، وتلقفتها الملائكة ووضعتها بسلام على الفراش المعلق وادعت بنت العم لمن في القصر أن « غصون » عادت الى الصحراء هاربة

وولدت « غصون » ولدا جميلا ، وكان الغزال يأتي كل مساء فيتحدث مع أخته ليسليها وحين عاد الأمير صدق دعوى بنت عمه ، وظن أن « غصون » حنت الى الصحراء فعادت اليها ، لكنه غضب حين رأى غزالها فأمر بذبحه حتى لايذكره بصاحبته وسمع الغزال بذبحه فذهب الى العين وأخذ يبكي لأخته ويقول « غصون غصون أخوك المسكين ، سنوا له السكين غصون غصون من رقبته سيذبحون » فردت عليه أخته قائلة « ابن السلطان في حضني ، وجلد البقر يحملني ، وملايكة ربي تحرسني ، وكل من يمد عليك السكين تكسر يداه » وفي الصباح أمسكوا بالغزال وكلما هم أحد بذبحه انقلبت السكين عليه وقطعت يده فتعجب ابن السلطان ، وأمر باخلاء سبيل الغزال وصار يرقبه حتى وجده يذهب الى العين ليلا وينادي أخته فتتحدث اليه ، ولما نظر ابن السلطان في العين وجد فيها زوجته « غصون » وابنه منها ، فنادى الرجال وطلب الشباك وأخرجوا « غصون » وابنها بسلام ، وعرف منها الحقيقة فأخذ بنت عمه « ودرها » في العين وعاش مع غصون وابنها وأخيها الغزال في سعادة وهناء

(البقية في العدد القادم)

د علي الحديدي

---

(٦) القليب البئر العادية القديمة التي لايعلم لها رب ولاحافر ، وتكون بالبراري

(٧) لعلها محرفة من درزتها ، بمعنى دفعتها

اعداد : يوسف زعبلاوي
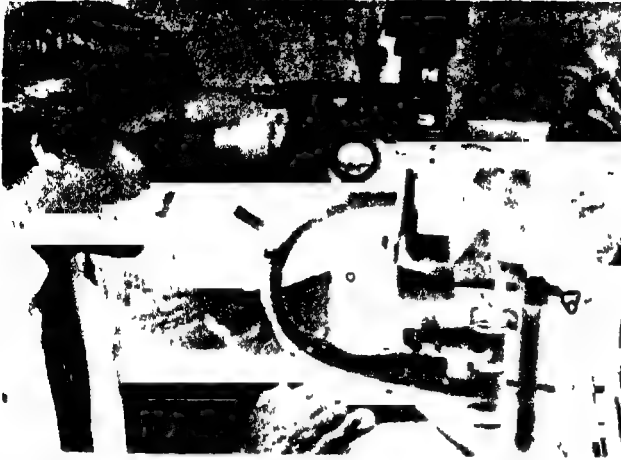
أشعة ليزر تنقذ المسنين من عمى الشيخوخة

● لعل الابحاث الخاصة بتطوير اشعة ليزر هي في طليعة الابحاث العلمية تقدما وخطورة ويصدق ذلك على الاشعة التي ستهدف الدمار والفتك بحياة الانسان والتي ستكون السلاح الرئيسي في الحرب العالمية المقبلة او التي تليها ، بقدر ما يصدق على اشعة ليزر الأخرى التي ستهدف خدمة الطب والجراحة وانقاذ حياة الانسان مما يتهددها من امراض وقد تكاثرت انباء استعمالات هذه الاشعة الخيرة في المدة الأخيرة واحتل نبأ انقاذ المسنين من عمى الشيخوخة بواسطتها مكان الصدارة بين تلك الأنباء جميعا

وتجدر الاشارة اولا الى ان لفظ ليزر انما هو اختصار لاسم اشعة ليزر الطويل light Amplification by Stimulated Emission of Radiation ومعناه « الضوء المقوي بواسطة اشعاع مولد » فاشعة ليزر اذن اشعة ضوء عا... ولكنها مقواة كثيرا ... الى الف مرة وتلك ... اجهزة الليزر التي تلتقط ... اشعة الكهرباء المعدنية ... ما من جهة اخرى

اشعة ليزر القوية ، التي تكاد تصنع المعجزات !

وليس هنا مجال الحديث عن تلك الاجهزة وحسبنا الاشارة الى قوام اجهزة الليزر ان لم نقل سرها انه حجر الكريستال الياقوتي ، او الاسطوانة الزجاجية المعبأة بغاز الارجون او ما الى ذلك مما يدخل في صميم تركيب تلك الأجهزة فيكفل لها اداء مهمتها الخارقة

وتجدر الاشارة ايضا الى ان اشعة ليزر المولدة بواسطة الاجهزة التي تعتمد غاز الارجون التي ذكرنا هي الأشعة التي كانت تستعمل منذ زمن لاغراض طبية وجراحية مختلفة والتي تستعمل حاليا في عمليات انقاذ المرضى لعمى الشيخوخة

بدأت قصة هذه العمليات ، قبل نحو خمس سنوات بالتجارب التي بدأت تحت اشراف معهد العيون الوطني National Eye Institute في الولايات المتحدة ووصلت تلك التجارب مرحلتها الأخيرة مرحلة التطبيق النهائي قبل نحو سنة ونصف السنة وكان المفروض ان تستمر شهورا عديدة أخرى سنتين او اكثر الا ان النتائج الباهرة التي أحرزتها جعلت المضي في اجراء تلك التجارب عملا عقيما واصبح التأخر في مباشرة المعالجة العملية باشعة ليزر (الارجون) ، وقد ثبتت جدواها وفاعليتها مما لا يقبل الشك بحكم القصور والخذلان

ولكن ما هو عمى الشيخوخة هذا ؟ وكيف يتسنى لأشعة ليزر ان تنقذ المسنين منه ؟ يسمونه في الانكليزية SMD او ان شئت التسمية بكاملها Senile Macular Degeneration .. فهو اذن اضمحلال وتلف كالذي يعتري اعضاء أخرى من جسم الانسان نتيجة لكبر السن وهو يصيب الماكيولا بالذات تلك

الجزء الصغير الهام في شبكية العين صغير اذ لايزيد حجمه على حجم حبة الحمص (١/٥ بوصة بالتقريب) وهام نظرا لأن الماكيولا تتحكم بالبصر المركزي Central Vision وهو اهم - كما لايخفى - من البصر الجانبي وتتحكم ايضا باعصاب حاسة البصر نفسها

ويمر مرض smd هذا بمرحلتين يكون في اولاها « جافا » وهو المرض الاكثر شيوعا ولكن المرض في هذه المرحلة لايبلغ حد العمى انه مجرد الاضمحلال والضعف الذي يصيب البصر تبعا لكبر السن فالمصابون بالمرض في مرحلته الاولى هذه ليسوا مكفوفين ، بل يحتفظون بالقدرة على القراءة ، اكثرهم ان لم نقل كلهم

لكن المرض يتفاقم ليتسبب بعمى الشيخوخة في مرحلته الثانية التي يعرف فيها باسم Neorascular SMD والذي يحدث هنا هو ان الغشاء بين شبكية العين وما تحتها من اوعية دموية لايلبث ان يتلف ويضمحل وتتولد فروع جديدة لتلك الاوعية وسرعان ماتندفع هذه الفروع في اتجاه الماكيولا وكثيرا ما تنزف دما او سائلا من شأنه ان يتلف خلايا البصر ويتسبب بأذى للفوفيا Fovea ، احد جوانب الماكيولا المسؤول عن حدة البصر فاذا حدث هذا لكلتا العينين فقد المصاب القدرة على الرؤية واصبح في عداد المكفوفين

على ان عمى الشيخوخة لايأتي فجأة وانما بالتدريج . وكأنه يتيح الفرصة للمصاب للعمل من اجل إنقاذ بصره قبل فوات الأوان فاعراضه تنبيء عنه بوضوح ، وتستمر مدة من الزمن ، وكأنها الانذار المبكر وأهم هذه الاعراض الخطوط المستقيمة التي يراها المصاب وكأنها منحنية او مشوهة وكذلك البقع او الدوائر التي تبدو له ماثلة امام عينيه !

وتعزى أهمية هذه الاعراض وضرورة اجراء الفحوص لاكتشافها دون تأخير ، الى ان معالجة عمى الشيخوخة بأشعة ليزر لاتحقق الفائدة المرجوة منها مالم يتم العمل بها مبكرا في غضون اسبوعين من بدء ظهور الاعراض وحتى في تلك الحال لاتنقص اشعة ليزر الشفاء في اكثر من ٨٣٪ من الحالات

وتهبط هذه النسبة الى ١٠٪ اذا مضى على ظهور الاعراض التي ذكرنا ستة شهور او يزيد ، دون العلاج بتلك الأشعة

ويجري العلاج بأشعة ليزر بواسطة الجهاز الذي نرى في الصورة ، وهو اقرب مايكون الى عملية جراحية بسيطة ، او عملية تلحم فيها اشعة ليزر الأوعية النازفة ولاتستغرق العملية اكثر من ١٠ دقائق ولاتكلف اكثر من ٩٥٠ دولارا للعين الواحدة

بقي ان نذكر ان الذين يفقدون بصرهم لشتى الاسباب يبلغ عددهم ٥٠٠,٠٠٠ نسمة سنويا ، وفي الولايات المتحدة وحدها خمس هؤلاء (بالضبط ١٠٤,٠٠٠ نسمة) يفقدون بصرهم بسبب عمى الشيخوخة ، فهؤلاء او ٩٠٪ منهم على الأقل ، يمكن انقاذهم من هذا العمى بواسطة اشعة ليزر

رأسان ملتصقان . . او رأس واحد بوجهين

● صورة لطيفة لتوأم سيامي فتاتين ملتصقتين عند الرأس ، ايفون وايفت جونز والفتاتان من سكان بلدة كومبتون في ولاية كاليفورنيا وقد بلغتا من العمر ٣٢ سنة اكثر مما بلغه اي توأم سيامي معروف في العالم

والتوائم السيامية نادرة الوجود فهي توائم ملتصقة يلتصق فيها التوأمان ويربط بينهما جسر من الأنسجة وتتصل عبر هذا الجسر دورتاهما الدموية وقد يكون التوأمان سويين فيسمى التوأم عندئذ (Symmetrical) وقد يكون احدهما غير سوي فيعرف التوأم السيامي في تلك الحالة Asymmetrical

والتوائم السيامية صور والوان عديدة ومختلفة

باختلاف موضع الالتصاق فيه، فقد يكون هذا مقتصرا على جزء من الرأس، كما هي الحال في توأم الصورة. وقد يكون الالتصاق شاملا للرأس كله بحيث يصبح ملتحما، ويصبح التوأمان ذوي رأس واحد. وفي تلك الحال يكون الرأس إما بوجه واحد او بوجهين. وقد يكون موضع الالتصاق في الظهر او الصدر او غير ذلك.

ولعل أعجب مايذكر في هذا الصدد التوأم السيامي الذي كان للفتاتين التوأمين فيه ظهر واحد وشرج واحد وفرج واحد ايضا. ثم كان الحمل.. ولكنه لم يكن مشتركا بينهما. لقد حملت احداهما دون ان تحمل الاخرى. ثم كان الوضع.. وكان لابد ان يكون مشتركا بين الفتاتين كما هو متوقع. ثم كان الرضاع واذا باللبن يتدفق في اثداء الفتاتين.

ومن الأسباب المؤدية الى تكون التوائم السيامية على وجه الدقة [illegible] ما يعرف هو ان تلك التوائم تتكون من بويضة ملقحة واحدة تنقسم فتتكون التوأم، ولكن انقسامها لايكتمل فيبقى شطراها متصلين، ويتكون التوأمان بالتالي ملتصقين، على نحو ما اسلفنا. على ان المصطلح العلمي الذي تعرف به هذه التوائم هو
Parabiotic Twins

اما تسميتها بالتوائم السيامية، وهي التسمية الاكثر شيوعا، فتعود الى سنة ١٨١١، حين شهدت مدينة بانكوك مولد أحد تلك التوائم الملتصقة.

كان التوأمان ذكرين، وسموهما بلغة اهل تايلاند (مع وشانج) اي شمال ويمين. وكانا ملتصقين عند اسفل عظمة الصدر، والأخطر من ذلك انهما كانا بكبد واحدة مشتركة.

وتوجه التوأمان الى الولايات المتحدة لدى بلوغ الثامنة عشرة، وعملا في سيرك شهير آنذاك (سيرك بارنوم) وتضاعف رواد السيرك اضعافا، بسبب ذلك التوأم العجيب او التوأم السيامي، كما سموه، نسبة الى البلد التي ولد فيها وقدم منها. غير ان اهل سيام (تايلاند) يسمونه التوأم الصيني.. وذلك نسبة الى أبوي التوأم وكانا من اهل الصين.

ومن طريف مايذكر ان مع وشانج تزوجا من شقيقتين. وقد انجبتا لهما عددا كبيرا من الاولاد.. بلغ ٢٢ ولدا.. كان ذلك في ولاية كارولينا حيث عملا في الزراعة بعد اعتزال اعمال السيرك. وقد عمرا ٦٣ عاما اكثر من اي توأم سيامي آخر. وتوفيا سنة ١٨٧٤ وفي نفس اليوم «١٧ يناير» ولكن بفارق ٣ ساعات. فموت احد التوأمين السياميين يقضي بموت التوأم الآخر دون تأخير، مالم تجر عملية الفصل بين التوأمين.

نعود الآن الى توأم الصورة.. والى الخبر الغريب الذي تناقلته الصحف والوكالات عن الفتاتين. ايفون وايفيت فقد رفضتا اجراء العملية الجراحية الكفيلة بالفصل بينهما واكدتا انهما مرتاحتان، بل مسرورتان بحالتهما الراهنة

والظاهر انهما بلغتا من التكيف حدا كبيرا فهما لاتتناقشان ولاتختلفان فيما قد تشعر بالحاجة اليه احداهما. فقد تشعر ايفون بالحاجة الى الجلوس او الوقوف او المشي او حتى دخول الحمام، فلا تلبث ايفيت ان تشعر بمثل شعور شقيقتها. سواء بدافع الحاجة الفزيولوجية او الحرص على المجاراة

«السويداء».. قلعة سلطان الأطرش

استطلاع : صادق يلي

تصوير : فهد الكوح

بوابة شهباء الجنوبية ، مدينة الامبراطور فيليب العربي التي يرجع تاريخها الى عصر الرومان وفتاتان بالملابس الوطنية المحتشمه
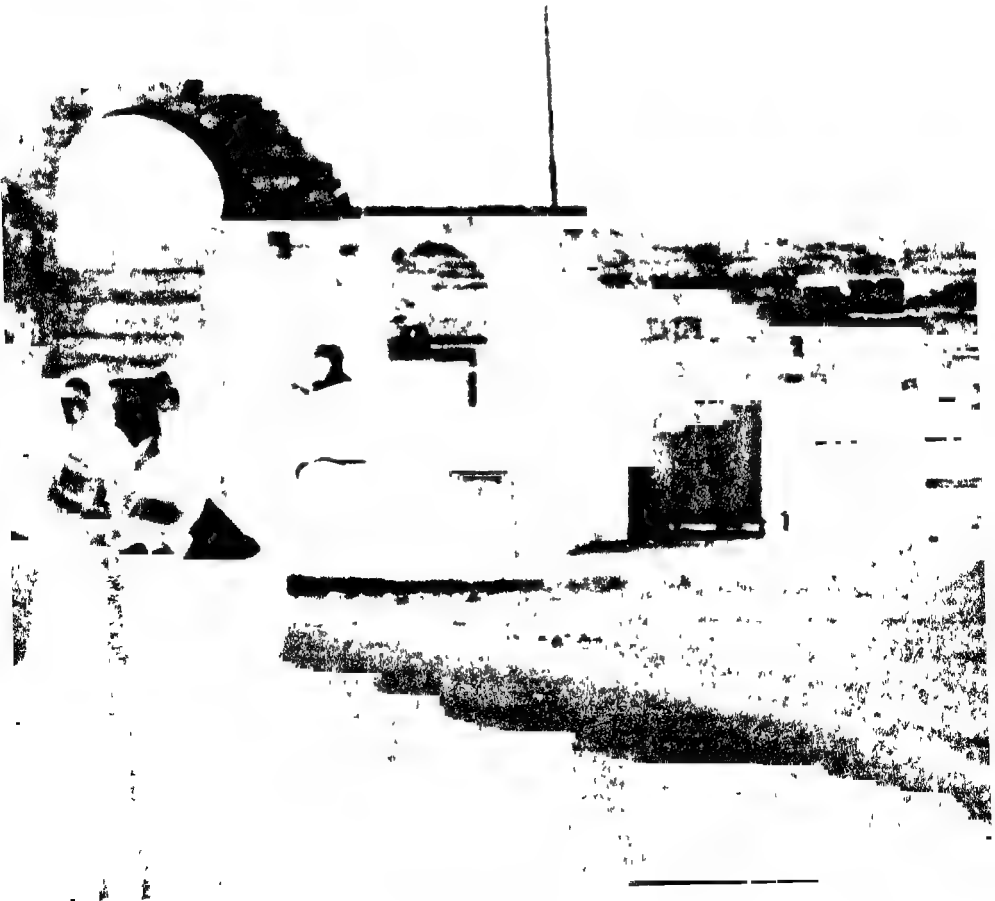
السويداء مدينة وادعة تقع على ارتماع ١٨٥٠ مترا عن سطح البحر ، انطلقت منها الشرارة الاولى للثورة العربيه السوريه الكبرى
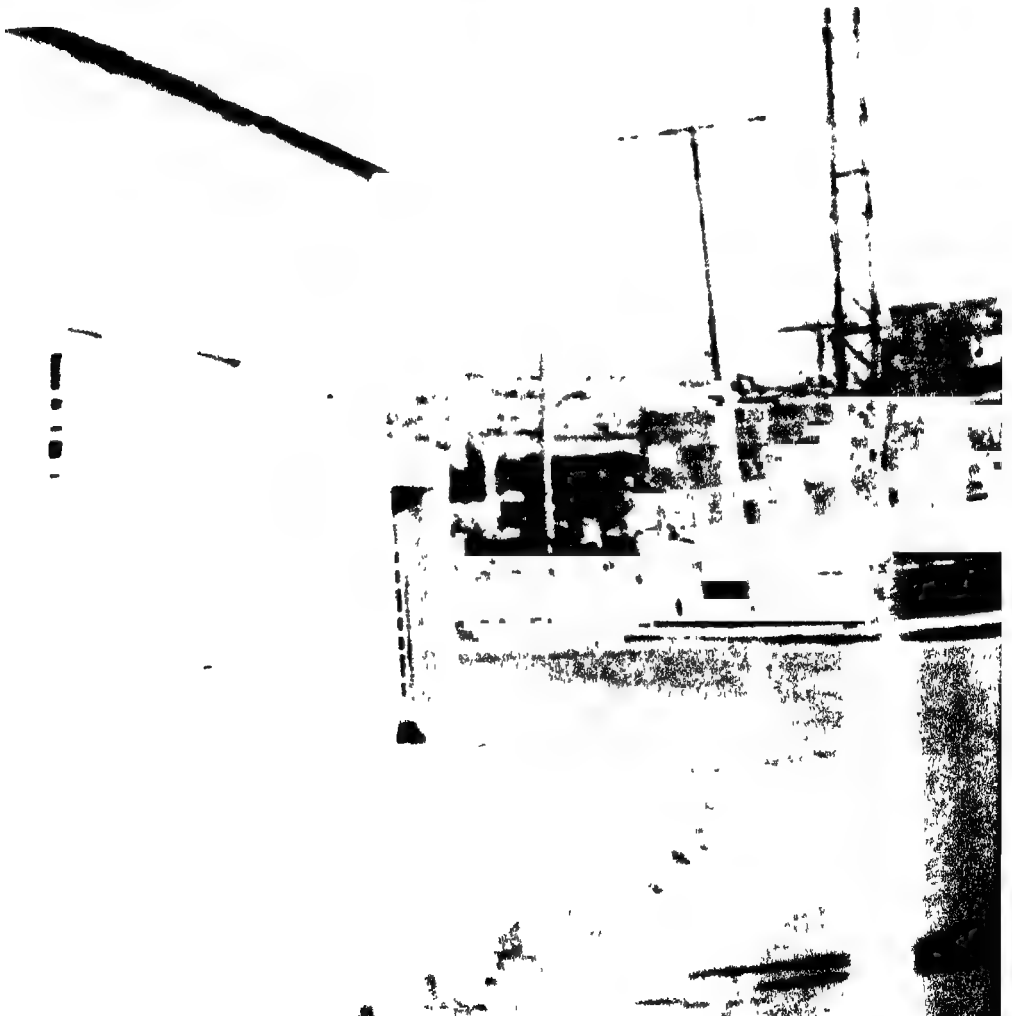
السويداء .. مدينة شماء في جبل أشم .. انطلقت من سهوله ووديانه وتلاله وقراه الصـ... أول شرارة لاشهر ثورة عرفتها سوريا في تاريخها الحديث ، ثورة ١٩٢٥ ، فلذهـا رجال ... موطنهم كل الايمان ، واحبوا هذا الوطن كل الحب ، فكانوا مضرب المثل بالبسالة والاخـ... والشجاعة ، قارعوا الاستعمار الفرنسي بجحافله وفيالقه فقهروه ، وانتصروا مسجلين ملحمة بطولية شهدتها البلاد في تاريخها الحديث

السويداء مدينة وادعة ، تقع في القسم الجنوبي الشرقي من الجمهورية العربية السورية ، تبعد عن دمشق العاصمة بنحو ١٢٠ كيلومترا ، وتقوم في ربوع هي من حيث تكوينها الطبيعي مجموعة كثيفة من التلال البركانية يصل ارتفاعها احيانا الى ١٨٥٠ مترا عن سطح البحر ، عرفت سابقا باسم جبل حوران ، تمييزا لها عن لبنان ... وليس بالبعيد بجبل الدروز نسبة الى سكانها الذين هاجروا اليها منذ مطلع القرن الثامن عشر الميلادي ، وكانت تعرف في القدم باسم جبل الريان ، اما اليوم فهي جبل العرب

يقول الاستاذ طالب عامر مدير الآثار ... السويداء عرفت السويداء في كتب التاريخ القديمة ... حوران المشهورة بأشجار السنديان والتي كانت تغطي معظم اراضيه فتكسبها رونقا وتعطيها منظرا طبيعيا اخاذا . وتعد محافظة السويداء كغيرها من مناطق سوريا من المناطق التي تزخر بالآثار ، ومن أقدم مواطن المدنيات العريقة ، سكنها العرب القدامى كالاموريين والآراميين ، وغزاها اليونان والرومان ، فثمة من عهودهم الكثير من الآثار ، ثم عرفها الانباط والغساسنة الذين خلفوا الآثار الشهيرة التي مازالت قائمة تشهد عظمة ومجد العرب منذ اقدم العصور ، ثم كانت الفتوحات الاسلامية سنة ٦٣٥ م ، لذا نلاحظ ان في هذه المنطقة مزيجا من شتى الحضارات الوثنية والمسيحية والاسلامية .

ويستطرد الاستاذ طالب عامر قائلا : لذا أولى المسؤولون اهتماما ملحوظا بهذا الجانب باحياء الأوابد التاريخية واظهار ميزتها الفنية ، فلوحات الفسيفساء تعد أجمل ما وجد من الفسيفساء في العالم ، وشهباء مدينة الامبراطور فيليب العربي تزدهي بآثارها المتنوعة كالحمامات والمعابد ومتحف الفسيفساء ، ومنطقتا سليم وعتيل تشتهران بمعابدهما التي تعود الى النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي ، وقنوات هي من المدن التاريخية العشر ، ثم صلخد وقلعتها التاريخية التي تعود الى العصر النبطي والتي جددت ورممت في العصر الايوبي فكانت من اهم معاقل العرب في الحروب الصليبية

كما ان السويداء تتمتع بمركز جغرافي هام ... كانت أحد مراكز التجارة في العصر النبطي ، كما ... اكبر مدينة في جبل حوران لانها تقع في نقطة تصل ... الجبل والسهل مما يعطيها موقعا هاما من الناحية التجارية والحربية .

شهد الجبل عدة ثورات وطنية ... الحكام خلال القرن الماضي والربع ... الحالي ، ... ١٩٠٩ ، ... المعارك ضد التسلط و... الالاف ... مقاتل

ومنذ مطلع ١٩١٤ وحتى عام ١٩٢٠ ... في جبل العرب في احداث الثورة العربية ... فريق منها بالقوات العربية ... الفلاحين وراء المجاهد سلطان ... وتعاونوا معه الى امثال ... الذين سطروا أروع الصفحات ... و مرقمو ... اى الطبقات ... للمطامع الاستعمارية

الثورة الكبرى

بدأت الثورة السورية الكبرى عام ١٩٢٥ ... عامين كاملين ، تولى قيادتها ... الاطرش ، وتعد من اهم الثورات ... الفرنسي ، فقد عمت عدة مناطق من ... العرب ، وغوطة دمشق وحمص وحماة ... قسم من لبنان ، اثارت معارك حربية ... وجنود الاحتلال من الفرنسيين خلاف ... الارواح والعتاد

الدكتور فارس بور احد ابناء جبل ... الثورة السورية دراسة مفصلة ، ويعد ...

بعض المجاهدين الذين شاركوا في ثورة ١٩٢٥ يرفعون راية قرية رساس .

من طائفة (الدروز) او الموحدين او بني معروف يقول ـ كمن السبب في اختيار سلطان الاطرش لقيادة الثورة السوريه أن الاحزاب الوطنية كانت تريد ان يتحمل قيادة الثورة رجل تتوفر فيه القاعدة الشعبية الثورية ، وفي منطقة تمرس اهلها بالقتال واكتسبوا افضل الخبرات النضالية ، وكان قرارهم في محله فقد كان سلطان الاطرش حازما في التوجه الى الجماهير ، ومخاطبتها بشكل جماعي ثم طرح القضايا الوطنية الكبرى والآمال والطموحات امامها كما انه كان يرفض تجزئة النضال الوطني وتحقيق مكاسب انية على حساب بقية اجزاء الوطن ، تجلى ذلك في المحاولات العديدة التي بذلتها فرنسا لاقناع ثوار الجبل بالحلا ... سكية مقابل الاستجابة لمطالبهم ، فكشف الاطرش ... اهداف تلك المحاولة

وداء ... الجماهير ويحرضها على القتال ويحثها على ... والايمان ومتابعة مسيرها النضالية فقد ... الاطرش منذ صباه الباكر يحس إحساسا عميقا ... بالصيد والقنص والعاب الفروسية ، ... فنون القتال ويهتم بأعمال الحقل التي توفر ... العيش وكأنه كان يستشف ببصيرته الغيب ... المسير الذي سيقوم به ، ويقدر الرسالة ... تحمل اعباءها ، فمضى يشق الطريق ... نفس أبية لا ترضى الهوان ، وهمة عالية لم

تعرف الكلل

ولحسن حظه راحت تهيأ له الاسباب فاغتنمها بجرأة نادرة ، واقدام فريد ، وتضافرت معه القوى الوطنية العاملة فتسلم زمام القيادة بحكمة عاقلة وروية واعية ، والتف حوله رفاق كانوا مضرب المثل بالبسالة والاخلاص ، فوثق بهم وتعاونوا معه الى ابعد الحدود مما مكنه ان يلعب دورا تاريخيا كان وسيظل نبراسا لكفاح الامة العربية من اجل الحرية والسيادة والاستقلال .

ومن السمات البارزة لقيادة المجاهد سلطان الاطرش هو حرصه في التوجه الى الجماهير وفي مخاطبتها بشكل جماعي ، وطرح القضايا الوطنية الكبرى والآمال والطموحات امامها والاستفادة من قوتها المادية والمعنوية لتأكيد جماهيرية التدابير وفعاليتها التي يتخذها القائد في المواقف التي تتطلبها المواجهة مع المحتل واعوانه فقد اشترك سلطان الاطرش منذ صغره في الانتفاضات التي قامت بها الجماهير ضد الطغيان التركي ، كما كان على رأس مجاهدي جبل العرب الذين شاركوا في الثورة العربية الكبرى وفي طليعة الثوار الذين دخلوا دمشق وحرروها من الاتراك كما رفض سلطان الاطرش العروض العربية في مفاوضات الصلح التي اعقبت الثورة ودعا الى اجتماع موسع في شهباء ، اجمع فيه الثوار على ان لا صلح مع فرنسا دون تحقيق الوحدة السورية ومنح الاستقلال

أمام مضافة الزعيم الاطرش ، وقف نجله منصور واخوه زيد الاطرش يستقبلون الجماهير التي توافدت على بلدة القريا مهد طفولة الزعيم

في متحف مدينة السويداء مجموعة من الآثار التاريخية المتنوعة التي جمعت من مناطق شتى من الجبل ، ولوحات الفسيفساء التي تعد من اندر واجمل انواع الفسيفساء في العالم

تعاقبت على جبل العرب عدة حضارات ومدنيات قديمة ، فقد سكنها الاموريون والآراميون ، وعمرها اليونان والرومان فتركوا بها آثارهم وأوابدهم ، وهنا مجموعة من رجال الجبل بزيهم الوطني بين هذه الآثار

اطل . فلم تكن هذه الثورة سوى حركة تحرير من دل تتناسب تعبر عن رفض الشعب للعبودية والتحكم جنبي لنقرأ معنا من وصية هذا الرجل والتي تدل على له بقوميته ووطنه . تقول الوصية

انطلقت الثورة من الجبل الأشم جبل العرب لتشمل سم ، وكان شعارها الدين لله والوطن للجميع . واعتقد ما حققت لكم حرة وعطوا ولا استعمار ولا استكبار ، حتي لكم اخوتي وامتثلي العرب هي ان أنالكم طريقة ويلة وشاقة شديدة ، فاصبروا صبر الاحرار ولتكن حدتكم الوطنية وقوة ايمانكم وتراص صفوفكم هي بيلكم لرد كيد الاعداء وطرد الغاصبين وتحرير لوطن

وفي جانب آخر من هذه الوصية يقول : اعلموا ان حدة العرب هي المنعة والقوة وانها حلم الاجيال وطريق الخلاص ، واعلموا بأن ما أخذ بالسيف ، بالسيف يؤخذ ، وان الايمان اقوى من كل سلاح ، وان كأس الحنظل بالعز اشهى من ماء الحياة في الذل .

عودوا الى تاريخكم الحافل بالبطولات الزاخر بالامجاد ، لاني لم ار اقوى تأثيرا في النفوس من قراءة تاريخ لتنبيه الشعور ، وايقاظ الهمم لاستنهاض الشعوب لتثأر بحريتها وتحقق وحدتها وترفع اعلام النصر

الحمد ثم الحمد لله ، لقد اعطاني عمرا قضيته جهادا ، وامضيته زهدا ، ثبتني وسدد خطاي واعانني اخواني ، أسأله المغفرة وبه المستعان وهو حسبي ونعم الوكيل

وفي قرية رساس وفي مضافة احد المجاهدين الذين شاركوا في الثورة اخذ الرجال يشرحون لنا المواقف البطولية التي وقفها ابناء الجبل والمعارك الضارية التي نشبت بين الثوار وجنود فرنسا ، انها قصص بطولة وفداء سجل فيها ابناء الجبل بدمائهم تاريخ هذه الثورة

خنساء القرن العشرين

يروى السيد حسين حمزة قصة استشهاد اسرة بكاملها من ابناء الجبل يقول : صمم ثوار الجبل بعد معارك عدة في الكفر والمزرعة على القضاء على القوات الفرنسية التي تحاول فك الحصار عن قواتها المتواجدة في قلعة السويداء ، تجمعت قوات الثوار في قرية المسيمرة ، وتنادى الثوار لمهاجمة هذه القوة الغازية ، فتجمعوا عند قرية رساس ، وكان لكل قرية راية تدل عليها تدعى (البيرق) يتجمع حولها مقاتلو القرية يضحون بنفوسهم في سبيل رفعتها وحمايتها ، وكان الذين يحملون الراية في قرية رساس هم آل حمزة سليمان واولاده . واخذ الثوار قرارهم بمهاجمة المعتدين في قرية المسيمرة رغم علمهم انها ارض مكشوفة ولا حماية طبيعية للثوار فيها

ويضيف السيد حسين حمزة قائلا : وتقدمت رساس مع المتقدمين ، واشتدت المعركة تشتد ساعة بعد ساعة والثوار يرددون اهازيجهم فاصابت رصاصة عدو صدر المجاهد يوسف سليمان حمزة فسقط على ارض [illegible] شهيدا فاستلم اخوه سليمان الراية دون ان ينظر [illegible] اخيه ، وأخذ يستحث الجموع للقضاء على المستعمر الفرنسي ، ولكن سليمان لم يكن اوفر حظا من اخيه فاستشهد هو الآخر ، فحمل الراية اخوهم الثالث سليم دون ان يفكر باخويه ، واخذ يتقدم الجموع فاصابه ما اصاب اخويه فخر صريعا يتضرج بدمه ، وقبل ان تهوي الراية أمسك بها اخوهم الرابع سعيد وأخذ يتحدى ويصيح صيحات النصر ولكن رصاص العدو لم يمهله فلحق باخوته ، فاصبح عدد الاخوة الشهداء اربعة . ولم يبق الا الاخ الخامس نصر الذي قفز يرفع الراية قبل ان تسقط ولكنه هو الآخر لم يكن اوفر حظا من اخوته الاربعة فخر صريعا ، فحمل الراية ابناء عمومتهم وهم يتقدمون الصفوف وقد بلغ عدد الشهداء ثمانية من آل حمزة

ويضيف السيد حسين حمزة قائلا : وكان والد الاخوة الشهداء سليمان مصطفى حمزة ينقل الماء والطعام الى المجاهدين على جمله ، فاصابته شظية قنبلة فنقل جريحا الى قرية رساس ، فاخذت زوجته تضمد جراحه . وعندما عاد المجاهدون في المساء خرجت الام تسأل عن ابنائها فكان العائدون يستقبلونها بالغصات والدموع فعلمت المصير المحتوم الذي لحق بأبنائها ، فعادت الى بيتها والغصة تخنقها والأسى يعتصر قلبها المكلوم ، وحين وصلت الى زوجها الجريح حتى وجدته قد [illegible] ولحق بابنائه فوضعت رأسها على صدره [illegible] الروح

وكان الثائر الكبير ومؤرخ الثورة السورية [illegible] الدكتور عبد الرحمن الشهبندر موجودا في قرية [illegible] فاسرع ليلقي نظرة على الشهيد وزوجته [illegible] عندهم والدموع تملأ مآقيه وقال : لقد [illegible] طبيعية ، وقد ذكر هذا الحادث في مذكراته [illegible] يحسن ان يسمي هذه الأسرة اسرة الشهداء [illegible] أمهم بخنساء القرن العشرين

وقفة أبناء الجولان

وما وقفة أبناء الجولان اليوم ضد المح[illegible] امتداد لتلك الروح الوطنية الوثابة ضد الم[illegible]

العلم المستعمر الفرنسي يقول المحامي
الأستاذ ... سيد اذا عرفنا ان من بين قرى الجولان
العليا ... قرى يقطنها ابناء معروف ((الدروز)) وهي
قرى ... مس ويقطنا وسعد وعين قنية ، لعرفنا ان
السبب ... في تصميد ابناء الجولان الذين رفضوا الهوية
الاسرائيلية ، يعود الى أن الدروز ... ... على
اموري ... العرض والأرض ، فهم لا يتزوجون من
الطوائف والمذاهب الأخرى لايمانهم بالحفاظ على العرق ،
كما انهم وتحت اقسى الظروف ، لا يتركون ارضهم التي
صحى الآباء والاجداد من اجلها ، فالأرض العربية غالية
عليهم ولا يفرطون بها لمستعمر او محتل

ومن ابرز شخصيات الجولان العربية (الدرزية)
المجاهد اسعد كنج ابو صالح وهو من اتباع سلطان
الاطرش ، وله دور كبير في الثورة السورية الكبرى ،
ومن ابرز انجاله الشيخ كمال ابو صالح وهو معتقل الآن
بسبب قيادته لمقاومة ضد الاحتلال الاسرائيلي ، لقد قاوم
مع اخوانه (الدروز) فكرة عمل من اجلها الاستعمار
الصهيوني تنادي بقيام دولة درزية ، رغم المغريات
الكبيرة التي عرضت عليهم ، والسبب ان (الدروز)
يرفضون نظام الطائفية ، فلقد قاوموا الاحتلال الفرنسي
عندما أقام الفرنسيون دولة جبل الدروز سنة ۱۹۲۱ ،
واستطاع ابناء الجبل الأشم اسقاط هذه الدولة واطلقوا
على جبلهم اسم جبل العرب

ويستطرد الاستاذ توفيق عبيد قائلا لقد اصدر مشايخ
قرى الجولان (الدروز) قرارا هاما وخطيرا اطلق عليه
اسم (الحرم) ، وبموجب هذا الحرم قرروا مقاطعة كل
من ... الهوية الاسرائيلية مقاطعة كاملة لا يشتركون معه
... او ورق ولا في فرح او مأتم ، ولا يلقون عليه
سلام ولا يردون له تحية ولا يأكلون من طعامه ولا
يشربون من شرابه ، ولا يجلسون معه في مقعد او مضافة
... ... له زواج ، وبالتالي يقاطعونه مقاطعة مدنية
... دينية كاملة ولذلك ، ونظرا لان اربعة فقط
حملوا الهوية الاسرائيلية ، فلقد عاد هؤلاء الاربعة الى
جادة الصواب والى رأي الجماعة واعادوا الى سلطات
الاحتلال ... ية الاسرائيلية

... ... اضرابا عاما شاملا ، فطوقت هذه
... القرى ... كانت من نتيجة ذلك ان حرم العمال من
العمل ... هذه القرى ، فاصدر ابناء الجولان قرارا
... ... ناحية الانتاج والغلال حيث يوزع
... ... هم من مال وغلال على مجموع السكان ،
... ... لدى الاغنياء منهم ملكا حلالا للفقراء
العاطلين عن العمل

القيادة الدينية والسياسية

ولكن ماذا عن القيادة السياسية والدينية للدروز ؟
يقول الاستاذ توفيق عبيد « من المعروف ان الدروز
قبائل عربية هاجرت من الجزيرة العربية وسكنت في ارض
الفرات وكان منهم ملوك المناذرة اصحاب الحيرة ثم
هاجرت بعض هذه القبائل الى حلب في سوريا وسكن
اكثرهم في منطقة المعرة والبعض الآخر سكن الشام ، وقد
استقرت الاكثرية منهم في وادي التيم في لبنان ، ومن
امرائهم التنوخيون والارسلانيون والمعنيون

وعند قيام مذهب التوحيد بعد تولي الحاكم بأمر الله
الخلافة بعصر الفاطمية ، انتشر هذا المذهب في سوريا
ولبنان وفلسطين ، فسمي اصحابه باسم الدروز نسبة الى
نشتكين الدرزي أحد دعاة هذا المذهب ، وشاع عليهم
هذا الاسم مع العلم بأن الدروز انفسهم هم الذين قتلوه
بعد فساده ، ويعد مذهب التوحيد (الدرزية) من
المذاهب الاسلامية ، الا ان مذهب الدروز يختلف عنها
من ناحية الاحوال الشخصية في النقاط التالية

أ ـ لا يوجد لديهم تعدد الزوجات نهائيا مستلهمين الآية
الكريمة « فإن خفتم الا تعدلوا فواحدة »

ب ـ لا يمكن اعادة المطلقة بعد اعلان الطلاق

جـ ـ الوصية معمول بها للوارث ولغير الوارث

د ـ لا تسري احكام اللعان والرضاع لديهم

هـ ـ اذا حكم على الزوجة بالزنا فللزوج تطليقها
واسترجاع المهر ، وكذلك اذا حكم على الزوج بالزنا
فللزوجة اخذ كامل مهرها المؤجل

كما يصرون على انهم طائفة إسلامية عربية لهم ما
للمسلمين ، وعليهم ما على المسلمين من واجبات
وحقوق ، الا ان لديهم كتبهم الخاصة المعروفة (بالحكمة
الشريفة) وهي عبارة عن مخطوطات ورسائل ابرزها
السجل المعلق المكتوب عام ٤١١ هجرية والميثاق

ويضيف الاستاذ توفيق عبيد فيقول يتولى القيادة
الدينية لديهم في جبل العرب ثلاثة يسمون مشايخ العقل
وشيخ العقل اي شيخ العقال ، وهم حاليا الشيخ سلمان
الهجري في قرية قنوات ، والشيخ حسين جربوع في
السويداء ، والشيخ يحيى الحناوي في السهوة والى جانب
هؤلاء عدد من المشايخ الذين يضعون فوق رؤوسهم
عمامة بيضاء ، ويلبسون ثيابا سوداء فوقها عباءة سوداء

اما عن قيادة الدروز السياسية فقد كانت في جبل
العرب لآل الحمدان ثم انتقلت بعد ذلك الى آل الاطرش
والى اسماعيل الاطرش ، الا ان زعامة سلطان الاطرش

في اي ... سعي،
فهناك تد... لآثار
القديمة ، ام ... حول
هـذا الجـ... والآثار
التاريخية التي ... عبر
هذه المنطقة

تلعب المضافة في جبل العرب دورا اجتماعيا بارزا في حياة الناس هناك ، ففيها يتذاكرون قضاياهم الحياتية او يعالجون مشكلاتهم ، وقد تكون مجالا لسرد القصص التاريخية

مصور الاطرش بحل الرعيم سلطان باشا الاطرش يشير الى مجموعة من الاسلحة والسيوف التي حارب بها الرعيم سلطان الاطرش او التى اهديت له من الملوك والرؤساء

القائد العام للثورة السو لكبرى لا تعود الى انتسابه للاسرة فقط ولكن الى شخصيته وبطولته ويعد ان اضمحلت الزعامات التقليدية ، ظلت شخصية سلطان مسيطرة على قيادة الدروز وظل الاجماع المنقطع النظير حول قيادته ، نظرا لانه كان يملك مواصفات القيادة ، كما كان شديد الايمان بالوحدة الوطنية والوحدة العربية ، فلم يسع الرجل الى اى منصب او مكسب شخصي ، وظل فلاحا بسيطا متواضعا رغم ما وصل اليه من مجد وطني بعد الثورة السورية عام ١٩٢٥

المضافة في جبل العرب

ومن العادات العربية الاصيلة التي يحافظ عليها ابناء جبل العرب المضافة ، وهي تشبه الى حد كبير الديوانية في مجتمعات الخليج والجزيرة العربية ، يقول الاستاذ الشاعر صلاح مرهج المضافة هي ابرز غرفة في المنزل ، وفي الغالب تكون ذات باب مستقل يؤدي الى خارج المنزل وهي من الداخل اريكة او مقعد متصل من ثلاث جهات بعكس المدخل تسمى (الطواطي) ، وتفرش عادة بالسجاد والحشايا المصنوعة من الصوف ، وفي المضافات القديمة كانت هناك حفرة للقهوة العربية المرة تسمى (النقرة) مليئة بالفحم توضع حولها دلال القهوة ، لعبت المضافة دورا اجتماعيا بارزا في حياة اهل الجبل ، فهي اولا بمثابة فندق مجاني ينام فيه الضيف ويتناول فيه الـ دون ان يسأل عن موطنه او اسمه او حتى عن غرضه للعادات العربية القديمة ، كما يلتقي في هذه المضافات القرية او المدينة فيتذاكرون قضاياهم الحياتية او يعا مشكلاتهم او يقومون بحل اي خلاف قد يحدث بينهم وقد تكون مجالا لسرد القصص التاريخية ، وفي ... الاحيان تنشد بعض القصائد على انغام الربابة ... بالتالي مدرسة وطنية يتعلم فيها الاهالي ماضي رجالهم وامجادهم .

وقد روى لنا الاستاذ توفيق عبيد عن بعض العادات والتقاليد التي يشتهر بها ابناء جبل العرب ، منها عادة عقد الراية او عقد الصلح والتي تستلهم الآية الكريمة « ... من عفا واصلح فأجره على الله » . يقول الاستاذ توفيق عندما تحصل اية حادثة قتل غير عمد ، يتدخل رجال الدين والوجهاء واصحاب الرأي لحل المشكل الذي حصل واحلال الصلح بين الفريقين المتنازعين وفق الصيغة التالية « يكلف اهل القاتل الوجهاء واهل الخير بالسعي للصلح فيذهب هؤلاء المكلفون ويعدون هذا شرفا كبيرا ، فيراجعون أهل المغدور به عارضين عليهم الصلح (ويشومون) من الشهامة اهل المغدور به ، وقد لايأخذون اي مبلغ من المال مقابل هذا الصلح او يشترطون دفع مبلغ يتفقون عليه وهو في العادة لايتجاوز عشرين الف ليرة سورية

المشاتل الزراعية احد الجوانب الهامة التي يوليها المسئولون الكثير من اهتمامهم

ب يوم معين يحضر اهل المغدور به الى ساحة عامة مع اجمهور المدعو لعقد راية الصلح ، ويحضر اهل القاتل بوساطة الخير لاحلال الصلح وهم يحملون قصبة مربوطا بها شاشة بيضاء فيقدمون ويعرون اهل الفقيد ، ثم يحمل الراية وتقدم إلى أهل المغدور به فيتقدم والى المغدور به او وليه ويعقد هذه الراية ، ويكون ذلك اعلانا عن موافقته على الصلح وانهاء الخلاف ، ثم يعقد الراية اقرب المقربين الى المغدور به ثم يعقدها المشايخ الذين سعوا بالصلح ككملاء على هذا الصلح ، والجميل في هذا الامر ان السلطة تجيز هذا الصلح وتوافق عليه قانونا ، ثم يتقدم شخص ذو صوت جهوري معلنا الصلح بالعبارات التالية «فمن عفا واصلح فاجره على الله ، ثم يقول اشهدوا يأهل الحمية ضيوف وعلية الراية البيضة المبنية لفلان كرم الله وجهه» ويكررها مرات ويشكر الفريقين ، وهذا الصلح يجري في الغالب في حوادث القتل الخطأ او حوادث السير خلال يومين او اسبوع على الاكثر ، اما في حوادث القتل العمد فيتم الصلح بعد مشاورات من قبل اهل الخير والدين

المهر طربوش مذهب

ويحدثنا الشاعر مجيب البحري عن عادات وتقاليد الزواج عند اهالي جبل العرب يقول «عندما يرغب شاب في خطبة فتاة ، يتقدم اهله لطلب هذه الفتاة من والدها ، وفي الغالب يجرى اخذ الموافقة بشكل سري عن طريق بعض النساء او المقربين ، فاذا نال الموافقة يذهب وفد يسمى (الكذة) او (الجاهة) ويتألف من الوجهاء في القرية او الحي او المدينة حيث يقولون لوالد الفتاة «ان الخاطب فلان يود القرب منكم ، ووحد في تربيتكم لابنتكم ما ينال اعجابه ، فاذا تكرمتم نرجو الموافقة على اجراء مراسم الخطبة » ويتفق على المهر بشكل جانبي وليس بشكل معلن ، نظرا لان بعض الناس لايأخذون مهرا والبعض يغالي في المهر «وهو في العادة عبارة عن نقود وذهب» والاعلية من بنات الجبل يطلبون طربوشا مذهبا وهو طربوش احمر يزين في مقدمته بمائة ربعية من الذهب الخالص وعلى الجوانب توجد الجهاديات والقرانص الذهبية ، سطح الطربوش قرص من الفضة تتدلى منه الليرات الذهبية ، وهذا الطربوش يكلف في احسن الاحوال ٥٠ الف ليرة ذهبية

وبعد ذلك تجري الخطبة من قبل الشيخ حسب الطريقة المعمول بها لدى كافة الطوائف الاسلامية ، ولكن للتأكد من موافقة الفتاة يذهب ـ بتكليف من الشيخ ـ شخصان لمقابلة الفتاة مباشرة وبمعزل عن الآخرين يأخذون منها اسورتها الخاصة دليلا على موافقتها ، وعند اجراء الخطبة يجلس الشيخ باتجاه القبلة ويتصافح وكيل الروح ووكيل الزوجة وفوق إبهاميها المجتمعتين توضع الاسورة نفسها التي جلبت من الفتاة ثم يقرأ الشيخ الفاتحة ، وفي العادة لاتحضر النساء مراسيم عقد القران في حين يمكن حضورهن حفلة الزواج

نهضة زراعية

كيف تبدو محافظة السويداء اليوم ؟ في السويداء اليوم حركة بناء وتعمير ومشاريع زراعية وصناعية متميزة يلمسها كل قادم اليها ، فالمحافظة تعتمد اساسا في تطورها على القطاع الزراعي ، اذ ان اغلبية السكان يزاولون مهنة الزراعة ، يقول المهندس الزراعي حمد جربوع مدير الزراعة والاصلاح الزراعي «اننا نعتمد في تطوير للزراعة في المحافظة على شقين هما الشق النباتي والشق الحيواني ، فالشق النباتي يعتمد على تطوير وزيادة مساحات الاشجار المثمرة والحراجية والاشجار الرعوية فأهم الاشجار المثمرة في المحافظة : هي العنب اذ يبلغ عددها حوالي ٩ ملايين غرسة ، ويبلغ انتاج العنب في بعض السنوات الجيدة نحو ١٠٠ الف طن ، يأخذ منها معمل التقطير في السويداء ٥ آلاف طن والباقي يسوق محليا او في باقي المحافظات السورية ، ثم تأتي بعد ذلك اشجار التفاحيات ـ وتشمل التفاح والكمثرى والسفرجل ، والتفاح بالذات هو اهم صنف من هذه الاصناف حيث يبلغ عددها اكثر من نصف مليون غرسة ثم تلي هذه الاصناف اللوزيات وهي الكرز والدراق ويضيف المهندس حمد جربوع قائلا «اننا نعمل على التوسع في زراعة اشجار الزيتون في المناطق التي لايصل ارتفاعها الى ٩٠٠ متر عن سطح البحر ، اما التشجير الحرجي فنحن نعمل على تغطية كامل المساحات التي لاتزرع بالاشجار المثمرة لتكون غابات جميلة او مصدات رياح للبساتين المثمرة في اكثر من موقع من المحافظة

اما بالنسبة للشق الحيواني فنحن نعمل على الاهتمام بهذا القطاع ، فقد أقمنا المداجن ومستودعات العلف والابار الارتوازية وتوزيع الابقار المحسنة على المزارعين ففي مجال الدواجن مثلا اقيمت مدجنة تكلفتها قاربت ٤٠ مليون ليرة سورية تنتج سنويا ما يقرب من ٤٠ مليون بيضة ، كما اقيمت خمسة مستودعات للاعلان في اكثر من مكان من المحافظة وذلك باستيراد الآلات الثقيلة لاستصلاح الاراضي .

اوبريت قطار المستقبل مسرحية غنائية شعرية شاركت فيها منظمة الطلائع في السويداء في مناسبات وطنية تمثل طموحات الجماهير العربية فى الوحدة والتحرر

مصنع الاحذية في محافظة السويداء يمثل حاسا اقتصاديا مشرقا من جوانب نهضة هذه المحافظة ، هذا المصنع يستطيع انتاج ألفى زوج من الاحذية يوميا

في ثانوية الفتاة العربية مجموعة من الطالبات ودرس في التربية الرياضية .

وهناك مركزان للبحوث الزراعية احدهما للاشجار المثمرة والآخر لتحسين الماعز الجبلي ، ويستهدف عمل المركزين هو دراسة اهم اصناف الاشجار التي يمكن ان تنجح في المحافظة ومن ثم توزيعها على المزارعين ، اما المركز الاخر وهو تحسين الماعز الجبلي فهدفه عمل تهجين بين الماعز الجبلي والشامي لتحسين النسل وللحصول على سلالات حديثة تتلاءم مع المنطقة الجبلية وتعمل على زيادة انتاج الحليب

سدود مياه

ولما كانت السويداء تتسع من سنة الى اخرى في مشاريعها الصناعية والعمرانية ، فقد دعت الحاجة الى اقامة بعض السدود لتلافي النقص في موارد المياه ، حدثنا السيد المهندس علي فاعوط مدير مؤسسة مياه السويداء عن المياه والسدود يقول : ان مشروع مياه الرريرب هو من اهم المشاريع لسد حاجة مدينة السويداء من المياه ، وهذا المشروع يروي نصف مدينة السويداء حاليا كما يروي مجموعة اخرى من قرى المحافظة بالاضافة الى العائلة التي تحصل عليها بعض قرى محافظة درعا ، وقد بدأ العمل به في عام ١٩٧٢ وانتهى عام ١٩٧٥ ، وبلغت تكاليف مشروع مياه الرريرب حوالي ٢٥ مليون ليرة سوريه

ويضيف المهندس فاعوط قائلا : وهناك عدة سدود اهمها سد الروم ويقع في الجهة الشمالية الشرقية من مدينة السويداء ، وهو سد ترابي سعته التخزينية اربعة ملايين متر مكعب من المياه يسقي نصف مدينة السويداء بخط طوله تسعة كيلومترات ، وقد اقيمت عليه محطة تصفية ستكون جاهزة للاستعمال في القريب العاجل . بلغت تكاليف انشاء هذا السد حوالي ستة ملايين ليرة سورية ، اما سد جبل العرب ويقع في الجهة الجنوبية الشرقية من السويداء سعته التخزينية تبلغ ١٩,٥ مليون متر مكعب من المياه ، سوف يستخدم لتأمين مياه الشرب لمنطقة صلخد وقراها ، كما اقيم عليه محطة تصفية من اجل تنقية مياه السد قبل توزيعها على المواطنين ، ويتوقع ان يتم هذا السد خلال هذا العام

وهناك عدة سدود اخرى صغيرة هي سدود ترابية او مبنية بالاسمنت المسلح مثل سد العين وسد الشقف وسد سهوة البلاط وسد رساس ثم سد شهبا ، تتفاوت سعتها التخزينية للمياه بين مليون متر مكعب الى ستة ملايين متر مكعب تروي المناطق والقرى التي تحيط بمحافظة السويداء .

صناعات جلدية وصوفية

في السويداء مصنعان كبيران احدهما مصنع الاحذية والآخر مصنع السجاد الآلي . يقول المهندس عدنان المصفي مدير مصنع السويداء للاحذية : ان هذا المصنع هو احد القطاعات الانتاجية الكبيرة في السويداء ، وهو واحد من اربعة معامل تابعة للشركة العامة لصناعة الاحذية وهي احدى شركات القطاع العام ، يعمل في المصنع ٢٨٦ عاملا وعاملة ، يقوم بانتاج عدة موديلات من الاحذية الرجالية والولادية والنسائية حسب نوع الطلبيات الواردة الى المصنع من القطاع العام . وقد بدأ المصنع انتاجه الفعلي سنة ١٩٧٩ بعد فترة تجارب للعمال الذين صقلوا تجربتهم في فرنسا ، ينتج المصنع عدة انواع من الاحذية اهمها الحذاء العسكري وطبي وحذاء رجال الاطفاء وحذاء الفتوة ثم الحذاء الشعبي الرجالي والصنادل ثم الاحذية الولادية والبناتية مختلف انواعها

ويستطرد المهندس عدنان المصفي قائلا : [illegible] المصنع بانتاج الاحذية الايطالية موديل ر الموكاسان [illegible] الموضة والتي تضاهي الاحذية العالمية [illegible] خطوط الانتاج بآلات متطورة تقوم على صناعة [illegible] الانواع ، ومن الجدير بالذكر ان طاقة المعمل الانتاجية تصل الى ٢٠٠٠ زوج من الاحذية في حالة تكامل [illegible] العمال وتوفر المواد الاولية . وقد بلغت مبيعات [illegible] المصنع عام ١٩٨١ نحو ٢٣,٥ مليون ليرة سوريه في [illegible] كانت المبيعات في السنة الاولى لانتاج المصنع نحو مليون ونصف مليون ليرة سورية لاغير

اما المشروع الصناعي الآخر فهو معمل السجاد وهو من المشاريع الهامة التي اقيمت لبناء قاعدة اقتصادية سليمة في البلاد وتأمين السلع للمستهلك واستغلال [illegible] الخام المتوفرة في البلاد ، بالاضافة الى تشغيل [illegible] وامتصاص البطالة . بدأ التفكير في هذا المصنع [illegible] ١٩٧٦ ، وبدأ انتاجه سنة ١٩٧٩ ، يقول السيد [illegible] حزام مدير المصنع : ان معمل السجاد الآلي ينتج السجاد الصوف الصافي بطاقة انتاجية تقدر [illegible] سنويا على ثلاث ورديات . اما نوعية السجاد التي [illegible] هذا المصنع فهو نوع تبريز ممتاز واصبحت [illegible] يضاهي السجاد العالمي رغم ان عمر المصنع لا يتعدى ثلاث سنوات ، وقد بدأ تصديرنا هذه [illegible] ١٩٧٩ الى القطر العراقي الشقيق والاخ [illegible] ومن المؤمل ان نصدر هذا العام نحو ٥٠ الف متر مربع [illegible]

في الوحدة الانتاجية لصناعة السجاد اليدوي في قرية عمرة

هذا السجاد الى دول اخرى بسعر اعلى من السعر الداخلي ، وهذه سياسة القطر السوري في تقديم سلعة للمستهلك العربي السوري بسعر خاص اقل من سعر التصدير ، وقد حصل المصنع على بطولة الانتاج على مستوى القطر السوري في صناعة الغزل والنسيج.أما المواد المستخدمة في الانتاج فهي ثلاث مواد رئيسية هي الصوف السوري الصافي بالاضافة الى الصوف المستورد والقطن السوري المحلي والخيوط ، يعمل بهذا المصنع ١٥٥ عاملا ، من بينهم ٣٢ فتاة وهناك حوافز انتاجية تطبق على اساس تحقيق الحد الادنى للانتاج المطلوب ، وبعد هذا الحد يوجد نظام خاص يعطي ٥ ليرات على كل متر زيادة عن الحد الادنى الذي حققه العامل ، بالاضافة الى مكافآت تشجيعية وعلاوات انتاج وتحفيز تقدمهاادارة المصنع ، ومما يجدر ذكره ان جميع العاملين من فنيين وعمال وخبرات هم من ابناء محافظة السويداء يتم تدريبهم على الاعمال الفنية المطلوبة في قطرنا العزيز ، او يوفدون في بعثات الى الخارج

تنتج الوحدات السجاد اليدوي الذي يضاهي في جودته السجاد العجمي والذي يقبل عليه الكثير من هواة هذا النوع من السجاد ، وفي زيارتنا لاحدى الوحدات في قرية عمرة قال لنا مسؤول الوحدة ان هذه الوحدة تنتج ١١٥٠ مترا مربعا من السجاد اليدوي وفق الاصناف ٣٠٠ـ٤٠٠ـ ٥٠٠ـ ٦٠٠ ، اما اجود الانواع فهو النوع الاخير الذي يتكون من ٣٦٠ الف عقدة في المتر المربع الواحد اما اسعار هذا النوع من السجاد فيتراوح ما بين ٤٨٦ ليرة الى ١٦٢٢ ليرة للمتر المربع ، يعمل بهذه الوحدة ٦٠ عاملة من بنات الريف يأخذن اجورهن حسب انتاج كل واحدة منهن وتتراوح الاجور بين ٢٧٧ ليرة سورية الى ١١٠٨ ليرات للمتر الواحد حسب نوع كل صنف من هذا السجاد ، وباستطاعة العاملة ان تنتج مترين ونصف متر مربع في الشهر الواحد من هذه الاصناف ،لقد حقق هذا المشروع نجاحا كبيرا ، واصبحت الفتاة في الريف تكسب رزقها من عرق جبينها بل وتساعد اسرتها اذا دعت الحاجة الى المساعدة ، ومن المعروف ان معرض دمشق الدولي يضم قسما باسم معرض الصناعات الريفية للسجاد اليدوي يعرض انواعا مختلفة من هذا السجاد الفاخر الذي يقبل عليه هواة اقتناء هذا النوع من السجاد

هذه بعض معالم السويداء أم الابطال التي وقفت صامدة امام الطغاة والطامعين □□

صادق يلي

فمهر العروسة مثا هو عرب
لمراسم الرواح والافراح في قرى ومدن محافظة السويداء تقاليد وعادات جميلة ، ساء العرب
نسائي احمر مرصع بقطع من الليرات الذهبية ، وهنا اهالي قرية عمرة يرقصون الدبكة ابتهاجا برواح اح

حديث النحل هل استمعت إليه ؟

بقلم الدكتور عبد اللطيف أبو السعود

لنحل العسل لغة مثيرة ، تتكون من أصوات مميزة ، وحركات ، وتمثيل صامت وكما هو الحال بالنسبة لبعض الناس ، فإن بعض النحل يتحدث بالحركات أكثر مما يتحدث بالأصوات وقد وجد بعض العلماء تسلية كبيرة في ملاحقة بعض الناس وهم مستغرقون في مناقشات حادة ، لقد كانوا يلاحظون أيديهم وهي تتحرك وأجسامهم وهي تتمايل .

وكذلك الحال بالنسبة للنحل حيث يجد بعض العلماء انه يمكننا بملاحظة النحل عند مدخل الخلية أو بالقرب منه ، أن نتعرف على أشياء كثيرة تتعلق بما يعمله النحل داخل الخلية ، بدون رفع غطائها على الاطلاق

وفي كل مرة نفتح خلية للنحل ، فاننا نتدخل في عمل النحل الروتيني المنظم بعناية كبيرة ، وفي كل مرة نفعل ذلك ، ينتج عن ذلك نقص في انتاج العسل

ويعمل النحل بهمة كبيرة أثناء موسم جمع العسل ، ولكنه يستمتع بكل دقيقة منه ويمكن للانسان أن يحصل على متعة مضاعفة بملاحظة النحل وهو يغدو ويروح هنا وهناك ، أو وهو يهبط سعيدا على لوح الهبوط أمام مدخل الخلية ، وخاصة بعد أن يكون ذلك الانسان قد تعلم لغة النحل الى الدرجة التي يمكنه أن يفهم بها نوع الخدمة أو المعونة التي قد ينتظرها النحل منه

تجربة فريدة

وفي صباح يوم من أيام الربيع ، لاحظ احد الرو[illegible] بدا له كنحلة صغيرة ميتة على اللوح الذي يغطي الا[illegible] تحت لوح الهبوط الممتد أمام باب الخلية وبينما كان [illegible] ويراقب طارت نحلة أخرى من لوح الهبوط ، وهبطت على اللوح السفلي ، وأخذت تسير في دائرة حول [illegible] الساكنة ، وبدت كأنها تتحدث اليها وبعد فترة قليلة ، اذا بالنحلة التي كانت تبدو ميتة تبدأ في [illegible] وتعود الى الحياة ، وعند ذلك ، وقفت النحلة الأخ[illegible] أمام النحلة الضعيفة بحيث كان فمها في [illegible] الأخرى وبعد دقيقة أو دقيقتين ، [illegible] الضعيفة أقوى بدرجة ملحوظة ، وأكثر [illegible] ما بدأت ترحف حول المكان وهي فرحة [illegible]

وفسر أحد الواقفين ما حدث بقوله « ان النحلة التي كانت تبدو ميتة كانت في الواقع جائعة وغير قادرة على الطيران الى مدخل الخلية ، ثم قامت نحلة الخلية باطعامها ولعل نحلة الحقل الضعيفة تأخرت خارج الخلية في الليلة الماضية ، ولم تتمكن من العودة ، ولذلك كان عليها أن تبقى في الخارج طوال الليل والآن وقد اطعمتها نحلة الخلية ، فانه بعد حوالي ربع ساعة ، سوف تصبح النحلة الضعيفة قوية بحيث يمكنها الطيران ، الى مدخل الخلية ، واللحاق ثانية بالقوة العاملة »

وكان هذا هو ما حدث بالضبط

المثير للاستياء ان النحل يقوم باطعام أخواته الجائعات ، ولكنه لا يطعم أو يهتم بالنحل المريض أو العاجز ، أو الطاعن في السن ، الذي لا يرجى منه أي نفع للخلية ككل

وفي فصل الربيع ، يمكننا أن نشاهد « رقصة النحل » التي تحدث عنها كتاب كثيرون وعندما تقوم النحلات العائدات من الحقل بهذه الرقصة ، فانها تفيد النحلات الأخريات في معرفة الاتجاه الذي يوجد فيه مصدر جديد من مصادر الرحيق ، ومدى بعده ، وفي بعض الأحيان تستغرق هذه الرقصة ١٥ ثانية اذا كان مصدر الرحيق قريبا منها وقد تستمر الرقصة الى دقيقتين اذا كان بعيدا ، لذلك ... في معظم ... حالات نرى هذه الرقصة بطريق المصادفة ، ... الفسيحة للملاحظة الطويلة

صرخة لطلب المعونة

... الى الخلية فيه تهديد لسلامة النحل ، وفي احدى الأمسيات ، وبعد أن أسدل الظلام ستاره ، ذهب اثنان من مربي النحل لتفقد الخلايا ، كانا يستندان الى السور الواقي من الرياح ، يستمعان الى طنين النحل وهو يعمل ، وقد أخذ بعضه يطير أمام باب الخلية ويضرب الهواء بأجنحته ليسحب الهواء الدافىء الرطب من داخل الخلية

وفجأة سمع أحد الرجلين نحلة يصدر عنها صوت مميز ، ذلك الصوت الذي يسميه المرسوم « نداء الاستغاثة » ، ذلك لأن هذا الصوت لا يسمع الا عندما تغزو جحافل النمل ، ويحتاج النحل الى معونة فورية من مربيه ، انه صوت يتراوح بين الهمس والأنين ، ولا يصدر عادة الا عن نحلة واحدة الا انه في بعض الاحيان يمكن سماعه من عدد من النحل في آن واحد ويعتقد البعض انه مزيج من الأصوات التي تنتج عن الفم ، وتلك التي تأتي من ضرب الهواء بالأجنحة ، واذا سمعت ثلاث نحلات أو أكثر يصدرن هذا الصوت الحزين ، فاعلم أن خلية النحل تواجه مشكلة

وعندما سمع المربي نداء الاستغاثة ، ذهب على الفور الى الخلية التي يصدر عنها النداء ، وركع بجوارها يستمع لقد كان النداء يتكرر على فترات ـ طول كل منها دقيقة احضر الرجل مصباحا ومعجونا للنمل ، فوجد أن النمل يغزو الخلية عن طريق أحد الأركان المجاورة لمدخلها واقتفى أثر صف النمل الى أسفل القاعدة حيث وضع نقطا قليلة من السم بعد لحظات قليلة ، بدأ النمل يأخذ المعجون

ولحماية النحل ، غطى الرجل السم بقطعة من

تجمع النحلات الشغالة صوف الرحيق لتودعه في الخلايا حتى اذا امتلأ البيت عمد ... وسد ... تسمى اليرقة خادرة وهي تتحول الى نحلة كا... الخلايا (الى أعلى)

يرقة النحل قد تنمو وتتحول الى ملكة بشرط ان يتوفر لها ما يكفي من الغذاء والمكان
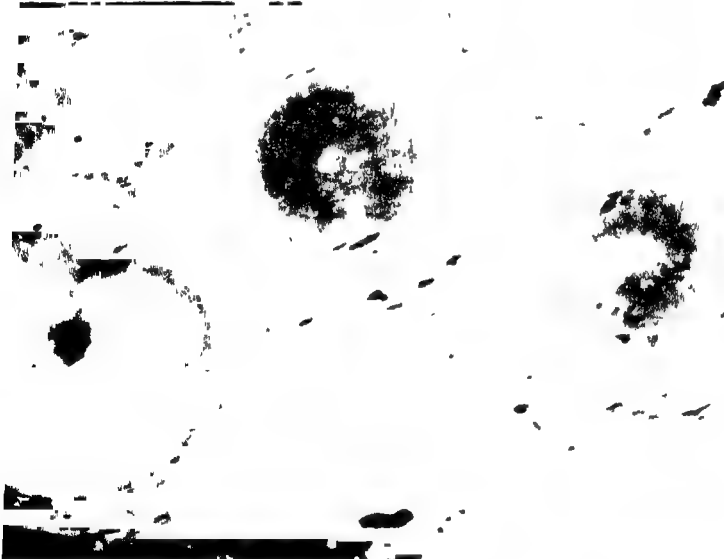
مراحل مختلفة تمر بها اليرقة الخادرة اثناء نموها وتحولها الى نحلة كامله

الخشب ، تاركا تحتها فراغا صغيرا يسمح للنمل بالوصول الى السم ، ولكنه لا يسمح لنحلة طائرة بالوصول اليه

ونيحصف عن النحل الذي يثير ، وليدخل الطمأنينة الى نفسه ، اخذ الرجل فرشاة لتخرج بها النمل الذي بدأ يجري حول لوح الهبوط أو بالقرب من مدخل الخلية ، ان النحل يقدر هذه المساعدة ، وقد يرحف حول أصبع المربي في فرح وسرور

وفي الصباح ، لم يكن من الممكن رؤية نمل في أي مكان حول الخلية ولكن أتربة السم ورذاذه يمكن أن تقتل النمل والنحل معا

حديث الملكات

لقد كتب الكثير عن الملكات الصغيرات وهن يتحدثن الى بعضهن البعض أثناء وجودهن في الخلايا قبل خروجهن منها وقام بعض المراقبين بتسجيل هذه الأصوات بأسماء مختلفة مثل « تشب » أو « بيب » ان هذه الأصوات تسمع غالبا عند غروب الشمس أو بعد ذلك . وفي أحيان كثيرة ، يحدث اختلاف واضح في شدة هذه الأصوات ، بحيث يمكن للبعض أن يعينوا ببعض التأكيد عدد أسراب النحل التي ينتظر أن تغادر الخلية بعد السرب الأصلي

وهناك اعتقاد سائد بأن الملكة الأولى التي تخرج ، تلدغ الملكات الصغيرة الأخرى وتقتلها ـ تلك الملكات التي لم تخرج بعد من خلاياها ، وهكذا تصبح هي الملكة الوحيدة في الخلية

ولكن بعض المربين يرون أن ذلك أمر نادر الحدوث في الحياة العملية ، فالمشاهد ان الملكة العذراء تطير بعيدا ومعها السرب الأصلي وبعد فترات تتراوح بين يومين وخمسة أيام ، تترك الملكات الأخريات الخلية مع اعداد متناقصة من النحل على هيئة سرب ثان وثالث ورابع وخامس في بعض الأحوال لقد شاهد بعض المربين خلايا كثيرة تخلو تقريبا من سكانها من النحل بعد خروج عدد من الأسراب منها

ان النحل يعطينا تحذيرا كافيا عندما يشعر بالحرارة الزائدة والازدحام الزائد ويحتاج الى مساعدتنا لتخفيف هذا الوضع . وقبل أن يبدأ النحل في بناء خلايا السرب بثلاثة أيام ، يعطي اشارة بالتمثيل الصامت ، يطلق عليها مربو النحل اسم « نظام حداء العرس » وبمجرد أن تشرق الشمس في الصباح وتبعث الدفء في مقدمة الخلية ، نجد أن معظم النحل الذي يخرج من الخلية يطير الى الحقول

ولكن عندما تفكر الخلية في الهجرة بصورة قاطعة [...] نحلة أو نحلتين أو ثلاث نحلات ترحف الى أعلى [...] الخلية المسطحة الرأسية ، ثم تتجه الى اليمين ، ثم [...] نزولا الى مدخل الخلية ثانية ، وفي العادة ، بعد نفس الوقت تقريبا ، يرحف عدد صغير من النحل [...] اعلى مقدمة الخلية ، ثم يتجه الى اليسار ، ثم [...] مدخل الخلية ثانية ، ان النحل سوف يفعل ذلك [...] اليوم طالما كانت الشمس ساطعة ، واذا [...] اذا حل المساء ، توقف النحل على الفور

ان المسار الذي يسلكه النحل يشابه في شكله وحجمه حذاء الفرس وهو مسار مميز يسهل تمييزه [...] شاهد ذلك لأول مرة يكون النحل لم يبدأ بعد في [...] السرب . ولكنه يعطينا إنذارا بأنه يخطط لذلك في المستقبل القريب

هاو يتحدث

في أثناء فصل الربيع ، تصدر عن خلايا النحل أصوات تشبه حدنا رقيقا لأوتار الجيتار ، ومع مرور الوقت يصبح هذا الصوت أقل وضوحا ، حتى بداية أغسطس عندما يتوقف تماما حتى فصل الربيع التالي ان هذا الصوت الغريب قد أثار اهتمامي

لقد استمع آخرون الى هذا الصوت وتساءلوا عن معناه لقد فكرت في أنه قد يكون نتيجة لاحتكاك النحل في طريقه الى الأجزاء العليا أو السفلى من الخلية [...] بسبب أطراف أجنحتها المتذبذبة ، عندما يحرك النحل الهواء بأجنحته لادارته في أنحاء الخلية

وفي معظم الأوقات ، يجب علي أن ألصق أذني [...] جانب الخلية لأستمع الى هذا الصوت ، وهو دائما [...] وضوحا في منطقة معينة لقد وصلت الى استنتاج [...] هذا الصوت انما يصدر بالقرب من الملكة حيث يكون

وقد سألني البعض عن السبب في عدم استخدامي لسماعة طبية عندما أنصت الى صوت النحل في خلاياه حقا توجد عندي سماعة طبية ولكن لسبب [...] فانه يمكنني فهم لغة النحل بصورة أفضل عندما [...] أذني اليسرى بقوة على جانب الخلية ، لأستمع [...] مختلفة ، وهو مالا أستطيعه عندما أستخدم سماعة طبية □□

د . عبد اللطيف [...]

أفقياً

يوسف بن تاشفين

رأسياً

البيروني

اثنتان في واحدة

٨) افقيا: يوسف بن تاشفين: اكبر سلاطين المرابطين، اسس مدينة مراكش، وانتصر على ملوك الاندلس، كما هزم جيش الفونسو السادس ملك قشتاله وليون في الزلاقة عام ١٠٨٦ م.

٨) رأسيا: البيروني: فيلسوف ورياضي اسلامي، ولد في بيرون عاصمة خوارزم في نهاية القرن العاشر، ويعد من اعظم علماء الدولة الاسلامية في الفلسفة والرياضة والفلك والجغرافيا، تكلم عن كروية الارض ودورانها حول محورها

الفائزون بالجوائز

- الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فازبها حسين صالح حيدر / صنعاء / اليمن الشمالي
- الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها علاء أحمد يوسف بركات / النقرة / الكويت
- الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها محمد لعصيبي / مراكش / المغرب

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا فاز بها كل من

١ ـ جمال زكي عطا الله الجيار / / سوهاج / مصر
٢ ـ إبراهيم الصديق محمد / الخرطوم / السودان
٣ ـ محمد العبدالله العداد / حلب / سوريا
٤ ـ لما عبد الله الشرع / عمان / الأردن
٥ ـ نوره عبد العزيز الزامل / القصيم / السعودية
٦ ـ منصور سعيد عبده / المعلا / اليمن الديمقراطي
٧ ـ حسين حسن التميمي / بغداد / العراق
٨ ـ أحمد عارف الغاي / بيروت / لبنان

رسالة جنيف :

بلد في قارة، ماذا يريد ؟

استطلاع : منير نصيف

« قصر الامم »، أو مقر الامم المتحدة في جنيف . صورة من الجو
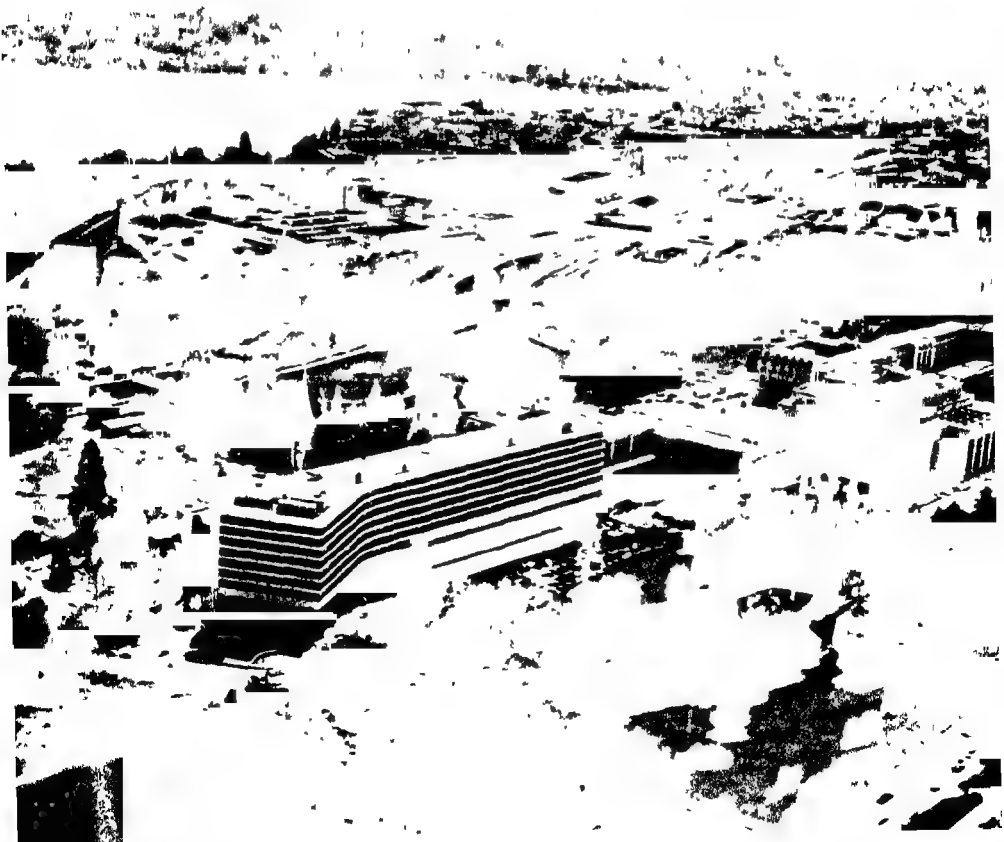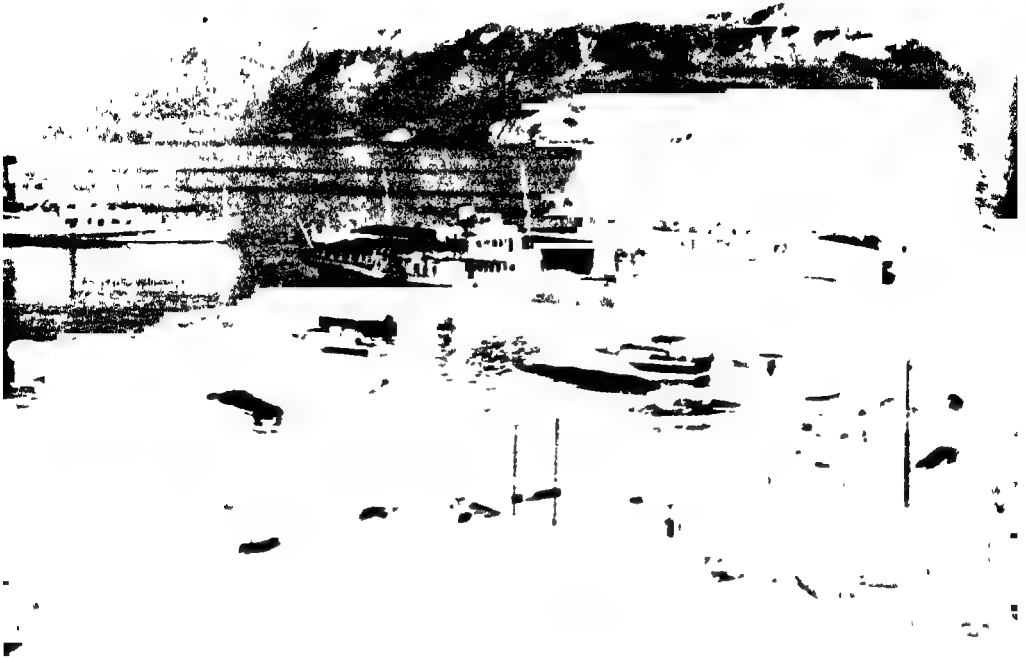
السويسريون يعشقون الرحلات البحرية وهم يصنعون أجمل القوارب واليخوت لهم ولضيوفهم من الزوار والسائحين

قصر شيون التاريخي وسط مياه البحيرة قريبا من مدينة مونترو

ماذا تريد سويسرا ؟

والسؤال للكاتب الفرنسي شاتوبريان ، وقد طرحه منذ أكثر من مائة وخمسين عاما ! ولم تكن سويسرا بعد قد تقدمت كانت لاتزال بلدا ناميا صغيرا ، ولكنها كانت تنمو بسرعة وتتقدم بسرعة

ثم اجاب شاتوبريان على تساؤله بقوله « هل هي الحرية ؟ انها استمتعت بها منذ قرون هل هي المساواة ؟ لقد حققتها هل هي الجمهورية ؟ أنها دستورها

ماذا تريد سويسرا اذن ؟ « انها تريد التغيير فهذا هو قانون الكائنات الحية »

في ذلك الوقت كانت سويسرا تمر بالثورة التي استمرت خمسين عاما ، واسفرت عن قيام الدولة الفيدرالية الجديدة فقد كان نظام الحكم القديم مريحا من حكم الاقليات والجمهوريات وكان يعتمد على المرتزقة ، فكان النبلاء يؤجرون فرقا سويسرية للملوك الاجانب ، وكان جان جاك روسو ابن جنيف في مقدمة الذين نادوا بالاصلاح وبالتغيير الهائل الذي جاء مع الثورة الفرنسية العظيمة ، ولو أنه لم يعش ليرى ثمار فكره

اصطحبني مسيو « جريجوار » في جولة قصيرة في مدينة جنيف ، وظننت ان صديقي هذا - وهو فرنسي - يريدني أن امشي معه في حاضر هذا البلد الذي يقع في قلب القارة الاوروبية ونبعته صاعرا ، حتى وصلنا الى الجسر الرئيسي الذي أقامه السويسريون فوق بحيرة ليمان ، او بحيرة جنيف ، فهناك جسور اخرى كثيرة صغيرة ! ثم توقف ، وقال « هل رأيتها ؟ » قلت في دهشة ماذا ؟

قال « الحرية ! »

- هل يرى الناس الحرية عندكم ؟

- انهم يرونها ويشمونها ويستمتعون بها انها ماء وهواء وغذاء

وكنا قد وصلنا ، بعد أن عبرنا الجسر ، الى شارع صغير وقال صديقي جريجوار « هذا أشهر شارع في المدينة انه شارع روسو ، هنا ولد الكاتب الكبير جان جاك روسو ، وهنا عاش طفولته وشبابه قبل ان يرحل الى باريس لينثر بذور ثورته ، ولكنه كان يعود دائما الى جنيف ، ثم لايلبث ان يجرم أمره من جديد ويذهب الى فرنسا

وغضب السويسريون وهم يرون جزءا من التاريخ يزال من مكانه ولكنه قطار التحديث ، لكي يستمر في سيره ، فلابد ان يجد خطوطا حديدية تمتد أمامه كل يوم وهدموا البيت القديم الذي أنجب المفكر الثوري ، وقام مكانه متجر « بلاسيت » ومعناها المكان الصغير وهو أحد المتاجر الكبيرة في جنيف ، المدينة التي تقع عند سفح جبال الألب التي تعطي الثلوج قممها طوال اشهر السنة ولكنها تذوب في المناطق الأقل ارتفاعا عندما تشرق شمس الربيع والصيف ، وتتسلل المياه عبر القنوات الصغيرة في الجبل لتملأ البحيرة التي لاتجف !

تحت هذه القمم العالية يعيش شعب يتجاوز تعداده قليلا ستة ملايين نسمة ، او اثنين في الالف من سكان الارض ، وهو عالم صغير كثير التنوع ، يعكس اتجاهات المجتمع العصري وطروحه ، وبين سكان سويسرا نسبة اجنبي ، وهي نسبة عالية في راى العديد من السويسريين على الأقل ، ومعظم هؤلاء من ابناء ايطاليا ويوغسلافيا واسبانيا وتركيا واليونان ، وقد كانوا جميعا من الدعائم اللازمة لبناء البلاد بعد الحرب الثانية

والفكر . ايضا

ولكن الاجانب الذين يقيمون في سويسرا ليسوا كلهم عمالا ، بل هناك ايضا العديد من المثقفين والطلبة من كل قارات العالم ، ومن بينهم اللاجئون السياسيون فقد عرضت سويسرا في القرن التاسع عشر على كثيرين ممن لجأوا اليها ، المأوى ، وطابت لهم الاقامة ومن هنا راحوا يحركون العالم من حولهم ويؤثرون فيه ومن بين هؤلاء الفيلسوف الروسي الكسندر هرتزن ، ومؤسس الموصوبية « ماكونين » ، ورائدا الحرية الايطاليان « غريبالدي وماتزيني » ، والموسيقار الثوري الالماني « ريتشارد فاجنر » ، كما عاش « لينين » في زيورخ قبل أن يعود الى روسيا قبل ثورة اكتوبر

وفي مدينة برن ، شارع صغير ، يقال ان نظرية « النسبية » التي تفتق عنها ذهن « اينشتاين » قد ولدت فيه ، حيث كان هذا الشاب العالم يعيش هناك ، ... يعمل في ذلك الوقت في مكتب « البراءات والاختراع السويسري »

عن يختلف السويسري ، ؟
.ه واقعي ، بعيد عن الخيال ينظر الى الامور حوله
بنفس الطريقة التي يضبط بها ساعته !

منذ انتقل السويسريون من الزراعة الى الصناعة ، بنفس السرعة التي انتقل بها الانسان من الأرض الى الفضاء كاونايدركون - ربما أكثر من غيرهم ، انهم لكي يعيشوا في رخاء فلابد لهم من أن يتجهوا الى الارض ، لان ضعف المحاصيل الزراعية يعني الجوع ولم يكن هذا اكتشافاً،فالعالم كله كان يزرع قبل الثورة الصناعية ، ومعها وبعدها ومازالت الشعوب تزرع اليوم أكثر من اي وقت مضى ولكن مع الزراعة في سويسرا ، كان هناك دائما اهتمام خاص بالتطوير وكان هذاكله وسويسرا مازالت بلدا ناميا منذ اكثر من قرن ونصف

ثم اصبح المزارعون يعتمدون الى حد ما على دعم الدولة لهم ولجهودهم ومحاصيلهم وبفضل هذا الدعم تحولت المزرعة القديمة التقليدية التي يمتلكها الفلاح ، الى مؤسسة للانتاج الزراعي كل شيء فيها يعمل وفق احدث الطرق العلمية ومن هنا لم تعد الارض في حاجة الى اكثر من سبعةرجال من بين كل مائة رجل عامل ، لادارة هذه المزارع والعمل فيها ، ولولا رقعةالارض المحدودة التي تصلح للزراعة في هذه المنطقة الجبلية الباردة لحققت سويسرا معجزات تفوق بكثير ما استطاعت ان تصل اليه في مجال الزراعة والمنتجات الزراعية

ولم يقتصر نشاط المزارعين على الزراعة وحدها ، فقد تحولوا الى مهندسين للطبيعة الغنية من حولهم من أجل السويسريين انفسهم ومن اجل الذين يجيئون الى بلادهم زائرين فبفضل هؤلاء وهؤلاء اكتشف ابناء سويسرا انفسهم ، واكتشفوا جمال الطبيعة في بلدهم ، ومضوا يستغلونه حتى اصبحت جبالهم ووديانهم وزهورهم لوحة فنية رائعة تتوسط اكبر نافذة في مجال اوربا التجارية والسياحية اليوم ان هناك مناطق باسرها في البلاد تعيش على السياحة صيفا وشتاء ، واصبحت هذه الصناعة تشكل مصدرا رئيسيا من مصادر الدخل القومي واصبح السويسريون أساتذة في فن معاملة السائح وخدمته والسهر على راحته !

طاحونة بولر !

ولكن كانت التطور الزراعي بجانب التطور الصناعي ، فقد ومع الثورة الثانية ، لم يعتهم ان يجمعوا قصص النجاح ويسجلوها في دفاتر حساباتهم مع التاريخ وكان هناك الكثير من هذه القصص مثلا هناك قصة الحداد « بولر » الذي اكتشف ان الحبوب يمكن ان تطحن برحى حديدية بدلا من الرحى الحجرية المألوفة حتى الآن في بعض القرى التي مازالت تعيش حياتها التقليدية القديمة حتى اليوم وقام « بولر » بالعمل بصنع اول نموذج للرحى الحديدية . وكانت النتيجة ان ربع انتاج العالم كله من الحبوب يطحن الآن في طواحين من انتاج « بولر » السويسرية

ثم قصة « جايجي » الذي جاء من « تورجاو » ، وكان يتاجر في مواد الصناعة في مدينة « بال » السويسرية ، ويشتري المواد الاولية التي يستخدمها في تجارته من الصين وجزر جامايكا ونمت التجارة الصغيرة حتى اصبحت اليوم من اكبر الشركات الكيميائية للصناعة في العالم

لقد بدأ التطور الصناعي في سويسرا بتجارة النسيج ، وكانت الاقمشة تغزل وتنسج وتصبغ وتطبع ، وتتهافت الاسواق العالمية على شرائها وكانت كل هذه العمليات تتم يدويا قبل ان تلحقها الثورة وتقدم لها نظام النسيج الآلي واصبح الانتاج وادوات الانتاج تتمتع اليوم بسمعة عالمية واشهر الات النسيج ماكينة« سولزر » المعروفة ، فالنول فيها يعمل بدون مكوك ، والمسالك يعمل بدون بكره !

هذه الصناعة الاولى - صناعة النسيج - التي توصلت الى كيمياء مواد الصناعة الثانية ، كان لها الفضل الاكبر في تقدم الصناعات الكيمائية والصيدلية

مصانع الاسمدة الكيميائية في سويسرا اليوم تصدر انتاجها الى العديد من البلدان الافريقية والآسيوية

ومصانع الادوية السويسرية في القمة ، جودة ودقة وثقة وكذلك مصانع المواد الغذائية فقد كان « هنري نستله » nestle ، الصيدلي والكيميائي يرى ان الدسم الموجود في اللبن ، هو مادة غذائية كافية ، فقام بتحويله الى لبن جاف ، وكان يستخدمه في بادىء الامر في صناعة غذاء الاطفال في المصنع الصغير الذي اقامه في بلدة « فيفي » على شاطىء بحيرة جنيف واليوم تقوم في مكان هذا المصنع ، اكبر الشركات الصناعية السويسرية لمنتجات الالبان ، ولكن اصبحت القهوة « النس كافيه » اشهر منتجاتها مع اللبن النستله !

وفي شوارع سويسرا سيارات كثيرة ، بمعدل سيارة لكل خمسة او ستة مواطنين الفلاح عنده سيارة ، والعامل يركب السيارة ولكن معظمها ، ان لم يكن كلها ، تسير بالبنزين . لان « بعبع » التلوث ، جعلهم يخافون من كل آلة تدار بالديزل ، لأن ماينتج عن احتراق

الديزل في ماكينة واحدة ، يكفي لتلويث الماء والهواء في مساحة لاتقل عن عشرة الاف متر مربع لمدة نصف ساعة على الاقل ، اذا تجدد الهواء ولم تمر نفس المنطقة مركبة اخرى تدار بالديزل ، والغريب ان سويسرا نفسها هي صاحبة اختراع محركات الديزل ، التي تستخدم في السيارات والبواخر ، وصاحبه هو « رودلف ديزل » وهو الماني ، ثم طوره بعده « سولزر » السويسري لقد اخترعوه وصدروه ثم اغلقوا ابوابهم امامه !

سلعة نادرة .. ماهي ؟

قال لي مسئول في مؤتمر التجارة والتنمية في الدول النامية ، او دول العالم الثالث ، احدى المنظمات المنبثقة عن الامم المتحدة « دعك من السلع الاستهلاكية ! او السلع الانتاجية ان السلعة النادرة حقيقة التي بدأت سويسرا في تصديرها على اوسع نطاق ، هي خبرتها ومعرفتها الفنية technical know how وقد اصبحت هذه السلعة في مقدمة ما تحتاج اليه الدول النامية في مسيرتها نحو التقدم في مجالات الحياة المتعددة

ويقوم المهندسون والخبراء السويسريون الآن بأعمال التصميم والتشييد في كافة انحاء العالم ، وخاصة في مجال انشاء محطات القوى التي تدار بالماء ، وكذلك منشآت المواني

« ومن اجل تنظيم تصدير هذه السلعة ، وهي ... كل ما صارت إليه اليوم فقد اسسوا عدة شركات تبيع ... وث الأساسية والتخطيط والادارة والتكنولوجيا

« فقد كانت سويسرا ومازالت بلدا فقيرا ... رده الطبيعية ، فليس فيها بترول ، ولافحم ولاذهب ولا أي معدن آخر من المعادن الرخيصة او الثمينة ... ثروتها الحقيقية في ارادة ابنائها وفي تصميمهم وفي عقولهم التي تعمل وتفكر ، وتخلق وتبتكر انها بلاد قريبة الشبه باليابان ولعل هذا التشابه بين السويسري والياباني هو الذي خلق تلك المنافسة القوية بينهما ، مع فارق واحد واضح ، وهو ان اليابانيين بحكم طبيعة ارضهم التي تسبح في البحر ، برعوا في صناعات اخرى فقد صنعوا السفن والناقلات وصنعوا السيارات ، وهي مجالات في الصناعة لم يطرقها السويسريون وليس معنى هذا انه ليس عند اهل هذا البلد الذي يعيش بلا نافذة تطل على البحر خبرة بحياة البحر فهم يمتلكون اسطولا تجاريا ، واسطولا اخر من ناقلات البترول ، وقوارب تجارية من كل الاحجام ، يستخدمونها في نزهاتهم ورحلاتهم في النهر الوحيد الذي يستخدم في الملاحة بين الاراضي السويسرية والبلاد المحيطة بها وهو نهر الراين هناك انهار اخرى الرون والـ... والدانوب ، وهي تصل بين سويسرا وبحر الشمال

الناعورة في بحيرة لمان انها من معالم هذا البلد الذي يعمل اهله طوال النهار وينامون مع الغروب الا هي فهي تبقى ساهرة تدفع منها المياه على مدار السنة ليل نهار
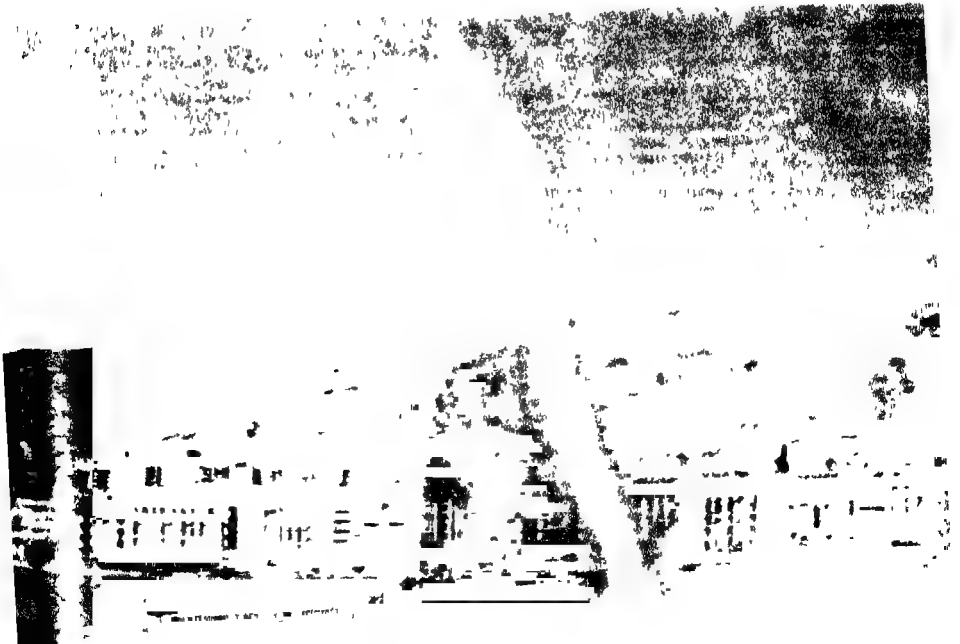
الساعة الشهيرة المغطاة بالزهور في حيف انهم يغطونها في الشتاء ليحموا زهورها من الصقيع

والبحر المتوسط والبحر الادرياتيكي ، ولكنها لاتستخدم في الملاحة

وهناك بعد هذا اسطولهم الجوي الكبير ، الذي يضم مئات الطائرات التي يستخدمونها في نقل الركاب والبضائع وهذه الأخيرة تمثل مركز الثقل في ميزانهم التجاري ولكن صادراتهم دائما تفوق وارداتهم رغم افتقارهم للمواد الخام التي يستوردونها من كل انحاء الدنيا

النكتة التي يطلقها ابناء سويسرا ويضحكون لها « تأكدوا دائما من فرامل طائراتكم « العسكرية » حتى لاتصطدم بالجبال ! »

فالطائرة النفاثة المقاتلة تستطيع ان تقطع المسافة من اقصى نقطة على الحدود السويسرية الى اقصى نقطة مقابلة في اقل من خمس دقائق ، فهي لاتكاد ترتفع حتى تعود الى الهبوط فمساحة البلاد كلها لاتزيد على ٤١ الف كيلو متر مربع واحدة من اصغر الدويلات في العالم ومع هذا فهي تنعم بقوة اقتصادية ونفوذ مؤثر يبلغان اضعاف حجمها الصغير عشرات المرات انها ثاني اغنى دولة في العالم حيث يبلغ متوسط دخل الفرد فيها ١٤ الفا و٥٤٦ دولار في العام ، فما زالت الكويت تحتل المركز الاول بينما تقف بريطانيا العظمى في المرتبة العشرين ! (نقلا عن مصادر الامم المتحدة) ، وتأتي اليابان في المرتبة التاسعة

و[illegible] اليابانيون مجالا للسويسريين ، لم ينافسوهم فيه [illegible] هذه المجالات ، الصناعات الدقيقة الساعات [illegible] آلات التصوير والعدسات والمعدات الطبية ولكن المنافسة النظيفة لاتقلقهم . انهم يتحدثون في هدوء وهم يشيرون الى عقارب الساعة التي تزينها الزهور في اكثر واجمل ميادينهم « نحن رواد هذه الصناعة وستبقى عندنا ! » وقبل ان يكملوا حكايتهم مع الساعة ومع التقدم الذي حققوه في صناعة الساعات ، يذكرونك بأنهم كانوا اول من اكتشف القوة المائية بفضل جهود رحالين جاءا الى سويسرا وأقاما فيها ، احدهما من السافوا واسمه « جيرمان بوفيري » والثاني انجليزي ويدعى « براون » واصبحت الشركة التي تحمل اسميهما اليوم تنتج توربينات تزيد قوتها عن ١٣٥ الف كيلو وات وكان الرحالان اول من فتح أعين العالم - والسويسريين بصفة خاصة - على هذه المادة الاولية الوحيدة التي تنتج الطاقة ، ومازالت دول عديدة تستعين بخبرة هذه الشركة لتوليد الكهرباء بالقوة المائية ! »

« ان سبع ساعات من كل عشر في العالم ، مصنوعة في سويسرا ! » هكذا يحدثونك في فخر ، وهم يكملون قصتهم مع الساعة ، فقياس الوقت من خصائص التراث ان المشتغلين في هذه الصناعة لم يستطيعوا مقاومة الوصول بدقة التوقيت الى درجة وصلت الى واحد على المليون من الثانية ! فالساعات الذرية التي صنعت في مختبر بحوث الساعات في « نوشاتيل » قد حققت هذه الدرجة من الدقة ، وقد حلت محل الاشارات الزمنية التي كان الحصول عليها يتم في الماضي عن طريق النجوم وقد كانت الساعة ايضا مثل القوة المائية .. انها لم تنبع من سويسرا ذاتها ، فقد جاءت اليها مع « الهوجنوت » الهاربون من الاضطهاد الديني في فرنسا عندما لجأوا الى الاراضي السويسرية

ان الساعة اليابانية لاتحميهم ، رغم جودتها ودقتها ، ورخص ثمنها ، اذا قورن باسعار الساعة السويسرية الجيدة !

يعيشون المستقبل !

وفي جنيف رأيت صور الكاتب الامريكي « الفين توفلر » صاحب كتاب صدمة المستقبل ، ثم « الموجة الثالثة » وهو اخر ما كتب وقد حقق الكتابان ارقاما قياسية في التوزيع . وتحت الصورة وجدت كتابه الثاني مترجما الى الفرنسية لقد اقبل السويسريون على قراءته فقد احسوا من خلال صفحاته انهم يعيشون فعلا هذه الموجة او الثورة الثالثة التي يتحدث عنها توفلر في كتابه !

كيف ؟

لعل الصورة تكتمل ، إذا تحدثنا اولا عن اطارها فسويسرا بلد محايد يقف اليوم على سور الاحداث متفرجا ، ورغم انها مقعد اساسي للعديد من المنظمات والوكالات التابعة للامم المتحدة في « قصر الامم » في جنيف ، الا أن سويسرا ليست عضوا في المنظمة الدولية

فهي البلد الوحيد في العالم الذي يتوقف دخوله الامم المتحدة ، على الاقتراع الشعبي والشعب السويسري حذر في كل مايتصل بالمسائل السياسية الكبرى

لقد مارست سويسرا الديمقراطية ، منذ قرون ، ويظهر من تاريخها انها استطاعت ان تجمع بين الاتحاد والتعدد بين تماسك الكل واستقلال الاجزاء المكونة لهذا الكل داخل حدود ضيقة ! هكذا وصفها هربرت لوثي »

ولم يكن الدستور الفيدرالي الذي وضع في عام ١٨٤٨ ، والذي يقوم على الديمقراطية البرلمانية . مرضيا للشعب وعلى اثر ذلك ، تقرر منح الشعب السويسري ، الى جانب حقه في انتخاب نوابه . حق اتخاذ القرارات المتصلة بتغيير الدستور ذاته ، وحق اللجوء الى الاستفتاءات والمبادرات ومعنى هذا أنه في استطاعة عدد معين من الناخبين المطالبة باجراء تعديلات دستورية او استفتاءات شعبية حول القوانين الجديدة ، ولقد دأب السويسريون بالفعل ، على تغيير دستورهم بحيث يصبح ملائما للظروف المتغيرة من هنا جاء الجواب على تساؤل شاتوبريان الذي طرحه في بداية هذا الكلام . واجاب عليه من عنده ثم الفين توفلر من بعده ! وسويسرا اليوم . هي رابطة للديمقراطيات التي تعرف باسم « الكانتونات فالحكومة الفيدرالية والكانتونات ، والكميونات ، وهذه الاخيرة هي اصغر الوحدات الادارية . تشكل المستويات الثلاثة للدولة والكوميون او الوحدة الادارية مستقل استقلالا ذاتيا عن الدولة وله دستوره الخاص و مايسمى بقانون تنظيم الوحدة الادارية هذ « الوحدة » تخضع لاشراف الكانتون ، والكانتو دور مستقل وله صوت في بعض القرارات التي تتخذها حكوم والحكومة الفيدراليه في النهاية هي اعلى مستوى حكم السياسي

والبرلمان من مجلسين ، المجلس الوطني . ويضم نائبي ممثل للشعب ، ومجلس الولايات ويضم ٤٤ مندوب عن الكانتونات او الولايات ولكن ممثلي الشعب ليسو وحدهم المشرعين لان الشعب هو المشرع الأول

أقوى رجل في سويسرا !

فالديمقراطية السويسرية تمنح المواطن العادي حق الاشتراك في اتخاذ القرارات المتصلة بالمسائل العامة فلا تشيد مدرسة مثلا او مستشفى او مسرح دون موافقة الشعب ، ويتساوى بعد ذلك جميع السويسريين امام القانون ، فليس هناك امتيازات ، ولا احد فوق القانون ، واقوى رجل في سويسرا ، هو رجل الشرطة ولكنه اقل العاملين عملا ، بل انه لايظهر في الشارع . فيما ندر ، لان الشارع السويسري ليس في حاجة الى شرطي لحماية الامن والنظام ، والمكان الوحيد الذي يمكن ان تراه فيه اذا كنت حريصا على لقائه هو عند الفصول ، تقاطع الشوارع الصغيرة التي لاتوجد بها اشارات مرور ضوئية

وهو رجل في بعض الاحيان وامرأة في اغلب الاحيان فقد حصلت المرأة السويسرية على حقوقها كاملة واصبحت تجدها في موقع الرجال في كل مكان ، فهي وهي ناجحة ثم هي تتمتع بحق ترشيح نفسها لأية انتخابات

وهي في عملها دائما انيقة ، دائما هادئة تعرف كيف تختار ملابسها وتعنى بمظهرها مهما كان نوع العمل الذي تؤديه ثم هي زوجة وست بيت تحت الاضواء فالطفل في سويسرا هو « الملك الوحيد » الذي تمشي على بساط من الزهور ! وكأنهم زرعوها من اجله . وسخروها له وحده لانهما ـ الزهرة والطفل ـ شيء واحد ولم تنمو الزهرة وتتفتح اوراقها في الحدائق العامة والخاصة بفضل رعاية مئات العمال والمهندسين الزراعيين الطفل في البيت وفي المدرسة التي اعدوا كل شيء فيها من اجل راحته وتربيته وتعليمه

ولكنها ـ اي المرأة السويسرية ـ لها بعد ...

...اخر ، هي تربية الكلاب .. انها تحب هذا
...له وتتفنن في تجميله وقص شعره .. وهو
... الذي يصطحبها في كل مكان .. وتسأل السؤال
... الذي يمكن ان توجهه ايضا الى المرأة في فرنسا او
...ترا « ماسر هذا الحب للكلاب ؟ » فيقولون لك
...مور « لانه أمين على حبنا له ، ولانه يحب
... ! »

... لايربون الكلاب لكي تحرسهم ، فهم ليسوا في
... الى حراسة احد .. فانت في سويسرا آمن على
... وعلى مالك . تستطيع مثلا ان تترك سيارتك
... ، حتى لو كانت مليئة بالمشتريات ، ثم تعود اليها في
...التالي ، فتجدها كما تركتها . « انت في سويسرا
... ! » هكذا قال مدير الفندق لسيدة ايطالية ، كانت
...حلة حول اوربا بسيارتها ، عندما اوقفتها امام باب
... ، واعربت له عن تخاوفها من سرقة المشتروات
...متها خلال رحلتها ، او سرقتها كلها !

حرية الرأي

... يتحرر الفكر ويتحرر الرأي ، وهناك ثلاثة
... تميز الدستور ، وهي السلطة في يد الشعب ،
... كونفدراليه ، والفرد له الحريات التي تسمح له
... امكانياته ولاتوجد رقابة رسمية ، فالضمير هو
... ، والصحافة حرة ، ولو انها لاتخلو ، كما قال لي
...عضاء الوفد السويسري في الامم المتحدة ، من
... التسلط ، كما يحدث في اي بلد اخر ، ذلك ان
...لفكر وحرية الحديث هي انواع خاصة من الحرية
...ها المرء بسهولة للآخرين .. وهي مسألة نسبية على
... ! »

... قبل دستور الاتحاد الجديد ، كانت سويسرا منبعا
... فالبعد الثقافي الذي خرج منها يمثل نسبة اعلى منه في
... اخر ، وقد بدأ اول مابدأ بعلم اللاهوت عندما
... زفنجلي وكالفان مع مارتن لوثر ، منذ اكثر من
...ائة عام ، المذهب البروتستانتي ، او مذهب
... ، وراحوا يبشرون بمذهبهم الجديد في زيوريخ
... وقد ترك كالفان بصماته على الفكر المدني
...قراء ، كما اثر زفنجلي على الاخلاقيات القائمة

... توصل الكيميائي الطبيب « باراسلوس »
... للعناصر الفعالة في القرن السادس عشر
... شفاء من المرض انما هو نتيجة لاعمال
... كما تقدم باراسلوس ، افكارا جديدة
لتطوير علوم النفس والاحياء والكيمياء ، اخذ بها العلماء بعد رحيله بقرون طويلة ، وكانت هذه الافكار هي الاساس الذي اعتمد عليه « كارل يانج » في عمله وهو يضع نظرية الطاقة الشمسية ، كما اسهم « جان بياجيه » ببحوثه في تطوير علم نفس الطفل وفلسفة العلوم الانسانية .

وفي البحث الكيميائي ، يبرز عالمان كبيران حصلا على جائزة نوبل للعلوم وهما « موللر » مخترع مادة أل د . د ت « وبول كاريه » الذي نجح في عزل فيتامين « أ » وفيتامين « ك » .

« استقطاب العقول وتشجيعها ودفعها وحمايتها كانت ومازال سياسة الاتحاد ، حتى قبل رسم حدود سويسرا الحالية في اوائل القرن التاسع عشر ، حتى قبل أن يصبح لها دستور يحمي الفكر الحر والمفكرين » هكذا قال لي احد العرب المقيمين في سويسرا منذ حوالى عشرين عاما أو اكثر !!

الفرنك الصعب !

اقرأ الساعة السويسرية ، فقد اصبحت اليوم قراءة .. انها لاتعطيك الوقت وحده .. وانما التاريخ واليوم وعمليات الضرب والطرح والقسمة ولا ادري ماذا ايضا ، وفي قراءتك لها ، سوف تجد الاجابة على تساؤلات كثيرة تدور في رأسك وانت تقف وتشاهد وتتأمل مايدور حولك . هنا بلد يتعامل باصعب عملة في العالم .. الفرنك الذي اوشكت قيمته ان تعادل قيمة « الدولار » الذي كان في يوم ما يتربع على عرش عملات الارض ! كل شيء في سويسرا يعمل مثلما تعمل الساعة ، ابتداء من عملتها !

والبنوك السويسرية تحتل مركزا قويا داخل البلاد وفي المراكز المالية العالمية . وبالرغم من الفائدة الزهيدة التي لاتتجاوز اثنين في المائة على المدخرات ، بعد استقطاع الضرائب منها ، تجد اصحاب رءوس الاموال من الاجانب غير الطامعين المغامرين ، يتسابقون على ايداع اموالهم في هذه البنوك التي يزيد عددها على عدد الجمعيات التعاونية الاستهلاكية حتى بلغت بنكا لكل الف او اكثر قليلا من السويسريين ! فالمواطن في هذا البلد حريص على الاقتصاد ، انه يكسب المال من وظيفته او تجارته اولا ، ثم يقتصد من هذا المال ، ثم يستثمر مايقتصد .. واخيرا يبدأ في الشراء ! لقد بلغت حسابات التوفير في البنوك حوالى تسعة ملايين حساب مستقل . للزوج حساب ، وللزوجة حساب ، ولكل طفل حساب باسمه ! فاذا اعتبرنا ان لكل

مواطن سويسري حساب توفير في البنك ، فمعنى هذا ان هناك حوالى ثلاثة ملايين حساب توفير لغير السويسريين من خارج البلاد

والبنوك في سويسرا تحتفظ بسرية حسابات العملاء ، ولكن الاهم انها غير ملزمة بفتح دفاترها امام اي سلطة ، حتى لو كانت تابعة للحكومة نفسها ! من هنا ، ومن اجل هذا « الملك » الحديد ، الذي اراح الملك السابق « الدولار » من مكانه ، وهو الثقة الذي يعيش فيه ، يقبل اصحاب رءوس الاموال على ايداعها في بنوك سويسرا التي لها حق رفض او قبول « فتح الحساب » دون ذكر الاسباب ، ولو انها بدأت تتخلى عن الكثير من القيود التي كانت تضعها في الماضي وترحب اليوم اكثر برؤوس الاموال والاستثمارات الاجنبية والبنك الوطني او المركزي ، هو المسؤول عن سياسة النقد والعملة ، ويبلغ احتياطي الذهب في خزائنه عشرة آلاف مليون فرنك ويغطي نسبة كبيرة من اوراق البنكنوت التي تصدرها وتقوم شركات التأمين واعادة التأمين بدور هام في موازنة الحساب الجاري في سويسرا ، وقد قامت هذه الشركات باعمال التأمين في جميع انحاء العالم منذ اكثر من قرن كامل من الزمان

وفي السوق المحلية وحدها يستخدم اكثر من ١٨٪ من الانتاج القومي كله في اغراض التأمين

الحرب والسلام

والحروب التي خاضتها سويسرا ، والثروات التي تعرضت لها من جانب البورجنديين والالمان والايطاليين والفرنسيين ، كلها اصبحت صفحات من التاريخ لاتمت للحاضر بصلة الحاضر الآن ومنذ قيام الاتحاد قبل اكثر من قرن ، وبينما كانت الدول الاخرى ومازالت مشغولة بالحروب والنزاعات والخلافات كان السويسريون يعملون في بناء بلدهم ، ويتعلمون من دروس الماضي ، ويحولون امتهم الى واحدة من اكثر دول العالم تقدما ورفاهية

ولكن مع حيادها ومسالمتها للعالم كله من حولها ، لم تنس انها لكي تحمي هذا الحياد ، فلابد ان يكون لها جيش وكل مواطن في سويسرا جندي في هذا الجيش الدفاعي ، من الشباب الذي بلغ العشرين حتى الخمسين عاما كل واحد منهم يحفظ في بيته ببدلته العسكرية ، وبندقية و٢٤ طلقة !

انه يستعد دائما للقتال دفاعا عن بلده وسيادتها وحيادها وتنفق الدولة على جيشها الدفاعي مايقرب من [illegible] المليون دولار سنويا ويضم الجيش العامل حوالى ستمائة الف جندي و٤٠٠ طائرة حربية

[illegible] ٧٥ [illegible] أمة من الالمان ، وهم يشكلون اكـ[illegible] والفرنسيين والايطاليين ، تعيش في انسجام [illegible] عندما يتعذر التفاهم بالحديث بينهم [illegible] واحدا يجمع هؤلاء وغيرهم من اقليات اخرى [illegible] حدي هو الصداقة الشخصية التي كانت دائما [illegible] التماسك كما وصفها الكاتب والشاعر « جوتفريد كلر » على لسان احد حملة العلم في مباراة للرماية عندما قال المتحدي « ليس لدينا نمط واحد رتيب من السويسريين فهناك اناس من زيوريخ واخرون من برن وهناك من ينتمون الى نوشاتيل وانتر فالدن ، وبازل والجريزون ولكل منطقة من هذه المناطق تاريخها ، ولكن تجمعنا في النهاية « الوحدة » رغم هذا التنوع ، وهي مدرسة الصداقة الصحيحة ، ولا تتحقق الاهداف السامية الا عندما يصبح التماسك السياسي صداقة شخصية بين افراد شعب باكمله !

كل سويسرا تحمل اليوم علم « الصليب الاحمر » الذي يعبر عن فكرة تقديم المساعي الطيبة ، التي نادى بها « هنري دونانت » رجل الاعمال السويسري من مدينة جنيف ، وهي التي قامت عليها جمعية الصليب الاحمر الدولية ، وايضا سياسة الدولة القائمة على التضامن مع الحياد ، والوجود تحت تصرف الجميع ، تحمله [illegible] شكلتها الدولة من المتطوعين لتقديم خدماتها عند وقوع اية كارثة !

قصر الامم

ونعود الى الحديث عن قصة سويسرا مع الامم المتحدة ومتى وكيف اصبحت جنيف مقعدا للمنظمة الدولية ؟ وتبدأ القصة في عام ١٩١٩ ، عندما وقع الاختيار على هذه المدينة المحايدة لتكون مقرا لعصبة او رابطة الأمم ، رغم المحاولات التي بذلت من جانب بعض دول الغرب لعقد اول مؤتمر لهذه الرابطة الجديدة في مدينة بروكسل التي كانت من المدن المرشحة في ذلك الوقت لتصبح مقرا للرابطة واجتماعاتها

وبدأ العمل في بناء مقر سكرتارية الرابطة [illegible] ويلسون الذي يطل على بحيرة جنيف ، [illegible] سنوات حتى قامت الحرب الثانية ، وكان [illegible] عقدته في صيف عام ١٩٣٩ ، ومع انتهاء الحرب كانت الرابطة قد ماتت ثم نسى العالم كل شيء [illegible] الدمار والحرب والخراب حتى كان عام ١٩٤٦ [illegible] رسميا حل رابطة الامم مع نهاية القتال [illegible]

الشعب هو المشرع وليس ممثليه في المجالس النيابية وحدهم   اجتماع لاعضاء « المجلس الكبير » في الهواء الطلق

سويسرا سالمة بفضل حيادها المعلن بين الحلفاء والمحور ، وبامت الامم المتحدة في مقرها الجديد « قصر الامم » الذي بقي حتى وقت قريب ، اكبر وأضخم مبنى يضم ممثلي الدول المستقلة التي تضاعف عددها خلال الربع الماضي من هذا القرن

وقد كان من الممكن ان تبقى جنيف مقرا رئيسيا للامم المتحدة عد ان شبح رابطة الامم التي شهدت المدينة موتها ، كان يخيم على تفكير العديد من الدول التي خشيت المنظمة الجديدة ان تلقى نفس المصير   وهكذا حالت العوامل النفسية دون بقاء المقر الدائم للأمم المتحدة في هذه المدينة

وكان ان اتفق الحلفاء على اختيار مدينة نيويورك ، رفضت روسيا « الحليفة » في ذلك الوقت الاقتراح على مصص   فقد كان السؤال   « ولماذا نيويورك ؟ ان الولايات المتحدة الامريكية ليست دولة محايدة ! » ولكن اصرار روسيا « الحليفة لم يكن من القوة بحيث يستطيع ان يقف في وجه القرار الجماعي   فقد كانت مازالت حليفة رغم ... بلامات التي بدأت تظهر بين دول الغرب من ناحية وجر... الشرقية الكبرى !

وقام ... ائم للامم المتحدة في نيويورك ، وبقي هناك و... الجمعية العامة تعقد فيه ، ومازال مجلس الامن يجتمع ... نيويورك   ولكن غالبية الوكالات المتفرعة ... ت تجتمع في جنيف وبعضها في فيينا عاصمة

ماذا تريد سويسرا ! »

التغيير   ثم التغيير حتى انتقال قصر الامم ، الى فيينا ، يدخل في هذا الاتجاه الى التغيير   لم لا ؟ ولكن التغيير الحقيقي الذي يستطيع المرء ان يلمسه بوضوح يكمن في دستورهم الذي لايكفون عن الاضافة اليه والحذف منه   وفي رغبتهم الحقيقية في رؤية وجه جديد وبرامج جديدة كل سنة من اجل هذا تنتخب الجمعية الفيدرالية المكونة من مجلسي الشيوخ والنواب ، مجلسا فيدراليا يضم سبعة اعضاء يرأسهم رئيس الاتحاد السويسري   ولكن هذا الرئيس ليس دائما ، فالمجلس يجتمع كل عام ، وينتخب رئيسا جديدا للاتحاد من بين أعضائه السبعة حتى اذا انتهى العام ، اجتمع المجلس من جديد لاختيار رئيس جديد

ربما الشيء الوحيد الذي لايميل السويسريون كثيرا الى تغييره هو تلك الاشياء الصغيرة التي الفوها في حياتهم اليومية واحبوها   فهم مثلا يأكلون الشيكولاته باللبن ، ويملأون ساعات « الكوكو » التي لكي تستمر في دقاتها ، فلابد ان تملأ مرة كل إثنتي عشرة ساعة ، ثم يضعون الثقوب في انواع الجبن الذي يصنعونه ويبحثون عن زهور جديدة يزينون بها واجهات بيوتهم ويزرعونها في حدائقهم ويشمون رائحتها التي تملأ جو بلادهم ، فهي عندهم رائحة الحرية التي ينعمون بها □□

منير نصيف .

فتح _ طشقند

بقلم اللواء الركن : محمود شيت خطاب

طشقند هي الآن عاصمة جمهورية اوزبكستان السوفيتية ، لكن طشقند التاريخ كان لها شأن آخر . . .

تقع طشقند في اقليم الشاش الذي يقع عربي اقليم فرغانة على ضفة نهر سيحون اليمنى ، اي الضفة الشمالية الشرقية

والخرائب المعروفة اليوم بطشقند القديمة ، هي موضع المدينة التي سماها العرب المسلمون . الشاش ، وسماها الفرس (جاج) ، وكان لكثير من اسماء المدن في بلاد ما وراء النهر تسميتان ـ فارسية وتورانية

وكان يقال لمدينة الشاش ، بنكث او بيكث ، وهي قصبة اقليم الشاش

ومقدار عرض اقليم الشاش مسيرة يومين في ثلاثة ايام سيرا على الاقدام ، وليس بخراسان وبلاد ما وراء النهر اقليم على مقدار مساحة اقليم الشاش ولاأكثر منابر منه ولا اوفر قرى وعمارة

واقليم الشاش عموما في ارض سهلة منبسطة ليس في هذه العمارة المتصلة جبل ولا ارض مرتفعة ، وابنيتهم واسعة من طين ، وعامة دورهم يجرى فيها الماء ، وهي كلها مستترة بالخضرة ومن انزه بلاد ما وراء النهر

وكان على طشقند « الشاش » اسوار كثيرة ، فقد كان لها مدينة داخلة ، لها قلعة تلاصقها ، عليهما سور

وفي خارج المدينة الداخلة الربض (الضاحية) الداخل ، وعلى هذا الربض سور ، ويليه ايضا الربض الخارج ، وفيه بساتين وحقول كثيرة ، وحول هذا الربض الخارج سور ثالث

واخيرا السور الكبير ، على غرار ما كان لبخارى يحمي الناحية كلها ، فيكون حول طشقند من ناحية الشمال هيئة نصف دائرة يصل ما بين ضفة نهر الترك في الشرق ونهر سيحون في الغرب

وفي القلعة دار الامارة والحبس ، وللقلعة بابان احدهما يفضي الى المدينة الداخلة ، والآخر الى الربض الداخل

وكان المسجد الجامع على سور القلعة

والمدينة الداخلة فرسخ في مثله ، وفيها بعض الاسواق ولها ثلاثة ابواب باب ابي العباس وباب مدينة ركش يفضي الى الجنوب حيث يصل الطريق القادم من سمرقند وباب الجنيد

وكان للسور الذي يحيط بالربض الداخل عشرة ابواب ، وللسور الذي يحيط بالربض الخارج سبعة ابواب ، وكانت اسواق المدينة في الربض الداخل

ويشق البلد انهار وقنوات كثيرة ، تسقي البساتين والحدائق في داخل الاسوار ، والمدينة ترى مكسوة بالخضرة والاشجار الباسقة وتغطى ابنيته مكانها اخضرارها وكثرة مياهها

وقد نبغ في طشقند علماء كثيرون ، منهم ابو بكر محمد

اقاليم نهري سيحون وجيحون

بن علي بن اسماعيل القفال الشاشي (٢٩١ هـ - ٣٦٦ هـ) ، رحل عن الشاش طلبا للعلم ، فتفقه وعاد اليها ، وكان اوحد اهل الدنيا في الفقه والتفسير واللغة ، سمع ابا عروبة وابا بكر بن خزيمة ، ومحمد بن جرير الطبري ، وابا بكر الباغندي وابا بكر بن دريد ، روى عنه الحاكم ابو عبد الله وابو عبد الرحمن السلمي .

وينسب الى الشاش ابو الحسن بن الحاجب بن جنيد الشاشي ، احد الرحالين في طلب العلم الى خراسان والعراق والحجاز والجزيرة والشام ، وتوفي بالشاش سنة ٣١٤ هـ قال ابو الربيع البلخي يصف مناخ الشاش -

الشاش بالصيف جنة ومن اذى الحر جنة
لكنني يعتريني بها لدى البرد جنة

لقد كانت طشقند حصنا منيعا من حصون الاسلام دينا والعربية لغة ، ولا تزال ، على الرغم من تحملها في سبيل دينها ولغته الاهوال

التمهيد للفتح

في سـ...لاث وتسعين الهجرية (٧١١ م) سار قتيبة بن مسلم الـ... الى سمرقند ، بعد ان صالح اهل خوارزم ونفض ... بهم

وكان ...ـر بن مزاحم السلمي قد قام الى قتيبة وقال له سرا : « ان اردت الصغد يوما من الدهر ، فالآن فانهم آمنون من ان تأتيهم من عامك هذا ، وانما بينك وبينهم عشرة أيام »

وكان المسلمون يغزون كل سنة اقليما لفتحه فغزوا تلك السنة خوارزم ، فكان عليهم ان يعودوا الى مرو عاصمتهم في خراسان ، قبل حلول موسم البرد القارس في تلك الاصقاع ذات البرد الشديد

والصغد او السغد ، هو الاقليم الذي يضم سمرقند وبخارى ، كما يطلق على القوم الذين يعيشون فيه الصغد او السغد ايضا ، وهذا الاقليم هو تركستان العربية الذي اصبح بحوزة الاتحاد السوفياتي

وقال قتيبة للمجشر : « اشار بهذا عليك احد ؟ » قال « لا » قال . « فاعلمته احدا ؟» قال « لا » فقال قتيبة . « والله لئن تكلم به احد ، لاضربن عنقك »

ومن الواضح ان قتيبة قصد ان يلتزم الكتمان الشديد في عمليته ، ليباغت اهل الصغد بها مباغتة كاملة بالزمان ، فيشل حركتهم ، ويضمن النصر لعمليته .

ولما اصبح الغد ، دعا قتيبة اخاه عبد الرحمن بن مسلم ، وامره ان يتحرك بالفرسان والرماة باتجاه مرو ، ويستصحب معه اثقال الجيش ، لمضى عبد الرحمن ، وقدم الاثقال ، وسار يوما كاملا ، فلما امسى ، كتب اليه قتيبة : « اذا اصبحت فوجه الاثقال الى مرو ، وسر بالفرسان والرماة نحو الصغد ، واكتم الاخبار ، فاني بالاثر » .

وبلغ قتيبة الصغد بعد عبد الرحمن بثلاثة ايام أوأربعة ، وقدم معه اهل خوارزم وبخارى ، فحصرهم شهرا ، وقاتلهم في حصارهم من وجه واحد في سمرقند

وكتب اهل الصغد الى ملك اقليم الشاش (اقليم طشقند) واقليم فرغانة « ان العرب ان ظفروا بنا عادوا عليكم بمثل ما اتونا ، فانظروا لانفسكم ، ومهما كان عندكم من قوة ، فابذلوها »

واستقر رأي ملكي الشاش وفرغانة على امداد اهل الصغد ، فأرسلا اليهم « امشوا من يشغلهم ، حتى نبيت عسكرهم »

وانتخب ملكا الشاش وفرغانة من اولاد الملوك واهل النجدة من ابناء المرازبة والاساورة والابطال ، وامروهم ان يأتوا عسكر قتيبة ويبيتوه ، لانه مشغول عنهم بحصار سمرقند

وبلغ قتيبة الخبر ، فاختار من عسكره اربعمائة مجاهد ، وقيل ستمائة مجاهد ، من اهل النجدة والشجاعة والايام ، واعلمهم الخبر ، وامرهم بالمسير الى عدوهم ، وسارت هذه المفرزة المؤلفة من مغاوير المسلمين ، عليهم صالح بن مسلم اخو قتيبة ، ونزلوا على فرسخين من المعسكر على طريق اهل الشاش وفرغانة ، الذين قدموا حماقا لنجدة اهل سمرقند والصغد

وارسل صالح عيونه وارصاده ، فاخبروه ان العدو سيصل اليه ليلا ، ففرق خيله ثلاث فرق ، كل فرقة منها جعلها كمينا ، فجعل كمينا في موضعين ، بالقرب من الطريق واقام هو وبعض فرسانه على قارعة الطريق

وطرقهم العدو ليلا ، وهم لا يعلمون بمكان صالح ورجاله وكانوا آمنين في انفسهم من ان يلقاهم احد دون معسكر قتيبة حول سمرقند ، فلم يعلموا بصالح ومن معه من مغاوير المسلمين في كمائنهم حتى غشوهم ، فشدوا على كمين صالح ، حتى اذا اختلفت الرماح بينهم ، خرج الكمينان الآخران ، فقاتلوا العدو وطوقوه ، قال احد رجال صالح « انا لنقاتلهم اذ رأيت تحت الليل قتيبة ، وقد جاء سرا ، فضربت ضربة اعجبتني ، فقلت ، كيف ترى بأمي وأبي ؟ فقال اسكت فض الله فاك »

واستطاع فرسان صالح التغلب على عدوهم ، فلم يفلت منهم الا الشريد ، واسروا بعض الاسرى ، وغنموا خيلهم وسلاحهم

وعلم الصغد في سمرقند باندحار اهل الشاش وفرغانة الذين جاءوا لنجدتهم ، فاثر ذلك في معنوياتهم اسوأ الاثر ، وانهارت معنويات الصغد

وبعد قتال عنيف ، صالح قتيبة اهل سمرقند ، وفتحها صلحا

لم يكن فتح اقليم الصغد وتطهيره من المقاومة المعادية ، وهو اقوى اقاليم بلاد ما وراء النهر واحصنها وا[illegible] واحصنها واكثرها سكانا ، الا تمهيدا لفتح بقية اقاليم ما وراء النهر ، ومنها اقليم الشاش

وليس قتيبة من اولئك القادة الذين يسكتون على مهاجمة اهل الشاش لجيشه مددا لاهل الصغد ولغير[illegible] فكان لا بد من فتح بلادهم واسكات مقاومتهم المتح[illegible] كل فرصة سانحة ، وضم بلادهم الى الدولة الاسلا[illegible]

ومضى شتاء سنة ثلاث وتسعين الهجرية ، وجاء[illegible] سنة اربع وتسعين الهجرية (٧١٢ م) فقضى [illegible] واوائل الربيع في الاستعداد لغزو فرغانة والشا[illegible]

وفي اواخر ربيع سنة اربع وتسعين الهجرية او اوائل صيفها ، قطع قتيبة نهر جيحون ، وفرض على اهل بخارى وكش ونسف وخوارزم عشرين الف مقاتل فقطع قتيبة النهر (نهر جيحون) وسار الى الفتح

ووجه اهل بخارى وكش ونسف الى اقليم الشاش وتوجه هو الى اقليم فرغانة في وقت واحد ليحول دون تعاون اهل الاقليمين في صد الفاتحين

واصطدم قتيبة بالعدو في خجندة حيث جمع له اهلها ، فلقوه واقتتلوا مرارا ، وفي كل مرة يكون الظفر فيها للمسلمين

وفتح الجند الذين ساروا الى اقليم الشاش هذا الاقليم ، كما فتحوا مدينة الشاش واحرقوها ، لا[illegible] قاومت بعناد ، ثم رجعوا الى قتيبة بالفتح والغنائم

وعاد قتيبة بالناس الى مرو ، ليقضي فيها الشتاء وليعد رجاله لفتح جديد

وبعث الحجاج بن يوسف الثقفي امير العراق سنة خمس وتسعين الهجرية (٧١٣ م) جيشا من العراق ، فغزا بهم قتيبة الشاش من جديد فلما كان بالشاش اتاه موت الحجاج فغمه ذلك كثيرا ، لان الحجاج هو الذي ولاه خراسان ، وكانت الثقة بينهما متبادلة الى ابعد الحدود ، فقفل قتيبة راجعا بجيشه الى مرو

وتفرق الناس ، فخلف في بخارى قوما ، ووجه آخرين الى كش ونسف ، وفي مرو اتاه كتاب الخليفة الوليد بن عبد الملك « قد عرف امير المؤمنين بلاءك وجدك واجتهادك في جهاد اعداء المسلمين ، وامير المؤمنين رافعك وصانع بك الذي يجب لك ، فاتمم مغازيك وانتظر ثواب ربك ، ولا تغب عن امير المؤمنين كتبك حتى كأني انظر الى بلادك والثغر الذي انت فيه »

وحينذاك اطمأن قتيبة الى ان الوليد لن يعزله عن خراسان فاستأنف مغازيه الرائعة ، واستعاد [illegible] المجيدة ، فما كانت فتوح قتيبة في كثافتها ونتائجها كسائر الفتوح بل كانت في سرعتها ، وكثرتها كالعد[illegible] والتيار الهادر .

دروس الفتح

موائد التاريخ ، استخلاص الدروس والعبر من ... التي تفيد الامة في حاضرها ومستقبلها ، ومعرفة هي وحدها تطوع لنا تصور المستقبل وتوجه ... الى الغايات الجديرة بتراثنا العربي الاسلامي الع...

الماضي والحاضر والمستقبل ، وحدة لا سبيل الى انفصامها ، ومعرفة الماضي هي الوسيلة لتشخيص الحاضر ولمعرفة المستقبل

وأول هذه الدروس هو « الكتمان » ، فقد كان في نية قتيبة ان يغزو اقليم الصغد هذه السنة ، والتوجه اليه في وقت لا يتوقعه اهله ، فلما اقترح عليه المجشر ان يتوجه الى الصغد هذه السنة ولا يؤجل التوجه اليه الى السنة القادمة ، استحلفه قتيبة ليطمئن الى انه لم يطلع احدا على اقتراحه ، وهدده بالموت ان هو افشى الى غيره هذا السر الخطير

ولم يكتف قتيبة بذلك ، بل وجه اخاه عبد الرحمن بالفرسان والرماة والاثقال باتجاه مرو ، وهو الاتجاه المعاكس للصغد ، ليظهر للعدو والصديق انه يريد العودة الى عاصمته ولا يريد فتح الصغد هذه السنة ، فلما اطمأن الى انه شوش الافكار على العدو خاصة ، امر اخاه بالاتجاه الى الصغد ، بالفرسان والرماة ، وتوجيه الاثقال الى مرو ، وهي التي لا لزوم لها في ميدان القتال ، لتبقى القوة الاسلامية الضاربة خفيفة الحركة سريعة التقدم نحو هدفها

والكتمان من المصطلحات العسكرية معناه اخفاء المعلومات العسكرية عن العدو والصديق ، وعدم افشاء الاسرار العسكرية ، مهمة كانت ام تافهة ، لان افشاءها الى الصديق ، قد يؤدي الى تسربها الى العدو بشكل او بآخر

وما اروع الدرس الذي ينبغي ان نتعلمه من الرسول القائد عليه افضل الصلاة والسلام فقد كان اذا اراد غزوة ورى بغيرها وفي غزوة فتح مكة ، كتم نيته عن كل احد ، فدخل ابو بكر الصديق رضي الله عنه الى ابنته عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها ، وهي تهيىء جهاز النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها « اي بنية ، امركم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تجهزوه ؟ » ، قالت « نعم ، فتجهز » ، « فاين ترينه يريد ؟ » قالت « والله لا ادري »

وليس ... معقول ، ولا من المنطق ، ان النبي صلى الله عليه وسلم ... يثق باقرب المقربين اليه ... زوجه عائشة ... وابيها ... رضي الله عنهما ، ولكنه اراد ان يعلم امته درسا في ...

والدرس الثاني الذي ينبغي ان نتعلمه ، هو المباغتة التي هي اهم مبدأ من مبادىء الحرب على الاطلاق كما هو معروف

فقد باغت قتيبة اهل الصغد بالزمان ، اذ لم يكونوا يتوقعون هجوم المسلمين عليهم خلال تلك السنة ، ولكن قتيبة سار اليهم في زمان لا يتوقعونه ، فما كان امامهم الا الاستسلام

وباغت قتيبة اهل الشاش وفرغانه الذين جاءوا مددا للصغد ، بارسال قوة مختارة من فرسانه ، كمنت لهم في الطريق وحوله ، فصرعهم صرعة قاصية في وقت لا يتوقعونه وفي مكان لا يتوقعونه ، وباسلوب قتالي لا يتوقعونه ، فشل ارادة عدوه على القتال شللا كاملا وألحق بهم خسارة فادحة بالارواح ، فلم ينج من المدد الذي قدم لمساندة الصغد الا الشريد لان قتيبة باغتهم بالزمان والمكان والاسلوب

ولم تكن هذه المباغتة الكاملة لتتم كما ينبغي ، لو لم يحرص قتيبة على الاطلاع على نيات اهل الشاش وفرغانه في التقدم نحوه مددا للصغد ، ويعرف الطريق الذي سلكوه وتعداد القوات المعادية المتقدمة ، وموعد وصول تلك القوات الى معسكر المسلمين ، فطم قتيبة الخطة المناسبة لاحباط الخطة المعادية ، وصد قواتهم عن تحقيق هدفهم في مساندة الصغد

والدرس الثالث الذي ينبغي ان نتعلمه ، هو حضور قتيبة بنفسه الى مسرح القتال ، مستفيدا من ظلام الليل البهيم ، ليطلع بنفسه على سير القتال ، ويتخذ التدابير المناسبة الفورية لاحراز النصر في تلك المعركة الحاسمة التي تؤثر في سير القتال كله ، دون انتظار وصول الموقف اليه في مقره الرئيس في الخلف ، ليصدر القرار اللازم ، بعد ذهاب وقت الانتظار سدى ، مما يؤدي الى ضياع الوقت الثمين دون مسوغ

لقد كان قتيبة من اولئك القادة الذين يقودون رجالهم من الامام ، يقول لهم « اتبعوني » ولا يقودهم من الخلف ، يقول لهم « تقدموا » وهو قابع في موضع امين

وكان قتيبة يستأثر بالخطر ، يؤثر رجاله بالامان ، لذلك نال ثقتهم الكاملة ، ورفع معنوياتهم قواته ، وقادهم من نصر الى نصر

تلك هي الدروس الثلاثة التي ينبغي ان نتعلمها من قيادة قتيبة النادرة وما اعظمها من دروس ، وما احرانا عربا ومسلمين ان نتعلمها ونضعها دوما نصب اعيننا ، فقد كثرت هزائمنا ونكساتنا باهمالنا وبما جنت ايدينا ، وما اصدق المثل العربي القائل : « اذا كان عدوك نملة ، فلا تنم له » ■■

بغداد ـ محمود شيت خطاب

أحببتها وتزوجتها ، ومازلت احبها لماذا هي ؟ لا ادر
ولكن الذي اعرفه ولن يغيب عن ذاكرتي هو انها استطاعت ان
مني رجلا اخر غير الذي كنته ! كيف ؟ أيضا لا ادري

« روبرت لويس ستيفنسو »

هذه هي المرأة التي أبحث عنها

بقلم : منير نصيف

من هي المرأة التي عناها ستيفنسون بهذا الكلام ؟ ماذا عندها مما ليس عند باقي النساء أي ؟ امرأة تلك التي يلقاها الرجل مرة فلا ينساها أبدا ، وما الذي يشده إليها ؟ هل هو حديثها ، هل هي ابتسامتها هل هي لفتة التمعت عليها فحملتها إلى قلبه وحفرت صورتها في مخيلته ؟

لا احد يدري ، ولا حتى الرجل نفسه ! كل ما يمكن أن يقوله لك « هذه هي . إنها المرأة التي كنت ابحث عنها . هذه ضالتي ! »

ونمضي مع هذا « اللغز » كما اسماه « صمايلي بلانتون » في كتابه « المرأة التي أحببتها » انه يروي قصة امرأة احبت الحياة والناس وأحبها رجل لا يعرفها ولا تعرفه ، وحمل صورتها في قلبه وبقيت هناك . . كانت معه في صحوه وفي نومه . . في كل لحظة يخلو فيها إلى نفسه . . . كانت كل شيء في حياته التي عاشها مع الوحدة إلى أن كان اليوم الذي لقيها فيه فاحس ان الدنيا كلها تبتسم له ، وتمنى لو انها قبلت ان تشاركه حياته في هذا العالم الجديد !

في الاوتوبيس

في صباح يوم ممطر من ايام الخريف كان لقاؤه بها وسط الزحام . كان يجلس في المقعد المواجه لباب الصعود في سيارة الاوتوبيس في طريقه إلى مكتبه عندما احس بالسيارة تزحف بهم والسائق يحاول ان يقف امام المحطة ربما كانت المياه التي اغرقت الطريق هي السبب وربما كان السائق قد تردد قليلا في التوقف ، فقد كانت السيارة مزدحمة بالركاب . . كل المقاعد مشغولة ولفتت نظره ، كانت قطرات الماء تكسو وجهها وشعرها الأسود الطويل الجميل . . كانت كلما همت بأن تضع قدمها على السلم تسبقها سيدة أخرى إلى الصعود ! كانت خالية المتطرين على المحطة من النساء . . وأخيرا صعدت وأخذت تجول بعينيها بين الجلوس ، لعلها تجد بينهم مكانا تجلس فيه هي الاخرى ، فقد كان يبدو عليها التعب . واخرجت منديلا من حقيبة يدها راحت تجفف به قطرات الماء العالقة بها ثم مرت به فوق رأسها محاولة ان تجفف بعض الماء الذي كان ما يزال يتساقط من رأسها !

وتاهت وسط الزحام

وتعلقت عيناه بها . . وراح يرقب كل ... تعمله وهي ممسكة بالحزام الجلدي المتدلي من سقف الـ ... ة باحدى يديها ، بينما تحاول ان تفتح بيدها الأخرى ... حقيبتها لتضع

نص التذكرة وكاد يختل توازنها وتسقط لولا ان امتدت يد السيدة التي كانت تقف ملاصقة لها تماما وتساعدها في فتح حقيبة يدها . كانت حقيبة كبيرة بعض الشيء منتفخة بما تحويه أكثر مما تستوعب . وفجأة سقطت الحقيبة على الأرض وتناثرت محتوياتها . كتب وكراريس واكياس صغيرة مليئة بالحلوى . وتطوعت جارتها وراحت تساعدها في جمع « ثروتها » ، واعادتها الى الحقيبة مرة اخرى وأخيرا عثرت على كيس نقودها تحت هذا الزحام ، واخرجت قطعة فضية وضعتها في الثقب المخصص لها ، واخذت تذكرتها . وهمست في اذن منقذتها بكلمات لم يسمعها احد غيرها ، وضحكت هي . . وكانت السيارة قد اقتربت من المحطة ونزلت صديقة « الاوتوبيس » وبقيت هي ، واخيرا جاء دورها لتنزلت هي الاخرى وبقي يلاحقها بعينيه حتى عبرت الطريق ولكنه لم يستطع ان يمضي في رحلته معها لأكثر من هذا فقد كانت السيارة قد ابتعدت عن المكان وتاهت هي من بعيد وسط الزحام .

ماذا دهاه !

ولم يـ... شيء مما كان يدور حوله ، كان مشغولا بها .. حتى عندما وقف ليستعد للنزول لم يسمع صيحة السيدة الجالسة بجوار الباب وهي تدعوه في لهجة يشوبها الاستنكار ان يرفع قدمه الثقيلة عن حذائها ، لأنها هي ايضا تريد ان تقف وتنزل في المحطة القادمة

ومشى في طريقه إلى مكتبه وصورة المرأة الرقيقة الباسمة لاتفارق مخيلته لحظة واحدة . وفجأة وجد نفسه يقف حيث هو ولايتحرك وكأنه تذكر شيئا خطيرا استأثر بكل اهتمامه كيف كيف فاته ان يقدم لها مقعده ماذا دهاه الم يكن في وسعه ان يقول لها « اجلسي انت ياسيدتي فقد تعبت أنا من الجلوس » كان يستطيع على الاقل ان يحمل عنها الحقيبة الثقيلة المتخمة وهو جالس لو فعل لكان من السهل عليها ان تفتحها ولما سقطت منها وحدث ماحدث

وبقى فى مكانه لايتحرك ، والمطر يتساقط فوق رأسه فلا يحس به وبدا وكأنه يريد ان يعاقب نفسه على جريمة ارتكبها ، الى ان افاق اخيرا على صوت احد زملائه « ماذا دهاك يارجل ؟ »

ثم كان اللقاء !

لم يغمض له جفن في تلك الليلة عندما عاد الى بيته والقى بجسده المتعب على الفراش وحاول ان ينام لقد كانت صورتها هناك أمامه لم تغب عنه لحظة واحدة

من تكون هذه المرأة ومن اين جاءت وإلى اين كانت ذاهبة ؟ وذهب إلى عمله في الصباح ولكنه كان منهكا وانقضى اليوم وخطر له خاطر لماذا لايبحث عنها ؟ إنه يذكر المحطة التي نزلت فيها وعبرت عندها الشارع . وذهب وماكاد يصل حتى فوجىء بها قادمة من بعيد وكأنهما كانا على موعد واحس بضربات قلبه تتلاحق . إنها هي هل يمكن ان يستجيب الله لدعائه بمثل هذه السرعة . ؟ ولم يتردد في هذه المرة . اقترب منها وحياها . وردت التحية بابتسامة حلوة صامتة ولكنها ما لبثت ان استدركت بينها وبين نفسها : « ابتسم لرجل لا اعرفه ماذا دهاني ؟ »

وقالت « ولكنني لا اذكر انني أعرفك أو أنني التقيت بك قبل اليوم من انت ؟ »

ـ ولكنني اعرفك . ثم راح يحدثها عن رحلة الاوتوبيس في ذلك اليوم الممطر وما حدث لها مع حقيبتها التي امتلأت باكياس الحلوى وهي تحاول الوصول الى

ـن نقودها وضحكت واحس ان الدنيا كلها تضحك لها !

ـ انا ياسيدتي اعمل مهندسا صغيرا في مصنع لايبعد كثيرا عن هذا المكان وانت ؟ اني اعمل بالتدريس هل ترى هذه المدرسة ؟ هناك التقي باطفالي كل صباح واعلمهم واعطيهم حبي مع الحلوى التي ازرعها عليهم وينتظرونها بعد تناول طعام الافطار لابد ان اذهب الآن امي تنتظر عودتي ، وهي تقلق كثيرا عندما اتأخر عن موعد عودتي الى البيت إنها الانسانة الوحيدة التي بقيت لي في هذه الدنيا وانا اعيش معها وأرعاها واشرق وجهها بابتسامة وهي تودعه وتسرع للحاق بسيارة الاوتوبيس

انسانة جديدة

وانقضت بضع دقائق وهو واقف في مكانه وقد سرح بفكره في هذه الانسانة الرقيقة التي وهبت حبها لأطفالها الصغار في المدرسة ولأمها التي تسهر على رعايتها

رأى فيها انسانة جديدة تختلف عن كل النساء اللواتي صادفهن في حياته فقد كان كل شيء فيها يقول إنها تعيش وتعمل من اجل إسعاد الآخرين

وكانت هي ايضا سعيدة كل تصرفاتها توحي بذلك وكأنها كانت تجد السعادة التي هي فيها عندما تشعر انها استطاعت ان تسعد هؤلاء الذين عرفوها وتعلقوا بها فاعطتهم كل حبها

وتكررت لقاءاتهما ، فقد حفظ موعد انتهائها من عملها ، فكان يقوم بهذه الرحلة القصيرة بعد ظهر كل يوم ويلقاها في نفس المكان ، في نفس الموعد ، وكان قانعا دائما بتأمل هذا الوجه وتعبيراته ، ثم الحديث مع صاحبته وهما يعبران الشارع ثم وهي تقف في انتظار الاوتوبيس الذي سيقلها عائدة إلى بيتها ثم لايلبث ان يمضي كل منهما في طريقه لم يحاول مرة واحدة ان يصحبها في رحلة العودة ولكنه قرر أخيرا ان يفعل « غدا ، نعم ربما يكون الغد مناسبا لكي اطلب اليها ان تسمح لي بمرافقتها الى البيت فقد كنت اتوق للقاء الام التي انجبت هذه الانسانة الرقيقة ثم ماذا هو نفسه لم يكن يعلم ماذا يريد مع هذا اللقاءوبعده

وتزوجا

وجاء الغد ولأول مرة وجد نفسه قريبا منها وراح يحدثها عن نفسه عن طفولته وعن حياته انه يعيش وحده بعد رحيل ابويه وقد ك وحيدهما مثلها تماما ولكنها أسعد حالا منه ، تعيش مع أمها ، ومازالت تجد أحب واحلى انسانة انتظارها دائما لتلقي برأسها الصغير المتعب فوق صدر الحنون

وقدمته إليها وانحنى يقبل اليد التي امتد لتصافحه كانت سيدة عجوزا جاوزت الستين وخط الشيب شعر رأسها ، وكانت تجلس على مقعد وثير ، ومن وراء نظارتها كانت تبدو منهمكة في تطريز مفرش صغير جميل ، ما لبثت ان وضعته جانبا ثم راحت تتفرس في هذا الوجه وتصغى الى حديثه وهو يحكي قصته مع ابنتها وكيف تعارفا الى ان كانت المفاجأة ... جاءت سريعة وهو يمسك بقدح الشاي في يده ويرشف من بطء وخجل ويسأل « هل تقبليني ابنا لك ياسيدتي سوف اكون اسعد انسان في الدنيا اذا قبلت ان تزوجني ابنتك

وكأنها كانت تنتظر هذا الطلب ولكنها لم تتصور أن يجيء بمثل هذه السرعة فقد رأت في عينيه اشياء كثيرة منذ الوهلة الاولى وهي ترحب به وتدعوه الى الجلوس وخلعت النظارة عن عينيها ، حتى تستطيع أن ترى تأثير هذه المفاجأة على ابنتها ، فوجدتها تبتسم في هدوء كما تعودت أن تراها دائما في كل احوالها حتى اذا غضبت وبدت وكأن هذا الكلام الذي سمعته لتوها لايعنيها من قريب او من بعيد ، ومع هذا فقد فهمت الأم مانطقته الابنة وتزوجا

قصة كل يوم .. ولكن !

والى هنا وليس في القصة جديد شاب يلتقي بفتاة يحبها حتى قبل أن يعرفها ، ويتزوجها وهي قصة كل يوم وان اختلفت ظروف اللقاء فقط اطال الكاتب كثيرا في وصف اهتمام الشاب بالفتاة التي يراها لاول مرة

والمؤلف يسوقها لنا في كتابه « المرأة التي أحببتها » مع عشرات القصص الأخرى للقاءات أخرى في ظروف أخرى ، ثم يجيب في النهاية على التساؤل الذي طرحه في بداية هذا الكلام « اي امرأة تلك التي يلقاها الرجل فلا ينساها ابدا ؟ مالذي يشده اليها ؟ »

يقول سمايلي بلانتون ان اكثر من ثمانين في المائة من الرجال الذين اشتركوا في الاستفتاء الذي اجراه

● هذه هي المرأة التي ابحث عنها !!

فئات مختلفة من الناس وفي بلاد تباعدت قد اجمعوا على ان ابتسامة المرأة هي مفتاح ... اذا كنت محظوظا ورأيتها تبتسم ، فلن تستطيع ... سيدبرك لصاحبة هذه الابتسامة طالما انها لاتبتسم ... لاتعرفك هذا شرط اساسي

فهي تبتسم لحديث طريف مع احدى صديقاتها مثلا ، او لمنظر رأته او شيء اعجبها فكثيرا ما تكون الابتسامة مع العصب وسيلة المرأة للتعبير عن سحريتها كما اثار عصبها بهذه الابتسامة دخلت « موناليزا » لليوناردو دافنشي التاريخ ! فهي هذه اللوحة الرائعة خلط الفنان الكبير بين الغموض والواقعية ، ولكن المرء لايملك بعد ان بعد يتأملها الا ان يشعر انه كان يقرأ ملحمة ؟

ابتسامة المرأة

في ابتسامة المرأة يرى الرجل مدى ما تتمتع به من ذكاء كيف ؟ والاجابة على هذا السؤال تتوقف على ذكاء الرجل نفسه ، فهو قد يجد معها معاني كثيرة تبقى حبيسة الى ان تنطلق مع ابتسامتها او مع النقيض في ثورة غضبها

واكثر من اربعين في المائة من الذين شملهم الاستفتاء يبحثون عن المرأة الذكية المرأة العاطفية التي تنفعل للأحداث ، وتهتم بكل ما يجري حولها ، فلا تهز كتفيها غير مبالية او لاتقيم وزنا لما يراه الناس عندما يختلفون معها فيما ترى وهم يفضلون الذكاء على الجمال

ولكن هذه كلها صفات لن يستطيع الرجل ان يكتشفها الا بعد ان يعرف المرأة التي اختارها ، واذن فقد حرج بنا بلانتون عن الموضوع

ولكنه لايلبث ان يعود اليه ، انها ابتسامة المرأة اولا فهي التي تضع فيها كل اسرار نفسها فاذا خرجت عفوية كانت مرآة يراها فيها الرجل قبل ان ترى هي فيها ما بداخلها

.. وصوتها

ثم ماذا ؟

صوتها عندما تتحدث بلا تكلف ، عندما تكون على طبيعتها ، ولكن متى كانت المرأة على سجيتها ؟ انها لاتكون الا اذا كانت في صحبة ليس فيها مكان للمنافسة لانها تحرص دائما على أن تبدو الافضل ، او عندما تكون على درجة من الثقافة توفر لها الثقة بنفسها ، فتنطلق في حديثها ببساطة تقوم على اساس من المنطق وقوة الاقناع ثم يصف سمايلي بلانتون صوت المرأة بالسمفونية التي تعزفها ، وتطرب لها أذن الرجل ولكن عندما احب روبرت براوننج شاعر الانجليز ، الفتاة التي اختارها لتشاركه حياته لم يكن قد سمع صوتها ، ولا رآها تبتسم لقد كانت شاعرة مثله وكان اسمهاالبزابيث باريت وكان يقرأ شعرها وكان يتخيلها جميلة مثل قصائدها رقيقة مثل المعاني التي تحملها اشعارها التي كانت تكتبها واحبها ، وكتب اليها يعرض عليها الزواج ولم يكن حتى هذه اللحظة قد التقى بها أوعرفها ، ورسالتها الوحيدة اليه كانت قصائد رائعة قرأها معه كل الناس

ولكنه كان شاعرا مثلها وكانت اجمل قصة حب في الأدب الانجليزي

لاادري

ثم يصل بلانتون الى خاتمة رحلته مع المرأة التي « احبها » ، فيقول « لقد بقي السؤال الذي طرحناه في البداية عن هذا « اللغز » لماذا هي ؟ لماذا هذه المرأة دون غيرها من النساء ؟ بقي السؤال كما هو بغير جواب مقنع فقد تكون ابتسامتها كما قال البعض وقد يكون صوتها وقد يكون شيء اخر لا يعرفه الرجل حتى الآن فهو نفسه يعترف بانه لايدري لماذا هي ؟

وهل نجحت هذه الزيجات ؟ نعم نجحت واستمرت واثمرت ، لانها لم تكن ابدا قائمة على مصلحة ■■

منير نصيف

الهجاء عن بعد

● قالوا لسقراط يوما « ان بعض الناس يهجونك هجوا فاحشا » فاجاب « وماذا عسى هذا دعوهم يهجونني بل دعوهم يضربونني مادمت بعيدا عنهم »

باتريشيا هايسميث والرواية البوليسية النفسية

بقلم : محمود قاسم

انضم أخيرا السيد ريبلي الى الشخصيات البوليسية الادبية الشهيرة بعد شارلوك هولمز وأرسين لوبين والمفتش بوارووور كامبول . لكن توم ريبلي هو أكثر هذه الشخصيات انسانيةوأكثرهم ارتباطا بالسلوك البشري العادي . والجريمة لديه ليست متعمدة ، وليست عبارة عن تحقيقات ومطاردات بوليسية بين بعض المغامرين أو القتلة لكنها حدث بشري يحدث في ظروف حتمية لا مفر من حدوثها ومثل هذه الشخصيات لا يجيد صناعتها سوى الكاتبة الأمريكية باتريشيا هايسميث التي جسدتها في عدة روايات ، سنلقي حول بعضها الأضواء من خلال أدب الكاتبة .

ولدت باتريشيا في نورث ورث بولاية تكساس في التاسع عشر من يناير عام ١٩٢١ وقد انفصل والداها وهي في الثالثة من عمرها . تزوجت أمها من رجل لم ينجب قط يدعى ستانلي هايسميث الذي تبنى الفتاة فأصبحت ابنته الشرعية وكان بالنسبة لها - كما سنرى - أكثر حنانا وأبوة من أبيها الذي هجرها تماما اكتشفت الصغيرة « بات » أثناء دراستها الابتدائية حقيقة السيد ستانلي لها مما سبب لها صدمة شديدة وجعل أمها تسجلها تحت لقب هايسميث

وقد اعتبرت هذه الحادثة أولى مواجهات الصغيرة مع العديد من أحداث عاشتها بعد ذلك ، فزوج أمها كان أكثر حنانا وعطفا من أبيها وتقول بات عن أبويها

« لا أحب أمي كثيرا لماذا ؟ أولا لأنها صنعت من طفولتي جحيما صغيرا ثم لأنها لم تكن تحب أحدا من أقاربها لا أبي ولا زوجها ولا أنا فمي آخر مرة سافرت فيها الى تكساس - في فندق صغير وجدت أمي تعيش في مأوى للعجائز ذوي الصحة الطيبة أصابت جهاز التلفزيون الخاص بها . لم تتكلم منذ أن تكلمنا منذ أربع سنوات .

« أعرف أبها - وابن عم لي - هما آخر أفراد أسرتي لقد مات الباقون لكن من بقي لي ؟ أصدقاء من نيويورك ولندن وألمانيا وأنا أحبهم كثيرا وبالرغم من أنني لست عاطفية جدا الا أن هذا شيء رائع

وعن هذه الأم تقول أيضا :

« أعرفها أقل مما أعرف أي انسان آخر . أتصدق انني موضوعية أزن الأشياء بعقلي أكثر وهكذا أمي وأنا معجبة جدا بشجاعتها فقد طلقت وكانت هي التي قررت ذلك ورفضت النفقة التي اقترح أبي دفعها لها اليوم أقدر تلك الجهود الأمية التي فعلتها بالنسبة لي ومن أجل دراستي فالدراسة تتكلف كثيرا في الولايات المتحدة بالجامعة رحلت الى كولومبيا . وعندما تخرجت في جامعتها في سن الحادية والعشرين ، كنت قد تعلمت اللغة اللاتينية والاغريقية . مما ساعدني أن أصبح مؤلفة رسوم متحركة وقد أتاحت لي هذه اللعبة أن أصبح مشهورة « الغرفة » الثرية مثل فرجينا وولف . أما شهرتي أنا فمتواضعة وهي أشبه بغرفة دون صالة استحمام »

وعن حديثها تقول « كنت أحبها وكم رغبت أن أعيش معها أما أمي فهي على العكس . لقد شعرت بالضياع بعد أن هجرت أمي . وقد انغلقت على نفسي بعد ذلك بالرغم من أن زوج أمي كان يمثل بالنسبة لي عاطفة رقيقة وأعتقد انني كنت أحبه

أما أبوها فهو ... انسان رفيق عاطفي « لا أملك شيئا أقوله ... ولا هو

وفي السادسة ... العشرين تمت خطوبتها لفترة قصيرة ثم سحب قبل ان ... « كنت أخاف أن أغدو أما فليس عندي الصبر ... طفلا انها مهنة صعبة جدا بالنسبة ... أن أكون ... شابة أليس كذلك ؟ فلو كان لدي

أبناء فسوف أشغل بتربيتهم دون أدنى مساعدة وسوف أغدو أقل تكيفا . وسأعمل بجدية » .

غريبان في القطار

وباتريشيا لم تكف عن الكتابة منذ أن بلغت الثامنة عشرة من عمرها . قرضت الشعر وكتبت المقالات والقصص القصيرة ثم قررت أن تتجه الى كتابة الرواية « لا تسلني لماذا اخترت قصة الجريمة . ؟ فقد خطرت الفكرة بذهني دون مقدمات لم أكن قد قرأت أية قصة بوليسية . وما زلت حتى اليوم أجهل وقائع هذا الأمر فلا أعرف أجاثا كريستي » أو « كونان دويل » ولكني أفضل اعادة قراءة تولستوي ودوستويفسكي وهنري جيمس »

كتبت بات في أول الأمر روايتين وعندما عرضت ما كتبت على الناشرين لم توفق . الا أنها عندما كتبت « غريبان في قطار » لم تلق في أول الأمر نفس الاقبال « ليست الأمور في الولايات المتحدة مثلها في فرنسا فيجب الحصول على مقدمة مناسبة حول الخمسين صفحة الاولى من المسودة وقد عرضت نصف الرواية لأنني في حاجة الى نقود أدفعها الى صاحب المنزل . لكنهم لم يؤمنوا بعملية تبادل الجريمة بين بطلي الرواية » .

وهذه الرواية تدور حول مجهول يركب قطارا ويقترح على رفيق له ـ قابله في القطار ـ أن يتولى قتل امرأة . على أن يقوم هذا المجهول بقتل أبي الرفيق . ويذهب كل من الاثنين لتنفيذ الخطة ينجح أحدهما أما الآخر فيفشل وتكون نهايته القتل .

وقد اشترى المخرج « الفريد هيتشكوك » حقوق تحويل هذه الرواية الى فيلم خلال أسبوع من نشرها وقال عنها « أولا يدور المكان داخل قطار . وقد أكد بعض المارة بسرعة مشاعرى البديهية قال أحدهم « أتعرف ان النسبة المئوية لجرائم القتل التي تتكلم عنها الصحف هي ١٢/ ؟ ماذا تتصور في النسبة المئوية الباقية ؟ انها أشياء عادية غير قابلة للتصديق . . . وهؤلاء القتلة هم الذين لا تطاردهم الشرطة أبدا . أعجبني ثانيا في هذه الفكرة الرائعة انك لو افترضت ان كلا منا قد ارتكب جريمة قتل لحساب الآخر واننا تلاقينا في قطار . ولا أحد يعرف اننا نعرف بعضنا البعض ، وقدم كل منا للآخر عذرا مقبولا » .

وقد لقي الفيلم نجاحا مماثلا للكتاب غمرت شهرة باتريشيا هايسميث العالم كله وليس في الولايات المتحدة وحدها . أصبحت معروفة داخل أوربا واليابان . وعرفت بأنها أول روائية تمزج بين الانفعالات النفسية

والأدب البوليسي ولست مؤلفة روايات بوليسية لأنني لا أهتم بأن أضع فيها التوتر أو الغموض ، وكذلك رجال الشرطة لكن سلوك أحد المجرمين قد يسحرني فجأة . وهذا الأمر يمكن أن يسري علينا جميعا وذلك من حيث ظاهرة ردود فعله التي سلكها فإن الحوار العادي يصبح بالنسبة لي أكثر سحرا بمجرد أن ألمسه في غرائزي وهذا هو دينامو رواياتي

القاتل البريء

ومن أشهر رواياتها « القاتل » و « مياه عميقة » و « وجهان لينابر (كانون ثان) و « هؤلاء الذين يسيرون بعيدا » و « صرخة اليوم » وأبطال بات ذوو مشاعر متوترة دون أن يكون لهم أية نيات نحو الجريمة وقد اتضح هذا الخط في روايتها « البراءة الرجاجية »

يخرج فيليب براون من السجن قضى هناك خمسة أعوام ينتظر حكم البراءة لقد أدين في قضية مالية وهو بريء منها وديفيد محاميه وصديقه كان يحاول أن يثبت براءته لكنه لم يستطع في أول ليلة مع زوجته يحتضنها وهو يبكي قائلا

- لقد عدت أخيرا ويقضي فيليب أيامه في قلق لكنه من النوع الشديد الصبر الذي لا يجرح بسهولة زوجته تعمل في مكتبة وهو لا يجد عملا

أما ديفيد فهو صديق للأسرة يعرف فيليب من خلال ابنه تيمي ، ان ديفيد كان يزورهم كثيرا ينادي أباه باسمه المجرد بينما ينادي ديفيد بلقب « عمي » ويسعى ديفيد الى الحاق صديقه بعمل في أحد المكاتب محام ناجح وشهير وتربطه بزوجته علاقة مريبة يصرح له لاسكي ان ديفيد كان رفيقا لزوجته أثناء غيابه في حفل عيد الميلاد الذي أقامه المحامي للزوجة تضحك وتتصرف بطريقة تجعل الزوج يفسد الحفل ويذهب كي يبحث ليلا عن امرأة ثم يشرب لاسكي هذا هو الشريك الثاني الذي من أجله دخل فيليب السجن انه مجرم اختلس وزور وسرق وكان فيليب هو كبش الفداء فسجن بعد أن خرج من السجن حاول لاسكي أن يجند من جديد صديقه القديم من أجل القيام بعملية جديدة لكن فيليب يود ممارسة حياة أكثر أمنا ديفيد يملك مستندات يمكن أن تكون شاهدا على ادانة لاسكي الذي يسعى الى الوقيعة بين فيليب ومحاميه يصرح له بالعلاقة التي كانت بين زوجته وبين المحامي ابان سجنه تقول الزوجة انها فعلا ارتبطت به لفترة أسبوعين مثلا قبل صدور الحكم ثم يعرف أنها ارتبطت به لفترة طويلة وأنها لا تزال تذهب اليه حتى الآن تقول أنا معك لكن لو كنت مت في الزنزانة لاخترت ديفيد

ويزداد الضغط فوق الزوج من طرفين امر ببساطة وكأن هذا حق من حقوقها ومحروم يفضـ بأسرار فاضحة يعرف من خلال أحد الشخصـ زوجته وعشيقها قد عملا على ادانته بالرغم من ان يعرف تماما براءته وذلك كي يخلو لهما الجو تماما

يذهب يوما الى بيت صديقه اللدود بعد انتهـ فيفاجأ ان لاسكي يغادر منزله مسرعا في سيارة وضع جهاز اتصالات من خلاله يعرف كل ما يدور المحامي وفي الشقة يعترف ديفيد لصديقه أنه أنقذه من موت محقق بعد أن حاول لاسكي قتله ووسط حوار مكثف وجو خانق يسقط المحامي فجأة فوق الأرض ميتا ويجد الزوج نفسه ممسكا بتمثال زوجته الصغير الذي نحته لها عشيقها يوما وينهال عليه تحطيما

قالت الزوجة ان زوجها عاد الى المنزل في السادسة والربع ، بينما تمت الجريمة قبل خمس دقائق عرف أن زوجها قتل عشيقها قاطعته قليلا لكنها شعرت بالراحة أما الابن تيمي الذي كان أكثر ارتباطا بالعم ديفيد فقد قاطع أباه طويلا المحقق لم يثبت شيئا نحو ادانة فيليب لكن لاسكي طارد فيليب بالتسجيل الذي فيه كل الحوار الذي دار ابان قتل المحامي ويطلب منه فدية كبيرة ولأنه لا يملك ولأن لاسكي هو شاهده الوحيد يدبر خطة متقنة ويقتله وللمرة الثانية لا يستطيع المحقق ادانته لقد دخل السجن خمس سنوات كاملة لجريمة لم يرتكبها وكان ضحية للقوم ، فاذا به عندما يتحول الى شرير وبعد أن تعرض لضغوط رهيبة يخرج بريئا ولا يوجد أي دليل على ادانته

الشخصيات الأدبية التي تصنعها باتريشيا هايسميث ذات مشاعر متوترة وليست لديها أية نية لارتكاب أية جرائم وتطحن من ظروف خارجة عنها تتحدث في روايتها « الرجل الذي يحكي قصصا » فيتخيل لنفسه أنه قد قام بقتل زوجته وتزداد حدة التخيل لدرجة أنه يبدأ في التصرف كأنه قتل فعلا رغم أنه لم يرتكب شيئا الشك والارتياب والخوف من أن يكتشفه الناس وفي « يوميات اديث » نرى البطل امرأة على غير عادة بطلات وتكرر هذا الأمر في رواية أخرى هي « القتل للقتل » التي تتحدث عنها قائلة « أنا لا أخترع أحداثا ولكني أقرأ الصحف من أول سطر الى آخر سطر وهذه الصحف هي التي تلهمني ففيها يمكنك أن تجد الرعب اليومي فالصحيفة هي مختارات من الحكايات لكنني انتهيت بأن آمنت أن القراء يتوقعون تصديق الخيال أكثر من القصص الواقعية ...

الانسان كائن عبثي

● باتريشيا هايسمث

في الزنزانة الزجاجية

... امرأة محبطة ولكنها على العكس امرأة ... وحة وأم لطفل وهي تنتمي الى ... البرجوازية التي تسعى الى تحقيق حلم قديم لديها ... في السكن في احدى ضواحي نيويورك ... ويمكن اعتبار هذه الرواية انها عشرون عاما من ... روجة عصرية أو أنها آلام وعذاب امرأة تعيش ... فاذا كانت الزوجة في « الزنزانة الزجاجية » ... أنها لا يمكنها التقاعد في المنزل لأنها اعتادت على ... والخروج فان أديث امرأة أكثر سكونا وأقل ... تعيش داخل نفسها وتفكر في ارتكاب أشياء ... أي أن الوحدة تعتبر واقعا آخر لدى باتريشيا ... الجريمة ويمكن القول ان هذه الرواية قد كتبت ... رحل فيها نرى كم من العداء تكنه باتريشيا ... مثلها فبعد أن أدانت الزوجة في الرواية فانها ... تدين أديث وحول هذا الأمر صرحت يوما ... بساطة امرأة واقعية فالمؤمنون بالمذهب النسائي ... وأنا أؤكد على ذلك وأنا أعلن مساواة أخرهن ... لكنهن في أغلب الأحيان ينتمين في ... »وهذه الأديث هي امرأة قريبة في صفاتها الأنثوية ... باتريشيا » ليست برجوازية صغيرة » من هؤلاء ... ي سمع عنهن بأسلوب متواضع فهي تكتب ... وتقوم بالبحث كما أنها تهتم بالكثير من المشاكل ... ذكية رقيقة وربما مجنونة نوعا ما مناهضة ... وهي تعيش حياتها الخاصة فبعد أن كان ... زوجها في المنزل أشبه شبح يتحرك هنا وهناك دون ... تأثير أو تأثر لما يحدث يتركها ويتزوج من ... أما خالها العجوز فقد عانى من مرض لمدة ... أعوام تحتضر خلالها وابنها الصغير يعيش مع ... لا تحس بها ولا يشاركها عالمها ولأديث ... الخاص في المنزل كما أن لها أصدقاءها وهي ... حياة وردية وقد دونت أديث يومياتها طوال ... عاما بصدق غريب لكنها تضطر يوما أن تكذب ... في هذه اليوميات أشياء لم تحدث قط

... للنساء ... أدوارا ثانية في أعمالها والعالم كله يحض ... هو أساس الحياة » أضع نفسي في ... كأنني أعيش داخل حلزون الرجال ... عندما يتعرض أحدهم لاختبار ما ومن ... النية نحو الحركة يرحلون كي ... المطلقة » بأي ثمن تخيل المرأة مكان ... ديك » بحال أليس كذلك ؟ أما ... المنزل »

واذا كانت باتريشيا تسيء الظن بنات جنسها من النساء فانها تعشق الحيوانات الى حد بعيد ، ففي روايتها « فأر فينيسيا » ترى أن لهذا الحيوان عيونا مضروبة فقد حرقها ذات يوم شابان صغيران ويعيش الفأر حياته الطبيعية بأسلوب فريد يتنزه وحده في شوارع فينيسيا ومياهها وقد ملأته الكبرياء يرقب عجوزين من السائحين وشجاعة هذا الفأر تجلب له نوعا من الراحة النفسية ذات يوم يقع بين أيدي طفلين صغيرين وهذان الطفلان يشكلان جهنم لكنه يتمكن من الهرب من منزلهما ويعيش في مكان آخر

والفأر يشهد العديد من الحكايات التي ترويها المؤلفة من خلال عين الفأر الذكي والرواية شكل من أشكال روائية عديدة اشتهرت بها شتاينبك يرى الفأر يوما رجلا يقتل امرأة كان يهددها فيما قبل ويرى حصانا يود قتل سيدة والقتلة في هذه الرواية لا يعاقبون لكن تنقصهم التمسيات العظيمة

وتقول بات لأن الحيوانات ليست مدنية فانها تلد مخلوقات طيبة وهكذا البشر الذين يتحولون فجأة الى أشرار وعلى كل حال فانهم موجودون ـ ويجب أن محترم حياتهم وبالرغم من هذا فانها تبدو غير مجدية مثل حياة الفئران »

وشخصيات هذه الرواية نماذج انسانية فريدة لكنهم حيوانات شجاعة يمثل مصيرها نفس مصير ومآسي البشر الذين يعيشون مواقف شاذة وتقول بات انهم في الولايات المتحدة يصدون قصص الجرائم والحيوانات »

مع الدجاج والكلاب

وتعتبر قصة « يوم الغفران » أروع أقاصيص هذه المجموعة « مزارع يربي فيها الدجاج بأسلوب الكتروني منذ فترة طويلة داخل » أقفاص ضيقة للغاية » وهذا النوع من التربية الآلية لجمهل المربي يصاب بسلوك غير آدمي تحن زوجة الفلاح الى حياتها القديمة عندما كانت الدواجن تهرول في الفناء بحريتها . وقد أثار فيها موت ابنتها بعد حادث مفجع فقد كانت الصغيرة تجري وراء قطها مما حملها تصاب من جهاز آلي أصابها في عنبر الدواجن وتصاب الأم باليأس والخجل فتنتهر حلول الليل كي تقوم بتحرير كل الدواجن التي أصابها مس من الجنون فالانسان عند بات هو الذي يصنع الدم ويستبيح لنفسه دماء الآخرين

ومن حبها للحيوان أيضا تكتب « قضية كلب » عام ١٩٧٢ حول كلب يعيش مع عائلة ثرية في احدى ضواحي نيويورك والكلب شغوف بالأعمال التي يمارسها أحد

رجال الشرطة الشباب المثاليين وهو يكتشف شابا مسكينا مصابا بداء الانفصام النفسي يدخل في علاقة غريبة مع أناس يبثون الرعب في قلبه . وبداية هذه الرواية تتسم بالسرعة والحركة ثم تمتلىء برتابة الحياة وروتينها

وتعود باتريشيا كعادتها دائما الى التعاطف مع الطبقة البرجوازية في « هذا الغريب السيء » عام ١٩٦٧ وفيها تتعرض لحياة ديفيد آخر يشتغل عاملا في أحد مصانع ضاحية نيويورك . يعيش حياته العادية كأنها حياة خاصة عزب يقيم في مسكن متواضع ولا أحد يعرف عنه ان كان قد ارتبط بعلاقات عاطفية أو بأصدقاء سوى فرنسوا زميله في العمل الذي يقضي معه أغلب أوقاته . وفي البناية التي يسكن فيها يعيش أيضا السيد شوين صاحب العمارة الذي يعول والديه المريضين وفي الشقة التي أسفله تسكن فتاة جميلة تدعى جوليت خجولة لا تتوقف عن مراقبة هذا المؤدب الذي لا يحادثها قط ويرحل ديفيد يوما الى الريف ليقوم برعاية أبويه لكنه لم يذهب الى هناك إن أبويه قد ماتا منذ زمن طويل وعندما تسعى جوليت إلى معرفة سره ، تعرف أنه يقضي أيام الآحاد في مسكن صغير تحيه الغابات أجره ديفيد تحت اسم آخر وفيه يلتقي بفتاة تدعى ليز التي ترتبط به منذ طفولتهما وهي متزوجة من رجل آخر وتعيش في مدينة أخرى ، ولم تأت يوما الى منزل ديفيد الذي اختارته بنفسها وتخبره يوما أنها قد رزقت بابن منه وعندما يجد ديفيد نفسه في مأزق يقرر أن يتخلص من ليز وابنتها

أما أشهر شخصية صنعتها باتريشيا فهي توم ريبلي التي جسدتها في أربع روايات هي « السيد ريبلي » و « ريبلي في الظلام » و « ريبلي يتسلى » التي أخرجتها السينما الالمانية بعنوان « الصديق الأمريكي » و « في خطى ريبلي » وريبلي هو شخص يسرق ويقتل من أجل أن يعيش فهو الذي يحرض جوناثان على ارتكاب جريمة قتل من أجل مصلحته وجوناثان أيضا شخص من طبقة متوسطة مثل بقية أشخاص بات أصيب بمرض سيودي به قريبا ويرغب جوناثان أن يقدم لزوجته وابنته ثروة طيبة تجعلهما يتمكنان من العيش الرغد بعد وفاته . ويلتقي يوما بشخص غريب يقص عليه قصته فيطلب منه أن يقوم بقتل شخص لا يعرفه يسكن في باريس على أن يعطيه ريبلي هذا كل ما يطلب من نقود كي تتمكن أسرته من الحياة الرغدة .

وتقوم بين جوناثان وبين توم ريبلي علاقة غريبة فكل منهما يود أن ينفذ اتفاق الآخر لكن جوناثان يصاب بعدة انهيارات عصبية في مترو باريس . لقد تأكد أن الشخص الذي سيقتله هو أيضا مثله انسان مريض فيقرر ألا يفعل شيئا لا يجيده سوى رجال محترفين فهو لا يقبل أن يصبح سلاحا أصم وأعمى آلة لا تستـ[illegible] إلا في القتل واسالة الدماء

والجدير بالذكر أن باتريشيا تعشق المدن الـ[illegible]ـبية باريس برلين هامبورج فقد تركت [illegible] عام ١٩٦٨ لتستقر بصفة نهائية في باريس واذ [illegible] مرجريت يورسنا قد هاجرت من فرنسا كي تقيم في الولايات المتحدة داخل جزيرة معزولة [illegible] من الصحراء فان باتريشيا فعلت العكس « الفرنسيون أقل مللا من الانجليز وأكثر جدية من الايطاليين »

أما ألمانيا فقد عاشت فيها كثيرا ، ولها هناك أصدقاء كثيرون وأنتجت السينما الالمانية فيلمين مأخوذين من أعمالها ميونخ مدينة رقيقة تختلف عن باريس ولندن وفيها يوجد كل الجيل الذي يمثل السينما الألمانية

واذا كان جورج سيمنون أشهر روائي الشكل البوليسي في فرنسا قد كتب أكثر من أربعمائة وخمس رواية فضلا عن مذكراته التي نشرها في عشرة أجزاء طويلة فان باتريشيا تختلف عنه كثيرا أنا بطيئة أقل احترافا أحاول أن أكتب ثماني صفحات وعندما أكتب رواية فانني أكتبها مرتين أو ثلاثا

وقد ارتبطت بات بالكثير من أبناء جيلها من الأدباء في الولايات المتحدة وأوروبا قابلت في الولايات المتحدة الكثير من الأدباء ترومان كابوت كارسون ماكلور وماري ماكارثي . وفي فرنسا قابلت جورج بيريه وفي انجلترا قابلت جراهام جرين

وقد يكون من الغريب ألا تدافع باتريشيا في كتاباتها عن النساء أو أن تناصر حركة النساء المعروفة الآن بين [illegible] أوروبا مثلما تفعل أديبات مثل كلير اتشرلي و[illegible] شامبيون . الا أنها في نفس الوقت لا تميل الى معاداة الرجال فقد صرحت يوما أنها لا ترغب أن تتحول الى رجل كما لم ترغب أن ترتبط في حياتها برجل يتزوجها ويجعلها أما . وقد أعلنت أكثر من مرة أنها قد تزوجت رجالا عديدين صنعتهم في رواياتها مثل توم ريبلي و[illegible] براون . وعن الجنس تقول :

أعتقد أن من واجبي ككاتبة أن أفضل طريقة لاداء البشر أن يميل جنس الى جنس آخر وهذا الأمر [illegible] سهلا . فالجنس في كل مكان لكنه لا يصبح [illegible] الا عندما يتغلب على اللذة وتسوق الانسان [illegible] راسكولنيكوف مثلا لقد قرأت أخيرا رواية الجريمة والعقاب ضمن مرات عديدة وفي كل مرة أكتشف [illegible] عالم رائع » .

الاسكندرية ـ محمد قاسم

حتى تعرف مرض السكر

بقلم : الدكتور ابراهيم فهيم

اذا كنت تعيش العصر، فلا بد لك ان تعرف الكثير عن مرض السكر!

في عام ١٧٨٩ لاحظ دوبسون أن هناك مرضا من أهم اعراضه ادرار كميات هائلة من البول المحتوى على مقادير مختلفة من السكر ولذلك أطلق عليه اسم البول السكرى واقترح لعلاجه الحد من تناول السوائل والامتناع عن استعمال السكر والأطعمة السكرية

وظلت الحال على هذه المعلومات البدائية مائة عام كاملة، حتى بدأ العالم الروسى أوسكارميكو سكى / سنة ١٨٨٩ يجرى تجاربه على الحيوانات فاستأصل البنكرياس من أحدها ووجد أنه سرعان ما أصيب بمرض البول السكرى ومات متأثرا به بعد أسابيع قليلة

وتمت الخطوة التالية عام ١٩٠٠ عندما أتيح ليوجين اوبي معيد الباثولوجيا في مدرسة كورويل الطبية تشريح جثة فتاة توفيت بمرض البول السكرى فلاحظ اضمحلال جزر « لانجرهان » الموجودة في البنكرياس وهذه الجزر كان قد عثر عليها بدون أن يدرك وظيفتها بول لانجرهان / عام ١٨٦٩ كوفىء لذلك باجازة الدكتوراة من جامعة برلين »

وفي عام ١٩١٦ وضع شيفر نظريته التي أساسها أن جزر لانجرهان تفرز هورمونا يهيمن على تمثيل السكر

ومنذ ذلك الحين قامت البحوث على قدم وساق في مختلف انحاء العالم لمحاولة استحضار خلاصات من البنكرياس تشفى مرض السكر ولكن ذهبت جهود العلماء واحدا تلو الآخر هباء، مما اضعف نظرية شيفر واحاطها بسحب من الشكوك

اكبر انتصار

وفي عام ١٩٢١، أتيح لفردريك جرانت بانتنج الذي كان جراحا في الجيش الكندى، أن يحرز اكبر نصر في عالم الطب الحديث دون أن يكون له أية خبرة سابقة في الأبحاث الأكاديمية

ولد بانتنج في مدينة اليستون بمقاطعة او نتاريو بكندا عام ١٨٩١ والتحق بمدرسة الطب بجامعة تورنتو عام ١٩١٢ ودفعه شعوره الوطنى المتقد لأن يقطع دراسته ويتطوع في الجيش ولكن سرعان ماصدر الأمر بأن يكمل دراسته وما ان تخرج عام ١٩١٦ حتى التحق بالقسم الطبى بالجيش الكندى وسافر في الحال الى صفوف القتال الأمامية في فرنسا حيث جرح عام ١٩١٨ وانعم عليه بميدالية الصليب الحديدى لأعمال البطولة التي قام بها في الميدان

وعقب عودته لبلاده التحق بوظيفة معيد بقسم التشريح والفسيولوجيا بمدرسة غرب أونتاريو الطبية بعد أن منى بالفشل الذريع في ميدان العمل الحر

وذات مساء كان عليه أن يستعد لالقاء محاضرة عن علاقة البنكرياس بمرض السكر، وبينما كان يقلب صفحات بعض المراجع العلمية لهذا الغرض، استرعى نظره مقال غيرّ مجرى حياة الملايين من مرضى السكر في العالم اجمع

وكان هذا المقال يتضمن وصفا تشريحيا لجثة عشر

فيها على حصوة نادرة في قناة البنكرياس ، نشأ عنها انحلال جميع خلاياه التي تفرز العصارة الهاضمة ماعدا جزر لانجرهانز. ولم يكن في تاريخ حياة المتوفاة مايفيد بأنها كانت مصابة بمرض السكر او انها اصيبت به في وقت من الأوقات وقد كانت الوفاة لسبب آخر. وأيد بارون Baron صاحب المقال هذه المشاهدة بالتجارب العملية في جامعة مينيسوتا. فعندما ربط قناة البنكرياس في الكلاب حدث نفس الانحلال في ظرف شهرين.

ففكر بانتنج في انه باستخدام هذه الظاهرة ، يمكن الحصول على خلاصة نقية من جزر لانجرهانز قد يكون لها تأثير على مرض السكر. وقد استحوذت هذه الفكرة على كل كيانه . فقام في منتصف الليل ، ليدوّن في مذكرته ثلاث جمل قدر لها ان تغير مصير مرض السكر ، وهذه هي الجمل الثلاث :

١ - اربط قناة البنكرياس في الكلاب

٢ - انتظر حوالي ثمانية اسابيع ليتم انحلال جميع خلاياه الهاضمة ماعدا جزر لانجرهانز

٣ - استأصل البنكرياس واحصل على خلاصته

وعندما توجه الى تورينتو في صباح اليوم التالي ، عرض الفكرة على استاذه ماكلويد الذي لم يتحمس للمشروع أو يؤمن بامكان نجاحه . غير أن تواضع طلبات بانتنج لم تدع له مجالا للرفض . فقد انحصرت في عشرة كلاب ومساعد لمدة شهرين ، وتسهيلات لتحليل السكر في البول والدم ، فلم يسع الاستاذ الكبير الا الموافقة على مضض.

أول آدمي عولج

ولقد كان من حسن الحظ اختيار المساعد بست ، وكان طالبا بالسنة الثانية من دراسته الطبية وكيائيا متمرسا.

ولقد أجريت أولى التجارب في ١٦ يونيه عام ١٩٢١ . فربط قناة البنكرياس في أحد الكلاب واستأصل البنكرياس كلية من كلب آخر محدثا به مرض السكر وبعد ثمانية اسابيع استأصل البنكرياس من الكلب الاول وحقن خلاصته المائية في الكلب الثاني الذي كان يعاني وقتئذ غيبوبة السكر الشديدة . وسرعان ماتمت المعجزة. وردت حقنته الجديدة الحياة الى الحيوان الذي كان وشيكا أن ينفق.

ولقد كان أول آدمي عالجه بانتنج بهرمونه الجديد صديقه وزميل دراسته الدكتور جلشريست و... سرور بانتنج عظيما عندما وجد أن عقاره أنقذ في حياة صديقه العزيز. ولقد انتشر استعمال ... insulin الذي عرف فيما بعد باسم الانسولين ... عجيبة. فقد اكتشف انه يعالج مرض السكر ... حيوانات التجارب في يناير عام ١٩٢٢ . وما ... يناير عام ١٩٢٣ حتى كان استعماله والافادة ... عمت كافة أنحاء العالم.

ولقد رفض بانتنج أن يحتكر هذا الكشف ... فقد كان مشبعا بالروح النبيلة والانسانية ... التي هي في الواقع رسالة الطبيب. وعندما فاز بجائزة نوبل عام ١٩٢٣ اقتسم قيمتها مع مساعده بست.

وما ان نشبت الحرب العالمية الاخيرة ... أبحاثه ومعامله وانخرط في سلك الخدمة ... ليستشهد في ميدان الشرف عام ١٩٤١ ، اذ تحطمت به طائرة حربية في نيوفوندلاند . وهكذا هلك الرجل الذي انقذ بكشفه الخالد الملايين من البشر الذين ... ولايعرفونه ، ولكن يربطهم به رباط الاخوة الانسانية المتين الذي لايعرف فوارق الجنس أو اللغة أو الدين.

ولقد دلت الاحصائيات الاخيرة على انه في الولايات المتحدة الامريكية وحدها يبلغ عدد ضحايا مرض السكر الذين فاتهم التشخيص المبكر حوالي مليون نسمة ... الرغم من سهولة طريقة التشخيص المعملي وبساطته وصعوبة وخطورة المضاعفات التي تنشأ عند اهمال هذا الداء الذي ثبت أن ترتيبه الثامن بين الأمراض الشائعة التي تؤثر على حياة الانسان تأثيرا مباشرا.

ويتميز مرض السكر بعجز الجسم عن الانتفاع بالجلوكوز فتتركز في الدم وتفرزها الكلى في البول.

ولقد ثبت عمليا ، أنه يمكن احداث مرض السكر في حيوانات التجارب بمداومة حقن كميات كبيرة من الجلوكوز في دمائها لفترة طويلة.

السن عامل هام

وهذه التجارب تتفق وكثيرا من المشاهدات ... لوحظ أن الغذاء الغني بالمواد الكربوهيدراتية ... لمرض البول السكري عند من لديهم الاستعداد ... والمعروف أن ذوي البدانة أكثر عرضة ... نحاف الأجسام.

عامل هام . فقد لوحظ أن المتقدمين في السن ... للمرض من غيرهم . فقبل سن الرابعة عشر ... يد نسبة المرض عن شخص واحد بين كل ... سدس . وبين سن ٤٤ ـ ٦٦ يوجد مريض واحد بين كل ... ١ شخص . ومريضة واحدة بين كل ٥٠ امرأة متزوجة

ولعله من الطريف أن نذكر أن غير المتزوجات أكثر تعرضا للمرض من الرجال ، كما هو الحال بين المتزوجات . ويرجع بعض الباحثين هذه الظاهرة الى زيادة الوزن التي تنشأ عن تعدد الحمل . في حين يعتقد آخرون أن الحالة المادية والنفسية للمتزوجات هي التي تساعد على الترهل . وبالتالي يتعرضن لهذا المرض أكثر من غيرهن

ومن دراسة مقارنة لخمسة آلاف حالة بول سكرى ، اتضح أن ٧٨٪ من الذكور و ٨٣٪ من الاناث كانوا من ذوي البدانة قبل المرض . وقد تبين أن الذين يبذلون مجهودا بدنيا هم اقل تعرضا للمرض من أولئك الذين لايتطلب عملهم الا حركة يسيرة وهذا يفسر كثرة انتشار المرض بين رجال الفنادق وتجار الأغذية وغيرهم من ذوي العلاقة الوثيقة بالطعام والشراب

اما دور الوراثة في هذا المرض فثابت منذ القدم وفي احصائية حديثة ظهر أن ٥٠٪ على الاقل من المرضى الذين تقل اعمارهم عن عشرين عاما . من عائلات ينتشر فيها البول السكرى وعندما يتزوج مصابان بهذا المرض فمن المحقق أن يصاب به نصف ابنائهما على الأقل وهم صغار السن عادة

ولعل أجل خدمة يمكن أن يؤديها الطب لمرضى السكر هي التشخيص المبكر حتى يمكن ايقاف مضاعفاته الخطيرة مثل تصلب الشرايين ، وتلف الكلى وشبكية العين وقد تألفت جمعيات رسمية في كثير من الدول ، قوامها احصائيون في التحاليل الكيمائية مهمتهم الكشف عن حالات السكر الكامنة ليتسنى العلاج المبكر الناجع

وتخصص بعض الدول اسبوعا في كل عام لمرضى السكر يستطيع خلاله كل مواطن أن يحصل على تحليل مجاني للبول ... تحليل الدم كذلك ان لزم الأمر ومن مهام هذه ... تدريب المرضى من العامة ، على كيفية الكشف عن ... السكر في البول بأنفسهم

وتحول ... الحالات التي يثبت التحليل وجود سكر في البول ... معامل خاصة لاجراء تحليل الدم ، ... الجلوكوز اذ أن وجود سكر في البول وان كان يرجح وجود مرض السكر ، الا انه وحده لايصلح دليلا كافيا على ذلك

دور أساسي للأنسولين

ومن مهام الهيئات الحكومية سالفة الذكر ، علاوة على الفحص الجماعي لكافة الشعب ، مساعدة المرضى على أن يحيوا حياة عادية وتحسين طرق العلاج المستعملة حاليا ، ونشر احدث مايتوصلون اليه من اساليب علاجية وتثقيف الشعب ، ورفع مستواه العلمى فيما يختص بدقائق مرض السكر وتشجيع البحث العلمى في هذا الموضوع

وعندما يرمن البول السكرى تظهر اعراضه المعروفة بوضوح التي أهمها الظمأ البالغ ، كثرة التبول والحكة الشديدة ، والضعف ونقص الوزن ، واصابات الجلد وبطء التئام الجروح عامة

وعندما يستفحل المرض تظهر مضاعفاته الخطيرة ، فيتضخم الكبد ويتدهن وتتصلب اوعية القلب والكلى والشبكية والأطراف السفلى

ويتلو ذلك حموضة الدم حيث يعجز الجسم عن تمثيل المواد الدهنية ويصاب المريض بخمول عام ، وضعف شديد في القوى الحيوية والعقلية ، ويفقد الشهوة للطعام ، ويمكن تمييز رائحة الأسيتون في زفيره وهى تشبه رائحة التفاح والغيبوبة هى المرحلة النهائية لهذا المرض

ويتركز العلاج على نقط رئيسية ثلاث مرتبطة بعضها البعض كل الارتباط ، هى الغذاء والمجهود اليومى والأنسولين أو أقراص مشتقات السلفا

وهناك حالات كثيرة يمكن علاجها بتنظيم الغذاء وحده ، ومن هنا كانت أهمية التشخيص المبكر للمرض

وتنظيم الغذاء يتوقف على عمر المريض ووزنه بالنسبة لطوله ، وما يقوم به من مجهود يومى

اما الانسولين فهو عقار لايمكن الاستغناء عنه في بعض الأحوال ، والكمية اللازمة منه تتوقف على مدى تقدم الحالة واستعمال النوع الملائم من الانسولين ، وكمية ونوع الغذاء اللازم ■■

د ابراهيم فهيم
استاذ الادوية والعلاج
بكلية الطب جامعة حلب ـ سوريا

مواساة

للشاعر أحمد بن محمد الشامى

قرأ صاحب الديوان قصيدة للعلامة اليمني الشاعر القاضي محمد بن يحيى الارياني يرثي بها زوجته التي توفيت بنوبة قلبية عن عمر ناهز السبعين عاما فاهتزت عواطفه بالحادث المؤلم والشعر الرائع فقال محاربا ومواسيا ومعزيا

قـرأتـه ، فـتـوالى الـدمـع ينهـمـر   شعـرا ، قوافيـه تبكي ، وهي تنتحـر !
تـرثى الحنان الـذي كانت بشـاشته   « هي الحياة ، هي الدنيـا ، هي العمُر »
اذا تـكّلم . لا لـغـو ، ولا هـذر   وان تـبـسّـم زال الهـم والـكـدر
شـعـر دوافـعـه مـوّراة بـلظى   من المـرارة فيهـا الـروح ينصهـر !
في كـل قـافـيـة عـين مـسـهـدة   او مهجـة بـالأسى والحـزن تنفـطر
كـأن ألفاظـه بالـدمع قـد غمست   فكـل أحـرفـه بـالـدمـع تنهمـر !
شـعـر اذا رتلت اوزانـه انتحـبت   تنـوح ، تنـدب ، لا تبقى ولا تـذر
شعـر من القلب في ألـفـاظـه أثـر ،   وفي معـانيـه من أوجـاعـه شـرر ،
يـرثي شـريكـة عـيش في خمـائله   كـانت هي العيش والآمال والـوطـر
خمسون عـامـا ونيف سـافـرا ، وهما   بنعمـة الحب لا يضنيهـا ضجـر !
ورحلة العيش ان كـان الـرفيق بهـا   مثل الفقيدة . . طـاب العيش والسفر !
يـا آل « يحيى »، وعـز الـدين مفخـرة   لكم ، بـه نحن « حـزب الله » نفتخـر
وأنـتـم في سـبـيـل الله مـن ثبـتـوا   لم يثنهم عنـه لا خـوف ولا خـطر ،
مجـاهـدون اذا مـا مـسـهـم ضـرر   تـذكـروا سيـرة الآباء. فـادكـروا ،
مـن كـل ذي مـرة لـو ان فـطنتـه   على الـورى وزعت لم يـرتبـك بشـر
ان «جوملوا» شكروا ، او صورعوا صبروا   ويـصفـحـون عن الجـاني اذا قـدروا
وهم مـع الحق قـد سيـطت دمـاؤهم   بحبـه ، وتفـانـوا فيـه ، وانصهـروا
من ذا أعـربي ؟ ومـاذا قـد يقـال لهم   شعرا ؟ وهم خير من قالوا ، ومن شعروا
والصبـر شيمة من عفـوا ، ومن كرمـوا   وجنـة الخلد مـأوى لـلألى صبـروا

■■

احمد بن محمد الشامي

مروملي - انجلترا

محنة الطفل والاسرة في عالم اليوم

بقلم : الدكتور هـ . ستيرلن * ترجمة : الدكتور نبيه غيره

هذه المقالة [illegible] ترجمة حرفية تقريبا ، تعطينا [illegible]يدة عن رؤية العالم العربي بكل كفاءته وتقدمه للعائلة والمشكلات الناجمة عن العلاقات المتشابكة فيما بين أفرادها وتطورها ومستقبلها

سيدرك القارىء للوهلة الأولى ان أوضاع المجتمع العربي مختلفة عن أوضاع مجتمعنا وان ما ينطبق عليهم قد لا ينطبق علينا ، كما انه قد لا يتفق مع المؤلف في بعض آرائه

ولكن مما لا شك فيه ان تحليلات الكاتب العميقة والصادقة والواقعية تعطينا فكرة جيدة عن الجذور العميقة لكثير من المشكلات التي تواجهنا وأبناءنا ، ولعل هذا مما يبصر الآباء ويساعدهم في اتخاذ المواقف الحكيمة تجاه [illegible] . فيعرفون حقوقهم ويدركون احتياجاتهم ولا يحملونهم ما هو فوق طاقاتهم بل يأخذون بأيديهم برفق حتى تقوى شخصيتهم ويزداد اعتمادهم على أنفسهم ويستطيعوا شيئا فشيئا الاستقلال بذواتهم

وسيدرك القارىء أيضا افتقار المجتمع الغربي الى قيم ثابتة يؤمن بها ويقدسها ، مما يجعل آراء علمائه ومفكريه نتيجة زمانهم واتجاهه كما يقول الكاتب فقيم مجتمعهم تبع لتطوره وهدى نفسه وهذا بخلاف مجتمعنا ذي القيم الدينية الثابتة مما يعطيه أو يساعده بالأحرى على تحقيق الأمن والأمان والاستقرار والطمأنينة وهذه هي المقالة .

* رئيس [illegible] النفسي في جامعة هيدلبرج بألمانيا الاتحادية

دفعني أمران للتفكير وللكتابة في موضوع مكانة الطفل في اطار العائلة المتشابك الأول هو ازدياد المشكلات التي تواجه أطفالنا والثاني ازدياد المشكلات التي تواجه الآباء

ونبدأ بالمشكلات الأولى فبالرغم من المستوى المعيشي العالي واستقرار الأوضاع العامة - بالمقارنة مع معظم البلاد الأخرى - فان التقارير تشير الى تضاعف عدد المشكلات التي تواجه الأطفال واليافعين في جمهورية المانيا الاتحادية وتتضمن قائمة المشكلات هذه جنوح الأحداث والتعود على الأدوية والمسكرات والميل للانتحار والاضطرابات السلوكية المختلفة وكل هذه المشكلات آخذة في الازدياد، ان كان علينا أن نصدق الاحصائيات المتوفرة بين أيدينا

أما المشكلات التي تواجه الآباء فبالرغم من أنه بامكاننا - بل انه يجب علينا - أن نفترض ان كل الآباء تقريبا يتمنون الخير كل الخير لأبنائهم وأنهم يبذلون جهودهم في سبيل ذلك، فانهم يجدون أنفسهم عرضة لمزيد من النقد والتجريح، بشكل صريح أو بشكل مستتر فهم يتهمون مثلا بمعاملة أطفالهم بمزيد من الشدة أو على النقيض بمزيد من اللين

ويتهمون بالمبالغة في دفع أطفالهم وحثهم أو على العكس بالاقلال والاهمال وبكلمة مختصرة هم دوما موضع الاتهام والتجريح في تربية أطفالهم. ويقع الأهل نتيجة ذلك فريسة الشعور بالذنب وضعف الثقة وضعف قوة التحمل وذلك لأنهم يرون أن المثل والمبادىء التقليدية في تنشئة الأولاد وتربيتهم ذات الأهمية البالغة في حماية أطفالهم، أصبحت عرضة للنقد المتزايد

وان ضعف الثقة بالنفس وعدم وضوح الرؤية ليس بالأمر الجديد فلقد عناه الفيلسوف هيجل عندما توجه بكلمة الى الطلاب المستجدين عام ١٨١٣ وقال «واذا كانت القوانين والفلسفات التي عليها أن تقدم لنا القاعدة الصلبة للتوجيه هي نفسها غير ثابتة فأين يكون المرجع ومن أين يكون التوجيه؟» وما قصده هيجل بالقوانين والفلسفات هو المبادىء والأعراف والعادات التي تتبناها المؤسسات الرسمية ذات الأهمية البالغة في بناء المجتمع، كما تعني الآراء المتعلقة بالتربية الحسنة والتوجيه الاجتماعي

وان هذا التغير ليحدث في عصرنا بصورة أسرع بكثير، مما جعل آباء اليوم يصدمون عند مواجهتهم لأبنائهم المراهقين،

فمن الصعب على آباء اليوم - وأكثرهم كانوا أطفالا أثناء الحرب العالمية الثانية - أن يتأقلموا أو يتقبلوا العالم الذي يعيشه أبناؤهم فمن المحتمل إذن أن يكون على الأهل أن يمارسوا بدافع من الحسد، الذي يحسونه ... إزاء أبنائهم يطالبون بحياة جنسية نشيطة وبالسيارات الخاصة وبالرحلات خارج البلد لقضاء العطل كأمر طبيعي بينما كان الآباء في أيامهم لا يحلمون بمثل هذه البتة. وقد كان عليهم أن يحرموا أنفسهم من ... بسبب الحرب، أو ما أعقبها من سنين عجاف و... القيود التي كان يفرضها عليهم آباؤهم ومجتمعهم

قد يساء فهم الشباب

ومهما يكن من أمر فان لكثير من شباب اليوم الحق في أن يروا أنفسهم قد أسيء فهمهم من قبل الكبار وأن يشعروا بشيء من الغيرة والخوف تجاههم مع أن لمعظم هؤلاء الشباب مكانة في مجتمعنا المترف، لكن هذا المجتمع قد قدم اليهم في صورة حالكة محيثما اتجهوا وجدوا المستقبل مظلما، ووجدوا الظلم الاجتماعي، ووجدوا اهدار الثروات العامة وتدمير البيئة، وكل ذلك واقع في عالم سيعيشون هم فيه في المستقبل وليس آباؤهم ولهم كل الحق في أن يلتقوا مع آبائهم في فهم بعض القضايا العامة وتعقلها كازدياد السكان السريع في العالم - بنسبة ٣٠٠,٠٠٠ نسمة كل يوم - ، وانتشار أسلحة الدمار الذرية والتقنية العالية مما يهدد بوقوع كارثة عالمية مرعبة

ان ازدياد مشكلات الطفولة والشباب، والتغيرات الاجتماعية المتسارعة باستمرار وفقدان المحبة والصداقة بين الأجيال المتعاقبة حتى صراعاتهم، قد شاركت الى حد كبير في ازدياد عدد الأطفال والآباء الذين يعودون لمساعدة أمثالي المنظور اليهم على أنهم خبراء في مثل هذه المواضيع

فمنذ ٢٠ سنة فقط، قال واحد من أكثر المربين الألمان احتراما وشهرة. ان المبدأ الأساسي في تربية الأطفال هو كسر ارادتهم بضربة واحدة والى الأبد وقد أوصى لتحقيق هذا الهدف بنظام صارم لا يرحم، ووصف أجهزة خاصة لتحسين وصحة جلوس التلاميذ على طاولة الدراسة كجهاز شد الكتفين وجهاز رفع الذقن - الأجهزة التي يمكن اعتبارها اليوم أقرب ما تكون الى أجهزة التعذيب، ان اسم هذا المربي والمؤلف المتميز الذي صدرت مؤلفاته الأصيلة والمترجمات كثيرة هو الدكتور دانيال غوتلوب موريس شربر * وهو من الشخصيات العامة والمؤسسة لحركة شربر التي كان من أعمالها انشاء حدائق شربر واتحادات شربر، ولقد طبق هذا المربي طريقته على أبنائه أيضا ولا سيما ولديه وقد أصبح أحدهما وهو ... شربر مجنونا وقد كان محاميا معروفا في ذلك الوقت

* Daniel Gottlob Moritz Scherbar

ـه مشهورة لفرويد وأما الثاني فقد

ـوقت فان عـددا غير قليـل من المربيـن
أن هنـاك صلة مباشـرة ، بين نظريات
ـرر الترمونه والعقلية التي أدت الى قيام الرايخ الثالث
ـي أهلك البشرية ودمرها تدميرا

واليوم ، بعد مضي ١٢٠ عاما على نظريات شرير التي
ركز على قمع ارادة الطفل وطلب الطاعة العمياء كمبدأ
ساسي في التربية نقرأ كتاب هامستين حول التعليم
لذي يقول فيه ان أكبر خطيئة تربوية ترتكب في التعليم
ي قمع ارادة الطفل ، ولقد نال هذا الكتاب شهرة واسعة
أعيد طبعه مرات عديدة أيضا وبالطبع فان أحدا في
ـاما لا يستطيع أن يعرف مع الأسف ، ماذا كان الناس
ـقولون عن هذا الكتاب لو قدم اليهم في ذلك العصر قبل
١٢٠ سنة

ونذكر مثلين آخرين عن تغير آراء الخبراء في حقل
ـبه الأطفال الأول حول موقف الكبار ـ وخبراء
ـهم بصورة خاصة ـ حول لعب الأطفال
ـراسة كتب التربية لخمسين سنة خلت تبين لنا أن معظم
ـين كانوا ينظرون للعب الأطفال على أنه عمل شيطاني
Evil وربما شيطان لا بد منه ، ولكن على المرء أن يراقبه
ـعه تحت سيطرته ، وذلك أنهم كانوا ينظرون الى
ـب على أنه السبب الأساسي لكثير من العلل التي تحدث
ـب بعد كفقص القدرة على التركيز والانتباه ، وعدم
ـعور بالمسؤولية ، وعدم الرغبة في العمل ، أو المثابرة
ـه وغير ذلك

اللعب وسيلة للتعلم

ـما نرى المربون اليوم في اللعب وميل الطفل
لانخراط فيه الوسيلة الطبيعية للتعلم وأصبح يدمج في
ـه الأعمال التربوية المتناسقة لتفتح قدرات الطفل ،
ـن الأطفال ان يتعلموا عن طريق اللعب ان أمكن وعلى
ـعض أن يعلموا عن طريق اللعب أيضا ان أمكن وان
ـن موضوع الامتحانات عند مغادرة المدرسة وما يتطلبه
ـن خراءات ـ جعل هذا المطمع صعب الانجاز
والمثال الثاني هو حول الاتجاه الحديث تقريبا في تخطئة
ـعليم الرسمي ـمنهجي وما يقابله من تمجيد للتعليم
ـمي غير الرسمـ والذي كان من حصيلته أن يكون
ـحت المصاد ـ الرسمي التقليدي هو من أكثر
ـحت غير المعـ واحدا في الأسواق ، في المانيا
لاحتجاج ولي فتر الحرب العالمية الثانية ولقد اتخذ

المربون وعلماء النفس في هذه الأثناء مواقف مختلفة بل
متضاربة الى حد ما أحيانا ولقد أظهرت التحريات
الأخيرة في الولايات المتحدة الامريكية ان الأطفال العصاة
المفسدين ينتمون الى العائلات التي تدين بالافراط في
التسلط ، كما ينتمون ، الى العائلات المفرطة في التساهل
على حد سواء ولذلك فاننا غالبا ما نرى أن الامريكيين
يفرقون ما بين التعليم الرسمي التسلطي الذي يقمع
بشدة ، والتعليم الرسمي التوجيهي المتوسط الذي يضع
الحدود المناسبة للنفس مع تشجيع تحمل المسؤولية
والاستقلال بالنفس عند الطفل •

وهناك أمثلة مماثلة لا حصر لها تظهر التغيرات في
المواقف والطرق التعليمية ، وقد تجعلنا هذه التغيرات
نتساءل كيف ستحكم علينا الأجيال المقبلة ؟ وما
سيكون حكمها على مواقفنا تجاه الأطفال وعلى خبراتنا
وبالاضافة الى ذلك فان هذا التغير في المواقف يجعلنا نعي
المدى الذي يكون فيه الخبراء أنفسهم هم حصيلة
زمانهم

ومهما يكن الأمر فاني كأخصائي في معالجة المشكلات
العائلية ، مدرك تماما اني انتاج زماني أحب أن أسجل
بعض الأفكار المتعلقة بمواقفنا تجاه الأطفال وعلاقاتنا
معهم وأحب أن أقوم بذلك بصورة أساسية في ضوء
مواضيع ثلاثة ، مما قد يظهر لنا مدى انسجام الطفل في
الاطار المتشابك للعائلة وما ينتج من مشكلات له أو
لوالديه أو للعائلة

ولقد أصبحت هذه الفكر الثلاث بالنسبة لي حد
أساسية وهي التفهم Empaty والتمثيل Delejation والحوار Dialojua وهذه الفكر مترابطة وتتعلق
بصفات العلاقات العائلية الهامة كما أنها قد تساعدنا على
ادراك كيفية تكييف وجهات نظرنا مع مرور الزمن
ونحن نقصد بالتفهم عادة القدرة على سبر شخصيات
الآخرين وأما بالنسبة لموضوع علاقتنا مع الطفل فنحن
نقصد بها قبل كل شيء الاعتراف به كشخص مستقل محترم
له طريقته الخاصة في التعامل وله حاجاته الواجب توفيرها
وله حقوق تجب مراعاتها أي يجب أن نتفهمه بروح من
العطف والمحبة الصادقة

إن الدراسات العديدة التي تفوق الحصر تجعلنا نتأكد
بشكل لا يتطرق اليه الشك ان معظم جنوح الأحداث وما
فيه من انحرافات خلقية وادمانات للمسكرات والأدوية
وغير ذلك من السلوك المدمر للنفس هو نتيجة رفض

* د ـلمنسه مد ـدرسة معبر منهاج في العدد ٢٧٧ من العربي

الطفولة الباكر وتعبير عنها ، أي نقص التفهم الباكر

ولقد قرأت من وقت بعيد في مجلة التايم ان في البرازيل وحدها خمسة عشر مليون طفل مشرد منبوذ تقريبا ، يعيشون في العشش التي تزدحم بها المدن الكبيرة ، مهملين كليا ، ومحرومين من أي ارتباط عائلي أو اهتمام والذي ولا يشعرون بالولاء لأي مجتمع وهذا يعني بالنسبة للبرازيل ـ كما يعني بالنسبة لنا نحن أيضا نظرا لشدة ارتباط عالمنا اليوم ـ قنبلة موقوتة ذات قوة تخريبية رهيبة

واذا ما أعدنا النظر في التاريخ وجدنا أن الأبناء كانوا يعدون دائما لتحمل واجبات مفيدة اذا كانوا على علاقة دائمة بآبائهم فقد كان البدهي في المناطق الريفية وفي كثير من المجتمعات الصناعية في المدن أن يذهب الأطفال لمساعدة آبائهم في أشغالهم وهم في سن مبكرة ، وذلك ليتحملوا أعباءها كاملة وليحسنوها فيما بعد وهذا الوضع لا يزال ساريا في كثير من البلاد النامية أو المحافظة . ولقد تغيرت المهام الموكولة للأبناء في البقاع المتمدنة ، التي تقدمت فيها التقنية ، والتي أصبحت فيها أوضاع الآباء المادية أكثر أمانا واستقرارا ، وأصبح ما يطلب من الأبناء في الوقت الحاضر هو تأمين الاستقرار العاطفي بدل المادي فلم يعد الأطفال اليوم في العالم الغربي مادة قابلة للتحويل أو مصدرا تمويليا كما كان الحال في السابق بل أصبح الأبناء يهددون ـ أكثر فأكثر ـ الأمن الاقتصادي لآبائهم وأصبحوا عاملا في تدهور مكانتهم الاجتماعية ، وذلك ان العصر الحاضر الذي يزداد تعقده باستمرار ويتطلب مزيدا من التدريبات المهنية يجعل تكاليف الانفاق على الأبناء باهظة صعبة التحمل ولقد عبر لي عن ذلك أحد الآباء ، الذين أعجزتهم نفقات عائلتهم الكبيرة بقوله ان كثرة الاولاد في هذا الزمن لهي أشبه ما تكون بالسرطان ، فهم يتكالبون عليك دون رحمة حتى لا يبقوا منك شيئا

الانتداب أو التمثيل

ويمكننا القول بأن الانتداب أو التمثيل قد يتجه في الاتجاه الخاطىء عندما يطالب الابن بمهمات متضاربة بعضها مع بعض مما يؤدي به الى الصراع النفسي ، فقد يشجع الابن على أن يحيا حياة بوهيمية كان يتمنى أن يعيشها أحد والديه ولكنه لم يستطع ذلك ولكن يطلب اليه بشكل ظاهر أو مستتر وبنفس الوقت أن يعيش حياة عفيفة طاهرة يجسد فيها تعصب الأهل الشديد للمثالية والأخلاقية كما يطلب اليه أن يدرس اللاهوت ويحسن المناقشة في مواضيع ونجد شبه هذا الصراع وبشكل نموذجي عند كثير من شابات اليوم ، اللواتي يـ... بأعمال وظيفية ومهنية لم تتح لأمهاتهن بسبب ... الاجتماعية التي كانت مفروضة عليهن في ... ولكنهن مطالبات بنفس الوقت أن يقمن بالدو... للزوجة وربة المنزل . وقد يحدث انحراف ... لعملية التمثيل والانتداب بشكل خاص ، عند تو... الابن من أحد والديه في سبيل انتقاد الوالد الآخر أو ... حتى محاربته

وهكذا فان فكرة الانتداب والتمثيل تجعل ... النظر في المشكلة من خلال الأجيال المتعاقبة بل أم... هذه النظرة الدقيقة للأشياء ضرورية جدا لعملنا في ... المشكلات العائلية فهي تعني أن علينا أن نظر للو... كأطفال لوالديهم ، وبتعبير آخر كأناس حاولوا أن ... لأبنائهم ـ سواء نجحوا في ذلك أم فشلوا ـ ما تلقو... آبائهم وما لم يستطيعوا أن يتلقوه ، يحاولون على الأ... محاسبة أو معاقبة أبنائهم على ما عانوه على يد والديـ... قلة حظ وسوء طالع

ان كثيرا من حوادث الاساءة الى الاسماء تعطينا مثا... لهذه المسألة فتجربتنا السريرية تؤكد لنا المرة تلو الم... الوالد الذي يسيء معاملة ابنه ويضربه هو نفسه ... يضرب في صغره من قبل أبيه وهو الآن يطالب ا... بجبره بالقوة على منحه الحب الذي حرمه منه والداه ... لأذكر في هذا المجال أما كانت تضرب ابنتها البالغ... العمر تسعة أشهر فقط حينما كانت لا تبتسم لها عند ... للمنزل من عملها مرهقة مضطربة ، لقد كان رد فعل... العفوي لعدم تبسم ابنتها هو أن ترى فيه دلالة على ال... وعدم المحبة ، مما يجعلها تضربها بشدة ، وبالطبع ا... ما نلاحظه في هذه القصة هو عدم تفهم الأم لا... فالطفلة التي لم تتجاوز تسعة أشهر بعد عوملت عل... انسان بالغ ناضج عارف بالأصول الاجتماعية ، و... فقط احتياجاتها وحقوقها وقدراتها المناسبة لسنها ، ك... كانت في نفس الوقت منتدبة من قبل أمها لتمثيل دو... والقيام بمهام الرعاية الوالدية ، فأمها تريد منها أن تعـ... ما حرمت منه في صغرها من عطف وتفهم وثقة ... وباختصار نستطيع القول ان هذه الطفلة انتدبـ... اعطاء الحب المغتصب الذي حرمت منه الأم وعند... تفعل ذلك ـ وهي في واقع الحال لا تستطيع ولو أرادت ... تهب الحب المطلوب كانت تضرب بقسوة

ان هذه النظرة عبر الأجيال تتائج علاجية هامة ... تجعلنا نشعر بالتعاطف مع الأهل الذين سيئون ... أولادهم كما أسيء اليهم . وتجعلنا نحرص على ... بالحوار والاصلاح الذي يجب أن يتجاوز ... أمكن .

أهمية الحوار

ان المو... الثالث الذي أريد الخوض فيه هو الحوار الذي يمكن ...ساره كحصيلة لدرجة عالية من التفهم . وهو يتطلب ... مشاركة الشخص أو الأشخاص الآخرين في الملاحظة الدقيقة المركزة .

وما نهتم به هنا بشكل رئيسي هو الحوار ضمن اطار العائلة وخاصة ما كان بين أجيال مختلفة ومن الشروط المسبقة لهذا الحوار تعيين المواضيع المراد دراستها واعادة ترتيبها إن كان ذلك ضروريا ولا يهدف مثل هذا الحوار الى إعادة شمل أفراد العائلة المتباعدين فقط بل الى ايجاد الرغبة في العيش بوئام مستمر أيضا

ان هذا التسلسل يعطينا فكرة عن موضوع المعالجة الذي أستطيع أن أذكر لمحة عنه هنا . وفي جميع الأحوال اني لأرى ان المعالجة العائلية هي في الأساس واسطة ايجاد أو تأسيس حوار كان قد انقطع أو توجه وجهة خاطئة ومن متطلبات الحوار تبصر القوى الفاعلة في العائلة وخاصة بالنسبة لمصادر العائلة الايجابية التي غالبا ما تكون مستترة خلف مواقف سلبية أو أشكال معينة من السلوك ، وغالبا ما يكون الطفل ذو المشكلات السلوكية مثلا هو الفرد الأكثر حساسية في العائلة والأكثر رغبة وارادة في التأثير وذلك أن هذا الطفل يتحمل عبء الصراعات الموجودة في العائلة والتي لا يستطيع الغير أن يتقبلها وهذا الطفل هو الذي سيكون حجر الزاوية في المعالجة التي سيستفيد منها أفراد العائلة الآخرون دون أن يدركوا أنهم ... المرضى الحقيقيون المعنيون في المعالجة أصلا

واني لأود أخيرا أن أجيب عن السؤال الثاني · ما الذي يجعل العائلة سليمة صحية ؟ ـ ان كان هناك ثمة شيء من هذا القبيل ـ ، وذلك في ضوء ملاحظاتي على الحوار والمعالجة العائلية ، ولكن يجب أن يسبق هذا السؤال سؤال آخر وهو ـ كما يصرح بذلك كثير من المؤلفين المعاصرين هل انتهى وضع العائلة لتصبح معهدا تربويا ؟ وبالتالي ألا يمكن ايجاد معهد بديل للعائلة يأخذ مكانها ويقوم بوظائفها بشكل أجود وأكثر كفاءة ؟ ومن ثم ما هو نوع العائلة التي يحتاجها الطفل والى أي مدى هو بحاجة اليها ؟

ان النظرة السريعة للتاريخ تظهر بأن طبيعة وظيفة العائلة أو تركيبها قد تغيرت بشكل ملحوظ حسب الحقب التاريخية وحسب المفاهيم التربوية . ففي عصرنا الحاضر مثلا نجد اختلاف... كبيرا بين عائلات الريف كثيرة العدد وعائلات المدن ... صغيرة ، وبين العائلات شديدة التماسك والعائلة ... المتفككة التي يصعب تسميتها بالعائلة ... كثير من الأعم... كما نجد أيضا ... كثيرا من الوظائف والمهمات وخاصة

معها ما كان متعلقا بالتربية والتعليم التي كانت سابقا من اختصاص العائلة أصبحت اليوم منوطة بالمدارس أو المؤسسات الحكومية أو العامة الاخرى . ونجد أن عددا متزايدا من العائلات في العصر الحاضر أخذ في التفكك ، والتخلي عن الوظائف الاساسية التقليدية من تأمين جو الحب والأمان والاستقرار والتأهيل الاجتماعي ، والصحي ، الى المساعدة في تلبية الحاجة الجنسية في التزاوج واني لأشعر اننا لم نستطع ايجاد البديل الحقيقي للعائلة وطالما الوضع كذلك فمن الواجب أن نسأل أنفسنا ما هي صفات هذه العائلة الصحية التي تؤمن الصحة والسلام لكلا الطرفين للأبناء وللآباء ـ باعتبارهم أبناء لآبائهم

واني لأجد نفسي مترددا في اعطاء الجواب في هذا المجال وخاصة اني أقوم بعمل أخصائي في معالجة المشكلات العائلية . Family Therapist واني أشعر دائما بالدهشة لكثرة الأشكال والتراكيب العائلية ممكنة التحقيق وان ما كان يبدو لي من الوهلة الأولى سببا للفشل والمشكلات العائلية كان هو في الحقيقة تعبيرا عن قوة العائلة وصحتها وايجابياتها

وعلى كل حال ـ وبناء أيضا على الابحاث المسماة « غير السريرية » ـ أستطيع أن أعطي التعميمات التالية .

ـ للعائلة الصحية مجموعة من القيم المشتركة .

وهذا يكون مبنيا على المشاعر الدينية التقليدية ولكن ليس بالضرورة أن تبنى على ذلك .

ـ ويبدي أفراد العائلة الصحية اهتماما خاصا متميزا بعضهم ببعض ويشاركون في حياة بعضهم بعضا ويتعاونون ويتساعدون ولكنهم يكونون في نفس الوقت قادرين على الانفراد أو الاستقلال واثبات الشخصية الذاتية

ـ ويظهر في العائلة الصحية عدد كبير من المشاعر والانفعالات كالحنان والفرح والحزن والعدوانية وكثير غيرها . أي أن هناك مجالا كبيرا للمنازعة والمجابهة والمناقشة في العائلة الصحية ولا عجب ولكن على أن يؤدي ذلك الى ايجاد الحلول المناسبة وتصفية الجو واعادة الأمور الى مجاريها الطبيعية لا أن تبقى معلقة أو مستترة تحت السطح

ـ ويكون كل فرد في العائلة الصحية على أتم الاستعداد لمنح ثقته للآخرين والايمان بأنهم عون قوي لا أنهم مخيبون للظن أو معادون

وأخيرا فللحوار في العائلة الصحية مكانته المحترمة ونعني به الحوار الذي يجعلنا نتوائم مع الآخرين وأن نبين فيه بوضوح مواقفنا الخاصة ولكن شريطة أن يكون العدل والانصاف والتفاهم هو الرائد والهدف ■■

« لير صورة لانهيار المجتمع الاقطاعي حيث تصور ... رجل يعيش في عالم مختلف ، لا يلبث ان يحطمه »
« بريخت »

الملك لير في إخراج نمساوي

بقلم : احمد سخسوخ

« مسرحية الملك لير لشكسبير تعرض حاليا على أحد مسارح فيينا « شاوشبيل هاوس » من اخراج هانز جراتسر »

ان التراجيديا سواء اليونانية او الشكسبيرية انما ترصي فينا النزعة الاخلاقية ، ذلك ان الكارثة التي تحيق بالبطل انما هي رد فعل ناتج عن الخطأ التراجيدي الذي ارتكبه البطل ، ولكن نتائج هذا الخطأ لا ترتد على البطل وحده ، وانما تمتد الى محيط كامل او مجتمع بأكمله على اعتبار أن البطل يرمز او يمثل هذا المحيط او هذا المجتمع وان كان هناك اختلاف بين التراجيديا اليونانية والتراجيديا الشكسبيرية في ان القدر في التراجيديا الاولى انما هو الذي يخطط للاحداث بشكل مسبق ، ولكن رسم الاحداث في النهاية انما يتمنطق مع تركيبة البطل التي تقوده وبشكل منطقي الى نفس النتيجة التي خطط لها القدر

بينما تكوين البطل الداخلي او النفسي في التراجيديا الشكسبيرية ـ وان كان هذا التكوين لا ينفصل عن المكونات المحيطة ـ هو الذي يقوده الى هذا المصير المفزع عن طريق عيب او خطأ في تركيبه يترتب عليه كل هذه الكوارث وان كان خطؤه لا يعادل المصير الذي يلقاه في النهاية

نهاية مروعة

ولقد كانت نهاية الملك لير نهاية مروعة حيث ... لير ومات او قتل كل من حوله من كانوا معه ومن ... ضده ، وتحطمت كل العلاقات حتى الثلاثة الذين ... غير قادرين على حمل تيجان المملكة ، فهم حطام كانت ... نفسه

لقد أراد الملك لير في البداية ـ بدافع من أنانيته ... ينعم بالراحة والهدوء ويمير حياته الاولى ـ المليئة ... الى شيخوخته ولكن بعيدا عن مسئولية الحكم لذا ... يقسم الدولة على بناته الثلاث

ولانه حاد المزاج ، حافل بالتركيبة البشرية ... تعود أن يخاطب الآخرين بنرجسيته ... اعتاده ، لذا خدعته كلمات ابنتيه (جونريل ... الحب والاخلاص وقد صدمت اصغرهن واكثرهن ... له وأحبهن اليه (كورديليا) الصادقة ، ... تزييف الكلمات ، وتضعها في اطار براق ... ان تكذب لانها ليست في حاجة الى ...

● جوستوس بيومان ـ الملك ـ في احد مشاهد المسرحية

ـ ندها شكل حقيقي
لقد كانت ردود كورديليا ـ التي يعتبرها بعض النقاد دونا عاقة ـ مفاجأة للملك لير جعلته يتصرف بعصبية رغم انه رجل تعدى الثمانين من عمره واخذ عقله في ضعف ولكنه لم يشخ بعد فمازال يتمتع بصحة لا بأس

ويرفض الملك لير ان يعطي نصيب الابنة الصغرى من مملكة بل يورعه على اختيها ويضطر ان يقضي ايامه ـ جونريل وريجان بالتناوب وربما كما يقول « كولردج » ـ الملك بنوي يقضي اخريات ايامه لدى كورديليا ـ التناوب ـ جونريل وريثان حيث اضطر اليه بعد ـ كورديليا

ـ لابنتيه وهو يعتقد انه يسلم نفسه ـ يسلم نفسه للعذاب ، فلقد عاملته ـ اقل من اسبوعين اغلقتا الابواب المرودة ولم يتبق للملك سوى ان

ـقد اسلم ـ
ـ حة ولكن ـ
ـنه طريقة ـ
ـ احهه ـ

يرتمي بجسده في حضن الطبيعة القاسية يلعن الارحام ويخاطب الرعد ويصرخ في السماء ، وحينما تتسلط عليه فكرة ابنتيه يقوده ذلك الى حزن مخيف ثم الى الجنون حيث يطلق العنان لكل طاقاته الداخلية دون رابط منطقي فيعبر عن مكنوناته بشكل صادق وغير مزيف ، يعبر عن الامة بشكل يعجز عنه اي عقل في قدرته الواعية او غير الواعية ، ويطلق العنان لآلامه فيعبر عنها برؤي شعرية ورؤي خيالية حيث يمزج الطبيعة بالانسان ويرى الانسان في الحيوان وتكشف آلامه ومصائبه نبل معدنه وطيبة قلبه ، وتجعله يعرف ما كان يجهله عن الطبيعة البشرية ، فحينما كان لير ملكا وبكامل قواه العقلية لم يكن حينئذ يرى الحقيقة ، ولكن بعد ان فقد سلطته كملك وبعد ان جن وفقد عقله حينئذ وصل الى الحقيقة والى الحكمة ، وفي النهاية تأتي اليه كورديليا ـ التي اساء اليها ـ لتنقذه ولكنها تموت ويموت بعدها على صدرها

ان لير هو البطل الذي عانى وتألم وحس ولكنه في الواقع لا يدفع الاحداث الا في بداية المسرحية حينما قسم المملكة بشكل غير عادل ولكن المحرك الاساسي للاحداث جونريل وريجان ومعهما ادموند الابن غير الشرعي لجلوستر ويتعكس هذا في اعماق لير ، كما كان يحرك باحو الاحداث في عطيل ويظهر هذا في ردود افعال عطيل حتى قاده وقاد نفسه الى الدمار ، وان كان هذا لا ينفصل اصلا عن تركيب البطل التي تجد صدى للحركة المقابلة

ولقد تكررت مأساة الملك لير في حدث مواز في المسرحية يمثله جلوستر واولاده فجلوستر انما هو صورة اخرى من الملك وان كانت صورة باهتة ، انه رجل حسن اساء الى ابنه ادجار كما اساء لير الى ابنته كورديليا وكان ضحية مؤامرة دبرها ابنه ادموند ، كما كان لير ضحية مؤامرة دبرتها ابنتاه ، ويرجع مصير جلوستر المأساوي الى غبائه وانانيته حيث تفقأ عينيه ، ولكنه يصل في النهاية الى التطهير عبر معاناته وآلامه التي تقوده الى الحكمة ويموت بعد ان يلتقي بابنه ادجار كما يموت لير بعد ان يلتقي بكورديليا .

الخريطة الدرامية

وإذا كان لير وجلوستر يقفان على ارضية واحدة ومصير واحد قد سببه لهما ابنتا الاول وابن الثاني الا اننا نجد ان الشخصيات الاخرى تتخذ اتجاهين . اتجاه يمثله كل من كورديليا وكنت وادجار والابله ، واتجاه اخر يمثله كل من جونريل وريجان وادموند وكونرال واوزفالد . وان كنا نضع الباني زوج جونريل على نفس الارضية التي يقف عليها لير وجلوستر . فهو رجل حسن النية ويبدو كما لو

كان ضعيف الشخصية ، بمقت جونريل وريجان لموقفهما من ابيهما وفي النهاية يعجز عن حمل تيجان المملكة ويعرض السلطان على ادجار وكنت

وتذكرنا كورديليا بجمال وشفافية اوفيليا كما تذكرنا بصدق ديزدمونه ، وتعجز كورديليا عن الدفاع عن نفسها امام والدها كما تعجز كل من اوفيليا امام هاملت وديزدمونه امام عطيل · وتعاني كورديليا في حبها للملك لير كما تعاني كل من اوفيليا في حبها لهاملت وديزدمونه في حبها لعطيل حيث تموت الاولى وهي تضحي من أجل والدها وتنتحر الثانية بعد ان تجن بسبب حبيبها وتخنق الثالثة بيد رجل احبته واخلصت له

اما كنت فان حبه للملك لير يأتي قبل حبه لكورديليا ويجعله هذا يتنكر طوال المسرحية في زي خادم يسهر على راحة لير ويرفض في النهاية دعوة الباني للاشتراك في الحكم بحجة أن سيد المحتضر يدعوه ولذا عليه ان يذهب اليه .

أما ادجار فانه الابن الشرعي لجلوستر ، يؤمن بالفكر الميتافيزيقي وقد وقع ضحية مؤامرة دبرها ادموند ولكنه في النهاية بعد ان يهرب ويتعرى ويضطر الى لعب دور المجنون ويقضي على ادموند ويكشف الابله ستار الغيب عن الحقيقة وعن مأساة لير بكل وجوهها الضاحكة والمرة ، انه يظهر ما تخفيه الحياة من جانب مأساوي وضحكاتنا له وعليه انما ترسب في اعماقنا هذا النوع من المرارة التي تظل عالقة في حلوقنا

وفي المقابل الدرامي من هذه الشخصيات تقف جونريل وريجان وادموند وكونرال واوزفالد جونريل وريجان شخصيتان شريرتان استطاعا ان يترصا المملكة بعد ان مثلا على لير المجوز ثم اغلقا الباب في وجهه ودمراه ، وكانت تخدع كل منهما الاخرى ، ثم تنازعتا على حب ادموند الذي خدعهما ، ويذكرنا ادموند بياجو في مسرحية عطيل وان كان ادموند لا يتمتع بنفس القدر من الثقافة التي كان يتمتع بها ياجو ، ولكنه يشبهه في الدناءة والخسة . وربما كانت عدم شرعية بنوته هي التي دفعته الى هذه السلوكيات ، لقد احبته جونريل وريجان ولكن حبه كان اكبر من الاختين ، كان حبه للسلطة ، ولم يختر ادموند ريجان لانه يحبها وانما لانها ستحقق اغراضه وستضع التاج فوق رأسه بقوتها ودهائها وشرها

ولقد كان كورنيل غاصبا كالملك لير وكان اوزفالد خادما مخلصا حتى الموت كما كان كنت - على الجانب الدرامي المقابل - خادما للملك لير حتى الموت

صعوبات في التنفيذ

ان مسرحية الملك لير تعتبر افضل عمل تأليفي لشكسبير وان كانت تعتبر - من حيث البناء الدر[امي] - اقل اهمية من عطيل ويرجع ذلك كما يقول برادلي : « انها لا تخاطب الادراك الدرامي بقدر ما تخاطب نوعا [من] الخيال الشعري الاكثر ندرة وادق شاعرية » .

وتلاقي مسرحية لير على المسرح صعوبات [ها]ئلة في التنفيذ ويرجع ذلك الى - رغم قيمة العمل ككل - غموض في بعض الاجزاء وكثرة الاحداث الفرعية وكثرة الشخصيات الرئيسية وضعف في بعض التبريرات التي تتخلل الجولة الدرامية ، فمثلا لا يجد المرء مبررا كافيا لسلوكيات ادموند تجاه ابيه خاصة بعد ان اعتبره ابنا شرعيا ، فهو يشي به حينما يذهب لمساعدة لير وبذلك يكسب ثقة جونريل وريجان ويحقق لنفسه - كما يقول - ما يعادل فقده لابيه الذي فقد عينيه بسبب وشايته وان كان قد كسب ادموند ثقتهم من قبل بسبب مؤامرته ضد اخيه الشرعي ادجار ولقد كانت خطته هذه ضعيفة فكيف يمكن لرجل مثل جلوستر قضى عمره في سراديب السياسة ان يصدق هذه المؤامرة الساذجة ؟ ثم لماذا لم يواجه ادجار جلوستر لمعرفة اسباب ثورته عليه ؟ ولماذا لم يكشف ادجار النقاب عن نفسه حينما التقى بابيه فاقد البصر ؟

ثم ما هو المبرر الدرامي لتنكر كنت في زي خادم تابع للملك طوال المسرحية بل ويفضل الملك على حب لكورديليا . وفي النهاية يرفض التاج ويذهب راغبا ان [يلحق بسيده] الذي مات يدعوه ويخرج ، وربما خرج ليبحث عن طريقة ينتحر بها ليكون بجوار سيده الح

ويرجع برادلي كثرة العيوب والتناقضات في المسرحية الى اهمال شكسبير ، الذي اغفل كتابة بعض العناصر نظرا لطول مادته المسرحية او انه قد اختصرها بعد كتابته عن طريق البتر وربما اغفل شكسبير ايضا كتابة بعض الاشياء التي كان ينوي كتابتها وبذا وقع النص في بعض العيوب والغموض بل والتناقضات ومن هنا يلاقي النص - رغم قيمته الادبية - كثيرا من الصعوبات في حالة تنفيذه على المسرح ، وللتغلب على هذه المشكلة عادة ما [يتم] تقديم مسرحية الملك لير من خلال وجهة نظر تتفق مع ثقافة المجتمع او تتفق مع وجهة النظر للمخرج فيرى بريشت «في لير صورة لانهيار المجتمع الاقطاعي حيث يصور حياة رجل يعيش في عالم مختلف يحطمه

وقبل ان يخرج « بيتر بروك » مسرحية الملك لير قام باعداد دراسة سيكولوجية عن لير ، وقدمه على اعتبار [انه] رجل مفرط في ذاتيته وانانيته بوسيلة الطرق على رؤوس الجماهير وصولا الى عملية التطهير

ويرى مخرج احدث عرض لمسرحية الملك لير و[...]

سر) مع مترجم النص من الانجليزية الى جريد رينشر) بان النص بعد قراءته الاولى وقديما ويكاد يكون « اثري » . انه جبار ولكن ـيه ، جاذبيته ضعيفة ومظلم فكيف يمكن للمرء يمثل هذا كله ؟

ان مسرحية الملك لير تبدأ كأي دراما ملكية ، تبدأ قسيم المملكة واعضاء الحاكم وتنتهي كأي دراما ملكية .كريات الملك الجديد وبين المقدمة والنهاية يجد المرء حربا لية دولية ويدعو الملك الى احتفال .

بينما في الملك لير لا يوجد هذا الاحتفال ، فلا احد ى ، الجميع ماتوا اوهم غير قادرين على حمل التيجان وقد عالجوا المسرحية على اعتبار انها « حدوته » خرافية الة تمت في احد العصور الغابرة ففي البداية كان يوجد لك وقصر ووزير وفي النهاية لا يوجد سوى اربعة تسولين تحت المطر . في البداية احتفظ لير بمائة رجل ثم خمسين ، وفي النهاية بواحد فقط ، فقد لير كل شيء صح كنت مقيدا ، أصيب جلوستر بالعمى ، صنع حار من نفسه شحاذا وكأنهم يكررون صيحة فلا ديمير استراجون في مسرحية « في انتظار جودو » لبيكت حينما تولون « هل يمكن ان يحدث لنا أكثر من هذا »

انه عالم بلا معنى ، عبث ، لا امل غير قابل للتغيير .

ويرى المخرج والمترجم بان ليرغبي بلا احساس ، انه متقد في قوته ورفاهيته الابدية ولكن سرعان ما ينتقل لحكم ان الفعل الحقيقي في المسرحية هو الفوضى ، لا حد ممن الذين ماتوا يستطيع : يعيد توازن العالم ، ان من حكم يحتاج الى مؤهلات لذلك وكورديليا تحاول اعادة لحياة القديمة على ما يرام مع جيش اجنبي لتغيير علاقات لحكم في انجلترا ، وكورديليا ـ من وجهة نظرهم ـ غير معقولة ، باردة ومتغطرسة ، لماذا كانت عاجزة عن ان تعبر ن احبيها ؟ هل ما فعلته هو الواجب ؟ هل الحقيقة هم من الاشياء الاخرى ؟ هل عادت من فرنسا لتنقذ اباها م لاسترجاع ما يخصها ؟ ان موتها كان اسطوريا وفلسفيا ضروريا

ليست تراثا مسرحيا

لقد ذكر الناقد (فيكتور ريمان) بجريدة الكورونا المسائية بأن (المخرج جراتسر قدم عرضا حديثا ، احدث ... المخرجين الالمان) وهو محق الى حد كبير حيث استخدم المخرج اساليب متناقضة من اساليب الاخراج ... المسرحي ، من بناء ديكور طبيعي على المسرح ... المبنى في الخلفية) يذكرنا بطريقة اندريه انطوان ... المسرح في محاولته لتحقيق الطبيعية ،

واستخدم المخرج أساليب التغريب المسرحي من اضواء كاشفة وتقديم الشخصيات اثناء دخولها وخروجها ، وطريقة تغيير الاكسسوار ، استخدامه للملابس والالوان الزاهية ، استخدامه لحركات اليابانيين وتدريب الممثلين على المصارعة اليابانية مما يذكرنا بطريقة التغريب المسرحي ، ومع كل هذا استخدم المخرج الطريقة الذاتية في الاداء وهي طريقة ستانسلافسكي في التمثيل ثم استخدام الة وهي طريقة ستانسلافسكي في التمثيل ثم استخدام المخرج الجمالي للاضاءة والحركة مما يذكرنا بمدرسة شعراء المسرح في الاخراج المسرحي ، الا ان المخرج في الواقع استطاع ان يضع كل هذه التناقضات في اطار متناغم وان يصنع حالة مسرحية بعيدة عن مسرح الصالون . وربما يتفق جراتسر هنا مع المخرج البولندي (شانيا) حينما يقول عن المسرح (بانه يجب ان يكون انفجارا وان يباغت العرض المتفرج بتفرده وليس بمعايشته الطبيعية) وان كان من جانب اخر وبتركيزه على الجنس والتأكيد على عبثية العالم قد فرغ النص كثيرا من قيمته الاصلية .

ان معظم مخرجي شكسبير يقدمون اعماله كما لو كانت اعمالا تاريخية مرتبطة فقط بالعصر الذي خرجت منه ؟ وبذا يقدمون شكسبير على اعتبار انه تراث مسرحي ، ويتناسون في نفس الوقت العلاقة الجدلية بين الفن والعصر الذي يتعامل معه وكما يقول (بيترهول) المخرج المسرحي الانجليزي (بأن على المخرج ان يوظف النص لخدمة عصره ومجتمعه وان يوظف العصر والمجتمع في النص المسرحي)

ولكن ان لم يكن المخرج على اتصال حقيقي بالثقافة الانسانية عبر عصور التاريخ فلن يستطيع توظيف النص لخدمة العصر او توظيف العصر في النص المسرحي ، فالثقافة الانسانية تؤثر في رؤية المخرج على المسرح ، والذي يحدد صحة هذه الرؤيا انما هو قربها او بعدها عن العلم ، وهذه الثقافة التي تؤثر في المخرج انما هي التي تميز مخرجا عن آخر ـ بجانب الفهم الحقيقي « لتكنيك » العناصر المستخدمة فوق الخشبة ـ وهي التي تجعل مخرجا كبيرتولت بريخت ينظر الى الملك لير من خلال فهمه لقوانين تطور التاريخ ـ على اعتبار ان المسرحية صورة لانهيار المجتمع الاقطاعي حيث عاش لير في عالم غير عالمه يحطمه ـ وبين مخرج كهاترجراتسر يصور عبثية العالم من خلال الجنس ، وان كان هذا لا ينفي تفرد جراتسر في استخدامه لعناصر الخشبة المسرحية وتوظيفها في صنع حالة مسرحية بعيدة عن مسرح الصالونات . ■■

فيينا ـ احمد سخسوخ

طبيب الأسرة

يجيب على هذه الأسئلة نخبة من الأطباء

التهاب الكبد المعدى

○ اصيب طفلي البالغ من العمر ثمانية اعوام بالالتهاب الكبدي فهل هذا المرض ينتقل بالعدوى فان كان ذلك كذلك .. فما هي الطريقة الصحيحة لابعاد العدوى عن باقي أطفالي ؟

ـ الالتهاب الكبدي ينشأ عن الاصابة بنوعين من الفيروسات الاول يدخل الى الدم مباشرة عن طريق حقنة ملوثة والثاني قد يشق طريقه الى الكبد ، اما عن طريق حقنة ملوثة ايضا اوالاكثر حدوثا عن طريق تناول طعام ملوث بالفيروس او الاختلاط بمريض يحمل الميكروب عن طريق استعمال الاشياء المشتركة كالفوط او الفيارات بل وربما ايضا المخالطة العادية والسلام باليد

في الحالة الاولى ـ وهي دائما الاخطر والاقل شيوعا ـ يجب عزل المريض تماما في مستشفي للحميات خاص اما بالنسبة للاصابة بالفيروس الاقل خطورة فيمكن تمريضه في المنزل مع مراعاة كافة الشروط الصحية في البيئة المحيطة حوله وتتمثل ذلك في محاولة عزل المريض في حجرة خاصة به يدخلها هواء متجدد وتنظف يوميا وتغسل ارضها بالمياه ومادة مطهرة الى جانب ضرورة تخصيص كل الادوات الشخصية للمريض كأدوات المائدة والفوط والملايات ، مع مراعاة ان يوجه اهتمامه لتطهير دورة المياه بعد كل استعمال بمحلول مطهر وغسل يديه باستمرار وقص اظافره

ويراعى بالطبع الا يختلط به افراد العائلة خاصة الاطفال في كل الاوقات ، وقد يصعب هذا ، خاصة وان العلاج يتطلب البقاء في الفراش لفترة طويلة تبدأ مع المرض وتنتهي بعد اسبوعين من اختفاء مظاهر الاصفرار في العين والجلد لذا يراعى محاولة التخفيف على المريض خاصة اذا كان طفلا بمحاولة شغله ببعض هواياته كالقراءة والرسم والموسيقا وربما مشاهدة التليفزيون في حجرته

وعلاج الالتهاب الكبدي لا يعتمد على الادوية قدر اعتماده على الراحة الكاملة وحسن التمريض الى جانب وجبة غذائية خفيفة تكثر فيها المواد السكرية مثل العسل والمربات والفواكه وعصائرها المختلفة الى جانب فيتامين (ب) المركب والكالسيوم وتقليل المواد الدهنية تماما فلا يسمح بتناول اللبن والبيض والجبن او المطهي بالزبد ، وتمنع عنه المواد البروتينية خاصة انواع اللحوم والاسماك والبقول ، ولكن يعاد التعامل مع تلك الاطعمة بعد فترة وبالتدريج وبكميات صغيرة تتزايد مع الشفاء

وقد يحتاج الطبيب لبعض الادوية المساعدة اذا تطلب الامر علاجا بالكورتيزون في الحالة الحادة او المضادات الحيوية اذا ما تسلل ميكروب آخر ليصيب جهازا غير الكبد خاصة وان مقاومة الجسم تكون ضعيفة في مواجهة غزو الميكروبات الأخرى الى جانب بعض الفيتامينات كما يتراءى له

ويحظر تماما الاستعانة بالادوية التي تحث الكبد على ... وبالذات ، في ال... الاو... والحادة من المرض ... إجبارا لكبد المصاب ... عما قد يتسبب في تدهـ... حالته

أطفـال والحمى الروماتيزمية

> ○هـل تحصـر الاصـابـة بـالحمي الرومـاتيـرمية في فـترة الطفولة ؟ وما هي وسائل الوقاية منها وعلاجها ؟ وهـل يتم الشفـاء منها تماما ام انها تترك اثرا ؟

. ندر ان يصاب شخص بعد
حـامسه والعشـرين بـالحمى
روماتيرمه ، بينما يمكن اصابته
فيها من الخامسة والخامسة عشرة
ن حوالى ٩٦٪ من الحـالات ،
ورغم ان الحمى الروماتيرمية تعد
من تلك الامراض التي قد يقال
انها قد قتلت بحثا ، الا ان سبب
لاصابة بها حتى الان يعد لغرا ،
لكن اقرب النظريات الى الصحة
قد تكون تلك التي تقول انها
تفاعل ينشأ في الدم بعد الاصابة
بـميكـروب **Hae.nolytic**
Streptococci الـذى يصيب
جزء الاعلى من الجهار التنفسي
محدثا التهـابـات اللور والحلق
. سط مستوى معيشي منخفض
نوع ، ويكثر الاصابة به بين
الشباب وقد يبدو اكثر حدوثا في
الشتاء عنه في الصيف

وتتعدد مظاهر المرض بين مجرد
اعراض . .. ساه البسيطة وفقدان
شهيه او . .. المفاصل الشديدة
... ..ـاصل الكبيرة عالما
... ..حمى بل وهـبوط
... .ت الشديدة
... ..سرعـة احراء

التحـاليل الـلازمة منـد البداية والتي تتمثل في

ـ صورة دم كاملة تشمل عدد كرات الدم الحمراء والبيضاء بل وعددها النوعي حيث يترايد عدد كرات الدم البيضاء ، وقد تقـل الحمراء الى جـانب الارتفـاع الملحوظ في سرعة الترسيب

ـ بعض التحاليل المتخصصـة للدم مثل **Antistreptolysin O titre & C — reactive protein**

ـ رسم القلب والذى يوضح بعض التغييـرات في حالة تأثر القلب ذاته بالنشاط الروماتيرمي ويـعـتـمـد عـلاج الحـمـى الرومـاتيـرمية عـلى البـنسلين والاسـبرين والكورتيـزون دائما وفقا لحالة المريض ، الى جـانب الراحة الكـاملة في الفراش لمـدة اسبوعين بعـد الانتهاء من كـل اعراضها وان كانت الوقـاية من الحمى الروماتيرمية لا تعني سوى الاهتمـام دائـما بصحـة الجهـار التنفسي والقضاء على اى اصابة ميكـروبية بـاستخـدام المضـاد الحيوى الملائم والذى يتألف غالبا من البـنسلين او احد مشتقاته ، فان علاجها في الواقع قد يطول اذ ان هـنـاك فرصـة دائمة للنكسـة خاصـة عـند الاصابة بها بين الخامسة والخامسة عشـرة ، كما انها كثيـرا ما تصيب صمـامـات القلب بـالتشـوة التي تنشـأ عـند ضيق الصمام

لـذا كان دائـما من الـواجب توفير الحماية الكافية للقلب من الاصـابة الثـانية اذا مـا راعينـا الآتي .

* دقـة تـشخيص الحـمـى الـروماتيـرمية ، اعتمـادا أعـلى الكشف الاكلينكي والفحوصات المعملية

* سـرعة عـلاجها بكميـات كـافية من الاسبرين والبنسلين والكورتيزون حسب الحالة

* الراحة الكاملة في الفراش طوال فترة العلاج

* الالتفـات الى كل مـواطن الضعف في الجسد البشرى خلال فترة الاصابة بالحمى الروماتيرمية مثـل الصـدر والكـلى والاذن والحلق وضرورة اعطاء المضـاد الحيوى الملائم والذى ينتمي غالبا لمجموعة البـنسلين

* بعد الشفاء منها نهائيا تعطى حقن من البـنسلين طويل المفعول (مليـون ومـائتي الـف وحـدة) شهريا وبانتظام حتى سن الخامسة والعشـرين او تستبدل بـاقراص البـنسلين يوميا (١ جرام) يوميا او

احد المضادات الحيوية السلبية (٢٥٠ مجم) يوميا

* في حالة الاصابة بأى التهابات في الزور او الحلق او خلع احدى الاسنان ، تستخدم المضادات الحيوية لخمسة ايام على الاقل في جرعة كاملة

* اذا ما تكررت التهابات الحلق واللوز يحسن ازالتها جراحيا خاصة اذا ارتبطت بالآم المفاصل هذا ويبقى دائما المثل القائل « الوقاية خير من العلاج » افضل ما ينطبق على الحمى الروماتيزمية

تضخم الغدد الليمفاوية

○ اصيبت ابنتي منذ فترة بتضخم في بعض الغدد الليمفاوية في رقبتها .. وبعد اجراء الفحوص ثبت انها مصابة بالدرن فهل يصيب الدرن اماكن اخرى غير الرئة ؟ وهل حالتها معدية ؟ ..

- رغم ان الرئة هي المكان الاول الذى يسعى اليه ميكروب السل حتى لقد سمى بالرئوى الا ان ميكروب السل يمكن ان يصيب اى انسجة في الجسم بدءا من الجهاز العصبي الى الهيكل العظمي مرورا بالامعاء والكبد والبنكرياس والكلى وحتى القلب والمخ لا يسلمان منه ، فقد يصيب الغشاء المغلف لهما فيحدث التهابا درنيا ، وفي بعض الاحيان تلتقط إحدى الغدد الليمفاوية او سلسلة منها ـ كتلك التي في العنق او تحت الابط او اعلى الفخذ الميكروب ، وتحصره تماما داخلها فتبدو كعملية فدائية لخوضها بشجاعة حيث تتم داخلها فقط المعركة كاملة بين الميكروب وبين أنسجة الغدة التي تقدمها مختارة كجزء من عملها الهام كخط دفاع طبيعي للجسد الانسان .

وعلى هذا ينحصر خطر الميكروب في الغدة الليمفاوية فلا يصبح الشخص معديا على الاطلاق ويمكن التعامل معه بحرية كاملة بعد التأكد من ان الميكروب فقط في الغدد ، ولم ينتقل من الرئة اذ ان العكس ليس صحيحا فاصابة الرئة بالدرن قد تنتشر فتصيب اى مكان ، لكنها اذا ما تمركزت في الغدد الليمفاوية فانها تظل محاصرة

وتشخيص المرض و[illegible] الحالة يتأكد بفحص عينة [illegible] من الغدة الليمفاوية ،وعلا[illegible] مضمون بذات الادوية [illegible] تستخدم في علاج الدرن الرئوي وهي :

× حقن الاستربتومايسين

× عقار البارامينوساليسلك أسيد

× عقار الايزونيكوتينيك أسيد

وقد يتطلب الامر استخدام المضادات الحيوية الحديثة مثل السيكلوسيرين او الريفادين مع بعض الفيتامينات والمقويات العامة

وعلاج مثل هذه الحالة مضمون تماما ، ولكن يجب ان يستمر ثمانية عشر شهرا كاملة ولا تتعقد الامور الا في حالات نادرة جدا حيث قد تحدث قرحة نتيجة لانفجار احدى الغدد الليمفاوية والتي غالبا ما تكون عنقية لتفتح لخارج الجلد وفي هذه الحالة يحسن التدخل الجراحي لازالة الغدة وربما السلسلة التي تنتمي اليها مع استمرار العلاج كاملا لنفس الفترة

وتتم متابعة الحالة دائما عن طريق صور الاشعة المتكررة للصدر وصورة الدم والحالة العامة للمريض حتى يتسنى للطبيب الحكم على نجاح الادوية المستخدمة الى جانب الاطمئنان الى ان الميكروب بالفعل لم ينقل المعركة الى ميدان آخر [illegible]

عندما تجني المبالغة على الشعراء

بقلم : عبد الوهاب شكري

ليست المبالغة شيئا غريبا على الذين يقرضون الشعر ، لكن منها ما أصاب هؤلاء الشعراء بعكس ما توقعوه ، عندما زاد الأمر عن حده ، فانقلب الى نقيضه وضده ، كما يقول المثل

التوسل بالأطفال اجراء دفاعي ووقائي بحت ، يهدف الى وضع المخاطب مكان المتهم او الجاني لملامسة احواله ومعاناة التجربة النفسية عن طريق نفثات من العواطف الوجدانية ، وبضروب من الايحاء المؤدية الى الصفح والغفران ، كرد فعل ، اعتبارا لبؤس اولئك الأطفال المهددين بفقدان ابائهم ومراعاة لمشاعرهم وحادثة تميم بن جميل الدوسي الخارجي مع المعتصم - مثلا - وقبلها مؤاخذة عمر بن الخطاب للحطيئة ، حين هجا الزبرقان بن بدر ، او سلخ عليه على حد تعبير حسان في بيته المشهور

دع المكارم لا ترحل لبغيتها
واقعد فانك أنت الطاعم الكاسي

وما كان من عفو الخليفتين عن الرجلين كل ذلك شاهد اثبات على نزوع النفس الى التسامح وقبول الاعتذار ، مهما عظمت الاساءة أو الذنب ، فمما قاله الأول يستعطف المعتصم حين وقع في قبضته وقدم للاستنطاق

وما جزعي من ان أموت واني
لأعلم أن الموت شيء موقت
ولكن خلفي صبية قد تركتهم
واكبادهم من حسرة تتفتت
كأني اراهم حين أنعى اليهم
وقد لطموا تلك الخدود وصوّتوا

لئن عشت عاشوا سالمين بغبطة
أذود الردى عنهم ، وان مت موّتوا

بينما أرسل الثاني من سجنه الى عمر في نفس الغرض

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ
زغب الحواصل لا ماء ولا شجر
ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة
فاغفر عليك سلام الله يا عمر

فالتوسل بالأطفال صراحة او ضمنا يدرأ الكثير من الأخطار والمحن ، وقد دأب الناس منذ أقدم العصور سواء في السلم أو الحرب على الرأفة بهم ، وهي سنة الهية يكاد يكون في حكم المستحيل إبطالها لأسباب انسانية وقانونية واخلاقية ، فقد جاء في حديث قدسي ان الله تعالى قال (لولا أطفال رضع وشيوخ ركعّ وبهائم رتع لصبّ عليكم العذاب الأوجع)

فلا غرابة أن يلجأ بعض الشعراء الى الاحتماء بأطفالهم في الساعات الحرجة ، واتخاذهم شفيعا لدرء المخاطر عنهم ، ويعتبر التوسل بهم آخر وسيلة وقائية في المظنون على أن المثير للمشاعر الانسانية حقا ، هو افتقار الأطفال الى العائل ، وحاجتهم الفطرية الملحة الى الابوة التي ليس شيء في الدنيا يعدلها وبهذا الأسلوب الاستعطافي الموحي بالرأفة ، المثير للشفقة ، يدخل الشاعر المتهم أو المحكوم عليه ، في حوار جادّ ولاهث مع الطرف الآخر ،

لاستدرار عفوه واسترداد ثقته كريمة منه ، يحيا بها من جديد ، حسب ما يملكه من طاقات انفعالية أو ايحاءات سحرية ، وغيرها من وسائل الاقناع والتأثير.

من العزّ الى النكبة

ونصل الآن الى طرح السؤال التالي : الى أي حدّ يمكن الاستفادة من هذا الاسلوب في حماية الأنفس المهددة ؟ الجواب يقودنا الى الحديث عن الشاعر المغربي أبي جعفر بن عطية القضاعي المراكشي (٥١٧ - ٥٣٣ هـ) الذي نكب على يد الخليفة عبد المؤمن الموحدي (٤٨٧ - ٥٥٨ هـ) ولكي تتضح لنا فداحة النكبة ومدى جنايتها على الأدب يجدر بنا أن نشير باقتضاب ، الى مكانة الرجل ككاتب ووزير وشاعر معا ، معدود في الطبقة الأولى على ضوء شهادات المؤرخين وأقوال بعض معاصريه ، ومنهم الخليفة عبد المؤمن نفسه : حقا لقد كانت نكبة ابن عطية خسارة أدبية كبرى عبّر عنها هذا الخليفة في شيء من المرارة والندم حين لمّ الشعراء . واوعز اليهم بهجائه بكل ضروب التشنيع والعورات ليجد تبريرا لخطئه الجسيم ترتاح له نفسه ويطمئن قلبه : فلما أسمعوه ما قالوا ، اشاح عنهم بوجهه في أسف ظاهر ثم قال : (ذهب ابن عطية وذهب الأدب معه) . ولا شك أن هذه شهادة منصفة وتتطابق مع واقع الرجل ومكانته التي بلغت شأوا بعيدا بين ادباء العصر الموحدي ، وهي ان لم تنصفه حيا فقد أنصفته ميتا ولكن شتان ما بين الحالين.

أما صاحب النفح فقد قال عنه ، في سياق الاشادة به هذه العبارة الجامعة : (كانت وزارته زينا للوقت وكمالا للدولة) وقال عنه كاتبه الخاص أبو بكر بن نصر الاوسي يمدحه ، وابن عطيه لا يزال بعد على كرسي الوزارة بيده القلم:

أبا جعفر لنا الفضل الذي نال جعفر
ولا زلت بالعليا تسر وتُحبر
عليك لنا فضل وبرّ وأنعم
ونحن علينا كل مدح يحبّر

كما مدحه ابن حبوس الفاسي شاعر الدولة الموحدية الرسمي ، بقصيدة قبل أن ينقلب الى هجائه ومنها:

وزير العلا عندي من القول فضلة
رويّتها في مدحكم وارتجالها

وما كنت أخشى مدة الدهر أن أرى
تميد بي الارض واستم حسابها

أما لسان الدين بن الخطيب فقد وصفه في الاحاطة بقوله : (كان كاتبا بليغا سهل المآخذ منقاد القريحة سيال الطبع) . وجماع القول ، فان ابن عطية كان من شيوخ الأدب في العصر الموحدي ، له القدح المعلى في هذا المضمار ، ويمثل وحده قمة شامخة لا تدانى.

أما أسباب نكبته ففيها شيء من الاختلاف والتداخل حيث تتضارب الروايات في شأنها ، فهو مرة متهم بالتواطؤ ضد الموحدين ، استنادا الى ابيات شعرية هي لا محالة من اصطناع اعدائه الذين احتالوا ليوغروا بها صدر الخليفة عبد المؤمن عليه ، مستغلين غيابه موفدا من قبله في مهمة رسمية الى أشبيلية سنة ٥٥١ هـ . وقد طرحت الأبيات بمجلس الخليفة كشاهد إثبات ، ومنها:

قل للأمير أطال الله دولته
قولا تبين لذي لب حقائقه
ان الزراجين (*) قوم قد وترتهم
وطالب الثأر لم تؤمن بوائقه
وللوزير الى آرائهم ميل
لذاك ما كثرت فيهم علائقه
فبادر الحزم في اطفاء نارهم
فربما عاق عن أمر عوائقه
هم العدو ومن والاهُمُ كهمُ
فاحذر عدوّك واحذر من تصادقه
الله يعلم أني ناصح لكم
والحق أبلج لا تخفى طرائقه

ولكن بلاغة الأبيات وروعة بيانها وخطورة مضمونها السياسي في أبعاده ومراميه ، كل ذلك جعل نسبتها اليه في نظر عبد المؤمن أمرا ممكنا : حتى ولو لم تكن هناك سوابق تبرر سوء الظن به ، الى حد اتهامه بالخيانة ، ومن ثم تعريضه الى هذا الامتحان العسير . ومرة يقال انه (أفضى اليه بسر أفشاه) في سياق النصح للخليفة ، وانقاذ صهره القائد يحيى المعروف بابن الصحراوية المرابطي الذي (نقلت عنه الى عبد المؤمن اشياء كان يفعلها ، واقوال كان يقولها ، أحنقته عليه) . بينما هو عند ابن حبوس الفاسي المذكور ، متهم بمحاولة (احتلاس الملك لنفسه وذلك ان يكون عبد المؤمن قد روجه بين الناس لتبرير قتله) حيث يقول من قصيدة يهجوه فيها بعد النكبة

(*) الزراجين = البربر

أندلسي ليس من بربر
يختلس الملك من البربر
لا تسلم البربر ما شيدت
بالملك القيسي من معشر

ونسبة ابن عطية الى الاندلس هو انكار لأصله الحقيقي وهو في الوقت ذاته خطأ واضح ولعله مقصود من ابن عطية لتبرئة نفسه من أي اتهام بالانتماء الى البربر الذين لم يغفر لهم ابن حموس تعرضه للتعريض بهم ممن يعرض الدم.

وأيا ما كان فان اعداء الشاعر هم الذين (كادوا له واوقعوا به) ، إضافة الى أن اعتذاره في رسالته الأخيرة التي وجهها من سجنه الى عبد المؤمن اثر فيض من الرسائل الاستعطافية الأخرى ، زاد الأمر تعقيدا وادّى الى التعجيل بقتله ، وما كان له أن يفعل لولا اعتقاده أن ذلك هو المنقذ الوحيد للخلاص ، بعد أن صحّ من عواقب السجن وحياة الاعتقال وما لاقاه من معاناة ، تتجاذبه عوامل اليأس والرجاء ، وعن هذا يقول

أنوح على نفسي أم أنتظر الصفحا
فقد آن أن تنسى الذنوب وان تمحى
فها أنا في ليل من السخط حائر
ولا اهتدي حتى أرى للرضا صبحا

نموذجان في الاستعطاف

ورغم أن هذه الرسالة ـ وغيرها كثير ـ امتازت بصناعة ألفاظها وجزالة أسلوبها كما سنرى ، قمينة ببلوغ الهدف وتأدية الغرض المقصود ، فقد اعتبرت في نظر بعض المؤرخين المعارضة السبب في مصرع الرجل ، اذ اورد فيها طائفة من التحديات والخطايا من قبيل المبالغة ، على فرض ارتكابها تنبىء عن درجة وعيه والمامه بكبار الحوادث وعن رصيده في المتافيزيقيا ، مع ثراء في الذهن وخصب في الخيال. ومما قال فيها مخاطبا الخليفة عبد المؤمن : تالله لو احاطت بي كل خطيئة ، ولم تنفك نفسي عن الخير بطيئة ، حتى سحرت بمن في الوجود فامتنعت لآدم من السجود وقلت ان الله لم يوح بالفلك لنوح ، وأبرمت لحطب الخليل حبلا ، وبريت لقدار ثمود [1] نبلا وحططت عن يونس شجرة اليقطين وقبضت من أثر الرسول قبضة فنبذتها [2] واقترفت على العذراء البتول فقذفتها وكتبت صحيفة القطيعة [3] بدار الندوة وظاهرت الاحزاب بالقصوى من العدوة وذممت كل قرشي ، وأكرمت لأجل وحشي [4] كل حبشي ، وقلت ان بيعة السقيفة لا توجب امامة الخليفة ، وشحذت شفرة غلام [5] المغيرة بن شعبة ، واعتلقت من حصار الدار وقتل أشمطها [6] بشعبة ، وقلت تقاتلوا [7] رغبة في الأبيض والأصفر [8] واسفكوا ، الدماء على الشريد الاعفر وغادرت الوجه من الهامة خضيبا [9] وناولت من قرع سن الحسين قضيبا [10] ثم أتيت حضرة المعلوم لائذا وبقبر الامام المهدي عائذا ، لقد آن لمقالتي أن تسمع ، وتغفر لي هذه الخطيئات أجمع مع أني مقترف بالذنب ، معترف

عفوا أمير المؤمنين فمن لنا
برد قلوب هدها الخفقان

ولم يشأ ابن عطية ، وهو الكاتب البليغ ، أن يكتفي في استعطافه للخليفة بلغة نثرية مسجوعة تتناغم ايقاعاتها خلال جمل قصيرة ، يركض فيها لاهثا متقطع الانفاس ، يقتنص الشوارد من كبار الحوادث ، مجشما نفسه ركوب الأهوال ، والضرب في الآفاق عبر مغارات الزمان وفيافيه ليكون منها نسيجا عضويا واحدا في المضمون مع تنوع تلك الشوارد ، بل لجأ أخيرا الى الوساطة الشعرية ضمانا لتأدية الغرض المطلوب باعتبار لغة الشعر اقدر من غيرها على الايحاء والتأثير مما يقصر عن بلوغه النثر الذي يعجز في الغالب عن التفاعل مع وجدان المخاطب وتحريك مشاعره وعواطفه ، فكتب القصيدة التالية يستعطف الخليفة عبد المؤمن ، وهي آخر ما كتبه في السجن من درره الأدبية ، واختار أن يكون رسوله وشفيعه ابنا له صغيرا

---

1) قدار ثمود عاقر ناقة صالح
2) نبذتها اشارة الى فعل السامري بعجل بني اسرائيل
3) صحيفة القطيعة التي كتبتها قريش وعلقتها في الكعبة لمقاطعة بني هاشم رهط الرسول
4) وحشي هو قاتل حمزة عم النبي وكان مولى حبشيا
5) غلام المغيرة قاتل عمر بن الخطاب
6) أشمطها يعني به عثمان بن عفان
7) تقاتلوا يعني الصحابة
8) الأصفر يريد ما كان بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان
9) خضيبا اشارة الى اغتيال علي كرم الله وجهه
10) قضيبا يروى عن يزيد بن معاوية أنه لما وضع أمامه رأس الحسين أخذ ينكت أسنانه بقضيب كان في يده

يحدوه الأمل في الصفح وزوال ليل الحيرة عنه ، وكعادة شعراء العصر الموحدي ، عمد ابن عطية الى المبالغة في الاستعطاف ، الى حد الاسراف ، حيث يقول

عطفا علينا أمير المؤمنين فقد
بان العزاء لفرط البث والحزن
قد أغرقتنا ذنوب كلها لجج
وعطفة منكم أنجى من السفن
وصادفتنا سهام البين عن غرض
ورحمة منكم أوقى من الجنن
هيهات للخطب أن تسطو حوادثه
بمن أجارته رحماكم من المحن
من جاء عندكم يسعى على ثقة
بنصره لم يخف بطشا من الزمن
فالثوب يطهر بعد الغسل من درن
والطرف ينهض بعد الركض في سنن
انتم بذلتم حياة الخلق كلهم
من دون منٍّ عليهم لا ولا ثمن
ونحن من بعض من احيت مكارمكم
كلتا الحياتين من نفس ومن بدن
وصبية كفراخ الورق من صغر
لم يألفوا النوح في فرع ولا فنن
قد أوجدتهم أياد منك سالفة
والكل لولاك لم يوجد ولم يكن

غير أن عبد المؤمن تلقى خطاب الشاعر بامتعاض شديد ورفض قاطع ، حيث وقّع عليه بهذه اللهجة الحادة المؤنبة (الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين)

أكان عبد المؤمن حقا قاسي القلب حين لم تستمله بلاغة الابيات ولم تأخذه الرأفة بالشفيع الصغير الذي هرع الى الخليفة يحمل بين كفيه خطاب الاستعطاف من والده الذي هده الحزن وبقي تحت رحمة الأقدار ينتظر المفاجأة ماذا عساها أن تكون ؟

بين ابن عطية وابن زهير

وما من شك في أن ابن عطية عندما استعطف الخليفة كان ينتظر رد فعل باطلاق سراحه ، اذ لم يكن يتوقع في يوم من الأيام هذه الكبوة نظرا للصلة الوثيقة بين الرجلين وعلو مكانة أحدهما عند الآخر وجنوح الشاعر الى المبالغة في الاستعطاف شطحة صوفية أطمعته نوعا ما في الفوز بالرهان وتدارك الموقف او انقاذ ما يمكن انقاذه ولم يكن يتصور أنه كان يحفر قبره بكلتا يديه استجابة لحكم القدر ، واذا كان الاستعطاف صنوا للمدح في الاشادة بمناقب الممدوح ومفاخره وهو ما يتفق مع ميول عبد المؤمن ، فلماذا اذن لم يقبل توسله ويقل عثرته مع اقراره بجريرته لو لم يكن الأمر كذلك ؟ ان اقصى ما كان يطمح اليه ابن عطية هو ايماءة بالقبول والاستحسان قانعا من الغنيمة بالاياب أو على نحو ما حصل لكعب بن زهير حين مدح الرسول ﷺ في معرض الاستعطاف بقوله :

ان الرسول لنور يستضاء به
وصارم من سيوف الله مسلول

غير ان كعبا لم يشأ أن يجشم نفسه ركوب المبالغة بل سلك طريقا وسطا اذ كانت البلاغة عنده مطابقة الكلام لمقتضى الحال أو الصفة للموصوف ولكن أليس في تمجيد ابن عطية للخليفة (بما ليس فيه أصلا) مبالغة أضفت عليه بعض الخصوصيات الالهية ؟ كقوله

ونحن من بعض من احيت مكارمكم
كلتا الحياتين من روح ومن بدن

أو كقوله

قد أوجدتهم أياد منك سالفة
والكل لولاك لم يوجد ولم يكن

ألم تكن المبالغة شؤما على عليّ بن جبلة في المدح كما هي في الاستعطاف ؟ حين قال في أبي دلف

أنت الذي تنزل الأيام منزلها
وتنقل الدهر من حال الى حال
وما مددت مَدَى طرف الى أحد
الا قضيت بأرزاق وآجال

كلا ، ولكن ليس على يد الممدوح هذه المرة بل على يد الخليفة المأمون العباسي الذي استدعاه وهو عليه حانق وقد اتهمه بالكفر والاشراك أو على نحو ما قال له (كذبت ياماص بظر أمه . ما يقدر على ذلك أحد الا الله عز وجل الملك الواحد القهار) ثم أمر به فسل لسانه من قفاه وان كانت الغيرة الحافز النفسي والباعث على الانتقام من جهة أخرى

وتلك هي سنة الله في كل شطط أو مبالغة حيث ينقلب الاشياء الى اضدادها ، ولا عجب ، فقد تجري الرياح بما لا تشتهي السفن ■■

عبد الوهاب شكري
ورزازات ـ المغرب

بذكر الله تطمئن القلوب

● لاحظت في العدد ٢٨١ من العربي الصادر في ابريل ١٩٨٢ صفحة ١٢٦ وفي زاوية (طبيب الاسرة) ردكم للاخ سام محمد اسعد فيما يختص بالامور المهدئة للاعصاب ان كل ما ذكرتموه كان جميلا لكن اسمحوا لي ان اضيف الى ما ذكرتموه كوسائل مهدئة للاعصاب بعض الامور الهامة المتعلقة بنفس الموضوع وهي ان من خير ما يهدىء الاعصاب

١) طاعة الله وتقواه (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) ، (ومن يتق الله يجعل له من امره يسرا)

٢) ذكر الله (الا بذكر الله تطمئن القلوب) وخاصة قراءة القرآن (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين)

٣) تنظيم الامور المالية وكما يقال التدبير نصف المعيشة/ وكثير من التقارير اثبتت ان الامور المالية لها اثر كبير في تسبيب القلق وكل انسان يجب عليه ان (يمد رجله على قدر فراشه) كما يقول المثل الشعبي وبذلك ارجو من مجلتنا المحبوبة (العربي) مجلة كل عربي نشر هذا استكمالا للفائدة

عبد الكريم عبد الله حامد
اليمن الشمالي

جائزة كتّاب ثقافة الطفل

● أعلنت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عن جائزة ثقافة الطفل العربي لدورة ٨٠/ ١٩٨١ بتاريخ ٢٩ مارس/ آذار ١٩٨٠ ، وقد استجاب للمشاركة في المسابقة للجائزة واحد وثلاثون كاتبا من جميع أنحاء الوطن العربي ، تقدموا بسبعة وخمسين (٥٧) كتابا في ثقافة الطفل .

وقد عُقدت لجنة التحكيم للجائزة ـ والمشكلة بقرار صادر عن المدير العام للمنظمة ـ اجتماعاتها في اليومين الثاني والثالث من شهر نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٨٢ وانتهت الى النتيجة الآتية :

١) تسند الجائزة الأولى ، ومقدارها ألفان وخمسمائة (٢,٥٠٠) دولار للسيد محمد شمسي (من الجمهورية العراقية) عن قصته « لصوص البحر » .

٢) تسند الجائزة الثانية ، ومقدارها ألف وخمسمائة (١,٥٠٠) دولار للسيد صنع الله ابراهيم (من جمهورية مصر العربية) عن مؤلفه « يوم عادت المملكة القديمة » .

٣) تسند الجائزة الثالثة ، ومقدارها ألف (١,٠٠٠) دولار مناصفة بين السيدة روضة الفرخ الهدهد (من المملكة الأردنية الهاشمية) عن قصتها « ثلاثة الشتاء » والسيد محمد الحبيب بن سالم (من الجمهورية التونسية) عن قصته « الوسام » .

الدكتور صالح خرفي
مدير ادارة الثقافة/ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

الادب التركي

● في مستهل سطوري احييكم واشكركم على هذا المجهود الوافر الذى تبذلونه في سبيل اخراج مجلة العربي الغراء فاني انتظرها بفارغ الصبر واقرؤها من البداية للنهاية بامعان ، وخلال قراءتي لها احس بنشوة ثقافية وأرجو ان تنشروا المزيد من قصص عميد الادب التركي (نجيب فاضل) الذى نشرتم له قصة « حسنة باجي » في العدد « ٢٨١ »

محمد عبد الفتاح محمد عفيفي
الاسكندرية/ مصر

من التراث القديم

● اقترح عليكم كصديق للمجلة أن تضيفوا الى كل عدد بابا خاصا تحت عنوان « من التراث القديم » ، فتنقلوا لنا في كل عدد صفحة او صفحتين لا اكثر من الكتب الادبية القديمة مثل « الأغاني والمقامات والحلاء وقصص العرب و الخ » وبهذا تحملون القارىء نطل من نافذة معقولة على تراثنا واجدادنا القدماء ، لأن هذه الكتب ـ كما تعلمون ـ ليست في متناول كل قارىء

احمد باصيف
حلب / سوريا

ايامنا في الاندلس

● لقد قرأت بالعربي عدد ٢٨١ عن صريع الدهر المعتمد ابن عباد بقلم الدكتور رجاء عبد ، وقد اعجبت بالنص لما تضمنه من حقائق تاريخية وأدبية ، الا انني اريد ان الفت نظر الدكتور انه لا داعي لذرف الدموع على قوم كانوا سبب البلاء ، وساهموا في ضياع الاندلس واقاموا حروبا اهلية كان المسلمون في غنى عنها ، وعلى العكس من ذلك ، علينا ان نفخر ونشيد بأولئك الذين قضوا على ملوك الطوائف ولم يبخلوا بجهد لاعادة وحدة وعزة البلاد وعددها

ولولا عودة التفرقة واشتداد النزاع على السلطة بالاندلس بعد زوال ملك المرابطين وغيرهم من الملوك الاقوياء الذين تعاقبوا على حكم المغرب ، لما فقدنا الاندلس حتى يومنا هذا ومعذرة ، ،

رغيب عبد اللطيف
ضابط بحري ـ البيضاء

خريطة كوكب الزهرة

جاء في المقال المنشور في مجلتكم الغراء (العربي) لشهر شباط ١٩٨٢ حول (اول خريطة للزهرة) ـ بان الزهرة تقترب من الارض حتى تصل الى مسافة (٨٣) مليون كيلومتر وذلك في الصفحة (٤٨) منها بينما جاء في الصفحة المقابلة لها (احصائيات الزهرة) ـ البعد عن الارض = ٣٨ مليون كيلومتر على الاقل فأيهما اصح؟ يرجى التفضل بتنويرنا ولكم الشكر

العربي نأسف لهذا الخطأ المطبعي والصحيح هو ٣٨ مليون كيلومتر

سليم مختار ـ العراق

مجلة العربي في الجزائر

● الكمية التي تصل الجزائر من اعداد مجلة العربي لا تكفي القراء الذين يتهافتون للحصول على نسخها فبالله عليكم زيدوا هذه الكمية ليتمكن القارىء الجزائري من التزود بهذا الزاد الفكري الثر بعد ان حال المستعمر الفرنسي بيننا وبين ثقافتنا العربية الاصيلة

لعوبي حلول
ولاية تيارت ـ الجزائر

بيوت للطلبة العرب

●جالت في خاطري فكرة أحببت ان اطرحها للمناقشة على صفحات مجلة « العربي » علها تعطي البناء العربي بعض القوة التي يحتاجها خصوصا في هذه الايام وهذه الفكرة تتلخص في دعوة الحكومات والاثرياء العرب للقيام ببناء بيت للطلبة في كل مدينة امريكية او اوروبية تحوي تجمعا لمثل هؤلاء الطلاب

ان بيتا كهذا في كل مدينة يكثر فيها الطلاب العرب سيسهم في ازالة الرواسب التي خلفها الاستعمار في بلادنا فعندما يلتقي الطالب السعودي بالكويتي والمصري والفلسطيني والمغربي والسوري والتونسي الخ في بيت واحد فيه يأمنون ويأكلون ويتناقشون في شئون امتهم العربية

عبد احمد عزيز
حلب / سوريا

حملة الالقاب

● أنا من قراء مجلتكم منذ زمن بعيد ، لأني اراها مدرسة سيارة تسعى الى قرائها ولا تكلفهم السعي اليها لاقتطاف ثمارها وقد اطلعت على الكلمة القيمة التي صدر بها المحرر عدد مارس ، ردا على من سموا أنفسهم بالاكاديميين ، وهي كلمة تنطوي على واقع علمي سليم ، وانا وان لم اكن من حملة الالقاب ، الا إني اقول ليس كل من حمل لقبا جامعيا هو اهل له . بل اننا نرى كثيرا من اصحاب الالقاب لا يشرفون القابهم ، ولا القابهم تشرفهم ، بينما نرى من غير اصحاب الالقاب اناسا هم ثروة علمية وادبية

وأغتنم هذه الفرصة لأقول انه قد ظهر على صفحات مجلتكم ، فترة من الزمن ، اسماء اشخاص عالجوا مواضيع من صميم حياتنا وواقعنا . واخص بالذكر منهم الدكتور احسان حقي الذى عالج في مقالاته كما في جميع كتبه التي لا تقل عن عشرين كتابا ، مواضيع لم يسبق اليها ، فكتبه عن الهند وباكستان وكشمير والدولة العثمانية والجزائر قد اغنت المكتبة العربية وسدت فراغها ، ومقالاته عن الامبرياليه والهند وغيرها كانت لها ضجة في جميع الاوساط الادبية والقيمة وبوسعي ان اقول اننا لم نعد نرى هذا الاديب كلمة في مجلتكم منذ مدة

محمد الشعلان
جدة ـ السعودية

لغتنا العربية

● في العدد (٢٨٠) وتحت عنوان (من ينقذ اللغة العربية من مؤامرة اغتيالها ؟) قرأت مقالة الاستاذ فهمي هويدى اقول انه في عام ١٩٧٧ م طرحت مجلة العربي موضوعا عن استقلال جمهورية جيبوتي وادكر حينذاك ان اعدادا كبيرة من الرسائل انهالت على المجلة من شباب الدول العربية يعرضون قبول تطوعهم لتدريس اللغة العربية في جيبوتي ونشرت المجلة بعض هذه الرسائل ـ وكنت انا من بينهم ـ ثم ارسلت رسالة شخصية خاصة للسيد الرئيس حسن جوليد رئيس الجمهورية ـ الذى تكرم مشكورا بالرد علي برسالة شخصية ـ مازلت محتفظا بها ـ

والآن هذه قضية العرب كلهم وان استهنا بها ستتفاقم وتمثل خطرا علينا كلنا ، فاللغة العربية في نظر الاستعمار سلاح قوى ، وإنه يعمل جاهدا على نزعه من يد العرب والدول العربية هي مطمح الاستعمار فهو يعمل على الحد من انتشار لغتنا في بعض الدول كخطوة اولى ثم يقضي عليها نهائيا والا فما معنى ان تكون مدارس اللغة العربية في بعض دول عرب افريقيا تحت اشراف وزارة الداخلية ؟ !!

مطلوب الآن من كل الدول العربية من المحيط الى الخليج وقفة صامدة فعلية ليست بالمجاملة او الكلام لتأمين مستقبل تلاميذ جمهورية مالي الذين سينهون دراستهم الابتدائية والاعدادية واعتقد اننا قادرون على انشاء مدرسة ثانوية لهم ، وأنا متأكد ان اكثر من شاب واكثر من معلم سيبدى استعداده للتطوع للتدريس في هذه المدرسة ـ

واعتبروني اول متطوع

سالم محمد شعوير
تكريت/العراق

يتبرع باحدى كليتيه

● قرأت الاستطلاع الذى نشرتموه في عدد يناير/٨٢ من العربي عن زرع الكلى ، وقد سررت سرورا عظيما وأنا ارى دولة الكويت تسير قدما في ركب العلم وها انا اعلن من على صفحات العربي استعدادى للتبرع بكليتي لأى مريض يحتاجها ، ولدى تحليل كامل عن فصيلة دمي وغير ذلك مما هو ضرورى في مثل هذه الحالة

ثروت مرقص
الاسكندرية/مصر

من الأدب التركى المعاصر :

معتوه على السطح

تأليف : عزيز نسين

ترجمة : نايف عبد الله السنتلى

كان جميع المحيطين بالمبنى في حالة دهشة واثارة « يوجد معتوه على السطح ».

كان الشارع من كلا طرفيه مليئا بالناس الفضوليين لرؤية المعتوه توافدوا من كل اتجاه ، بما في ذلك سيارات الشرطة والاطفاء

كانت أم المعتوه تتوسل الى ولدها « انزل ياولدي أرجوك أن تنزل ».

كان المعتوه يقول اذا لم ينصب عمدة للبلدة فسوف يلقي بنفسه من فوق البناية بشكل انتحاري

فتح رجال الاطفاء شبكاتهم لتفادي حدوث الانتحار تسعة من رجال الاطفاء غرقوا في عرقهم المتصبب منهم من جراء التعب حينما كانوا يركضون حول المبنى حاملين شبكة الانقاذ

كان « العريف » من قسم الشرطة يخاطب المعتوه بنبرات نصف متوسلة ونصف حائرة محاولا إغراءه بالنزول لأسفل المبنى

- « اجعلوني عمدة للبلدة وسوف أنزل ما عدا ذلك سوف أرمي نفسي »

جميع التوسلات والتهديدات ذهبت أدراج الرياح

- « هيا يا صديقي لماذا لا تنزل ؟ »

- « مسرحي بدلا من محاولاتكم لاغرائي بالنزول لماذا لا تصعدون الي أنتم ؟ »

شخص ما من الجمع المحتشد اقترح « دعونا نوهمه باننا عيناه عمدة علينا »

شخص آخر عارضه « كيف يكون هذا ممكنا ؟ انعين معتوها عمدة علينا ؟ »

- « يا الهي ! نحن في الحقيقة لا ننوي تعيينه عمدة علينا »

قال عجوز متكيء على عصاه « ذلك مستحيل سواء أكان ذلك هزلا أم خلافه ؟ ذلك مستحيل »

- « لكن من الممكن أن يلقي نفسه من عل »

- « لا لن يفعلها اني أعرف هذا الصنف من الناس حينما يصعدون الى الأعلى لا ينزلون أبدا الى الأسفل »

- « اذا نزل فقط فالبقية تكون سهلة »

- « لن ينزل »

شخص ما من الأسفل صرخ قائلا للمعتوه « هيا لقد عيناك عمدة علينا انزل للأسفل » بدأ المعتوه بالرقص والصراخ « لن أنزل الا اذا جعلتموني عضوا في مجلس المدينة »

قال العجوز « ألا ترون ألم أخبركم بذلك »

- دعونا نفعل ما يأمرنا به »

- « لن ينزل مهما فعلت أي شيء من أجله حينما يكون

الشخص معتوها بما فيه الكفاية ليتسلق على السطح فلن ينزل الى الأبد »

صرخ « العريف » حسنا لقد عيناك عضوا في مجلس المدينة لا تجعلنا ننتظرك على اعصابنا هيا انزل »

استمر المعتوه بالرقص وقال « لن أنزل احملوني رئيسا للبلدية حتى أنزل » ؟

قال العجوز « ألا ترون لقد تأخرنا كثيرا الآن لن ينزل والى الأبد »

قال رئيس الشرطة الأول وهو طافح بعزارة في عرقه « ماذا لو قلنا اننا عيناه مديرا للبلدية » ثم جمع يديه حول فمه وصاح بأعلى صوته « حسنا يابني انزل لقد عيناك مديرا للبلدية انزل وتسلم مهام منصبك »

تراقص المعتوه في القمة بحركات جنونية وصرخ في مدير الشرطة محييا له

« لن أنزل ماذا أفعل بين أناس يتنحبون معتوها كرئيس للبلدية لا لن أنزل »

- « حسنا اذن ماذا تريد ؟ »

- « سوف أنزل اذا عينتموني عضوا في مجلس الوزارة فقط »

بعد مناقشة قصيرة صرخ أحد الموجودين في الأسفل « حسنا لقد عيناك عضوا في مجلس الوزراء هيا انزل الآن ألاترى أنك حملتنا نعيش على أعصابنا ؟ »

وضع المعتوه ابهامه على أنفه وبسط سائر أصابعه ، بشكل احتقاري للحشد المتجمع في الأسفل وقال « لن انزل بين اناس يعينون معتوها كعضو في مجلس الوزراء »

- « هيا يا أخي لا تكن معقدا الى هذه الدرجة ألا ترى لقد عيناك عضوا في مجلس الوزراء وجميع اعضاء مجلس الوزراء الآخرين ينتظرونك على أحر من الجمر هيا انزل »

« أتسخر مني ؟ عندما أنزل سوف تضعوني في مستشفى المعتوهين لن أنزل »

- قال العجوز « اذا استمررت بالالحاح عليه هكذا فسوف يبح صوتك ولا فائدة ترجى منه انني اعرف هذا الصنف من المعتوهين بشكل جيد كذلك انت لو عينت عضوا في مجلس الوزراء فلن تنزل أيضا »

عند هذه اللحظة صرخ المعتوه باهتياج « اذا لم تعينوني رئيسا للوزراء فسوف اقذف بنفسي الى أسفل »

- « حسنا اجابه أحد المحتشدين لقد عيناك رئيسا للوزراء »

قال العجوز « لن ينزل »

بدأ المعتوه بالرقص مرة أخرى وبعد لحظة صرخ قائلا

« احملوني ملكا عليكم والا سوف أرمي نفسي من الأعلى »

ما تنبأ به العجوز أصبح حقيقة. اجتمع بعض المحتشدين ليتشاوروا معه

ـ « ماذا ترى ؟ هل نحمله ملكا علينا ؟ »

قال العجوز « لقد تأخرنا كثيرا. الآن يجب أن تنفذوا ما آمركم به

لقد عينتموه رئيسا للوزراء من قبل »

ـ « حسنا. اجابه أحد المتجمهرين صارخا. لقد حملناك ملكا علينا. انزل الآن . صرخ المعتوه مجيبا وهو يرقص « لن انزل »

ـ « حسنا. أتريد شيئا اخر ؟ لقد حملناك ملكا علينا أيضا »

ـ « لن انزل. احملوني الامبراطور. غدا ذلك سوف أقفز الى الأسفل » سألوا العجوز « هل حقا سوف يقفز ؟ »

اخبرهم العجوز بانه سوف يفعل ذلك

ـ « حسنا. قال أحد المحتشدين. لقد حملناك الامبراطور. الآن انزل » أجابه المعتوه بسرعة « ماذا يجب على امبراطور مثلي أن يفعل بين أناس حمقى وأغبياء مثلكم ؟ »

ـ « حسنا. ما الذي تريده على وجه الدقة ؟ أخبرنا سوف نؤديه لك. لم لا تنزل الى الأسفل ؟ »

قال المعتوه متسائلا « الست انا الامبراطور ؟ »

اجابه أحد المتجمهرين القابعين في أسفل المبنى صارخا « بلى ـ انت الامبراطور »

ـ « اذا كنت أنا الامبراطور فسوف انزل عندما يحلو لي ذلك. الآن لن أنزل » عند هذه اللحظة حتى جنون « العريف » وقال « دعه يقفز » سوف ينقص من هذه الدنيا شخص معتوه. كان « العريف » يقول ذلك سرا بينه وبين نفسه بأنه لن يضيره موت معتوه. وهذا صحيح . لكن سوف يسبب له بعض المشاكل فيما بعد

اتجه رئيس قسم الأطفاء الى العجوز متسائلا « ماذا ينبغي علينا أن نعمله الآن ؟ ألن ينزل هذا المعتوه ؟ »

ـ « سوف ينزل »

ـ « كيف ؟ » .

ـ « دعني أستدرجه . » .

كان كل واحد من الجمهور الموجود مليئا بالفضول لكيفية استدراج المعتوه من قبل العجوز وجعله ينزل للأسفل

توجه العجوز مخاطبا المعتوه الذي كان في الدور السابع من المبنى

« يا صاحب الجلالة الامبراطور. ألا تود ان تصعد إلى الطابق السادس ؟ »

اجابه المعتوه بجدية تامة « حسنا » بعد ذلك توجه الى فتحة السقف. نزل الدرج الى الطابق السادس. ثم أطل على الحشد المتجمهر في الأسفل وذلك من خلال نافذة في الطابق

سأله العجوز مرة أخرى « أتود يا صاحب الجلالة أن تصعد الى الطابق الخامس ؟ »

اجابه المعتوه بأنه سوف يفعل ذلك

كان كل واحد من الجمهور مشدوها لما رآه

توجه العجوز سائلا المعتوه الذي كان في هذه المرة يطل على الحشد من إحدى نوافذ الطابق الرابع « اتود يا امبراطوري الموقر أن تصعد للطابق الثالث ؟ »

أجابه المعتوه « بالتأكيد »

هو الآن يطل على الحشد من إحدى نوافذ الطابق الثالث. لقد كان هادئا ووديعا . فيما اقلع عن الرقصات الجنونية التي كان يؤديها حينما كان على السطح. ولقد استمر بتنفيذ التعليمات بجدية وكأنه ملك حقيقي

ـ « أتود يا صاحب السعادة أن تصعد للطابق الثاني ؟ »

ـ « سوف أفعل ذلك »

الآن هو في الطابق الثاني

ـ « أترغب يا صاحب السعادة بالصعود للطابق الأول ؟ »

نزل المعتوه الآن الى الشارع. اندس بين الجمهور المحتشد. توجه مباشرة الى العجوز ووضع يده على كتف العجوز وقال

ـ « يا إلهي ! انه من الواضح جدا انك معتوه أيضا وذلك لأن المعتوه يفهم جيدا المعتوه فقط » ثم اتجه الى « عريف » الشرطة قائلا

« حسنا. الآن يكون في استطاعتك أن تأخذني الى مصحة المتوهين. لكن هل تعلمت شيئا ما عن كيفية معاملة المتوهين ؟ »

حينما ركب المعتوه سيارة الشرطة تجمهر الناس حول العجوز متسائلين

ـ « مرحى أيها القديس. كيف فعلت ذلك ؟ »

أهز العجوز رأسه واجابهم

« ليس من السهولة بمكان أن يكون الشخص مشتغلا بالامور السياسية أكثر من أربعين سنة » ثم أضاف بصوت يشوبه بعض الحنين

« وددت لو كانت ساقاي بهما بعض القوة فقط لكنت أيضا تسلقت على أعلى سطح في المدينة لأجعل شخصا ما يستدرجني للنزول الى أسفل » !

نايف عبد الله السنتو
المملكة العربية السعودية

مقالات فى كلمات

■ ثوب الرجل الشريف الملىء بالرقع يشع بكل ديونه التي سددها

(موربوريه)

■ العذر هو كذبة مترحرفة

(حوبا ثان سويت)

■ غالبا ما يعاقبا اولئك الدين احطأوا

(كلير لارديبوى)

■ الكون مسرح ، لكن توريع ادوار المسرحية سيء !

(اوسكار وايلد)

■ يشعر الرجل بقوته فيعدق رحمته على المرأة وتشعر المرأة بضعفها فتقسو على الرجل

(برباردشو)

■ تحب حب المرأة ولا تحف من كراهية الرجل

(سقراط)

■ من الرجل كل شيء ممكن ، ومن المرأة كل شيء محتمل

(هنري دي ريبيه)

(بول برولا)

■ احب النساء اللواتي لا يتكلمن ، ولا يكلفن غاليا

(بروسبير)

■ القلب والعقل ليس لهما الا صوت استشاري الجسد له الصوت المسيطر

(بول جيرالدي)

■ الرجل المصاب بداء الحب يتحول من صياد الى طريدة

(اوسكار هوريل)

■ الشاب المتزوج يفقد امه

(بول ايلوار)

● من مكتبة العربي :

الرّوض العاطر ونزهة الخاطر

موسوعة عربية فريدة في الثقافة الجنسية

للشيخ الامام أبي عبدالله محمد بن عمر النفزاوي

تقديم : أحمد عمر شاهين

نعود بالتاريخ الى الوراء ، الى نهاية القرن الرابع عشر الميلادي ، ونجول في المكان لنصل الى تونس ، فترة حكم السلطان « ابو فارس عبدالعزيز » من بني حفص ، حيث اتسعت المملكة في عهده ، وامتدت الى المغرب الاقصى والاوسط ، وازدهرت البلاد ايامه وازدانت بالعلماء ، وفي طليعتهم المؤرخ والفيلسوف عبدالرحمن بن خلدون ، الذي أهدى نسخة من مقدمته الى السلطان لتحفظ بجامع القرويين بجانب الكتب والمصادر الموسعة التي أعانته في اكمال وتنقيح مؤلفه ، حيث كانت مكتبات تونس في تلك الفترة غنية بالكتب والمراجع ، مزدحمة بمحبي الدرس وطالبي المعرفة

في هذا الجو كتب العالم الشيخ الامام ابو عبدالله محمد بن عمر النفزاوي كتابه « الروض العاطر ونزهة الخاطر » وهو كتاب لو أردنا تصنيفه الآن بمنطق العلوم الحديثة لقلنا انه كتاب في علم الجنس او في علم النفس الجنسي

ورغم ان الكتاب وضع باللغة العربية الا أنه من الكتب النادرة ، فهو لم يطبع بالعربية على الاطلاق ، والنسخ الموجودة منه هي مخطوطات عند بعض اصحاب المكتبات الخاصة او في بعض المكتبات العامة ورىما يرجع سبب عدم تحقيقه ونشره باللغة العربية الى الحالات التاريخية والنوادر الجنسية التي طعم بها المؤلف كتابه بحيث يبدو للوهلة الاولى انه من الادب الجنسي المكشوف

وأول ما لفت نظري الى الكتاب هامش في كتاب عالم النفس الامريكي « اريك بيرن » Eric Berne ، الجنس في الحب الانساني « Sex in Human Loving » ومن قبيل حب الاستطلاع بدأت أبحث عن الكتاب في مكتبات الازهر القديمة واسأل من لهم اهتمامات بجمع كتب التراث والمخطوطات حتى نصحني أحدهم بالا ا...

Shaykh Nefzawi

THE GLORY OF THE PERFUMED GARDEN

THE PERFUMED GARDEN

وهي ، مس المستحيل الآن العثور على نسخة او بالاحرى مخطوطة من الكتاب بالعربية

ولذلك فحديثي عن الكتاب هنا يعتمد على النسخة الانجليزية وقد صدرت في جزأين **the perfumed garden** ، الروض العاطر وروعة الروض العاطر **The Glorry of The Perfumed Garden**

ورغم أن العرب كتبوا في موضوع الجنس العديد من الكتب ، يذكر منها ريتشارد بيرتون **richard burton** الذي كان على معرفة وثيقة وعميقة بالادب العربي والفارسي والهندي ، وتعتبر ترجمته الانجليزية لألف ليلة وليلة من أكثر الترجمات دقة ، وقد صدرت في ستة عشر مجلدا تحوي من الدراسات الاجتماعية والتحليلية حول الليالي ما يعادل ضعفي حجمها الأصلي) في مقدمته للروض العاطر حوالي عشرة كتب لا يوجد بينها من هو في مثل شمول كتاب الشيخ النفزاوي ويقول بيرتون « ولا يجب ان نفترض ان كتبا كهذه نقصد منها اثارة الشهوة الجنسية فالنفزاوي مثلا كان بعيدا كل البعد عن مثل هذا الهدف ، وهناك حقيقة واضحة جدا ، وان كانت غير واضحة تماما في الغرب ، وهي ان الناس في الشرق اقل كبحا لانفسهم حسيا من الغرب ، لكنهم في نفس الوقت أكثر تدينا واحساسا بالقيم المقدسة والخلقية وهم ينظرون الى الحب والنشاط الجنسي ليس فقط كعامل طبيعي وصحي وضروري للحياة ولكن كفن يهدف الى ارساء قواعد اساسية للزواج الناجح والحياة الزوجية السعيدة وان الكاتب الذي استطاع ان يلمس شيئا من روح الشرق هذه ، هو بلزاك **Balzac** ، خاصة في كتابه « فسيولوجيا الزواج »

والكتاب كما يروي النفزاوي في مقدمته ، كتبه في بادىء الامر بشكل مختصر سماه (مصباح الكون **the Torch of Univers**) ثم وسعه واضاف اليه بناء على اقتراح وزير الدولة آنذاك

لماذا صدر الكتاب ؟

ولتأليف الكتاب قصة طريفة يرويها ريتشارد بيرتون فيقول ان حاكم تونس عرض على الشيخ النفزاوي منصب القضاء لما عرف من علمه بالدين والقانون والادب والطب ، ولم يرغب الشيخ في هذا المنصب ، ولكي لا يرفض للحاكم امرا فقد طلب تأجيل توليه مهام القضاء حتى يتمكن من الانتهاء من كتاب يعمل به ، فاجيب الى طلبه ، واستطاع انهاء كتابه واهدى منه نسخة الى وزير الدولة آنذاك محمد بن عوانه الزواوي ولفت الكتاب الانتباه ، ولطبيعة موضوعه اصبح من المستحيل ان يسند الى مؤلفه منصب كمنصب القاضي

وان كان يصعب تصديق هذه الحكاية ، فكتاب كهذا لا يمكن ان يضعه مؤلفه تهربا من تولي منصب ، دون أن تكون لديه نية حقيقية او استعداد شامل لتأليف هذه « الموسوعة للسلوك الجنسي » كما وصفها الان والتون **Alan Walton**، فمادة الكتاب ، وان لم يذكر النفزاوي مراجعه ، إلا انها اعتمدت على العديد من الكتابات الكلاسيكية العربية لشعراء وكتاب نثر ومختارات ادبية واطباء وفلاسفة وعلماء لغة بالاضافة الى الكتابات الدينية

بعد انتهاء النفزاوي من كتابه ، زاره وزير الدولة في بيته ، وحينما تطرق الحديث الى موضوع الكتاب ، يقول النفزاوي ، « احمر وجهي خجلا » فقال الوزير لا تخجل فكل ما قلته في هذا الكتاب حقيقي ، ولا يجب ان يصدم احدا ، وانك لست اول من عالج هذه المسائل ، ومن الضروري ان يعرف كل واحد ما جاء في هذا الكتاب ، وانه من الجهل وقلة الدراية ان يتجاهله المرء ويسخر منه ، لكني كنت اود ان تتناول مسائل اخرى تتعلق بالموضوع حتى يأتي كتابك كاملا

واقترح عليه الوزير اضافة ملحق للكتاب ، يصف فيه علاجا لبعض الحالات التي ذكرها ، وسردا للدوافع العمل الجنسي وكل الحقائق المتعلقة به ، له او عليه دون حذف شيء ، ويكون الحديث بتفصيل أكثر عن العمل والعوامل

المسببة للعقم وعلاجها ، وطرق اسطال مفعول السحر والرقى التي تستخدم للحد من القدرات الحسية (وقد كانت منتشرة آنذاك) بل وطريقة زيادة هذه القدرات ، ثم وصف ادوية لازالة الروائح الكريهة تحت الابط ومناطق الاعضاء التناسلية وما شابه ذلك

وقد عمل الشيخ بالنصيحة وضاعف حجم كتابه ، وهذا لا يعني ان النساخ اضافوا الى الكتاب بعض ما عندهم من معلومات عن الموضوع ـ كما هي العادة ـ خاصة وان مادة الكتاب تلمس وترا حساسا عند معظم الناس

ويرجع بيرتون الاختلاف في بعض النسخ المخطوطة الى ان الكتاب كما كتبه مؤلفه في المرة الأولى خصص للاطلاع العام وان الكتاب الموسع لم تحظ به الا القلة

موسوعة في الثقافة الجنسية

والكتاب مقسم الى ٢١ فصلا ، يتناول كل فصل موضوعا مستقلا وتشمل مختلف الموضوعات التي تتعلق بحياة الانسان الحسية ، من عملية الجماع بأنواعها المتعددة وطرقها الصحيحة ، وما هو ضار بها والمؤثرات الخاصة لبعض الاطعمة عليها ، وعن الاعضاء التناسلية والعجز الحسي عند الرجال اسبابه وعلاجه ، والعقم عند النساء اسبابه وعلاجه ، والحمل وامكانية معرفة نوع الجنين هل هو ذكر أم انثى ، والحقوق الحسية لكل من الزوج والزوجة وحدود حرية الرجل في الاستمتاع الحسي ، وعن مستحضرات التجميل والعطور وما يزيل الروائح الكريهة من الجسم ، ويتحدث ايضا عن الجنس الشاذ اسبابه وانواعه من السحاق الى اللواط الى القوادين والنساء الشهوانيات ، وعن أنواع النساء وصفات كل منهن وعن الجمال والجاذبية وعن الغيرة ما لها وما عليها ، وعن الطرق المختلفة لخيانة المرأة ، وحيل الرجال للايقاع بالنساء ، بالاضافة الى ذلك ، يسرد المؤلف حالات تاريخية ونوادر توضح ما يريد قوله مما يضفي على الكتاب نوعا من المرح كعادة الكتب العربية آنذاك

وقعت مخطوطة من هذا الكتاب بمحض الصدفة بين يدي ضابط فرنسي في الجزائر سنة ١٨٥٠ ، فقام مع مجموعة من زملائه من المهتمين بالادب العربي وتراثه بترجمتها الى الفرنسية ، واحتفظ كل منهم بنسخة خاصة من هذه الترجمة ولم يطبع الكتاب الا في سنة ١٨٧٦ ربما لصعوبة ايجاد ناشر في الجزائر او لاعتبارات خاصة بمن قاموا بالترجمة ، حتى قام واحد من المجموعة بالاستعانة سرا بماكينات الطباعة الخاصة بالحكومة الفرنسية لاصدار اول طبعة محدودة من الكتاب في حوالي ٣٥ نسخة ، وقد زورت هذه الطبعة في باريس سنة ١٨٨٥ بصورة يصعب تمييزها عن الاصل وقبل سنة من هذا التاريخ وقعت نسخة من الكتاب بين يدي الكاتب الفرنسي « جي دي موباسان » الذي اعجب بها وارسل رسالة الى ناشر باريسي يطلب منه اعادة طبع الكتاب . فقام ايزودور ليسيو Isidore Liseeux ـ وهو ناشر مهتم بالكتب النادرة ـ بطبع الكتاب طباعة فاخرة في طبعة محدودة ٢٢٠ نسخة سنة ١٨٨٦

وقام ريتشارد بيرتون في العام ذاته بترجمة النص الفرنسي الى الانجليزية دون ان يضع اسمه عليها ، لا لسبب الا لانه اراد الحصول على نسخة عربية كاملة وترجمتها الى الانجليزية مباشرة عن الاصل العربي . وقامت جمعية كاما شاسترا Kama Shastra بنشرها في لندن سنة ١٨٨٦ ولكن هذا لم يمنع بيرتون من مراجعة النص الفرنسي على النسخ العربية الثلاث من المخطوط والتي وفرتها له الجمعية نفسها في انتظار الحصول على نسخة أكمل ، وفي هذا يقول « عنيت تماما بمراجعة النسخة الفرنسية وكل نقطة شك كانت تأخذ وقتا في البحث والتوضيح وقمت بالترجمة مع بعض التعديلات الطفيفة التي لا تؤثر على صلب الكتاب نفسه ، مع تعديل في بعض الهوامش وملاحظات المترجم الفرنسي واضافة ملاحظات جديدة »

كذلك يقول بيرتون انه قام بحذف بعض الفقرات التي بدت له انها تصطدم مع العلوم الحديثة وان احتفظ ببعض المواد التي تبدو مضحكة في نظر القارىء الاوروبي ووجهة نظره في ذلك انها تعطي فكرة عن عقلية الانسان العربي ليس فقط في العصر الذي كتب فيه الكتاب ، ولكن في العصر الحاضر ايضا ، فلا يزال ـ على حد رأيه ـ كثير من العرب يؤمنون بالوصفات الطبية القديمة والعرافة والتنبؤ ، ويحترمون الاشياء التي يلعب فيها السحر والاحجبة دورا كبيرا ، ولا ننسى أن رأي بيرتون هذا كان في اواخر القرن الماضي . كذلك احتفظ المترجم بالملح والنوادر التي تظهر ان العربي يحب الطرفة ، مغرم بالتورية التي تلعب دورا كبيرا في حديثه عن الجنس . وان اتهم بيرتون الشيخ النفزاوي انه يضحي احيانا بالواقع في سبيل الخيال ويقول ان هذه الصفة من العلامات المميزة للادب العربي في تلك العصور

وقد بدأ بيرتون سنة ١٨٨٨ ترجمة جديدة للكتاب عن

اصل عربي كامل ، انتهى منها سنة ١٨٩٠ قبل وفاته مباشرة ، رودها بهوامش وتعليقات كثيرة مع مقدمة جديدة وافية كما يقول صديقه د جريتيفيل بيكر Dr. Grenfell Baker الذي دارت بينه وبين بيرتون مناقشات يومية حول كثير من التفصيلات والتعليقات اثناء ترجمته للكتاب

بعد وفاة بيرتون مباشرة قامت زوجته باحراق الاصل العربي والترجمة الانجليزية حالبة على نفسها سخط الكثيرين من الدارسين والمهتمين بهذا الموضوع

رحلة الكتاب

قرب نهاية القرن التاسع عشر اقام شخص انجليزي يدعى شارلز كاريجتون Charles Carrington في باريس عاقدا العزم على طبع الاعمال النادرة التي يمكن أن تمنع في انجلترا الفيكتورية ، وطبيعي انه سمع بما فعلته زوجة بيرتون ، فبدأ العمل ليعوض هذه الخسارة ، وجد في البحث عن مخطوطة عربية للنص حتى عثر على واحدة اصلية تتكون من أربعة أجزاء بواسطة أحد علماء الأزهر يدعى عبدالفتاح وممسوحة بيد خطاط سوري ، وقام بقراءة المخطوطة ومراجعتها المستشرق الروسي سيليسون Seligsohn الذي أبدى رأيه بان هذه أكثر النسخ العربية التي عرفت من هذا الكتاب اكتمالا

وأعلن كاريجتون ان ترجمة كاملة للكتاب ستصدر في ثلاثة مجلدات ، ولم يظهر سوى الجزء الاول من هذه الاجزاء الثلاثة رغم ان العمل ترجم ككل ، والسبب ظل يكتنفه الغموض ، وقد نشر كاريجتون قبل موته اعلانا يبدي رغبته في بيع النسخة العربية من الكتاب وبعد الحرب العالمية الأولى ظهر احد مساعدي كاريجتون في مكسيك يعلن عن امتلاكه للنسخة العربية وترجمتها الانجليزية وانه يعرضهما للبيع بمبلغ ٥٠٠ جنيه استرليني

واعيد طبع الكتاب باللغة الفرنسية سنة ١٩٠٤ دون ذكر اسم الناشر ثم تكررت طباعته سنة ١٩١١ ، ١٩٢٢ طبعات غير محدودة ، ثم طبع مرة ثانية في انجلترا ، وتوالت بعد ذلك طبعات الكتاب حتى صدرت اخيرا طبعات شعبية منه في سلسلة Panther وقد قام اخيرا سنة ١٩٧٨ الكاتب السوري رينيه خوام المقيم في باريس بترجمة جديدة للكتاب عن الاصل العربي اكثر اكتمالا واتقانا

ويقارن الان ويلتون بين كتاب النفراوي والكتب المشابهة له في الغرب والتي كتبت في عصور سابقة فمثلا كتاب اوفيد Ovid « فن الهوى » art of love ، ترجمه الى العربية كاملا د ثروت عكاشة كمثل من روما القديمة ، نجد ان العمل الجنسي يطري فيه من أجل اللذة الجنسية فقط دون اي اعتبار ديني او اخلاقي ولا حتى اي تصميم يبين ان الجنس نوع من السر المقدس كما يعتبره من كتب حول هذا الموضوع من كتاب العربية وفي الحقيقة فان كتاب اوفيد ليس كتابا في فن الهوى بقدر ما هو كتاب في طرق الاغراء والحصول على اللذة فهو ينادي بالحب المحرم

وهذا الموقف انعكس في معظم الاعمال الجنسية التي صدرت في عصر النهضة ككتاب كورير Chorier، حواريات لويزا سيجيا Dialogues of luisa sigea ، او كتاب فريد ريك فوربيرج Friedrich forperg، خنائي بيكاديلي Hermaphroditus of beccade او كتب الماركيز دي ساد the marquis de sade الذي داس الدين في محاولاته لمد حدود التحرر الجنسي

كما ان الكتاب الاكثر معقولية من هؤلاء ، لا احد منهم يقارن بالشيخ ، فالكاتب الايطالي ارلين Arelin كتب في القرن السادس عشر كتابه في موضوع مشابه للروص العاطر وهو كتاب « الحب الروحي » نسبة الى الارواح Conjugal Love، وكذلك كتاب رابليه Rupelais Garguntua et pantaryruel حيث يشبه كتابه كتاب النفراوي من نواح كثيرة

وما يجعل كتاب النفراوي فريدا بين هذه الكتب جميعا هو الجدية التي قدم بها موضوعاته الجنسية رغم فحاشتها ، ومن الواضح ان المؤلف مقتنع باهمية موضوعه وان الرغبة في ان يكون نافعا لبني جنسه هي الدافع الوحيد لجهده ، لذلك نجده قد احاط نفسه باضواء من سبقه من العلماء العرب والهنود حول هذا الموضوع ، فاستفاد من خبرتهم وهي ميزة تحسب له وحتى يعطي لارائه وزنا فانه لم يتردد في استخدام معلوماته الدينية بل وفي حالات كثيرة استشهد بآيات قرآنية

ليس أدبا فاحشا

والروص العاطر مطعم بالحكايات الشعبية المكاهية المتعلقة بالجنس مما يضفي على الكتاب متعة ، وهي تشبه في

كتب علم النفس الجنسي الحديث الحالات التي تسود لتوضيح حالة ما كما انه يقدم معرفة نادرة لدراسة المجتمعات البشرية وعلم الاحناس وعلم النفس

وهو يقدم واقعا جنسيا وليس أدبا فاحشا ومعرفة هذا الواقع الجنسي تعتبر اساسا صحيا للحياة السليمة وتأثير هذه المعرفة على الشخص العادي لا تنكر فائدته ، وان لاحت بوادر للاثارة الحسية هنا او هناك فهي ليست مقصودة لذاتها ، وتختلف درجة تأثيرها من قارىء الى آخر تبعا للمزاج والبيئة

واذا كانت المادة أحيانا فظة وجارحة او منافية للذوق السليم ، الا انها في اماكن اخرى كثيرة تكشف عن فهم حساس للعواطف البشرية ووعي حقيقي لاهمية التوافق الروحي والجسمي بين الازواج المبني على التعاطف المتبادل والمحبة والولاء

ومناقشة النفزاوي لبعض الموضوعات تبدو معقولة في كل الظروف منها مثلا مناقشته للاخطار التي تنتج عن ارتكاب الفواحش ، او الوسائل التي يتبعها لتجنب الاضرار التي قد تنشأ عن كثرة الجماع ، فالاكل ببطء والمضغ الجيد وتجنب شرب كميات من السوائل بعد الوجبات ، ثم حديثه عن مضار المشروبات الروحية على العملية الجنسية وكذلك تناول العقاقير بكميات زائدة بل ان بعض استنتاجات النفزاوي تبدو مثيرة في ضوء المعرفة الحديثة حيث انها تتفق بطريقة مدهشة مع علم النفس الفرويدي خاصة في تفسيره للاحلام

والهدف من هذا بالدرجة الاولى هو التطبيق الجنسي الصحي لارساء قواعد أساسية للزواج الناجح والحياة الزوجية السعيدة

ولقد توصل هافلوك اليس **Havelock Ellis** بحكمة شرقية الى خلاصة ما اراده النفزاوي من ان وظيفة الجنس في جانبها النفسي ذات اثر بعيد وكبير على حياة المرء أكثر من اي فعل للتناسل

وهؤلاء المطلعون على كتب الشرق العلمية والدينية يستطيعون ان يكتشفوا بسهولة ـ والكلام لالان ويلتون ـ اننا نحن الغربيين ندين لمعظم فكرنا الديني وطقوس الحب الى الشرق ، والشرق على العكس لا يدين بشيء من هذه الناحية الى الغرب

لم تبدأ الكتب العلمية الجادة في الظهور في الغرب حول موضوعات كهذه الا في مطلع القرن العشرين ، كتبها علماء من منطلق توضيح مشاكل الجنس للقارىء العادي ، من هذه الكتب كتاب عالم امراض النساء الشهير فان دي فيلد **Van de Velde** « الزواج المثالي » **Ideal Marriage** والذي صدر سنة ١٩٢٩ ، ويعتبر احد الكتب الاساسية في موضوعها والمتداولة على نطاق واسع ، وقد ترجم الكتاب الى العربية ، ويعتبر البعض ان الشيخ النفزاوي كان سابقا لفان دي فيلد بل ان كتابه اشمل وأوسع في موضوعاته ، وقد استفاد دي فيلد من كتاب النفزاوي كما استفاد من كتب شرقية اخرى كالكاما سوترا **Kama Sutra** والانانجا رانجا **Ananga Ranga** ، ومنها ايضا كتاب اوستاس تشيسر **Eustace Checcer** ، حب بلا خوف **Love Without Fear** ، وقد ترجم ايضا الى اللغة العربية وينشر في هذه العام كتاب النفزاوي

ومما لا شك فيه ان كثيرا من الكتاب ـ ممن كتبوا مؤلفات عامة في الجنس وارشاداته ـ يدينون الى الكتابات الشرقية عامة ولكتاب النفزاوي خاصة ، فهافلوك اليس يرجع إليه ويستشهد بالنفزاوي في كتابه الاساسي « دراسات في علم نفس الجنس » **Studies in the psychology of seX** كذلك كينزي **Kinsey** فعل مثل ذلك في دراسته « السلوك الجنسي عند الانثى » **Sexual behaviour in the human female** ونورمان هيمز **Norman Himes** ، الذي كان كتاب النفزاوي احد مراجعه الاساسية في كتابه الفريد « التاريخ الطبي لمنع الحمل » **medical history of contracepttion**

وأخيرا ، فالحقيقة أن كتاب « الروض العاطر ونزهة الخاطر » للشيخ النفزاوي كتاب جاد ذو هدف جاد ، وان كان قد مزج الفكاهة والمتعة بهذه الجدية ، فهي طريقة كان يتبعها الكثيرون قبله ، ومن نكران الجميل ألا نعترف بالفائدة التي يحققها مثل هذا الكتاب للناس في فهم السلوك الجنسي وفن الحب على اسس صحية وسليمة ■■

احمد عمر شاهين

● رسالة من العراق :

كتب صدرت في بغداد

تقديم : محمد رجب السامرائي

مقالات في تاريخ النقد العربي ، د داود سلوم دار الرشيد للنشر ـ سلسلة دراسات ٢٧٦) ـ ١٩٨١ وزارة الثقافة والاعلام ، ٤٨٣ صفحة

هذا الكتاب مجموعة مقالات متسلسلة تسلط الضوء حول مراحل وتاريخ نقدنا العربي اد نجد دكتور داود قد عقد كتابه الى مقدمة عن النقد ثم تناول النقد عند العرب قبل الاسلام ، أشار فيه الى القدرة التعبيرية باستخدام الأسلوب الكامل والنظر في قدرة الألفاظ على حمل المعنى الأكمل ومطالبة الشاعر بالمنطقية ورفض ما يتصل بالمحال أو غير الواقع الادبي والمبالغة والاغراق ثم تناول المؤلف العيوب الفنية !

وفي القسم الثاني حدثنا فيه عن النقد في صدر الاسلام والعصر الأموي عرض أولا للنقد في بيئة الحجاز في صدر الاسلام والعصر الأموي ، وأشار حول النقد ورسم الصورة والغزل والاغراق والمبالغة وصور من النقد المنهجي والأخلاقي وأشار ثانيا حول النقد في البيئة العراقية النقد النحوي واللغوي ، والبحث في السرقات ونشر النقد حول الصورة والمحال العقلي أو التاريخي أما النقد في بيئة الشام فتناول النقد الرسمي ونقد الصورة

وقسم النقد في العصر العباسي الى قسمين الأول جعله في خمسة فصول الأول عن الرواة وأثرهم في النقد ، والثاني حول محمد بن سلام الجمحي صاحب طبقات فحول الشعراء ، والثالث عن الجاحظ ومنهجه في النقد الأدبي ، والرابع عن صاحب الشعر والشعراء ابن قتيبة والأخير عن ابن المعتز وكتابه البديع والآراء المتفرقة الأخرى

أما النقد في العصر العباسي ـ القسم الثاني ، فتضمن سبعة فصول عن قدامة بن جعفر وكتابه نقد الشعر ، وعن « أبو القاسم الآمدي » وكتابه الموازنة بين الطائيين ، وعن القاضي الجرجاني صاحب الوساطة بين المتنبي وخصومه ، والآخر عن ابن رشيق القيرواني وكتابه العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، وعن ابن سنان الخفاجي وكتابه سر الفصاحة ، وعن الجرجاني ودلائل اعجازه والفصل السابع عن ابن الأثير ومنهجه في النقد والبلاغة

وختم د داود سلوم كتابه بخاتمة عن قضايا واتجاهات النقد العربي القديم ، وملحق مقارنة المتشابه بين الفكر النقدي عند الأوربيين والعرب !

● الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ، د حسام سعيد النعيمي دار الرشيد للنشر سلسلة دراسات (٢٣٤) ـ ١٩٨٠ ـ منشورات وزارة الثقافة والاعلام ـ ٣٩٧ صفحة

قسم المؤلف الكتاب الى ثلاثة أبواب مقسمة الى عدة فصول الباب الأول ابن جني وأصول دراسته وجهود سابقيه الفصل الأول ابن جني ـ حياته ، ثقافته ، آثاره الفصل الثاني أصول دراسته ، والثالث جهود سابقيه في الدراسات الصوتية واللهجية أما الباب الثاني دراساته اللهجية فمقسم الى خمسة فصول الأول اختلاف اللهجات ، والاختلاف في الصوامت ، والاختلاف في الصوائت ، والاختلاف في المعنى والاعراب ، والأخير ، شذوذ اللهجات والمقايسة بينها

أما الباب الثالث دراساته الصوتية في ضوء علم اللغة الحديث ، فتناول د حسام سعيد فيه النظرية الصوتية في نشأة اللغة ، والفصل الثاني الصوت والمعنى ، وفي الثالث أصول الحروف ، وفي الرابع الحرف والحركة ، والفصل الخامس « والأخير » « التعليل الصوتي »

● دليل السماء والنجوم ، د . عبد الرحيم بدر ـ دار الرشيد للنشر ـ السلسلة العلمية (٩) ١٩٨١ ـ منشورات وزارة الثقافة والاعلام ـ ٢٥٤ صفحة .

يقع هذا الكتاب في اثني عشر فصلا الأول حول دوران القبة الفلكية والثاني باب الدخول الى القبة الفلكية أهلا وسهلا والثالث مجموعات النصوص والرابع اياك أن تنظر اليها والخامس القمر والفصل السادس الكواكب والسابع فصلات النظام الشمسي ، والثامن النجوم والتاسع السدم والمجرات وعناقيد النجوم والفصل العاشر ماذا وراء السماء ؟ والحادي عشر قياس الأبعاد والفصل الأخير جعله المؤلف عن المواقف الفلكية اضافة الى الملاحق الأول قاموس ودليل للأسماء الواردة في الكتاب والملحق الثاني عن مواقع الكواكب السياره في السماء للسنوات الخمس المقبلة والثالث عن ألمع نجوم السماء والرابع جدول كسوفات الشمس الكلية حتى سنة ٢٠٠٠ ميلادية ، والخامس جدول الكسوفات الحلقية للشمس حتى سنة ١٩٩٠ ميلادية والملحق الأخير جدول خصائص الكواكب

● أخطاء لغوية ـ عبد الحق فاضل ـ دار الرشيد للنشر ـ سلسلة كتب الجماهير (٣٥) ١٩٧٩ ـ وزارة الثقافة والاعلام ٨٤ صفحة

ابتدأ المؤلف كتابه بملاحظات عامة حول الأخطاء اللغوية التي استفحلت اليوم وقد جعل الكتاب مقسم الى جملة أخطاء كل واحدة منها أفرد لها بابا فتحدث أولا الأخطاء الاذاعية ثم صيغ المجهول ، وصفة الكلمة ، والمقصور والمنقوص الأفعال والأسماء تحدث عن الأخطاء الصحفية ، وعن العاميات العراقية والعاميات المصرية والاستعمالات المغربية وأخيرا عن تخطئة الصواب

● الشام لمحات آثارية وفنية ، د عفيف

...يهي دار الرشيد للنشر ـ سلسلة الكتب ...عنه (٢٢) ١٩٨٠ ـ ورارة الثقافة والاعلام ـ ٢٣٤ صفحة

...يقع الكتاب في أربعة فصول تناول في الفصل ...الأول الشام ، والحضارة ومنها ، الشام ثقافيا والكشف ...عن آثار الشام ، وبيت آدم في الشام والفصل الثاني ...المدينة والعمران ، تحدث فيه عن أشهر مدن الشام ، ...دمشق القديمة ـ وحلب الشهباء وعن العوامل في تكوين ...دمشق الشام وأما الفصل الثالث البيت الشامي ، ...تناول العمارة الشامية ـ وبداية العمارة الاسلامية ، ...والمساجد والمساكن والفصل الأخير عن الفنون ...الشامية ففيه حديث عن بداية الفن الاسلامي في بلاد ...الشام ، وأشهر الرسوم الحضارية الاسلامية في بلاد ...الشام وحديث آخر عن السيف والسجاد الدمشقي

● التزويق والحلي عند المرأة في العصر العباسي ، ...كنه عمر العلي سلسلة الكتب الحديثة (٩٩) ...١٩٧٠ ـ مشورات وزارة الاعلام ـ ٢٣٧ صفحة

...تناول الكتاب في بابيه الأول عن التزويق والثاني عن ...الحلي يقسم الباب الأول الى سبعة فصول الأول ...عن المرأة العربية والتزويق ـ والوشم ـ وتصفيفات ...الشعر ـ والخضاب ـ والتكحل ـ والتزجيج والتنمص ...والتنمع ـ والطيب ـ وتزيين الجواري

والباب الثاني ـ الحلي ـ فيقع في ستة فصول الأول ...عن عند المرأة العربية ـ ومم صنعت الحلي ـ والنظم ...والأسحار والعصائب والزنانير والأمشاط ـ والأقراط ...والشنوف ـ والقلائد والوشاح والبريم والمناطق الذهبية

والفصل الأخير ـ الخواتيم والاسورة والدماليج والخلاخيل ثم ان الكتاب مزود برسوم وأشكال توضيحية للقارىء !

● الكفاية في الطب المنسوب لعلي بن رضوان تحقيق د سلمان قطاية دار الرشيد للنشر سلسلة كتب التراث (١٠٩) ـ ١٩٨١ ـ منشورات وزارة الثقافة والاعلام ـ ١٨٥ صفحة

تناول المحقق مؤلفات علي بن رضوان وسيرته ، ثم تحدث عن كفاية الطبيب ، وعن أساليبه في المعالجة والحبوب والمربيات والأشربة والأقراص واللعوقات والكمادات والذرورات المستعملة في الجراحات والقروح

أما في النبض فتحدث عن الأشياء المغيرة ، وأجناس النبض وعن النفس وكتاب التفسرة وفيه تسعة فصول ثم التمييز من الاسنان ، وفي دلائل النفث وألوانه وعدة جداول بأسماء الأدوية المفردة الواردة في الكتاب وعن الأوزان والمكاييل وأسماء الأدوية ذات الأصل الحيواني وجدول بالمصطلحات الطبية الواردة في الكتاب

● المعجم العربي ، د حسين نصار ـ الموسوعة الصغيرة (٨٠) تشرين أول/١٩٨٠ منشورات دار الجاحظ للنشر ـ وزارة الثقافة والاعلام ـ بغداد ـ ٩٧ صفحة .

تناول د حسين نصار فيه معاجم الألفاظ أولا ثم معاجم المعاني أما المدرسة الأولى فهي كتاب العين ، والثانية جمهرة اللغة لابن دريد ومقاييس اللغة والمجمل

لابن فارس والمدرسة الثالثة تناول فيها د نصار صحاح الجوهري والصاب للصعابي ، ولسان العرب لابن منظور ، والقاموس المحيط للفيروزابادي ، وتاج العروس للزبيدي أما المدرسة الرابعة (الأخيرة) فاشتملت على الأمثلة القديمة ، والأمثلة الحديثة المنجد في اللغة والأدب والعلوم للأب لويس معلوف والمعجم الوسيط

● صور مشرقة من حضارة بغداد في العصر العباسي ميخائيل عواد ـ دار الرشيد للنشر سلسلة دراسات (٧٩) ١٩٨١ ـ منشورات وزارة الثقافة والاعلام ـ الجمهورية العراقية ١٣٠ صفحة

بغداد التي قيل عنها بأنها « أم الدنيا وسيدة البلاد ، وجنة الأرض ، ومجمع المحاسن والطيبات ، ومعدن الطرائف واللطائف » بغداد دار السلام ، المدينة المدورة والعاصمة الماجدة ذاقت ـ ومرت عبر أيامها ـ ألوانا من الصور وشواهد حفظتها لنا ذاكرة التاريخ ، والباحث والمحقق ميخائيل عواد ـ ينقل لنا في كتابه هذا (٣٤) صورة ملونة أشبه بالكريستالات ذات الشرائط الباهرة التي تبهر العيون وتخلب الألباب فمن الصور المشرقة من حضارة بغداد ابان العصر العباسي نتعرف أولا على صورة هندسة البناء آنذاك ، وكيفية التبريد الصناعي للبيوت ، والبخت على الحجر والآجر والجص ، وملابس البغداديين وأزيائهم ، وصورة عن ميزانية بغداد قبل ألف ومئة سنة ، وفي بغداد استبطت الكتابة البارزة للعميان ، وصور من العيد ، وحدائق الحيوان ، والمستشفيات ، وقياس نهر دجلة ، ومتولي الحوار ببغداد والصورة الأخيرة (خاتمة الكتاب) ليلة الخلافة !

● علوم البابليين تأليف مرغريت روثن تعريب وايضاحات د يوسف حبي ـ دار الرشيد للنشر ـ سلسلة الكتب المترجمة (٩١) ١٩٨٠ ـ منشورات وزارة الثقافة والاعلام ـ ١٣٩ صفحة

يتألف الكتاب من قسمين الأول فكر البابليين القدامى وله ستة فصول الفصل الأول الأسلاف ـ شهرة الكلدانيين ، والكلدانيون أرباب العلم ، والاكتشافات العلمية ، وسكان بلاد ما بين النهرين وشيء من التاريخ والفصل الثاني التعبير عن الفكر اللغة والكتابة ـ لغات بابل القديمة ، والكتابة التصويرية والمقاطع ، وحل الخط المسماري والسومرية والثالث تنشئة النخبة والفصل الرابع المعتقدات ، المذاهب والأساليب ومعضلات الغيب البشري الكبرى ، ومسؤولية الانسان الأدبية والفصل الخامس تنظيم الصراع ضد القدر والفصل الاخير الأساليب ، نشوء الطب ، والطب والأطباء ـ الصيدلة والقسم الثاني المعرفة أو نشوء العلوم ، التقويم البابلي ، والفلك ، والمراصد ، والرياضيات

● النقد اللغوي عند العرب ، حتى نهاية القرن السابع الهجري ، د نعمة رحيم العزاوي سلسلة دراسات (١٣٤) ١٩٧٨ ـ منشورات وزارة الثقافة والفنون ـ ٤٥٩ صفحة

يتألف هذا الكتاب من ثلاثة أبواب الأول العوامل المؤثرة في النقد اللغوي عقد الفصل الأول للحديث عن الرواية والفصل الثاني عن التطور اللغوي والثالث عن التعصب للقديم ، والرابع عن الخصومة والفصل الخامس عن الاعجاز

والباب الثاني موضوعات النقد اللغوي ومقاييسه خص الفصل الأول للكلام عن مقاييس الخطأ والصواب والثاني حول مقاييس الجودة والرداءة ، أما الباب الأخير للكتاب فهو فوائد النقد اللغوي وعنوانه الفصل الأول فوائد النقد اللغوي ، والثاني عيوب النقد اللغوي اضافة الى خاتمة الكتاب

● الزخارف الجدارية في آثار بغداد خالد خليل حمودي الأعظمي ـ دار الرشيد للنشر ـ سلسلة الكتب الفنية (٤٢) ١٩٨٠ ـ منشورات وزارة الثقافة والاعلام ٤٠٥ صفحات

احتوى كتاب الزخارف الجدارية في آثار بغداد على فصول الأول منه الزخارف الجدارية في العراق الفتح الاسلامي حتى تأسيس بغداد والفصل الثاني الزخارف الجدارية في آثار بغداد منذ تأسيسها حتى

السلجوقي والفصل الثالث الزخارف الجدارية في العصر السلجوقي ، سور بغداد باب السلطان ، باب الحلبة ، باب الطفرية ، ومشهد سلجوقي خاتون مئذنة جامع الخفافين ، مئذنة جامع قمرية ، القصر العباسي ، المدرسة المستنصرية

والفصل الرابع الزخارف الجدارية في العصر المغولي فمن هذه الزخارف ، مئذنة سوق الغزل ، ومشهد الشيخ عمر السهروردي أما الفصل الخامس فهو عن الزخارف الجدارية في العصر الجلائري ، المدرسة المرجانية ، وخان مرجان والفصل السادس (الأخير) عن تطور الزخارف الجدارية في بغداد ، الاسلام والزخرفة ، العناصر الزخرفية وللكتاب خاتمة وقائمة اللوائح ، ثم انه مزدان بـ (١٢٨) شكل حرفي وصورة ولوحة عن تلك الزخارف الجدارية في آثار مدينة بغداد

● الموشحات العراقية منذ نشأتها الى نهاية القرن التاسع عشر ، د رضا محسن القريشي دار الرشيد للنشر ـ سلسلة دراسات (٢٩٠) ١٩٨١ ـ منشورات وزارة الثقافة والاعلام ـ ٤٥٥ صفحة

يعرض الكتاب للموشحات العراقية منذ نشأتها الى نهاية القرن التاسع عشر فتناول المؤلف في الباب الأول ـ الفصل الأول الموشح لغة ، وتعريف الموشح ، وبناء الموشح والفصل الثاني أين نشأت الموشحات والثالث عن أغراض الموشح ودوره في المجتمع والباب الثاني حول انتقال الموشح من الأندلس الى الأقطار العربية (الاسلامية) الفصل الأول الموشح والوشاحون في مصر والشام ، والثاني الموشح والوشاحون في العراق أما الباب الثالث الموشحات العراقية فتناول في فصله الأول أغراض الموشحات العراقية ، والثاني الخصائص الموضوعية والأسلوبية للموشحات العراقية والفصل الثالث دراسة موازنة بين الموشحات العراقية والموشحات الاندلسية أما خاتمة الكتاب فتناول فيها نماذج من الموشحات لوشاحين عراقيين بلغوا « ستة وعشرين » وشاحا

● كتاب في المعدة وأمراضها ومداواتها لابن الجزار القيرواني تحقيق سلمان قطاية ـ دار الرشيد للنشر ـ سلسلة كتب التراث (٩٨) ١٩٨٠ ـ منشورات وزارة الثقافة والاعلام ـ ٢٦٩ صفحة

الكتاب حوى مقدمة واهداء ثم حديثا عن عصر ابن الجزار القيرواني وسيرته ومؤلفاته وعن القيروان ومدرستها الطبية أما الكتاب في المعدة وأمراضها ومداواتها ففيه تشريح وفيزيولوجيا المعدة في الطب العربي ثم أقوال عديدة أولها في ماهية المعدة وكيفيتها والقول في طبائع القوى الأربع وفي القوة الحادثة وفي معالجة ضم المعدة وفي التدبير الحافظ لصحة المعدة ، والقروح المتولدة في المعدة ، وفي بطلان الشهوة للطعام ، وآخرها القول في الأغذية التي تصلح المعدة والأغذية الضارة في طبيعتها للمعدة

● قراءة في كتب لم تصدر حديثا يوسف عز دياب دار الرشيد للنشر ـ سلسلة دراسات ـ منشورات وزارة الثقافة والاعلام ـ ٢٠٧ صفحات

هذا الكتاب عبارة عن أحاديث عن كتب صدرت في منتصف هذا القرن فهو أشبه بالعرض والتحليل والنقد لمؤلفه الناقد العراقي يوسف عز دياب ابتدأ كتابه بكتاب د طه حسين من حديث الشعر والنثر وبغربال ميخائيل نعيمة ، وفي الميزان الجديد للدكتور محمد مندور ، وعصر القرآن للدكتور محمد مهدي البصير ، والشعراء الفرسان لبطرس البستاني ، وجلال خالد لمحمود أحمد السيد وقنديل أم هاشم ليحيى حقي ، والوارث لخليل بيدس ، والصرائر لمحمود شكري الألوسي وأفاعي الفردوس لالياس أبو شبكة وأخيرا عواطف وعواطف لعلي الشرقي وبلغت عدد الكتب التي لم تصدر حديثا والمتناولة في كتاب الناقد يوسف دياب (٣٢) كتابا مقروءة بلمحة نقدية من وجهة نظر واحدة !

● العربية تواجه العصر ، د ابراهيم السامرائي الموسوعة الصغيرة ١٠٥ ـ ١٩٨٢ ـ منشورات دار الجاحظ للنشر ـ ٢٢١ صفحة

يجيء هذا الكتاب لمؤلفه د السامرائي مع كتبه الصادرة عن لغتنا العربية كاسهامه في رفد القارىء والمكتبة العربية بما عرف عن المؤلف من اهتمام كبير ودراية عن أسرار لغتنا

ابتدأ د ابراهيم كتابه بمقدمة في علم اللغة الحديث والعربية ثم يتساءل أين العربية من هذا العلم الحديث ؟ يعقبه بحث التعريب في اللغة العربية ، وفي التعريب بين ماضيه وحاضره ثم كيف نوحد المصطلحات ؟ بعدها يتناول المؤلف نظرة أخيرة في التوحيد ، وفي الجديد اللغوي ، والجديد والمعجم العربي الحديث ، عارضا لاحدى وخمسين لفظة ■■

مسابقة العدد

■ مسابقة هذا العدد هي (الكلمات المتقاطعة) والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحة العدد بقطعها منه اما المنشور في أسفل الصفحة المقابلة . فمن الضروري ان يرفق بالاجابة حتى تفوز بواحدة من الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار تمنح على الوجه الآتي

الجائزة الاولى قيمتها ٣٠ دينارا - الجائزة الثانية ٢٠ دينارا - الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و ٨جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير

ترسل الاجابات على العنوان التالي مجلة العربي - صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ٢٨٥ » وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو اول اكتوبر (١٩٨٢)

اثنتان في واحدة

اذا استطعت حل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، ستجد في (٨) أفقيا اسم امام لمذهب من أهم المذاهب الاسلامية كما ستجد في (٨) رأسيا اسم سلطان من المماليك البحريين

كلمات أفقية :

(١) قرشي من أعلام العلماء في القرن الثاني الهجري - مؤتمر وضع سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي
(٢) في الخلية النباتية - روائي عالمي من أصل تشيكي
(٣) حرف نداء وندبة - كلمة تهديد - من عناصر الغذاء
(٤) تحصي - من الاسماء الحسنى - نصف كلمة (ميت)
(٥) تجدها في كلمة (أوهام) - وكل - تمحك
(٦) نكت - للتمني - من تقسيمات الحد - نصف كلمة (مدار)
(٧) ملاذه - تلا - أعجبته
(٨) امام مذهب من أهم المذاهب الاسلامية
(٩) اقرأ - حيوان - نحل
(١٠) احسان - أطلق اليمين - يشنون
(١١) في اللحن - يمعان - للتمني
(١٢) من الطيور - تامة - أكثر ثراء
(١٣) ورق خاص استخدمه الفراعنة - حيوان بري وبحري
(١٤) قل - قرأ - مسافات رياضية
(١٥) من العناصر الكيميائية - مر

١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥

١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥

كلمات رأسية :

(١) شاعر عباسي - من فلاسفة العصر العباسي الثاني
(٢) نبات ساق - بحر - نقص
(٣) نصف كلمة (نائح) - عشب طبي - حرف استفهام - سند رسمي
(٤) فوق النهر - تجدها في كلمة (أعوام) - ضمير
(٥) سم - تكلمات الحقيقة - من المكاييل
(٦) سه بطولة صناعية - سهاد - قيدي
(٧) حصن - مقام موسيقي - عد - من وسائل الانتقال
(٨) سعد من الممالك البحرين
(٩) من ملابس - بحيرة أمريقية - دعوة طعام
(١٠) حول مجرى النهر - كبيرة الورن - احسان
(١١) بدون - اله الخليقة في العقيدة الهندوكية - طاف
(١٢) أبصر - نحاف - شهر ميلادي
(١٣) يبيده - عراك - هدف
(١٤) مراسلات - دولة أوربية
(١٥) وحدة قياس كهرباء - شكل هندسي منتظم - محترم - حرفان متشابهان

● حول الدائرة السوداء ●

ضع الكلمات ذات الحروف الاربعة ، والتي تعطيك معانيها ، في أماكنها وفقا للأرقام يساعدك وجود الحرف الثاني من كل كلمة ـ ستجد حول الدائرة السوداء اسم

طبيب وعالم طبيعي ألماني من القرن التاسع عشر

(١) من الدوريات (٢) فلك (٣) في القلب (٤) يلود (٥) أعوام (٦) من الماشية (٧) ألعب (٨) موت (٩) تلاه (١٠) مريض (١١) ينهض (١٢) من أطوار الحشرة (١٣) يطيب (١٤) طريق (١٥) مكرر (١٦) قارب

العواصم
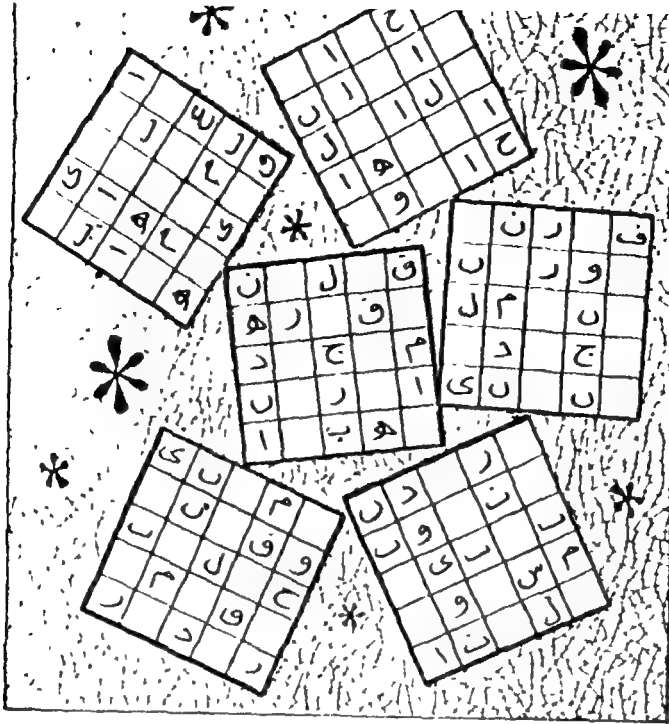
أمامك ستة مربعات ذات اطارات خارجية سميكة . في كل مربع من هذه المربعات خمس كلمات ذات خمسة حروف ، ينقصها جميعا نفس الحرف . اجمع الحروف الناقصة في المربعات الستة ، ورتبها لتحصل على اسم عاصمة عالمية .

مثل عربي

أمامك مثل عربي ، يرمز لكل حرف من حروفه أحد الرسوم ، بحيث يمثل الحرف الواحد نفس الرسم دائما . على سبيل المساعدة نعطيك بعض الحروف من كلمات المثل في مواضعها . هل يمكنك أن تصل الى المثل المطلوب اذا عرفت أنه يضرب :

لمن لا حسب له ، ولا قدرة على الحديث

الحلول

حول الدائرة السوداء : هرمان فون هلمهولتز

العواصم : لوساكا

مثل عربي : لا أصل له ولا فصل

عالم المعرفة
سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت
أغسطس
١٩٨٢م

الإدمان..

مظاهره وعلاجه

دكتور عادل الدمرداش

الكتاب السادس والخمسون

المراسلات :
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

مصفاة

عمليات التكرير

حسب الطلب

نحن نوفر عمليات تكرير حسب الاتفاق في معمل التكرير التابع لنا الذي تبلغ قدرته ٢٥ برميل في اليوم ، والذي يقع في نيو أورليانز الولايات المتحدة الاميركية وفي هذا الموقع المثالي نستطيع القيام بعمليات معالجة انواع مختلفة من النفط الخام والذي يصلنا بواسطة ناقلات النفط المعتادة او « في إل سي سي » عن طريق « إل اوه اوه بي » ويتم توفير مجموعة كبيرة من المنتجات المختلفة للتصدير او لاسواق الولايات المتحدة خلال انابيب نفط « كولونيال اند بلانتاتين » او عن طريق السفن الصغيرة وناقلات النفط التي تصل الى اكثر من ٨ من المناطق التي تحتاج الى منتجات النفط المكررة

رجاء الكتابه الى

GHR Energy Corp
PO Box 537
Good Hope, LA 70079, USA
Attn John R Stanley
Tel (504) 764 2273
Telex 78404

من المسرح العالمي

وزارة الإعلام في الكويت

أول أغسطس ١٩٨٢

١٥٥

تأليف : برانيسلاف نوشيتس - ٤

ترجمة وتقديم : د. فوزي عطية

مراجعة : د. سمية عفيفي

تصدر عن جامعة الكويت

رئيس التحرير
الدكتور عبدالله الغنيم

صدر العدد الاول في كانون ثاني (يناير) ١٩٧٥

تصل أعدادها الى أيدي نحو ١٢٥٫٠٠٠ قارئ

يحتوي كل عدد على حوالى ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير تشتمل على

مجموعة من الأبحاث تعالج الشئون المختلفة للمنطقة بأقلام عدد من كبار الكتاب المتخصصين في هذه الشئ...

عدد من المراجعات لطائفة من اهم الكتب التي تبحث في النواحي المختلفة للمنطقة

ابواب ثابتة تقارير وثائق يوميات - ببليوجرافيا

ملخصات للأبحاث باللغة الانجليزية

ثمن العدد ٥٠٠ فلس كويتي او ما يعادلها في الخارج

الاشتراكات للافراد سنويا دينارا كويتيان في الكويت ، ١٥ دولارا أمريكيا في الخارج (بالبريد الجوي)

للشركات والمؤسسات والدوائر الرسمية ١٢ دينارا كويتيا في الكويت ٤ دولارا امريكي

في الخارج (بالبريد الجوي)

منشورات المجلة

تصدر المجلة ايضا دراسات مستقلة متعلقة بشئون المنطقة صدر منها

١ - كتاب التكامل الاقتصادي في الخليج العربي (د محمد هشام خواجكية) ١٩٧٩

٢ - كتاب آفاق التنمية الصناعية في دول الخليج العربي (د عبد الاله أبو عياش) ١٩٧٩

٣ - كتاب حقوق الطفل في دولة الكويت (د بدرية العوضي) ١٩٧٩

٤ - كتاب الاحصاءات الاقتصادية في المملكة العربية السعودية (بدوي خليل) ١٩٨٠

٥ - دور جريدة فتاة الجزيرة في احداث عام ١٩٤٨ بصنعاء (سلطان ناجي) ١٩٨٠

سلسلة وثائق الخليج والجزيرة العربية لعام صدر منها

الكتاب الاول وثائق الخليج والجزيرة العربية لعام ١٩٧٧ ١٩٧٩

العنوان جامعة الكويت - كلية الآداب والتربية - الشويخ - دولة الكويت
ص ب ١٧٠٧٣ - الخالدية
الهاتف ٨١٦٨٠٧ - ٨١٦٧٩٩ - ٨١٦٨٨٢

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير

مَا هوَ الشيءُ المشترك بَين هؤلاءِ الأشخاص ؟

بنك الكويت الوطني طبعاً.

لكل منهم احتياجات مالية ومصرفية مختلفة، لهذا فهم يتعاملون مع بنك الكويت الوطني
الجميع، من الأطباء ومدراء شركات ورجال أعمال وحتى الأطفال، كلهم يجدون لدى بنك الكويت الوطني خدمات شاملة تناسب كافة المتطلبات والأعمار
حسابات إدخار، حسابات جارية، حسابات أمانات، قروض شخصية، حسابات إيداع، شيكات سياحية وشهادات إدخار،
جميع فروع بنك الكويت الوطني تقدم شيئاً مشتركاً:
الخدمة التي تحتاجها

لكافة احتياجاتكم المالية، اتصلوا بأي فرع من فروعنا الأربعين
المنتشرة في كافة أنحاء الكويت

بنك الكويت الوطني ش.م.ك.

شارع عبد الله السالم - ص.ب ٩٥ صفاة، كويت - تلفون: ٤٢٢١١ (٢ خطا) - برقيا: ناشيونال - تلكس: ٢٢٤٥١

مجموعة سانيو الذهبية
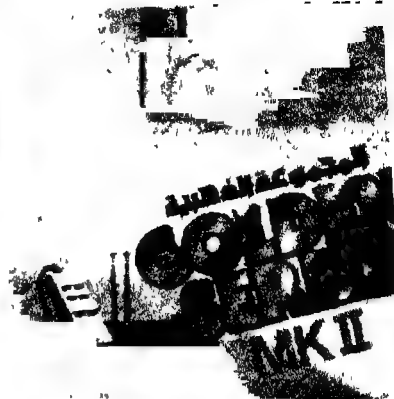
سلسلة ذهبية من أجهزة التلفزيون ومسجلات الفيديو.

تسد حتما الرواج المتزايد لأجهزة التلفزيون الملون من المجموعة الذهبية إنتاج مجموعة ذهبية مماثلة من مسجلات الفيديو كاسيت. وهذه المجموعة جديدة لمسجلات الفيديو تجمع الكثير من المزايا المتقدمة مثلا تعمل على جميع الأنظمة وتتميز باسطوانة فائقة الاتقان. فهي نظام مطور للتلقيم، مع التصميم الأنيق الذهبي المشرق لأجهزة المجموعة الذهبية للتلفزيون الملون. معا هذه الأجهزة للتلفزيون الملون والفيديو كاسيت تعطي حقا تجربة ذهبية للمشاهدة الممتعة.

VTC 9455 مسجل فيديو كاسيت بيتاكورد- لجميع الأنظمة مع آلية بحث عن الصورة وضوابط للتحكم عن بعد ذو ٧ وظائف

CTP 8470G تلفزيون ملون كولورليت ٢٦ إنش رباعي النظام مع ضوابط للتحكم عن بعد ذو ١٧ وظيفة

خبرة الماضي
١٩٥٢
Treasury Dealing Room)
وأحدث الخدمات العصرية
بنك الكويت الوطني كان ولا يزال الرائد في مجال التطور على مدى ٢٩ عاماً هذا التطور الذي وضع التكنولوجيا الحديثة في خدمة الزبائن الكرام . والذي أدى الى توسيع البنك فأصبح يمتلك ٤ فرعا متصلة جميعها بالكمبيوتر المركزي وذلك لتأمين خدمات فورية للعملاء الكرام
ان هذا التطور أدخل مقياساً جديداً على الخدمات المصرفية في الكويت دون ان يمس بتقاليد اللياقة وروح الخدمة التي كانت موجودة يوم أنشئنا أول فرع لنا عام ١٩٥٢
بنك الكويت الوطني ش.م.ك
المركز الرئيسي : شارع عبدالله السالم - ص.ب ٩٥ الصفاة - الكويت

عزيزي القارئ

الثقافة والمعرفة ليس مكانها الجامعات والمعاهد والمدارس فحسب ، بل ينبغي أن تمتد إلى كافة نشاطات المجتمع

ففي العالم المتقدم تتوزع العملية التعليمية والتربوية على المتاحف والمعارض ووسائط الاتصال المختلفة من اذاعة وتلفزيون ، وتجد في أي أثر تاريخي أو بيت زعيم أو مفكر أو شاعر فرصة مناسبة لنشر المعرفة ، ويساهم في ذلك حتى نظام الأنفاق واللوحات والملصقات التي كثيرا ما تنتشر داخل قاعات الانتظار

ومن يتحول للسياحة في أحد البلاد الأوربية ، تفرض الثقافة نفسها عليه في تنقلاته وخلال جولاته في متحف أو مصنع أو أي منشأة تشاركه كل حواسه « فالعين ترى والأذن تسمع »

وتسعى مجلة العربي لسد هذا النقص ، وتطمح في أن تكون جامعة مفتوحة ، منطلقها الرئيسي الرسالة والمسؤولية التي سعت عبر عمرها من أجل تحقيقها ، تباشر دورها الفكري على جبهة ثقافية عريضة ، وتغطي مختلف فروع المعرفة ، وتمتد على طول رقعة الوطن العربي

وتتوقف مجلة العربي - التي بين يديك - عند أبرز معالم الوطن العربي ، وأهم أحداثه الثقافية ، وآخر منجزاته العلمية ، وتقدم كل جديد في مجال الثقافة سواء كان مخطوطا أو كشفا أو فكرة في مجالات الفكر والفن والعلم

وهي تواكب العصر الذي نعيشه ، بأحداثه وهمومه وقضاياه ، وتستجيب لتطلعات القارئ الى غد أفضل ، في محاولة متصلة للتجديد والتعبير والارتقاء بالمستوى في خدمة العقل العربي

واستطاعت مع الأيام أن تتحول الى منارة ثقافية ، يتخرج منها أجيال وراء أجيال ، تصل قارئها بتراثه وحضارته ، ويعيش في نفس الوقت عالم الغد المتسارع الخطا

والتعبير والتجديد هما الوقود المتصل للعمل الثقافي ، وهو التجديف الدائم ضد التيار من أجل استمرار التقدم الى الأمام

« المحرر »

صورة الغلاف

● فتاة من الجزائر بملابسها التقليدية المميزة ، فالجزائر مجتمع يتغير . . الوقت الذي يقتصر فيه دور المرأة في مراب على تربية الأطفال والعمل اطار الأسرة تقتحم الفتاة الجزائرية كل الميادين ، في معادلة موازنة الماضي والحاضر،فإلى أي مدى يستطيع سكان وادي مراب مقاومة التغ هذا ما يحاول أن يجيب عليه استطلاع « التاريخ الحي وعالم المسحور ص ١٠٠ »

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

رئيس التحرير: الدكتور محمد الرميحي

مدير التحرير: فهمي هويدي

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت للعالم العربي وكل قارىء للعربية في العالم.

ثمن العدد: بالكويت ٢٠٠ فلس، السعودية ٤ ريالات، العراق ٢٠٠ فلس، الأردن ٢٠٠ فلس، سوريا ٢٠٠ قرش، لبنان ٢٠٠ قرش، مصر ١٥٠ مليما، السودان ١٥٠ مليما، المغرب ٣ دراهم، تونس ٢٥٠ مليما، الجزائر ٣ دنانير، البحرين ٣٠٠ فلس، قطر ٤ ريالات، الامارات العربية المتحدة ٤ دراهم، اليمن الشمالي ٣ ريالات، اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلسا، ليبيا ٢٥٠ درهما.

الاعلانات: يتفق عليها مع الادارة - قسم الاعلانات

المراسلات: باسم رئيس التحرير

عنوان المجلة بالكويت: صندوق بريد ٧٤٨ - تلفون ٤٢٧١٤١

تلغرافيا «العربي»

الاشتراكات

ترسل الطلبات الى:

قسم الاشتراكات

المكتب الفني - وزارة الاعلام

ص.ب (١٩٣) - دولة الكويت

على طالب الاشتراك تحويل قيمة الاشتراك بموجب حوالة مصرفية أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام طبقا لما يلي:

فلس دينار

- الكويت والبلاد العربية ٢/٥٠٠ (ديناران ونصف)
- بلاد غير عربية ٣/٥٠٠ (ثلاثة دنانير ونصف)

AL-ARABI. No.286 SEPTEMBER. 1982.

P.O.Box 748 — KUWAIT

قضايا حيوية

استطلاعات مصورة

تاريخ وشخصيات

أبواب ثابتة

نبوءة توينبي

تلقى جيلنا ونحن على مقاعد الدراسة بلهفة شديدة ـ خلال الثلث الأول من الستينات ـ كتاب المؤرخ البريطاني الذائع الصيت « ارنولد توينبي » الذي أطلق عليه « بين النيجر والنيل » ، وترجم الكتاب الى اللغة العربية ، بعنوان « الوحدة العربية .. آتية » ولعل موضوع الكتاب يكشف للقارىء سبب هذا الشغف في تلك الأيام ..

الكتاب مجموعة من المقالات تتناول مستقبل الوحدة العربية نشرها توينبي بعد عدة جولات قام بها في بعض الأقطار العربية ، يتنبأ خلال دراسته العميقة لأوضاع العالم العربي ، ومن خلال معرفته بحركة التاريخ ، بأن الوحدة العربية في الطريق ، وبعد أن عقد مقارنة بين الاحداث التاريخية التي أدت الى الوحدات الاوربية المختلفة خلال القرن التاسع عشر ، وبين ما يتوقعه لتحقيق الوحدة العربية ، توصل الى نتيجة تقول : « انه اذا انجز العرب وحدتهم بنفس معدل الوحدات الاوروبية ، فستتحقق الوحدة العربية في عام ١٩٧٤ ، ولا يمكن حتى لألد اعداء العرب ان يضمن ان وحدتهم لن تكون قد انجزت في ذلك التاريخ .. »

وجاء تحديد هذا التاريخ قياسا على الوحدتين الايطالية والالمانية اللتين

بقلم : الدكتور محمد الرميحي

التي لم تتحقق

حديث عن الماضي من أجل الحاضر والمستقبل

محققتا خلال ستة وخمسين عاما ، واعتبر ان نقطة البدء في العمل العربي من أجل الوحدة قد بدأت عقب الحرب العالمية الاولى . .

وتمضي الأيام ويمر عام ١٩٧٤ مثل غيره من الأيام ، ونتجاوزه بسنوات عديدة ، ويبقى موقف ووضع العرب من الوحدة أبعد مما كان عليه عند صدور هذا الكتاب .

ويكشف الواقع العربي ان العقبات التي واجهتها الوحدة العربية تفوق العقبات التي واجهت الوحدتين الالمانية والايطالية خلال القرن الماضي ، والتي ذكرها توينبي في كتابه بالتفصيل . .

توينبي

ولم تعد الأوضاع العربية اليوم بعيدة عن الوحدة فحسب ، بل بعيدة عن الحد الأدنى من التنسيق بين اقطاره ، وتكاد تقصم اطرافه او بعضا منها قصمة وراء قصمة ، وبقية الجسم العربي يتململ ، ولكنه لا ينتفض ويدفع الخطر بعيدا عنه !

ترى ما هي الاسباب التي تجعل من الوطن العربي طعما « مستساغا » لكل طامع ؟! ولماذا أصبح الحد الأدنى من العمل العربي هو أعلى الامنيات ؟!

لقد اختلف العرب خلال العشرة أعوام الأخيرة ، في اجتهاداتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية كما لم يختلفوا من قبل ، وحتى حدول الاولويات الذي يحدد اعداءهم واصدقاءهم على المستويين الاقليمي والدولي لم يصلوا فيه بعد الى معيار ثابت !

ونسي الكثيرون منهم ، في خضم هذا الاختلاف ، الهدف الرئيسي والثابت لاعدائهم ، ألا وهو تفتيت وتقسيم الوطن العربي ، ليس فقط من خلال الحدود والحواجز ، بل من خلال اختلاف عميق في الاجتهادات السياسية والاجتماعية ، تمهيدا لاغراق الوطن العربي في تقسيمات اخرى عديدة !

وضمن اعداء العرب ـ بعكس ما توقعه العلامة الكبير توينبي ، ان حد.

عبدالناصر — الشريف حسين — غاريبالدي — بسمارك

العربية لم تنجز ، لا في عام ١٩٧٤ ، ولا في الأعوام التي تليها ، بل وصمن اعداء العرب عدم انجاز الحد الادنى من وحدة العمل العربي !

فإلى أين المصير ؟

ان المطلوب اليوم عمل سريع حاسم في اطار الاتفاق على الحد الأدنى ، بعد ان ينحي العرب اجتهاداتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية جانبا ، ولو بصورة مؤقته ويتأملوا واقعهم الراهن ، الذي لا يحتاج متأمله الى كبير عناء . والذي يكشف انه كلما اتجهوا الى التضامن والتنسيق ، تمكنوا من المحافظة على ترابهم الوطني وعلى كرامتهم العربية .

ان أهم مشاكل العرب اليوم هو سقوط الحد الأدنى من التضامن العربي ، بعد ان وقع ذلك الخلط الغريب في مطالب التغيير الاقتصادي والاجتماعي والسياسي ، بصرف النظر عن مدى نضوج بعض المجتمعات واستعدادها لهذا النوع من التغيير ، وقد أدى هذا الخلط الى التفريط في القضايا القومية الاساسية ، قضايا الأرض العربية وقضايا الانسان العربي .

ومن هنا تأتي أهمية المطلب المتواضع الجديد ، وهو ليس الوحدة العربية ـ ذلك الامل العزيز الغالي على قلوب العرب ـ وانما الاتفاق فقط على قدر من التضامن العربي يمنع استمرار التدهور العربي أكثر مما هو عليه الآن

والله المستعين ■■

الدكتور محمد الرميحي

خواطر

للدكتور حسان حتحوت

بين صديقين

قال لصديقه الأمريكي وهو يحاوره : أرأيت الى قصر نظر سياستكم وسياستكم ؟ مصالحكم الكبرى في البلاد العربية ، وفيها أغنى مخزون البترول ... بالملايين والمليارات من دولاراتهم تنعش اقتصادكم ، ثم بعد هذا كله تنحازون الى اسرائيل كل هذا الانحياز ضد العرب ؟؟

فتبسم صديقه الأمريكي ضاحكا من قوله وقال له : لست من أهل السياسة ... صانعيها . ولكن دعني اسألك أنت سؤالا لم اهتد الى اجابته بعد طول ... هل ... مصالحنا في بلادكم قد تأثرت بشيء من جراء هذا الموقف الذي دأبنا عليه ؟ ... نعطي مصالح بلادنا الاعتبار الأول ... ولو اقتنعنا ان مصالحنا ... المواقف لغيرنا هذا الموقف بلا ريب ... فعلنا ذلك مرارا وما أمر الاعتراف ... الانسحاب من فيتنام ببعيد ... فعلناه عندما وضعنا موقفنا على ميزان المصلحة ... المصلحة أرجح ميزانا من الموقف ... اما في حالتكم انتم فهذا فعلنا لا ... بالانحياز لاسرائيل والتخلي عنكم ؟ بصراحة لا شيء ... لقد اعلنا ... من ... نؤيد اسرائيل ... وفي المرات التي كنا نعطيكم فيها حفنة من الكلمات ... الدبابات والطائرات والعواصف ... فقد عرفنا بطول الألف ... أن ... تشجبوا وان تحتجوا وان تملئوا الجمعية العامة للأمم المتحدة بخطب ... أما مصالحنا عندكم فما زالت بخير والحمد لله ... فما الذي يدعونا للتغيير ؟؟

قال الصاحب العربي أليس لذلك حس للحق وللعدالة ولنصرة المظلوم ... المغتصبات الى أهلها ؟

قال عندي من ذلك الكثير وعند الكثيرين من أفراد الشعب الأمريكي ... ان يكون لذلك اعتباره في الواقع السياسي ... ألا تذكر جونسون ...

سبعة والستين بأيام معدودات ، عندما قال بالحرف الواحد « ان اسرائيل تذكر
طفولتها » وهل كانت طفولة امريكا الا ابادة الهنود الحمر والاستيلاء على أرضهم
هم عنها بقوة السلاح الوقح ؟ ولقد نقلت صحافتكم ذلك في حينه ، ومع ذلك لم
تصرفاتكم كانت على مستوى هذا المصير الرهيب ان قطاعات كبيرة في بلادنا
على الحكومة قوة الرأي العام الضاغطة لوضع حد لحرب فيتنام ولم تكن تلك
سوعية ولكن سلوك الفيتناميين حركهم ولو كان سلوكهم يشبه سلوككم لما
حد سادنا ان العدوان الاسرائيلي بالسلاح الامريكي عليكم يبدو في نظرنا ضئيلا
اننا لو احصينا كمية الدم العربي المسفوح على مدى الثلاثين عاما الاخيرة لوجدنا
بالمائة منه قد سفكته أيد عربية لا ايد اسرائيلية
ما دام سلوككم محصورا بهذه الدرجة لا تمتد لا الى اسرائيل ولا الى امريكا ، وما
لا تظهر ضراوتها الا على شعوبها او على بعضها البعض ، وما دام فقركم
نشعل نمسه احيانا وعسكم سعله التساهل أن نزداد غنى فكيف تتوقع ان نتوجس
من الضغط مما جعلنا نحاذر الاخطبوط الصهيوني المتغلغل في مرافقنا
، علامنا ومؤسساتنا السياسية ؟ حتى محاولاتكم لايجاد « لوبي » او مجموعة ضغط
عدد نفوذ اليهودي كانت في حملتها محاولات بدائية فهي اما كفاءات امريكية
حر فقط ولكنها متأخرة ونسبت النائحة المستأجرة كالنائحة الثكلى ، واما اجهزة
سلوكها هو ما تسمعون عندكم من خطابة متشنجة وهي عملة لا رواج لها
...
مصالحنا ومصالحكم مشتركة ولكن اسلوبكم في الحياة يجعل مصالحنا
وقد نتعاطف معكم اكثر لو كانت طريقتكم مثل طريقتنا فنحن لا نرى
ونرغم العلائق الوثيقة بيننا وبين بعض دولكم الا اننا نرى انها حاكمة مختلفة
من نظريا وعمليا بقيمة الفرد وحقوقه وحريته ، ونعيش الديمقراطية بما فيها
واختلاف في الرأي ، ومن تولى عندنا الرئاسة يعلن سلفا انه عرضة لترك
في الانتخاب فاذا نجح فلفترة واحدة اخرى ، ولا يجوز أحد على تجاوز حقه
بطريقة مباشرة او غير مباشرة ، وليس احد كائنا من كان اعلى من قانون البلاد
او بغيره حسب هواه وان زيف الفقه الشرعي الذي يفسره على ما يريد
نحن نتعامل مع منطقتكم لا سيما حياتنا فيكم بل ربما كانت حياة أعدائكم
شاعت لنا بأنهم من طينتنا ومن عجينتنا !!
لاكثر من ذلك انه لا يخلو من مغالطات ولكني اعتقد كذلك انه لا
والتحكم !

ان النظام السياسي الاداري ليس « أبو » التربية وحدها انه أ... التنمـ...

هموم خليجية :
الانسان والتربية

بقلم · الدكتور علي فخرو

وزير التربية والتعليم في [illegible]

اذا اعتبرنا الانسان هو المدخل الحقيقي ، بل المعيار والهدف ... سعي في اتجاه التنمية ، فان تجربة الدول الخليجية في هذا ... بحاجة الى المناقشة واعادة النظر *
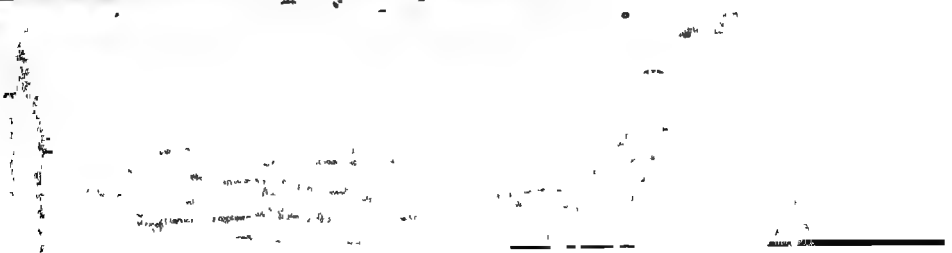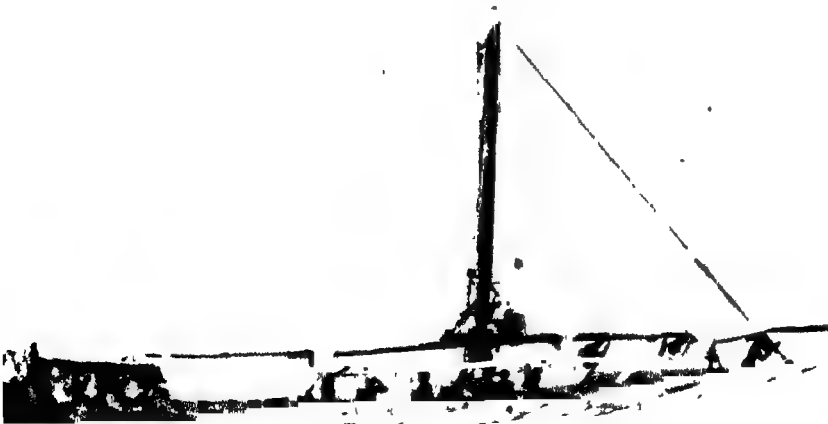
...على الأخص تنمية الانسان بالأخص في دول الخليج العربي

... في التعريف له اهميته فالانسان الذي اعنيه ... في دول التعاون الخليجية الست واما التنمية ... التطوير الشامل ، الاقتصادي والاجتماعي ... والسياسي وهي في الاساس الارساع ... للانسان والتغيير المستمر الى الافضل والانسان ... تلك الحياة وهذا التعريف بالطبع يخالف جذريا ... في الخليج الذي اصبح مرادفا للمشاريع ... المعدات الاجنبية وشرائها من قبل سماسرة ... بوساطة شركات اجنبية تعمل عالميا في صورة ...

وكذا ايضا بالنسبة لمواردنا واحكامنا وتقييمنا في السياق ... نحن بصدده انها سترتبط بذلك التعريف للتنمية ... التي يعتبرها مؤدية الى تحرير الانسان وتطوير ... لذاته واغناء حياته الروحية والذهنية والمادية ... ومؤدية الى مجتمع قائم على قيم الحق والعدالة والمساواة والتراحم قادر على الاستمرارية الحضارية مثل تلك النشاطات سنعتبرها ايجابية اما النشاطات التي نعتبرها مؤدية الى عبودية الانسان للغير او للطبيعة او لاحط ما فيه من غرائز ورغبات جامحة والى مسخ الانسان ليكون كائنا استهلاكيا همه ابدا وجوديا ضائعا متبلدا ، والى مجتمع يتسلط فيه الاقلية وتبعد فيه المؤسسات المشاركة في اتخاذ القرار وتسوده قيم لا يرضى عنها رب الكون ولا تبررها شريعته مثل تلك النشاطات سنعتبرها سلبية مهما صبغت وجوهها القبيحة وزينت مخالبها الموحشة ودقت الطبول الاعلامية من حولها

التنمية الاقتصادية

لنتجه اولا الى ما هو عزيز على الكثيرين وهو العنصر الاقتصادي لتنمية الانسان ان اول ما نبرز هو التبعية الاقتصادية عملاتنا المحلية معتمدة على صحة او مرض العملات الاجنبية وعلى رأسها الدولار الامريكي انطمسا

* ... كان في الاصل محاضرة القاها الدكتور علي فخرو في جامعة قطر ، ضمن مشروع دراسات ... لاقطار الخليج العربي

التجارية مبنية على مبدئي الحرية المطلقة للسوق دون ضوابط تحمي المواطن من تقلبات الاسواق العالمية ومن اتجاهها الاستهلاكي الشبع ومن تركيزها على منطق الاعلان الكاذب او المخادع الذي ادى الى تبعية ثقافية تجارية لانماط غير موائمة من كل انواع السلع ، كما هو حاصل مثلا بالنسبة للسكن او مواد البناء او اللباس او المأكولات . ولعل الغريب في الامر ان الكثير من محطات التلفزيون والاذاعة في المنطقة ساهم مساهمة كبيرة في ترسيخ هذه التبعية عن طريق عرض الاعلان التجاري بصورة مكثفة ، وذلك بالرغم من انها محطات حكومية لدول عدة لا نعرف ماذا تفعل بتواقيعها المالية . اضف الى ذلك عدم وجود قواعد للسلوك للشركات المتعددة الجنسيات والاعتماد الكبير على اسلوب التلزيم (TURN-KAY) ، الامر الذي يؤدي في النهاية الى جعلنا مجتمعات نكتفي بشراء التكنولوجيا بدلا من استيعابها وامتلاكها ، وقد اظهرت هذا المنحى العديد من الدراسات التي قدمتها بلدان الخليج لاجتماع اللجنة الاقتصادية لغربي اسيا سنة ١٩٧٧ حينما بحثت موضوع تسخير العلم والتكنولوجيا لاغراض التنمية .

ومع الاسف فان سياسة التصنيع تصب الى حد في نفس الاتجاه ، فالاقتصار حتى الان على اقامة الصناعات المرتبطة كليا بالبترول والغاز ، والتوجه الى اقامة الصناعات الكثيفة في حاجاتها المباشرة للطاقة (أي المبذرة للطاقة) والتي ترغب الدول الصناعية الكبرى في تصديرها الى البلدان النامية لتفرغ هي لمجالات صناعية جديدة كالتخصص في قطاع المعلومات والاتصالات والقنوات تكنولوجيا صناعية تحتاج الى ايد عاملة فنية كبيرة في بلدان مشكلتها الرئيسية الديموغرافية نقص الايادي العاملة الوطنية المدربة ، والاعتماد شبه الكلي للتصدير على استيعاب اسواق الدول الصناعية وعلى الاخص الغربية ، وعدم التنسيق الاقليمي الا نادرا وعلى استحياء . والنظر بشك وحذر نحو اية مبادرة للارتباط بالسوق العربية بل واعتبارها مضيعة للوقت مع « اخواننا عرب الشمال المتأخرين » وعدم الربط بين سياسة بيع البترول والحصول على اسرار المعرفة الصناعية وعدم الربط بين اقامة الصناعة والامكانيات الذاتية للتشغيل والصيانة والتطوير ، الخ ... من القائمة الطويلة من التوجهات الخاطئة كل ذلك لا يمكن الا ان يرسخ التبعية الصناعية .

ومن المؤسف حقا ان سياستنا الاقتصادية قد ادت ايضا حتى الى اندثار الحرف القديمة لانها سلعها وخدماتها لم تعد تتلاءم مع متطلبات اسواقنا المفتوحة . وهكذا ، وبدلا من تطوير صناعة السفن التي كانت نتاجا ممتازا لعبقرية اهل المنطقة نتجه كلية لاقامة صناعة اصلاح السفن العملاقة المتجهة في الخارج وبصورة تنافسية يحسدنا عليها الا ... وبدلا من تطوير رعاية الخيول والابل كتكنولوجيا ... بها عقول اجدادنا نتيجة الى ترف سباق الخيول ... يحددها ستورد مدربين اجانب لها ، حتى ما ... معرفة محدودة يحققها نمط معرفة الاخرين ... بخصصها وسميها

الالتحاق بالحضارة العربية

ومالم نستعمله من فوائضنا المالية البترولية ... والصناعة استثمرناه في الدول الخارجة عن ... الاسلامية ، معتقدين ان ذلك سيضمن لنا ... في مستقبل ايام ما بعد النفط . وهذا ... التساؤلات والشكوك ... فهناك اولا ... الاقتصاديات العربية المتقدمة على تحمل ... الاستثمارات المالية النفطية لديها ... التصحيحية (التي) تعمل بصفة منتظمة على ... الاصول المالية ... ومخاطر تقلبات الصرف ... الرئيسية المقومة بها هذه بالاستثمارات .

واما توزيع الثروة فالشواهد تشير الى ... بين من يلعبون في مليارات الدولارات ... ملذات الحياة الطيبة منها والخبيثة ... ويمتلئون حقدا وغصبا تراها العين كل يوم ... مجتمعاتنا عن الثراء السريع غير المرتبط باي جهد خاص ... عمل خارق في حين تشقى العائلة لتبقى على ... التضخم في مجتمع تحث على الاستهلاك وعلى ... كنف الرفاهية المظهرية .

واذا كانت التبعية الاقتصادية امرا غير مرغوب ... التبعية لنمط الحضارة العربية ستضعف مقاومة ... للخروج من براثنها . ومع الاسف فان ... الحضاري العربي هو الذي تركز عليه ... الاستهلاك غير المتوازن للثروات الطبيعية ... او المصنعة كالكهرباء ومتمثلا في الاستهلاك ... والملبس والكماليات ومتمثلا في التوجه الى ... الحسية في الفرد . يقول سيمن مولر ... التكنولوجيا الحديثة مصدرا للقلق الدائم ... التسلية الى صناعة حتى تحررنا من هذا القلق ... ادوات للسيطرة على الطبيعة ، ثم الى جانبها ... تلحق الضرر بعضنا البعض . والحقيقة ان ... للتكنولوجيا مقصور على البلدان التي ... اثارها الجانبية منتشرة على مستوى العالم كله ... يحدث في منطقتنا . ان اخر الصيحات في ...

سيارات ، والتلفريومات والمسجلات والات الالعاب الالكترونية تشهد على ذلك ان ... شحون الخاصة ، والفلل الثانية والثالثة في بقاع العالم الفسيح ، والتجوال الدائم مع الاسرة وبدونها ، ومعارض الازياء والالماس في عواصم المنطقة تؤكد انما تتجه ... حو تلك الاثار الجانبية

... الدكتور انطوان زحلان ان كلمة تكنولوجيا في ... تعرف ترتبط عادة بالسلع الانتاجية ... الاستهلاكية التي تؤثر في حياة طبقة متوسطة ... وقطاع متساو في الصغر من القوى العاملة[2] لكي ... في الخليج تكتسح كل طبقة وتؤثر في مسار حياة ... القوى العاملة باشرة اثارها السلبية علينا جميعا

... حدث عن البيئة الطبيعية التي يعيش فيها انسان ... وعما حل بها من تلوث فهو طويل ومعقد وبحاج ... حدث مستقل لقد سمحت التبعية السياسية في فترة الاستعمار للغرب باستنزاف ثرواتنا البترولية ... وبدونها جهاء او وازع من ضمير ، وفرضت ... اشباع نهم الالة الصناعية الغربية والاباسانية ... ثرواتنا النفطية والغازية بصورة جنونية فادت ... الى بداية تدمير البيئة عندنا

... الخليج يواجه مشكلتين اخريين كبيرتين اولاهما ... تلوث البيئة البحرية والبرية والهوائية التي حدثت ... العديدة من تراكم اثارها بحيث انها ستوصل ... الخليج في نهاية هذا القرن الى مرحلة اللاعودة من ... والمدوحة وثانيهما ستعلق بقرار شركات الدول ... بتصدير الصناعات الملوثة الى البلدان ... والاحتفاظ في بلدانها بالصناعات ، النظيفة والتي ... كثيرة ولا حاجة للتذكير بألوف المشاكل ... المواطنون اذا احتل توازن بيئتهم خصوصا ... ثروة البترول ، فتصحيح اثار التلوث تحتاج الى ... كبيرة قد لا تكون متوفرة انذاك

... الانسان هنا يواجه مشاكل حقيقية بالنسبة ... الاقتصادية والبيئية فانه يواجه مشاكل مماثلة بالنسبة ... الاجتماعية الثقافية ولن ادخل في الحديث عن ... والعمالة وجيوب الفقر فهي معقدة وتحتاج ... كثيرة لاظهار الجوانب الحسنة والسيئة في ... كالمخاطر العظيمة للعمالة الاجنبية

وكالانحيار للعمالة غير العربية في بعض الدول وكمشكلة خدم المنازل وتحطيمها لمكانة ربة البيت وتشويهها للعروبة والاسلام في حياة اطفال الغد ، ولكارثة السياحة الفصحة عبر القارات الخمس ... هي قضايا ذات شجون ولكن اخبر لن يسمح بتحليلها

التعليم . مفتاح التنمية

ولكني سأركز على ما اعتقده مفتاح قصة التنمية الشاملة واعني به العملية التعلمية . وسأقتصر في البداية على ذكر بعض الحقائق

- تنتشر الامية الابجدية - الحسابية بين مواطني الدول الست بنسبة تتراوح بين ٣٠ - ٦٠ في المائة . وتصل نسبة السقوط والتساقط قبل الانتهاء من المرحلة الابتدائية الى حدود ثلث الطلاب الذين يدخلون المدارس

- تتميز العملية التربوية والتعلمية في جميع المراحل الدراسية بانها بلقينية صيانة هدفها مرر المعلومات من رأس الاستاذ او كتابة الى رأس التلميذ او كراسته

- تتميز المناهج الدراسية بان قسما كبيرا منها غير مرتبط بالبيئة ولا يصب في مجرى التنمية ولا يتفاعل مع متطلبات وقضايا العصر الذي نعيش ، ولا نفكر في التهيئة لما سيأتي به الغد

- حظي التعليم الابتدائي بشرف الاهمية الثانوية في خطط وزارات التربية ومواردها فالاساتذة غير المؤهلين تأهيلا تربويا عاليا يرسلون للمدارس الابتدائية كعقاب لهم . ورواتب مدرسي الابتدائية هي الادنى بينما عدد الحصص الاسبوعية التي يدرسونها هي الاعلى . ولا يزال الطالب الذي لا يتجاوز عمره السنة السادسة يعامل وكانه فرد في جيش نظامي بروتينه ومظهريته وتلبيته واوامره ونواهيه

- تعتبر المدرسة الثانوية ممرا للتعليم الجامعي الاكاديمي او التوظيف الحكومي الكتابي ولا تزال الغالبية الساحقة من الطلبة يدخلون فرعي الاداب والعلوم في حين يعني اليوم في الفروع التقنية والمهنية الاخرى وعلى الاخص الصناعية منها . ومع الاسف تردد الحكومات في اتخاذ القرارات السياسية المطلوبة بوضع حد اعلى للطلبة المقبولين في التعليم الاكاديمي الصرف قبل ان تصل الى ما وصلت اليه الحال في العالم الثالث من تخريج جيوش جرارة من العاطلين عن العمل من خريجي الثانويات العامة

... عبد الفضيل - دراسة في « مجلة المستقبل العربي » بعنوان « عالم ما بعد النفط » ١٩٧٩

... زحلان - العلم والسياسة العلمية في الوطن العربي - من مطبوعات مركز دراسات ... ١٩٧٩

والجامعات
- مازالت الغالبية من جامعاتنا لا تزيد عن ان تكون امتدادا لمدارسنا الثانوية عقلية واسلوب تعليم . ومناهج تلقينية . وعمودية اكاديمية . وابتعادا (قد يكون مفروضا) عن مشاكل المجتمع وطموحاته بالنسبة للتخصصات احيانا وبالنسبة للبحث العلمي احيانا أخرى

فهل تستطيع هذه المؤسسات التعليمية او تلك المناهج او طرق التدريس التي وصفنا ان تنمي الانسان الذي نريد ؟ هل تستطيع بناء انسان له استقلاله الذاتي قادر على تكوين الاحكام واصدار القرارات ؟ هل تستطيع إيجاد التفكير التكاملي الذي يربط بين الاشياء وبين المشكلات الشخصية والعامة ؟ هل تنمي فيه القدرة على التعليم المستمر وملاحقة المعرفة المتجددة ؟ هل تنتج إنسانا قادرا على رسم الخطط والقدرة على اجراء التقويم ؟ هل تصقل عقلا يشم رائحة المتغيرات قبل ان تصبح اعصارا ، فيستشرف المستقبل ويعد له قبل ان تصدمه المفاجآت ؟

أين نحن من العالم الجديد ؟

من المتوقع ان يكون ٧٠٪ من انواع العمل جديدا تماما قبل سنة ٢٠٠٠ ، فهل ستستطيع مؤسساتنا التعليمية تهيئة القوى البشرية لتلك الحقبة ؟ ام اننا سنواجه هذه الحقيقة كما واجهنا ظهور الحاسب الالكتروني في عام ١٩٥٠ عندما انتظرنا اكثر من ربع قرن قبل ان نفكر في ادخال هذا المجال الجديد في جامعاتنا ؟

ان عالما جديدا يلوح في الافق ويشغل بال الكثيرين من المفكرين والباحثين ، كتب « دانيال بل » في عام ١٩٦٧ عن مجتمعه الاميركي : « لو جرى الواحد عما سيكون عليه مجتمعنا بعد اربعين او خمسين سنة لقلنا بان النظام الصناعي القديم سيزول ليحل محله المجتمع الجديد الذي يتكون الآن . فاذا كان رجال الاعمال التقليديون الصناعيون هم رجال المئة سنة الماضية ، فان رجال المجتمع الجديد سيكونون من رجال العلوم والرياضيات وإحصائيي علم الاقتصاد ومهندسي تكنولوجيا الكمبيوتر وستكون مؤسسات المجتمع الجديد هي المؤسسات الفكرية الذهنية »

أما « الفن توفلر » فان تحليله الاجتماعي في كتابه « صدمة المستقبل » قد نقله في كتابه الجديد « الموجة الثالثة » الى وضع تصورات تفصيلية ، بالغة الجاذبية ممكنة التحقق ، عن المستقبل القريب الذي وصفه بانه سيكون عبارة عن موجة ثالثة حضارية ، تختلف اختلافا جذريا عن الموجة الاولى الزراعية وتخرج عن اطر الموجة الثانية الصناعية ، انها موجة ترتفع كجبار ملامحه مصادر جديدة للطاقة ، وقاعدة تكنولوجية متشعبة نابعة من علوم الأحياء والوراثة والالكترونيات والمعادن الجديدة وعمل [illegible] والمحطات ومادة اولية اساسية غير قابلة لـ[illegible] بالمعلومات . وسينتج عن التزايد في حجم [illegible] تغييرات كبيرة في نظام التعليم وتوجهات الا[illegible] وانماط وتنظيمات المواصلات وستظهر علا[illegible] جديدة

ايضا كتب « كحيل ايدي » في عام ١٩٧٩ [illegible] القريب لن يكون ذلك الرجل الذي لا يعـ[illegible] سيكون ذلك الرجل الذي لم يستوعب اخ[illegible] كيف يصنف ثم يعيد تصنيف المعلومات [illegible] صحتها ، وكيف يعبر من المقولات [illegible] ينتقل من الواقع الى المجرد وبالعكس

هذا العالم الجديد هل نتجه نحو التنمية الاقتصادية [illegible] هذا الانسان الجديد المطلوب لذلك العالم [illegible] التنمية الاجتماعية والثقافية لسانه ؟

اني شخصيا لا اعتقد اننا نفعل ذلك بالرغم من [illegible] المحموم الذي نراه من حولنا . ان التاريخ [illegible] ما نقول . الم تقم مدن كاملة في الغرب الاميركي [illegible] مصادر الذهب ، وكانت تزخر بالنشاط التجاري [illegible] والترفيهي عشر سنين ؟ ومع ذلك فانها قد اصبحت [illegible] حين اشباح مدن . لقد هجرها اهلوها بعد [illegible] امكانيات وجودها . ذلك ان الذهب [illegible] للعيش في الحاضر وصرف الرأسمال على [illegible] منتج

الم يحدث الامر نفسه مع اسبانيا القرن السادس عشر [illegible] لقد جمعت الذهب واستعملته للعيش الاسهل [illegible] وللمغامرات العسكرية غير المحدودة . في حين ان [illegible] القرن نفسه استعملت ذهبها في تنمية حضارية [illegible] مشارف الثورة الصناعية . فلما استنفدت اسبانيا [illegible] اضمحلت قوتها ودخلت مرحلة العصور [illegible] انجلترا فقد استمرت في النمو الذاتي وعوضت [illegible] البشري ما خسرته من الذهب

هل نريد نحن نفس المصير ؟

حتى نتجنب مصيرا سيئا

اني اعتقد اننا مازلنا قادرين على [illegible] ولكن هناك شروط واضحة تتلخص [illegible] نحو اعداد الانسان لمواجهة القمة [illegible] العلمية التكنولوجية التي ستحتاج [illegible] القادمين . والمدخل الرئيسي لذلك [illegible] نوعية التعليم ، سواء اكان [illegible]

و... ثان خارج اسوارها من خلال الوسائل
لتعـ... ...سيفية الكثيرة كالمكتبات ومحطات الاداعة
والمد...

ان... ـ التطوير التكنولوجي المتوقع عالميا سوف
يكون... بعض الاثار على هيكل التعليم المطلوب في
العشرين... سنة المقبلة ، وبالتالي كان لابد من تحضير هذه
العصرات في التعليم وهيكله من الآن اذا ما كان بعض ما
لدى العرب هو المستهدف . وليس ماضي العرب ،
ومرحلة لنموه مضى أوانها »[٣] صاحب هذه الكلمات
يتحدث عن التعليم الذي يؤدي الى التخطيط الواعي
لاحتمالات المستقبل عن التعليم الذي وصفه تقرير نادي
روما بالتعليم المجدد « الذي هو وسيلة ضرورية لتهيئة
الافراد والجماعات ليعملوا متكاتفين في المواقف
الجديدة » ، وبالتعليم التوقعي الذي يهيء الانسان لما
يحتمل حدوثه من طوارىء ، وان يأخذ في اعتباره بدائل
المستقبل البعيد ، وبالتعليم التشاركي الذي يرفض
رسال القرارات الفوقية او تقديم الحلول الجاهزة من
جهات عليا

ولا يمكن لوزارات التربية والتعليم ان تقوم بهذا
العبء لوحدها . ما لم تشاركها جهات عديدة اخرى ،
من اهمها وابرزها وزارات الاعلام اننا حتى الآن لم
نستعمل في هذه المنطقة الامكانيات الرهيبة للوسائل
الاعلامية الا لاغراض الدعايات والتسلية والمطلوب هو
...ـصر بعضها الى الامكانيات التعليمية والتثقيفية لهذه
الوسائل واستخدامها ـ وعلى الاخص التلفزيون ـ لتنشيط
عمليات التعليم المجدد للمجتمع ككل وعلى مدى الحياة ،
لكن الذي يحدث هو العكس ، اننا نستخدم التلفزيون
...ض نماذج عجيبة من الافلام والروايات التي لا تمت الى
...ع بصلة أو أنها تتميز بالعنف والعدوانية او التخدير ،
...ـب ان بعضا من هذه البرامج التي تعرض عندنا قد
...ع عرضها في بعض البلدان المتقدمة ومع ذلك فاننا
...ـمر في عرضها

وربما كانت قوة المال هي التي تقرر نوع البرامج
...ـعروضة في المجتمعات العربية وذلك لتمرير الاعلانات
... من خلالها ومعها ، فما المبرر لفعل الشيء ذاته في
... لا تحتاج الى بيع الاعلان ؟ واذا كانت بلدان العالم
... تستورد برامج التلفزيون القديمة ، الدونية
... بخص اثمانها ، فما الذي يدفع بلداننا
...ـه ؟ لقد تعللت الجهات المسؤولة يوما
... الكافي لوضع برامج جدية تثقيفية
علمية بصورة مكثفة ولكن فهمها الحقيقي لاهداف
التلفزيون للاغراض الدعائية وللتسلية وضح عندما بدأت
كل دول الخليج تبث على قنوات جديدة برامج مسلية
باللغة الانجليزية لقد تعللت الرغبة في تسلية الاجانب على
اشباع الحاجات الحضارية الضرورية على الاقل لجزء من
المواطنين

وهكذا اضعنا فرصة تاريخية لتكون برامجنا التلفزيونية
اداة عظيمة لمكافحة الامية الابجدية والحضارية ، وحل
بعض المشاكل الاجتماعية وشرح الاسس الخفية للحضارة
التكنولوجية التي تكتسح حياة انساننا والتشارك مع الناس
في نقاش منهجي توقعي مستقبلي ، واعدادهم نفسيا وعقليا
لما يحمله المستقبل من مشاكل جديدة وتحديات خطيرة

وهنا يعني ان اجيء قرار وراء الاعلام في دول الخليج
بالبدء بالبرنامج التلفزيوني التعليمي المفتوح قريبا ان شاء
الله ، راجيا ان لا ينقلب هذا البرنامج الى نشاط هامشي
يعرض في اسوأ الاوقات ويحاط بالبرامج ذات التأثير
السلبي بحيث تؤدي الى تحييد التأثير الايجابي للبرامج
التعليمية الجديدة

بناء حضاري لا قدرة مالية

ان النقد الذي وجهته الى كل الجهات تقريبا لا يعني
حدوث تقدم انمائي مادي كبير ، ان المدن والطرق
والمستشفيات والمدارس والجامعات ومحطات الكهرباء
وتحلية المياه وشركات الطيران الوطنية والسوق والبورصة
وحمى الاسهم تشهد على ذلك لكن المسألة التي تحتاج الى
حوار هي مقدار نسبة الانتاج الذاتي بالنسبة لما ذكرنا
وامكانية الاستمرارية عبر المستقبل لما بيّنا حتى الآن ، اننا
نريد ان نتأكد ان قصتنا لم تتقلص الى ان تكون فقط مسألة
توفر مال نستطيع ان نشتري به تلك الاشياء

وانما نتكلم عن بناء حضاري شامخ ، جذوره في
الماضي العظيم وفرعه في المستقبل المشرق المزدهر النابض
بالنشاط الانساني الذاتي المتجدد المتفاعل مع الموجات
الحضارية العالمية

ان قيام مجلس التعاون الخليجي هو تأكيد على ان الاطار
السياسي المعقول للعملية التنموية قد وضحت معالمه في
اذهان قادة دول الخليج الست ، ويستطيع هذا المجلس لو
سار في الطريق الصحيح ان يعبر عن ارادة سياسية
تشاركية لحكومات وشعوب هذه الدول بحيث يلبي ايضا

... لامكانات العربية مركز دراسات الوحدة العربية ـ ١٩٨٢

ما اشار اليه وزير التخطيط في المملكة العربية السعودية الاخ هشام ناظر في محاضرة له امام الندوة الفكرية لرؤساء الجامعات حين اكد ان التخطيط التنموي لا يعدو ان يكون قرارا سياسيا لكن التنمية التي نتحدث عنها هي تنمية الانسان قبل كل شيء اخر بل لعل المصاعب التي واجهها ووراء التنمية والاقتصاد والتجارة لمواجهة الثغرات التي اشرت اليها سببها الرئيسي عدم وجود ذلك الانسان وعندما يوجد ذلك الانسان النامي ويقف على قدميه فلن يكون هناك مشكلة يذكر الدكتور حسن صعب في كتابه (الانسان العربي وتحدى الثورة العلمية التكنولوجية) انا لو اعتبرنا الثورة الصناعية الاولى المتحول الانمائي المحسوس للتقدم ، لوجدنا ان فترة التحول التي سبقتها استغرقت في انجلترا ١٣٠ عاما وفي فرنسا ٧٠ عاما وفي المانيا ٤٤ عاما وفي اليابان وروسيا ٢٦ عاما وفي الصين ٣٤ عاما

واذن فنحن لا نتكلم عن قرون طويلة لأن التجارب الحديثة تؤكد ان العملية التنموية للمجتمع وللانسان ممكنة في فترة قصيرة ، بشرط اتخاذ القرار السياسي ومتابعة تنفيذه

ثم انه لماذا نعتمد على تجارب الغير ولنا اسوة حسنة فيما فعله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم الم يزرع ويحصد ثمار اعظم ثورة سياسية اجتماعية عقائدية اخلاقية عرفها تاريخ البشرية في اقل من ربع قرن

لكن محمد بن عبد الله عليه افضل الصلاة والسلام واصحابه - بعد اعتمادهم على العلي القدير - جهو الى الانسان فاحدثوا في حياته الثورة وحرروا لقد رفضوا ان يلقنوه لقد علموه التعليم المحدد، ... وجعلوه منتجا ، فكان ان بنى ما بنى وحقق ... دون حاجة الى وزارات تخطيط او وزارات تنمية

يشير الدكتور محمد احمد الغنام في مقال له ... نظرية عربية جديدة للتربية) « ان التجربة التربوية للصغار والكبار على السواء - في الاقطار العربية خلال الثلاثين سنة الماضية - اقل او يزيد - تؤكد ان النظام السياسي الاداري ، بمدخلاته وعملياته ومخرجاته ... او اخطر عامل في تقرير مصير التنمية التربوية ... وعلى اساس هذه الفرضية (فان) النظام السياسي الاداري هو ابو التربية في الاقطار العربية

والحق اقول ان النظام السياسي الاداري ليس أبا التربية وحدها ، انه أبو التنمية كلها ، وعلى الاخص تنمية الانسان ، وعلى الاخص في دول الخليج العربي ■■

البحرين - د علي فخرو

نظرات المرأة الى التعليم

■ لا يوجد ارق من حديث المراه المتعلمه (مدام دوستايل)

■ تحيل الى الرجل انه يعلم اما المراه فعلمها أوطد (مثل روسي)

■ اذا علمت رجلا فانك تعلم فردا ، واذا علمت امراه فانك تعلم اسرة (فان هرست)

■ المراه الذكيه كنز والذكيه الجميله قوه قاهره (مرد-)

رأي جيولوجي جديد

اختفى الديناصور إثر هجوم صاعق للنيازك والشهب

بقلم عدنان عصيمة

ابروتوسور Brontosaure احد الزواحف الضخمة المنقرضة يبلغ طوله ١٨ مترا ووزنه ٢٠ طنا

أحدث نظريات الجيولوجيين تقول ان الديناصورات وحيوانات اخرى كثيرة اختفت من الارض منذ ٦٣ مليون سنة نتيجة لهجوم عنيف شنته النيازك والشهب

لعل من اهم الاحداث في تاريخ الحياة على سطح كوكبنا هي ظاهرة الانقراض المفاجيء لأنواع عديدة من الزواحف واللافقاريات البحرية والنباتات الاولية في اواخر الحقبة الوسطى او ما يدعى بحقبة الميزوزوي منذ ٦٣ مليون سنة ، وبالتحديد في العصر الطباشيري

وبالرغم من تعدد النظريات التي وضعت لتفسير هذه الظاهرة ، الا ان الدراسات الحديثة التي قام بها الجيولوجيون في السنين الاخيرتين اثبتت عدم مطابقة تلك النظريات للحقيقة ووضعت نظرية حديثة تفترض ان اختفاء هذه الاحياء يعود الى الكوارث التي حدثت على سطح الارض خلال ذلك العصر والاعتقاد بحدوث الكوارث خلال التاريخ الجيولوجي للارض ليس جديدا الا انه كان يفتقر الى الاثباتات والشواهد المؤيدة ففي بداية القرن التاسع عشر الميلادي-عندما كان علم

... ديناصورات التي عاشت في
... عصر الطباشيري يبلغ طوله
... وهو واحد من الاحياء
... ي ذهب ضحية الانقراض

الجيولوجيا في بداية عهده وضع عالم التشريح الفرنسي جورج كوفير نظرية مفادها ان تاريخ الارض تميز بحدوث سلسلة في الثورات البيئية او (الكوارث) وكان من نتائج هذه الثورات اختفاء الماموث في نهاية العصر الجليدي ، وكذلك اختفاء الكثير من الحيوانات الثديية الاولية التي حفظت الصخور هياكلها على هيئة احافير كما ادت تلك الثورات الى اختفاء الزواحف الضخمة كالديناصورات التي حفظت اثارها في طبقات الطباشير

سلسلة الانقراض

ويبدو ان كارثة الانقراض قد اصابت الزواحف بدرجة اساسية ، اذ في نهاية العصر الطباشيري كانت تعيش ١٥ عائلة من الديناصورات تتوزع في حوالي سبعين صنفا منفصلا استوطنت شمال امريكا ولكن وجد ان الصخور التي ترسبت بعد العصر الطباشيري لم تكن تحتوي على اي اثر لهياكل الديناصورات ولم تذهب الديناصورات وحدها ضحية الانقراض بل شمل انواعا اخرى من الاحياء فمن بين ٣٣ عائلة من الزواحف التي استوطنت شمال امريكا انقرضت اربع عائلات كاملة من السلاحف البحرية بالرغم من ان ثلاثا من هذه العائلات المنقرضة تابعت حياتها في اماكن اخرى على سطح الارض وسجل انقراض عائلة واحدة من اصل العائلات الثلاث المعروفة في التمساحيات وهي عائلة عوسوفولنداي وكذلك انقرضت عائلتان من عائلات سروسور او الزواحف الطائرة كما انقرضت عائلتان من اصل ثماني عائلات من السحالي

وبقي السؤال الذي حير الجيولوجيين ما هو سبب الانقراض ؟ وهل كان تدريجيا ، ام حدث بشكل مفاجيء ؟ تعددت نظريات الجيولوجيين في محاولة تفسير هذه الظاهرة فمنهم من افترض ان السبب يعود الى انقطاع السلسلة الغذائية في البر والبحر ، وكذلك الى التغيرات البيئية الهامة التي حدثت في نهاية حقبة الميزوزوي كانحسار البحار ، والارتفاع الكبير في درجة الحرارة الذي اعقبه انخفاض كبير بسبب امتلاء جو الارض بالغبار البركاني ولم تكن اي من هذه النظريات كافية لتفسير ظاهرة الانقراض المفاجيء للاحياء

طبقة الطين التي حيرت الجميع

في سنة ١٩٧٩ حدثت ظاهرة هامة انتباه الجيولوجيين وادت الى صياغة نظرية مختلفة تماما في النظريات السابقة لتفسير سبب الانقراض

فقد تم اكتشاف طبقة من الطين تحتوي على نسبة [illegible] من معدن الايريديوم الثقيل في منطقة عوبيو في [illegible] بايطاليا ولا يتجاوز سمك هذه الطبقة سنتيمتر [illegible] وهي تفصل بين طبقتين من الحجر الكلس البحري [illegible] السفلى من الحجر الكلس ترسبت في العصر الطباشيري ووجدت فيها احافير الاحياء التي عاشت في ذلك العصر ولم توجد اية احافير مماثلة في طبقة الطين التي تعلوها [illegible] الطبقة الكلسية العليا فلوحظ فيها غياب احافير احياء العصر الطباشيري بل وجد مكانها احافير لاحياء مختلفة ميزت الحياة في عصر الباليوسين الاحدث [illegible] ترسب الطين انقطاعا مفاجئا لسلسلة الحياة التي كانت سائدة في العصر الطباشيري

والظاهرة التي اثارت حيرة الجيولوجيين هي وجود معدن الايريديوم بنسبة كبيرة في طبقة الطين لانه من المعروف ان هذا المعدن نادرا ما يتواجد في صخور القشرة الارضية ، ولكنه معدن سائد في النيازك والشهب التي تنفصل عن النجوم اثناء ثوراتها وبينت التحاليل التي قام بها الجيولوجيون ان نسبة الايريديوم في هذه الطبقة اكبر ثلاثين مرة من نسبة وجوده في طبقات الطين المماثلة والموجودة في مناطق متباعدة من سطح الارض

وتساءل العلماء هل يعني ذلك ان الارض تعرضت لهجوم واسع النطاق قامت به النيازك والشهب نتيجة لانفجارات نجمية غير عادية حدثت في ذلك العصر ؟

في سبيل الاجابة عن السؤال ركز الجيولوجيون جهودهم على دراسة طبقة (عوبيو) وتأكدوا من أن نسبة وجود الايريديوم فيها تماثل نسبة وجوده في النيازك والشهب

وفي سنة ١٩٨٠ تم اكتشاف طبقات اخرى من الطين شبيهة بطبقة (عوبيو) ويرجع زمن ترسيبها الى اواخر العصر الطباشيري في الدانيمارك واسبانيا ونيوزيلندة وفي العينات الصخرية المستخرجة من قاعي المحيطين الأطلسي والهادي ، وتضمن تقرير لمجموعة الجيولوجيين التي قامت بهذه الاكتشافات نظرية تفترض انه من خلال الفترة الزمنية التي تم اثناءها انقراض الاحياء البحرية الصغيرة والذي رافقه انقراض الكثير من الزواحف والاحياء الاخرى حدث على الارض ترسب لكميات هائلة من الرواسب غير الارضية وبشكل مفاجيء [illegible]

طبقة الطين التي اكتشفت [illegible]
عوبيو في ايطاليا غيرت [illegible]
السابقة حول سبب الانقراض [illegible]
الطباشيري يبلغ سمكها ٢ [illegible]
بمعدن الايريديوم ذي المصدر [illegible]

عن مصدر هذه المواد المترسبة هل أتت من داخل النظام الشمسي ؟؟ ام من خارجه ؟ وما هي الآلية التي نقلتها الى سطح الارض ؟

واستلزمت الاجابة عن هذه الاسئلة مزيدا من تفكير وتأمل العلماء الذين فسروا طريقة وصول الرواسب الى الارض بعد انفصالها عن النجوم اثر الانفجارات الضخمة العنيفة التي حدثت على سطحها في نهاية العصر الطباشيري . وبسبب هذه الانفجارات في اندفاع دفعات هائلة من اشعة جاما التي استطاعت ان تخرق معها الدقائق المركبة من الفضاء لترسبها على سطح الارض واستنتج بعض الجيولوجيين ان هذه الانفجارات حدثت على بعد ١٠٠٠ سنة ضوئية عن المجموعة الشمسية وان المذنبات الضخمة التي انفصلت نتيجة الانفجار تأثرت عند اقترابها من سطح الارض بفعل القوى الجاذبة وامطرت الارض بحطامها دون ان تترك على سطحها ندوبا او فوهات ويقول الجيولوجيون ان اصطدام مذنب كبير واحد في مثل تلك التي اندفعت نحو الارض في اواخر العصر الطباشيري يمكن ان ينشر على سطحها موجات بامكانها ان تقضي على كل الحيوانات والنباتات الضخمة التي تستوطن الارض واذا ما سقط مثل هذا المذنب في المحيط فبامكانه ان يسبب مدا يرفع من مستوى سطح البحار بحوالي ثمانية كيلومترات،وهذا الاصطدام ، بسبب فقط في انقراض الاحياء الكبيرة بل بسبب ايضا في امتلاء جو الارض بدقائق الغبار مما ادى الى نقص كبير من شفافية الغلاف الجوي الأرضي ومنع اشعة الشمس من الوصول الى سطح الارض بالشكل الذي تحتاجه النباتات في عملية التمثيل الضوئي مما ادى الى انقراض الكثير منها

ولم تنج من الانقراض حتى الحيوانات البحرية الدقيقة كالرخويات وخاصة منها الرأسقدميات وعائلات الحيوانات البحرية التي كتب لها ان تنجو من الانقراض فقدت الكثير من انواعها

وبشكل عام تبين دراسة الاحافير ان ٧٥ ٪ من الحيوانات والنباتات التي كانت تستوطن الارض في نهاية العصر الطباشيري قد انقرضت بفعل ذلك الهجوم العنيف الذي شنته النيازك والشهب والذي جعل الجيولوجيين

العمر بملايين السنين	الاحقاب	العصر
١	الرباعي	البليوسـ
١٠	حقبه	الباليو
٢٠	الحياة	الميو
١٠	الحديثة	الاوليجـ
٢		الايو
٥٥	حقبه	الط
	الحياة	
٤٥	الوسطى	الجو
٣٥	المرورى	التر
٣٠	حقبه	البر
٦٠	الحياة	الكر
٤	القديمه	الد
٣		السيلـ
٦٠		الا
٨		الكمبـ
٢٥٠٠	ما قبل الكمبرى	عصر ما قبل الكمبرى

التقسيم العام للزمن الجيولوجي لـ... حدث فيها الانقراض خلال العصر الطبـ... ملونة بالأحمر

يكثرون من ذكر الديناصورات-كشهـ... من الاحياء.فلأنه من اكبرها وهو المميز لهذا العصر

وقد خطر ببالنا ان نتساءل هل تمكن ... الحدث ما حدث في العصر الطباشيري ؟

الله أعلم ! ■■

الجزائر ـ عبد...

■ انها الحياة عندما تغضب ، والبحر عندما يثور ، والنار عندما تصطـ... والنحلة المسكينة عندما تعمل انها تعمل ولا تجني عسلا هذه ... المرأة سلسلة من الانفعالات العصبية

(ادجار الر...)

الأغلبية مبدأ إسلامي أصيل

بقلم الدكتور عبد الحميد اسماعيل الأنصاري

هل يقر الاسلام مبدأ الأغلبية ، وهل تتهم النصوص الاسلامية حقا موقف الأكثرية وترفض الأخذ به ؟

مبدأ الأغلبية مبدأ اسلامي أصيل

تقوم الديمقراطية المعاصرة على مبدأ حكم الأغلبية ، الذي يعتبر أفضل صيغة نظامية توصلت اليها البشرية عبر تجاربها الطويلة في أنماط الحكم
وقد وجد هذا المبدأ مبرراته في أمور منها -

١ ـ انه أمر ضرورة يحتمها الواقع ، حيث ان عدم التسليم به يؤدي الى أحد أمرين مرفوضين ، الفوضى أو حكم الفرد

٢ ـ مبادىء العدالة التي تقرر مساواة الأفراد في حقوقهم السياسية بالرغم من اختلافهم في الصفات الموروثة والمكتسبة

٣ ـ ضمان الانتقال السلمي للسلطة ، حيث تتناوبها الأكثرية والأقلية من حيث ان أقلية اليوم قد تصبح أغلبية الغد

واذا تعمقنا في أصول النظام السياسي الاسلامي لوجدنا هذا المبدأ أصلا من هذه الأصول ، خاصة في عصري الرسول ﷺ ، والخلفاء الراشد[ين] عنهم ، فيما بعد ... هل هو الاساس الاول ل[...] العامة والسياسات الكبرى المتعلقة بالمصالح في هذا العهد المبكر ... ومن هنا نقرر أن الديمقراطية المعاصرة الى مبدأ حكم الأغلبية الاجلاء ـ رحمهم الله ـ لم يتعرضوا لماهية وابرازه كما ينبغي لاسباب قد يكون منها د[...] الذي كان وما زال حاصلا من عدم التفرقة واجتهادات الامام الخاصة والمتعلقة بام[ور] جزئية ، وبين السياسات العامة والتي لا يص[ح أن] ينفرد فرد قد يتخذ فيها قرارا منفردا قد يؤدي

رد على المعارضين

واذا كان لفقهائنا ـ رحمهم الله ـ ع[ذر] طائفة من اساتذتنا في رفضهم لهذا المب[دأ] حينئذ هو حكم الفرد المرفوض ما و[...] نظام الشورى ، وهل نظام الشورى ـ الأغلبية ... ان نظام الشورى عندنا أ[...] لكنها الأغلبية المقيدة بالنصوص الشر[عية] وقد يكون من المناسب هنا أن نعر[ض]

ويحاول مناقشتها لنصل الى وجه الصواب فيها

ولا يقولون لو كان مبدأ الأغلبية مبدأ اسلاميا لوضع الرسول ﷺ له نظاما معينا ، ولأخذ به ؟

وينسى هؤلاء أن الرسول ﷺ أخذ بهذا المبدأ في معظم استشاراته خاصة في الغزوات وهي ما يصدق عليها حسد المسائل العامة

بل يقول الشيخ حسنين مخلوف [1] « ولم يرد في السنة ما يدل على أنه ﷺ شاور أهل الشورى ثم أعرض عما أشاروا عليه به »

وأما أن الرسول ﷺ لم يضع نظاما معينا له فهذا لا ضير فالمعروف أن الاطر التنظيمية سريعة التغير عبر الزمن والمكان ، فكان من الأوفق عدم وضع نظام جامد ، يكفي أنه ﷺ وصحابته الكرام أرسوا أساس هذا المبدأ قولا وعملا

... لو كان الحكم برأي الأغلبية شيئا مقررا لكان أحد بحوث الفقهاء ولوضعوا قوانينه ونظمه ؟

والجواب هنا كالجواب هناك ، فهذه تدخل في الحسابات المرتبطة بدرجة الوعي السياسي والاجتماعي ... مع التطور الحضاري للأمم واذ لم يخصص الفقهاء بحوثا مستقلة فقد يكون مرد ذلك عدم الحاجة أو ... السياسية ، والفقيه السياسي أدرى بظروف ... وما يناسبها ومع هذا ، فقد عرف الفقهاء هذا

المبدأ ونحوه الى حد ما وهذا يقول الدكتور محمد ضياء الدين الريس [2]

(ان مبدأ الترجيح بالأغلبية مبدأ معروف في التفكير السياسي الاسلامي منذ قرون بعيدة ، ويستشهد بأقوال للغزالي - في مسألة اذا بويع لامامين - قوله « انهم لو اختلفوا في مبدأ الأمور وجب الترجيح بالكثرة لأن الكثرة أقوى مسلك من مسالك الترجيح »

ويعلق قائلا فهل هناك نص على مبدأ الأغلبية أوضح من هذا ؟ وينقل عن الامام ابن تيمية قوله في مبايعة أبي بكر رضي الله عنه « وانما صار إماما بمبايعة جمهور الصحابة » وعن الماوردي قوله « اذا اختلف أهل المسجد في اختيار إمام ، عمل على قول الأكثرية » ، ويستطرد قائلا ويقرر علماء الأصول عند بحث مبدأ الاجماع « والكثرة حجة » أي فهي تلي الاجماع وأوصى رسول الله ﷺ المسلمين أن يلزموا عند الفتنة - أي الاختلاف - الجماعة ، أي الأغلبية ، لذا اختار علماء السنة أن يسموا أنفسهم « أهل السنة والجماعة » أي الكثرة ، تأييدا لمذهبهم)

ويذكر الشيخ عبد الحميد السائح أقوالا للفقهاء [3] منها « الأكثرية مدار الحكم عند فقدان دليل آخر » و « اذا اختلط موتى المسلمين بموتى الكفار ، واريد الدفن والصلاة اعتبر الأكثر » ويدل أيضا على أن الأغلبية مبدأ

---

(1) ... ١٩٧٧/٩/٣

(2) ... ـسة الاسلامية ص ٣٩٨

(3) ... سلامي » الكويت ، ابريل ١٩٦٧

معمول به حق في السياسات الكبرى ، غزوات الرسول ﷺ واستشاراته في بدر وأحد وغيرهما ونزول الرسول ﷺ فيهما على حكم الأكثرية كذلك الحوادث الكثيرة المعروفة في عهد عمر رضي الله عنه والتي أخذ فيها برأي الأكثرية وأهمها ، عندما حصر الخلافة في ستة - بناء على التعويض - وأخبر أنه اذا اجتمع أربعة على واحد وخالف اثنان فلا يعتد برأيهما واذا انقسم الستة الى ثلاثة وثلاثة ، فعبد الله بن عمر مرجح لأحدهما

الكثرة وصواب الرأي

ثالثا وأخيرا يقولون ، ان الكثرة ليست مناط الصواب أو حتى دليلا راجحا عليه ، اذ أن صواب الرأي أو خطأه لا يستمدان من كثرة أو قلة [٤] والاسلام لا يجعل كثرة العدد ميزانا ، فان من الممكن ان يكون الرجل الفرد أصوب رأيا [٥] ويستشهدون بآيات كريمة مؤداها أن الكثرة جاهلة أو ضالة أو مذمومة منها قوله تعالى « ولكن أكثر الناس لا يعلمون » « ولكن أكثرهم يجهلون » « وان تطع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله »

وهذا الاستدلال مردود بهذه المناقشة

١ - الآيات لا شأن لها بموضوعنا ، فبعضها في شأن الكفار وبعضها في شئون العقيدة والآخرة ولا علاقة لها بمرافق الناس ومصالحهم الدنيوية ومثل ذلك الآية « أكثر الناس لا يفقهون » أي أمور دينهم ، فهم لا يفهمون أمور دينهم أو يفهمون وينقادون وراء شهواتهم فلا علاقة للآيات التي ورد فيها ذم الأكثرية بمسألة الانتخابات أو شئون السياسة والحكم ويعقب الشيخ محمد الغزالي على ذلك بقوله ان الكثرة المذمومة هنا هي كثرة الكفر والضلال ، لا مجموع الأمة وجمهور خيارها فالامة بمجموعها معصومة عن الخطأ ، وجمهور الأمة أقرب الى الصواب من القلة في الأمور التي لا نص فيها

٢ - وأما ان الاسلام لا يجعل الكثرة أو القلة ميزانا له فهذا حيث النصوص البينة اما في الأمور السياسية المتعلقة بالمصالح العامة حيث لا سبيل لمعرفة الصواب من الخطأ فالكثرة ميزان للحق

٣ - والقول بأن الكثرة قد تخطيء وقد يكون الصواب مع الفرد ، فانه مع التسليم بذلك الا أنه يبقى احتمال وقوع الجماعة في الخطأ أقل ، لأن الفرد مهما كان ... فاحتمال تأثره بميوله الخاصة كبير بعكس الجماعة التي احتمال هذا التأثير فيها لذلك كان احتمال وقوعها في أقل ، ومن أجل هذا حض الرسول ﷺ في احاديث يقوي بعضها بعضا على اتباع السواد الأعظم

٤ - وأما أن العامة جاهلة فكيف تستشار ؟ فالجواب ـ العامة تستطيع أن تشارك بمقدار ما تؤهلت له ، ومن ـ عن طريق الممارسة والمشاركة ، خاصة وان العامة ... العلم الضروري بأمور معيشتها ومما يصلح ... يقولون الديمقراطية تلد التعليم فهي ... شئون الحكم وتمارس الانتخاب وقد تخطيء الأمر أول الأمر ولكنها تصحح خطأها في المرات التالية ... في أمور الحكم وتجاربه في الصواب والخطأ هو خير ... لتعليم أي شعب وريادة وعيه أعلم ■■

د عبد الحميد اسماعيل الأنصاري
كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ...

---

٤) الاستاذ عباس العقاد « الديمقراطية في الاسلام » دار المعارف ص ٧٨

٥) الدكتور عبد الكريم زيدان ـ مجلة المجتمع الكويتية ـ فبراير ١٩٧١ العدد ٤٧ والاستاذ ... نظرية الاسلام وهديه ـ دار الفكر ، بيروت ص ٥٨

الدكتور خليل حاوي

بشّر في شعره بالحياة والتجدد .. ثم انتحر !

بقلم محمود الريماوي

في السادس من يونيو حزيران الماضي اعلنت سلطات الأمن اللبنانية انها عثرت على الدكتور خليل حاوي استاذ الادب العربي في الجامعة الأميركية في بيروت مقتولا في منزله بعد أيام تبين أن الشاعر العربي الكبير لم يتعرض لجريمة قتل ، ولكنه انتحر بمسدس اطلق منه رصاص على قلبه

أركان الحياة ، الثقافية ونقاد الأدب ومتذوقو شعر الدكتور حاوي اكتشفوا مأساة خسارتهم في اليوم الأول للاجتياح الاسرائيلي للبنان لأبرز شاعر لبناني معاصر ، واحد رواد حركة الشعر العربي الجديد الذي قضى عن ٦٠ عاما واربع مجموعات شعرية هي نهر الرماد ، الناي والريح ، بيادر الجوع ، من جحيم الكوميديا وقد عرف عن الشاعر عزوفه في السنوات الأخيرة الست (هي سنوات الحرب الأهلية) عن نشر القصائد الشعرية فضلا عن عدم احتكاكه بالأوساط الثقافية ، ورد البعض هذا العزوف الى قلق شديد يعانيه الشاعر الكبير سواء على صعيد الابداع او الرؤية الفكرية ، أو الموقف من محنة الوطن حتى جاء انتحاره كذروة مأساوية لهذا القلق الكياني الحاد أو تصعيد له بلغ به الحد الأقصى

عندما كتب عن الموت

ان من يقرأ شعر الدكتور حاوي سيتبين دون عناء ، ان ظاهرة الموت تحتل حيزا كبيرا من اهتماماته الشعرية والفكرية وقد تبدى هذا الاهتمام في معايشة حميمة وتأمل عميق للموت واكتناه لحالاته ودلالاته ولا نقصد بذلك ، مجرد صورة الموت الفردي الفيزيقي الذي يعني انطفاء الجسد وخسارة الحياة ، ولكننا نعني الموت بما هو ابعد من ذلك كتعبير عن الجفاف الروحي وفقدان ينابيع الرؤيا والجدد والموت كدلالة على جمود حضاري وانكفاء سلبي على الماضي والخشية من الخوض في التحدي المستقبلي وكذلك يتوسل التعبير عن الموت لدى الشاعر . الاساطير والرموز وتحليلاتها الشعرية مازجا الرؤى الدينية بالتأمل العقلي والمعاينة الواقعية ، في جهد حثيث لبناء رؤية شمولية للموت يتحد فيها الخاص والعام ، الديني والعلمي ، الميتافيزيقي والسياسي والاسطوري والواقعي ، اتحادا عضويا لا افتعال فيه

اما من الناحية الفنية (المحض) فان قارىء خليل حاوي يستطيع أن يلمس احتفاظ الشاعر بغنائية عالية وحارة ، وسلامة الايقاع وتوظيفه من حيث الخفوت أو الامتداد أو التكرار ، لخدمة الرؤية التي تحملها كل قصيدة بحيث يكون النص الموسيقي الخارجي متآلفا مع تسلسل الرؤى ، ومضامينها وهو ما يعرف بوحدة الشكل والمضمون . والوحدة الموضوعية والعضوية وهما امرو ما يمتاز به الشعر الجديد في نماذجه المتفوقة لدى رواد هذا الشعر امثال بدر شاكر السياب ، صلاح عبد الصبور ، ادونيس (علي احمد سعيد) عبد الوهاب البياتي ، احمد عبد المعطي حجازي ومحمود درويش وغيرهم فضلا عن تحرر هذا الشعر من اللغة القاموسية ومن ... والصورة كحلية شكلية والابتعاد عن شعر ... الأبنية ، ومغادرة المخاطبة والتقريرية العاطفية ... الهموم الرومانسية الفردية الضيقة ومن ... تصبح هذه السمات - بعد مضي أكثر من ثلاثة ... حركة الشعر الجديد - بعضا من التراث والانجازات المتحققة لهذا الشعر ، الذي وان لم يلق حتى الآن ... جماهيريا واسعا نتيجة سطوة وسائل الاتصال ... الجمهور اليومية ، ونتيجة ايضا لمناهج التدريس ... ذلك المناهج الجامدية التي تصرف صفحا عن قصة ... لحساب الحفظ والتلقين

نقول من الطبيعي ان تصبح تلك السمات هي احدى المميزات الفنية والبنائية للشعر الجديد وان كان ... الشعر يتميز قبل او بعد ذلك - لا فرق - بميزة اساسية أهم ، وهي امتلاك هذا الشعر لدى رواده لما نعبر عن تسميته بالرؤيا وهي ليست رؤيا حلمية أو فلسفية بالمعنى الدقيق للكلمة ولكنها تتسع في دلالتها لهذين العنصرين ... لم يعد ما يميز شاعرا عن الآخر مجرد جزالة الالفاظ وعن الصور والقدرة على توليدها او غناء الموازع ... ومواكبة المناسبات والأحداث ، او اطلاق الحكم في صياغة وجدانية لم يعد ذلك هو الفيصل أو المحك وان كان بعضه ما زال يدخل في قوام الشعر الجديد ... يميز شاعرا عن آخر او حتى الشعر الجيد عن غيره هو مدى امتلاك الشعر في اتساق نماذجه وتكامله من عناصر الرؤيا الفكرية والجمالية التي تحسن تشخيص الواقع واستشراف المستقبل وتقبض على ما هو حي وأصيل ومتحرك سواء في النفس الانسانية او في تحولات الواقع الاجتماعي والحضاري ، او في هموم الجماعات البشرية منعكسة ومنبثقة في ذات الشاعر ووجدانه او من ... الداخلي ، حسب المسمى الذي يتفق عليه نقاد هذا الشعر

ولعل هذا الايضاح (المنهجي) لم يبعد بنا عن موضوع هذا المقال الدكتور خليل حاوي وشعره ... لعلها كانت توطئة ضرورية تمهيدا لما نعرفه ... الشاعر الكبير الذي خسرناه على نحو مأساوي ...

في جوف الحوت

ولكن كم كان موته كبيرا اذ الجدد ... وطنه في لحظة مفارقة عنية ودقيقة فقد تلا ... الكيانية العميقة ببلوغ الخطر على الكيان ...

● الدكتور خليل حاوي

...صهيوني للبنان، كأنما أبى الشاعر الا ان يكون ... ومعرى كبيران، مثل حياته لقد مثل موته حالة ... سلبية، شديدة العمق، وهكذا هو شعره الذي ... عى الدلالات واعمق المفارقات ضمن اطلالة ... على عناوين مجموعاته الشعرية تتضح لنا حالة ... ر ح، والشتائية، التي وقف شعره عليها ... مهر ... التعبير عن السكون والانطفاء والموت الذي ... الرماد، بالحياة والبعث والحركة التي يوحي بها ...

...ماي والريح ... الحاد عنصري المحل والعطاء فالناي لا ... ن منه الموسيقى الا بدفعات الهواء، فكيف يكون ... عندما تهب الريح؟ يبادر الجوع ... مرة اخرى عودة ... لمفارقة وانتصار الحياة على عناصر الموت ... من جحيم ... مدنيا ... الابحاء يتكرر وبوضوح أكبر ... هذه الاطلالة ... عناوين مجموعاته ... تبين في وهلتها الأولى الحاح ... ر على اكتناه عناصر الصراع والتناقض في الحياة وفي ... ن ... عاكسا بذلك قلقا حيا مضطرما، ومعادرة كاملة ... ر دعة الحياة وسلامتها الخادعة او انتظامها الرائف

لعله من اليسير بمكان الوقوع على عشرات المقاطع في ... ده التي يذكر فيها الموت، يحاوره ويتأمله ويمديه ... أن نقع في حومة الرثاء والندب الذاتي ... وحقيقة الأمر ... ! يرثيه الشاعر ويعيه هو الموت ذاته! موت النموذج ... ي، او موت المرحلة المحبطة، او موت الحيارات ... مة ولكن موت هذه العناصر والحالات لا يجري الا ... بمخاض عنيف واحتدام شديد القسوة «ومتى يهملنا ... د والسوط المدمي - فنموت بين ايد حانيات - في ... ب، في سكوت - ومتى يحجل مصباح الحضير من ... ي العار - والدمع المدوي من سرير لسرير - ومتى ... ر الصوت المقيت ويموت - عن بقايا حرق شوهاء عا ... بعابات المقاهي والبيوت؟»

...كذا يستهل الشاعر قصيدته «في جوف الحوت» من ... مهر ... ماد ... ورغم الحس المأساوي المفعم الا ان ... ب انتصر ... وتتابعها يكشف انا في حضرة دعوة لموت ... ي امد ... ضبابات المقاهي والبيوت، وليس غير

... نتهي بتصوير أكثر قرما ومباشرة من ... ن الكهف محموم ضرير - يتمطى الموت ... معسوا ويموت - كل ما اعرفه اني اموت ... ب حوت» - ورغم هول هذه الصورة

ومباشرتها الا انها تتعلق حقيقة برحل في الكهف ... وليس تشخيص الشاعر لحالته

في قصائد تالية تتكشف ابعاد الصراع فمي قصيدة «سدوم» من المجموعة ذاتها يقول الشاعر عبرنا محنة النار عبرنا هولها قبرا فقبرا - وتلفتنا الى مطرح ما كان لنا - بيت وسياج وذكرى - فاذا اصلنا صمت صخور - وفراغ ميت الافاق ... صحراء - واذا نحن عواميد من الملح - ممسوحات من ملامح السنين - ان تذكر عابر الدرب بحال الميتين فهي لاتذكر جوفاء - بلا أمس بلا يوم وذكرى

نحن هنا ازاء محنة بل امام لعنة ... سدوم القرية التي ابتلعها البحر بساكنيها، فاذا هم عواميد من الملح الشاعر هنا شاهد يعاين السقوط لكنه لا يعني الموت والاستسلام ولا يلبث القارىء بعد ان يغادر القصيدة ان يدخل في امتحان جديد للموت

وفي مواجهة أخرى معه في القصيدة التالية «بعد الجليد» التي يصفها الشاعر بأنها تعبر عن معاناة الموت والبعث من حيث هي أزمة ذات وحضارة وظاهرة كونية ويعيد الشاعر كما يقول من اسطورة (تموز) وما ترمز اليه من غلبة الحياة على الموت والجفاف ... كما يعيد من اسطورة العنقاء التي تموت ثم يلتهب رمادها فتحيا ثانية، وينقل الشاعر قارئه من عصر الجليد ... عندما ماتت عروق الأرض في عصر الجليد - مات فينا كل عرق - يبست اعضاؤنا لحما قديد عبثا كنا نصد الريح - والليل الغريبا - ونداري رعشة مقطوعة الأنفاس فينا - رعشة الموت الأكيد

ينتقل الشاعر من هذا العصر الى ما بعد الجليد حيث يرفع لواء المعاناة الخلاقة الحية، فلمعان من جحيم النار ما يمحنا البعث اليقينا - انما تنفض عنها عفن التاريخ واللعنة والعيب الغريبا - ثم نحيا حرة خضراء ترهر وتصلي لدى الصبح المطل تصلي وتعيد ... يا إله الخصب، يا تموز يا شمس الحصيد - بارك الأرض التي تعطي رجالا - اقوياء الصلب نسلا لا يبيد - يرثون الأرض للدهر الأبيد - بارك النسل العتيد

انها اذن دعوة بعث وتجدد لا تتحقق بمعجزة أو طفرة غيبائية او بنصرة حظ، ولكنها تستوي بجحيم النار بالدخول بالتجربة ... بمواجهة العصر والعالم والحقيقة وجها لوجه

شاعر الانبعاث والتجدد

أحد نقاد خليل حاوي البارزين الدكتور احسان عباس يشير الى هذا الجانب الهام في شعر الشاعر، قائلا في كتابه «اتجاهات الشعر العربي المعاصر» - منشورات عالم المعرفة، ص ١٧٠ تمثل قصة الانبعاث والتجدد في شعر خليل حاوي المرحلة الأولى، ذلك انه كان من قدر الشاعر الحديث أن يكون - رغم النكسات الكثيرة التي المت بأمته - متفائلا وان يستشرق من خلال الواقع المظلم مستقبلا انضر». اما العامل المفقد في شعر حاوي فيشير اليه الدكتور عباس في نفس الصفحة بقوله» رغم استحالة لواحد في قصائد حاوي الأولى على محمل من التركيب الثلاثي، فان هذا الواحد من بعد هو الشاعر هو المفقد هو الشعب الذي يبعث قويا، لتغير وجه التاريخ وبذلك تطابق الفردية والجماعية بحيث لا يمكن الفصل بينهما

ومن أشهر قصائد استلهام روح الانبعاث لدى الشاعر قصيدته المعروفة «لعازر ١٩٦٢» من ديوانه بيادر الجوع ولعازر» بفتح اللام أخ مريم ومارثا في الانجيل بعثه يسوع بعد الموت على سوءال أخته مريم (كما في انجيل يوحنا) يلاحظ الدكتور محمد غنيمي هلال من عنوان القصيدة ان ذكر العام ١٩٦٢ دليل على أن الشاعر يقصد بعث لعازر اخر (النقد الأدبي الحديث ص ٤٣١) وهي ملاحظة لا يمكن ردها فيها لاحظ جملة من النقاد ان المقصود بذكر ذلك العام مرحلة ما بعد انفصال الوحدة الصائمة هي إحدى الآمال الكبيرة لأمتنا

«جارتي يا جارتي - لا تسأليني كيف عاد - عاد لي من غربة الموت الحبيب - حجر الدار يعي - وتعي عتبات الدار - والجمر تعي في الجرار - وستار الجرن يعصر - يعصر الجدار الا أن الدكتور حسين مروة في دراسته التي اعيد نشرها في ديوان خليل حاوي الطبعة الثانية (١٩٧٩) يتساءل بعد عرضه للقصيدة اما ترتضي من شاعرنا ان يعي جراح المأساة وان يكشف عناصر الصحيحة في المأساة فهذا هو الوجه الوحيد الايجابي في فكرة القصيدة ولكن كيف يرتضي أن ينفث في أعصاب حلنا «سحر» اليأس وحذر الحياة وان يقيم في دربه هذا الجدار الأصم المعتم الممتنع حتى على المعجزة؟ والحق ان القصيدة يتجاذبها اليأس والرجاء وتشيع فيها احتمالات الموت والحياة معا وبالرغم مما يؤول اليه النمو الدرامي في القصيدة التي تتخذ طابعا حواريا بين مريم ولعازر حين ينهض لعازر من الموت ميتا، بالرغم من ذلك فانه يتعين على قارىء القصيدة أن لا يقف منها موقف... قصة، حيث الخاتمة تنتهي بالموت!

فالقصيدة تبشر بالحياة وتهتف لها في ذات الوقت تعاين فيه الموت وتجسده أي أنه حتى لو نهض لعازر... الدعوة لبعثه (لبعث اقرانه) تظل حية قائمة... الاشارة في هذا الصدد أن الشاعر «حاوي» قد... استخدام رموز الصلب والقيامة والناصري الخ... هذا الاستخدام لم يكن لوظيفة (دينية بحتة) فهو لا يحمل رؤيا مسيحية «كالشاعر اللبناني يوسف الخال مثلا... يوظف هذه الرموز من أجل رؤية عربية وكونية وحضارية معا ومن المعلوم أن رمز الصلب مثلا ينتشر الى حد كبير بين الشعراء العرب المحدثين باعتباره رمزا انسانيا

ورموز من التراث

الا ان الدكتور «حاوي» لم يتوقف عند استخدام هذه الرموز الدينية فقد لجأ الى بعض رموز التراث العربي مثل «السندباد» في قصيدته الشهيرة «رحلة السندباد الثامنة» بالاضافة لقصيدة «وجوه السندباد» ويعتبر الدكتور علي عشري زايد في كتابة القيم استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر (الشركة العامة للنشر والتوزيع - طرابلس) يعتبر نموذج السندباد لدى الدكتور حاوي انجح النماذج على الاطلاق واكثرها اكتمالا من الناحية الفنية حيث وجد حاوي في السندباد نموذجا رمزيا صالحا للتعبير عن مرحلة من أهم واخطر مراحل تطوره الشعري والفكري حيث يعبر السندباد بعد رحلاته السابقة الرحلة الثامنة وهو يبشر... المال والتجارة عدت اليكم شاعرا في فمه البشارة - يقول - يقول - مطرة تحس ما في رحم الفصل - تراه قبل أن يولد في الفصول» وحول استخدام رمز السندباد في الشعر الحديث يذكر الشاعر أحمد عبد المعطي حجازي... صلاح عبد الصبور أول من اكتشف هذا الرمز ثم استخدمه بعد ذلك عدة شعراء، ولكن خليل حاوي من بين هؤلاء جميعا هو الذي ألح عليه حتى استخرج منه امكانيات... رحلته الثامنة

والآن هل ترى خليل حاوي في غيابه الـ... عبر - مستلهما السندباد - رحلة تاسعة؟... يتحرر مرة واحدة والى الأبد من قيود الزمن... بعد أن عرف كيف تمط أرحلها الدقائق تستحيل الى عصور؟ ■■

محمد ...

اليهودى التقليدى بين الخرافة والتاريخ

تغيرات جذرية طرأت على العقل اليهودى بعد قيام اسرائيل

بقلم احمد محمد رمضان

نحن أولى من غيرنا بمحاولة التعرف على الزيف والحقيقة في الشخصية اليهودية ، والى دور الخرافة والتاريخ في الفكر الصهيوني

ل عا ١٩٣ كتب بير حومار اللحيكي في كتابه ال دياره « انك لتجد اليهود معثرين رونه ، لكن قوتهم تسيطر على كل هذه و مجمعة انك لتجدهم ظاهرين او سعد عالمي وكل طبقة اجتماعية وكل سري انهم دائما مستعدون ، لكنهم الوقت نفسه »

وفي عام ١٩٣٠ القى الدكتور حاييم وايزمان محاضرة في القدس بعنوان « النهضة اليهودية » قال فيها « لقد قلنا لسلطات لندن اننا سنكون في فلسطين سواء اردتم أو لا وقد تتحملون ندماننا اليها او تؤخرونه ، ولكن خير لكم ان تساعدونا والا انقلبت قوتنا الساعة هدامة تنزل الدمار والفساد بالعالم كله »

وفي العشرينات كتب الفرنسي هنري دو مونفريد عن

مغامراته في تهريب الحشيش الى مصر وكان له وسيط يهودي يطوف به حارة اليهود بالاسكندرية فيظن الجميع انه يهودي مثله وهكذا تمكن ـ على حد قوله ـ من رؤية التجار اليهود على حقيقتهم فقال

« ان الواحد منهم مستعد لأن ينتزع المجوهرات من جثث الموتى لاسترداد دينه منها انه مستعد لأن يسرق مال اليتامى اذا استطاع ذلك شرعا ومع ذلك فان نفس هذا اليهودي قد يقتل نفسه كدا كي يعلم اولاده ، كما انه قد يعمل في احقر المهن ليمول ابويه العجوزين بل وحتى الاباعد من اقربائه ان فيهم سرا عريقا مثل جنسهم ، ثابتا لا يتغير كالرمان واذا حدث وانحرفت عربتهم التجارية الشرسة عن مجراها المعهود لوجدت هذا السر يطفو على السطح ليعمل العجائب »

هذه الاقوال الثلاثة تجعلنا نتساءل هل اليهود من طينة مختلفة ؟ واذا كان الامر كذلك فهل هم فوق مستوى البشر كما يقول احباؤهم ؟ ام دون مستواهم كما يقول اعداؤهم ؟

مطاردة العامل المجهول

لقد حذرتني طبيبة نفسية امريكية من شدة صعوبة فهم العقل اليهودي ، صحيح ان علماء النفس يتفقون على ان هناك ثلاثة عوامل رئيسية (هي التوراة ، والشتات ، والاضطهاد) قد جبلت شخصية اليهودي التقليدي حتى اصبحت تتسم بست سمات نفسية رئيسية هي القلق ، والشك ، والخوف ، والشعور بالدونية ، والحرص على التمايز ، وعدم الثقة في غير اليهودي ولكن هناك عاملا مجهولا كان حاسما في تطور الشخصية اليهودية الحديثة واشار اليه الاديب الامريكي اليهودي سول بيلو الحائز على جائزة نوبل في كتابه « الى القدس ومنها » حين قال « ان اليهود كما هو معروف جيدا يغالون فيما يطلبون من انفسهم ومن بعضهم بعضا ، ومن العالم ايضا واحيانا اتساءل عما اذا كان هذا هو الذي يجعل العالم يضيق ذرعا بهم الى هذا الحد »

المغالاة اذن نزعة متأصلة في العقل اليهودي ، ولكنها كامنة او لنقل انها لا تبلغ حد الخطر الا اذا استخدمت في اغراض جماعية خصوصا لوضع حد فاصل بين اليهودي وغير اليهودي (الأممي) فاذا اكتفى اليهودي بالمغالاة فيما يطلبه من نفسه فقط لسعى الى التفوق الفردي وحده اما اذا غالى فيما يطلبه من بني جلدته او غالى ابناء جلدته فيما يطلبونه منه كاتهامه بالخيانة اذا ايد اسرائيل مائة في المائة فقط وليس ٣٠٠ في المائة ، او كأن يعتبر هو الفلسطينيين شعبا من المجرمين وليس من اللاجئين ويرضى لنفسه ما لا يرضى للآخرين وفق قاعدة ازدواج المعيار القائلة بانه يجوز

لليهودي ما لا يجوز لغيره ، فانما يدخل بذلك [illegible] التفوق القومي العنصري وليس الفردي ، وبذلك [illegible] دائرة الخطر ويصبح في عداد الصهيونيين الذين [illegible] عرضهم العقلي المفصل (البارانويا) الى حد الـ[illegible] التمييز في المعاملة بين اصدقائهم واعدائهم مثال [illegible] الولايات المتحدة بكل جبروتها لم تقتل اسرائيليا و [illegible] قتلت اسرائيل عمدا ٣٤ ضابطا وجنديا امريكيا عندما دكت بالقنابل والرصاص والطوربيد سفينة التجسس الامريكية الشهيرة « ليبرتي » في حرب ١٩٦٧ واعرب من هذا ما حدث من تستر ومصادرة لكل ما كتب عن هذه الفضيحة الى حد ان بعض الناجين من السفينة يصدرون حتى الآن نشرة دورية تتحدث عن تلك المهزلة ومقابل ذلك كله لم تدفع اسرائيل التعويض عن خسائر السفينة (وهي ٧ ملايين دولار فقط) الا بعد مساومة شبه دامت ١٣ عاما وانتهت بنهاية عام ١٩٨٠ بحجة ان الامريكيين بالغوا في تقدير قيمة السفينة !

وسوف نلاحظ مدى التعبير الذي احدثته نسبة المغالاة في كل نمط من الانماط الاربعة الرئيسية التي اصبحت عليها الشخصية اليهودية خارج اسرائيل وداخلها وهذه الانماط هي

١ ـ الشخصية اليهودية التقليدية خارج اسرائيل
٢ ـ شخصية الاسرائيلي غير المولود في فلسطين
٣ ـ شخصية المولودين في فلسطين (الصابرا) خصوصا من اليهود الغربيين (الاشكناز)
٤ ـ شخصية الصابرا المولودين في الكيبوتسات

● النمط الأول صربي واشتكي لقد ذكرنا ان هذا النمط يتسم بالشك والقلق والخوف والشعور بالدونية والحرص على التمايز وعدم الثقة بغير اليهود والسمات الاربع الاولى على الاقل موجودة في مرض البارانويا [illegible] عن الشخصية الصهيونية بالذات ويقول الاستاذ ايمانويل رايس بجامعة نيويورك في كتابه « محاضرات [illegible] الامراض النفسية » ان المصابين بالبارانويا عدوانيون شكاكون ، يتهمون الآخرين بالتجني عليهم والتحامل على خداعهم ، وهم غارقون دائما في قصص [illegible] واصحاب دمة ومكدون في عملهم [illegible] بالمكافحة او يرتاحون اليها ، ويتحسبون [illegible] والاخطاء حتى قبل وقوعها (صربي واشتكي) يشعرون بالدونية والمهانة و [illegible] اثبات قدرهم بانتقادهم للآخرين وجعل [illegible] وذهم يفرون منهم »

وعدوانية العبرانيين عبية عن الـ[illegible] لتاريخهم « طابع الداوة الدموية العنيفة » [illegible] جمال حمدان يشهد على ذلك ان ١١ [illegible]

حاء ذكرهم في سفر الملوك الاول قد ماتوا قتلا على يدي بني حلدتهم وبيدو ان تشتت اليهود لم يكن بسبب الاضطهاد والاحتلال بقدر ما كان هربا من تناحرهم داخل فلسطين ، بدليل ان الجالية اليهودية في مدينة الاسكندرية قبل ظهور المسيحية كانت اكثر عددا من كل سكان مملكة يهودا وبعد تشتت اليهود في عام ٧٠ ميلادية دخلت هذه العدوانية مرحلة الكمون ومع ذلك كانت ملامح صورة اليهودي التقليدي في العصور الوسطى هو انه « كافر حليف الشيطان ، يستخدم السحر والسم ، يدنس الصور ، يستخدم الدم في اعياده ، جشع يستنزف قوت الآخرين » اما في العصور الحديثة فصار « عشائريا ، ميالا للسيطرة ، انتهازيا مرتزقا لا يتورع عن شيء » ثم استطاع جهاز الدعاية الصهيوني الجبار ان يجعل ملامح اليهودي في الستينات كما يلي ذكي ، داهية ، مثابر ، متدين ، رب اسرة ممتاز

● النمط الثاني نهاية التاريخ اما النمط الثاني فهو الشخصية الاسرائيلية التي لم تولد في فلسطين وعالم النفس اليهودي هيرمان روبشتاين يرى ان اعراض البرانويا تلازم هذا النمط ايضا ، بالاضافة الى اشتداد مشاعر الشك في العرب والاجهزة الدولية لكن الشعور بالدونية هنا قد حل محله ـ او صاحبه ـ شعور متزايد بالتفوق على غير اليهود (الاغيار) ومعروف ان مركب العظمة ومركب النقص وجهان لعملة واحدة ، تماما مثل العلاقة العضوية بين السادية (التلذذ بتعذيب الغير) والماسوكية (التلذذ بتعذيب الذات) ويلاحظ هنا اشتداد نزعة المغالاة لدى هؤلاء « الحرس القديم » الذين يحكمون اسرائيل منذ قيامها ومع ان عليهم ان يختاروا بين امرين لا ثالث لهما هما اما الارض او الامن ، فان الطمع والتسلط يجعلانهم يصرون على الجمع بين الاثنين وهنا بالذات تتخذ سمة المغالاة طابعا قوميا شوفينيا يسميه الدكتور عبد الوهاب المسيري بظاهرة « نهاية التاريخ » فهم يرون ان تاريخ الارض المقدسة بدأ وانتهى ببني اسرائيل ، وان عرب فلسطين مجرد ضيوف عليها حتى لو اقاموا آلاف السنين فيها ، وحتى لو كانت اقامة العبرانيين لم تستمر فيها اكثر من ٥٠٠ عام لم يتركوا خلالها أثرا يذكر اذا قورن بما تركه الكنعانيون والفلسطينيون القدامى والعرب اللاحقون لهم

● النمط الثالث نحن اسرائيليون لا يهود هذا النمط هو جيل الصابرا المولود في اسرائيل ، واهم سماته

١ ـ الميل الى العنف

٢ ـ التمركز حول اسرائيل زمانيا ومكانيا (الغيتو الجديد)

٣ ـ طموحهم منصب على الامان المادي والحياة المريحة

٤ ـ الانتماء القوي الى اسرائيل ومجتمعها
٥ ـ عدم الاهتمام بالتاريخ اليهودي الحديث والضيق بالحديث عن الرواد الاوائل (الحالوتريم)
٦ ـ احتقار المهاجرين القدامى والجدد (والعرب طبعا)

في هذا النمط سمات جديدة هي عودة النزعة العدوانية القديمة وتحول الشعور بالدونية الى شعور بالتفوق الى حد احتقار المهاجرين اليهود ويجب الا نستهين بنسبة الصابرا بين السكان وتزايد اهمية دورهم فقد جاء منهم موشي دايان، وايغال يادين، وآرييل شارون عندما قامت اسرائيل كانت نسبتهم نحو ٣٥ في المائة من مجموع السكان، اما الان فانهم يتجاوزون نصف السكان بقليل

● النمط الرابع معجزة ام مسخرة؟ هذا هو شخصية جيل الصابرا المولودين في الكيبوتسات والذي اظهرت دراسات ميلفورد سبيرو وبروسو بتلهايم ان سماته الرئيسية الخمس هي العدوان ـ الانطوائية ـ البرود الانفعالي (الفتور العاطفي) ـ الحقد ـ الشعور بالدونية وتقترن عودة العدوان هنا بظهور سمتين جديدتين هما الحقد والبرود الانفعالي مع اختفاء سمة الاحتقار وعودة الشعور القديم بالدونية ومغزى هذا النمط هو ان الكيبوتسات كانت فخر الفكر الصهيوني وتجربته الثورية الرائدة في اعادة خلق الانسان والمجتمع اليهودي لكن التجربة اخفقت اخفاقا اليما بدليل التضاؤل المستمر في عدد سكان الكيبوتسات وانتاجيتهم ومع ان الكيبوتسات صورة مصغرة من المزارع الجماعية في البلدان الاشتراكية فانها كانت اقل نجاحا ومع ذلك يساق السائح الاجنبي لقضاء ليلتين فيها ليرى هذه « المفخرة » التي اصبحت بؤرة لمدمني المخدرات، والشبان المتبلدين عاطفيا، والاطفال الذين يبللون فراشهم حتى سن متأخرة كما لاحظ سبيرو

موجز القول ان التجربة الاسرائيلية ابرزت اسوأ ما في العقل اليهودي بغض النظر عن انتصاراتها المادية والمعنوية الكثيرة

فاذا كانت السمات التقليدية فيه هي القلق، والشك، والخوف، والشعور بالدونية، والحرص على التمايز، وعدم الثقة بغير اليهود، فان احياء العقيدة الصهيونية لعامل المغالاة (او « العامل المضاعف » في علم الاحصاء) قد ضاعف من شدة هذه السمات الى حد افساد الشخصية اليهودية مثال ذلك

١ ـ ظهرت العدوانية التي كانت كامنة في الشتات تعاظمت فصارت الجريمة المنظمة (المافيا) اسلوبا مألوفا في الحياة اليومية الاسرائيلية

٢ ـ انقلب الخنوع التقليدي والشعور بالدونية فأصبح غطرسة حتى مع الاصدقاء واحتقارا صريحا حتى للمهاجرين اليهود (القدامى منهم والجدد) وهؤلاء بدورهم يحتقرون غير اليهود

٣ ـ استفحل الشك بالعالم الخارجي والمنظمات الدولية خاصة الى حد العجز عن التمييز بين الانصار والخصوم (ضرب السفينة الامريكية ليبرتي)

٤ ـ اشتد القلق الى حد انعدام الثقة بالمستقبل (اصبح المهاجرون الى اسرائيل اقل من النازحين منها)

٥ ـ تزايدت نزعة الخوف الى حد التقديس المرضي للأمن حتى ظهرت امراض نفسية لا يعرفها الطب النفسي (اضراب الاطفال عن الطعام خشية مصرعهم عندما يكبرون ويساقون الى جبهة القتال)

٦ ـ الامعان في الاحساس بالتمايز والتفوق ازاء الامميين الى حد الولع بالتسلط حتى على الدول الصديقة (السيطرة على مراكز القوى في الغرب وخاصة الولايات المتحدة)

وعن النقطة الاخيرة يجدر الذكر ان البحوث التي اجراها كل من العالمة الامريكية الراحلة مارغريت ميد والعالم الامريكي اليهودي هيرمان تتفق على « ان تقسيم العالم الى يهود وغير يهود من المكونات الاساسية في الهوية اليهودية وان وضع حدود بين اليهود وعالم الامميين مازال له تأثير غلاب حتى في اسرائيل نفسها » وباستطاعتنا ان نسوق عشرات الامثلة على ما ترتب على هذا التقسيم من ازدواج المعيار وعدم معاملة الغير بالمثل فالحديث عن الخلل في العقل الصهيوني يطول الى حد الهزل، ولكن تلك قصة اخرى ■■

احمد محمد رمضان
نيويورك ـ الامم المتحدة

■ بالحب والايمان نجد طريق التسامح ـ بالحب والايمان نثبت في مسيرة الكفاح بالحب والايمان نجد صفاء نفوسنا. بالحب والايمان نبني أوطاننا (مهيبة المالكي)

الصّحوة الإسلاميّة ملاحظات وتحفظات !

فهمي هويدي

اذا حاول المرء ان يسجل بعض الملاحظات والتحفظات على تلك الموجات السائدة الآن ، والتي باتت تسمى على حملتها بالصحوة الاسلامية ، فانه قد يبدو لأول وهلة كمن يسعى لاطفاء الأنوار في فرح أو عرس !

ذلك أن مشاعر الرضا والغبطة التي تنتاب الكثيرين في أرجاء عالمنا العربي والاسلامي ممن يحسبون أن « الصحوة » قد حلت بعد طول انتظار ، لن ترحب في الأغلب باي مناقشة للموضوع ، بعدما أصبح الكل يتعامل مع وصف « الصحوة » باعتباره إحدى مسلمات المرحلة حتى وان دعت المناقشة الى أن نتأمل جيدا ـ وبوعي ـ ما يجري والا ننجرف وراء أحلامنا وعواطفنا ، متسلحين بحد ادنى من الضوابط ، يمكننا من أن نمارس قدرا من التدقيق والفرز لكي لا يختلط الحابل بالنابل ، ولكي لا يضيع الأمل من جراء الانسياق وراء الادعاء والوهم

وفي سبيل هدف كهذا ، لابأس من اطفاء بعض انوار العرس ، على اعتبار أن صيانة مصباح واحد خير من التباهي ، بعشرة مصابيح فاسدة ، فضلا عن أن ثمة مصابيح يظل اطفاؤها في كل الحالات ـ أفضل من انفجارها

ان الصحوة ، لغة ، هي قرين الافاقة أو زيادة الوعي ، فيقال صحا السكران أي ذهب سكره وصحا الرجل أي ترك جهل الصبا أو طريق الباطل وعند عامة الناس فان الصحوة قرين اليقظة فاذا قيل صحا الرجل ، فذلك يعني أنه استيقظ من سباته وفي المعنى الاصطلاحي ـ الذي يهمنا هنا ـ فان الصحوة هي حالة انتباه من الغفلة أو الغفوة أي أنها انتقال من السلب الى الايجاب ، بحيث تشكل في مسيرة الفرد أو الأمة خطوة تقدم الى الأمام ، تمهد في النهاية لبلوغ مرحلة النهضة

ذلك يعني أن للصحوة عناصر ثلاثة ، شكل ومضمون ووظيفة فينبغي أن يفيق المرء أولا ، ثم يتصرف ثانيا ، ثم يتحرك على نحو ايجابي ثالثا وقد يتعذر أن نصف ظاهرة ما ، مهما كان حجمها أو لافتاتها ، بأنها صحوة ، ما لم تجتمع فيها تلك العناصر الثلاثة على الأقل

وحتى نرتب العناصر حسب أهميتها ، فيجب أن نعطي المضمون والوظيفة أو الاداء أولوية مطلقة ع الشكل والمظهر وأحسب أن هذا هو المنهج الاسلامي الصحيح ، الذي يعتمد الموقف معيارا للحـ والتقدير وفي الحديث الشريف « ان الله لا ينظر الى صوركم واشكالكم ولكنه ينظر الى قلوبـ وأعمالكم » بل ان كلمة الاسلام بحد ذاتها موقف ، اذ هي مشتقة من تسليم الوجه لله سبحانه وتعالى وتلك لغة القرآن في التعبير عن الرسالات السماوية فالنصرانية من النصره ، واليهودية من الذين هادوا الطريق أو هادوا عنه وهكذا ولا نريد ان نستطرد ، انما ننبه فقط الى ترتيب المعايير في التصـ الاسلامي ، الذي لا يلغي الشكل والمظهر ، ولكنه يعطي الأولوية للموقف والاداء لقد كبر الجسم الاسلامي حقا في السنوات الأخيرة ، لكننا في أمر له تلك الأهمية المصيرية ، لا ينبغي أن نعتمد على الكم والحجم وحدهما في تقييم الظاهرة والحكم على سلامتها بصورة مطلقة فليس كل نمو في حجم الجسم علامة صحة وعافية ، بل يظل ذلك واحدا من احتمالات ثلاثة على الأقل تفسر هذا النمو والاحتمالان الآخران هما ان يكون ذلك مجرد « سمنه » ، أي زيادة في كمية الشحم والدهون ، وقد يكون « تورما » ليس فيه من الصحة شيء ، علما بأن في الاورام ما هو حميد وخبيث والعياذ بالله !

من هنا كانت أهمية المسارعة الى تشخيص الحالة بموضوعية تامة ، لمعرفة ما اذا كان هذا النمو في الجسم الاسلامي عافية ، ام سمنة ، أم تورما ؟ كي نستثمر ما هو ايجابي من اسباب النمو وعلاماته ، ونعالج كل ما هو سلبي منها ، كلما كان ذلك ممكنا

ومن هنا أيضا كانت أهمية الاتفاق على معيار لفرز الفصائل المختلفة ، التي تصنف في اطار الصحوة ، والتي قد تتوفر في بعضها الشروط الثلاثة ، فتستريح ضمائرنا وتطمئن قلوبنا ، في حين قد يتوفر في البعض الآخر شرط أو اثنان ، أولا تتوفر فيه أي من الشروط الثلاثة ، فتختلف أمور كثيرة

وعلى سبيل المثال ، فان امتلاء المساجد بالمصلين ، وتضاعف اعداد الملتحين أو المحجبات ـ أو حتى المنقبات ـ لا ينبغي أن يعد بذاته معيارا يكتفي به بل قد نقول أن فيه من الصحوة شكلها وظاهرها ، وتبقى اسئلة كثيرة مثارة حول الموقف بشقيه ، الفكر والاداء أي أنه ثبت في حق الظاهرة عنصر واحد فقط ، وبقي من عناصر الصحوة عنصران اثنان ، ينبغي أن ندقق في ثبوتهما قبل أن نصنف هذا السلوك ونحن مطمئنون ـ بأنه تعبير عن صحوة اسلامية

أيضا فان انتشار التنظيمات الاسلامية ، قد يكون علامة على اليقظة ، وعلامة على التحرك بوعي ، ولكن ايجابية هذا الوعي او سلبيته تحتاج منا أيضا الى تدقيق فضلا عن اننا قد لا نستطيع أن نصنف صور التطرف ، أو الشذوذ الفكري ، باعتبارها خطوة الى الأمام ، الأمر الذي يدعونا الى تصنيفها على انها قد تكون ظواهر للرفض والتمرد والاحتجاج ، بأكثر منها صحوة اسلامية حقيقية

ويكاد الانتشار الكاسح للطرق الصوفية في السنوات الأخيرة أن يكون مؤشرا عكسيا تماما ، لا يتوفر له أي من عناصر الصحوة الثلاثة ، ابتداء من « الافاقة » وانتهاء بالايجابية والانطلاق الى الأمام اذ يظل الشكل الحالي للطرق الصوفية استمرارا لحالة الغفوة التي تعد تعبيرا عن مرحلة ما قبل الصحوة وهكـ

ومن أسف أن تلك الفصائل المختلفة هي التي تحتل المساحة الأكبر في الشارع الاسلامي ، فضلا ـ أنها صاحبة الصوت الأعلى ، وذات النصيب الأوفر من الاهتمامات والأضواء الأمر الذي يكاد ـ

أخرى ، قد تكون مبعثرة وغير منظمة ، يتجسد فيها قدر من الفهم الواعي للاسلام ، موقعها تكبها في غيبة المعايير الموضوعية ، بل في ظل الغوغائية السائدة ، لا يكاد يسمع لها صوت ولا يرى لها د أنها تصنف ضمن غيرها أحيانا وتؤخذ بجريرة غيرها في كل حين !

ولا أريد أن أسارع الى اتهام تلك الأغلبية التي لا يتوفر فيها هذا الشرط أو ذاك ، فقد يطلع من حراءه ذلك من المخلصين والخيرين ، ولكن فقدانهم لمقومات الصحوة بقدر أو آخر لا يعني بالضرورة أنهم صاروا خوارج أو أشرارا ، وانما هم - فقط - شيء آخر بعيد ومختلف عن الصحوة الاسلامية ، وليسمه من يشاء بما شاء !

ثمة وجهة نظر لا تستبعد أن تكون هناك « مؤامرة » تحرك بعضا من تلك الفصائل التي تميزت بالشذوذ الفكري ، يدبر لها الذين يكيدون للاسلام والمسلمين ومن مؤيدي هذا الرأي الشيخ محمد الغزالي الذي أشار الى هذا الاحتمال في مقال كتبه* ، ودلل على ذلك بتجربة شخصية له اذ كان يلقى محاضرة في مدينة ما بصعيد مصر ، وألح عليه شاب أن ينتظر ليجيب على سؤال اثار بعض « البلبلة » ، كما قاله ، وتبين أن سؤال الشاغل لصاحبنا حول حكم « الحل » ، وهل هو حلال أم حرام !

وفيما أبدى دهشته من السؤال ، قال الشيخ الغزالي ان الحل حلال وعندما سأله أحد المتقعرين عن الدليل ، رد بأن الأصل في الأشياء هو الحل ، ومن زعم الحرمة فهو المطالب بالدليل ثم ترك المكان محنا وبعد ذلك قدر له أن يسافر الى « ابو ظبي » ليخطب الجمعة ثم يجيب على اسئلة الناس بعدها ، فاذا به يجد بين الأوراق المقدمة اليه سؤالا عن « الحل » أيضا فكان تعليقه أن « السؤال موضوع في عاصمة سية أشرف على وضعه بعض المبشرين والمستشرقين الذين يعملون لحساب الاستعمار الثقافي ، ويريدون شغل العوام بما يصرفهم عن لب الاسلام »

شيء قريب من هذا حدث معي ، يصلح للتدليل أيضا على وجود « المؤامرة » فبينما كنت أحدث صديقا عائدا من رحلة آسيوية عن جماعة تسمى « القرآنية » في مصر ، ترفض كل صنوف العلم والمعرفة ، ويكتفي أعضاؤها بدراسة القرآن الكريم وحده ، اعتمادا على ان الله سبحانه يقرر أنه « ما فرطنا في الكتاب من شيء » ، كما ترفض التداوي بحجة أن الله هو الشافي والمعافي وفيما كنت أشرح ما ينقل عن أفكارهم ، اذا به يقاطعني قائلا بدهشة بالغة أنه لقي في ماليزيا جماعة تردد الكلام ذاته ، وتحمل اسم جماعة « دار الأرقم » ، التي ارتبطت باسم الصحابي الأرقم بن أبي الأرقم ، الذي كان المسلمون يجتمعون ببيته في بداية الدعوة

ومع ذلك فلست من الذين يرون في الأمر مكيدة أو مؤامرة ، وانما المشكلة الحقيقية هي انه برغم الصحيح والغلط ، فثمة فراغ كبير في الساحة الاسلامية ، وتعطيل متراكم للعقل الاسلامي ، افسحا المجال لمثل تلك الأفكار ، فتناثرت كالهشيم في ارجاء الساحة الحالية ، ولم تجد أية حواجز تعترضها ، أو حتى « مصافي » تنقي شوائبها بل وأصبح هناك من يصنف فكر هؤلاء باعتباره من « الصحوة »

نعم هناك من يسعى الى اشاعة الجراثيم واطلاقها بين المسلمين ولكن المشكلة الأهم والأخطر أن الجسد الاسلامي بات عليل وبلا مناعة ، حتى بات فريسة سهلة لتلك الجراثيم ، سرعان ما يلتقط منها المرض ، سرعان ما يسقط صريعا من جرائه المشكلة فينا وليست في غيرنا وهذا هو بيت القصيد !

---

* - مجلة الأمة - عدد رجب ١٤٠٢ هـ - مايو ٨٢ - مقال بعنوان « شعاع على مسار الدعوة »

من الذي اعتبرها صحوة ؟ وكيف ؟ ولماذا ثبتت الكلمة في قاموس المرحلة ؟

قد يقتضينا الأمر أن نعود الى خلفية الظاهرة ، التي ما زلت أعتقد انها مرت بتاريخين فاصلين ، هزيمة ٦٧ ، وثانيهما انتصار الثورة الايرانية في سنة ٧٩ واذا كانت هناك عناصر اخرى اسهمت في تشكيل الظاهرة ، مثل مقاومة التغريب والتفاعلات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي اتصلت به وردود الفعل الناشئة عن التضحيات التي تعرض لها التيار الاسلامي خلال ربع قرن الا أن تلك العناصر جميعها تظل تالية في الأهمية للهزيمة ونجاح الثورة الايرانية

ذلك أن حجم الصدمة التي احدثتها هزيمة يونيو ٦٧ أكبر مما يتصور الكثيرون ودون الدخول في التفاصيل ، فان الهزيمة كانت بمثابة اعلان عن عجز وافلاس ما كان مطروحا في الساحة من شعارات ومثل ودعوة صريحة الى البحث عن بديل لها ، وكان الاسلام هو هذا البديل الجاهز ، والاقرب الى العقول والقلوب

واذا أضفنا الى ذلك عنصرا آخر له أهميته ، يتمثل في الميل الفطري للانسان الى تذكر الله سبحانه والتوجه اليه في ساعات المحنة والانكسار ، فاننا ندرك الى أي مدى أصبح المسرح مهيأ بعد الهزيمة للتحرك في الاتجاه الاسلامي ولأن الساحة كانت خالية من الأوعية السليمة التي يمكن أن يصب فيها ذلك التوجه لتستثمر بشكل ايجابي ، فقد أصبح الناس في حيرة من أمرهم وكانت النتيجة أن تم التحرك الاسلامي بطريقة عشوائية فتحول فريق من الناس الى « دراويش » بصورة أو أخرى ، وتحول آخرون الى تلك التنظيمات التي ظلت تعمل في الظلام اذ عندما يكون المسرح خاليا ، فليس هناك ما يمنع أي هاو أو مدع من أن يقفز ليؤدي عليه دور البطولة !

روى لي أحد الوزراء الجزائريين أن الطرق الصوفية كانت قد اختفت في الجزائر تماما خلال سنوات حرب التحرير ، والى ما بعد الاستقلال ، ولكن الجميع فوجئوا بعودة هذه الطرق الى الظهور مرة أخرى بعد هزيمة ٦٧ ، وكان ذلك رمزا لتغير طرأ على الجماهير كرد فعل للهزيمة والشيء ذاته حدث في بلاد عربية واسلامية أخرى باشكال مختلفة ، كان أكثرها حدة ظهور تنظيمات العنف والتطرف بصورة غير عادية حتى يمكن القول بغير مبالغة أن الأثر الذي أحدثته الهزيمة في الأعماق العربية والاسلامية يعادل ان لم يتجاوز ما أحدثته حرب فيتنام في المجتمع الأمريكي وكما ان هناك أمريكا ما بعد فيتنام ، هناك أيضا عرب ما بعد هزيمة يونيو كلاهما عانى من الشروخ والشقوق في اعماقه ، وكلاهما صار انسانا مختلفا

وخلال السنوات التي اعقبت الهزيمة بدأت الموجة الاسلامية تنتشر وتجد لها مزيدا من الانصار ، ثم جاء مخاض الثورة الايرانية يعلن عن نفسه رافعا راية الاسلام ومتدثرا بعباءته مما اجج مشاعر الجماهير وانعش أحلامها حتى أصبحت الفكرة الاسلامية محور جذب لكافة التيارات ، يمينها ويسارها في آن واحد

وكان انتصار الثورة الايرانية ، ونجاحها في التصدي للشاه واجهزته العاتية ، والقوى الكبرى التي ساندته ذروة في ذلك كله ، في تفجير المشاعر وتقريب حلم الاحياء الديني ، والجذب الذي بات بمعنى ساحرا للجميع

واذا كان التأثير على هذا النحو داخل العالم الاسلامي ، فانه في خارج هذه الدائرة كان للحدث صداه الضخم والفاعل ولا مجال هنا لرصد تلك الاصداء بدءا بالتعليمات التي أصدرها الرئيس الأمريكي كارتر - وقتئذ - لاجراء دراسة حول السنة والشيعة والمذاهب الاسلامية ، ومرورا بذلك الكم الكبير من الدراسات والابحاث والندوات التي لم تترك صغيرة ولا كبيرة الا وتصدت لها بالتحليل والتأصيل لكن يجب ان ننتبه الى أن الامر لم يكن ليحظى بنفس القدر من الاهتمام الغربي لو أن مسرح الحدث كان بعيدا عن

العرب « مصالح حيوية » له بالدقة لو انه كان بعيدا عن منابع النفط ، الذي يشكل مصدرا هاما التي يعتمد عليها العالم الغربي ، دعك من الأهمية الاستراتيجية للمنطقة في صراعات القوى الكبرى ، حص السوفيت والأمريكان

استخدم الغرب ادواته في دراسة الظاهرة ، وكانت الخطوة الأولى هي تشخيصها وتعريفها كان هناك شيء جديد يتحرك ، وكان منطقيا في منهج التحليل العلمي أن يكون لهذا الشيء تعريف وتوصيف وفي ظل عدم المعرفة الكافية بتعاليم الاسلام ولا توجهاته وجوهره ، بل في ظل الانطباع السلبي لدى الغرب عن الاسلام والمسلمين بصفة عامة ، لم يجد الغرب ما يسمى به تلك التيارات والتفاعلات التي تموج بها المنطقة سوى أنها revival of islam والترجمة الصحيحة للعبارة هي « الصحوة الاسلامية » ورغم أن الوصف المستخدم في اللغة العربية لمثل هذا السياق يفترض أن يكون « الاحياء » أو « البعث » الاسلامي ، الا اننا اسقنا وراء الصيغة المترجمة من الانجليزية الى العربية ، حتى شاع وصف « الصحوة » على كل الألسنة وفي كل الكتابات ، واستقر في قاموس المرحلة ، ليصبح واحدا من مسلماتها

لقد التقت أماني المسلمين وتعلقهم بحلم الاحياء الديني مع التشخيص الغربي لما استجد من تفاعلات في الساحة الاسلامية ، فرفعت رايات الصحوة على ارجاء عالم الاسلام ولم يكن ذلك في واقع الأمر تعبيرا عن تأصيل واع للموقف ، ولكنه كان حلما عند طرف وتشخيصا غير دقيق عند طرف آخر ، وفي الحالتين لم تكن للصحوة جذور حقيقية ضاربة في عمق التربة الاسلامية

●●●

واذا كانت ادوات الغرب قد وضعت كافة الفصائل والتيارات الاسلامية القائمة في مربع واحد بلا تمييز ، جهلا بتعاليم الاسلام ، وعجزا عن رصد المسافة بين ما تقوله أو تمارسه أغلبية تلك الفصائل وبين المنهج الاسلامي الصحيح ، فان ثمة مؤسسات وأجهزة عربية فعلت الشيء ذاته ، ليس عن جهل أو عجز ، ولكن عن عمد وترصد !

ذلك ان تلك الأجهزة والمؤسسات وجدت أن من صالحها أن تضع الجميع في سلة واحدة أيضا ، الصالحين والطالحين ، والاسوياء والشواذ ، وتحت مظلة مواجهة الانحراف والتطرف عملت على ملاحقة الجميع ، ضاربة بذلك عصفورين بحجر واحد فهي من ناحية تحاصر الفصائل المتطرفة وتقوم بتصفيتها ، ثم أنها ـ من ناحية أخرى ـ تتخلص من مختلف فصائل التيار الاسلامي ، متصورة أنها بهذا الاسلوب تتصدى لخطر ماثل وآخر محتمل ، وتحقق الأمن والأمان لليوم والغد

والأمر كذلك ، فان الفرز يخلق وضعا يتعارض مع الأهداف المرسومة ، ويصبح من المناسب ـ والمطلوب ـ أن تظل الأوراق مختلطة والحدود ضائعة والمعايير غائبة

واذا كان لكل طرف اسبابه ودوافعه في التشخيص الخاطيء أو الخلط الظالم ، فالمؤكد أن الطرف الثالث ـ الجماهير ـ ليس له مصلحة في هذا أو ذاك . . انما مصلحتها أن تفهم الحقيقة كما هي ، بغير ادعاء أو كذب

لذا لزم التنويه !

■■

فهمي هويدي

عربي نعم ..
لكنه شاعر فرنسي !

بقلم أحمد عبد المعطي حجازي

قال لي جاك بيرك عن هذا الشاعر الذي أقدمه في هذه المقالة انه اليوم أكبر شاعر مغربي باللغة الفرنسية

وهذه شهادة أحتاج اليها في الكتابة عن شعر جمال الدين بن الشيخ ، الذي تربطني به صداقة وثيقة تحول بيني وبين المقارنة والتفضيل على فرض أن ثقافتي الفرنسية تسمح لي بذلك ، وهو مالا أدعيه ، وإن كان لي أن أتحدث عما أشعر به من قرابة تربط بين شعري وبين شعره الذي كنت أول من قدم للقارىء العربي مختارات منه نشرت قبل عامين في مجلة « الآداب » . ثم عدت فترجمت مختارات جديدة لتنشر ، ولعلها نشرت فعلا في مجلة « الكرمل » وكان الشاعر أدونيس قد ترجم كذلك عدة قصائد من شعر ابن الشيخ نشرت في مجلة « مواقف » وها أنا أعود للحديث عنه في اطار الموضوع الذي أعالجه في هذه المقالات ، وهو ترجمة أعمال الشعراء العرب المكتوبة باللغة الفرنسية الى اللغة العربية ، ، وموقفنا من نسبة هذه الأعمال للأدب العربي وإذا كان الأستاذ بيرك قد كفاني مؤونة الحديث عن مكانة ابن الشيخ كشاعر باللغة الفرنسية فثقافة ابن الشيخ العربية لا تحتاج الى شهادة ، فالرجل واحد من أهم أساتذة الادب العربي الآن في فرنسا ومقالاته ودراساته تشهد بعمق ثقافته العربية واتساعها وخاصة في مجال الشعر

وإذن فنحن هنا أمام رجل عربي يعتز بأصوله اعتزازا كبيرا ، ويعرف لغته القومية معرفة الأستاذ المتخصص في الأدب العربي ، لكنه مع ذلك يكتب شعره باللغة الفرنسية فهل نعده شاعرا عربيا ، أم نعده شاعرا فرنسيا ؟ وهل نحس حين نقرأ شعره المترجم الى العربية انه شعر عربي ، وكيف يرى هو نفسه ؟

ـ هي الأسئلة نطرحها من جديد على شعر جمال الدين بن الشيخ بعد أن طرحناها على شعر صلاح ستيتة الذي يعتبر نفسه شاعرا عربيا ، ويتمنى لقصائده المترجمة الى اللغة العربية أن تصبح جزءا من تراث الشعر العربي كما هي جزء من تراث الشعر الفرنسي

في الديوان الذي صدر له أخيرا بعنوان « الصمت كان قد عاد الى الصمت » يعبر عن احساس فادح بالغربة والانقطاع ، وهو في تعبيره عن هذا الاحساس صريح حاد انه يتحدث عن نفسه كعربي منفي في عالم ميت تلتمع فيه بين وقت وآخر بعض الصرخات صرخة الذكرى ، أو صرخة الجسد أو صرخة الدم ، أو صرخة الشعر ، هذا الشعر هو كلام الصمت يمليه على الشاعر ثم يعود الى اطراقته الأولى ، هذا الموت الذي يلف العالم هو الاستلاب ، والفقدان ، والرقابة ، والانقطاع ، والفراغ ، والنسيان

في رائحة النهار المورعة
بين أقاصي النسيان وأقاصي الرغبة
سمى حرارة المنفى
ثابتة
كمكان وجهك على ذراعي

والشاعر الذي يحمل الجنسية الفرنسية يسمي باريس « مدينة الآخرين » ، ويشعر بالغربة عن اللغة الفرنسية متحدثا عن « الكلمات المتفتحة في فمي من لغة غريبة » ، هذا الشعور العنيف بالوجود في غير المكان أو في المكان الخطأ ، يقابله شعور أعنف بالحنين الى الأصول « فالموتى مدفونون في جدراننا » واللغة العربية ليست لغة العرب فحسب وانما هي لغة الطبيعة كذلك ، فالكتابة العربية تتبع مسار الشمس من اليمين الى اليسار انها « تبوح بشكل الكلمة فحسب ، بجسدها ، وتكتم سر موسيقاها وحركتها » هذا ما يقوله الشاعر في قصيدته « عازف الناي » التي يلتقي فيها بمغن مغربي شعبي يلومه على هجر لغته الى لغة تملأ كتابتها بالصلبان

بالأمس لا تنمي حلمي مجروح *
كنت أنشده أمام الليل القادم
قصائد أندلسية تتحدث عن عذاب الحب ،

* النص ـ هذه الأغنية الشعبية المغربية موجود في القصيدة دون ترجمة ، وإن كانت الأصوات العربية مكتوبة ب اللاتينية

ولها لازمة تثير البكاء في أهل تلمسان

راح وخلاني

ورابي وحداني

مرصو داخلاني

وفي الهواء الصافي كان نايه منذ حين

يرسم المنفى

* *

لكن الشاعر الذي يحن الى لغته الأم هذا الحنين الأليم ويشعر أن علاقته بالفرنسية علاقة مصطنعة ، يعد ـ بشهادة رجل مثل جاك بيرك ـ من أفضل كتاب هذه اللغة . واذا كان التيار المطالب في فرنسا بتحطيم الهياكل اللغوية المستقرة بحثا عن لغة جديدة ، له أنصار بين الكتاب والشعراء العرب الذين يكتبون بالفرنسية فابن الشيخ يتهم هذا التيار بالعبث وقلة الحيلة ، لأن التجديد الذي يلبي حاجة المبدع وتقبله اللغة في الوقت نفسه هو الذي يتحقق ضمن القوانين الأساسية للغة ، أما القول بتحطيم هذه القوانين فتعبير عن الفشل في محاولة امتلاكها . واذا كان بعض الكتاب العرب باللغة الفرنسية يحاولون تحقيق شخصيتهم المستقلة بالخروج على أساليب الكتابة المتعارف عليها ، فابن الشيخ يحقق شخصيته بأن يمتلك في اللغة الفرنسية ما لا يمتلكه بعض الكتاب الفرنسيين أنفسهم . من هنا لا يخلو شعر ابن الشيخ من استعمالات قديمة لا تتنافى مع طزاجة التركيب الشعري الحديث كما تبلور في شعر الرمزيين والسورياليين . كما أن الديوان لا يخلو كذلك من قصائد موزونة مقفاة

شعر ابن الشيخ اذن هو نتاج للشعر الفرنسي واستمرار لتقاليده ، ليس لأن ابن الشيخ يجب أن يحافظ على هذه التقاليد بارادته وحده ، ولكن لأنه ـ أراد أو لم يرد ـ مضطر الى ذلك طالما هو يكتب باللغة الفرنسية ، وان عبر في شعره عن عواطف وأفكار عربية

انه شاعر فرنسي كما أن أبا نواس شاعر عربي رغم فخره بأصوله الفارسية وسخريته من العرب ، لأن الشعر هو اللغة قبل كل شيء آخر ، والشاعر صانع كلمات قبل أن يكون صانع عواطف وأفكار ■■

باريس ـ أحمد عبد المعطي حجازي

سياسي الحقيقي الماهر يستطيع أن يقيد الناس بسلاسل أقوى من الحديد ، عن طريق افكارهم هم انفسهم .

ميشيل فوكو

فلسفة القوة والقهر الاجتماعي

بقلم : الدكتور احمد ابوزيد

يمثل العالم الفرنسي ميشيل فوكو ظاهرة فكرية مثيرة للجدل في اوروبا والولايات المتحدة الامريكية ، كيف ؟ ولماذا ؟ . افكاره ورحلته تجيب على التساؤلين

كان الاستاذ انتوني ستور يقول « لا يمكن لاي بلد غير فرنسا ان ينجب مفكرا من طراز ميشيل فوكو » فمع أن ميشيل فوكو Michel Foucault لايزال في الخمسينات من عمره ، فانه افلح - ومنذ سنوات - في ان يفرض نفسه على الحياة الاكاديمية والثقافية العامة في فرنسا ، وان يحتل مكانة مرموقة بين مجموعة المفكرين البنائيين الفرنسيين البارزين من أمثال ليفي ستروس وجاك لاكان ورولان بارت وغيرهم ، وان يحقق لنفسه شهرة واسعة عريضة تعدت حدود فرنسا واوروبا الى بقية انحاء العالم بحيث اصبح يعتبر أحد « صناع » الفكر العالمي الحديث

وليس أدل على ذلك من أن احدى الجامعات الامريكية اقامت منذ عامين ندوة استغرقت ثلاثة أيام خصصتها كلها لمناقشة اعماله وآرائه وافكاره ودعته لحضور بعض جلساتها التي شارك فيها عدد كبير من الفلاسفة والمفكرين والاساتذة ، كما أنه يتردد بكثرة على امريكا لالقاء محاضراته في عدد من جامعاتها حيث يستمع اليه اعداد وفيرة من الطلاب وعامة المثقفين ، وذلك على الرغم من كل ما يتصف به تفكيره من صعوبة وتعقيد كما هو حال جميع البنائيين الفرنسيين باستثناء ليفي ستروس

نموذج حير الجميع

ومع ان ميشيل فوكو يعتبر بوجه عام أحد أعمدة الفكر البنائي في فرنسا في الوقت الحالي فإنه هو نفسه يرفض ان يرتبط اسمه بأي مدرسة فكرية محددة ، لأن ذلك من شأنه - كما يقول - ان يفرض قيودا منهجية على فكره وكتاباته ويحد من انطلاق تفكيره وقد كان من الطبيعي ان تختلف الأراء وبخاصة في انجلترا وامريكا حول مكانته وأصالة أفكاره وأهمية اسهاماته والدور الذي يلعبه في تشكيل العقل الحديث ومعظم الاساتذة الامريكيين يقفون منه بطبيعة الحال موقف المعارضة والنقد وان كان منهم من يرتفع به الى مستوى كبار الفلاسفة من أمثال فيتجنشتاين ونيتشه فبينما نجد الاستاذ ليو برزاني استاذ اللغة الفرنسية في جامعة بركلي بكاليفورنيا يصفه بأنه « ألمع الفلاسفة المعاصرين الذين تكلموا عن القوة » نجد ان بيتر جاي استاذ التاريخ بجامعة ييل يتهمه بانه ... بأي بحث علمي بالمعنى الدقيق للكلمة ، وانما هو ... مختلف الموضوعات فينتقل من موضوع لآخر ... وراء غريزته البحتة بينما يقول كليفورد جيرتز استاذ الانثربولوجيا بجامعة برنستون « لقد اصبح ميشيل فوكو نوعا غريبا من البشر ومشكلة يستحيل فهمها أو حتى الاقتراب منها فهو مؤرخ يتنكر للتاريخ ، وهو مفكر انساني ذو نزعات غير انسانية انه مثال لما ينبغي أن يكون عليه المفكر الفرنسي في هذه الايام ، وأعني بذلك أن يكون غامضا ومراوغا » ويبرر الاستاذ هايدن هوايت هذا الحكم في مقال حديث نسبيا يصف فيه اسلوب فوكو بانه مليء بالجمل الطويلة والاعتراضية ، زاخر بالاقتباسات والتكرار والمفارقات ، وان كتاباته تراوح بين الاسلوب التحليلي والاسلوب الشعري كما تقترن فيها المصطلحات العلمية بالعبارات والأوصاف الخيالية الاسطورية ويصل الأمر بالاستاذ هوايت الى حد اتهام فوكو بانه يتعمد استخدام هذا الاسلوب كنوع من الثورة والتمرد على فكرة « الوضوح » التي ورثها الفكر الفرنسي عن ديكارت من ناحية ، وكنوع من الدفاع عن الذات من الناحية الأخرى ، لأن غموض الاسلوب وتعقده يجعلان من الصعب تلخيص آرائه ونقدها والكشف عما بها من ثغرات وتناقضات إلا أن كل هذه الانتقادات التي توجه الى فوكو لم تمنع من ان تجد كتاباته ومحاضراته ... صدى عميقا لها في أوساط المثقفين وبخاصة من الشباب في فرنسا وامريكا ، والى حد أقل في بريطانيا

ونفس الموضوعات التي يعالجها ميشيل فوكو في كتبه ومقالاته خليقة بان تجذب اليها اهتمام القراء ... غرابتها ، أو ربما بسبب غرابتها وتنوعها واسلوب معالجتها وتتراوح هذه الموضوعات من كتاب عن « الامراض العقلية وعلم النفس » الذي صدر لأول مرة عام ١٩٥٤ تحت عنوان « الامراض العقلية والشخصية » الى كتابه عن « تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي » الذي ترجم الى الانجليزية بعنوان « الجنون والحضارة » الى كتابه عن « مولد العيادة » الذي يضع له ... عنوانا فرعيا هو « اركيولوجيا النظرة الطبية » ، الى ... « الكلمات والاشياء » ويضع له عنوانا ... « اركيولوجيا العلوم الانسانية » الى ك... « اركيولوجيا المعرفة » الى كتيب آخر ...

● ميشيل فوكو

...ال » ، الى كتاب عن « التهذيب والعقاب » يصبح له ...وانا فرعيا هو « مولد السجن » ، الى مشروع لمؤلف ...حجم عن « تاريخ الحياة الجنسية » ظهر منه الكتاب الاول ...ي يعتبر بمثابة مقدمة ومدخل عام ١٩٧٦ ، ثم صدر ...كتاب الثاني في العام الماضي ، ولاتزال هناك أربعة ...لدات أخرى حتى يكتمل المشروع كله ، الى كتاب عن ...أديب الفرنسي ريمون روسل الذي مات عام ١٩٣٣

وعلى الرغم من كل ما قد يبدو في هذه العناوين من ...اوت وتباين فانها كلها تدور حول نقطة واحدة مركزية ...ي « مشكلة القوة » ففي كل هذه الكتب يعرض فوكو ...بكل أو بآخر للحرية الفردية والقهر الاجتماعي ...ظهر هذا واضحا في المقالات والمحاضرات العديدة التي ...بها أو القاها في مناسبات مختلفة ثم جمع بعضها في كتاب ...نوان « القوة ـ المعرفة » ، وهو عنوان يكشف عن وجهة ...نظره في ان المعرفة تمنح صاحبها قوة هائلة تتيح له الفرصة ...سيطرة على غيره من الناس وخليق بالباحث أن يجد في ...ياة فوكو ذاتها جذور هذا الاتجاه الفلسفي ، أي الاهتمام ...بمشكلة القوة وعنايته بدراسة الحرية الفردية والدفاع عنها ...ضد القهر الاجتماعي ، سواء أكان ذلك القهر صادرا عن ...جماعة معينة بالذات أم من المجتمع ككل أم من الدولة التي ...تتمثل سلطتها بوجه خاص في القوة الحربية من ناحية وقوة ...الشرطة من الناحية الاخرى

معالم الرحلة

ولد ميشيل فوكو في عام ١٩٢٦ في مدينة بواتييه Poitiers حيث كان أبوه يعمل طبيبا وكان المفروض ان ...رس فوكو الطب ولكنه انصرف الى علم النفس والتحق ...لك بمدرسة المعلمين العليا « الايكول نورمال سوبيريور Ecole Normale Superieure » التي تخرج منها ...دد كبير من كبار الفلاسفة والمفكرين الفرنسيين ، ...تلمذ ... على الفيلسوف الماركسي الشهير لوي التوسير ... الكتابة عنه في هذه المجلة ، كما انه تلقى ... في مستشفى سانت آن للامراض العصبية ... ومن الظاهر ان ميشيل فوكو لم يحب علم ... كما أنه كره فترة الاقامة في ذلك المستشفى ... وهو نفسه يقول في ذلك « لقد شعرت ... المرضى العقليين ولا أكاد اختلف عنهم تماما ، كما انني كنت أشعر بشيء من عدم الارتياح لمهنة الطب وهناك في تلك المستشفى بزغت في ذهني مشكلة ماهية القوة الطبية ونوع السلطة التي تضفيها هذه القوة على من يمارس الطب » وقد اشتغل فوكو بعد تخرجه بتدريس الطب النفسي في باريس قبل ان يتولى عدة مناصب تعليمية اخرى في جامعة تونس وفي جامعة أبسالا في السويد حيث تولى تدريس اللغة الفرنسية ، كما انه شغل بعض المناصب الاخرى في وارسو وهامبورج ويبدو أن خبرته في السويد وبولنده فتحت امامه آفاقا جديدة لمعرفة مقومات القوة في مختلف مظاهرها واشكالها وهو نفسه يقول في ذلك « لقد عشت في السويد بلد الحرية ، ثم عشت في بولنده وهي بلد يختلف كل الاختلاف عن السويد في هذا المجال ، وقد بينت لي هذه التجارب انه أيا ما يكون النظام القانوني فان اساليب واجهزة القوة تقهر الفرد وتتحكم في سلوكه وتوجهه توجيها معينا يستهدف تطبيع ذلك الفرد وتطويعه »

وأخيرا شغل ميشيل فوكو كرسي « تاريخ انساق الفكر » في الكوليج دي فرانس حيث يعمل الآن وكما هو الحال بالنسبة للكثير من المثقفين الفرنسيين من ابناء جيله انضم فوكو الى الحزب الشيوعي الفرنسي بعد الحرب العالمية الثانية ، ولكنه لم يستمر طويلا وترك الحزب بعد عامين اثنين فقط وكان يقول ان الماركسية اثارت في نفسه الكثير من الاهتمامات ولكنها اخفقت في اشباع هذه الاهتمامات اخفاقا شنيعا بل انه ذهب الى حد القول « ان الماركسية كانت تجتذب اليها الشباب ولكنهم كانوا يدركون بسرعة انها مجرد نوع من أحلام المراهقة التي تدور حول امكانية وجود عالم آخر أفضل من هذا العالم الذي نعيش فيه »

معالجة جديدة للتاريخ

حين ابتكر ميشيل فوكو لنفسه ذلك التخصص الجديد الذي أضفى عليه اسم « تاريخ انساق الفكر » وشغل الكرسي الذي يحمل اسم هذا التخصص في الكوليج دي فرانس عكف على معالجة « التاريخ » بأسلوب يختلف اختلافا كبيرا عن الاسلوب الذي يتبعه اغلب المؤرخين المحدثين والمعاصرين الذين ينظرون الى التاريخ على أنه عملية متصلة ، وأنه « يتدفق » باستمرار وينساب بغير توقف في مجرى معين بالذات ، ويرون ان وظيفة المؤرخ الاساسية تنحصر في تحديد ذلك التدفق وتتبع اتجاهه للتعرف على ما اذا كان يتجه نحو الحرية مثلا او نحو الرأسمالية او نحو تكوين الدولة القومية وما الى ذلك

هذا الموقف يعارضه فوكو الذي يرى ان هذا التدفق مترضه بعض « الانقطاعات » الحادة الواضحة التي تفصل المراحل التاريخية الكبرى الواحدة عن الاخرى والتي يمثل كل منها قيام عصر جديد يتولى بنفسه خلق وابتكار الاطار العقلي الخاص به والذي يعبر عن نظرته الى العالم ، وتتم هذه العملية بطريقة لاشعورية

ويطلق فوكو على ذلك الاطار كلمة « ابستيمه Episteme » وهو مصطلح مستمد من الكلمة اليونانية التي تشير الى العلم والمعرفة ، ولذا يمكن ترجمتها بعبارة « اطار المعرفة » ويحدد فوكو ثلاثة (انقطاعات) اساسية بالذات يتميز كل منها باطار معرفي متميز الأول حدث في أواسط القرن السابع عشر وأدى الى القضاء على الاتجاه الذي كان سائدا من قبل نحو ابراز وتوكيد أوجه الشبه بين مختلف الاشياء او بين « كل مخلوقات الله » حسب ما يقول أوتو فريدريش Otto Friedrich وظهور الميل الذي ساد « عصر العقل » نحو ابراز وتوكيد اوجه التفاوت والاختلاف والتفاصل بين الاشياء ، وهو ميل سيطر على تفكير القرن الثامن عشر بوجه خاص ثم حدث (القطع) الثاني العام بعد الثورة الفرنسية بقليل ، وهو يتمثل في ظهور فكرة التقدم التطوري في المجالين الاجتماعي والعلمي على السواء وتعتبر هذه الفكرة بمثابة الاطار المعرفي الذي يميز العصر الحديث ويسيطر عليه سيطرة تكاد تكون تامة ويمر العالم الآن في رأي ميشيل فوكو ، بما قد يتبلور عن ظهور (قطع) ثالث في مجرى التاريخ

ورغم كل ما كتبه حول هذه النقطة فانه لم يقدم لنا أي تحديد دقيق واضح المعالم لذلك (القطع) كما انه لم يقدم أي تفسير مقنع عن الطريقة التي تتم بها هذه التوقفات والانكسارات او الانقطاعات واسباب حدوثها وهذه أمور معقدة على اي حال يصعب الاحاطة بها في مقال واحد ونرجو ان نعود اليها بالتفصيل في مقال قادم

ولكن اذا كانت « المعرفة قوة » كما يقول ميشيل فوكو ، فانه انتهى من ذلك الى الاعتقاد بان القوة والمعرفة تتضمن احداهما الاخرى بالضرورة ، وان كلا منهما تتطلب الاخرى وتؤدي اليها . وعلى هذا الاساس ، فاذا كان كل عصر من العصور التي تكلم عنها قد افلح في تكوين وتطوير وابراز صور واشكال معرفية جديدة تعبر عن ذلك العصر ومقومات الحياة فيه ويمكن عن طريقها التعرف عليه ، فان هذا معناه في آخر الامر ان كل عصر من هذه العصور انما كان يمارس في حقيقة الامر أشكالا جديدة من القوة

وليست القوة الحربية وقوة الشرطة هما الشكـ[illegible] الوحيدان للقوة في المجتمع الانساني وان كانا ـ بغير شـ[illegible] أوضح أشكالها ، وانما هناك أشكال أخرى عديدة [illegible] الاستدلال عليها عن طريق النظر في المجتمع والحـ[illegible] فكل تراكم للمعرفة الاجتماعية ، وكل نوع من أسـ[illegible] البحث والدراسة والتنميط والتصنيف والحكم هـ[illegible] في حقيقة الامر صورة من صور ممارسة القوة بل ان فوكو يذهب الى أبعد من ذلك فيقول بأن مختلف فئات الناس الذين يؤدون ادوارا معينة بالذات في الحياة مثل الاطباء والمدرسين ورجال الدين ومن اليهم يشاركون مشاركة فعالة في ممارسة القوة ولكن الاهم من ذلك كله والاشد خطورة هو ان المواطن في المجتمع الحديث يتم تدريبه واعداده لكي يمارس قوة الدولة على غيره من المواطنين مثلما يمارسها على نفسه هو ايضا وكما يقول في كتابه (التهذيب والطاعة) فان الطاغية الغبي قد يضطهد العبيد ويقهرهم مستخدما في ذلك السلاسل الحديدية ، ولكن السياسي الحقيقي الماهر يستطيع ان يقيدهم بسلاسل أقوى من سلاسل الحديد عن طريق افكارهم هم انفسهم ، وهو قيد يستمد قوته من اننا لا نعرف المادة التي صنع منها »

ويعلق اوتو فريدريش على ذلك بقوله « ان هذا القيد المؤلف من الافكار ومن ذلك التراكم الضخم من الاختبارات والفحوص والتعاريف والقواعد والقوانين ذلك السجن العقلي او الفكري ، ليس في آخر الامر سوى الانسان نفسه » وليس من شك في ان هذه الافكار السوداء المظلمة التي تتردد في كتابات ميشيل فوكو عن قوة القهر الاجتماعي وضياع الحرية الفردية تبعث الى حد ما على الاقل في ذهنه نتيجة للمعاناة الطويلة التي مر بها في شبابه اثناء خضوع فرنسا للحكم النازي

وعلى اية حال فان شغل ميشيل فوكو لكرسي تاريخ انساق الفكر في الكوليج دي فرانس كان يملي عليه ان تكون نظرته للتاريخ نظرة أعم وأشمل من نظرة المؤرخ العادي الذي يهتم بتسجيل وتتبع الاحداث الفردية في فترة زمنية معينة أو في مجتمع معين بالذات ، ولذا جاءت كتابات فوكو على درجة عالية من التجريد والشمول في الوقت ذاته ولكن هذا لا يعني أبدا انه لم يكن يهتم بالاحداث والوقائع الجزئية بل الامر على العكس من ذلك تماما كما يتضح من كتبه الرئيسية مثل كتاب (اركيولوجيا المعرفة) وان كان هذا لا يظهر بنفس الدرجة في مقالاته واحاديثه ومقابلاته الصحفية الا ان فوكو يتناول هذه الاحداث والوقائع بطريقة متميزة تكشف عن أصالة [illegible] ونوعية عقليته التحليلية التي يستطيع بها ان [illegible] الوقائع الماضية بطريقة تساعد على القاء كثير [illegible] الاضواء

معاصر

لقد نجح فوكو بهذه الطريقة في أن يثير الاهتمام بأمور كـ ـ تبدو عادية جدا ومقبولة من الجميع ولا تحتاج الى ـسة او فحص او تساؤل او تفسير وتأويل. ففي احدى المقابلات التلفزيونية اعمى فوكو حديثه بملاحظة فريدة قلما تصدر ـ حسب قول الاستاذ ايان هاكنج الذي يروي القصة ـ من غير فوكو من الكتاب والمفكرين ، وذلك حينما سئل فجأة وعلى غير توقع منه اذا ما كان يعرف متى بدأ الناس يستخدمون (الزجاجة) في ارضاع اطفالهم ، او على الاقل متى دخلت هذه الطريقة الى فرنسا ؟ واعترف فوكو بعدم المعرفة ، ولكنه ابدى سروره واغتباطه لاثارة هذا التساؤل وانه سيكون سعيدا اذا وجد من يقدم له الجواب ، ثم أنحى على نفسه باللوم الشديد لأنه لم يخطر على باله ان يسأل نفسه مثل هذا السؤال ، وهذا المثال كفيل بان يبين لنا جانبا من الامور والمسائل التي كثيرا ما تجذب اليها انتباه فوكو وتثير اهتمامه ، وهي أمور لا يشغل المؤرخ التقليدي بها نفسه في العادة

وثائق فريدة

والواقع ان ابحاث فوكو التاريخية ادت به الى اكتشاف عدد هائل من الوثائق التي ينشرها من حين لآخر في مجلدات منفصلة ، لكي تعزز من آرائه النظرية وتؤكدها ، اي ان هذه الوثائق تعتبر بمثابة أدلة وبيانات وشهادات حية على الآراء النظرية. من ذلك مثلا انه في اثناء بحوثه في الجريمة عثر على احدى الوثائق التي كتبها شخص يدعى بيير رميير يعترف فيها بانه قتل امه واخته واخاه. ووجد فوكو ان الطريقة التي تم بها تسجيل الاعتراف تحتاج الى تحليل للتعرف على الدوافع الخفية التي دفعت المجرم الى ارتكاب جريمته. ونشر الوثيقة في كتاب يحمل « كعنوان له » نص الجملة التي افتتح بها المجرم اعترافه وهي (أنا بيير ريمير أمر واعترف بأنني قتلت امي واختي وأخي) ، ثم تولى مجموعة من زملائه تحليل النص والتعليق عليه. كذلك أدت دراساته عن الحياة الجنسية الى العثور على وثيقة اخرى ظهرت بعنوان « ايركولين باربان وهي عبارة عن مذكرات اكتشفت حديثا بقلم خنثى فرنسية في القرن التاسع عشر » ، وكتب لها مقدمة بدأها بعبارة تكشف عن نوع ـ ـه حيث يقول « هل نحن في حاجة حقيقية حياة ـ ـه حقيقية ؟» أما آخر اكتشافاته في هذا المجال والتي ـ منذ فترة قصيرة في شكل كتاب فهي عبارة عن عـ ـس « الحالات » التي ترجع الى القرن الثامن عشر ، ـر كلها حول عدد من الاشخاص يناشدون السلطـ ـاريسية ان تعتقل زوجاتهم واولادهم وسود ـجن لاسباب عديدة وردت في طلباتهم وعرائضهم. ويقول فوكو في ذلك « ان هذه المجموعة من الحالات تمثل احد مظاهر الصراع في العائلة وتكشف عن علاقة العائلة بالقوة او السلطة »

وهذا كله يوضح لنا لماذا كان المؤرخون الفرنسيون المعاصرون يوجهون اللوم لميشيل فوكو ويتهمونه بان دراساته وافكاره هي افكار شخصية ومجرد انطباعات لا ترقى الى مستوى العلم بالمعنى الدقيق للكلمة. ولكن فوكو لا يهتم بمثل هذه الاعتراضات ويرد عليها بأنه ليس من الصعب أبدا أن يكون الانسان مؤرخا بالمعنى السائد لهذه الكلمة ، كما يعترف بأن نوع التساؤلات التي يثيرها والمشاكل التي يهتم بها تتطلب نوعا معينا من العقلية التي يصفها هو نفسه بانها (عقلية ملتوية) مثل عقليته « حتى تستطيع ان تتنبه الى مثل هذه الامور والمشكلات (الملتوية) ، وان علماء التاريخ لا يدخلون في الاغلب ضمن هذه الزمرة من الرجال. وليس معنى هذا ان فوكو كان يصل دائما الى حلول نهائية للمشكلات التي يعرض لها ، فالذي كان يعنيه في المحل الاول هو تحليل هذه الوقائع والاحداث وابرازها للقارىء وتبيين الدوافع الخفية التي تكمن وراءها واثارة الجدل والنقاش حولها

واذا كانت آراء فوكو تبدو في كثير من الاحيان متناقضة وناقصة فان ذلك يرجع الى حد كبير الى أنها لا تزال حتى الآن تدور في ذهنه باستمرار. والمهم هو أنه يعالج بكل شجاعة كثيرا من المسائل والمشكلات التي لم تطرأ على بال غيره أو التي يتجنب غيره الحديث فيها. وهذا هو السبب في اختلاف الآراء حوله وفي صعوبة اصدار حكم نهائي حول اسهاماته الفكرية ، خاصة وأنه لا يزال في الخمسينات من عمره كما انه خصب الانتاج ولا يزال يكتب بشكل مطرد ومستمر. ومن الطريف أن نذكر أن أنتوني ستور الذي قال عنه عبارته المشهورة « لا يمكن لأي بلد غير فرنسا أن تنجب مفكرا من طراز ميشيل فوكو » يعتقد انه سوف ينتهي في آخر الأمر الى ما انتهى اليه زميل له من قبل من أتباع المدرسة البنائية الفرنسية وهو جاك لاكان الذي بدأ الاهتمام بكتاباته ينحسر بسرعة بعد مماته ولكننا من الناحية الاخرى نجد كاتبا ناقدا مثل الان شريدان يقول في كتاب له ظهر منذ عام تقريبا عن ميشيل فوكو « قد يكون من الصعب العثور على مفكر له من التأثير على الربع الاخير من هذا القرن مثل ما كان لنيتشه على الربع الاول منه ، ولكن انجازات فوكو حتى الآن تؤهله أكثر من غيره من المفكرين لشغل هذه المكانة »

واعتقد أن حكم الان شريدان لا يخلو من الصواب ! ■■

د . أحمد أبو زيد

النفط ينزل عن عرشه

بقلم محمود المراغي

شهد النفط فترة ذهبية تراجعت فيها مصادر الطاقة الاخرى ، وتربع النفط على عرش المواد المولدة للطاقة في العالم في الوقت ذاته شهد الشرق الاوسط اعتمادا متزايدا عليه في ذات المجال حيث احتفظ لفترة طويلة بثلثي احتياجات العالم من هذه المادة النادرة ، ويبدو أن الأمرين في تراجع سينزل النفط من على عرشه وستتراجع الاهمية النسبية لبلدان الشرق الاوسط

يقول رقم من السوق الاوربية المشتركة ـ وهي من أكبر المستهلكين وأكبر المستوردين ـ ان استهلاك دول السوق من النفط سيصل الى (٤٨٣) مليون طن عام ١٩٩٠ في مقابل (٥٢٠) مليونا عام ١٩٨٠ وتقول الارقام التي اذيعت عقب اجتماع لوزراء الطاقة في السوق خلال يوليو الماضي ان نصيب النفط من مجموع ما تستهلكه دول السوق سوف يتراجع حينئذ الى ٤٢٪ فقط من الطاقة المستخدمة

وتفسير الرقم ليس عسيرا فمع ارتفاع الاسعار واتخاذ اجراءات لترشيد الاستهلاك وتباطؤ معدلات النمو في اوروبا الغربية ، وتشجيع انتاج وتنمية مصادر اخرى للطاقة سواء كانت مصادر تقليدية كالفحم أو غير تقليدية كالطاقة النووية كل ذلك كان من شأنه أن يقلل الاعتماد على النفط

وليس ذلك في اوروبا الغربية وحدها ولكن في العالم بشكل عام لقد شهدت الحقبة الماضية تزايدا في الطلب على النفط في بعض السنوات ولكن ما ان حلت نهاية العقد حتى توازن المعروض مع المطلوب ثم تحول الامر في بداية الثمانينات الى فائض تحاول دول الاوبك التقليل منه ووفقا لارقام البنك الدولي فقد كانت هناك زيادة مستمرة في الطاقة بالعالم وكان هناك نصيب دائم للنفط ، لكن ذلك النصيب كان يتراجع باستمرار حتى قبل زيادة الاسعار عام ١٩٧٣

لقد كانت نسبة مساهمة النفط في الزيادة السنوية للطاقة (٦١,٧٪) من اجمالي الزيادة في الستينات هبط الرقم الى (٤١,٤٪) في السبعينات ثم هبط الى (٢٤,٨٪) في الثمانينات الاهم من ذلك ان التوقعات تتفق على أن هذه المساهمة ستصبح ضئيلة للغاية في التسعينات بحيث انها لن تتجاوز (٥,٢٪) من الزيادة العامة في مجال الطاقة في مقابل (٣٨,٧٪) للفحم و (٢٣,٢٪) للغاز الطبيعي و (٦ ٢٠ للكهرباء نووية وغير نووية

وتؤكد دراسات السوق المشتركة التوقعات ذاتها في مجال واحد هو الكهرباء المتولدة من الطاقة النووية

● سوف تنتج فرنسا عام ١٩٩٠ ما يعادل مليون من النفط

وف تنتج المانيا العربية ما يعادل (٣٧) مليون طن
وف تنتج بريطانيا ما يساوي (١١) مليون طن

كذا سقطت المحاذير التي حالت فترة من الزمان
لاعتماد على الطاقة النووية مل ـ وهذا ما تشير اليه
ـ عاد الاعتماد متزايدا على مصدر تقليدي
واستمرت الدول النامية في الاعتماد على
عير تجارية للطاقة ، وترتبط بالبيئة في الاساس مثل
ت التي تستخدم مباشرة كمادة للوقود وقد كان
مقدار كبير يمثل ربع ما استخدمته من طاقة عام
ووفقا لتقديرات البنك الدولي فان اتجاه الدول
تصنيع والتقدم لن يقلب في الامد المنظور موازين
العالمية في الطاقة فبينما كان مجموع استخدامات
منطقة من العالم ١٤٪ من الطاقة التجارية عام
فان النسبة لن تتجاوز (١٨٪) عام ١٩٩٠

ستقبل اذن للـ شد في مجال الطاقة وعندما نتحدث
ستخدام الم المختلفة فالمستقبل الاوسع لمصادر
غير النفط والاعتماد الاكبر بالتالي لن يكون
ق الشر اوسط كاكبر منتج ، وأكبر

سوف تراجع الصورة الراهنة

وسوف يتحقق بدرجات متفاوته لدى الدول الصناعية ما يسمى الاستقلال في مجال الطاقة

لقد رفعت الولايات المتحدة الامريكية وهي من أكبر المتجين الشعار في السبعينات ، وكانت تقصد عدم اعتمادها على استيراد النفط

ورفعت اوروبا الغربية نفس الشعار من خلال اجراءات عملية مثل ترشيد الاستخدامات وتوزيع مصادر الطاقة ، ومصادر الشراء

وفي المجال الأخير تأتي صفقة العصر المتمثلة في غاز سيبريا ومشروع الانابيب الضخم الذي سيغذي اوروبا الغربية

وبصرف النظر عن تحذير امريكي من خطر سوفيتي يلتهم مناطق النفط وخطوة سوفيتية مقابلة لتزويد الغرب بالطاقة بعقود طويلة حتى نهاية القرن بصرف النظر عن ذلك فان الاكثر دلالة هو الصراع الاميركي ـ الاوروبي في مجال الطاقة

الاوربيون يطلبون الاستقلال والخروج من دائرة الهيمنة الامريكية التي تفرضها اوضاع النفط ، والامريكيون يريدون الاستمرار في ذات السياسة مظلة امريكية فوق اوروبا وتحالف ترعمه ، وقوات انتشار وسياسات متعددة تجر لها الحلفاء تحت اسم التزويد بمادة الحياة النفط الصراع قائم وسلاح الاوربيين ـ كما قلنا ـ هو تنويع في مصادر الطاقة ، ومصادر شرائها أما سلاح الامريكيين فهو الحصار حتى على الحلفاء ، يؤكد ذلك قرار معاقبة الشركات التي تمول أو تساهم في خط الانابيب السوفيتي ـ الاوروبي !!

العروض التي طرحاها اذن صحيحة النفط الى تراجع والشرق الاوسط نفطيا الى اهمية أقل والصراع يدور حول سؤال يقول وما البديل في الحالين ؟ ■ ■

الربـ.ـبة ظلت كالآثار اليمـ
مطمورة تحت تراب النسيـ

قراءة في فكر الزيدية

بقلم الدكتور : عبد العزيز المقالح

هذا مذهب يستحق أن نقرأ تعاليمه جيدا ، فهو يظل واحدا من أهم التيارات العلمية في الفكر الاسلامي ، وان ظل مجهولا لدى الكثيرين في المشرق والمغرب

كان القرن الأول من الهجرة أخطر وأهم القرون في تاريخ العرب والمسلمين في النصف الأول منه توطدت العقيدة وتكون الانسان العربي فكريا وخرج من جزيرته الصحراوية القاحلة ليهز العالم القديم وليتسلم قيادة البشرية لعدة قرون بعد أن هزه وشكله التغيير الجديد وفي النصف الثاني من القرن نفسه تبلورت صيغ مختلفة لفهم العقيدة الاسلامية

كان النصف الأول من القرن قد خلخل بالاسلام كثيرا من قيم العصر الجاهلي وقضى أوكاد على كثير من العادات والتقاليد التي كانت تتحكم في مشاعر الفرد والجماعة وتمكن ـ في وقت قصير ـ من أن يحول ولاء الفرد من القبيلة الى العقيدة ، ومن الولاء للذات الخاصة نحو الذات الكل ـ اذا جاز التعبير

وكان من الطبيعي بعد ذلك أن يبدأ انسان الولاء الجديد في الاتجاه نحو تكوين الدولة على أسس اقتصادية واجتماعية جديدة وأن يدخل في جدل عميق مع الأديان الأخرى ومع الأفكار والطـ... والثقافات الهندية والفارسية وغيرها

وجاء النصف الثاني ليفيد من هذا التحو... ولكي يضع المقدمات الأولى في كتب المذاهب الد... والفكرية والكلامية ، وفي النصف الثاني من القر... الأول تكونت الفرق الاسلامية ومنها الزيدية و... خرجت هي والشيعة من بيت واحد واتخذ كل منه... طريقا خاصا ، وكان لكل منها تلاميذ وأتباع

الملامح الأولى

كان الشقيقان محمد الباقر وزيد ابنا علي ... الحسين بن علي بن أبي طالب قد نشأ كلاهما في ... مسكون بهموم العلم والثورة والخروج على ... الظالمين كان العلم في هذا البيـ... طريقـ... الثورة ، وكانت الثورة طريقا الى ... ومقاومة الفساد ومحاربة المستبدين والطغاة من الحكام ...

رصد ... نشأة الأسس الأولى لفرقتين من أهم الفرق ... الاسلامية هما الزيدية والامامية .

وكان زيد أصغر سنا من أخيه محمد الباقر ، وكان الأخ الأكبر قد صاغ لنفسه ولمريديه مذهبا جعل التشيع فيه لجده الامام علي بن أبي طالب (ع) ضربا من القداسة وجزءا من العقيدة الاسلامية

وقد أخذ زيد عن أخيه جانبا من أصول الدين وقدرا من أفكاره الشيعية ، ثم اتصل بزميله وأستاذه واصل بن عطاء وأخذ عنه علم الكلام بالصورة التي صارت فيما بعد اعتزالا ، كما التقى بعد ذلك بزميل آخر هو أبو حنيفة النعمان ، وأخذ عنه ودرس معه الفقه الاسلامي ، ومن اللقاء بهؤلاء الثلاثة الأفذاذ في تاريخ الفكر الاسلامي تكونت الملامح الاولى للزيدية . الملمح الشيعي عن طريق محمد الباقر ـ والملمح الاعتزالي عن طريق واصل بن عطاء ـ والملمح السني عن طريق أبي حنيفة

ولعل هذه النشأة المشتركة تفسر العلاقة القائمة بين الزيدية والشيعة ، والعلاقة الوثيقة بين الزيدية والمعتزلة ، وتفسر كذلك المقولة التي ترى أن الزيدية معتزلة في الأصول وأحناف في الفقه أو الفروع

وقد لعبت السياسة دورا غير عادي في ابراز هذه الملامح المشتركة أو في اخفائها كما تحولت هذه الملامح داخل الفكر الزيدي الى تيارات تتصارع حينا وتتعايش حينا وربما جاء ذلك الانتصار الشيعي ردا على انتصار آخر حققه التيار المعتزلي في القرنين السابع والثامن الهجري والذي تمثل في كتابات الامام يحيى بن حمزة المفكر الجليل ، والحاكم المعتزلي الذي رأى ان حرب الباطنية (الاسماعيلية) وغيرهم من المنافسين لا يتم عن طريق الحرب والقتل وانما بالفكر وبالمنطق وبالانتصار للعقل وبالحوار المفتوح ، وهو الذي وصفه الشوكاني بأنه (من أكابر الزيدية في الديار اليمنية ، وله ميل الى الانصاف مع طهارة لسانه وسلامة صدره ، وعدم اقدامه على التكفير والتفسيق بالتأويل ، ومبالغة في حمل الناس على السلامة على وجه حسن ، كثير الذب عن الصحابة وكان من الأئمة العادلين الزاهدين عن الظواهر في الدنيا المتقللين منها ●) .

تراث مطمور

ولعل مشكلة من يحاول الكتابة عن الزيدية ليست في قلة المعلومات أو في غموض هذه المعلومات وتشتتها كما هو الأمر مع بقية الفرق والمذاهب الاسلامية الأخرى . ولكن المشكلة تأتي من تعدد هذه المصادر ـ ومن اتساع مجال الفكر الزيدي اتساعا يصعب معه رصد معالم محددة ، وهذه الصعوبة تضع الدارس في حيرة من أين يبدأ ؟ وكيف ؟ وما الذي يهم القارىء المتخصص أن يعرفه ، أو الذي يهم القارىء العادي أن يعرفه ، وكل شيء في الزيدية يهم كل قارىء ومن هنا فان الحديث عن الزيدية وعن تطور الفكر الزيدي لا سيما في دراسة قصيرة مشكل صعب الحل فتعدد المصادر واتساع مجال الفكر لا يساعد الكاتب لكنه يضعه أمام امتحان عسير في القدرة على حسن الاختيار وتوخي الدقة ، وتمحيص الحقائق لكي يقدم خلاصة وافية أو قريبة من الوفاء

والزيدية ليست كما يزعم بعض الدارسين المعاصرين مذهبا لأقلية اسلامية انعزلت في جبال اليمن وأحاطت نفسها بالأسوار والألغاز ، وقد يكون هذا الانطباع غير الصحيح تكون من خلال الأوضاع الأخيرة لليمن في فترة حكم آل حميد الدين ، الذين عزلوا اليمن عن العالم ، وعزلوا الزيدية عن الناس . وعزلوا أنفسهم عن الزيدية ، وصاروا ملوكا يقطعون الرقاب دفاعا عن كيانهم لا عن كيان الاسلام ويملأون السجون حفاظا على حكمهم لا حفاظا على الفكر الاسلامي ، وقد يكون ذلك الانطباع غير الصحيح أيضا ناشئا عن المقارنة الخاطئة بين الزيدية وبين الفرق الاسلامية الصغيرة تلك التي انعزلت في بعض المدن أو في بعض الأقاليم الاسلامية محتفظة بأسرار مذاهبها قاصرة تعاليمها على معتنقيها كما هو الأمر مثلا مع بقايا الطائفة الاسماعيلية في اليمن أو بقايا الخوارج في عمان .

● ... البدر الطالع ـ ص ٣٣٢

ان نظرة سريعة الى فكر الزيدية الممتد من ... الأول الى القرن الثاني عشر الهجري ، وما طرا من اضافات وحذف ، ومن اقتصار ومراجعة ، يهمل منه ـ شئنا ذلك أم أبينا ـ واحدا من أهم التيارات العلمية والعملية في الفكر الاسلامي ، ولا يمكن ـ وفقا لذلك ـ فهم السياق الفكري العام للاسلام ما لم توضع الزيدية في مكانها الصحيح من مناهج البحث الاسلامي الحديث

لقد لقيت معظم المذاهب والفرق الاسلامية اهتماما معاصرا بدأ مع ظهور العصر الحديث ، ونال المعتزلة والشيعة والخوارج قدرا كبيرا من هذا الاهتمام ، وشارك بعض الأجانب في التعريف بها ، الا أن الزيدية ظلت كالآثار اليمنية مطمورة تحت تراب النسيان ، وعلينا ونحن نوجه أبصارنا نحو هذا الفكر أن نشعر أن زمن الخصام والتقاطع بين المذاهب والفرق قد انتهى أو كاد ، وأن تراث كل فرقة اسلامية لم يعد ملكا لأفرادها لأنه قد أصبح تراثنا الفكري المشترك ، تراث الاسلام الذي نسج خيوطه بنور العقل والوجدان ، وتراث اللغة التي صاغته بحبر الاعجاب والعاطفة

ولأن الفكر الزيدي قد تكون ـ كما سلفت الاشارة ـ من انفتاحه الجاد على الأفكار التي واكبت تطوره ـ فقد أصبح ملتقى للتصارع فيما بين هذه الافكار عقائديا وسياسيا ، فقد ترك كل فكر منها أثره في محتوى هذا الفكر ، فاللقاء الذي تم بينه وبين المعتزلة قد جعله في فترة من الفترات يأخذ كل أصولهم ، ومنها في عصر زيد الأصول التالية . ١ ـ التوحيد والتنزيه ٢ ـ الارادة ، قدرة الانسان على أفعاله وخلقها . ٣ ـ المنزلة بين المنزلتين

وفي عصر القاسم بن محمد الرسي (أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث الهجري) زاد التشابه بين الزيدية والمعتزلة واقتربت الأصول وتساوت في العدد فقد أكمل أبو الهذيل العلاف أصول المعتزلة إلى خمسة باضافة فصلين آخرين حيث أصبحت الأصول خمسة هي : ١ ـ العدل ٢ ـ التوحيد ٣ـ الوعد والوعيد ٤ ـ المنزلة بين المنزلتين ٥ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وفي الوقت ذاته أكمل القاسم الر... أصول الزيدية الى خمسة ، مضيفا الى الأصول الثلاثة التي تركها زيد أصلين آخرين أحدهما يتعلق بالقرآن الكريم والآخر بالأحكام وقد صاغهما على النحو التالي :

١ ـ أن القرآن المجيد فصل محكم وصراط مستقيم لا خلاف فيه ولا اختلاف ، وان سنة رسول الله ... كان لها ذكر في القرآن ومعنى

٢ ـ ان التقلب بالأموال والتجارات والمكاسب في وقت ما تعطل فيه الأحكام وينتهب ما جعل ... للأرامل والأيتام والمكافين والرمي وسائر الصعفاء ليس من الحل والاطلاق كمثله في وقت ولاء العدل والاحسان والقائمين بحدود الرحمن

وتجيء الخطوة الثالثة وليست الأخيرة في تشد أواصر العلاقة بين الزيدية والاعتزال على يد الامام الهادي يحيى بن الحسين الذي يقترب من المعتزلة بمقدار اقترابه من الشيعة فهو يجعل الأصول خمسة كالمعتزلة تماما مع الغاء أحد أصولهم وهو « المنزلة بين المنزلتين » وابداله بأصل آخر يقول باثبات الامامة في آل البيت ، وبذلك تصبح الأصول الخمسة عند الزيدية هي كما يلي ١ ـ التوحيد ٢ ـ العدل ٣ـ الوعد والوعيد ٤ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٥ ـ اثبات الامامة في آل البيت

ينكرون التقية والعصمة

واذا كان الاقتراب أو بالأصح اللقاء بين الزيدية والمعتزلة قد وصل الى هذا الحد فينبغي أن لا نتصور أن الاقتراب من الشيعة بالرغم من النص الخامس في أصول الزيدية قد وصل بالعلاقة بينهما الى درجة العلاقة القائمةمع المعتزلة ، صحيح أن الزيدية تكاد تكون فرقة من فرق الشيعة لكنها مع ذلك تنفرد عن فرق الشيعة عن التشيع فقد وقفت الزيدية موقفا وسطا ، ولم تقل بكفر الصحابة الذين خالفوا عليا أو قدموا عليه الثلاثة والفكر الزيدي يرى ...

.ص على امامته استدلالية ، وقد يخفى المراد
. من الناس ، ويلتبس الحال فيه ، والواجب
. ذلك هو التنبيه على مواضع الاستدلال بها
. ظهار النكير ، والمقدم على خلافها غير مرتكب
.يرة ، ولا مواقع لما علمه منكرا ، بل يجوز أن
.س عليه الأمر فيظن أنه مصيب فيما أقدم عليه ،
لحال فيه كالحالين فيمن خالف في آيات الوعيد ، أو
. أنكر كون القياس حجة شرعية ، وما جرى
.ى ذلك مما تتطرف اليه الأشياء*) .

واذا كان ذلك تقريبا هو موقف الزيدية من خلافة
.مام علي ، فان موقفهم من خلافة ذريته بالرغم من
.ص الثابت في الأصول الخمسة كما يراها الهادي قد
.اوتت واختلفت اختلافا بينا ، فالنص المذكور لم
. ملزما لأن زيدا وهو مؤسس الزيدية لم ينص عليه
.أن حفيده القاسم الرسي لم ينص هو الآخر على
.يه من ذلك ، لهذا فقد تراوحت المواقف من أمر
.لافة آل البيت بين الأمر والانكار وبين اللاقرار
.للانكار ، ولعل موقف الغالبية العظمى من
.يدية يشابه الى حد كبير موقف المعتزلة القائم على
.كار الحق الالهي لأحد من البشر مهما كان نسبه أو
.سبه وانكار العصمة والحلولية ، والى هذا الموقف
.حع الخلاف بين الشقيقين محمد الباقر وزيد بن
.لي ، لا الى ما يذهب اليه بعض الرواة من أن
.لاف بين الشقيقين يرجع الى قبول زيد بأخذ العلم
. واصل بن عطاء الذي يخطىء جده

وقد قام فكر زيد علي مجموعة من النظريات
.ـارض وتناقض فكر شقيقه الأكبر فهو ينكر
.قية ، وهو ينكر العصمة والعلم اللدني ، وهما من
.س المذهب الشيعي ، وهو ينكر المهدية والرجعة
.رى ان كل فاطمي عالم عدل سخي شجاع خرج
.عيا الى نفسه فهو امام وهو مهدي ، ومن ثم لا
.تصر مهدية على شخص معين . وقد تحولت
.زيد. لحاكمة في العصور الأخيرة الى زيدية
.ارض. ساقضة تماما لزيدية زيد بل ولزيدية كل
.يدي مختلف عصور التاريخ الاسلامي

الزيدية والأحناف

كانت تلك باختصار نبذة عن الزيدية وعن العلاقة بين فكرها وفكر المعتزلة والشيعة لكن ماذا عن علاقة فكر الزيدية بالأحناف ؟ لقد أشرنا فيما سبق الى أن هناك مقولة تاريخية معروفة تلخص بموضوعية العلاقة بين الفكرين وهي التي تقول (ان *الزيدية معتزلة في الاصول واحناف في الفروع*) ونحن هنا لن نزيد الى ذلك التلخيص الدقيق شيئا كثيرا أو قليلا لأن الفروع أو الأحكام الفقهية معروفة واشتراك الفكرين أو المذهبين في الأخذ بها كتشريعات يومية ومع ذلك فلا بد من الاشارة هنا الى أن فقهاء الزيدية والمستنيرين منهم على وجه الخصوص لم يقفوا في الفروع والأحكام العامة عند الأحناف وحدهم بل لقد انفتحوا على بقية المذاهب الاسلامية دون تعصب أو تحرج ، وقد عالجوا كثيرا من المسائل اقتداء بما ذهب اليه صاحب هذا المذهب أو ذاك من أئمة المسلمين ومن يقرأ أمهات الكتب الزيدية كشرح الأزهار والبحر الزخار وضوء النهار يدرك أنها تورد مختلف الآراء في سماحة وموضوعية

وليس التفتح الفكري واحترام العقل والبراءة من التعصب هي المميزات الأساسية في فكر الزيدية غير الحاكمة وحسب وانما هناك مميزات أخرى لعل في مقدمتها رفض التقليد وانتقاص المقلدين والازراء بكل عالم لا يضيف جديدا أو يجتهد في الفكر ، ومنها الحض الدائم على ضرورة الخروج على الظالمين ، ولعل الخروج وهو الأساس أو المحور الأساسي في هذا الفكر كما وضعه مؤسسه الأول زيد بن علي موضع التنفيذ ، لعله المسؤول عن النهاية التي وصل اليها زيد فقد ذهب ضحية ايمانه بذلك المبدأ واصراره على الخروج ضد هشام بن عبد الملك لما ارتكبه الأخير في حق الرعية وفي حق الاسلام وقد نقل الحاكم الجشمي في كتابه (تنبيه الغافلين) ان الشقيق الأكبر لزيد رغم خلافه معهم حزن حزنا كبيرا على قرار زيد الخروج على هشام وعلى رفضه لمبدأ (التقيه)

.ـ صاحب مجموع المحيط نقلا عن (المعتزلة وأصول الحكم) د محمد عمارة ص ٨٣

وقال: ان أخي زيدا خارج وانه مقتول وهو على الحق، وويل لمن خذله وويل لمن حاربه والويل لمن قتله. وقال جعفر الجعفي: فلما سمعت ذلك قلت لزيد سمعت أخاك يقول كذا وكذا، فقال زيد أيسعني أن أسكت وقد تحولوا عن كتاب الله الى الجبروت والطاغوت، اني شهدت في مجلس هشام بن عبد الملك، رجلا يسب رسول الله، فقلت للساب: ويحك يا كافر أما إني لو تمكنت منك لأزهقت روحك، فقال هشام: مه عن جليسنا يا زيد. فوالله لو لم يكن الا أنا وابني يحيى لخرجت عليه وجاهدته حتى أفنى. ولقد قال زيد أيضا: والله اني لأستحي أن ألقى رسول الله، ولم آمر بالمعروف ولم أنه عن منكر).

وفي هذا القول ثم في خروج زيد واستشهاده جوهر القضية السياسية في الفكر الزيدي، وهو الجوهر الذي احتمى عن هذا الفكر بعد أن تحول الى مذهب سلطوي يلغي حق الخروج حماية للحكام الظالمين، وفي الأدبيات القديمة للفكر الزيدي ان الامام اذا تميز عن المحكومين بأثواب فخمة وجب الخروج عليه وأصبحت الثورة لابعاده عن حكم الناس واجبة حتى لا يتمادى في أطماعه، ويقود الناس الى الهلاك. وقد لعب مبدأ الخروج في اليمن أهم الأدوار في قيادة الثورات ضد الأئمة وان كان في فترات الانحطاط قد استخدم بحثا عن السلطة واستئثارا بها لا دفاعا عن المظلومين ووقوفا في وجه الطاغوت.

ولم يقف مبدأ الخروج عند مقاومة السلطة الجائرة وانما انتقل الى مجال الفكر الزيدي نفسه، فقد خرج عليه وتمرد على أحكامه الثابتة عدد غير قليل من المفكرين سواء كان تمردهم الى اليسار أو نحو اليمين، وكان هذا التمرد مقبولا في عصور ومرفوضا في عصور أخرى وقد شكل فكر هؤلاء الخارجين صور الملمح أو التيار السني في الفكر الزيدي، وبرزت أهميتهم من خلال مواقفهم العظيمة من مقاومة بذور التعصب، ومن فضح أساليب استغلال العامة باسم الدين، تلك السنة السمحة التي تحترم الحقيقة سواء جاء من قريب أو بعيد من صديق أو بغيض.

وهي كما نرى عودة الى الينابيع الأولى لفكر الزيدية الذي واكب نشوء الفكر المعتزلي، [illegible] المفكران معا ظاهرة جديدة تتحدى مقولات الفرق الاسلامية الأخرى القائمة على التكفير والتفسيق واتهام المخالفين في الرأي بالالحاد أو الزندقة أو ما شابه ذلك. وقبل أن يصل هذا البحث [illegible] تجدر الاشارة الى العلاقة الوطيدة القائمة [illegible] الزيدي والواقع ولعلها من أهم الملامح في [illegible] وأكثرها وضوحا فقد ارتبطت الزيدية منذ مؤسسها الأول بالواقع الموضوعي وبالظروف المادية [illegible].

واذا كانت الزيدية ـ في بداية التكوين ـ قد افادت من المعتزلة فقد ظلت كذلك الى وقت متأخر من القرون الوسيطة، وكما تضاءل دور المعتزلة في عصور الانحطاط ولجأت بعض معارفهم الى جبال اليمن فقد تضاءل دور الزيدية وخبا بريقها العلمي ووصلت الى درجة من الثبوت والتجمد ثم الانطفاء وحين بدأ العصر الحديث كانت قد أصبحت ركاما من الكتب المخطوطة، ومجموعة من الأحكام والمعارف العملية التي تصنع حكام الشريعة وبعض موظفي الدولة، والغريب انه منذ القرن الثاني عشر الهجري لم تقدم الزيدية كتابا واحدا يضاف الى تراثها الجليل ولا عالما واحدا يضاف الى قائمة العلماء العظام.

وبعد لقد حاولت في هذا البحث ودون أن أدخل في تفاصيل عديدة أن أقدم خطوطا عريضة وربما خطا عريضا واحدا لتطور فكر الزيدية وعلاقته بالأفكار والمذاهب الأخرى. ولم أعرض سواء بالايجاز أو التفصيل لأية وجهة نظر من وجهات النظر المخالفة للفكر الزيدي أو المناوئة له، لأن الغرض من البحث هو التعريف في حدود الامكان بالزيدية كمذهب [illegible] وكتيار من تيارات الفكر الاسلامي [illegible] الاصاغي والابداعي الجاد ■■

د. عبد العزيز المقالح

جامعة صنعاء [illegible]

النجوم أيضاً تموت وتنتحر

بقلم : الدكتور عبد المحسن صالح

هب أنك أمسكت بجمل ، وسلطت عليه ضغطا
جبارا يساوي ثقل جبل ، تريد بذلك ان تسحقه
ليصير في حجم حبة خردل ، عندئذ لن تستطيع
ذلك ، حتى ولو استعنت بثقل جبال الأرض كلها ،
لأن أثقالها وضغوطها غير كافية لدك مادة الجمل
وجعلها في حجم حبة الخردل !

قد يبدو هذا الكلام تعبير ذي معنى ولاطعم ، أو
هو خيال غريب لم يسمع به حتى في أساطير الأولين ،
لكن الأسطورة قد تحققت ، ليس على الأرض ، بل
في السماء

وهنا ... السماء جمال ، حتى يكون هناك معنى لما
نعني ...

ليس ... أن تكون هناك جمال ، بل هناك نجوم
ماتت ... ت وودعت حياتها من زمن ، ولو
تصور ... طنا عليها الجمل ، لدكت عظمه في

شحمه ولحمه ليصبح في حجم حبة من خردل ، أو
ربما أصأل !

علينا الآن أن نحول هذه الألغاز الأسطورية ، الى
صور حقيقية ، توضح مايطوي عليه الكون من
أحداث غريبة غابت عن عقول كل الأجيال
السابقة ، ثم تجلت عندما بدأ الانسان يتأمل ويدرس
ويبحث في طبائع الموجودات كيف قامت ،
وبالشرائع المتقنة كيف سارت ، فتجمع حصيلة
علمية هائلة ، كان مجالها الأرض ثم السماء

• بين نجم وجمل

والواقع أن هذه الدراسة تتناول أساسا ظاهرة
كونية قد تعرضنا لبعض أصولها في دراسة سابقة على
صفحات هذه المجلة بعنوان « معنى الموت » ،

وأوضحنا فيها بدايات بعث جسيمات ذرية ، وموت أخرى ، وبحيث لاتستطيع ان تضع فيها حدودا فاصلة بين الموت والحياة لأن اية ظاهرة منها تقود الى الأخرى ، فكأنما نحن ندور في حلقة مفرغة لانعرف لها بداية من نهاية

نعود الآن الى الجمل أولا ، ثم الى النجوم بعد ذلك ، رغم انه لا وجه للمقارنة بين نجم وجمل . لكنهما مع ذلك يشتركان في الاساس ، والأساس ذرات ، اذ لو ماتت الذرات في النجم والجمل ، لتجمد هذا وذاك ، ولتضاءل الجمل الى حبة خردل ، والنجم الى جسم أصغر من حجمه الحقيقي ببلايين المرات !

ولكي ندرك معنى ذلك ، كان لابد أن نذكر ان المادة التي نراها حية وجامدة ومتماسكة ليست في الحقيقة الا فراغا هائلا ، ولاتحتل المادة الحقيقية من تكوينها الا نذرا يسيرا !

خذ على سبيل المثال ذرة من أي عنصر من عناصر الأرض ، تجدها تتكون من نواة في المركز ، وعلى مسافات فراغية هائلة (والوصف هنا نسبي) تطوف حولها الاليكترونات في مدارات واسعة نسبيا ، ولو حدث وتعرضت هذه الاليكترونات الدوارة الى ضغوط جبارة ، فانها تنهار وتسقط في النواة ، وعندئذ يتضاءل حجم الذرة الى حوالى مليون بليون مرة ، أو بمعنى اخر نقول ان مادة الذرة لاتشغل الا حيزا واحدا من مليون بليون جزء من حجم الذرة ، والباقي فراغ

ان اقرب صورة لتوضيح ذلك تأتينا من نظام المجموعة الشمسية ، فهي بدورها تتكون من شمس في المركز ، وعلى مسافات هائلة جدا تطوف حولها كواكبها في مدارات ، وبين المدارات فراغ جبار ان المسافة بين الشمس والأرض تقع في حدود ٩٣ مليونا من الأميال وبين الشمس وزحل ٨٩٢ مليونا ، وآخر كواكب المجموعة الشمسية يقع من مركزها على مسافة ٣٧٠٠ مليون ميل ،وهذا فان تلك المسافات الجبارة لايشغلها الا فراغ رهيب ، وبحيث تحتل فيه مادة الشمس والكواكب جزءا جد يسير ، ولو انهارت النظم التي تمسكها ، لتهاوى كل شيء في [illegible]اتون الشمس ، ولضعنا نحن وضاع كل شيء في المجموعة دائما ، لكن كل شيء قائم في [illegible] الأرض والكواكب والشمس ، ولكل [illegible] ومقداره ، وهو يختلف باختلاف النظام الذي [illegible] كيانه .

والانسان والجمل والجبل أو أية مادة أرضية أخرى ليست - في الواقع - الا ذرات ، ولو حدث وتهاوت نظمها بحيث تدك اليكتروناتها في [illegible] ويضيع الفراغ الذي يتخللها ، فان الا[illegible] سيتضاءل في حجمه الى مليون بليون مرة ، [illegible] تراه ، اللهم الا اذا استعنت على ذلك بميكروسكوب قوي ليوضحه لك وكانما هو ميكروب ضئيل

لكن أين ذهبت مادة الانسان ؟

الواقع أنها لم تختف حقا ، فما زالت برمتها موجودة في هذه النقطة الصغيرة ، لأن الذي ضاع فقط هو الفراغات الذرية الهائلة التي تباعد بين الاليكترونات وأنويتها ، وليس للفراغ وزن على أية حال ، ومن أجل هذا فان النقطة الدقيقة - التي كانت من قبل انسانا - هي مادة مكدسة ذات كثافة هائلة ، وبحيث لو تصورنا أننا صنعنا منها « بلية » صغيرة ، فان هذه « البلية » تزن عشرات الألوف من الأطنان !

وطبيعي أنه من الصعب على العقل البشري أن يتقبل هذه الحقيقة ، وقد يعتبرها بمثابة تصورات غريبة ليس لها من أساس ، لكن الأساس موجود في السماء ، ولقد اكتشفه العلماء على هيئة نجوم ودعت حياتها من زمن ، أو بمعنى آخر نقول [illegible] ماتت ميتة تختلف عن موت نجوم اخرى [illegible] العلماء احداثها ، وعرفوا سبب موتها ، والموت [illegible] نجوم السماء يتخذ صورا شتى ، والذي يحدد ذلك حجم مادة النجم ذاته ، فمنها ما ينفجر [illegible] ومنها ماينهار ويتكور على نفسه [illegible] الأحداث التي سوف نتعرض لها في هذ[illegible] ومنها سيتضح أن لكل شيء في الا[illegible] عمرا ، ولكل بداية نهاية ، ولكل [illegible] ولكل مراحله التي يمر فيها من [illegible] فشيخوخة فموت .. فكأنما [illegible]

، كحياة المخلوقات على أرضها ، وكل
منها يعوض بولادة جديدة » ولكن أكثر الناس
لا ... ون »

النجم بين مولد وحياة وموت

وطبيعي أن يتبادر الآن على الأذهان تساؤل حائر وكيف يولد النجم ويعيش ، ثم يهرم ويموت ؟ ثم مايدرينا أن هذا صحيح ؟

الواقع أن كل خلق له نظام محدد ، لكن يبدو أن أي نظام من هذه النظم ليس بخالد لا في ذرة ولا جزيء ولا لمخلوق ولا كوكب ولا نجم ولا لمجرة الخ

ثم ان حياة أي شيء تعتمد - في المقام الأول - على توازن نظام أو نظم كامنة فيه ، وتستوى في ذلك الذرات والجزيئات والخلايا والأنسجة والمخلوقات ، حتى نصل الى نجوم السموات ، وما فيها أيضا من مجرات ، فاذا اختلت في أي منها المكونات ، حدث الخلل في موازينها ، ولايزال هذا الخلل يتفاقم ويتعاظم ، الى أن يفقد التكوين نظامه الذي أعطاه وجوده وحياته ، ونحن لانستطيع أن نتعرض للخلل الذي يحل بكل هذه النظم هنا ، بل علينا أن نختار منها واحدا ، وليكن ذلك في نجم من نجوم السموات

ان حياة أي نجم تعتمد على توليد طاقة نووية حرارة ، لتؤدي الى انتاج كميات هائلة من الاشعاعات والحرارة ، وفي الوقت ذاته لابد أن يقاوم النجم الضغوط الجبارة التي تتسلط على قلبه من أكداس مادته الضخمة غاية الضخامة ، ولكي لا تنهار تلك المادة وتتكوم على مركزه ، أو تتكور في قلبه ، فعليه أن يولد مزيدا من الحرارة لكي يقلبها ويدفعها في تيارات عاتية نحو السطح ، وهناك تتخلص ... حرارتها واشعاعاتها ، فتبرد قليلا ، ثم تتهاوى ... جوف النجم ، وهكذا تسير الأمور ساقطة ... - في هذه « الأفران » النووية الجبارة ، ومع ذلك ... لكل نجم منها نهاية أي لابد أن يموت ... ولد ... موت النجم يختلف باختلاف وزنه

وحجمه ، ومدى استهلاكه لمادته التي يعيش عليها ، ومن أجل هذا تختلف أعمار النجوم ، تماما كما تختلف أعمار البشر أو أي كائن حي آخر . فمنها مايعمر قليلا ، ومنها مايعيش طويلا ، أو مابين ذلك تكون أقدار النجوم !

وكما يقسم علماء الحياة أعمار المخلوقات الى مراحل ، كذلك كان حال علماء الفلك والطبيعة الكونية مع النجوم ، أي أنهم بدورهم يقسمون حياتها الى مراحل ، فمن المشاهدات والحسابات قد أدركوا أن لكل منها مرحلة ولادة ثم شباب ونضوج وشيخوخة وموت ، ومع أن النشأة فيها جميعا واحدة ، الا أن أعراض الشيخوخة والموت مختلفة ، ومسرح السموات هو المرجع الأول والأخير في استقراء الأحداث التي تتم هناك ، وطبيعي أن الانسان لايستطيع أن يرى بعث الحياة ونهاياتها على مستوى النجوم بعينيه المجردتين ، بل يستعين على ذلك « بعيون » المراصد الفلكية الجبارة التي تستقبل أنباء السموات ، وتقوم « بغربلتها » وتحليلها وتصويرها وامدادنا بالأخبار المثيرة ، ومنها نعرف مايجري حولنا من أحداث في هذا الكون المفعم بالألغاز والأسرار !

ولقد رأى العلماء الكثير حقا ، سواء في مجرتنا التي تحتوي على مابين ١٠٠ الى ٢٠٠ ألف مليون نجم أو شمس ، أو ملايين المجرات الأخرى التي تحتوي على اعداد أكبر أو اصغر مما يوجد في مجرتنا ، وهذا يعني أن السموات تحتوي على بلايين البلايين من النجوم من كل حجم ووزن وعمر ، وبينها أيضا لاحظوا أمواتها ، والغريب ان الحسابات والمعادلات الرياضية قد سبقت الرؤية بزمن طويل ، ولقد تحقق هذا وذاك في حصيلة علمية لها شأنها ووزنها

تاريخ حياة

ولكي ندرك معنى الموت على مستوى النجم ، فلا أقل من أن نعرف فيه معنى الحياة ، وطبيعي أن حياته ليست بالمعنى التقليدي الذي وقر في العقول ، أي انه ليس كائنا حيا كما كان يعتقد الاقدمون في اساطيرهم ، بل هو جسم سماوي يبدأ حياته

بكميات هائلة جدا من الأيدروجين ، وعلى هذا الأيدروجين يعيش من خلال تفاعلات نووية جبارة ، فشمسنا مثلا ليست الا نجما من نجوم السماء ، ونحن نراها واضحة ساطعة كبيرة ، لأنها أقرب النجوم الينا ، ولاشك أن حياتنا وحياة كل كائن حي تعتمد عليها ، ولو ماتت شمسنا ، لمتنا وماتت كل صور الحياة على أرضنا تبعا لذلك

والواقع أن شمسنا من أواسط النجوم حجما ووزنا واشعاعا وضياء ، فهناك ما هو أكبر منها أو أصغر ، وعندما ولدت الشمس منذ حوالى خمسة آلاف مليون عام ، بدأت تعيش على مخزونها من الأيدروجين ، وهي تستهلكه بشراهة بالغة ، ففي كل ثانية تمر من عمرها ، تستهلك من هذا « الطعام » الايدروجين ما يقدر بحوالى ٦٥٠ مليون طن ، او أن وجبتها في يوم واحد تصل الى حوالى ٥٠ مليون مليون طن ، وقد يبدو ـ من هذه الأرقام الكونية ـ ان الشمس لابد وان تستهلك مخزونها في زمن قصير نسبيا ، لكن العكس هو الصحيح ، اذ قدر علماء الفلك أن لديها مخزونا يكفيها لخمسين ألف مليون سنة قادمة ! لكن ذلك لايعني أنها ستعيش بفتوتها وشبابها كل هذا العمر الطويل ، اذ ستدخل في مرحلة الشيخوخة بعد بضعة بلايين من السنين تعد على أصابع اليد الواحدة ، أو ربما اليدين ، فرغم أنها مازالت تمتلك مخزونا هائلا (حوالى ٧٤٪ من كتلتها من الايدروجين) ، الا أن النفايات العنصرية الناتجة من « هضم » الأيدروجين سوف تنال منها ، مثلها في ذلك كمثل النفايات السامة التي تتجمع في دماء انسان ، فتصيبه بالضعف والهزال ، وربما تؤدي الى الموت هذه صورة ، وتلك أخرى !

ان حياة الشمس أو أي نجم آخر ، تعتمد على مبدأ علمي معروف هذا المبدأ يشير الى أن كتلة الشيء كلما تضخمت وتعاظمت ، زادت فيه قوى الجاذبية ، وهي قوى ضاغطة على الجوف ، لان الجوف يحمل كل ما فوقه من مادة ، ونتيجة هذا الضغط الجبار ترتفع درجة الحرارة في الجوف الى حدود تكفي لبدء تفاعل نووي هائل ، ولم يحدث ذلك مثلا لأرضنا أو أي كوكب آخر من المجموعة الشمسية ، لأن كتل هذه الكواكب [illegible] الى الحدود المناسبة التي يمكن أن تبدأ بها الت[illegible] النووية ، لكن من المعروف مثلا أن جوف [illegible] ليس مادة صلبة بل هو ـ في الحقيقة ـ [illegible] مصهورات الحجارة والحديد والنيكل والصخور الخ ، لأن الضغط الكائن على الجوف (مما يعلوه [illegible] كتل جبارة) يؤدي الى توليد حرارة تكفي لصهر أ[illegible] شيء آخر ، ونحن نشهد ذلك في ظاهرة البراكين اذ « تتقيأ » الأرض من جوفها بعض حممها علها ترتا[ح] من ضنكها ، وتوازن أمورها بما يكفل لها استمر[ار] حياتها . وحياتنا !

بداية النهاية

ان الخطوط العريضة لحياة أي نجم معروفة م[ن] خلال عمليات الرصد والتحليل التي يستقبلها علم[اء] الفلك على أجهزتهم كسيل جارف من الموجات والمعلومات ليل نهار ، وكأنما هي بمثابة أنباء ، تحمل في طياتها احداث السماء ، فلكل عنصر ومركب ينتشر في الفضاء أطياف خاصة تدل عليه ، وتش[ير] اليه ، وكأنما هي بمثابة البصمات التي تدل على صاحبها ، ومن هنا ادركوا ان للنجوم مولدا وحياة وموتا ، وهي في مولدها غير حياتها وموتها ، لا[ن] طبيعة الموجات تختلف باختلاف الحالة ، مثلها في ذلك كمثل الجنين الذي يتكون في رحم أمه ، ثم يبدأ من كتلة بروتوبلازمية ميكروسكوبية ، وهنا تبدأ بدورها في سحب عناصر الغذاء لتنقسم وتتكاثر وتتشكل حتى يولد الجنين بعد أشهر تسعة ، وكذلك تبدأ النجوم في « جيوب » سماوية خاصة سحب من الأيدروجين (ومعه شوائب عنصرية أخرى [illegible] ضئيلة) ، وتحت تأثير قوى الجاذبية يتجمع ويتجمع ، ويتكدس ويتكدس ببلايين البلايين من الأطنان ، وكلما تجمع وتكدس ، ضغط على الجوف بثقله ، حتى ترتفع درجة الحرارة الى الحدود التي تطلق فيه التفاعل النووي ، وبه يبدأ [illegible] حياته كما سبق أن ذكرنا .

لاشك فيه أن لكل مرحلة من هذه المراحل
، وفيها قد يتشعب الحديث ويطول ، لكن
ن نذكر ان مايجري في أتون النجم من
لات وتغيرات يعتمد أساسا على حجمه
...ات حرارته ـ بداية من الجوف حتى سطحه ،
رعة استهلاكه لمادته ، ومعدل تجمع هذه النفايات
صرية المعقدة فيه ، وهي بالتأكيد تزيد بمرور
من ، لكن النتيجة الحتمية لكل هذا هو عدم قدرة
جم على مواصلة اطلاق القدر المعقول من الطاقة
، يقاوم بها انهيار المادة الهائلة التي تجثم على قلبه ،
أن التوازن هنا يفقد عناصره ، فيختل النظام
ور الزمن ، ولاحياة مع خلل أو فوضى ، وهنا
ون بداية النهاية

الواقع أن للنجوم في السموات كأقدار الناس ، اذ
ن موت العظيم كموت الانسان العادي ، بمعنى أن
ثر الذي يتركه موت هذا أو ذاك على من حوله قد
ون ملموسا ومحسوسا ، أو قد يكون عابرا ،
كذلك الحال مع النجوم ، فمنها مايودع حياته على
ثة انفجار هائل تنتشر أخباره في طول السموات
رضها ، ولاشك ان الاحداث التي تصاحب ذلك
جسيمة ، والآثار التي يتركها النجم المنفجر تبقى
ده بآلاف او ملايين السنين ، وكأنما هي تشير الى ان
ذي مات أو انفجر ، كان نجما كبيرا !

وكما نقول عادة ان الضغط الشديد يولد الانفجار
شديد ، كذلك الحال في امثال تلك النجوم ، لكن
جارها يشكل كارثة رهيبة بمستواها الكوني ، ثم
، لصعب على العقل البشري المحدود تصور أبعاد
يحدث ، لأن انفجار النجم الواحد منها يؤدي الى
لاق اشعاعات أكبر ببليون مرة من معدلها أثناء
ياته ، أو أنه يشع قدر ما تشعه عدة بلايين شمس
مثل شمسنا مجتمعة في مكان واحد ، او لنضعها
صورة ... يبية مما نعرفه في حياتنا فنقول ان طاقة
انفجار ... ذا النجم أكبر من الطاقة المتحررة من
انفجار ... ن بليون بليون قنبلة ايدروجينية ضخمة
واحد ... موقا بـ ٢٤ صفرا) ، وأرقام أخرى من
هذا ال... نقع فيها وراء تصوراتنا .

ونظرا لهذه الأضواء والاشعاعات والطاقات الجبارة التي تنطلق من النجوم المتفجرة ، فانه يمكن رؤيتها في وضح النهار لامعة ، رغم انها تبعدعنا بآلاف او عشرات الالآف من السنوات الضوئية ، ولهذا نطلق عليها اسم النجوم الثاقبة ـ اي الشديدة الضياء (سوبرنوفا او النجوم المتفوقة في اشعاعها **Supernova** ، ولقد شوهدت امثال هذه النجوم على فترات زمنية متباعدة وهي تلمع بشدة لعدة اسابيع ، ثم يخبو اشعاعها شيئا فشيئا ، ولهذا اطلقوا عليها اسم النجم الجديد او الزائر ، رغم انه نجم زائل أو آفل

عود على بدء

ذكرنا ان الحسابات والمعادلات ، قد سبقت المشاهدات ، ولقد تحقق بالعمل ما اشارت اليه تقديرات بعض العلماء ، اذ قالوا ـ منذ حوالى خمسين عاما ـ بامكان موت النجوم العملاقة بحيث يؤدي ذلك الى تكدس جزء هائل من مادتها في جوفها ، وتحولها الى نجوم نيوترونية ، بل انهم ذهبوا الى أبعد من ذلك وقدروا كثافة مادتها ، وهي كثافة يصعب ايضا تصورها ، لأن البوصة المكعبة الواحدة من مادة النجم النيوتروني تزن اكثر من ١٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ طن (عشرة بلايين طن) ، ونظرا لأن هذا الرقم يبدو خياليا الى أبعد الحدود ، فقد اعتبره بعض العلماء « نكتة » رياضية ، او « مزاحا » علميا غير مقبول ، ومن أجل هذا لم يعره أحد اهتماما .

وفي عام ١٩٦٨ رصدت عالمة الفلك جوكيلين بيل ومساعدوها جسما في السماء ينبض نبضات ذات ايقاعية منتظمة ، اذ تتردد هذه الايقاعية مرة كل ٠,٠٣٣٠٩ من الثانية (هكذا بالضبط) او حوالى ٣٠ نبضة كل ثانية ، ولغرابة هذا الاكتشاف الذي يسجل لأول مرة في مجال العلوم الفلكية ، فقد ظنه البعض صادرا من حضارات متقدمة في السماء ، وأنهم يريدون الاتصال بمن في الكون من عقلاء ، لأن الايقاعية المنتظمة والمنضبطة غاية الانضباط ، لا

يمكن ان تصدر الا من مخلوقات عاقلة ، ولقد اتخذت الصحافة هذا الاكتشاف المثير ، وصاغت منه مادة دسمة ، ولايزال بعض الكتاب والمفكرين العرب يرددون ذلك في كتاباتهم حتى الآن ، ويتخذونه دليلا على وجود حضارات تتصل بنا ، ولقد ثبت ان ذلك اعتقاد خاطىء

ففي كل مرة يرصد علماء الفلك جسما نابضا منتظما ، ويحددون موقعه بدقة بالغة ، يجدون ان الموقع بالضبط في قلب نجم تمجر ومات من زمن ، وهم لايرونه بذاته ، بل بما يصدر منه أثناء دورانه حول نفسه بسرعة فائقة ، وبدون الدخول في كثير من التفاصيل العلمية والتكنولوجية ، فلقد ثبت ان هذه النابضات Pulsars هي التي اشارت اليها من قبل الحسابات والمعادلات ، فرغم أن « رفات » النجم الميت قد تكون اكبر من كتلة شمس مثل شمسنا ، الا أن هذه الكتلة قد دكت وتكورت في جسم نابض لايزيد قطره عن عشرين ميلا لاغير (لاحظ ان قطر شمسنا يبلغ ٨٦٤ الف ميل ، وكتلتها ٢ بليون بليون بليون طن ـ البليون مكرر ثلاثا) ، ولنتصور بعد ذلك ان هذه الكتلة قد ضغطت في هذا الحيز الضئيل ، لتصبح كثافتها عشرة آلاف بليون طن لكل بوصة مكعبة واحدة ، ولنتصور بعد ذلك ان الاربعة آلاف مليون نسمة التي تسكن كوكبنا قد ضغطت مادة اجسامها بنفس المقدار ، عندئذ لن تشغل اجسامهم جميعا الا خمس بوصة مكعبة بالكاد (٠,٢ بوصة مكعبة) هذا بفرض ان متوسط وزن الفرد ٥٠ كيلو جراما ، وان كتلتهم جميعا في حدود ٢٠٠ مليون طن ، ومن هنا فالمغزي الذي قدمناه في بداية هذه الدراسة لاتخفى اصوله الآن على لبيب ، لأن الجمل لو تحول الى مادة على نفس نمط مادة النجوم النيوترونية ، فانه لن يصير في حجم حبة خردل ، بل سيصبح أضأل .. ربما ليشغل حيز نقطة لاتراها العين ، لكن مادته مازالت برمتها موجودة ، وطبيعي ان ذلك غير ممكن على ارضنا ، بل تجاله الضغوط العاتية الكائنة في النجوم النيوترونية .

هل من نهاية ؟

الموضوع بعد ذلك مثير ومتشعب وطويل مع ذلك فلقد يطرأ على الذهن تساؤل هل وشمسنا ستنتهي حياتها نفس النهاية ؟ وما مصير أرضـ إذا حلت الكارثة يوما ؟

ان التقديرات تشير الى ان حجمها ووزنها ليسا كافيين لتحولها الى نجم نيوتروني ، بل ستمر بمراحل كثيرة ، لايمكن التعرض لها هنا لضيق المجال ، ومع ذلك ، فيكفي ان نذكر انها ستتحول في النهاية الى قزم ابيض ، ومايتبقى من مادتها المضغوطة في جوفها سيجعلها نجما ميتا بارد السطح ، كالح الوجه (والوصف هنا نسبي) ، ـ ويتبع ذلك ـ بطبيعة الحال ـ ابادة الحياة من ارضنا حتى قبل ان تتحول الشمس الى قزم ابيض تصل كثافة المادة فيه الى حوالى الف طن للبوصة المكعبة الواحدة ، لأن التريليونات فوق التريليونات من الأطنان الضاغطة على الجوف لاتؤدي الى انهيار تام للمادة ، كما حدث مثلا في موت النجوم العملاقة

لكن هناك محصلة نهائية لكل هذا ، ذلك ان البناء والهدم عمليتان متلازمتان ، أو هما هنا أيضا كالموت والحياة ، فاذا ساد البناء على الهدم ، استمرت الحياة ، واذا زادت محصلة الهدم عن البناء ، دب الشيخوخة والموت في أي نظام من النظم ، وفي هذا تستوى نجوم السماء والأفراد والخلايا والجزيئات

لكن .. هذا يعني كل ذلك حقا ، خاصة مع نجوم السماء ؟ .. وهل لها أيضا قبورها التي تحتل مادتها لتعيدها سيرتها الأولى ؟ وما هي طبيعة هذه القبور ؟

الواقع ان هناك دلائل كثيرة تشير الى وجود « ثقوب سوداء » تنتشر في ارجاء السماء ، ومنها قد يخرج بعث جديد على مستواه الكوني العظيم ، ولهذه « القبور » الغريبة دراسة أخرى قادمة ، نوضح بها ماغاب عن مداركنا ، وما أكثر مايغيب عن الحس والسمع والبصر والفؤاد . ■■

الاسكندرية ـ د . عبد المحسن صالح

قصيرة

زورق على الشاطئ

بقلم : فوزي عبد القادر الميلادي

ت سميرة تتأمل المظروف الأنيق الذي حمله
عي البريد وتقلبه بين يديها وتسأل نفسها ترى
ون سعيدة بما يحويه المظروف ؟ انها تعلم يقينا
وف يحوى قرار تعيينها معيدة بكلية البنات
ما اخطارا بالحضور لاستلام العمل بالكلية
هذا يعني بداية طريق السعادة ؟

س النظر في يدها التي تمسك بالمظروف وتتأمل
لشديدة السمرة « ابدا لقد كتب على الشقاء
ش غريبة في هذا العالم وسأظل هكذا غريبة
حتى نهاية أيامي وعادت بها الذاكرة الى أيام
وصباها وقت أن كانت تلاقي الأمرين من
زميلاتها بل واقاربها وسكان الحي جميعا وهم
، بسمرة بشرتها ، وعندما التحقت بالكلية
ت بتفوقها أن تفرض احترامها على الجميع
مع ذلك كانت ترى في نظرات الناس سخرية ما
سخرية ، ولم تكن تملك الا أن تتجاهل تلك
، وتمضي في طريقها لكنها لم تسمع في
ا كلمة اعجاب أو اطراء من أحد

وفي الطريق الى المدرسة استوقفتها « ليلى » احدى تلميذات الثانوية العامة كانت تبدو جد باسمة الثغر تشيع في وجهها الفرحة وهي تخبر « أبلـه سمـيره » كما كانت تدعوها بأن خطبتها ستتم في ذلك اليوم « ليلى » هذه رسبت في الثانوية العامة سنتين واذا لم تنجح هذا العام فستفصلها المدرسة لاشك ومع ذلك فقد وجدت في أقاربها من يختلس اليها النظرات ثم يعجب بها ثم يتقدم لخطبتها في المساء ستضاء أنوار في منزل ليلى ستجلس بجوار خطيبها وقد ارتدت فستانا من الحرير الناصع البياض ستدور أكواب الشراب ثم تمد الموائد ويقف العاشق الولهان أمام الأهل والأصدقاء يمسك بيده يد ليلى اليمنى ليضع في اصبعها خاتم الخطبة ثم يضع في يدها سوارا من الذهب المرصع بالماس

وتعزف الموسيقى ويضحك الجميع ويمرحون وتتلقى ليلى التهاني والدنيا لا تتسع لها من الفرحة انها ليلة من ليالي العمر عاشتها زميلات سميرة من قبل وها هي ليلى تلميذتها ستعيشها هذا المساء وسيعيشها الناس جميعا في المستقبل ولكنها هي وحدها ـ دون سائر النـاس ـ لن ترى تلك الاضواء لن تعرف لها الموسيقى ولن يضع رجل في اصبع يدها خاتم في يوم من الايام

واستمرت سميرة في سيرها ووصلت الى الكورنيش وهي منقبضة النفس حزينة الفؤاد

اخذت تتأمل الأمواج وهي تقترب من الشاطىء في اندفاع ثم ما تلبث أن تنحسر وتعود أدراجها كانت تحدث أصواتا أشبه ما تكون بالبكاء أوالعويل هكذا بدت لها في ذلك اليوم وأعادت الخطاب الى حقيبة يدها وأخذت تحملق في الافق بنظرات شاردة ثم نظرت الى الزوارق التي كانت تقترب من الشاطىء وقد غصت بالركاب الذين بدت عليهم البهجة وقد عادوا لتوهم من نزهة بحرية ممتعة .

وأخذت تتمتم هذه الزوارق يركبها السعداء في الحياة أما التعساء فيظلون واقفين مثلي هكذا على الشاطىء توجهت سميرة الى حجـرة الناظـرة للحصـول على احلاء الطرف فلم تجدها فاتجهت الى مكتب سكرتير المدرسة الاستاذ صلاح وما ان رآها صلاح حتى هب واقفا ومد اليها يده مصافحا ثم قدم لها كرسيا قائلا : تفضلي يا سميرة هانم . أهلا وسهلا لقد وصلنا اليوم كتاب من الوزارة يفيد بتعيينك معيدة في كلية البنات اني أهنئك وأهنىء الجامعة لكنني اعزي نفسي القصد أنها ستكون خسارة للمدرسة . وطلب صلاح من الساعي أن يحضر لسميرة هانم ـ كما كان يدعوها ـ كوبا من عصير الليمون المثلج وأخذت سميرة ترتشف عص[illegible] الليمون وتتأمل « صلاح » وهو منهمك في عمله [illegible] على الأوراق يرد على التليفون يتصل بالمنطقة التعليمية انه بحق القلب النابض للمدرسة كان [illegible] في ملبسه رقيق المعشر حلو الحديث دائم الا[illegible]

وفي غفلة منه أخذت تختلس النظر الى أصابع [illegible] اليمنى ثم اليسرى انه لايحمل في أي منها خاتم [illegible] أو زواج عجبا كيف يبدو سعيدا هكذا وهو [illegible] مثلها وحيدا في دروب الحياة وأقبلت عليها [illegible] الطول ترتدي ثوبا من الحرير الأزرق وتضع [illegible] عينيها نظارة سوداء وتمشي على استحياء ما ان [illegible] صلاح حتى صافحها في حرارة ودعاها للجلوس [illegible] سميرة واستأذن منها في مغادرة المكتب [illegible] احلاء الطرف وما ان غادر صلاح المكتب حتى [illegible] بنظرات الآنسة المجهولة تنفذ الى اعماقها وا[illegible] سميرة برأسها الى الارض وخيم على الحجرة [illegible] عميق وقدمت الآنسة نفسها الى سميرة اسمي [illegible] معيدة بمعهد التمريض العالي وأخذت هدى تتحدث [illegible] صلاح باعجاب واحترام شديدين [illegible] كيف أن والده توفي وهو طالب في المدرسة الثانوية واضطر على أثر ذلك أن يعمل موظفا [illegible] الثانوية العامة ثم التحق بعد ذلك بكلية الحقوق [illegible] هو الآن في السنة النهائية وامتد حبل الحديث [illegible] ساعة وهدى تلك الانفتأ تشيد بمناقب صلاح [illegible] ورغم أن سميرة ارتاحت لهذا الكلام عن صلاح [illegible] أنها تشعر نحوه بكثير من التقدير [illegible] المدرسة الا أنها ضاقت ذرعا بك[illegible] هدى [illegible] حديثها عن صلاح كان أشبه بحد[illegible] العاشقة [illegible]

ـف فارس الاحلام وهو لايعني الا شيئا
. هدى هي ربما تكون خطيبة صلاح وقد
لد أن تشيد بمناقب خطيبها أمام الناس

ـ ت سميرة برأسها الى الأرض كانت تشعر
ى حياتها بالغيرة تأكل قلبها خطر على بالها أن
محرة وتترك هدي بمفردها أو تنهرها وتطلب منها أن
ن الكلام لكن هذا كله لايليق فان هدى لم
صدقا وصلاح كان في تلك اللحظة معنيا
امورها حتى تحصل على اعلاء الطرف هل حزازه
د منه مثل هذا الموقف ـ في غيبته ؟ورفعت سميرة
وابتسمت وقالت تشرفنا يا آنسة هدى أهلا
وكفت هدى عن الحديث ، وفي تلك اللحظة عاد
ومعه بعض الأوراق وقال هذه هي الأوراق
ة هامة تم انجازها ولم يبق الا اعتماد حضرة
وهي في اجتماع في المنطقة التعليمية وستحضر
اعتين ونظرت سميرة اليه وقالت أشكرك
لا أستطيع الانتظار ساعتين وتدخلت هدى في
، وقالت موجهة الحديث الى صلاح يمكنك أن
الاوراق الى الآنسة سميرة في المنزل مع أحد
وصمت صلاح مليا وقال بالطبع بالطبع
أحد ساعيا يمكنني أن أذهب بها بنفسي وصمت
مل أن يستطرد اذا اذنت لي الآنسة سميرة
وتصاعدت الدماء غزيرة الى وجه سميرة ولم تدر
د على الكلام ، ولفرط دهشتها أخذت هدى تؤيد
لاقتراح وهي جزلة مسرورة وازدادت دهشتها
قال صلاح شقيقتي هدى كانت تود زيارتكم منذ
وأظن هذه فرصة مناسبة وساد المكان صمت
لقد توقعت أي شيء الا أن تكون هدى شقيقته !
ـ هدى حبل الحديث وقالت والدتي أيضا كانت

تود زيارتكم والتعرف الى والدتك لكنها اليوم متوعكة بعض الشيء والدتي معجبة بك من فرط امتداح صلاح لك ثم التفتت الى سميرة وقالت ما رأيك يا آنسة سميرة ؟ أحست سميرة في تلك اللحظة بدوار شديد لم تدر ماذا تقول وماذا تفعل هل تضحك أم تبكي هل تقف أم تظل جالسة هل هدى صادقة في حديثها هل صلاح صادق في عواطفه أم انها أوهام ماتلبث ان تتبدد هل تعرف والدة صلاح أن بشرتها شديدة السمرة

أمها لم ترها من قبل ورأت سميرة أن تقطع الشك باليقين وقالت أهلا وسهلا تفضلوا وشرفونا بزيارتكم الليلة سأكون سعيدة لو حضرت السيدة والدتك وانحنت هدى على سميرة وقبلت وجنتيها وقالت كما تحبين سنحضر جميعا أظن الساعة السادسة موعدا مناسبا

ومدت سميرة يدها الى هدى وصلاح لتصافحهما وهي تقول نعم مناسب أهلا وسهلا وفي طريق عودتها وقفت سميرة تتأمل الأمواج على الشاطىء فخيل اليها أن أمواج الصباح القاتمة قد اختفت وحلت محلها أمواج جديدة تضحك وترقص وهي ترتطم بالشاطىء محدثة أصواتا موسيقية عذبة تفوح منها رائحة تشبه رائحة العطر

ونظرت الى زورق جاثم يقف على مقربة من الشاطىء فأخذت تلوح له بيدها وتقول انتظرني أيها الزورق لا تبتعد سأعود اليك قريبا لتحملني أنا وحبيبي على صفحة الماء ■■

المستشار / فوزي عبد القادر الميلادي

■ الوهم يذهل الواهم عن نفسه ، ويصرفه عن حسه ويخيل له الموجود معدوما والمعدوم موجودا .

« الشيخ محمد عبده »

■ قل كم مرة رأيت ساهرا يسرق ماله او عارفا بالسباحة يغرق ، وأنا اقول لك ـم مرة رأيت مجتهدا يفشل أو مستقيما يخذل .

« جون روكفلر »

خط الطول ١٨٠ .. خط عجيب حقا ، عنده يبقى …

لماذا يختلف التوقيت من بلد إلى آخر ؟

فوارق التوقيت المحلي تفسرها خطوط العرض لا خطوط الطول

بقلم الدكتور · محمد علي الفرا

يتساءل الكثيرون عن سر اختلاف التوقيت في مناطق العالم واقاليمه ، وقد يستفسر المرء عن الأسس التي يتم بموجبها هذا التفاوت ، والعوامل التي لها صلة به ، وكيفية حساب التوقيت المحلي في مختلف البلدان . المقال يجيب على تلك التساؤلات

أود أن أنوه بادىء ذي بدء بأن الزمن والتوقيت من المسائل العلمية الدقيقة والتي تتميز بالتعقيد لعلاقتها بالكثير من العوامل والمتغيرات مثل قوانين الحركة والجاذبية لاسحق نيوتن والتي نشرها في عام ١٦٨٧ وبناء عليه هناك انواع مختلفة من التوقيت منها الذري **Atomic Time** والزيجي **Ephemeristime** والذي ينسب الى الزيج وهو عبارة عن جداول تبين فيها أوضاع الكواكب وتوابعها وعلاقاتها الوظيفية بالزمن وهناك التوقيت الديناميكي ، الى غير ذلك من أنواع لا نرى ضرورة في شرحها فهي خارجة عن نطاق هذا المقال الذي يهدف الى شرح التوقيت بطريقة سهلة ومبسطة لتكون في متناول فهم الجميع

للزمن علاقة مباشرة بحركات بعض النجوم والكواكب وما يتبعها من اقمار ونخص بالذكر الحركات التالية -

حركة الارض حول نفسها - حركة الارض المحوري… الشمس - حركات القمر

فيما يتعلق بالنقطة الاولى فان من المعروف … الارض تدور حول نفسها من الغرب الى ال… وتستغرق هذه الدورة ٢٤ ساعة تقريبا بحيث … نفس المكان الذي بدأت منه دورانها وبما ان ال… بالنسبة الى الارض فان كل مكان على سطح الارض … وان يقابل اشعة الشمس ويتسامت معها عند … ٢٤ ساعة تقريبا وينتج عن دورة الارض … اليوم الشمسي وسمي بذلك لانه … من اللحظة … يبدأ فيها مكان ما على سطح الارض … مع اشعة الشمس الى الوقت الذي … التسامت ، والوصول الى نقطة السمت … تكون فيه الشمس فوق الرأس مباشرة …

ـه ثابتا . ويلتقي الشرق والغرب حلافا لمزاعم الشعراء

ـب ـصهر . ـلعـسد وكلما نعمه ـان ـوره الارض حوـ ـسها ـسح عنها الليل والنهار

حركة الارض والقمر

ـان حاـب دوره الارض حول نفسها فهي ايضا ـدور حوـ الشمس في مدار محوري او متساوى الشكل وفي ـ عكس عقارب الساعة وتستغرق دورة الارض هده ٣٦٥ يوم و ٥ ساعات و ٤٨ دقيقة و ٤٦ ثانية وهده ـده ـعد عن الزمن الذي يستغرق الارض في مدارها متساوي حوـ الشمس ويبدأ من اللحظة التي تتخد فيه الارض وضعا يسمح لاشعة الشمس بان تكون عمودية على خط الاستواء وتنتهي حينما تعود الارض مرة اخرى ـ ـ وضع نفسه الوضع الذي تتعامد فيه ـ على خط الاستواء ومن المعلوم ان اشعة ـ ـ على خط الاستواء مرتين في كل دوره كاملة ـ للشمس احداهما في ٢١ مارس من كل عام ـ بالاعتدال الربيعي Vernal Equinox ـ سدء فصل الربيع في النصف الشمالي من ـ أما التعامد الثاني فيكون في ٢٣ سبتمبر من كل عام ويسمى بالاعتدال الخريفي Autumnal Equinox لانه يكون بداية لفصل الخريف في نصف الكرة الشمالي

وينتج عن حركة الارض حول الشمس السنة الشمسية والفصول الاربعة وبطبيعة الحال هناك ارتباط وثيق بين حركة الارض حول نفسها والتي ينتج عنها الأيام مما تشتمل عليه من نهار وليل وبين حركة الأرض وما ينجم عنها من سنين وفصول وشهور

أما القمر فهو تابع لكوكب الارض . ويدور حول نفسه وحول الارض وفي نفس الوقت تدور مع الارض حول الشمس ودورة القمر حول نفسه تستغرق ٢٧ يوما و ٧ ساعات و ٤١ دقيقة أما دورته حول الارض فتستغرق ٢٩ يوما و ٢٢ ساعة و ٤٤ دقيقة و ٢٨ ثانية وينتج عن هذه الدورة الشهر القمري أو ان شئت الفترة الزمنية الممتدة بين قمرين جديدين (هلالين) فنحن نرى القمر الجديد ـ اي الهلال ـ بعد ان يدور القمر دورة كاملة حول الارض وتستغرق ـ كما قلنا ـ ٢٩ يوما و ٢٢ ساعة و ٤٤ دقيقة و ٢٨ ثانية

ومن المعروف ان دورة القمر وحركاته هي الاساس الذي تقوم عليه حسابات التقويم او التوقيت الهجري

ول به في شتى البلاد الاسلامية والمعتمد خاصة في
سات الدينية ، كبدء الصيام ونهايته والاعياد والحج
لافه ولا مجال في مقالنا هذا للحديث عن هذا
قيت ذلك أن التوقيت ، العالمي هو هدفنا

العرض والطول والتوقيت

الارض كما نعلم كروية الشكل مقسمة الى دوائر
ضية ، يطلق عليها خطوط العرض ، ودوائر طولية على
كل أقواس يطلق عليها خطوط الطول وتحتوي
ارض على ١٨٠ درجة عرضية ويقع خط الاستواء في
تصفها ويرمز اليه بدائرة العرض صفر وهو ينصف
كرة الارضية الى نصفين نصف شمالي ويحتوي على
٩ درجة عرضية ، ونصف جنوبي يشتمل على ٩٠ درجة
رضية ، بالمقابل لدرجات العرض الشمالية فمثلا
رجة العرض ١٠ جنوبا تقابل درجة العرض ١٠ شمالا
هكذا

وكلما ابتعدنا عن خط الاستواء شمالا او جنوبا واقتربنا
من القطب الشمالي اي درجة العرض ٩٠ شمالا او القطب
الجنوبي اي درجة العرض ٩٠ جنوبا تصبح اشعة الشمس
الساقطة على سطح الارض مائلة مما يضعف من مفعولها
الحراري ويؤدي الى انخفاض الحرارة وشدة البرودة في
الاصقاع الشمالية والجنوبية البعيدة عن الاستواء ونظرا
لكروية الارض ودورانها حول نفسها وحول الشمس فان
الليل والنهار يختلف طولهما كلما ابتعدنا عن خط الاستواء
بحسب فصول السنة

وفيما عدا المدلول المناخي فان درجات العرض لا تفيدنا
كثيرا فيما نحن بصدده من تقدير التوقيت العالمي ذلك أن
خطوط الطول هي التي نعتمد عليها في تحديد اختلافات
هذا التوقيت وحتى نفهم كيفية حساب فروق التوقيت
المحلي بحسب مناطق العالم وأقاليمه علينا ان نعرف شيئا
عن خطوط الطول هذه

تحتوي الدائرة ـ كما نعلم ـ على ٣٦٠ درجة وبما ان
الارض كروية الشكل فانها هي الاخرى تشتمل على ٣٦٠
درجة ويمكن رسمها على شكل ٣٦٠ قوسا أو أنصاف
دوائر نسميها كما قلنا خطوط الطول وقد اتفق عالميا على
جعل الخط المار ببلدة جرينتش ، الواقعة الى الجنوب
الشرقي من مدينة لندن ، خط الصفر ، وعلى تسميته خط
طول جرينتش الاساسي **Greenwich Prime Meridiem** وهو يتوسط خطوط الطول فالى الشرق
منه يوجد ١٨٠ خطا طوليا يقابلها ١٨٠ خطا طوليا تقـ
الغرب منه وبما ان الارض كروية فان خط طول
شرق جرينتش ينطبق على خط طول ١٨٠ ـ ـ
جرينتش ، ولذلك فهما يظهران على انهما خط و..
ولكن لا مفر من تسميته شرقا او غربا وذلك تبعا لموقـ ـ
خط جرينتش فعلى سبيل المثال نقول ١٨٠ شر.. اذ
نظرنا اليه من على يمين جرينتش (اي شرقيه) ونسمـ
١٨٠ غربا اذا نظرنا اليه من على يسار جرينتش (.. من
غربيه) ومن قبيل الاختصار حين ذكر خطوط الطو..
نحذف كلمة جرينتش ونكتفي بذكر الاتجاه فقط اي شرق
او غربا

ولما كانت الارض تدور حول نفسها ـ كما سبق القو..
فان كل خط من خطوط الطول لابد وان يواجه الشمس
مرة واحدة في كل ٢٤ ساعة ، وبما ان اتجاه دوران الارض
حول نفسها يكون من الغرب الى الشرق فان خطوط
الطول الواقعة الى الشرق من جرينتش تواجه الشمس قبل
الخطوط التي تقع الى الغرب وهذا هو ما يفسر لنا سبب
شروق الشمس المبكر كلما اتجهنا شرقا وبالعكس كلما سر..
غربا وبناء عليه فان الاقطار الواقعة الى الشرق من
جرينتش تشرق عليها الشمس قبل الاقطار الواقعة ال
الغرب فالشمس مثلا تشرق على اليابان قبل الهند
وعلى الهند قبل الكويت وعلى الكويت قبل القاهرة
وهكذا

كيف نحسب التوقيت المحلي ؟

قلنا ان الارض تدور حول نفسها امام الشمس ـ او
تبدو بالنسبة لها ثابتة ـ كل اربع وعشرين ساعة وبما ان
الساعة مكونة من ٦٠ دقيقة ، والدقيقة مؤلفة من ..
ثانية ، اذن تستغرق هذه الدورة نحو ٨٦٤٠٠ ثانية ،
حوالي ١٤٤٠ دقيقة ونظرا لان الارض مؤلفة من ..
خطا طوليا ، وكل خط يمثل درجة مئوية واحدة ـ كما ذكـ ـ
سابقا ـ فان الفرق الزمني بين كل خط طولي والذي ..
مباشرة يمكن استخراجه بتقسيم المدة الزمنية بالدقائق ..
تستغرقها الارض في دورانها حول نفسها على عدد خطوط
الطول وذلك على النحو التالي

١٤٤٠ دقيقة ÷ ٣٦٠ خطا طوليا = ٤ دقائق
ومعنى هذا ان خطوط الطول تتابع في .. .. ..
الشمس بمعدل خط في كل اربع دقائق .. .. ..
يمكننا حساب فروق التوقيت المحلي بين كل .. .. ..

دوائر العرض

خطوط الطول

حددنا مواقع هذه البلدان بالنسبة الى خطوط الطول المارة
م

وحتى نزداد فهما وتوضيحا فانا نسوق الامثلة التاليه التي تبين كيف نحسب فروق التوقيت المحلي بين عدد المدن ومدينة الكويت علما بأن مدينة الكويت تقع على خط طول ٤٨ درجه شرقا وهذه المدن هي

١ - مدينة يوكوهاما في اليابان وتقع على خط طول ١٤٠ درجه شرقا

٢ - مدينة الاسكندرية بمصر وتقع على خط طول ٣٠ درجة شرقا

بالنسبة يوكوهاما نجد ان الفرق بينها وبين مدينة الكويت ١٤٠ - ٤٨ = ٩٢ خطا طوليا وبما ان كل خط ... اربع دقائق فان الفرق الزمني بين التوقيت المحلي للكويت وتوقيت يوكوهاما يكون ٩٢×٤=٣٦٨ دقيقة اي ست ساعات وثماني دقائق وبما ان يوكوهاما تقع الى الشرق من الكويت فان شروق الشمس فيها يسبق شروقها في الكويت بنحو ست ساعات وثماني دقائق ، بحيث تكون الساعة السادسة صباحا في الكويت حين تبلغ الساعة في يوكوهاما الثانية عشرة وثماني دقائق بعد الظهر وإذا كنا متجهين اليها بالطائرة فان المضيف سيطلب منا - لدى اقترابنا من مدينة يوكوهاما - تقديم الساعة بالقدر المذكور

أما بالنسبة لمدينة الاسكندرية فان الفرق بينها وبين الكويت هو ١٨ خطا طوليا ويضرب هذا الرقم بـ ٤ دقائق ليصبح الفرق الزمني ٧٢ دقيقة ، اي ساعة واثنتي عشرة دقيقة وبما ان الاسكندرية تقع الى الغرب من الكويت فان شروق الشمس فيها يتأخر عن شروقها في الكويت بهذا المقدار ولذلك فحينما نسافر الى الاسكندرية يطلب منا تأخير الساعة بما يعادل ساعة واحدة بالتحديد ، وباسقاط الدقائق التي ذكرنا أما لماذا لا نحتسب هذه الـ ١٢ دقيقة ؟ فرجاؤنا الانتظار قليلا لنتسنى لنا الاجابة

ى هذا السؤال في الوقت المناسب

أما بالنسبة الى مدينة تورنتو الكندية فان فروق خطوط طول بينها وبين الكويت تحتسب على النحو التالي نظرا لوقوع تورنتو غرب جرينتش

ان الفرق بين مدينة الكويت وخط جرينتش (الصفر) يساوي ٤٨ خطا شرقا ، يضاف اليها ٨٠ خطا غربا وهو مقدار الفرق بين جرينتش وتورنتو فيكون المجموع ١٢٨ خطا طوليا وهو مقدار الفرق بين الكويت وتورنتو واذا ضربنا هذا الرقم في ٤ دقائق يكون الفرق بين التوقيت المحلي في كل من الكويت وتورنتو هو ٥١٢ دقيقة اي ثماني ساعات و ٣٢ دقيقة فحينما تكون الساعة الرابعة صباحا في الكويت تكون في تورنتو الثانية عشرة والنصف بعد الظهر وبناء عليه يطلب منا مضيف الطائرة ونحن متجهون الى تورنتو تأخير عقارب الساعة الى الوراء كلما اقتربنا منها طالما ان شروق الشمس يتأخر كلما اتجهنا غربا

خط الزمن الدولي

التوقيت العالمي

قلنا بأنه اتفق على جعل خط طول جرينتش الاساسي الذي تحتسب بموجبه فروق التوقيت المحلي لكل مكان على سطح هذا الكوكب ولذلك يطلق على التوقيت الحالي المعمول به عالميا بتوقيت جرينتش **Greenwich Mean Time** ويرمز اليه من قبيل الاختصار بالحروف **G.M.T.** واحيانا يطلق عليه بالتوقيت العالمي **Universal Time** ويرمز اليه بالحرفين **U.T.** ويستخدم المصطلح الاول وهو **G.M.T.** في الملاحة الجوية والبحرية بينما مصطلح **U.T.** يستعمل في الشؤون الفلكية والامور العلمية ، ويستخدم الرمز **(Z)** في المواصلات للدلالة على هذة التوقيت العالمي

وحين القيام بعملية حساب الوقت مقدرا بالايام والساعات والدقائق والثواني (والتي تعتبر اصغر وحدة زمنية) فان اليوم يبدأ عادة من منتصف الليل ويستمر لاربع وعشرين ساعة ولذلك يسمى نظام الاربع والعشرين ساعة وهو نظام يستخدم في كثير من أقطار العالم وبخاصة في اوروبا وفي المؤسسات الحربية الامريكية

ويعبرون عن نظام العد الساعاتي الاربع والعشرين بأرقام اربعة ونظرا لان معظم الساعات تستخدم الارقام التي نسميها خطأ بالافرنجية على الرغم من كونها عربية الأصل فاننا نستخدمها وبموجب نظام العد الساعاتي

ربع والعشرين فان الارقام الاربعة التالية 0015 تدل ان الوقت يشير الى الدقيقة الخامسة عشرة بعد منتصف الليل . وان الارقام 2400 تعني نهاية يوم وبداية يوم جديد ، وهي تساوي في نفس الوقت 0000 أي صفرا فرضنا ان اليوم الذي انقضى هو الرابع والعشرون من مثلا فان الارقام 2400 تشير الى نهايته وهي مساوية للارقام 0000 والتي تدل على ولادة يوم جديد وهو ٢٥ .

أما نظام الساعة والمتبع عندنا وفي كثير من أقطار العالم ونظام العد النصفي أو الاثنى عشري لأنه يقسم اليوم الواحد ـ أي الاربع والعشرين ساعة ـ الى نصفين متساويين ، يبدأ النصف الاول من منتصف الليل ، أي الساعة ١٢ ليلا ، او ساعة الصفر ، الى الساعة ١٢ ظهرا ومن أجل التمييز بين النصفين نضيف كلمة صباحا أو قبل الظهر وتقابلها باللاتينية Ante Meridie ومن قبيل الاختصار نكتفي بذكر الحرفين A.M.

أما النصف الثاني من اليوم فيبدأ من الساعة الثانية عشرة ظهرا وحتى الساعة الثانية عشرة ليلا وللتمييز هنا نضيف كلمة مساء او بعد الظهر بعد ذكر الوقت كأن نقول الوقت هو الساعة الواحدة بعد الظهر وتقابلها باللاتينية Past Meridiem ويرمز اليها من قبيل الاختصار بالحرفين P.M.

ويختلف التوقيت المحلي لكل مكان على سطح الارض حسب قربه او بعده عن خط جرينتش وحسب اتجاهه شرقا أو غربا كما ذكرنا وحينما نحسب هذه الفروق تظهر لنا مشكلة الثواني والدقائق والتي ربما تعقد الأمر ومن أجل تجنب ذكر الثواني والدقائق في مثل هذه الأحوال تسهيلا للمعاملات بين مناطق العالم وأقاليمه والتي تجعل مصالحها متشابكة وعلاقاتها مترابطة ، فقد اتفق عام ١٨٨٤ على اتباع نظام عالمي موحد وهو تقسيم العالم الى ٢٤ منطقة زمنية (كما ترى في الخريطة المقسمة) بحيث تضم كل منطقة خمسة عشر خطا طوليا أي ما يساوي ساعة (١٥ خطا × ٤ دقائق = ٦٠ دقيقة)

وبهذه الحال فان جميع الاماكن أو البلدان الواقعة في المنطقة الزمنية الواحدة تتساوى زمنيا على الرغم من عدم وقوعها على خط طولي واحد فالكويت ـ على سبيل المثال ـ تقع على خط طول ٤٨ درجة شرقا الا أنها من حيث المنطقة الزمنية العالمية تتبع خط طول ٤٥ درجة شرقا وبذلك تحسب كسور الساعة حين نحسب فروق الزمن بينها وبين الاسكندرية مثلا ففي هذه الحالة تكون الفرق ١٥ درجة طولية أي ساعة فقط بدلا من ساعة واثنتي عشرة دقيقة وهكذا نستطيع معرفة التوقيت المحلي لكل منطقة من مناطق العالم بالنظر الى الخريطة المرفقة فمثلا حينما تكون الساعة التاسعة صباحا في لندن تكون الساعة في الكويت الثانية عشرة ظهرا

خط الزمن الدولي

وكما اتفق على اتخاذ خط طول جرينتش خط الصفر المنصف للكرة الارضية والذي بموجبه نقول نصف الكرة الشرقي ونصف الكرة الغربي فانه اتفق ايضا على جعل خط الطول ١٨٠ الاساسي الذي يبنى عليه خط الزمن الدولي وهو الخط الذي اصطلحوا عليه واعتبروا عبوره بمثابة اجتياز ليوم كامل اوجبوا تقديم الساعة او تأخيرها ٢٤ ساعة لدى تخطيه وخط ١٨٠ كما قلنا هو الخط الناتج عن انطباق خط طول ١٨٠ شرقا على خط طول ١٨٠ غربا ، اي الخط الذي يلتقي فيه الشرق بالغرب على الرغم مما قاله الشعراء « الشرق والغرب لا يلتقيان »

ويمر خط طول ١٨٠ بالمحيط الهادي وينصفه تقريبا ، ولكن خط الزمن الدولي لا ينطبق تماما على خط الطول ١٨٠ هذا بالرغم من انه يبنى عليه فقد جعلوا الثاني مستقيما لا منعرجا كالأول ، وذلك من أجل تفادي المرور بالمناطق الجزرية الآهلة بالسكان في المحيط الهادي ، وحتى لا يختلف الزمن في المكان الواحد الذي يمر منه هذا الخط كأن يشهد قسم من ذلك المكان على سبيل المثال نهاية يوم مضى في حين يشهد القسم الآخر بداية يوم جديد

وبطبيعة الحال يترتب على عبور خط الزمن الدولي من الناحية النظرية كسب يوم او فقدانه فاذا عبرنا هذا الخط متجهين شرقا ، خسرنا ذلك اليوم ، أما اذا عبرناه الى الغرب فاننا نكسبه فلو تصورنا ان شخصا ظل يعبر الخط يوميا في الاتجاهين فان سنه او عمره من الناحية النظرية سيظل ثابتا لا يزيد فالى هواة الصبا والشباب الذين لا يريدون ان يكبر سنهم ، وبخاصة النساء ، نتوجه بالنصيحة بالعيش على خط الزمن الدولي حتى يظل سنهن ثابتا لا يزيد وفي هذه الحالة يصبح العمر الذي يصرحن به حقيقة مسلما بها ، سواء شئنا أو أبينا ! ■■

الكويت ـ د. محمد علي الفرا

ذكرى الشاعرين :

عبد الحميد بن باديس *

اذا كانت الأمم اللاتينية ـ على ما بينها من تزاحم وتخاصم وتقاتل وتناحر ـ ترتبط برابطة اللاتينية وتتعهد ثقافتها . وتعقد المجتمعات العظيمة لتقوية روحها وتعين حبل التمسك بها . فنحن ـ ابناء العربية ـ وليس بيننا شيء من تلك المفرقات بل ما بيننا الا ما يقرب بعضنا من بعض من المؤلفات والمحببات . احق بان نفعل مثلهم وأكثر منهم في لغتنا العربية

وفوق هذا فان اللغة اللاتينية ليست لغة العلم والادب المشتركة ما بينهم مثل العربية التي هي لغة العلم والأدب ما بين سبعين مليونا من ابناء الضاد . وليست اللاتينية قريبة من عاميتهم مثل قرب العربية الفصحى من عاميتنا . حتى انه لو قام خطيب يخطب باللاتينية لما وجد من يفهمه الا قليلا من أهل القلم منهم . ونحن نلقي دروسنا ومحاضراتنا واكثر خطبنا بالعربية الفصحى فلا يخفى على بعض السامعين الا قليل من الغوامض

فاذا كانت العناية باللاتينية من واجب خاصتهم ، فان العناية بالعربية من واجبنا عامة وخاصة اذ هي لغة اجمعين واذا كان تمسكهم برابطتهم اللاتينية لم يخرج أي واحد منهم عن وضعيته الاجتماعية الخاصة . فان تمسكنا بهذه الرابطة العربية لا يخرجنا عن وضعيتنا الخاصة وما لنا من ارتباطات اخرى ترتبط بها المجتمع الجزائري !

ان من حقنا ومن الواجب علينا ـ نحن معاشر المسلمين الجزائريين ـ الذين تشربت عروقنا هذه اللغة الكريمة من معين قوميتنا الشريفة وتغذت أرواحنا من بيانها العذب المصفى . من ديننا المعظم . واستنارت عقولنا من شمسها المضيئة بالانوار الساطعة من تاريخنا الجليل ، من حقنا الواجب علينا أن نكرم العربية ومن يكرم العربية وخصوصا من خدم العربية بعقله وروحه وحياته مثل شاعرينا الكريمين ؟ ومن حقنا أيضا ـ أن نرتبط بأبناء العربية ارتباط القلب واللسان . ارتباط العقل والتفكير . ارتباط الشعور والضمير

انا باحتفالنا هذا بذكرى شاعري العربية العظيمين شوقي وحافظ . نكرم سبعين مليونا من أبناء العربية الذين يعدون العربية لغتهم القومية . ونكرم خمسمائة مليون من أبناء الاسلام الذين يعدونها لغتهم الدينية ونكرم الامم المتمدنة جمعاء التي يعترف اكابر علمائها المنصفين بمزية اللغة العربية التاريخية على العلم والمدنية

ليس الشاعران الخالدان بالمحتاجين للتعريف بهما . ولست بالباحث الاديب الذي يستطيع ان يعرض عليكم في بلاغة وايجاز صورا تامة من أدبهما . غير اني ربما استطيع ان اقول شيئا من وجوه الشبه والاختلاف في حياتهما ، ووجوه من النعمة العظيمة من الله تعالى على العربية بهما

قد اتحد الشاعران في الموطن وتقاربا في المولد والوفاة ولكنهما تباينا في البيئة والنشأة والمعيشة . فنشأ شوقي في بيت الأمارة ، وفي بيئته الخاصة ، وعاش عيشة الترف والنعمة ، ونشأ حافظ في بيت أبيه وفي ...

• في مجلة الشهاب الجزائرية عام ١٩٣٤

.. امه . وعاش عيشة البؤس والشدة فكان من نعمة الله أن قسمت الحياة بينهما هذا التقسيم ليؤدي كل منهما .. عربية رسالته من ناحيته ومؤثراتها الخاصة به
فلقد احرجت بيت الامارة المرتبطة بالخلافة من شوقي ، شاعر الاسلام والعرب والاحداث الاسلامية .. كبرى والتاريخ الاسلامي العام وتاريخ العرب واحرجت البيئة العامة الرازحة تحت نير الظلم والمتجرعة .. ألوان الشقاء ، والمتقلبة في دركات الانحطاط من حافظ شاعر الاخلاق والاجتماع والوطنية ولاغناء لواحد من العرب عما جاء به كل واحد من الشاعرين في ناحيته ولو لم يخص الله الا احدهما لما تمت النعمة من .. حيتين
.. انت العربية القرآنية قد تهوست اساليبها وانقطع سند الأمة العربية عما فجدد الشاعران من شبابها ، .. وعادا من بيانها ، ما حسب الناس انه مات مع الأيام الزاهرة للعرب بالمشرق والمغرب
.. حسب قوم ان العربية لا تتسع لما جدّ من المعاني الا اذا خلعت عنها ثوب القرآن ، ونسجت ـ مثلهم ـ .. مسوحات « لانكليز » وأحوب « لانكليز » . فجاء الشاعران ـ خصوصا شوقي في العقد الاخير من .. عمره ، من قصائدهما العصرية المعاني القرآنية اللغة والاسلوب والتراكيب ـ باوضح الرد وابلغ التكذيب
.. عاش الشاعران كل على ما قسم له من الحياة حتى جاءت الحرب العالمية الكبرى ووضعت اوزارها فاذا .. شوقي يخرج الى العالم من قفص دار الامارة ، واذا بحافظ يدخله بؤسه الى قفص الوظيفة في دار الكتب .. المصرية
.. فماذا كان من الشاعرين العظيمين بعد ؟
.. كان منهما ما يجب ان تكون فيه ابلغ العبرة ، فان شوقي اتسعت شاعريته العالمية ، وقويت سرعته .. نوصه ، وان حافظ فقد سكت ، سكت الا عن قليل كان أكثره رثاء ! ولعمر الحق ما اسكته الا الوظيف .. لذي سمي به الشرفي ـ حتى مثل حافظ وبا للأسف ـ بنفسه ، وأمته ، وملته ، الا ما شاء الله
.. مما نفع شوقي اطلاعه على اداب أمم أخرى في لغة اوروبية هي الفرنسية وأن مما نفع حافظا ما مسه من .. لا مع قومه وقد كان يطالع « الاغاني » و « العقد الفريد » ويعيد مطالعتهما المرة بعد المرة ، فعلى أدباء .. جزائر وشعرائها أن يدرسوا ادابهم العربية ، وان يطالعوا الآداب العربية في اللغة الفرنسية وان يمارحوا .. قومهم ليألموا ويسمو ـ ان كان بغيم ـ معهم ، لتكون هم منزلة أدبية عالمية ، وآثار بارزة في الحياة .. جزائرية
.. هذا الشاعرين العظيمين قد احدث من نوع ما بانت قرائح وان موتهما مما نشاهد من تكريم العالم العربي .. من مسجلي ملكات وسمت همما ، فكونوا ـ واسم الله ـ في أول الرعيل
.. ليس للجزائر من حافظ الا ما للاوطان العربية الاخرى من شعره وأدبه وفنون قوله ، أما شوقي فقد قدر .. له ان يزور هذه الجزائر في شبابه وينزل بعاصمتها أربعين يوما للاستشفاء ، ويقول عنها : « ولا عيب فيها .. سوى انها قد مسخت مسخا ، فقد عهدت مساح الاحذية فيها يستنكف النطق بالعربية ، واذا خاطبته بها .. لا يجيب الا بالفرنسوية فاعجبوا للاستدلال على حالة امة بمساح الاحذية منها ! ولا يحمل بي أن أريد في .. مقدمة هذا . الا ان فقيدنا العزيز لو أتى من عام العيب حقنا هذا لكان له في الجزائر رأي آخر ، .. الامة التي صنعها الاسلام فهو صنعه به ، وأنجبتها العرب ، وهي أمة التاريخ ، وأمتها (1)
.. وهي العاتية على الزمن وتعاند ، لا تستطيع ولن نستطيع أن تمسخها الايام ، ونوائب الايام .. الاحوال
.. عن الصغير ، وباسمه الجزائر الكبير ، وباسم جمعكم الكريم ، أرفع التحيات الزكية للفقيدين .. الى مرقدهما وجميع العاملين لاحياء العربية وأدبها من بعدهما .. العرب ولتعش العربية ، وليعش المحبوب فيهما من الناس أجمعين

.. ن .. ستها

الصلاة خارج الأوقات الخمسة

وقصص

الطوارق الليبية

بقلم احمد محمد عطيه

ابراهيم الكوني صوت فريد مميز من الأصوات الجديدة التي تشكل وجه الثقافة العربية الحديثة في ليبيا . وتتقدم بالادب الليبي صوب الأصالة والحداثة ، وتثري القصة الليبية بتجارب جديدة واشكال جديدة ومضامين جديدة

اذ تفرد قصص الكوني بالحداثة في المعمار الفني والتصوير الجديد لمجتمع عربي لم تطرقه القصة العربية من قبل ، هو مجتمع الطوارق ، بتراثه وتقاليده وأعرافه واساطيره واهله وطبيعته الصحراوية وتمتزج الاصالة بالحداثة في احياء القاص الليبي للتراث الشعبي والاسطوري لمجتمع الطوارق العربي وشحنه بمضامين ورؤى عصرية فتقدم قصصه اضافة جديدة في الشكل والموضوع ، وتفتح بذلك افاقا جديدة للقصة العربية . التي تكررت موضوعاتها . في القرية والمدينة وعالم الطبقة الوسطى . بينما تترامى اطراف الوطن العربي من المحيط الى الخليج ، لتضم الصحارى والسواحل والجبال والنفط والمناجم . حيث تتنوع حياة الانسان العربي وتجاربه وطموحاته

وينتمي الأديب الليبي ابراهيم الكوني في طليعة جيل جديد من الادباء الليبيين هو جيل السبعينات الذي بلورته الثورة الليبية والثقافة الحديثة . حيث يجمع بين الثقافة والموهبة والخبرة بالمجتمع والناس والحياة في ليبيا المعاصرة ، ويتسلح برؤى تقدمية عربية فابراهيم الكوني قادم من اعماق الصحراء الليبية كأحد ابناء قبائل الطوارق [illegible] محنتهم وثقافتهم وتراثهم . واكمل ثقافته [illegible] الادب والثقافة الانسانية بمعهد جوركي [illegible] منتصف السبعينات فهو نوعية جديدة [illegible] مقدم للاديب الليبي المثقف والمبدع [illegible] بين الصحافة والادب ، وبين النقد و [illegible] يكتب الدراسة النقدية والمقال الفكري [illegible] جنب مع ابداعاته المتميزة في القصة الليبية [illegible]

والقصة القصيرة هي الفن الأدبي المزدهر في الادب الليبي الحديث ، مع انتشار الصحافة واجهزة الاعلام والمدارس والجامعات واتساع دائرة القراء والمثقفين غير انه بالرغم من الاعمال الابداعية الوفيرة التي قدمتها القصة الليبية عبر عدة اجيال ، فقد ظلت القصة الليبية بعيدة عن متناول القارىءالعربي والناقد العربي ، وقبعت في المناطق المجهولة في ادبنا العربي الحديث التي تتطلب الاكتشاف والتعريف والنقد ، وتلك هي مهمة النقد العربي وواجبه القومي

منعطفات في الميلاد

ترتبط البدايات الاولى للقصة الليبية بحدثين هامين في التاريخ الليبي الحديث ، الاول ظهور الصحافة في اواخر القرن التاسع عشر ، والثاني اعلان الاستقلال في اول الخمسينيات وفيما بين هذين التاريخين تدرجت القصة الليبية على سلم النضج الفني والموضوعي ، وتفاوتت مستوياتها ، من ... الشعبية و « الحدوتة » وقصص التراث ... الى القصص الفنية المعبرة بشاعرية وكثافة عن قضايا الانسان والمجتمع والوطن ... مرورا بالقصص المنقولة والمقتبسة والمصوغة عن قصص عربية واجنبية ، والمقالات وغيرها من تجارب البدايات المضطربة ...

فيذكر الناقد والقاص الليبي حسن كامل المقهور ، في دراسته « حول القصة الليبية » ان بروز القصة الليبية يرجع الى رصيدها من الحكايات والقصص الشعبية التي لعبت دور البديل عن الادب الفصيح في مواجهة الكبت الاستعماري ومحاربة الثقافة العربية ، وان فترات الكفاح الوطني ضد المستعمر ساعدت على انتشار تلك الحكايات الشفوية القصيرة التي تعدي النضال وتمجده من خلال تكثيفه في لحظات قصصية سريعة ، « مما جعل من عنصر اللحظة طابعا يميز الآداب والفنون في تلك الفترة ويطبعها بالسرعة والقصر والاختصار ، فلم تكن الحكايات تحكي عن المجاهدين من يوم مولدهم حتى مماتهم بل كانت الحكاية تحكي عن يوم معين من حياته او موقف وقفه او لحظة استشهاده ، مما طبعها دون شك وبشيءمن التجاوز بطابع القصة القصيرة »

وقد عثر الناقد المصري الدكتور عبد القادر القط ، خلال عمله استاذا بجامعة بنغازي ، على مجموعة من القصص الليبية نشرت بمجلة « ليبيا المصورة » في اعداد متتالية عام ١٩٣٥ بتوقيع مستعار « و ب » ونسبها للقاص الليبي وهبي البوري وتحدث الدكتور القط في دراسته « بدايات القصة الليبية » عن امكانية وجود قصص اخرى قبل الثلاثينيات ، كما وجد مثيلاتها منشورة في الصحف الليبية حتى اول الخمسينيات غير انها كقصص

البدايات غير ناضجة وغير مكتملة البناء الفني ، اقرب الى المقالة القصصية منها الى القصة القصيرة بمفهومها الحديث .

يقول الناقد الليبي نجم الدين الكيب ، في كتابه « دراسات في الادب والفن » ان انتهاء الحرب العالمية الثانية بهزيمة المحور وزوال الاستعمار الفاشستي ، كان ايذانا بمرحلة نهضة ادبية وسياسية ، رغم وجود الانتداب البريطاني ، لانه كان اقل عنفا من الفاشست الايطاليين في محاولتهم لمحو الثقافة العربية ومحاربتهم للروح القومية واللغة العربية ، فكان ظهور الادب مع السياسة في صحف تلك الحقبة السابقة على الاستقلال بمثابة العلامة الاولى لقدوم مرحلة جديدة يأخذ فيها الادب بدوره الكبير في رسم الخطوط العريضة للحياة الفكرية .

أما « البيلوغرافية الوطنية » لوزارة الاعلام الليبية فترجع بتاريخ صدور اول مجموعة قصصية ليبية ، في كتاب « نفوس حائرة » لعبد القادر ابو هروس ، الى عام ١٩٥٧ ، غير انها قائمة افتقدت الدقة في التصنيف والتأريخ ، اذ جمعت بين القصص والخواطر والمقالات في تصنيفها للقصص الليبية ، كما انها لم ترجع الى القصص المنشورة في الصحف الليبية طوال العقود السابقة على الخمسينيات .

ويجمع نقاد القصة الليبية على أن تلك البدايات القصصية افتقرت الى الشكل الفني الحديث للقصة القصيرة ، فكانت تمتلىء بالحكاية والسرد التقريري المطول واسلوب المقالات ، وسيطر عليها طغيان القدر واسلوب المفارقات ، وحشيت بالشخصيات الشاذة والاحداث المفاجئة غير المبررة فنيا .

جيل الستينيات

اما البدايات الفنية والموضوعية للقصة الليبية فيمكن الرجوع بها الى أواخر الخمسينيات واوائل الستينيات . فقد انتشرت القصة القصيرة وازدهرت حتى صارت الفن الادبي الاول في ليبيا ، كما النقاد الليبيون . حسن كامل المقهور ويوسف القويري وخليفة حسين مصطفى في دراساتهم . انتشار الصحافة الوطنية والمجلات الثقافية ود . المجلس الاعلى للأداب والفنون . وتجلى د . الازدهار القصصي في الصحف والكتب واجهزة الاعلام والثقافة في انتاج جيل الستينيات القصصي الكبير الذي زود الصحافة الليبية والادب الليبي الحديث بسيل من القصص والمجموعات القصصية ابتداء من اواخر الخمسينيات وحتى السبعينيات واوائل السبعينيات ، مثل المجموعات القصصية الثلاث لعلي مصطفى المصراتي « مرسال » « الشراع الممزق » ، و « حفنة من الرماد » والمجموعات القصصية الست لعبد الله القويري « حياتهم » ، « قطعة من حجر » ، « الفرصة والقناص » ، « العيد في الارض » ، « السوس والتمر » ، و « خيط لم ينسجه العنكبوت » ومجموعتي حسن كامل المقهور « ١٤ قصة من مدينتي » ، « والأمس المشنوق » ومجموعات احمد ابراهيم الفقيه الثلاث « البحر لاماء فيه » « اربطوا احزمة المقاعد » ، « اختفت النجوم » ومجموعات بشير الهاشمي الثلاث « الناس والدنيا » ، « احزان عم الدوكالي » ، و « الاصابع الصغيرة » ومجموعات قصصية اخرى كثيرة لايتسع المجال لحصرها للكتاب خليفة التكبالي ويوسف الدلسي ويوسف الشريف ومحمد علي الشويهدي وابو بكر الهوني وغيرهم من كتاب جيل الستينيات ، الذي كفل لهذا الفن الحديث والاحترام والانتشار ، وطور نفسه فنيا وتقدم باتجاه صوت الالتزام السياسي والاجتماعي .

اما جيل السبعينيات في القصة الليبية فيمثل درجة التطور والتقدم في هذا الفن الادبي ، لانه جيل مثقف استوعب تجارب جيل الستينيات الذي مهد له الطريق وأرسى اسس هذا الفن القصصي . اتيحت له فرص الدراسة والتعليم والاطلاع على الثقافة الانسانية . ويمثل ابراهيم الكوني وخليفة

...حسين مصطفى ورجب الشلطامي وسواهم حيل
...صيات في القصة الليبية القصيرة اصدق تمثيل ،
... وموضوعيا وثقافيا وفكريا

الصلاة خارج الاوقات الخمسة

تتميز قصص ابراهيم الكوني بالحداثة الفنية وتصويره لمجتمع الطوارق وحياتهم وثقافتهم وعاداتهم التي خبرها كواحد منهم. والطوارق شعب ... عربي يعيش في جنوب الصحراء الكبرى بولاية ... . ويشكل نمطا فريدا في الحياة الاجتماعية والثقافة العربية ، فلهم نظمهم الاجتماعية الخاصة التي تعطي للأم واقاربها مكانا بارزا في الوراثة والسلطة. كما تتمتع المرأة بحرية الاختلاط بالرجال وكشف الوجه ، بينما يغطي الرجل وحده وجهه باللثام ، لذا سمي الطوارق بالملثمين ، ويمثل اللثام والابل والسلاح علامات بارزة في حياة قبائل الطوارق لأنها رموز للمكانة الاجتماعية والاقتصادية ... للرجل اعتراف القبيلة به. فالطوارق مجتمع رعوي يقوم على رعي الابل والانتقال مسافات كبيرة ... للمراعي والمياه. وهو مجتمع تجاري ومحارب ... يقوم أبناؤه بالتبادل التجاري مع الشعوب المتاخمة للصحراء وبالسيطرة على الطرق الصحراوية والقوافل التجارية ، لأن الطوارق خبراء بمسالك الصحراء ودروبها.

ومع ان ظهور البترول ، وما تبعه من هجرة ابناء الطوارق الى المدن والعمل بشركات البترول ، وبعده وسائل النقل والاتصال الحضارية ، غير الكثير من خصائص مجتمع الطوارق الا انهم « لايزالون محتفظين للآن بالكثير من ملامح ثقافتهم التقليدية ... الاجتماعي الذي يختلف اختلافا شديدا ... السائدة في المجتمع العربي والقبائل العربية ... في الصحراء ». كما يقول الدكتور احمد ... كتابه « دراسات انثربولوجية في المجتمع ...

...مع الطوارق ، هذا المجتمع الصحراوي
... يكتب ابراهيم الكوني قصصه الليبية
حديثة برؤية مستقبلية تقدمه ترفض التخلف والاتكالية المفرطة وتومىء الى قدرة الانسان العربي على المقاومة والتقدم نحو مستقبل افضل وتجسد شخصياته الشابة انموذج الشخصية الايجابية في مجتمع الطوارق. وتقدم مجموعته القصصية « الصلاة خارج نطاق الاوقات الخمسة » تنويعات على الحياة الانسانية والطبيعة الصحراوية والتراث الشعبي والاسطوري في مجتمع الطوارق.

وتقدم القصة الرئيسية ـ التي منحت المجموعة عنوانها ـ انموذجا متكاملا للنهج القصصي الجديد في قصص ابراهيم الكوني ، بحداثتها في البناء الفني وتصويرها الأمين لمجتمع الطوارق. فهي قصة قصيرة طويلة تقع في ٢٧ صفحة ، ويعتمد معمارها الفني على تقديم مشاهد متتابعة تجمع بين التصوير الواقعي والتراث الشعبي والاسطوري لمجتمع الطوارق ، الانسان والحيوان والطبيعة في ذلك المجتمع الصحراوي العربي الفريد.

وقد اجاد ابراهيم الكوني استخدامه لتداخل الازمنة في تنوير القصة وتطويرها معا ، كما تنقل بمهارة بين الشخصيات والامكنة دون ان يفلت منه زمام الحدث الرئيسي وتكثيف الازمنة في لحظات ومواقف محددة. فتصور مشاهد القصة اثر المطر والسيل في مجتمع الطوارق. ويتنقل القصاص بالمشاهد كالمخرج السينمائي ، فلا يظهر مباشرة او يعلق ، بل يتنقل بين الامكنة والازمنة المختلفة ليصور الحدث من كل الزوايا ، ويلقي اضواء جديدة على التراث الاسطوري والاجتماعي المصاحب للحياة الانسانية في مجتمع الطوارق الرعوي ، الذي يلعب المطر والابل والنساء ادوارا اساسية فيه.

عندما يزحف السيل

ففي القسم الاول من القصة « البداية » ، نتابع حدث المطر في الزمن الحاضر الذي جسده القاص في حدث درامي رئيس وشخصيات انسانية تمثل مجتمع الطوارق ، وتتراوح الشخصيات بين التقليدية السلبية والايجابية. اما الحدث الرئيسي فيتمثل في

مهاجمة السيل الهائل لخيمة الشابة « تميما » واستسلام الرحال للسيل كقدر علوي لاراد له. بينما تتقدم الشخصية الايجابية للشاب « الدامومي » ، الذي يتحدى الاستسلام للقدر وقوى الطبيعة ويتحرك لانقاذ « تميما » حبيبته التي رفضت امها ترويجها له. ومن خلال ذلك يصور القصاص خيام الطوارق وحياتهم. ويسرع « الدامومي » الشاب عمود الخيمة وعصا الشيخ « مهمدو » ليخوض في التيار العنيف ، بينما يتهمه الرحال المستسلمون بالجنون ، ويصفهم الشيخ بالفساد لسلبيتهم واتكاليتهم.

وفي القسم الثاني من القصة ، يرتد القاص الى الزمن الماضي ليصور اثر المطر في حياة مجتمع الطوارق الرعوي وتراثهم ، من اغنيات الاطفال التراثية للمطر الى اقامة الولائم وذبح القرابين وتلاوة القرآن واطلاق الادعية ليل نهار « فبعد ان اعياهم ذبح القرابين ، واقامة ولائم ختم القرآن استجداء لرحمته تعالى ، لم يعد امامهم سوى تشجيع الاطفال على التعري والاندفاع الى الخلاء وترديد ذلك النداء التقليدي امطري امطري ، فلم يبق من التمر سوى حبات الذي ملقاة في الخريج وماؤك يا الله كامن في السماء » وعندما يتأخر المطر ولاتجدي الادعية والقرابين ، يتحدد الخوف من هلاك قطعان الابل ، اهم شيء في حياة الطوارق ، غير ان المطر يهجم في شكل سيل هادر ويمضي القصاص ليصور اثر السيل المدمر في مجتمع الطوارق ، بدءا من الماشية الى الرحال والنساء والخيام وتجسد القصة ذلك الاثر في شخصية الفتاة « تميما » التي فاجأها السيل داخل خيمتها وجرفتها مياهه حتى لجأت الى ربوة تحاصرها مياه السيل وتتصاعد لاغراقها ، بينما فر الرحال والنساء بعيدا عن « قعر الوادي » حاملين معهم مايمكن حمله وانقاذه من « العفش والخيام والمؤن ».

ويتابع القاص تجسيد اثر المطر في حياة الطوارق في مشهد تال بعنوان « الدخان والنار » ليعترف من ماضي البطل « الدامومي » اليتيم ، حدث موت عمه عطشا بينما كان يتفقد ابله في يوم صيف قائظ ... « الدامومي » وحيدا بلا اهل حتى نعته القوم بالـ... بسبب موت امه وابيه وعمه ، وجاء ذلك كمبرر موضوعي لتحديه المطر والسيل وقسوة الطبيعة ... « فعمل راعيا عند احد الاثرياء مقابل معره و ... الى جانب المأكل والملبس ».

هكذا يقدم الكوني مجتمع الطوارق الطبقي ... بين الاثرياء الذين يملكون الابل ، المصدر الا... للثروة لدى الطوارق ، في حين لايعملون ... الاتباع الذين يقومون بالعمل البدوي ورعي الابل مقابل طعامهم وكسائهم ، ولايملكون شيئا.

ويصور القاص شخصية « الدامومي » ... احادا ، كشخص وحيد منفرد ، يحفظ اشعار التراث الشعبي والاسطوري للطوارق ويغنيها للنساء بصوت جميل حزين ، ويقدم خدماته وخبراته في ترويض الابل والناقات الشاردة لاهل النجع كم يصور حفلات الاختلاط الليلية بين الفتيات والشبـ... في مجتمع الطوارق ، التي جمعته بحبيبته الشابة « تميما » هكذا يصعد القاص الحدث ويزيد من توتره الدرامي ، ويقدم المبرر الفني والموضوعي لتضحية الشاب « الدامومي » واقدامه على الخوض في تيار السيل الهادر لانقاذ حبيبته « تميما » وفي المشهد المعنون « بالتيار » مقاومة « الداموي » واصراره على مواصلة المقاومة والتقدم صوب الربوة المحاصرة بمياه السيل لانقاذ حبيته « تميما » حتى وجدها تعلو آخر صخرة لم يغمرها التيار بعد

نهاية مأساوية

وفي مشهد شاعري جميل عنوانه « الحب ... » يرسم ابراهيم الكوني لقاء الحبيبين تحت مياه المطر وسط حصار السيل ، عندما ترفع « تميما » ... « الداموي » المبلل ، ويمترحان معا في ... رغم طوفان المياه ثم ينتقل المشهد التالي ... الى الجانب الآخر ليصور اهل الطوارق ...

لعملية الانقاذ وتصورهم لموت الحبيس
س الطوارق وفلسفتهم في الموت « بدأت
ـه) تنتحب بصوت متقطع وحافت لكنه
على عادة النساء عندما يموت انسان عزيز
ـه في صمت اكثر مدعاة للحزن من تمزيق الثياب
ـم الخدود . هذه فلسفة الطوارق ازاء الموت
ـ الشيخ (مهمدو) ان المأتم قد بدأ صمتا
حرط سبح بحمد الله ، ويقرأ القران »

اما في مشهد الصلاة فيصور القاص قضاء الرجال
لة الحزينة في الصلاة ، بعد فراغهم من اداء كل
لوات الخمس بناء على دعوة الشيخ « مهمدو »
ـلا « فلتكن الركعتان صلاة على الخسارة
لاحزان قربان لله من كل مكروه ! » ولكن
لداومي » يفاجىء الجميع بعودته حاملا حبيبته
ـه على ظهره بادلا كل قواه في مقاومة التيار
بحاة من الغرق ، وما ان اوصل حبيبته حتى احذ
أ دما اسود ولفظ احر انفاسه ولم تلبث حبيبته ان
ـت فتاتين توءمين بعد تسعة اشهر من وفاته
ـمها « تاسس » و« وانس » رددت اسميهما اساطير
طوارق ومعروف ان الاساطير ترجع باصل
ـع الطوارق وتقسيمه الطبقي الى امرأتين ، كما
ر . كارلتون كون » في كتابه « القافلة قصة
ـرق الاوسط »ترجمة برهان دجاني ، ان سلاء
طوارق ينتسبون في الاصل الى امرأة تدعى « تن
ان » بينما ينتسب الاتباع الى خادمة « تن هنان »
ـها وهي امرأة تدعى « تكمات » جاءت معها
ـت الى خادمها ، كما يقول د . احمد ابو زيد ايضا
كتابه « دراسات انثربولوجية في المجتمع
ـبي

ـ ـة القصة مأساوية حقا ، لان القبيلة اثمت
لاد ـسها « كثمرة لعلاقة غير شرعية مع
ـر « وعبثا حاول الشيخ « مهمدو » تبرير
ـلاقة بالحب و برقص ام « تميا » ترويجها له
ـ ضطروها للرحيل الى المجهول ، فهامت
. بينما عكف الشيخ « مهمدو » على

● الصلاة خارج الأوقات الخمسة

الصلاة لها ركعتين خارج نطاق الاوقات الخمسة فتومىء القصة بذلك الى قيم الحب والمقاومة والشجاعة كقيم انسانية ايجابية لاتتعارض مع القيم الدينية والقبلية التقليدية لمجتمع الطوارق

وتنتقي قصص ابراهيم الكوني الاخرى نماذج الشخصيات الرئيسية في مجتمع الطوارق ، لترسم لوحة بانورامية تتجسد فيها ملامح البناء الاقتصادي والعلاقات الاجتماعية في مجتمع الطوارق فتكشف قصة « الغول » وضع الزنوج العبيد في مجتمع الطوارق الطبقي القائم على طبقتي الاثرياء النبلاء والاتباع الرعاة ثم الزنوج العبيد الذين يقعون في الاسر عند الاغارة على القوافل والحروب مع الجماعات الافريقية المتاخمة لجنوب الصحراء ، وذلك في شخصية بطل القصة الزنجي « الغول » ، الذي تمرد على سيده وعلى نظام الطوارق الطبقي وعلى المستعمرين الايطاليين الفاشيين ، المستغلين لخيرات الوطن وقوة عمل ابنائه ويمزج الكوني بين اساطير الطوارق والمقاومة الوطنية للاستعمار الايطالي مزجا عصريا ماهرا ليكشف النهب الاستعماري للوطن والبشر فيدين الاستغلال الاقتصادي للزنوج في مجتمع الطوارق والنهب الاستعماري الايطالي لليبيا ، في زمن القصة

وتبرز في قصص الكوني العوامل الرئيسية في حياة مجتمع الطوارق الصحراوي ، مثل المطر وأثره الحاسم في الرعي والابل وارتباط التكوين الطبقي للمجتمع بامتلاك الابل والاتباع والعبيد ، والاساطير والعادات النابعة من هذه الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية لمجتمع الطوارق فتتمحور اغلب قصص الكوني المصورة لمجتمع الطوارق حول ترقب السحب والماء والمطر والقحط والسيل ، وآثار ذلك كله في الانسان والمجتمع والحياة والفلسفة والتراث الشعبي والاسطوري لمجتمع الطوارق ■■

احمد محمد عطيه

الإمام محمد عبده

مطلوب إعادة إكتشاف هذا الرجل

بقلم . الدكتور محمد جابر الأنصاري

هناك جانب لم يلتفت اليه أحد من الذين أرخوا للامام محمد عبده ، وهو معالجته المتقدمة للعلاقة بين العروبة والاسلام ، والتي كانت كتاباته تمهيدا لظهور فكرة الوحدة العربية

فلماذا لم يولها الباحثون الأهمية التي تستحق في عروبة مصر التي بدأت مع بشائر فكر النهضة المصرية ؟

من الجوانب الهامة التي تم اغفالها ولم تقدر تقديرا وافيا في فكر شيخ النهضة المصرية الاستاذ الامام محمد عبده تفسيره المتميز للتاريخ الاسلامي في ازدهاره وانحطاطه من منظور عروبي ، يتجاوز المثالية الدينية العامة في جمعها بين الأقوام المسلمة أيا كانت ، وأيا كانت طبيعتها القومية وخصائصها التاريخية

وفي غطيه هذه المثالية الأممية ، يبرز محمد عبده ، بوضوح ، نزعة واقعية تاريخية تحليلية تبعده عن خط الفقهاء التقليديين ، بقدر ما تقارب بينه وبين نهج ابن خلدون التاريخي التحليلي ، وهو النهج الذي أعاد اكتشافه محمد عبده ، من خلال مقدمة ابن خلدون والدراسات الحديثة حولها ، فيما يمكن أن نعتبره أبرز تحول فكري في حياته منذ إعادة اكتشافه لفكر المعتزلة قبل ذلك

يقول في مجال تحديده للمنعطف الذي تحول عنده الاسلام من الصعود الى الانحدار في مجراه التاريخي الحضاري : « كان الاسلام دينا عربيا ، ثم لحقه العلم فصار علما عربيا ، بعد أن كان يونانيا ، ثم أخطأ خليفة في سياسته (يقصد الخليفة العباسي المعتصم) ، فاتخذ من سعة الاسلام سبيلا الى ما كان يظنه خيرا له (أي لشخصه) ، ظن أن الجيش العربي قد يكون عونا لخليفة علوي لأن العلويين كانوا ألصق ببيت النبي ، فأراد أن يتخذ له جيشا أجنبيا من الترك والديلم وغيرهما من الأمم ... سلطانه ، فلا ساعد الخارج ... في سعة أحكام الاسلام وسهولته ما يبيح له ... استعجم الاسلام وانقلب أعجميا ، خليفة ... يصنع لنفسه ولخلفه ، ونسي ما صنع بأمته ... أكثر من الجند الأجنبي فلم تكن إلا عشية ... رؤساء الجند على الخلفاء واستبدوا ... ، وصارت الدولة في قبضتهم ولم يكن لهم ذلك العقل الذي راضه الاسلام ، والقلب الذي هذبه الدين ، بل جاءوا الى الاسلام بخشونة الجهل يحملون ألوية الظلم ، لبسوا الاسلام على أبدانهم ، ولم ينفذ منه شيء الى وجدانهم ، وكثير منهم كان يحمل إلهه معه ، يعبده في خلوته ، ويصلي مع الجماعات لتمكين سلطته » (راجع محمد عبده ، الاسلام بين العلم والمدنية ص ١٦٦ - ١٦٧) .

من الواضح هنا أن محمد عبده ، على استيعابه العميق للروح الدينية الاسلامية يخالف النظرة الدينية الأممية الشمولية ، التي لا ترى فضلا لعربي على أعجمي الا بالتقوى ، ولا تميز بين جند عربي وتركي وديلمي في ظل العقيدة وتحت راية « الجهاد » ، ليعيد تفسير التاريخ الاسلامي تفسيرا عربيا صريحا ذا طابع قومي قد لا يشاركه فيه مفكرون اسلاميون من قوميات أخرى

ولعل موقفه يبدو أكثر وضوحا وتميزا - من الوجهة القومية العربية - اذا نحن وضعناه بموازاة موقف مغاير لمفكر معاصر مسلم ، غير عربي ، من مسألة الصلة ذاتها بين العروبة والاسلام . يقول د . سيد حسين نصر في كتابه « دراسات اسلامية » : « ولد الاسلام في الجزيرة العربية ، فمات به لذلك خطر الانقلاب الى دين عربي ، بدلا من أن يبقى عقيدة عالمية » (المرجع المذكور ص ١٥)

ان ما يراه هذا المفكر المسلم ، غير العربي ، خطرا يهدد الاسلام ، وجده شيخ النهضة المصرية محمد عبده الحقيقة الجوهرية لدين الاسلام وثقافته عندما قال : « كان الاسلام دينا عربيا ثم لحقه العلم فصار علما عربيا » ولم يدخل الاسلام في دور الانحطاط ، الا عندما فقد هذه الصفة العربية ، كما اتضح من النص الكامل للاستاذ الامام ، الذي أوردناه مفصلا في بداية المقال

وإذا كان الاسلام في حقيقته الكلية ، يتجاوز عقائديا التفسيرين العربي وغير العربي كما أوضح مثلا المستشرق هاملتون جب ، عندما قال من وجهة تاريخية محايدة بين القوميات ، بأن الاسلام « رفض تسلط تقاليد العرب الاجتماعية ، كما رفض أيضا فيما بعد طغيان التقاليد الاجتماعية للفرس » (راجع H.A.R Gibb An Interpretation of Islamic History in Muslim World Vol xLV, no.1, Jan. 1955,p 12)

نقول اذا كان الاسلام في منظوره الشامل ، يتجاوز الطرفين معا ، فان هذه المقارنة مع ذلك تبين وتوضح لنا ، بجلاء عمق العنصر (العروبي) في تفكير شيخ النهضة المصرية - التي ما زال الباحثون العربيون يحاولون التعتيم على السبل على روحها العربية - كما وتؤكد عما لا يقبل الجدل مدى تغلغل الحس القومي العربي في سريرته الرامية الى (تجديد) الاسلام وتجدد لنا تفكيره الديني الذي يمثل عمق الاسلام ، من شتى التفسيرات الاخرى في النظرة الى الصلة بين العروبة والاسلام

ولا يقتصر محمد عبده على هذا الحكم التاريخي العام ، بل تراه يحدد تفصيلا التأثيرات المتشعبة لفقدان الاسلام « هويته العربية » وخضوعه للعناصر الاجنبية ، معتبرا ذلك « الغياب العربي » العلامة الفارقة الكبرى بين اضمحلال الاسلام المتحضر المزدهر وسيادة السمحة المتخلفة من إسلام عصر الانحطاط

فقد نجم عن هذا « الغياب العربي » في نظره عدة نتائج خطيرة ومشوهة لحقيقة الاسلام نتجت من تأثير العناصر غير العربية وقيادتها للدولة الاسلامية -

١ - انحطاط في جوهر الفكر الديني حيث توهم أولئك الأعراب « الدين ناقصا ليكملوه ونظروا الى ما كانوا عليه من فحمحمة الوثنية فاستعاروا من ذلك للاسلام ما هو منه براء »

٢ - ان هؤلاء الأعراب من غير العرب مسؤولون عن وقف النزعة التقدمية في الاسلام ، حيث توهموا حسب تعبيره « ان المتأخر ليس له أن يقول بغير ما يقول المتقدم ، وجعلوا ذلك عقيدة حتى يقف الفكر وتجمد العقول ورسخ في نفوس الناس من العامة يضارب أصول دينهم وبيانها على خط مستقيم »

٣ - نتيجة لذلك أيضا حدث انحطاط في النتاج العام ، فقد « كانت جميع الفنون مسارح للعقول ... ثمارها ما تشاء ... فلما وقف الدين ، وقعد طلاب ... وقف العلم وسكنت ريحه »

٤ - تبع ذلك انحطاط سياسي حيث تشربت العناصر الدخيلة كما يرى فكرة الانفصال بين الحاكم والرعية وضرورة ابتعاد الرعية عن ... « كل ما هو من أمور الحكام والدولة » وورد الفساد الى القضاء والقدر ... الزمان ، لا الى انحراف الحكام ، مما قطع الطريق على أي اصلاح أو تقدم » (راجع الاسلام بين العلم والمدنية ص ١٦٨ - ١٦٩)

ويجب ألا نمر بهذا الموقف الفكري - التاريخي لمحمد عبده قبل أن نستخلص مدلولاته القومية كاملة -

أولا : ان محمد عبده يرى ، وبصورة قاطعة أن انحطاط الحضارة الاسلامية - على مختلف الأصعدة قد بدأ عندما ... « استعجم الاسلام وانقلب أعجميا » وان ازدهاره كان مرتبطا عضويا باخلاصه لجوهره العربي ومصطلح « أعجمي » هنا لا يشير الى قومية بعينها وانما يشير ، كما اصطلح على معناه العربي ، الى كل ما هو غير عربي أيا كان أصله

ثانيا : ان محمد عبده يتحدث في نطاق الاسلام ذاته عن « جند عربي » و « جند أجنبي » والنظر الى هذه العناصر المسلمة باعتبارها أجنبية - والدولة العثمانية التركية ما زالت قائمة - يتطابق تماما مع موقف الرواد القوميين العرب الأوائل في نظرتهم الى الوجود العثماني في البلاد العربية ، بقدر ما يتناقض مع موقف الفقهاء التقليديين وهذا يعني ان اصلاحه الديني المرتبط بالعودة الى جوهر الاسلام العربي هو في حقيقته تمهيد تاريخي لظهور حركة القومية العربية والوحدة العربية مثلما كان الاصلاح الديني البروتستانتي الذي قام به مارتن لوثر ... باستيقاظ الروح القومية الالمانية وان لم ... السياسي المباشر عنها

ان محمد عبده عندما يظهر تشككه في صحة
عناصر « الأجنبية » التي لم يهدها الدين والتي
... الاسلام بوثنيتها وأطماعها الدنيئة ، فيما يطرح
... منفصلا بصميم الفكرة العربية قديما وحديثا قديما
... صراع العرب ضد الشعوبية وحديثا في نضالهم
... حكم العثماني وأي حكم غير عربي يريد اخضاعهم
... وحدة الدين وهذا الموقف له نتائج متميزة اذا
وصلناه الى نهايته المنطقية فهو يعني أن العرب على
... وفطرتهم كانوا وحدهم المؤهلين لاستيعاب روح
الاسلام والارتقاء به ومعه ، وان العناصر الاجنبية تبقى
... وان اشتهرت إسلامها ، بل وتصبح مصدر خطر
يهدده من داخله

ولقد كان محمد عبده شديد الوضوح والحسم بهذا
الصدد ، فهو لم يقصر حكمه هذا على الاضطراب
السياسي الذي جلبه غير العرب الى الاسلام ، وانما
تجاوز ذلك الى تشخيص الانحراف العقائدي في تاريخ
الاسلام على أنه من عمل هذه العناصر أيضا ، ففي
« رسالة التوحيد » يشير الى دور تلك العناصر غير العربية
في الانحراف بمفهومات العقيدة قائلا « فعلا أمر كثير
منهم وهم ليسوا من الدين في شيء ، وكان فيهم المانوية
والسردية ومن لا دين له ... فأخذوا يفشون من
مكارهم ... فظهر الالحاد وتطلعت رؤوس الزندقة
(راجع رسالة التوحيد ، تحقيق أبورية ، ص ٢٦)
وهذا يعني في نظره أن الالحاد والزندقة في تاريخ
الاسلام كان من فعل العناصر الشعوبية المعادية لعقيدة
الاسلام عداءها للعرب

فهو يطلق على قبائل العرب في الجاهلية المصطلح
القومي الحديث ... « الأمة العربية » التي يراها موجودة
بحقيقة تاريخية قائمة منذ ذلك الوقت ، قبل ظهور
الاسلام ... ويتحدث عن قوائم العصبية في جاهليتهم
بقول ... نرى أمة عظيمة كالأمة العربية » ويشير الى
... الاسلام بأنه حقق للعرب « وحدة لم يعرفوها
... راجع رسالة التوحيد ص ١٢٦ ، ١٣٨ ،
١٦٠ ...

وهو ... الشيخ محمد عبده بهذا الموقف العربي
... كان يوفر الشرعية الدينية في زمنه لحركة

التحرر القومي من الترك لتحقيق استقلال الكيان العربي
عن الامبراطورية العثمانية ، وقد انفصل عن أستاذه
القديم ، جمال الدين الافغاني ، واختلف معه حتى وفاته
لأن هذا الأخير جند نفسه لخدمة الجامعة العثمانية بقيادة
السلطان عبد الحميد ، ومن الملفت أيضا ان محمد عبده
كان يقف ضد العائلة التركية الالبانية (الخديوية) التي
حكمت مصر ونظر الى عميدها محمد علي على أنه
« استطاع أن يميت ولم يستطع أن يحيي » ـ كما لم يؤيد ربط
مصر بتركيا العثمانية كما فعل غيره من الكتاب الاسلاميين
بعصر

واذا أضفنا الى هذا الموقف السياسي والفكري جهود
محمد عبده لبعث اللغة العربية واحيائها كلغة قومية وتراث
قومي ، رأينا مدى الرسوخ والترابط الوثيق بين فكره
وحركة الاحياء القومي العربي على مختلف الاصعدة ، مما
يضعه في مرتبة « الأب الروحي » لهذه الحركة

وبعد ، « فلقد رسمنا هذه الوقفة العربية للاستاذ
الامام من النصوص الحرفية لكتاباته الموثقة المحققة ، وهي
نصوص لا لبس فيها وتنطق بنفسها ، وستغرب كيف لم
يولها الباحثون من قبل الأهمية البالغة التي تستحق في مجال
البحث في عروبة مصر وفي مجال البحث في القضايا
الكبرى التي دار حولها فكر الاستاذ الامام ، مما يدعونا الى
التساؤل حول أسباب هذا « التعتيم » على العروبة
الصريحة في فكر النهضة المصرية منذ عهدها الباكر ، بل
منذ بداياتها الاولى ، كما تمثل في مواقف امامها وشيخها
الأكبر وأستاذ أجيالها المتعاقبة من بعد هذا على الرغم من
صدور مئات الابحاث عنه وعن آثاره ومواقفه الاخرى ،
ولكن دون الاهتمام بهذه المسألة بل واهمالها بصورة تدعو
الى التساؤل والارتياب وترتبط دون شك بأغراض أولئك
الذين حاولوا ويحاولون الى اليوم طمس عروبة مصر ومحو
روحها الحقيقية ابتداء من اللورد كرومر ... وانتهاء
بمناحيم بيغن

وبعد هذا الايضاح لرسوخ النزعة العربية ، القومية
الخالصة والصافية في تفكير إمام النهضة المصرية ، هل
يبقى محلا للتساؤل والاستغراب كيف اكتشف جمال عبد
الناصر عروبة مصر ؟ ولماذا تحن مصر الى عروبتها وتصر
عليها في كل الظروف وفي أحلك الظروف ؟ ■■

د. محمد جابر الانصاري

أمل الاطفال السود في الولايات المتحدة أن يكون لهم آباء بيض !

جيمس بالدوين

من حي هارلم إلى الصدارة في الدوارية والجاز

بقلم : محمود قاسم

قليلون هم الزنوج الذين قدموا ابداعاتهم في مجال الأدب داخل الولايات المتحدة الامريكية ويبرز من بين هذه الاسماء اسم هام هو جيمس بالدوين الذي لا يعتبر واجهة الادب الزنجي الامريكي فحسب بل واجهة الادب الامريكي في الستينات

وبالدوين يكتب الرواية والمسرحية والمقال ويعرف موسيقى الجاز ، كتب بعض المقالات الادبية والنقدية في بعض الصحف والمجلات الامريكية كما يقوم بكتابة الاعمال الدرامية لكل من الاذاعة والتليفزيون والمسرح ـ ونشر بعض الدراسات الجادة حول الموسيقى الجاز وتاريخها ـ كما نشر كتابا حول جوستاف فلوبير عبر فيه عن اعجابه برائد الواقعية الفرنسية

ولد في عام ١٩٢٤ في فترة كانت التفرقة العنصرية داخل الولايات المتحدة على أشدها وعندما بلغ السابعة من عمره مرت بلاده بأكبر ازمة اقتصادية عرفتها في تاريخها وعن هذه المعاناة يقول « كنت طفلا حينما عوملت لاول مرة كزنجي قذر طفل صغير بين الخامسة والسابعة من العمر لم يكن بفهم ماذا يعني الامر ولكننا كنا نشعر أننا مهانون ... يريد الطين بلة ان يلاحظ المرء فيمن حوله ان ... وأباه وأخواته وأشقاءه أيضا من الزنوج القذرين وتشعر فجأة أنه من المحتم عليك أن تعيش بين ... يحتقرونك أنت وأسرتك وسوف تكتشف ... انك لست أبيض فبمجرد أن يولد طفل ... سوداء فان أبويه يعرفان أنه سيعود يوما ... متسائلا « ماما من هو الزنجي ... وعن أو بدونه سيحاول الابوان أن يعدا ... اليوم كي يجيبوا على هذا السؤال »

في هارلم !

عاش الطفل أثناء سنوات العشر ... هارلم داخل معزل « جيتو » Ghetto ... الزنوج . وداخل هذا الحي يعيش ...

- جيمس بالدوين

- فتاة صغيرة سوداء في جنوب الولايات المتحده

ى الولايات المتحدة من ايطاليا وهولندا ودول
حتى بعد تلك السنوات والحي احد في تعبير
سكنه ... ى نحو الافضل وكان جيمس أكبر
جوته ... وكان أبوه عاملا بسيطا في
مصنع ... ه تحت المستديرة فوق رأسه ويرتدى
... س ويأخذ حالته الى المصنع كي يؤدي
عمل ... ة ويكسب سبعة وعشرين دولارا
... ـه أن يقوم باطعام ابنائه التسعة
... د أدت هذه الضغوط بالأب الى
... ب الأم عن الأسرة وحدها

فبدأت تعلم أبناءها كيف يتعاملون كزنوج مع البيض
من حولهم وكيف يمكنهم أن يعيشوا دون أى نوع
من القلق لكن كيف ؟

وعندما بلغ بالدوين العشرين من عمره فكر أن
يهاجر كي يعيش في بعض دول أوربا أو افريقيا أو
أمريكا اللاتينية ويقول جيمس « ان على الزنوج أن
يظلوا فقراء مهما كانت الاسباب فمن الصعب على
الزنجي ان يكسب رزقه بسهولة فدور النقابات
والمؤسسات لم يتغير كثيرا حتى الآن بالفعل رحل
جيمس الى فرنسا عام ١٩٤٨ وهناك بدأ حياته

الأدبية بروايتين هما « ادهب واخبر الجميع من فوق الجبل » و « حجرة جيوفاني » ثم عاد بعد أربع سنوات الى بلاده فلم يجد الحياة في فرنسا بأفضل منها في الولايات المتحدة ففي أوروبا يعاني أيضا من الاحتقار والمهانة مثلما يعاني العرب وخاصة أبناء شمال أفريقيا هناك ولكنه لم يحتمل من جديد لون الحياة في الولايات المتحدة فعاد الى فرنسا مرة أخرى ثم ما لبث أن تركها مرة ثانية كي يعود الى بلاده عام ١٩٥٦ عندما بدأت حركة الحقوق المدنية في ليتل روك

ذلك البلد الآخر !

ومنذ ذلك الحين ظل يتنقل بين البلدين وسافر الى بعض الدول الافريقية وفي تلك السنوات كان قد بدأ في تقديم أعماله الادبية التي حازت نجاحا محدودا في أول الامر ثم ما لبث أن ذاعت شهرته مع رواية « ذلك البلد الآخر » و « النيران في الزمن القديم » عام ١٩٦٣ ثم « أحرق يا طفلي أحرق » عام ١٩٦٥ وحول ذلك يقول « كنت أعرف ان الكتابة شيء يجب ان تمارسه يوما لكنني استسلمت تماما لما أفعله »

ويقول بالدوين أن أمل الاطفال السود في الولايات المتحدة أن يكون لهم آباء بيض كتب مرة « لست سوى شبح فاللعنة عليك يا أمي ! » . « وعلى الانسان في مثل هذا المجتمع الذي يحتقره أن يعبر عن نفسه وأن يتفوق » وإذا كان الكثيرون من الزنوج في الولايات المتحدة قد تفوقوا في مجال الرياضة والالعاب العنيفة فان الكثيرين منهم أيضا نجحوا في ميادين عديدة أخرى . لكن الأدب لم يشهد غير قلة من المبدعين وإذا كانت الشهرة قد جاءت لاليكس هيلي بعد « جذور » فان بالدوين لم يذع صيته بنفس الدرجة ولم يصبح نجما في الصحافة . . ولو أن النقاد يعتبرونه الآن من أفضل الكتاب الأمريكيين ان لم يكن أفضلهم على الاطلاق « ليس من الممكن أن تكون انسانا أو فنانا دون أن تكون لك قواك المعنوية فالحياة الانسانية هي أكثر الاشياء تقديسا من حراسها »

وقد قرر بالدوين أن يعيش في فرنسا منذ عام ١٩٦٨ بعد قتل الزعيم مارتن لوثر كنج « شعرت أنني يجب أن أبتعد كي أتمكن من البدء من جديد ككاتب ومناضل سياسي وكانسان » . فموت لوثر كان نهاية عصر للسياسة الامريكية شاركت فيه وكان موته أيضا نهاية أمل »

أحزان السود !

ويتميز أسلوب بالدوين بالتوغل داخل النفس البشرية فهو يميل الى التحليل النفسي مثل الكثيرين من الأدباء المعاصرين وهو يرى ان الرواية عمل يمكن ان نطرح فيه قضايانا الداخلية والخارجية دون أي لون من الخجل « فاذا لم نعبر في الرواية عن متاعبنا ونقاط ضعفنا ومعاناتنا فلمن نفعل ؟ » الرواية تسجيل حي لكل حياة ولكل عصر ولذا فقد يهتم بالدوين في بعض الاحيان بالاعراق الشديد في الكتابات الجنسية أو ما يسمى بالادب المكشوف حدا مثلما يفعل الكثيرون من الادباء الامريكيين المعاصرين مثل هنري ميللر وهارولد روبنز وفلادمير نابوكوف .

وبالدوين يخلط بين الجنس والعنف فهما عنده مقص يعبران عن القلق الذي يجتاح الانسان العربي المعاصر « إن العنف والجنس هما وسيلتا التعبير الواضحتان للتخلص من كل الآلام والمشاعر التي تجتاح الانسان الذي يعيش وحده ولا أحد يحس بمعاناته ولا حتى بسعادته لقد أصبحنا نعرج وحدنا ونتألم داخل جلدنا . ولذا فان الجنس هو المشاركة الوحيدة والعنف ينبه الناس الى ما يحدث لكنه يزيد من حدة التوتر والخوف ومن السمة والكراهية » هكذا فلسف بالدوين معنى الحياة عند أهل الغرب المتحضر !!

ففي رواية « ذلك البلد الآخر » يجمع بالدوين بين هذين الطرفين . العنف والجنس من خلال خمسة أشخاص منهم زنجيان . راقص سكوت

● جيمس بالدوين

.. سيقى الحار الذي كثيرا ما حلحل القاعات
. وحمل الراقصين يزيدون من ايقاعاتهم
.. وكانت أخته ليدا تعى على هذه الانغام
.. الحماس حاسا وراقوس يقع في حب ليدا
.. الحسناء القادمة من الجنوب ويعطي كل من
الشمين للآخر حبا لا حدود له وتنتهي هذه
.. العلاقة بأن ينتحر الشاب بعد أن خسر وظيفته
.. كاتب كعارف مدع وتصيب هذه الحادثة ليدا
.. بهول فتنتقل الى احدى المصحات النفسية

حياة عفنة !

أما « ليدا » فانها تحب « فيمالدو » الرجل الابيض
.. كثيرا ما يعبر عن نفسه ومعاناته وتجاربه في
.. اياته التي يرفض الناشرون نشرها وهما يعيشان
.. حياة حشنة أشبه بتلك التي عاشتها ليدا مع
.. وس . واذا كانت ليدا قد أحبت بكل مالديها من
.. اعر وأحاسيس واصيبت بالجنون نتيجة لانتحار
.. بها فان ليدا تخون حبيبها الروائي وتحب رحلا
.. سل في التلفزيون سبق أن وعدها بأن يقدمها
.. ارفة ثم كنجمة على الشاشة الصغيرة وتصيب
.. هزيمة فيمالدو باحباط جديد « فلا شيء
.. حق ان نعيش من أجله وعلينا ان ننتقم من
.. حرين حق لو في أعصابنا » ولكن بدلا من ان
.. حر مثلما فعل عارف الحار فانه يمارس الشذوذ
.. ون من الوان التعذيب السادي مع شاب قادم من
.. نوب الذي جاءت منه ليدا ويعمل ممثلا في
.. سارح المدينة العفنة ثم يظهر « اريك » وهو
.. سان غريب يمارس ايضا نفس العلاقة مع عازف
.. ار لكن جيمس بالدوين لم يوضح لماذا هذا
.. وع من العلاقات وهذه السلوكات الدنيئة
.. أنما اراد المؤلف ان يظهر ان هذا الانسان العفن
.. له ان ... ويصبح مثاليا فيرتبط مع امرأة في علاقة
.. طفية .. هذه المرأة تدعى كاس سلينسكى التي لها
.. رها .. وعالمها النقي النظيف فهي امرأة
.. به الش .. تكن الاحتقار لزوجها الروائي الذي
.. يكتب الروايات التافهة التي يتهافت عليها
.. جمهور .. وهذا النجاح الزائف أصاب الزوج
بالغرور وأصاب الزوجة بالشعور بالاحتقار لزوجها
فترتبط بهذا الشاذ

بلا خجل

وقد اثارت مثل هذه العلاقات الكثير من اشمئزاز النقاد ، فمن الواضح ان بالدوين يميل الى الكشف عنها ولو أنه لم يناقش الوضع الاجتماعي أو الثقافي الذي صنع مثل هذه النماذج من البشر وبالتالى فاننا سنرى الكثير من التضارب بين الحديث الطويل الذي اجرته معه مجلة اكسبريس الفرنسية في شهر اغسطس من عام ١٩٧٢ وبين ما جاء في رواياته فبالدوين يرى ان الرواية الجادة تعبر عن واقع الانسان وصراعاته مع المجتمع دون خجل فالبشر لا يختلفون في احاسيسهم سواء كانوا من الزنوج او البيض أو الجنس الاصفر كلهم لهم نفس المشاعر والافكار المتقاربة الحب والامل والخوف والرجاء . والعنف أيضا بالرغم من أن البشر يختلفون فيما بينهم اختلافات بينة الا أن كلهم لهم نفس المشاعر بصورة أو بأخرى ولذا فهو ينادى باتحاد كل الاجناس في جنس واحد وهذه الفكرة تبدو غريبة فلا مانع من تزاوج ابناء الجنس البشري الاسود يتزوج من البيضاء فالبيض يصنعون أنفسهم وللزنوج « جيتو » خاص بهم عليهم أن يفهموا عالم الزنجى وأن ينسوا انهم كانوا احراراً عندهم او هم الذين أتوا بهم من ادغال افريقيا

وبالدوين لا يلجأ في اعماله الى الاسلوب المباشر او الخطابي وهو يمكن أن يوضع في قائمة الكتاب السود الذين يدافعون عن قضايا ابناء جنسهم فاذا كان سيدني بواتيه الممثل الامريكي الاسود اللامع قد حول البيض في الافلام التى أخرجها الى شخصيات هامشية تعمل أعمالا متواضعة قياسا الى الاعمال التى يمارسها الزنوج فان بالدوين يضع الزنوج في نفس المصاف التى يجلس فيها البيض ●●

الاسكندرية ـ محمود قاسم

قضايا حيوية

اعداد : مصطفى نبيل

حسن عيتاني - بيروت

أسطورة « الاشماع الفكري » في لسان لا يجهلها أحد انها اسطورة سحها الفرنسيون وتلاميذهم من أبناء الحرويت يوم حاولوا حلق تراث لساني مستقل عن الشرق والعرب بالاضافة الى مقومات الوطن التي حاولوا حلقها جغرافيا وتاريخيا وقوميا ففشلوا

هذه الاسطورة ، سيا عليها عرورنا الفكري ومغالاتنا في تقدير تراثنا الادبي اذ أننا ، والحمد لله ، خالون من أي تراث علمي يعتد به أقمنا على أساسها أدبا حاول البعض أن يطبعه بطابع الاقليمية الضيقة ، وهو في الواقع أدب لساني طليق

لقد توفر « الاشعاع الأدبي » الى حد كبير ، في أدباء المهجر الذين لم يتسمم فكرهم في لسان في عهد الانتداب ، فكان أدبهم عربيا انسانيا يستمد أصوله من صميم الحياة ومن التراث العربي الخالد فأي ادب لساني اقليمي ضيق ، نلمس في مؤلفات جبران ونعيمه والريحاني ؟ وأي نص شعري لساني اقليمي نحس بدواوين فوزي شُفيق المعلوف وايليا ابو ماضي والشاعر القروي وأديب فرحات وغيرهم ممن نعتز بهم من أدباء المهجر ؟

ان أدبنا العربي في لسان لا يزال على عتبة الآداب العالمية ، ومن الخير لنا ألا تسيطر علينا نشوة الغرور فنعتبره مصدر اشعاع للشرق والغرب

ان الاقليمية في الادب اللساني هي كالاقليمية في الادب المصري والعراقي والسوري ، لا تتعدى بعض الصور الشعرية التي تصور روائع الطبيعة وبعض القصص التي تصور طابع الحياة الاجتماعية الخاص الذي يتميز به كل بلد من البلاد العربية ولكن هذه الاقليمية في محدودة النطاق لا تطغى على العنصر البارز في الانتاج الأدبي ، والدراسات الفكرية المنبثقة عنه

لا مجال للمقارنة اليوم بين صحافتنا والصحافة المصرية الحديثة التي تكتسح العالم العربي من أقصاه الى أقصاه لا مجال للموازنة بين انتاجنا الفكري المحدود وبين انتاج مصر الذي يفرض نفسه علينا فرضا ، سواء أكنا معجبين بالنابغين واشعاعهم ، أم متساهلين في غرورنا وبعضنا فأحمد أمين وطه حسين والعقاد وغيرهم من الأدباء والصحفيين المصريين يفرضون انتاجهم على كل عربي مهما كان دينه ولونه وعصبيته لأن الأدب الصحيح والفكر النير والدراسة العميقة والأسلوب السلس واللغة الحية عناصر تفرض نفسها على الفكر وتحمله على احترامها واجلالها

ومع ذلك لا نجد في مصر من يتحدث عن الاشعاع ويتحدث عنه ، ويفاخر به ، ويدعي أنه مصدر الاشعاع ونقطة الارتكاز في الشرق والغرب

ن لا ننكر فضل اللبنانيين الاول ، مند مائة عام ، في لنهضة العربية الحديثة ، ومساهمتهم الفعالة في الصحافة العربية والفنون الجميلة والطباعة ب والتعريب فهذا مجهود نفتخر به ونعتز لمصريين يعترفون اليوم بأنهم يؤدون للبنان بعض ما نحوه من دين ، ووفاء بجميله ، واعترافا بفضله على نهضتهم على أن اولئك اللبنانيين الذين نعتز ـال اليازجيين والبستانيين والشدياق وزيدان ر والحداد وغيرهم من رجال النهضة الفكرية لم يفكروا يوما ما بهذا التفكير الاقليمي الضيق يفكر به اليوم بعض أحفادهم في النسب والحسب ، بل كانوا يعتزون بخدمتهم للتراث العربي الخالدة

الادب اللبناني الحديث لن يتاح له الانتشار والخلود تجرد من هذه النزعات الضيقة التي ولدتها د ن الاجنبية ، والا اذا تحرر من هذا الغرور الذي مضي عليه . وأصبح انتاجا عربيا يستمد عناصره من التراث العربي الخالد ، ويتلقح بالآداب العالمية

ادبنا اللبناني لن يقوى على مسايرة ركب الآداب الحديثة في الشرق والغرب الا اذا عمل اللبنانيون بد باخلاص ، لتعزيز اللغة العربية في معاهدهم ، ونشرها في البلاد العربية والاسلامية ، والا اذا رفوا بأن في التراث العربي الخالد معينا لا ينضب ، ان يردوه ويستقوا منه ، وأن في الآداب الاجنبية كنورا نفيسة حقيقة بأن تكون غذاء فكريا لنهضتنا

المفكرين اللبنانيين الذين يعتقدون بأنهم يخدمون ويخلدون تراثهم حين يكتبون وينشرون نه مخطئون . لأنهم لن يجدوا في الغرب ولا في من ينشر أدبهم ، فتذهب جهودهم الفكرية مع وهم ... درسوا العربية وتعمقوا بها وكتبوا فيها جهدهم ... ا بالدرس والتقدير من كل عربي ... يتكلم بلسان في ميدان الأدب ، ولأصبحت ... حقيقة راهنة يعتز بها كل لبناني »

... جاري الاقطار العربية التي سبقته في فن ... التمثيل والموسيقى وغيرها من الفنون الجميلة التي تدخل تحت نطاق الادب ، وأن تزاحم بيروت القاهرة في الطباعة والنشر والصحافة ، اذا نحن آمنا من جديد بلغتنا العربية التي كنا منذ مائة عام في طليعة من يعمل على تهذيبها واصلاحها في المدارس والمؤسسات والمعاهد الرسمية

ان أدبنا سينكمش على نفسه اذا ظلت تسوده هذه الأفكار الهدامة من دعوة الى العامية ، وتعزيز للغات الاجنبية ومساواتها بالعربية وسيتناسى العالم العربي « اسطورة الاشعاع » التي آمن بها منذ قرن لانها كانت حقيقة ، وأنكرها اليوم بعد قرن لأنها أصبحت خرافة

كيف نجعل العمر ربيعاً دائماً ؟

خضر منصور : عمان

في السويد ، واليابان ، وبعض البلدان المتقدمة يتصل ربيع العمر بخريفه ففي اليابان ـ مثلا ـ جامعة خاصة توفر للمتقدمين في السن الذين تتراوح أعمارهم بين ٧٠ و ٨٠ عاما كل أسباب الراحة والسعادة !! وتتمثل فلسفة هذه الجامعة في نظرتها الرحيمة الحانية لقطاع عريض من الشعب الياباني الذين أعطوا وطنهم في شبابهم الجهد والعرق ، وأسهموا في حركة البناء والعمران في مختلف الميادين كما تتمثل في قناعتها بأن الصراع والقلق والكفاح في هذه السن لابد ان ينتهي ! ويصبح من

قضايا حيوية

حق المواطن المتقدم في السن أن ينعم بالاستقرار والهدوء والراحة اذ توفر الجامعة المذكورة للمواطن الياباني ابن الستين عاما حتى سن المائة عام ويزيد السكن المريح ، الذي يشبع منه يسر الحياة ، ورحاؤها ـ فمطالبه مستجابة ـ فاذا مرض ، فهناك الطبيب ، والممرضة ، واذا رغب في استقبال الضيوف فالخدمة متوفرة واذا سمحت له صحته بالسفر فالرحلات السياحية ميسورة وان المرء ليشعر وهو يدخل مساكن الشيوخ اليابانيين بدرجة الرقي التي وصل اليها الشعب الياباني

وللطاعن في السن ، في اليابان ، أن ينقل معه اثاثه الخاص الذي يحمل معه ذكريات الشباب الى غرفته الجميلة المنسقة التي تحتوي على مجموعة أزرار كهربائية يستطيع بواسطتها أن يلبي جميع مطالبه ، وهكذا اصبح سكن « الشيخ الياباني » يجمع بين دفء البيت ورعاية المستشفى ، ورفاهية الفندق ! وهكذا هي ـ المدنية الحقة ـ عندما يتسنى للمواطن المتقدم في السن ، ان ينعم بالرعاية الى آخر يوم في حياته بعيدا عن الألم والمعاناة !!

وعندما كنت في اليابان ، لمست عن قرب مظاهر الثراء ـ الخرافية ـ وأرقام الانتاج الخيالية فسعيت بسرعة ملحة لمعرفة ماذا تقدم الدولة والمجتمع الياباني لهذا القطاع العريض من مواطنيها ؟ فهي تقدم لهم كل اسباب الراحة والرخاء بحيث اصبحت حياتهم « ربيعا دائما »

ولعله من الضروري هنا ان اسجل عدد القطاع المتنامي الذي بلغ حتى ست سنوات خلت حوالي العشرة ملايين معظمهم من النساء ! فمتوسط العمر للرجل الياباني هو (٧١) عاما و (٧٦) للمرأة

لقد انضمت اليابان الى مجموعة الدول « المعمرة » كالسويد ، والنرويج ، وتخطت بريطانيا والمانيا وفرنسا وحتى الولايات المتحدة ، وقد كفلت الدولة نظام التأمين الصحي والعلاج المجاني لكل من يبلغ الستين عاما

ومما يثير الاعجاب والتقدير أن الدولة ... « اليوم الخامس عشر » من شهر سبتمبر من كل عام عيدا وطنيا يطلق عليه ، يوم تقديم فروض الوفاء والاحترام للوالدين والاشقاء والشقيقات أما المسنين الذين تجاوزت أعمارهم المائة عام فان الدولة تقدم لهم الجوائز الخاصة وقد بلغ عدد الذين تجاوزوا سن ... عام حوالي (١٢٠٠) كهل حتى العام ١٩٧٦

وعودة الى جامعة المسنين ، فهي تقع في ... « كاكوجاد » وقد انشئت في العام ١٩٦٩ وأول ... الانتساب اليها ان يكون المنتسب قد بلغ او تجاوز الستين عاما ومدة الدراسة في هذه الجامعة ... سنوات ويتضمن منهاجها الثقافة العامة والد... العلمية ومحاضرات في علم النفس واحد... الاقتصاد الياباني والفارق بين الفكر الغربي والفلسفة اليابانية القديمة والحديثة !!

أما البرنامج العملي ، فيتضمن فلاحة البساتين وطرق تربية الاسماك والطيور وصناعة ... الفخارية والكثير من الحرف اليدوية الاخرى يتضمن منهاج الدراسة في هذه الجامعة ، زيارة كافة ... والمعالم الاثرية والهامة في اليابان

هذا ويمكن الالتحاق بهذه الجامعة « عن طريق المراسلة » والدراسة الكاملة (مجانية) ويدرس في هذه الجامعة صفوة من كبار اساتذة الجامعات اليابانية ... يستغرب القارىء ان المحور الياباني في هذه السن قد ... مؤلفات نفيسة في التاريخ والادب والسياسة

ان اهم معنى تنطوي عليه هذه الرعاية هو أن ... النفسية لهذه المرحلة من العمر لا يمكن مواجهتها ... عليها بمجرد تحسين الاحوال والظروف المعيشية والرعاية الطبية فحسب بل بتوفير ... للعقل و... والنفس وبتوفير جو الايناس والحيوية ... في الابعاد شبه المستحيلة !

اللغة العربية والوافدون!

ممدوح محمد خسارة · نجران

... اكرت وعري المكرة الحديدة الطية والتي تدعو ... حلاها محلة العرب الى فتح حصاري حديد بعيدا عن ... البومية وحساسياتها وتعقيداتها دلك الفتح ... هو نشر اللغة العربية في الاقطار الاسلامية عبر ... وهده الدعوة الحريئة تستحق من الدراسة ... والاهتمام ما يتناسب وحجم النتائج المرجوة

... على هامش تلك الدعوة انه يمكن التمهيد لها ... ايسر وربما أكثر الحاحا وهي ... تعليم الوافدين ... البلاد العربية ـ على اختلاف معتقداتهم ـ اللغة ...

... المعروف أن بلدان الجزيرة العربية والخليج العربي ... عددا هائلا من الوافدين عير العرب الدين ... في النهضة العمرانية والاقتصادية السريعة التي ... المنطقة وأن نسبة هؤلاء الوافدين من عير العرب ... لا يستهان ... حتى ان الزائر العربي لبعض بلدان ... قد ... في تأمين لوازمه من حدمات معينة ... لعاملين ... بعضها ممن لا يعرفون العربية

... الوافدين قد يكونون وسيلة موفقة ... نشر ... العربية وثقافتها في اصقاع عديدة من ... له أن يعيش هؤلاء الوافدون ... سنوات عديدة ثم ينقلوا الى بلادهم ودويهم يحملون معهم اشياء كثيرة من عربة عمرهم الا لغة هده البلاد بل اكاد احرم ان الكثيرين منهم يعودون حتى دون ان يتعلموا ما يمكنهم من اداء عباداتهم بطريقة سليمة ، ناهيك عن الثقافة العربية الاسلامية ومفاهيمها

ومن عير المنطقي والحالة هده أن نعفي أنفسنا من مسؤولية نشر لغتنا بين هؤلاء الدين يعطونا ـ بتواجدهم فينا بيننا ـ فرصة رائعة لا يجوز اهمالها

واعتقد ان عوامل كثيرة تعطي الضوء الاخضر على طريق هدا التوجه

فمعظم هؤلاء الوافدين من عير العرب يقيمون في بلدان الخليج العربية وهي بلاد قادرة ماديا على القيام بهده المهمة القومية والدينية

ثم ان الحكومات العربية في هده البلدان لها الحق بان تطلب حدا ادنى من تعلم اللغة العربية للعاملين فيها من عير العرب اسوة بكثير من البلدان ذات العمالة الاجنبية والتي تشترط حدا معينا من اتقان لغة بلادها لممارسة العمل فيها

ومما يعطي لهذه الخطوة أهمية بعيدة المدى ان غالبية الوافدين يقيمون سنوات عديدة في البلاد العربية مما

قضايا حيوية

سيترسخ في انفسهم وألسنتهم هذه اللغة على طول الاستعمال والممارسة ثم ان هؤلاء هم - على الغالب - في مرحلة الشباب ، ويكونون اسرا في بلادهم مما سيؤثر بشكل او باخر على تعليم ابنائهم اللغة العربية في مراحل تالية ويهيء المناخ المطلوب لنشر اللغة العربية والمدرسة العربية فيما بعد لا سيما من كان منهم مسلما وهم الغالبية بين الوافدين

ومما لا شك فيه ان معرفة اللغة او الالمام بها سوف ينعكس على الطاقة الانتاجية والمردود الاقتصادي للوافد ، والذي قد يقل مردوده الانتاجي ليس لتقصير منه بل لانه يجهل ما هو مطلوب منه بالضبط

ومما يسهل هذه المهمة ان الكثيرين من بلدان الخليج العربية تمض بخطاه محمودة عليه لمحو الامية من صفوف ابنائها ، وتفتتح الفصول الليلية بكثرة ولكن يلاحظ - وبالاسف - ان هذه الفصول تعمل باقل من الحد الأدنى لعدد الطلاب بل اكاد أقول ان هناك فصولا وهمية في بعض المدارس ليس فيها طالب واحد يداوم بانتظام على دراسته الليلية

واظن ان تلك الفصول لو التحق بها الوافدون لاعطت النتائج المرجوة منها وبدون جهد اضافي كبير

لقد عملت بعض البلدان العربية - مشكورة - على انشاء معاهد لتعليم العربية في بلاد اسلامية او اجنبية ولكن ألسن من الاسر والاولى تعليم هؤلاء المقيمين بين ظهرانينا في وسط عربي يسهل مهمتنا ومهمتهم التعليمية على السواء ربما تكون هذه العوامل وغيرها أوفق لنا لأنها الخطوة الاولى على الدرب الطويل والتي تعتبر تمهيدا مقبولا ومنطقا لخطوات اوسع واشمل

ولابد لنا ان نضع في الحساب الصعوبات الفنية التي قد تقوم امام تعليم غير الناطقين بالعربية كعدم توفر الكتاب المعد خصيصا لهذه الغاية او عدم توفر الطرق التربوية السليمة لهذا النوع من التعليم عندنا ولكن هذه الصعوبات لا يجوز ان تجهض نوايانا فبالتجربة والمعاناة والدرس يمكن تذليل كل تلك الصعوبات وليس بعض احداثنا نشروا لغتهم بين غير العرب من المسلمين وهم متكئون على ارائك من السندس والديباج ؟

وقد لا نعدم من يقول قبل ان نعلم هؤلاء الوافدين ونزيل اميتهم بالعربية علينا ان نزيل امية مواطنينا اولا فيكونون مدورنا ما المانع ان نسير في الخطوتين معا اردنا للغتنا الانتشار واذا ما فهمنا ان انتشارها يعني امتداد حضارة وقيم قبل ان يكون ديوع الفاظ ...

وغني عن البيان ان هذا الطرح ليس بديلا عن الدعوة الى نشر اللغة العربية والثقافة العربية في البلاد الاسلامية ذاتها بل هو تمهيد لها وتهيئة للمناخ لنجاحها

شهادات للتصدير

د. كاظم ولي أغا ...

قابلته بالصدفة ، أذكره جيدا ، فقد ... الدراسات العليا في علم النفس ... سنوات عديدة ، أن يجتاز امتحان الدبلوم بنجاح ... عريضة ترتسم على وجهه ، والفرح ...

سألته عن دراسته ، قال لي ... باريس ، وقد سجلت رسالة دبلوم ... رزمة من الاوراق من جيبه تثبت تسجيله

واستفسرت منه عن الدبلوم المعتمد ... فأظهر لي وثيقة تثبت نجاحه فيها ، و... في الصيف الماضي من نفس الكلية هناك

كثر من احد ... بحث صغير ومع الاسف كان هذا البحث
بـ احراء ... لنا مع طلابه يدرسهم به على العمل
ميداني وهكذا لم يتطلب قبول شهادة صاحبنا سوى نقل
هذا البحث التدريبي الى لغتهم هناك

قلت وما موضوع بحث الماجستير (دبلوم السلك
الثالث) الذي سجلته فذكر لي الموضوع سألته هل
... ما كتب عن الموضوع بالعربية وما أجري عليه من
بحوث ، قال لا انما قرأت بعض الكتب الفرنسية قلت
... هي الاجراءات التي اقتضاها التسجيل قال لم يتطلب
الأمر اكثر من سؤال هل كتب عن البحث بالفرنسية ولما
... بالنفي ، قبل الموضوع

قلت وما رأيك ان هذا الموضوع بالذات قد نوقشت
... أطروحة دبلوم السلك الثالث في الرباط منذ سنوات
... من جانبنا منه ناحيته اخرى ، نالت به نفس الدبلوم في
... فما الجديد الذي ستأتي به وأنت تبحث ذات
موضوع وعلى نفس البيئة ؟ قال انكم هنا تعقدون
الامور ... يجري هناك بيسر ، ولقد رأيت عشرات
الطلاب جاءوا من أقطار عربية عديدة ، وكانوا قد عانوا
من الفشل في جامعاتهم لتصبح امورهم ها هنا على خير
... لم استطع السكوت ، حاولت ان أثير فيه همة
البحث وموضوعيته وان افهمه ان الامر ليس شهادة
بقدر ما هي امانة عليه ان يؤديها ، ورسالة علمية
... ان يعطيها حق قدرها ونصحته ان يقرأ ما كتب عن
الموضوع عله يجد منحى جديدا جديرا بالدراسة يمكنه أن
... به بحثه وودعته وانا مقتنع بأنه سيطرح ما قلته له
... ليكمل الحصول على شهادته بأيسر السبل ذكرني
هذا المشهد بالعديد من الحوادث المماثلة والتي اتهم
... بالسرقات العلمية ، وبالكثير من الوسائل
الجامعية العالية التي بقيت باللغات الاجنبية ، ولم تر النور
... لأن اصحابها آثروا الستر والسلامة ، بل ذكرني
... نالوا شهاداتهم العليا ، من بلاد أجنبية ، لم يعرفوا
... لغة ابنائها

... هذه الحادثة أن اثير موضوعا اصبحت
... العربي ، لما له من آثار سلبية ، مادية
ومعنوية على ثقافتنا وناشئتنا ، الا وهو الحصول على
الشهادات العالية كالماجستير والدكتوراه من دول عديدة ،
فيها معاهد وجامعات ، لا تتسم بالجدارة والموضوعية ،
تمنح الشهادات بسهولة ويسر مما يجعلها موضع
الشبهة ، ويجعل خريجيها موضع النقد والتشكيك

أسباب ذلك تحتاج الى بحث وتمحيص ، فقد يكون
مدعاة ذلك ضعف الكوادر العلمية المؤهلة لديها وقد
يكون الهدف المادي هو المسيطر فيعنى بالكم بدل الكيف ،
وقد يكون الهدف الدعائي والتبشيري ، وقد يكون بهدف
التخريب ، وذلك باحلال كوادر عاطلة معطلة في ارجاء
عالمنا العربي ، يحتلون بسرعة المراكز الادارية والعلمية ،
فيعملون على تدني مستواها ، وتدهور اوضاعها لان
(فاقد الشيء لا يعطيه) وبالطبع ثمة جامعات ذات
تراث وعراقة ، ولها أنظمة وقوانين صارمة تفرضها على
طلابها وخريجيها ، وهذه مستثناة لكن ثمة الكثير ايضا من
الكليات والجامعات التي تجهز الشهادات للتصدير
ويذهب الصالح بالطالح ، وتتسلق النباتات الطفيلية
لتعلو الغرس الجيد ، ولا تلبث أن تأخذ أماكنها ، بعد ان
ينسى الناس سيرتها وطريقة تسلقها وسلوكها وتبقى لها
درجاتها العلمية تتاجر بها

لقد طبعنا ودرجنا على الصرامة في التعامل مع طلبة
البحث ، لنتعرف على مبلغ جديتهم ، وقدر امكاناتهم
ومدى اتباعهم المنهج العلمي في البحث النائي عن
الهوى فطالب البحث ينبغي ان تكون له ارادة البحث
والقدرة عليه وأن يكون ذا خلفية عريضة بمجال البحث ،
محيطا بما كتب عنه ، عارفا كيفية الحصول على المعلومات
من مظانها ومصادرها ، قادرا على تصميم ادواته
وتطبيقها ، وفهم نتائجه وتحليلها

بهذه الصفات يمكن للباحث ان ينجح ، وللبحث ان
يستقيم ، فيخلص الى فوائد ، ويحقق أهدافا صالحة للفرد
والمجتمع ، وتكون بذلك للشهادة التي حصل عليها
مكانتها ، وللحائز عليها سمعه واهميته ، وبخاصة في بلاد
نامية تحتاج الى ركائز قوية تدعم بها كيانها ، لا لبنات
ضعيفة مفككة توهن عزائمها ، وتهدم أركانها

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون »
صدق الله العظيم ■■

مواجهة التخلف في الوطن العربي

بقلم الدكتور عبد المالك التميمي

قبل أن نتحدث عن المخرج لأوضاعنا وعلاج مشاكلنا الراهنة، علينا أن نشخص أسباب الأمراض التي قادت الأمة الى هذا الوضع. واذا استخدمنا منهج التفكير العلمي فاننا نستطيع أن نرصد أسباب التخلف في مجموعة من الأسباب في مقدمتها

أولا ـ النظرة الى التراث والمعاصرة

من القضايا المؤثرة في تخلف أمتنا العقلية التقليدية التي تسعى للحفاظ على التراث بخيره وشره، انطلاقا من الفهم القائل انه لا صلة بين التراث العربي فكريا وحضاريا وبين الوضع المعاصر. ومن وجهة نظرهم ان تطور الأمة يكون ببعث التراث والحفاظ عليه. لا يختلف أحد على أن أولى خطوات التطور تبدأ بدراسة التاريخ بكل ما يحمله من تجارب وفكر، ولكن العبرة والحكمة والهدف من دراسة ذلك التاريخ ليس للتغني بالأمجاد فحسب، أو لاجترار أحداث الماضي وفكره، ولكن الغرض الأساسي للاستفادة من تجارب الماضي بعد تحليلها ومعرفة مسبباتها والنتائج التي انتهت اليها. وعلى مستوى الفكر المطلوب في نظرتنا الى التراث هو غربلته وأخذ الصالح منه، وملاءمته ومواءمته مع الحياة المعاصرة، ثم التخطيط للمستقبل والنظر اليه على أنه لا يمكن فصله عن الحاضر والماضي. ان سعي هؤلاء للحفاظ على التراث وعدم المساس به لأنه في نظرهم شيء مقدس يضع العراقيل أمام نقطة الانطلاق للتحرر والتقدم. لم يطلب أحد الغاء التراث لأن ذلك تفكير غير علمي وغير منطقي، ولكن المطلوب الاستفادة من التراث الجيد واعتماد التفسير العلمي الاجتماعي له بحيث تبرز الى جانب الجوانب الايجابية في التراث الجوانب السلبية كذلك.

ان أصحاب النظرة التقليدية من العاملين في التراث أو الذين أقحموا أنفسهم في دراسته يسيئون اليه، فهم ليسوا سوى باعثين للتراث بخيره وشره وشره، احيانا لا بل تلطيف بعض سلبياته أو المرور عليها مر الكرام أو حتى اغفالها دون إعطائها حقها من التأمل والدراسة والنقد حتى نستفيد منها في حاضرنا ومستقبلنا. كما ان البعض من المهتمين بالتراث يكتبون وينشرون دون هدف واضح حيث يصرفون اهتماما عظيما للجزئيات وقضايا عادية دون ربطها بالقضية الاجتماعية وبالسياق العام للحياة سياسيا واجتماعيا واقتصاديا في وقتها السابق ولا يربطونها بواقع الحاضر للاستفادة منها. ان التاريخ علم المعرفة وهو علم وثقافة وليس نشرة اخبارية تعرف الناس بما كان يجري في الماضي، لذا فالتراث هو من صلب هذا التاريخ الذي لا يجب أن ينظر اليه بقداسة تعزله عن مجريات الأحداث التاريخية، والتأثيرات الاساسية. ان هذه النظرة الى التراث ينشرها الناشئة اليوم في المدارس على مختلف مراحلها دون معالجة علمية تحليلية تستفيد من دراسته وتضفي عليه القداسة المطلقة

ثانيا ـ التعليم في الوطن العربي

دخل التعليم الحديث الى الوطن العربي في القرن التاسع عشر وكان تعليما غربيا، لأن الغرب أساسا غربي ولأن الوطن العربي كان يخضع

العربية ... التعليم في الاقطار العربية ينتشر في الفترة الاستعمارية وسط ما يسمى بأبناء النخبة من أبناء العائلات الميسورة أو أولئك الذين كانوا قريبين من السلطات أو المستفيدين من تلك الأوضاع ، ثم بدأ ينتشر ببطء شديد بين عامة الناس ولكنه على أي حال كان محدودا جدا حيث بقي أغلب الناس ـ خاصة في الريف والبادية ـ بعيدين عن التعليم تسود الأمية حياتهم ولم يكن ليخلو ذلك التعليم من التأثير الثقافي الغربي الامبريالي الذي كان يتسلل بطريق مباشر أو غير مباشر الى فكر الناشئة في أقطارنا العربية وكانت مرحلة استعمارية لها ظروفها ومبرراتها ، وبعد أن انتهت تلك المرحلة استبشر الناس خيرا بعهد الاستقلال الوطني في الأقطار العربية حيث ان شعبنا العربي أصبح يملك ارادته في بناء التعليم وتوجيهه وطنيا وبما يخدم الأمة في حاضرها ومستقبلها ولكن هذا الطموح اصطدم بمعوقات قد تكون أخطر وأصعب من تلك التي كانت سائدة في الفترة الاستعمارية فالوجود الاستعماري لم يكن وجودا عسكريا فحسب، رحل عن هذه الأرض وانتهت علاقته بها ، فأصبح الأمر بيد أبنائها ليقرروا مصيرها ، بل ان الوجود الاستعماري كان وجودا عسكريا واقتصاديا وثقافيا

وعندما رحل الاستعمار عسكريا استمر وجوده الاقتصادي والثقافي لأنه لم يكن ليرحل لو لم يزرع بذور تأثيره والحفاظ على مصالحه الحيوية في وطننا العربي وفي عهد الاستقلال السياسي استمرت التبعية بأشكالها المختلفة الاقتصادية والثقافية والسياسية ونتج عن ذلك استمرار التأثير في المجال التعليمي والتربوي وهو أخطر المجالات

ان البعض قد لا يرى ذلك التأثير مباشرا وواضحا ولكننا نراه في المناهج التعليمية وفي ثقافتنا العامة وفي ادارتنا التربوية وفي عقول بعض القائمين على التربية والتعليم في بعض بلداننا العربية ، لذا فقد أفرغ التعليم من محتواه ... بذلت جهود كبيرة لئلا يكون له محتوى يحقق السمة الحضارية ... والوحدة لهذا المجتمع العربي من محيطه الى خليجه ... تحول التعليم من الاهتمام بالنوع والعلم والتدريب ... الكفاءات الجيدة لقطاعات الحياة المختلفة في ... ساتنا تحول الى كم يوفر أعدادا من الموظفين حملة الشهادات لتكون مصدرا للرزق والعيش عن طريق الوظيفة وليس طريقا للتنمية يستهدف عقل الناشئة علما وثقافة

ثالثا ـ القضية الفكرية اجتماعيا واقتصاديا :

ان القضية التي يجب أن تكون محور العمل الوطني العربي هي القضية الاجتماعية والاقتصادية والتي يجب أن تحور اهتمامات المجتمع والمثقفين خاصة ان عدم الوضوح الفكري لدى بعض المثقفين العرب والضبابية في الكثير من اطروحاتهم ، جعلت الوعي السياسي متأرجحا وغير ناضج ، ان أية قضية لأي مجتمع يجب أن تقودها فكرة واضحة تتكتل وتتكاتف كل الجهود الجادة لبلورتها ووضوحها وتعبئة الناس معها وحلها لتأخذ طريقها الى التطبيق العملي

ان الذين يطرحون بعض المقولات التي تحاول تأجيل القضية الاجتماعية والاقتصادية مثلا بحجة ان الظرف غير مناسب وان الوقت ليس وقت تلك القضية ، هؤلاء يتعللون بأحداث اليوم والتي هي نتاج عدم الوضوح الفكري ان أزمتنا التي قادت الى هزيمتنا الحضارية هي أننا لا نعرف بالتحديد ماذا نريد ؟ وأننا نخلط بين التكتيك والاستراتيجية وبين المرحلية والهدف النهائي ، ان أية أمة ناهضة يجب أن تتوفر لنهوضها ، متطلبات أساسية القوة البشرية المنظمة في مؤسسات ديمقراطية ، الموقع الاستراتيجي ، الامكانيات المادية والوضوح الفكري لقواها الوطنية ، ان حالة التراخي والاسترخاء التي نعيشها ، ليست حالة اختيارية بحتة ولا هي من صنع غيرنا كلية ، اننا لم نكن لنصل الى هذه الحالة لولا أن الظروف كانت مهيأة لذلك

ان هزيمة ١٩٦٧ ليست هي أولى هزائمنا ولا هي آخرها ، ولكنها تمتاز بأنها نقطة تحول هامة استطاعت الامبريالية العالمية ترويض العقل العربي لقبول سياساته أو على الأقل قتل الروح الوطنية واطفاء شعلة الحماس في نفسه

ان البنية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية لأقطارنا العربية هشة ، وان مجتمعاتنا مجتمعات تسودها الفردية والدكتاتورية وليست مجتمعات تسود فيها المؤسسات والمناخ الديمقراطي ، وقد يرجع البعض هذه الحالة الى

دور الأنظمة في ذلك، ان الانظمة لم تكن لتستطيع أن تلعب ذلك الدور اذا لم تكن الأوضاع المؤسسية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية تسمح بذلك. لا بد لأي عمل من دليل نظري يقوده ويوجهه ومأساتنا في الوطن العربي ان بعض الاحزاب العربية التي تصدرت العمل الوطني خلطت في فكرها وممارستها دون ان تتمكن من قيادة شعوبها الى التحرر السياسي والاجتماعي فهي إما ناقلة لأيديولوجيات الغير دون ملاءمتها للواقع الموضوعي في الوطن العربي، واما محلقة في طموحاتها لتحقيق جمهورية افلاطون دون فهم للواقع وكيفية التعامل معه.

التبعية الكاملة للامبريالية العالمية

لقد كان الوطن العربي يخضع عسكريا وسياسيا واقتصاديا وثقافيا للاستعمار. وقد حصلت أقطاره على استقلالها السياسي منذ عدة عقود، ولكنها لم تحقق الانعتاق من الامبريالية ولم تتمكن من فك الارتباط معها. وقد حققت تلك السيطرة هدفها بفرض التبعية على وطننا العربي، فأصبحت أقطارنا سوقا لمنتجاته المصنعة ومصدرا أساسيا للمواد الخام لصناعاته ومرتعا لفكره وثقافته.

يقول الدكتور مصطفى حجازي في كتابه «التخلف الاجتماعي» يؤدي طغيان انتاج المواد الأولية للتصدير واستيراد المواد الاستهلاكية وما ينتج عنه من تضخم لقطاع الخدمات والتجارة الى نشوء تبعية للاقتصاد الخارجي ينتج عن هذه التبعية إفقار تدريجي للبلد من خلال استنزاف المواد الاولية، وتخفيض أسعارها من ناحية، والاحتفاظ بأثمانها كودائع مالية في البلد الخارجي أو استرداد هذه الأموال كثمن للمواد المصنعة الاستهلاكية، التي يصدرها البلد المتقدم بأسعار عالية ثم هناك ظاهرة استنزاف رؤوس أموال البلدان النامية من خلال بيع الأسلحة لها والتي أصبحت أكبر سوق لنهب ثروات العالم الثالث بعد أن تفجرت فيه الصراعات الداخلية والاقليمية.

ان التخلف أحد المظاهر الأساسية التي سعت القوى الاستعمارية للحفاظ عليه وتنميته في بلدان العالم الثالث لأنه في النهاية يخدم مصالح تلك القوى.

اما ستورد كل حاجاتـ[illegible] مصنعة من الدول العر[illegible] ونصنعها في بلادنا [illegible] ما نشتري السلاح ونكد[illegible] ر[illegible] نستخدمه لقضايانا الوطنية والقومية المصيرية [illegible] الأموال ثمنا له للدول الصناعية ولنحمل مصانعها [illegible] وتصدر باستمرار فاما أن نكدسها واما ان نصنع[illegible] [illegible] الاقليمية لاحراقها واستهلاكها، وهي على أية حال [illegible] قديمة وليست متطورة لا بد من التخلص منها.

ان قوى التخلف تحاول الابقاء على الوضع [illegible] في الوطن العربي لا بل تسعى كما أسلفنا الى تنمية التخلف فيه لأن في ذلك بقاء لها وحفاظا على مصالحها.

وهذا الوضع الراهن دون شك يتيح للاستعمار [illegible] الاستنزاف الحقيقي لثروتنا وطاقتنا، ممهدا لذلك اعلاميا وثقافيا. ان وطننا يتعرض لغزو ثقافي مركز وخصوصا اعلاميا عربي مائة بالمائة تقريبا لا تملك حتى الآن [illegible] مستقلة نابعة من واقعنا وتستهدف تطور امتنا و[illegible] القضية الاجتماعية لشعبنا، لذلك كله يعيش [illegible] العربي اغترابا واستلابا، أديا الى هدم الأسس [illegible] والقيمية لديه بحيث أصبح لا يشعر بقوة الانتماء [illegible] على الفعل والعطاء ايجابيا في أوضاع أمته. ان الاغتر[illegible] والاستلاب اللذين يعيشهما هما نتاج جهود يبذلها قو[illegible] التخلف بكل امكانياتها لتنميته لأنها لا تستطيع ان [illegible] وتتسلط وتستفيد دون الحفاظ على الوضع المتخلف و[illegible] بأساليب وصيغ مختلفة مباشرة وغير مباشرة مرئية او [illegible] مرئية. ان هدم قوى التخلف وقيام النهضة [illegible] الأمة يتطلب معرفة مصادر القوة لتلك القوى و[illegible] مصادر ضعفها فقط واعتماد التفكير العلمي [illegible] مواجهتها، وهذا لا يتأتى الا ببناء القوى الاجتماعية [illegible] وطننا العربي متسلحة بوعي سياسي ووعي اجتماعي [illegible]

ان التخلف في الوطن العربي يخطط له و[illegible] فهل حان الوقت المناسب لقوى التقدم لتحقيق [illegible] التنمية والتطور الحقيقي في واقع هذه الأمة [illegible] مرهون بوعي سياسي يعي أهمية القضية الاجتماعية [illegible] جهة ومدى الجدية والجذرية فيما يطرحه [illegible] أهداف الأمة في التغيير الاجتماعي والبناء الحـ[illegible] ■■

د. عبد المالك [illegible]
قسم التاريخ ـ جا[illegible]

اعـداد : يـوسف زعبلاوي

الطاقة الشمسية وقرب استغلالها على نطاق واسع

مد رس والعقبة الرئيسية التي
عرض سبل استغلال الطاقة
شمسة على سطاق واسع هي
عسة تكاليف فالخلايا او
لبطاريات الشمسيه Solar
Cells ، وهي التي تستطيع
تحويل ضوء الشمس الى طاقة
كهربائيه ، تلقائيا وعلى نحو
مباشر ، والتي بدت للكثيرين
الطريقة المثلى لاستغلال الطاقة
ستعمل كانت دائما باهظة
تكاليف والظاهر ان العلم
قد تغلب هذه العقبة كما
يقول معهد جامعة دلاوير في
نيويورك على الاقل اذ يؤكد
هؤلاء المهندسون العاملون في
قسم او معهد تحويل الطاقة التابع
للجامعة المذكورة ان الاداة او
الطريقة التي نجحوا في تطويرها
على مر السنوات الثلاث الماضية
كفيلة بالحد كثيرا من تكاليف
صنع الخلايا او البطاريات
الشمسية التي ذكرنا ولاسر في
الامر ولا اعجاز فكل مافعله
اولئك المهندسون لايعدو
التطبيق تطبيق اداة او طريقة
مألوفة ومستعملة في صناعات
مختلفة على صنع الخلية او
البطارية الشمسية وليست
تلك الاداة الا مرشا او بخاخا ،
دقيق المسامات ، ويستطيع بخ
المادة التي في داخله بمقادير ضئيلة
للغاية ، او ان شئت ، ذرها
ذرات كالغبار او البخار
وغني عن البيان ان الخلايا
والبطاريات الشمسية انما تعتمد
اعتمادا كبيرا ، ان لم نقل كليا ،
على المادة التي تحول ضوء الشمس
الى طاقة كهربائية بحكم
طبيعتها وهي احدى المواد ،
شبه الموصلة
Semicoductor
مثل **Cadium sulfide**

وهي ايضا سر الغلاء
الفاحش وقد درجوا في السابق
على صنع الخلايا الشمسية من
هذه المادة او من السليكون
بنسبة ١٠٠٪ ، ثم عمدوا الى

وعلاقته بمرض التهاب المفاصل

[illegible]

ويجري العمل في صنع الصاروخ الاول في بلدة سا نقيل في كليفورنيا وقد بلغ عدد المهندسين الذين يشاركون في اعمال تطوير هذا الصاروخ ١٧ مهندسا ، كان بعضهم يعمل في وكالة (ناسا) سابقا اما تكاليف اعمال التطوير هذه فستبلغ ٢٠ مليون او ٣٠ مليون دولار

ولا يخفى ان هذه تكاليف تأسيسية وستنقص بنسبة كبيرة فيما يتصل بالصواريخ التي ستعمد الى صنعها الشركة بعد الصاروخ الاول وقد اختارت الشركة لصاروخها اسم (برشرون) Percheron وهو اسم حصان فرنسي معروف

اما قاعدة الاطلاق فستكون في جزيرة متاجوردا (Motagorda) الواقعة على بعد ٥٠ ميلا من كوربس كريستي في تكساس وكانت هذه الجزيرة من المواقع الاولى التي فكرت وكالة الفضاء في استعمالها لاطلاق الصواريخ ثم عدلت عنها

ولن تتقاضى شركة خدمات الفضاء سوى ١٥ مليون دولار وذلك [illegible] مقابل اطلاق قمر صناعي واحد الى ارتفاع ٢٢،٣٠٠ ميل حيث يتخذ القمر لنفسه مدارا ثابتا حول الارض ولن يزيد الايجار على ٥ ملا[illegible] دولار اذا كان الارتفاع المطلو[illegible] دون ذلك وكان القصد من ال[illegible] الصناعي التنقيب في سط[illegible] الارض عن البترول او العا[illegible] [illegible] ذلك
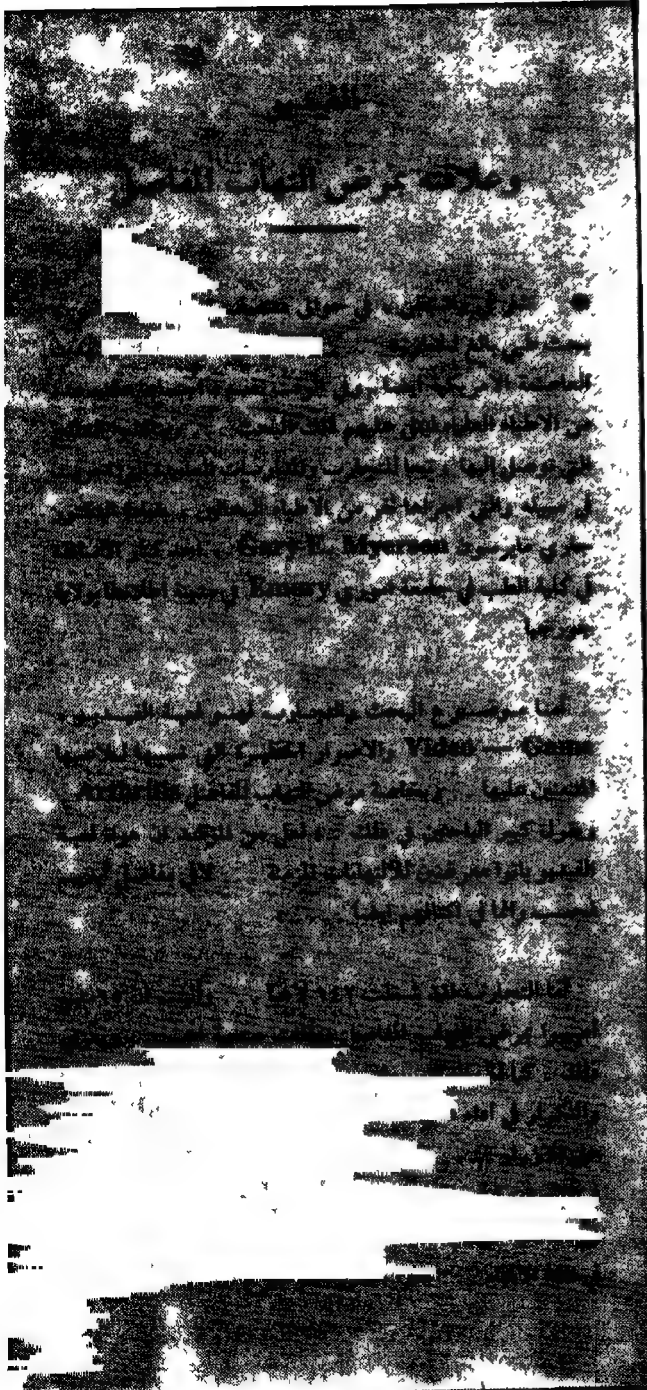
سوق عارد يه ، وتظهر حلفه مدينة عاردايه

والقراءة في مكتبة الطفيش ،
بعد ان اصبحت سراب الوحيدة التي لا تجد فيها أمّيا لايقرأ ولا يكتب

استطلاع : مصطفى نبيل

تصوير: أوسكار متري

عندما تعثر فجأة على قطعة من التاريخ الحي ، لا تملك سوى أن تحتفي بها وتتأملها وخاصة اذا كانت مثل مدن وادي مزاب في قلب الصحراء الجزائرية ، عندما ترى نظاما احتماعيا دقيقا ، وتشاهد الأهالي بلحاهم الطويلة ، وتقاليدهم وعاداتهم السائدة ، وترى طراز عمارتهم وتخطيط مدنهم ، وكأنك تطل على القرن الخامس الهجري .

وما أشد ما تغري على التجوال والبحث والتقصي

قادني الى هذه الجولة كلمات قرأتها للكاتب الفرنسي شارل جوليان في كتابه حول تاريخ شمال أفريقيا تقول « اعترض الحكم العربي في المغرب تحد من خلال الاسلام ، عندما انحاز البربر في القرنين الثامن والتاسع الى شقاق يهدف الى المساواة ، ويدعو الى اختيار الخليفة من جموع المسلمين بصرف النظر عن أي ميزة عرقية ، ودامت الثورة ما يزيد عن قرنين ، ولم يتم التغلب عليها سوى بعد عام ٣٧٥ هـ ، عندما تشتت البقية الباقية منهم في صحراء الجزائر وتونس بعد انهيار مملكة تاهرت سنة ٩٠٩ م

وبقي اليوم أحفادهم يعيشون جماعة مكمشة معلقة في جزيرة جربة وفي ورقلة وخاصة في مزاب التي تقوم فيها مدن غارداية ومليكة وبني يزقن الظاهرة ذات الصوامع العارية من كل زخرف »

وكانت هذه الكلمات بداية رحلة ذهنية بين الكتب قادت الى جولة وادي مزاب ، تبينت خلالها مدى اقتراب كلمات الكاتب الفرنسي من الحقيقة ، وقمت برحلة شيقة مليئة بالفن والسحر والتاريخ ، شاهدت خلالها عالما بأكمله من التاريخ الحي

لم يكن الوصول الى وادي مزاب سهلا ، بل يشبه سباق تخطي الحواجز ، وانتهت متاعبنا لدى وصولنا الى مطار غارداية الذي يبعد عن العاصمة نحو ٦٠٠ كيلو متر في قلب الصحراء ، وفي الطريق من المطار الى البلد ومنذ الخطوات الاولى من رحلتنا ، أخذنا تماما بالمكان وما يحمله من انطباعات جمالية وتاريخية

تمتد أمامك وادي مزاب ، ، وترى صورة بانورامية للوادي ومدنه القائمة فوق التلال يحيط بها اللون الاخضر لأشجار النخيل في خلفية المكان على امتداد الوادي ، تظهر بوضوح ثلاث مدن فوق ثلاثة تلال ، أقيمت بنظام دقيق ، في أعلى قمة التل يقوم الجامع بصومعته المربعة ذات الطراز الخاص - أي المنارة كما يطلق عليها في المغرب العر[بي] - ، وهي على نمط طراز أقدم المساجد التي بقيت على حالها في الجزيرة العربية ، وهو مسجد سيدنا عمر في منطقة الجوف ، تتحلق حول الجامع بيوت الأهالي ، كل حلقة بارتفاع واحد وطراز معماري خاص ، والعمارة هنا أكثر ما تكون شبها بعمارة شيبام وسيئون في حضر موت باليمن الديمقراطية ، ويغلب على المدينة المراسة اللونان الأزرق والأبيض ، وعندما تصل المدينة الى نهاية التل يحيطها سور من حوله الأبراج على مسافات متساوية

وامام هذا المشهد أتذكر فجأة آلة الزمن تلك الحيلة التي ابتكرها خيال السينمائيين ، والتي تعود بالمشاهد الى [...] مرحلة من مراحل التاريخ تنقل أحداثه ومشاهده لا يفوتها طراز المباني ولا نوع الازياء ومظاهر الحياة وطعمها الخاص ، فهنا يمكن الاستغناء عنها جميعا عندما تشاهد التاريخ مجسدا أمامك بكل تفاصيله

وقد ساهم في اقامة هذا الوادي ومدنه كل من العقيدة والبيئة والتاريخ ، ففي هذا المكان البعيد عن العمران ، والذي يقع بين جبال جرداء صحراوية تكونت على مر الايام هذه المدن في بطء وصبر ، وهي تبدو من بعيد وكأنها حلية نحل في التنسيق والنظام والدقة

ويبعد هذا الوادي عن المعمور حوالي ٦٠٠ كيلو متر أي عن الأغواط أقرب المدن اليه ، ، وبعمر[ه] ألف سنة ، وساهمت عزلته هذه في تكوين طابعه الخاص ، فالوديان في الصحراء مثل الجزر [...] ما تضم وتحافظ على بقايا التاريخ الحي [...] التوحش والخوف التي عاشها هذا المجتمع [...] بالتمسك بالماضي ، مما أمده بهذه الطاقة [...] الدوام والاستمرار ، وشحذ الذاكرة التا[ريخية] وجعلها حادة واضحة

حريطة للحرائر تبين
وصع مراب

المصل والاتصال

حاںب اقامتنا في عاردايه في فندق يطلق عليه اسم « الرستميون » ، أقيم على الطرار العربي وصممه أحد المعماريين الفرنسيين مكان قلعة فرنسية قديمة كانت تحتل موقعا استراتيجيا ، وتشرف على عاردايه ، عاصمة المزاب ، وأكثر مدنه تقبلا للتعمير ، وبقدر ما فتحت عاردايه ابوابها للغرباء ، بقيت المدن المزابية الاخرى موصدة الابواب ، وكأن عاردايه قد احتارت أن تدفع الضريبة عنهم ، فاتسعت وتمددت خارج الأسوار ، وشهدت محلات حديثة وسوقا ومكاتب حكومية وفنادق ، وبها مد حزب جبهة التحرير (الحزب الحاكم) ، ويسكنها رجال الادارة والعاملون في كل المشاريع حديد

بر... فندق بالسياح ، وأغلبهم من الفرنسيين ، سوقفو... ردايه اهم محطاتهم في الطريق الذي يصل من مع... تمراست بلد جبال الهجار (اهوكار) ... نحوا ٢٠٠ كيلو متر) . عندما يسلكون الطريق

الوطني رقم ١ ، أو طريق الوحدة الافريقية ـ أهم مشاريع الجزائر والذي بدأ عام ٧٣ وينتظر أن يكتمل خلال عام واحد ـ وهو يحول الصحراء من نقطة فصل الى نقطة اتصال مع الدول الافريقية جنوب الصحراء

وما زالت الصحراء الجزائرية أهم التحديات التي واجهت الجزائر ، فاستهدف المستعمر الفرنسي فصل الصحراء التي تبلغ مساحتها أربعة ملايين ونصف مليون كيلو متر مربع والتي يسكنها عدد قليل من السكان المبعثرين في واحات متباعدة ، وخصصت الصحراء لادارة الجيش الفرنسي مباشرة ، وجعل لها وضعا قانونيا خاصا ، بل وأجرت فرنسا تجاربها النووية فيها ، أما منطقة الساحل التي تمثل عشر مساحة الجزائر فقد سكنها المستوطنون الفرنسيون (الكولون) واستأثرت بكل المشاريع الفرنسية

وكان الطريق الذي يقطع الصحراء هو الرد الوطني على فصل الصحراء ، ويصل هذا الطريق الى كل من النيجر ومالي على شكل حرف (Y) مقلوبة ، ويعيد طريق القوافل القديم الى « تمكتو » ويساهم من جديد في

ثلاث مدن في وادي مزاب فوق ثلاثة تلال ، ويظهر السور الذي يحيط بالمدينة الاولى

لوحة من الفن التشكيلي لبعض شواهد القبور

النساء المزابيات في السوق !

نقل البضائع والافكار ، ويقدم لكل من البحر ومالي طريقا الى البحار المفتوحة وخاصة أنه ليس لأي منهما مرافيء

وبالفعل ساهم ما أنجز من الطريق في اقامة العديد من المشاريع الصناعية الهامة ، كما وضعت الخطط لتوطين البدو وقيام حياة جديدة في الصحراء

يتحدث السياح في الصدى شاعرية عن الصحراء ، قال رحل فرنسي في خريف العمر « سحث في الصحراء عنها في داخلك ، فهي لا تكشف أسرارها لكل من يرتادها ، بل ولا كنوزها ولاأعاجيبها » وقالت فتاة رشيقة تصحبه « ما أجمل ليل الصحراء ، فالسماء والقمر والنجوم لها طابع وميزة لا نراها على هذه الصورة في أي مكان من العالم »

وعاد الرحل يصف لحظة وصوله الى الوادي قائلا « فجأة تظهر الواحة بلونها الاحمر مع خيوط أشعة الشمس الذهبية ، وكلما اقتربنا وظهرت تفاصيل أكثر ، رأينا المدن المزاينة وكأنها مدن تاريخية مسحورة في إحدى روايات ألف ليلة وليلة » ، ويستطرد قائلا « ان الرحلة التي تقطعها السيارة تستغرق أسبوعين من العاصمة حتى تمراست تمثل خلالها الواحة لحظة الوصول الى الحياة ، والاتصال بالعالم الخارجي وهي في هذا تشبه مكاتب التلغراف التي تصلك بالعالم في فضاء لا نهائي »

الرستميون

اسم الفندق وموقعه له ايحاء خاص ، فاسمه جزء من التاريخ الحي ، ومن هذا الفندق نطل على التاريخ ، فهو يحمل اسم حكام دولة بني رستم الأباضيه ، والتي تشكل قصة قيامها وانهيارها في وجدان أبناء الوادي الحلم الضائع والجنة المفقودة .

وتكشف صفحات التاريخ الكثير مما يجري حولنا فالوادي وسكانه من بقايا الدولة الرستمية التي قامت في الماضي ، وما زال أهل الوادي يتمسكون بكل ما تمثله دولتهم القديمة . وقد استمرت هذه الدولة حتى منتصف القرن الرابع الهجري ، وكانت « تاهرت » هي عاصمة الدولة ، وامتدت لتشمل المناطق الداخلية ، وحدودها الاراضي الوعرة والصحراء الشاسعة ، ووصلت حتى مشارف طرابلس الغرب

والآن حان الوقت لنكمل جولتنا في المدن المزاينة وهي في الواقع قرى أكثر منها مدنا ، يشدني العمل الشاق الذي بذل وما يحمله الوادي من لمسات الفن والجمال ، ففي هذا الركن المفقود من الصحراء تتوزع مدن مزاب الخمس وهي غارداية (غار - دايه) ومليكه (اسم ابنه أحد الحكام) والعطوف وبني يزقن وبونورة في دائرة لا يزيد نصف قطرها عن سبعة أميال فوق خمسة تلال ، وهذه المدن نشأت في فترات زمنية متتالية ، وعندما اكتملت وضاق الوادي بسكانه ، أقيمت مدينتان هما القرارة وبريان ، تبعد الأولى عن غارداية مائة كيلو متر والثانية ٤٨ كيلو متر ، وتضاف اليهما متليلي وهي مدينة مشتركة يتعايش داخلها في انسجام كامل كل من أبناء المذهب المالكي والمذهب الاباضي

تشاهد أمامك قرى بعمارتها وأزقتها وأسوارها وأبراجها وعادات أهلها وتقاليدهم ولباسهم المميز - العمة والسروال - ولحاهم الطويلة وكأنهم استمروا هكذا ، يتغيروا منذ ما يقارب التسعمائة عام ويحمل اليك الك تري ذات البشر القدماء

محو الأمية

ولا يحرك من التاريخ سوى أحد الملتحين بسرواله التقليدي يمرق من جانبك بدراجته البخارية ثم بعض السيارات الحديثة التي تقف عند الأسوار ، والطرق المرصوفة التي تنقلك من مدينة الى أخرى ، ثم أصعب مقاومة رياح التغيير والحاح العصرية

في هذا المجتمع يزداد كبار السن من الشيوخ بلحاهم الطويلة البيضاء ، وتكاد تختفي المرأة من أزقته ، تكاد لا تجد فيه أميا واحدا ، بل ويندر أن تجد فيه من لا يتحدث العربية بطلاقة الى جانب اللغة البربرية المحلية ولديه نظامه الخاص في التكافل الاجتماعي ، وسط ... في حل الخلافات التي تظهر بين أفراده ، مجتمع يأخذ ... بالشدة ويتمسك بتعاليم الدين الحنيف

احد مساجد مزاب من الداخل

ساهم الماضي في تمسك أفراد هذا المجتمع بكل ما
ا من أجله الى هذه المنطقة النائية ، مما يؤكد ان
طهاد والملاحقة لايقصيان أبدا على فكرة بل يساهمان
نفاظ عليها والتمسك بها

مع بداية جولتي حذرني صاحبي بقوله « ان العديد
معتقداتهم يعتبر من خصوصياتهم التي لا يرحبون
شف عنها ، ولا يرحبون بالغرباء كثيرا ، وعندما
، سؤالا لأحدهم لا تتلقى الاجابة الا بعد استشارة
بهم » . وعندما التقيت بعدد منهم وجدت
كس تماما ، ولقيت منهم الحفاوة والترحيب ، والرد
جميع استفساراتي ، فالفارق لديهم كبير بين الاجنبي
ربي ، بل ولاحظت ان الكثيرين منهم يتابعون بشغف
اث المشرق العربي ، ويناقشون قضاياه باهتمام بالغ
وأكثر ما جذب اهتمامي بعد البشر وطبعهم معالم
مارة التي تؤكد الخبراء أن وادي مزاب يضم المجموعة
سلامية الهندسية الرئيسية في الصحراء ، وأقدمها
 وهي تتميز بدقة وجمال لا في المساكن فحسب بل
أعمار ي والدفاع أيضا ، وأول ما يلفت النظر
عم والا نسجام بين التل والمباني من فوقه ، فهنا العمارة
ل أصيل انعكاس تلقائي للبيئة والفكر الاجتماعي
هائلة و ي الاقتصادي

قادني صاحبي الى جامع سيدي ابراهيم على مشارف
بلدة العطوف أقدم المدن المزابية والتي تبعد عن غارداية
سبعة كيلو مترات وهو أول مسجد أقيم في مزاب وتحول
الى مكان أثري ، يبدو شكل الجامع وكأن المعماري الذي
أقامه كان يطوع الحجر ويلاينه ويخرج منه هذا العمل
الفني الذي جمع بين الابداع والبساطة ، فالمبنى على نفس
شكل الحجر ، ويتسق مع البيئة من حوله

والجامع لديهم ليس مكانا للعبادة فحسب بل ومركزا
للحياة ، يأخذ هذا الجامع بفكرة القبلة المفتوحة والتي
تتجه الى الفضاء الواسع ، ولديهم تقليد فريد بألا يقوم في
المدينة سوى جامع واحد ، يتسع مع اتساع المدينة ، ولا
يقام سواه ، فوحدة الجامع تعني وحدة المجتمع والعقيدة

ويؤكد مرافقي مسؤول الآثار في مزاب الفنان
عبد الحميد عرعور « ان عددا كبيرا من المعماريين
الفرنسيين يجدون هنا الكثير الذي يتعلمونه من هذا الجمال
المعماري المتكامل ، وهذا الانسجام بين الوظيفة
والشكل »

ويقف وراء كل هذا الفن ذلك الانسان الذي عمل
بيديه المجردتين في صراعه الطويل مع البيئة ومواد البناء ،
لكي يتمخض من هذا الصراع ذلك الجمال المعماري
القائم ، ويأتي جمال الشكل من التوافق والتوازن الذي

احد ابناء غارداية بلحيته وسرواله التقليدي يقود عجلة بحارية (الى أعلى)
والسلع التقليدية التي يقبل عليها السياح

يعبر عن الوحدة والمساواة في ظل الإعلاء ، ويترى هنا كيف تمثل الزخرفة المطرية القديمة مثالا لها ، لتصل إليه بعد التشكيلية المصطلحة الحديثة

أحد بيوت عزلت

من الصعب أن تدخل أحد البيوت المزابية بلا سابق معرفة ، بل ومن العسير أن تلتقط الصور لأبناء عزلت الذين ما زالوا يعتقدون أن التصوير يخالف الأعراف والتقاليد .

أخذنا مرافقنا إلى حيث مرابي تقديم خارج الأسوار ، سأخذه أحد المؤسسين المولعين غراب . مظهر البيت الخارجي بسيط ولكنه متناسق ، شيد وفق احتياجات المعيشة اليومية ولمسايرة جميع المتقلبات المناخية على مدار فصول السنة ، وتلاحظ درجة عالية من الانسجام بين مكوناته الأساسية ، وكل خط فيه معبر عن مصممه ، وكما يقول المعماري الدكتور حسن فتحي حول عمارة المزاب «حركة اليد لا تصدر عن العقل وحده بل وعن الشعور أيضا ، وذكاء الأصابع ذكاء روحي قبل كل شيء » وهو كالثوب المحكم على صاحبه ، ليس بفضفاض ولا ضيق ، وهو ما تفتقده العمارة الحديثة ، فيكتفي بما هو ضروري ، دون إهمال ما يزيد عن الحاجة

ومن خصائص البيت المزابي أنه بلا أثاث ، والمبنى يوفي بكل الاحتياجات ، وربما لأن الوادي ليس به أخشاب سوى أشجار النخيل ، وليس للدار المزابية نوافذ بل فتحات في أعلى المبنى ، وداخله اتصال كامل بين حياة للرجال والنساء ، ويوجد في جناح الروحة سول في مكان رطب تنسج عليه المرأة الزرابي وأعمال الصوف المختلفة

وعندما سألت ساكنه المزابي هل سوف تبقى احتياجاتك وقال « بعد فترة من العود ، وجدته أكثر راحة وانسجاما من كل أشكال العمارة الحديث

وللكبار القوم في مزاب داران ، إحداهما في السهل بين أشجار النخيل والأخرى فوق الجبل داخل الأسوار ويهاجر جموع السكان كل صيف إلى الغابات ، إلى الجو الأفضل ، وسبق أهل غراب بهذا التقليد أهل زمانا كم يوجد مسجد في القلعة وآخر في المدينة ، ويمر مسجد المدينة الصومعة التي لا توجد في مسجد العامة

في غابة النخيل

التلال ـ أقصد المدن ـ محاطة بغابات النخيل من كل جانب ، فقد كان أول ما اتجه إليه السكان بعد استقرارهم في الوادي ، البحث عن مصادر المياه ثم العمل على حفرها ، ثم تقسيمها والاستفادة منها قبل أن تضيع في الصحراء ، وكان على بقايا الدولة الرستمية اللجوء إلى مكان يصعب على غيرهم الوصول إليه ، ولا يغري بندرة المياه فيسبقوهم من العابرين ، واختاروا قلة الماء مقابل الأمان ، كانت هذه مجرد البداية التي سرعان ما تطورت بالجهد المبذول في توفير المياه وتخزينها ، ولذلك نشأ للسدود وللآبار وقنواتها ونظام توزيع الماء بها شأن ل وادي الصحراء الجزائرية كلها ، فقد ابتكروا أساليب معمارية خاصة ، والسدود القائمة هنا يعود تاريخ بعضها إلى سبعمائة أو ثمانمائة عام ، وتهدف إلى غرس وحو

احد السدود الذي يرجع تاريخه الى مئات السنين

مخطوطات بني يزقن أول ماتشاهده

يجري الماء في الوادي الى كروم النخيل . أما السدود الباقية الواقعة في مياه الوادي فتهدف الى نشر المياه وتوزيعها على منطقة كلها لملء الآبار القائمة . وتبقى الأقنية جافة طيلة أيام السنة . باستثناء بعض ساعات تنهمر فيها الأمطار ، اذا زادت تتحول الى تهديد خطير ، وكثيرا ما دمرت السيول القرى الصحراوية . ولهذا يخالط فرح الأهالي بهطول المطر قلق من تحولها الى سيول !

كم احتاج توزيع الكميات المحدودة من المياه الى معرفة حدود الأراضي وأساليب ريها ، ووضع نظام صارم يحقق عدالة توزيعها . وشاهدنا في نهاية كل غابة عند ملتقى شعاب الأودية اليابسة ، سواقي مسنة تتلقى مياه الامطار ، تتوزع فتمر في سواقي عريضة في مدخل كل مزرعة ، وتمر من خلال فتحة تضيق وتتسع حسب مساحة أرضها في ... وغاياته وعدالته . ثم تنتهي تلك السواقي لتصب خلف ... . بعد أن ... وتتحلل حدائق النخيل حيهما ، وتعود ... بعدي الآبار ... يخرجها الفلاح من البئر ، ويروى بها ... لعام أو ع... الحرين وحتى يهطل المطر من جديد ، ... د استطاعوا ... حفروا في الوادي ما يزيد عن أربعة آلاف بئر ... عمقها بين ٢٥ و ٦٠ مترا ، وغرسوا ١٧ ألف نخلة ...

وروى لي ... ماء الوادي ، وهو يقف أمام بئر عتيقة

● مراب

قائلا « هذه البئر حفرت على مدى ثلاثة قرون ، بدأ النسل الجد وواصله الابن ثم الحفيد وابن الحفيد ، وكانت الآلة المستعملة في الحفر لا تزيد عن قرن غزال » وهي كلمات بسيطة تعكس شعور أهل مراب بالجهد المبذول في حفر الآبار على مدى عدة أجيال

بني يزقن

وتجولنا طويلا في بني يزقن ، نموذج للمدينة المزابية كما كانت عليه منذ القدم . المدينة على شكلها الهرمي ترتفع صومعة المسجد الفريدة عند القمة .

السور ما زال على حاله يحيط بالبلدة ، ويصل ارتفاعه الى نحو ثلاثة أمتار ، وتدخل الى البلدة عبر بوابة يقف أمامها حرس خاص ، ويبلغ طول السور ألفين وخمسمائة متر . التضامن والحاجة الملحة للشعور بالأمن هي التي أقامته

ولا يفوتك أن تلاحظ مبدأ هاما في كل أرجاء مدن المزاب ألا وهو الاهتمام البالغ بالاستعدادات الدفاعية ، ليس في الأسوار والأبراج والأبواب فحسب ، بل في تخطيط المدينة ذاتها فالأزقة ملتوية التواء لا تستطيع أن تتبين متى ينتهي ، والأبراج تبنى من أربعة أو خمسة طوابق حتى يتبين رجال الحراسة الخطر وينذروا به الأهالي ، وتمتد هذه الابراج على طول نقط متقابلة تنقل صيحات التحذير من واحد الى آخر ، وتحولت مع الوقت الصيحات الى إشارات صوتية ثم الى طلقات البندقية ، والأمن هنا لا يقتصر على غارات العدو ، بل ومواجهة خطر السيول والفيضانات ، فطلقة واحدة عندما تبدأ السيول وطلقتان عند هجوم العدو أليست هذه مدنا للانتاج والدفاع معا ؟ وهو ما ينبغي مراعاته أمام الاخطار المتلاحقة التي تواجه المدن العربية في عصرنا الراهن

ممنوع التدخين !

وتدلف الى بني يزقن من بوابتها الضخمة ، وأول ما تشاهده لافتة تتضمن مجموعة من التحذيرات باللغات الثلاث العربية والانجليزية والفرنسية ، تبدأ بطلب الامتناع عن التدخين والامتناع عن تصوير المارة ، وعدم دخول منازلهم ، وارتداء ملابس « الحياء » وعدم تقديم الحلويات للأطفال

السبب المراي
الداحل ، سط
العلوي والا
ويلاحط حال الم
وعياب السو
والاثاث !

سوق بي برد

ـ ـة وسوق
ـ ـ ـي ـد

والمجول في المدينة التاريخية تشدني وحدة الفكرة المعمارية وتناسقها ، والتي قدمت الضروري على الكمالي ، ووحدة الفكر التي أقامت هذه العمارة والتي تؤكد أنه اذا توجه المعماريون نحو البساطة وكانت البداية هي دراسة المنطقة التي يعملون بها ، لتحققت هذه الوحدة . ويعود الجمال الغائب الى العمارة الحديثة .

البيوت متساوية الارتفاع تتراوح ألوانها بين الابيض والازرق والاصفر ، الأبيض يعكس الحرارة ، والأزرق يحمي البيت من الحشرات وخاصة البعوض والأصفر لون الصحراء

وسيلة المواصلات هنا هي ركوب الحمير التي يمكنها وحدها الانتقال في هذه الأزقة الضيقة ، ويصادفك الباعة المتجولون يتنقلون في هذه الأزقة وبضائعهم مكدسة فوق حميرهم ، وحتى موزع البريد يتنقل في أزقة المدينة على حمار حكومي لتوزيع البريد

وفي ساحة كبيرة وسط المدينة يجلس الشيوخ بلحاهم البيضاء أمام بيوتهم ، وينعقد في هذه الساحة مزاد كل يوم ثلاثاء ساعة الغسق ، يباع خلاله كل ما هو قديم ، فمثلا هنا ينتقل الاناء أو الموقد بين أيدي أكثر من أسرة خلال هذا المزاد الاسبوعي ، مما يكشف الحس الاقتصادي والحرص الشديد الذي يتمتع به أهل الوادي ، بل وعندما يشترك كل من في الساحة في المزاد

ولا يمكن للأجنبي اللقاء في بني يزقن بعد الغروب ، واذا صادف ولمحت أحد نساء مزاب فهن ملتفات بعباءة بيضاء لا يظهر منهن شيء ، وحتى الشر تعطى لكي تلحه المرأة ولا يتمكن أحد الفضوليين من رؤيتها ، وسمعت مثلا جزائريا يعبر عن مكانة المرأة في الوادي يقول « للمزابي سبعة قبور وللمرأة قبر واحد » رغم أن المرأة المزابية تتولى الاشراف على شؤون الأسرة فأغلب الرجال يسافرون بعيدا للعمل والتجارة خارج الوادي ، كما ساهمت المرأة الى جانب الرجل في مواجهة الظروف التاريخية القاسية ، وهي وحدها التي تصنع تلك المنسوجات الصوفية المختلفة ، اذ تعيب التقاليد على الرجل المشاركة في نسجها ، وتنتج مزاب أشكالا فنية بديعة ، كانت تشتريها في الماضي القوافل ، ويولع بها اليوم السياح الذين يدفعون فيها مبالغ طائلة

حلقة العزابة

هذا من مظاهر الحياة المختلفة التي لمسها في مدن مزاب ، وهي لا تتفرد بالعادات والتقاليد والأزياء فحسب ، بل لديها نظام اجتماعي خاص ما زال يحكم علاقاتها الاجتماعية والاقتصادية فكل مدينة بها جماعة تقودها تسمى « حلقة العزابة » وهو نظام قائم منذ ما يزيد عن تسعة قرون ، وربما يمتد الى أيام الدولة الرستمية و « العزاب » أي الذين يعزبون عن الدنيا ومغرياتها ويتنقى لهذا المجلس صاحب المعرفة والسيرة الصالحة ويشترط أن يكون حافظا للقرآن الكريم وملزما بأحكام الشريعة الاسلامية ، ويتكون المجلس من ١٢ عضوا وتقوم حلقة العزابة بالفتوى فيما يختلف عليه الأهالي ووضع قواعد مقررة للمشاكل الجديدة ، ويتولى مجلس العزابة الاشراف على تدريس القرآن لأبناء المدينة ورئيس الحلقة هو الشيخ أو المفتي الذي يتولى التدريس والخطابة في الجامع ، وتضم الحلقة ثلاثة معلمين لتعليم الصغار ، ويفصل أعضاء العزابة في المنازعات في جلسات تعقد في صحن الجامع بين صلاتي الظهر والعصر ، كما يقع على عاتقهم مسؤولية الحراسة داخل الأسوار ويطوفون الأسواق والمسالخ ، وسواقي المياه والسدود ، ولا يتقاضى أعضاء مجلس العزابة أجرا على أعمالهم هذه

ولأعضاء العزابة أيضا دورهم الاجتماعي ، فلا يقع في مدن مزاب ما يقع في غيرها من اختلاف بين العروسين عن المهر أو الشبكة ، فأعضاء العزابة وحدهم هم الذين يحددون المهر ، مهما تكن أسرة العروس أو حالها ، ومهما كان غنى الزوج ، ويترك لأسرة العروسين تحديد موعد الزفاف فحسب ، أما اذا شاء الزوج أن يرحل فلعمله ذلك بعد الأشهر الأولى من الزواج

ويسود شعور بامكانية الاستغناء عن الحكومة المركزية ، وبالفعل كان لاقامة مخفر للشرطة في بني يزقن بعض أوجه المقاومة من الأهالي ... تساعدها حلقتان فرعيتان أحدهما للنساء اللاتي يفصلن في بعض المسائل الاجتماعية مثل دفن الموتى ... والحلقة الاخرى منظمة « أروان » أي الطلبة ... والدليل الحاسم على نجاح حلقة العزابة ...

في مراب... ففي الجوامع يتعلم أبناء القرية مبادىء الكتابة واللغة العربية ويحفظون القرآن الكريم ، وهي صورة فريدة بالنجاح في القضاء على الأمية حلم غال لم تنجح في الوصول اليه العديد من أصحاب النظريات الحديثة

مجلس عمي سعيد

ويشكل ممثلو حلقات العزابة في مدن المزاب مجلسا أعلى يسمى مجلس عمي سعيد وهو يضم ١٦ عضوا ، عضوان عن كل بلده ، وهذا المجلس يبحث المشاكل الطارئة ، ويقوم بالصلح بين القبائل وهو هنا بالاصطلاح الحديث مجلس استئناف ، وأطلق عليه مجلس عمي سعيد لأنه يجتمع بمسجد الشيخ عمي سعيد بن علي الجربي ، وتتلى قراراته على الناس في المساجد ، أما من أين يستمد سلطته وهو الذي لا يملك وسائل السلطة المعروفة ؟ انه يكتفي بالقوة المعنوية للمذهب واذا تمرد أي طرف على قراراته يقوم العزابة بـ « العصيان المدني » أي يمتنعون عن القيام بمهامهم ويعتصمون في المسجد ، فيتحرك الرأي العام ضاغطا

ويتوازى مع حلقة العزابة ، ومجلس عمي سعيد مجلس رؤساء العشائر ، وهذا المجلس يضعف شأنه ويقل تأثيره كلما زاد نفوذ مجلس عمي سعيد

وهذه المؤسسات القديمة وما تصدره من قرارات يمكن أن تكون محل دراسة مستفيضة من علماء الاجتماع العرب وخاصة أن الكثير من أعمالها مدونة

مملكة تاهرت

والآن حان الوقت لنستعرض القصة الكاملة للدولة الرستمية ، ونقلب صفحات التاريخ لكي نستكمل أبعاد ما نرى

قامت الدولة الرستمية بعد جهاد طويل ، وهي امتداد ... شهدها الشرق العربي ، فبعد زوال دولتهم في ... حضر موت والطائف واليمن سنة ٧٢ هـ ، ... لجأ أصحاب المذهب الاباضي الى التنظيم ... بدل عن أعمال التمرد الفاشلة ، تصميم هذا ... ارسال الدعاة الى المناطق البعيدة عن حاضرة الدولة الاسلامية ، هذا بعد تجارب عديدة ، وبعد أن لجأ أباضية المشرق الى أساليب الدعوة السرية والتنظيم السياسي بعد فشل حركة عبد الله بن أباض التميمي في عهد مروان بن عمر الأموي ، وأخذوا يبعثون من مركزهم في « البصرة » دعاتهم الى الامصار المتطرفة ، ونجحت هذه الجهود في جنوب الجزيرة العربية وفي المغرب ، وهذا ما يفسر التشابه القائم بين عمارة مراب وعمارة كل من سيئون وشبام في حضر موت ، وقد سقطت دولة الكندي في جنوب اليمن سنة ١٣٠ هـ ، وتمركز المذهب في عمان والذي ما زال قائما هناك حتى اليوم

انتشر الدعاة في المغرب وأخذوا يدعون لمبادئهم التي تقوم على العدل والحرية ، وتعرضوا للاضطهاد بعد أن قامت مبادئهم على التحريض على الخروج ضد الامام الجائر ، والاجماع على جواز الامامة لكل مسلم عالم بالكتاب والسنة بغض النظر عن أصله وحسبه

« واستقبلت هذه المبادىء بالحفاوة مما تنطوي عليه من تمسك بالشريعة ، وثورية في قوامها السياسي ، وبساطة في جوانبها الفكرية ، كما لقيت مناخا مواتيا في ظروف المغرب الاسلامي وطبيعة سكانه » ، كما جاء في كتاب الدكتور محمود اسماعيل « الخوارج في المغرب »

وتذكر المصادر الأباضية في كتاب « سير الأئمة وأخبارهم » لمؤلفه أبو زكريا يحيى بن أبي بكر والذي نشرته وحققته المكتبة الوطنية في الجزائر « أن أول من جاء يطلب مذهب الأباضية ونحن بقيروان أفريقيا سلمة بن سعيد » وأضاف « قدم علينا من أرض البصرة ومعه عكرمة بن عباس علي بعير »

وأدت تلك الجهود المتواصلة الى نجاح عبد الرحمن بن رستم في تأسيس دولة تاهرت سنة ١٦١ هـ (٧٧٧ م) وامتد نفوذها لتضم أباضية المغرب ، ويلاحظ أنه في هذا الماضي البعيد غابت وسائل الاتصال الحديثة ، ورغم ذلك كان العالم الاسلامي مترابطا ، اذا انطلقت فكرة من البصرة على الخليج سرعان ما تجد صداها في أقصى المغرب ، فقد سبق وتوجه عبد الرحمن بن رستم الى البصرة مع عدد من المغاربة في حلقة أبي عبيدة مسلم بن أبي كريم سنة ١٣٥ هـ ، ٧٥٢ م) وتلقى على يديه أصول المذهب وخطة العمل

وعندما قامت دولته احتار تاهرت القديمة التي تعيش حولها قبائل البربر من هوارة ولواته ومكناسة ومراته ولمايه لتصبح قصبة الدولة ومركز المذهب ، « في مكان جيد الهواء ، كثير المياه ، خصب الأرض ، قابل للعمارة مأمون من العدو » وقبل الامامة سنة ١٦٢ هـ « على سنة الله ورسوله وآثار الخلفاء الراشدين ، وعاهده رؤساء المذهب على الطاعة فيما وافق الحق وطابقه » وأصبح أول أئمة الدولة الرستمية

وتحكي المصادر الأباضية عن تلك الدولة الحلم تعدد مزاياها ، ويكفي أنها دولة ليس لديها جيش نظامي أو شرطة ، أي ليس بها أية أدوات للقمع ، يقول أبو زكريا كانت خيول الأباضيين من ممتلكاتهم الخاصة ، فبيت المال ليس تحت تصرفهم ، ويكسبون رزقهم من عملهم ، ولم يكن للامام حرس خاص ، والقاضي يتعرض للاهانة ـ أحيانا ـ من المتقاضين اذا لم يوجد في القاعة من يتبرع بالدفاع عنه ، كما تروي هذه المصادر الاباضية تتابع وصول وفود المشاركة من المشرق واعجابهم بحكم الامام عبد الرحمن وما كان عليه من زهد وعدل وورع ، وحرصه على استشارة أهل الرأي في كيفية توزيع الاموال التي يحملونها له من المشرق ، والتي كانت تنفق في ثلاثة أوجه ثلث في الكراع (الخيل) وثلث في السلاح ، وثلث توزع على فقراء المسلمين وضعفائهم » ، كما طبق الامام عبد الرحمن بصرامة تعاليم المذهب ، في كل من نظام القضاء والاحتساب ونظم الجباية والصدقات ، مع مراعاة بيئة السكان وظروفهم والذي يقول عنهم ماسكوراي « لقد كانوا سادة الصحراء »

الأيام دول

ومرت تلك الدولة مثل سواها بدورتها الطبيعية ، تبدأ بالعنفوان والتطبيق الكامل للدعوة التي حملها مؤسسوها ، ومن مرحلة الشباب الى الشيخوخة ، فمع الزمن دبت فيها الخلافات ، وتحولت الامامة من الانتخاب الى الوراثة ، وتخلت عن سر قوتها وصلب دعوتها ، وعادت الأمور الى سيرتها الأولى والى ذات النهج الذي سبق ودفعهم الى الثورة

ففي المرحلة الأولى أوصى الامام عبد الرحمن قبل وفاته بتعيين مجلس شورى وكل اليه اختيار الامام الجديد من بين أعضائه ، ولم يمض الوقت حتى تغير الامر ، بل ولم تنجح هذه الدولة سوى فترة قصيرة في التوفيق بين مطالب الحكم وبين الأعراف البدوية المختلفة ، فطمعت القبائل في تولي السلطة ، ونجح محمد بن سالة الهواري في الاستيلاء على الحكم لمدة ثمانية أعوام ، وأخيرا سقطت مملكة تاهرت على يد أبي عبد الله سنة ٢٩٧ هـ (٩٠٩ م) دون قتال ، بعد أن وصلت الى ذروة ضعفها ، وكما جاء على لسان ابن الصغير « وكان البلد قد فسد ، وفسد أهلها واتخذوا للمسكر أسواقا ، والغلمان أصراما » وكانت قد تعرضت لضربة قاصمة بسبب ما حل بالاباضية جبل نفوسه سنة ٢٨٣ هـ في موقعة مانو (قلعة بين قابس تونس وطرابلس ليبيا) ، عندما أجهز الأغالبة على جيوش نفوسه ، وأمر أبو عبد الله باحراق المكتبة الرستمية المعصومة » بعد أن انتقى منها الكتب المتعلقة بالحكم والفنون والرياضيات والصنائع ، وأخيرا أضرم النار في تاهرت .

وبعدما اختفت تاهرت قوي المذهب من جديد في صورة جماعات صغيرة ، مشردة في المناطق الصحراوية ، وانتقلت بعض هذه الجماعات الى واحة وارجلان (في الجزائر) وعندما هجم المرابطون على الواحة فروا في منتصف القرن الرابع الهجري ـ العاشر الميلادي ـ الى سدارته وعندما دمرت سدارته كانت صيحتهم « افترقوا ولا تتجمعوا فما اجتمع منكم ثلاثة الا وظلموا » وانتهى بهم الحال الى وادي مزاب ، كما بقي منهم تجمعات في كل من جزيرة جربه بتونس ، والساقية الحمراء ، وتفيلالت (المغرب) وجبل نفوسه بليبيا ، وأصبح سكان وادي مزاب مجموعة متلاحمة فخورة تاريخها وتضاف الى أسباب الاعتزاز القائم بدولتهم القديمة والمستمر حتى اليوم انها كانت آخر عواصم البربر ، رغم ان عبد الرحمن بن رستم لم يكن واحدا منهم بل قدم من العراق ولكن عناصر الدولة الرئيسية قامت على أكتافهم ، وخاصة بعد أن عانى البربر طويلا بسبب التجزؤ الجغرافي وصعوبة المواصلات ، وقلة الأراضي الصالحة للزراعة ومن ثنائية البدو والحضر ، والتي استطاعت مملكة تاهرت وحدها أن تتجاوزها جميعا

وبقي ان من أسباب انهيار تلك الدولة ما يعتبر

... تهم غير سياسية » فقد كانوا في حركتهم أقرب
... سواء في خوض الحروب أو معاملة الخصوم ،
... لا يشهرون الحرب على أعدائهم الا بعد إعلامهم
... الحجة عليهم ، ولم يتبعوا المدبر أو يجهزوا على
... كما لم يحرقوا الزرع ولم يهدموا سوى الحصون
... وار ، وتعففوا عن الغنائم من غير السلاح والعتاد ،
... لوا الأطفال أو يسبوا الذراري ، وطغت في أوقات
... تعاليم المذهب على دوافع العصبية والعنصرية
... هي القصة الكاملة للدولة الحلم جمعا أطرافها من
... صفحات التاريخ ، وجمعت كل ملاحظاتي وكل ما
... وذهبت الى الشيخ صالح برملال في مكتبة الشيخ
... س في بني يزقن ، والذي درس في جامع الزيتونة ،
... شيخ ضرير لحيته في لون « حلاته » يتهدج صوته
... يتكلم ، وعندما سألته حول صورة المجاهد سليمان
... ي التي صادفتها في العديد من الأماكن قال « انه
... من جبل نفوسه في ليبيا ، وقد قرأ هنا عند الشيخ
... س ـ رحمه الله ـ ، وقد قام بدور وطني في مقاومة
... ليين ، وتلاحقت أسئلتي
... ر العديد من الكتب الأباضية كأحد فرق
... ح ، فما رأيك ؟
علاقة بين الأباضية والخوارج ، سوى إتفاقهما في
واحدة هي رفض كل منهما للتحكيم »
... هو التركيب القبلي لأبناء وادي مزاب ؟
... تلك القبائل يعود أصولها الى البربر ، وبعض القبائل
... ى يعود الى قبائل عربية فمثلا أنتسب أنا الى احداها
... ى عدي ، وبعض أهل مزاب يمتد نسبه الى
... اف ، وكل شيء مسطور ، فانساب أبناء المزاب
... له ، وما زال نظام العشائر قائما »
... هو سر قائمة الممنوعات التي تواجه الزائر عندما
... من بوابة بني يزقن ؟
... نجد هنا عادة أو تقليدا إلا ويعتمد على الكتاب ،
... هنا هو الذي يسير المدينة ، وهو قلبها
...
... مع تصوير الأهالي ؟
... من الحرية الشخصية ، فالأهالي لا يرحبون
...
... الخلويات للأطفال ؟

ـ لكي لا يتعودوا على الحصول على أشياء بلا مجهود »

● وعدم وجود أي غريب في البلد بعد العشاء ؟

ـ « ليس في البلدة فنادق . فما هو مبرر وجوده عندما يأتي المساء اذا كان ضيفا على أحد الأهالي فترحب به البلدة جميعا »

● يتردد أن مزاب هي المنطقة الوحيدة التي لم تشترك في حرب التحرير ، ولم تقدم شهيدا في هذه الحرب ؟

ـ « عندما أطلقت رصاصة الثورة الاولى في عام ١٩٥٤ ، كان الذين أطلقوها يمثلون جميع أنحاء الجزائر ، وكنت في هذا الوقت في القاهرة ، وحضرت اجتماعا لمناقشة ما يمكن أن يقوم به أهل الوادي وكان هذا الاجتماع في بيت السيد البشير الابراهيمي ، واتفق خلال هذا الاجتماع على أن الوادي ليس به كهوف أو مكان نأوي اليه اذا هاجمتنا قوات الاحتلال الفرنسي ، كما ان لدينا جالية كبيرة تعمل في الشمال الجزائري وكانت مشاركتنا المالية مادية عما كنا نبعث به للثوار ، وقد التحق البعض بالعمل بالثورة وصمت برهة وأضاف « ولقد أحبطنا المحاولات *الفرنسية التي كانت تهدف الى فصل الصحراء عن الجزائر* عندما أرادوا أن يدقوا اسفينا بين سكان الصحراء وسكان الساحل ولكن الموقف الحاسم الذي اتخذناه واصرارنا على أننا جزء من التراب الوطني الجزائري أحبط هذه المخططات »

سيوه ومزاب . . !

وسألته لقد لاحظت التشابه الشديد في العديد من الجوانب بين واحة سيوه في مصر وبين وادي مزاب في الجزائر ، نفس طراز مساجد مزاب مع المسجد العتيق في سيوه* ، نفس لهجة الأهالي ، العديد من التقاليد ، فهل لديك تفسير لذلك ؟

قال « لقد سبق وزرت واحة سيوه ، وأهلها يتحدثون ذات اللغة ، وهم على اتصال بأهالي جبل نفوسة في ليبيا ، وتعود علاقاتهم التاريخية الى أيام الدولة الرستمية ، والتي كانت تمتد في الداخل من طنجة وحتى الاسكندرية ، وما زالوا متأثرين بتلك العادات والتقاليد »

وسألته أخيرا عن المخطوطات في بني يزقن ، فقال ان

لدينا القليل منها ، ولكن في جبل نفوسه من كتب الأباضية ما هو أكثر وفرة وأعرض شمولا »
رغم ان كتب التاريخ تحكي إنه بعد أن فتح المرابطون وارجلان رحل أباضيتها بكتبهم وانتهوا الى وادي المزاب ، وان هذه الكتب ما زالت محفوظة لدى مشايخ المذهب !

مزابيون في كل مكان

يلحظ رائر المدن المزابية العمل الشاق الذي بعث في هذا الوادي الحياة ،وأصبح الوادي مجتمعا مردهرا يتمتع سكانه بعقل عملي ، وبعد أن لقنتهم ظروفهم القاسية كيفية العمل والترحال ، فرغم كفاءتهم العالية في زراعة الصحراء ، الا أن الزراعة وحدها لا تكفي لاستمرار حياتهم ، فأضافوا الى أعمالهم التجارة ، وأصبحت المحلات التي يمتلكها أهل مزاب منتشرة في كل المدن الجزائرية ، وفي شمال أفريقيا كلها ، ووصلوا الى البلدان الافريقية المجاورة مثل مالي والنيجر ، فالاضافة الى التجار الذين تراهم في غارداية تحت أقواس السوق القديم

توجد قوافل الشاحنات التي يمتلكها المزابيون والتي تقطع طريق القوافل القديمة الى أفريقيا ، ونمت تجارتهم من التجزئة الى الجملة وانتقلت الى الاستيراد والتصدير ، وانتشروا في كل مكان حتى مرسيليا ، وعرفوا بأنهم تجار حذقون مشهورون بالصرامة والجد بل وعملوا بالصناعة ، من صناعة الررابي الى صناعة النسيج

ولكن كل من يرحل يعود في النهاية الى الوادي ، يعود ليتروج وفي الوادي يشب أطفاله على دات التقاليد التي اتبعها الآباء ، وعندما يموت أحدهم يدفن في محل ميلاده ، وكثيرا ما ترسل رفاة من يموتون من مختلف الانحاء الى الوادي بسيارات الاجرة

ومن يرى مقبرة العطوف يرى الى أي حد تختلط التقاليد مع البيئة مع العقيدة ، فشواهد القبور عمل معماري جميل ، وعمل تشكيلي فذ ، وترى الى جانب تلك الشواهد الأواني والقدور التي تحص المتوفي وهي من العادات القديمة التي حافظوا عليها
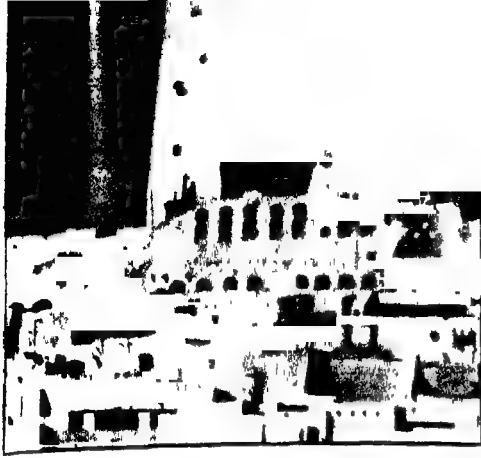
جامع في مزاب وحب

في ظل الاحتلال

حافظ أهل مزاب على عزلتهم مدة طويلة كمجموعة متلاحمة محورة بتاريخها ، وبعد سقوط الجزائر أمام الاحتلال الفرنسي ، وعندما وصل الفرنسيون الى الاغواط البوابة الشمالية لمزاب ـ بعث أبناء مزاب وفدا الى الأغواط ، وهناك عقد الوفد مع الجنرال الكونت دي راندون اتفاقية عام ١٨٥٢ ، وضع بمقتضاها الوادي تحت الاحتلال مع الحفاظ على نوع من الحكم الذاتي ، وأن يستثنى أبناء الوادي من الخدمة في الجيش الفرنسي
ويكمل الشيخ صالح برمال هذه الرواية التاريخية بقوله « كان الاتفاق يقضي بدفع اتاوة للفرنسيين مقابل عدم اشتراك أبناء مزاب في التجنيد »

رياح التغيير

أما اليوم فتشهد مزاب تغييرا كبيرا ، فرياح التغيير عاتية لا يمكن مقاومتها ، وما شاهدته في مزاب يثبت أنه لم يعد ممكنا في هذا العصر ـ ومع التقدم الهائل في وسائل الاتصال ـ أن يتمكن مجتمع من الحفاظ على عزلته حتى لو كان في قلب الصحراء ويتمترس وراء مدن تدعو ظروفه التاريخية الى التمسك بكل ما تركه الأ[illegible] وها هو ذا الكثير من معالم الماضي يتغير ، فمثلا و[illegible]

ويظهر التشابه الشديد بينهما

الحديثة وفرت المياه ، وأصبحت البلدة تحتاج الى صرف حديثة ، ولم تعد الجلسة في الغابة كما كانت تزايد البعوض ، وأصبح طراز البيوت القديمة باقامة مكان للسيارة ، مما وضع أمام رحال الآثار ات كبيرة للحفاظ على آثار وطابع مزاب ، ومن آخر تحتاج هذه السيارات الى شوارع واسعة ! رت الى السطح مشاكل التغيير المختلفة ، فمثلا س الحكومية الالزامية التي تنتشر في كل أنحاء ، مدارس مختلطة تضم البنين والبنات ، ويصر وادي على منع الفتيات الصغيرات من الذهاب !

سجن الماضي

ل الحكومة والحزب برفق وحكمة على إحداث ات الضرورية ، وبدأت بالتجنيد الاجباري لكل الوادي ، ولا يفوت الزائر أن يلحظ الشعارات التي في كل مكان ، وأحدها يقول « ان العناية بالتاريخ بأي حال من الأحوال أن نكون سجناء الماضي أو حتى لا نميز بين ما فيه من ايجابيات وسلبيات » السلبيات التي ينبغي تغييرها ، انتشار عادة الأقارب أو على الأكثر من المدن المزابية ، مما كبر العديد من الأمراض الوراثية ، ويمكن اذا اتسعت دائرة الاختيار ، وتخلت هذه المدن ، أو حتى التأكد من الطبيب بخلو الزوج الامراض الوراثية

وكانت آخر لقاءاتي في مقر حزب جبهة التحرير ، حيث استعرض مسؤول الحزب عمليات التغيير الواسعة التي يشهدها الوادي ، والتي تقوم على بدء حركة تصنيع واسعة ، وقد أقامت الحكومة منطقة صناعية ضخمة تضم ٥٠ مصنعا صغيرا ، منها مصنع للمبردات الكهربائية وآخر للبلاستيك وثالث للنسيج ومواد البناء الخ ، والى جوارها عدد من المشاريع الكبيرة مثل انتاج أنابيب النفط ويعمل في هذه المصانع ٤ آلاف و ٥٠٠ عامل منهم عدد من سكان مراب وعدد آخر من خارجها ، وتقوم أيضا مشاريع الخدمات المختلفة من صحية وتعليمية ، وأصبح في غارداية وحدها ٢٤ مدرسة وبقي « المشكل » المتعلق برفض الأهالي للمدارس المشتركة ، وما زال الازدواج قائما بين التعليم الحكومي والتعليم الديني !

وعندما التقيت بأحد قيادات الحرب من أبناء مراب واسمه حنا بكير ، والذي ما زال يرتدي العمامة والسروال المميز ، سلم معي بأن المرأة في مزاب تعاني من الاهمال والتخلف ، وفي الوقت الذي يذهب أبناء مزاب الى آخر الدنيا مما يكسبهم معرفة وخبرة واسعة بما يجري في العالم ، فما زالت المرأة تعيش معرفة محدودة مما خلف فجوة واسعة في الفكر والثقافة بين الرجل والمرأة ، ويترك الرحال زوجاتهم وحيدات في الوادي ويرحلون للعمل رغم ان هناك مثلا يتردد في مزاب مضمونه يرفع من شأن المرأة ، يقول « ان الحياة صحراء قاحلة ، والمرأة هي التي تساعدنا على قطعها » ، وحاء صوت مرافقي يقول « ان النساء يمشن حياة غير مجدية فيما عدا انجاب الاطفال ، ومنهن من لا تستطيع أن ترتق جوربا أو تسلق بيضة »

ان آخر ما يتغير في أي مجتمع هي العادات والتقاليد الاجتماعية ، فيقع عبء التغيير على الأجيال الشابة التي تتوجه اليوم للمدارس والمصانع والقوات المسلحة ، وهذه الأجيال هي التي عليها في نفس الوقت الحفاظ على كل ما هو جميل وأصيل في حياة هذا الوادي الذي حافظ أهله على اللغة العربية في أقصى الظروف الاستعمارية قسوة ■■

مصطفى نبيل

● حل مسابقة العدد ٢٨٣ ●

أفقياً

محمد فريد وجدي

رأسياً

الخوارزمي

اثنتان في واحدة .

(٨) أفقيا محمد فريد وجدي ولد ونشأ بالاسكندرية ، وتوفي بالقاهرة عام ١٩٥٤ أصدر جريدة الدستور عام ١٩٠٧ وحرر مجلة الازهر عام ١٩٣٣ من مؤلفاته « دائرة معارف القرن العشرين »

(٨) رأسيا الخوارزمي رياضي وفلكي اسلامي ، ولد في القرن التاسع الميلادي ، وعاش في بغداد أيام المأمون أول من ألف في علم الجبر مستقلا عن الحساب والهندسة وهو الذي وضع كلمة « جبر »

الفائزون بالجوائز

■ الجائزة الأولى وقيمتها ٣٠ دينارا فازت بها شذى سلمان داود ـ بغداد / العراق

■ الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها حيدر الشيخ ادريس الامام ـ الخرطوم / السودان

■ الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فازت بها سمر محمود أبوسلمى ـ الزرقاء / الأردن

٨حوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من

١ ـ بو زمور محمد ـ تطوان / المغرب
٢ ـ أمين محمد عبد الله مقطري ـ تعز / اليمن الشمالي
٣ ـ يوسف راشد محمد ـ المحرق / البحرين
٤ ـ عبد الله أحمد محمد العلي ـ الاحساء / السعودية
٥ ـ ابراهيم محمود علي حمد ـ درعا / سوريا
٦ ـ عادل عبد الموجود ابراهيم ـ طنطا / مصر
٧ ـ نبيل محمود زيدان ـ الفروانية / الكويت
٨ ـ أحمد محمد البكرى ـ أم القوين / الامارات العربية

فتاة ترفض جنسها

بقلم الدكتور : محمد عماد الدين اسماعيل

حينما يهرب المرء من جنسه يتصور أنه انتصر ، على مشاعره وعلى الآخرين ، ولكنه يظل في الحقيقة مهزوما بكل المقاييس

بدأت الأزمة تشتد بعد أن فرغت من دراستها العليا ، دراستها للماجستير ، وكأنما أزيح الستار الذي كانت تصنعه حاجزا كثيفا على مشاعرها وعلى صراعاتها ، أو كأنما بطلت الحجة التي طالما تعللت بها وهي حجة استكمال الدراسة عندئذ وجدت نفسها في فراغ شديد لا تستطيع أن تملأه ، وأحست بالمخاوف ترحف الى نفسها شكل شبح فجاءت تلتمس العلاج

وما أن جلست على المقعد الذي قدمته لها بجوار مكتبي حتى أحنت رأسها وجعلت تحدق في أرض الغرفة

وبعد فترة من الصمت المحزون سألتها عما سبب لها ما هي فيه من أسى ، وبدلا من أن تجيب اندفعت تبكي في حرقة وانقضت مدة طويلة قبل أن تتمكن من السيطرة على نفسها لتقول « انه لأمر فظيع أن يشعر المرء أنه غير مرغوب فيه »

هكذا قالت أخيرا ثم اندفعت تكمل حديثها

« قد يبدو الأمر كله سخيفا في نظرك يا دكتور ولكنني ... لا أستطيع أن أتغلب على هذه الفكرة ... اني انسانة لا يرغب فيها أي مخلوق وأهلي ... سودوا يقبلونني أو يستسيغون وجودي معهم ... الكل يطرون الي سطرة اشفاق وترحم تصور والدتي تقول لي « أنا غير راغبة في رؤيتك بعد الآن »

والواقع أن هذا الشعور من ناحية الأم ليس بالجديد عليها ، فلم تكن أمها ترغب فيها فعلا منذ ولادتها ذلك أنها كانت تفضل أن تكون ولدا ويقال انها صرخت في وجه الحكيمة عندما علمت بالحقيقة المرة قائلة « ابعدوها عني ، انني لا أريدها » ويقال أيضا انها استمرت أسبوعا بأكمله ترفض ارضاعها

ولقد وصل الامر الى الذروة الآن عندما رفضت « نادية » الخطيب السادس في عمرها الطويل البالغ الآن ثمانية وعشرين عاما

ونادية فتاة تميل الى الطول سمراء اللون ، جاءت الى العيادة لأول مرة وهي تلبس قميصا أشبه بقمصان الرجال وجيب ضيق ، وكانت تحمل حقيبة ذات حزام طويل من ذلك الصنف الذي يعلق في الكتف ، وكانت دائما تضع في حقيبتها هذه كتابا ، وفي بعض الأحيان « سندويتشات » للطوارىء ، عندما تضطر الى أن تغيب فترة طويلة عن المنزل في العمل ، أو في السينما ، أو في زيارة احدى

صديقاتها ، أو في رحلة مع أصدقائها وصديقاتها

ونادية هي البنت الأولى بعد ذكر في أسرة مكونة من أب وأم وخمسة أبناء ، أما الثلاثة الآخرون فهم بنتان ثم ولد

دعوها تفعل ما تريد !

أما الأب فهو رجل طيب من الطبقة الوسطى كان يعمل موظفا باحدى الوظائف التعليمية ، كما أنه كان يشتغل الى جانب ذلك بالكتابة والتأليف وكان الرجل غير موفق في حياته الروحية ، فقد كانت زوجته بسيطة التعليم من الريف وكان قد تزوجها على الطريقة التقليدية ـ ارضاء لرغبة والديه والخلاصة أن الأب كان منقبضا في علاقاته الجنسية ولقد وجد في تقريب ابنته منه اشباعا جزئيا لدوافعه المكبوتة ، وتعويضا عن عدم التوافق في حياته الزوجية الى حد ما

كان الأب شديد الاهتمام بابنته شديد الرعاية لها ، شديد التدليل كان بمجرد دخوله المنزل يسأل عنها ، ويأتي لها بالحلوى ، ويحملها بين ذراعيه وكانت هي تندفع اليه مرحبة به وكانت تنتظر حضوره بفارغ الصبر حتى ترى مفاجأة اليوم وكان كل يوم مفاجأة بالنسبة لها

كان لها مركز ممتاز عنده حتى ان اخوتها اذا أرادوا شيئا كانوا يتحايلون عليها أن تطلبه هي من والدها حتى يضمنوا تحقيق طلبهم واذا غضب كانت هي التي تصالحه وكثيرا ما كان يتشاجر مع زوجته ويمتنع عن تناول الطعام معهم وينعزل ، فكانت اذا دخلت عليه حجرته لا يستطيع أن يرفض طلبها فكان يقوم معها وكأن شيئا لم يكن ، فيجلس معهم على المائدة مرة أخرى حتى لا يغضبها ، أو يكدر خاطرها

كانت هي التي تعد له ملابسه وهي دائما التي يناديها اذا أراد شيئا . كوب ماء أو سؤالا عن شيء لا يعرف مكانه هي التي كانت تتلقى الرسائل التي يتركها أصدقاؤه ، وهي التي تسارع بابلاغها له عندما يحضر الى المنزل

ولكن هذه المزايا لم تكن بغير ثمن كانت هذه العلاقة بين البنت وأبيها مثار الحقد والغيرة من الجميع ، وأولهم الأم التي كانت تعمل شعوريا أو لا شعوريا على منع مثل هذا التجاوب . وقد كانت تلجأ في ذلك الى استخدام جميع الوسائل التي تحت أيديها فقد كانت تتحدث الى الأب بصراحة أمام البنت في أنه يدللها أكثر من اللازم ، أو أنه يعمل على افساد أخلاقها ، أو غير ذلك من التبريرات التي تعبر بها عن احتجاجها على مثل هذا التصرف من ناحيته .

وعندما كانت البنت تذهب اليه شاكية تصرف أحد أفراد العائلة نحوها ، كان يثور ويقول لهم « أنا قلت لكم الف مرة ! نادية هذه ، اتركوها وشأنها ، تعمل ما تريد »

كان يصطحبها معه عندما تطلب اليه ذلك حماية لها من أعضاء الاسرة فكانت تذهب معه الى اللقاءات التي يجتمع فيها بزملائه أو أصدقائه . .

وكان ذلك يزيد من غيرة الأم فكانت تعمل على التقليل من شأن ابنتها كما كانت تفضل عليها أخاها عند النزاع بينهما كانت تحتقرها وتنعتها بالاوصاف الوضيعة وغير ذلك لأقل هفوة أو خطأ تقع فيه معبرة في ذلك عن عدوانها غير المباشر نحوها كانت تسحب لها زينتها أو تحرمها عليها أو تمنعها من الوقوف أمام المرآة مدة كافية أو تنعتها بالقبح أو تعيرها بنقائص خلقية في شكلها أو منظرها أو قوامها

لماذا تتجملين ؟ شعر رأسك كالليف ، وعيناك كعيني القرد ، وجسمك مصمصص

لم تكن صلة نادية بوالدها سوى رمز للقيام بدورها الجنسي كأنثى ان أباها يمثل أحد أفراد الجنس الآخر سلوكها نحوه وعلاقتها به وحرياتها كأنثى في التعبير عن نفسها كل ذلك كان مصدر السخط عليها ، وكان في الواقع هو السجن الذي أرادت أمها وكل من حولها أن يضعوها فيه

صار جنسها عبئا

في البداية لم يكن هناك فرق بينها وبين أخيها ، كانت تلعب مع أصدقاء أخيها ، وكانت تنزل معه و[illegible] تلعب بألعابه . . . . ولكن الأم بحكم غيرتها و[illegible] تفصلها [illegible] له . . كانت تصب عليها جام غضبها

ـ ماذا تظنين نفسك ، أنسيت أنك بنت [illegible] ولد

بهذه العبارة مثلا كانت الأم تلومها [illegible] تتأخر في

الشارع ، أو عندما تعتدي على ولد في الشارع أو عندما تطلب أن تنزل مع أخيها لتلعب أيضا كبقية الاولاد

وكانت الأم تستعين بالتهديد بشتى الوسائل والطرق لتخويف ابنتها وتحذيرها من اللعب مع الأولاد

رأتها مرة تضحك مع الخادم في المنزل فضربتها ضربا مبرحا أحست معه البنت أنها قد أهينت

وفي احدى المرات اشتبكت مع أخيها بالضرب وكانت تتحرش به في مناسبات عديدة . وكان في هذه المرة من أحل لعبة من العابه ، أرادت أن تأخذها منه فذهب لتشكي الى أمه فما كان من الام الا ان أخذت تضربها حتى شحب رأسها ولم تكتف بذلك بل طلبت منها أن تقوم لمساعدتها في الطبخ ولما احتجت بأنها تريد أن تلعب قائلة سداجة الاولاد لماذا هو يلعب ، وأنا أشتغل ، ردت عليها الأم « هو ولد ولكن أنت بنت » .

في احدى المرات كانت تلعب « الاستغماية » مع بقية الاولاد في ... ورأتها أمها وهي في الدولاب مع

أحدهم . وكانت الطامة الكبرى . لقد نعتتها الأم بشتى النعوت القبيحة وأخذت تبالغ لها في وصف ما يمكن أن يترتب على بعض الأمور كالاختلاء بالذكور أو التقبيل أو اللعب مع الذكور فتصور لها أن ذلك يمكن أن يترتب عليه أمور خطيرة وأضرار سيئة لا يمكن تلافيها

- « شرف البنت كالزجاج اذا انكسر لا يعاد اصلاحه »

لقد أصبح جنسها عبئا عليها أصبح سجنا تريد أن تتخلص منه انها تتكره على نفسها ، وأخوها يتميز بسببه عليها كان الاهتمام الأكبر في الواقع بالولد في الأسرة وكانت تجد هي ذلك في فرص ومناسبات متعددة الأم كانت دائما تعينه عليها في شجاره معها والأب حتى الأب الذي كانت تعبده كان يصب اهتمامه على الولد من نواح أخرى ، كان يهتم بمستقبله ، بمذكراته وباعطائه حريات أكبر في الدخول والخروج .

وكبرت نادية ووجدت أن أباها قد انقلب فجأة من والد محب مقدر ، الى شخص غير مبال ، وان كانت تختفي تحت عدم المبالاة هذه بعض مشاعر العطف أو العاطفة المستترة التي لا تريد أن تعبر عن نفسها ، كما تعودت منه تعبيرا صريحا غير ملتو

أرادت أن تقبله مرة كعادتها ولكنه أشاح بوجهه عنها قائلا

- «وأنت كبرت دلوقت يا نادية خلاص لست صغيرة»

وكانت أول صدمة لها من الوالد ، من المحب الأكبر

جاء مرة وسأل عنها وهي في سن الرابعة عشرة فقالوا له انها لا تزال تلعب فغضب منها ولأول مرة يهددها بالخصام . وضاع آخر أمل لها في حياتها . وضاع آخر ملجأ كان يمكن أن تكتسب منه حريتها . ووجدت نفسها أمام انكار من الجميع ، ورفض من الجميع . الاولاد لم يصبحوا متقبلين لها كما كانوا ، وأخوها بالطبع أخذ يتهرب منها ويذهب الى أصحابه ولا يرضى أن يصطحبها معه وأمها من قبل أنكرت عليها كل تعبير جنسي والآن أبوها . .

وكان هناك مصدر وحيد لشعورها بتفوقها ، وانتصارها على أخيها ، واحتفاظها بحب والدها وذلك هو الدرس المدرسة كانت وهي طفلة تشاهد والدها وهو « يرعق » لأخيها لكي يستذكر دروسه وكانت تجد في ذلك فرصة أخرى لجذب انتباه الوالد والحصول على رضاه فكانت تستذكر دروسها وتجيء اليه تقول « سمع لي كذا يا بابا» وكان يستجيب لها ويمدح « بشطارتها » وكان يعير أخاها بذلك

وجدت البنت ، التفوق الدراسي فرصة وحيدة أمامها الآن فأخذت تلعب بهذه الورقة بكل امكانياتها حتى لقد تفوقت كثيرا في القراءة واللغة وكان هذا يمدح والدها ، وكانت تساعده في عمله وكان هو يشجعها على ذلك

تقمص الأب والأم

وتقمصت البنت شخصية والدها تماما وأصبح المجال الأكاديمي هو منفذها الوحيد ولكن الصدمة الكبرى كانت هذه المرة في تخلي والدها عنها فعندما أصبحت في سن السادسة عشرة ، صمم على أن يخرجها من المدرسة لكي يزوجها مرة أخرى تخلى عنها والدها قاومت كثيرا ولكنها لم تستطع ، وعانت الأمرين من علاقتها بخطيبها كان في سن قريبة من سن والدها كان رجلا يشبه في صورته الوالد تماما بالنسبة لها الوالد ذلك الشيء المقدس الذي كانت لا تستطيع أن تقترب منه والذي عانت من غيرة والدتها من علاقتها به ما عانت كانت تشعر باختناق شديد كلما اقترب منها وتمنت له الموت

ولعبت الأقدار دورها لقد مات الزوج قبل أن يدخل بها ومات الوالد

وشعرت البنت بذنب شديد كاد يمزق كيانها وكان خلاصها هو أن تستمر في دراستها الشيء الوحيد الذي كانت تستطيع فيه أن تجد عزاءها وتفوقها وتغلبها على مشاعر النقص والذنب

وأصبحت نادية بينها وبين نفسها ، ودون أن تدري ، تقف من الرجل موقف المنافس الرجل شخص غير مأمون الرجل يخون الرجل يهجر الرجل منافس معاني اكتسبتها كلها من عداوتها بأخيها وبأبيها وبالأولاد في الشارع ومن أمها ومن التحذيرات التي كانت تحذرها بها

« الرجال كالذئاب معاشرتهم تعب ونكد شرف البنت كالزجاج اذا كسر لا يعاد اصلاحه »

وأصبحت دون أن تدري تصاحب زملاءها في الجامعة كما لو كانت ولدا مثلهم . ولكن بمجرد أن يقترب منها أحد أو يعاكسها أو يطلب يدها يصبح رمزا لكل هذه المعاني القاسية ويصبح مخيفا مرعبا وأصبحت ترفض الزواج بشتى العلل دون أن تدري لماذا ؟

وأصبح لها ولع شديد في اجتذاب الأولاد نحوها بروحها الاجتماعية اللطيفة الجذابة ولكن لكي ترفض بشدة بعد ذلك أي خطوة أخرى

وأصبحت تتلذذ من ذلك وأصبحت تتلذذ أيضا من اجتذاب الرجال المتزوجين خاصة ثم ترفض عروضهم بالزواج منها حتى ولو وعدوا بطلاق زوجاتهم

أصبحت تتلذذ بالمنافسة مع الرجال وصرعهم كما كانت تصرع أخاها

أصبحت تتلذذ بالمنافسة مع الزوجات وهزيمتهن كما كانت تود أن تصرع أمها وتغلبها

ولكنها أصبحت أيضا تجد نفسها وحيدة بعد ذلك كله خائفة بعد ذلك كله لا نصير ولا معين ، والدنيا كلها اعداء والحياة معركة لا تنتهي تشعر بأن لا أحد يتقبلها ، لأنها هي نفسها لا تتقبل أحدا بل لا تتقبل ذاتها وتخاف من الجميع من الرجال ومن النساء معا

فالرجل يهجر كما هجر الأب والمرأة تقسو كما قست الأم وليست هناك سوى لذة الانتصار على الرجل ولكن أي انتصار ؟

لقد اتضح لها أخيرا أنه مجرد وهم سراب تجري وراءه وتلهث وعندما تتعب أو تنتهي من الجري لا تجد أمامها سوى الفراغ الفراغ القاتل المميت وأخيرا لجأت الى العلاج ■■

د . محمد عماد الدين اسماعيل
رئيس ...
كلية الآداب ـ جامعة الكويت

لكل مخلوق قدرة على سماع الاصوات تختلف عن الآخر ، فللانسان قدرة تختلف عن الخيول والكلاب . . وهكذا

من أسرار عالم الأصوات

بقلم الدكتور : محمد محيى الدين لودن

السمعيات هو اسم العلم الذي يبحث في كل مايتعلق بالاصوات وسماعها ، ولقد من الله تعالى علينا بنعمة السمع ودكر دلك في كتابه الكريم ، في آيات كثيرة حاء فيها ذكر نعمة السمع مقدما دائما على نعمة الابصار فما اكثر من نبغ رغم فقدانه نعمة البصر وما اقل من بلغ ذلك ممن فقدوا نعمة السمع

والصوت ينشأ نتيجة لاهترازات ، قد يكون مصدرها حسما صلبا مثل الطبل او عاريا مثل الهواء في الصفارة او سائلا مثل هدير المياه وتنتشر الاهترازات في الوسط - الذي هو الهواء في عالب الامر - حتى تصل الى الادن ولكن الانسان لايستطيع سماع كل صوت ، فالله سبحانه وتعالى خلق الانسان وجعل حاسة السمع عنده مقصورة على اكتشاف الاصوات الناشئة عن الاهترازات التي تقع دبدبتها في النطاق السمعي للانسان ، وهو مابين حوالى ١٠ الى حوالي ٢٠٠٠٠ (عشرين الف) دبدبة في الثانية والدبدبة في الثانية هي وحدة التردد الذى هو عدد مرات تكرار حدوثها في الثانية الواحدة

سبحانه وتعالى الخيل قادرة على سماع الاصوات التي يقل ترددها عن ١٦ دبدبة في الثانية ، ولذا فان الخيل تستطيع اكتشاف وقوع الهزات الارضية المعروفة بالزلازل قبل مدة من قدومها ، حيث ان الزلازل تحدث اهترازات يقل ترددها عن ١٦ دبدبة في الثانية ، اي تحت النطاق السمعي للانسان

اما الكلاب فتستطيع سماع الاصوات التي يعلو ترددها على عشرين الفا في الثانية فترى الشرطة التي تستخدم الكلاب تناديها بواسطة صفارة خاصة لايستطيع اللص او المتسلل عبر الحدود سماعها ، بينما يسمع الكلب صفيرها المكون من دبدبات تزيد عن العشرين الفا في الثانية

علم وسيط

والسمعيات علم وسيط بين الكثير من العلوم الاخرى ، يساعد العاملين بها على وظائفهم فطبيب الادن يقوم بقياس درجة حاسة السمع وهناك الآن اجهزة الكترونية تعرف باسم « الاوديومتر » صممها المتخصصون في السمعيات لكي يستطيع الطبيب بواسطتها

قياس حاسة السمع بدقة تامة فغالبا ما يعاني المريض من ضعف في السمع مقصور على جزء محدود من النطاق السمعي للانسان ، ويتم بواسطة « الاوديومتر » تحديد هذا الجزء ، وبهذا يستطيع احصائي السمع ان يصف السماعة المناسبة ، وهي السماعة التي تقوي فقط الذبذبات التي يعاني المريض من عدم سماعها ولقد حادثت ضعاف السمع الذين يشكون من السماعات التي يستخدمونها ، ففي حالة معينة كان المريض يستطيع سماع الاصوات العليظة (ذات الذبذبات المنخفضة) مثل الطبل ، كأي انسان آخر ، بينما يشكو من عدم فهمه للكلام الذي يصل اليه كهمهمة لايستطيع تفسيرها وعلة ذلك ان المريض كان يعاني من ضعف شديد لحاسة السمع بالنسبة للذبذبات التي تزيد عن ٥٠٠ (خمسمائة) ذبذبة في الثانية . والتي يجب سماعها لفهم الكلام ، بينما كانت السماعة التي يستخدمها تقوى الذبذبات المنخفضة عن ٥٠٠ ذبذبة في الثانية ـ والتي يسمعها هو جيدا بدون السماعة ـ بنفس الدرجة التي تقوي بها الذبذبات الاعلى ترددا فاذا ما استخدم المريض سماعته تلك اشتكى من دوي طبل في اذنه رغم عدم وجود صوت طبل وحينما اكتشفت ذلك اعطيته السماعة المناسبة التي تقوي فقط الذبذبات التي يعاني من عدم سماعها ، واصبح سعيدا لمقدرته على فهم الكلام بدون دوي الطبل الذي كانت تسببه له سماعته القديمة

ويساعد علم السمعيات العاملين في مجال هندسة البناء والعمارة ، فمن اهم اسباب انشاء الأبنية هو تواجد الناس فيها ، سواء كانت منازل سكنية أم مكاتب عمل أم مسارح او مدارس وخلافه ، وبما ان الانسان متكلم بطبعه فغالبا مايهم السامع ان ينصت لفهم مايقال فمن المهم اذن دراسة العوامل والتصميمات المعمارية التي تجعل الصوت واضحا مفهوما في الحجرات والقاعات ولهذا فان طلبة هندسة العمارة يدرسون جزءا من علم السمعيات يعرف بسمعيات العمارة ومن القواعد الاولية التي يجب اتباعها في التصميم المعماري للحجرات كبيرة الحجم مثل المساجد وقاعات المحاضرات عدم بناء الاسطح المحددة للحجرة مقعرة الشكل من الداخل ، وذلك لان الصوت ينعكس عليها بحيث يتجمع ويتركز في مكان معين ، مما يجعل الصوت عاليا عنده بالنسبة للصوت عند الاماكن الاخرى من القاعة فالقبة مثلا تعطي شكلا مقعرا في سقف القاعة وللتغلب على مضار تركيز الصوت الناشئ عن انعكاسه على سطح القبة تعلق اسطح من السقف اسفل القبة تكون اشكالها مستوية او الافضل محدبة بحيث ان الصوت ينعكس عندها وليس عند سطح القبة وهذا الانعكاس يشتت الصوت بحيث يتم توزيعه بعدالة على الاماكن المختلفة في القاعة

في ضوضاء العصر

ومع تقدم ركب الصناعة وازدياد حركة مرور السيارات والطائرات وطرق النقل المختلفة وغير ذلك من مصادر الضوضاء ، وصحت أهمية دراسة السمعيات وطرق عزل الصوت في المباني وعموما فان النوافذ والابواب هي نقاط الضعف التي تتسرب خلالها الضوضاء الى داخل المبنى وكلما زاد وزن المتر المسطح من زجاج النافذة أو من المادة المصنوع منها الباب زاد عزل الصوت وقلت الضوضاء التي تتسرب عبر النافذة أو الباب بشرط احكام غلق النافذة أو الباب ، أي يجب أن تكون الاطار محكما ولايسمح بمرور الهواء ويمكن الحصول على عزل كبير للصوت بواسطة النوافذ والابواب المزدوجة السطح ، والتي تتكون من سطحين يفصل بينهما فراغ ومايسرى على النوافذ والابواب يسرى على الحيطان وان كان وزنها في المعتاد كبيرا بحيث ان عزلها للضوضاء في المعتاد كبير ، ولكن العمارة الحديثة تستخدم حيطانا خفيفة للفصل بين الحجرات ، فيجب في هذه الحالة مراعاة تصميمها مزدوجة السطح ومحكمة الاطار

ودراسة الضوضاء لمكافحتها والحد منها اصبحت جزءا هاما من علم السمعيات ، بل تكاد تنفصل عنه لتصبح علما بذاته

ومع ان الانسان قد شعر بمضار الضوضاء من قديم الازل الا انه نسي ذلك او تناساه في العصر الحديث حتى وصل السيل الزبى ، وأصبح ضعف السمع [illegible] العمل حدوثا في المانيا الغربية نتيجة للضوضاء [illegible] المصانع واماكن العمل المختلفة ، حتى [illegible] الاصابات قد زاد عن عشرين الف اصابة في [illegible] وما احرانا في التفكر في حكمة الله تعالى [illegible] عنده لقمان فقال لابنه وهو يعظه [illegible] واقصد

واغضض من صوتك ان انكر الاصوات لصوت
الحمير (الاية ١٩ من سورة لقمان)

ومهندس الكهرباء الذي يتخصص في الاتصالات
السلكية واللاسلكية يدرس علم السمعيات بتوسع ، فمن
خلال عمله الهندسة الاذاعية وهندسة الهاتف وعليه ان
ينقل الصوت سواء كان ذلك عبر الاثير او الاسلاك ،
فعليه ان يدرس كيفية تحويل الطاقة الصوتية الى طاقة
كهربية وتكبير هذه الطاقة الكهربية ، ونقلها الى
مسافات بعيدة ، ثم ارجاعها الى الطاقة الصوتية ثانية
... كل ذلك بامانة والا حدث تشويه للصوت
... فهمه

وتحديد اتجاهه ولو لم نر مصدره فان الصوت الذي يصل
الى الاذن اليمنى يختلف عن الذي يصل الى اليسرى ،
ونتيجة لهذا الاختلاف يستطيع الانسان تحديد اتجاه مصدر
الصوت والصوت المجسم (الستريوفوني) ماهو الا
محاولة لتقليد عمل الاذنين فيتم نقل الصوت او تسجيله
عن طريق قناتين منفصلتين للصوت تبدأ كل واحدة منهما
بلاقط الصوت (الميكروفون) الذي يحول الطاقة الصوتية
الى كهربية فالمقوي ، وتنتهي كل قناة بسماعة او اكثر
لاعادة الطاقة الكهربية الى صوتية

فلنحمد الله تعالى ولنشكره على نعمة السمع ، ومن
شكره ان نسخر هذه الحاسة لسماع مايفيدنا في دنيانا
وآخرتنا ، وان نجنب انفسنا سماع مايضر
ومالايفيد ■■

لذا ... علينا ... لنستطيع سماع الصوت

برلين الغربية ـ د محمد محيي الدين لودن

العام الخامس

متى يعود الزمن السعيد ؟

بقلم : فريدة النقاش

« هناك خلل ما في مكان ما » هكذا يقول لطفي عبدالله ، البطل والراوي أو بالأحرى اللابطل واللاراوي في قصة قصيرة من أفضل ماكتب في مصر والعالم العربي في السنوات الأخيرة « السطيحة » قصة من بين تسع قصص أخرى تضمها مجموعة « العام الخامس » لاسماعيل العادلي ، وهي الكتاب الثاني من مطبوعات خطوة التي صدر عنها في القاهرة « الدف والصندوق » ليحيى الطاهر عبدالله

والقصة القصيرة في مصر مثلها مثل كل أشكال الابداع المكتوب ، تعاني ازمة عدم تواصل بينها وبين جمهورها ، ذلك ان مستوى جديدا من الكتابة قد نشأ ونضج في السنوات الأخيرة امتدادا وتجديدا لكتابات يوسف ادريس والجيل الذي يليه من صنع الله ابراهيم وابراهيم اصلان ومحمد البساطي ثم يوسف القعيد وجمال الغيطاني واسماعيل العادلي وغيرهم فأزمة النقد تلقي ظلالها على الابداع وتدفع به ـ جيدة ومتوسطة الى الغربة والعزلة ذلك هو في الاغلب موطن الخلل الكتاب يكتبون والقارئ يقرأ أو لا يقرأ لان المقياس الذي يعتمد عليه هو في مدى قدرة الاعلان على التأثير وليس ذلك الوجود الحي للنقد أي للفكر الذي يرشد ويوجه ويضيء عالم الابداع ويقدم لجماهير القراء مقياسا جديدا مستندا الى الجمال لا الى الرواج ، مستندا الى الوظيفة الاجتماعية والروحية الشاملة للأدب لا الى الترفيه السطحي

وفي مجتمع الاستهلاك حيث يصنع الرواج تتراجع الثقافة أمام الاعلان وينحسر الجمال وتختل مقاييسه ويتحصن النقد والفكر بالاكاديمية اذا استطاع

تتداخل مساحة القصة القصيرة مع مساحة الشعر ويتكون في الوطن العربي جيل من القصاصين ـ من المغرب الى بلدان الخليج ـ يدرك بعمق هذه الحقيقة وتتكون خبرته من تمرس طويل مع تراث المقامات ومع الرواد ومع الترجمات التي تنتشر هنا وهناك وأكثر من ذلك مع احتياج عميق ـ لدى هؤلاء الكتاب القائلين أكثر من غيرهم للأذى ـ للتعبير للتدفق في اتجاه الحياة بعيدا عن عفن الركود والموت وهكذا يحل المدعون القصاصون معضلتهم مع النقد ومع افتقاد التواصل الذي يخلقه غياب النقد يشبه الشعر والحزن وتتكثف مفرداته في اغلب الانتاج القصصي الجيد وبصفة خاصة في كتابات النساء وهذا موضوع آخر

من يترك الفلوس ؟

اسماعيل العادلي كاتب مسرحي مقل لأن المسر ايضا في أزمة وقصاص مقل بسبب القضايا السابقة كتب مجموعة « العام الخامس » على امتداد سنوات طويلة فجاءت موضوعيا تحمل في صلب مضمونها وحكمها البنائية هموم هذه السنين

نحن بصدد راو واحد لا يتميز الا فيما ندر رجلا وامرأة ، حواديته الصغيرة المتناثرة أقرب الى الس تفيض بالبوح الشعري، ويغلب عليها طابع الـ الداخلي فالناس يروحون ويجيئون ويتحاورون الكثافة الشعرية التي يدور بها المونولوج الداخ على التقاط التفاصيل الصغيرة الدالة لكن يدور في الخارج ويتحول الى حوار مع الشخصيات وبعضها يقوم على السخرية الضحك وانما مجرد الابتسام ، ولكن تدفع الحلق

« في العام الخامس » عالم ناشىء تضيق

خفاه في مصر يتلقى رسالة من صديق له يعمل في سعودية تدعوه للعمل وفي لحظة واحدة عابرة في حملة احدة مركزة تحمل حيرا ومعنى ورؤية « عقيل بن عبدالله لم أبى عام ومع ذلك وافق على توطيعي » يصبح حلمه كبير تافها سلا معنى قابلا حتى للسخرية منه ساطة حلمه حطأ صغير يمكن التجاور عنه لن اصبح محاميا كما كنت أحلم ، لن أستقيل من الشركة مد سنوات قليلة ، ثم أذهب الى النقابة وأقسم اليمين ، ن أترافع في القضايا السياسية ، لن أفتح مكتبا في حي معي »

« المشكلة أبي خائف خائف من شيء غامض » هو لا يستطيع أن يجد اجابة على سؤال زميل له ردا على سؤال زميل آخر « من الذي يستطيع أن يترك الفلوس يعود الى الفقر مختارا ؟ ومن أجل ماذا بالضبط يعود ؟ »

تفرح زوجته التي تعاني من وطأة الحياة والديون « لقد فكرت في كل شيء ، في العام الأول سنسدد ديون خالتي عايدة وصالح بن عمي ، وفي العام الثاني نؤجر شقة ونؤثثها وفي العام الرابع قاطعتها وفي العام لخامس أموت »

بطل يتساءل لا يكف عن التساؤل لماذا لست فرحا ؟

هنالك مقارنة تدور أحيانا بين الانسان والحيوان ، وهي حرفية متكررة ودالة في « الكذب في الظل » يذهب عبده الى صديقه رجب يتخلص من وطأة شيء ما أخذ منه سيجارة ، نظر الى وجهه ثم نظر الى الأرض ، وقال انه شعر أنه كلب ، وأن الفرق الوحيد بينه وبين الكلب أن الكلب يستطيع أن ينبح ويهرول في الطريق دون حرج « وكان عبده قبل ذلك واقفا الى جوار أحد المستنقعات الصغيرة ينظر الى وجهه فيها »

في « الحصار » يلوذ عالم الحشرات النابضة بعالمها ويحطم الحدود بين عالمه النفسي ودنيا الحشرات التي كان يبتكر أساليب للقضاء عليها ، ومع ذلك فقد كان منها يرسل برقية الى زوجته في باريس « أنا محاصر يوشكون على قتلي تعالي بسرعة . في نفس القصة تحدث هذه المقابلة الخفية المرة بين قتل الفلسطينيين ومعركة الدكتور رشاد » مر بائع الجرائد وكان ينادي بأن قتل الفلسطينيين قد بدأ

يبدو الانسان هنا مربوطا الى قوة بهيمية غامضة سرعان ما يتكشف أنها وثيقة الصلة بتفصيلات حياته ووجوده الأبطال تعساء بحكم هذا الواقع والوجود ، حيارى وعـ ون بلا حيلة تنبع الرتابة والملل والتكرار من افتقاد الواقع لأي بهجة واقع العاهرة والمجبور والمرو حين حريين عن الاستمرار في الحياة تحت وطأة الديون والمحاذير شاب فقد علاقته تماما بعالم ينكره ، مشروع فنان فاشل في دراسته يسقط الى قاع مجتمع لايعترف بأن الفن قيمة فيصبح حشاشا وسكيرا يعيش على ماتأتي به رفيقته من بيع جسدها أنواء عجوزان متهالكان عالم مليء بالهزال والسأم على طريقته الخاصة طريقة ينكسر فيها المتعارف عليه والثابت فتضيع ببساطة خصوصيته الرجال يبكون الأب يبكي بين يدي ولده في « ألوان باهتة » فتنكسر صورة الأبوة والبنوة ، الدكتور رشاد الناجح الناجح بكل المقاييس يبكي بين يدي زوجته في « الحصار » فتتكسر صورة الرجل لأن زاوية النظر هنا تختلف فليس السأم ولا القرف ولا الاحساس بالهامشية هيما نابعة من قلب الانسان ذاته ولا هي قضية سيكلوجية بحال وإنما تخرج هيما من قلب حالة اجتماعية حيث الانسان عاجز عن المواءمة بين ذاته الجميلة الطامحة الى الجمال وبين عالم اجتماعي يدوس عليه ويقهره فيسحق الطموح والجمال

في « سباق الحواجز » يتحايل الزوج مبروك بكل الوسائل لتدبير المال اللازم ليدخل ابنته الى مدرسة اجنبية تدفعه الى ذلك زوجته الريفية « حميدة » وإغراء شكل المدرسة التي بها « حديقة كبيرة لها اسوار » ومن المؤكد ان التحاق ابنته بها سوف ينقلها الى مستوى اجتماعي غير ذلك الذي يعيش فيه ابواها ينجح الرجل اخيرا وحين يهم باجتياز الحاجز الاخير يجد ان القسط الاول الذي دبره مطلوع الروح جاء مضافا اليه ثمانون جنيها قيمة انشاءات ، لم انطق بحرف ، ولكي تداركت الامر بعد لحظة حتى لا أبدو كالأبله فقلت لها

- هل يمكن أن أعود في الغد لتسديد المبلغ
- بالطبع بالطبع

اشتريت قطعة كبيرة من الحشيش ، وتخدرت تماما ، وفكرت في أنني يجب أن ابتكر كذبة معقولة ابرر بها عدم التحاق رشا بالمدرسة الاجنبية امام من عرف من الجيران . وعدت الى البيت آخر الليل منهكا ، وعندما سألتني حميدة عن سبب تأخري صفعتها ثلاث صفعات ، ووصفتها بأنها عاهرة وابنة كلب » .

يضرب العالم العبثي بجذوره اذن في الواقع اليومي حيث الناس على الهامش رغم انهم لابد أن يكونوا في القلب ، الحياة تسير كما هي كأنما بدونهم تتحلل العلاقات الحميمة وتترك الابطال للفراغ والموت يفقدون الاهتمام ويتلقون الضربات وحين يسعى لطفي عبدالله في « البطيخة » لكي يصل هذا العالم الحميمي

لكي يواصله نجد أن سعيه هو تتويج للانفصال ... اقرار صمي بوطأة العبث ... لطفي عاجز عن التواصل ايضا ، مدان ... يواجهه انكار قاطع ، انكار لا يطعن في جدواه وحدها وانما في وجوده ذاته ... وبقدر ما يعرضنا هذا التناقض الصارخ والعنيف بين يقينه الحاسم وبين الانكار الحاسم لوجوده ... لاسمه وشكله وهويته وبيته وعلاقاته فانه وبالمفارقة يكون مثارا للسخرية والضحك ... لا أحد يعرف أن لطفي عبدالله هو هو لطفي عبد الله ... حمل البطيخة التي دفع فيها سبعين قرشا وصعد الى بيته وبدلا من أن يجد « قدرية » زوجته تخرج له امرأة أخرى « ملأت بجسدها الباب » . « ولكن هل يمكن أن تتشابه البيوت الى هذا الحد » يتعرض للانكار الثاني حين يلجأ الى جاره لانقاذه فلا يتعرف عليه

« ولبث برهة في مواجهة الباب المغلق ، ثم عدت الى مقعدي على الدرج أحاول أن أفهم ، طبعا أنا أعلم أن الحياة غريبة ، وأن كل شيء يجوز فيها ، ولكن هل مايحدث الآن من ضمن مايجوز في الحياة ... »

يتعرض للانكار الثالث ... زكريا البقال لا يعرفه « ولكي لا أفلت الفرصة سألته اذا ما كان يعرف الاستاذ لطفي عبدالله ـ الذي هو أنا ـ فاذا به بصفاقة عجيبة يطلب مني أن أسأل المكوجي »

أما الانكار الرابع والأخير فهو الاجهاز الحق عليه يكابد المشقة في الذهاب الى قريته ... الى أمه ... الى بيته الاول وملاذه ... أخيرا هاهو البيت ، الباب المفتوح وأخيرا هاهي أمي الجميلة امام الفرن ، كانت تنظر ناحيتي محملقة ، اتجهت اليها صائحا ، أنا ابنك لطفي ياأمي ولكنها قامت تجري مستغيثة ... »

انها المعروفة مرة اخرى من ثمانية مقاطع ... معروفة دائرية ... الانكار الاول في بيته والانكار الاخير في بيته حيث يتوج الخلل والتحلل في اندفاعته الاولى نحو البيت وزوجته « قدرية » كان العقل يعمل بوضوح ... وفي اندفاعته الاخيرة نحو بيت أمه كان القلب يوازن الصيغة الاولى ويضفي عليها الحرارة والألوان « في البدء لم أواجه مثل ذلك في حياتي من قبل ، ولم يواجهه أحد على ما أظن ... أن تضيع منك نفسك ، نعم فجأة لم أعد موجودا ، قد تكون مؤامرة استعمارية جديدة ، يجعلون الناس لا يتعرفون على بعضهم البعض ... يبثون دواء معينا في الهواء يفعل بالناس ذلك ويحطمون المجتمع ... أم ماذا ؟ »

هناك خلل ما في مكان ما ؟ نعم هناك خلل أفضى الى هذا التحلل ، أفضى الى صورة من صور اعمال الوعي لدى لطفي عبدالله الذي تعرض للانكار ... الذي بات ـ منذ الآن فصاعدا ـ بلا هوية ولا مأوى ... بلا أوراق ولا اصدقاء ، ولا اسم ضائع في الزمان والمكان معا ... ضائع أبدي لا رجعة فيه الا حين ينصلح ذلك الخلل الكامن في مكان ما ، ذلك الخلل الذي ينفي الانسان في وطنه وبين أهله ... ينفي الانسان حتى عن ذاته نفسها والمنطقي أن يسأل لطفي عبدالله بعد ذلك هل أنا أنا ؟ ... ولعله سوف يسأل أيضا اذا ما كان الخلل يكمن في العالم الذي ينفيه أم في نفسه ... لطفي عبدالله هو اختزال لكل الشخصيات المنفية في هذه المجموعة ولكل الشخصيات العاجزة بلا حيلة في الواقع العربي ... ان استغاثة أمه تسدل الستار عن التوافق الذي كان قائما يوما ما بين الانسان وعالمه الحميم ، عالم ضاع الى الأبد ... فلا يقول لنا أحد بعد ... متى سوف يعود الزمن السعيد متى ؟ أو بالاحرى متى يتخلص بطل « الكذب في الظل » من هامشيته ومن تلال الاسى ومن تلك القدرة المكتسبة عن السلبية واللامبالاة التي يساق اليها كالماشية ... القدرة على أن يكون طرفا في حوار ومراقبا له في آن واحد ... ذلك الوعي الثقيل المزدوج بنفسه وبنفي نفسه ، ووطأته الوجودية المحسوسة حيث أي شيء يمكن أن يصبح مثل أي شيء ... لابد حينئذ أن يندفع عنده دفعا هذه الحالة العربية ... يرى وجهه في المستنقع ... يتفق مع حبيبته على الزواج في الصباح ويعدل عند الظهيرة « أشعر بحزن عميق يعري قلبي » فالعالم يسير الى مكان ما بدونه وتسرح أم مع افكارها وحزنها « كيف اصبحت الحال هكذا ... » حقا ... كيف ؟

لا يمكننا بحال أن نعامل هذه المجموعة باعتبارها العمل الاول لكاتبها لأن مستواها العام أنضج من ذلك كثيرا ، وهذا ما يدعو لتسجيل هاتين الملاحظتين

الاولى ... خاصة بالانحراف نحو لغة الصحافة التي لا اجتهاد فيها والتي لا تخلو من الاخطاء ، ولكنها تحمل حصيلة الاقتراب العميق وبدون حواجز من اللغة الشعبية

والثانية ... اهمال ذلك المستوى الخاص بوعي الشخصيات ومن ثم اهمال مكونات الواقع السلبية والوعي بها فما صحيح ان العالم الداخلي لها هو وثيق الصلة بكل ما يجري وذلك تأكيد واضافة لنظرة جديدة للعالم ترى أن ما بداخل الانسان هو شديد الالتصاق بخارجه ... إلا أن درجة من السطحية تشوب هذه النظرة نفسها في قصص مثل « ... يوم من ابريل » و « رغم انا مازلنا في ... » و « سباق الحواجز »

■■

فر[illegible] النقاش

« شنت عصابات الكومنتانج الرجعية على منطقة شرقي الصين المحررة هجمات مركزة على نطاق واسع. وقام جيشنا في ميدان شرقي الصين مستندا لمبدأ الرئيس ماو الاستراتيجي الداعي « لحشد قوات متفوقة لابادة قوات العدو واحدة بعد الأخرى » فانسحب تلقائيا بخطوات واسعة بعد أن أحرز انتصارات في المعارك السبع ».

وقد تبدو هذه الفقرة جزءا من بيان عسكري يتلوه مذيع متحمس في اذاعة بكين. لكنه ليس كذلك ! انه ملخص « رسمي » للفيلم الصيني الطويل « من نصر الى نصر » الذي عرض قبيل انتهاء موجة الثورة الثقافية الصينية بقليل (١٩٦٦ - ١٩٧٦).

وهو فوق ذلك « ملخص » للنمط السائد في الانتاج السينمائي الصيني الشحيح. ملخص تصل نسبته الى ما يقرب من ٨٠٪ من مجمل هذا الانتاج. وهذا يعني أن جل الأفلام الصينية متشابهة. وان لم يكن الصينيون متشابهين كما يردد الساخرون الغربيون !

ثم « آه كيو » وهو فيلم آخر قبيل وأثناء ثورة ١٩١١ وهو يصور المواطن « آه كيو » فلاحا فقيرا متحملا قليل الحيلة. ومن خلال القدر الأليم لآه كيو يحدثنا عن القصة المأساوية للفلاحين الفقراء في ظل النظام الاقطاعي كما يشير الى نواحي القصور في ثورة عام ١٩١١.

هذا الفيلم هو « القصة الحقيقية لآه كيو » أحدث فيلم روائي صيني عرض بمهرجان كان السينمائي هذا العام (مايو ١٩٨٢).

وما بين « من نصر الى نصر » و« آه كيو » وبين مئات الأفلام التي تشكل تراث السينما الصينية منذ انتصار الثورة في عام ١٩٤٩ يمتد خيط واحد يربط عالما واحدا هو الثورة ، البناء الثوري والذكريات الثورية والمنجزات الثورية.

الغطس الثوري والصناديق الصينية

في فيلم « الشروق الأحمر » (١٩٧٠) يخاطب معلم الغطس المتمرنين الصغار قائلا لا بد أن يكون الغطس ثوريا والا فلا غطس ! كل ما عدا الغطس الثوري باطل ولا يلتزم بفكر الرئيس ماو. وكان المعلم يعني بذلك - أمام جمهور مستجيب من الصغار فاغري الافواه - أن الغطس الصحيح هو « الغطس الثوري » !

ويستطيع نقاد السينما الصينية أن يجدوا مئات الأمثلة على شاكلة الغطس الثوري في الأفلام الصينية. وهذا يعني أنها أفلام متشابهة كالصناديق الصينية الشهيرة ما ان تفتح الأول حتى تجد الثاني بداخله وما إن تفتح الثاني حتى تجد الثالث بداخله وهكذا. أفلام وهي ليست بأفلام ! الفيلم السينمائي هنا مجرد مادة خام تنقل أفكارا ذات طابع دعائي وتعليمي مباشر.

وكما أن الصناديق الصينية صينية خالصة فان الرؤية السينمائية الصينية (إن جاز التعبير) صينية خالصة أيضا. فهي لا تستند الى نظرية واضحة محددة المعالم ولكنها تنطلق من أردأ أفلام الواقعية الاشتراكية السوفيتية في الثلاثينات أو ما أطلق عليه بعض النقاد « أفلام المحراث والأعنام » وهي أفلام لا حياة فيها تتناول أناسا سعداء دائما متسمين أبدا في وجه التاريخ والمحن راضين ومناضلين في سبيل المجتمع الاشتراكي الأمثل. وهي أفلام فرضها أتباع قوميسار الفن (أو مدير عموم الفن في الحزب الشيوعي) جدانوف الذي فسر دور الفن باعتباره « مطية للدعاية الحزبية ».

وتقوم الرؤية الفكرية لدور السينما في الثورة الصينية على نفس الدعائم التي تقوم عليها مثيلتها في الثورة الروسية (١٩١٧). عبارة لينين الشهيرة « السينما هي الأهم بين الفنون بالنسبة لنا » واعتبار السينما سلاحا بيد الطبقة العاملة تناضل به في سبيل انتصارها. ولكن خصوصية الرؤية الصينية تأتي من توجيه لماوتسي تونج حول ما يجب أن تنطلق منه الافلام « ان تمزج بين الواقعية الثورية وبين الرومانسية الثورية ». ولا غبار حول مضمون هذه العبارة إلا في غموضها عندما طبقها السينمائيون الصينيون. فقد خضعت لتفسيرات شتى داخل اطار الرقابة الحزبية الصارمة - وكانت النتيجة « أفلاما » ليست لها علاقة بفن السينما (ويبدو ان هذا هو ما كان يريده بالضبط قوميسارات الفن في الصين باعتبار أن الفن هو نشاط بورجوازي ما لم يخدم مباشرة المدعاية الثورية). وفي الوقت الذي أثمرت فيه الرؤية السوفيتية المبكرة للعلاقة بين الفن والثورة أفلاما وتجارب عظيمة كتلك التي أثمرها ايزنشتين وكوليشوف وبودوفكين

من فيلم « الزلزال » صورة تجارية ممسوخة عن الزلزال الأميركي

وسودوفكين وغيرهم ، لم يحدث أن تذكر أحد من صناع الأفلام الصينيين الذين انفردوا بتصور خاص دفع المتحمسين والمهتمين بالتجربة الصينية بالسينما الى الربط التلقائي بين الأفلام الصينية وبين الصناديق الصينية

ابتسامة شباب الشرق الأحمر

واذا كان عرض بعض ملخصات « من كتيبات رسمية » للأفلام الصينية يخدم هنا بقدر الامكان في التعرف على النمط السائد في السينما الصينية الا أنني آمل أن أتمكن من اضافة بعض الرتوش الى هذه الصورة الكلية

خذ مثلا الصراع الدرامي في الأفلام الصينية إنه ليس صراعا دراميا بالمعنى المفهوم في الفن الجاد منذ أيام ارسطو انه صراع يشبه الصراع في المسرحيات الأخلاقية في العصور الوسطى فهؤلاء هم الأبطال الأخيار الذين يعرف حيوية الشباب (والقلوب الشابة اذا كانوا شيوخا وهم أعضاء في الحرب أو في سبيلهم الى ذلك وسط الأهوال متفائلون تراهم دائما يواجهون ... وأبصارهم تتجه صوب الأفق يرتدون اللباس العسكري أو الفلاحي أو الصيني البسيط ولا يخالجهم أدنى شك في النجاح والانتصار هؤلاء الأخيار يبارزون الأشرار الجبناء الذين يعكسون نقيض الأخيار ، في حومة الوغى أو في أي موقع كان ، وينتصرون وبوسعك أن تتنبأ بنتيجة الصراع منذ الدقائق الأولى وبالطبع لا بأس أن تتنبأ حتى في من البورجوازية ولكننا ونحن نتنبأ في كل مرة نتعرف إلى زاوية جديدة للحقيقة بينما في الفيلم الصيني لا توجد سوى زاوية واحدة لحقيقة واحدة جهد السينمائيون الصينيون لتثبيتها خلال الثلاثين عاما الماضية « انتصار الحزب على أعدائه »

في أزمنة الثورة يكون « محتما » على السينمائيين والفنانين جميعا ، استيعاب صيرورة الثورية والتعبير عنها . وقد يبدو التعبير في البداية فجا خشنا مباشرا . ولكن لا بد له أن يتطور خاصة مع ظهور عبقريات فنية وفي مناخ من الحرية النسبية (يسمى أحيانا مناخ النقد والنقد الذاتي في الدول الاشتراكية) . يتطور الى أعمال فنية حقيقية باقية وهو أمر لا يمكن القول حتى الآن بأنه حدث في السينما الصينية

وهكذا نجد أنه خلال الأعوام الثلاثين الماضية لم يطرأ أي تبدل نوعي على عناوين الأفلام مثلا فكلها مشتق من الفعل « أشرق » فهناك « الشرق أحمر » « الشروق الكبير » « الشروق العظيم » « اشراقة الجبال » وكلها مصطبغة باللون الأحمر « الفجر الأحمر » « البراعم الحمراء » « الجسر الأحمر » وتلعب على مترادفات الفعل « ثار » (العائلة الثورية) ولا بأس من اضافة صور الربيع والشباب والأزهار لكي تكتمل لوحة التفاؤل المطلق !

واذا كان هذا التفاؤل مطلوبا في وقت من الأوقات كدافع ايجابي إلا أن الاسراف في تصويره جعل الأفلام الصينية تبدو كما لو كانت خيالات ممسوحة عن واقع الحياة فيه كما جعل بساطتها السينمائية والفنية مرادفا واضحا للافتقار الى الموهبة والى الخيال والأهم من ذلك الى الصناعة السينمائية ذاتها

المرأة الرومانسية والمرأة الواقعية !

ولكن أين تقع المرأة في الأفلام الصينية ؟

تقع حيث تقع في صين الثورة فقد صدر قانون يقضي بتحريم عمل المرأة في التحديم وتحريم ممارستها للدعارة وقد أعاد هذان القانونان كرامة المرأة اليها ومن ثم كرسا جهدها للمشاركة في عملية البناء الاجتماعي

في فيلم « قربان العام الجديد » الذي عرض منذ أربعة أعوام في مهرجان برلين السينمائي - نتعرف الى زوجة هسيانج لين الفلاحة التي يموت زوجها وتضطر الى العمل خادمة لدى أسرة « لو » الكبيرة الغنية وعندما تتقلب بها الأحوال تبيعها أسرتها لكي يتزوجها رجل آخر سرعان ما يموت وبعد موت ابنها الوحيد منه تعود الى الأسرة لكي تطردها الى الشارع لتموت من شدة البرودة صبيحة العام الجديد

أحداث الفيلم تدور بالطبع قبل الثورة وهي تقدم صورة سلبية للمرأة التي تستسلم لأقدارها التعسة دون أية مقاومة وقد أعطى نقاد الأدب صفة المرأة الرومانسية لهذا النوع من الشخصيات

تعال نلتقي بشخصية واقعية ايجابية تقف على النقيض من زوجة هيسيانج لين إنها شخصية المرأة ايكولي في فيلم « الزهرة الحمراء في جبال تيين شان » الأحداث تدور في كوميون في عام ١٩٥٩ وهو العام الأول بعد تأسيس الكوميونات وإيكولي عضو الحزب ، وقد انتخبت قائدة فيلق في الكوميون لأنها تحب الحزب والتعاونية وتملك الشجاعة للنضال ضد كافة القوى الشريرة غير أن هذا التطور المشجع يثير حنق وغيره الطبيب البيطري عدو الطبقة العاملة هاسمو ابن مالك القطعان الرجعي الذي يقرر التخلص من إيكولي « وعبر جسر الصراع بين الحق والباطل نتعرف على الشخصيات الأخرى التي تناصر إيكولي من بينها زوجها « أشال » الذي يحمي نضال زوجته وينتهي الفيلم بانتصار قائدة الفيلق المحبوبة

وهكذا نرى ان صورة المرأة « البطلة » تشابه تماما صورة الرجل « البطل » ولكن مع فارق جوهري في السينما كما في الواقع فارق بين المرأة السلبية والمرأة الايجابية وهو نفسه الفارق بين وضعيتها في صين ما قبل الثورة وما بعدها

« التوائم لم تأت أرواحا » اتجاه السينما الصينية نحو تناول موضوعات معاصرة

ولعل من أهم ايجابيات التعامل مع المرأة في السينما الصينية هو تحريم القبلات أو تناول موضوع الجنس على الشاشة الأمر الذي ساهم بالتأكيد في تكريس كرامة المرأة على الشاشة في نفس الوقت الذي عكس فيه جانبا من نوعية الأخلاقيات السائدة في الصين المعاصرة

القبلة والطريق الى الغرب

ولأن الصين ظلت ـ باختيارها ـ معزولة عن العالم الغربي لأكثر من ربع قرن (منذ عام ١٩٤٩) فقد عاشت السينما الصينية (على الرغم من تخلفها الفني) بمعزل عن أسوأ ما يمكن أن تصيبها به السينما الغربية « الجنس والعنف » وأسوأ ما يمكن أن يحدث في حالة أي انفتاح على الغرب هو أن يحاول الداعون اليه تصوير الغرب بأنه صورة من صور المدنية الفاضلة وجسر الى الحضارة والتمدين ! وأكثر ما يثير الرعب في هذه النظرة هو اهتزاز الاحساس لدى الفنانين والكتاب الصينيين بعظمة وثراء حضارتهم الممتدة لآلاف الأعوام

وقد شاهدت فيلما أميركيا منذ عام بعنوان « من ماو الى موتسارت » (فاز بجائزة أوسكار كأحسن فيلم وثائقي) عن رحلة عازف الكمان الشهير ايزاك (اسحاق) شتيرن الى الصين كل من التقى بهم يتحدثون عن الخراب الذي ألحقته (الثورة الثقافية) (وعصابة الأربعة) بالثقافة في الصين

هذا عظيم ولكن الأهم من ذلك هو أنك ترى أمامك شعورا مجسدا بعقدة نقص شديدة تجاه الموسيقى الكلاسيكية الغربية كما لو كان التخلف عنه تخلفا جوهريا عن اللحاق بركب الحضارة الذي يقوده الغرب إن هذا الفيلم الأمريكي يقول للمثقفين الصينيين أنه لا جدوى من حضارتكم ولا من ثقافتكم ولا من ثورتكم لأنكم تخلفتم عن فهم [illegible] موتسارت ! ولعل السخرية الدرامية الوحيدة [illegible] الفيلم تبلغ الذروة حين يتعلم الصينيون بسرعة [illegible] عزف موتسارت بدرجة تدهش المعلم القادم من الغرب [illegible] إشارة واضحة تدل على مدى تأصل الحضارة فيهم [illegible] ها وعاء قادرا على استيعاب الثقافات الأخرى

وقد طيرت وكالات الانباء ـ على هذا الطريق نفسه ـ أخبارا في العام الماضي عن سماح المؤسسات السينمائية الصينية بتصوير « القبلة » على الشاشة وهو أمر لايمكن فهمه الا في ضوء ما رافق موجات الانفتاح الأولى من عقد نقص لا يمكن السيطرة عليها

وقد تحدث مؤخرا ديبح تشياو نائب رئيس هيئة السينما بوزارة الثقافة لصحفي أميركي عن العنف على الشاشة في معرض الدفاع عن الانتصار اليه في السينما الصينية قائلا اننا يمكننا أن نجد لو شئنا ألمع لاعب كاراتيه من طراز بروس لي بطل أفلام الكاراتيه الراحل لكننا لا نعتقد أن الفنون العسكرية موضوع ملائم ومع ذلك فقد نضمنها بعض أفلامنا حسب السياق

عملاق بلا أفلام

بدأ انتاج الأفلام في الصين منذ عام ١٩٠٥ وكان موضوع الفيلم حول أوبرا بكين الشهيرة وفي العشرينات أنتجت بعض أفلام عنيفة من مدرسة الفنون العسكرية وفي الثلاثينات أثناء الحرب اليابانية الصينية والصراع بين تشيانج كاي تشيك والحزب الشيوعي الصيني قام بعض أعضاء الحزب الرواد بانتاج أفلام دعائية اعتبرت مثلا أعلى للمخرجين الصينيين بعد ذلك وقد كان الثوريون في عام ١٩٣٨ ينتجون أفلاما وثائقية بمعدات يمكن حملها جميعا على ظهر جواد واحد وكان من بين ما استولى عليه الثوار بعد دخول بكين عام ١٩٤٩ استوديو الأفلام المركزي رقم ٣ الذي كان يديره مخرجو الكومنتانج التابع لتشيانج كاي تشيك أما استوديو شنغهاي الذي تأسس في عام ١٩٣١ ، فقد تمت توسعته بعد ذلك عدة مرات هذا بالاضافة الى استوديوهات أخرى تم انشاؤها في مقاطعة كانتون وفي جيان واورمكي وفي مدن أخرى

غير أنه مع توافر هذا العدد من الاستوديوهات (الذي يعد ضئيلا في بلد بحجم الصين) لم يتوفر انتاج يتناسب مع هذا العملاق البشري فمجموع ما أنتج حتى الآن (١٩٠٥ ـ ١٩٨٢) لا يصل الى أكثر من ٩٠٠ فيلم روائي طويل ونحو ثلاثة أضعاف هذا الرقم من الأفلام الوثائقية

والعلمية والتعليمية والزراعية والثقافية والرسوم المتحركة ومع وجود سوق حارة للفيلم الصيني داخل بلاده يصل الأمر الى حد الدهشة

ان سمعين مليون صيني يشاهدون الأفلام يوميا أغلبيتهم من الفلاحين . وفي رأي يوان ويشو رئيس اتحاد فناني السينما الصينيين « ان الفلاحين يفضلون الأفلام السهلة الواضحة وهذا يتسق مع الثقافة الصينية خاصة الروايات الكلاسيكية الشعبية المعروفة باسم « جانجوي تشيوشو » كما أن الصيادين يهرعون بقواربهم كل مساء لمشاهدة الأفلام التي تعرضها قوافل عرض الأفلام ولا يدفع الفلاحون أو الصيادون أو غيرهم أكثر من ثلاثة أفلس لقاء مشاهدة الفيلم . وفي الصين نحو ٨٠,٠٠٠ وحدة عرض سينمائي متحركة وهو رقم ليس كبيرا على أية حال (قياسا الى تعداد السكان الذي وصل الى ألف مليون نسمة) ومن هنا يمكن جزئيا تبرير قلة الانتاج

بيد أن هناك رأيا آخر هو الرأي الوحيد تقريبا المتوفر اليوم والذي يقول به كل رؤساء الهيئات والمؤسسات السينمائية الصينية ان كل التخلف الذي أصاب السينما (والحياة الثقافية الصينية عموما) قد حل فيما بين عامي ١٩٦٦ و ١٩٧٦ وهي فترة الأعوام العشرة التي استغرقتها الثورة الثقافية التي تزعمتها زوجة ماوتسي تونج تشيانج تشينج والتي حوكمت مع ثلاثة مسؤولين آخرين بعد وفاة ماو فيما وصف بمحاكمة « عصابة الأربعة »

وعود السينما الصينية

المسؤولون والسينمائيون الصينيون واعون بمشكلات السينما الصينية الماضية والحاضرة ولكن الجميع يعلقون كل شيء على مشجب « عصابة الأربعة » التي حالت دون تطوير السينما الصينية الطبيعي من الالتزام الدعائي الى آفاق الفن

ها هو مساعد مدير هيئة السينما ديـنج تشياو يصف الحلقات الأربع الرئيسية التي تهتم بها هيئة السينما الآن

١ ـ السياسة الفنية على الهيئة أن تطبق سياسة الحرية في الأدب والفن لتنويع موضوعات الأفلام وأساليبها

٢ ـ تدريب العاملين ان كثيرا من المخرجين لم يعملوا لمدة عشر سنوات في عهد « عصابة الأربعة » وكانت النتيجة أن الشبان افتقروا للغاية الى التجربة [illegible] هرم أصحاب التجارب وهذه فجوة حادة

٣ ـ التخطيط الشامل في الصين اليوم ١١ استوديو ولا بد من تنظيم الانتاج فيها

٤ ـ التحديث لا بد من تحديث وسائل الانتاج

ويعترف رئيس الهيئة « سي توهوي مين » بوجود هذه الحلقات ويضيف بأن المشكلات الناجمة عن سوء التنظيم توجد فقط بعد عصابة الأربعة بل قبلها [illegible] فلنكشف علاقة الفن بالسياسة . ففي الماضي غالبا ما استخدمت السياسة لتحل محل الفن »

ويعود ديـنج الى القول بأن كل الشخصيات التي أبدعت في عهد عصابة الاربعة كان يجب أن تتصف بالصفات التالية الشخصيات الممتازة يجب أن تكون أفضل من مثيلتها في الحياة الواقعية كانت جميعا تحاط بهالات القداسة »

مدير أكاديمية السينما وشركة الفيلم الصيني وشركة الانتاج المشترك والعاملون بالمحلات السينمائية الصينية والمخرجون يتحدثون جميعا عن الديمقراطية في الابداع الفني « سنستطيع أن نتكلم عن ذلك الان [illegible] ديمقراطية لا يوجد فن وقد قال ماو « دع مائة زهرة تتفتح ومائة مدرسة فكرية تتبارى » ولكنهم حرموا كل شيء

هؤلاء يتحدثون ويعدون بأن تعكس النصوص السينمائية الواقع وبأن يقوم المخرج بالدور القيادي في الفيلم « اذا كان الجميع يتقاضون رواتب من الدولة فلا بأس من تشجيع المجيدين وتخصيص أجور غير العاملين » ـ رئيس هيئة السينما

« لقد بدأنا وستكون هناك سينما صينية حقيقية

ووعود أخرى وتفاصيل أخرى لا يتسع المجال لذكرها

كل ما نأمله لسينمائيي ربع سكان العالم أن تعود السينما التي تعبر بفن عن ثقافتهم وكل ما نرجوه هو أن تكون وعود السينما الصينية وعودا قابلة للتحقيق فلا يكفي أن تحيا الثورة الأولى فثورة فكرية [illegible] بالفعل مائة زهرة تتفتح ومائة مدرسة فكرية [illegible]

فاروق عبد [illegible]

اقوال من كل مكان

من أسبانيا :

- الاعجاب وليد الجهل
- النصيحة الطيبة لاثمن لها
- ابن الجحش ينهق مرتين في اليوم .
- أوقية دم افضل من رطل صداقة
- دع من لايعرفك يشتريك .
- البقعة لاتسقط الا فوق احسن الملابس

من ايرلندا :

- الفن خير من الميراث
- جحش يحملك خير من حواد يسقطك عن صهوته
- الحرص يقطع راس الحظ السيء
- الخنفساء تعرف اختها .
- لاخطر على الشحاد من اللص .
- الفاقة خير من سوء الحظ

من بلجيكا :

- كي تبني يجب ان تملك كيسين .
- ما قيل في حالة النشوة ، قد سبق التفكير فيه .
- من لم يشبع بالاكل لن يشبع باللعق
- خلقت الأعذار لاستخدامها .
- يجب ان تنظر من فروج الاصابع
- تهبط الصداقة اكثر مما تصعد

من ألبانيا :

- الأحواض القوية تأكل أوعيتها
- ستتقهقر بالقدر الذى تتقدم به .
- لا تسقط التفاحة بعيدا عن شجرتها .
- ذو اللحية ، لايعدم مشطا .
- لاتوجد شجاعة بدون رفيق شجاع .
- القط أسد في نظر الفأر

من الباسك :

- كل شخص يدفع الجمرات قريبا من خبزه .
- عين واحدة تكفى التاجر ، ولاتكفى المشترى مائة عين .
- كل شيء يأتي من عند الله الا الخوف منه .
- « لو كان عندى » و« لو كنت » يتماسكان يدا بيد .
- من تتزوج ذئبا تتطلع دائما صوب الغابة .

السِّيَر الشّعبيّة العربيّة

دفاع عن الإنسان وامتثال للقدر

بقلم يوسف الشارونى

للسير الشعبيه قسمت مشتركه .
تطرح موقف متقاربا من العنصرية والعدل
ومساواة الرجل والمرأة . والقدر

من أبرز ما وصلنا من السير الشعبية التي انتجها الخيال العربي وعبرت عن الوجدان العربي عنتره ابن شداد ، ذات الهمه ، فتوح اليمن ، السيرة الهلاليه ، الزير سالم ، سيف بن ذي يزن ، حمزه البهلوان ، الظاهر بيبرس ، فيروز شاه ، أحمد الدنف ، علي الزيبق وهذه السير قليل من كثير فليست « هذه القصص التي جاء ذكرها هنا هي كل تراثنا القصصي الاسلامي ، فدور الكتب ملأى بالمخطوطات التي تدلنا على غزارة الخيال العربي وقوته الخالقه »

ولسنا هنا بسبيل تلخيص هذه السير أو حتى تقديمها فقد أعفانا غيرنا عن القيام بهذه المهمه ، ولكننا نحب أن نوجز بعض ملامحها العامة المشتركة فيما بينها وأول هذه الملامح أن المضمون في معظم السير قضية من القضايا الاجتماعية أو السياسية تدافع عنها السيرة فالمضمون الاجتماعي في سيرة عنترة بن شداد يعالج موقف العرب من أبناء الأجناس الأخرى ، ويحاول أن يضع مقياسا آخر يقاس به الناس غير المولد واللون وهما المقياسان اللذان تحدد بهما المجتمعات المتخلفة مكانة الأفراد فيها فعنتره أسير لونه الأسود رغم فضائله التي تؤهله لمركز الصدارة في القبيلة ، فهو فارس شجاع ، وهو في الوقت نفسه شاعر كبير يملك ناصية الفعل والقول معا وتبلغ مشكلة اللون ذروتها حين يحاول عنتره الزواج من عبله فيحال بينه وبين تحقيق رغبته لأن عبله سليلة أشرف بطون القبيله ، ويكون منافسه عليها الربيع بن زياد الذي يكافئها في شرف انتسابه ولكن السيرة تقدمه لنا بصورة ترسم مدى تخنثه ولجوئه الى أساليب النساء في التآمر على عنترة حتى يلجأ ذات مرة الى لبس ملابس النساء مهربا بحياته فالشرف اذن لا تكفى فيه الصدفة التي تجعل من انسان ما صاحب فضل لمجرد أنه انحدر من صلب انسان ذي مكانة ومال ، انما هنالك شرف حر ينبع من صفات الانسان وتكامل أقواله وأفعاله

بذلك فان سيرة عنتره ربما كانت أول وثيقة فنية ...فع عن قضية الرق والتفرقة العنصرية وتضع حلا ... مطالبة المجتمع الانسان باتاحة الفرصة أمام صالحين من أبنائه ليقدموا جهدهم للخير العام دون ...ر الى عوامل مفتعلة ترفع بعض الناس وتنزل بعضهم الآخر

...كة من ... ، ولكنها قد تدل أيضا على احتفاظها ...شرتها ... أسعد زوجها أن يرى امارات الحمل ...سه ، و ... الى الامير غانم رأس بني زغبه يدعوه ...رحاله ... ...وه الاحتفال بولادة ابنه . فاستجابوا ... ونزلوا ضيوفا في انتظار الحادث السعيد ...بعض للسـ... ...سره ان خرجت مع الأميره « شمه »

وثيقة ضد العبودية

وقضية اللون ملحوظة في كثير من السير الشعبية وكثير من أبطالها سود ، مثل « أبو زيد » في السيرة الهلالية ، و« عبد الوهاب » بن ذات الهمه في السيرة المعروفة باسمها . فالأمير رزق والد أبي زيد تزوج من عشر نساء فلم ينجب من واحدة منهن الا ولدا ليس له ذراعان ولا ساقان . وقبيل هذا الحادث غير السعيد كان قد تزوج زوجته الحادية عشرة وهي خضراء ابنة شريف مكه (خضرة الشريفة) - والشريفة هنا لها معنيان فهي نسبة الى أبيها شريف

احدى زوجات سرحان أخى روجها ررق مع جمع من القبائل فرأت طيرا أسود اللون ينقض على سرب من الطيور الأحرى فيقتل بعضهاويشتت البعض الآحر ، فتضرعت الى الله أن يررقها بعلام يكون في قوة هذا الطير وشدة بأسه حتى ولو جاء أسود اللون ، فاستجاب الله دعوتها فغضب الأمير ررق ولم يصدق أن الطفل ابنه ، ولكنه أبقى روجته لحبه لها وان رفض أن يرى العلام بعينه ، اكتفاء بما سمعه من التي أبلغته النبأ ، وحال بين الجميع وبين رؤيته الى ان كان اليوم السابع وأقيمت الوليمة وأحضر الطفل الى الضيوف فهالهم أن يروا سواده الفاحم ، فأشار أصحاب الأمير ررق بأن يطلق زوجته بعد أن شككوه في أخلاقها فأذعن لهم وطلقها وانتهى الأمر برحيلها هي وابنها الى الأمير فضل رأس قبيلة الرحلان عدو بنى هلال حيث قصت عليه خضراء قصتها فأكرم وفادتها وتعهد ولدها بالرعاية ، حتى اذا شب الغلام بدت عليه امارات الفتوة وأولع بألعاب الفروسيه وركوب الخيل ، وابتدأ يحارب القبائل المعاديه وكما حدث مع عنتر ، فقد اثبت

أبو زيد رغم لونه أنه يمكن أن يصل الى الصدارة بين أبطال القبائل ومهدت السيره الى عودة الابن لأبيه فقالت ان بركات ـ وقد أصبح هذا اسم أبى زيد ـ طلب يوما من الأمير فضل جوادا فرد عليه بما يريب في بنوته وان كان لا يقصد اهانته ، فرجع الفتى الى أمه يسألها حقيقة خبره ، فزعمت أن الأمير « فضل » عمه وأن أباه قد قتل على يد هلالي يدعى الأمير ررق فصمم أن يأخذ بالثأر ويقتل هذا الأمير دون أن يدرى أنه أبوه في الحقيقة ثم حدث أن هاجم الهلاليون بلاد الأمير فضل زعيم الرحلان فنهض اليهم بركات وهجم على والده وأخذه أسيرا وهم بقتله لولا أن أطلعته والدته على حقيقة الأمر ، وكان هذا بداية التعارف بين الأب وابنه أما أمير الرحلان فقد أعجب به وروجه بابنته غصن البان ومن يوم تلك الواقعه سمى « سلامة » اشارة الى سلامة القوم على يديه وكنوه « بأبى زيد الهلالي » اعترافا بريادته على الفرسان

وفي سيرة ذات الهمة نجدها ترغم ارغاما على الرواج من ابن عمها ظالم الذى لا يستطيع الاقتران بها الا بأمر الخليفه واجتماع كبار رجال القبيلة عليها . فتقبل الارتباط به دون معاشرته ، لكنه يستطيع الوصول اليها بعد أن يدس لها خمرا في شرابها . وحين تنجب ابنها الأمير عبد الوهاب تقع في حيرة عظيمة لأن الولد أسود وابوه أبيض كما أنها تحب أن تنتسب لأصحاب السيوف ، وولادتها لهذا الطفل يجعلها تنتسب الى عالم النساء وما تلبث عاطفة الأمومه أن تتغلب في هذه المعركة النفسيه فتحتفظ بابنها وتحاول أن تجعل منه فارسا ، وتقف صامدة في معركة مع زوجها حين يتهمها في عرضها حتى ليحتكم الى الخليفه مرة والى حكيم العرب مرة أخرى وتظل تحمى ابنها من الجزء السابع الى الجزء السبعين من تلك السيرة

ولا شك أن عرض قصية اللون على هذا النحو في سيرنا الشعبيه فيما يبدو تعبير من الشعب العربي عن مشاعره واحتجاج على العناصر الاجنبيه البيضاء التي حاولت أن تعرض تلك التفرقه بين أناس يعيشون في مجتمع واحد ينبغى أن يعاملوا معاملة واحدة لا فرق فيها بين أبيض وأسود .

وهذا يؤدى بنا الى القول ان سيرة ذات الهمه ذات مضمون اجتماعى كبير لا يقل خطرا عن المضمون الذى رأيناه في سيرة عنتره « فبينما نستطيع أن نسمى سيرة عنتره الوثيقه الفنية ضدالعبودية والتفرقة العنصرية ، نستطيع ان نسمى سيرة ذات الهمة الوثيقه الفنية التي تثبت حق المرأة العربية في المساواة في المجتمع العربي

ومساواة الرجل والمرأة

ويقوم دفاع هذه السيره عن المرأة العربية على أساسين كبيرين أولهما ابراز المرأة العربية التي تحافظ على عرضها وتدافع عنه حق الموت وتعرف الوفاء لمن تحب ، والتي ترتفع عندها عاطفة الأمومة

ي تكر... نفسها لها تكريسا يحملها تذوب في كيان
س محقق... فيه كيانها نفسها والأساس الثاني
ساواة الد... بالرجل فيما يعتريه من أخلاق وصفات
ل الشجاعة والاقدام من ناحيه والعكوف على
تل والعباده من ناحية أخرى

والواقع أن دور المرأة العربية في سيرنا الشعبية
... يكاد يكون مساويا لدور الرجال ، كل
لاف أن الرجال يتفوقون كما لا كيفا فالى جانب
رة ذات الهمه نجد سيرا أخرى مثل سيرة على
ريبق نجد فيها عشرات الأبطال ولا نجد الا امرأتين أو
ثة ومما يثير الانتباه أنهن يتميزن بالقوتين العقليه
لبدنيه بل يتفوقن فيهما على الرجال ففي
لاعيب ـ حيث تتكافأ القوى المتصارعه لأنها جميعا
ى انسانيه ـ نجد أن دليلة المحتالة هى أقدر منافسي
ى الزيبق على هزيمته فيما ينشب من معارك ، وأمه
طمه اللبوه ـ وهولقب يدل على شدة الجرأه ـ هى
شخص الوحيد القادر على انقاذه مما يقع فيه من
راك دليله وغير دليلة ، وتستخدم المرأتان في ذلك
ذكاء والقوة معا أما في التمثيله ـ حيث لا تتكافأ
قوى المتصارعه لأنها بين قوى انسانيه من جانب
قوى غير انسانيه من جانب آخر كالسحر والجن
الاماكن المطلسمه أو المرصوده ـ فاننا نجد مرة
خرى ان دليلة هى أقدر الشخصيات على الاستعانه
تلك القوى للايقاع بالزيبق بينما أمه فاطمة أقدر
شخصيات أيضا على ابطال مفعولها

والمساواة بين الرجل والمرأة تمتد في بعض السير
تشمل حتى التعبير عن العواطف ففي سيرة مثل
سيرة الهلاليه نجد أن سعدى بنت الزناتي خليفه
ملك تونس تعلن حبها دون مداراة لمرعى من قبيلة
هلاليه عندما سجنه أبوها لأنه أتى يتجسس مستكشفا
طريق ... قبيلته ، بل ان السيرة أجرت على
لسان الز... مثلما أجرت على لسان الأرواح
... العواطف الحزينه أو الفرحة فبعد أن
شاجرت زوجة ابي زيد مع الجازية وصممت
على العودة ... نجد ، نجد أن أبا زيد حين رآها
راجعة تنهد من فؤاد قريح وقلب جريح عظمت عليه
المصيبه وقال « لو لم تكن معى عليا في هذه التعريبة ما
كنا ملكنا بلد ولا ظفرنا بأحد ولو كنا أضعاف هذا
العدد ، لأنى كنت اذا نظرتها وهى في الميدان لا أعود
أشبع من الطعان » وصمم على الرجوع مع زوجته
الى نجد لولا ان استعطفه أمراء الهلاليه وعلى رأسهم
الأمير حسن الهلالى

وكانت الجاريه تجلس في مجلس الأمراء
والأعيان وقد تنازل عنها زوجها شكر الشريف بن
هاشم شريف مكه لماضى بن مقرب حاكم الصعيد
الذى حاول أن يبقيها معه ، ولكن عندما « صممت
قبيلة بنى هلال على الذهاب والرحيل جعلت الجاريه
تبكى بدمع غزير لأنه لم يكن لها صبر ولا سلوان على
فراقهم ساعة من الزمان ، فلما زاد عليها الحال
وأكثرت من النحيب والاعوال انزعج ماضى من
تلك القصيه وسمح لها بالذهاب معهم الى
العربية » ونجد أن الزناتى خليفه كان ينسب الى
ابنته فيقال « أبو سعده الزناتى » وعندما طلب
الزناتى الصلح وهم الأمير حسن أمير الهلاليه بالموافقه
عليه رفضت الجاريه هذا الموقف وابت الا أن يؤخذ
بثأر من ماتوا من قبيلتها « وحالا نادت النسوان
دونكم اركبوا الخيل ، ونحن نقهر الزناتى ونأخذ
ثأرنا منه والتفتت الى دياب وقالت له انزل عن
الخضرا حتى أركبها وأقاتل الزناتى فلما فرغت
الجاريه من كلامها والأمراء يسمعون نظامها فعند
ذلك تبادرت البنات الى الخيل وكل واحدة مسكت
لجام فرس وقالت لراكبها انزل واركب موضعى فى
الهودج وأنا أركب جوادك ، وأما الجاريه فعادت على
دياب وقالت انزل وأنا أركب موضعك وأحارب
خليفه فغضب الأمير دياب وقال لها لاتقولى هذا
الكلام » وهكذا استطاعت الجاريه أن تثنى رجال
بنى هلال عن الموافقه على طلب الصلح وحرضتهم
على ضرورة الأخذ بثأر من قتلوا من الهلاليه

ومعنى ذلك أن المساواه بين الرجل والمرأة في سيرنا
الشعبية فى القوتين الفكريه والبدنيه ، وفي التعبير عن
العواطف ، قد استتبع بالضروره أن يكون لها كلمة

مسموعة وتأثير على توحيه الأحداث

أما المضمون الاحتماعي في سيرة علي الزيبق فهو نشر العدل بين الناس ومقاومة كل ظلم واستبداد فهذه السيرة تعكس نظام الحكم التركي أو المملوكي السياسي والاجتماعي في مصر الذي حفل بالظلم والاستبداد وعلي الزيبق يكافح كل ما يلقاه من عقبات ومعريات في سبيل تحقيق هدفه وهو نشر العدل بين الناس وهو يقوم برحلته الطويلة ابتداء من أزقة القاهرة حيث ولد ليصبح مقدم درك مصر (يقابل وزير الداخلية حاليا » بعد قتل صلاح الدين الكلبي مقدم الدرك وقاتل أبيه ، ثم يتحرك في طريقه الى الشام حيث يصبح ـ بعد معارك مشابهه ـ مقدم درك دمشق ، وأخيرا يصل الى هدفه في بغداد حيث يصبح مقدم الدرك بعد معاركه الطولية مع دليلة المحتاله مقدمة الدرك هناك (لاحظ أن سيدة تصل الى هذا المنصب في مثل هذا المجتمع في خيال القصاص الشعبي) فالقضية الانسانية في علي الزيبق هي » موقف الانسان الفرد أمام مجتمعه الذي يحس فيه أنه لايملك شيئا وأن حقه الطبيعي بحكم كونه واحدا من أبناء هذا المجتمع مهضوم وضائع ، نتيجة لاختلال القيم واهتزاز المثل وتفسخ المجتمع والقضية في علي الزيبق لا تحل بالتقوقع والاستسلام ، انما تحل بالتصدي لعوامل الشر وهزيمتها بنفس الاسلحة التي يتسلح بها هذا المجتمع لتحطيم الفردية »

عن السياسة والاقدار

وتقودنا أمثال رحلة علي الزيبق وتغريبة بني هلال الى ملمح آخر من ملامح السير الشعبيه فالى جانب مضمونها الاجتماعي الذي أشرنا اليه سابقا هناك مضمونها السياسي وهو التعبير عن وحدة العالم العربي فعلي الزيبق يتحرك من القاهرة الى دمشق الى بغداد ثم يعود في النهاية الى القاهرة كما يتحرك الانسان في وطن واحد والهلاليه يتحركون من نجد الى الشام الى مصر الى بلاد المغرب ويعود منهم من يعود الى نجد فالى المغرب مرة أخرى باعتبار أن كل

هذه المناطق تكون وطنا واحدا

سمة ثالثة نجدها تتميز بها سيرنا الشعبية بعكس البيئة العقائدية التي نشأت فيها ذلك هو موقف الانسان من القدر ففي معظم السير نجد القدر يعلن بأكثر من طريقه عن خططه المقبلة فاحيانا يكون عن طريق حلم أو ضرب الرمل او الاطلاع على كتاب قديم ومع ذلك فان البطل نجد من يشجعه على الصمود في وجه هذا القدر بدعوى انه أضغاث أحلام ، ويقوم الانسان بدوره لمواجهة هذا القدر وافساد النبوءة فلا تكون النتيجة الا ان تكون هذه التصرفات عاملا من العوامل المؤديه الى تحقيق النبوءه ففي السيرة الهلالية نجد أن سعدى ابنة الزناتي عرفت من جاريتها مي التي كانت لها معرفة بضرب الرمل كل الأمور التي ستقع في السيرة ومن بينها حبها لمرعي ، كما أن العلام ابن عم الزناتي خليفة ونائبه في معاملات الأحكام كان قد ضرب الرمل وعرف ما عرفته الجارية وأطلع سعدى عليه فطلب منه أن يكتم الخبر لا يبوح به لأحد من البشر خوفا عليه من الضرر

وعندما وصل أبو زيد ومعه يحيى ويونس ومرعي الى أرض تونس ليستكشفوا أحوالها على أن يعودوا ويقدموا للأمير حسن وكبار الهلاليه تقريرهم ووقعوا في قبضة الزناتي فان سعدى ابنته أحدث بعلمها سفرهم وما جرى لهم في الطريق بسبب قدومهم ـ تلك الديار بهذه القصيدة التي تعبر فيها عن حبها لمرعي كما تعبر فيها عما تعرفه من نبوءة بما ستقع من أحداث

صـــربت تحت الــرمــل عشــرين مــرة
ومــرة بعــدهــا شفت الحــ ب جهـ
فعــرفتكم وعــرفت اسم أميــركـ
وعــرفت أســاميــكم ـ ــاسك
ولابــد مــا تــأتي هــلال بــن عــامـ
مــن الــشــرق في ـ
بـأربع تسعيــات ألــوف عــديـه
كــذا دل الــرمــل ـ

وحتى المعارك الصغيرة فاننا نجد أن مصيرها يكون مرسوما من قبل . فعندما واجهت الهلاليه الدبيسي بن مريد حاول دياب بن غانم أن يصرعه فشل وحاول الأمير حسن أن يثنيه عن اعادة محاولته في اليوم التالي ولكن « لما أصبح الصباح ركب الأمير دياب فتقدمت اليه ابنته وطفا وهي تبكي بدموع غزار فتعجب من ذلك وقال لها اعلميني بما حالك قالت مرادى أن تتوقف هذا اليوم عن لقاء القوم فقد رأيت حلما في المنام أصبحت منه في هام » . ثم أنشدت قصيده تروى فيها أنها رأت في منامها أباها يسبح في بحر من الدم وهو يستغيث بأن يد الذي أتى بسرعة ومد اليه يديه فأنقذه ولكن دياب لم يصغ لمخاوف ابنته باعتبارها أضغاث أحلام . وعندما تقدم الى المعركة طعنه الدبيسي في جسده . ثم أراد أن يقضي عليه لولا أن خلصه أبو زيد

وأحيانا ما تكون النبوءة لبيان الشدائد المقبله حفزا للهمم لمواجهتها ، كما حدث عندما واجهت الهلالية قوات التمرلنك (عالما تيمور لنك) ملك العجم فقد حلم الأمير حسن بما سيلقاه من أهوال ، كما أن أبا زيد « ضرب تحت الرمل ورسم أشكال على شرح الحال فشاف الأهوال ونتيجة لذلك فقد تأهب الهلاليه وأعدوا قواتهم اعدادا مطلقا أدى الى انتصارهم على قوات العجم .

ودور سعدى في السيره الهلاليه دور فريد ، لأن سرها يقاوم القدر فيعمل على تحقيقه دون أن يدرى تلك هي الصورة التقليديه لمثل هذا الموقف في التراجيديا الاغريقية على نحو ما نجد في مسرحيه اوديب الذي تنبأ القدر لأبيه بأن ابنه سيقتله ويرث ملكه وكانت محاولة تفادى هذه النبوءة هي التي عملت على تحقيقها أما بالنسبة لسعدى فانها لم تكن تعرف مدى تنبأ لها بهزيمة بلادها ومصرع أبيها ولكن تنبأ لها أيضا بما سينشأ من حب بينها وبين هذه النبوءة الأخيرة هي التي جعلتها تعمل على تحقيقه ، وهي في تحقيقها للنبوءة كانت قد حسمت موقفها بين الواجب والعاطفة ففصلت عاطفتها على واجبها

وهكذا عندما عرف أبوها من المنجمين حقيقة شخصية ابى زيد ويونس ويحيى ومرعى وأراد أن يشنقهم تدخلت طالبة لهم السجن مع الافراج عن ابى زيد ليذهب ويأتى بالفديه لزملائه ، فاستجاب لها والدها لشدة محبته لها وهى تعلم جيدا ان هذا لن يحدث لأنه مخالف للنبوءة التي تعرفها بل ان الهلاليه عندما أصبحوا على أبواب تونس بان لها في الكتب أن الأمير دياب بالذات هو الذى سيقتل أباها وكانت تعلم أن الأمير حسن زعيم الهلاليه قد نحى ديابا خلف المقاتلين ، فاصطحبت أربعين بنتا من بنات الاماره متقلدات السلاح ، وعبرت سور البلد الى حيث الهلاليه ونصحت الأمير حسن أن يرسل الى دياب لكى يعجل بتحقيق النبوءة ، وعندما ذهبوا لاستدعاء دياب وجدوه يلاعب بنتا صغيرة اسمها نجيه ويقول لها أين أطعن الزناتى ؟ فقالت له في عينه فقال مبارك وحياتك ما أطعنه الا في عينه ، وهو ما تحقق تماما وعلى الجانب الآخر نجد أن الزناتى عندما أدرك قرب تحقق النبوءه وانه سيموت على يد دياب أرسل وأحضر ابنته سعدى « وقال لها يا ناعيه ما أحد جلب لنا البلا خلافك ، فلو كان من الأول تركتنى أقتل المحابيس وأبا زيد كنا ارتحنا من بنى هلال ولا نظرناهم وأنا لا أخاف الا من دياب » وقد تمت هزيمة الزناتى في داخله ـ وبسبب النبوءة ـ قبل أن تتحقق خارجيا فقد أيقن بزوال عمره ، وكان ينام على فراشه غارقا في الأفكار حتى أنه نادى على ابنته ذات ليله فلما شاهدت حاله بكت وندمت وصارت تشجع والدها على حرب دياب وقبيل مصرع الزناتى ضربت سعدى الرمل فعرفت أن منية أبيها قد قربت

وقد عوقبت سعدى على خيانتها لأبيها وبلدها ـ رغم أن القدر تحقق على يديها ـ فان مرعى بعد فتح تونس لم يكترث بتحقيق رغبة سعدى في الزواج منها بحيث بدا أن الحب من طرف واحد ، وفى الوقت نفسه حاول دياب أن يتزوجها فرفضت ، فما كان منه

الا أن حبسها وجعلها تقوم بالاشغال الحقيرة الشاقة مثل طحن الملح ، فلما أرسلت الى الأمير حسن تشكو ما أصابها وتذكره بما فعلته من حماية لأبيها في سبيل تيسير دخولهم بلدها ، استدعى دياباً وناقشه في سبب تصرفه مع سعدى ، ورغم ان هذا جزاء الخائن « فالتي تخون أباها لا يكون فيها خير لأحد فالواجب اذلالها » ولسعدى نهايتان مختلفتان فبعض الروايات تجعل الأمير حسن يرغم « دياب » على اطلاق سراحها ليتزوجها مرعى ، وبعضها يروى ان اتفاقا تم بين دياب وابي زيد والأمير حسن على أن تقف سعدى في مكان معين ثم يتسابقون اليها كل على فرسه ، فمن فاز بها فهي له، وكان أبو زيد والأمير حسن يظنان أن « دياب » لن يسبقهما لأن فرسه الخضرا قد صرعت في القتال ، ولكن ابنتها الشهبا كانت أكثر شبابا من أمها ، فسبق بها دياب غريميه وعندما وصل الى سعدى ضربها بالسيف فجرحها جرحا بليغا ماتت بسببه وقبل أن تلفظ أنفاسها لعنت من كان السبب في فراقها عن مرعى وقد تحققت لعنتها بدورها بمصرع الأمير دياب ، وهذه النهاية أكثر فنية ودرامية

معنى هذا ان مجرد ظهور النبوءة تحطيم للروح المعنوية للعدو ورفع الروح المعنوية للبطل العربي واخوانه مما يعجل بانتصارهم

سيرة الظاهر بيبرس

وتكاد تكون سيرة الظاهر بيبرس اجابة روائية على مشكلة الانسان من الارادة المسبقة والظاهر بيبرس قدم لهذة المشكلة حلا اسلاميا يؤكد ان الانسان حر في تخطيط مستقبله لكنه يتحرك داخل اراده أخرى سبقت الى تحديد مصيره وتقرير نهايته وتظهر هذه المشكلة ظهورا سافرا في رسم العلاقة بين جوان (في الجانب الصليبي) وشيحه (في الجانب الاسلامي) »[1] فقد جاء فيما يمكن ان يكون مقدمة السيرة أن حكيما يونانيا ممن يطلعون على الغيب سجل على صحائف من ذهب « جميع المهالك للاسلام وجميع المسالك الى جوان من مولده حتى انتهاء مدته ، ورتب له كل ما يلزم في سائر البلدان حتى اذا ظهر جوان اعتمد على الجان الذين ارسلهم الحكيم يونان في كل مكان ، فلما مات هذا الحكيم وخلفه ابنه ايناس وحكم على الجان وعلم ما يكون وكان ، أحضر اليه الجان الذين أحضروه ما فعل أبوه ، وكان قد هداه الله تعالى الى الاسلام فأسلم فكتب لكل مهلكة عملها أبوه مسلكا ، ثم أرسل الجان الى المهالك التي عملها أبوه وجعل فيها مسالك لحماة الاسلام ، وجعل ذلك في صحائف من الفضة ، وقرنها بعضها في ذلك الكتاب وسمي « كتاب اليونان » وقد كانت هذه الصحائف المذهبة والمفضضة بمثابة لوحة المقدور لشخصيات السيرة وكان وجودها عاملا من عوامل تمددها فقد اطلع جوان على هذه الصحائف وعلم أن عدويه شيحه والظاهر بيبرس ، فعمل على محاولة التخلص منهما ، وفعلا قبض على شيحه وهو ما يزال غلاما لم أحد كتاتيب عمره ، ولكن عم جوان أشفق عليه وطلب منه التمهل حتى يشتد عوده ثم يقتله وهناك قرأ شيحه كتاب اليونان خلسة وعرف ما فيه ثم تأتى لشيحه خادم من الجان يرشده الى طريقة الخلاص من الطابق الذي كان قد حبسه جوان وبعد ذلك تسير الاحداث في السيره كما قدر لها من قبل

وهكذا نجد أن الروح القدريه تسود سير الشعبيه ، وان البشر يمكن ان يعرفوا اتجاه القدر عن طريق وسائل يكشف لهم بها عن وجهه كالخط وضرب الرمل وصحائف الذهب والفضه ولكن قد يتجاهلونه لحظة أو لحظات أو يقاومونه كما لهم حرية الحركة في النطاق الأضيق ، ويكون القدر النهاية يفعل ما رسم وما خطط ■■

القاهرة ـ يوسف الشاروني

---

(١)أضواء على السيرة الشعبية ،ص ١٠٧

طبيب الأسرة

يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

القلق النفسي

● هل القلق النفسي مرض حقيقي .. أم أنه وهم .. ؟

ي حصم الحياة اليومية
ص الانسان للعديد من
امات والشكوك والمحاوف
عات وحتى التهديدات
هذه المؤثرات تكون أحيانا
ـة وأحيانا أحرى عير
ـة ولكنها فقط في حيال
ـان الذي يجب عليه أن
ـه مع هذه المؤثرات ويتعامل
عقليا وبدنيا لأنها من صمن
وسات الحياة بل ان
حانة لبعض هذه المؤثرات
أن عمف كثيرا من مشاكل
فمثلا الحذر الشديد من
ر الطرق يدفع السائق
ة السليمة والشعور بأهمية
حان سدفع الطالب على
حداد ... هكذا عير أن
ه هذه ...ـرات في نفس
... عن المعقول تدفعه
...له ... وهذه حالة

تسبب العجز عن مواجهة المشاكل الحقيقية وقد تزداد حتى تسبب الأمراض العضوية ، فيصاب الانسان بالقلق والارق والاضطراب أو التشوش الذهني وينتهي الى الانهاك البدني ، ويصبح غير قادر على التركيز في عمله ومن أعراض هذه الحالة التوتر العصبي الذي قد يؤدي الى صداع شديد خصوصا اذا أصاب عضلات الرقبة الخلفية وتزداد ضربات القلب قوة وعددا وهذا يعني زيادة عمل القلب بلا داع مما يؤثر على كفاءته وقدرته على الاستمرار وقد تؤدي هذه الحالة الى توسع في الشعيرات الدموية في العضلات فتتواجد فيها كميات من الدم أكثر من المطلوب وهي تعتبر في حكم المفقودة ، من الدورة الدموية

وهذا أمر يؤدي الى نوبات من الدوخات وربما الاغماء

ان أعراض حالة القلق لا تدع جهازا من أجهزة الجسم لا تؤثر فيه ، بحيث يشكو المريض من أعراض في كل اتجاه ، تزايد الحاجة الى التبول والغثيان المستمر والقيء والاسهال والامساك وحتى العرق الشديد خصوصا في الأيدي وعدم القدرة على التنفس الطبيعي ولكن أهم هذه الأعراض هي المبالغة الشديدة في الشعور بالألم

باختصار فان حالة القلق تضع المصاب بها في مأزق اجتماعي وصحي فهي تؤثر على علاقاته وعمله بلا شك ولكن المأزق الصحي يكمن في أن الأعراض التي يشكو منها تشابه تماما كثيرا من الأمراض العضوية وهذا يضع الطبيب في حيرة شديدة حين يبحث عن التشخيص المناسب خصوصا وأن استمرار هذه الحالة عند المريض يمكن أن تؤدي الى الاصابة العضوية الحقيقية ، فمثلا القلب الذي يستمر في العمل الشاق لمدة طويلة يمكن أن ينهار في وقت أقصر بل انه مع زيادة نوبات الضغوط النفسية

الشديدة قد تؤدي الى نوبات قلبية قاتلة سببها انسدادات في الشرايين التاجية التي تمدي القلب وهكدا في باقي الاعصاء

ولعل أفصل أنواع العلاج هي مساعدة المصاب أن يكتشف بنفسه الأسباب الحقيقية لقلقه فادا استطاع أن يتعرف عليها ويقبلها ويتعامل معها ، فانه سيجنب نفسه كثيرا من المتاعب الدهنية ، ويتغلب على كل عجزه البدني ولكن ادا كانت الحالة قد أصبح لها مضاعفات عصوية كجلطة في شريان القلب مثلا ، فيجب أيصا علاج هده الحالة

لكنه للأسف الشديد أن بعض الناس لا يمكنهم قبول مشكلتهم والتعامل معها ولدلك يجد الطبيب نفسه مكرها على وصف بعض العقاقير المهدئة حتى يستطيع المصاب أن يتخطى فترة حرجة ثم يجب الاعتماد على النفس بعد دلك في مواجهة أسباب القلق

الأزمات الصحية التي تصيب الجنين
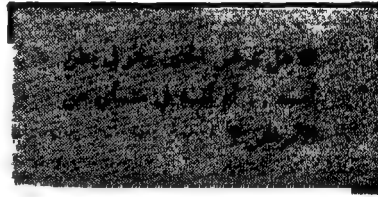
ـ تصيب الجنين أزمات صحية تماما كما تصيب أي انسان بالغ ، فالجنين في داخل الرحم كائن حي ، وكل كائن حي معرض لهده الأزمات الصحية كما هو معرض للموت بسببها أيصا ، ولدلك فان نسبة كبيرة من هده الأجنة يحدث لها الاجهاض أو الموت داخل الرحم ثم الاجهاض أو حتى بلوغ الاشهر الرحمية العشر القمرية ، ثم عدم القدرة على تحمل ضغوط المخاض

والأزمات الصحية التي يمر بها الجنين هي السبب في فقدان الأجنة وربما المواليد على الصور السابقة . وهذه الأزمات تصيب الجنين ربما مند بدء تكوينه ، فقد يكون التكوين معيبا ، بمعنى أن تكون التركيبة الكروموزومية غير سوية ، ولقد وجد أن أكثر من ربع الاجهاضات كانت بسبب التركيبة الكروموزومية المعيبة ، واذا تكرر هذا الأمر مع أم أو تكرر لها أن تلد طفلا معيبا خلقيا ، فانه يمكن دراسة التركيبات الكروموزومية لها ولزوجها ولأسرتيهما وتقديم النصيحة لتجنب هده المشكلة

وقد تكون الأزمات الصحية التي تصيب الجنين منقولة من الأم كأن تصاب بأمراض كالزهري مثلا فينتقل للجنين ، وقد يقتله أو يتركه مشوه الخلقة ، وهده مشكلة يمكن أيصا تلافيها بإجراء التحاليل الدورية أثناء الحمل لاكتشاف هده الأمراض وعلاجها عند الأم قبل أن تصيب الجنين ، وقد تكون الأسباب منقولة من الوالدين كمرض السكر مثلا وارتفاع الضغط وهده يمكن علاجها عند الأم ومراقبة تقدم نمو الجنين بحيث يمكن انقاده في الوقت المناسب

وقد تكون أسباب الأزمات عرصية جدا كأن تصاب الأم بحادث يؤثر على الجنين نفسه على المشيمة أو قد يلتف الحبل السري بحيث يعقد ويمنع أو يحد من مرور الدم الى الجنين وفي كثير من هده الأحوال يمكن انقاذ الجنين قبل أن يقضى عليه

غير أن من هده الأزمات كلها ما لايكون ضارا بالدرجة الكافية حتى يقضي على الجنين كلية ولكنه يضعفه بدرجة تجعله غير قادر على التحمل عند حدوث المخاض وهو عبارة عن ...

. ضغط على الجنين لتدفعه
رج الرحم ، عند حدوث
ضغط الرحمي تنهار مقاومة
وعلى الطبيب الذي يشرف
لولادة أن يدرك ذلك في
ت المناسب ويعمل على
ج الجنين من الرحم بأسرع
مكن ، وهذا يكون دائما

ممكنا في المستشفيات الحديثة ، لأنه يمكن توصيل الجنين أثناء الولادة مباشرة أو بالتحسس من خلال بطن الأم بأجهزة الكترونية تقوم برسم قلب الجنين أثناء عمليات المخاض والانذار المبكر بامكانية حدوث أية أزمات حتى يستطيع الطبيب أن ينقذه

رسام القلب

● عن كثرة ما أجروا لي من تخطيط للقلب فان رسوم هذا التخطيط او خطوطه الصاعدة الهابطة مازالت رموزا غامضة بل طلاسم بالنسبة لي . أرجو لو أمكن اعطائي فكرة عن تخطيط القلب ..

قدم والاطباء يحاولون
سول الى طريقة تمكنهم من
عمل القلب باعتبار انه جهاز
ي في الجسم وأن عمله يؤثر
ل خلية من خلايا الجسم وأن
خلل فيه يمكن أن تكون له
ار عظيمة
ات السماعة هي الوسيلة
حيدة التي يمكن بها الاستماع
اصو - دقات القلب وكان
الطـ - ان يستنبط من هذه
صوا - يفسر له الاعراض
- شـ - ـو منها المريض
، الـ - ه الطريقة مستخدمة
لجهـ - ستمر دائما الوصول
. شخـ - دقيق لحالة القلب

وبتقدم التكنولوجيا الحديثة أمكن استنباط اجهزة عديدة للتعرف بها على نشاط القلب وأسلوب عمله ومن هذه الوسائل (رسام القلب) وهو جهاز يستطيع قياس التيارات الكهربية ويرسمها على اوراق مخصوصة فالمعروف أن تقلص العضلات يحدث بناء على تنبيه كهربي ، وأن الارتخاء في هذه العضلات يكون بعد زوال هذا المنبه الكهربي فاذا امكن تتبع هذا المنبه فسيكون ممكنا التعرف على نشاط هذه العضلة وعلى أسلوب عملها
والقلب عبارة عن عضلة قوية

مقسمة الى اربع غرفات الطينين في الجزء الاعلى الايمن والأذينين في الجزء الاسفل الايسر من القلب تقريبا بينقبض الطينان في وقت واحد فيدفعان الدم الى الأذينين اللذين ينقبضان سويا ليدفعا الدم من الأذين الايمن الى الرئتين ، ومن الاذين الايسر الى انحاء الجسم

وتتابع انقباض الاذينين ثم الطينين يصدر الاصوات المتتابعة والمنتظمة المعروفة بدقات القلب وكل هذه الانقباضات تحدث استجابة لمنبه كهربي / وجهاز رسم القلب يقيس هذه التيارات حسب قوتها وتكرارها في فترة زمنية محددة ومرور التيار الكهربي في جهاز قياس التيار يمكنه ان يحرك ابرة صغيرة وفي جهاز رسم القلب يمرر امام هذه الابرة شريط من الورق المقسم لترسم عليه الابرة اثر التيار الكهربي الذي يصل الجهاز وهكذا يمكن نقل التيار الكهربي الذي يحرك القلب الى رسم على شريط الورق وسيوضح الرسم نشاط كل الغرف الاربع في القلب وبالتجارب العديدة امكن التعرف على اسلوب عمل القلب الطبيعي وبذلك يظهر على الرسم أي انحراف عن هذا الاسلوب الطبيعي ويساعد الطبيب في تحديد مكان المرض في أي جزء من اجزاء القلب

الأنديـ
الصيف
بالكويـ

تنمية مواهب ونشاط حر

استطلاع : يوسف الشهاب

ثلاث صور عن الحياة اليومية بالاندية ، الاولى لثلاث طالبات جمعهن الكتاب في حوار متبادل ، والثانية للجيل الموسيقي الذي ترعاه الاندية والثالثة لطالبات يزاولن النشاط الفني باشراف المدرسة

ماحكاية الشباب مع الصيف حين تغلق المدارس ابوابها لتعلن عن بدء الاجازة الصيفية ؟ ثم ماحكاية هذا الصيف الثقيل الذي يجلب الفراغ للشباب حين يدق اجراس بدايته في رحلة فصلية تمتد اكثر من أربعة اشهر وكأنها اربعة اعوام في حياة هذا الشباب الحائر في امره من قسوة الفراغ وثقله عليه فالصيف بالكويت قاتل وايامه ترحف كالسلحفاة لطول ساعات النهار فيه ، ويزيد من ثقله هذا الفراغ الذي يحيط بابناء المدارس وهو فراغ قد يدفع بهم الى الضياع والهاوية في بعض الاحيان

دواء الصيف

اذن اي الدواء نستعمله لمواجهة فراغ الصيف ؟ ثم كيف يمكن اختيار الدواء المناسب لاعمار الشباب واتجاهاتهم وميولهم الاجتماعية ؟ ايضا كيف نضمن نتائج هذا الدواء حين نغرسه في ساعات اوقات الشباب حيث لامدارس ولا اسفار الجواب انه دواء الاندية الصيفية احدى المعاهد التي يجد فيها ابناء المدارس متنفسا يزيل عنهم كابوس الصيف وهمومه ويحفظهم من الضياع ومجالسة اقران السوء ، ثم هي احدى الخدمات التي وفرتها الدولة للابناء انطلاقا من ايمانها العميق بان الابناء هم ثروة الامة وعمادها وهم اركان المجتمعات في بناء مستقبلها وهو ايمان تمثل في مناحي شتى للانشطة التي تقع على كل وزارة من وزارات الدولة المسؤولة عن الشباب من الناحية التربوية لاعداده اعدادا طيبا ياخذ منه الوطن ثمارا طيبة فالغرس الطيب لايعطي إلا ثمارا طيبة ، تلك مقولة لايختلف عليها اثنان

واذا كانت الاعمدة الرئيسية الخاصة بتربية الشباب واعدادهم تبدو متعددة ومختلفة فان الاندية الصيفية هي إحدى هذه الاعمدة ذات التطبيق لنظرية التربية من خلال النشاط وهي من احدث نظريات التربية وابرزها في مسيرة حياة الشباب التي تحتاج الى عناية ورعاية فقد تم اختيار هذه الانشطة لتأتي ملائمة لرغبات الشباب وميولهم واتجاهاتهم الثقافية والاجتماعية والنفسية

ولم يقتصر النشاط الصيفي في الاندية على طلاب المدارس بل انطلقت وزارة التربية من دورها في اعطاء الاخرين منهم حقوقهم في هذا النشاط فاعطت طلاب المعاهد الخاصة حقوقهم في النشاط الصيفي ويسرت لهم كل السبل اللازمة لممارسة هذه الانشطة ، بالاضافة الى رعاية الابناء الذين تعرضوا خلال حياتهم لعوامل عاقت مسيرتهم فأنشأت ناديين الاول في سجن الاحداث والثاني في السجن المركزي ليأخذ الشباب فيهما دورهم وحقوقهم في هذا النشاط وحتى يجد الشباب فيهما الفائدة لبناء سلوكهم واعادتهم الى الحياة الجديدة باتجاه جديد ونظرة جديدة تنظر الى المجتمع عن منظار العمل لخدمة الجميع في هذا الوطن

بداية المسيرة

اما بداية مسيرة الاندية الصيفية بالكويت . فقد انطلقت في اول رحلة لها قبل اكثر من عشرين سنة ففي عام ١٩٦١م ، حيث شرعت وزارة التربية بافتتاح ناديين للبنين التحق فيهما آنذاك الفا طالب والفكرة بدأت كتجربة ولهذا كانت المخاوف تراود المسؤولين عن هذه الاندية لان التجارب تخضع للنجاح او الفشل ، لكن نتائج التجربة كانت تبشر بالخير آنذاك وهي نتائج دفعت الوزارة وشجعتها على التوسع فيها وفتح الباب امام الفتيات ايضا ليأخذن دورهن في هذا النوع من النشاط الصيفي فكان افتتاح اول ناد للبنات عام ١٩٦٣ اذ التحقت به الف طالبة ، وكما نجحت تجربة اندية البنين و[illegible] اندية

رئيسه نادي اشبيلية ونائبتها ، في حديث حول نشاط النادي والحركه اليومية بداحله

الناب ايضا النجاح فحققت الاهداف التي انشئت من احلها وتوسعت التجربة بعد دلك لتصبح حقيقة ثابته مع كل صيف في الكويت وهيأت الوزارة كافة الكفاءات القيادية التربوية اللازمة لهده الاندية وحرصت على ان تكون قواعدها الترفيهيه تقف الى جانب قواعد الارشاد وتكمل عمل المدرسة في اعداد هدا الجيل وتربيته مع احتلاف في الوسائل والبرامج والاساليب ولكن الهدف واحد

قلنا للاستاد خالد الحربان ، مدير ادارة النشاط المدرسي ، ماهي فلسفة العمل بالاندية الصيفية ؟ فقال لنا . انها فلسفة ترتبط بفلسفة العمل المدرسي

واضاف قائلا

ان نظرية التربية تؤمن ان الانسان يعيش في مجتمع مستمر لى صيرورة دائمة والى تغيير مستمر ، وان نمو الفرد يتم من خلال البيئة التي يعيش فيها ، فنحن نضع مجموعة اعتبارات حين التخطيط للاندية الصيفية ، اعتبارات تتلخص في ادراك ظاهرة هدا التطور وتطور المجتمع الكويتي وطبيعة ومطالب نمو الابناء هد جانب صرورة تكامل الخبرة و معرفة

الاتجاهات التربوية المعاصرة

ويواصل مدير ادارة النشاط حديثه حول الاندية فيقول كان من الواجب علينا ان نتطور ونتوسع في هده الاندية وان نجعلها تخدم كافة مناطق الكويت دون استثناء ولذا فقد سعينا الى تطويرها من حيث الكم والكيف ، اما التطوير الكمي فهو الذي يعكسه التوسع الافقي في الاندية الصيفية عن طريق انشاء اندية تغطي كافة المناطق الجغرافية في البلاد وهو توسع وصل فيه عدد الاندية اليوم الى ٤٠ ناديا منها ٢٤ للبنين و١٦ للبنات وبلغ مجموع المنتسبين فيها ٢٤ الف طالب وطالبة ، اما التطور الكيفي فتعكسه الخطط والبرامج ومجالات النشاط التي تطورت جميعها ولاتزال تتطور لتواكب متطلبات التربية الحديثة ورغبات الطلاب في هواياتهم المتعددة ، هدا التطور شمل تقسيم الاندية الى ثمان مجموعات تضم كل مجموعة فيها الاندية التي تقع في منطقة جغرافية واحدة ولكل مجموعة خطتها واسلوبها وبرامجها التي تختلف عن غيرها من المجموعات حسب متطلبات البيئة المحلية . كما واتجه هدا التطور الى منح الحرية

الايدية تعرض هواية الطباعة لدى الطالبات اما الصورة السفلى فهى لمجموعة من الطلبة يمارسون نشاطهم الترفيهي
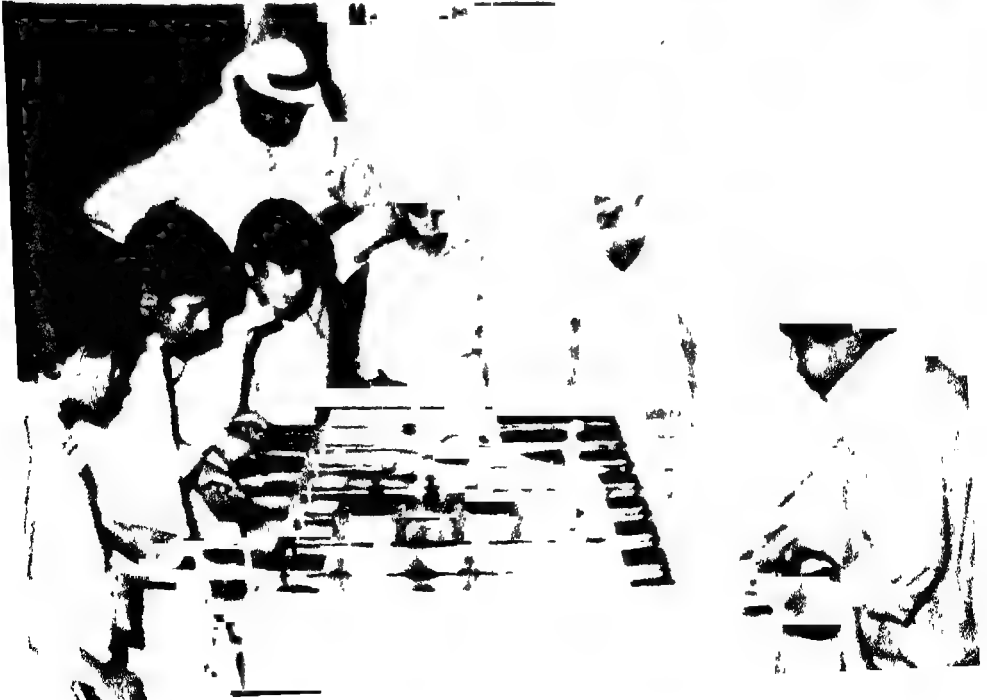
النشاط الاداعي له موقعه في الاندية الصيفية والصورة لطالتين من جماعة الاداعة لنادي اشبيلية (الى اليمين)

لوحة اتصال كهربائي يمارس عليها اثنان من جماعة النشاط تدريباتهما العملية بالنادي ، انه التطبيق العملي الذي يتوفر بالاندية (الى اسفل)

الكاملة للنادي او لمجموعة اندية المنطقة في اقتراح البرامج والنشاطات التي تناسبها بالاضافة الى مراعاة تنوع البرامج والنشاطات وملاءمتها لفئات الأعمار المختلفة

ومن حديث سأل مدير ادارة النشاط المدرسي عن انواع الانشطة التي تمارس داخل الاندية الصيفية فيقول كل ماتحرص عليه في هذه الاندية توفير كافة انواع الانشطة التي تناسب كافة رغبات الابناء ، لدينا الان مجموعة انشطة تمارس بالاندية منها ماهي ثقافية واخرى اجتماعية وهناك انشطة فنية وصحية وعلمية بالاضافة الى نشاط الاقتصاد المنزلي كل هذه الانشطة تعمل على اتاحة الفرصة لبعض الوجوه الطلابية للمشاركة في تقديم بعض مواد البرامج مع ابراز الكوادر الطلابية القيادية في شتى مجالات العمل بالاندية

وتحظى الاندية الصيفية بتشجيع امير البلاد الذي يؤكد دائما اهمية هذه الاندية في بناء الشباب وتنمية مواهبه على اختلاف اتجاهاتها ، ويتمثل ... التشجيع في جوائز سموه التي يقدمها لابنائه ال... المتفوقين بانشطة الاندية المختلفة وفي رحلة العم... السنوية التي يسافر فيها فريق من طلاب الاندية ... نفقة سموه ، كما يساهم سمو ولي العهد في هـ... التكريم ايمانا منه بدور الشباب وهو تكريم يدفع الى المزيد من العطاء لهذه الارض التي اعطتهم الحنان والامان ووفرت لهم كافة سبل التعلم

اسلوب مرن

والعمل داخل الاندية الصيفية يسير وفق اسل... مرن ومتحرر مستجيبا لميول الابناء معبرا ... حاجتهم الى التعبير والمشاركة في العمل الجماع... فالشباب في حاجة الى متنفس يجدون فيه الفر... سانحة للتعبير عن طاقاتهم وقدراتهم والاندية وحدها التي تكفل لهم هذا التحرر ضمن نظام تر... يجد فيه الطالب ذاته ضمن اطار مجموعة اسرية ... جميعا لهدف واحد

كرة الطاولة أحد أنشطة الهوايات التي تمارس داخل الاندية الصيفية
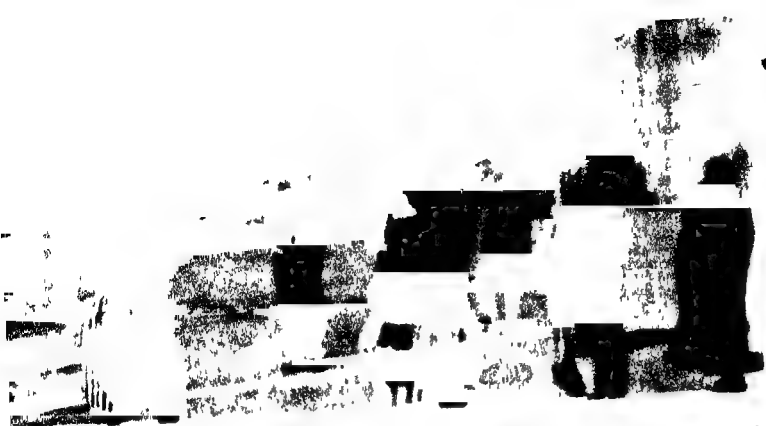
التصوير بالفيديو   هواية ساهمت مؤسسة التقدم العلمي على حذب شباب الاندية لها
والصورة لعدد من شباب نادي ابن الاثير يتدربون تحت اشراف مندوب المؤسسة

عولنا في نادي (اشبيلية)في منطقة كيفان وهو
احد من ستة عشر ناديا يمثلون اندية البنات ،
التقينا برئيسة النادي فسألناها عن سير العمل اليومي
احل النادي فقالت   ان النشاط اليومي عندما يبدأ
- الصباح وهو نشاط يختلف في اسلوبه ونظامه عن
ظام المدرسي لكنه تحكمه انظمة تهدف الى غرس
وح النظام واحترامه داخل النادي . فالطالبات على
سبل المثال يمارسن هواياتهن داخل الفصول وهذه
ممارسة لاتخضع للتقييد كما هي في ايام العام
سرامي نقدر   خضع للاستفادة من الوقت في تنمية
ـ يمارس من   هوايات والعاب ، وتضيف رئيسة
ادي ان ساعا   النشاط يمنع فيها خروج الطالبات
ن الفصل ، ...   وضعنا وقتا تخرج فيه الطالبات
شراء مايحتاجو   طعام من مقصف النادي ، اما
حرية التي تعط   طالبات فقالت عنها رئيسة النادي
ـ بحرص دائم   حذب الطالبات الى النادي وهذا

مايدفعنا الى توفير حرية التحرك داخل النادي وحرية
اختيار النشاط الذي ترغب فيه كل طالبة ويشكل
يعود عليها بالخير والفائدة وفيما يتعلق بتعاون البيت
مع النادي قالت رئيسة نادي اشبيلية ان مفهوم الاندية
الصيفية لدى الأسر قد تطور كثيرا حينما شعرت
الأسرة بأهمية النادي في حفظ الطالبات وفي رعايتهن
وفي توفير كل احتياجاتهن من هوايات وانشطة ،
وفوق هذا كله شعرت الأسرة ان ابنتها في يد امينة
ترعاها وتنمي قدراتها الذهنية واليدوية . هذا المفهوم
للاندية من جانب البيت اقام جسورا متينة بين البيت
والنادي وادى الى تعاون كبير بين الطرفين ، فالصيف
طويل عندنا والوقت يحتاج الى من يعرف قيمته
ويستغله استغلالا جيدا ومفيدا وهذا ماهو متوفر
لدى الاندية الصيفية

وحينما سألنا رئيسة نادي اشبيلية عن انواع

فريق من الطالبات
يمارس هوايته الرياضية
بكرة السلة ، (الى
اليسار)

تختلف انشطة
الفنون داخل الاندية
وتتعدد ، والصورة
لفريق الرسم يمارس
هوايته باشراف
المدرس (الى
اليمين)

حمامات الساحة
تشارك في النشاط
الطبيعي ، والصورة
لمجموعة من الطلبة
يمارسون هواياتهم في
الساحة لبناء الجسم
والعقل معا (الى
اليسار)

المكتبة التي يرتادها
طلبة الاندية كل يوم
للقراءة والاطلاع ، انه
النشاط الثقافي الذي
يتوفر ماللا... (الى
اليمين)

الانشطة التي تمارس داخل النادي أحاطت الشيء السائد ان برامج البنين تختلف جزئيا عن برامج البنات . وحتى الهواية بين الطرفين مختلفة كذلك . لذا فان الانشطة التي تمارسها البنات داخل الاندية تختلف بعض الشيء عن تلك التي يمارسها البنون وان كانت متشابهة في بعض جوانبها ، خذ مثلا الاقتصاد المنزلي من تطرير وغيره تمارسه البنات لكنه لايمارس في اندية البنين ايضا هنالك النشاط الصحي الذي تتعلم فيه الطالبة الكثير من الامور الصحية اللازمة في الحياة ، هذا بالاضافة الى الانشطة الاخرى كالاذاعة والصحافة والطباعة والالعاب الرياضية التي تناسب قدرات الطالبات كذلك يمارسها البنون

اسرة واحدة

وكان علينا ان نقف على جانب آخر من الاندية وهو جانب اندية البنين حيث توجهنا الى نادي ابن الاثير الصيفي الواقع في منطقة الروضة وتحاورنا مع رئيس النادي الذي هو ناظر للمدرسة ذاتها فقال لنا لقد كان علينا منذ اول يوم لافتتاح النادي ان نوفر كافة متطلبات الطلبة من انشطة ومناخ يجد فيه الطالب متعة ولذة حين حضوره كل صباح ، وهذا ما استطعنا توفيره بتعاون المسؤولين في ادارة النشاط المدرسي . ثم كان علينا ان نبحث عن المناخ الذي يشجع الطلاب ويجذبهم الى النادي ونجحنا في ذلك حينما وفرنا الرعاية لكل طالب وشعر الجميع من مدرسين وطلبة انهم جميعا اسرة واحدة داخل هذا النادي ـ هذا هو شعارنا الذي هو اساس كل عمل ناجح

ويستطرد رئيس نادي « ابن الاثير » فيقول ان التربية الحديثة تنادي وتؤكد على ضرورة اتباع الوسائل الابوية والتوجيه والارشاد للطلبة بشكل يشعر من خلاله الطالب انه يعيش في مناخ ... هو مفهومنا داخل النادي

وسألنا رئيس النادي عن كيفية الاشتراك بالاندية الصيفية فقال لنا ان الاشتراك بالنادي مفتوح ... كل شيء على طلبة المدارس ، وعلى من يريد الاشتراك منهم احضار صورتين وتعبئة الاستمارة الخاصة بذلك ثم تعطي له هوية اشتراك وهي هوية يحملها كل عضو بالنادي ضمانا لسير العمل ... وحتى يشعر التلميذ بشيء من المعنويات ... فريق المدرسين الذين يعملون بالنادي ... نادي ابن الاثير الصيفي ، ان فرق المدرسين ... يعملون بالاندية لايكونون عادة من مدرسة واحدة لظروف سفر البعض منهم او لعدم رغبة البعض الاخر بالعمل في الصيف ولذا فان ادارة النشاط المدرسي تحاول دائما تعيين مدرسين من مدارس مختلفة في ناد واحد لتوسيع قاعدة التعارف بينهم ولتوفير كافة تخصصات الانشطة لكل ناد من الاندية وهذا ماينطبق ايضا على اندية البنات

اما من حيث الزيارات التي يقوم بها طلبة الاندية الصيفية فان ادارة النشاط المدرسي تضع جدولا ... لكافة الاندية الصيفية لزيارة عدد من مرافق الدولة ودور الصحف للاطلاع على انشطتها اليومية كما ان هناك رحلات ترفيهية لاعضاء الاندية وهي رحلات تكون لزيادة اطلاع الطلاب والطالبات بأمور وطنهم

وبعد

فان الاندية الصيفية استطاعت ان تساهم في ايجاد حل علمي وعملي للفراغ الذي يعانيه طلبة وطالبات المدارس خلال عطلة الصيف ، وهو فراغ قلنا عنه انه قاتل حين غياب الوسائل التي يمكن لهذا النشء ان يجد فيها فرصته لتنمية مواهبه وسط مناخ اسري له فيه حرية التحرك والتوجيه المطلوب له ... يمارس هذه الهوايات والأنشطة □ □

يوسف ... شهاب

لؤي كيالي

مأساة لؤي كيالي

تجسيد لتجربة الفنان العربي المعاصر

بقلم : اياد الموسوي

قد يتساءل القارىء . عن سبب اختيار لؤي كيالي من بين زملائه للحديث عن تجربة الفنان التشكيلي السوري

ان القارىء سيجد من خلال سيرة لؤي أنه نموذج واقعي لطموحات الحركة التشكيلية التي انتمى اليها ، ونموذج تتجسد فيه همومها والتحديات التي واجهتها ، والآفاق التي تتطلع اليها .. بل انه رائد من روادها المبدعين ، والذين ساهموا في ترسيخ قيمها الفنية ، وأن الحركة التشكيلية في سوريا تعتز بفنان كلؤي . فقد عاش حياة غنية بالعمل والانتاج والمشاركة الحقيقية في هموم مجتمعه ومحنته والمصائب التي نزلت به ، محملا روحه المرهفة ووجدانه الحي مشاق وأعباء نفسية كبيرة أودت بحياته

الحركة التشكيلية في سوريا

لقد [illegible] الحركة التشكيلية في القطر السوري في [illegible] مطلع الستينات ، تحاول الاسراع في بلورة الشكل [illegible] الجديدين لها ، تبحث عن امكانات حضورها وأثرها في المجتمع ، لتساهم الى جانب الحركة الثقافية العامة ، لإثراء الحياة الاجتماعية والمساهمة في بلورة أحداثها ، باعتبار ان الفن التشكيلي ضرورة انسانية واجتماعية ، ولأنه جزء هام من الحركة الفكرية التي صاحبت خروج الاستعمار ، ونمو الحس الوطني

قاریء ۱۹۷۱

وقد ساهمت المؤسسات الفنية التي استحدثت ، في تشجيع المواهب الشابة ، وبلورة الطاقات الفنية إذ تولت مديرية الفنون التشكيلية والتطبيقية التابعة لوزارة الثقافة والارشاد القومي منذ عام ١٩٥٨ ، الاشراف على المعارض الفنية (في الخريف والربيع) ثم ساهمت في اقتناء الاعمال الفنية لتجميل الدوائر والمؤسسات الحكومية

إضافة الى انشاء المعهد العالي للفنون الجميلة عام ١٩٦٠ (كلية الفنون الجميلة حاليا) ، ومراكز الفنون التشكيلية في المدن السورية الكبيرة لاستقبال هواة الفن ورعايتهم ، بادر المتحف الوطني في دمشق الى تخصيص جناح فيه للفن الحديث

في تلك الفترة المبكرة من عمر الحركة التشكيلية في سوريا سافرت عدة دفعات من الفنانين الشباب الى ايطاليا ومصر وانجلترا وألمانيا وتركيا وروسيا ، في بعثات دراسية لدراسة الفن ، وضمت البعثات أدهم اسماعيل وفتحي محمد واسماعيل حسني ومحمود حماد وممدوح قشلان وفاتح المدرسي وروبال حوري ، وخالد قراتي ، وربحاني الصمدي ولؤي كيالي ورياض معين ومالك شور وفيصل عجمي ، وعبد الطاهر مراد ، ومصطفى بستنجي ، وقد درس جميعهم في ايطاليا ، ودرس في مصر الياس زيات وهشام زوبق ورياد الرومي ونذير نبعة وغازي الخالدي وقطمة الحمصي وخالد المز وغسان السباعي وليلى نصير وعدنان انحيلة

أما نعيم اسماعيل فقد درس في تركيا ، ودرس يوسف أيوبي وهشام معلم في انجلترا ، ونيسير صافي في ألمانيا وعبد المنان شما وميلاد الشايب في روسيا

وفي مطلع الستينات أخذ الفنانون يعودون الى سوريا بعد انهاء الدراسة حاملين رصيدا في الاطلاع والخبرة الفنية الجديدة يحملهم حماسهم واندفاعهم الى تقديم فن حديث ، واتجه أغلبهم الى خوض تجربة التحديث ، وساروا في مشارب التجريدية والتيارات الحديثة الأخرى التي لمعت في أوربا حينها وجارت على اصحاب نقاد تلك المرحلة لكن لؤي الكيالي كان مصرا على مواصلة الرسم بأسلوبه الواقعي ذي القوام الخطي والسطوح (غير المصقولة) والألوان المتقشفة والذي أعلن عن بداياته في معرضه الاول الذي أقامه وهو في المرحلة الثانوية وقبل سفره للدراسة في روما

رحلته مع الفن

ولد لؤي كيالي في مدينة حلب في عام ١٩٣٤ ، وبدأ في ممارسة الرسم عام ١٩٤٥ ونشط في مطلع الخمسينات وأقام أول معرض لأعماله في الثانوية الأولى التي أكمل فيها دراسته الثانوية في عام ١٩٥٢ ، وبعد أن أنهى دراسته الثانوية عام ١٩٥٤ ، التحق بكلية الحقوق ، ونشط في الجامعة ، واشترك في معرض الجامعة في السنة التالية وجاز عمله على الجائزة الثانية ، وترك الحقوق في عام ١٩٥٧ ، وذهب الى روما لدراسة الرسم في أكاديمية روما للفنون الجميلة ، موفدا من وزارة المعارف السورية

وأصّل لؤي نشاطه الفني بين محترات الأكاديمية ومراسمها وتنقل بين أقسام الرسم والزخرفة فيها ، وحاز هناك على العديد من الجوائز والميداليات الذهبية ، منها الجائزة الاولى من مركز العلاقات الايطالية التي تنظم مسابقة سيسيليا وفاز بالميدالية الذهبية للأجانب في مسابقة رافنا في عام ١٩٦٠ ، ساهم مع زميله فاتح المدرس في جناح

مرمم سماك الصيد ٩٧٢

عارف العود ١٩٧٤

السنغية ، ممثلين للفنانين السوريين في المعرض الذي يقام مرا كل سنتين .

في عام ١٩٦١ ، أنهى لؤي كيالي دراسته في أكاديمية الفنون الجميلة في روما ، وحاز على شهادتها ، من قسم الزخرفة .

عاد لؤي بعدها الى بلاده ، وعندها بدأ لؤي نشاطه المنتظم على صعيد تعليم الرسم واقامة المعارض الفنية والمشاركة في نشاطات الحركة الفنية فعمل مدرسا للتربية الفنية في مدارس دمشق الثانوية .

وانتقل الى المعهد العالي للفنون الجميلة في دمشق لتدريس مادة الرسم ومبادىء الزخرفة .

واقع الانسان العربي

وأقام عدة معارض شخصية مؤكدا أسلوبه في المعالجة الواقعية لطرحه الفني .

وأدرك الجمهور المتتبع لأعماله . ان واقعية لؤي تجاوزت حدود المنظر الاعتيادي والمألوف ، باحثة عن مشارف التعبير عن واقع الانسان العربي الأليم ، ومعاناة الفقر ، وعذاب الأطفال الذين أجبرتهم ظروف الحياة القاسية على العمل وهم في سن الطفولة والصبا ، لقد أبدع في تصوير الطفولة المعذبة . لذلك فقد لازمت وجوه لؤي صبغة الحزن العميق ، والصبر المرير ، والتصميم على مواصلة الحياة الكريمة بالعمل الشريف ،

وبالروح العصامية حتى حماه عام ١٩٦٧ ، وقبل نكسة حزيران بأشهر ، انفجرت معاناة لؤي ، في معرضه المهم ، والذي أطلق عليه اسم « في سبيل القضية » واحتوى المعرض على ثلاثين لوحة رسمها بالفحم الأسود . وسادت الأجواء الرمادية هذه اللوحات ، وانفجرت شخوصها بالصراخ والرفض ، وتصاعدت صرخات الغضب والضياع والتشرد والأصرار على النضال من أجل القرية وبيوتها وأشجارها التي احتلها الصهاينة في سبيل الحياة الكريمة

وقد صرخ لؤي في هذا المعرض على واقعيته ، وعافت الوجوه التي يرسمها الصمت ، فقد انفجرت شخوصه التي آثرت السكوت طويلا ، والاحتفاظ بحزنها دفينا في وجدانها ، وانفجرت غضبا واقداما ، واقتحمت تلك السحابة السوداء التي تغطي السماء

وأهمية المعرض ليس لكونه حدثا فنيا فحسب بل لكونه حدثا جماهيريا وطنيا هز وجدان الجماهير المتعطشة لصون كرامتها

فقد تنقل المعرض في العديد من المدن السورية فمن حلب تحول المعرض في حماه وحمص واللاذقية ، ولما وقعت النكسة ، كان نفس يوم افتتاح المعرض في اللاذقية

لم يستطع لؤي تحمل الكارثة التي حلت بشعبه وامته وأصيب بأزمة نفسية حادة أدت الى اقدامه على حرق جميع لوحات هذا المعرض ، وتوقف عن الرسم نهائيا لثلاث سنين متواصلة واعتكف بعيدا عن الناس وترك عمله ، وأحيل الى التقاعد بسبب حالته الصحية السيئة وذهب الى ايطاليا للعلاج ، لكن دون جدوى ، وعاد الى مدينته حلب حيث قضى أيامه الأخيرة فيها طريح الفراش يعاني من حالة اكتئاب نفسي شديدة ، وتوفي بتاريخ ٢٠ كانون الأول عام ١٩٧٨ في أحد مستشفيات حلب وشهادته وضعت حدا لمأساة حياته ، وبقيت مأساة شعبه تزداد عمقا يوما بعد آخر

بدون عنوان ١٩٦٥

عاش حياة البؤساء

لم يكن حزن لؤي طقسا طارئا ولم يكن احتيارا طوعيا لكنه كان يعكس موقفا من الحياة ويعكس رأيا في جدواها ومصيرها

لم يقف لؤي يوما ليعبر عن فرحة الانجاز أو الثقة الذاتية به بل ان الانجاز الفني ـ وما يمثل على حصيد حياته الشخصية ـ لم يكن في حسابه ولم يشغل يوما حيزا في اهتمام لؤي الذي عبر عن الجمال والحياة، على أنها حالة من حالات حزنه العميق فقد رسم الأزهار البيضاء، وروايا قريبة «مدلولا» بأسلوب واعي لكن تلك الواقعية تعكس واقعية أخرى واقعة وجه الحزينة واقعية مشاركة لحياة البؤساء في مدنه وحزنهم المزمن ـ التي تسللت في كل شيء يتعلق بلؤي وانتشرت في جميع عوالمه ولوحاته

وظل وحده يعبر عن واقع الفقراء وعن الأطفال المحرومين والمشردين والعمال المسحوقين، الذين احتلوا مساحات لوحاته تلك الوجوه، وتلك النظرات لم تعبر عن رغبة المطالبة، أو الهتاف من أجل الانفكاك من طوق البؤس بل ان تلك الوجوه، كانت في وضع سكوني وفي هدوء ينطوي على حزنها العميق وذهول مريب أمام الواقع الذي يعيشه الانسان وخيبة الأمل الكبيرة بالمستقبل

وجوه لؤي تؤثر الصمت الصمت المفجع، لأنها تحتفظ بأحزانها وآلامها لنفسها لأنها تعيش استحقاقها تحت السماء المحجوبة بالشعارات والهتافات والأحلام والوعود

وجوه لؤي تعلن يأسها تارة يأسها من انقشاع تلك الفقاعات المليئة بالهواء الفاسد عن سمائهم، وتعلن يأسها من توقف سماع دوي الرياح بين بيوتهم الطينية وتارة تعلن زهدها بالمستقبل وتعلن تخليها عنه لأنه خدعه!، وتارة أخرى تعلن ثورتها على كل شيء خدعها

لؤي الحزين

كانت حياة لؤي كيالي جزءا من لوحاته الفنية وكانت لوحاته جزءا من حياته بكل واقعيتها وتأزمها وبؤسها وإحباطاتها والأزمة النفسية التي عاشها بعد

الكتلة، تشير الى ذلك الالتحام بينه كموضوع وكوجود متأزم، وبين فنه كوسط حاو لذلك الموضوع الذي يتبدى في اللوحات بحس مرهف وكثافة تعبيرية في الخط واللون والاشارة تتسلل كثافة حزنه من خلال تلك الخطوط الواثقة والألوان المتقشفة والاشارات التي تفتح باب التأمل دون حدود

كان لؤي واقعيا في اتجاهه الفني لأنه اختار أن يعي واقعه المرير بوعي فني بسيط ومباشرة، وبأقرب ما يمكن من الوعي باعتباره الفنان الذي لا يملك سوى التفاعل مع حياته الفقيرة ويعبر عنها بوعيه النافذ وحسه المرهف وعاطفته العامرة وموهبته التي تملك أدواتها

كانت ممارسة الفن بالنسبة للؤي جزءا من حياته، شروطها وأسبابها لذلك فقد كان موته مبكرا، لأن التراكمات المأساوية التي عانى منها، لا تحتملها قدرة انسان لكنه بقي أمينا مع ذاته أمينا مع فقره أمينا مع الذين انتمى اليهم مات لؤي فقيرا، لكنه ترك ـ ولا شك ـ فنا غنيا خالدا يعبر عن الفقراء

ولم يتوقف لؤي يوما أمام اغراءات المادة، برغم رواج لوحاته، لدرجة أنها تباع حال انتهائه منها، أو عرضها، برغم ذلك أصر لؤي على أن تبقى لوحاته مخمصة الأسعار

ـ لماذا كان لؤي يحمل كل هذا الحزن؟

ـ لماذا كان يائسا وبائسا؟

ـ لماذا لم يحتفل بالمستقبل، ولم يعن به كعادة أغلب الفنانين باعتباره رمز الفرح ويحمل بشارة الأمل لماذا لم يكن تقليديا في ذلك المنحى؟!

لا بد ان تجربته في الحياة دلته على حقيقتها، دلته على مواصيلها ونتائجها ولا بد أنه عرف ان كل طريق لا تؤدي في النهاية الا الى حتفها

وهكذا توقف نبض ذلك الفنان الذي عاش الحزن موقفا انسانيا من الوجود المر واستطاع أن يخبيء روحه الحزينة في جميع آثاره الفنية وما زالت تلك الروح تنبعث من عيون البؤساء والمشردين الذين يستقرون في لوحاته ولا يستقرون في الحياة! ■■

اياد الموسوي

هل لغتنا صعبة ؟

بقلم : محمد خليفة التونسي

منذ ستين سنة شغلت الصحف والمجلات المصرية بمعركة حامية بين أنصار أدبنا القديم ودعاة تطوير أدبنا اليوم

كان الأولون يرون أن أدبنا القديم هو النموذج الأمثل الذي ينبغي أن نصونه ونتبع منهجه وأساليبه وحدوده في التفكير والتعبير ، وكانوا يستهينون بكل أدب حديد يجاوره ، وكان الآخرون أو معظمهم يعتبرون به كأنصاره ، بل كان بعضهم يعرفون من أسرار قوته وجماله ما لا يعرف أنصاره ، ولكنهم يرون أن ندرسه ونتمثله دون أن نقف حيث وقف ، بل ينبغي لنا أن نكون أبناء عصرنا شعورا وتفكيرا وخيالا وتعبيرا على وفق حياتنا ومعارفنا وثقافتنا ، كما كان كل جيل من أسلافنا أبناء عصرهم ، وكما ينبغي لكل جيل أن يكون

ثم يرون أن علينا الى جانب عنايتنا بأدبنا القديم الذي نستمد منه أصالتنا فنكون أبناء آبائنا ـ أن نتفتح على كل ما حولنا في حياتنا وحيوات الأمم الأخرى التي تعاصرنا شرقا وغربا ، قديما وحديثا ، ونستفيد منها في تطوير أدبنا وتجديده بكل ما تضمنه من أنواع وصور ، مع التزامنا الاستقلال والسلاطة فنكون بذلك أبناء عصرنا المالكين لحريتنا ولا شك أن لكل عصر حقوقه التي يفرضها على أهله قبلوها أو رفضوها ، فان استطاعوا القيام بها تقدموا وأثروا ، وان رفضوها أو عجزوا عنها جمدوا وتأخروا وحاق بهم البوار

بين الرافعي وسلامة موسى

وقد اشترك يومئذ في معركة القديم والحديث كتاب غير مصريين أيضا ، وبخاصة حين امتدت الى الشام والعراق ، وكان دعاة التجديد أكثر عددا وأقوى حججا واهدى سبيلا ولا يعنينا هنا أن نذكر من أسماء المشتركين فيها غير اثنين الاستاذ مصطفى صادق الرافعي وكان من أنصار القديم ، والاستاذ سلامة موسى وكان من دعاة التجديد ، فانهما حين اختصما كان مما غمز به الرافعي خصمه ـ ان من أسباب عداوته لأدبنا القديم ضعفه في العربية كما تدل على ذلك أخطاؤه اللغوية في كتاباته

وكان سلامة موسى أمكر مما حسب الرافعي ففاجأه هو والقراء حين تلقى التهمة بأن ألصقها باللغة العربية ، واستشهد لذلك بموازنة بينها وبين الانجليزية التي ذهب الى أنه تعلمها بسهولة في زمن قليل ، فصار لا يخطىء اذا تحدث بها أو كتب ، على حين أنه أقدم تعلما للعربية ، وأنه يلم بكثير من تراثها في مطالعاته بها ثم زاول الكتابة بها في العلم والأدب تأليفا وترجمة نحو عشرين سنة ، فاذا كان يخطىء فيها ـ كما يدعي الرافعي ـ فالعيب في اللغة لا فيه

وهذا جواب يرضي هوى الأستاذ سلامة موسى في انحرافه المعهود عن العربية وتراثها ، ولكن الجواب ـ على علاته ـ يستحق الوقوف عنده ، وتدبره طويلا ، لتمييز صحائحه من شبهاته ، اذ لم يزل هناك الألوف وعشراتها بيننا يشكون ضعفهم في لغتنا وينسبون ذلك الى صعوباتها الشاقة (١)

كثير من النقد اللغوى خطأ

وقبل التعرض لمناقشة الموضوع نشير الى أن الكثير مما كان ينسب من أخطاء الى سلامة موسى وأمثاله المدرسين الذين يثابرون على الكتابة في موضوعات حديثة من تأليفهم أو ترجمتهم ليست أخطاء ، وكذلك كثير مما يسمى أخطاء تؤخذ على غيرهم حتى اليوم من الكتاب والمتحدثين ، فمعظم هذه الأخطاء المزعومة ليست أخطاء ، ولكن كل ما فيها أنها تخالف القواعد التي يعرفها نقادهم من ألفاف اللغويين ، ويقفون عندها عن حذلقة وجهل ، حين يقومون بمهمة الشرطة اللغوية ، مع أن

---

(١) كذلك يفعل الاخرون حين يوازنون في التعلم بين العربية وغيرها من اللغات الحديثة

أعطيه لغتنا وقابليتها الحيوية للنمو والتجدد أكثر من كل القواعد الضيقة المضطربة التي تعج بها كتب النحو والصرف والمعاجم جميعا

ثم يبادر فيشير الى أن الاستاذ سلامة موسى في موازنته بين سهولة تعلمه الانجليزية وصعوبة تعلمه العربية قد أغفل عدة أمور يمكن حصر معظمها في أمرين جامعين -

أولهما طريقة تعلمه هو وجيله الانجليزية وطريقة تعلمهم العربية

ثانيهما الانجليزية وقواعدها كما دونها علماؤها ، والعربية وقواعدها كما دونها علماؤها

الفرق بين طريقة صحيحة وطريقة خاطئة

ولسنا نقول إن العربية سهلة بين اللغات ، فهناك ما هو أسهل منها وما هو أصعب ، ولكن صعوبات أي لغة تكاد تمحي حين تتعلم على الطريقة الطبيعية الكلية البسيطة ، وتبرز حين نعلم عن طريق دراسة قواعدها بمعزل عن أدبها والتدرب عليها لأن القواعد في هذه الحالة أشبه بعكاكيز الكسحاء لاتمكن صاحبها من الانطلاق في سيره

الطريقة الطبيعية هي التي يتعلم بها الطفل لغة بيئته ، وهي وحدها الصالحة أيضا لتعلم الكبار ما يريدون من لغات غريبة عنهم مهما تكن من الصعوبة

يسمع الطفل كلام من حوله فيحاكيه بحكم ميله الفطري لمحاكاة من حوله في كل شيء ، ويشرع في تفهمه وعادته غيره به كما سمعه وفهمه ، وعن طريقة محادثته الدائمة للآخرين تنمو حصيلته اللغوية ويزداد فهمه لها ، وتفكيره المستقل بها ، ومع طول الاستماع لها وحفظ نصوصها يزداد مرانته عليها حتى تصبح عادة على لسانه ، وهذه العادة هي السليقة ، فيصير المتعلم سليقيا في نطقه وإن كان لم يتعلم أي قاعدة من قواعدها الصوتية أو الصرفية أو النحوية ، ولم يلجأ الى معجم لفهم دلالات ألفاظها الحقيقية أو المجازية لأنها صارت جزءا لسانية مكتسبة كما تكتسب أي خبرة نظرية أو عملية ، وبهذا فخر أحد شعرائنا فيقول -

ولست بنحوي يلوك لسانه ولكن سليقي أقول فأعرب

كيف تعلم الأعاجم العربية في عصور فصاحتها

وكثير من الأعاجم خالطوا في كثرهم العرب خلال عصور الفصاحة ، فتعلموا في سهولة منهم العربية الفصيحة بهذه الطريقة العملية ونبغوا فيها كان منهم زنج وفرس وسند وروم ، ونبغ منهم شعراء فاق بعضهم بعض الشعراء العرب ، وكان بلغاء العرب يرددون شعره ، وبقي بعضهم بعد نبوغه في العربية يرتضخ لكنة في نطقه ، لما بقي على لسانه من آثار لغته الأعجمية التي نشأ عليها ، ومثل هذا مشاهد في كل عصر بين من يتعلمون - وهم كبار - لغة لم ينشئوا عليها ، ومن هؤلاء الشعراء في المخضرمين الشاعر الزنجي سحيم عبد بني الحسحاس الذي استشهد النبي عليه السلام بشعر له ، كما روى بعض شعره عمر بن الخطاب ، ومن الاسلاميين الشاعر السندي زياد الأعجم الى عشرات بل مئات من نوابغ الأعاجم يذكرهم التاريخ بين نقلة القرآن وقراءاته ورواة الحديث النبوي والمفسرين واللغويين والفقهاء والمتكلمين والمغنين والقصاة والمترجمين ورواة الشعر والأخبار ، حتى يقول مؤرخنا العبقري ابن خلدون « إن أكثر حملة العلم كانوا من الأعاجم »

وبهذه الطريقة العملية نفسها تعلمها في كبره رائد شعرنا العربي الحديث محمود سامي البارودي كما حكى هذا عنه استاذه الشيخ حسين المرصفي ونقلناه عنه في عدد سابق (العربي ٢٨٢) دون أن يتعلم قواعدها النحوية والصرفية او العروضية

كيف كانت الانجليزية تعلم في مصر

وهكذا تعلم الاستاذ سلامة موسى وجيله الانجليزية في عهد الاحتلال البريطاني لمصر وسطوته واستبداد طاغيتهم المستر دنلوب بأمور التعليم في وزارة المعارف ومدارسها ، وكان يتحرى حماسة لنشر لغته في المدارس وتثبيتها ، حتى تعم فتغلب الفرنسية [٢] التي سبقتها الى مصر ، ولو استطاع أن يفرضها على كل المصريين بل سيبهم بها لساتهم لفعل ، ولهذا كان الصبي أو اليافع في نهاية المرحلة الابتدائية يستطيع أن يتحدث بالانجليزية ويقرأ ويكتب في حدود معلوماته ، اذ كانت بعض المواد تدرس بالانجليزية بل كاد أن لا يستثنى من التدريس بها

(٢) كان هذا التنافس اللغوي يومئذ وبعده مظهرا من مظاهر تنازع النفوذ في مصر بين الدولتين الفرنسية والبريطانية

إلا دروس الدين والعربية

ومن ذلك الجيل من لم ينل غير الابتدائية ولكن استطاع خلال سنواتها الأربع أن يحرز حصيلة من الانجليزية مكنته من التوسع فيها بجهده وحده ، فملك ناصيتها وناصية أدبها وما ترجم اليها ، واوضح مثل لذلك أمامنا هو الاستاذ العبقري المرحوم عباس محمود العقاد ، ومنهم من لم ينل الا الثانوية فملك ناصية الفرنسية الى جانب الانجليزية ، وأوضح مثل أمامنا لذلك هو صديقنا الكبير الاستاذ علي أدهم رحمه الله

اهتمام الانجليز بنشر لغتهم في العالم

وقد كان الانجليز ـ وما زالوا ـ حريصين على نشر لغتهم بكل وسيلة جذابة مستطاعة ، وقد كانوا ـ ولم يزالوا ـ يمدون لمن ألم بقليل منها ـ ولو ألفي كلمة ـ كتبا مبسطة جذابة إذا قرأها ثبتت في ذهنه ما وعاه وارتقت به فيها قليلا قليلا فشرحت صدره لها وزادت معلوماته ثروة ، ولكل مستوى فيها عشرات من الكتب في شتى المعلومات وفيها قصص وتمثيليات ، وهم لايقتصرون في ذلك على تبسيط تراثهم وحده بل يعرجون على كثير من الأمم القديمة والحديثة فينقلون من تراثها أطرافا شائقة مفيدة ترضي تطلع المتعلم وتغريه بالمزيد دون توقف ، فكأنه راكب طائرة ما تكاد تجري به شوطا قصيرا على الأرض حتى يرى نفسه مصعدا في الجو دون مشقة ثم لم يزل مصعدا أفقا فأفقا حتى تستوي به في الأفق الذي يتوخاه بسهولة

لقد كان الطالب محاطا ببيئة انجليزية لغويا آنا بعد آن طول أيام الدراسة

فاذا ما أجاد الاستاذ سلامة موسى وجيله الانجليزية ، فهذا هو وحده المتوقع بعد هذه الجهود الحماسية المكثفة ، والتزام الطريقة الطبيعية العملية الصحيحة ، يضاف الى ذلك ما هيأ يومئذ من فرص العمل لاكتساب المعاش والمنصب للعارفين بالانجليزية (أونحوها) عندنا

ثم ما أوحى به عمل المستر دنلوب من التهوين من أقدار مدرسي العربية (والدين) في المدارس وما تركه ذلك من تهوين قدرهم في المجتمع ، وفي مناصب الدولة ، فما أكثر من بدأ منهم مدرسا ، حتى احيل على التقاعد في المنصب نفسه ، فكانوا محرومين من كل منصب اداري في مرافق الدولة ومنها سلك التعليم نفسه ، وقد استمر ذلك الى نحو منتصف هذا القرن

ومن أدلتنا على أثر هذه الطريقة في تعليم الانجليزية بسهولة وقوة ، أنه عندما تغيرت الطريقة أوضعف القائمون بها بعد ذلك ، ظهر ضعف طلابنا في الانجليزية فصار الطالب حتى نهاية الثانوية عاجزا عن كتابة رسالة أو نحوها دون أن يخطىء لغويا

طريقة تعليم العربية حول مطلع القرن العشرين

أما طريقة تعليم العربية في ذلك العهد « الدنلوبي » فمختلفة ، إذ كانوا يقتصرون في دروس المطالعة على صفحات من كتاب قديم في كل صف دون مراعاة لمستوى الطلاب فكانوا ينفرون منه ، وكان يقتصر في المحفوظات الشعرية والنثرية على نصوص معظمها في الحض على الفضائل ، وفيها كثير من الغريب وما يسمى بالمحسنات البديعية ، وكل ذلك كان منفرا للطلاب أيضا ، وكانت تدرس دون تعمق في فهم ولاتذوق ولا مقارنة

وكان يقتصر في الانشاء على موضوعات تقليدية لاصلة بينها وبين حياة الطلاب ، وكان المعلم هو الذي يتحدث بمحتويات الموضوع قبل مناقشته مع الطلاب وكانوا يسمعون فيلتقطون ما يستطيعون من كلامه شعرا أو نثرا ليستشهدوا به في كتابة الموضوع

وأما القواعد فكانت تعرض جافة بكثير من عجرها وبجرها التقليدية كثيرة الفضول طويلة الذيول منفصلة عن الأدب عاطلة من التمرينات

ولم يكن يكتفى لها بحصصها بل كانت تحشر في دروس المطالعة والمحفوظات للتطبيق عليها ، كأنما هذه الدروس تمرينات على القواعد لا للدراسة الأدبية الجمالية

وكان يقتصر في الامتحان التحريري على الانشاء والقواعد ، وأما المطالعة والمحفوظات فيمتحن الطلاب فيها شفويا ولا تحسب لها درجة بل الطالب فيها ناجح ، وهذا هو الاغلب أو راسب وهذا شيء نادر غاية الندرة

ثم ان اللغة العربية تدرس للطلاب باللهجة الدارجة فكيف مع هذا البلاء في طريقة تدريس العربية ، يستطيع الطالب اجادة العربية وهو لايجد بيئة عربية فصيحة حتى خلال دروسها

وأما الفرق الآخر بين الانجليزية وقواعدها والعربية وقواعدها فله صفحة أخرى بعون الله

■■

الكاتب الشجاع

قصة : أنطون تشيكوف

ترجمة الدكتور فوزى عطية محمد

دقت الساعة لتعلن منتصف النهار وأطل الميجور شلكالوبف ـ وهو مالك لألف ديسيتينا (١) من الأرض و لزوجة غضة الشباب ـ أطل برأسه من تحت اللحاف وسب ولعن بصوت عال فقد سمع بالأمس وهو يمر بجانب التكعيبة بالحديقة كيف كانت زوجته كارلينا كارلفنا تحادث ابن عمها ، الذي قدم لزيارتهم ، برقة أعذب من الرقة ذاتها ، وتصف زوجها ، أي الميجور شلكالوبف ، بأنه كبش ، وأخذت تؤكد برعونة نسوية انها لم تكن تحب زوجها في أى وقت من الأوقات ، ولن تحبه أبدا ، أى شلكالوبف ، لبلادة عقله ، ومسلكه الفظ وفظاظة الأجلاف ، واستعداده الكامن للخلل العقلي ، فضلا عن إدمانه المزمن للخمر ولقد أذهلت سطرة الزوجة هذه الميجور ، وأثارت سخطه ، وأودت به الى حال من الامتعاض تفوق كل وصف لم يطرق النوم جفنيه لا في الليل ولا في الصباح فقد كان رأسه يعمل بهمة على غير المعتاد ، وسخنت وجنتاه وأصبحتا أكثر احمرارا ، وظل طول الوقت يضغط قبضتيه في تشنج وعصبية بالغة ، أما صدره ، فكان يموج بانقباضات وضربات لم يشعر بمثلها حتى حين كان يحارب عند مشارف قلعة كارس(٢) بعد أن أطل الميجور من تحت اللحاف على نور الدنيا ، وبعد أن سب ولعن ، قفز من السرير وأخذ يذرع الغرفة وهو يهز قبضتيه ، ثم صاح مناديا أيها الأغبياء !

فرقع الباب وظهر أمام الميجور خادمه بانتلى ، والذي يقوم بعمل الخادم الخاص والحلاق وماسح الأرضية في آن واحد ، وهو يرتدى ما جاد به عليه سيده ، ويحمل حروا تحت إبطه استند بانتلى على عضادة الباب ، وأخذ يطرف بعينيه في احترام وبادره الميجور قائلا

ـ اسمع يا بانتلى ان أريد التحدث معك كما يتحادث بقية خلق الله حديث رجل لرجل وبصراحة لِمَ تقف هكذا ؟ استو في وقفتك !

١ ـ ديسيتينا مقياس للمساحة يساوى عشر الهكتار

٢ ـ كارس قلعة تركية استولى عليها الروس خلال الحرب الروسية التركية ١٨٧٧ ـ ١٨٧٨

نعم . . هكذا ! قل لي : هل ستجيبني بصراحة وبنية خالصة أم لا ؟

ـ نعم سأجيبك بكل صراحة وبنية خالصة

ـ لا تنظر الى بمثل هذه الدهشة يستحيل النظر الى السادة بدهشة . أغلق فمك ! يالك من ثور حقا يا صاحبي . لا تعرف كيف ينبغي عليك التصرف في وجودي . . أجبني بصراحة ودون لف أو دوران ! هل تضرب امرأتك أم لا ؟

أخفى بانتلي فمه بيده وابتسم ببلاهة ما بعدها بلاهة وهمهم قائلا . ـ كل يوم ثلاثاء يا صاحب السعادة ـ ثم ضحك

ـ عظيم ولكن ما الذي يضحكك ؟ ! هذا أمر لا يستوجب الهزل ! أغلق فمك ! لا تحك حلدك في وجودي انى لا أحب هذا (فكر الميجور برهة ثم أردف) أعتقد ، يا صاحبي ، أن الأجلاف ليسوا وحدهم الذين يعاقبون زوجاتهم . ما رأيك أنت في هذا الموضوع ؟

ـ هذا صحيح . . ليسوا وحدهم ياصاحب السعادة !

ـ إلى بمثال على ذلك !

ـ بالمدينة قاض يدعى بيوتر ايفانتش . هل تعرفه ؟ المهم . منذ حوالى عشر سنوات مضت كنت أعمل بوابا عنده . انه سيد رائع بمعنى الكلمة . قصارى القول . ولكنه حين يكون ثملا أجارك الله ! وكان يحدث حين يعود الى المنزل وهو مخمور أن يعمل قبضته القوية في جنب السيدة زوجته . ولأسقط من طولي في مكاني هذا اذا كنت أكذب عليك ! كما كان ينالني أنا الآخر من قبضته بعض الشيء هكذا ومن غير مناسبة كان يضربها وهو يقول لها « انك ، أيتها الحمقاء ، لا تحبينني ، ولهذا أريد قتلك ووضع نهاية لحياتك . »

ـ . وماذا كانت تفعل هي ؟

ـ تقول له أرجوك أن تغفر لي

ـ غير معقول ! أصحيح هذا الذي تقول ؟ ! اذا كان الأمر على هذا النحو فانه رائع . . نعم ، رائع ـ وفرك الميجور يديه في حبور من الارتياح !

ـ انها الحقيقة بعينها يا صاحب السعادة ! وكيف لايضربهن المرء يا صاحب السعادة ؟ ! إليك ، مثلا ، امرأتي . كيف لا أضربها ؟ ! لقد داست على الهارمونيكا بقدمها فدهستها ، كما التهمت الشطائر المعدة للسادة . . فهل هذا معقول ؟

ـ اسمع أيها الأبله . . لا تتفلسف ! ما هذا الذي تتفلسف فيه ؟ ! هل تعتقد أنك تستطيع أن تقول شيئا معقولا ؟ لا تزج بنفسك فيما ليس لك ! قل لي ماذا تفعل السيدة الآن ؟

ـ انها نائمة .

ـ حسنا . فليكن ما يكون ! اذهب وأخبر ماريا أن توقظ السيدة وتطلب منها المجيء الى هنا انتظر ! ما رأيك : هل أشبه أجلاف العامة أم لا ؟

ـ من ذا الذي يستطيع القول ان السيد يشبه أجلاف العامة ؟ ما من أحد على الاطلاق يستطيع ذلك .

هز بانتلي كتفيه وقرقع الباب من جديد وخرج ! أما الميجور فشرع يغتسل ويرتدي ملابسه وقد ارتسمت على ملامح وجهه دلائل انشغال البال

ـ أهلا بك يا روحي ! ـ قال الميجور ، الذي كان قد ارتدى ملابسه ، قالها بنبرة من التهكم ما بعده تهكم مخاطبا زوجته الحسناء ابنة العشرين عاما حال دخولها الغرفة ـ ألا تتفضلين بافراد ساعة لي من وقتك الثمين . . أقصد الثمين لكلينا طبعا ؟

ـ بكل سرور يا عزيزي ! ـ أجابت زوجة الميجور ومالت بجبينها نحو شفتيه كي يطبع عليه قبلة

ـ انى يا عصفورتي الصغيرة ، أريد التنزه أريد القيام بنزهة في البحيرة . ألا تستطيعين أن تجعلي من شخصك الساحر رفيقا لي في هذه النزهة يملأ النفس سعادة بلطفه ورقته ؟

ـ ولكن ألن يكون الجو حارا ؟ على أية حال ولم لا ؟ . . بكل سرور يا بابا الحبيب . ستقوم أنت بالتجديف أما أنا فستأتولى توجيه الدفة ما رأيك ؟ . . هل نأخذ معنا بعض المأكولات الخفيفة ؟ انى أكاد أموت جوعا . . .

ـ لا عليك . . لقد أعددت المأكولات ـ أجابها الميجور وتحسس السوط الموجود في جيبه

بعد نصف ساعة من هذا الحديث بين الميجور وزوجته كان الاثنان يركبان قاربا ويتجهان به نحو وسط البحيرة . . الميجور يتصبب عرقا وهو يجدف ، أما زوجته فقد عكفت على توجيه الدفة . « يالها من امرأة ! آه منها امرأة ! » ـ ظل الميجور يلعلم وهو ينظر بين الفينة والفينة الى زوجته الحالمة نظرة مشحونة بالضراوة وكل ما بداخله يغلي انتظارا للحظة الحاسمة . . وما ان وصل القارب الى وسط البحيرة ، حتى صاح الميجور بصوت جهوري : قف ! وتوقف القارب ، وتضرج وجه الميجور احمرارا وأخذت فرائصه ترتعد .

- ماذا بك يا أبالوشا ؟ ـ سألته زوجته وهى تنظر اليه في دهشة .

علا صوت الميجور بالدمدمة قائلا : اذن . . أنا كبش ؟ كبش . . هه ؟ اذن أنا . . . . من أنا ؟ إذن أنا بليد العقل ؟ هه انك اذن لم تحبيني ولن تحبيني ؟

وزمجر الميجور وبسط راحتيه الى أعلى ولوح بالسوط في الهواء ، وحدث بعد ذلك في القارب هرج ومرج ، رهيب ، هرج ومرج لا يمكن وصفه فحسب ، بل لا يمكن تصوره بالمرة . لقد حدث ما يعجز أى فنان عاش في ايطاليا أن يصوره مهما أوتي من خيال متوقد . وقبل أن يتمكن الميجور شلكالوبف من الاحساس بعدم وجود أى أثر لنبت من الشعر على رأسه ، وقبل أن تتمكن زوجة الميجور من استخدام السوط الذي انتزعته من يد زوجها . . انقلب القارب . . و . .

وفي هذه الأثناء كان إيفان بافلفتش ـ والذي كان يعمل مسئولا عن الشئون المنزلية لدى الميجور في السابق وأصبح الآن كاتبا بادارة المركز ـ كان يتمشى

على شاطىء البحيرة ، حيث أخذ ـ انتظارا للحظة التي يمتع نفسه فيها حين تخرج فتيات القرية للاستحمام في البحيرة ـ أخذ يصفر من حين لآخر ، ويدخن ، ويفكر في الهدف من نزهته هذه وفجأة سمع صيحة تمزق القلب وفي هذه الصيحة عرف صوت سيده وسيدته السابقين . ـ أغيثونا كان الميجور وزوجته يصيحان وفي الحال خلع الكاتب دون تردد حاكتته وبنطلونه وحذاءه ورسم علامة الصليب ثلاث مرات وقفز في الماء وسبح نحو وسط البحيرة لاغاثتهما كانت سباحته أفضل من كتابته ومن فهمه لما هو مكتوب ، ولذا لم تمض سوى ثلاث دقائق أو نحو ذلك حتى كان بالقرب من الزوجين وهما يصارعان الأمواج اقترب ايفان بافلفتش منهما وأسقط في يده « ترى من الذي أنقذه منهما ؟! ـ قال في نفسه اللعنة عليكما ! » لم يكن ليستطيع انقاذ الاثنين بحال من الاحوال ، حيث لم يكن يقوى الا على انقاذ احدهما فقط وبقدر كبير من الصعوبة وتغضنت قسمات وجهه في خطوط معوجة تعبيرا عن شدة حيرته ، وبدأ تارة يمسك بالميجور ، وتارة اخرى بزوجته ، واخيرا قال

ـ لن انقذ الا احدكما فقط ! اني لا اقوى على انتشالكما معا ! اني لست حوتا من الحيتان !

وهنا صاحت زوجة الميجور بصوت رفيع وهي ترتعد وتمسك بذيل بدلة السهرة التي يرتديها زوجها .

ـ فانيا ، يا عزيزي ، انقذني انا انا ، واذا انقذتني سأتزوجك . . نعم سأتزوجك واقسم على هذا بكل المقدسات اغثني فاني اغرق .

ـ إيفان إيفان بافلفتش . كن في شهامة الفرسان ! اسمعني ـ يبدأ الميجور يخاطبه بصوته الجهوري وهو يشرق بالماء ـ أنقذني يا أخي ! سأعطيك روبلا تشرب به فودكا ! كن لي أبا رحيم القلب . . لا تدعني أغرق في ميعة الشباب سأغرقك ذهبا من قمة رأسك حتى قدميك . . هيا . هيا أنقذني حقا يا لك من رجل . حسنا ، اذا أنقذتني سأتزوج أختك ماريا . . أقسم لك على هذا ! انها حسناء رائعة الجمال لا تنقذ زوجتي . . فلتذهب هي الى الجحيم اسمعني جيدا ، اذ لم تنقذني ، سأقتلك ، لن أدعك تعيش

بدأ رأس إيفان بافلفتش يدور لدرجة أنه كاد يغرق ويستقر هو نفسه في قاع البحيرة بين لحظة وأخرى لقد كان كل عرض من هذين العرضين عظيم النفع كل منهما أفضل من الآخر فأيهما يختار ؟ الوقت يمضي وينبغي التصرف بسرعة . وأخيرا استقر رأيه . « حسنا ، سأنقذهما معا والحصول على الفائدة من الاثنين أفضل طبعا هذا هو القرار السليم ورسم إيفان بافلفتش علامة الصليب ، وأخذ زوجة الميجور تحت إبط ذراعه الأيمن ، وأمسك بسبابة يده اليمنى دائما رباط عنق الميجور ، وبدأ يسبح تجاه الشاطىء وهو يئن بصوت شبيه بالحشرجة . ـ هيا حركا أرجلكما ! . أصدر لهما أوامره وهو يجدف بذراعه اليسرى ويحلم بمستقبله المشرق « السيدة ستصبح روحي . والميجور صهري . . رائع ! لك أن تمرح كما يحلو لك يا فانيا ! عندئذ حقا سأشبع نفسي سآكل الحانوهات ، وأدخن أفخر أنواع السيجار وكما يحلو لي ! الحمد لك يا رب ! » كان من الصعب على ايفان بافلفتش سحب هذا الحمل المزدوج بذراع واحدة والسباحة ضد الريح ، غير أن فكرة المستقبل المشرق بروعته كانت تزيده قوة على قوة وأوصل ، وهو يبتسم ويقهقه من فرط السعادة ، الميجور وزوجته الى البر . لم تكن الدنيا تسعه من الفرحة في هذه اللحظة ، ولكن ما ان رأى الميجور وزوجته يتشابكان بالأيدي فور نجاتهما مباشرة ، حتى شحب وجهه ، وخبط جبينه براحة يده في ندم ، وأخذ ينتحب بتشنج دون أن يلقي بالا الى الفتيات اللاتي خرجن من الماء وتزاحمن في حلقة تحيط بالميجور وزوجته ويتطلعن بعجب الى الكاتب الشجاع . ■■

د . فوزي عطية محمد
أستاذ ورئيس قسم اللغات السلافية بكلية الألسن
جامعة عين شمس ـ القاهرة

محنة البربرية

● بعمس مقال فهمي هويدى بالعدد (٢٨١) عن محنة اللغة العربية ـ معلومات غير دقيقة وهي قوله ان اللغة البربرية لغة منطوقة لم تكتب بعد ، وحقيقة الامر ان الشعب الامازيغي هو الاسم الاصيل لهذا الشعب الذي ينعت بالبربري ـ وكلمة « درامازيغ » تعني الحر وهو الذي حارب الدخلاء من الرومان والوندال والبيزنطيين والقرطاجيين والبرتغاليين والفرنسيين

واعتنق الشعب الامازيغي الاسلام عن اقتناع وطاعة وساهم بنشر الدعوة الاسلامية في الاندلس ، واثبت المؤرخون الموغلون في البحث عن حضارة افريقيا الشمالية علميا ان سكانها هم الامازيغيون ـ وكانوا رسل حضارة الى اوروبا بأسرها في طور من اطوار العصر الباليوتي وهو الاوربيباكي ـ لهم ابجدية تسمى « تيفيناغ » استعملوها في الكتابة قبل المسيح بالفي عام ، وكلمة « بيفي » تعني « اكتشاف و « باغ » اي لنا ـ ويقول اندري جوليان ـ في كتابه تاريخ افريقيا الشمالية ومدلول المدينة البربرية عندنا هو هذه المجموعة من التقاليد والعادات والاخلاق

سميرة عبدالله قاسم
الدار البيضاء

التطرف الديني

● طالعت ماصدر في مجلتكم « العددين ٢٧٨ ، ٢٧٩ » حول قضية التطرف الديني التي تعتبر من اخطر القضايا في واقعنا المعاصر ـ واهم دوافع هذا التطرف ومسبباته فيما ارى ـ هما :
اولا ـ الجهل بمعالم الشريعة الاسلامية وخصائصها المتميزة وكلياتها العامة ، وهذا يعود الى ندرة المرشدين الذين يوجهون الشباب المتحمسين لديهم الى الطريق الاصوب في العمل الاسلامي ـ

ثانيا ـ قسوة الضغوط التي تستعملها الحكومات والتظلم على الشباب وتعطيل نشاطاتهم والحد منها مما يؤدي بالشاب المسلم الى ان ينظر الى المجتمع بتشاؤم ، ويحكم عليه باحكام متنوعة .

الا انني انبه مجلة « العربي » الى انه ـ كما تطوعت بجمع عدد من المقالات والدراسات حول « التطرف الديني » وهذا مما تشكر عليه ـ اود ان تقوم مجلتكم بنفس النشاط والاحاطة بجمع مقالات ودراسات وآراء للعلماء حول « الانسلاخ من الدين » في الاقطار الاسلامية ، اذ انه من غير الممكن ان يكون عدد « المتطرفين » في الدين اكثر من عدد « المنسلخين » من الدين ، وظاهرة التحلل من الدين والاخلاق حسب مايلاحظ كل واحد منا في العالم الاسلامي هي المخيمة على شبابه والقاعدة فيه . بينما نلاحظ ان ظاهرة التطرف موجودة فعلا ولكنها نادرة وشاذة ، فكان الاولى بسيادتكم ان تطرقوا باب الظاهرة الاكثر شيوعا والاكثر تهديدا لكيان امتنا والتي هي التفريط في الدين والقيم قبل ان تطرقوا ظاهرة شاذة يمكن التعديل فيها والحد من اتساع رقعتها والتي هي الافراط والتشدد في الاستمساك باحكام الدين وفروعه ، ورجائي ان تلبوا رغبتنا وتكونوا عند حسن ظننا بعزيمتكم الجبارة وارادتكم القوية على تخطي الصعاب المعهود عنكم .

الاستاذ عبد الكريم الفضيلي
الجزائر .

اعيـدوا .. « أنت تسأل »

● لان ارتباطي « بالعربي » قوي ولان هذه المجلة تحوي كل انواع المعارف والثقافات فانني اقترح عليكم مايأتي

تخصيص باب كامل من ابواب المجلة للرد على اسئلة القراء السياسية والاجتماعية والدينية وذلك اتمام لتشكل هذه المجلة الثقافية الواسعة ، وهذا يمكن تحقيقه عن طريق اعادة باب « انت تسأل ونحن نجيب » حتى نعرف التفسير الصحيح للاسئلة التي تدور بعقولنا ، ونعرف رايكم وموقفكم تجاه الاحداث التي تدور في وطننا والتي قد لاتطرقونها لسبب او لآخر

سامي محمد المصلي
كفر الشيخ ـ مصر

الزهرة يومه مساو لسنته

● ذكرتم في العدد ٢٧٩ العبارة التالية يقترب كوكب الزهرة من الارض حتى يصل الى مسافة ٨٣ مليون كم ، ثم وردت في احصائيات الزهرة ايضا ان البعد عن الارض ٣٨ مليون كم على الاقل ، نرجو ارشادنا الى الصحيح في هذه الارقام

المهندس احمد عبد الله ـ عدن

العربي

كوكب الزهرة هو اقرب الكواكب الى الكرة الارضية ، ولكن بعده عن كوكبنا متغير ويبلغ في حده الادنى ٤٢ مليون كم . ومما يذكر ان سفينتي الفضاء الروسيتين فينوس ١٣ ، ١٤ قطعتا تلك المسافة في اربعة اشهر وقد هبطتا على كوكب الزهرة في شهر مارس الماضي وارسلتا الى الارض سيلا من المعلومات الهامة والجديدة ـ ومن طريف مايذكر عن الزهرة ان طول يومه مساو لطول سنته بالتقريب ، فهو بطيء جدا ويدور حول نفسه في ٢٢٥ يوما من ايام الارض ويدور حول الشمس في ٢٤٣ يوما ارضيا .

اطبعوا « العربي » .. بالانجليزية

● لماذا لاتصدر طبعة باللغة الانجليزية لمجلة العربي ؟ فهذا جدير بان يجعلها مجلة عالمية بل ان عدد قرائها من البلاد العربية سيكون اكبر منه في أي مكان آخر نتيجة انتشار اللغة الانجليزية على نطاق واسع ، واعتقد ان طبيعة ابواب المجلة والدراسات الواردة فيها تؤهلها لان تصدر باللغات الاجنبية ، واذا كان المانع هو المال فانه ـ مع زيادة توزيع اعداد المجلة وتضافر الجهود ـ سيكون سهلا ، فالمسألة تتوقف على عنصر الوقت دون غيره

عماد الدين محمود عاير
مصر

اقتـراحـات .. من العراق

● لقد بحثت مرارا وتكرارا عن مجلة عربية تغني القارئ العربي بمواضيعها المتنوعة من علم وثقافة وادب ، ومنذ سنوات وجدت مجلات مختلفة ولكني كنت عندما انهي قراءتها احد نفسي

استعد منها الا القليل ، والآن اقول لكم لقد وجدت ضالتي في مجلة العربي الغراء التي هي مجلة الانسان العربي ، ولدى بعض الاقتراحات راجيا اخذها بعين الاعتبار .

١ ـ زيادة النسخ التي ترسل الى لعراق حيث لاتوجد الا نادرا لا ادري ماالسبب

١ ـ وضع صفحة بعنوان قصيدة لعدد ، توضع فيها قصيدة حديثة او قديمة

٢ـ تلوين اكبر عدد من لصفحات لان ذلك يستهوي لقاريء؟

فرحان حماد نهاد
بيوي /العراق

الوقواق

● قرأت ماكتبه الدكتور عبد المحسن صالح في مجلة « العربي » عدد ربيع الثاني تحت عنوان « الوقواق » وكان بحثا شيقا ، ولكن ماقرأته وعرفته ان « الوقواق » هي جزيرة في شرق آسيا ، وهي قريبة من اندونيسيا ـ كما ذكر التاريخ ـ وقرأت عنها في كتاب الف ليلة وليلة وغيره ، واخيرا اقتنع بتلك المقارنة التي تذكرها هذه الكتب عن عادات اهلها وبين مانفهمه ونعرفه ، كما ان اسمها ومايطلق على اهلها pur ــ pua ولكن العرب لاينطقون حرف ـ أ ـ فحرفوها فصارت « وقواق » فهل تفيدونني وترشدوني من حيرتي ؟

علي عقيل/ المملكه السعودية

العربي

جاء في لسان العرب ان « الوقواق » بلد في شرق بلاد الصين ، والوقواق طائر وليس نبت ، والوقواق مثل « الوكواك » وتعني الجبان ، والوقواق شجر تؤخذ منه المحابر ، والوقواقة هي الكثيرة الكلام ، يقال امرأة « وقواقة » والوقواقة هي اختلاط اصوات الطير .

الطب والاختراع

● اطلعت على مجلتكم المتعة ، فاعجبني فيها باب انباء الطب والاختراع وهو باب يخبرنا بكل جديد من علم هذا الباب . رجو الاستمرار فيه ومتابعة كل جديد حتى يعرف القاريء ما طرحه لنا عقول العلماء في هذا الشان

ولد محسن محمد
الجزائر

يتبرع بكليته

● علمت من خلال قراءتي لعمليات زراعة الكلى بالكويت ، ان وحدة الكلى في بلادكم تعاني من نقص في وجود مثل هذا الجزء الذي يحتاجه المريض حين تتعطل الكلى عن العمل ، واجد لزاما على ان احيطكم علما بكل صدق بانني قد اعددت نفسي جيدا وبمعنويات عالية وصادقة للتبرع باحدى كليتي لمن يكون في حاجة اليها ، ـ ويكون في نقلها له انقاذ لحياة مريض ـ من مرضي وحدتكم شفاهم الله

حسنين ادم ـ المملكة الاردنية

كتاب يحمل آخر انذار للبشرية :

مصير الأرض

تأليف : جوناثان شيل

عرض وتلخيص : منير نصيف

الصيحة التي أطلقها « اوبنهايمر » قبل أقل من اربعين عاما : « يا الهي ماذا صنعت ؟» عادت تدوي مرة اخرى في صفحات كتاب جديد بعنوان « مصير الارض » فقط كانت الصيحة الجديدة تختلف ، فالاولى اطلقها « ابو القنبلة الذرية » عندما توصل اوبنهايمر العالم الامريكي الألماني الأصل الى انتاج أول قنبلة ذرية ثم وقف يرقبها من بعيد اثناء تجربتها في صحراء ترنيتي بولاية نيومكسيكو وهاله ما رأى فصرخ ! وأما الصيحة الثانية فهي لمؤلف الكتاب جوناثان شيل « ياالهي ماذا صنعوا بنا ؟» وقد تصدر كتابه قائمة اكثر الكتب مبيعا ، فهو يحمل آخر انذار قد يتاح للبشرية الانصات اليه !

« في معظم العواصم الاوروبية والأمريكية خرج المتظاهرون يعبرون عن القلق الذي تعيش فيه البشرية كان حجم المظاهرات التي سارت احتجاجا على التسلح النووي ، أكبر بكثير مما كان مقدرا ومتوقعا لها الشعوب كل الشعوب تريد السلام ، تريد الحياة لقد كانت الصيحة التي حملوها في اللافتات التي تقدمتهم في الميادين والشوارع التي شهدت مسيرات الاحتجاج « لا نريد الموت لا نريد الدمار لا نريد الزوال لهذه الارض التي نعيش عليها » ! كانت صيحتهم الهائلة استمرارا للحملة الهادئة التي بدأها الفيلسوف البريطاني برتراند راسل » ولجنة المائة التي كان يرأسها قبل سنوات عديدة مضت ضد التسلح النووي ، مناديا بالسلام في عالم لم يعرف السلام منذ ان وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها قبل حوالي اربعين عاما !

ومع « الانذار » الذي حواه كتاب « مصير الارض » لجوناثان شيل ، حيث قدم لنا تقييما واقعيا للخطر الذري ، حرص في الوقت ذاته ان يوجه نداء عاطفيا من أجل تبني سياسة جديدة تحول دون نشوب هذا الحريق الرهيب الذي سيحول كوكبنا الى ارض مقفرة الا من الحشرات والاعشاب !

وساعد ظهور الكتاب الجديد في امريكا في اوائل هذا العام على تركيز اهتمام الامة على هذا الخطر المحدق ، وارغم السياسيين المترددين على ادراج مسألة الرقابة على الاسلحة النووية في قمة جدول اعمال السياسات الدولية وظهر اول رد فعل في تلك النغمة الهادئة التي كانت طابع حديث ريجان رئيس الولايات المتحدة اثناء رحلته الاخيرة الى عواصم اوروبا الغربية في شهر يونيو الماضي ، حول موضوع نزع السلاح النووي والى

الارض . بقاؤها في ايديا

استهدف من ورائها ايضا التقليل من شعبية ونفوذ مؤيدي حركة السلام في اوروبا وسحب البساط من تحت اقدامهم لأنه رأى فيها حركة « يسارية » تؤيد السياسة السوفيتية وتتبناها الأحزاب الشيوعية وهو رأي لا يطابق الواقع فالاعتراض كان ولايزال مركزا على تركيب الصواريخ النووية في دول غرب اوروبا ردا على الصواريخ السوفيتية المضادة التي تم تركيبها في دول شرق اوروبا خلال السنوات القليلة الماضية بدلا من الجلوس والبحث عن وسيلة للاتفاق على ازالة هذه الصواريخ من هنا وهناك !

كابوس الاسلحة النووية

ونعود الى موضوعنا « مصير الارض » ماذا قال لنا « جوناثان شيل » في كتابه منذ اليوم السادس عشر من شهر يوليو عام ١٩٤٥ عندما فجرت اول قنبلة ذرية في صحراء ترينتي للتجارب بنيومكسيكو ، والبشرية تعيش مع كابوس الأسلحة النووية وفي كل عام ، كان عدد القنابل النووية يتزايد حتى بلغ اليوم خمسين ألفا من الرؤوس النووية في جميع انحاء العالم تحمل معها قوة مدمرة تبلغ عشرين بليونا من الأطنان من مادة ت ن ت ، أو أكثر من مليون و ٦٠٠ الف مرة من قوة القنبلة الذرية التي القتها الولايات المتحدة الامريكية على مدينة هيروشيما اليابانية قبل اقل من شهر واحد من تجربة اول قنبلة ذرية في صحراء ترينتي !

« هذه القنابل ـ كما ذكر المؤلف ـ صنعت لاستخدامها كسلاح جديد في الحروب ، ولكن مغزاها اكبر من الحرب وكل اسبابها ونتائجها لقد نبتت هذه القنابل من التاريخ ، وهي تهدد اليوم بوضع نهاية لهذا التاريخ لقد صنعها الانسان ومع هذا فهي تهدد بإبادة الانسان . لقد اصبحت قبرا كبيرا يمكن ان يسقط فيه العالم كله . انها الخصم الرهيب الذي يقف في وجه كل نوايا الانسان واعماله وآماله . الحياة وحدها التي تهددها القنابل الذرية بالابتلاع هي التي تستطيع ان تعطينا المقياس الصحيح لخطورة القنبلة الذرية ودلالتها .

مواجهة الخطر

ومع هذا ، وبالرغم من الأهمية البالغة والتي لا يمكن قياسها ، لهذه الاسلحة النووية ، فاننا نجد ان العالم ككل لم يعطها ما تستحق من الاهتمام والتفكير لقد فشلنا حتى الآن في التوصل الى طريقة للرد عليها ، او أن نكتشف بانفسنا الرد العاطفي او العقلاني او السياسي الذي يمكن ان نواجه به هذا الخطر

هذا الفشل العجيب في التوصل الى وسيلة للرد على الخطر الذي يتهددنا والذي تجد مئات الملايين من البشر يعترفون معه بوجود تهديد مباشر ومستمر لحياتهم وحياة الارض التي يعيشون عليها ، ومع هذا لا يفعلون شيئا ازاءه ، قد اصبح في حد ذاته ظاهرة مثيرة للدهشة ، حتى أنه يمكن النظر اليها على انها جانب بالغ الاهمية من جوانب المأزق الذي تعيشه البشرية في شبح الاسلحة النووية

ان اي شخص يسأل عن آثار الحريق النووي ، سوف يجد نفسه ـ وقد سقط فريسة لانفعالات قوية متضاربة ـ في قمة هذه الانفعالات ، رد الفعل المفاجيء القوي الذي سيحتويه بكل تأكيد ، وهو يرى منظر الدمار الهائل والمعاناة والموت ثم الشعور باليأس والهزيمة الذي سوف ينتاب المرء نتيجة لادراكه لهذا العجز الذي يصيب النفس البشرية وهي تواجه هذا القدر الهائل من الرعب

المرض النووي

ثم يقول جوناثان . « الرأي السائد ان الحريق النووي شيء لا يمكن التفكير فيه ولكن من الممكن حدوثه انه أشبه ما يكون بعمل نستطيع القيام به ، ولكننا لا نستطيع ان نتصور على وجه التحديد كيف سيبدو بعد اتمامه ! ان المرء لا يملك بعد هذا إلا ان يصل الى قرار عن وعي او غير وعي ، بألا يفكر بعد اليوم في احتمال نشوب حريق نووي وعندما يحاول المرء ان يواجه المأزق النووي ، يشعر بالمرض ، وعندما يطرد هذا الخاطر من ذهنه ، وهو ما يجب ان يحدث في معظم الاوقات ، حتى يستطيع المرء منا ان يمضي في رحلة الحياة ، فانه يشعر بانه قد استعاد صحته . وهذا الشعور الاخير بالرفاه انما يقوم على اساس انكار أهم حقيقة في العصر الذي نعيشه ولهذا فهو في حد ذاته نوع من المرض ! ذلك ان اي مجتمع يغمض عينيه بصورة منظمة امام خطر عاجل يهدد بقائه المادي ويفشل في اتخاذ اية خطوات لانقاذ نفسه ، لا يمكن وصفه بانه مجتمع سليم سيكولوجيا .

وتبقى الحقيقة بعد ذلك ، وهي انه سواء شغلت الاسلحة النووية تفكيرنا أو استطعنا ان نتجنب التفكير فيها ، فان وجودها بيننا يجعلنا جميعا نحس بالمرض

موت ودمار

وبعد ان يمضي المؤلف في وصف الدمار والخراب والموت الذي يحدثه الانفجار النووي بعد ثوان معدودة للمنطقة التي تعرضت للانفجار ، ينتقل الى الحديث عن الدمار الذي سيحل بالكرة الارضية وما فيها وما عليها نتيجة للاشعاعات الذرية التي تنطلق بعد القاء قنبلة ذرية

الانفجار الذري . . ياالهي ماذا صنعوا بنا

قوة انفجارية توازن ٥٠٠ ميجاتون او ٤٠ الف مرة أكبر من قوة القنبلة الذرية التي القيت فوق هيروشيما في الحرب الثانية ، وهذه الاشعاعات الذرية تنتشر بعد الانفجار في الارض والجو والبحر ، وفي خلايا وجذوع وعظام وجذور واوراق كل شيء حي ، وتظل تتفجر داخلها لاجل غير مسمى !

ومن بين الآثار التي ستنتج عن الانفجار الذري ويتعرض لها العالم كله ، ارتفاع ملايين الاطنان من الاتربة الى الجزء الأعلى من الغلاف الجوي ، ومن المحتمل ان يؤدي هذا الى انخفاض في درجة الحرارة على سطح الأرض .

أما الأثر الثالث من الآثار التي ستتعرض لها الأرض بعد الانفجار النووي ، فهو-طبقا لتوقعات العلماء- دمار جزئي لطبقة الاوزون Ozone، التي تحيط بالكرة الأرضية في طبقات الجو العليا . . والذي يحدث أن الكرة النارية الذرية تنتج كميات كبيرة من اكسيد النتروجين بعد احتراقه في الهواء . وتحمل حرارة الانفجار اكسيد النتروجين الى طبقات الجو العليا ، حيث تجري عدة

تفاعلات كيميائية تؤدي في النهاية الى نضوب الاوزون وقد يستمر هذا الحال لسنوات عديدة وقدر تقرير الاكاديمية الوطنية للعلوم في عام ١٩٧٥ ان الاحتراق الناتج عن تفجير عشرة آلاف ميجاتون في نصف الكرة الشمالي قد يؤدي الى نقص الاوزون بنسبة عالية تصل الى ٧٠٪ ويمتد الى نصف الكرة الجنوبي أيضا ولكن بنسبة أقل قد تصل الى ٤٠٪ ، وقد يحتاج الأمر الى فترة زمنية لا تقل عن ثلاثين عاما لكي يعود الاوزون الى منسوبه الطبيعي مرة اخرى

ان طبقة الاوزون التي تحيط بالكرة الارضية ذات اهمية حيوية بالنسبة للحياة على الارض ، لأنها تحمي سطح الأرض من المستويات المميتة المهلكة للاشعاعات فوق البنفسجية ، ولولا عملية الامتصاص التي يقوم بها الاوزون لجانب كبير من الاشعاعات فوق البنفسجية المنبثقة من الشمس ، لما أمكن وجود الحياة كما نراها الآن ، الا في المحيطات ، فبغير هذا الدرع ـ الاوزون ـ وهو شكل من اشكال الاوكسجين لتحولت اشعة الشمس من « مانحة للحياة » الى « مدمرة للحياة »!

ما القضية ؟

والسؤال الاول الذي يطرحه جوناثان وهو يمضي بنا في حديثه عن المصير الذي ينتظر الارض ، ونحن نحكم على الآثار الناجمة عن الاحتراق النووي ، لا يكمن عنده في تحديد عدد الذين تعرضوا للاشعاعات الذرية او الذين احترقوا او سحقهم اللهب حتى الموت نتيجة للآثار المباشرة للانفجار النووي ، ولكن السؤال هو عن مدى صمود الطبقة الحامية للارض والتي تعتمد كل انواع الحياة عليها في وجودها واستمرارها فالقضية اذن هي قضية صلاحية الارض للحياة

في هذا الاطار ينبثق السؤال عن بقاء البشرية واستمرارها وليس الاطار ابدا المذبحة التي سيروح ضحيتها مئات الملايين من البشر نتيجة للآثار المحلية للانفجار

واذا وقع هجوم نووي واسع النطاق على الولايات المتحدة الامريكية ، فسوف يحدث دمار شامل للبيئة الطبيعية على نطاق لم يعرف له مثيل منذ العصور الجيولوجية الاولى ، وتتحول امريكا الى جمهورية للحشرات والاعشاب !

وبالرغم من انه قد يبدو من غير المناسب ان نتحدث عن « الحضارة » بنفس الروح التي نتحدث بها عن موت مئات الملايين من البشر ، الا أنه لابد من الاشارة على الاقل الى انه في حالة حدوث حريق نووي على نطاق واسع في نصف الكرة الشمالي ، فسوف تنتهي حضارة اوروبا

والصين واليابان وروسيا وامريكا ، وستزول تماما عن سطح الارض .

الانسان والطبيعة

واذا نظرنا الى الموضوع ككل وجدنا ان ازدياد قوة الانسان قد أدت الى تغيير حاسم في جوانب عديدة في ميزان القوة بين الانسان والارض فالطبيعة التي كانت في يوم ما سيدا قاسيا مثيرا للخوف ترقد الآن مرقد الخنوع ، في حاجة الى الحماية من قوة الانسان !!

وقد أدت الزيادة المستمرة في سيادة الانسان على الطبيعة ، الامر الذي يعتبر حدثا على هذا الكوكب ، أدت بدورها الى زيادة مطلقة وبغير قيود لقوة الموت على الارض ، واصبحت قدرة الكائن الحي على تجديد نفسه خلال فترة حياته ثم قدرته على التكاثر يعتمدان على تكامل ما يسميه البيولوجيون ، او المشتغلون بعلم الاحياء « المعلومات » المخزونة في جينات هذا الكائن الحي ما الذي سيبقى ويحتمل وما الذي سيعيش في اي كائن حي ؟ انه تلك المجموعة المرتبة من الخلايا التي تمليها « المعلومات » الوراثية ، وليست مجموعة بذاتها من هذه الخلايا

ان الحريق النووي ، نتيجة لهذا التزامل الفريد الذي يتميز به من حيث ضخامته وحدوثه المفاجىء ، هو خطر لا يعادله اي خطر آخر ، ولكن ـ مع هذا وفي ذات الوقت ـ يعتبر احد الاخطار الكثيرة والتي لا يمكن حصرها ، وهي من انتاج المؤسسة البشرية التي تزايدت قوتها بفضل العلم ، واصبحت هذه الاخطار تهدد العالم الطبيعي إن الجنس البشري قد اصبح في نفس الشبكة المحكمة التي تمثل النجاح التقني الذي خنق الكثير من الأحياء الاخرى !

قوارض تسعى !

ويمضي جوناثان في كتابه . هناك حالة واحدة قد يمكن معها تكوين فكرة عن حياة ومنجزات الجنس البشري ، ولكن هنا بطبيعة الحال ، لن يكون هناك انسان واحد على قيد الحياة لكي يكون هذه الفكرة . وللتسجيل نستطيع القول بانه خلال الـ ٣٦ عاما من الحياة في هذا العالم المسلح بالقنابل النووية اصبحنا في عداد الموتى وسط الخطر

المظاهرات ضد الاسلحة النووية في اوروبا . . يسقط كل الاستعمار الامريكي والروسي والفرنسي .
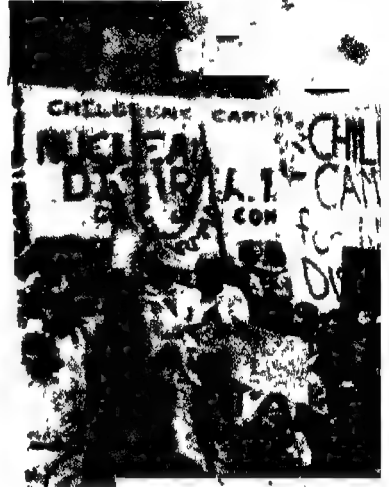
النووي . إن كل فرد منا يعترف بصورة أو بأخرى بان هذا الخطر قائم ، ولكن هذا الادراك لم يسفر عن أية نتائج تعبر عنها مشاعرنا او اعمالنا ، بينما تمضي الدول الكبرى في تعزيز اسلحتها النووية « تماما كما لو كنا تحت تأثير عملية تنويم مغناطيسي او اناس يحلمون او قوارض تسعى في اتجاه البحر » على حد تعبير جورج كينان

اهتمام بلا جذور

ربما لفترة قصيرة قبل انتاج اول قنبلة نووية ، وبعدها ، بدا نفر قليل من الرجال في القمة وقريبا منها في الحكومة الامريكية ، على استعداد لمعالجة المأزق النووي بالعمق الذي يستأهله وكان احد هؤلاء هو وزير الحرب الأمريكي هنري ستيمسون الذي كان يعلم « بمشروع مانهاتن » وفي شهر مارس من عام ١٩٤٥ وقبل اربعة أشهر من تجربة القنبلة الذرية الاولى في صحراء ترينتي في نيومكسيكو ، جلس يحكي ليومياته تفاصيل الحديث الذي دار بينه وبين مساعده المقرب هارفي بندي عن هذا السلاح الجديد كتب يقول . « ذهبت افكارنا الى قاع الحقائق المتصلة بالطبيعة الانسانية والاخلاقيات والحكومات وكانت المناقشة بكل المقاييس أكثر الاعمال التي قمت بها بحثا واستقصاء واهمية ، منذ ان جئت الى هذا المكتب كوزير للحرب ، لأنها مست مسائل أكثر عمقا حتى من مبادىء الحكومة الحالية !

ولكن هذه الافكار العميقة ، لم تتخذ لها جذورا قوية بحيث يمكن ان تبقى في قلوب الزعماء الأمريكيين او زعماء العالم الواسع من حولهم ، ومن ثم ما لبثت اساليب التفكير القديم ان عادت ، ولكن في أشكال حقائق جديدة . لقد استطاعوا ان يلمحوا الأبعاد الحقيقية للخطر النووي ودلالة هذا الخطر بالنسبة للجنس البشري ، ولكن هذا الادراك ما لبث ان توارى وعادت المتطلبات العادية للحياة السياسية الدولية بما في ذلك الحرب الباردة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي تثير انفعالات وقدرات الشعوب .

وهكذا بدأت الحياة الغريبة المزدوجة للعالم الذي استمر حتى وقتنا هذا ! من ناحية وجدنا انفسنا نعود الى اعمالنا كالمعتاد ، كما لو كان كل شيء يسير على ما كان عليه ومن ناحية اخرى بدأنا في حشد المخزون من الاسلحة النووية التي تستطيع ان تنسف هذا الوجود الذي افترضنا انه لم يتغير ، وتقذف به الى السماء في اية لحظة

الخطر النووي ينمو

ان الابقاء على هذا الانفصال او « الطلاق » يشكل موقفا عصيبا من الناحية السيكولوجية ففي الوقت الذي طردنا فيه مأساة هيروشيما وناجازاكي من اذهاننا ، احد الخطر النووي ينمو بصورة باتت تهدد بزوال كل شيء موجود ، ومع هذا فهو لم يمس اي شيء من الناحية المادية واصبح الناس احرارا في ألا يشغلوا انفسهم بالتفكير في هذا الخطر ، اذا كانت هذه رغبتهم !

ما أشبه القنبلة النووية بجلاد يحمل قلبا طيبا ، انه يسمح لضحاياه المرشحين للموت بالمضي في حياتهم بصورة طبيعية في ظاهرها الى ان يأتي اليوم الذي ينفذ فيه حكم الاعدام فجأة وبلا انذار ولو ان قنبلة نووية واحدة فجرت في احدى مدن العالم مرة كل عام لاستطعنا ان نتصور كيف سيكون التغيير الذي يطرأ على موقف الرأي العام تجاه الخطر النووي

ويمضي المؤلف إن استمرارية الفصل بين عالم ما قبل القنبلة النووية وعالم القنبلة النووية ، مهما كان وهما ، والذي ساعدت تلك السنوات التي انقضت دون استخدام الاسلحة النووية على رسم الخط الفاصل بين العالمين كان من الاهمية بالنسبة للاحتفاظ بموقف استبعاد هذا الخطر عالميا لانه يتيح الفرصة للمضي في حياة طبيعية رغم ما يحتويها من زيف ، ولو ان هذه الحياة « الطبيعية » كانت في بعض الاحيان تحتضن هاجسا يقف على حافة القلق الهستيري ! ان منظر الحياة وهي تسير كالمعتاد تحمل معها افتراضا قويا بان الخطر ليس كبيرا .

الجنون الذي أعنيه

اننا لا يمكن ان نرى الخطر الا اذا حولنا انظارنا عن كل مظاهر الحياة العادية المزعومة التي نراها امامنا ، ونظرنا الى سيف الجلاد المسلط على رقاب كل فرد منا عندئذ فقط نكتشف ان الحياة الطبيعية هي في واقع الأمر جنون جماعي . . وهو جنون لا يتميز بالصراخ والثورة ، ولكنه واضح بالتحديد لاننا لا نصرخ ولا نثور في وجه هذا الخطر الساحق ، كما لو كنا جميعا واقعين تحت تأثير مخدر ، وهذا هو الجنون الذي أعنيه تماما كما يحدث لنا ونحن نحلم ، فنحن الذين نؤلف ونحن الذين نعاني من مصائرنا ولذلك فاننا عندما نخفي عن انفسنا الاستعدادات الهائلة التي قمنا بها لافناء انفسنا ، انما نفعل ذلك لسببين فرضا علينا فرضا . السبب الاول اننا لا نريد ان نعترف بان حياتنا قد تؤخذ منا في اية لحظة ، وان عالمنا الذي نعيش فيه سوف يدمر ويتحول الى تراب

والسبب الثاني اننا لا نريد ان نواجه الحقيقة وهي اننا يمكن ان نتحول الى قتلة بالجملة !

الغاء الحياة

ومنذ سقراط ، كان يقال دائما ان الهدفين الاساسيين لاي نظام سياسي هما ، (اولا) ضمان الحياة لكل افراد المجتمع ، اي حماية الارواح ، (وثانيا) منحهم الفرصة لتحقيق ذاتهم في المجتمع ، اي تمكينهم من العيش عيشة كريمة ونبيلة وخطر ابادة انفسنا بايدينا يلغي هذين الهدفين ويترك سياسة العصر في موقف يبعث على السخرية الا وهو الفشل في التصويب على الاهداف الرئيسية التي طالما كانت مبررا تقليديا لوجود هذه السياسة فاذا كان اقتصادنا قادرا على توفير كميات هائلة من الاواني المصبة والاكواب وأغطية المائدة ولكن بدون غذاء ، فسوف تثور الشعوب وتطالب بتغيير نظام الحكم

كذلك النظام السياسي العالمي الذي يهدف الآن الى توفير بعض مايحتاج اليه الانسان في حياته ، ولكنه يفشل في رفع اصبع واحدة لانقاذ الحياة ذاتها هذا النظام في حاجة ماسة الى نظام آخر بديل .

فالشعوب لا تستطيع ان تضع ثقتها طويلا في مؤسسات ليست قادرة حتى على مجرد الاعتراف بالمتطلبات العاجلة للجنس البشري كله ، ومن اجل هذا فليس مستغربا ان نرى عدد هؤلاء الذين ينظرون بازدراء الى المشتغلين بالسياسة في ازدياد مستمر يوما بعد يوم ، ولو انهم قد لا يدركون على وجه التحديد لماذا يتخذون منهم هذا الموقف

الحياة قبل كل شيء

ان خطر الابادة يستحوذ على اهتمامنا باسلوب جديد على اساس حقيقة بسيطة وجوهرية وهي انه قبل ان يكون هناك خير او شر ، نفع أو أذى ، أحزان أو أفراح ، لابد من وجود حياة اولا

وفي محاولتنا التوصل الى نوع من التفاهم او التعايش مع خطر الابادة الذي يتهددنا ، لابد وان تكون اولى رغباتنا هي ان يولد الناس من أجل انفسهم ، لا من أجل اي سبب آخر اما فيما عدا ذلك ، كرغبتنا في خدمة الأجيال المقبلة عن طريق اعداد عالم لائق بهم يعيشون فيه ، ورغبتنا كذلك في توفير حياة كريمة لانفسنا في عالم مشترك نضمن سلامته بفضل تأمين سلامة الاجيال المقبلة ، فهي رغبات تنبع من هذا الالتزام ، وهو ان الحياة تأتي اولا ، وكل ما عدا هذا امور ثانوية

واول مبادىء الحياة في هذا العالم الجديد المشترك ، هو احترام الانسان المولود او الذي لم يولد بعد ، وهو احترام قائم على اساس حبنا المشترك للحياة وعلى الخطر المحدق بنا جميعا نتيجة لقوانا المدمرة ونزعاتنا ، وهذا الاحترام سوف ينبثق من الامتنان الذي سيشعر به كل جيل للجيل الذي سبقه لانه اتاح له فرصة الحياة وكل جيل من هذه الاجيال سوف ينظر الى نفسه كما لو كان وفدا تم اختياره من قبل جمعية من كل الأموات وكل الذين لم يولدوا بعد لكي يمثلوهم في الحياة وهكذا سينظر الاحياء الى هبة الحياة نظرة المندوب السياسي الى انتخابه للمنصب الذي يشغله ، فهو يمثل املا مؤقتا من أجل الخير المشترك

ظلام أبدي

حتى قوتنا المدمرة من الصعب ان نقول انها ملكنا ، فهي من الممتلكات الاساسية للمادة ، والطاقة النووية من صنع الطبيعة ، ولم نفعل أكثر من اكتشافها اما الذي نمتلكه حقيقة فهو المعرفة التي مكنتنا من استغلال هذه الطاقة . واما فيما يتعلق بالخلق فما زالت الاشياء قائمة كما قامت دائما . ولكن مع مزيد من القوى البشرية التي انجزت المعجزة والتي يجني البشر ثمارها

ثم يصل المؤلف الى الدور الذي يجب ان نقوم به بعد هذا كله يقول « ان دورنا المتواضع ليس في خلق انفسنا ولكن في الاحتفاظ بانفسنا ، لأن البديل هو الاستسلام للظلام الشامل الابدي وهو ظلام لن تبقى فيه أمة ، ولا مجتمع ولا ايديولوجية ، ولا حضارة . لا شيء اطلاقا . ظلام لن يظهر فيه الجنس البشري مرة اخرى على سطح الارض ولن تجد معه انسانا واحدا يذكر انه كان هناك بشر على الارض ■■

■ لا تصدق أن الدهر يرمقك أو يخفضك فمصيرك بين يديك .

■ لا تتكل على الاماني فهي بضائع الموتى .

■ إذا شئت أن تعيش في دعة فكن حليما .

مسابقة العدد

■ مسابقة هذا العدد هي (الكلمات المتقاطعة) والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحة العدد بقطعها منه اما المنشور في أسفل الصفحة المقابلة ، فمن الضروري ان يرفق بالاجابة حتى تفوز بواحدة من الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار تمنح على الوجه الآتي .

الجائزة الاولى قيمتها ٣٠ دينارا ـ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا ـ الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير .

ترسل الاجابات على العنوان التالي مجلة العربي ـ صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ٢٨٦ » وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو أول نوفمبر (١٩٨٢)

اثنتان في واحدة

• اذا استطعت حل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، ستجد في (٨) أفقيا اسم قائد وأديب وشاعر عباسي . كما ستجد في (٨) رأسيا اسم شاعر أندلسي

كلمات أفقية :

(١) آلة فلكية عربية قديمة ـ نهر آسيوي
(٢) سفينة نيلسون التى هاجم بها اسطول نابليون في مصر ـ أوحيا .
(٣) دق ـ رتبة في الجيش ـ دولة آسيوية
(٤) ضعفت ـ في الذرة ـ هروب .
(٥) الصوت القوى ـ حرفان متشابهان ـ في الوردة ـ يحصى
(٦) وحدة قياس أطوال ـ حرف نصب ـ قطر عربي .
(٧) تثير الاشمئزاز ـ مدينة مقدسة ـ لمع
(٨) قائد وأديب وشاعر عباسي
(٩) من مستخرجات الالبان ـ مشاركة ـ من أنواع الطائرات
(١٠) ساعدته ـ يابس ـ نصف كلمة (تعيد)

(١١) من وسائل العلاج القديم ـ مقام موسيقى ـ من معالم القارة الافريقية .

(١٢) أول البشر ـ سهل ـ تخيمانه

(١٣) عطر عربي ـ الاسم الاول لزعيم عربي ـ حواهر

(١٤) تدرب ـ نصف كلمة (سائد) ـ نظير ـ تحاشى

(١٥) نهى ـ من أجزاء الذراع

كلمات رأسية :

(١) آلهة الجمال الافريقية ـ عاصمة آسيوية

(٢) عاصمة بورتوريكو ـ قصى ـ حرف جر

(٣) وحدة أوزان ـ درجة النعيم الأبدي عند البراهمة ـ عملة أوربية

(٤) عادت ـ طريق ـ نظير ـ يجمعنا
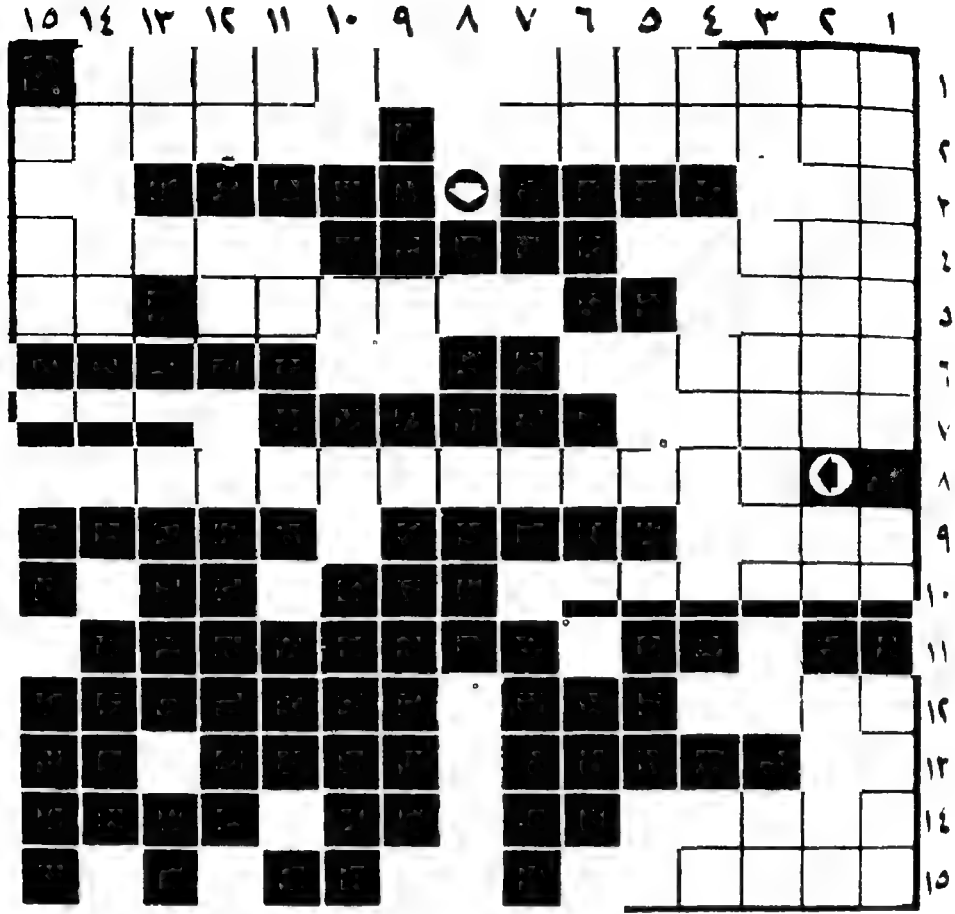
(٥) حرف أبجدى ـ حرفان متشابهان ـ قبائل أفريقية في الكونغو

(٦) للجلوس ـ أخفيه ـ من الحواس

(٧) أضاعه ـ لفظ الجلالة ـ من الحيوانات

(٨) شاعر أندلسي

(٩) بحيرة عند منابع النيل ـ شاعر فرنسي شهير من القرن التاسع عشر

(١٠) ثقل ـ نصف كلمة (سبيل) ـ عالم كهرباء شهير

(١١) رفع الصوت بالدعاء ـ اللهو ـ تجدها في كلمة (سعال)

(١٢) شخصية دينية ـ مخترع الطباعة .

(١٣) نصف يوم ـ دولة أمريكية ـ حرفان متشابهان

(١٤) كثير ـ القسم ـ عاصمة أوربية

(١٥) عاصمة عربية ـ من الأقارب ـ فرت

حول الدائرة السوداء

صع الكلمات دات الحروف الاربعة ، والتي بعطيك معابيها ، في أماكنها وفقا للارقام
يساعدك وحود الحرف الثاني من كل كلمة   ستحد حول الدائرة السوداء اسم
عالم طبيعي وحعراق ألماي من القرن التاسع عشر

(١) رحا (٢) معلم (٣) ريب (٤) حين (٥) أمصار (٦) فلك (٧) يؤحل (٨) يطهر (٩) حلاعه
(١٠) كبيرة في السن (١١) أشرع (١٢) صحيح (١٣) دان (١٤) أحرى (١٥) سرر (١٦) ساكت
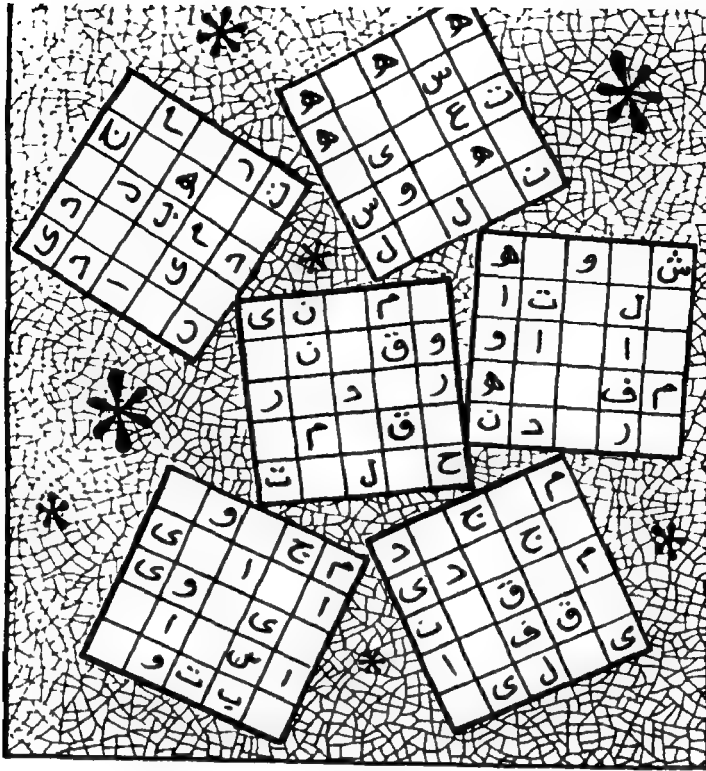
العواصم

أمامك ستة مربعات ذات اطارات حارجية سميكة . في كل مربع من هذه المربعات خمس كلمات ذات خمسة حروف ، ينقصها جميعا نفس الحرف اجمع الحروف الناقصة في المربعات الستة ، ورتبها لتحصل على اسم عاصمة عالمية .

مثل عربي :

أمامك مثل عربي ، يرمز لكل حرف من حروفه أحد الرسوم ، بحيث يمثل الحرف الواحد نفس الرسم دائما . على سبيل المساعدة نعطيك بعض الحروف من كلمات المثل في مواضعها . هل يمكنك الوصول الى المثل المطلوب اذا عرفت أنه يضرب :

لسأم الناس من الشيء السهل المتوفر

حلول

العواصم : ‏

حول الدائرة السوداء : ‏

مثل عربي : ‏

المجلة العربية للعلوم الإنسانية

مجلة فصلية محكمة ، تقدم البحوث الاصيلة والدراسات الميدانية والتطبيقية في شتى فروع العلوم الانسانية والاجتماعية باللغتين العربية والانجليزية

تصدر عن جامعة الكويت

صدر العدد الأول في يناير ١٩٨١

رئيس التحرير د. عبدالله العتيبي

مدير التحرير عبدالعزيز السيد

- تتناول المجلة الجوانب المختلفة للعلوم الانسانية والاجتماعية بما يخدم القارىء والمثقف والمتخصص
- تعالج موضوعات المجلة الميادين التالية

اللغويات النظرية والتطبيقية - الآداب والآداب المقارنة - الدراسات الفلسفية الدراسات الفنية الدراسات الاجتماعية المتصلة بالعلوم الانسانية - الدراسات التاريخية - الدراسات الجغرافية - الدراسات التربوية الدراسات حول الفنون (الموسيقى - التراث الشعبي - الفنون التشكيلية - النحت الخ) - الدراسات الاثارية (الاركيولوجية)

- تقدم المجلة معالجاتها من خلال نشر

البحوث والدراسات مراجعات الكتب التقارير العلمية المناقشات الفكرية

- مواعيد صدور المجلة كانون ثاني نيسان تموز تشرين أول
- تنشر المجلة ملخصات للبحوث العربية بالانجليزية ، وملخصات بالعربية للبحوث الانجليزية

ثمن العدد للأفراد ٤٠٠ فلس
للطلاب ٢٠٠ فلس

الاشتراكات السنوية

	داخل الكويت	في الخارج
للمؤسسات	١٠ د ك	٤٠ دولاراً أمريكيا
للأفراد	٢ د ك	١٥ دولاراً أمريكيا
للاساتذة والطلاب	١ د ك	١٠ دولارات أمريكية

- تقبل الاشتراكات في المجلة لمدة سنة أو عدة سنوات
- قواعد النشر تطلب من رئيس التحرير
- جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير —

ص ب ٢٦٥٨٥ (الصفاة)

الكويت الشويخ - ت ٨٢١٦٣٩ - ٨١٧٦٨٩ - ٨١٥٤٥٣

استثمارات

منذ زمن طويل ونحن نقوم باستثمار الأموال في اسواق المواد الأولية، وهناك الكثيرون من زبائننا العرب الراضين تماما عن استثمار اموالهم لدينا

نصيحتنا اليكم اليوم بتفويضنا بافتتاح رصيد شخصي لكم وقيامنا بادارة واستثمار اموال الرصيد الشخصي هذا لصالحكم

مبلغ الاستثمار الادنى ٢ دولار اميركي

اليكم مثالا عن أفضل نتيجة استثمار حققناها في العامين الماضيين لصالح احد زبائننا

قيمة الاستثمار ٢٦٢١١,٧٢ دولاراً أميركياً وبعد مدة شهر واحد من قيامنا باستثمار هذا المبلغ وصلت قيمته الى ١٢١٨٦٢,٩٢ دولاراً أميركياً أي بربح صاف قيمته ٩٥٦٥١,٢٠ دولاراً أميركياً أو بنسبة ٤٦٤,٩٢ بالمائة

لهذه الاستثمارات طابع المضاربة بأسعار المواد الأولية لدى البورصات العالمية المتعاملة بها. ولذا فإن نسبة الأرباح المحققة لا تعتبر ثابتة وانما متحركة لان قيمة الأرباح المحققة أو الخسائر المتوقعة خاضعة لتطور أسعار هذه المواد الأولية

للمزيد من المعلومات اكتبوا الينا على عنواننا المذكور ادناه ويسرنا ان نرسل اليكم المزيد من المعلومات باللغة العربية والانكليزية (طبعا يمكنكم الكتابة الينا بالعربية)

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

سبتمبر
١٩٨٢م

البيروقراطية النفطية ومعضلة التنمية

مدخل الى دراسة ادارة التنمية فى دول الجزيرة العربية المنتجة للنفط

تأليف :
الدكتور أسامة عبد الرحمن

الكتاب السابع والخمسون

المراسلات :
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص.ب ٢٣٩٩٦ الكويت

مِنَ المسرح العالمي

وزارة الإعلام في الكويت

أول سبتمبر ١٩٨٢

١٥٦

النمر والحصان

تأليف : روبرت بولت
ترجمة : الشريف خاطر
مراجعة وتقديم : د. علي أحمد محمود

مجلة

دراسات الخليج والجزيرة العربية

تصدر عن جامعة الكويت

رئيس التحرير
الدكتور عبد الله الغنيم

صدر العدد الاول في كانون ثاني (يناير) ١٩٧٥
تصل اعدادها الى ايدي نحو ۰۰۰ر۱۲۵ قارئ

يحتوي كل عدد على حوالى ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير تشتمل على -

مجموعة من الأبحاث تعالج الشئون المختلفة للمنطقة باقلام عدد من كبار الكتاب المتخصصين في هذه الشـ
عدد من المراجعات لطائفة من أهم الكتب التي تبحث في المناحي المختلفة للمنطقة
ابواب ثابتة تقارير وثائق - يوميات ببليوجرافيا
ملخصات للابحاث باللغة الانجليزية

ثمن العدد ٠ فلس كويتي او ما يعادلها في الخارج
الاشتراكات للافراد سنويا دينار كويتيان في الكويت ، ١٥ دولارا أمريكيا في الخارج (بالبريد الجوي)

للشركات والمؤسسات والدوائر الرسمية ١٢ دينارا كويتيا في الكويت ، ٤٠ دولارا امريكيا في الخارج (بالبريد الجوي)

منشورات المجلة

تصدر المجلة ايضا دراسات مستقلة متعلقة بشئون المنطقة صدر منها

١ - كتاب التكامل الاقتصادي في الخليج العربي (د محمد هشام خواجكية) ١٩٧٩
٢ - كتاب آفاق التنمية الصناعية في دول الخليج العربي (د عبد الاله ابو عياش) ١٩٧٩
٣ - كتاب حقوق الطفل في دولة الكويت (د بدرية العوضي) ١٩٧٩
٤ - كتاب الاحصاءات الاقتصادية في المملكة العربية السعودية (بدوي خليل) ١٩٨٠
٥ - دور جريدة فتاة الجزيرة في أحداث عام ١٩٤٨ بصنعاء (سلطان ناجي) ١٩٨٠

سلسلة وثائق الخليج والجزيرة العربية لعام صدر منها
الكتاب الاول وثائق الخليج والجزيرة العربية لعام ١٩٧٧ ١٩٧٩

العنوان جامعة الكويت - كلية الآداب والتربية - الشويخ - دولة الكويت
ص ب ١٧٠٧٣ - الخالدية
الهاتف ٨١٦٨٠٧ - ٨١٦٧٩٩ - ٨١٦٨٢

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير

VH-1100EG/PEG
غسالات كهربائية
VCP-700S
مكانس كهربائية
VC-777
VC-747R
VC-222J

Toshiba
TOSHIBA
توشيبا
JAPAN
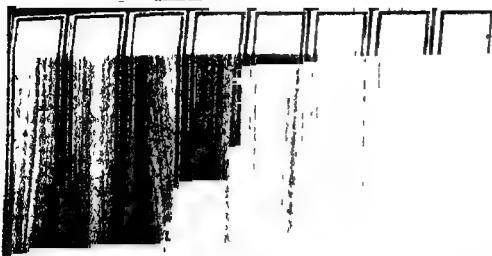
العربي

سينما...

البقاء.. أم الانتحار؟

أعمال ٣ فنانات كويتيات

فيشر
FISHER
The first name in high fidelity
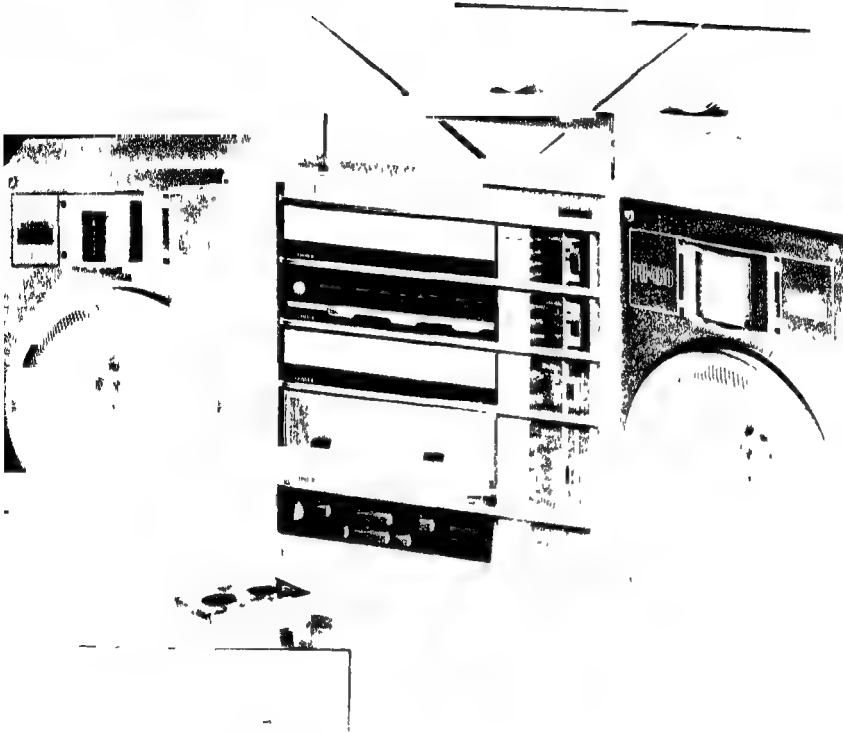
عزيزي القارئ

لا نظن أن أمتنا العربية عاشت عيدا محللا بالحزن المر مثل هدا العيد الدي عشناه قبل أيام ففي حين كان الحجيج يكبرون ، ويسعون ثم ينحرون الأضاحي ، وفي حين كانت الأمة الاسلامية من أقصاها الى أقصاها تتبادل كلمات التهنئة بعيد الأضحى المبارك ، كان الانكسار يعم الجميع ، وكان الشعور الكاسح بالاحباط والمهانة يجتاح الأعماق ، ويكاد يدفع بأمتنا الى هوة اليأس والقنوط

في الوقت داته ، كانت الجماهير العربية اللبنانية والفلسطينية تعيش المأساة بالكامل ، بشقيها المادي والمعنوي الآلاف من الفلسطينيين واللبنانيين كانوا في العراء ، بلا مأوى ولا مأكل ولا مشرب ، غير آلاف آخرين في سجون العدو ، انتزعوا انتزاعا أثناء الغزو الاسرائيلي للبنان ، بينما كانوا يدافعون عن النفس والوطن ، والأمل والشرف العربيين

وكانت بعثة العربي هناك في بيروت ، تنقل الصورة من ركام الواقع وأفواه المحرونين وتسجل معالم تلك الصفحة المجيدة التي خطها على جبين التاريخ ، المناضلون الفلسطينيون واللبنانيون عاشت بعثة العربي تلك اللحظات التي كان فيها الموت يعشعش في كل شارع وكل بيت ، ويلاحق كل كائن بصرف النظر عن هويته أو جنسه أو عمره ، أو علاقته بما يجري اد يكفي أن يكون إنسانا ليصبح هدفا لقذيفة أو قنبلة فوسفورية

ورغم أن الحدث تكملت بتغطيته وسائل إعلامية عديدة ، عربية وعربية الا أنه لم يكن مقبولا من جانبنا أن تظل العربي بعيدة عما يجري ، حتى ادا كانت الرحلة مغامرة غير مأمونة ، وحتى ادا اضطرتنا ظروف الطباعة المبكرة التي درجت عليها المجلات الثقافية الشهرية ، لأن نقدم استطلاعنا في عدد أول نوفمبر المقبل

في العدد القادم تقدم بعثة العربي مشاهدتها ـ للقارىء وللتاريخ ، ،

وكل سنة وأنتم طيبون ، ،

المحرر

صورة الغلاف

● تشهد الكويت حركة فنية ، امتدت لتشمل انتاجا يثير الانتباه لعديد من الفنانات في هذا العدد استطلاع مع ثلاث من فنانات الكويت يعكس جانبا مشرقا من تلك النهضة الفنية ـ انظر الصفحات (١٢٠ ـ ١٣٠)

قضايا عامة

عروبة واسلام

طب وعلوم

ادب وفنون

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

رئيس التحرير: الدكتور محمد الرميحي

مدير التحرير: فهمي هويدي

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت للعالم العربي وكل قارىء للعربية في العالم.

ثمن العدد بالكويت ٢٠٠ فلس ، السعودية ٤ ريالات ، العراق ٢٠٠ فلس ، الأردن ٢٠٠ فلس ، سوريا ٢٠٠ قرش ، لبنان ٢٠٠ قرش ، مصر ١٥٠ مليما ، السودان ١٥٠ مليما ، المغرب ٣ دراهم ، تونس ٣٥٠ مليما ، الجزائر ٣ دنانير ، البحرين ٣٠٠ فلس ، قطر ٤ ريالات ، الامارات العربية المتحدة ٤ دراهم ، اليمن الشمالي ٣ ريالات ، اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلسا ، ليبيا ٢٥٠ درهما .

الاعلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراسلات : باسم رئيس التحرير

عنوان المجلة بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٧٧١٤٦ ـ ٤٦٨٢٤٢

تلغرافيا « العربي »

الاشتراكات

ترسل الطلبات الى :

قسم الاشتراكات
المكتب الفني ـ وزارة الاعلام
ص .ب (١٩٣) ـ دولة الكويت

على طالب الاشتراك تحويل قيمة الاشتراك بموجب حوالة مصرفية أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام ، طبقا لما يلي :

فلس دينار

ـ الكويت والبلاد العربية ٢/٥٠٠ (ديناران ونصف)
ـ بلاد غير عربية ٣/٥٠٠ (ثلاثة دنانير ونصف)

AL - ARABI, NO 287 OCTOBER, 1982 .
P.O.Box 748 - KUWAIT

حديث الشهر

الواقع العربي

عشرون ألف قتيل وثلاثون ألف جريح ، خمسون ألف مواطن عربي ذهبوا ضحية الاعتداء الاسرائيلي الأخير على لبنان . وهذه الأرقام كما أوردتها أكثر الوكالات العالمية تحفظاً ـ تسير في ركاب قائمة أخرى طويلة من الشهداء الذين قضوا من خلال الصراع العربي الاسرائيلي في البضع والثلاثين سنة الماضية .

هذا ـ بجانب الدمار البشري والاقتصادي والاجتماعي الذي كان وقودا لهذا الصراع الطويل ، وعدم الاستقرار السياسي الذي أصبح مزمنا في هذا الجزء من العالم . يتزامن مع هذا الصراع تفجر ثروة عربية ضخمة من جراء استخراج النفط ، هي فرصة لا تتكرر من أجل تنمية حقيقية يخطو بها الشعب العربي من جانب التخلف الى جانب التنمية المعتمدة على الذات .

ومن أجل وضع الامور في نصابها فان تجاهل ما حدث في لبنان وتجاهل جذوره الأساسية ، والأسباب التي أدت اليه هو قفز على الواقع ، ونظر الى الخلف بدلاً من النظر الى الأمام ، ومعايشة الواقع والحديث عنه هو المستحب بل المطلوب .

ومحاذير ... مستقبلا

بقلم : الدكتور محمد الرميحي

نواقيس الخطر تدق منذ زمن

ان فداحة ما حصل في لبنان أخيرا تذكرنا بفداحة القضية نفسها ، وفداحة تجاهل الاسباب الحقيقية لهذه الكارثة في كل هذه الفترة الطويلة .

وبما أننا لسنا في مقام مواعظ تكرر ، ولا نيات تكتشف ، وكذلك ابتعادا عن الرجم بالغيب ـ علينا أن ننظر الى الواقع القائم اليوم على الساحة العربية من خلال بعض ما كتب في أوقات سابقة ـ وهذه الكتابات السابقة ليست في العقد الماضي أو الذي قبله ولكنها كتابات عربية ، كتبها عرب وأجانب في العقدين الرابع والخامس من هذا القرن ، والحديث عنها اليوم هو مجرد تثبيت لنقاط جوهرية ـ ثبتت لكل العقلاء العرب ـ ولكن بعضهم ما يزال غير مصدق لها فيما يبدو . . وهناك ثلاثة كتيبات ، أولها تحت عنوان « عبرة فلسطين » لكاتب فلسطيني هو موسى العلمي صدر في أواخر الاربعينات يقول فيه باختصار :

ان اسرائيل خطر داهم على الوجود العربي ، وما لم يستيقظ العالم العربي

بسرعة ويتحصن بالقوة السياسية والعسكرية والاقتصادية ، فـان العدوان اليهودي سيبتلعه دون ريب » .

كلمات موسى العلمي بسيطة ليس فيها تعقيدات ، وربما تبـدو للوهلة الاولى عامة ولكنها تتضمن برنامجا واضحا هو قوة العرب مجتمعين

ثم يأتي كاتب فلسطيني آخر لينشر في منتصف الخمسينات كتيبا صغيرا ـ اختار له عنوانا صحفيا مثيرا هو « ديناميت في الشرق الاوسط » والكاتب هو « خليل طوطح » من أسرة فلسطينية ، سجن وهاجر الى الولايات المتحدة ثم عاد لينظر في أمور وطنه ، عندها كتب خليل طوطح في مقدمة كتيبه الصغير اقتناعاته ، فقال ·

« ان السياسة الأمريكية في البلدان العربية ترمي الى جعل اسرائيل أمرا واقعا ، والى اقناع العرب بمحو فلسطين ، بنسيانها وبتوزيع المليون لاجىء عربي ـ وقتئذ ـ على الدول العربية وبعقد معاهدة صلح مع اسرائيل »

ويصل الكاتب في كتيبه الصغير ذاك الى نبوءة وكأنه يقرأ الـواقع الـذي سوف يصل اليه الوضع العربي بعد ما كتبه بربـع قرن فيقـول في موضـع آخر

(. . . والمتشائمون يعلنون ان اسرائيل لا بد من أن تتحرك وتستولي على ما بقي للعرب من فلسطين فأنا لم ألق أحدا يؤمن بأن العرب سيستردون ما فقدوه في المستقبل القريب على الأقل . . والعرب يقولون انه من المستحيل ـ حتى في المنام ـ أن يقاتلوا اسرائيل وأمريكا من ورائها)

ولو قدر للكاتب أن يشهد حوادث الأمس القريب فماذا كان يقول عنها ؟

خطة اسرائيلية . . . قديمة جديدة

ويعود البرنامج المضاد للتوسع الاسرائيلي ليطرق سمعنا من جديد هذه المرة في نهاية الخمسينات ، وهذه المرة أيضا في كتيب صغير وضعه الكاتب الهندي المعروف ر . ك . كارنجيا . وسماه « خنجر اسرائيل ! »
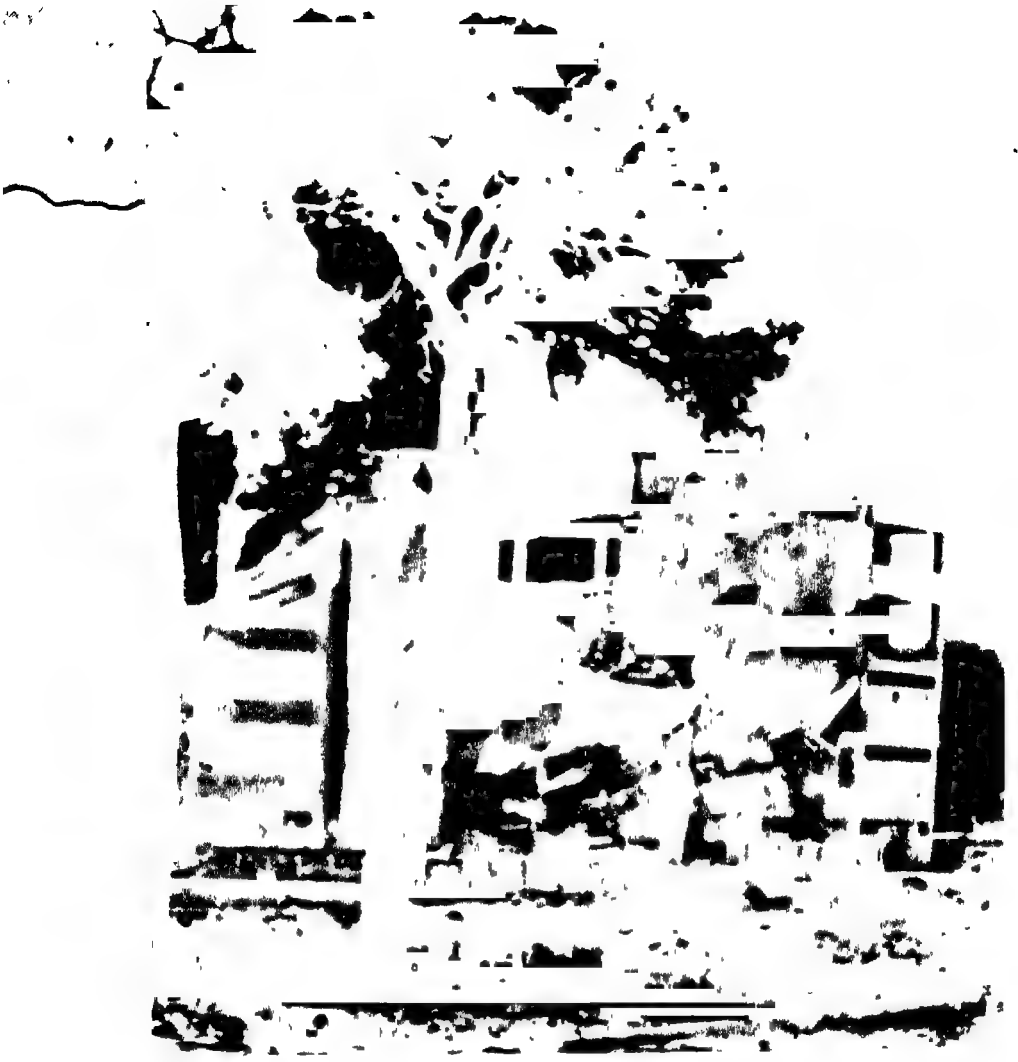
في مقدمة كتابه ذاك يضع كارنجيا باختصار شديد برنامج الوقوف أمام التوسع الصهيوني بقوله ·

« ان الأهم في نظري أن يحل العرب مسألة تضامنهم ودفاعهم المشترك ، فهي أهم مشكلة تستوجب نجاتهم حلها ، حتى يستطيعوا الوقوف في وجه الخطر المشترك المحدق بالأرض العربية »

ويستعرض كارنجيا في كتابه ذاك ما سماه « الخطة السرية الاستراتيجية للجيش الاسرائيلي » ويقرأ القارىء منا تلك الخطة اليوم فيكاد يصاب

بالذهول ، لا لأنها وضعت ولكن لأن ما تحقق منها يكاد يتطابق بالحرف الواحد مع ما وقع .

تقول بعض أجزاء الخطة ـ وهذا لم يعد جديدا ـ .

« لا تستطيع الدول العربية أن تجابه اسرائيل بمقاومة كبرى إلا اذا كانت متحدة ، وطالما ليس ثمة قطر عربيٌ أقوى من اسرائيل وحده ، وبالتالي طالما لا يستطيع أي قطر عربي أن يشهر بمفرده حربا على اسرائيل ، فان الوحدة العربية في الحرب جوهرية .. لذلك فان العمل السياسي القوي (من جانب اسرائيل وحلفائها) يرمي الى زرع بذور الشقاق بين الدول العربية » .

كما نقرأ في مكان آخر من الخطة بالحرف

(ان مصر هي أقوى أعدائنا وان اخراجها من الميدان قد يؤدي الى رفض أقطار عربية أخرى مواصلة الحرب .) .

فشل البرنامج العربي الموحد

في الوقت الذي نؤمن فيه بأن اسرائيل والصهيونية الدولية ليست بالقوة الخارقة التي تضع مخططا يستمر ربع قرن أو أكثر ثم تنفذه بالحرف الواحد ـ لا نستطيع في الوقت نفسه تجاهل الحقائق القائلة بأن هناك أطماعا أساسية لاسرائيل في الارض العربية ، وهي وان اختلفت تكتيكاتها فان الخطوط العريضة لأهدافها مازالت هي هي لم تتغير ، وفي الوقت نفسه فاننا نلحظ وبأسف شديد فشل البرنامج العربي الموحد لمجابهة ذاك المخطط ، والفشل ليس في الجانب العسكري وحده ، بل في الجانب السياسي أيضا

يستطيع أي كاتب عربي اليوم أن يستشهد بعشرات الكتابات التي صدرت في طول الوطن العربي وعرضه تنبه للخطر ، وتضع البرنامج المضاد للأطماع الاسرائيلية ولكن ذاك البرنامج كانت تنقصه الارادة السياسية حتى الآ

والارادة السياسية لا تنبع من لا شيء ، فهي تبدأ بفهم الركائز الرئيسية المتحكمة والمؤثرة في الوضع العام .

واذا كانت السياسة الامريكية بعبارة أحد مهندسيها الرئيسيين في العصر الحديث (بريزنسكي) توصف بأنها آنية ، عملية ، يومية ، تطبيقية ، فان ذلك يفسر الكثير من المبادرات السياسية الامريكية تجاه القضية العـربية ، وأقل ما يقال في هذه المبادرات انها لا تفهم اللغة التي يتحدث بها العرب وهي لغة الحق والواقع التاريخي

محاذير . . . اذا استمر العجز

لذلك فالعرب اليوم على مفترق طرق يتكشف فيها العمل السيـاسي ، ويطلب أكثر من أي وقت مضى

هذا العمل السياسي يجب أن يتركز على عاملين لغة المصالح التي تفهمها أمريكا جيدا ، وركيزة أخرى هي وحدة الأهداف العربية

فالعجز العربي ان استمر على مختلف الجبهات وفي شتى الميادين فانه سيؤدي بالضرورة الى محاذير كثيرة ، أقلها حركات التمرد والتطرف التي يتقدم من خلالها الجيل العربي الجديد بآراء تريد تجاوز هذا الواقع

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى يفرض الجانب الاسرائيلي واقعا جديدا لمصلحته في المدى المتوسط والبعيد

واذا كان البعض يعتقد أن العمل السياسي اليومي والآني في اطار ردود الأفعال يستطيع أن يواجه محاذير المستقبل فلا شك أنه يقع في المحـظور ، فارادة الشعوب لا تتجمد عند نقطة من التاريخ ، كما ان التاريخ نفسه لا يقف محايدا

لذا فان العمل السياسي الشجاع هو المطلوب اليوم للوصول الى حقوق الشعب الفلسطيني المهضومة ـ وكما قال ديجول ابان الحرب العـالمية الثـانية « المهزومون هم فقط أولئك الذين يتقبلون الهزيمة » . ■■

د . محمد الرميحي

خواطر

للدكتور حسان حتحوت

اسرائيليات

الحولة العربية الاسرائيلية في لسان والتي بلغت مداها في بيروت تمثل دورا حديد وحطيرا في الصراع العربي الاسرائيلي وان كانت الأمة العربية والدول العربية عير منتبهه اليه في عمرة ما أصابها من صرر ومن شلل ذلك بأننا كنا حتى هذه المرة ندخل المعارك فنحسرها فيما أسميناه بالنكسة أو بالهزيمة أو بالهدنة أو بغير ذلك كانت مصائبنا عسكريه ولكن حتى في أقساها وأعتاها وقف عبد الناصر وهو مهزوم يعلن أن ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة ، وبالفعل جاءت حرب الثالث والسبعين فأعادت لنا شيئا من الثقة وأننا بالفعل كسائر البشر وناس بين الناس

الحولة اللبنانية وضع جديد وطعم جديد ودور جديد ذلك بأنها استهدفت رأس المنظمة والمنظمة في عرف الدول العربية هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني فالضربة مصوبة للقلب بالنسبة للقضية الفلسطينية التي استحوذت على العالم العربي ربع القرن الأخير ومن أجل تسديد هذه الضربة انتهكت اسرائيل دولة عربية هي لبنان ومارست فيها من الفظائع ما عصف بالبديهيات الانسانية والقوانين الدولية جميعا وبينما كان العدو يعربد ويغتصب وينتهك في احدى غرف الدار كانت بقية الأسرة العر... كل في غرفته وراء بابه - ينظر ويسمع ويتفرج وقد يخجل من هذه السلبية فيتحرك لا ... الأخ الشقيق ولكن طيرانا من عاصمة لعاصمة يستجدي العون من عالم يحتقر ... يستجدون

انتقلنا ادن من دور الهزائم العسكرية الى دور الهزيمة النفسية الى دور الاقرار الضمني بأن لاسرائيل أن تفعل ما تريد وأن تتحرر ما تريد فلن تتصدى لها قوة عربية بمقاومة ومن بعدها لن تكون اسرائيل بحاجة الى غزو بلاد أخرى ستكون رعاياها أوامر ولو بالتليفون لأن الوهن العربي قد أعلن في صراحة لمن مركز الثقل في المنطقة

مررنا في مصر بعهد كان يكفي فيه أن يرسل الانجليز بارجة حربية نحو الاسكندرية لكي تستقيل الوزارة وتشكل وزارة أخرى أطوع لرغباتهم

هو الثعبان ادن يلتقم الحمامة ولو طارت لتحت، ولكن نظرته تشلها نفسيا فلا تحدثها نفسها بنجاة والقطة تفترس الفأر لا لأنها تلحقه عدوا ولكن لأن نفسيته تحول بينه وبين الصراع من أجل الحياة لواذا بالفرار وبيننا من يحسبون أن البعد الجغرافي بينهم وبين اسرائيل أمان لهم بل بيننا من يظنون أنهم ان احتطف كل من حولهم فلم يبق الا هم ، لظلوا وحدهم في أمان ! فوا أسفاه عليهم من الآن !!

في عام ١٩٤٨ ظهر أثر الجهاد الاسلامي لأول مرة في المعركة بين العرب واسرائيل عندما كان الجيش النظامي بعتاده ومدفعيته وطيرانه يعجز فتنطلق مجموعة من المتطوعين وتحقق ما عجز عنه جيش !!

ولو كان هؤلاء المتطوعون في الساحة الآن لتغير المنظر

ولكن القرار صدر من زمان باستئصال خيط الجهاد الاسلامي من نسيج الأمة لقد رأى فيه الاستعمار والصهيونية خطرا كبيرا عليهما واقتنعا حكامنا بأن فيه كذلك خطرا كبيرا عليهم ، ومن يومها سخر الاعلام كما سخرت الأجهزة البوليسية والأمنية لتحطيم هذا العنصر من عناصر الأمة ، والنتيجة الا يبقى في وجه اسرائيل الا هشيم تذروه الريح

على أني موقن أن الصدمة التي تجتازها الأمة الآن آية سيأتي من بعدها الطوفان سواء رد الفعل اسلاميا أو شيوعيا أو فوضويا ، وهو في أسوأ حالاته خير من الموت وبينهم سيقرر القادة هل يكون موقعهم على رأس الطوفان أو يختارون أن يجرفهم صراع الشرف بيننا وبين اسرائيل يستدعى أن نسلك مسلكا ثائرا قاهرا هادرا يقتل المغامرة والمال والكرسي ويؤمن باختصار أن الآخرة أعز وأعلى وأبقى من الدنيا فإن نفسياتنا رعاة ورعية الى ذلك فلن تعجزنا الوسائل والا فلا خيار الا بين اثنين لاسرائيل تأخذ بخناقنا روحيا ونفسيا واقتصاديا أو الطوفان !! ■■

انتحار أم بقاء ؟

تحديات عام ٢٠٠٠ م

بقلم / الدكتور عبد العزيز كامل

هذا عنوان ملتقى عالمي عقدته هيئة اليونسكو في عام ١٩٧٧ ، وهو الاول من سلسلة من الملتقيات التى انبثقت عن مائدة مستديرة عقدتها في عام ١٩٧٦ عن تحديات عام ٢٠٠٠ م وهي تحديات واسعة المدى متنوعة الآفاق اقتصادية واجتماعية وسياسية وثقافية واخلاقية

شارك في هذا الملتقى ثلاثة وثلاثون من اعلام الفكر العالميين من مختلف التخصصات علماء فنانون فلاسفة سياسيون منهم الحاصلون على جائزة نوبل وصدر كتاب الملتقى عام ١٩٧٨ ولا يشترط في هذه الندوات والملتقيات أن تكون آراؤها معبرة عن اتجاهات اليونسكو فلكل مشارك ان يبدي رأيه بحرية كاملة

ودارت أعمال الملتقى حول اربعة محاور

- الانسان ، أهو دمية أم سيد أمتاحه ؟
- الانسان في مواجهة القوى القائمة
- عقد اجتماعي جديد
- المعركة المستمرة للثقافة

افتتاح

وفي كلمة الافتتاح دعا الدكتور احمد مختار أمبو ـ المدير العام لليونسكو ـ المشاركين الى طرح المشكلات كم دعاهم الى اقتراح الحلول ، أو على الاقل ، الطرق الممكنة للتغلب على التحديات التي تواجه الانسان الانسان ـ لا كمفهوم مجرد ـ ولكن ككائن حي يقابل التحديات الغني والفقير الرجل والمرأة في النصف الشمالي أو الجنوب من هذا الكوكب يقول أمبو « فمصير الانسان هنا والان مترابط « هنا » في الجملة الماضية يسمي مفهوم على انها تشمل العالم كله « والان » تغطي السنوات الخمس والعشرين المتبقية من هذا القرن وهي لمحة خاطفة في موكب التاريخ ولكن تركيز هذه اللمحة وتوجيهها سوف يقرر مصير ابنائنا وأحفادنا وطبيعة الصبغة الغالبة في القرن الحادي والعشرين

من العالم العربي

كان الاستاذ توفيق الحكيم هو المدعو من العالم العربي وتحدث في المحور الاول الانسان أهو دميه أم سيد اتاحه وكان موضوعه « التحديات المقبلة وعبر المطورة في عام ٢٠٠٠ » وأكد صرورة تحديد المشكلات والمفاهيم واحتار منها اربعا الطاقة العلاقة بين العلم والدين والتقدم والاستقلال الوطني

...نذكر خلاصة آرائه ، باعتبارها المساهمة العربية في اللقـ... لأنتقل الى الهدف الرئيسي الذي دعاني الى كتابة هذ... ...ث ، وهو ما جاء في آراء العلماء الذين درسوا المحـ... الثاني « الانسان في مواجهة القوى القائمة » ...عرصه شيس ماكيرايد وفيليب نويل بيكر ...الحائزين على جائزة نوبل الاول عام ٩٧٤ والثاني عام ١٩٥٩

١ ـ تكلم الاستاذ توفيق الحكيم اولا عن مشكلة الطاقة وأننا نسرف في استخدام الطاقة الميكانيكية ، ونقلل من الاعتماد على الجهد البدني ، حتى في ابسط امور حياتنا وفي هذا ما يضر الانسان ، في صحته وكيانه واذا استمر هذا الوضع احشى ان نقول في مطلع القرن الحادي والعشرين « مات الانسان » وانه لأمر شديد الخطر ان نتصور الانسان المقبل انسانا ميكانيكيا فكما نقول إن الله موحود ، نأمل بأن نقول« الانسان موجود »

٢ ـ الامر الثاني هو العلاقة بين العلم والدين ، فالدين خاص بالانسان وحده وهو يجيب عن السؤال الخالد « من خلق العالم ؟ هل العلم « الملحد» في القرن التاسع عشر يمكن ان يصبح « علما مؤمنا » ؟ ان السؤال عن الايمان قائم ولكل عصر ان يسأل ذلك السؤال ان العلم حين يصمت ، يتكلم الدين ولو اجاب العلم عن هذا السؤال نعم فما عمل الدين إذن ؟ قد نفكر في أن يتوحد رجل العلم برجل الدين تماما مثل كهنة آمون في عهد الفراعنة يقول الاستاذ الحكيم هذا السؤال عن العلاقة بين الدين والعلم أوجهه الى العالم الكبير الاستاذ الفريد كستلر وسنذكر تعقيبه بعد الفراغ من عرض آراء الحكيم

٣ ـ التقدم هل يجب ان نعطيه مفهوما جديدا ؟ وهل مسار الانسان في الحياة كمسار الارض حول الشمس دائري وليس مستقيما ؟ كمثال هل معمار الاهرام الفرعوبية في شكلها الهندسي وكتلتها المربعة الضخمة ، يتكرر في تصميمات حديثة ؟ كمثال الكتلة المربعة الكبيرة في برج موبارناس في باريس ؟ اني اترك الاجابة عن هذا للمختصين ولكن ما اود تأكيده هو الحاجة الى مراجعة مفهوم « التقدم »

وعلينا ان نسأل انفسنا التقدم بالنسبة إلام ، وبالنسبة لمن ؟ ان الحيوانات تدرك كيف تكيف وسائلها مع غاياتها انها تستخدم فقط القدر الذي تحتاج اليه من طاقتها ، ولا تبدد شيئا كذلك تقتصد في طعامها دون تبديد يدفن الاسد بقايا فريسته لطعام غده ويدع ـ بنبل ـ جزءا منه لغيره من الحيوانات الاضعف الحيوانات أعقل من ان تشن حربا عدوانية على بعضها البعض كي تفرض أسلوب حياتها على غيرها ولكن الانسان مازال عاجزا عن تكييف وسائله وفق غاياته انه يبدد موارد الطاقة الميكانيكية ويحاول تعويض حاجته الى التوازن ، بوسائل تقنية وعقائدية ، فاذا نجحت هذه الوسائل سموها « تقدما »

٤ - كذلك ما سميه «الاستقلال الوطني» معناه ان تنطوي كل دولة على مصالحها الخاصة دون نظر الى المصالح الانساني العام. هل من الصعب ان نتصور اليوم الذي تلتقي فيه حكومات جميع الدول - دون تمييز - للنظر في مستقبل الانسانية؟ واذا امكن - رغم اختلاف القوميات والدين والعرق - ان تجمعنا اليونسكو لدراسة مشكلات الانسانية جميعا، فلماذا لا نأمل في اجتماع مناظر على مستوى القادة، على الصعيد العالمي؟ قد يكون اعادة النظر في مفهوم الاستقلال الوطني معينا أو مقربا لذلك الهدف.

واختتم الحكيم كلمته بقوله:

اخشى أننا اذا لم نراجع معطيات حضارتنا اليوم، ان نلقى انفسنا مع تحديات غير متوقعة عام ٢٠٠٠.

تعقيب على العلاقة بين العلم والدين

شارك الاستاذ الفريد كاستلر في هذا الملتقى. وهو عالم فيزياء وعضو في اكاديمية العلوم في فرنسا، وحائز على جائزة نوبل عام ١٩٦٠.

وعقب - بناء على طلب الاستاذ توفيق الحكيم - على العلاقة بين العلم والدين فقال:

«لا تناقض بين هذين النشطين للانسان: العلم والدين. هما متكاملان العلم والدين موجودان في مستويات متعددةمن الحياة الروحية. يدخل العلم في نطاق المعرفة ودراسة الحقائق التي تدركها حواسنا ويدخل الدين في نطاق الايمان.

في كل عصر كان هناك علماء مؤمنون، وعلماء غير مؤمنين. وأود ان ألخص تعبيرا جاء على لسان الاستاذ الحكيم. إنه يتكلم عن العلم «الملحد» في القرن الماضي. ولا اظن ذلك صحيحا. لقد شهد القرن التاسع عشر نمو اتجاه فلسفي معروف باسم «المادية العلمية». بعض الناس مازال يستند في أدلته الى معطيات ناقصة من العلم. ومن هنا قالوا بعدم وجود الله. وهذا وهم. إن وجود الله - يقول الفريد كاستلر - أو خالق الكون لا يمكن الاستدلال عليه أو نفيه بالعلم. العلم ليس معاديا للدين، ولا مناصرا له. إنه مواز له. ان العلم يحاول تفسير تطور الحياة عن طريق قانون السببية، بينما يؤكد الدين مبدأ الغائية في هذا العالم. هذان المبدآن (السببية والغائية) متكاملان وليسا متعارضين. والاثنان يدعمان العقل الانساني.

المخزون من القنابل الذرية

ننتقل الآن الى بحث شين ماكبرايد وعنوانه «غسيل المخ بقنبلة طيبة وبطيئة». يقول:

رغم تصريحات الزعماء في الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي عن عزمهم على الحد من الاسلحة الذرية أو الغائها، فان الترسانة الذرية آخذه في النمو وحتى الحديث عن تحديد الاسلحة الذرية أصابه اجهاض، حتى اصبح المخزون الان (وكان هذا عام ١٩٧٧) يعادل عشرين ضعفا للقدر اللازم للقضاء على البشرية كلها.

في عام ١٩٦١ اتفق زعماء العالم (ويقصد لقاء كيندي مع خروشوف في فيينا من ٢ الى ٤ يونيو عام ١٩٦١) على ان عالمنا يقابل خطر الفناء ما لم تحرم الاسلحة النووية ونزع السلاح النووي نزعا كاملا. كان هذا ما انتهى اليه زعماؤنا وقتئذ، ومن معهم من الخبراء المختارين. وهم من عاشوا اخطار الحرب العالمية الثانية. والان يقولون إن نزع السلاح النووي ليس أمراً واقعيا. هل يعني هذا ان قادة العالم - في الفترة من ١٩٤٥ الى ١٩٦١ كانوا في غفلة ولا يقدرون المسئولية؟ أم ان قادة العالم الان لا يواجهون الحقائق التي تتحدانا؟ لماذا وضعوا اتفاقيات ١٩٦١ على الرف؟ لماذا لا يذكرونها الآن؟

في العام الماضي (١٩٧٦) سرت اخبار خطرة عن زيادة التسلح في العالم. دولة هي جنوب افريقية أصبحت فاب قوسين أو أدنى من ان تصبح دولة نووية. وفي هذا تهديد موجه اساسا للدول الافريقية والمطلة على المحيط الهندي وانه لمن التعاق بعد هذا ان نتحدث عن اعتبار المحيط الهندي منطقة سلام بينما مركز تصنيع الاسلحة الذرية قائم في سيمونتون وفالنداما (في جنوب افريقية).

وقد نشر المجلس الامريكي للتنمية الاقتصادية وهو جهاز غير حكومي - تقريرا ذكر فيه «انه في خلال ... عاما سوف تستطيع مائة دولة أن تملك المواد والمعرفة الضرورية لانتاج القنابل الذرية ... عام ٢٠٠٠ سيكون ناتج البلوتونيوم معادلا لمليون قنبلة ... وليس هناك أي حماية من هذا الخطر، وليست ...

ـ سة خارجية أو تجارية لايقاف هذه القدرة على إنشاء ـسلحة النووية »

القنبلة فوق الصوتية

وانتقل ماكبرايد بعد هذا الى الاسلحة الحديثة وما يقوم ـه العسكريون في هذا الامر

« فلقد اكتشفوا رأسا نووية جديدة أرخص في التكلفة وأشد تأثيرا انها القنبلة النيوترونية وهي تقتل عددا كبيرا من الناس بالاشعاع ، اكثر مكثير مما تفعل الرءوس النووية التقليدية ولكنها لا تؤثر في المباني ولا الممتلكات

بعبارة اخرى هناك مرحلتان اولاهما قنبلة ذرية تقتل الناس وتهدم المباني والثانية قنبلة نيوترونية تقتل الناس وتترك المباني

يقول ماكبرايد وفي عدد حديث من جريدة الواشنطون بوست كان الامر كما يلي ما يجبه أصدقاء الرءوس النيوترونية انها تقتل الناس بطريقة نظيفة بالاشعاع لا بالانفجار ولا بالحرارة

ولكن هذه طريقة واحدة من طرق فناء البشرية التي يعمل لها رجالنا العسكريون وفي خلال الاسابيع القليلة الماضية ذكر لي ـ يقول ماكبرايد ـ بعض خبراء التسليح أن هناك جهودا تبذل في صناعة قنبلة فوق صوتية Altrasnic bomb قادرة على هز العقل الانساني وتحويل كل سكان مدينة الى مجموعة من المعتوهين وذلك بإتلاف خلايا خاصة في المخ ، ليفقد سكان المدينة القدرة على التفكير أو السيطرة على أنفسهم وهذه الاصابة غير ممكنة الاصلاح أو العلاج ، كما انها لا تتلف أي شيء في الممتلكات ، ولا تنشر الاشعاع وهي هذا ـ كما يقولون ـ اكثر انسانية من القنابل السابقة ، لانها لا تقتل كل الذي تعمله أنها تحول الـ الى حيوانات أو نباتات »

ـذكر ماكبرايد بعد هذا مثالا آخر لما يصنعه الـ ـكريون والعلميون ، والى أي درك سقطوا

بعد شهور قليلة جاءت نشرة انباء لم تحظ بأي عناية ـو ـة محدودة على هذا الشاطيء من المحيط الاطلسي ـ اوروبا) وذكرت ان البنتاجون (وزارة الحرب الا ـة) قد استوردت خمسة واربعين الف جنين بشري محمد من عمليات الاجهاض في جمهورية كوريا وتفسير ذلك أن هذه الاجنة كانت ضرورية لاختبارات تأثير الاشعاع على الانسجة البشرية الحديثة التجميد وذلك لان الانسجة البشرية في الجثث عندهم لم تكن كافية

تطور السلاح وانهيار الاخلاق

هذا الذي ذكرته ـ يقول الكاتب ـ دليل جديد على الانهيار الاخلاقي في العالم فالتقدم الذي شهده العالم منذ الحرب العالمية الثانية ، لم يصاحبه نمو معادل في المسئولية الاخلاقية واعتقد اننا لم نبحث هذا الامر بما تقتضيه اهميته خلال مناقشاتنا واعتقد اننا نستطيع ان نعدل المسار المدمر للانسانية ـ ولا شك عندي في ذلك ـ لو وجهنا عنايتنا الى السلام لا إلى الحرب لنحول بين الانسانية وتدمير نفسها ويعتمد هذا على رغبة الحكومات في ان تقوم به كما يعتمد على وجود ضمير أخلاقي عند القادة

ومنذ ثلاثين عاما حذرنا البرت شفيتزر (١٨٧٥ ـ ١٩٦٥) من ان الانسان قد فقد القدرة على رؤية عواقب اختراعاته (وشفيتزر مبشر وطبيب ورجل دين فرنسي عاش في الجابون في افريقية الاستوائية لمحاربة مرض الجذام وحصل على جائزة نوبل عام ١٩٥٢) وهذا صحيح ولكن خلال هذه الاعوام الثلاثين حدث انهيار كامل في الاخلاقيات العامة واصبح العلم غير المصحوب بالحكمة القائمة على المسئولية الاخلاقية خطرا على بقاء الانسانية وتهديدا لها والحكمة ـ في هذا السياق ـ هي ان ندرك أن الكون لم يخلقه انسان ، وانه عن طريق العبث بالطبيعة ، تتعرض حياة كل الناس للخطر المسئولية الاخلاقية ـ في هذا السياق ـ تقتضي ايمانا اخلاقيا بمهمة الانسان ، وانها تعاون بينه وبين اخيه ليعيشا معا ، وليتقاسم الجميع الجمال والخيرات ، التي وفرها الخالق لهم وقد يبدو هذا القول من ذا روح دينية ولكنه في ذات الوقت نفس ما تهدف اليه الشيوعية ، (أي انه هدف يلتقي عنده الشرق والغرب) وباختصار ـ والقول مازال لماكبريد ـ ان القضية هي اقتسام خيرات العالم ، واستخدامها لصالح الانسانية

وللصحافة ووسائل الاعلام مشكلة

ومن المشكلات التي يقابلها عالمنا المعاصر ، اتجاه زعمائنا السياسيين ـ يقول الكاتب ـ ووسائل الاعلام الى

التهوين من شأن سباق التسلح ، وتأثيره على بقاء الانسانية هل شبه الصمت هذا أمر غير مقصود ؟ أم هو شديد الرهبة ؟ أم هل تمارس القوى العسكرية والمنتجة للسلاح ضغطا تصمت به اجهزة الاعلام والصحافة ؟

ان الوسيلة الوحيدة التي يمكن ان نقابل بها عشية سباق التسلح ، أن يتكون رأي عام عالمي ، لا يسمح للحكومات أن تنفق الشطر الاكبر من مواردها على تطوير اسلحة الحرب النووية ، وألا يقبل هذا الرأي العام العالمي هدفا دون النزع الكامل للسلاح على الصعيد العالمي

وهنا يبدو دور الصحافة واهميته ولكننا للأسف نعيش أياما تقابل فيها الصحافة ضغوطا اقتصادية وسياسية رهيبة وفي بعض مناطق العالم العربي تبذل الشركات المتعددة الجنسيات والمصالح الاقتصادية ، المرتبطة ارتباطا وثيقا مع الاجهزة الصناعية والعسكرية ، جهودا مكثفة للسيطرة على الاجهزة الصحفية فجريدة الاوبسرفر البريطانية ذات التقاليد المحترمة العريقة تمتلكها الآن شركة بترول امريكية (هي شركة اتلانتيك رتشفيلد) وفي حالة اخرى تحاول شركة متعددة الجنسيات وصفها أحد رؤساءالوزارة السابقين من المحافظين (هو ادوارد هيث) بأنها « الوجه غير المقبول للرأسمالية » هذه الشركة في طريقها الى السيطرة على اجهزة صحفية هامة في بريطانيا والافريقية وفي فرنسا رأينا ما تعانيه الصحافة من سيطرة مجموعة هرسان على الفيجارو (وهذه المجموعة تسيطر على اثنتي عشرة صحيفة يومية في فرنسا منها اثنتان في باريس وقد ادت سيطرتها على الفيجارو الى استقالة عدد من محرريها) وكذلك في بريطانيا تمارس شركة فيات سيطرة على الصحافة

ويعقد شين ماكبرايد أمله على اليونسكو ـ أو اي جهاز مناظر ـ ليدرس هذا الامر ، توطئة لاصدار بيان أو ميثاق لتأمين الحق في حرية الاعلام وهذا ضروري لتأكيد وصول المعلومات الصحيحة وما يهدد الانسانية من اخطار إلى الرأى العام العالمي ، واذا لم يتيسر هذا ، بحكم التكوين السياسي لليونسكو ، فيمكن ان يقوم به المجلس الاوربي فيما يتعلق بأوروبا ميثاق يوازي حقوق الانسان وخاص بالصحافة

انه لامر اساسي ان نوحد رأيا عاما ، وان نتأكد من ان الحكومات لا تستغلنا عن طريق الاجهزة الصناعية ـ الحربية ، أو الارباح الاقتصادية التي تعود على صانعي السلاح والحروب

هذه خلاصة وافية لآراء ومقترحات ماكبرايد انتقل منها الى

حديث بالأرقام عن السلاح النووي

والخص فيه بحث فيليب نويل بيكر وقد اختار له عنوان هو « وحش الاسلحة فوق النووية » يقول فيه

حارب هتلر ستة أعوام ، واشاع الفوضى في العالم ولم تكن عنده قنبلة ذرية كانت حربه بالاسلحة التقليدية ، ولقد كتب دكتور هربرت يورك عام ١٩٧٣ ـ وكان كبيرا للعلميين في البنتاجون ـ ان مخزون الولايات المتحدة من السلاح النووي يبلغ ١٥,٠٠٠ ميجا طن (والميجا طن يعادل مليون طن) هل ندرك معنى هذا؟

في خلال السنوات الست (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥) اسقط الحلفاء على المانيا ١,٢ مليون طن وأدى هذا الى ان اصبحت المانيا خرابا من شمالها الى جنوبها ، ومن شرقها الى غربها هذا القدر الذي أسقط على ارض المانيا كلها في ست سنوات تستطيع ان تسقطه الآن قاذفة قنابل واحدة في ثانية واحدة على مكان واحد

ويذكر فرانك برنابي رئيس معهد استكهلم الدولي لبحوث السلام (وهو معهد بحوث مستقل يعنى ببحوث الحرب والسلام)

ان اربعمائة وحدة سلاح قوة كل منها ميجاتون ، لو اسقطت على الاتحاد السوفيتي سوف تقتل ثمانين مليونا من سكانه وتدمر ثلثي صناعاته

٤٠٠ ميجا طن تعادل ٣/ من مخزون الولايات المتحدة أي ٩٧/ غير مستخدم ، ٨٠ مليونا من القتلى

ولو توسعنا في استخدام هذا النوع من السلاح لنصل الى ما يسميه الاقتصاديون تناقص العائد ، ولكن عندما نصل الى رقم ٦,٠٠٠ (من الاسلحة التي تلقى من ... مليون طن) ستكون النتيجة قتل كل روسي وكل حيوان وكل زاحف هناك وستصبح الارض صحراء اشعاع نووي هذا الرقم (٦٠٠٠) ميجا طن يعادل ٤٠ مخزون الولايات المتحدة الحالي (وكان هذا ... ١٩٧٣)

خطورة الاشعاع

ا... لا تستطيع ان تقتل الروسي مرتين ، ولكن
...ابل النووية عبر قنابل المدفعية أت تطلق قديفة عيار
...وصة ـ يقول الكاتب ـ وقد كت هناك في الحرب
...لمة الاولى عند استخدامها ـ فتدمر مبنى كبيرا وتقتل
... انسان ولكن بهذا ينتهي امرها السلاح النووي
...ذلك

...انت تدمر الهدف وتقتل هيروشيما بقذيفة نووية
...سطة في صباح يوم واحد مات ٢٤٠ الفا أي ربع
...ون ومات كثيرون وما زال تأثير من القنبلة الاولى
...ا ولكن هذه ليست النهاية

...ان سحابة عش الغراب ـ أي هذه السحابة المتوالية
...نتشار الناجمة من قنبلة قوة ميجا طن ـ ترتفع الى اربعين
...ف قدم كأنها تخترق حائط السماء وفيها تكون نهاية
...نسان ذلك لان الرياح العليا تحمل التساقط النووي
...امل الى المملكة المتحدة وفرنسا وتعبر المحيط الاطلسي
... الولايات المتحدة وان نسبة الستين بالمائة من
...مرون النووي للولايات المتحدة وهي المعادلة لـ
... ٩,٠ ميجا طن ، حتى لو استخدم ، ستصبح خطرا
...لا على الأمريكيين انفسهم ان امريكا صنعت هذه
...سلحة ، وانفقت عليها حرائر اموالها ، حتى تخودها
...كها لو استخدمتها سيموت الامريكيون ولو
...خدمتها جميعا لمات الناس جميعا

...س هناك من أمل في مستقبل الانسانية الا نزع
...لاح ولكن هذا خيال ومثالية

وبعد هذا قص الكاتب تجاربه منذ الحرب العالمية
...ولى ، وتعاونه مع الزعماء ، وقيام عصبة الامم كأمل
...مغبوب ، وقيام محكمة العدل الدولية ورأى كيف
...ت ...دول الكبرى عصبة الامم وتسببت في انهيارها ،
...دو... الخطير الذي قام به الخبراء العسكريون في
...كم... هذه الدول ، دعوا للسلاح ودعوة اليه ؛ وقيام
...ر... عالمية الثانية التي قال عنها تشرشل مع اقتراب
...هذه الحرب ينبغي ان تسمى الحرب غير
...ر... ولقد كان من الممكن تجنبها لو وحدت منا
... عوما شجاعا في اتخاذ قرارانا »

...و... انفسنا الآن لماذا نظل تحت استعباد رجال

الحرب ؟ نحن نريد فكرة بسيطة ان هذه الحروب
ليست ضرورية ان السلاح لعبة الحكام والقادة
العسكريين

انها أسلوب عفا عليه الزمن

وتعلق أمل الكاتب كما تعلق أمل ماكبرايد والكثيرين
من قبله ، برأي عام عالمي وتشاور وتعاون بين الناس

الدمار أم التنمية ؟

واود قبل ان اسمع القلم ان انقل الى فقرات جاءت في
المقدمة التي وضعها فيلي براندت في تقريره المعروف
« الشمال ـ الجنوب » برنامج من اجل البقاء) ١٩٨٠ ـ
يقول فيه تحت هذا العنوان ان هذا التقرير قائم على ما
يبدو انه ابسط المصالح المشتركة ، ونقصد بذلك رغبة
البشرية في البقاء ، بل والتزامها من الناحية الخلقية بالعمل
على البقاء ان ما تبتلعه النفقات العسكرية في نصف يوم
يكفي لتمويل كل برنامج منظمة الصحة العالمية الخاص
بالقضاء على الملاريا ويكفي ثمن طائرة نفاثة واحدة
(٢٠ مليون دولار) لاقامة نحو ٤٠,٠٠٠ صيدلية
قروية ويكفي مبلغ يعادل نصف الواحد بالمائة من
مجموع النفقات العسكرية في العام لدفع ثمن كافة
الاجهزة والادوات الفلاحية اللازمة لزيادة انتاج الاغذية
والاقتراب من حد الاكتفاء الذاتي عام ١٩٩٠ في الدول
ذات الدخل المنخفض ، التي تعاني من عجز في الغذاء
وقد نادى التقرير بنظام اقتصادي دولي جديد

ولكن القرار في هذا لمن ؟ ومن قبل قالها الامام علي
رضي الله عنه « إن من البلاء ان يكون الرأي لمن يملكه لا
لمن يعقله » لقد تكلم علماء وفلاسفة وساسة ورجال
فكر ولكن مازال القرار سياسيا عسكريا ومن ورائه
كل هذه المصالح والشركات والمنتفعين فمتى يعتدل
الميزان ؟

أما الاوضاع النووية في الشرق الاوسط فلها حديث ■■

د عبد العزيز كامل

أقوال معاصرة

■ الرئيس ريجان يتلقى ٥٠/ من معلوماته عن السياسة الخارجية من متابعته لبرامج التليفزيون الامريكي التي تبثها شركة سي بي اس (C.B.S)

« مجلة الايكونوميست البريطانية »

■ ان تعبير اقوى امرأة في العالم هو لقب هزلي لا يمت للواقع بأية صلة

« انديرا غاندي رئيسة وزراء الهند »

■ ثلوج جبل الشيخ أدفأ من قلوب بعض الأنظمة العربية

« ياسر عرفات »

■ الادارة الامريكية سمحت بتدمير بيروت ومنعت أوروبا العربية والامم المتحدة من القيام بأي عمل

« اندرو يانج مندوب امريكا السابق لدى الامم المتحدة »

■ إن كل الناس في المنطقة العربية يحملون الولايات المتحدة مسئولية أية اعمال عدوانية تقوم بها اسرائيل

« الرئيس المصري حسني مبارك »

■ اني على ثقة من نجاحي في تأسيس أفضل العلاقات مع الولايات المتحدة ومع العالم الحر

« بشير الجميل/ رئيس جمهورية لبنان »

■ كما كانت اسرائيل كريمة مع لبنان ، فان رئيس لبنان يجب أن يكون كريما مع اسرائيل

« الرائد المنشق سعد حداد »

■ أقرضت الدول النامية والفقيرة في العام الماضي ٩٩ الف مليون دولار ، حصلت منها ٤٨ مليونا لسداد الفوائد المستحقة عن ديونها السابقة

« من التقرير السنوي للبنك الدولي عن عام ٨١ »

المهدى المنتظر في حياتنا المعاصرة

بقلم . حسين أحمد أمين

ثمة مواقف عقلية ، هي نتاج منطقي لطبيعة حياة البدوي ، فرضت نفسها فرضا على أهل الحضر والريف من شعوب الأقطار التي فتحتها جيوش الاسلام ، رغم مخالفتها للمواقف العقلية الأساسية لأفراد المجتمعات الزراعية أو سكان المدن

جاءت هذه الغلبة للبداوة العربية نتيجة اعتبارين رئيسيين

الأول أن الاسلام ـ بعد فتوحاته ـ سرعان ما تحول من مجرد دين الى حضارة واسلوب عيش ، ومنهج فكر وموقف أساسي من الحياة ، عمت الدولة أو الدول الاسلامية من الاندلس الى غرب الصين ، وساهم في تعميمها كثرة التزاوج ، وتنقل أفراد المسلمين في ربوع دار الاسلام للحج أو التجارة ، أو العمل أو الزيارة ، أو طلب الحديث والعلم ، أو الاشتراك في الغزوات ، بحيث أصبحت هذه الدار بمثابة البوتقة التي اختلطت وصهرت فيها جميع العناصر التي اشتملت عليها ، ومنها بدو ... ، وبدو شمال أفريقيا

... أن ظروفا معينة واحدة ، أهمها الأوضاع ال... سادت كافة الأقطار الاسلامية ، بحيث عززت ... فيها مواقف عقلية تتفق مع المواقف العقلية للبدو ، ... لم تكن هذه الأخيرة مصدرا مباشرا للأولى

... لذلك نزعة الايمان بالقضاء والقدر

... سهل علينا أن نتبين جذور هذه النزعة وأسبابها ... فحياة البدوى تعتمد اعتمادا يكاد يكون كليا على الماء والكلأ ، يجد في الغيث نجاة وفي الجفاف هلكة وكلاهما لا سلطان له عليه ولا حيلة له فيه كذلك فانه حين يضرب في الصحراء بابله ومواشيه في طلب المنتجع ، قد يضل سبيله فيتلف ، أو يتعرض لهجوم من قبيلة غير قبيلته تنشد السلب ، فيضيع في لحظات كل ما يملك من متاع الدنيا ، بما في ذلك طعامه وقربة مائه ، فاذا به وقد بات مملقا مشرفا يقينا على الموت جوعا وظمأ ، وكان من ساعة أو بعض ساعة شبعان ريان موسرا

فـمـسـاهـم وبـسـطـهـم حـريـر
وصـبـحـهـم وبـسـطـهـم تـراب

ولكن كيف يسعنا أن نفهم صدور بيت كهذا ، أو مثل شعبي مثل

« في يدك ويقسم لغيرك » ، من ريفي مصري أو عراقي ، وكيف يمكننا أن نفسر الموقف العقلي حلمه ، وهو الذي يبذر الحب في فصل ، مطمئنا الى حصاد المحصول في فصل ، آخذا حيطته باقامة السدود وغيرها لمقاومة الأخطار التي قد تتهدده ؟

ليس المسئول عن ذلك وحده اتصال العاري البدوي به ، وانما لا بد من ارجاعه كذلك الى شكل الحكم الاستبدادي الذي ساد كافة الأقطار الاسلامية ، والذي خلق للريفي وقاطن المدينة موقفا شبيها بالموقف الذي يتعرض له البدوي في الصحراء . القوة القاهرة التي لا راد لها ولا حيلة له ازاءها ، فاسفر ذلك عند غير البدوي عن نفس الاتجاه العقلي الذي يتميز البدوي به . وصفحات تاريخنا حافلة بالقصص عن اناس كانوا يؤخذون من فراشهم الآمن بغتة الى الوالي أو الخليفة ، ويقدمون للقتل ، ثم قد تصدر عن أحدهم والجلاد شاهر سيفه ، آية قرآنية تدمع لها عين الوالي ، أو تعليق فكاهي يضحك الخليفة له « حتى يفحص برجليه ويستلقي على قفاه » ، فاذا بالوالي أو الخليفة يطلقه ، ويقربه بعد ذلك ويدني مجلسه ، وقد يأمر له بدار وفرس وجاريتين ! و هل لنا أن ننسى ابن المقفع الذي دبج « رسالة الصحابة » يرجي فيها النصح الى الخليفة المنصور ، وربما كان يتوقع من وراء تدبيجها وصول صلته أو شمول عطفه ، فاذا به وقد سيق الى الخليفة لتقطع أطرافه الواحد بعد الآخر ولتشوى أمامه على النار حتى يموت ؟

المهدي المنتظر

ومن بين الأفكار التي نتجت عن هذا الشكل الاستبدادي من أشكال الحكم في الأقطار الاسلامية ، فكرة « المهدي المنتظر » التي يحسب بعض السنيين وغير المسلمين خطأ أنها مقصورة على الشيعة دون مذاهب الاسلام السنية الأربعة .

وقد نتجت هذه الفكرة عند الجميع عن حيرة عميقة ازاء التناقض الصارخ من المسلمين في ظل حكومات مسماة بالاسلامية ، قد سدت الدين جانبا ، وأقرت أوضاعا اجتماعية ظالمة وقد شاء هؤلاء المتدينون والفقراء والمغبونون ، اما عن عجز أو جبن أو حكمة ، الا يمزقوا صفوف المسلمين بالثورة ، وأن يتدرعوا بالصبر على الاجحاف والاستبداد ، زاعمين لأنفسهم انها من ارادة الله ، والحكمة الهية خافية على مدارك البشر ، أو جزاء على ما يرتكبه المسلمون من المعاصي ، بيد أنهم اهتدوا كذلك الى حيلة يوفقون بها بين المثل العليا التي يتطلعون اليها وكانوا يودون لو رأوها سائدة في مجتمعهم ، وبين الواقع الكئيب الا وهي ابتداع فكرة المهدي المنتظر الذي قد يظهر من مخبئه في آية لحظة ، فيملأ الدنيا عدلا كما ملئت جورا وسيكون هذا الامام في زعمهم من أهل بيت النبوة ، يحيي السنة ويميت البدعة ، ويقيم العدل الصائع ويحقق الأمل المنشود . وقد تفرق موقف المؤمنين بفكرة الامام المنتظر الى اتجاهين . الاتجاه الأول سلبي مستكين ، نتج عن فشل متكرر للحركات الثورية ، وعن اضطهاد دامٍ راح ضحيته الآلاف فالآلاف ، مما خلق في النهاية احساسا بالعجز والاستسلام واستعفاء عن فكرة محاولة شريفة لاحداث التغيير ، والركون الى الاله الذي سيحدث التغيير في الوقت المناسب ، بارسال المهدي المنتظر الذي سيسوي الأمور كافة على أحسن وجه ، وخير ما يرام .

الاتجاه الثاني اتجاه ثوري ، يؤمن بأن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وهو بالتالي يجاهد في سبيل تغيير الأوضاع الظالمة المظلمة القائمة ، تمهيدا لظهور الامام تماما كما تكنس الدار ويرش الماء في انتظار ضيف كريم .

وقد كان بعض المسلمين الأول ـ وقبل ان تتحول فكرة المهدي المنتظر الى فكرة يوطوبية ـ يحسب ظهور المهدي أمرا وشيك الحدوث . فان زال عهد وأشرق عهد تركز الأمل في قلبه في أن يكون القائم بالأمر هو الامام المنتظر وتوقع الاصلاح على يديه ، حدث هذا بالأخص عند أفول دولة الأمويين دنيوية النزعات ، وقيام الدولة العباسية التي ادعت التمسك بأهداب الشريعة ، اذ رحب بها عامة المسلمين ظنا منهم أن الأمور قد آذنت بصلاح . غير انه سرعان ما تبدد أملهم في هذه الدولة الجديدة أيضا وفي القائمين عليها ، وانحسر الأمل في ظهور المهدي المنتظر الى مجال الغيب .

على أي حال فان ما نجده غريبا حقا ، وشيقا حقا هو أن هذه الفكرة عن الامام المنتظر قائمة الى يومنا هذا بل ومن أهم معالم التفكير السياسي لدى مسلمي اليوم ولدى المسيحيين بين ظهرانيهم ممن تأثر حتما بالفطرة الاسلامية نتيجة المخالطة الطويلة ، بل ولدى من فتر لديه حماس للدين ، أو خلف الدين كلية وراء ظهره .

ويتمثل هذا الاتجاه فينا في أنه ما من حاكم سوف يطاح به ، وأحيانا ما من وزارة تسقط ويشكل غيرها الا حال الشعب أن تغييرا عظيما قد بات وشيك الوقوع ما بين غمضة عين وانتباهتها « ستنصلح الأمور ويسود الدنيا نورا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا » . ويتسلم الحديد مقاليد السلطة ، فلا الظلمة تنكشف ولا الجور يزول ، ويتأجل الأمل في الامام المنتظر حتى يليه ، حتى اذا ظهر الثالث انتعش الأمل ثم يتعش مع الرابع ثم يخبو ، ثم مع الخامس ثم

. حاكم في كل ذلك معذور مظلوم ، ما لم يكن قد .. في مستهل حكمه ـ بتصريحاته ووعوده ـ في اثارة الآمال والتوقعات وهو للأسف كثيرا ما يفعل غير مرة أخرى ـ معذور في ذلك أيضا ، فالحاكم مهما بدا حب سطوة وجبروت غالبا ما يجد نفسه مسوقا سوقا الى دام على أفعال والادلاء بأقوال لايكاد يؤمن بها ، بل ينكرها ويرفضها ، ولكنه ازاء توقعات الجموع وقوة نها ، يجد نفسه على رأس التيار الذي يجرفه ويدفعه ، ال الناظر انه يقوده ويشق الطريق له وقد سهل شكل كومات الاستبدادية في المشرق حدوث هذا الأمر اكم كما سهل عليه أن يتفوه في مستهل حكمه بعبارات سأقضي على كذا وكذا ، وأفعل كذا وكذا ، وقد ي عهد كذا ، وطلع فجر كذا ودشنا ثورة التصحيح ، دنا سيادة القانون وستمتلىء الدنيا نورا كما ملئت في ـ سلفي ـ جورا

وثمة خصيصتان أخريان ورثناهما عن البدو وسهلتا الحاكم اعطاء مثل هذه الوعود ، والافراط في كيلها .

لأولى الايمان بالمدلول السحري للكلمة ، فالكلمة ا يكاد يكون لها نفس الوظيفة التي اشتهرت عند ب في الجاهلية ، حين كان الشاعر ينظم قصيدته قبيل ب القتال بين قبيلته وأعدائها ، متمنيا فيها بانتصار ، وكأنما تحقق النصر فعلا ومتحدثا عنا الحقته بالعدو عار ومذلة وكأنما يتحدث عن الماضي وهو في هذا انما يؤدي وظيفة الساحر بتعاويذه وهمهماته الغامضة سط كما نرشق اليوم دمية في صورة عدونا بالابر وكأن الوخز يصيبه فعلا وفي ذات اللحظة ولا يزال لدى نا حتى يومنا هذا اعتقاد لا شعوري بأن الحاكم ان ث عن رخاء شعت سطوعها حتى كادت تصيبها مه ، أو ان جعجع عن انتصارات قادمة فقد تم تحقيق ن منذ أمد بعيد وهو أمر مهديء طريف ، حتى ان جاء ـ بد من الفاقة والجوع

اليوم والغد

.. الخصيصة الثانية قصر الاكتراث على اليوم دون .. بيأت الغد بما شاء ، « أحيي اليوم وأمتني غدا » .. من وحمل هم عشائه صار من القوم الكافرين » .. ي يدري ما عسى أن يطلع الغد به وقد روي .. نه حصل من السلطان على مال كثير شريطة أن .. الى انسان في مدة لاتتجاوز سنة ، قابلا لشرط .. ن عجز فلما قيل له أجاب بقوله ان السنة أمد

طويل ، اما أن يموت حلالها الحمار أو يموت السلطان أو يموت هو ! وقد مضى قولنا أن البدوي في الجاهلية ما كان بوسعه أن يتنبأ بما سيجيء به الغد ، ولا بما اذا كانت السماء ستظل من حرير أم تصبح من تراب قد يكون بوسع الالماني أو السويسري أن يخطط من الآن لاجازة سنوية يقضيها في جزيرة مايوركا بعد خمس سنوات خلال النصف الثاني من شهر حزيران أما عن عباد الله في أقطارنا فلا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله فقد يشي بنا واش الى السلطة فنفقد وظيفتنا غدا ، وقد نستقل (الأوتوبيس) الى مكان للنزهة فيحدث فيه شجار نجد انفسنا بعده في قسم الشرطة مع متهمين سياسيين فنرسل معهم الى المعتقل ، وقد تنهار بنا عمارة حديثة البناء شيدها مالكها من تراب بعد تقديم الرشوة الماسة لسلطة اصدار الترخيص

المهم في هذا كله هو أن الحكام في أقطارنا بوسعهم أن يطلقوا ما شاءوا من وعود ، ويقطعوا على أنفسهم ما أحبوا من عهود ، وأن يزوروا الاحصائيات ويغيروا الأرقام ويصوروا الأوضاع على أنها وردية ، وليس في الامكان أبدع مما كان ، وأن يعلمونا ان كنا لانعلم أننا قد بتنا نقرض صندوق النقد الدولي بعد أن كنا في عهد أسلافهم ـ والعياذ بالله ـ نقترض منه ، وقد يظن الساذج منا أن أمر الحاكم من هؤلاء أمر عجيب ، بالنظر الى أن الحقيقة لابد لها من يوم تتضح فيه ولكن هيهات ! فهو اذ يكيل الوعود يفكر « ما من أحد يستطيع تخمين ما سيحدث غدا »

ولا ريب عندي في أن ضخامة التوقعات التي تعلقها الرعية على عهد جديد مع افتقارها الى كل أساس من الواقعية والمنطق تنطوي على اجحاف شديد بالحاكم الوافد والواقع أن الاستبداد والمركزية المفرطة في نظم الحكم في كثير من الدول الاسلامية ، هما المسئولان عن توهم الشعوب أن كافة شئون حياتهم منوطة بارادة الحاكم وأن تغيير الحكومة لابد أن يؤدي الى تغيير في كافة هذه الشؤون وغالبا ما تنسى هذه الشعوب أن الحاكم انما يرث عن سلفه تركة مثقلة بالديون ، وأن الكثير الكثير من المشكلات قد لايكون له علاقة بالحكومة ذاتها ويأتي الحاكم الجديد ، فيكون « كراكب الأسد ، الكل يغبطه ويهابه وهو لمركبه أهيب ، الأنظار متطلعة اليه ، والكل ينتظر من هذا الساحر مايخرجه من قبعته وبحركة من عصاه والله يعلم أن القبعة كثيرا ما تكون خاوية كفؤاد أم موسى ، وأن العصا قد يكون التقطها من صندوق قمامة بالطريق حتى اذا ما لم يصدر عن القبعة شيء ، ترددت همهمات الدهشة ، فهمسات الاستياء ، فصيحات الغضب

اليس من الجائز ان تصدق علينا الولايات المتحدة غدا البلايين فيصلح حال ميزان مدفوعاتنا المائل ؟ اليس من المحتمل أن نكتشف غدا حقول نفط دونها حقول نفط الكويت ؟ والا فما معنى عبارة « ما لم يكن في الحسبان » اليس الله سبحانه قديرا على أن يغير الأحوال ؟ ثم اليس من الجائز قبل أن تتضح الحقائق ، ويعرف الناس أن صندوق النقد الدولي لم يتلق قرضا ما ، أن أموت ، أو أن أقتل فتصبح مشكلة المصارحة بالحقيقة مشكلة من سيخلفني لامشكلتي ؟

وهذا هو بالضبط ما تجد شعوبنا نفسها ازاءه بين الحين والحين الحاكم الذي وعدهم بالنصر الأكيد القريب ، توفي على أثر نوبة قلبية قبل أن يتحقق النصر « ومعلهش وحقك علي » والحاكم الذي وعدهم بالرخاء العميم والخير العظيم سنة كذا ، حدث للاسف الشديد أن اغتيل قبل حلول تلك السنة ومعلهش وحقك علي ، بل ويبقى الشعب بعد هذا أو ذاك على قيد الحياة ، يتساءل مشدوها وقد فغرفاه كيف جاز لهذا أن تفاجئه نوبة قلبية ؟ بأي حق يموت ذاك قبل عام الرخاء ؟ ومن عسانا نحاسبه الآن على وعوده ؟ الحاكم الجديد ؟ انه لم يدل بتلك الوعود ولا هو ترتبطه بسلفه صلة قرابة بالعكس ، لقد جاء ليصحح الصورة ، ويعترف لشعبه بأن الوضع الاقتصادي مؤلم حقا ، وقد تكون سياسة سلفه هي السبب ، ولكن من يجرء لنا الآن بسلفه ؟

غير ان كثيرا ما تكون لدى الحكام الجدد في أقطارنا ولله الحمد ـ خطط اقتصادية جديدة كل الجدة ، واقعية هذه المرة ، وستكون كل الحقائق من الآن فصاعدا أمام الشعب ، لن يخدعوا أحدا أو يستروا علينا والهيكل العام لاقتصادنا ـ والحمد لله ـ سليم نوحه عام ، شهد على ذلك الخبراء الأجانب ، ويمكن بالعمل الجاد والانتاج المكثف وبانتهاج سياسة الترشيد الاعاني بدلا من سياسة الانماء الترشيدي السابقة التي ثبت فشلها أن نحقق المعجزات ، وأن يحل الرخاء العميم والخير العظيم لجميع طوائف الشعب سنة سنة بعد أربع سنين وخلال هذه السنوات الأربع ، اما أن يموت الحمار ، أو يموت السلطان ، أو أموت أنا

التجربة الخامسة . .

الطريق اذن جديد هذه المرة أيضا ، وعلى الرعية أن تطيع لترى ما سيوصل اليه لقد اتبعت في الماضي أربعة طرق لم تؤد الا الى خراب ولا بأس من تجربة خـ[illegible] شاء الله ، ويمكن ، وجائز ، وربما يعمل ما [illegible] قلنا عن الأول انه الامام المنتظر ، ولم يكنه ، و[illegible] هو ، ولم يكنه ، وعن الثالث والرابع غير أن [illegible] دليلا قاطعا على أن الخامس ليس بالامام المنتظ[illegible] حلمه فقد يملأ الدنيا نورا وعدلا

غير أنه في اعتقادي أن في هذه النقطة بالذات [illegible] المشكلة والخطر

فاحدى تجارب بافلوف تشير الى أنك ان وضعت طعا[illegible] لكلب في صندوق أبيض بين صناديق مختلفة الألوان فسيمضي الكلب يتفحصها جميعا حتى يجد طلبته في الأبيض ، وهو في اليوم التالي سيتجه أول ما يتجه الى الأبيض فان كنت قد وضعت الطعام هذه المرة في الأحمر فسيمضي يتفحصها جميعا حتى يجده في الأحمر وستجده في اليوم الثالث قد بدأ في بحثه بالأحمر ، فان كنت قد أودعت يومها في الأصفر الطعام ، فسيمضي يتفحصها جميعا حتى يصل الى الأصفر غير أنك ان اخترت في اليوم الرابع صندوقا ذا لون رابع فستجد الكلب منذ اليوم الخامس ، والى الأبد يخرج الى الصناديق كل يوم يتفحصها دون ترتيب أو نظام معين ، حتى لو وضعت له الطعام كل يوم ، من وقتها والى الأبد ، في الصندوق الأسود

والغالب أن هذه النظرية تنطبق على الشعوب كما تنطبق على الكلاب ، وأن الشعب الذي يظل ينقل ايمانه وتطلعاته من شخص الى آخر باعتباره المهدي المنتظر ، أو ينتقل أمله في الاصلاح من حكومة الى أخرى باعتبارها الحكومة الرشيدة ، ثم يتبدد أمله مرة بعد أخرى في الأشخاص والحكومات ، ويتكرر اكتشافه كيف كانت مسيرة [illegible] القائد تلو القائد ، والحكومة اثر الحكومة ، عبثا في عبث ، ومصيبة تليها مصيبة ، لابد أن يأتي عليه اليوم الذي يفقد فيه الثقة نهائيا في كل شيء ، ويصبح وهو لا يدري ما عساه يصدق أو لايصدق ، يضحك كالمقعد القعيد في الكرسي أو كالريشة في مهب الريح [illegible] بعد ذلك ـ ولا أقول المهدي المنتظر ، ولكن ـ شخص [illegible] جعبته فكرة معقولة عن سبيل الاصلاح ، [illegible] الشعب أن هيا نطرق هذا السبيل فاذا الشعب [illegible] في بلاهة ولا يفهم ما يقال له ، وقد تبدر منه [illegible] يهم بالنهوض ، ثم اذا به يعدل عن القيام [illegible] ويشيح بوجهه عنه ، ويواصل قعوده بلا حراك ■■

حسين أمين

مصير مليار جائع

أمام حركة ٥٠٠ مليار دولار !

بقلم : الدكتور عارف دليلة

اذا أردنا أن نصف العصر الذي نعيش فيه ـ أواخر القرن العشرين ومطلع القرن الواحد والعشرين ـ فما هي السمة الجوهرية المميزة له ؟ هل هو عصر السرعة ، أم عصر الفضاء ، أم عصر الذرة ، أم عصر الكمبيوتر ، أم عصر ثورة الاتصالات والمعلومات ؟

اعتبرنا مطلع الثمانيات بداية لهذا العصر فانني انه عصر المليار الواحد والمليارات الخمسمائة ... ! انها قصة المفارقات التي تحكم حياة انسان هذا ... أسعد العصور وأتعسها على الاطلاق !

مطلع الثمانيات تجاوز عدد سكان الكرة الأرضية ... ة مليارات انسان وفي الوقت نفسه كان هناك مليار ... ربع سكان العالم ـ يعانون من الجوع ونقص ... ة والمرض والأمية والحرمان من المسكن وارتفاع ... الأطفال وانخفاض متوسط العمر ، ويقل نصيب ... منهم من الدخل ووسائل الحياة عن نصيب الواحد ... الأغنى من البشر بحوالي ٤٠ ـ ٥٠ مرة ... وتزداد هذه الفجوة اتساعا

- ... يزيد نصيب الفرد من السكان من الناتج القومي أفقر بلدان العالم الثالث عن ١٧٠ دولارا في
- ... يزيد في أغنى الدول العربية عن ١٥ ـ ٢٠ الف ... فبينما يبقى الأول ثابتا أو يتزايد بدولارات قليلة الثاني يتزايد عدة مئات من الدولارات في

وفي نهاية هذا القرن سيتجاوز عدد سكان الكرة الأرضية الستة مليارات انسان والسؤال الذي طرحته السبعينات بالحاح وبقوة وعلى جميع الأصعدة هو هل يسير رقم الفقراء في العالم إلى الاختفاء نحو نهاية هذا القرن ، أم على العكس ، يسير الى التزايد ، وربما إلى التضاعف ، والعالم يفتتح أبواب القرن الواحد والعشرين ؟ والجواب على هذا السؤال يعني تحديد نوعية ربع القرن القادم الذي يتفق الجميع على أنه سيكون أخطر فترة في تاريخ البشرية فمي أي اتجاه يسير ؟

البعض يبحث عن جواب لهذا السؤال في الجغرافيا ـ وفي موارد الطبيعة وقدرتها على تلبية الحاجات المتزايدة للانسان وآخرون يبحثون عن الجواب في التاريخ ـ في محاولة لاستعادة أنماط اجتماعية استطاعت ذات يوم مضى استنهاض قوى الانسان وتعظيم امكانياته والبعض يرى الحل الشامل في الثورة العلمية التكنولوجية وما تحمله من مضاعفة هائلة لطاقات الانسان المادية والعقلية في استغلال الطبيعة وتنظيم حياته الاجتماعية ولكن أبرز وأخطر سمات العصر لاتتحدد لا في الجغرافيا ولا في التاريخ ، ولا حتى في العلم والتكنولوجيا ، فهذه كلها يمكن أن تصبح

نتائج عوامل أخرى [illegible] الكيفية التي يجري بموجبها تصريف ثمرات المدنية [illegible] وانتاج [illegible] والتي تتحكم بكيفية توزيع [illegible] و[illegible] على المستوى المحلي [illegible] وبحركة [illegible] [illegible] على المستوى العالمي [illegible] [illegible] دول [illegible] الرأسمالية [illegible] شعوب العالم الفقيرة [illegible] نهاية عام ١٩٨١ [illegible] ٤٣٤ بليون دولار [illegible] ولكن [illegible] [illegible]

والخمسمائة مليار [illegible] أموال [illegible] العالم [illegible] الدول الرأسمالية المتقدمة [illegible] عام ١٩٨٣ ، حسب مختلف التقديرات [illegible] أموال واستثمارات عدد من بلدان العالم الثالث الغنية ماليا في العالم المتقدم الخمسمائة مليار دولار أيضا

أما الخمسمائة مليار الثالثة فهي حجم الانفاق العسكري في العالم على الحروب والتسليح وتحشيد وتموين الجيوش وتكديس أسلحة التدمير الشامل ومع الارتفاع الهائل في ميزانية الدفاع الأمريكية المقترحة لهذا العام ، فان الانفاق العسكري العالمي سيتجاوز الخمسمائة مليار دولار

قصة المديونية

خمسة قرون مضت على بداية عهد الاستعمار في ذلك الوقت لم يكن هناك غرب أو شمال غني متقدم ، ولا شرق أو جنوب فقير متخلف كان الحال متقاربا ثم ظهرت الرأسمالية في الغرب ، فحشدت الأموال والبشر ونظمت الانتاج على أسس جديدة ، واستطاعت توفير القوى لغزو واحتلال القارات الأخرى التي كانت ما تزال تعيش حالة من الركود ، ولكن ليس في مستوى أسوأ بكثير مما كانت عليه أوروبا الغازية ، لا في المعيشة والدخل ، ولا في نسبة الأمية ، ولا في متوسط الحياة

ومع تطوير البارود والمدفع وبناء الأساطيل فقد استطاعوا غزو القارات الأخرى ولم يكن يلزمهم الا احتلال ثغور أو مراكز محددة تؤمن وصولهم الى خيرات البلادواقامة العلاقات مع بعض قنوات السيطرة على الادارة والاقتصاد والبشر فيها وهكذا تدفقت الأموال على الغرب ، فكانت الثروات المنهوبة من الهند وأندونيسيا

القوة المفجرة للثورة الصناعية في انجلترا وهولندا [illegible] كان الأولون يحرصون للمزيد من النهب والافقار حتى تحللت نظم الانتاج والمجتمعات القائمة في بلدانهم ، وتحيوت الطبيعة من حولهم ، كان الآخرون يرتادون الرقي مع الثراء [illegible]

منذ أواسط القرن العشرين بدأت تباشير حقبة جديدة في تاريخ البشرية بسقوط النظام الاستعماري العالمي [illegible] معظم المستعمرات على استقلالها السياسي

[illegible] التصور السائد [illegible] التاريخ الطبيعي [illegible] كانت [illegible] عضوية [illegible] بدون أن [illegible] مشكلاتها ، وأسس [illegible] او تستطيع [illegible]وها ، فان أواسط القرن العشرين [illegible] حديدا مختلفا جوهريا وهو وعي الانسان على قوانين تطوره ، واقدامه للسيطرة على شروط حياته

كان ابن خلدون أول من درس هذه القوانين والشروط في مقدمته الشهيرة ، ولكن دراسته العبقرية جاءت في وقت انهيار وخسوف في المجتمع العربي الذي عاش فيه ، فلم تجد أرضا طيبة ، حتى اكتشفت بعد خمسة قرون

في أواسط القرن العشرين يبدأ « التاريخ الاجتماعي » للبشرية ، ذلك التاريخ الذي لا يرسم اعتباطا ، وانما يتشكل في وعي اجتماعي أولا ثم يعبر الى التطبيق في الواقع هذا التاريخ « الاجتماعي » ما زال في بدايته ، وما زالت العفوية وقوانين « التاريخ الطبيعي » هي الأقوى ، ولكنها أصبحت تتعرض للخرق أكثر فأكثر من قبل ارادة الانسان الواعي سلفا لنموذج حياته المنشودة

لكن المشكلة تكمن في أن هناك من يستخدم هذا « الوعي » ضد اتجاه مسيرة التاريخ ليحافظ على الاشكال القديمة ، كما تفعل القوى العالمية التي لاتريد أن تعترف بأن شعوب المستعمرات السابقة قد تحررت وهي مصممة على بناء حياتها بالشكل الذي يناسبها

وفي المقابل ، هناك من يحاول أن يستخدم هذا الوعي في خدمة البناء الجديد الا أن تركة التاريخ ثقيلة فالبلدان المتخلفة بحاجة الى التكنولوجيا التي [illegible] انتاجية عملها ، وبحاجة الى التصنيع لاستغلال [illegible]

... أفضل ، والى العلم لرفع كفاءة نظامها الانتاجي ... جماعي ، وكل ذلك بحاجة الى الموارد والمعونة ... ورة الا أن من يملك ذلك ، ومهما كان زائدا عن ... انه ، يرى نفسه في وضعية تفوق جديدة تسمح له ... دة الى الهيمنة مرة أخرى ، فهل يتخلى عنها طواعية ؟

... بعد الخمسينات أخذ عجز البلدان النامية يتحول الى ... ن متراكمة حتى أصبحت متطلبات سداد الديون ... تدها في العديد من البلدان تزيد على مجموع ما يتاح لها قروض ومساعدات جديدة من الدول المتقدمة ، ولم يبقى لديها شيء من الفائض الاقتصادي من أجل ... بية ، ولا حتى للحفاظ على المستوى القائم ، أو ... مام السكان المتزايدين فماذا تفعل من أجل الغاء أو ... يق هوة التخلف والفقر ؟ بل أصبح السؤال الأكثر ... ورة في السبعينات بالنسبة لأكثر من أربعين بلدا فقيرا ماذا تفعل لوقف التدهور في شروط حياتها التي ... حافة المجاعة والموت الجماعي ؟

وهكذا ، فمن حيث تريد البلدان النامية التغلب على ... ر والتخلف تجد نفسها في قلب دائرة الاستغلال من ... ند ، وقد وقعت في شرك مديونية هائلة تستنزف من ... ردها وجهودها ، وبوسائل « مشروعة » ، أكثر بكثير كان يستنزفه الاستعمار في ظروف الاحتلال المباشر ... هي الدائرة المغلقة للفقر تستدين لالغاء الفقر ، ... ع في فقر أشد وأدهى وكلما ازداد وضعها سوءا ... ادت شروط الدائنين قساوة وازدادت أيديهم شحا ، ... اسين التاريخ كله !

... ان الزيادة التي تضاف سنويا الى متوسط الدخل الفردي الدول المتقدمة ، مثل سويسرا والولايات المتحدة ، ... ن مجموع الدخل السنوي المتوسط للفرد في دول مثل ... د وبوروندي واليمن والسودان ، وكل زيادة سنوية في ... خل الفردي في الدول الغنية تعادل أكثر من ٧٥ - ١٠٠ ... الزيادة السنوية التي تطرأ على دخل الفرد في الدول ...

... خطورة المشكلة في أن أنماط الاستهلاك الجديد ... عة على النطاق العالمي ، وحاجات الانسان ... تسارع في مختلف المجتمعات ، بفعل الاعلام ... الواسع بين الشعوب ، هذا بينما تزداد الهوة بين ... ح اتساعا ان انقطاع الارتباط بين الاستهلاك ... الدول المتخلفة وتطور الأول بوتائر سريعة ... الاستيراد من الخارج مقابل تطور الثاني ببطء - هو المشكلة الخطيرة - التي تستوجب الحل ولا حل لهذه المشكلة الا بالسيطرة الواعية على تطور جانبي الحياة الاقتصادية والتوفيق بينهما من جديد ، بحصر الاستهلاك في حدود الانتاج والطاقة الاستيرادية ، وبتطوير الانتاج والطاقة التصديرية الى مستوى الاستهلاك المرغوب .

لقد اعتقدت بعض البلدان النامية أن الحل يكمن في الاقتراض من الخارج ، ودون الالتفات الى الاصلاحات الداخلية واعتقد أنصار هذا النموذج أنه سيكون معجزة القرن العشرين (كالمعجزة البرازيلية) لكن الوقت لم يطل حتى تكشفت حقيقة أن هذا النموذج كان عالي الثمن جدا فالتنمية اشتدت ، والجزر الصناعية المتقدمة كانت جزرا أجنبية وليست جزءا من الاقتصاد الوطني ، هذا بينما دفعت ثمنها الجماهير التي زاد فقرها وبؤسها يوما عن يوم وحلت خيبة الأمل محل الأمل وبدأ البحث من جديد عن مخرج حقيقي من المأزق المستفحل

قصة الدائنية (المديونية معكوسة)

ان بداية « التاريخ الاجتماعي » للانسان تعني نهوض الانسان لصنع عالمه بيده ومن أهم شروط هذا النهوض ازاحة الاستغلال وهذا ما تفعله البلدان النامية بدءا من تحرير مواردها الاقتصادية من أيدي القوى الأجنبية

وإذا كانت معظم البلدان النامية قد حققت - بالسلاح في معظم الأحيان - الاستقلال السياسي في الخمسينات والستينات من هذا القرن (وفي القرن الماضي بالنسبة لبلدان أمريكا اللاتينية) ، فان ذلك لم يحسن من وضعها كثيرا ولم يمض وقت طويل حتى أدركت أن وضعها لن يتحسن الا بالاستقلال الاقتصادي الراسخ

وفي السبعينات أنجزت البلدان النامية خطوات نوعية متقدمة على طريق التحرر الاقتصادي ، وكان من أبرز منجزاتها السيطرة على أهم مورد في العصر الحديث ، وهو النفط ، الذي وضعت الاحتكارات الغربية هيمنتها عليه منذ مطلع هذا القرن وأخذت تستغله بصورة شبه مجانية ، وكان مصدرا هائلا للازدهار الشامل في الغرب على مدى عشرات السنوات ، بينما كانت الشعوب المستعمرة تزداد تخلفا وفقرا ومع السيطرة على الموارد الطبيعية وتحديد أسعار عادلة لها ظهر وجه جديد على الخارطة ، وانتعش الأمل في العالم الثالث بأنه مقبل على عهد من التبادل المتكافىء مع العالم المتقدم الا أن آليات « التاريخ الطبيعي » ترفض الرضوخ ، وتحاول البقاء على المسرح بكل قواها

لقد ظهرت الطاقات الجديدة منذ الأيام الأولى لارتفاع أسعار النفط في النصف الأول من السبعينات فخلال أعوام قليلة ظهرت موارد وافرة لدى مجموعة من الدول النامية وعاد التفاؤل من جديد في أن يستطيع العالم الثالث « استيفاء » ولو جزء بسيط من « ديونه » السابقة على العالم المتقدم

وخلال عشر سنوات من ارتفاع أسعار النفط تكاد الفوائض المتراكمة من أموال الدول النامية المصدرة للنفط (الأوبك) تبلغ الخمسمائة مليار دولار

وكانت الظاهرة مفاجئة ، ولم يكن هناك استعداد للتصرف حيالها ولا قدرة على استيعابها في البلدان النامية أما الغرب فكان قادرا على التصرف بمرونة وبسرعة لامتصاص الصدمة وعكسها وبينما يضع الغرب - حكومات ومؤسسات - الشروط القاسية على منح معونة أو قرض لأي بلد نام ، فقد « استوعب » كل هذه الأرصدة الفائضة للبلدان النامية ، دون شروط مسبقة أو لاحقة ، ودون تكلفة حقيقية بل ومع استخدام جميع الوسائل لـ « هضمها » تدريجيا

واذا كانت النظريات الغربية تطلق على القروض الغربية المقدمة الى البلدان النامية بشروط ميسرة نسبيا أوصاف « المعونة » و « المنحة » ، وهي التي « لاتمنح » الا لتحقيق مصالح مرسومة مسبقة للدولة « المانحة » ، فان هذا الغرب نفسه يتصرف بـ « منح » هائلة حرة من أية شروط من البلدان النامية ، حتى أن بعض مصارفه ترفض أحيانا دفع الفوائد العادية على الأموال المودعة فيها انه يستخدم هذه الأموال في تغطية عجزه الخارجي والداخلي ، ولزيادة امكانياته على فرض شروطه على البلدان المحتاجة للمعونة ، وزيادة تعنته وتصلبه في مجابهة مطالب البلدان الفقيرة باقامة نظام اقتصادي دولي جديد عادل

وهكذا يجد العالم الثالث نفسه من جديد أمام مهمة استعادة السيطرة على موارده وتوظيفها في مصالحه وهذا ما يؤكد على التعاون المباشر بين البلدان النامية فخلال سنوات قليلة من ظهور هذه الموارد ارتفعت وبصورة سريعة المبالغ الموجهة منها لاقراض واعانة البلدان النامية غير المصدرة للنفط من أجل مساعدتها على مواجهة أوضاعها الصعبة الناجمة عن أزمة الاقتصاد الرأسمالي العالمي وعن ارتفاع قيمة مستورداتها من النفط

وخلال سنوات قليلة تجاوزت نسبة المعونة التي [illegible] دول الأوبك للبلدان النامية الاخرى تلك [illegible] تخصصها الدول الرأسمالية الغنية لهذا الغرض [illegible] تزال بعيدة عن بلوغ المستوى الذي حددته [illegible] الجمعية العامة للأمم المتحدة هو ٧ , / من [illegible] المحلي الاجمالي وتتخلف عن هذا المعدل بشكل خاص أغنى الدول - الولايات المتحدة ، واليابان ، [illegible] العربية ، وسويسرا - حيث لاتتجاوز هذه النسبة لديها ٢ , - ٣ , / بينما بلغت هذه النسبة لدى دول الأوبك حوالي ١ - ٣ / من ناتجها المحلي الاجمالي بالنسبة لبعض الدول العربية

ان الدول الرأسمالية الغنية تحاول ومنذ ظهور فوائض مالية لدى بعض البلدان النامية التلكؤ في تقديم المعونة الى البلدان النامية المحتاجة والتحرر من عبء هذه المسؤولية التاريخية وحصر معونتها بعدد قليل من الدول ذات الارتباطات الخاصة التي تخدم نزعتها نحو الهيمنة فاسرائيل لوحدها تحصل على ثلث مخصصات « المعونة الأمريكية الخارجية

بل ان الدول الغربية لاترى في تخلف العالم الثالث أكثر من « سوق سوداء »ومتنفس لتصريف أزماتها فيه ، ومن يحقق لها أفضل الارباح هذا رغم التصريحات الكثيرة المفعمة بالانسانية و « الود » التي تتضمنها البيانات الختامية لاجتماعات القمة الغربية تجاه العالم الثالث

والأمر الأخطر من ذلك هو أن كل دولار جديد يستثمره الغرب في البلدان النامية يقابله اليوم أكثر من [illegible] دولارات عائدة من الأرباح والعائدات عن الاستثمارات الغربية في هذه البلدان تحول باستمرار باتجاه البلدان الرأسمالية الكبرى فاذا أضفنا الى ذلك خسارة البلدان النامية لعشرات مليارات الدولارات [illegible] الارتفاع التصحيحي لأسعار الصادرات الغربية [illegible] لقيم صادرات العالم الثالث ، واذا أضفنا الى [illegible] النقود الدولية التي تأكل مليارات الدولارات [illegible] العالم الثالث مع تقلبات اسعار الذهب و [illegible] والأوراق المالية والعملات الأخرى ، [illegible] الجوهري الذي يطرح نفسه من يعين من

ـ واب الـذي لاشـك فيـه هـو أن العـرب
ـمين » بالشعوب المتخلفة في حل مشكلاته على
ـ وهو الذي مثل جهنم ، كلما صب فيه المزيد من
و ـ قال هل من مزيد ؟

مائة وخمسون حربا

ما الخمسمائة مليار الثالثة فهي تكلفة الانفاق الحربي في
ـل إنها ثالثة الأثافي فالدول النامية التي لم يكن
ـاور انفاقها الحربي في الخمسينيات ٤ ٪ من الانفاق
ـي العالمي تكاد تنفق اليوم ما يزيد عن ١٥ ٪ منه ، وان
١٥ حربا أو نزاعا مسلحا التي اندلعت منذ انتهاء
ـب العالمية الثانية كان أكثر من ١٤٠ منها في العالم
ـث بين البلدان النامية بعضها البعض ، وأن شعوب
ـطق هذه البلدان تحولت الى مسرح لتجريب فعالية
ـلحة الجديدة وبالطبع ، ما كان للدول النامية أن
ـد » بهذه الموارد الهائلة على التسليح لمجرد التفاخر
ـاهي ، لولا أن المصالح الظالمة التي تدافع عنها تساوي
ـاف أضعاف ما تنفقه على السلاح والحروب ، ولولا
ما تزال تحتفظ بالقدرة على اشعال الحروب بين البلدان
ـه لاشعالها بعضها عن ممارساتها العاشمة ضدها
ـعة . وأن اشعال هذه الحروب سيؤمن الطلب على
ـلاح الذي تنتجه بحيث يجعله أكثر الصناعات
ـجارات ربحية ، ويعوض ما ينفق عليه ، بل يصبح
ـعاً « منتجا » للدخل القومي ، مؤمنا « فرص العمل »
مخصصا للبطالة » !

ولذا اضطرت احدى البلدان المتقدمة « التحرش »
حرب فانها تحسب الخسائر بالقطارة ، من مال وعتاد
فإن أما عندما توقد الحرب في مناطق العالم الفقير ،
ـاول بكل الوسائل منعها من الانطفاء بصب المزيد
الزيت عليها ، وتخطط بكل وسائلها لحمل هذه الحرب
على ـ حصر واليأس ، وعلى الحرث والنسل ، فلا
ـسا ـ حمة ، ولامزرعة أو مصنعا أو مدرسة ، ولا
ـد ـد على الأرض الى هذه الدرجة يحسون
حربه ـ تعود عنها ويضحون في سبيلها ! ولهذا فان
ـه الا ـ من « المعونة » العربية الى الدول الفقيرة
ـه شكل عون » على الحرب بينها ومعدات عسكرية
ـ هذ ـلى أعناق شعوبها

ـعد ـ هناك سمة لهذا العصر ـ آخر الزمان ـ أكثر أهمية من هذه السمات المليار الواحد والمليارات الخمسمائة الثلاث !

لكن عصر « التاريخ الطبيعي » للانسان يعيش أيامه الأخيرة ولابد أن يبدأ عصر التاريخ الاجتماعي »

فالعالم الثالث يتحرك بشكل مكثف في السنوات الأخيرة لـ« حل » مشكلة المليارات الخمسمائة الأولى ، ويزداد ضغطه تأثيرا ، وتزداد العقول انفتاحا على حجم الخطر الداهم لو تركت المشكلة بدون تسوية ، ليس بالنسبة للعالم الفقير فقط ، بل وللعالم الغني أيضا حتى أصبحت تسوية الديون السابقة المطلب رقم واحد للعالم الثالث مع مطلع الثمانينات في جميع المؤتمرات الدولية

والعالم الثالث يتحرك أيضا في اتجاه استخدام المزيد من المليارات الخمسمائة الثانية في تقوية مواقع بلدانه في الاقتصاد العالمي والخطى تتسارع في هذا الاتجاه أيضا ، في وقت يتضاءل فيه الأمان في الغرب على حقوق العالم الثالث وليس هناك من بديل عن تطوير العلاقة المباشرة « بين الجنوب ـ الجنوب » بعيدا عن وساطة « الشمال »

وكما من أجل الخمسمائتين الأولى والثانية يتفتح الوعي لدى الكثيرين على عالمية المصير الانساني ، فان هذا الوعي ربما يظهر أكثر تفتحا هذه الأيام بالنسبة للمليارات الخمسمائة الثالثة وهل ينسى التاريخ المقاومة المهيبة لحرب فيتنام من قبل الشعب الأمريكي نفسه ؟ ثم ، هل هناك من لا يرى مئات ألوف المتظاهرين ضد سباق التسلح وتطوير الأسلحة الفتاكة ، بدءاً من اليابان ، ومرورا بأوروبا ، ووصولا الى مظاهرة المليون انسان في العاصمة الأمريكية في شهر حزيران من عام ١٩٨٢ ؟ ولايشذ عن ذلك الا الخنوع العالمي المشين لغطرسة العسكرية الفاشية الاسرائيلية ، ولكن هل نفسر ذلك بفساد الضمير العالمي ، أم نكون نحن العرب ، كما قال عنا المؤرخ الشهير أرنولد توينبي « أسوأ محام لأعدل قضية » ؟

أوراق الرزنامة تتساقط بسرعة ، ولم يبق على نهاية القرن الكثير ، فماذا نقول للمليار الأول ؟

ان كل ما نستطيع قوله له ، ولكل المليارات الأخرى

تابعوا ما تفعله المليارات الخمسمائة الثلاث ، ففي حركتها في هذا الاتجاه أو ذاك الخير كله ، أو الشر كله ! ■■

د عارف دليلة

لماذا لا يكتب أمين خان بالعربية ؟

يقلم أحمد عبد المعطي حجازي

في القضية التي اثرتها في مقالاتي السابقة ، يختلف موقف المثقفين الأوربيين اختلافا كبيرا عن موقفنا فمعظمهم يميل الى نسبة العمل الادبي للغة التي كتب بها ، وبعضهم يرى استحالة ترجمته ، وخاصة اذا كان شعرا ، فغاية ما يفعله المترجمون هو ان يقدموا صورا يتفاوت بعدها عن الاعمال الاصلية ومن هنا يعتبر الفرنسيون كل ما يكتب بلغتهم أدبا فرنسيا ، فيجمعون في دراساتهم ومختاراتهم وموسوعاتهم بين الفرنسي والبلجيكي والكندي والسويسري والسنغالي والمغربي واللبناني ، لا تعصبا منهم للغتهم القومية فحسب ولكن انطلاقا من الفكرة التي ترى ان العمل الادبي ابداع لغوي قبل كل شيء ، وهي فكرة توجه الآداب المعاصرة أو معظمها خلقا ودراسة بل هي الفكرة التي وجهت كثيرا من النقاد والشعراء العرب القدماء في تقديمهم للالفاظ واعتبارهم ان المعاني ملك للناس اجمعين ولكن صياغتها في الفاظ هي صناعة الشعراء وحدهم

ولهذا استنتج الجاحظ من حوالي اثنى عشر قرنا استحالة ترجمة الشعر وتحويله من اللغة التي كتب بها الى لغة اخرى « ومتى حول تقطع نظمه وبطل وزنه وذهب حسنه » أما نحن فالغالب على نقادنا وقرائنا تقديم الموضوعات والعواطف والاراء التي يعالجها الشاعر أو الروائي سواء في النظر الى ادبنا المكتوب بالعربية او في النظر الى أي ادب آخر وان كنا مع ذلك نتردد في اعتبار اعمال مواطنينا المكتوبة بلغة اجنبية ادبا عربيا لأن المدلول الثقافي اللغوي يغلب على هذه الصفة (العربي) ولهذا نبحث عن صفة اخرى لهذا الادب خالية من هذا المدلول ، فنتحدث مثلا عن الادب الجزائري أو المغربي المكتوب بالفرنسية ناسبين هذا الادب الى جنسية صاحبه أو وطنه الاول ولكننا لا نفعل في الحقيقة الا ان نحمل لهذا الادب انتماءين اثنين بدلا من انتماء واحد الاول جغرافي اقليمي ، والاخر ثقافي لغوي وبالرغم من الاعتبارات المختلفة التي تميل الى هذه الفكرة فهي في الحقيقة نوع من المنزلة بين المنزلتين على رأينا ، أو هي وضع للمؤخرة بين المقعدين كما يقول تعبير الفرنسي الساخر

فلنعترف بأننا نعالج هذه المسألة بقدر كبير من الحساسية الناشئة من تجاربنا المرة مع الاستعمار [illegible]

اد ان يدمر ثقافتنا القومية تدميرا وان يفرض علينا ثقافته ولغته فرضا ، حتى اصبح الدفاع عن النفس
انكار كل ما احذناه عن اوربا ولو كان بعضه مفيدا نافعا   هذه الحساسية التي نعالج بها هذه المسألة
جعلت كثيرا من المبدعين المغاربة في فرنسا يحصرون انفسهم في موضوعات مكررة تتصل بتجاربهم
ية أو بتجارب المهاجرين المغاربة عامة ، وذلك سعيا للانسجام مع ما يعتقدونه في انهم يكتبون
ية أدبا مغربيا ، كما نجد في اعمال رشيد بوجدرة وإدريس الشرايبي ، وخالد بن جلون   وهذه
ية ايضا هي التي تجعل بعض دارسي هذه الاعمال يبدأون من محاولة اثبات مغربيتها فيفسرونها على
نتائج لا يعطيها التحليل السليم

ن اظن ان علاقتنا بأوربا لم تعد الان كما كانت قبل عشرين عاما   فمن واجبنا ان نعالج هذه المسألة
بحساسية أقل لنخلو من هذا التمزق الذي يفسد تفكيرنا وسلوكنا ويفرض علينا حلولا خادعة تبيننا
الحة قضايانا بجرأة ، وتفصلنا عن التقدم والابداع بلا عقد

سأل انفسنا بصراحة ، هل كانت اللغات الاجنبية مفروضة دائما علينا من جانب المستعمرين ، أم اننا
ون نحن ايضا بوعي أو بدون وعي في وجود هذا الوضع الذي ننكره ونحاول التبرؤ منه؟

ا كنا في زمن السيطرة الاستعمارية مسلوبي الارادة والقوة ، واذا كان المستعمرون قد حالوا بيننا وبين
قومية وقهرونا على استعمال لغاتهم في عهود الاحتلال ، فما هو تفسيرنا لبقاء هذا الوضع في عهود
لال ؟

ا صح لجيل الخمسينيات أو الستينيات من الكتاب المغاربة باللغة الفرنسية أن يلقي المسئولية على
ستعمار فماذا يقول جيل السبعينيات والثمانينيات ؟

صحيح أن الادب العربي المعاصر أصبح يزهو بأقلام مغربية وجزائرية مرموقة منها عبد الكريم غلاب ،
، والمجاطي ، والمديني ، والاشعري ، والطاهر وطار ، فضلا عن الاقلام التونسية التي سبقت الى
الصت ، كالشابي والمسعدي   لكن الكتاب المغاربة ما زالوا يشكلون نسبة لا بأس بها من كتاب اللغة
سية ، حتى أن بعض المجلات هنا تصدر اعدادا خاصة لنشر شعر الأجيال الجديدة من المغاربة
ائريين الذين ينظمون بالفرنسية   بل ان دور النشر الحكومية في بعض بلاد المغرب العربي تنشر دواوين
الشعراء   وامامي الآن ديوانان اثنان لشاعر جزائري شاب هو أمين خان ، صدرا عن الدار الوطنية
، والنشر في الجزائر   الاول عام ١٩٨٠ والثاني هذا العام   ورغم ان هذا الشاعر لم يصل كما علمت الى
للثلاثين ، أي انه شب وتعلم في عهد الاستقلال   فهو في الكلمة المكتوبة على غلاف ديوانه الثاني
ن أغاني فاطمة » لاحظ ما يعكسه العنوان من تمزق - يتحدث عن دور الشعر في هذا العالم « حيث
الملا، محرومون من الكلمة ومن لغتهم » !

ـ له... ـ اذن عن حرمان هذا الشاعر الشاب من لغته ؟ لا اظن أنه الاستعمار هذه المرة   بل هي
ع الله... ـت التي لم تنجح حتى الآن في أن تمكن هذا الشاعر الشاب من لغته العربية وأن تزيل هذه الجفوة
... ـنا الجميلة وبين احلام وافكار الجيل الجديد   وأنا لا اشك في اخلاص القائمين على التعريب

في بلاد المغرب العربي . ولا اشك في اهمية النتائج التي حققتها هذه البرامج حتى الان ، فقد لمست ذلك بنفسي في زيارتي الاخيرة للجزائر في العام الاسبق ولكن هناك تركة ثقيلة في العادات والمصالح والاراء المتناقضة التي قد تمنع برامج التعريب من ان تتحقق بالسرعة اللازمة ، أو قد تفرض تعريبا لا يستجيب لروح العصر أو لحاجات الشعب بأجياله المختلفة وهذا ما ينبغي ان تتكاتف الجهود لتجاوزه ، فاللغة العربية وحدها تملك ادبنا القومي

اريد ان اقول في ختام هذه المقالة ان الترجمة العربية لاعمال الكتاب العرب المؤلفة بالفرنسية ضرورية لاسباب مختلفة ثقافية وعاطفية لكن هذه الترجمة لن تحول هذه الاعمال الى ادب عربي ربما اثرت في ثقافتنا القومية ، لكن كما يؤثر العمل المترجم سواء كان صاحبه عربيا أو اجنبيا كما ان تسمية هذه الاعمال بغير اللغة التي كتبت فيها لا تحل المشكلة فلنترك ادن كتابنا باللغات الاجنبية يبدعون في هذه اللغات احرارا من كل عقدة ، ولنطالبهم بالاضافة الى اداب اللغات التي يكتبون فيها ولنكف عن اعتبارهم متواطئين مع الاستعمار في قول المتطرفين منا ، وعن اعتبار ادبهم ادبا عربيا في قول المتطرفين على الناحية الاخرى ولنترجم اعمالهم لنستمتع بها ونستفيد منها ولنفقد مواهبنا الجديدة من ان تضطر للوقوع تحت نفوذ اللغات الاجنبية وما الذي يحميها من هذا الخطر اذا كنا نقول لها ان الادب ليس بلغته وانما هو بجنسية صاحبه ؟! ■■

باريس ـ أحمد عبد المعطي حجازي

ويحك ياجاهل

● روي أن ليلى الأخيلية مدحت الحجاج ، فقال ياغلام ! اقطع لسانها ، فأخرج سكينا « ليقطع لسانها فعلا » ، فقالت ويحك ياجاهل ، ان الأمير لم يأمر بقطع لساني بالسكين بل انه أمر بقطع لساني بالجائزة والصلة

اسحق باشفيز سنجر

في سقف «الجيتو» ومؤرخه

بقلم : نوح حزين

رغم منحه جائزة نوبل في الأدب ، فان قصة الرجل لا تثير الدهشة فحسب ، ولكنها تثير أكثر من شبهة حول حياد قرارات منح الجائزة ، ومدى تأثرها بمخططات السياسة وألاعيبها

في عام ١٩٧٦ تبنت الأمم المتحدة قرارا باعتبار الفكر الصهيوني فكرا عنصريا . وفي العام نفسه منحت أرفع جائزة أدبية عالمية ، وهي جائزة نوبل للكاتب الامريكي الصهيوني سول بيلو . وبعد ذلك بعامين أي عام ١٩٧٨ نال كاتب صهيوني آخر هو اسحق باشفير سنجر الجائزة نفسها ، مما طرح بقوة التساؤل حول الطابع الانساني للأدب العربي الذي يمنح كاتبٌ ما من أجله الجائزة

فان كان بيلو قد حقق قدرا من الشهرة والانتشار عن طريق ... الاعلام الامريكي واللغة الانجليزية التي يكتب ... عن سنجر الذي يكتب حتى الآن بلغة اليديش القديمة ... لا يزيد عدد من يتحدثها في أحسن الأحوال عن ٦ ... نسمة موزعين في أرجاء العالم المختلفة ، وذلك ... انه يعيش في الولايات المتحدة منذ ما يقرب من نصف ... ورغم اتقانه للغة الانجليزية ، حيث يقوم بنفسه ... على ترجمة أعماله إلى الانجليزية ، التي يقوم بها ... معروفون مثل سول بيلو أو غير معروفين مثل ... حوريف سنجر وآخرين

جاء في شرح أسباب منح الجائزة لسنجر أنه استطاع أن يعكس من خلال أعماله الأدبية أوضاع اليهود في أماكن تواجدهم في بولندا والولايات المتحدة بأسلوب يتميز بالحكمة وقوة التعبير . فلنحاول التعرف عن كثب على عالم هذا الروائي الصهيوني من خلال أعماله وسيرة حياته

من هو المحظوظ بالجائزة ؟

ولد اسحق باشفير سنجر في بولندا عام ١٩٠٤ لعائلة يهودية متدينة . فقد كان أبوه وجده حاخامين تخرجا في المدارس الدينية التابعة لطائفة « الهاسيديم » اليهودية ، و « الهاسيديم » هي كلمة عبرية تعني الأتقياء ، وهي اسم طائفة يهودية متطرفة يعود تاريخ نشأتها الى القرن الثالث قبل الميلاد ، وذلك ردا على ما اعتبره رجال الدين اليهود تغلغلا للفلسفة الهللينية في الفكر الديني اليهودي مما يهدد بافساده

وقد طالبت هذه الطائفة بالالتزام الحرفي بالطقوس الدينية اليهودية للحفاظ على بقائها ، لكن آثار هذه الطائفة اندثرت الى أن أعيدت مرة أخرى في منتصف القرن السادس عشر على يدي الحاخام اسرائيل بن اليسار وقد جاءت اعادة التأسيس هذه المرة ردا على انتشار الفكر العلماني العقلاني الذي بدأ في التطور في أوروبا مع التقدم العلمي والصناعي ، مما اعتبره « بن اليسار » تهديدا لروحانية الفكر الديني اليهودي

قطع سنجر وشقيقه الأكبر اسرائيل جوشوا سنجر (١٨٩٣ - ١٩٤٤) شوطا طويلا في دراسة التراث الديني لهذه الطائفة ولا يكاد يخلو عمل من أعماله من الاشارة لها بالاسم أو باستخدام فكرها في رسم صورة اليهودي المثالي النقي من وجهة نظره ولكنه وشقيقه لم يستمرا في الدراسة الدينية ، واتجه الاثنان للصحافة والكتابة ، وبينما اتجه اسرائيل ج سنجر للرواية والمسرحية اتجه اسحق ب سنجر للقصة القصيرة والرواية وفي عام ١٩٣٥ غادر الأخوان بولندا الى الولايات المتحدة وفي عام ١٩٤٣ حصل الأخوان على الجنسية الأمريكية وطوال هذه الأعوام كانت أعمال اسحق سنجر تكتب أساسا بلغة اليديش ، في صحيفة تصدر بهذه اللغة في نيويورك ، هي صحيفة « جويش ديلي فوروورد » وفيها نشر قصصه القصيرة التي اشتهر بها بدءا ، وكذلك رواياته التي نشرت مسلسلة فيها ، ومقالاته الصحفية التي كان يوقعها باسم فرشوفسكي ، وباستثناء بعض الأعمال الاولى التي نشرها في بولندا فان كل أعماله تقريبا مكتوبة بلغة اليديش

في نظر ناقد انجليزي

في دراسة له حول ما أسماه بالرواية اليهودية في أمريكا اختار الروائي والناقد الانجليزي انتوني بيرجس في تصنيف سنجر الذي رغم أنه عاش أكثر من نصف حياته في أمريكا ، وحصل على جنسيتها الا أنه لا يكتب أعمالا أدبية أمريكية ، ولا يستعمل لغة أمريكية ، ولا يصف مشاهد أمريكا ولا يعالج قضاياها فهمه الأول هو العادات والتقاليد والطقوس الخاصة بالشعب اليهودية التي يرسمها ، ونادرا ما تضم كتاباته شخصيات غير يهودية ويستنتج الناقد الانكليزي ان اسحق سنجر « لا ينتمي الى تيار الرواية الامريكية ولا تيار الرواية الامريكية اليهودية أيضا »

ان استنتاج بيرجس لم يأت اعتباطا على أي حال فأعمال سنجر لا تدع مجالا للتأويل في هذا الخصوص فالرواية التاريخية التي يكتبها هي تسجيل لتطور المجتمعات اليهودية في أوروبا وتاريخ أوروبا في الفترة التي سبقت الحرب العالمية الثانية هو تاريخ اليهود الذين هدد حياتهم ستالين في الشرق وهتلر في الغرب والحاضر لديه هو حاضر اليهود الناجين من « المحرقة » الهاربين الى الولايات المتحدة الأمريكية أو فلسطين التي ترد في أعماله تارة باسم « أرض اليهود » وأخرى باسم « أرض اسرائيل » وهو الاسم التوراتي لفلسطين ، وفي كل أعماله تظل صورة « الغيتو » اليهودي هي الأكثر ترددا وتكرارا باعتباره الرحم الذي يحتضن اليهود ، ويحفظهم من التلوث الذي يسببه الاختلاط بـ « الجنتايلز » أي غير اليهود من البشر

ثلاث لغات ميتة

يقول سنجر على لسان بطله أرون غرايمر - الذي يحمل كثيرا من صفات الكاتب نفسه - في روايته الأخيرة شوشا : « لقد فتحت عيني على ثلاث - لغات ميتة العبرية والآرامية واليديش (البعض لا يعتبر الأخيرة لغة على الاطلاق) وعلى ثقافة نشأت في بابل التلمود ، ... بصيف ، » ورغم ان اجدادي استقروا في بولندا منذ ميلادي ما يقارب ستمائة او سبعمائة سنة فاني لا أعرف سوى بضع كلمات من اللغة البولندية »

ضمن اطر العزلة الدينية والثقافية التي ... على لسان بطله المذكور ، عاش سنجر في الغيتو اليهودي ... اصبح عالمه الوحيد والأثير والآن وبعد ...

العربي « الغيتو » أو « الجيتو » تعني المكان المعزل ، وقد جرت عادة اليهود - حيث نزلوا - على اتخاذ حي يسكنونه وحدهم ، معزلين عن غيرهم

ISAAC BASHEVIS

SINGER

SHOSHA

Haunted by his childhood sweetheart,
Aaron returns to the doomed Warsaw ghetto

علاف رواية « شوشا » لسنجر

الطويله ...
العسر ه...
معظم أ...
البولندى

...مادرة الغيتو البولندى الى امريكا لايزال
... الخاص وملاده وخلاصه أيضا ومقيت
حتى الآن تتناول حياة اليهودى في الغيتو
...سو ولوبلين وفراموك وعاليسيا ، ومن

خلال تصويره لهذه الحياة بنى سنجر مجده الادبي لكن ما
يبدو تميزا على الصعيد الادبي وتكريسا لحياة هذا القطاع
من اليهود ، تحول على يدى الكاتب الى نوع من التبنى
لحياة الغيتو لابيؤسها وشقائها واساطيرها وخرافتها

ووقائعها فحسب ، بل ايضا بشكوكها وعدائيتها وانعلاقها لقد نظر سنجر لواقع الغيتو وأصبح فيلسوفه ومؤرخه بلا منازع فالحياة لديه هي حياة الغيتو ومستقبل الغيتو هو مستقبل اليهودي ، ودمار الغيتو دمار له ولفكره وأمله ، وخلاص الغيتو خلاص له ، ولا خلاص له الا بالغيتو

باختزاله الحقائق على هذا النحو أصبحت فلسفة الحياة لديه بسيطة جدا وأصبح العالم واضحا وأصبحت لعبة السياسة وكذلك لعبة الفن والادب والمجتمع ـ مسرة والمفتاح السحري لهذا كله هو معادلة اليهودي مقابل (الجنتايل) أي غير اليهودي ولكن بدلا من استخدام هذا المفتاح للاطلال على عالم الجنتايلز ، يغلق سنجر باب الغيتو على نفسه وعلى النساء البائسات والحاخامات الطيبين ! وعلى اللصوص والعاهرات والقوادين وأصحاب الحرف اليهودية التقليدية مثل باعة الملابس القديمة والأثاث القديم ، ويخلق جوا فريدا شديد الخصوصية ، لكنه في الوقت نفسه شديد العزلة يفتقد البريق الانساني المنفتح على الشعوب والأجناس والأديان الأخرى فينقلب تفرده الى عزلة ، وتميزه الى شذوذ

واليهودي لدى سنجر يهودي أولا وقبل كل شيء ، أما ما عدا ذلك فيبهت أمام تلك الحقيقة الرئيسية ف « هايمل » ـ في رواية « شوشا » ـ ملحد لا يؤمن بالأديان لكنه مع ذلك يراعي بدقة طقوس الدين اليهودي في المأكل والملبس والمطهر حيث يرسل لحيته في نهاية الرواية على الطريقة اليهودية وعندما يسأله آرون عن السر في ذلك رغم إلحاده يجيب « لا بد أن تكون لليهودي لحية » ان عليك أن تكون مختلفا عن غير اليهود بطريقة ما »

ان موقف هايمل هذا نموذجي بالنسبة لروايات سنجر ، فهناك العديد من التنويعات لهذه الشخصية في قصص وروايات سنجر الاخرى فهناك « فيتلزون » الفيلسوف الاباحي في الرواية نفسها التي تدور أحداثها في ثلاثينيات هذا القرن في بولندا التي تنتظر غزو هتلر ، وهناك « الكا » العانية في قصة « جمل الأحمق » و « بيبي » في حكاية « قاتل الزوجات » و « ناثان » في قصة « اللامرئي » و « ياشا » في روايته الشهيرة « ساحر لوبلين » وتشترك كل هذه الشخصيات في جموحها وطابعها الارضي غير الديني

لكنها تجد خلاصها أخيرا في الدين اليهودي ، وفي [illegible] الذي يأوي اليه كل من ولدته أم يهودية

وتحفل أعمال سنجر بأسماء الأشهر والأعياد وال[illegible] والفلاسفة والأساطير والرموز الدينية التي تنتمي للتاريخ اليهودي وهذا التاريخ حاضر أبدا ليعطي الأحداث أبعادها التاريخية ودلالاتها التوراتية والدينية وشخصيات سنجر الرئيسية يهودية بأسماء عبرية ومن النادر العثور على شخصية غير يهودية في أعماله ، وان وجدت فهي مشوهة أو حاقدة على اليهود ، تتمنى فناءهم ، أو مضطهدة لهم

ففي المجموعة القصصية المعنونة « جمل الأحمق » التي تضم ١٢ من أشهر قصصه ـ لا نعثر الا على شخصية واحدة غير يهودية ، وهي شخصية خادمة سرقت مدخرات سيدتها اليهودية !! وفي « شوشا » شخصية « تكلا » التي تحب اليهود وتفضلهم على بني دينها لأن « أولاد اليهود » يقرأون الصحف والكتب ويعرفون ما يجري في العالم وهم يعاملون البنات أفضل مما يعاملهن أولادنا » ولا تتردد « تكلا » في الالتجاء الى الغيتو هربا من خطيبها السائق الفظ ، الذي يهددها بالقتل ان لم تأت معه وهكذا تكبر صورة الغيتو ليصبح خلاص غير اليهود أيضا بعد أن كان حكرا عليهم

هذا هو عالم « اسحق ب سنجر » عالم « الغيتو » المنغلق ، حيث يعيش اليهودي متقوقعا مكتفيا باتباع تعاليم دينه التي تغنيه عن كل شيء ، بما في ذلك مشاركة الآخرين هلاكهم ان يهودي سنجر هو حفار قبور هذا العالم وبائع المتاع القديم المسك بقوة بدينه وتاريخه وثقافته ولغته ، ولا علاقة له بما هو خارج الغيتو حياته قدر كموته ، تأخذ استمراريتها من تمجيد الرب اليهودي ، واستذكار قصص أنبيائه ، ليصنع بذلك حدوده الخاص وهي رحلة عذاب يقوم بها نحو الخلاص الذي يتجسد في الدين كفلسفة ، وفي الغيتو كموقع ، ولا [illegible] الخلاص الا بالخروج الى فلسطين ، أو الهروب الى [illegible] والا فالمحرقة هي المصير وربما كان اخلاص سنجر لفكرة أرض اسرائيل هي امتداد لاخلاصه لفكرة [illegible] الكبير الذي يضم يهود العالم جميعا ■■

نوح حزير

لماذا يوضع الاسلام في مربع التخلف السياسي ؟

بقلم : فهمي هويدي

يستغرب المرء احتهادات بعض فقهائنا الدين يرددون على المسامع ومن فوق المنابر ان الاسلام نظام شامل للحياة ، دين ودنيا ، ثم يسجلون مواقف تناقض هذه الصورة وتشكك في سمة ذلك الشمول وجدواه ، او احتهادات اولئك الذين يشبعونا كلاما عن صلاحية الاسلام لكل زمان ومكان ، ثم نكتشف ان ادراكهم للزمان لا يتجاوز بضعة عقود في القرن الهجري الاول ، في حين لا تذهب اعينهم في رؤية المكان لأبعد من حدود الحجاز وبحر القلزم !

اقول ذلك بمناسبة الحوار الذي يدور بين الحين والآخر حول موقف الاسلام من مختلف قضايا العصر ، وفي مقدمتها موضوع الحكم والسياسة اذ يذهب هؤلاء الفقهاء الى مصادرة بعض من اهم ضمانات الحرية والديمقراطية ، او التضييق منها ، لمجرد ان ذلك مما لم يجر العمل به عند السلف ، او لان النصوص لم تشر اليها بعبارات قطعيه ، او ان تفسير النصوص يحتمل اكثر من وجه ، منه ما يعزز تلك الضمانات ومنه ما يقلصها ، فلا يقع اختيارهم ـ سامحهم الله ـ الا على تلك التفسيرات التي تتجه الى التقليص والتضييق

ويعجب المرءلذلك الجهد الكبير الذي يبذله هؤلاء الفقهاء ، من اجل تأويل النصوص وتطويع الالفاظ والواقع ، وتخريج الاستنباطات التي يدعمون بها احتهاداتهم تلك وهو جهد لو انصرف في الاتجاه المعاكس ، الذي يكرس حقوق الانسان المسلم ويصون حريته، لأدوا به لدينهم وقومهم خدمة جليله

ان موقف هؤلاء الفقهاء من قضايا الشوري والاحزاب والانتخابات والمعارضة والدستور ، التي هي في مقدمة ضمانات الحرية والديمقراطيه ، يجسد ذلك الوضع السلبي الذي يثير الاستغراب والعجب من جانب ، ويظلم الاسلام والمسلمين من جانب آخر

فالذين يقولون ان الديمقراطيه ليست من الاسلام ، ويسعون بمختلف الوسائل الى اثبات ان الشورى لا الزام فيها ، وان النظام السياسي الاسلامي يقوم على حكم الفرد الصالح ، اولئك الذين يخرجون علينا بفتاوى مؤداها انه ليس في الدولة الاسلامية دستور ، لان القرآن دستورها ، كما انه لا محل في التجربة الاسلامية للاحزاب او المعارضه ، لان حزب الله فيه الكفايه وغيرهم ممن يقولون بانه لا انتخابات في الدولة الاسلامية « لان طالب الولاية لا يولى » ، وبان الاغلبية مشكوك في صواب رأيها ، بل ومتهمه في المجتمع السياسي الاسلامي لان القرآن الكريم يقرر « وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله » (الانعام ١١٦) . . هؤلاء وهؤلاء يسيئون بشكل فادح الى التجربة الاسلامية ، والى النصوص من قرآن

ـ حديث ، فضلا عن انهم يصفون الاسلام ... حيث لا ... التخلف ... وعداء ما

ولا اريد ان افهم بأن المطلوب هو ادخال كل ما هو مستحدث من التجارب السياسية ... الاسلام وبعضه على قد وقياس النظم البرلمانية في اوروبا والولايات المتحدة ولكن المطلوب ... نستخلص الموقف الاسلامي الحقيقي الاصيل ، وان ندفع عن النظام السياسي الاسلامي شبهات ... بغير مبرر مفهوم

ان مثل هذه الاراء التي ذكرتها تنطلق في واقع الامر من منطلقات محدده نستطيع ان نرصد منها ...

ـ اما قراءة للنصوص الاسلامية تتجاهل مقاصد الشريعة واهدافها الكلية

ـ او قراءة متعسفة وخاطئة لتلك النصوص ، تحملها اكثر مما تحتمل او بغير ما شرعت اليه

ـ او قياس في غير موضعه على التجربة الاسلامية الاولى ، بمعنى اربعة عشر قرنا من الزمان ، ويلزم مسلمي هذا الزمان بما لا يلزم

ـ او رفض لوجه الله لحصاد التجربة الانسانية ، لمجرد ان هذا هو جهد الاخرين له وليس جهد المسلمين

وهذا السلوك ليس مستغربا في المجتمعات الاسلامية المعاصرة ، فمنذ استيقظ المسلمون بعد طول سبات وانكسار واتصلوا بالعالم في القرن التاسع عشر ، وهم في حيرة من امرهم وإذا كان البعض يقاوم الان فكرة الديمقراطية ويخرج من الاسلام الدستور والانتخابات والاحزاب ، فقد كان بعض المسلمين في القرن الماضي يتشككون بعض القدر في شرعية لبس النعال والقبعة ، وقدح الكبريت وانارة المساجد بالاستصباح ، واستخدام اللاسلكي في الاخطار بثبوت رؤية هلال رمضان ، او استخدام المطابع لطباعة المصاحف وكان منهم من يرفض الاعتراف بعلوم مثل الرياضيات والجغرافيا ، كما يرفض الاعتراف بالبلاد التي ليست مذكورة في كتب « تقاويم البلدان » التي حررها فقهاء السلف !

ان « مس » ماهو مستحدث من اشياء وافكار لا يزال يثير مخاوف الوجدان المسلم فضلا عن ان ارتباط المسلمين بتجربة العصر الاسلامي الاول تنحو احيانا منحى خطرا ، يعتبر أن كل ما حدث خلال تلك التجربة هو سنة ، وكل ما جاء بعدها بدعه ، والذين يشغلون انفسهم الى الان بتقصير الجلاليب والاكل باصابع اليد الثلاثه بعض هؤلاء

●

القصص والامثله بغير حصر ، وكلها تعكس خللا فادحا في كيفيه قراءة تعاليم الاسلام والقياس على تجربة عصر النبوة والخلافة الراشدة الامر الذي فرض علينا ان نعود الى التذكير ببعض اساسيات ... الاسلامي ، التي في مقدمتها

● ان مصلحة العباد اعتبرت لا يعلوه فوقه اعتبار في تقدير المواقف وحسمها ، والشرائع إنما جاءت ... الاجل مصالح العباد في العاجل والآجل معا ، كما يقول الامام الشاطبي ... الشريعة ـ كما يقول ... الجوزية ـ عدل كلها ورحمة كلها ومصالح كلها ... فكل مسأله خرجت عن العدل الى الجور ... الى ضدها ... عن المصلحة ... المفسدة ، فليست من الشريعة وان ادخلت فيها بالتأويل »

● ـ الاصل في الاشياء هو الحل والاباحة ، وليس التقييد او الحظر ، ونص الشارع الصريح ... وحده الذي يمكن الاستناد اليه في الحظر أو التحريم ، فاذا لم يكن النص صحيحا ، ...

... يكن صريحا في الدلالة على المنع ... بقي الامر على اصل الاباحة (*)

● ... ضالة المؤمن ، حيثما وجدها فهو احق الناس بها ، كما يقول الحديث الشريف ... ومما يخالف ... الاسلامي ، بل مما يتنافى مع الادراك السليم ، ان يعرض المسلمون عن اي تجربة انسانية تشريعية طالما انها لا تتعارض مع النصوص الاسلامية الثابتة والصريحة

● ... الاسلامية الاولى لا تلزم احيال المسلمين في شيء ... فما يلزم المسلمين ليس من حيث رمنيته ... ولكن - كما قلت - احكام ... وقاطعه في ثبوتها وفي دلالتها وخارج دائرة هذه الاحكام ، فان النصوص والشواهد والوقائع تحمل معنى التوجيه والارشاد قد يفيدنا ان ناخذ بها ، لكنها لا تكون حجة علينا ... ناها الى غيرها

● ان المفكر الاسلامي يرفض عبادة النصوص فضلا عن التطبيق الاعمى لها ، والمبدأ تغير الفتوى ... خلافها باختلاف الازمنة والامكنة ... عند فقهاء المسلمين ، وكتابات ابن القيم بشأنه غاية في الوضوح والاستنارة ... وقد تقرر هذا المبدأ الهام من خلال الممارسات الشجاعة والواعية التي تصدى لها النبي عليه الصلاة والسلام وصحابته وغيرهم من الفقهاء ... ومن نماذج ذلك النهي عن قطع يد السارق في الغزو ، واسقاط حد السرقة ايام المجاعة ، وايقاف نصيب المؤلفة قلوبهم من الزكاة ، وانكار ابن تيمية على من نهى شرب عسكر التتار للخمر في الشام ، بل واقراره لسلوك هؤلاء العسكر « لان الخمر يصدهم عن قتل النفوس وسبي الذرية والاموال »

● ان مقولة شمول القرآن الكريم لكل شيء ، ينبغي ان تستقبل بغير مبالغة ، وان توضع في اطارها الصحيح ... والبيان الالهي « ما فرطنا في الكتاب من شيء » ينصب بالدرجة الاولى على الكليات والاطار العام لحركة الانسان والمجتمع ، اما التفاصيل والجزئيات اللامتناهية فامرها متروك للمسلمين ، يعالجونها حسب مقتضيات ومصالح كل زمان ومكان

● ان تجربة الرسول عليه الصلاة والسلام التي هي المرشد الاول في التطبيق الاسلامي ينبغي ان تظل في مكانها من الاكبار والاجلال عند كل مسلم ... لكنها - ايضا - لا تلزم المسلمين الا في حدود معينة ... اذ ليس صحيحا ما يروجه البعض من ان كل ما صدر عن الرسول من قول او فعل او اقرار يعد فريضة واجبة الاتباع

والتفرقة ضرورية بين ما صدر عنه عليه الصلاة والسلام باعتباره رسولا ونبيا ، وبين ما صدر عنه باعتباره انسانا له تجربته الدنيوية وخبراته الخاصة ... ومن رأي ابن تيمية « ان الانبياء صلوات الله عليهم معصومون فيما يخبرون به عن الله تعالى وفي تبليغ رسالاته باتفاق الامة » ومما كتبه ابن حزم في « الفصل في الملل والاهواء والنحل » انه « قد يقع من الانبياء قصد الشيء يريدون به وجه الله تعالى ، فيوافق خلاف مراد الله تعالى ... وانه تعالى لا يقرهم على شيء من هذا اصلا ... بل ينبههم الى ذلك اثر وقوعه منهم ، ويظهره لعباده ، وربما ينبههم عن ذلك بالكلام » ... فما صدر عن النبي باعتباره مبلغا وموحى اليه من الله سبحانه وتعالى ، واجب الاتباع والالزام ، وما دون ذلك فقد يكون مستحبا ، او خاصا به عليه الصلاة والسلام ... وقصة تلقيح النخل الشهيرة تعبر عن ذلك بوضوح ، اذ كان تعليق الرسول عندما لم تحقق نصيحته لاصحاب النخل نتيجة المرجوة ، قوله ... انتم ادرى بامور دنياكم

- اذا حاولنا الاعتماد على هذه المبادىء البديهية في التفكير الاسلامي ، لنستخلص منها موقفا ... - مختلف قضايا الحكم والسياسة - موضوعنا الاصلي - فسوف يدهشنا اقتحام الشريعة في تفاصيل

(*) القرضاوي - الحلال والحرام في الاسلام - ص ١٩

مثل الدستور والاحزاب والانتخابات والمعارضه اذ ان الشريعة لم تحدد سوى إطار كلي للحكم الشوري ـ وتركت المسلمين يجتهدون في تطبيق صيغة هذه الشورى ، بالصورة التي تحقق مصالحهم ، في هذا « اعرف بشئون دنياهم » ، وبمنطق ان الاصل في الاشياء الاباحه ، فليس هناك ما يمنع من اقامة هذه الابنيه اذا كان في ذلك مصلحة لجماهير المسلمين

وفيما يتعلق بالنص الذي يصادر به البعض فكرة الترشيح للانتخابات والذي ينص على ان طالب الولاية لا يولى ، فانه ـ ان صح وثبت ـ يعد من قبيل الاجتهاد السياسي ، غير الملزم ، والقابل للمناقشة ولنذكر هنا ان الصحابي أبا ذر الغفاري طلب لنفسه الولاية ولم يستحب الرسول لطلبه ، ليس لانه طلب الولاية ، ولكن لان قدراته الشخصية التي كان يعرفها النبي جيدا ، لم تكن تؤهله لذلك

والذين يتعلقون في رفض مبدأ الاغلبيه بالآية « وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله » ، (الأنعام ـ ١١٦) ـ هؤلاء ينسون ان تلك الاية ومثيلاتها في ذات المعنى انما تنصب على الكثرة المذمومة ، كثرة الكفر والضلال ، وليس مجموع الامة وخيارها كما يقول الشيخ محمد الغزالي وفي عدد شهر سبتمبر الماضي في « العربي » ، رد مفصل لهذه النقطة *

لكن ما يحتاج الى وقفه ومناقشة هو موقف الاسلام من قضية الشورى ، لان التوجيه منصوص عليه صراحه في القرآن الكريم على الاجمال ، ولكن استغلال هذا التوجيه يجسد ذلك الموقف المستغرب من بعض الفقهاء

فقد ذكرت الشورى في آيتين اثنتين ، اولاهما تخاطب النبي عليه السلام قائلة وشاورهم في الامر »(آل عمران ـ ١٥٩) ، وقد نزلت عقب غزوة احد التي خرج اليها الرسول نزولا على رأى اصحابه ، وخلافا لرأيه في ان يبقوا بالمدينة ويدافعوا عنها من داخلها ، وثبت ان رأيه كان هو الاصوب ـ ومع ذلك نزلت الآية داعية الرسول لان يستمر لاصحابه ، وأمرا له عليه السلام بان يشاورهم في كل امر ، لتثبيت القيمه وتأكيدها في المجتمع الاسلامي ، رغم سلبية التجربة التي مر بها المسلمون في غزوة احد

والآية الثانية نزلت في سورة حملت اسم الشورى ، ووصفت مجتمع المسلمين بصفات عدة بينها انهم « استجابوا لربهم ، واقاموا الصلاة ، وامرهم شورى بينهم » (الشورى ـ ٣٨) حيث جاءت الشورى بعد الايمان بالله واقامة الصلاة ، وهو سياق يرفع من قيمة الشورى الى مكانة سامقة في المجتمع الاسلامي

ورغم وضوح النصين على هذا النحو ، فان جدلا لا يزال قائما الى الان حول ما اذا كانت الشورى ملزمة او معلمة ؟ (بضم الميم وكسر اللام)

والحجة الاساسية التي يقول بها الفريق الرافض لفكرة الزام الشورى للحاكم ، ان الاية الاولى التي نصت على التوجيه الالهي « وشاورهم في الامر » ، قالت في استمرار الخطاب للنبي « فاذا عزمت فتوكل على الله » ومن ذلك استنبط هؤلاء ان التوجيه يعني ان يستشير النبي ـ او الحاكم في الدولة الاسلامية ـ من يشاء ، ولكن الرأى الاخير يظل متروكا له ، فالمشورة واجبه ، ولكن العزم والقرار له ، يتخذه وحده متوكلا على الله

وبصدد هذه الاية هناك تفسيران ، فريق يرى ان « العزم » في السياق امر متعلق بالنبي عليه الصلاة والسلام دون غيره ، على اعتبار ان العزم والتوكل على الله انما يكون في الامر الذي يصدر فيه الرسول عن وحي الله اليه ، وامره اياه بفعل شيء معين وبالتالي فانه خارج هذا الاستثناء المحكوم بالوحي ، يصبح الاصل في الشورى هو الالزام * وقد فطن بعض الفقهاء إلى تلك الاهمية الحيوية للشورى ـ

---

* انظر مقال د عبد الحميد الانصاري ـ الاغلبية مبدأ اسلامي اصيل

* للتفصيل انظر كتاب د محمد سليم العوا ـ « في النظام السياسي للدولة الاسلامية »

رطبي نمحر الراري ـ فقرروا ان من ترك الشورى من الحكام فعرله واحب

والتمسير الثاني الذي يتبناه فريق آحر من الفقهاء ، يرى ان العرم عام في دلالته وليس مقصورا على النبي يه الصلاة والسلام مل يحق لكل حاكم مسلم ان يباشره بصرف النطر عما اسفرت عنه الشورى ، اي انها ا تتم في حدود اعلام الحاكم واحباره فقط ، ولذا سميت معلمه

نحن هنا ادن امام موقف ليس فيه نص صريح وقطعي بالالرام في الشورى وامام صيغة قد تحتمل تفسيرين لعين للالرام وعدمه ولكن يقف في صف الالرام اعتبارات عدة في مقدمتها

لابسات الاشارتين القرآنيتين الى الشورى ، سواء في ظروف نزول الاية الاولى ، وسياق العرص في الاية ايه

لموحه القرآني العام الذي يوحي دائما بجماعية القيادة في الدولة الاسلامية ، فلا تشير اليها كافة نصوص رآن الا بعبارة « أولى الامر » ، حتى ان تعبير ولي الامر الفرد لم يذكر على الاطلاق في القرآن

صلحة اكيده لجموع المسلمين ، الذين يشكل الالرام في الشورى ضمانا لحقوقهم ومصالحهم ، يموق طع ما يمكن ان يتحقق لهم من حلال القرار الفردي ، الذي يظل في احسن الفروص مصلحه ظنيه وعير ده ويظل من عير المعقول ولا المقبول ان تترك مصلحه قطعيه لحساب مصلحه ظنية

نطق اساسه ان الشورى لن يكون لها معنى او جدوى طالما انها ليست ملرمه للحاكم

تجارب انسانية معاصره اثبتت ان الالرام في الشورى يعد احد اهم الضمانات التي تحمي حقوق الافراد لمجتمع

لكن بعض فقهائنا المعاصرين يعرضون عن هذا كله ويديرون ظهورهم له ، ويختارون النقيض ، الذي ح الباب لكل محاذير ومساوىء الحكم الفردي ، ويحاولون ان يعرروا موقفهم بشواهد ووقائع مختلفه ، سوا فكرة اللاالرام في الشورى ، الامر الذي يهدم ركنا اساسيا من اركان الديمقراطية في اي مجتمع

اننا اذ نكرر ان التجربة السياسية للعصر الاسلامي الاول ليست حجة على المسلمين ولاتلزمهم في ي ، نذهب الى انه حتى ولو كان الرسول لم يستشر صحابته ، رغم انه كان بالفعل اكثر الناس مشوره صحابه كما يقول ابو هريرة ، وحتى اذا كانت ممارسات الشورى ليست واضحة في عصر الخلفاء ، وهو لس صحيحا ايضا ، فلماذا لانقرر نحن الالرام فيها ؟ لماذا لا نقف مع المزيد من ضمانات الحرية لديمقراطيه ، مادامت النصوص لا تعارض ذلك ، بل تحتمله ، ومادامت لمجتمع المسلمين مصلحة قطعيه هذا الالرام

ان مشكلة كثيرين ممن يتصدون للافتاء في شئون المسلمين ، انهم يقرأون النصوص بمعرل عن اهدافها كبرى بمعرل عن حريطة الواقع الذي يعيشونه مشكلة هؤلاء أنهم من اهل « الرواية » وليسوا من ل « الدراية » ، اذا استخدمنا لغة الفقهاء لكن هذه قصية تحتاج الى حديث آخر ■■

فهمي هويدي

المصريون والفلسطينيون
شعب واحد

بقلم : ابراهيم محمد الفحام

استمر الانتقال والهجرة بين مصر وفلسطين على مر التاريخ ، ولم يكن يقف دونها أي حدود جغرافية أو سياسية ، وأغلب أيام التاريخ الاسلامي كانت مصر وفلسطين بلدا واحدا وفي هذا المقال يعرض لنا الكاتب صورا من تلك العلاقات الوشيجة بين الشعبين المصري والفلسطيني

« علاقة الشعب العربي علاقة انتماء وقفت فيها حدود الدولة الحديثة ولكنها متواصلة بشريا» في هذا المقال يعرض لنا الكاتب العلاقات الوشيجة بين الشعبين المصري والفلسطيني

قال الكاتب الفلسطيني عمر الصالح البرغوثي في مقدمة كتابه (الوزير اليازوري) تحت عنوان (علاقة فلسطين بمصر)

« ان أكثر من عشر سكان فلسطين ينتمون الى أصل مصري هاجرت عائلاتهم مع جيش ابراهيم باشا الى فلسطين ثم التحقت عائلات أخرى فرارا من السخرة والشدة في حفر القنال . ولا تزال تحمل الطابع المصري في الاسم مثل عائلات المصري والدمياطي والبرغلاوي والشرقاوي والانشاصي والعرايشي ، وغيرهم وكذلك اللهجة المصرية ، والطعام المصري ، واللباس الريفي والعادات المصرية ، فهي شائعة في الساحل ، ما بين خان يونس وعكا »

وتعرض عارف باشا العارف لهذه العلاقة في كتابه (تاريخ غزة) بقوله

« لقد كان المصريون أهم عنصر من عناصر السكان الذين استوطنوا غزة على مر الاحقاب وان كـ[illegible]

... بدا ، فما عليك الا أن تقلب صفحات التاريخ ، أو بقيام بجولة قصيرة في شارع من شوارع غزة في هذه الأيام (سنة ١٩٣٤) تشابه في الرداء واللهجة ، وفي العادات والصفات وفي الأفـراح والمآتم وفي السحن وقاطيع الوجه ، وفي الأبنية والمآكل وفي كل شيء

أشار عباس العقاد الى تلك العلاقة ومظاهرها ، في الفصول التي نشرها عن انطباعاته في رحلته الى فلسطين في صيف ١٩٤٥ ، والتي أعاد نشرها في كتابه (حياة قلم) سنة ١٩٦٤ اذ يقول

«وحسب ان المصريين والفلسطينيين في مجال الهجرة ، ... رهان ، أو فارسان متقاربان فمن فلسطين مهاجرون في مصر ، ومن مصر مهاجرون في فلسطين بعد يعش الفلسطيني زمنا في مصر ، ثم يعود الى بلاده ... ونرى بينهم من يلقب بالاشناصي والنابلسي والطنطاوي كما نرى بينها من يلقب بالمصري والرملي والعكاوي ، وكأنهم يتسابقون أو يتلاحقون في حلبة واحدة ، لا يخرجون منها ، لا يسرعون الى تبديل معالمها ، سواء في التقاليد الاجتماعية ، أو معيشة البيوت ، حتى (الملوخية) وهي مصرية لا يتقنها الطهاة في غير وادي النيل ، قد أكلناها في بيت أبي خضرة ، كما تؤكل من أفخر موائدنا ، التي تعتز بتقديمها في بواكيرها ومعدنها ، لأن أبناء هذا البيت يحافظون على تراثهم القديم منذ كانوا بريف مصر ، ولا تزال لهم قرابة فيه»

وقد اسهمت القبائل التي يقيم بعض فروعها في مصر ، والبعض الاخر في فلسطين ـ السواركة والتياها والترابين والأحارسه والسماعنه والرميلات والرتيمات والوحيدات والمساعيد ـ في توطيد روابط القرابة بين الشعبين المصري والفلسطيني ، حتى بعد ان تحضرت أعداد كبيرة من ... المدن والقرى المصرية والفلسطينية اذ ظلت ... التعارف والمجاملة ، وعلاقات التآزر في السراء ... المتبادلة بين هذه العائلات (البدوية والحضرية ...) ... عهد قريب

... لي صديق ينتمي الى عائلة ريفية تمتد جذورها ... سماعنة ، انه الى ما قبل سنة ١٩٤٨ كانت تفد الى قريته بالشرقية عشرات العائلات الفلسطينية التي تنتمي الى نفس القبيلة ، ليشاركوا أقاربهم المصريين احتفالاتهم بالمناسبات المختلفة ـ بالزواج ، وختان الاولاد ، ووداع فريضة الحج ، ولزيارة المرضى وللتعزية في حالات الوفاة وكان أقاربهم المصريون يزورونهم أيضا في نفس المناسبات كما كانوا يتشاركون جميعا في الالتزامات التي تفرضها العرف البدوي ، فيما يتعلق بالثأر من الأعداء ، وحماية المستجيرين ، ومؤازرة الحلفاء

ويذكر عارف العارف في كتابه عن تاريخ بئر السبع وقبائلها ان تآزر المصريين والفلسطينيين الذين ينتمون الى أصول قبلية مشتركة ، كان يشمل المعارك المسلحة التي كانت تنشب من ان الى اخر بين العشائر المتصارعة

وقد شجعت تلك الروابط الوثيقة كلا الفريقين على تبادل هذه الهجرة بل شملت الهجرة المتبادلة ، جماعات أخرى كثيرة ، تحت وطأة ظروف وأحداث مختلفة

ففي بداية الحملة الفرنسيه على مصر ، لجأ كثير ممن حشدوا بطش القوات المحتلة بهم الى فلسطين وعندما استولى نابليون على يافا في مارس سنة ١٧٩٩ وجد فيها أربعمائة مصري ، من بينهم نقيب الأشراف السيد عمر مكرم ، فأعاده الى مصر ، وحاول الحاق الباقين بجيشه ، ولكنهم رفضوا ، فأمر باعادتهم الى وطنهم ولا يبعد أن تكون هنالك أعداد أخرى أقامت في أنحاء تلك البلاد ، ولم تتح لهم فرصة العودة الى مصر

وعندما أخمدت قوات الاحتلال الفرنسي ، حركة المقاومة الشعبية التي قادها حسن طوبار في بحيرة المنزلة ، نزح الى غزة ، والتف حوله كثير من الرجال المتعطشين للقتال ، حتى بلغ سلطات الاحتلال انه أعد في تلك المدينة قوة ينوي نقلها في خمسين سفينة الى دمياط ، لاحتلالها ، واستئناف أعمال المقاومة على شواطىء دمياط وبحيرة المنزلة ولكنه لم ينجح في العودة الى مصر الا بعد جلاء المحتلين

وكان نزوح الالاف من الفلاحين المصريين الى فلسطين ، تخلصا من الأعباء التي ألقتها على عواتقهم أنظمة السخرة والضرائب والتجنيد ، التي استحدثت في عهد محمد علي باشا السبب المباشر الذي تذرع به لشن حملته على بلاد الشام في سنة ١٨٣١ وخاصة عندما طلب

من عبد الله باشا والي عكا أن يعيدهم الى مصر ، فرفض الاستجابة له

وعندما أعاد محمد علي جيشه الى مصر سنة ١٨٤٠ تخلف الآلاف من أفراده عن العودة ويقدر مورييه P. Moriey في كتابه (تاريخ محمد علي) عدد أفراد الجيش والملحقين بهم من المدنيين وعائلاتهم - قبل الانسحاب بمائتي ألف نسمة ، وعدد الذين وصلوا منهم الى مصر بستين الفا فقط ، واندمج من كتبت له الحياة من أولئك المتبقين في أبناء البلاد ، فأضفوا بعض السمات المصرية على ملامح المجتمعات التي عايشوها

وفي ذلك يقول محمد كرد علي في مقال له نشر بعدد ابريل سنة ١٩٤٠ من مجلة (الهلال) « ترك جيش ابراهيم ابن محمد علي الكبير في الديار الشامية وما اليها ، ألوفا من المصريين أصبحوا بعد حين من الدهر كأهل الشام في مناحيهم ، على نحو ما كان من بضعة ألوف من المصريين ، وردوا على فلسطين قبل الحملة المصرية ، وكانوا السبب الظاهر في اعلان محمد علي باشا الحرب على والي عكا ، بل على الدولة العثمانية ، لأنه طلب ارجاعهم الى مصر ، فأبى الوالي على محمد علي اعادتهم ، محتجا بأن مصر والشام شيء واحد ، وكلتاهما تابعة للدولة وهؤلاء المهاجرون الأول تفرقوا في أنحاء فلسطين ، واحالتهم بودقتها شاميين »

الفلسطينيون يزرعون الفاكهة

وتكرر نزوح الفلاحين المصريين الى الاراضي الفلسطينية ، عندما أرهقتهم أعمال السخرة في حفر قناة السويس واقامة تلك المنشآت الأخرى المتعلقة بها الا أنه عندما تم حفر القناة وإقامة تلك المنشآت وازدهرت المدن في هذه المنطقة ، وفد اليها كثير من المصريين والفلسطينيين وغيرهم ، للاستفادة من مصادر الرزق الوفير فيها

وكانت قد استقرت في الريف المصري ، كثير من الأسر الفلسطينية التي استعين بخبرتها في زراعة أشجار الفواكه ، ومن نسلها انحدرت كثير من الأسر التي ظلت تمارس هذا الضرب من التخصص الزراعي

كما لحقت ببعض العائلات البدوية الأصل ، التي تملكت مساحات واسعة من الأراضي الزراعية أسر أخرى تشاركها أصولها القبلية بالأراضي الفلسطينية

وقد صادفت - أثناء اهتمامي بدراسة أصول العائلات ذات الملامح أو العادات المتميزة ، خلال عملي بالشرطة في شمال الدلتا - كثيرا من الأسر التي تنتمي الى هذه الأصول وقد نسي أفرادها من الجيل المعاصر - في غمار مشاغل الحياة ، وأحداثها المتتالية المتراكمة - كل شيء من أصولهم ، ولكنها ظلت من الذكريات العريقة ، التي يعيها كبار السن عنهم ، وقد يحتفظون بما يؤيدها من الوثائق أحيانا ، كما تؤيدها بعض الشواهد المتمثلة كالأسماء والكنى والالقاب ، واللهجات والأمثال والحكايات والأغاني والأطعمة ، والعادات الاجتماعية الشائعة بينهم ، وخاصة ما يتعلق منها بالاحتفال بالمناسبات المختلفة ، وإن كانت هذه السمات تبدو باهتة في كثير من الأحيان ، تحت الصبغة المصرية الغالبة ، التي اكتسبوها مع الزمان

وقد تحمل بعض القرى المصرية ، أسماء قرى وعشائر معروفة في فلسطين وقد قال محمد رمزي - في معرض حديثه عن قرية (السماعنة) بالشرقية ، في كتابه القاموس الجغرافي للبلاد المصرية ، (والسماعنة جماعة من عرب فلسطين نزلوا بهذه الناحية فعرفت بهم ، كما ورد في تاج العروس)

لطفي السيد وفلسطين

وذكر أحمد لطفي السيد في ترجمته الذاتية التي نشرت بعنوان (قصة حياتي) ان قريته (برقين) بالدقهلية ربما استمدت اسمها من قرية (برقين) الفلسطينية وانها كانت تسمى قديما (النزلة) كما هو شائع على ألسنة الفلاحين ويرجح اذن أن يكون أسلاف السكان الحاليين لهذه القرية ، قد نزحوا اليها من فلسطين وقد يؤكد ذلك ما ذكره عنه صديقه عبد العزيز فهمي باشا في ترجمته الذاتية التي نشرت بعنوان (هذه حياتي) فقد قال انه - أي أحمد لطفي السيد - عندما كان يعمل وكيلا للنيابة لم يكن يركب خيل الشرطة في انتقالاته كما كان يفعل زملاؤه (بل ان اباه بعث له بحصان حـ... وحاره فراوي خاص ، فكان يركب حصانه في الرياضة وعند

. . عيق الوقائع)
و لقاهرة وغيرها من المدن المصرية - وليس في
مـ وحده - تتوطن منذ أجيال ، كثير من الأسر
طينية الأصل ، التي تمتهن التجارة ، وأغلبهم من
السة) و (الخلايلة) - أي أبناء نابلس والخليل -
كانوا يترددون على هذه المدن في مواسم معينة للاتجار
امون وزيت الزيتون ، ثم طاب لهم الاستقرار فيها ،
نهم بمن خالطهم من المصريين روابط البيع والشراء
جهة ، والمصاهرة من جهة أخرى
قد حدثني رجل مصري يصاهر أسرة خليلية الأصل
أقارب هذه الأسرة ومواطنيها بالقاهرة ، وأحصاهم
وكلهم من أصحاب المحلات التجارية الناجحة -
على ظني أن تعداد أبناء الخليل في هذه المدينة ،
عن تعدادهم في موطنهم الأصلي
في مقابل ذلك استقر كثير من التجار المصريين في
الفلسطينية الذين كانوا يترددون عليها ، للاتجار في
وعات والمحاصيل المصرية والفلسطينية بين
ين ، وخاصة (البلابسة) - أي أبناء مدينة (بلبيس)
نطقة الشرقية حتى يقال انه لا تخلو من واحد منهم على
مدينة فلسطينية ، وهم يلقبون باسم مدينتهم ، أو
أسرهم الأصلية

بين دمياط ويافا . .

ت تجمع أبناء مدينتي دمياط ويافا من الروابط التجارية
جتماعية والثقافية ، ما يفوق أية روابط تجمع أبناء
تين في قطر واحد
وقد آثر الاقامة في يافا بعض المصريين الذين أبعدوا من
هم لادانتهم بالاشتراك في أحداث الثورة العرابية
ر - عليها بعض المصريين الذين اختيرت مدينة
ـر منفى لهم ، اذ حرصوا على الالتقاء بمواطنيهم
يافا ، وبأبناء تلك المدينة ، ممن تربطهم بمصر
ط قة
د حدث الشيخ محمد عبد الجواد القاياتي في كتابه
ـه شام في رحلة الشام) - الذي ضمنه ذكرياته
ل ـه منفاه في بيروت - عن جولته التي قام بها بين

بعض البلاد الفلسطينية ، وما قوبل فيها من مظاهر الحفاوة والترحيب وكما ممن قابلهم في يافا مصطفى أفندي الأرناؤوطي المصري الدمياطي الذي أقام له احتفالا ضم بعض علماء المدينة وأعيانها وذكر عنه انه (من جملة المنفيين معنا في الحادثة المصرية - يقصد الثورة العرابية - وأقام ببندر يافا لقربها من ثغر دمياط ، حتى يكون ذلك أنجز لمقصوده في ادارة حركته التجارية ، وأقرب المواصلات اللازمة لتلك الجهات وفضلا عن ذلك فقد نال من لطف هؤلاء السادة ما أذهب عنه وحشة الغربة !)

النديم في يافا . .

وعندما تقرر نفي السيد عبد الله النديم - خطيب الثورة العرابية - الى بلاد الشام سنة ١٨٩١ ، وكان قد اختفى منذ بدء الاحتلال البريطاني في أنحاء الريف المصري أبحر من الاسكندرية الى يافا ، فاستقبله في مينائها عدد كبير من العلماء والأعيان ، واستضافه مفتي المدينة السيد علي أبو المواهب ، فأقام في بيته شهرا حتى استأجر دارا خاصة ، لم تلبث أن صارت منتدى أدبيا لعلماء المدينة وأدبائها وعندما عفي عنه في العام التالي ، وسمح له بالعودة الى مصر ، قام قبل عودته برحلة مع صديق له من يافا الى مدينة القدس ، ثم زار بعض المدن الفلسطينية الأخرى مثل نابلس والخليل وبيت لحم وكان في كل منها موضع الحفاوة والتكريم

وقد أشاد النديم في مقال نشر له في عدد ٣ مايو سنة ١٨٩٣ من مجلة (الأستاذ) بما لقيه المصريون الذين نفوا الى بلاد الشام من كرم الضيافة والترحيب

ويقصد بالشام مفهومها المصري الفسيح الذي يشمل كل ما يلي حدود مصر الشرقية حتى الحدود السورية في أقصى الشمال

كما أشاد بما لقي هو شخصيا من ترحيب طوال مدة نفيه التي قضاها في ربوع فلسطين فقال « ان كثيرا من المصريين أبعد الى سورية والشام ، فما وجدوا غير اخوان كرام ، قابلوهم بوجوه مستبشرة ، ونفوس طيبة ، وأحلوهم محل الكرامة والتجلة ، حتى قضى الكل مدته وهو في أحسن ما يكون من الأنس والراحة ومنهم هذا الضعيف محرر الأستاذ ، فقد غمره أهل يافا والقدس

الشريف بعضهم . وأروه من مكارم الاخلاق مالا يحصى الثناء عليه . فقد أحلوه وكرموه ، ونادوه الزيارة والضيافة . وساعدوه في تنقلاته وخدموه مما زادهم شرفا وفضلا . ولم يقصر المسيحيون في مشاركة المسلمين في الزيارة والمودة . حتى خشب ولسان رصف بالثناء عليهم ؟

وهكذا كان الشعب الفلسطيني شديد الانفعال بأحداث مصر . كما كانت فلسطين من أكثر الأوطان العربية تأثرا بالحركة الوطنية المصرية .

وكان من مظاهر هذا التأثر اطلاق الوطنيين الفلسطينيين لقب (الزعيم الجليل) على اسحق موسى الحسيني باشا رئيس الوفد الفلسطيني الى لندن سنة ١٩١٩ وهو يشبه اللقب الذي أطلقه الوطنيون المصريون على رئيس الوفد المصري سعد زغلول . كما تذكر فرنسيس اميل بيوتي في كتابها (خمسون عاما في فلسطين) ان الوطنيين الفلسطينيين رفعوا في سنة ١٩٢٠ علما يشبه العلم الذي كان يرفعه الوطنيون المصريون في تلك الآونة والذي يضم هلالا يحتضن الصليب . وعندما توفي ذلك الزعيم المصري في سنة ١٩٢٧ أقيمت حفلات التأبين له في المدن الفلسطينية مثلما أقيمت في مدن مصر .

بنك مصر ـ فلسطين

ومثل هذه العاطفة استقبل الشعب الفلسطيني طلعت حرب منشىء بنك مصر عند زيارته لبلادهم سنة ١٩٢٨ . وفي الحفل الذي أقامته لاستقباله الغرفة التجارية بيافا دعاه رئيس الغرفة يوسف طالب بك الى اقامة فرع للبنك في البلاد يسمى (بنك مصر ـ فلسطين) على أن يسهم الفلسطينيون في رأس ماله بنسبة الخمس . كما أقيم احتفال اخر له في النادي الرياضي بالمدينة . وذكر مراسل صحيفة (السياسة الأسبوعية) المصرية في رسالته التي نشرت في عددها الصادر في ٢٤ يونية ١٩٢٨ مضمون الكلمات التي ألقيت في ذلك الحفل . وأشار الى النتائج القومية العظيمة ، التي يمكن أن تحققها استجابة بنك مصر للرغبات التي أبداها أعيان البلاد ، خلال تلك الزيارة .

وكانت فلسطين ـ بناء على رغبة أبنائها ـ من أولى الأقطار العربية والاسلامية التي أنشئت فيها فروع لجمعية الشبان المسلمين ، بعد انشاء مركزها الرئيسي بالقاهرة ، ولم يقتصر انشاء هذه الفروع على المدن الكبرى بل شمل بعض القرى المتواضعة ، وكان لتلك الفروع فضل كبير في توثيق روابط الفكر القومي بين الشعبين المصري والفلسطيني ، فبذلت حكومة الانتداب البريطانية قصارى جهدها للحد من أنشطتها في فلسطين . ووجهت منشورا الى دواوين الحكومة يدعو الى منع الموظفين من الانضمام الى فروع هذه الجمعية ، وعملت على اغلاق فرعي الجمعية بكل من يافا وغزة . وكانت تلك التصرفات من أهم الموضوعات التي ناقشها المؤتمر العام الذي عقدته الجمعية بالقاهرة في يوليو سنة ١٩٣٠ وقررت فيه ابلاغ احتجاجها على ذلك الى المندوب السامي في فلسطين والى الحكومة البريطانية وعصبة الأمم ، والصحف العربية والانجليزية .

فندق رمسيس

وكانت معالم الحياة في مدينة يافا ـ بوجه خاص ـ مرآة صادقة دائما للترابط الوثيق بين الشعبين المصري والفلسطيني . وقد عبر عبده حسن الزيات في كتابه (من يوميات محام) عن بعض الانطباعات التي خرج بها من زيارته لمدينة يافا سنة ١٩٤٤ وأبدى تأثره لما شاهده من اطلاق الأسماء المصرية على بعض مؤسساتها مثل (سينما فاروق) و (فندق رمسيس) و (الجمعية المصرية) كما تأثر لرد الفعل الحماسي الذي بدر من المستمعين له أثناء القائه محاضرته عن المحاماة ، وخاصة عندما تحدث عن سعد زغلول كمحام .

وقد ظل الشعب المصري بدوره بالغ احساسه شديد الانفعال بالظروف والأحداث التي يعانيها الشعب الفلسطيني . وقد تجلى ذلك دائما في مواقف شعبه والمؤسسات الصادقة التعبير عن مشاعر الشعب المصري لأن الرابطة بين هذين الشعبين ليست من قبيل الروابط التي تستمد وجودها وصلابتها من الاتفاقات أو المعاهدات الرسمية فقط ، بل هي رابطة واقعية بين شعبين ، لكل منهما نصيب وافر في النسيج الاجتماعي للشعب . ■■

القاهرة ـ اللواء ابراهيم محمد شحاته

عيون من حولنا :

الإنسان والرادار

بقلم الدكتور سعد الحاج بكري

« أبصر من زرقاء اليمامة » مثل قاله العرب منذ قديم الزمان يحكون فيه قصة امرأة من بني جديس زرقاء العينين ، عاشت في نجد أيام الجاهلية واشتهرت بحدة بصر لا مثيل لها فقد قيل عنها انها كانت ترى حركة الناس عن بعد مسيرة ثلاثة أيام ، وتروي قصص العرب القديمة أن هذه المرأة استطاعت بموهبة الرؤية هذه أن تنقذ أهلها وذويها مرات كثيرة من مباغتة غزو الأعداء . فقد كانت ترى عن بعد حركة هؤلاء الأعداء عندما يقتربون من أرض قومها استعدادا للهجوم ، وكانت بذلك تنذر من حولها بالخطر المتوقع قبل حدوثه وتعطيهم الفرصة لتهيئة أنفسهم للدفاع وصد الغزاة

اقلقت العيون الثاقبة اعداء بني جديس ، وخصوصا
... حسان بن تبع الحميري فكان لابد لهم من البحث عن
... من اثر تلك العيون الزرقاء . واستقر رأي
... على محاولة تمويه حركتهم وهم يقتربون من أرض بني
... تبع بصر زرقاء الخاد من تمييز عمليه احتشاد
... وفي سبيل ذلك قام رجال حسان باستخدام
... الاشجار في مقدمة جيوشهم لتغطية وتمويه
... نحو هدفهم المنشود . ورأت عيون زرقاء
... المموهة وقالت لبني قومها ارى غابة تتحرك ،
... يصدقوا هذا القول بل ظنوا انها تقول ما في خيالها
... انه عناد ، إذ كيف يمكن لغابة ان تتحرك
... تكرهم هذا خطأ قاتل ، فقد كان عليهم ان
... لكل وسيلة عملا مضادا وان وراء ما تراه زرقاء
... او ليس الخداع عماد الحروب ؟ وهكذا نجحت

قبيلة حسان في هجومها المباغت وانتصرت على بني جديس ، وانتهت بذلك اسطورة زرقاء اليمامة لتبقى على مر الزمن حديثا يروى ومثلا يقال

عيون الطبيعة

لقد كانت ظاهرة زرقاء اليمامة مثالا نادرا لاهمية حاسة البصر في حياة الانسان . فلئن كان البصر نعمة يستطيع بها الانسان ما حوله ، فهو ايضا جهاز توجيه وانذار وحماية يؤثر في حركة الانسان ويقيه شر الاخطار التي يبدو انها تهدده . ولعيون الانسان مدى رؤية محدد يتناسب مع متطلبات الفرد العادي في الاستمتاع بما حوله وفي سرعة تحركه وابتعاده عن الاخطار القريبة أو استعداده

لمواجهتها وعندما امتد مدى رؤية الانسان في عيون زرقاء اليمامة ليصل الى مسافات بعيدة توافق ذلك مع متطلبات قومها في حماية انفسهم من مفاجآت الاعداء وعلى ذلك فالرؤية وامتداد اثرها هي حاجة اساسية في حياة الفرد والجماعة فوق هذه الارض التي نحيا عليها ، واذا كان الله قد كرم زرقاء اليمامة بحدة بصر نادرة المرؤية عن بعد ، فقد وهب الطبيعة ايضا وسائل رؤية كثيرة ذات اشكال وخواص عديدة وقد تكشفت هذه الوسائل واسرار خواصها للانسان عبر الاجيال واحدة بعد اخرى ومن هذه الاكتشافات ما جاء بالملاحظة البسيطة ومنها ماعرف بعد ان تطورت العلوم وكثرت البحوث وازدادت الاحتياجات

فقد عرف الانسان ومنذ ان وجد العين البشرية وهي اغلى حواسه ، وعرف انها ترى الاشياء عن طريق التحسس بالضوء فضوء النهار يريه ماحوله ليأتي بعد ذلك الليل ويحجب كل ما هو ظاهر لينعكس هذا الضوء عن هذه الاشياء نحو عيون الناس وسترى هذه العيون بعد ذلك ماحولها من اشكال والوان مختلفة والالوان العديدة في الحياة تأتي من خواص الاشعة الضوئية ، فالضوء الذي نراه هو في الحقيقة طيف متعدد الالوان تمتص منه الاجسام ماتريد وتعكس ماتبقى فالبحر الازرق مثلا يمتص كل الوان الطيف الضوئي ويعكس الازرق فقط ليرى الناظر اليه زرقته بعد ان تتحسس عيناه بالضوء المنعكس وهذا ايضا حال ظهور بقية الالوان امام العين البشرية ولعل ظاهرة قوس قزح التي تطل علينا في الايام الماطرة هي آية الله في اظهار شكل طيفه الضوئي على بني البشر

ولاحظ الانسان ان في انعكاس الضوء فوق الاجسام المصقولة وسيلة لاتساع مدى رؤيته ، فهو بذلك يستطيع ان يرى نفسه ايضا مايجري حلفه وتروي اساطير الاغريق القديمة ان الفتى الجميل نارسيوس كان اول من اكتشف ذلك حين رأى صورته منعكسة على صفحة الماء الصافي في احدى البحيرات الهادئة ولانه لابد من دراما في تلك الاساطير تقول القصة ان الفتى احب نفسه من خلال صورته واستمر ينظر اليها الى ان غرق في مياه البحيرة ، ليتحول بعد ذلك زهرة النرجس العطرة التي تغني ويتغنى بها الشعراء في كل زمان ومكان

ولعل في استخدام المرايا مايظهر اتساع رؤية العين البشرية بواسطة الانعكاس على سطح الاجسام الصقيلة فسائق السيارة مثلا يحتاج لرؤية مايجري حلفه وعلى جانبيه بالاضافة الى رؤية الطريق امامه ، فهو لذلك يحيط نفسه بثلاث مرايا ، اثنتين منها تعكسان لعينيه مايجري على كل جانب واخرى تريه ماوراءه وعلى ذلك يستطيع السائق هذا ونظره موجه الى الامام ان يرى مايحدث حول[illegible] يحدد الوضع الملائم لحركة سيارته بما يضمن حماية نفسـ[illegible] ومن معه

وبالاضافة الى الانعكاس فوق الاجسام الصقيلة اكتشف الانسان وسيلة اخرى لتحسين مدى رؤيته ، وذلك عن طريق النظر خلال بعض الاجسام الشفافة ومثال ذلك استخدام العدسات الضوئية المكبرة لاعطاء مدى افضل لرؤية العين البشرية وتعمل هذه العدسات على تغيير اتجاه مسيرة الاشعة الضوئية او مايسمى مبدأ انكسار الضوء حيث يؤدي هذا الانكسار الى تشكل خيال كبير للجسم المنظور فتستطيع بذلك العين الناظرة من خلال العدسات ان ترى عن بعد مالا يمكن ان تراه بدون استخدام تلك الأجسام الشفافة ومن يحضر السباقات او الالعاب الرياضية في الملاعب الفسيحة او من يذهب الى الاحتفالات في الصالات الكبيرة يجد المناظير التي تستخدم العدسات الضوئية في ايدي الكثيرين من الحضور ينظرون من خلالها لتعطيهم مدى رؤية افضل من عيونهم المجردة في مراقبة مايجري أمامهم .

اذا كان الضوء هو وسيلة الرؤية للعين البشرية ، واذا كان غياب الضوء يؤدي الى ظلام يحجب هذه الرؤية فقد أوجد في مخلوق آخر هو الخفاش رؤية من نوع مختلف لاتعتمد على الضوء وبالتالي لايحجبها الظلام فالخفاش هذا هو الحيوان الوحيد الذي ينتمي الى فصيلة الثدييات ويستطيع الطيران فهو يطير في الظلام بين جدران الخرائب والكهوف دون ان يصطدم والرؤية عنده تعتمد على انعكاس الصوت بدلا من الضوء حيث إنه يملك جهاز سمع خاصا يمكنه من التحسس بما حوله تماما كما تتحسس العين البشرية الضوء ولعل الله قد شاء ان يضرب لنا المثل ان للطبيعة وسائل رؤية مختلفة وان رؤية الخفاش الخاصة تبدأ حيث تقف رؤية العين البشرية

الأمواج الكهربائية . .

واكتشف الانسان وبعد ان تطورت العلوم وتزايدت الاحتياجات وسيلة جديدة للرؤية تختلف عن ماسبقها . حيث انها لاتعتمد على الضوء ولاعلى الصوت وانما تعتمد على ظاهرة انتشار الامواج الكهربائية والمغناطيسية عبر الفضاء وقد جاء اكتشاف هذه العين الجديدة التي نعرفها المعروف اليوم الرادار Radar ، عشية بداية الحرب العالمية الثانية تحت الحاح الحاجة التي توافقت مع وصول الاكتشافات العلمية الى مستوى مناسب ومع توافر القدرة الابداعية لدى الذين وضعوا علمهم ومعرفتهم [illegible] موضع

الاسـ ـة للحاجة الملحة وهذه العين الجديدة هي اليوم صرو ، من ضرورات الحياة للافراد والجماعات في الحرب وفي السلام ، فهي عيون للسفن و الطائرات وكثير من المحطات الارضية ، وهي ايضا في اعالي الفضاء مع الاقمار الصناعية **Artificial Salellite**

ظهور الرادار

عرف العلم مبدأ عمل الرادار قبل سنوات من معرفة الرادار نفسه كعين ترى مايجري من حولها في الليل والنهار وقد جاءت تلك المعرفة نتيجة للدراسات النظرية التي اجراها العالم ماكسويل على ظاهرة الحقل الكهربائي والمغطيسي وللتجارب العملية التي نفذها العالم هرتز على هذا الحقل عام ١٨٨٦ فقد اثبت هرتز ان الامواج الكهربائية والمغطيسية تنتشر في الفضاء بسرعة تساوي سرعة انتشار الضوء وهي ثلاثمائة الف كيلو متر في الثانية ، وان هذه الامواج تنعكس مرتدة اذا مااصطدمت بجسم معدني لكنه لم يخطر على بال هرتز ان حقيقة ارتداد الامواج هذه يمكن ان تكون وسيلة جديدة لرؤية الاجسام المعدنية وبعد ذلك وفي عام ١٩٢٢ اقترح العالم ماركوني استخدام خاصة ارتداد الامواج وصنع جهازا يساعد السفن في البحار على الرؤية عن بعد وكشف ماحولها من سفن اخرى او شواطيء لكن هذا الاقتراح لم يلق الدعم الكافي لوضعه موضع التنفيذ العملي

ومع بداية الثلاثينات من هذا القرن ، تزايد التنافس بين دول مايصطلح على تسميته بالعالم المتقدم ، وانقسمت هذه الدول الى معسكرين متنازعين وبدأت طبول الحرب تدق منذرة وداعية للاستعداد لمواجهة حامية الوطيس ولان للعلم في حياة البشر دورين متناقضين ، احدهما استخدام اكتشافات اسرار الطبيعة لبناء الحضارات وتحقيق رفاهية الانسان ، والثاني تسخير تلك الاسرار لحماية النفس وتدمير حضارات الاخرين ، فقد بدأ التركيز لدى المعسكرين المتنازعين على تبني الدور الثاني برغم البؤس والمآسي التي يسببها وتوجه قادة البلاد الى العلماء يطلبون مساهمتهم لترجيح كفة بلادهم في صراعاتها التاريخية وكان طلب القادة في أحد المعسكرات المتنازعة وفيها يختص بالامواج الكهربائية والمغنطيسية هو محاولة تطوير هذه الامو ج وجعلها قادرة على تدمير الاهداف عن بعد ، وقد سمي الامواج المطلوبة في ذلك الوقت باشعة الموت **Deal** ray واتجهت الانظار الى واتسون وات العالم المتخـ ـس بالامواج الكهربائية والمغنطيسية ليقوم بتحقيق حلم ة الحرب المنشود ، وكان هذا العالم قد نجح في اسـ ـم تلك الامواج لدراسة تقلبات الطقس واكتشاف تراك تجاه العواصف

وعندما تلقى واتسون وات طلب قادته ، اوضح لهم ان فكرة اشعة الموت التي تراودهم هي قصية غير قابلة للتحقيق ضمن معطيات الطبيعة التي كان يعرفها العلم في ذلك الوقت لكنه في نفس الوقت اظهر استعداده لصناعة جهاز جديد قادر على مراقبة السماء وباستمرار في الليل وفي النهار ، لكشف حركة الطيران المعادي عن بعد وتجنب المفاجآت واعتمد واتسون وات في شرح مبدأ عمل جهازه الموعود على ماقاله ماركوني قبل ذلك بشأن مساعدة السفن في مراقبة ما حولها

وبينما لم يلق ماركوني مايكفي من الدعم لصنع العيون التي تعتمد على انعكاس الامواج الكهربائية والمغطيسية في وقت السلم ، وجد واتسون وات كل المساعدات الممكنة لوضع تلك العيون موضع العمل الفعلي تحت ضغط التهديد بالحرب وهكذا فتحت أجهزة الرادار اعينها لتراقب ماحولها وكان ذلك عام ١٩٣٥

العيون الجديدة .

اذا كانت عيون الانسان تتأثر بالضوء المنعكس عن الاجسام المحيطة فتراها ، دون ان يكون لتلك العيون اية قدرة على توليد الضوء نفسه ، فان عيون الرادار ترى عن طريق التأثر بالامواج الكهربائية والمغطيسية المنعكسة عن ماحولها ، ولكن بعد ان تكون هذه العيون نفسها قد ارسلت تلك الامواج واذا كانت عيون الانسان تحقق رؤية افضل كلما تحسنت الانارة لان الرؤية في وسط النهار اكثر وضوحا منها عند الغروب ، فعيون الرادار تحتاج الى ارسال امواج كهربائية ومغنطيسية قوية كي تحقق مدى افضل لرؤيتها فهذه الامواج المرسلة تفقد اثناء انتشارها وفي ذهابها وعودتها واثناء انعكاسها على الاجسام الكثير من طاقتها وعلى ذلك فلابد من تزويدها عند الارسال بقدرة تكفي لعودتها من رحلتها بحد ادنى من القوة يجعلها قابلة للاستقبال وكشف ما قد رأت

ويتكون الرادار عادة من اقسام رئيسية ثلاثة هي ، جهاز لارسال الامواج الكهربائية والمغطيسية **Transmitter** وآخر لاستقبال تلك الامواج اذا ما انعكست على جسم ما **Receiver** وثالث لمراقبة وكشف مايحدث امام العين البشرية **Monitor** ويتكون جهاز الارسال من مجموعة من الدوائر الالكترونية لتوليد الامواج المراد ارسالها وتتصل هذه المجموعة مع مجموعة دوائر اخرى لتكبير تلك الامواج واعطائها قدرة تمكنها من الوصول الى ابعد مدى ممكن اما جهاز الاستقبال فيتكون من مجموعة من الدوائر الالكترونية لالتقاط

تصممه وتكبير الامواج المرتدة وجعلها قابلة للعرض على شاشة جهاز الكشف والمراقبة وتقوم هذه الشاشة CRT بتحويل الشحنات الكهربائية للامواج الى اثر ضوئي تستطيع العين البشرية رؤيته

ويشترك جهازا الارسال والاستقبال في الرادار عادة بأداة معدنية خاصة تدعى الهوائي Antenna وتقوم هذا الهوائي ببث الامواج الكهربائية والمغنطيسية بعد توليدها وتكبيرها في جهاز الارسال كما يقوم بالتقاط هذه الامواج عند ارتدادها وعودتها الى الرادار ليدخلها الى دوائر التكبير الالكترونية في جهاز الاستقبال وغالبا ما يكون هوائي الرادار موجها Directive Antenna اي يعمل على توجيه بث الامواج باتجاه محدد . وفائدة هذا التوجيه هي التمكن من حشد قدرة الامواج في اتجاه واحد بدلا من توزيعها وتبديدها في كافة الاتجاهات . وهذا يزيد من المدى الذي تتمكن ان تصل اليه تلك الامواج . ولكن اذا كان توجيه الهوائي يزيد من المدى فهو يحد من اتساع رؤية الرادار ويقصرها على جهة واحدة فقط . وعلى ذلك ولتحسين اتساع الرؤية مع المحافظة على بعد المدى تؤدي هوائيات الرادار الموجهة في كثير من الاحيان وباستخدام اجهزة ميكانيكية خاصة حركة دورانية تقوم خلالها ببث واستقبال الامواج عبر اتجاهات متعددة

ويحتوي جهاز المراقبة والكشف في الرادار على دوائر توقيت الكترونية تقوم بتحديد زمن ارسال الامواج وزمن عودتها حيث انها تستطيع من خلال ذلك معرفة بعد الاجسام عن عيون الرادار وكذلك وضع تلك الاجسام من سكون او حركة واتجاه تلك الحركة . فاذا ما عادت الامواج بعد جزء من الف من الثانية من ارسالها فهذا يعني انها قطعت مسافة قدرها ثلاثمئة كيلو متر لان سرعة الامواج هي ثلاثمئة الف كيلو متر في الثانية وهذا يعني بالتالي ان بعد الجسم عن الرادار هو مائة وخمسون كيلو مترا لأن الامواج تكون قد قطعت هذه المسافة مرتين مرة في الذهاب واخرى في العودة . اما معرفة حركة الجسم واتجاهها فتتم عن طريق تكرار عمليتي الارسال والاستقبال وكشف اتجاه الامواج المرتدة

تستخدم اجهزة الرادار لتحقق رؤية تمتد الى اعظم بعد ، تبعا للغاية من الرادار المطلوب ويعتمد هذا المدى على عوامل رئيسية ثلاثة ، الاول منها يتعلق بقدرة جهاز الارسال وحساسية جهاز الاستقبال والثاني يعتمد على نوع الاجسام المراد كشفها ضمن المدى المطلوب . اما الثالث فيرتبط بتردد الامواج الكهربائية والمغنطيسية المستعملة وشكل الهوائي المستخدم . فكلما ازدادت استطاعة الامواج المرسلة ازداد مدى الرادار وكلما تحسنت [illegible] جهاز الاستقبال في التقاط الامواج المرتدة ذات [illegible] الضعيفة تحسن مدى الرادار ايضا . [illegible] الاهداف التي [illegible] عنها الامواج [illegible] لانعكاس من الاهداف اتساعا [illegible] المرتدة وبالتالي فان مدى الرادار يزداد مع [illegible] المعدنية للاجسام المراد كشفها ويؤثر عادة [illegible] مساحته وبازدياد تردد الامواج المستخدمة [illegible] تلك الامواج في تحسين مدى عمل الرادار

خداع الرادار

[illegible] الامواج الكهربائية والمغنطيسية واستطاع صنع [illegible] بعض الاصابع [illegible] وسائل مضادة [illegible] رؤية [illegible] نجح رجال حسن [illegible] في عملية [illegible] رفاء اليمامة . فقد نجح رجال هذا العصر في محاولاتهم خداع الرادار . ويعتمد المبدأ الاساسي [illegible] العمل على التسلل او التمويه . فالاجسام [illegible] تحجب الامواج التي يرسلها الرادار تحجب [illegible] الامواج في انعكاس ما وسيلة التمويه [illegible] لتشويش على الامواج المرتدة بحيث [illegible] الاهداف على شاشة الرادار . وكثيرا ما تنطلق الطائرات العسكرية في هجومها على اهدافها ... على رقائق [illegible] مخصصة بحيث تحجب امواج رادار اعدائها [illegible] ساعتها وتدمير مواقعها . وكثيرا ايضا ما تجري التشويش على امواج الرادار عن طريق البث العشوائي عبر [illegible] مجال ترددات الرادار او عن طريق اطلاق قصاصات معدنية تقوم باعطاء انعكاسات عديدة للامواج المرسلة [illegible] هذا التشويش عادة الى تغطية شاشة الرادار [illegible] صوتية تضيع بينها الاهداف الحقيقية ان وجدت

وتروي قصص الحرب العالمية الثانية ان [illegible] الاسطول الامريكي في قاعدة بيرل هاربر الواقعة [illegible] هاواي على المحيط الهادي عام ١٩٤١ من قبل [illegible] اليابانية . قد جاء نتيجة لخطأ ارتكبه عامل [illegible] الاسطول . فقد رأى هذا العامل عددا كبيرا [illegible] الصوتية على شاشة راداره لكنه لم يصدق ان هذه [illegible] اجساما حقيقية هي طائرات مهاجمة ، بل ظن [illegible] التشويش وعلى ذلك لم يقم باعطاء الانذار [illegible] وكانت النتيجة مفاجأة كاملة وتدميرا شاملا [illegible] حدث لاهل زرقاء اليمامة حينما لم يصدقوا قولها ان غابة تتحرك باتجاههم ، فاذا بهذه الغابة [illegible] تفاجئهم وتهزمهم

استخدام الرادار في الماضي يعتمد الى حد بعيد على عمل الرادار للصورة المرتسمة على الشاشة لكن بعد تقدم الالكترونية وظهور دوائر التصفية والتحليل Signal Processing قلل من الاعتماد على العامل البشري حيث اصبحت اجهزة الرادار اكثر دقة في اظهار ما حولها من اجسام مختلفة . ولكن وعلى الرغم من ذلك استمرت محاولات تطوير وسائل خداع الرادار وتجري اليوم التجارب على طائرات خاصة لاتستطيع اعين الرادار رؤيتها ويقال ان سر هذه الطائرات هو انها لن تؤدي الى عودة الامواج المرسلة من الرادار اليه مرة اخرى ويعتقد انها ستكون جاهزة للعمل الفعال في السنوات الخمس او العشر سنوات القادمة واذا كان قد قيل ان بعد ظهور الرادار ان طائرة مقاتلة ذات رادار تعادل في الفاعلية خمس طائرة بدون رادار ، فما الذي سيقال بالنسبة للطائرات التي لايمكن رؤيتها عن بعد حتى بالرادار

عيون في كل مكان

وللرادار اليوم اماكن كثيرة يتواجد فيها ، ولئن كان قد ظهر تحت ضغط التهديد بالحرب فقد اصبح وجوده ضروريا في السلم ايضا فهو العين الساهرة لارشاد السفن والطائرات في رحلاتها عبر مختلف انحاء العالم . فكثير من طائرات السفر مثلا لاتتلقى وهي في الجو وشكل مستمر امواجا كهربائية ومغطيسية من رادارات المحطات الارضية التي تقوم بمتابعة موقع الطائرات لتعمل على انذار الطيار اذا ما اصبح الوضع خطرا بسبب اقتراب طائرة اخرى او انخفاض ارتفاع الطيران وظهور حواجز امامه وخلال رحلة الطائرة تنتقل مراقبتها من محطة ارضية الى اخرى تبعا لخط سيرها الى ان تصل الى المطار المقصود ويقوم الطيار في الطائرة اثناء عملية المراقبة من قبل المحطات الارضية باستقبال الامواج المرسلة ليطمئن الى انه تحت المراقبة والتوجيه ويساعد رادار تلك المحطات ايضا على التحكم بهبوط الطائرات في المطارات خصوصا في حالات الطقس السيء

وقد ساهم تطور علوم الحاسبات الالكترونية في تطوير اساليب استخدام الرادار حيث ظهرت شبكات خاصة بالمعلومات يستخدم فيها عدد من الرادار كمراكز لادخال المعلومات وتقوم الحاسبات في الشبكة بتحليل هذه المعلومات لاعطاء صورة متكاملة عن مايجري في مناطق معينة . ويمكن لمثل هذه الشبكات ان تكون العين الساهرة الشاسعة الاتساع تغطي دولا بكاملها ومن اهم هذه الشبكات هي شبكة الدفاع الجوي Sage

التي اقيمت للمراقبة والانذار المبكر ضد اي هجوم جوي محتمل

ولئن كان التهديد بالحرب العالمية الثانية قد ادى الى ظهور الرادار ، فقد ادى السلام القائم على الخوف من القوة والتخويف بها الذي اتى بعد تلك الحرب الى ايجاد وسائل كثيرة جديدة لتحقيق اغراض مختلفة والى تطوير استخدام الامواج الكهربائية والمغطيسية ، ولعل الاقمار الصناعية هي من ابرز الوسائل الحديثة . وتستخدم هذه الاقمار عيون الرادار لمراقبة ماحولها وتوجيه حركتها وقد بدأ ظهور هذه المخترعات عام ١٩٥٧ عندما اطلق القمر الصناعي الاول Sputnik ولهذه الاقمار اليوم ادوار واغراض عديدة منها ما هو عسكري يخدم مجموعة من الناس ضد مجموعة اخرى ومنها هو مفيد لجميع البشر فهناك اقمار للمراقبة والاستطلاع والانذار المبكر وهناك اقمار اخرى للملاحة والاتصالات والبحث العلمي ويبلغ عدد الاقمار العاملة اليوم في مدارات مختلفة حول الارض اكثر من الفي قمر

ولنأخذ كمثال على الاقمار الصناعية الى تلك التي تساعد السفن في رحلاتها عبر البحار والمحيطات ويعتمد مبدأ عمل هذه الاقمار على تواجد ثلاثة منها كل على مدار خاص حول الارض بحيث تتساوى ارتفاعات هذه المدارات وتتساوى سرعة حركة الاقمار حولها وترتب الاقمار الثلاثة على المدارات بحيث يمكن رؤية واحد منها على الاقل من قبل السفن المسافرة عبر بحار الارض بواسطة الامواج الكهربائية والمغطيسية ولان للاقمار الصناعية هذه دورة محددة تتكرر وفق ترامن معين فتحديد موقع سفينة ما بالنسبة لاحدها يكفي لمعرفة مكان هذه السفينة بدقة وبذلك يمكن توجيه حركتها نحو خط سيرها المنشود

لقد استطاع الانسان عبر الزمان ان يكتشف ما سخر له الله في الطبيعة من وسائل الرؤية بالاضافة الى نعمة حاسة البصر ولئن كان هذا الانسان قد استخدم تلك الوسائل ضد اخيه الانسان تحت ضغط التهديد بالحرب او السلام القائم على تنافس القوى ، فقد استعملها ايضا لاغراض تحقق خدمات لكل بني البشر وان كان للانسان غريزة تغريه بالتوجه الى القوة والتسلط فعنده ايضا مشاعر تشده الى العدل والمساواة فهل ياترى من يوم في حياة البشر يسخر الانسان فيه كل مواهب الطبيعة لخدمة ورخاء الجميع لا للصراع بين المجموعات المختلفة ■■

د. سعد الحاج بكري

إنهم يقرأون أكثر

محمود المراغي

في القديم كانت الكتابة على الحجر والخشب وجلود الحيوان وأوراق الشجر لذا كان نطاق الكلمة المكتوبة محدودا تسجل التاريخ ، وتقضي الأمور عند الكهنة والملوك والدواوين وقلما تستخدمها العامة

حديثا ، وبعد اختراع الورق والمطبعة ، أصبح للكلمة المكتوبة شأن آخر وأصبح للكتاب دوره الأساسي في نقل المعرفة ، ونشر التعليم ، وتبادل الخبرات ، وتسجيل التراث

ولكن ، ومع التطور أيضا بدا الأمر وكأن هناك ما يهدد الكتاب ويقلل رواجه ، ويحصره في دائرة التعليم أكثر منه في دائرة التثقيف والامتاع ونقل المعرفة بشكل عام وخارج فصول الدراسة

نشأت الصحف ، ونشأت الصناعة وقيل ان الصحف شكل أنسب للانسان الحديد المتعجل ، المرهق في حياته اليومية ، التواق لمعرفة « واسعة وسطحية وسريعة » تناسب نمط حياته

وتقدمت فنون الصناعة ، وأضافت السينما والمذياع والتلفزيون والفيديو وقيل انها جميعا أكثر اغراء في نقل المعرفة ومن ينكر أن الصوت والصورة أكثر تأثيرا وامتاعا من الكلمة المطبوعة في معظم الأحيان ؟

كان هذا هو الاعتقاد السائد ، ولكن بالاحصاء ثبت عكس ذلك ، وقالت أرقام اليونسكو - طبقا لآخر ما أتيح لها من بيانات - أنه في عام ١٩٧٨ زادت الكتب المطبوعة في العالم بنسبة ٢٤ / بالقياس لعام آخر هو عام ١٩٧٢

النسبة عالية ، وتسبق نسبة نمو السكان أو نمو التعليم والأهم أنها تدحض ما تداولناه من أن الكتاب يتراجع بعض الشيء لتحتل مكانه وسائل اخرى في نقل المعرفة

قراء الكتب اذن يزدادون ولكن الأرقام تسجل حقيقة ثانية تقول ان هؤلاء القراء في معظمهم من العالم المتقدم الصناعي في الأساس أما الدول النامية ، والتي يزيد عدد سكانها عن ثلاثة أضعاف المجموعة الأولى فانها لاتستهلك أكثر من ثلث الكتب المنشورة

المجتمع الصناعي اذن بكل خصوصياته وأشكاله النفسية وأنماط حياته المزدحمة ، وبكل التنافس حاد بين أدوات مختلفة لنقل المعرفة هذا المجتمع - يستثمر أهمية الكتاب بل جعل أهميته النسبية ستة أو ست[illegible] الأهمية النسبية في دولنا النامية فاذا كان [illegible]

مثلا - كتاب لكل ألف من السكان في الدول المتقدمة فان نصيب الكتاب هو ما يخص ستة آلاف من السكان في الدول النامية

قد تكون حركة النشر أحد أسباب الظاهرة لكن الأهم هي تلك الظروف الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي تحيط بالكتاب

في الدول النامية هناك مجموعتان ، وفقا لتقسيم البنك الدولي وأرقامه دول ذات دخل منخفض يبلغ متوسط دخل الفرد فيها (٢٣٠) دولارا ودول ذات دخل متوسط ويرتفع فيها الدخل الفردي الى (١٤٢٠) دولارا و ذلك مقابل (٩٤٤٠) دولارا للفرد في الدول الصناعية الغربية عن نفس العام ١٩٧٩

وبالطبع وحين يبلغ الفرق في الدخول (١ : ٤٠) فان السؤال عن الكتاب يصبح أمرا مشكوكا فيه

فاذا انتقلنا للعامل الثاني ، وهو التعليم والثقافة ، فانا نجد طبقا لنفس الاحصاءات أن نصف سكان الدول منخفضة الدخل (ممن هم فوق ١٥ سنة) لايعرفون القراءة والكتابة وتنخفض النسبة الى ٢٠ / في المجموعة الثانية من الدول النامية ثم تصل قريبة من الصفر في الدول الصناعية الشرقية والغربية على السواء

ذلك واذا أضفنا المشكلة السياسية المتمثلة في الديمقراطية وغيابها في الكثير من دول العالم الثالث

وأثر ذلك على ازدهار الكلمة لأدركنا لماذا تصبح أرقام الكتاب واضحة ومنطقية

ولكن

يبقى في الأرقام ما يثير الانتباه فالكتب المنشورة عام ١٩٧٨ بالفرنسية تقترب من الكتب المنشورة بالأسبانية فتحتل الأولى ٧ / مما تم نشره وتحتل الثانية ٦ / بينما ترتفع الأهمية النسبية للكتب الانجليزية التي تحتل وحدها ٢٥ / من الكتب المنشورة عام ١٩٧٨ والروسية التي تحتل ١٥ /

وقد يعكس ذلك صراع الثقافات وقد يعكس اهتماما متزايدا بالكتاب في الدول الاشتراكية ، أو في الاتحاد السوفييتي ذي الكتلة السكانية الكبيرة لكن الأهم أننا أمام خريطة تقول ان ربع عقل العالم يتعاطى الفكر - اذا جاز التعبير - بالانجليزية وأن ربعا آخر أو يزيد قليلا يتعامل بثلاث لغات أخرى هي الروسية والفرنسية والاسبانية ثم تجيء اللغات الأخرى ولاتظهر العربية في جدول المقارنة

لكن الخريطة سوف تتغير ، وسوف يأتي التغيير من قلب العالم الثالث حيث بلغت نسبة التعليم في المرحلة الابتدائية عام (٧٨) بالقياس لمن هم في سن القبول ٨٣ / في الدول منخفضة الدخل و ٩٥ / في متوسطة الدخل وزاد التعليم الثانوي والجامعي بدرجة ملحوظة

الكتاب اذن قادم ، والفضل في العالم الثالث للتعليم في الأساس

الجامع الأزهر ورحلة الألف عام

بقلم : محمد عبدالله عنان

وقد مرت الف سنة من عمر الجامع الأزهر ، فمن حقه علينا أن نقف أمام صرحه الشامخ اجلالا واكبارا ، وان نتأمل جيدا معالم رحلته الطويلة

كان لي شرف المساهمة في الدعوة الى احياء عيدين قوميين جليلين هما عيد القاهرة المعزية الألفي وعيد الجامع الأزهر الألفي وكان ذلك في أوائل سنة ١٩٤١ (١٣٦١ هـ) في بداية الحرب العالمية الثانية ولم تكن الأذهان يومئذ متهيئة لمثل هذه المناسبات لما كان يشغلها من أحداث الحرب واحتمالاتها المزعجة وقد ألفت يومئذ بالفعل لجنة للاحتفال بعيد القاهرة ولكن الآراء تضاربت حول تاريخ هذا الاحتفال من النواحي التاريخية وكذلك تضاربت الآراء حول عيد الأزهر ورئي بعد فترة من النقاش والدرس ، أن يترك أمر هذين العيدين الى التقويم الميلادي حيث وقع حلول العيدين بالتاريخ الهجري في ظروف عصيبة لا يتيسر معها العمل العلمي والنشاط الاجتماعي الهادىء

وكان أن تم الاحتفال بعيد القاهرة الألفي في موعده الميلادي في مايو سنة ١٩٦٩ وفي ندوة دولية عظيمة حاشدة وكان المفروض أن يكون الاحتفال بعيد الأزهر الألفي بعد ذلك بنحو عامين في يونية سنة ١٩٧٢ حيث يكون الأزهر قد أتم عيده الألفي في ٢٣ يونيه من هذا العام وقد كانت الحكومة المصرية تعتزم بالفعل أن تحتفل بهذه المناسبة على غرار ما فعلت في عيد القاهرة الألفي . وكانت برامج هذا الاحتفال قد وضعت بالفعل ولكن من بواعث الأسف الشديد ان حالت الظروف الخاصة التي كانت تجوزها مصر يومئذ دون تنفيذ هذا العزم فصرف النظر عن اقامة الاحتفال في ذلك الوقت ثم جد الحديث أخيرا ، بعد ذلك عن اضطلاع الحكومة بإقامة هذا الاحتفال ، في عام ١٩٨٢ ، على أن يكون احتفالا عظيما ، وعلى مستوى عالمي

أول حلقة للدرس

وان الجامع الأزهر لجدير بذلك كله وبأكثر منه فانه لا يوجد بين معاهد العالم العلمية كلها سواء في الشرق أو الغرب معهد يستطيع أن يفاخر الأزهر بتراثه العلمي العريض الذي لبث مدى ألف عام ينشره من حوله ويذيعه في أقطار العالم الاسلامي ، ولم يبذل أي معهد علمي في الشرق أو الغرب ، ما بذله الأزهر من جهود عظيمة للمحافظة على علوم الدين واللغة ، ولا سيما عقب سقوط الخلافة الاسلامية في بغداد ، وعقب سقوط دولة الأندلس الاسلامية في يد اسبانيا النصرانية ... العصر التركي ، فقد لبث حصنا أخيرا للعلوم الاسلامية والعربية ، خلال ما توالى على العالم العربي والاسلامي في تلك الأوقات العصيبة من مختلف الأزمات والمحن القومية

وانه لمن الحقائق المعروفة ان الجامع الأزهر لم ينشأ ليكون معهدا للقراءة والدرس ، وانما انشأه جوهر الصقلي منشىء القاهرة المعزية ليكون مسجدا جامعا للعاصمة الفاطمية الجديدة ، وقد كان المسجد الجامع دائما منذ نشأة الامصار الاسلامية عنوان الدولة الجديدة ، ومنبرا لدعوتها ، ورمزا لسيادتها الروحية ، وقد اقترن انشاء «جامع القاهرة» بنفس البواعث والظروف ، اما فكرة الدراسة بهذا الجامع ، فقد كانت حدثا عارضا ترتب على فكرة الدعوة المذهبية ، وغلب الحادث العارض شيئا فشيئا على صفته الأولى حتى اسبغ عليه ثوبه الجامعي الخالد

ففي صفر سنة ٣٦٥ هـ (أكتوبر ٩٧٥ م) في اواخر عهد المعز لدين الله جلس قاضي القضاة أبو الحسن علي بن النعمان القيرواني بالجامع الأزهر وقرأ مختصر أبيه في فقه آل البيت ، وهو المسمى بالاختصار في جمع حافل من العلماء والكبراء ، فكانت هذه أول حلقة للدرس بالجامع الأزهر ثم توالت حلقات بني النعمان بالأزهر بعد ذلك ، وكان بنو النعمان من أكابر علماء المغرب الذين اصطفتهم الخلافة الفاطمية ، وجعلتهم دعامتها وألسنتها الروحية ، ليلحقوا بها الى مصر ، واستأثروا في ظلها برياسة القضاء زهاء نصف قرن وكانت حلقات أولئك العلماء المغاربة بالأزهر وبالقصر حلقات دعاية دينية وسياسية ، تعقد في الغالب للاكابر والخاصة ولم تكن لها في البداية صفة الدروس العامة

وفي أوائل عهد العزيز بالله حدث بالجامع الأزهر حادث جامعي آخر ، ففي رمضان سنة ٣٦٩ هـ (٩٨٠ م) جلس يعقوب بن كلس وزير المعز لدين الله ثم وزير ولده العزيز من بعده بالجامع الأزهر ، وقرأ على الناس كتابا ألفه في الفقه الشيعي متضمنا ما سمعه في ذلك من المعز لدين الله وولده العزيز وهو المعروف «بالرسالة الوزيرية» وكان يجلس لقراءته بنفسه في الناس خاصتهم وعامتهم . ويهرع الى سماعه سائر الفقهاء والقضاة والأدباء وأكابر القصر والدولة ، وكان ابن كلس شخصية ممتازة تجمع بين السياسة والعلم

وكانت مجالسه في الواقع أول مجالس جامعية حقة عقدت بجامع الأزهر ، وكانت تمتاز عن مجالس بني النعمان باتجاهها نحو الغايات العلمية قبل اتجاهها نحو المثل المذهبية

والظاهر ان الوزير ابن كلس ، هو أول من فكر في اتخاذ الجامع الأزهر معهدا للدراسة المنظمة المستقرة ، ففي

سنة ٣٧٨ هـ (٩٨٨ م) استأذن هذا الوزير الخليفة العزيز بالله في أن يعين بالأزهر جماعة من الفقهاء للقراءة والدرس يحضرون مجلسه ويلازمونه ويعقدون مجالسهم بالجامع في كل جمعة من بعد الصلاة حتى العصر وكان عددهم سبعة وثلاثين فقيها ، ورئيسهم ومنظم حلقتهم الفقيه « ابو يعقوب » قاضي الخندق وكان حديثهم في الفقه وما اليه ورتب لهم العزيز أرزاقا وجرايات حسنة ، وأنشأ لهم دارا للسكنى بجوار الأزهر ، وخلع عليهم في يوم عيد الفطر وحملهم على بغلات تشريفا لهم وتكريما

وهنا نجد انفسنا أمام حادث جامعي حقيقي ، فقد كان هذا الجمع من الفقهاء أول الأساتذة الرسميين الذين عينوا بالجامع الأزهر ، وأجرت عليهم الدولة ارزاقا ثابتة ، وباشروا مهمتهم تحت اشرافها بطريقة منتظمة مستقرة ، واذن فنحن نستطيع القول بأن الأزهر يكتسب عندئذ لأول مرة صفته العلمية الحقيقية كمعهد للدراسة المنظمة وأنه يبدأ حياته الجامعية الحافلة المديدة

دار الحكمة

والمسألة الثانية التي يجب التنويه بها هو ان الجامع الأزهر كان يسمى منذ انشائه بجامع القاهرة ، وكان هو في الواقع مسجدها الجامع ، وكان هذا الاسم يطلق عليه أيام الدولة الفاطمية حتى عصر متأخر ، والظاهر أن اسم الأزهر أطلق عليه بعد انشاء القصور الفاطمية في عصر العزيز بالله فقد كان يطلق عليها اسم القصور الزاهرة ، ومنها اطلق على جامع القاهرة - وهو مسجد الدولة الرسمي - اسم الجامع الأزهر واما أصل التسمية فالظاهر أنها ترجع الى اسم السيدة فاطمة الزهراء ابنة الرسول ﷺ وهي التي يرجع الفاطميون نسبتهم اليها

وقد كان لا بد بعد أن شغل الأزهر بمهامه الجامعية الجديدة ، وتحولت مجالس الدعوة الى القصر ، ان ينشأ معهد جديد للعناية بهذه الدعوة ، وهذا ما قام به الحاكم بأمر الله ولد العزيز ففي جمادي الآخرة سنة ٣٩٥ هـ (مارس سنة ١٠٠٥ م) ، انشئت دار الحكمة الفاطمية أو دار العلم الشهيرة وكانت مجالس الحكمة تعقد بالقصر وينظمها قاضي القضاة وتقرأ فيها علوم آل البيت ، ويهرع الناس الى شهودها ، ولكن الحاكم بأمر الله رأى أن تكون هذه المجالس أخص وأوسع مدى ، وأن تنتظم في سلك حلقات دينية وعلمية متصلة ، فأنشىء المعهد الجديد وسمي دار الحكمة أو دار العلم ، ولهذه التسمية مغزى يدل على الاتجاه الفلسفي الحر الذي أريد أن يتخذه هذا المعهد أو هذه الجامعة الغريبة فقد كانت جامعة حقة تضم عدة حلقات وكليات دينية وعلمية وأدبية

وأفردت للجامعة الجديدة دار كبيرة ملاصقة للقصر الصغير ، وقسمت الى عدة اقسام او مجالس لعلوم القرآن والفقه وعلوم اللغة والفلك والفلسفة والرياضة والتنجيم وغيرها ، وعين لها أقطاب الأساتذة في كل علم وفن ، وحملت اليها من خزائن القصر مجموعات عظيمة من الكتب في سائر العلوم والفنون ، وكان التعليم فيها حرا على نفقة الدولة وهرع الطلاب الى دار الحكمة من كل صوب وأفردت للنساء فيها مجالس خاصة ، واتخذت في البداية طابعا حرا ، ودعي اليها الأساتذة من المذهبين ، ولكن ابعد عنها الأساتذة السنيون فيما بعد ولبثت دار الحكمة مدى قرن تنافس الأزهر في مهمته العلمية ، ثم فتر نشاطها من بعد ذلك ، وفقدت كثيرا من أهميتها ، ومازال أمرها في انحلال حتى انتهى أمير الجيوش الأفضل شاهنشاه الى الأمر بابطالها وانحلالها في اوائل القرن السادس الهجري لما ذاع من تدخلها في العقائد ثم أعيدت على نمط جديد روعي فيه تخفيف صبغتها المذهبية بيد أنها غدت عندئذ معهدا عاديا لا يتمتع بكثير من الأهمية

أما الأزهر فقد استمر أيام الدولة الفاطمية في تقدم ونماء ، واتسعت حلقاته وتنوعت دراساته ، وزاد عدد طلابه حتى تجاوزوا الآلاف وكان - فضلا عن صفته الجامعية التي استقرت وتوطدت على مر الأيام ، وفضلا عن اقامة الصلوات الرسمية فيه - مركزا لكثير من المظاهرات والمناسبات الرسمية الأخرى فمن ذلك أنه كان مركز الاحتفال الرسمي بالمولد النبوي الكريم ويوم عاشوراء الحزين وليالي الوقود الاربع وهي ليلة أول رجب وليلة نصفه وليلة شعبان وليلة نصفه هذا الى استمراره حتى أيام الحاكم وقبل انشاء دار الحكمة مركزا لمجالس الحكمة الفاطمية ، وقد كان يشترك في شهودها النساء في ركن معين خاص بهن ، وكان الأزهر - كذلك - مركز المحتسب وهو من أهم المناصب الدينية في الدولة الفاطمية ، وعمله يتناول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على قاعدة الحسبة ويجلس في الجامع الأزهر وجامع عمرو يوما بعد يوم

ولما انهارت دعائم الدولة الفاطمية أيام العاضد لدين الله آخر الخلفاء الفاطميين واستأثر الناصر صلاح الدين وزير العاضد بالأمر عمد الى ازالة شعائر الدولة الفاطمية وكل رسومها وآثارها المذهبية ، وابطل فيما ابطل إقامة الجمعة بالجامع الأزهر فلبثت معطلة به من سنة ٥٦٧ الى سنة ٦٤٥هـ في عهد الملك الظاهر بيبرس حيث اعيد اقامتها بالأزهر

على أن قطع صلاة الجمعة من الجامع الأزهر في تلك الحقبة لم يبطل صفته الجامعية ، فقد استمر في مهمته كمعهد للدرس والقراءة ، ولبث مقصدا ع اله

الطلا... من مصر وسائر انحاء العالم الاسلامي واستمر محتفظ بكثير من هيبته العلمية القديمة

بين الدين والفقه

ولما بدأ انشاء المدارس منذ أيام الدولة الأيوبية ، ثم كثر انشاؤها كثرة ظاهرة في القرنين السابع والثامن من الهجرة وكان انشاؤها ـ على الأغلب ـ على قاعدة المذاهب أقبل عليها الطلاب من كل صوب ، وانصرفوا عن الجامع الأزهر وكذا أقبل الأساتذة على العمل بها لارتفاع مرتباتها وكثرة اوقافها وكان لذلك الرواج العلمي أثره في فتور الاقبال على الأزهر ، وضعف حركته التعليمية بيد انه يوجد في اثناء العصر ما يدل على أن الأزهر كان خلال هذه الحقبة يحتفظ بمكانته الخاصة ، بماويه في ذلك اتساع حلقاته وأروقته ، وتنوع دراساته وهيبته القديمة وما يلاقيه فيه الطلاب ، من اسباب التيسير في الدراسة وايضا في الاقامة وقد غدا الأزهر ـ منذ أواخر القرن السابع اعني منذ قضى التتار على بغداد وعفت معاهدها وسقطت قرطبة وغيرها من حواضر الأندلس في أيدي الاسبان ـ كعبة الأساتذة والطلاب من سائر انحاء العالم الاسلامي ، ومنذ القرن الثامن الهجري تبوأ الأزهر في مصر وفي سائر العالم الاسلامي ، نوعا من الزعامة الفكرية والثقافية ، وفي اثناء هذا القرن ما يدل على أن الأزهر كان يتمتع في دولة السلاطين برعاية خاصة ، وكان الأكابر من زعمائه يتمتعون بالجاه والنفوذ ويشغلون وظائف القضاء والامامة العليا ، وكان هذا النفوذ يصل أحيانا إلى التأثير في سياسة الدولة العليا ، وأحيانا في مصاير العرش والسلطان وربما كانت هذه الفترة في الواقع هي عصر الأزهر الذهبي من حيث الانتاج العلمي الممتاز ومن حيث تبوؤه مركز الزعامة والنفوذ

أما مواد الدراسة بالجامع الأزهر فقد كانت تتردد طوال هذه العصور بين الأصلين القديمين ، وهما الدين واللغة فكان يدرس القرآن والحديث والتفسير والكلام والاصول والفقه على مختلف المذاهب هذا عن الاصل الأول اما عن الأصل الثاني وهو اللغة ، فكانت تدرس علوم اللغة من الصرف والنحو والبلاغة والبيان والبديع ثم الأدب والشعر والتاريخ وفي العصور المتأخرة كان يدرس المنطق والطب والعلوم الرياضية ، وأحيانا الموسيقى

وكانت الدولة المملوكية المصرية ـ خلال ذلك ـ قد شاخت وتفككت أوصالها بالرغم مما يتبعها من مظاهر العظمة والتقدم ، وكانت الدولة العثمانية الغازية في عنفوان ...نها ونهوضها وكانت تتطلع الى افتتاح مصر والشرق الأوسط لتكتمل عظمة دولتها ، وتتسع رحاب الامبراطورية ...اسياتها ولتضع يدها على ممر التجارة الغربية الى أسواق الشرق ، وهو الذي كانت تتمتع به مصر ، وكانت مصر تشعر بهذا الخطر على حياتها ، وتحاول من جانبها ان تستعد لرده ولكن شتان مابين القوتين ولم يمض قليل على ذلك حتى وقعت المأساة المروعة ، وانثالت الجيوش العثمانية على مصر واعتزم السلطان الغوري أن يحاول لقاءها في اوائل حدود مصر الشمالية على مقربة من جنوب تركيا في مرج دابق شمال الشام ، ولكن الصدمة كانت هائلة فانهار الجيش المصري وقتل السلطان الغوري ولم يعثر على جثته ، وانهارت بذلك الدولة المصرية وسقطت صريعة الغزو العثماني وذلك في رجب سنة ٩٢٢ هـ (أغسطس ١٥١٦ م) وفقدت ـ بذلك مصر ـ استقلالها التالد العريض

وفي ظل الفتح العثماني انهار صرح الحركة الفكرية في مصر الاسلامية كما انهارت عناصر القوة والحياة في المجتمع المصري وتضاءل شأن العلوم والآداب ، واختفى جيل العلماء والكتاب الاعلام ، ولم يبق من الحركة الفكرية الزاهرة التي اظلتها دول السلاطين المصرية سوى آثار محدودة يبدو شعاعها الضئيل من وقت الى آخر

وأصاب الأزهر ما أصاب الحركة الفكرية كلها من الانحلال والتدهور فاضطربت أحواله ، ونضبت موارده تباعا ، وانحمص عدد اساتذته وطلابه ، وانكمشت حركة التعليم كلها ، سواء في الجوامع أوالمدارس ، ولجأ كثير من العلماء والطلاب الى اقاصي الصعيد بعيدا عن عسف الفاتحين وظلمهم ، وقامت هناك في قفط وقوص وغيرهما حركة علمية وأدبية محلية

ان الجامع الأزهركان يقوم عندئذ في ظل هذا الأفق القاتم ، بأعظم وأسمى مهمة أتيح له خلال تاريخه الطويل الحافل أن يقوم بها فقد استطاع خلال المحنة الشاملة ان يستبقي شيئا من مكانته وأن يؤثر بماضيه التالد ، وهيبته القديمة في نفوس الغزاة انفسهم ، وأن يغدو ـ خلال ذلك ـ ملاذا أخيرا لعلوم الدين واللغة ، ويغدو بنوع خاص معقلا حصينا للغة العربية تحتفظ في أروقته بكثير من قوتها وحيويتها ، ويدرأ عنها ـ بجهود علمائه وطلابه ـ عادية التدهور النهائي ويمكنها من مغالبة لغة الفاتحين ومقاومتها ، وردها عن التغلغل في المجتمع المصري

مقاومة الاحتلال الفرنسي

ثم جاء الفتح الفرنسي الى مصر في أول يوليه سنة ١٧٩٨ (١٧ محرم سنة ١٢١٣ هـ) ، فاهتزت البلاد واهتز الأزهر لهذا الحدث الجديد ، وأخذ يتأهب لاسترداد عزمه القديم للمشاركة في الأحداث العامة ، وبعث المشايخ في الحال رسالة الى رئيس معسكر الفرنسيين في الجيزة يسألونه عن مقاصدهم ، واستمرت المحادثات التي

جرت بين الرسل وبين الفرنسيين عن اصدار الفرنسيين لخطاب لأهل مصر بالأمان وتوكيد نيات الفرنسيين الطيبة وطلب القائد العام حضور المشايخ والزعماء ليؤلف منهم ديوانا لتدبير الأمور، واسفرت المباحثات عن تأليف الديوان الأول المؤلف من تسعة أعضاء في مقدمتهم الشيخ عبد الله الشرقاوي شيخ الجامع الأزهر وعدد آخر من زملائه

واستمر الأزهر في الطليعة أيام الاحتلال الفرنسي، ينادي بتحرير البلاد وذهاب المحتلين، ويؤلف الوفود وينظم المظاهرات والمطالبة بالتحرير والجلاء حتى برم المحتلون بنشاطه وسماياته، وضربوا الأزهر والحي الأزهري بالمدافع ثم احتلوا الأزهر بخيولهم بعد ذلك على مدى ثلاثة أيام، وقبضوا على عدد من المشايخ المتهمين بالتحريض، وحاكموهم واعدموهم سرا، رغم كل ما بذله زملاؤهم لدى السلطات لتحريرهم وانقاذهم

ولما هدأت الأحوال نوعاما، أصدر صاري عسكر (نابليون) قرارا بانشاء ديوان جديد أوسع نطاقا من الديوان القديم، وجُعل اعضاؤه تسعين بدلا من عشرة ودخل فيه الى جانب العلماء ممثلون للطوائف الأخرى من الجند والتجار والأقباط والأجانب ولم يمض قليل على ذلك حتى اضطر نابليون الى مغادرة مصر لمعالجة الأحوال في أوربا وترك مكانه لرياسة الحملة الفرنسية بمصر نائبه الجنرال كليبر

واستمر الأزهر على موقفه في تحدي الغزاة ومقاومتهم بسائر الوسائل الممكنة والشعب من حوله يلبي نداءاته لتأليف المظاهرات، وفي خلال ذلك حدث حادث خطير هو قتل الجنرال كليبر (صاري عسكر) أثناء تجوله في حديقة منزله، على يد طالب أزهري قديم جاء لقتله خصيصا من بلده حلب ويسمى سليمان الحلبي، فكان للحادث دوي عظيم، وأسفر التحقيق عن سؤال عدد من الطلاب والأساتذة وقبض على عدد منهم واسفرت محاكمة سليمان عن الحكم باعدامه واعدام ثلاثة طلاب آخرين ممن كانت لهم صلات به قبل ارتكاب الجريمة وساد بذلك جو من الرعب والخشوع

ورأى شيخ الجامع الشيخ الشرقاوي وزملاؤه ان يوضع حد لهذه الحوادث المزعجة وان يغلق الجامع الأزهر، وتم ذلك بموافقة الجنرال منو الحاكم الجديد، وأغلق الجامع اغلاقا محكما من سائر ابوابه ومخارجه واستمر ذلك نحو عام، حتى تم الصلح بين الانجليز والفرنسيين وتم جلاء الفرنسيين عن مصر، واعيد فتح أبواب الجامع ومداخله وافتتح بتأدية صلاة الجمعة وحضور الأعيان والمشايخ وكان لذلك أطيب وقع في النفوس

اول قانون للازهر

وتطورت الحوادث الداخلية في مصر وانتهت بتقلد محمد علي ولاية البلاد، وبدأ محمد علي في التعليم سياسة جديدة، فانصرف عن الازهر ونزع سائر الاملاك التي كانت موقوفة عليه فضاقت احواله وانصرف معظم طلابه ومن جهة اخرى فان محمد علي اتجه الى ارسال البعثات الخارجية من الطلاب الى مختلف بلاد اوربا وبذل في ذلك همة مضاعفة وعلق اعتماده في تعليم البلاد وتثقيفها على هذه الافواج العديدة من طلاب البعثات وكان هذا عملا جليلا بلا ريب ولكنه كان عملا من جانب واحد اما الازهر فقد ركدت ريحه وانصرف عنه معظم طلابه ولبث خلال القرن التاسع عشر يتردد بين مختلف الاراء والاتجاهات ويحاول ولاة الامر ان يتداركوه بالاصلاح وصدر اول قانون في هذا السبيل سنة ١٨٧٢ في عهد الخديو اسماعيل وقد نظم هذا القانون طريقة الحصول على الشهادة العالمية وبين موادها ورتبها على ثلاث درجات اولى وثانية وثالثة وقرر ان تكون المواد التي يمتحن فيها الطلاب هي الآتية الاصول الفقه التوحيد الحديث، التفسير، النحو الصرف المعاني البيان البديع المنطق

وكان هذا القانون اول خطوة عملية في تنظيم الشئون الدراسية بالجامع الازهر بيد انه لم يحقق كثيرا من الاصلاح المنشود

وفي اوائل عهد عباس الثاني ظهرت بالازهر حركة اصلاحية جديدة قوامها وروحها الشيخ محمد عبده وكانت نتيجة هذه الحركة ان صدر في يناير سنة ١٨٩٦ قانون كساوي العلماء واضيفت الى مواد الدراسة طائفة من المواد الجديدة تشمل الاخلاق، مصطلح الحديث، الحساب الجبر، العروض والقافية وجعل التاريخ الاسلامي والانشاء ومتن اللغة ومبادىء الهندسة وتقويم البلدان مواد يفضل المشتغل بها على غيره

وفي سنة ١٩١١ على اثر اضطرابات الازهر المعروفة صدر قانون جديد للازهر ينظم الدراسة على اسس جديدة وبمقتضاه قسمت الدراسة الى مراحل لكل منها نظام ومواد خاصة واضاف هذا القانون الى مواد الدراسة مواد جديدة هي التاريخ والجغرافيا والرياضة ومبادىء الطبيعة والكيمياء

وتوالت على هذا القانون تعديلات عديدة ... اخرها واهمها القانون الصادر في سنة ١٩٣٠ وهو يتـ... الكلام

على احد - الازهر والمعاهد الملحقة به وعلى الرئاسة الدينية وهئة كبار العلماء ، وفيه يعرف الجامع الازهر بان يشمل كليات التعليم العالي واقسام التخصص وان هذه الكليات هي ثلاث ، كلية الشريعة وكلية اصول الدين وكلية اللغة العربية وان التخصص نوعان تخصص في المهنة وتخصص في المادة ويتناول الباب الثاني مراحل التعليم وهي تقسم الى اربع الابتدائي ومدته اربع سنوات . والثانوي ومدته خمس سنوات والعالي ومدته اربع سنوات وهي مرحلة الدراسة باحدى الكليات ، وقد كان هذا القانون في الواقع خطوة حاسمة في القضاء على نظم الدراسة القديمة بالازهر وانشاء ما يسمى اليوم بالجامعة الازهريه

وفي سنة ١٩٣٦ صدر قانون جديد للازهر يعتبر متمما للقانون السابق وهو يفصل مراحل التعليم ومدة كل منها ، وتفاصيل المراحل النهائية والاجازات واقسام التخصص للاعداد للحصول على شهادة العالمية والمواد التي تدرس في كل مرحلة واطلق اسم الجامع الازهر في هذا القانون على الكليات الازهرية واقسام الاجازات والتخصص والحقت به معاهد التعليم الابتدائي والثانوي بالقاهرة والاسكندرية ، وباقي العواصم الاقليمية

تطور أم ماذا ؟

على ان ذلك لم يكن كل شيء في تنظيم التطور الجامعي بالازهر ذلك انه في الخامس من مايو سنة ١٩٦١ ، صدر لتنظيم الازهر قانون جديد شامل للتطور الجامعي الذي اسبغ على الجامع الازهر ، هو القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ ، وبمقتضاه يصبح الازهر جامعة كبرى تشتمل على عشر كليات هي الاتية (١) كلية الشريعة والقانون (٢) كلية اصول الدين (٣) كلية اللغة العربية (٤) كلية المعاملات والادارة (٥) كلية الهندسة والصناعات (٦) كلية الطب (٧) كلية الزراعة (٨) كلية البنات الاسلامية وانشئت كليتان اخريان جديدتان هما كلية العلوم وكلية التربية وانشيء معهد اللغات والحق بكلية اللغة العربية

واعيد نظام الحلقات الدراسية تحت اسم « معهد الدراسات العربية والاسلامية » وجعلت كلية البنات الاسلامية بمثابة جامعة خاصة تشتمل على الاقسام الاتية :

(١) الطب (٢) العلوم (٣) التجارة (٤) الدراسات الاسلامية (٥) الدراسات العربية (٦) الدراسات الاجتماعية النفسية (٧) اللغة الانجليزية (٨) الترجمة الفورية (ل... فرنسية)

وفي ٢٩ ... بل سنة ١٩٧٢ قرر المجلس الاعلى للازهر تعديل ... ون تطوير الازهر الصادر في سنة ١٩٦١ ولائحته الداخلية ويقضي هذا التعديل باعادة جميع اختصاصات وزارة شئون الازهر الى شيخ الازهر ورفع درجته الى درجة « وزير » كما وافق المجلس على انشاء فروع لجامعة الازهر في سائر المحافظات

وان الازهر بعمره الألفي وحياته الممتدة يعتبر أقدم جامعة اسلامية « حية » وان كان جامع القرويين بفاس ، الذي انشئت به أخيرا بعض الكليات الحديثة ، يسبقه بنحو مائة وستين عاما ، على ان القرويين انشيء كمسجد جامع ولم ينشأ كجامعة ، ولكنه استعمل فيما بعد للدراسة على نمط المساجد القديمة اما في أوربا فانه يقال ان جامعة بادفيا قد اسست في سنة ٨٢٥ م على يد الملك لوتير ، وان جامعة اكسفورد اسست سنة ٨٧٢ على يد الملك ألفريد ، اعني انها اسستا قبل انشاء الأزهر على ان هذه التواريخ موضع جدل وعلى أي حال فان الحياة الجامعية الحقيقية لم تبدأ في أوربا الا في القرن الثاني عشر وذلك حينما اسست جامعة باريس في سنة ١٢٥٣ م وأسست جامعة كمبردج في نهاية القرن الثاني عشر ، واسست جامعة بولونيا في سنة ١٤٠٠ م ولم تعرف المانيا الحياة الجامعية قبل نهاية القرن الرابع عشر ومن ثم فان الأزهر يستطيع أن يقرر بكل فخر انه سبق في الوجود اشهر الجامعات الأوروبية

وهكذا تحول الجامع الأزهر الى جامعة حديثة ذات كليات ومعاهد مختلفة وانطلق ليعمل على غرار الجامعات المدنية ، وليقدم الى طلابه مختلف المواد العلمية والأدبية الحديثة واختتم الأزهر بذلك رسالته الأصلية التي انشيء من اجلها والتي لبث مدى ألف عام يضطلع بها ، وهي المحافظة على علوم الدين واللغة واحتفت حلقاته وتقاليده العلمية العظيمة التي امتاز بها على كر العصور والتي تخرج فيها الألوف من أئمة العلوم الدينية واعلام اللغة والبيان واختتم دوره العظيم في ميدان العلوم الاسلامية والآداب العربية

وقد يقال ان جامعة الأزهر الحديثة ، ما زالت بكلياتها الثلاث القديمة وهي كلية الشريعة والقانون ، وكلية أصول الدين وكلية اللغة العربية - ما زالت تحمل نفس الرسالة القديمة لعلوم الدين واللغة وانها سوف تعمل على رعايتها وازدهارها على نمط ما كانت في الماضي ، وان المسألة مسألة وقت ، وانه لم يمض على الكليات الجديدة ، ما يكفي من الوقت لتتويج جهودها بالقدر الكافي ونحن لا نكتفي بهذا التعليل وان كنا نرجو لجامعة الأزهر وكلياتها الجديدة ، مزيدا من النجاح ومزيدا من الأصالة والتخصص والنبوغ ■■

محمد عبد الله عنان

بدوي الجبل

شاعر العروبة والشام

بقلم : احمد محمد قدور

نشرت مجلة العربي في عددها رقم ٢٧٤ مقالا للاستاذ عبدالغني العطري عن شعراء الشام في مطلع القرن العشرين ، ألقى فيه الكاتب ضوءا على اربعة من شعراء الشام هم خير الدين الزركلي ، وخليل مردم ، ومحمد البزم وشفيق جبري .

ولعل من الوفاء ان نذكر شاعرا كبيرا فارقنا الى دار الخلود منذ فترة وجيزة وهو شاعر العربية بدوي الجبل

لم يكن بدوي الجبل ـ اسمه محمد سليمان الاحمد ـ دمشقيا بالولادة ، بل كان ـ شامي الهوى ، احب دمشق حاضرة الشام ، وفضلها على بلاد العالمين [1] وقد غنى العروبة اصفى شعره ، وخصها بوافر حبه

ولد محمد سليمان الاحمد في قرية (ديفة) في محافظة اللاذقية عام ١٩٠٣ ، وكان والده الشيخ سليمان الاحمد من كبار العلماء لغة وادبا وفقه دين

وفي بيت والده الجليل ، ترعرع ، ينهل من علوم ابيه ومن كتبه . فقد تلقى القرآن والحديث صغيرا ، ثم درج في دوحة الشعر العربي القديم ، يقرأ شعر الفحول الاوائل أمثال ابي الطيب المتنبي والشريف الرضى ، وابي تمام والبحتري وأضاف الى ذلك دراسة علوم اللغة من نحو وصرف وبلاغة ، مستكملا عدته الادبية من العربية الاصيلة

ولم يكن الفتى ليقنع بما حصل من المعرفة وهو كثير ، بل أكب على مطالعة الادب الحديث ونهل من الترجمات العربية للآثار الاجنبية ، وزاد ذكاؤه تلك الثقافة غنى ومضاء

وأما لقب الشاعر بدوي الجبل ، فله قصة نوردها بايجاز فقد كتب الشاعر الفتى قصيدة ، ارسلها الى جريدة « الف باء » الدمشقية ، ولم يكن الشاعر معروفا في الاوساط الادبية آنئذ ، فآثر صاحب الجريدة الاديب يوسف العيسى ان يتدع لهذا الشاعر الناشيء لقبا كي يجذب القراء لقراءة القصيدة فكان ان لقبه بـ (بدوي الجبل) ونسب القصيدة اليه ولما جاءه متسائلا عن تبديل اسمه اخبره العيسى انه ما اراد من ذلك الا لفت انظار

---

(١) ديوان بدوي الجبل طبعة اولى عام ١٩٧٨ ، دار العودة بيروت ، مقدمة الديوان بقلم الاستاذ اكرم زعيتر ص ٨

ولعل شاعرية بدوي الجبل الاصيلة التي تذكرنا
ول الاوائل هي التي اوحت الى يوسف العيسى مهدا
، الذي حمله الشاعر ، وعرف به أكثر مما عرف باسمه
ب

د حاص الشاعر بدوي الجبل غمار الحياة الوطنية
لي مطلع الشباب ولما يتجاوز السابعة عشرة من
، وشارك في الاحزاب الوطنية ، واودع السجون ،
مرارة النفي والبعد عن الوطن

، حياته الحافلة بأنواع الكفاح الوطني ، لم يكن الا
. ال صل الذي جعل العروبة له منهجا ودليلا ،
بد س شاعر العربية ، وقد أطلق عليه هذا اللقب
م زعيتر ، واقره عليه اديب العربية اسعاف
عدد من شعراء العرب وادبائهم .

من سجن الى سجن

بدأ الشاعر حياته السياسية والوطنية بمهمة كلف بها من الملك فيصل الى الشيخ صالح العلي الثائر على الوجود الفرنسي والمطامع الاجنبية . لكن الفرنسيين ما لبثوا ان داهموا سورية بقيادة الجنرال غورو واحتلوا دمشق في عام ١٩٢٠ ، واستشهد وزير الدفاع السوري يوسف العظمة في معركة ميسلون على ابواب دمشق وسرعان مازج بالشاعر الفتى في السجن فقضى فيه سنة وبضعة اشهر ، ولم يكن بدوي الجبل حينئذ قد بلغ السن القانونية ، فاخرج من السجن بعد ان عانى من العذاب والشقاء الوانا

ولم يكن السجن ليفت في عضد الشاعر المناضل ، بل زاده ايمانا واصرارا ، فاشتد المستعمرون في طلبه ، لكنه نجا من قبضتهم ، ويمم شطر العراق عام ١٩٣٩ مواصلا

كفاحه ولما عاد الى وطنه عام ١٩٤٢ القي عليه القبض ، وسجن من جديد ، وفي اثناء احتجازه هذا ، توفي والده ولم يتمكن من رؤيته

واستمر الشاعر يسهم في نضال شعبه وقومه ، حتى نالت سورية استقلالها عام ١٩٤٦ ، لكنه ما لبث أن ابتعد عن الوطن عام ١٩٥٦ متجها الى اوربا ، وبعد انقضاء ست سنوات ، عاد الى دمشق واتخذها مستقرا له حتى وافته المنية في عام ١٩٨١

أما شعره ، فقد كان مرآة لتاريخ العرب في شتى مواقعهم ، في نضالهم الدامي في سبيل الحرية والاستقلال ، وفي افراح الوطن واحزانه ، وفي مأساات العروبة والقومية

واذا اردنا ان نرد الشاعر الى مدرسة من مدارس الشعر الحديث او مذهب من مذاهبه ، فالبدوي من غير شك رائد من رواد المدرسة الاحيائية في الشعر العربي الحديث ، ويقف مع رفاقه الزركلي ، ومردم ، والبزم ، وحبري ، ليمثلوا الاتجاه التقليدي في سورية ، المتمثل في محاكاة اساليب الاقدمين في النظم ، وايثار الجزالة والمتانة في الصياغة

وموضوعاته الشعرية كثيرة ، متنوعة ، فيها الغزل ، والرثاء والهجاء ، والمدح ووصف الطبيعة ، وديوانه حافل بالوان شتى من تلك الأغراض

وفي مقالتنا هذه ، سنتعرض شعر بدوي الجبل الوطني والقومي ، وما فيه من جوانب متعددة ، فمن هجاء المستعمر ، الى رثاء الشهداء ، الى التنديد بالظلم والاستبداد وقد اشترح حب الشام بدمه ، فوصف طبيعتها الساحرة ، وحن اليها وهو في ديار الغربة ، وغناها من شعره اعذب الالحان

صيحات من المنفى

وفي عهد الاحتلال الفرنسي لسورية ، كان يرسل صيحات الالم ، من منفاه في العراق ، معبرا عما تعانيه وطنه من ويلات المستعمرين

* ومن هذه الصيحات المدوية ، قصيدة له مشهورة يقول فيها

يا سامر الحي هل تعنيك شكوانا
رق الحديد ومارقوا ... ...
حمل العتاب دموعا لا عتاب ...
عاتب القوم اشلاء ... سرانا
وسل الشعوب التي لم تسق من دمها
ثاراتها الحمر احقادا واضغانا

ثم يصف دمشق المناضلة وما اصابها من ويلات المستعمرين

اما الشآم فلم تبق الخطوب بها
روحا احب من لمعمي وريحانا
من راى بنت مروان انحنت تعبا
من السلاسل يرحم بنت مروانا
أحنو على جرحها الدامي وأمسحه
عطرا تطيب به الدنيا وأكفانا
هل في الشآم وهل في القدس والده
لا تشتكي لثكل اعو لا وإرنانا

* وفي قصيدة اخرى ، نظمت في العراق عام ١٩٤١ ، يصف الشاعر كفاح الشعب وبطولة المناضلين

نزلوا السجون فعطروا ظلماتها
أنفا وغرا كالضحى جحجاحا
يا نازلين على السجون فاصبحت
بهم اعز حمى واكرم ساحا

* ولما فازت سورية باستقلالها ، وجلا المستعمر عن ترابها عام ١٩٤٦ ، كان بدوي الجبل من الشعراء المجيدين الذين وصفوا ذلك الحدث الكبير في حياة الوطن والعروبة ، وقصيدته في مناسبة الجلاء من أجود شعره ، يقول في مطلعها مصورا الفرحة العارمة

الزغاريد فقد حن الإباء
من صبابات الله هدى الكبرياء
بنت مروان اصطفاها ربها
ما يشاء الله لا ما ...
هي في عمان بأس وندى
وهي في الاسلام فتح ...
الاديم السمح عطر وزنا
ربما اعمى عنه ...

ثم يصف مغاني دمشق ، ويقف على مرابع ... ثم يمدح بني امية مشيدا باعمالهم الخالدة

... المعي في قلب الشاعر ، وقد خصها في ... تحيات الرضا والحب والولاء ، يرسلها من ... وديار العروبة

... هوى مستعمر
... ربا الشام ومصر وولاء
... الرضا من دجلة
سلام الله من غار حراء

* وفي وحشة المنفى ، يعاوده الحنين الى الوطن ، فيملك عليه احساسه ، ويفجر اشواقه شعرا يفيض رقة وحنانا

... الحمر هل عالي وحي وعدنا
... مرت به حتى يشوق ويبعدنا
وهل دللت في العوطتان لبانة
احب من النعمى واحلى واعذبا
وسيما من الاطفال لولاه لم احف
على الشيب ان ابكى وان اتعربا
... لنا الاعياد ، عيدا اذا حبا
وعيدا اذا ساعي ، وعيدا اذا حبا
... من احلى الطفولة وحدها
اقص سرثات السلم شرقا ومغربا

ومنها ايضا ، يصف طبيعة دمشق ، ويذكر قبور احبابه من زعماء الكفاح الوطني

سقى الله عند اللاذقية شاطئا
مراحا لاحلامي ومعي وملعبا
وجاد ثرى الشهداء عطرا كأنه
على القبر من قلبي اريق وذوبا
... اهدى القصيدة الى حفيده « محمد »

« قلبي بالشام مقيم »

... قصيدة اخرى نظمت في المنفى ، مؤرقه دكريات ... الشام ويصف جمالها ، وتمنانه على حبها

... الاصغر شرف ومعرب
... قلبي بالشام مقيم
... عني عم رؤية
... على طور الجلال (تسليم)
... عند البحيرة دسر
... على افيائها وشميم
... الشام حتى اذا انطوى
... قلبي عبرة ووجوم

* وحين فجع العرب في الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ بنكسة جديدة ، ثارت شاعرية البدوي ، فأنشأ في النكسة شعرا غاضبا ، حز عليه محنة كادت تودي بحياته يقول فيها ، واصفا سلب القدس من جسم العروبة

هل درت عدن ان مسجدها الاقصى
مكان من اهله مهجور
أين مسرى البراق والقدس والمهد
وبيت مقدس معمور
لم يرتل قرآن احمد فيه
ويرار المكي ويتلى الزبور
طوي المصحف الكريم وراحت
تتشاكى اياته والسطور

ولما أصدر الشاعر ديوانه عام ١٩٧٨ ، أهدى القصيدة المذكورة الى ابطال حرب تشرين (حرب رمضان) عام ١٩٧٣ ، الذين كانوا فجرا من أمل وبصيصا من نور على طريق الكفاح الطويل الذي تخوضه الامة العربية جمعاء

وما تلك اللمحات التي قدمناها الا خطوط بارزة من حياة الشاعر بدوي الجبل وكفاحه ، واما تفاصيلها ، فقد استوفاها الاستاذ اكرم زعيتر في دراسته لحياة الشاعر وشعره في مقدمة الديوان ، وتعد هذه الدراسة من اوثق المصادر عن حياة الشاعر وسيرته النضالية

ومن الجدير بعدئذ ان يوصف بدوي الجبل شاعر العروبة والشام ، فقد تغنى بجمال الشام اصدق غناء ، وناضل في سبيل حرية الوطن ، وكرامة العرب وذاق من ألوان العذاب بسبب مواقفه الجريئة ، ما عرض حياته لشتى المخاطر

وهو صادق اذ يقول
أتسكب الشآم وفي فؤادي
تنقيب الصوارم والرماحا
اذا سبيت على الجلى وفائي
فقد غدرت على الغدر الملاحا
وصيت الشآم دما ونارا
فلا شكوى عرفت ولا سماحا ■ ■

دمشق ـ احمد محمد قدور

الدرس الأخير

بقلم : عبد الرحمن سلامه

(ابن الدوايمه)

« معرفة الرجال كنوز ومعرفة السساء حور »
« مثل شعبي جرائري »

وصعت محفظتها على المكتب ارتدت مئزرها الابيض فتحت كراس المناداة نظرت الى التلميدات نظرة مليئة بالمعاني بدت كئيبة شاحبة الحزن يملأ وجهها يحجب تلك الاشراقة الحميلة التي كانت تزين وحهها دائما ساد حجرة الدرس صمت شفاف تعلقت ىها انظار التلميذات البريئة هرت رأسها وهي تتذكر كلام والدها « المرأة عندنا تخرج من الدار مرتين يابنيتي الاولى من دار اهلها الى دار زوحها والثانية من دار روجها الى القبر » تمتمت بعبارات مبهمة ـ آه ليتني لم احلق ليتني لم احلق وحاولت منع دمعة تتصارع للسقوط « ترى هل سيكون مصيركن مثل مصيري ؟ وسرحت ببصرها في تلميذاتها

قطعت عليها المراقبة شرودها وقعت على سجل المناداة . نظرت الى التلميذات نظرة اكثر عطفا وحنانا واشفاقا .

ـ لماذا ليلى ماتزال غائبة ؟

ـ قلن : لقد تركت الدراسة يا سيدتي

ـ لماذا ؟

ـ احابت احداهن لان والدها وافق على حطوبتها وقد اشترط حطيبها توقفها عن متابعة الدراسة ، ووحدت نفسها تهمس « والدها الخطوبة ادن مصيرها كمصيري » آه لو تعرفن ان مصيري هو نفس مصير ليلى وان هذا هو الدرس الاحير لي معكن »

وقطعت احدى التلميدات على المدرسة شرودها من حديد وسميرة يا سيدتي أيضا ؟

ـ سميرة آه سميرة مادا حرى لها ؟

ـ هي في المستشفى يا سيدتي !

ـ لماذا ؟

ـ لانها حاولت الانتحار بعد قرار والدها تزويجها رغما عنها من شخص يكبرها بثلاثين عاما وهو تاجر كبير

وشعرت بدوار اغمضت عينيها ... دمعه سقطت على خدها الأيمن اتجهت الى السبورة كتبت . درسنا اليوم . « الزواج في الجـ... »

استغربت التلميذات ذلك وأدركت من نظراتهن هذه الدهشة فاستطردت قائلة « قلت الزواج في الجزائر» بدلا من درسنا المقرر« المجالس الشعبية البلدية » وساد الفصل صمت لم يلبث ان تحول الى حركة وحيويه

ـ ما هي اهم مشكلة تعترض الزواج في بلادنا ؟

ـ قالت الاولى الشروط التعجيزية لأهل الفتاة

ـ قالت الثانية غلاء المهر يا سيدتي

ـ قالت الثالثة رغبة وطمع الأهل في مصاهرة ثري

ـ قالت الرابعه بيع الأهل لابنتهم تحت اسم الزواج

ـ قالت الخامسة لا لا أتفق مع زميلاتي الاهل على حق واغرورقت بالبكاء

ـ سألتها المعلمة باندهاش لماذا ؟

ـ قالت وهي تمسح دموعها لأن اهل العريس يجدون فخرا في هذه الشروط ويعتبرونها دليلا على قيمة الفتاة ومكانة اهلها »

ـ قالت المعلمة « لكن هذا غير ممكن » (قالتها وهي تعرف جيدا ان هذا صحيح وانها هي ايضا عاشت هذا الوضع بنفسها)

ـ قالت التلميذة باصرار بل ممكن ياسيدتي لقد جاءت احدى العائلات الغنية تطلب يدي من اهلي وقد تم كل شيء على ما يرام انا لم ارفض العريس والاتفاق كان تاما بين اسرتينا ولكن المفاجأة حدثت فيما بعد واجهشت بالبكاء اقتربت المعلمة منها وهي تستعيد ما وقع لها انها الصورة نفسها ربتت على كتفها قائلة

ـ وماذا حدث ؟

ـ طلب والد العريس من والدي تحديد الشروط فما كان منه الا ان قال ليس لي شروط الولد ابنتنا والبنت ابنتنا وسعادتها هي سعادتنا والذي يهمنا هو سعادتهما وعلى عكس ما توقع والدي فقد تبرمت والدة العريس وطلبت تأجيل البحث في الموضوع وضغطت على يد زوجها وخرجا ثم ارسلوا لنا فيما بعد من يبلغنا بتحليهم عن الخطوبة وليت الأمر توقف عند هذا الحد ؟

ـ « كيف » قالت المعلمة ؟

ـ لقد اشاعوا ان والدي لم يشترط شروطا لانه يعرف اني لا اصلح وانني ؟ !

وكلام كثير واقاويل كثيرة والعيب في الاسم او والدي ؟

ـ ما به والدك قالت المعلمة مقاطعة ؟

ـ لم يعد يثق بي واصبح يشك في تصرفاتي ويكرر على مسامعي انت السبب في تمريغ كرامتي بالوحل لايوجد دخان بلا نار وقرر ان يوقفني عن الدراسة وسيكون هذا هو الدرس الاخير لي هنا سيدتي

القت بجسدها المتثاقل على المقعد طلبت من التلميذات ابداء رأيهن بهذه المشكلة كتابيا عاودتها الصور نفس الوضع نفس الكلام ما وقع لي يتكرر مع هذه التلميذة الطيبة المجدة كلتانا تواجه نفس المصير

وقطعت عليها احدى التلميذات شرودها من جديد

ـ سيدتي عندي اقتراح ؟

ـ ما هو ؟

ـ ان تتصلي بالاتصال بوالدتها واقناعها بضرورة متابعتها الدراسة

هتفت التلميذات نعم الرأى نعم الرأى !!

انتفضت المعلمة لم تحتمل صرخت « آسفة آسفة لا استطيع فانا تماما كما هي اواجه نفس المشكلة ونفس المصير وهذا هو الدرس الاخير لي ممكن واندفعت خارج حجرة الدرس التي سادها صمت حزين تخلله اصوات مبحوحة وقطرات ملأت العيون البريئة حزنا وحيرة . ■■

عبد الرحمن سلامه
(ابن الدوايمه ـ الجزائر

خوزيه دونوزو :

العنف والجنس يسودان العالم

بقلم : محمود قاسم

ترجمت كتبه الى تسع عشرة لغة ، هل لأنه مس فيها العنف والجنس ؟ أم لأنــه استطاع أن ينتقل بأعماله فعلا الى العالمية .

منذ سنوات طويلة تساءل المفكر الانجليزي توماس كارلايل عن مدى امكانية دخول الكاتب الى غرفة النوم وما هي حدود حريته في التعبير عما يحدث بداخلها . فاذا كان د. هـ لورانس قد دخل الكوخ ووصف وصفا دقيقا ما حدث بين الليدي تشاترلي وحارس الغابة واذا كان هذا الكتاب قد منع في انجلترا سنوات طويلة . فان الكثيرين من كتاب هذه الأيام مشغولون بتفاصيل العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة . . . وهذه الظاهرة لا تمس كاتبا دون آخر . . . فهناك العديد من الكتاب الجادين وكتاب القصص الجماهيرية مشغولون بتلك التفاصيل . واذا كان إحسان عبد القدوس ونزار قباني أحر من كتب عن المرأة باللغة العربية . فان الأدب الاباحي لا يقتصر على كاتب دون آخر . . . أو على دولة دون أخرى . . . فمن المانيا رأينا جونتر جراس . . . وفي الولايات المتحدة هناك « أنايس نين » وهنري ميللر . وهارولد روبنز . . وآخرون .

والكاتب الشيلي خوزيه دونوزو هو أحد الكتاب الذين مسوا هذا اللون من الكتابة في بعض أعمالهم . ولا ندري هل لهذا السبب ترجمت كتبه الى تسع عشرة لغة . . ومنعت من دخول الاتحاد السوفيتي . . أم لأنه فعلا كاتب استطاع أن ينتقل بأعماله الى العالمية . . ذلك ما سوف نحاول التأكيد عليه . . الطريف أن دونوزو لم يكتب أدبا مكشوفا سوى في رواية واحدة فقط هي التي ترجمت أخيرا الى اللغة الفرنسية بعنوان « الاختفاء الغامض لماركيزة لوريا الشابة » .

وهذه الرواية تجيء غريبة الشكل مقارنة بالأعمال التي سبق للكاتب القادم من أمريكا الجنوبية أن قدمها .

في أعماق الكابوس

يضع النقاد دونوزو - الذي ولد في سنتياجو بشيلي عام ١٩٢٤ - في مصاف كل من هيمنجواي وفيتز جيرالد قضى فترة طفولته الاولى في برنكتون ثم التحق بجامعة ايوا في الولايات المتحدة وعاد الى بلاده وعاش ردحا من الزمن ثم هجرها الى اسبانيا عام ١٩٦٧ الى أن عاد لبلاده مرة أخرى بصفة نهائية في منتصف العام الماضي

نشر جوزيه أولى رواياته عام ١٩٥٧ تحت عنوان « التتويج » بعد أن انتهى من دراساته بالولايات المتحدة وفي شيلي قام بنشر مجموعة من الروايات باللغة الاسبانية من أهمها « طائر الليل القبيح » و « العائلات المقدسة » و « منزل المعسكر » و « مكان ليس له حدود » التي سوف يخرجها للسينما المخرج الاسباني الأصل لوك بوتويل هذا العام ثم « الاختفاء الغامض لماركيزة لوريا الشابة » ثم نشر مجموعة قصص قصيرة بعنوان « شارلتون وقصص أخرى » وانتهى في الفترة الأخيرة من اعداد نص سينمائي سوف يخرجه المخرج الايطالي مايكل انجلو انطونيو في الولايات المتحدة

في روايته الاولى « التتويج » يصور الكاتب عالما أشبه بما يصفه تينسي ويليامز خاصة في « عربة اسمها اللذة » و « شم الوردة » فهناك منزل يتكون من طابقين في الطابق الأعلى تسكن السيدة اليرا حراي الشقة واسعة الغرف مريحة وجيدة التهوية هناك اثنان من الخدم يقومان بخدمتها انها امرأة تعاني من جنون حاد قد يسوقها نحو الموت يعيش معها حفيدها الذي يهوي جمع العصي يراقب موت الجدة فيصاب بانهيار عصبي شديد انه انسان قليل التجارب والحيلة وهو لم يمر قط بمغامرة في حياته

في الدور الارضي تسكن مجموعة من الناس في غرف منفصلة . طباخ بائع كتب وصيفات يرين أن الصحف هي التي تجيء وحدها بالأخبار الصادقة فهن يقرأن دائما أخبار البرجوازية الكبرى التي تسيطر على البلاد

بلاد تناهض القراءة

والمنزل الذي يفصل داخله عالمين مختلفين يمثل كل مجتمع فيه هذا التباين فاذا كانت الشقة العلوية الفاخرة بها عدد محدود من الناس فان الدور الأرضي مليء بالسكان الذين يعانون ويتطلعون الى أعلى ينتظرون يوم التتويج حين يسيطرون على هذه الشقة ويسكنونها لكن لا نعرف . هل سوف يسكنونها جميعا ؟ أم سوف يستولي عليها واحد فقط هو الأقوى ؟

ويقول ميشيل جريروليا في مجلة الاكسبريس (٢٤ يوليو - تموز - ١٩٨١) « بعد أن تقرأ التتويج وتحت تأثير الصدمة التي تحدثها فينا لا يوجد ما يمنع المرء من أن يقوم بمغامرة في وادي الورود هنا يثير دونوزو قطاع المعه كأنه عازف موسيقى ممتاز هناك أعماق الكابوس الذي تنبع منه الشهوة الخارقة دوامة الحب الطبيعي الذي يثير الرعب المعنوي فلماذا لا نترك أنفسنا وسط مزيج من هذه الأشياء ؟ .

البرجوازيون في شيلي

وفي « العائلات المقدسة » يتناول الكاتب نماذج اجتماعية تنتمي أيضا الى الطبقة البرجوازية التي انحدر منها الكاتب وتمثل القلة في البلاد . فاذا كانت الطبقة الفقيرة يمكنها أن تنجب أطباء ومهندسين فان تفكير مثل هذه الفئات يختلف عن مثيلتها من أبناء الطبقة الثرية فهناك الى جانب كل من الأطباء والمهندسين مجموعة من النساء يعملن كنماذج للفنانين . ورسامون ورجال فكر جميعهم ينتمون الى البرجوازية الكبرى في شيلي هناك امرأتان بلغتا الأربعين من عمرهما انهما تشبهان « اينان » المسماة بالقطة نجمة ...سة كبر...

: وباوهاوس » التي تلازم المنزل وتنتظر عودة أختها من عملها تصادق الأختان سيلفيا التي تعمل نموذجا للرسامين تنتقل في غرفهم تحتسي معهم الأكواب قبل أن ينتشي كل منهم في عمله تجلس هي متحجرة أمامهم يرسمونها ويجلس الرسام ساعات يرسم خطوطها الخارجية منظاره الداخلي ، سيلفيا هي نموذج امرأة العصر الغربية هناك رجل واحد تحبه بجسدها وروحها انه اسيلمو لكنها ترفض أن يعاملها حبيبها كما يعامل العبيد يأمرها وينهرها ويحاول أن يتحكم في سلوكها وبالرغم من رصانتها بهذا السلوك الا أن انسيلمو يهجرها الى روحته تؤلم الصدمة المرأة تؤثر أن تعيش مع نساء مثلها المعاناة هنا تختلف تضم الى الشقيقتين تعيش الثلاث في عالم واحد لكن لكل منهن عالمها الآخر فاذا كانت هناك حلقة تضم النساء الثلاث فهي لا تكتمل الا بوجود الرجل في حياة كل منهن لكن لكل منهن تجربتها المؤلمة التي عليها أن تعوقع داخلها تجتر منها وترتشف

ويقول دونورو حول هذه الرواية « الكاتب هو فنان تشكيلي من الطراز الأول في أعماقه » لا أعرف أن أتكلم أو أكتب إلا رسما ، فأنا أحد نفسي أنحرف الى الوصف فهناك دائما لحظة أشعر فيها أني أصبحت فنانا تشكيليا لقد درست الفن التشكيلي والعمارة في الولايات المتحدة فيما بين عامي ١٩٥٠ ، ١٩٥١

منزل المعسكر

ودونورو شغوف جدا بالفنانين انجر وروتكو واذا كانت رواياته الاولى تتحدث عن العالم الخاص للفنان التشكيلي فان هذا الأمر قد قل مع رواياته التالية ففي روايته « منزل المعسكر » يصور الكاتب جوا فنتاريا لم يعتد تقديمه من قبل وإن كان هذا اللون منتشرا جدا في الغرب حاليا هناك رجل من الأثرياء يدعى فنتورا تاجر ذهب يعيش مع أسرته في قصر كبير تزحف اليه السلاحف وآكلو لحوم البشر تنهش في أجساد ساكنيه ويكون أبناء فنتورا هم أول من تنهشهم هذه المخلوقات المتوحشة يجذبونهم من المدخنة يصعدون بهم الى أعلى القصر ثم يجذبونهم الى ممرات الحديقة من يجرؤ أن يطاردهم بل من يجرؤ أن يفتح مصراع الباب لقد تمرد آل فنتورا على قانون البلاد وعليه أن يدفع الثمن

تدور الأحداث في مدينة ماريلاند الخيالية اعتاد ماركيز المدينة أن يخرج من قصره كل يوم في الساعة الخامسة مصطحبا أطفاله انه لا يعرف شيئا عن اشعار بول فاليري لقد تحدث شاعر فرنسا الكبير كثيرا عن آكلي لحوم البشر مكتبة مدينة ماريلاند لا تضم أية أنواع من كتب الأدب لكنها تضم مجموعة من الرسومات واللوحات المصاغ فيها الأوامر أمر بالصمت أو أمر بمنع الطعام أو بمنع التدخين على ظهر بعض الكتب يمكن أن نقرأ حول بعض الأسماء المجهولة كوبرنيكس ونيوتن .أفلاطون « الكتب هي صانعة الثورات »

يأكل ابنته !

أما فنتورا فيرى أن القراءة عالم ممتع انه أشبه برجل الاطفاء في رواية « فهرنهيت ٤٥١ » لراي براد بوري انه يعيش في مدينة المستقبل التي يصنعها الطغاة

يحرمون الآخرين لذة القراءة والمعرفة فالكتب هي سبب إفساد الشعوب وعلى الناس أن تجلس فقط أمام التليفزيون ليشاهدوا ما يملي عليهم النظام الحاكم من مواد اعلامية فنتورا ورحل الاطفاء يجربان لذة القراءة يعشقان الكتب يثوران على النظم الطاغية يرى فنتورا أن آكلي لحوم البشر ليسوا هم من سحبوا أبناءه من المدخنة ونهشوا أجسادهم في حديقة القصر بل هم أولئك الذين يأكلون من الكتب

أصيب ادريانو جومارا ـ صديق فنتورا ـ بحالة انهيار بعد أن حدثته ابنته انها سوف تشعر بالمهانة اذا لم يتحول مثلها الى آكل لحم البشر فأكلو لحوم الآخرين شيء رائع انها تتلذذ بهذا الأمر وعليه أن يعمل مثلها ابتسم بسذاجة دون أن يرد فتح الفرن الذي فاحت منه رائحة الاطباق التي لم ينضج بعد ما بها هناك فوق الطبق بعض الجزر والخضروات ورأس ابنته الكبرى بحاجبين ، أصيب ادريانو بحالة من الرعب والفزع ان عليه أن يتحول الى آكل لحوم البشر يأكل من نهشوا لحم ابنته حبس نفسه في برج عال عدة أيام حملت الرياح صرخاته الى كل أبناء المدينة يصرخ منادياً « اعبدوا هذه الطواويس » يقول رجل لاس ادريانو ان أبناءه لم ير طواويس من قبل فلا يوجد في ماريلاند أي من هذه الطيور

ليست خيالا محضا

واذا كان براد بوري قد صور لنا علاقة حب رائعة بين رحل الاطفاء واحدى الفتيات المتمردات التي تذهب به الى بلاد الحكمة حيث يقوم الرجال بحفظ الكتب وتوريثها فان عالم دونورو في هذه الرواية يخلو دائما من الأمل فالكل يسقط تحت وطأة القانون الدكتاتور هو الذي يتحكم هو الذي يسوق هؤلاء الآكلين ويربيهم في حديقته ولا أمل في الخلاص منه كل ما يفعله هؤلاء الهامشيون هو أن يأكلوا من لحوم الآباء ويتركوا الصغار دون عائل

ويقول يان كويفلك في نوفيل اوبزرفاتور (٢٨ ـ ٢٤ حزيران ـ ١٩٨٠) ان هذه الرواية لا تعتبر خيالا محضا فاذا جردنا بعض الاشياء من الصفات الفائقة فيها من أكل لحوم البشر والطواويس النادرة ـ فان أحداث الرواية يمكن أن تدور في أي بلد من بلدان العالم الثالث الذي يعاني معظمه من تخلف ثقافي وديكتاتورات تتحكم فيه

ويتحدث الكاتب حول روايته فيقول فتاة صغيرة تطهي أختها بحاجبين في الفرن وقد أحاطتها بالخضروات ذات الطعم الجميل والبهارات كأنها دجاجة قرأت منذ عدة سنوات دراسة طويلة حول الأسلوب الذي اتبعه كاتب لا يحضرني الآن اسمه

لقد أعد تقريرا حول الأوضاع في أمريكا اللاتينية قبيل حدوث كارثة وطنية أثيرت ضجة بعد أن ذبحت فتاة صغيرة ووضعت في فرن وقام البعض بأكلها هل هناك اختلاف بين ما حدث في الرواية وبين هذه الحادثة ؟ هل تعد مثل هذه الأشياء أعاريج روائية عند صياغتها في كتاب ؟

الاختفاء الغامض

قلنا في أول المقال ان دونورو شغوف جدا بالكتابة حول الجنس كأنه يتقلد تلك الروايات والأفلام التي لاقت نجاحا خلال السنوات الأخيرة وها هو يقدم أحدث أعماله « الاختفاء الغامض لماركيزة لوريا الشابة » هناك امرأة شابة من لوريا وَهِيَ ليست مثل هؤلاء الشابات الباردات اللائي يعشن بالقرب منها تهب نفسها الى كونت مشغوف بصيد الحيتان ثم الى فنان تطلب منه أن يرسم جسدها كما يراه تدخل الى عوالم المراهقات وتصادق طالبات المدارس الداخلية تهمس كل منهن يمتعها حسيا انها أقرب الى « ايمانويل » التي تعلمت كل فنون الهوى من رجل مخمور ثم مارستها مع الشباب الأقوياء يقول دونورو « خطرت لي فكرة رواية تحت ذات ظهيرة حارة حين رأيت ابنتي ذات الثلاث عشر سنة تتغازل مع ابن أحد أصدقائي احد ... ب فكرة

● جورجيه دونورو

حتى الآن وشر مجموعة أقاصيص قصيرة بعنوان « شارلتون وقصص أخرى » حاول فيها تجسيد بعض المواقف الانسانية التي عاشها هنا أو هناك ففي أقصوصة « الذرة الزرقاء رقم خمسة » يتناول فيها موضوعا نعاني منه جميعا نحن أبناء العالم الثالث وهو البحث عن مسكن من خلال عاشقين يودان ممارسة الحياة في مكان هادىء مغلق يشعران فعلا أن كلا منهما يخص الآخر ويمتلكه

أنا رجل متلصص

وفي موقف منفصل وأقصوصة مختلف يتناول دونورو شريحة أخرى من تلك الشرائح حيث نرى سيلفيا تقوم بمساعدة عاشقين آخرين في أن يعيشا معها انها تعيش مع ابنها البالغ من العمر الثانية عشرة يقضي أغلب أوقاته في الطرق يتسول من هنا وهناك بعض النقود كي يأتي بها الى أمه

وعن الموسيقى يقول دونورو « أعرف في الموسيقى قليلا لا أحب الجاز والبوب ولكني أميل كثيرا الى الموسيقيين الرومانسيين وبصفة خاصة شومان وشوبيرت أنا رجل ضعيف أمام الايقاعات الخاصة التي تحملني نحو موسيقى الحجرة

ويحمل دونورو للسينما حبا أقل فاذا كانت رواياته قد وجدت طريقها الى السينما مثل « هذا المكان بلا حدود » في السينما المكسيكية و« التتويج » التي سيقدمها انطنيوني ... فان دونورو يرى أن السينما ليست عالمه الذي عليه أن يخوضه

في أحد أحاديثه قال مداعبا « أنا رجل متلصص » انه يدخل الى غرفة النوم ويصف بدقة ما يحدث فيها تحدث أيضا عن الدكتاتورية في أمريكا الجنوبية لكنه بالرغم من شهرته الواسعة الآن في الولايات المتحدة وأوروبا الا أن هذا لا يعني أنه أفضل من أدباء شيللي المعاصرين ■■

محمود قاسم

انطونيو في فيلم عن رواية لدونورو

الكتاب في ذهني على التو لم تتطلب الكتابة مني أي مجهود

ويرى دونورو أن الأدب الاباحي ليس هو الذي يحوي عبارات مكشوفة ولكنه ذلك الذي يحوي مواقف مشينة مثل سلوك مدام بوفاري ثم ميرسو في « الغريب »

و... كان دونورو قد كتب الرواية وتفوق فيها ونال شهرته من خلالها الا أنه على صلة وثيقة بفنون الكتابة الاخرى فقد بدأ شاعرا وقدم مجموعة من الأشعار الى ناشر تشيلي الا أنه ما لبث أن أعادها اليه قائلا . ليس هذا ... الأدبي الكبير » فألقاها في أدراجه ولم ينشرها

الكتيبة الأدبية

الدكتور زكي مبارك

في اليوم الثالث من شهر يونيو (١٩٤٠) قدمت الى وزير المعارف اقتراحا ادعو فيه الى تأليف « كتيبة ادبية » من رجال المعارف يتطوع فيها المدرسون والمفتشون وتكون مهمتهم تقوية الروح القومي وحراسة العزيمة الوطنية من عدوان الأراجيف بما ينشرون على صفحات الجرائد والمجلات وبما يذيعون من خطب ومحاضرات ثم قلت

« ولي مطلب اوجهه اليك وهو أن تدعو رجال الاقلام من وقت لآخر لتشير عليهم بما تراه في تسديد العزائم الوطنية ولتشعرهم بأن الدولة ترى ان القلم من أدوات الجهاد

ومضيت افكر في تكوين تلك الكتيبة على مهل ولكني سارعت فنشرت في المقطم والأهرام مقالات حماسة في نطاق الغرض الذي دعوت اليه راجيا ان يكون ذلك تكوين (الكتيبة) الأدبية وتذكير لأهل الأدب بواجبهم في هذا الميدان ، وفي الأسبوع الماضي وجه الأستاذ احمد أمين دعوة الى الكتاب على صفحات الأهرام يقول فيها انه يرجو من أرباب الأقلام ان يتناولوا بعض المشكلات الحاضرة بالدرس فيتحدثوا عن الهجرة الى الريف وتنظيم الشؤون الاقتصادية بما يضمن السلامة من القلقلة التي تحدثها الحرب الى آخر مانص عليه من المسائل التي تستوجب الدرس فرد عليه الدكتور طه حسين في اليوم التالي بمقال صرح فيه بأن الجرائد تحت رقابة الأحكام العرفية وأن الكاتب لا يملك من الحرية ما يساعد على درس تلك المشكلات بصراحة وعد السكوت تضحية فغضب الأستاذ توفيق الحكيم من ذلك وكتب يقول انه لم يكن يعرف قبل اليوم ان السكوت من التضحيات فوجه الدكتور طه وجرة اليمة جاء فيها انه يدعو الى الأدب الرخيص في حين ان الأستاذ احمد امين يدعو الى الأدب الثمين وانزعج الاستاذ توفيق الحكيم فكتب يرجو الدكتور طه ان يعد الكتابة في تقوية الروح الوطني من الأدب الرفيع لانها على كل حال مما يدعو الى الواجب في هذه الظروف

اولئك كتابنا الاماجد وهم قوم يمرحون في غير أوقات المراح فالاستاذ احمد امين في يده مجلة اسبوعية وكان يقدر على معالجة تلك الشؤون منذ اليوم الذي نعب فيه نفير الحرب وقد كان مفهوما ان مصر لن تترك نفير ايذاء فما الذي قهره على السكوت الى اليوم الا ان يكون تذكر فجأة ان الدنيا فيها اشياء غير الحديث عن أدب المعدة وادب الروح

واحمد امين الغيور على الريف هو نفسه احمد امين الذي صرح في احدى مقالاته بان الموت بالقنابل في القاهرة افضل من الموت بالميكروبات في الريف وذلك ايحاء اثيم سيلقى عليه (الطيب الحراء) بعد حين

امن الحق أن الريف ليس فيه غير الميكروبات وكيف امكن اذن ان تعيش كل تلك الخلائق في الريف وكيف عاش آباؤنا واجدادنا جميع تلك العصور الطوال ؟

تلك وسوسة سخيفة لا تليق بغير المتحذلقين ولو انصف احمد امين نفسه وقلمه لقال اننا فرطنا ك... في

.. ى الريف ومن الواجب ان ننتهز هذه الفرصة لنرجع اليه بالتحسين والتجميل عساه ينسينا ما تعودناه من الفرار الراكد في الحواضر أيام الصيف والدكتور طه حسين امره عجب فهو يدعى ان الرقابة لا تسمح له بشيء ويدافع عن كسله بأن البرلمان يلجأ في بعض الأحايين الى عقد جلسات سرية ، فمن حقه ان ينتظر إلى ان تنتهي تلك الحرب ويستطيع الكتاب ان يقولوا ما يشاءون

ومن الذي يضطر الدكتور طه الى الوقوف عند درس المسائل التي لا يعرض لمثلها البرلمان الا في جلسات سرية ؟

اتكون كل مشكلاتنا القومية من اقتصادية واجتماعية وسياسية مشكلات لا يتحدث الناس عنها الا في الخفاء

ايؤمن الدكتور طه بان من المحرم عليه ان يتحدث في الشئون التي تصور مستقبلنا بين امم الشرق وامم الغرب ؟

أيعتقد ان الحديث عما نفترض لمصر من المصاير الاجتماعية والاقتصادية بعد الحرب امر قد يستوجب الوقوف امام المحكمة العسكرية ؟

وما هذا الذي يدعيه الدكتور طه حسين حين يقول بأن الكتابة في تقوية الروح الوطني من الأدب الرخيص ؟ ومن الذي اوحى اليه هذه الحكمة « العالية » وعمن اخذ القول بان الحديث في تقوية الروح الوطني هو المقصود بالحديث المعاد الذي نهى عنه الحكماء ؟

لقد دافع توفيق الحكيم عن هذه القضية ولكن توفيق الحكيم رجل قصير ونحيل ولا يقدر ابدا على صرخات طه حسين وغاراته

للدكتور طه حسين ان ينسحب من الميدان بحجة انه مشغول بشواغل ادبية تصرفه عن الحرب واخبار الحرب وما يجب على مصر ايام الحرب ولو قالوا ذلك لكان لهم عذر مقبول فالدولة تطالب كل رجل بالتفرغ لما يصلح له من اعمال والاديب الذي يشتغل بالادب الصرف ايام الحرب هو ايضا من المجاهدين لان الجهاد في سبيل الوطن له ميادين مختلفات منها ميدان الادب الصرف الذي ينسى صاحبه انه يعيش في غمرات الحرب

قد اتفق الدكتور طه في احيان كثيرة ان يتناسى المكاره القومية ليفرغ لعمله الادبي في الجامعة العربية فما لامه على ذلك لائم ولا اتهمه احد بالحس عن الاستجابة لنداء الواجب الوطني لان الوطن يعرف ان المتفرغ للادب الصرف هو ايضا جندي في الميدان لم يحمل السلاح ويتقدم للقتال ولكن الدكتور طه يأبى الا ان يقع في خطيئتين خطيئة الدعوة الى السكوت عن درس المشكلات القومية الى ان تنتهي الحرب وخطيئة السخرية من الكتابة في تقوية الروح الوطني بحجة أنها من الأدب الرخيص الا يفتح الله عليك مرة واحدة يا دكتور طه فتكتب مقالا واحدا يسلم من اثم المغالطة والتلبيس ؟

بقيت حكاية توفيق الحكيم ، الكاتب الذي يجمع بين الظرف والضعف ، وانا اقترح ان يمحى اسم هذا الكاتب من سجل القومية الوطنية ، هذا الكاتب خفيف الروح في بعض نواحيه ولكن روحه يثقل جدا حين يتحامل على القومية العربية وحين يتوهم انه من المصلحين ومن خلفاء قاسم امين

وما ظنكم بكاتب يزعم ان الفكر لا يساوره في مصر وانما يساوره حين ينتقل الى الهضاب السويسرية او الفرنسية ؟ العفو ياسيد الملاح ؟

لمصر يا أخي فيها منادح الفكر والبيان وهي بشهادتك قد صبرت على عدوان الغرب وطغيان الشرق وقد صبرت المصائب والويلات عن قتل مواهبها الذاتية فكيف يجوز لك ان تسخر منها اقبح السخرية في بعض مؤلفاتك وان تعجز عن الرد على كاتب مثل طه حسين ؟

اما بعد فانا ما زلت ادعو الى تأليف كتيبة ادبية تجرد ألسنتها واقلامها لتقوية الروح الوطني لتحول الوطنية عقيدة راسخة لا تزعزعها النوازل والخطوب

ضوء جديد على قضية مثارة

بصمات القصة العربية على الإنتاج الأدبي الأوروبي

بقلم : علي شلش

طلمت القصة في التاريخ العربي . فلم تعط حقها ، ولم يسلط الضوء على حقيقة الدور الذى أدته بالأخص في التأثير على القصة الاوروبية

عرف العرب فن القصة منذ عهد قديم شأنهم في ذلك شأن الجماعات القديمة وظهرت القصص في أدبهم بعد ظهور الشعر شأنهم في ذلك شأن الجماعات القديمة أيضا وهم قد أحلوا القصص منزلة رفيعة في حياتهم الاجتماعية منذ كانوا يعيشون داخل الجزيرة العربية وحدها قبل ظهور الاسلام وقد أشارت الكتب العربية القديمة مثل الأغاني والأمالي والعقد الفريد الى كثير من هذه القصص التي كانت متداولة على نحو شعبي فولكلوري وقبل ظهور هذه الكتب المذكورة ذاتها أشار القرآن في القرن السابع الى الكثير من هذه القصص التي كانت معروفة عند العرب قبل ظهور الاسلام ، ومنها قصص الأنبياء بصفة خاصة مثل يوسف وسليمان ولوط وموسى وعيسى ، مما يؤكد مرة أخرى سابق معرفة العرب للقصص واحتفائهم بها على الرغم من أن هذه القصص لم تدون في حينها ومن ناحية أخرى تضمن الشعر الجاهلي الكثير من العناصر القصصية مثل السرد والحوار والمونولوج ولا سيما عند امرىء القيس والنابغة وغيرهما

ومن الواضح أن الاسلام عند ظهوره لم يحظر القصص أو يمنع سماعها فقد تضمن القرآن الكثير منها ولكن الجدير بالذكر أن القصص قد ارتقت بعد ظهور الاسلام وساعد على ذلك الارتقاء الفتوحات العربية واختلاط العرب بالأمم القديمة المجاورة التي دخلت في الاسلام او عاشت في ظله مثل فارس ومصر وكان السمار ورواة القصص يجلسون في الأسواق وعند المساجد ، ويروون للناس القصص ، وهي عادة كانت متبعة قبل ظهور الاسلام أيضا وقيل إن عمر بن الخطاب أذن لسليمان بن عتر قاضي مصر بأن يقص على الناس القصص في مسجد عمرو ، وأن معاوية كان يلذ سماع القصص ومع ذلك جاء وقت في القرن الثالث الهجري (نحو القرن العاشر م) تسللت فيه الى القصص عوامل الفكاهة والخرافة عند العامة ، فكان أن حارب العلماء القصاص بدعوى أنهم خرجوا بالقصص عن مغزاها ودورها الاجتماعي في الحث على الفضيلة بل قيل إن الحريري صاحب المقامات المعروفة قد قوبل بالاعتراض والاستهجان من الفقهاء برغم مكانته الأدبية ودوران مقاماته حول المغزى الأخلاقي

وعلى طول التاريخ العربي الوسيط انتشرت القصص . وانتشرت معها عبارات مميزة نقلت بنصها فيما بعد الى اللغات اللاتينية مثل ، زعموا أن . يحكى أن ... قال الراوي ، في قديم الزمان ، كان يامكان ، وغيرها وكانت هذه من عبارات الاستهلال الثابتة في القصص العربية طوال العصور الوسيطة . وبالمثل نقل العرب ... لغتهم عيون القصص عند الأمم الأخرى المجاورة ... كتاب البانشاتانترا الهندي وصار اسمه في العربية ...

ودمنة كما نقل كتاب « الجاتاكا » و « كتاب سندباد » وتطورت قصصهما أساساً لكتاب « ألف ليلة وليلة » العربي

ويمكن أن نقسم الكتابات القصصية العربية التي دونت عبر العصور حتى العصر الحديث ـ الذي يبدأ في التاريخ العربي بحملة نوبابرت على مصر والشام عام ١٧٩٨ ـ الى أربعة أنواع رئيسية ، وهي

١) النوادر والطرائف والملح والأمثال التي تروى للتعليم أو الترفيه وتنتشر في كثير من الكتب القديمة الحامعة
٢) السيرة الشعبية التي تروي قصص عرام ومغامرات أبطال شعبيين معينين مثل عنتر (أو عنترة) وأبوزيد الهلالي وسيف بن ذي يزن
٣) القصة ذات الغرض التعليمي ، مثل حكايات كليلة ودمنة وبعض حكايات الأمالي والعقد الفريد وكثير من المقامات
٤) القصة ذات الغرض الترفيهي مثل ألف ليلة وليلة

في الطريق الى اوروبا

وفي هذه الأنواع الأربعة تطالعنا العناصر القصصية المعروفة في العصر الحديث مثل السرد والحوادث والمغزى ورسم الشخصيات والحوار والتشويق بل تطالعنا أيضاً بعض الحيل القصصية الحديثة التي تعد من مبتكرات العصر مثل العود الى الماضي والقصة داخل القصة والمونولوج الداخلي كما يطالعنا من ناحية اخرى التباين في الطول فقد لا تزيد القصة على أن تكون طرفة أو نادرة تؤكد معنى حكمة أو مثل أو قول مأثور وقد تطول الى ما يساوي حجم القصة القصيرة اليوم كما في المقامات وقد تتدفق دون حد ثابت أو متعارف عليه للمغامرات أو الحوادث مثلما في سيرة عنترة وقد تتسلسل القصة وتتوالد ويمسك بعضها برقاب بعض مثلما في ألف ليلة وليله

ومادمنا قد ذكرنا المقامات فلابد أن نذكر أيضاً أنها في الحقيقة شكل خاص من أشكال الكتابة القصصية ، وهو شكل متميز بهدفه التعليمي البحت ولغته المسجوعة التي تغلب بها اللفظ على المعنى ، وتكنيكه الذي يأخذ من القصة عنصري الشخصية والتشويق كما يأخذ من المسرحية عنصري الواقعة والحوار مثلما يأخذ من المقالة أو حديث البليغ التدفق ورصانة اللغة والمقامة أيضاً شكل لم يتطور كثيراً في الادب العربي فقد بقي على حاله على الرغم من المحاولات المستمرة عبر العصور لتطويره وإكسابه المرونة المناسبة

في الوقت الذي انتشرت فيه الأنواع الأربعة السابقة لم تكن أوروبا قد تقدمت قليلا أو كثيراً في مضمار القصة ، أو طورت ما استحدثه الاغريق من أنواع قصصية مبكرة قريبة من الأنواع العربية السابقة ولكن مع الاحتكاك بالعرب ونقل ما سبق أن نقلوه عن الاغريق في الفلسفة والمنطق والعلوم بدأت القصص العربية تجد سوقاً رائجة في أوروبا اللاتينية

ولكن قبل أن نمضي في بحث هذه النقطة علينا أن نتوقف قليلا عند نقطة أخرى متصلة فقد نتساءل لماذا لم ينقل العرب قصص الاغريق ومحاولاتهم الروائية ؟ لقد نقل العرب عيون التراث الاغريقي في الطب والفلسفة والمنطق ، ولكنهم لم يقترضوا من الدراما أو القصص الاغريقية ومهما كانت الدوافع التي أدت الى اهمال فنين خطيرين كهذين فان عملية نقل التراث الاغريقي قد دفعتها ووجهتها منذ البداية احتياجات اجتماعية بالدرجة الأولى وتحكم فيها قانون الأولويات بعد ذلك ومن الناحية الأخرى لم تكن الثقافة العربية في ذلك العهد في حاجة الى الدراما التي حاربها الدين الجديد ، ولا الى القصة التي كان الكثير منها منقولا أو مؤلفاً وأغلب الظن أن المترجمين الأوائل لم يقعوا على القصص الاغريقية التي لم تكتشف في أوروبا إلا في القرن الخامس عشر ، أي بعد انقضاء عصر الترجمة في عهد العباسيين أما القول بأن العرب لم ينقلوا تراثاً قصصياً عن غيرهم فهذا يدحضه نقل كليلة ودمنة وكتاب سندباد اللذين أشرنا اليهما

وجهتا نظر

ومرة أخرى نتوقف قليلا لنناقش نقطة ثانية تتعلق بمدى ما وصل اليه العرب من تقدم في فنون القصة حتى العصر الحديث ، وهي نقطة اختلف حولها الدارسون العرب المحدثون أنفسهم ، وانقسموا اراءهما الى فريقين

أما الفريق الأول فقد أنكر على العرب أن يعرفوا القصة بفنونها الحديثة مثل الرواية والقصة القصيرة بدعوى أن الذهن العربي تنقصه الطاقة على التجرد من الذاتية وحمل الظواهر الموضوعية في طبيعتها الموضوعية ومن هنا كان الفن العربي في رأي هؤلاء مظهراً لتفتح ذاتية الفنان على نفسه ، ومن ثم كان فناً فردياً

ويضيف آخرون هنا بأن نقص الأسطورة في التراث العربي واعتزاز العرب بالشعر جعلهم لا يترجمون القصص من الآداب الأخرى ولا شك أن هذا الفريق

قد تحامل كثيرا على التراث العربي ولم يضعه في إطاره التاريخي حين أصدر ما سبق من أحكام فهو قد نظر بعين حديثة متأثرة بما وصلت اليه فنون القصة من تقدم في أوروبا ، غير واضع في اعتباره أن هذا التقدم الذي ملحته فنون القصة الأوروبية قد جاء محصلة لظروف وعوامل تاريخية خاصة لم يمر بها المجتمع العربي قبل العصر الحديث ، مثل نمو الطبقة الوسطى في المدن وحرية المرأة وانتشار التعليم وظهور المطبعة والصحافة ، وهي الظروف والعوامل ذاتها التي أدت فيا بعد الى نشأة هذه الفنون القصصية المتقدمة في الأدب العربي في العصر الحديث نتيجة احتكاك العرب بأوروبا كذلك لم يصح هذا الفريق في اعتباره حقيقة جوهرية بسيطة تتعلق بالتطور في أي مظهر من مظاهر الحياة أو الفن ، وهي أن الظواهر تبدأ صغيرة محدودة ثم تنمو وتتطور وفق ظروف وعوامل معينة فضلا عن أن الذاتية أو الفردية التي أوشك أن يأخذها هؤلاء على الذهن والفن العربيين ليست معادية لفنون القصة ، وانما هي دافع لنشأتها حين تكون دالة على التجربة والقدرة على التعبير ، وهي أيضا تسم الكتابات القصصية الاوربية في أولى مراحلها مثلما تسم الكتابات القصصية العربية الحديثة في أولى مراحلها أيضا

ومن ناحية أخرى فان نقص الأساطير في التراث العربي واعتزاز العرب بالشعر ووقوف ذلك عقبة أمام الترجمة ليس مبررا لعدم الابداع القصصي أو مانعا للترجمة التي تمت بالفعل كما أشرنا وقد كان الاغريق أكثر اعتزازا بالدراما والأساطير ومع ذلك أنشأوا شعرا وقصصا

وأما الفريق الآخر فقد تحمس لصنيع العرب في فنون القصة ، وعد هذه الفنون راسخة الجذور في التراث العربي شعرا ونثرا على السواء ، ولكنه وقف عند هذا الحد ولم يحاول أن يمد بصره عبر التراث الاوربي في القصة ليرى الى أي حد أفاد هذا التراث مما نقل اليه من قصص عربية في العصور الوسطى ، أو حتى ما بعد عصر النهضة في القرن الثامن عشر

شهادة غربية

ونعود الآن الى موضوعنا الأساسي لنرى كيف انتقل تراثنا القصصي القديم الى أوربا في العصور الوسطى وماتلاها ، وكيف دخل هذا التراث نسيج القصة الأوربية في تلك العصور وقد جاء ذلك الانتقال عن طريق الفتح العربي لأسبانيا وصقلية من ناحية وكذلك عن طريق الحروب الصليبية فيما بعد من ناحية أخرى وكانت قنوات ذلك الانتقال هي الترجمة والاتصال الشخصي وسنكتفي في هذا المجال بكتابين كان لهما أبلغ الأثر في التراث القصصي الأوربي أحدهما يكاد يكون مجهولا في الدراسات العربية ، فضلا عن أنه محدود الشهرة في الدراسات الاوربية ، وهو كتاب « التهذيب الديني » الذي جمعه بتروس ألفونسوس وترجمه الى اللاتينية بعد سنة ١١٠٦ أي في الربع الأول من القرن الثاني عشر والآخر مشهور تماما في الدراسات الأوربية والعربية معا ولكنه لا يعد في الأخيرة من كتب الأدب الجاد ، وهو كتاب « ألف ليلة وليلة » الذي عرف في أسبانيا في مطلع القرن الثالث عشر ثم ترجم الى الفرنسية عام ١٧٠٤ ، وبعدها ترجم الى الانجليزية وغيرها من اللغات عبر العصور التالية

لقد تناولت أثر الكتابين معا باحثة عربية معاصرة هي أ ل راناالا الأيرلندية الأصل وأستاذة الأدب الشعبي بجامعة ماريلاند الأمريكية وكشفت بالتحليل والتقييم الكثير من آثار الكتابين في دراسة مطولة صدرت مؤخرا بعنوان « الماضي الذي نشترك فيه » عن دار كوارتيت الانجليزية عام ١٩٧٩

أما الكتاب الأول « التهذيب الديني » فقد وضعه بتروس ألفونسوس (المولود في أراجون بأسبانيا عام ١٠٦٢) وهو رجل يهودي الأصل كان اسمه موشي سفاردي ثم تحول الى المسيحية عام ١١٠٦ وتسمى باسمه اللاتيني السابق وكان يجيد العربية والأسبانية واللاتينية فضلا عن لغته الأصلية العبرية ، كما كان طبيبا وعالما مرموقا في عصره وقد أخذ مادة الكتاب من النوادر والحكايات العربية وأقوال الحكماء والفلاسفة والأمثال والشعر وخرافات الطير والحيوان ثم ترجم هذا كله الى اللاتينية ، بعد تحوله الى المسيحية ، بقصد أن ينتفع به طلاب الدين والمعرفة الأخلاقية ولكن الكتاب ما لبث أن نقل الى لغات أوربا الأخرى حيث نسخ وقلد وعلى الرغم من مغزاه الديني والأخلاقي فقد أقبل عليه الناس كنص أدبي حتى صار جزءا من نسيج الفولكلور الأوربي

لقد أحصى المستشرق الفرنسي فيكتور شوفان ٥٠ كاتبا أوربيا تأثروا بهذا الكتاب وعلى رأسهم بوكاشيو تشوسر ، ماري دي فرانس ، سرفانتس ، شكسبير وعن طريق ما تضمنه الكتاب من قصص وعظة عرفت أوربا لأول مرة القصة ذات الاطار الثابت - Frame story التي لم تكن قد عرفتها من قبل على حين عرفها العرب في كليلة ودمنة وألف ليلة وليلة ، وهي نمط قصصي بسيط تتكاثر فيه الحكايات ولا يربطها الا تصوير سمح أو عتاب أو لوم أو تحذير وقد أثر بشكل واضح فيما بعد في كتب مثل الديكاميرون لبوكاشيو ، وحكايات كانتربري لتشوسر ، وقصص البيكاريسك أو الصعاليك (صار

التي مرت في اسبانيا خلال القرن السادس عشر وكانت خطوة سبقت ظهور الرواية الحديثة. وهكذا يمكن القول بأن الكتاب قد قدم لأوربا ثلاثة أنماط من الكتابة القصصية أخذها بشكل مباشر عن العرب، وهي. المثل الذي يحتذى، والموعظة التهذيبية، والحكاية المسلسلة كمثل أو كتصوير للموعظة، وعلى الرغم من ان أدب الحكم والمواعظ قد عرف في الشرق ـ كما ذكرت رانالا ـ منذ الفراعنة والعبرانيين فقد احتفل به العرب أيضا بعد ظهور الاسلام، وأحلوه منزلة لائقة في أدبهم

تأثير الف ليلة . . .

وأما الكتاب الآخر، ألف ليلة وليلة، فقد صار مقدمة الغرب الى العالم العربي، وعن طريقه كونت أجيال القراء الغربيين أفكارها عن الشرق كما ذكرت رانالا. بل إنه صار إحدى الكلاسيكيات العربية كما قالت حتى خلال المائتي عام التي تلت ترجمته الى الانجليزية مرة أخرى عام ١٧٨٢ نشر أكثر من ٤٠٠ مرة في مختلف لغات أوربا الغربية، وأثر في نمو الاهتمام في الجامعات الغربية بالدراسات الشرقية والفولكلور والقصص المتأثرة بالشرق مثلما أثر في الحركة الرومانتيكية. وفوق هذا كله أثر في العديد من الكتاب الأوربيين. فقد ذكر فولتير انه لم يكتب قصصا الا بعد أن قرأه ١٤ مرة، وتمنى ستندال أن ينسى ذكراه التي علقت بذهنه حتى يعود اليه فيستعيد متعة قراءته مرة أخرى. كما تمنى سومرست موم أن يتعلم العربية حتى يتمكن من قراءته في أصله العربي. بل إن فولتير اعتقد بعد قراءاته العديدة للكتاب أن القصص نوع أدبي من ابتكار العرب. وفضلا عن هؤلاء فاننا نسوق أسماء بعض الآخرين ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ ممن تأثروا بهذا الكتاب الفريد أو بغيره من الأعمال القصصية العربية، وهم تشوسر وجاك لندن وواشنطن ارفنج ومكسيم جوركي ورديارد كبلنج. وربما جاء على رأس هؤلاء وأولئك الأخوان الألمانيان يعقوب ووليم جريم اللذان اقتبسا أكثر من عشرين حكاية من ألف ليلة وليلة في كتابهما عن الحكايات

عن طريق هذين الكتابين قدمت القصة العربية بأنماطها البسيطة والمبكرة أساسا أوليا للقصة الأوربية. والمتتبع لتاريخ تطور القصة القصيرة والطويلة في الآداب الأوربية يلاحظ أن هذين الشكلين لم يولدا ناضجين كما نقرأهما اليوم. وانما ولدا ـ على العكس من ذلك ـ بسيطين غاية البساطة، ثم تطورا شيئا فشيئا على مر الزمن وبفعل الظروف والعوامل التي أشرنا اليها في مطلع هذا المقال. فالقصة القصيرة من أقدم الأشكال الأدبية وأوسعها انتشارا في الثقافات القديمة. وكانت تكتب شعرا في الأصل ثم تطورت فصارت تكتب نثرا. وفي كلتا المرحلتين الشعرية والنثرية مرت بعدة أطوار حتى أخذت شكلها الحالي المتقدم. ومن هذه الأطوار الحكاية الشعبية التي لا يعرف مؤلفها، الخرافة، الحكاية الكوميدية الهجائية، المثل التهذيبي، وكانت الحكاية الكوميدية الهجائية هذه تكتب بالشعر في العصور الوسطى وتدور على نحو واقعي حول شخصيات ماجنة من الطبقة المتوسطة أو الدنيا. وقد ازدهرت في فرنسا في القرنين ١٢، ١٣. وذاعت في انجلترا خلال القرن ١٤. وقد كتب تشوسر واحدة من أفضل ما كتب في هذا الباب بعنوان «حكاية الطحان» واستوحاها من كتاب الموسوس السابق. وفي كل هذه الأطوار كانت النماذج العربية التي تضمنها الكتابان السابقان تقف كدليل للقاص طوال الفترة التي سبقت ظهور مصطلح «القصة القصيرة»، أي قبل أن تبلغ القصة القصيرة طورها المتقدم في القرن التاسع عشر على أيدي جوجول وتشيكوف في روسيا وموباسان في فرنسا وادجار ألن بو في أمريكا

وكذلك الحال بالنسبة للرواية. فقد سبق طورها الأخير المتقدم في القرنين الماضيين عدة أطوار ابتداء من القرون الوسطى حين ذاعت رواية الغرام والمغامرات وقصص الشطار ثم رواية الشخصيات ورواية الغرائب اللتان ظهرتا في القرن ١٨ حتى تطورت بعد ذلك الى ما وصلت اليه على أيدي كتاب القرن التاسع عشر من أمثال ستندال وبلزاك وفلوبير ودستويفسكي وجين أوستن وغيرهم. وفي كل الأطوار التي سبقت هذا الطور الأخير لعبت الكتابات القصصية العربية دورا حيويا وإن لم يكن ملحوظا، وهو دور وصفته رانالا في كتابها المذكور بأنه «ثبت شكل الفن القصصي في العالم»

وهكذا يمكن القول بأن العرب قد عرفوا القصة لفظا ومعنى وأنهم لم يكونوا في ذلك بدعة، وانما اشتركوا مع غيرهم من الأمم القديمة التي عرفت القصص وسجلتها في تواريخها وآثارها. ولكن الكتابات القصصية العربية توقفت عند الأطوار الأولى، وحالت دون تطورها الظروف والعوامل التاريخية التي أشرنا اليها وكانت سببا في تطورها. وليس من الصواب ان تكون أوربا هي أم هذا الفن الراسخ وانما الصواب انها طورته ونقلته من بداياته الأولى التي نقلتها عنا الى مراحله المتقدمة في وقت مبكر بالقياس الينا، نتيجة للظروف والعوامل التاريخية السابقة ■■

علي شلش

على هامش مؤتمر التعريب في دمشق

نحو منظمة عربية للدفاع عن اللغة

بقلم : الدكتور أحمد خطاب

جامعة الموصل ـ العراق

« عقد في دمشق مؤتمر التعريب لاتحاد الجامعات العربية ، شارك من العراق وحده أربعون أستاذا جامعيا مع اخوة لهم من كل قطر ليخططوا لأن تأخذ العربية موضعها في التعبير عن العلم والحضارة »

تتقارب القلوب والأفكار ، وتتضافر الجهود ، بعد كل مؤتمر أو ندوة يقيمها أبناء الأمة العربية ، يتدارسون المشكلات ويضعون المقترحات والتوصيات لمسيرة حياتهم في مستقبل أيامهم ، فتشد الأيدي على بعضها ، تتعاهد على السير على الدرب ، انه الأمل العربي والهمة العربية ، هي الروح الأصيلة التي تتسم بها هذه الأمة ، فلا يبعد بعيدها ، ولا يصل قريبها ، ويتعارفون عند أول كل لقاء ، وكأن واحدهم عرف الآخر قبل عصور ، أو كأنهم ولدوا متقاربين ، يحمل من في الشرق هموما هي هموم من في الغرب ، عربيتنا تعرضت للتغريب في مشرق الوطن أو في غربه ذلك هو المهم ، والاعداء قد خططوا وانطلقوا من فكر واحد « عربيتكم قاصرة غير مفهومة شديدة القواعد والأحكام أصوات حروفكم صعبة لا تجارى فاكتبوها ميسرة باللاتينية أو بالعامية ودعوا المتحدث ينطق كيف يريد فالأمم تعدو وأنـ ما زلتم تعدون الأشباح وتسعون وراء الخيال وتقدسو القديم »

ويجتمع علماء هذه الأمة يتناقشون ويخططون ويضعو الحلول في كيفية التيسير مرة وفي تنمية هذه اللغـ أخرى فتتألم القلوب ويزداد أود النفوس والعربية قائمة ظلت تصاول العاتيات وتغالب الزمـ يترنم بها الناس في الشرق والغرب ، فيكتشفون في كـ يوم الجديد من عوامل نموها واستمرارها كثرة المترادفـ وسعة الاشتقاقات وسلامة القياسات تنمو عن طر النحت والتوليد والمجاز والتعريب هي لغة حـ اذن ، متطورة ، تستجيب لكل جديد ، وتحتوى كـ طارىء استجابت للحضارة الانسانية قرونا طويلة و زالت لغات العالم تحتفظ بمفرداتها وأساليبـ واستجابت لكل خاطر في قلب أو هاجس في نفـ تقف في يوم ما عاجزة عن ذلك ، فلم لا تأخذ طريقها الـ الى العلم والحضارة هذه بديهة لا يناقش فيها انسـ ولا يختلف فيها أحد ، الا من كان في قلبه مرض أو الـ السمع ذلك أول ما خلص اليه المؤتمر ، ثم جـ ـحـ الأخرى لتفتش عن المصطلح ، أو تسعى لأن ـ ـ

ـ نتكون مناقشات العيارى من أبناء هذه الأمة
العا، لوضع تلك الأسس ، فتكون هنا الروعة ،
لعرض وروعة المناقشة ، فتعلو صيحة أصيلة أيها
، في الشرق ، هاتوا تجربتكم قبل أن ننتكس في
وبصيبنا الردة ، ويصدح صوت ان عربيتنا قادرة
تخلف في ذلك ، ويلقى رأي لغتنا حية ليست
، التي نبش قومها عنها القبور ، واستعاروا لمآعن
ة كلمة بل حرفا ولو بعث أجدادهم لما
عوا أن يأكلوا مع أحفادهم ، ولعادوا الى قبورهم
ـ

سير المناقشات فتدعو الى الرجوع الى الكنوز في
ات العربية ، فاذا عجزت من أن تمد العون ،
، الى التعريب ، على أن يكون المعرب بثوبه العربي
ـا ووزنـا ، ثم نشتق منه كـما نشتق من العربي
ل لقد كانت جهود من سبقونا عظيمة ، نظموا
مصطلحات في كل من فرادى ومجامع علمية
بعث الأفكار الى الأفكار وتطمت الخواطر الى
طر ، وبذل كل فنان أو عالم أو لغوي جهدا فقدم في
هر شيئا جديدا ، لتجمع لنا ما لم يتجمع لغيرنا ،
سه كل عربي على هذه الأرض ، وكل مسلم ترفرف
ة القرآن ، ولكان لنا جدار صلد لن يخرقه كل
، ودوت عملية التعريب واهتدى كل ضال
ربيتنا أيها القراء ـ كنز لا يعرفه الا المتعمقون
ى رقراقة ، وأصوات على المعاني ، وخط على
، انها قادرة لأن تعود اليوم للتعبير عن الحضارة كما
فكيف تأخذ سبيلها الى ذلك ؟

ظماتنا العربية ليست لها صفة التنفيذ أو سلطة
، وانما لها أن توصي وتقترح ، فلماذا لا تستحدث
ة العربية منظمة جديدة باسم « منظمة الحفاظ على
العربية وسلامتها » يودع فيها كل عالم تجاربه ،
، كل مجمع ما خطط ، فينطلق منها التخطيط ، ثم
قرار السياسي ليلتزم كل قطر بتلك المقررات ،
على عربيتنا ويتحقق التعريب ويمثل كل مخطط
كل سوء ، وتكم الأفواه وتقطع الألسن ويكون

ثلاث قضايا خرج بها المؤتمر التعريب ضرورة تقتضيها ذات الأمة ، وعيب عليها ألا تحقق ذاتها ، فلتتحد لغة الدين ولغة القومية ، السبيل الصحيحة في التعبير عن العلم والحضارة

وقضية ثانية هي أن يرجع بالتعريب الى الأصول العربية الأولى ، فاذا لم يجد المعرب ما يعنيه عاد ليستفيد من التعريب ، ولتنفيذ ذلك تأتي القضية الثالثة وهي اصدار القرار السياسي فهو السياج الذي يحمي المسيرة ويخلصها مما يعرقل سلامتها

بهذا انطلق المؤتمر ونرجو أن يكون هذا يوما له ما بعده

هل تتضافر الجهود لإصدار معجم تاريخي للغة العربية ؟

بقلم : احسان محمد جعفر

منذ أن طبع أول معجم عربي سنة ١٨٤٩ في مرسيلية ، وهو « احكام باب الاعراب عن لغة الاعراب » لجرائيل ابن فرحات الحلبي ، وحتى الآن ، أخرجت المطابع العربية ما ينوف على (٤٦) معجما عربيا ، ما بين قديم من صنع رواد اللغة الأول ، ومصنف حديثا بتبويب جديد لبعض المعصريين ، ومع هذا فحاجتنا ما زالت ماسة الى معجم آخر ، جديد ، غير تلك جميعها قديمها وحديثها ، ما فتىء المترقبون يودون أن يكون في متناولهم ، يدفع القصور عن معاجمنا التي نعاني منها ،

ونشكو الكشف فيها لأسباب متعددة ترداد بمرور الزمن ، اذ من عيوب معاجمنا القديمة كاللسان والقاموس ومختار الصحاح إلخ وقوفها باللغة عند حدود زمانية ومكانية ضيقة ، مما أدى الى ضياع كثير من معالم الحياة والتطور ، وبخاصة الألفاظ والمعاني المبتكرة في مظاهر الحضارة ومن عيوب تلك الحديثة تقليدها للقديمة وكثرة أخطائها وابتعادها عن المنهجية وعدم تعرضها لنشأة الألفاظ وتطور دلالاتها ، هذا فضلا عن أن هذه المعجمات ـ أي الحديثة ـ كمحيط المحيط ، والبستان ، والمنجد ، والوسيط ، والرائد إلخ انما وضعت ، في الحقيقة ، للطلاب في المراحل التي قبل الجامعة ، ولا تتوجه للدارسين وأهل الاختصاص

ومن ثمة كان ازدياد الحاجة الى معجم مغاير تماما في تخطيطه ، وأعني به ما اصطلح على تسميته بالمعجم التاريخي للغة العربية ، أو المعجم النشوئي ، ان شئت القول بتعبير آخر ، وفيه تعالج نشأة الألفاظ العربية وتطوراتها الدلالية المختلفة وسبل استعمالها وتراوحها بين الحقيقة والمجاز ، وعلاقتها باللغات السامية واللغات الأخرى ، ان وجدت

وهذا المعجم المنشود خطط له كثيرون ، وتخيله آخرون ، وكان المجمع اللغوي في القاهرة ، قد وضع مشروع انجازه بين أغراضه المنصوص عليها ، ولكن طبع معجم المستشرق الألماني « فيشر » المتوفى سنة ١٩٤٩ حيث اهتم فيه بالتطور التاريخي للألفاظ العربية ، وبحث علاقتها بغيرها من اللغات السامية ، غير أنه تبين للمجمع أنه يحتاج الى جهود جديدة لاعداده للطبع ، فعدل عنه ليفرغ الى اصدار ما أطلق عليه « المعجم الكبير » ، وعلى الرغم من أن هذا المعجم ـ وان أنجز فعلا ـ لا يمكن بأية حال أن يوصف بأنه « معجم تاريخي » الا أن انجازه يعد عملا فائقا ومعلما لغويا بارزا على الطريق الموصلة الى المعجم التاريخي المتكامل ، فقد عني بذكر نظائر الألفاظ العربية في غيرها من اللغات السامية ، ورد الكلمات المعربة الى أصولها ، وأعطى المعاني متدرجة من الأصلي الى الفرعي ، من الحسي الى المعنوي ، من الحقيقي الى المجازي الا أنه للأسف لم يصدر منه سوى الجزء الأول « حرف الهمزة » ، على الرغم من افتقار المكتبة العربية الى مثله ، ولم تبلغ التغطية فيه الا مادة « أخي » فقط

ولا ندري لم توقف المجمع عن انجازه !؟ أم هكذا شأن أغلب المشاريع اللغوية والثقافية العربية أن تقف في منتصف الطريق بعد أن تسد المنافذ أمامها لأسباب لا يمكن أن تسوغ أو أن تعلم !!

ومهما يكن فلغتنا التي نتشدق بعشقها وتقديسها بلوغ غير محدومة بشكل لائق بمكانتها من عرب اليوم الذين ما فتئوا يقصرون بحقها مع أن الامكانيات التي تسهل خدمتها متوفرة ، ولا أدل على تهاونهم في هذا السبيل من أنه ونحن في الثمانينات من هذا القرن لم نسجل أي معجم لغوية بله مفخرة للغتنا نعتز بانجازها قبل أن تغرب شمس القرن العشرين الى الأفول

ان اللغة العربية هي أحوج ما تكون ـ اليوم ـ الى معجم تاريخي لألفاظها على غرار معجم أكسفورد الانكليزي الكبير ، يستند الى أسس علمية واضحة ، ويؤرخ للكلمة ويتناول بالمعالجة الألفاظ العربية في اللغة السامية من آرامية ، وحبشية ، ونبطية الخ والألفاظ التي عربت من الفارسية والهندية والمصرية القديمة أو من اليونانية ، واللاتينية ، « الرومية » والألفاظ التي اختص بها العرب دون الساميين والألفاظ المشتركة بين اللغات السامية ثم يبين الوصف الدقيق لكل لفظة معناها ، أصلها ، تاريخ استعمالها ، تطور صورها المعاني التي اكتسبتها متى صارت عربية إن كانت من الدخيل ، ويدعم ذلك بالشواهد الزمنية من اللغة الأدبية على مر العصور

ومثل هذا العمل لا يمكن في الحقيقة ، أن يقوم به فرد أو جماعة من المتخصصين أو مجمع لغوي واحد أو حتى حكومة عربية بمفردها ، بل هو عمل مشترك واسع يجب أن تتولاه جامعة الدول العربية ومجامع اللغة العربية وكل الهيئات التي تهتم باللغة العربية ، فوضع هذا المعجم مسؤولية عربية مشتركة ، وأن الحجج التي قد تبدى بعدم الشروع بالبدء فيه من الأجدر استبعادها لأنها لا يمكن أن تقف في وجه الحاجة الملحة

لقد صنعنا بأيدينا التلفزيون النيتروني!

بقلم : ماجدة موريس

ـب الدكتور عارف دليلة في عدد يونيو (حزيران)
ـي من العربي ، عن التليفزيون النيتروني ، وهو تعبير
ـ من قنبلة النيوترون أحدث أسلحة الدمار الأمريكية
ـقي على الحجر وتقتل البشر ، محذرا من التليفزيون
ـي ، الذي قد يصبح شبيها في تأثيره بتلك القنبلة ،
على كل شيء ولكنه يقتل الوعي والانسان بما يقدمه
ـمال مستوردة ، وأعمال عربية

لقضية في رأيي تحتاج منا الى أكثر من حوار يتجاوز
ـم الى الدراسة والبحث الدقيق ، لهذا الخطر الداهم
ـ والذي وان كنا نستشعره اليوم بهذا القدر ، فان
ـه العملية تتوالى علينا يوميا في كل اختبار يجتازه العقل
ـي على كل المستويات ، ويخرج منه ـ غالبا ـ مهزوما
ـثم يصبح الحديث عن المستقبل العربي شديد الكآبة
ـ استمر الحال بأمتنا على ما نحن عليه سائرون

ـد صنعنا نحن قنبلة النيوترون داخل بلادنا ، وبأيدينا
ـ بأيدى الأمريكيين ، والا لما أصبحنا على هذا القدر
ـكبيرة ، ولكنها مشتتة متناحرة ، يفتقد أبناؤها الثقة
ـسهم ، وبعضهم البعض ، ويسعـون الى جلب
ـب ، واعطائه الثقة المطلوبة

ـصنعنا نحن قنبلة النيترون لأنفسنا عندما رفعنا
ـات العمل القومي ، والتحرر من التبعية السياسية ،
ـستقلال الاقتصادي في نفس الوقت الذي تركنا فيه
ـ الاستعمارية تتغلغل لدينا حتى النخاع ، فتراجع
ـ العـ ـ عن الابداع في كل المجالات الا استثناء
ـت ـ ـة الرأي من الممنوعات ، فاذا انشغلنا جميعا
ـدار ـ ـاتنا ، تمكن الآخرون منا ، وعزونا فكريا
أنوا ـ ثقافة انحطاطا

وليس من المنطقي طبعا أن نقول ان هذا الغزو العربي الثقافي المتعدد الوجوه قد صنع خصيصا من أجل العالم المتخلف أو النامي ، ونحن جزء منه ، وان كان الكثير من الانتاج العربي يصنع خصيصا لهذا العالم ، إن ما نراه من صور هذا الغزو هو جزء من كم هائل من الانتاج الثقافي الذي يتنوع بين أقصى درجات الجدية والانسانية الى أقصى درجات العبث والاثارة المجردة ، وتحت تلك النوعيات الأخيرة يندرج معظم ما نراه من انتاج عربي ،

ومن يسافر منا الى الخارج لفترات غير خاطفة ، ويدقق النظر فيما يقدم على شاشات التليفزيون العربية ، يدرك أن هناك الكثير من الانتاج المختلف المواصفات عما نراه ، وان هنـاك الاعمـال التي لا يمكن وضعهـا ضمن قـوائم المشتريات ، ولكنها توضع في بلادنا على رأس قائمة أفضل الاعمال قيمة وجاذبية ، تلك هي البرامج والتحقيقات الاخبارية الجادة ، والدقيقة والمتابعة الدؤوب لكل أحداث العالم ، ولنبض الرأي العام في كل مكان ، ولقد قدر لكاتبة هذه السطور أن ترى تحقيقا شاملا عن ثورة الشعب الفلسطيني داخل الأرض المحتلة في أول عام ليوم الارض ، وذلك من خلال التليفزيون الألماني الغربي والشرقي معا منذ سنوات ، لقد رأى المواطن الأوربي يومها مالا يستطيع أي مواطن عربي رؤيته عن موضوع يخص العرب بالدرجة الاولى ، واذا كان من المستحيل على أي تليفزيون عربي أن يقوم بمثل ما قام به التليفزيون العربي وقتها بسبب الصراع العربي الاسرائيلي فما الذي يمنع التليفزيون العربي من تقديم تحقيقاته من مواقع الاحداث في العالم العربي الممتد ، وما الذي يمنع هذا التلفزيون أن

يشتري تحقيقات اخبارية عن أحداث العالم ، والأحداث العربية نفسها ، انه لا يعترف - أي التليفزيون العربي في كل الاقطار - بقصوره عن تغطية الأحداث العربية للعرب ، وبالتالي فان لجوءه لشراء الأعمال الاخبارية والتحقيقات الحية من الآخرين هو صورة مجسدة لهذا القصور ، بالاضافة الى ما تفتحه من أبواب المعرفة لوجهات نظر وحقائق قد يعمد العرب الى اخفائها عن بعضهم ضمن سلسلة الوصاية من الحكام على المحكومين ، ومن هنا يبقى المواطن العربي في موقف فريد عن أي مواطن آخر في العالم فهو محروم من معرفة أحداث بلاده ووجهات نظر مواطنيه بواسطة نفس الجهاز المنوط به تلك المهمة

مواطن فاقد الهوية

لو تصدت أية هيئة عربية لاجراء استفتاء مع المواطن العربي في كل مكان ، ما الذي يعرفه عن بلاده وما الذي قدمه له التليفزيون عنها من معلومات وتحقيقات واستطلاعات لكانت النتيجة محبطة حقا ، فالرغم من الساعات الطوال التي يقضيها المواطن العربي أمام التليفزيون ، ولقد عقد بالقاهرة في ديسمبر الماضي ندوة للادارة أذيع فيها نتائج دراسة حديثة تقول ان المصريين يقضون ٤٤٪ من أوقاتهم نائمين ، ٣٦٪ في مشاهدة التليفزيون ، ومعنى هذا أن أكثر من ثلاثة أرباع وقتهم (أي ٨٠٪ منه) يهدر بلا عمل ، ولا نظن أن النسبة ستختلف كثيرا اذا ما أجريت دراسات مماثلة على بقية البلدان العربية ولكن الذي نستطيع أن نحدده فيما يختص بالعلاقة بين المواطن العربي وبين جهاز التليفزيون مجموعة مؤشرات هامة

أولا ان ثلث الوقت لدى المواطن العربي - كحد أدنى - يضيع في مشاهدة التليفزيون . (ونضيف اليه أجهزة الفيديو لمن يملكونها)

ثانيا ان التليفزيون اليوم في بلادنا العربية أصبح المصدر الرئيسي للثقافة والمعرفة ، بل ان مقارنته بالاستماع للاذاعة أصبحت مقارنة غير عادلة حيث أظهر آخر بحث لتقييم برامج الاذاعة والتليفزيون في مصر ان ٩٥,٤٪ من المواطنين يشاهدون التليفزيون بانتظام وانه أصبح نافذتهم الأولى ، وفي أحيان كثيرة - الوحيدة - للاطلاع على كل شيء ، وبالتالي فهم يستغنون به عن كل الفنون الأخرى ومصادر الثقافة والتعليم

ثالثا انـنا اذا رجعنا للاحصائية السابقة عن عدد ساعات المشاهدة التي تصل الى ٣٦٪ من الوقت اليومي كله ، وترتفع كثيرا عن تلك النسبة في شهر رمضان حين تزيد ساعات الارسال فإننا نجد أن معظمها يقتصر على مسلسلات متتالية ، عربية وأجنبية ، وحلقات وفوازير وبرامج ترفيهية ، وانما تمتلىء بكل ما يثبت العقل العربي على ما هو عليه من خمول فكري ، وكسل ذهني ولا يضيف الى معلوماته الكثير ، بل ان الحديث عن العرب في هذه المواد كلها لا يتم الا من خلال المسلسلات التاريخية والدينية ، أي أنه حديث عن الماضي سواء أكان العمل نفسه لائقا وأمينا على التاريخ وحدثنا أم لا ، أما العرب اليوم ، علاقاتهم ، صراعاتهم ، حوارهم ونشاطاتهم مصالحهم فليس واردا على خريطة البرامج التليفزيونية العربية ، وربما يتسنى للمواطن العربي أن يعرف شيئا عن كل هذا بعد أن يصبح تاريخا ، ومن هنا فان ساعات الارسال الطويلة التي يجلسها أمام التليفزيون تصبح في غير صالح ثقافته وبناء حضارة العرب ، بل تصبح سببا في تراجع وعي المواطن العربي وتخلفه عن أوضاع مكتسبة المواطن الأوربي مثلا من بلورة وعيه ، فليس من حق هذا المواطن المعرفة ، ولكن معرفته من وجهة نظر أصحاب القرار السياسي في بلاده

رابعا انـنا في الوقت الذي نختار فيه أن نتعامل مع نوعيات من الانتاج التليفزيوني والسينمائي العربي تناسبنا أو تناسب مجتمعنا النامي ، بل تؤدي إلى الاصابة بانفصام في الشخصية ، وانفصال عن الواقع حولنا وقد نقع أيضا فريسة سهلة للحرب النفسية بين الغرب والشرق

خامسا ان غزو الثقافة العربية لنا يكمن في حجم البرامج المنتجة في الخارج والمستوردة أو فقط ولنا

ـدخل في تلافيف أمخاخ الكثير منا بشكل يدعوه اما
ـ النموذج العربي في الحياة والاستهلاك بوعي أو بلا
، أو بالانبهار فيه والاستفادة من الاعجاب به وهو ما
أن يعمله عدد كبير من المؤلفين والمخرجين والصناع
لعربي ، عندما يلجأون الى تحويل الأفلام والحلقات
ـة الى العربية بتغيير الأماكن والأسماء

دسا ان المشاهد العربي الذي يتعرض للاستلاب
راء الغزو الثقافي العربي يتعرض في الوقت نفسه
لاب آخر بسبب الرقابة المفروضة على الفكر
داع العربي ، ويكفي أي مؤلف أن يعرف قائمة
ات والمحظورات قبل أن يبدأ بكتابة نص مسلسل
ـة تلفزيونية

ما انه برغم ساعات الارسال الطويلة للتليفزيون
الم العربي فان ترتيب سلم الأولويات مقلوب
ـ البرامج التعليمية وتقتطع لها أوقات قصيرة كما لو
مواد هامشية ، ويعطى لها أقل ما يمكن من
ت ، يحدث هذا في عصر حرج فيه أمر التعليم من
سسات التعليمية وحدها ومن يد الأسرة أيضا ،
ح التليفزيون بوضعه الحالي شريكا أساسيا ،
، هذا ونحن نعاني في بلادنا من مرض الأمية ، وفي
الذي تخصص فيه الحكومة البريطانية قناة كاملة
معة المفتوحة) تقدم كل أنواع التعليم ودرجاته
طنين ، وتتيح لهم فيها استكمال تعليمهم الى
ص المطلوب ثم الحصول على شهادات تمكنهم من
حراتهم فإننا لم نفكر في العالم العربي في اقتباس أو
لك الفكرة منهم وانما يقتصر اقتباسنا على مسلسلات
ـة

يريد المواطن العربي ؟

النهاية نصل لنقطة حيوية ، هي علاقة المواطن
، بأجهزة الثقافة والاعلام المتاحة له ، والملاحظة في
الـ سريون غالبا ، ان تلك العلاقة تأخذ أبعادا
ـها انها تدور بين طرفين غير متكافئين ، الأول
دو التي تملك هذه الأجهزة وتفرض عليها التعبير

وبالتالي تحرم الجماهير من التعبير عن رأيها الخاص واستخدام تلك الأجهزة ، كمنابر شعبية ، كما انها تتيح الفرصة من خلال تلك السيطرة لكل النزعات الشخصية ، أن تتفوق على العوامل الموضوعية فيما يقدم في تلك الأجهزة الى المواطن العربي ، وعندما يرتفع النقد ضد البرامج التي تغيب الوعي وتشوه الوجدان يصيح المسئولون عن استيراد وانتاج وتعليب تلك الأعمال كيف هذا ونحن نقدم له ـ أي للمشاهد العربي ـ ما يريده . وعندما ترتفع شكوى المواطن العربي نفسه من تلك المواد ، فان تراثه وايجابيته لا تسمحان له بمقاطعة تلك الأعمال وعندما يوضع المسؤولون عن تنمية (ذوقه) في مأزق أدبي يكون جوابهم انهم لا يريدون أن ينصرف المشاهد عنهم ، وانهم بالتدريج سوف يقدمون له ما يفيده حقيقة وليس ما يضره ، والحقيقة أن المواطن العربي المسكين هو المجني عليه حتى وان ظهر في صورة من لا يعي مصلحته وذلك أن وضعه تحت تأثير ذلك الكم الهائل من المسلسلات والحلقات والمغامرات المثيرة والسهلة في آن واحد والتي لا تحمله ببذل أي مجهود ذهني أمامها ، وانما عليه فقط أن يتلقاها . ومن هنا يقع المواطن العربي فريسة سهلة لتلك البرامج المغيبة لوعيه ، وبيده ، وليصبح وهو المتلقي في الوضع المناسب الذي أراده له (المرسل) برغم كل الادعاءات وقد يتساوى الاثنان ظاهريا ، ولكنه الحق الذي يراد به باطل ، لأن المواطن العربي ـ وهو في تلك الحالة والأوضاع التاريخية والسياسية والحضارية ـ سبيق الى (اختيار) ما يراه ، ولم يتقدم له بمحض ارادته . وبناء على تبلور وعيه وتدريبه على التلقي الجيد والتمييز بينه وبين الرديء ، وقد تكون الصورة قاتمة ، ولكن الحل موجود ، برغم أن صاحبه (أجنبي) هو أول مدير لاذاعة البي بي سي الذي قال (ان الاذاعة والتليفزيون أم تخلق أولادها على شاكلتها ، فهي ليست قوادا يقدم للناس ما يطلبون ولكنها قائد يأمر الناس بما يصلح أحوالهم ومن هنا فاذا كنا نستهدف تنمية الانسان فلا بد أولا أن ننمي الاذاعة والتليفزيون) والحقيقة أن الكلمات الاخيرة تحمل الرد على جزء كبير مما نعاني منه

اذا لم تصدق ان التلوث يعيش معك في بيتك ، فاقرأ هذا المقال !

◆ نة التلوث تطاردك

بقلم : المهندس سعد شعبان

من أغرب القرارات التي صدرت عن الدوائر الصحية في المانيا الغربية عام ١٩٨١ ، قرار موجه الى الأمهات اللاتي يرضعن أبناءهن ، أن يكففن عن القيام بهذه المهمة والتوقف عن الارضاع

هذه النصيحة الموجهة الى الأمهات ، على غرابتها لم تأت من فراغ ، بل صدرت بعد بحوث دقيقة وقياسات متأنية وتشاور وتداول بين خبراء شاءوا أن يوجهوا هذه النصيحة ، لتكون وقفة أمام الحقيقة المرة ، وقفة أمام « الطبيعة الملوثة » التي يتوارثها الأبناء عن الأمهات والآباء بدءا من وقت الرضاعة حتى سكرات الموت

فالهدف هو جعل هذا العام فاصلا بين عالم لوثناه بارادتنا ونعمل على تدميره باسم التكنولوجيا الحديثة ، وبين بيئة مثالية يتطلع اليها العلماء خالية من بعض ما نثرناه فيها من مهالك بطيئة لانحس بوطأة خطورتها في حياتنا السريعة التي نلهث فيها وراء مزاعم كثيرة ، أولها لقمة العيش ، وآخرها عمارة الكون ، وفي حقيقة الأمر نحن ندمر من أركانه الكثير

ولقد استجابت كثير من الأمهات الألمانيات ، ولم يربح من وراء ذلك غير الأمهات الريفيات اللائي يعشن في غضون الطبيعة البكر وفوق الجبال بعيدا عن كثير من مصادر التلوث

انكم تدمرون الحياة

وقد يبدو للكثيرين أن هذا النداء ضرب من الهوس العلمي ، أو الافراط في التشاؤم يقوده أناس بعيدون عن تيار الحياة الجارف ، وهم يلبسون نظارات سوداء فلا ترتسم لهم الصور الا قاتمة ولكن الحقيقة المرة أن الأمر قد بلغ مبلغ الخطورة فعلا ، وأن هؤلاء العلماء هم حملة نواقيس الانذار ونحن في غينا ماضون يلهينا عن المأساة أو يصرفنا عنها الجانب البراق من التكنولوجيا وانجازاتها السريعة التي صورت الأمور وكأنها قد صنعت للانسان المعجزات في حياته من الملبس والمأكل وكل ما يرفه عنه ويسهل له الحياة ، فجعلت السرعة طابعا لعصره ، وما يمضي به وقته في سعادة وحبور

ولقد كنت في مطلع الشباب أقرأ لفيلسوف أسباني اسمه « ثورو » يقول بأن « الانسان صنع الآلة ، ثم أصبح عبدا لها » وأتعجب أن يكون هذا الفكر لأحد مفكري الغرب الذي يقود ركب التكنولوجيا والتصنيع في عالمنا وكنت أتطلع الى كلمات الفيلسوف العالم البريطاني « برتراند راسل » ، وهو يهجو كل شيء ، ويمتد هجاؤه الى العلم والعلماء الذين هو منهم لقد ملأ الدنيا ضجيجا وصراخا وتحذيرا للناس عامة وخاصة وسياسيين وعسكريين و... للجميع كفوا أيديكم عن المغالاة في تحطيم الطبيعة لأنكم في حقيقة الأمر تدمرون الحياة ، فسعيكم ...

ـح الذري والنووي ، والتسابق على امتلاك أدوات
ـ والدمار ، والتعلق بأساليب الرفاهية سيؤدي
ية كلها الى الهلاك

ـ اتلاف الانسان للطبيعة ، الذي يطلق عليه العلماء
ملوث البيئة » لم يقف عند حد ، وشمل كل شيء من
الهواء الذي نستنشقه ، الى الغذاء الذي نطعمه ، الى
الكساء الذي نلبسه ، الى النبات الذي نزرعه فهو معنا
في داخلنا ومن خارجنا ، لأنه معنا في أجسادنا ، ومن
حولنا

ولكي تكون الصورة واضحة أمامنا بلا مغالاة ، أدعو
القارىء الى أن يتتبع معي بفكره ايقاع الأحداث خلال يوم
كامل منذ الصباح حتى المساء لكي يتصور مبلغ التلوث
الذي يحيط بنا من كل جانب

رحلة من الصباح

■ في الصباح يكون من متطلبات الابتداء غسل الوجه
والأسنان فيواجه المرء بصابون رائحته ليست زكية
ورغوته ليست جيدة لأن الصودا الكاوية فيه نسبتها
كبيرة انها تدمع العينين ، ومعجون الاسنان كذلك
يحوي حبرا أو طباشير ، والشامبو » بعضه بالبيض
وبعضه بالنخاع !! وهو بريء من ذلك و « الكولونيا »
التي تستخدم بعد حلق الذقن تحتوي على كحول الله أعلم
بنسبته ورائحته المسجلة على الزجاجة انه من الياسمين
وهو أبعد ما يكون عن ذلك لأن معامل الكيماويات
أصبحت جاهدة في تقليد كل الروائح هكذا ، يبدأ
المرء يومه بشعور الواقف على أبواب معمل كيماوي شعاره
صب « لعنة الكيمياء » على رؤوس العباد

■ على طعام الافطار تلاحظ الحجم الكبير الذي اصبح
عليه البيض ، وتستغرب طعمه لقد استكبروه غذوه
بالهرمونات والبروتينات المكثفة ولذلك أتى طعمه غريبا
خلو من نكهة البيض الذي ألفته في الصغر لقد كان
صغير الحجم ولكن كان له طعم آخر البيضة في الحقيقة
فيها سر إلهي ما أروعه لأن في صفارها تتجمع أسرار
الحياة وفي قشرتها الرقيقة تتجمع كل القوى

هذه البيضة خير برهان على تدخل الانسان في
الطبيعة انه انسان شره متعجل ، يستحث الطبيعة
بسوطه من أجل الكسب السريع لتعطيه من خيراتها
أكثر مما تطيق حتى تتلقفها ملايين الأفواه الجوعى

■ ها هو الجبن الابيض ان اللون الأبيض عنوان
البراءة واللبن سر آخر من أسرار القدرة الالهية
انساب الينا من ضروع الأبقار والجواميس من بين دم
وفرث كما ذكر القرآن الكريم ، ولكنه اختلط بما دس
في طعامها من مواد كيماوية جعلت هذه الأبقار أكثر
اكتنازا ، وأكثر سمنة ، وأكثر ادرارا للبن

لقد كانوا على حق في أغلب دول اوروبا ، عندما
أخضعوا اللبن لعمليات معملية عديدة ، بغرض التأكد
من عدم تلوثه بالمبيدات الكيماوية المخصبة التي أطلقنا
عليها « السماد » والكيماويات الحشرية المبيدة التي
أطلقنا عليها المبيدات ، وما زاد على ذلك من اشعاع . .
وما أدراك ما الاشعاع ؟ .

مع مملكة البلاستيك

■ على المائدة ستجد في الأغلب طبق « البلاستيك »
الذي استقرت فيه قطع الجبن لقد حال لونه وتبدلت
بعض نقوشه ها هو البلاستيك اللعين قد احتل كل ما
كان في الماضي يصنع من زجاج أو خزف أو بورسلين ، أو
عاج أو فير وأصبح سيدا متربعا على العرش بل
له عرش كمثل عروش أسياده المنحدرة من سلالة
البترول . . لقد بدلت مملكة البلاستيك كل شيء على
المائدة فأصبحت أغلب أدوات المائدة من هذه المادة
التي من السهل اكتشاف تفاعلها مع الطعام لكم
ظلمنا جداتنا عندما كنا نهزأ من حرصهن على تسوية
الطعام في « اوعية الفخار » او « النحاس الأحمر » أخيرا
أصدرت كثير من الدول الأوروبية قراراتها بعدم تعبئة
أصناف معينة في عبوات البلاستيك ، وخاصة اللبن
الزبادي والريت ولبن الأطفال ، والصابون السائل

■ سلة الخبز القابعة على المائدة احتوت على خبز ناصع
البياض ألا ما أقبح ما يتداوله الناس من أفكار لقد وقر
في اذهان الكثيرين من العامة والخاصة أن الجيد

من الخبز هو الأبيض وأنه كلما زاد بياضه زاد حسنه ولذلك يحرص الاغنياء على تناول الخبز الاوروبي لانه هش ورقيق البياض ونسوا أنهم يطرحون أثمن ما في حبة القمح من مواد وهي البروتينات المتمثلة في قشرته والتي خلقها الله سمراء ان بعض العقلاء لا يأكلون غير الخبز الأسمر

■ عندما تشرع في ارتداء ملابسك ، سوف تستوقفك نعومة ملمسها ، وسوف تلاحظ البيانات المدونة على الثياب ٦٥٪ بوليستر ـ ٣٥٪ قطن هاهي لعنة البترول تطاردك حتى في الملبس لقد أصبحت خيوط النسيج من مستخرجات البترول وتوارت خيوط القطن وأصبحت تمثل ثلث النسيج ان هذا هو السبب الحقيقي لعدم امتصاص العرق ، فما ان تبذل اي جهد حتى تشعر بانك عائم داخل الثياب ، من الخروب البوليستر الى القميص وتترحم على الصناعات القطنية التي اختفت من حياتنا

* واذا كنت من ركاب الحافلات او الباصات ، فسوف تلاحظ انها ملطخة بالقذارة من الخارج خليط من الشحم مع الطين وما اشبه ذلك ولابد ان تسعل وتسعل لان العربات في الشوارع تمر وسط سحابات من الدخان تتصاعد من مؤخراتها ناهيك عن عربات النقل وما يصدر عنها من دخان في كافة الاتجاهات

* ويزيد الطين بلة ، اولئك الشبان الذين يركبون الدراجات النارية ويمرقون مسرعين وكأنهم فرسان مغاوير يمتطون صهوات الخيل ويصدر من مؤخرات الدراجات ريح دبور اختلطت برائحة الزيوت التي تزكم الانوف فضلا عما يصدر عنها من نقيق وفرقعات وطبل مع كل ضغطة سرين !

* يذهب المرء الى مقر عمله لتتلقاه الاتربة على مكتبه وفي الطرقات وفي حجرة الارشيف فضلا عن دخان السجائر الذي يتصاعد في كل الحجرات ، والذي لابد واصل الى صدرك فمن بين ٦ سجائر يتم تدخينها حولك ، تشرب انت واحدة منها رغم انفك هكذا يقول الباحثون ، ذلك فضلا عن ان من بين السجائر أنواعا مصنعة من النطاق الصناعي حتى لعنة البترول دخلت على السجائر ، التي أصبحت من مشتقات البترول مثلها مثل التماثيل !

الدجاجة المنتفخة

■ على الغداء يلفت نظرك حجم الدجاجة المنتفخة انها دجاجة من صنع المتهوسين الذين يحبسونها في حيز ضيق ويقدمون أمامها الطعام المركز لتأكل ليل نهار لتنتفخ عضلاتها خلال شهر واحد وتصبح أضعاف حجمها الذي خلقها الله عليه ان لحم هذه الدجاجة مخلوط بالبروتينات المركزة ، وان استدعى الأمر بالهرمونات التي تضاعف حجم الأنسجة ، مع قدر هائل من الأملاح التي تجعل هذا الطائر الضعيف في حاجة الى الماء طوال الوقت ، ليرتوي وتكتنز أنسجته بالماء ولذلك أتى طعمها كالفول النابت ، وكأنه ألياف صناعية لا لون لها ولا طعم ولكن ماذا يصنع المسئولون لملايين الأفواه المفتوحة تنادي بالبروتين واللحوم والأسماك ان المركزات الكيماوية بمثابة السوط الذي يجلد صغار الطير لتكبر بسرعة وليأكلها الانسان بسرعة أيضا

■ واذا كنت ممن يتعاطون المياه الغازية على الغداء ، فتذكر انك مازلت مطاردا بلعنة الكيمياء ، التي دخلت فيئة المياه ، وشدت معها لعنة جديدة تحت اسم « لعنة الألوان » وأصبحت هذه الألوان الجذابة هي السم الزعاف ما بال الناس يملئون تجويف البطن بالطعام ثم يسكبون فوقه غازات ثاني اوكسيد الكربون لتقلبه بدعوى « الهضم » ان البعض لا يدري ان كثيرا من هذه الألوان تدر على الاطعمة بدون تعقل وبعضها للأسف صار ولكن نسبته الضئيلة لا تحمل هذا الضرر يصل الى مرحلة التسمم !!

* واذا تناولت الفاكهة بعد الطعام ولم تغسلها جيدا ، فقد ادخلت بيدك سموما اخرى في جسمك ، ذلك ان قشور هذه الثمار تحمل قدرا هائلا من المواد الكيماوية المبيدة التي تستطيع ان تقوض حيوانا صحيا !

* ذلك كله في جانب ، وكم النفايات الذي يلقى في المجاري المائية وعلى شواطىء البحار فيفسد ماء الشرب ويسمم الاسماك والحيوانات البحرية في جانب آخر فذلك وجه مختلف للعنة ، يتآمر على الطبيعة من حولك ، ويحاصرك ليمسك بخناقك في النهاية

كيف يمكن ان تنجو من هذا كله ؟ تلك مشكلة يستعصي حلها لانها قد تتطلب ان تغادر هذا ... لتنسحب الى عالم آخر ! ■■

القاهرة ـ مهندس سعد شعبان

اعداد يوسف زعبلاوي

كوكب الزهرة يكاد يومه وسنته أن يكونا متساويين

هبطت سفينتا الفضاء السوفياتيتان ، فينوس ١٣ وفينوس ١٤ على سطح كوكب الزهرة في شهر مارس الماضي وقد اطلقتا في ٣٠ أكتوبر و ٤ نوفمبر الماضيين أي انهما استغرقتا اربعة شهور لقطع المسافة الهائلة التي قطعتاها للوصول الى كوكب الزهرة المذكور وتبلغ ٣٠٠ مليون كيلومتر ونجحت السفينتان في الهبوط على سطح الزهرة برفق ، ونجحتا كذلك في ارسال المعلومات طيلة ١٢٧ دقيقة وتعتبر هذه المدة طويلة نسبيا اذ ان الحرارة على سطح الزهرة شديدة وقد تبلغ في أقصاها ٤٨٠ درجة مئوية ولا تسمح بصمود السفينة ، اي سفينة مدة طويلة دون انهيار أو تبخر مالم تكن المواد التي صنعت منها السفينة مواد غير عادية وتتميز بقدرة شديدة على مقاومة الحرارة

أما الهدف الذي من أجله اطلقت السفينتان فهو أخذ عينات من تربة الزهرة وتحليل عناصرها واكتشاف المزيد من خصائص كوكب الزهرة ، الكوكب الساخن الذي تلفه السحب وأقرب كواكب المجموعة الشمسية من كوكبنا ، كوكب الأرض

ومعنى هذا ان الكبسولة التي انفصلت عن السفينة فينوس ١٣ ، ١٤ وهبطت على سطح الزهرة كانت مجهزة بحفارة ولا قطة فصلا عن أجهزة تحليل التربة

وتجدر الاشارة الى أن السوفيات كانوا ارسلوا في الماضي سفينتين فضائيتين أخريين الى كوكب الزهرة هما فينوس ١١ وفينوس ١٢ وقد وصلتا الى سطح الكوكب في شهر ديسمبر ١٩٧٨ ، وواصلتا ارسال المعلومات الى الأرض لمدة ١١٠ دقائق ، ٩٥ دقيقة على التوالي أي انهما لم تقاوما حرارة الكوكب الشديدة بقدر ما قاومتها سفينتا فينوس ١٣ ، ١٤

أما بداية الأبحاث السوفياتية الرامية الى

استكشاف كوكب فينوس والتي سموها (أبحاث فينوس) فتعود الى سنة ١٩٦١ ويذكر هنا أن سنة ١٩٦٧ شهدت هبوط سفينتين روسيتين على سطح ذلك الكوكب الا انهما لم تصمدا أكثر من ٧٥ دقيقة ارسلتا اثناءها من المعلومات ما ارسلتا ثم ما لبثتا ان تلفتا بسبب شدة الحرارة

ولئن تأخرت الولايات المتحدة في ابحاثها الخاصة بكوكب فينوس (ابحاث مارينر) ولم تبدأها الا سنة ١٩٦٢ فانها واصلت تلك الابحاث أيضا وارسلت سفن الفضاء مارينر بالتتابع وكانت سفن مارينر الأمريكية تمر بكوكب الزهرة ولا تهبط عليه في الغالب ، فتصور سطحه من على بعد أو قرب ، وترسل الى الأرض من المعلومات عنه ما ترسل على أن هذه المعلومات لا تصل الى محطات الأرض معلومات جاهزة وانما رموزا تتطلب الكثير من الدراسة والتحليل وقد يستغرق ذلك بضع سنوات وقد تعمد الدولة المعنية الى نشر بعض ما يتجمع لديها من تلك المعلومات وقد تمتنع عن ذلك ومهما يكن فان المعلومات التي كانت ترسلها سفن الفضاء منذ بداية عصر الفضاء في أواخر الخمسينات قد أحدثت ما يشبه الثورة في علم الفلك وقد اثبتت خطأ أو بطلان الكثير من المعلومات الفلكية التي تم جمعها بواسطة التلسكوبات على مر العصور

● ظهرت في الأسواق الأمريكية مؤخرا مستحضرات لتخسيس الوزن جديدة أطلقوا عليها اسم كوابح النشويات Starch Blockers وقد انتشرت هذه المستحضرات وظهرت في شتى الأسواق المركزية والبقاليات فضلا عن الصيدليات ولكن وكالة الغذاء والدواء الحكومية في واشنطن حظرت في مطلع شهر يوليو الماضي بيع هذه المستحضرات ، ريثما تنتهي التجارب التي يجريها علماء الوكالة حاليا ، ان تلك الحبوب كفيلة بتخسيس الوزن دون أن يكون لها آثار جانبية ضارة

وقوام هذه الكوابح أو المعيقات بروتين مستمد من نوع معين يعرف بالانجليزية باسم Kidney beans ومن خواص هذا البروتين انه يبطل مفعول الانزيم الذي يقوم بهضم النشويات وهو انزيم اميليز (enzyme amylase) ..وتوكد الشركات التي تصنع هذه الحبوب ـ وهي كثيرة ـ أن حبة واحدة منها توخذ مع وجبة الطعام كفيلة بالحيلولة دون حصول الجسم على ... سعر حراري

ويقر علماء الوكالة وغيرهم بأن النظرية التي تقوم عليها الحبوب الكابحة نظرية سليمة ووجيهة ولا ريب ولكن صحتها لم تثبت عمليا بعد أي ان الشركات المعنية لم تجرب

النوم له هرمون طبيعي

● منذ أكثر من سبعين عاما والعلماء يجرون الأبحاث العلمية الخاصة بالنوم ويسعون الى اكتشاف المواد الطبيعية التي يفرزها الجسم البشري والتي تبعث على نوم الانسان أو الحيوان ذلك أن التجارب الرائدة التي اجراها العالم الفرنسي هنري بايرون H Pieron دلت على أن النوم انما يأتي نتيجة نشاط بعض المواد الكيماوية داخل المخ وقد نجح عالم الفسيولوجيا المذكور في احداث النوم العميق لبعض الحيوانات بعد أن حقنها بمادة من سائل النخاع الشوكي أخذها من بعض الكلاب التي كانت محرومة النوم واقتفى أثر ذلك العالم الفرنسي علماء آخرون في سويسرا واليابان

وجاءت الستينات فعمد فريق من علماء جامعة هارفرد الأمريكية الى القيام بابحاث علمية واسعة النطاق وذلك من أجل عزل مادة النوم الطبيعية أولا ومن أجل اجراء التجارب على تلك المادة بالذات ثانيا

وقد تبين لأولئك العلماء الأمريكيين وهم ...

...ضرات جديدة قد تكون عظيمة النفع

...لحبوب على نطاق واسع قبل عرضها للبيع في الأسواق ولا بد ...ن التثبت من فاعليتها وفائدتها المزعومة قبل السماح ببيعها ...بانه في الاسواق

ولعل لوجهة النظر التي ابداها الدكتور جورج بلاكبورن Blackburn ..... خبير الغذاء في جامعة هارفرد حول كوابح ...لنشويات اثرا في الموقف الذي اتخذته وكالة الغذاء والدواء فما ...ن قوام هذه المستحضرات بروتينيا كما يقول خبير هارفرد ...يهو عرضه لفعل انزيمات أخرى غير التي ذكرنا، هي انزيمات peptidase .... وباستطاعة هذه الانزيمات أن تحلل بروتين ...لكوابح، او تحطمه، بحيث يفقد قدرته على الكبح ويصبح ...عديم الفائدة

اضف الى ذلك الأثر الجانبي الضار الذي يمكن ان يترتب ...على تناول الحبوب الكابحة فلو سلمنا بان هذه الحبوب ستنجح ...في اداء المهمة المتوخاة لترتب على ذلك تراكم كميات من ...النشويات غير المهضومة في الجهاز الهضمي وقد يؤدي ذلك ...بالتالي الى مضاعفات مزعجة كالغازات والاسهالات وغير ...ذلك وقد تبلغ هذه المضاعفات من الخطورة ما يحمل ...الكثيرين على تفضيل البدانة باعتبارها اهون الشرين

John Pappenheimer

...ساعده كاربوسكي وجيمس ...كروجر ان مادة النوم الطبيعية، ...سالهم المنشودة، فعالة شديدة ...الفعالية، وانها توجد حيث توجد ...مقادير ضئيلة للغاية

وبداوا تجاربهم بالسائل ...النخاعي على نحو ما فعل العالم ...الفرنسي وقضوا أربع سنوات ...وهم يجمعون ذلك السائل من ...... المرهق المحروم من ...النوم ... ولما لم يتجمع لديهم ...طيلة تلك السنوات الا حوالي ... من السائل النخاعي، ...تحول علماء هارفرد عن الماعز ...الى ... فجمعوا مادة النوم ...المطلوبة مع ١٥٠٠٠ أرنب ... هذه الكمية كانت قليلة أيضا ولا تسمح بتحليلها كثيرا ولا قليلا ثم تحول العلماء الأمريكيون الى جمع المادة المطلوبة من بول الانسان وبلغت الكمية التي استطاعوا عزلها من كمية ١٠٠٠ جالون من البول ٣٠ ميكروغرام فقط وعلى ضآلة هذه الكمية فقد كانت كافية لتحليلها وتحديد بنيتها الكيماوية.

وهكذا استطاع باحثوا هارفرد أن يؤكدوا في مطلع هذه السنة (١٩٨٢) ان مادة النوم الطبيعية قوامها أربعة احماض وهي

Glutamic Acid,
Alanine
Diaminopimelic Acid,
Muramic Acid.

المعروف ان المادتين الأخيرتين توجدان في البكتريا ولكن وجودهما في جسم الانسان لم يكن معروفا في السابق أما الاسم الذي أطلقه العلماء على مادة النوم الطبيعية فهو (العامل س **Factor S**)

وقد دلت التجارب على قدرة مادة النوم الطبيعية على مضاعفة مدة النوم التي يحتاجها الحيوان - الأرانب بالتحديد - ضعفين الا ربعا (١٫٧٥) فلو كانت تلك المدة ٤٠٪ من ساعات اليوم لأصبحت ٧٠٪ من تلك الساعات نتيجة تناول مادة النوم الطبيعية وذلك دون التعرض للاثار الجانبية التي تحدثها مواد النوم الكيماوية

عبيد الله اهم إخوان

بقلم عباس خضر

ألقيت شبكتي مرارا في البحر الـزاخر الف ليلة وليلة ، وقد صبرت على خروجها من الماء ممتلئة رملا وحصى ، الى ان يسر الله لي وحصلت على جواهر ، منها الانسانية والوفاء والاخاء ، هذه القيم التي استقرت في امتنا العربية منذ قديم الزمان

كـذلك فعـل « عبـد الله الـبرّي » الصيـاد الانسـان المكافح ، كان كثير العيال تسعة اولاد وامهم انه فقير لا يملك الا الشبكة ، يعول اسرته مما تصطاد ، يذهب الى شاطئ البحر كل يوم ، فاذا اصطاد سمكا قليلا ذهب إلى به السوق ليبيعه ، وينفق ثمنه على عيالـه ، وان اصطاد كثيرا وسع على العيال مما رزق الله

الى ان كان يوم وضعت فيه زوجته الولد العاشر ، ولم يكن في الكوخ شيء يقتاتون به ، فقالت له زوجته -

- التمس لنا شيئا نأكله

- سأخرج اليوم على بركة الله تعالى الى البحر ، وارجو ان يكون قدوم المولود سعيدا

- توكل على الله

خباز انسان

اخذ شبكته واتجه الى البحر ، ورماها فيه ، ثم سحبها فخرجت مملوءة اعشابا وحصى ، فرماها مرة ثانية وثالثة ، ورابعة وخامسة ، ولا شيء من السمك يخرج فيها ، فانتقل الى مكان آخر وهو يدعو الله ان يرزقه برزق العيال ، ولم يزل على هذه الحال الى آخر النهار فتحدث في نفسه وقال

- هل خلق الله هذا المولود من غير رزق ؟ ... لا يكون ابدا ، لان الذي شق الافواه تكفل لها بالارزاق

لمّ الشبكة في حسرة ، ورجع مشغول [illegible] مهموم القلب ، وسار حتى وصل الى خبز يزدحم [illegible]

شراء الحبر . وكان الغلاء قد عمّ في تلك الايام، والخبار لا يكاد يلتفت لاحد ، من كثرة الزحام

وقف عبد الله البري ينظر ويشم رائحة الخبز الساخن، نفسه تشتهيه من شدة الجوع وترامى اليه صوت الخبار لما راه واقفا ينظر في سكون ومسكنة

- صياد

تقدم اليه فقال له الخبار

- أتريد خبزا ؟

سكت محرجا ، فقال له

- تكلم ولا تستح فالله كريم ، ان لم يكن معك دراهم انا اعطيك واصبر عليك حتى يجيئك الخير

- شكرا . ليس معي دراهم ، ولكن اعطني خبزا يكفي عيالي وخذ هذه الشبكة رهينة عندك الى غد

- يا مسكين هذه الشبكة الة رزقك ، اذا رهنتها فبأي شيء تصطاد ؟ قل ما الذي يكفيك ؟

- بخمسة دراهم

اعطاه الخبز وخمسة دراهم اخرى ليشتري بها ما يلزم ، وقال له عندك عشرة دراهم وفي غد هات لي سمكا بها ، وان لم يقع لك سمك فتعال وخذ خبزك وخمسة دراهم ، وانا اصبر عليك حتى يأتيك الخير

في اليوم التالي حمل شبكته وذهب الى البحر ، وصار يرمي الشبكة ويجذبها فلا يخرج فيها شيء من السمك فرجع مهموما ولما كان طريقه على الخبار وليس له طريق غيره مر به مسرعا حتى لا يراه ، ولكن الخبار لمحه من بعيد فصاح

- يا صياد ، تعال خذ خبزك ومصروفك ، فانك نسيت ،

لم يجد بدا من ان يتجه اليه قائلا
ـ والله ما نسيت ، ولكني استحييت منك
ـ لماذا تستحي ؟ اما قلت لك ، على مهلك حتى يأتيك الخير ؟

لم يزل على هذه الحال شهرا ، والخباز يعطيه كل يوم ما اعتاده ، ولا يذكر له السمك

قال الصياد لزوجته وهو في منتهى الحزن
ـ اريد ان اغرق هذه الشبكة وارتاح من هذه العيشة لقد ذبت حياء من الخباز
ـ لا تعجل يا سيدي ، الله كريم

لست عفريتا

حمل شبكته واتجه الى البحر وهو يقول يارب ارزقني ولو بسمكة واحدة اهديها الى الخباز

رمى الشبكة في البحر ، ثم جذبها ، فوجدها ثقيلة ، فعالجها حتى اخرجها فاذا فيها حمار ميت ، فاغتم وذهب الى مكان آخر لا تصل اليه فيه رائحة الحمار الكريهة ، ورمى الشبكة ، وصبر عليها ، ثم جذبها ، فرأى بها مخلوقا يشبه الانسان ، فظن انه عفريت من الجن ، فهرب منه ، فقال له ذلك المخلوق

ـ تعال يا صياد لا تهرب مني ، فأنا انسان مثلك خلصني لتنال الثواب
ـ اما انت عفريت ؟
ـ كلا ، انا مثلك مؤمن بالله ورسوله
ـ ومن رماك في البحر ؟
ـ انا من اولاد البحر . واذا خلصتني أكون أسير معروفك ، فهل لك ان تعتقني لوجه الله تعالى ؟ وانا اعاهدك على الصداقة ، آتيك كل يوم في هذا المكان ، وانت تأتيني ومعك هدية من ثمار البر فان عندكم عنبا وتينا وخوخا ورمانا وغير ذلك ، ونحن عندنا لؤلؤ ومرجان وزبرجد ، وزمرد وياقوت ، فأملأ لك السلة التي تجيء لي فيها بالفاكهة جواهر فما تقول في ذلك ؟ الفاتحة بيني وبينك على هذا الكلام

قرأ الفاتحة ، ثم سأله الصياد عن اسمه فقال عبد الله البحري ، وانت ما اسمك ؟ فقال الصياد اسمي عبد الله ، فقال انت عبد الله البري وانا عبد الله البحري قف هنا حتى أجيء اليك بهدية ، ثم رجع عبد الله البحري ويداه مملوءتان من جواهر البحر

ليس بين الخيرين حساب

فرح عبد الله البري ، واخذ الجواهر ، وعاد بها الى المدينة ، ولم يزل ماشيا حتى وصل الى الخباز ، وقال له
ـ يا اخي قد اتانا الخير ، فحاسبني

ـ ليس بيننا حساب ، ان كان معك شيء فهاته ، والا فخذ خبزك والدراهم ، وامض الى عيالك
ـ يا صاحبي اتانا الخير من فضل الله ، خذ هذا
اعطاه نصف الجواهر ، وعاد الى بيته فاخبر زوجته بما حدث ، فقالت له
ـ اكتم سرك لئلا يتسلط عليك الحكام

ـ ان كتمت سري عن جميع الناس فلا اكتمه عن احد الذي كان لي في الشدة خير معوان
في اليوم التالي ملأ السلة فاكهة وتوجه الى البحر والتقى بعبد الله البحري وقدمها له ، فاخذها وغطس في الماء ، ثم خرج بالسلة مملوءة بالجواهر ، فاخذها وذهب الى الخباز فاعطاه بعض الجواهر وقال له الخباز

ـ لقد خبزت لك خبزا خاصا وارسلته الى البيت

امسك . . حرامي

اخذ من كل صنف جوهرة نفيسة ، وذهب الى السوق ، وقال لشيخ السوق
ـ اشتر مني هذه الجواهر
ـ ارني اياها
فلما رآها شيخ السوق دهش وقال له
ـ هل عندك غيرها ؟

ـ عند ... ة مملوءة
ا ... ه الجواهر وقال لا تباعه
ـ اسمه ... انه اللص الذي سرق جواهر الملكة
اوثقوه وضربوه ، وتجمع الناس ، ثم اخذوه الى

الملك ، وقال شيخ السوق للملك
ـ يا ملك الزمان ، لما سرقت جواهر الملكة ارسلت الينا وطلبت منا ايقاع اللص ، فهذا هو بين يديك فنادى الملك « الطواشي » ، وامره ان يأخذ الجواهر ويعرضها على الملكة لتنظر اهي جواهرها ؟
قالت الملكة لزوجها الملك ـ
لقد عثرت على جواهري ولم تسرق ، ولكن هذه الجواهر احسن منها فاشترها لابنتك « ام السعود »
التفت الملك الى التجار وقال لهم
ـ يا ظلمة ، اتستكثرون النعمة على مؤمن ؟ لقد رزقه الله من حيث لا يحتسب ، اخرجوا لا بارك الله فيكم ، ثم قال للصياد
ـ بارك الله لك فيما انعم عليك ، لك الامان ، ولكن اخبرني بالصحيح من اين لك هذه الجواهر ؟

ـ يا ملك الزمان ، عندي سلة مملوءة منها
واخبره بالقصة كلها ، فقال الملك

هذا نصيبك ، ولكن المال يحتاج الى الجاه ، فانا ادفع عنك تسلط الناس عليك ، ولكن ربما عزلت او مت وتولى غيري فماذا تصنع ؟
ـ لا ادري يا ملك الزمان

ـ اسمع ايها الرجل ، انا اروجك ابنتي الوحيدة ، واجعلك وزيري ، واوصي لك بالملك من بعدي
قال الملك ذلك ، ثم امر ان يؤخذ الصياد الى الحمام ليغتسل وان يحضروا له ملابس تليق به كوزير ، ثم امر الملك باحضار زوجته واولاده ، فاكرمهم وداعب الاولاد استقبلت زوجته زوجة الصياد واكرمتها وحملتها ... برة لها ،

الصياد الوزير

صار عبد الله البري وزيرا ، وتم زواجه بابنة الملك في اليوم التالي نظر الملك من النافذة فرأى الوزير يحمل سلة ممتلئة بالفواكه فناداه وقال له

ـ ما هذا يا صهري ؟ والى اين ؟
ـ الى صاحبي عبد الله البحري حفاظا على موعدنا عند الشاطيء حتى لا يظن ان الدنيا الهتني عنه
صدقت اذهب الى صاحبك ، اعانك الله

ذهب الى صاحبه واعطاه الفاكهة واخذ الجواهر واستمر على ذلك عدة ايام ، وكل يوم يمر بفرن الخباز فيراه مغلقا ، فقال في نفسه هذا شيء عجيب يا ترى اين الخباز ؟ سأل جاره عن بيته ، فدله عليه ، طرق الباب ، فاطل الخباز من الكوة ، فرأى صاحبه الصياد وعلى رأسه سلة ، فاسرع وفتح له الباب ، وعانقه وقال له
ـ جزاك الله خيرا ، ليس في الامر شيء الا اني علمت ان بعض الناس كذبوا عليك واتهموك بالسرقة واخذوك الى الملك ، فخفت انا واغلقت المخبز واختفيت

اخبره عبد الله البري بما وقع له وان الملك زوجه ابنته واتخذه وزيرا ودفع اليه الجواهر التي كانت في السلة ثم ذهب الى الملك والسلة فارغة ، فقال له الملك
كأنك لم تجتمع بصديقك عبد الله البحري في هذا اليوم ؟

ـ ذهبت اليه ، والذي اعطاه لي اعطيته لصديقي الخباز ، فان له علي جميلا لا انساه .
ـ من يكون هذا الخباز ؟
ـ رجل صاحب معروف .
وحكى للملك ما جرى بينه وبين الخباز بالتفصيل .
قال الملك
ـ ما اسمه ؟

ـ عبد الله الخبار

ـ عبد الله الحبار ، وانت عبد الله البري ، وصاحبك عبد الله البحري ، وانا اسمي عبد الله

سكت الملك قليلا ثم قال

ـ عبيد الله احوان ارسل الى صاحبك الحبار ، وهاته لنجعله ورير الميسرة

حصر الخبار فألبسه الملك حلة ورير ، وصار هو ورير الميسرة وعبد الله البري ورير الميمنة

استمر عبد الله البري في علاقته مع عبد الله البحري ، وهما يتبادلان الفاكهة والجواهر وذات يوم جلسا يتحدثان ، وجرى الكلام الى ذكر المقابر ، فقال البحري

ـ يا اخي يقولون ان النبي صلى الله عليه وسلم مدفون عندكم في البر

ـ نعم في المدينة المنورة

ـ وهل يزوره الناس اهل البر ؟

ـ نعم

ـ هنيئا لكم يا اهل البر بزيارة هذا النبي الكريم ، هل زرته يا اخي ؟

ـ لا ، لأني كنت فقيرا ، ولا احد ما انفقه في سبيل الزيارة ، الآن وجبت على زيارته بعد ان احج الى بيت الله الحرام ، وما منعني من ذلك الا محبتك ، فاني لا اقدر ان افارقك يوما واحدا ،

ـ وهل تقدم محبتي على زيارة قبر الرسول ؟

ـ لا ان زيارة الرسول مقدمة عندي على كل شيء ، لهذا استأذنك في ذلك هذا العام

ـ واذا وقفت على قبره فاقرئه مني السلام ، وعندي امانة فادخل معي في البحر حتى آخذك الى مدينتي ، حلك بيتي ، واضيفك ، واعطيك الامانة لتضعها على القبر النبوي الشريف

ـ يا اخي انت خلقت في الماء ، ومسكنك الماء وهو لا يضرك ، الست اذا خرجت منه يلحقك الضرر ؟

ـ بلى يجف بدني وتهب على ريح البر فاموت

ـ كذلك انا ، خلقت في البر ومسكني البر ، فاذا دخلت في البحر يدخل الماء في جوفي ويخنقني فاموت

ـ لا تخف من ذلك فاني آتيك بدهان تدهن به جسمك فلا يضرك الماء

قال ذلك ونزل في البحر ، وغاب قليلا ثم رجع ومعه الدهان قال عبد الله البري

ـ توكلت على الله

وخلع ثيابه ، وحفر لها في الشاطئ حفرة اخفاها فيها ليلبسها عند خروجه من الماء ، ودهن جسمه ثم نزل في الماء وغطس رأى عبد الله البري في اعماق البحر عالما غريبا غريبا اكثر غرابة مما يحدثنا به علم البحار الحديث كالذي يكتبه في « العربي » عالمنا الاديب الدكتور عبد المحسن صالح.فاذا كان هذا علما يحاول ان يكشف المجهول ، فذاك خيال يسبح في ذلك المجهول ، والخيال يسبق العلم كما هو معروف

وفي المقال التالي ـ ان شاء الله ـ حديث ذلك الخيال فقد ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح ■■

عباس خضر

لا رحم الله أباك

دخل رجل من قبيلة الأزد على سليمان بن عبد الملك متظلما وقال : يا أمير المؤمنين ، انه توفي والدي وقد خلف وترك مالا كثيرا ، فوثب « أخونا » على مال « أبينا » وأخذه. فقال سليمان : لا رحم الله أباك ، ولا بارك الله فيما ورثته.

قبور في السماء سوداء وبيضاء

بقلم : الدكتور عبد المحسن صالح

عندما يتوقف الزمان ، وتتلاشى حدود المكان ، وتصبح المادة ذاتها في حبر كان ، فلابد أن تتوقف معارفنا عند هـذه الحدود ، وتقبر معها كل القوانين العلمية التي نتعامل بها في فهمنا لأسرار الكون ، وخبايا الوجود ، لأن القـوانين تصبح عاجزة عن توضيح ما يحدث في مناطق غريبة في السموات !

ادا حدث دلك ، فاعلم انك تقف امام قبر من قبور الفصاء ، وهي التي يطلق العلماء عليها اسم الثقوب السوداء ، وما هي بالثقوب التي وقرت في العقول ، ولاهي بالسوداء ـ كما تدل الأوصاف ، لأن الأوصاف داتها ليست واردة هناك ، بل ربما نشأت التسمية والوصف نتيجة لجهلنا بما هو كائن ويكون !

لكن دلك لايعني ان هذه القبور او الثقوب غير موجودة ، بل نعني ان مداركنا ومعارفنا بالأساسيات التي نشأ عليها عالمنا ، غير واردة ولاسارية في هده العوالم الرائلة المجهولة ، فماذا نعني حقا بوجود ثقب في الفصاء وهو فصاء ؟

ان دلك يرجع اساسا الى قوة من قوى الكون التي تعمل في الخفاء صحيح اننا نحس بها على ارضنا ، ودائما ابدا تجدبنا اليها كلما سولت لنا نفوسنا بالقفز الى أعلى ، عندئد نجدها تشدنا الى الأرض شدا ، فلا نستطيع لذلك صدا ، اللهم الا اذا استنبطنا وسيلة نتغلب بها على هده القوة غير المنظورة ، علنا نهرب من قبضتها! ، ولقد تحقق ذلك في معر الفصاء ، اذ انها تنطلق بقوة دفع هائلة ، فتتخلص من حـ بية الأرض الى الأبد ، لكن دلك لايمنع من وقوعها في حـ بة اي جرم سماوي آخر ، خاصة اذا حلت برحابه وهدا يعني ان قوى الجاذبية شيء متوارث في طبيعة الكون ذاتها ، فحيث وحدت المادة ، صاحبتها الجاذبية ، وكأنما هما كالجسد والروح ، او كالموت والحياة

للجاذبية درجات

لكن ماذا نعني هده الجاذبية حقا بالنسبة للثقوب السوداء ؟

الواقع ان هذه ربيبة تلك ، فعندما تتعاظم قوى الجاذبية ، لتصبح قريبة من حدودها اللانهائية ، فانها تسحق كل شيء سحقا ، وتطويه طيا ، او تكوره وتبيده من الوجود ، وبحيث تتلاشى حدود الزمان والمكان والمادة ، او كل صفة كونية نعيها في عقولنا ، او نشعر بها بأحاسيسنا

ان قوى الجاذبية الرهيبة هي المسئولة حقا عن تكوين الثقوب السوداء ، وفيها تتغير طبيعة الأشياء ، اد كلما زادت قبضتها ، تضاعف جبروتها ، وتلاعبت بالزمن لتجمده ، وبالفضاء لتكوره ، وبالتجسيد المادي لتمحقه ، فلا تستطيع ان تحدد معنى زمن او مادة او مكان ، لأنها تطوي كل هذا في « جيبها » حتى الأضواء المنطلقة او الموجات المتحررة لاتسلم من قبضتها ، فلو اننا تصورنا وجود كائن كوني في جوفها؟

مجرد تصور ، واراد ان يطلق شعاعا ضوئيا من كشاف قوي ، فان الضوء ذاته ، لايحقق مساره ، بل ينطوي على نفسه ، وينكور ويعود ليقبر في ثقبه الأسود !

وطبيعي ان مثل هذه الأمور غريبة اشد الغرابة على عقولنا ومداركنا ، بل هي أغرب مما نتصور ، ولقد وضعت علماء الرياضيات والفيزياء الكونية في مأزق كبير يعصر عقولهم عصرا ، ومع ذلك فلا مفر من تقبلها ولامهرب ، حتى ولو أدى ذلك الى احناء الرؤوس ، وترويض العقول فخير لنا ان نروض عقولنا على تقبل مايحدث في الكون من امور محيرة اشد حيرة ، على ان نروض الكون ذاته لعقولنا ، لانه أكبر وأعظم من العقول المحدودة !

ومع ذلك ، فلقد جاءت المعادلات الرياضية لتكون امام العلماء بمثابة « حجر رشيد » الكون ، اذ انها تشير الى مفاتيح ألغاز وأسرار لا يمكن تصديقها ، ولو كانت القضية قضية معادلات صاغها العلماء في عقولهم ، وكتبوها على هيئة طلاسم في مراجعهم ، لهان الأمر ، ولاعتبرنا ما جاءوا به مراحا رياضيا قد يسعد العقول او يشقيها ، ولكن المعادلات قد اشارت ـ في الحقيقة ـ الى ظواهر غريبة بدأ علماء الفلك تسجيل احداثها بمراصدهم الجبارة التي تشير الى وجود ثقوب في السماء !

لكن ماذا سيدور بخلدك ، لو جاء احد العلماء وقال ان أرضنا العظيمة لو تهاوت في واحد من هذه الثقوب السوداء ، فانها لن تشغل منه الا حجم عقلة اصبع او ربما أصأل ، ليس هذا فحسب بل ان بعض العلماء يشير الى ان الأرض هناك قد تصبح على هيئة نقطة من التي تراها هنا فوق الحروف او تحتها ، هذا رغم ان ارضنا تبلغ من القطر حوالى ١٢ ألف كيلو متر ، ومن الوزن حوالي ستة آلاف مليون مليون طن كل هذا يتضاءل الى نقطة

ان أحدا لايلوم أحدا لو تسرع وقال انه تهريف وتخريف ، لكن لاشيء ـ في الحقيقة ـ يمنع حدوث ذلك ، رغم ان العقل البشري لايستطيع هضم ذلك !

ان ذلك يعيد الى الذهن ماكتبه العالم الرياضي الفيزيائي « سير » آرثر ادينجتون في عام ١٩٢٦ ، عندما اشار بعض علماء الفلك الى اكتشاف نجم صغير مصاحب للشعرى اليمانية (والذي يبعد عن ارضنا حوالى تسع سنوات ضوئية) ، وقالوا عنه انه نجم ميت متجمد وذو مادة ثقيلة ، بحيث تزن البوصة المكعبة منه حوالى الف طن ، عندئذ رفض معظم الفلكيين تصديق ذلك ، وعلق ادينجتون على ذلك في عام ١٩٢٦ « لو ان الرسالة التي بعث بها النجم المرافق للشعرى اليمانية قد كتبت شفراتها بلغتنا ، فربما تجيء هكذا انا نجم يتكون من مادة اثقل بثلاثة آلاف مرة من أية مادة معروفة لكم ، اذن فماذا يكون التعليق لو ان أحدا سمع ذلك في عام١٩١٤ ؟ سيكون التعليق خير لك ان تصمت بدلا من هذه السفسطة ! »

أكثر من ذلك قد يقال الآن ، خاصة اذا ألمحنا الى ان الثقب الأسود قد يبتلع ملايين النجوم ، ثم يسحقها سحقا ، ولا أثر الا قوى الجاذبية الهائلة التي تتركها مادة النجوم خلفها ، لتزيد سحقها لكل مايسقط نحوها !

والواقع ان مؤلفي الخيال العلمي لن يسعفهم خيالهم الخصيب لتقديم مثل هذه الصورة المرعبة حقا ، والمرفوضة عقلا ، ومع ذلك فليست قصة الثقوب السوداء الا مؤشرا حقيقيا لصورة اخرى من صور موت المادة وفنائها ، لكن لاشيء حقا الى فناء ، اذ يبدو ان النجوم تموت في ثقوب سوداء ،

ثم تبعث من خلال ثقوب بيضاء ، او هكذا يشير بعض العلماء !

حقيقة الثقوب السوداء

كأننا نحن بهذا القول نخرج من لغز محير ، لندخل في لغز آخر اكثر حيرة ، فماذا تعني حقا تلك الثقوب السوداء والبيضاء ؟

ان الثقب الأسود ببساطة شديدة يمثل حالة من حالات الموت التي تحل ببعض نجوم السماء ، او هو قبر من انواع ثلاثة من القبور التي تتردى فيها مادة النجوم ، لكن الثقب الأسود اشد هذه القبور غموضا ، واعظمها عمقا ، لأنه لاينشأ الا من موت نجم عظيم ، ولكي يتكون ـ بمادته الميتة ـ قبر او ثقب اسود ، فلابد ان تكون كتلة هذه المادة المنهارة قدر كتلة ثلاثة نجوم من نوع شمسنا ، او اكثر ، او هكذا تشير المعادلات الرياضية النابعة من الأسس الكونية ، كما اشارت من قبل الى ان موت النجوم الصغيرة والمتوسطة يؤدي الى انهيار مادتها في جوفها تحت وطأة قوى الجاذبية ، وكلما كانت الكتلة كبيرة ، كان الانهيار شديدا ، والضغط عظيما ، والكثافة في الجوف حد الخيال ، ولقد اكتشفت بالفعل امثال هذه النجوم الميتة التي تسكن

عندما تتسلط حادبية الثقب الأسود على ما حولها من مادة (ممثلة بنجم عملاق) فانها تجدبها بضراوة بالغة ، وعند اندفاعها نحو الثقب بسرعة هائلة ، تنطلق منها اشعاعات عنيفة (أشعة إكس) ترصد بالتليسكوبات

التعرف عليها ، والاستدلال على وجودها ، ووضعها في رتب خاصة ، وتمييزها الى أقزام بيض ناشئة من موت النجوم الصغيرة نسبيا ، أو نجوم نيوترونية تمخضت عن انهيار نجوم اكبر من شمسنا بحوالي مرتين او ثلاثا (انظر دراستنا السابقة على صفحات هذه المجلة بعنوان وللنجوم في موتها منازل وأقدار)

ثم اذا ماقورنت كثافة المادة او ثقلها في جوف النجوم الميتة ، لوجدتها في ثلاثة مستويات فالبوصة المكعبة من مادة القزم الأبيض تزن حوالى الف طن ، في حين انها تصل في النجم النيوتروني الى حوالى عشرة آلاف مليون طن للبوصة المكعبة ، لكنها في الثقب الأسود اكثر من ذلك بملايين المرات انها كثافة اقرب الى اللانهائية

ومن المبادئ العلمية المعروفة ان قوة جاذبية اي جسم سماوي تزيد بزيادة كتلته فالانسان على سطح القمر يحس انه أخف كثيرا ، لأن جاذبية القمر اقل من جاذبية الأرض ، ولأن الأرض اكبر او اثقل من القمر ، وهو على المشترى أثقل كثيرا ، لأن هذا الكوكب اكبر كتلة وجاذبية من الارض صحيح ان كتلة الانسان لم تتغير ، لكن التغير يرجع الى تغير في قوى الجاذبية ذاتها ، ولنتصور بعد ذلك ان الانسان قد حل ضيفا على جرم سماوي اكبر كتلة من الأرض بملايين المرات ، عندئذ قد يسحق نتيجة للجذب الهائل الذي يتسلط على جسمه ، وهنا لايدق لحمه وشحمه في عظامه فحسب ، بل تدك ايضا اليكترونات ذراته في أنويتها ، وتنسحق مادة جسمه الى حجم ميكروب لايرى الا بالميكروسكوب ، لكن ذلك لايحدث الا اذا حل

على رفات نجم نيوتروني ميت تصل كثافة المادة فيه الى مليون بليون مرة قدر كثافة المادة العادية التي نتعامل معها في عالمنا ، او نطويها في اجسامنا

لكن الأمور قد تتجاوز ذلك في مركز الثقب الأسود ، حيث تصل كثافة المادة الى بليون بليون بليون مرة (واحد مسبوق بسبعة وعشرين صفرا) قدر كثافة المادة العادية ، وطبيعي أن أحدا لايستطيع ان يستوعب ذلك ، فكأنما أية مادة تتهاوى في الثقب الأسود ، تصبح أثرا بعد عين ، ويرجع ذلك حقا الى ان قوى الجاذبية قد اخذت مبدأ المبادرة ، وأصبحت لها السيادة على كل القوى الأخرى المعروفة ، وبحيث تفعل فيها ماتشاء ، دون ان نعرف شيئا عما يحدث هناك

ومن أين جاءت هذه الجاذبية الهائلة ، وكيف نشأت ؟
الواقع انها كانت مصاحبة للنجم العظيم الذي مات ، وعندما انفجر وانتشرت معظم مادته في الفضاء ، اندفعت الى جوفه بعنف شديد بعض مكونات هذه المادة ، ولابد ان تكون كتلة المادة المنهارة ذاتها اكبر من كتلة شمسنا بحوالى ثلاث مرات ، ولايهم بعد ذلك ماتشتت من مادة العملاق في الفضاء (هناك نجوم أكبر من شمسنا بعشرات المرات) ، لكن المهم ان تندفع بعض هذه الكتل الجبارة الى قلب النجم بفعل الجاذبية التي كان النجم يقاومها دائما أثناء حياته ، وكلما زاد الضغط ، تعاظمت الكثافة ، وقويت قبضة الجاذبية ، وسحقت المادة ، الى ان تصل الى حدود اللانهائية ، ونحن لانستطيع ان نستوعب معنى

اللانهائية على أية حال لا في زمن ، ولا جاذبية ، ولا أكوان ، ولا مادة ، ولا فضاء !

حدود المعرفة

ومما لاشك فيه ان مثل هذه الأمور لاتنشأ من فراغ ، اذ لاشيء يأتي من لاشيء ، وطبيعي ان العلماء يتعاملون مع الكون على اساس معادلات رياضية ـ كما ذكرنا ، وفي هذه المعادلات يتناولون كل شيء فيه بالتحليل الرياضي ، ولولا ذلك ، لما استطاع الانسان مثلا ان يغزو الفضاء بصواريخه الجبارة ، اذ لابد ان يكون كل شيء محسوبا ومقدرا مقدما ـ الكتلة والجاذبية والزمن والحركة وما شابه ذلك

ان انطلاق صاروخ من القمر ليهرب من جاذبيته ، يحتاج الى سرعة دفع اقل من سرعة الدفع التي يحتاجها نفس الصاروخ وهو قابع على الأرض ، ليهرب من جاذبيتها كذلك ، ففي الحالة الأولى تصل قوة الدفع الى ٢,٤ من الكيلومتر في الثانية الواحدة ، في حين أنها ١١,٢ من الكيلومتر في الحالة الثانية ، ومن على المشترى ٦٠,٥ كيلومتر في الثانية ، ومن على الشمس (فرضا) ٦١٧ كيلومترا ، ومن فوق قزم ابيض ٣٤٠٠ كيلو متر ، ومن النجم النيوتروني ٢٠٠ ألف كيلو متر في الثانية لكي يهرب من قبضة جاذبيته ، اما بالنسبة للثقب الأسود ، فلا مفر ولامهرب ، حتى ولو بلغت سرعة الهروب ٣٠٠ ألف كيلومتر في الثانية (سرعة الضوء) !

لاشك اذن ان الجاذبية الهائلة في الثقب الأسود تلعب لعبتها لتعلمه بالسواد ، فالمادة فيه ثقيلة وكثيفة الى أبعد الحدود ، ولايعلو عليها شيء آخر من طواهر الكون التي نعرفها ، لكن ليس معنى التعليف بالسواد ، ان الثقب نفسه اسود اللون ، بل يعني ان الموجات الكهرومغناطيسية المختلفة (ومنها بطبيعة الحال موجات الضوء) تقبر فيه ، ولاتستطيع منه هروبا ، ومن هنا تقف معارفنا عند حدودها ، لأن معرفتنا بأسرار الكون انما تعتمد اساسا على الموجات التي تبعثها الأجسام السماوية ، وتنتشر حولها بطول السموات وعرضها ، حتى تصل الى ارضنا ، فترصدها اجهزة الرصد الجبارة المنتشرة على كوكبنا ، وتحدثنا بأخبارها الا الثقوب السوداء ، فلا اخبار منها ولا انباء ، اذ كيف نعرف الأخبار بدون اخبار . بدون موجات ؟

هل يعني ذلك حقا اننا نتحدث عن ظواهر كونية غيبية ، رغم ان العلوم التطبيقية بعيدة كل البعد عن البحوث في الغيبيات ؟ ثم كيف نتحدث عن اشياء لايمكن رؤيتها أو رصدها او التعرف عليها من رسائلها الموجية غير الموجودة أصلا ؟ ثم مايدرينا ان المعادلات الرياضية نفسها يمكن ان تكون صحيحة في كل الأحوال ؟

الواقع ان للثقب الأسود علامات تشير اليه ، وتدل عليه ، حتى ولو لم نره مراصدنا ، او نتعرف عنه تحليلاتنا الاعرابي مثلا قد يحرك بان غزالا قد مر من هنا ، او جملا قد سار على هذه الرمال ، وهو محمل الأثقال ، رغم انك وانه لم تريا الجمل مما حمل ، لكن من آثار القدم ، يستطيع ان يتعرف على الغزال والجمل

وكذلك الحال مع العلماء ، فهم يرون الآثار التي تحيط بالثقب الأسود ، لكنهم لم يروا ابدا ماذا يحدث بداخله ، ولاطبيعة المادة الكامنة في جوفه ، فهناك حدود حقيقية للمعرفة ، ولهذه الحدود أبعاد ، ولقد امكن حسابها ، ومعرفة ابعادها ، ولها اقطار تختلف باختلاف كمية المادة المدفونة ، فكلما كانت أضخم ، كانت الحدود حولها أكبر ، وآثار الجاذبية اعظم ، وهي ـ على أية حال ـ خطوط وهمية كخطوط الطول والعرض التي يحدد بها العلماء ابعاد الأرض ، اي ليس لها من وجود حقيقي ، لكنها مع ذلك تساعدنا على تحديد طبيعة الأشياء في ارض او سماء ، وكل هذا تحكمه معادلات رياضية ، وحسابات فلكية

ولقد اطلق العلماء على الحدود التي تحيط بالثقوب السوداء اسم أفق الحدث او الكارثة او القبر او الثقب ، تعددت الأسماء ، والمعنى واحد ، وهذا الأفق الغريب يفصل بين عالمين مختلفين ، عالمنا الذي نعيش فيه ، ونتعامل معه بنظرياتنا ومداركنا ومعادلاتنا ومشاهداتنا ، وعالم آخر يغلفه الأفق في داخل الثقب الأسود بالسرية والكتمان ، وفيه تتهاوى حدود الزمان والمكان ، وتصبح المادة ذاتها في حال غير الحال ، ولهذا اطلقوا عليها الحالة المفردة او المتفردة ، أي التي ليس كمثلها شيء مما تعرفه عقول البشر ، حتى ولو احتمعوا لها بكل معادلاتهم وقوانينهم ونظرياتهم ، ذلك ان كل شيء في هذا العالم الكائن في داخل الثقب او القبر الأسود ، يبدو وكأنما هو محظور علينا معرفته ، لكن مسموح لنا فقط بمعرفة ما يجري خارجه ، اي اكواننا الحية والمنظورة والمحسوسة سواء في الأرض او السموات ، وفيما وراء ذلك لاطموح لنا في ادراكه !

علامات على الطريق

ـس ما يدرينا ان حسابات ومعادلات علماء الطبيعة الكونية صحيحة ؟ وهل هناك دليل على وجود ثقوب سوداء في السماء ؟

لكي لاتصبح الحسابات حبرا على ورق ، فلابد من بحث للخروج من هذا المأزق فالمعادلات تشير الى وجود جاذبية هائلة في جوف الثقب ، لكن هذه الجاذبية تنتشر حوله ايضا ، كما تنتشر في أي جرم سماوي او حوله ، وما دامت معرفتنا معدومة بما يجري من احداث في داخل الثقوب السوداء ، فلا أقل من البحث في الظواهر التي تنتشر حولها ، واهمها على الاطلاق هي قوى الجاذبية الرهيبة التي تجذب اي شيء لتدخله الى هذا العالم المجهول ، ذلك ان الجاذبية على أفق الحدث ذاته ، أو على حدوده ، أكبر من الجاذبية التي تمارسها على سطح كوكبنا بحوالي ١,٥٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ مرة (اي ١,٥ مليون مليون مرة) ، ولهذا فلو تصورنا ان انسانا كان يقف على حافة هذا القبر السماوي ، فانه سيتثاقل او يتضاعف وزنه الى حوالي ١٠٠ تريليون كيلو جرام ، لأن الكثافة ذاتها ستصبح على الحافة حوالي ١٧,٨٠٠,٠٠٠,٠٠٠ طن لكل سنتيمتر مكعب واحد ، وهي بلا شك في مركز الثقب أعنف وأكبر من ذلك !

ومثل هذه الأرقام الكونية توضح أن الأمور هناك فوق عادية ، ومن أجل هذا فان أقرب تصور لحالة الثقب الأسود أنه أشبه بدوامة سماوية هائلة ، أو هي دوامة جاذبية تخلق حولها تيارات لتدور بكل شيء حولها ، الى أن يسقط في جوفها ، مع الاختلاف طبعا بين طبيعة دوامة مائية أو هوائية ، ودوامات جاذبية ، اذ أن كل شيء يسوقه قدره للاقتراب من دوامة الجاذبية ، فلا مفر من بلعه في جوفها ، أو كأنما هي أشبه « بمكانس » سماوية جبارة « تشفط » ما حولها ، ليعبر أفق الحدث ، ويروح في خبر كان ، دون أن نعرف الى أين ذهب ، أو ما حدث .

وطبيعي ان هذه المكانس او الثقوب لاتتعامل الا مع كميات هائلة من المادة ، ذلك أن الثقب الأسود يلتهم النجوم بنفس السهولة التي نلتهم بها الطعام ونحن جوعى ، وحيث نشبع نحن بعد دقائق قد تطول ، الا ان الثقب الأسود لايشبع ابدا ، فكلما زاد بلعه ، زاد نهمه ، وكأن لسان حاله يقول « هل من جديد هل من مزيد ؟! »

الثقب الأسود كما يتصوره العلماء يبدو هنا كدوامة كونية يختفي فيها الزمان والمكان والمادة بكل صورها (ممثلة بنماذج اعلى الصورة) وبحيث تتحول كل ظاهرة معروفة في عالمنا الى حالة مفردة ليس كمثلها شيء بعد أن تتخطى أفق الحدث

ويبدو ان الثقوب السوداء هي « جبانة » أو مقبرة النجوم ، او أية مادة كونية اخرى ، اذ ان هذه المقابر السماوية تنمو وتتسع وتنتشر جاذبيتها الرهيبة على كل ما حولها لأن الجذب يزيد ، كلما زاد الرصيد ، ولا رصيد بالمعنى المفهوم ، لأن رصيدها ليس مادة ، بل هو في الحقيقة « حالة » حالة متفردة لا يدرك احد أبعادها ، فكأنما المادة ذاتها قد تحولت الى قوى جذب ، أو كأنما هي بالنسبة لمجموعتنا الشمسية كلها بمثابة انسان « يقزقز اللب » اي ان المجموعة لاتحتل في جوفها شيئا مذكورا !

ولكي نتعرف على وجود الثقوب السوداء ، فلا بد من البحث أولا في « مراسم » الدفن ، وما يصاحبها من « بكاء ونحيب » ، ذلك أن كل مادة كونية يسوقها قدرها للاقتراب من جاذبية الثقب ، فلا بد أن تشدها اليها بضراوة ، وكلما اقتربت أكثر ، جذبتها أعظم . وأعظم وأعظم ،وفي هذه الاثناء يصاحب اندفاعها موجات كهرومغناطيسية أعنف وأعنف ، وكأنما هي بمثابة الأنباء التي تصل العلماء ، كشهادة وفاة تسبق عملية الانتقال من كونها المعلوم الى كون مجهول بكل أبعاده

من خلال هذه الصورة التوضيحية تصور وجود الثقب الأسود في الفضاء ، وحدوده تفصل بين عالمه الغامض وبين عالمنا الذي نتعامل معه بأحاسيسنا ومعاملاتنا ونظرياتنا

يوضح هذا الرسم ببساطة شديدة (١) كيف تعمل قوتان متضادتان متساويتان (جاذبية الى الجوف يقابلها طاقة رهيبة تدفعها للخارج) للحفاظ على حياة النجوم من الانهيار ، لكنها في النهاية تنهار وتتكدس المادة في الجوف (٢) ثم قد يتكون نتيجة لذلك ثقب أسود (٣) يبلع كل شيء حوله نتيجة لجاذبيته العنيفة ، ثم تنبعث المادة من خلال ثقب ابيض ، بعد ان تمر في نفق (تصوري بطبيعة الحال) وهو هنا موت وبعث على مستواه الكوني الضخم

مجرتنا التي نعيش فيها ، والسهم يشير الى موضع المجموعة الشمسية التي تقع في الثلث الخارجي لحافة المجرة . ونظرا للاحداث غير العادية التي تتم في قلب المجرة أو مركزها وما ينبعث منها من إشعاعات حارة ، فان بعض العلماء يعتقد أن هذا القلب ربما كان بؤرة لثقب أسود يلتهم كل يوم مادة قدر المادة الموجودة في شمسنا هذا وتبلغ كتلة الشمس حوالي ٢ بليون بليون بليون طن !

تجمع كثيف من نجوم يعتقد العلماء انه يحتوي في مركزه على
ثقب أسود تتهاوى فيه النجوم المزدحمة في قلب التكوين

معانيه ، فاذا تخطت حافة القبر ، أوافق الحدث ، فلا ىس ولاخبر !

البحث عن القبور السوداء

والواقع ان العلماء يتعاملون مع الكون من خلال مادته موجاته ، لأن هذه تنبع من تلك ، ولاشك أن الموجات وضح لنا الحالات التي تتعرض لها المادة في فرحها ضنكها ، وفي ابتعاد الأكوان عنا ، أو اندفاعها نحونا ، ر مرورها في مجالات مغناطيسية ، أو تعرضها لقوى لجاذبية ، الى آخر هذه الأمور التي تصبح فيها الموجات شابة « الف باء » الكون ، أو هي لغته الشعرية التي تحكي نا أحداثه وبعثه وموته ودفنه الخ

ونحن لا نتعامل مع هذه الموجات بذاتنا أو أحاسيسنا ، أن حواسنا قاصرة عن ذلك ، ومع ذلك فهناك أجهزة ستقبال فائقة الحساسية ، وهي جزء هام من المراصد لفلكية التي تلتقط أنباء السموات بالصورة والموجة ، رتتوغل في حناياها لآلاف الملايين من السنوات الضوئية ، رترصد كل بقعة في السماء ، وتمدنا بالأنباء ، وقد يكون لرصد من خلال موجات الراديو ، أو الموجات تحت لحمراء (الأشعة الحرارية) ، أو موجات الضوء لمنظور ، أو الأشعة فوق البنفسجية أو الأشعة السينية (أشعة إكس) أو أشعة جاما ، وكل واحدة من هذه تنبىء عن حالة ، لكن ما علينا من كل ذلك ، فالشرح قد يتشعب ويطول ، لكن يكفي أن نقول أن المراصد عندما تتوجه الى أي ركن في السماء ، وتلتقط أحداثه ، فانها تأتي مادة بكل ما هو مثير وغريب ، وأحيانا يمكن تفسير لظاهرة ، وأحيانا أخرى تضن على التفسير ، وهنا يقدح لعلماء زناد فكرهم ، ويطورون معادلاتهم ونظرياتهم علهم يصقلون معارفهم ، فيقتربون من الحقيقة ، علهم صبحون منها قاب قوسين أو أدنى

ولقد التقط العلماء بالعمل رسائل غريبة ، مسجلة بالأشعة السينية ، وعندما تسلطت المناظير الفلكية لرصد مصادرها ، لم يروا لدهشتهم اي جسم سماوي قد يكون هو المسئول عن بثها ، واغرب من ذلك ان البث لم يكن صادرا الى الخارج ، كما هو الحال في اي نجم او منطقة « ساخنة » في السماء ، لكنه بث الى الداخل ، بمعنى ان هناك بؤرة غريبة تصطاد كل ما حولها ، وتدفنه في باطنها ، ودون ان يظهر في الباطن شيء على الاطلاق

كذلك يعتقد بعض العلماء ـ نتيجة لدراسات طـ ـة ومعقدة ـ ان مراكز معظم المجرات ـ ومنها مجرتنا ـ ليـ ـ في الواقع الا بؤرات لدفن نجومها التي تتكدس حول ـ وتهوي فيها ، اذ تصل كثافة النجوم في قلب المجرة لمئـ الألوف او ربما الملايين قدر كثافتها على حافة المجرة ، ويذهب بعض العلماء الى أبعد من ذلك ويقدرون ان الثقب الأسود في مركز مجرتنا ربما يكون قد ابتلع وأباد حوالى مائة مليون شمس ، والبقية تأتي ، ورغم ان هذا الرقم كبير ومخيف ، الا انه لايمثل الا جزءا واحدا من الف جزء من نجوم مجرتنا ـ وهناك حقائق اخرى كثيرة ومثيرة ، لكن المجال هنا لايتسع لذكر المزيد

الموت والبعث على المستوى الكوني

هل يعني هذا أن النجوم والمجرات والكون ذاته كل هذه الأشياء ستدفن في ثقب اسود ؟

الواقع ان كثيرا من العلماء يعتقدون ذلك ، خاصة وان الدلائل التي تجمعت تشير الى ذلك ، فهناك ظواهر كونية غريبة اشد الغرابة ، ولغرابتها جعلت العلماء يضربون اخماسا في أسداس ، ولهذا اطلق بعضهم عليها ظواهر او اكوانا غير عادية او اكوانا عليا Super universes ولن نتعرض لتفاصيلها هنا لضيق المجال ، لكن هذه التفاصيل تشير الى ان الثقوب السوداء ـ رغم غرابتها ـ هي الملجأ الاخير لتفسير ما يعجزون عن تفسيره !

ولاشك ان هناك سؤالا هاما ربما يكون قد راود بعض العقول ، والسؤال المحير هو اين تذهب مادة ملايين الشموس المقبورة ؟ وهل تبقى حقا على هيئة حالة مفردة او متفردة ؟ وهل يمكن ان يطوى الزمان والمكان الى الابد ، فلا يكون لهما في داخل الثقب الاسود من وجود حقيقي ؟ وماذا يعني حقا اختفاء الزمان والمكان ؟ وكلها ـ كما ترى ـ أسئلة حرجة تعصر العقول المفكرة عصرا ، ومع ذلك ، فقد راح العلماء يبحثون عن بعض الحلول ، علها تريح العقول ، ولقد برزت بعض هذه الحلول لتكون اقرب الى مداركنا فيما نعرفه ـ نسبيا ـ عن معنى التناسق في الظواهر الطبيعية ـ فكما كان هناك نور وظلام ، وسالب وموجب ، وخير وشر ، وموت وحياة ، وأسود وابيض ، وماض ومستقبل الخ البحـ ـ كذلك كان التناسق في بناء هذه الاكوان وبعثها وموتـ

يعني هذا ان الثقب الاسود ظاهرة او حالة تدفن بها المادة القديمة ، لكنها تبعث مرة اخرى من خلال ـ ابيض ، وهو ايضا حالة اخرى لا ندري عن طـ ـها شيئا ، ومن خلال هذا الثقب الابيض ، ينفرد ا ـ ان

(...اء) ، ويسري الزمان ، بعد ان مر هذا وذاك ... من الانطواء التي لا زمان فيها ولا مكان !

...كن ما هو الثقب الابيض ؟

ليس هناك ما هو ايسر من تعريف كتبه الملكي آدريان بيري عن ذلك « ان الثقب الابيض ليس اقل غرابة من الثقب الأسود ، لكنه ببساطة عكس الأسود فحيث يبدو الثقب الأسود انطواء الى الداخل ، يبدو الثقب الأبيض انتشارا الى الخارج ، اي ان العملية معكوسة ، واذا كان كل شيء لا يستطيع ان يهرب من الثقب الاسود ، الا ان كل شيء - ان آجلا او عاجلا - سوف يهرب من الثقب الأبيض ، واذا كانت الثقوب السوداء يمكن معاملتها على انها ظواهر كونية لذلك فان الثقوب البيضاء هي الظواهر الكونية المضادة او المعكوسة **Antiphenomena**

وعلى نمس هذه الظواهر الغريبة يعلق العالم الرياضي روبرت هيلمنج بقوله « ان الثقوب السوداء مرتبطة بالثقوب البيضاء وانه في نقط محددة بين هذه وتلك ، يرتبط عالمنا (الاكوان المرئية او المرصودة) ويوصل بالحالات المتفردة في الثقوب السوداء والبيضاء » وربما يعني هيلمنج بذلك ان اكواننا التي نعرفها هي حالة وسط بين حالتين متناقضتين لا نعرف عن طبيعتهما شيئا ولا ندرك ما يجري فيهما او لنصعها هنا بتصور قريب لنا حيما وهي حالة الاجسام الميتة التي تعود الى التراب او تتحول الى عناصر بسيطة لكنها بعد ذلك تدخل في تكوين اجسام الاحياء من خلال دورات ازلية تتم على كوكبنا بمعنى ان كل ما يخرج من عناصر الارض لا بد ان يعود الى الارض في عمليات بناء وهدم متتالية ربما مصداقا للآية الكريمة « منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى »

كذلك الحال مع الثقوب السوداء والبيضاء ففي الثقوب السوداء تقبر الاكوان القديمة ومن الثقوب البيضاء تبعث الاكوان الجديدة لكن كيف يتم ذلك فلا ندري عن ذلك شيئا كل ما ندريه ان السموات قد نصبت امامنا مسرحا هائلا لنرى فيه احداثا تتم بدورها عن هدم وبناء او موت وحياة على كل المستويات في المادة والزمان والمكان ، فحيث توجد اي ظاهرة من هذه الظواهر فلابد من وجود الاخرى،بذلك ان المادة مرتبطة بالزمان والمكان لا مادة،اذن لا مكان ولا زمان،وكل هذا،مرتبط ايضا بمعادلات رياضية عالج البرت اينشتاين بعضها في نظريته النسبية ولا ننسى بطبيعة الحال ان بعض معادلات هذه النظرية قد تحقق تطبيقه في القنابل الذرية والهيدروجينية ، وجاء من بعده خلف اضاف الى معادلاته الكثير وبها تفتحت العقول على اسرار الكون واشارت الى ما يمكن ان يعتري المادة والزمان والمكان من احداث غريبة قد لا يمكن استيعاب بعضها الا من خلال المعادلات وبحيث لا تنفع معها لغتنا العادية التي نعبر بها عن امور عالمنا العادي كذلك ، لكن الامر يختلف مع الثقوب السوداء والبيضاء فعندها تتوقف حدود معرفتنا اذ ليس كمثلها شيء مما بين ايدينا

لقد ذكرنا ان ما بداخل الثقب الأسود لايمكن ان يرى ، حيث لايخرج منه شيء على الاطلاق ، لينم عن طبيعته ، لكن الثقب الأبيض قد يرى ، لأنه بعث جديد على مستوى المادة الكونية المهارة ، وفي البعث نشور ، وفي النشور ظهور ، ولقد وقعت « عيون » المراصد الفلكية الجبارة على ظواهر كونية باهرة الضياء ، وتقع بالنسبة لنا على حافة الكون المنظور ، اي على مسافات جبارة تقدر بحوالى ١٢ الف مليون سنة ضوئية ، وعلى مثل هذا البعد الشاسع لايمكن ان يظهر شيء ، لكنه ظهر ، لأن الأضواء هناك ليس كمثلها ضوء آخر معروف لا في شدته ولا جبروته ولقد اطلق العلماء عليها اسم الكوازرات **Quasers** ، وتعني النجوم الثاقبة او شديدة الضياء ، وهي ليست بنجوم ، بل مجرات تقدر اعدادها بالملايين ، وقيل عنها الكثير ، ومن ضمن ماقيل انها ثقوب بيضاء ، تقابلها ثقوب سوداء الأولى ترى ، والثانية لاترى فكأنما خروج كون جديد ، يتم عن طريق كون قديم ، اذ يدخل هذا من ثقب ، ليخرج ذاك من « ثقب » وكأنما ينطبق عليها نص الآية الكريمة « يخرج الحي من الميت ، ويخرج الميت من الحي » . سواء كان ذلك على مستوى مخلوقات او نجوم ومجرات !

هناك ايضا مجرات غريبة كأنما هي تلتهم مادتها ، لتتحول الى اضواء باهرة ، ولقد اطلقوا عليها اسم مجرات سيفرت **Seyfert** نسبة الى مكتشفها العالم الفلكي كارل سيفرت ، وفي هذه المجرات الغريبة ايضا يتشعب الحديث ويطول ، لكن يكفي ان نقول انها مؤشر حسن لوجود ثقوب سوداء توصل الى ثقوب بيضاء او هي قبور ونشور ، او موت وحياة الخ

أي كأنما المادة الكونية تموت وتبعث ، وتطوى ثم تعود الى الظهور ، وتتكرر العملية الى الأبد ، ليكون الدوام لقدرة الله وجلاله في اكوانه ، فتصبح اقرب الى المفهوم الذي ورد في القرآن الكريم « يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب ، كما بدأنا أول خلق نعيده ، وعدا علينا انا كنا فاعلين » وفي هذا الكفاية لقوم يتفكرون ويتدبرون ■■

الاسكندرية - د عبد المحسن صالح

المدفي

السودان

ورحلة مع الأرض والماء والمستقبل

استطلاع : منير نصيف

تصوير طالب الحسيني

ثمة شعور ينتابني في كل مرة أحزم فيها أمري وأذهب الى البلد الشقيق السودان انه شعور « العائد » الى بلده وأرضه ، وأبحث في داخلي عن سر هذا الحنين ، فلا ألبث أن أحده لقد أمضيت جانبا من طفولتي في السودان ، وما زالت صورته عالقة بتلك الصفحة التي كانت بيضاء ثم ما لبثت أن ملأتها السنون بصور أخرى عديدة للحياة التي يراها المرء وهو ماض في رحلته القصيرة عبر الزمن انها تتزاحم وتتراكم ولكنها لا تلغي بعضها البعض

ولكن ربما أيضا هذا الدفء الذي يحس به الزائر أي زائر حتى لو كان غريبا عندما يلتقي بأهل هذا البلد الطيب وجوه سمراء باسمة قانعة بحياتها حتى مع الحرمان تراها في كل مكان فيخيل اليك أنها ليست أبدا غريبة عنك !

وحه سوداني جميل من منطقة مشروع الزهد وهذا المشروع يستهدف ما يقرب من مليون

لقد زرنا السودان مرات ومرات ذهبنا في كل اتجاه من هذه الأرض الشاسعة التي تزيد مساحتها على مليونين ونصف مليون كيلو متر مربع زرنا الشمال فوجدناهم يبكون على الأرض التي أغرقتها مياه السد العالي ، وذهبنا الى الجنوب فرأيناهم يرقصون بعد أن توقف الصراع الطويل بين أهل الشمال وأهل الجنوب الذي نثر بذوره المستعمر الانجليزي قبل أن يحمل عصاه ويرحل عندما اختار السودانيون الاستقلال منذ ربع قرن أو يزيد

وسافرنا الى الشرق حتى اقتربنا من حدود أثيوبيا عند مدينة كسلا وما حولها ورأينا الأرض الطيبة وقد كساها اللون الأخضر لون الحياة ، كل أنواع الخضر والفاكهة تنمو هناك وتتساقط ثمارها تحت الأشجار التي تحملها ولا تمتد الايدي لجمعها فهذه هي بعض مشاكل السودان وذهبنا غربا الى الابيض عاصمة كردفان ، ورأينا حضارة قديمة تتمثل في شجرة انها شجرة الصمغ الذي عرفه العرب واستخدموه في غذائهم ودوائهم منذ قرون وما زال هناك تمتلىء به جذوع الشجرة العجوز

أهل السودان وثروته

وفي كل مرة كنا نعود من زياراتنا لنسجل ما رأينا بالكلمة والصورة ، ولكننا كنا نحس أننا أكثر حيرة فما زال أمامنا الكثير الذي لم نصل اليه ولا نعرف عنه شيئا وعلى الفور يحضرنا قول زعيم عربي كبير رأس مال السودان خلق أهله الكريم ثم الثروات الهائلة المدفونة في أرضه ! كيف لنا أن نصل اليها ونتحدث عنها ولكنها محاولات !

وعندما ذهبنا اليهم في هذه المرة وجدناهم يعيشون أعقد مشكلة واجهتهم الحالة الاقتصادية السيئة التي يعاني منها الغني والفقير ، ثم بعد هذا المشاكل الكثيرة الاخرى التي كان السودان ولايزال يعاني منها ، وفي مقدمتها ندرة الأيدي العاملة فتعداد السكان لا يتناسب مع المساحة الهائلة للارض التي يعيشون فوقها انهم لا يزيدون على عشرين مليون نسمة (تعداد تقديري) ، موزعين على مليونين ونصف مليون من الكيلو مترات المربعة . هذا لا يعني طبعا ان الناس يعيشون في كل شبر من أرض السودان ، فهناك مناطق لم تطأها قدم حتى اليوم ويقدرون المساحة غير المأهولة أو غير المسكونة من هذه الارض الواسعة بأكثر من ثلث المساحة الاجمالية للسودان التي كما تقول الارقام تزيد على ثلاثة أضعاف مساحة فرنسا ، أكبر الدول الاوروبية الغربية اتساعا ، والتي يبلغ تعداد سكانها أكثر من أربعين مليون نسمة ومع هذا تشكو فرنسا من قلة الأيدي العاملة وتفتح أبوابها للعمال المهرة الوافدين ، وفي الوقت ذاته تشجع زيادة النسل ، [وكان ديجول رئيس الجمهورية الفرنسية الخامسة يمنح الأم الفرنسية التي تنجب أكثر عدد من الأطفال ، وساما ومعونة مادية مع لقب « الأم المثالية » !]

الجبل .. والرهد !

يحدث هذا في فرنسا بينما نجد في السودان هجرة مضادة ، نتيجة للأسباب الاقتصادية ذاتها وهم جميعا أو معظمهم من أصحاب المهن الذين يجدون كل ترحيب بعملهم وخبرتهم في كل بلد عربي وغير عربي وعدد كبير نسبيا من العمال الفنيين وغير الفنيين ولكن في قلوبهم كلهم حب كبير لكل ما هو عربي أو يمت للعروبة بصلة فهذه الصلة كانت وما زالت قائمة منذ قرون بعيدة مضت

هذه المرة الأخيرة التي زرنا فيها السودان ، كانت وجهتنا منطقة بعيدة نائية في غرب السودان اسمها « جبل مرة » ، كنا قد سمعنا عنها كثيرا ، وأهم ما سمعناه عن الجبل انه أرض خصبة يزرعون فيها كل أنواع الخضر والفاكهة وانه منطقة سياحية هائلة اذا استغلت الاستغلال السليم ولكن لاثماره تخرج الى خارج حدوده ولا السياح يزورونه ، بسبب مشكلة النقل ثم النقل سمعنا هذا كله عن « الجبل » القابع في أقصى الغرب ، ولكننا لم نجد كلمة واحدة مطبوعة أو حتى صورة تمثل الحياة في هذه المنطقة ، يمكن أن تعطينا فكرة أوضح لما نحن مقبلون عليه ، ومع هذا وطدنا العزم على الذهاب وبذلنا جهدا كبيرا حتى استطعنا أن نحجز لنا مقعدين في الطائرة الذاهبة الى مدينة (نيالا) ، ومنها الى الجبل بالسيارة ولكن خطتنا ما لبثت أن اصطدمت

خريطة توضح موقع مشروع الرهد

لأزمة الطاحنة التي كان السودان كله يعاني منها في ذلك رقت أزمة البترول الخانقة التي توقف عندها كل ء يتحرك من الانسان الى الآلة

وكانت هناك منطقة أخرى تدخل ضمن برنامج زيارتنا سودان وهي منطقة « مشروع الرهد » وقد ى المشروع باسم النهر الذي ينبع من جبال الحبشة أو وبيا على مسافة عشرين كيلو مترا شمال غربي بحيرة انا) ، ثم ينحدر نحو الشمال الغربي لمسافة سبعمائة و متر حتى يبلغ مصبه الضفة الشرقية للنيل الأزرق رب من قرية أبو حرار ، وهو نهر موسمي يفيض أربعة هر فقط كل عام فيبلغ ذروته في شهر سبتمبر ، وتقدر ساحة التي تتجمع فيها مياه الرهد بحوالي ثمانية آلاف و متر مربع أما حجم مياه فيضانه فيصل الى ألف ومائة ون متر مكعب .

وهو مشروع زراعي ساهم في انجازه صندوق التنمية ربي بمبلغ ٥٠ مليون دولار ، أو أكثر من ثلث المبالغ ساهمت بها هيئات ومؤسسات أخرى وهو أول وع زراعي صناعي في السودان يعتمد على الميكنة اعية

الميكنة الزراعية

مسا . المسافة من الخرطوم الى موقع المشروع حوالي ثلاثمائة كيلو متر وهو يمتد على الضفة الشرقية لنهر الرهد ويغطي مساحة طولها ١٤٠ كيلو مترا وعرضها يتراوح بين ١٥ و ٢٥ كيلو مترا بين قرية الحفارة في الجنوب وقرية أبو حراز في الشمال ، ويخترق المشروع طريق مدينة [مدني - القضارف] ، وهو طريق ممهد ، وقد أقامت رئاسة المشروع في تقاطع الطريق عند جبال الفاو التي تبعد حوالي ٨٠ كيلو مترا عن مدينة مدني

وأمضينا عدة أيام بين العاملين في مشروع الرهد زرنا حقول القطن وكان توقيت الزيارة ملائما ورأينا آلات « جامعات القطن » **Cotton PICKERS** وهي تجمع القطن آليا بدلا من ألوف الأيادي التي اعتدنا أن نراها في موسم الجني ورأينا المحالج ، ومررنا بكل المراحل التي تسبق عملية كبس بالات القطن واعدادها للتصدير . مجتمع متكامل بمدارسه ومساجده ومستشفاه وأسواقه وبيوت العاملين فيه ولندع الصور تتكلم ، فهي أصدق من كل وصف

كيف بدأ هذا المشروع ولماذا هنا وماذا حقق من أهدافه ؟ ومع المهندسين الشبان القائمين على هذا العمل كان لنا لقاء ومشوا يحدثوننا ونحن نتجول معهم في أرجاء هذه المزرعة التي يعتمد العمل فيها على الآلة حرثا وريا وجمعا لما تقدمه من محاصيل .

مطقة مشروع الرهد مرعى حصب لتربية الحيوانات اذا اهتم المشرفون عليه بزراعة الأعلاف
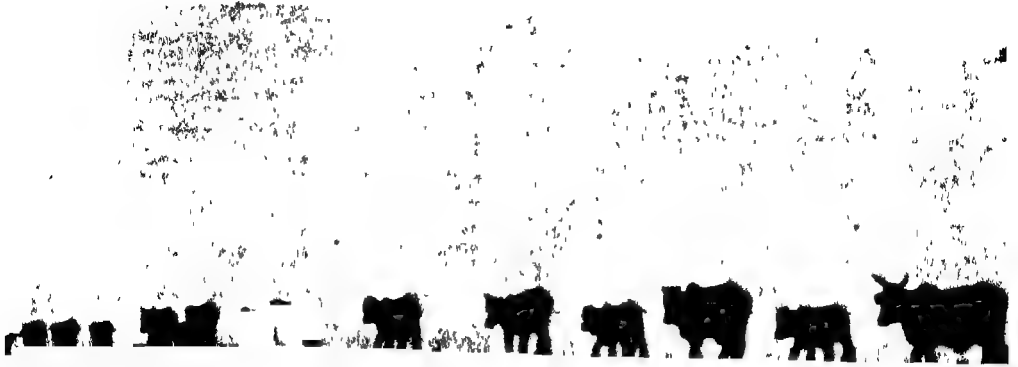
مشروع الرهد الأول من نوعه الذي تستخدم فيه الميكنة الزراعية   ترى لماذا لا يكون عندنا مصنع لانتاج الجرارات الزراعيه
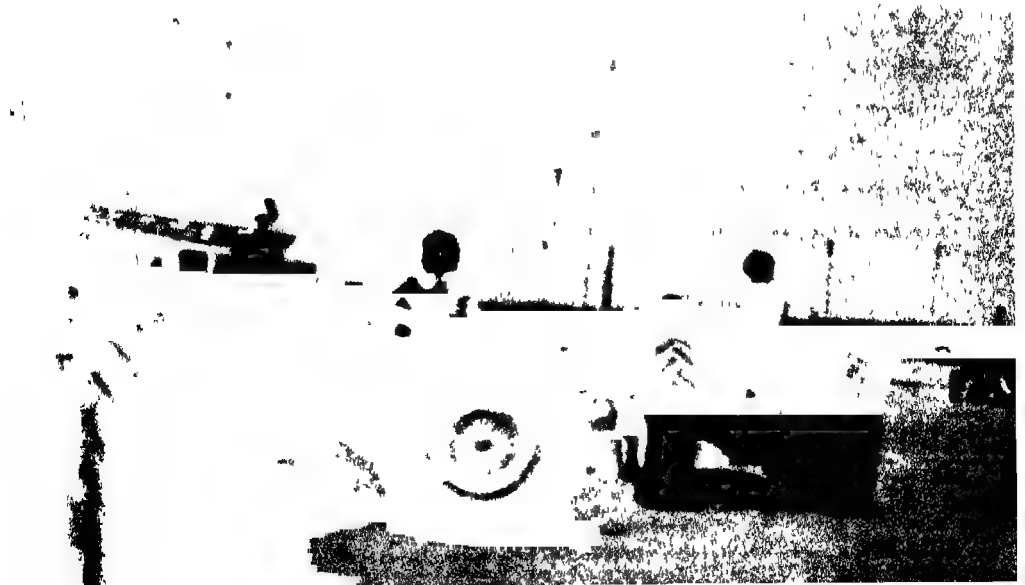
ان الهدف من المشروع زيادة الرقعة الزراعية في أرض كلها
صالحة للزراعة والقطن أو الذهب الأبيض ثم الفول السوداني
من المحاصيل الأساسية لهذا المشروع

ولدت فكرة مشروع الرهد في أوائل الستينات عقب حصول السودان على استقلاله ، وكان الهدف من المشروع الذي بقي لأكثر من عشر سنوات حبرا على ورق هو زيادة الرقعة الزراعية في أرض صالحة كلها للزراعة ، ولكنها لا تجد التمويل الكافي لتنفيذ المشروعات التي لا بد من انجازها لتحويل هذه الارض الخصبة الى واحدة من أكبر المزارع في العالم ، فهم يقدرون مساحة الأرض الصالحة للزراعة في السودان بأكثر من مائتي مليون فدان لم يزرع منها حتى الآن أكثر من ١٦ مليونا فقط في جميع أنحاء القطر ، سواء كانت أرضا مروية بمياه النيل ، أو أرضا تعتمد على الأمطار

الدكتور على التوم الرأي الأحمر

٣٠٠ ألف فدان

ويقول المهندس صديق عابدين المدير الزراعي للمشروع «كان مشروع الرهد أساسا ، وطبقا للدراسات التي تم اجراؤها ، يستهدف ما يقرب من مليون فدان تروى من مياه النيل الأزرق عن طريق حفر ترعة رئيسية تبدأ أمام خزان الروصيرص الذي يبعد عن الخرطوم بحوالي خمسمائة كيلو متر الى الجنوب من العاصمة ، خارج أرض الجزيرة في مديرية النيل الأزرق

« ولكن ما لبث المشروع أن بدأ على أسس مختلفة تماما ، فقد تم تعديل الدراسة الأساسية ، وتقرر تعمير مرحلة أولى تبلغ مساحتها ٣٠٠ ألف فدان ، تروى بواسطة طلمبات سحب المياه من النيل الأزرق ، وهي محطة طلمبات مينا » بالقرب من مدينة « سنجة » التي تبعد عن الخرطوم بحوالي أربعمائة كيلو متر الى الجنوب على الضفة الشرقية للنيل الأزرق وقد بدأ تنفيذ هذه المرحلة في عام ١٩٧٣

« وفي عام ١٩٧٧ ـ ١٩٧٨ تمت عمليات المنشآت الرئيسية الخاصة بالري والمحالج والمباني والورش والمخازن وكل ماله صلة بقيام هذا المجتمع الزراعي الصناعي الجديد في هذه المنطقة التي تقع تقريبا في منتصف المسافة بين الخرطوم العاصمة وميناء بور سودان ، وهو الميناء الرئيسي للسودان على البحر الأحمر

ويكمل حديثه « وفي هذا العام أيضا ١٩٧٧ بدأ تشغيل المرافق وهي العملية التي واكبت بداية رحلة الانتاج بالقسم الجنوبي من المشروع حيث تمت زراعة ٥٠ ألف فدان قطن متوسط التيلة ، وكذلك عشرة آلاف فدان قمح ، وألف فدان بساتين وفي العام الذي تلاه ١٩٧٨ ـ ١٩٧٩ بدأت عمليات التوسع في الرقعة الزراعة وكانت تسير جنبا الى جنب مع أعمال الانشاءات للقسمين الاوسط والشمالي ، وتمت في هذا العام زراعة حوالي ٩٠ ألف فدان قطن أي بزيادة ٤٠ الف فدان عن الموسم الذي سبقه بالاضافة الى زراعة ٦٠ الف فدان فول وكذلك ثلاثة آلاف فدان خضر وفاكهة للاستهلاك المحلي

« وفي عام ١٩٧٩ ـ ١٩٨٠ بقيت المساحات المزروعة على ما كانت عليه في العام الذي سبقه فيما يتعلق بالقطن أي ٩٠ ألف فدان أما الفول فقد زادت مساحة الأرض المزروعة به الى ٩٠ ألف فدان ، أي بزيادة ٣٠ ألف فدان عن العام الذي مضى وكذلك بقيت مساحة الأرض المزروعة خضرا وفاكهة على ما هي عليه

« ثم جاء عام ١٩٨٠ ـ ١٩٨١ وارتفعت مساحة الأرض المزروعة قطنا الى ١١٥ ألف فدان كما ارتفعت مساحة الارض المزروعة فولا إلى ١٠٤ ألف فدان ، وزادت مساحة الأرض المزروعة بالخضر والفاكهة أربعة الاف

..ان للاستهلاك المحلي داخل المشروع والمناطق

..ذا تكون المرحلة الأولى للمشروع قد اكتملت
١٩٨ - ١٩٨٢ ، فقد ارتفعت رقعة الارض
قطنا الى ١٣٠ ألف فدان والفول الى ٩٠ ألف
..ملت في هذا العام أيضا ولأول مرة زراعة الذرة
.. مساحة تقدر بأربعين ألف فدان ، كما ارتفعت
..ساتين الى سبعة آلاف وخمسمائة فدان (خضر
ويبقى بعد هذا ١٢ ألف وخمسمائة فدان
لتنمية الثروة الحيوانية والمراعي والأعلاف
..مابات وقد بدأ العمل بالعمل في هذه المشروعات
.. المساحة المتبقية من أصل الثلاثمائة ألف فدان
..لمرحلة الأولى من مشروع الرهد والتي اكتملت
..م ١٩٨٢

ولم يعد النهر يجف

.. المدير الزراعي يحدثنا عن أهداف المشروع
..ة في طريق زيادة رقعة الأرض الزراعية بطبيعة
..ثم تحويل المجتمع الرعوي الذي تعود على
..الموسمية الى مجتمع زراعي حديث مرتبط
..وما يترتب على هذه المحاولة من بناء الاساس
..لحديد وقد ساعد على المضي في تنفيذ المشروع
..ة السودان من مياه النيل بعد توقيع الاتفاقية
..ا في عام ١٩٥٩ ، إذ ارتفعت هذه الحصة من ٤
..متر مكعب من المياه الى ١٨,٥ مليار .

« وكانت الفكرة تقوم أساسا على استغلال هذه الزيادة من المياه ، ونظرنا حولنا فوجدنا نهر الرهد أو النهر الموسمي كما ذكرنا ـ وهو يفيض بالمياه أيام الفيضان ، أي في أشهر الخريف ، وكان غير مستغل قبل بدء المشروع ، اذ سرعان ما كانت المياه تجف فيه وعلى الفور بدأنا بانشاء خزان (أبو رحم) الواقع على نهر الرهد لتحويل مياه النهر خلال أشهر الفيضان الى القناة الرئيسية للمشروع ، ولكن ماذا بعد انقضائها سوف يعود النهر الى الجفاف ومن هنا بدأنا التفكير في انشاء طلمبات على النيل الأزرق ، ومهمة هذه الطلمبات سد احتياجات المشروع من مياه الري خلال فترة جفاف النهر ومن هذه الطلمبات تتحول الحياة عبر قناة توصيل طولها ثمانون كيلو مترا ، مارة تحت مياه نهر الوندر بواسطة « سيفون » **Syphon** « لتواصل مسيرتها الى أن تصب في مجرى نهر الرهد عند أبو رحم فتمتلأ بالماء من جديد ومن هناك تتحول المياه الى ترعة المشروع الرئيسية ومنها تتفرع شبكة قنوات الري التي تحمل المياه الى الحقول »

ونسأل عن علاقة الفلاح أو المزارع بصاحب الأرض ؟
ويقول المسؤولون في المشروع « تقوم العلاقة بينهما على اساس قيمة الماء والارض وتكلفة الانتاج في شكل حساب قروي ، ويتنقل صافي العائد الى المزارع دون مشاركة من صاحب الارض ، الذي هو في هذه الحالة « الدولة » ممثلة في المؤسسة التي تشرف على ادارة المشروع ، وهذا النظام في حد ذاته يعتبر حافزا للمزارع على الاستمرار ، وسوف يعمم في جميع أنحاء السودان هذا العام

خريطة تبين مراحل تنفيذ المشروع
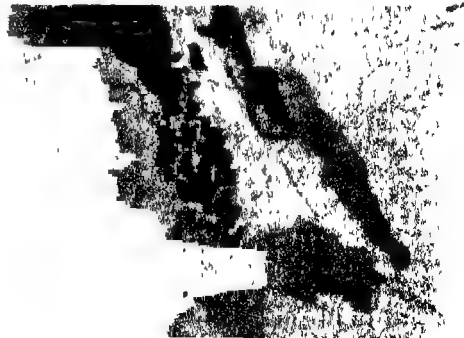
مجموعة من النساء في طريق عودتهن الى منازلهن بعد انتهاء يوم حافل بالعمل

« حاصدات القطن » Cotton Pickers . الاولى من نوعها في الشرق الأوسط وهي تجمع القطن آليا بدلا من ألوف الأيادي التي اعتدنا أن نراها في موسم الجني (الى أعلى)

بالات القطن وقد أعدت للشحن الى ميناء بور سودان المنفذ الرئيسي لصادرات السودان على البحر الأحمر (الى اليسار)

الرأي الآخر

وعدنا الى الخرطوم ، وفي ذهني أن ألتقي بشخصية لها ثقلها في كل ما يتصل باقتصاد هذا البلد الشقيق انه الدكتور علي التوم وزير الزراعة الأسبق والمستشار الاقتصادي والمدير العام لهيئة المستشارين المستقلين وكان الهدف من لقائه هو محاولة الوصول الى ما يدور في رأس هذا الاقتصادي الكبير وخاصة فيما يتصل بمستقبل الزراعة في السودان ، وأيضا جدوى المشروع بالنسبة لاقتصاد السودان وبحثنا عن علي التوم طويلا وكدنا نيأس من لقائه ثم وجدناه أخيرا يطرق باب الفندق الذي كنا ننزل فيه ويسأل عنا والتقينا ، وانطلق الخبير في الاقتصاد الزراعي يتحدث .

قلنا ، « هل صحيح أن الانتاج الزراعي في السودان لا يتقدم بالسرعة المتوقعة والمرجوة وماهي أسباب هذا التأخر في رأيك ؟

وقال الدكتور علي التوم « قبل أن أجيب على سؤالك لا بد لي من أن أؤكد حقيقة ماثلة ، وهي أن الموارد المتاحة في السودان كبيرة ومتنوعة ، وهي تشمل الأراضي الخصبة المروية من مياه النيل وروافده وكذلك الأراضي التي تروى بمياه الأمطار هذا الى جانب توفر مناخ متباين ومتنوع ، الأمر الذي يتيح انتاج أنواع مختلفة من الحاصلات الزراعية كما أن هناك أيضا موارد مياه سطحية وأخرى جوفية وبكميات هائلة ، وكذلك غابات ومراعي طبيعية يمكن استغلالها بطريقة اقتصادية الى جانب الثروة الحيوانية الهائلة المنتشرة في جميع أنحاء السودان وبصفة خاصة في غربه وأوسطه وجنوبه ، والتي تشتمل على الضأن والماعز والأبقار والجمال ، وكذلك الثروة الحيوانية الوحشية ولو أنها لا تستغل اقتصاديا وسياحيا » الا في حدود ضيقة ومحدودة

خطأ شائع

« هذه مقدمة ذهبت اليها في بداية حديثي ، ولا شك عندي أنكم تعرفونها ، ولكن كان لا بد لي من أن أؤكدها ، لأدخل معكم بعدها الى القضية الأساسية ، وأعني بها الاعتقاد الشائع خطأ ، والذي يحتاج الى الكثير من التدقيق والتصحيح ، وهو أن هذه الموارد الطبيعية متوفرة بكميات تفيض كثيرا عن حاجة السودان مستقبلا هذا القول لا يخرج عن كونه نظرة استاتيكية جامدة وغير قائمة على حقيقة العلاقة بين الموارد المتاحة بالفعل في القطاع الزراعي وبين الطلب على منتجاتها مستقبلا

« صحيح أن السودان يتميز حاليا بندرة نسبية في الأيدي العاملة والموارد البشرية مما يجعل هذه الموارد فائضة عن حاجة سكانه ، ولكن النمو الاقتصادي والسكاني المطرد والزيادة والتنويع في الطلب يدعوان الى ضرورة التحفظ في تقدير الفائض الزراعي مستقبلا ، وخاصة اذا وضعنا في الاعتبار حقيقة أن السودان يقف اليوم على مشارف انتاج وتصدير المواد البترولية الأمر الذي سيترتب عليه قريبا تحول كبير في الطبيعة المهنية للموارد البشرية اذ سيتحول أغلبها من أيد عاملة منتجة زراعيا الى قوى استهلاكية عاملة أساسا في قطاعات الصناعة والخدمات ولو أن هذا لا يعني بالطبع أن الاستخدام الراشد للموارد الزراعية في السودان وادخال وتكييف التكنولوجيا الحديثة فيه لن يؤديا في المستقبل الى انتاج فوائض سلعية للتصدير للعالم العربي وللاقتصاد العالمي ، فسوف يظل السودان باذن الله مصدرا رئيسيا للصادرات من القطن والحبوب الزيتية واللحوم والخضر والفاكهة ، غير أنه ينبغي عدم المبالغة في تقدير حجم هذا الفائض

قلنا . « ما رأيك فيما يقال عن المعوقات التي أدت

من خدمات المشروع فتح مدارس لأبناء أهل المنطقة

الموز والباباي بعض الفواكه التي بدأت زراعتها في منطقة المشروع مع أنواع أخرى من الفواكه التي تزرع في السودان

تدهور الانتاج الزراعي في السودان بينما كان المفروض والمتوقع أن يحقق السودان تطورا ملموسا في المجال الزراعي ؟

ويقول الخبير الاقتصادي « ظل القطاع الزراعي في السودان يتميز منذ زمن بعيد بانخفاض كبير في انتاجيته للفدان وللأيدي العاملة ، أي أن اليد العاملة هنا لم تكن تنتج بمستوى مثيلاتها في البلدان الأخرى ، ويرجع هذا الى أسباب عدة ، من بينها المناخ وأثره على الصحة العامة وضعف التغذية ، ثم النظرة السلبية للعمل اليدوي في مناطق كثيرة على أساس أن هذا العمل يرتبط بعهد العبودية فهناك من يرى أن العمل اليدوي بصفة عامة والزراعي بصفة خاصة انما هو عبودية للانسان !!

بين القديم والحديث

ويمضي الدكتور علي التوم . « والقطاع الزراعي عندنا ينقسم الى قسمين رئيسيين هما القطاع التقليدي المتمثل أساسا في أواسط وغرب وجنوب السودان ، والذي يعتمد أساسا على الري بالامطار في مساحات لا تزيد كثيرا عن طاقة العائلة كوحدة انتاجية وحتى زمن قريب ، وقبل التوسع في انتاج المحاصيل النقدية ، مثل الفول السوداني والسمسم والصمغ العربي وحيوانات اللحوم لم تتعد المساحة المزروعة في كل وحدة الحاجات الاستهلاكية للعائلة الواحدة وهذا ما يسمى عادة بالانتاج المعيشي في هذا القطاع التقليدي يرجع تدهور الانتاج والانتاجية الى أسباب عديدة من بينها عدم إدخال وسائل الانتاج الحديثة اذ لاتزال وسائل الانتاج يدوية وبدائية ، حتى التكنولوجيا الوسيطة لم تدخل هذا القطاع الا في حدود التجارب الضيقة ثم هناك أيضا اهمال صيانة الموارد الطبيعية مثل حماية التربة من الانجراف وحماية المراعي من الحرائق وتوفير مياه الشرب للانسان والحيوان وتحسين وسائل الاتصال والمواصلات (وهي مشكلة السودان الأولى) ، الأمر الذي يجعل المنتج الأول معزولا عن الاسواق ومعرضا لاستغلال الوسطاء والسماسرة فلا يجد العائد الكافي من جهده على المستوى الذي يمكن أن يكون حافزا له لزيادة وتطوير انتاجه المدهش والغريب في الأمر انه بالرغم من هذا التخلف النسبي في القطاع التقليدي ، فان هذا القطاع ينتج ما يزيد على ٦٠٪ من صادرات السودان الزراعية من الحبوب الزيتية والذرة الرفيعة والصمغ العربي والانتاج الحيواني

ومن المصاعب التي تواجه هذا القطاع أيضا ، هجرة ونزوح الأيدي العاملة الشابة القادرة الى مناطق التنمية الزراعية داخل السودان وخارجه

لماذا تدهور الانتاج ؟

ننتقل بعد هذا الى القطاع الزراعي الحديث ويقول علي التوم « وأعني به القطاع المكون أساسا من الزراعة

فصل في مدرسة اعدادية بمنطقة مشروع الرهد هي منطقة متكاملة .. ومجتمع جديد في قلب أرض كانت الى عهد قريب قاحلة جرداء (الصورة الى أعلى)

، ومهندسة زراعية تعمل في المشروع (الى اليمين)

حلج القطن آليا في منطقة المشروع قبل ارساله الى المكابس
(الصورة الى اليسار)

المروية في حوض النيل وهي تنتج القطن والفول السوداني والقمح والخضر والفاكهة ، وكذلك قطاع الزراعة الآلية المطرية على نطاق واسع (الذرة الرفيعة ، والقطن المطري والسمسم) ، ومن أهم أسباب تدهور الانتاجية ، هو تركيز السياسة الزراعية على التوسع الأفقي أي زيادة المساحة المزروعة بدلا من التوسع الرأسي ، أي زيادة انتاجية الفدان عن طريق ادخال وتحسين استخدام التكنولوجيا الحديثة ، ففي مشروع الجزيرة وكذلك في مشاريع الرهد والسوكي وحلفا الجديدة أو خشم القربة » وغيرها من مشاريع الزراعة المروية تسببت ندرة توفير المدخلات الزراعية الحديثة مثل الآلات والمعدات الزراعية والأسمدة والبذور المحسنة ومبيدات الحشرات والحشائش في تدهور الانتاج والانتاجية في هذا القطاع ، ومن أهم الأسباب التي أدت الى ذلك سوء التخطيط واعطاء أسبقيات الانفاق التنموي لمشاريع غير انتاجية بعضها لا ينبغي أن يعطى الأولوية ، وأيضا ندرة وهجرة الزراعيين والخبراء الى خارج البلاد »

قلنا « هذا عن السلبيات فماذا عن الايجابيات ؟ »

ويقول الخبير الاقتصادي « كل هذه الأسباب مجتمعة أدت الى الحالة الاقتصادية السيئة التي يعيشها السودان هذه الأيام ، ولكن هناك ايجابيات بطبيعة الحال هناك بعض الصور المشرقة والانجازات التي تستحق التسجيل في القطاع الزراعي فمشروع الرهد على سبيل المثال ، وبالرغم من كثرة سلبياته ومشاكله الاقتصادية المعقدة ، إلا أنه قد أصبح حقيقة اقتصادية ملموسة ويمكنه أن يلعب دورا ايجابيا اذا ما حلت هذه المشاكل التي تنحصر في ارتفاع تكلفة مياه الري وصغر حجم الحيازة الانتاجية بالمقارنة مع المستوى التكنولوجي العالي المستخدم فيه وانعدام زراعة الأعلاف ومتطلبات الانتاج الحيواني في منطقة تتميز بضخامة ثروتها الحيوانية »

« ومن الايجابيات أيضا في القطاع الزراعي مشروع سكر كنانة* الناجح فنيا والمبشر بالنجاح اقتصاديا والذي ينهض دليلا ايجابيا على امكانية التعاون بين رأس المال العربي والموارد الطبيعية والخبرة السودانية والتكنولوجيا الحديثة وفي مجال الزراعة الآلية المطرية التي تغطي الآن مساحة كبيرة في أواسط القطر تقدر بأكثر من أربعة ملايين فدان ، استطاع القطاع الخاص أن يحقق انجازات كبيرة في زراعة الذرة الرفيعة والسمسم وقد دخل رأس المال العربي هذا القطاع في السنوات الأخيرة في مساحة تزيد على المليون فدان لا تزال في طور التنمية »

مساهمة دولة الكويت

قلنا ما حجم رأس المال العربي الذي أسهم في تنمية القطاع الزراعي في السودان ؟

قال الدكتور التوم لا بد من الرجوع الى سجلاتي ، ولكن في رأيي استنادا الى الأرقام ان دولة الكويت في مقدمة الدول العربية التي ساهمت وما زالت تساهم في تنمية القطاع الزراعي في السودان ، فمن المعروف ان رأس المال الكويتي قد أسهم بنسبة كبيرة في مشاريع كنانة والرهد والزراعة الآلية

ولكي تكتمل الصورة بعد هذا الحديث الصريح كان لا بد من سؤاله عن موضوع يتصل اتصالا مباشرا بكل القضايا التي طرحها عن حاضر السودان ومستقبله ، قلنا ما مدى نجاح الخطوات التي اتخذت وتتخذ لتحقيق التكامل الاقتصادي بين مصر والسودان ، وما هو مستقبل هذا التعاون ؟

وقال الدكتور علي التوم كان هناك دائما تعاون وتكامل اقتصادي غير معلن بين السودان ومصر منذ فجر التاريخ كل الذي حدث خلال الاعوام الاخيرة ، هو تقنين هذا التعاون وتخطيطه بهدف بناء علاقات طويلة المدى ومتكافئة العائدة بين البلدين بالرغم من الحساسيات الموروثة بين السودانيين والمصريين والتي خلقها وعمقها الاستعمار انني أعتقد ان المجال طيب والفرص سانحة ، خاصة بعد دخول السودان مرحلة انتاج وتصدير البترول لهجرة واستيطان ملايين الفلاحين المصريين المعروفين سلفا عندنا بانتاجيتهم العالية وتعلقهم بالأرض وسوف يعود قريبا المليون عامل سوداني المهاجرين حاليا في الدول العربية ليسهموا بدورهم في بناء السودان الجديد ■■

منير سيف

---

* راجع العربي ص ٦٨ العدد رقم (٢٤٧)

أفقيـاً
عبدالله الزاخر
رأسـياً
الزرقالي

اثنتان في واحدة :

(٨) أفقيا عبدالله الزاخر مهندس ورحل صناعة عربي ، ولد في حماة من أصل حلبي في القرن الرابع عشر من عائلة عملت في الصاغة والحفر والنقش والتصوير أنشأ مطبعة ، كل ما بها من تصميمه وصناعته أتقن صنع الساعات المائية والميكانيكية

(٨) رأسيا . الزرقالي . من مشاهير الرياضيين والفلكيين في القرن الحادي عشر ، ابتكر بعض الأدوات المستخدمة في الفلك ، وكان أول من قال بدوران الكواكب في مدارات بيضاوية وكتب (الصحيفة الزرقالية) في استخدام الاسطرلاب

الفائزون بالجوائز

- الجائزة الأولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها عوض حسن سليمان / اسوان/مصر
- الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها خالد ابراهيم شهابي / دمشق / سوريا
- الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها يوسف عبدالله الشيماد / المحرق / البحرين

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير فاز بها كل من ·

١ ـ صالح مبارك صالح / المكلا / اليمن الديمقراطي
٢ ـ افريقي فريدة / أسفي / المغرب
٣ ـ آمال خميس الجمل/ عمان/ الاردن
٤ ـ محمود عبد القادر زيدان / الكويت
٥ ـ مبارك سلمان محمد أحمد / واد مدني / السودان
٦ ـ محمد عبد الله الحلالي / صنعاء / اليمن الشمالي
٧ ـ شذى سلمان داود / بغداد / العراق
٨ ـ عبد الله أحمد محمد العلي / الاحساء / السعودية

٣ فنانات كويتيات

استطلاع : صادق يلي

تصوير : صلاح آدم

الفنانة موضي الحجي امام مجموعة من لوحات معرضها « الرواد الأوائل » حيث ضم المعرض مجموعة لوحات لاد الكويت ورجالها الذين قامت على اكتافهم نهضة الكويت الحديثة
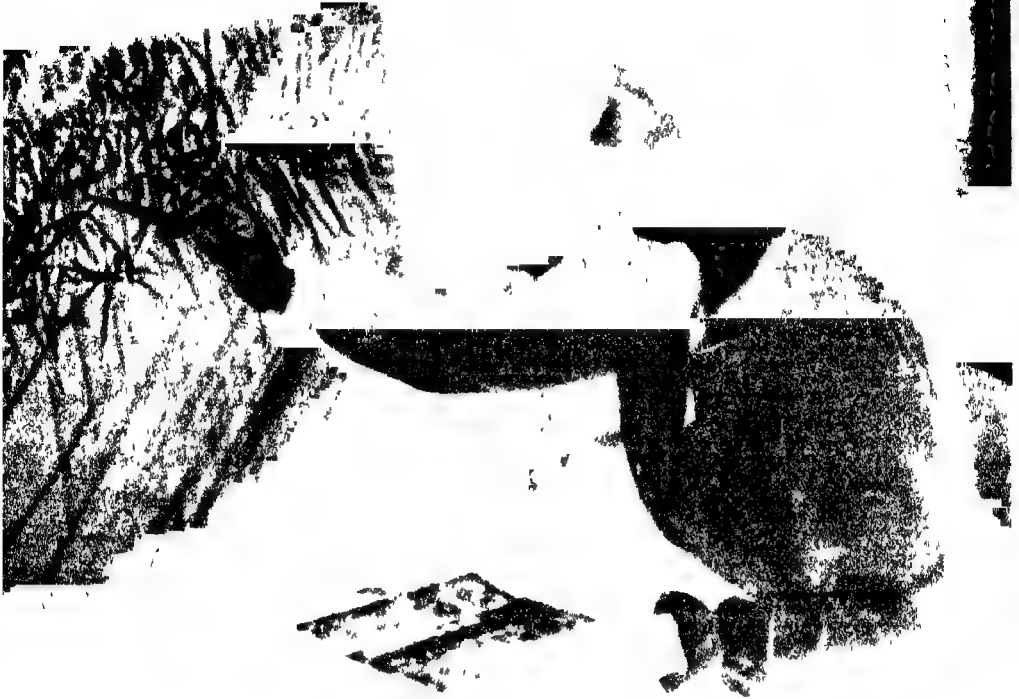
يقول الفنانة موضي الحجي « اني لا أتقيد في رسوماتي بمدرسة معينة وانما أسخر كل الامكانيات لاخراج عمل فني أرضى عنه »
في البحرين الاستاذ طارق المؤيد وزير الاعلام افتتح معرض الفنانة موضي الحجي وكتب في سجل الزيارات قائلا « ان جولة الفنانة موضي الحجي في دول المنطقة ستكون بداية لتخليد الرجال الاوائل الذين وضعوا اللبنة الاساسية في بناء خليجنا المعاصر » .

يقول الكاتب والناقد البريطاني جون رسكين : « ان الأمم العظيمة تكتب سيرتها في كتب ثلاثة : كتاب أعمالها ، وكتاب أقوالها ، وكتاب فنونها والواقع أن الكتاب الأجدر بالثقة بين الكتب الثلاثة فهو بلا ريب الكتاب الاخير . كتاب الفنون . . والكويت تشهد حركة فنية تشكل أحد وجوه النهضة في البلاد .

وهذا الاستطلاع يسجل أحد وجوه هذه الحركة التشكيلية ، مع ثلاث من فنانات الكويت البارزات

براعم فنية

لا بد هنا أن نشير الى البدايات التي أثرت في الحركة التشكيلية الكويتية ، فقد كانت المدارس هي اللبنة الأولى في بناء هذه الحركة بعد أن تقرر تدريس الفنون الجميلة ضمن المناهج الدراسية ، فترعرعت تلك البراعم الفنية تحت اشراف نخبة من المدرسين فكان الفنان الراحل الأستاذ معجب الدوسري الذي تخرج في كلية الفنون الجميلة بالقاهرة هو اللبنة الأولى في صرح الحركة التشكيلية في الكويت وفي نفس الوقت كان هناك شباب فنانون بدأوا المسيرة أمثال أيوب حسين وخليفة القطان وطارق السيد فخري وأحمد زكريا الانصاري وعيسى بوشهري

لقد كانت البيئة الكويتية هي المؤثر الأساسي على حياة الفنان وأسلوبه وأعماله فشواطىء الكويت وسفنها التي كانت تجوب البحار بحثا عن اللؤلؤ أو التي تقصد الأسفار البعيدة للتبادل التجاري ، كل تلك المظاهر كانت تشكل مقوما أساسيا في حياة الفرد الكويتي ، وبقيت آثارها مطبوعة وراسخة في أخيلة وعقول تلك البراعم ، لقد اتضح من المعارض الأولى للفنانين الكويتيين مدى تأثرهم بالبحر من خلال أعمالهم التي تصور مظاهر ومشاهد بحرية ، كما أن الصحراء كان لها نصيب كبير في رسوماتهم ، فبيوت الشعر ومظاهر الحياة البدوية وما تحمله من سمات عربية عريقة أصبحت مصدر اعتزازهم وفخرهم وكذلك فان العادات والتقاليد والرقصات الشعبية والقصص الخرافية بالاضافة الى ألعاب الأطفال كانت منهلا عذبا في انتاج الفنانين الأوائل الذين عاصروا المجتمع الكويتي آنذاك ، فخلدوا أحياء الكويت وأزقتها وأسوارها ، كانت ريشة الفنان أيوب حسين واضحة جلية في هذا الميدان فقد رسم موضوعاته مؤكدا هذا الاتجاه الشعبي وكلها تتعلق بالتقاليد التي هي جذور هذا المجتمع ، وتمثل روابطه القديمة وكيانه الروحي والاجتماعي

من هنا يتضح لنا ان بدايات الحركة الفنية في الكويت كانت أعمالا تتبع أسلوب الواقعية والانطباعية وتنسجم مع روحية الموضوع المعالج .

يقول الفنان الكويتي عبد الرسول سليمان في كتابه « بداية مسيرة الفن التشكيلي في الكويت » يمكننا أن نقسم الحركة التشكيلية في الكويت منذ بدايتها الى ثلاث مراحل ، تبدأ المرحلة الاولى في الخمسينات من هذا القرن والتي ظهرت فيها بوادر الحركة التشكيلية حين أقيم معرض البطولة العربية ليكون المؤشر الأول للحركة ، أما المرحلة الثانية فكانت في الستينات وتمثل طور النشوء والاتضاح في الحركة التشكيلية ، ففي هذه المرحلة واجه الجمهور النشاطات الفنية للفنانين الشباب أما المرحلة الثالثة فكانت في السبعينات وتمثل بداية النضوج الاسلوبي والفكري في العمل مع ازدياد المعايشة الجماهيرية والرسمية للحركة التشكيلية في الكويت فقد ظهرت الأساليب الحديثة متمكنة أكثر في أعمال الفنانين مع تقدم مستواهم الأدائي في التكوين ونوعيته واتساع آفاقهم الثقافية وبذلك استطاعوا معايشة الحركات والأساليب المعاصرة

كويتية في السنغال

ولم تكن المرأة الكويتية بعيدة عن هذا المجال ، ... دخلته ، وأثبتت فيه قدرة وتمكنا يلفتان الأنظار ، ...

دى لوحات الفنانة ثريا البقصمي من رسالتها للماجستير
علاء الدين والمصباح السحري »

دورنا أن نقدم حصرا لهذا الوجود ، انما فقط نقدم هنا
ثة نماذج لفنانات كويتيات لهن حضور بارز في ساحة الفن
تشكيلي

الأولى هي الفنانة ثريا البقصمي التي تقيم الآن في
ار ، بحكم رواحها من القائم بالأعمال الكويتي في
نعال ، وقد درست الرسم في كلية الفنون الجميلة في
هرة لمدة سنتين ، ثم انتقلت بعد ذلك مدة سبع سنوات
كلية سوريكوف في الاتحاد السوفيتي تقول ثريا
صمي لقد استفدت كثيرا من دراستي في الاتحاد
وفيتي فقد درست في قسم (الجرافيك) وهو الرسم
وان المائية مع استخدام أنواع مختلفة من الطباعة الى
ب تخصصي في الاعلانات ورسوم الكتب لقد
صت في رسوم الكتب لأننا في حاجة ماسة لهذا النوع
لرسم ، كما أن موضوع رسالتي للماجستير التي
لت عليها من الاتحاد السوفيتي تناولت قصة علاء
، والمصباح السحري ، لأنه موضوع فيه مجال لأبراز
الشرقية ثم العادات والفلكلور الشرقي ، وبالطبع
صة علاء الدين والمصباح السحري مأخوذة من كتاب
ليلة وليلة ، لقد كانت رسالتي عبارة عن ٢٢ لوحة

وهي حاليا ملك لكلية الفنون في موسكو

وتستطرد الفنانة ثريا قائلة أما المواضيع التي أعالجها فتتعلق بالفلكلور الكويتي ثم المواضيع ذات الصبغة الرمزية كما انني أحب رسم المناظر الطبيعية والوجوه (البورتريه) . انني في الحقيقة لا أميل الى التجريد أو رسم الأشياء المبهمة انما أضع بالدرجة الأولى احساساتي في اللوحة التي أرسمها كما أنني أفضل (اللونا ليوم) وهو نوع من الطباعة اليدوية تعتمد بالدرجة الأولى على الطريقة التي يقطع فيها (اللوناليوم) الربط بين مساحات الابيض والاسود ، أما الخامات التي استخدمها في لوحاتي فهي الألوان المائية وألوان (التمبرا) وهي الوان ممزوجة بالبيض وتمتاز بالشفافية ثم الحبر الشيني والوان الباستيل كما اني أرسم على قماش الحرير ، والرسم على الحرير تعلمته في أفريقيا

وتضيف قائلة : انني لا أميل الى الرسم بالألوان الزيتية لأني أحس بأنها ثقيلة ولا تعطي النتيجة التي أطلبها مع أن معظم الجمهور يعتقد بأن الألوان الزيتية هي الأفضل لأنها تدوم مدة أطول ان الفنان الجيد هو الذي يستطيع أن يتحكم في المادة ويبرز موضوعه بشكل جيد ، وبالطبع يفترض أن يتوافر فيه الخيال والموهبة ثم الدراسة الأكاديمية التي تعد الأساس في خلق الفنان الجيد

وفي اجابتها على سؤال عن المعارض التي ساهمت وشاركت فيها فتقول انني ساهمت في معارض مشتركة في بغداد وبرلين والقاهرة والاتحاد السوفيتي ثم في كنشاسا عاصمة زائير ، ومن طريف ما حدث في معرضي الذي أقمته في كنشاسا أن أشاعت بعض زوجات الدبلوماسيين انني استأجرت أحد الفنانين لينفذ لي اللوحات ، ثم عرضتها باسمي لأنهن لا يمكن أن يتصورن بأن المرأة العربية يمكن أن تكون فنانة تشكيلية ، بل أنهن أشعن بأنني روسية الأصل ، وأحب أن أقول إنني من أسرة عايشت الفن فقد كان جدي الحاج أحمد البناء المعروف بالكويت بالأسطى أحمد قام ببعض الأعمال الفنية في معظم قصور أمراء الكويت ، ويعود له الفضل في هندسة مستشفى الارسالية الامريكية والمستشفى الأميري وبعض مساجد الكويت .

ولما كانت الفنانة ثريا البقصمي قد قضت عدة سنوات في دول أفريقيا فقد تحدثت عن تجربتها مع الفن الافريقي

« عـلاء الـديس والمصـــاح السحري » هو مـوصوع رسالة الماحستير للعمانة ثـريا النقصمي وبشاهدها هنا امام احدى لوحات هده الرسالة (إلى اليمين)

لما كانت الفنانة ثريا النقصمي قد امصت فتـرة من حياتها في دول افـريقيـة بحكم عمـل روحها كـدبلومـاسي هنـاك ، فـانها استوحت بعض الملامح الافريقية في رسـومـاتهـا ، وفي الاعـلى والاسفـل لوحتـان تمثلان البيئة الافريقية

قائلة ان الفنان في أفريقيا مع الأسف الشديد نسي اصالته فهو يقلد الفنون الأوروبية الحديثة كما شوه الفن الافريقي فهو يرسم أشياء غير مفهومة وبعيدة كثيرا عن قضاياه المحلية مثلا نلاحظ أن الفنان الافريقي يستخدم ألوانا صارخة يضعها في أشكال معقدة في محاولة لتقليد الآخرين ، بينما الفن الافريقي الحقيقي يتسم بأنه يتناول المواضيع الحياتية الحية ، وألوانه تتدرج ما بين الرمادي ومشتقاته ، وهي ألوان هادئة فيها الكثير من الروحانية

وعن الفن في الكويت تقول الفنانة ثريا البقصمي هناك مجموعة جيدة من الفنانين الكويتيين أمثال الفنان عبد الرسول سليمان والآنسة موضي الحجي وسامي محمد فهؤلاء لهم انتاج لا بأس به ، ولكن الشيء الذي لا يعجبني هو اتجاه أكثر الفنانين الكويتيين للسريالية ، كما ان البعض يكرر نفسه في عدة أعمال فالفنان الجيد هو الذي يجعل التجديد أساس نجاحه الفني

وحول تخصصها في رسومات أغلفة الكتب والرسوم الداخلية للكتاب ، تقول ان الكتاب العربي ما زال يفتقر الى الغلاف الجيد . والأغلفة الموجودة الآن تطغى عليها الصبغة التجارية ، لا شك أن الرسومات الداخلية للكتب مهمة جدا لتوضيح فكرة الكاتب كما ان الغلاف الجيد والرسوم الجيدة مكملة للكتاب وتساعد في تنمية الخلفية الثقافية للقارىء ، ومن الملاحظ أن الكثير من الكتب الجيدة لم تنجح نظرا لعدم وجود الغلاف الجيد ، وغني عن القول ان هناك اهمالا واضحا في أغلفة وصور كتب الاطفال التي يجب أن تحظى باهتمام كبير لتنمية قدرات الطفل ، أما بالنسبة لكتب الشعر والقصص العربية فاني أدعو الى الاهتمام بالرسوم التوضيحية فيها ، وأن تكون تلك الرسوم ذات احساس نفسي يصور احساسات مؤلف الكتاب

أما عن آخر معرض اشتركت فيه الفنانة ثريا البقصمي فقد كان في مدينة دكار في السنغال في مارس سنة ١٩٨٢ حيث افتتحته السيدة اليزابيث ديوف قرينة رئيس الجمهورية وبرعاية سفارة دولة الكويت في السنغال ، وبحضور حشد من رؤساء البعثات الدبلوماسية المعتمدة لدى السنغال المهتمين بشؤون الفن ، حوى المعرض ٧٠ لوحة رسمت لطرق وتقنيات مختلفة ما بين الطباعة ورسم الوان الزيت (التمبرا) والرسم على الحرير وقد كانت

الفنانة موضي الحجي امام لوحة للمغفور له الشيخ احمد الجابر الصباح احد حكام الكويت السابقين

مواضيع اللوحات جديدة بالنسبة للجمهور السنغالي ، وخاصة فيما يتعلق بحياة البادية والفلكلور الكويتي ثم اللوحات ذات المواضيع الشرقية والاسلامية

سامية السيد عمر

أما الفارسة الثانية من رائدات الحركة التشكيلية في الكويت فهي الفنانة سامية السيد عمر تقول . الحقيقة كنت متفوقة منذ طفولتي في مادة الرسم ، فقد كنت أحب مادة الرسم في المدرسة الابتدائية ، كما كنت أهتم بدروس الأشغال والرسم ، كنت أرسم كل شيء يخطر ببالي في فترات الاستراحة بين الدروس وكنت أتلقى التشجيع والمساعدة من مدرساتي

وتستطرد الفنانة سامية السيد عمر قائلة لقد كانت مدرسات التربية الفنية هن أول من شجعنني بممارسة الرسم وحرصت أن أبرز فيه ، فسافرت للخارج كم

أصل هذه الموهبة . تقول الفنانة سامية عمر : انني لم أقم معرضا شخصيا خاصا بي بل اشتركت مع مجموعة من الاخوة الفنانين في معارض الربيع التي كانت تقيمها جمعية الفنانين التشكيليين ، لقد اشتركت لاول مرة في معرض الاندية الصيفية الاول عام ١٩٦٣ بمجموعة من اللوحات، كما اشتركت في معرض الربيع الثالث عام ١٩٦١ الذي أقيم في صالة المباركية وقدمت فيها لوحتين زيتيتين تمثلان البيئة الكويتية الاصيلة ، وهي لوحة (رقصة شعبية) ولوحة (حملة زواج) وذلك بالأسلوب الواقعي ثم تابعت بعد ذلك الاسهام في المعارض التي أقيمت في الكويت حتى حصلت على الثانوية العامة والتي مهدت لي الطريق للالتحاق بكلية الفنون الجميلة في القاهرة عام ١٩٦٦ ولكن لم أكمل دراستي في القاهرة لظروف خارجة عن ارادتي ثم تابعت دراستي بعد ذلك فسافرت الى اسبانيا والتحقت بكلية (سان فرناندو) للفنون الجميلة لمدة خمس سنوات وتستطرد الفنانة سامية السيد عمر قائلة ان الصدفة ووالدي كانا سببا لدراستي في اسبانيا ، فهناك عشت حياة فنية حافلة ، درست الفن وتاريخ الفن ومارست الاتجاهات الحديثة ، فتأثرت أعمالي بالأساليب الحديثة متدثة بالانطباعية والتجريدية » .

وقد تخرجت الفنانة سامية السيد عمر سنة ١٩٧١ وعادت لتشارك أخواتها واخوانها في النهضة الفنية ، فهي الآن مدرسة تقوم بتدريس مادة التربية الفنية في احدى مدارس الكويت المتوسطة تقول الفنانة سامية السيد عمر انني لا أتبع في رسوماتي مدرسة معينة بل لي أسلوبي الخاص واستخدم الألوان المائية أكثر في التصوير ، كما أشارك في تصميم شعارات بعض النوادي والمؤسسات والشركات التجارية ، كما انني أدرس فن الديكور بالمراسلة ، أعمالي الحديثة تجريدية مستمدة موضوعاتها من الحياة ، تمتاز بأن خطوطها قوية في توزيع الألوان وتكوين العناصر المجردة بمصورات شيقة

موضي ... والرعيل الأول

وثالث فنانة تشكيلية هي موضي الحجي التي افتتحت منذ مدة معرض الرواد الأوائل على ظهر سفينة كويتية قديمة هي السفينة « محمدي الثاني » التي سوف تستخدم كمقهى فريد من نوعه لاحد الفنادق في البلاد عرضت الفنانة موضي الحجي في معرضها هذا ٤٠ لوحة تمثل صورا لشخصيات كويتية كان لها دور بارز في الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الكويت قبل ظهور النفط حيث نشطت حركة تجارة اللؤلؤ وتجارة الاخشاب ، فكانت السفن الكويتية تمخر عباب البحر بحثا عن مغاصات اللؤلؤ ، عماد الاقتصاد الكويتي آنذاك أو تلك السفن التي كانت تسافر الى الهند وشرق أفريقيا للتجارة هذه الفترة عاصرت عهدي الشيخ مبارك الصباح والشيخ أحمد الجابر الصباح

تحدثنا الفنانة موضي الحجي عن سبب اختيارها لهذا الموضوع فقالت لقد استوحيت فكرة رسم الشخصيات الكويتية من خطاب سمو الأمير الشيخ جابر الأحمد

السيد فيصل بن علي وزير الثقافة في سلطنة عمان يفتتح معرض الفنانة موضي الحجي في مسقط

الفنانة سامية السيد عمر ومشروع لوحة جديدة تمثل جانبا من جوانب مجتمعنا الكويتي المعاصر (الى أعلى) وتقوم الفنانة سامية بتدريس مادة التربية الفنية في احدى مدارس الكويت وهنا ترشد احدى طالباتها للطريقة المثلى في الرسم البارز (الى اسفل)

الصباح أمير الكويت عام ١٩٧٨ حينما تحدث عن الرواد الأوائل في الكويت . وتستطرد الفنانة موضي الحجي قائلة تمنيت يوما أن أقوم بعمل أبرز فيه هؤلاء الأفذاذ الذين خدموا الوطن وتركوا منجزات تستحق التقدير

وتضيف موضي قائلة في البداية لم يكن الأمر سهلا بالنسبة لي حيث ان هؤلاء الرجال كانوا في عداد المنسيين فلم يدون شيء من سيرة حياتهم أو أعمالهم لذا بذلت جهدا كبيرا في سبيل الحصول على معلومات عنهم فقمت بزيارة أقربائهم واطلعت على صورهم وأوصافهم وقصص حياتهم ، وبذلك تكونت لي حصيلة طيبة من المعلومات التي أفادتني في عملي

من أبرز هذه اللوحات المعروضة لوحة تمثل شخصية السيد أحمد الغانم أول طبيب شعبي في الكويت عاش نحو ١٠٠ سنوات كان يقوم بمعالجة الكسور والأمراض المستعصية ، ثم لوحة أخرى تمثل السيد حمد عبد الله الصقر وهو صاحب سفن نقل البضائع ثم لوحة للسيد ناصر البدر أحد تجار اللؤلؤ واشتهر بتربية الخيول الأصيلة وكان كريما مضيافا ، ثم لوحة لشاعر نبطي هو زيد الحرب بالاضافة الى لوحات عدة لأمراء الكويت منذ الشيخ مبارك الصباح حتى الآن ، كما حوى المعرض لوحات أخرى تمثل السفن الكويتية القديمة التي كانت تستخدم للنقل والسفر مثل الداو وبوم بن رشدان والمهلب وقد حرصت الفنانة موضي الحجي أن تشير من خلال لوحاتها الى فترات الحكم في الكويت بأعلام السفن منذ العهد العثماني حتى عهد الاستقلال

وهي تقول ان كل الزوار الذين قاموا بزيارة المعرض أشادوا بتلك اللوحات الا انهم حبذوا لو اني رسمت كذلك صورة الانسان الكويتي الكادح المتمثل في الغواص والبناء والحداد والتاجر وغيرهم تلك الطبقة التي قامت الكويت على أكتافهم

معرض متنقل

لقد طافت الفنانة موضي الحجي بمعرضها هذا بعض دول التعاون الخليجي فزارت قطر والبحرين والامارات العربية المتحدة وسلطنة عمان وقد لاقى معرضها اقبالا جماهيريا كبيرا ففي دولة البحرين مثلا كتب الاستاذ طارق المؤيد وزير الاعلام في سجل الزيارات كلمة قال فيها ان فكرة تدوين الفكر المعاصر من خلال الفن هي فكرة حضارية تستحق كل تشجيع وقال ان جولة الفنانة الكويتية في دول المنطقة ستكون بداية لتخليد الرجال الأوائل الذين وضعوا اللبنة الأساسية في بناء خليجنا المعاصر

تقول الفنانة موضي الحجي ان الفن التشكيلي عندي يمثل لغة عالمية تصل الى كل الشعوب من غير تمييز كما تفهمه الشعوب - معان من غير مفردات أو قل مفرداتها اللون والمساحة والمضمون ، والفن التشكيلي في نظرها أداة تعبير محلية يتفاعل من خلالها الانسان مجتمعه ، همومه وآماله وآلامه وتاريخه ومكونات نفسه

أما عن المدرسة التي تتبعها فتقول اني لا أقيد نفسي بمدرسة معينة من المدارس الفنية المعاصرة ، بل أسخر امكانياتي الفنية لأظهر الموضوع الذي أريد معالجته . وليس عندي مانع في مزج المعالجات الحديثة مع المدرسة الواقعية لابراز الموضوع الذي أريد أن أطرحه ، ومثال ذلك معرضي الأخير الذي أقمته في الكويت وطفت به عدة بلدان خليجية ، لقد كان الجمهور مقبلا على هذا المعرض واستحسنوا فكرته بل اعتبروها فكرة رائدة ، لأن أبناء الخليج هم أبناء منطقة واحدة والتجارب التي مروا بها هي نفس التجارب التي مرت بها الكويت والبحرين أو قطر أو أي بلد خليجي آخر وتستطرد لتقول إن الشخصيات التي تناولتها كانت معروفة لديهم فأغلبهم كانت لديه تجارة رائجة في أسواق هذه المدن الخليجية ، بالاضافة الى أنهم كانوا معروفين في الهند وسيلان وأفريقيا الشرقية حتى اليمن والبصرة ، حتى ان الجمهور هناك كان يعرف السفن التي رسمتها بل قال بعضهم انه عمل في هذه السفن مثل بوم بن رشدان أو الداو أو المهلب

وحول سؤال لنا عن الفتيات اللاتي يزاولن الفنون التشكيلية والمشاكل التي يواجهنها قالت ان المجموعة النسائية اللاتي يعملن في هذا المجال قليلات جدا ، ولو أتيحت لهن الفرصة والتشجيع فسوف تقبل الفتاة الكويتية على هذا النوع من الفن لقربه من طبيعة الفتاة ، كما ان العمل الفني يحتاج الى صبر وجلد ومع الأسف معظم فناناتنا قليلات الانتاج ■■

ص . ق علي

مُعجَمُ الجَمهَرة

ثاني عمل موسوعي في تاريخ العرب

بقلم قسطنطين تيودوري

في العدد رقم ٢٥٣ (ديسمبر ١٩٧٩) نشرت « العربي » مقالا للأستاذ قسطنطين تيودوري حول « الفراهيدي » ـ أول من قدم المعاجم عند العرب وفي هذا المقال يعرض الأستاذ قسطنطين لثاني المعاجم العربية ، الذي يحمل اسم الجمهرة

صاحب معجم الجمهرة هو اس دريد الأردي الدي ولد بالبصرة في حلافة المعتصم سنة ٢٢٣ هـ / ٨٣٧ م ، وأخد العلم عن جماعة من كبار البصريين في زمانه كأبي حاتم السجستاني وأبي الفضل الرياشي ، وعبد الرحمن بن عبد الله المعروف بابن أخي الأصمعي وغيرهم وكان ممن اكسبوا مدرسة البصرة شهرة وازدهارا بتميزه بالعلم والشعر ولزم البصرة حتى سنة ٢٥٧ هـ / ٨٧١ م حين هاجمها الزنوج ونكلوا بكثير من أهلها ، فرحل عنها مع عمه الحسين وقصد الى عمان ـ وطن قومه الازد ـ ، فأقام بها اثنتي عشرة سنة ثم عاد الى البصرة ، وبعد ذلك خرج الى فارس ووفد على عبد الله بن محمد بن ميكال ، وكان والي نيسابور عاصمة خراسان ، فنال حظوة في عينيه وعيني ابنه اسماعيل ، فمدحهما بقصيدته المشهورة ، وهناك ألف معجمه « الجمهرة » ولما عزل اسماعيل سنة ٢٨٠ هـ / ٩٢٠ م ، قدم الى بغداد ، وعين له الخليفة المقتدر راتبا شهريا ليتوفر على العلم والتعليم

ظهر هذا المعجم في القرن الثالث للهجرة ، وقال صاحبه في مقدمته وانما أعرناه هذا الاسم لأننا اخترنا له الجمهور من كلام العرب وأرجأنا الوحشي والمستنكر

بين الجمهرة والعين

نسج ابن دريد في تأليف معجمه على منوال « العين » للخليل ، الا أن هناك اختلافا بينهما من ناحية الترتيب والتنظيم ، فالخليل كان يجمع كل الصيغ التي تشتق من

مادة تحت مادتها ، فاذا كانت اسما ذكر مفرده وجمعه ، وان كانت فعلا ذكر ماضيه فمضارعه فمصدره ثم الصفة منه ، فهو من هذه الناحية يميل الى نوع من التنظيم والتنسيق في معالجة هذه الصيغ ، بينما نرى صاحب الجمهرة يوزع صيغ المادة الواحدة على أبواب متباعدة ، ويحاول أن يربط بين الصيغ الفرعية والاصلية ، ولكنه في آخر الأمر يغلب عليه التشويش والغموض ، اذ كثيرا ما كان يبدأ بالفعل اللازم والمتعدي والمجرد ، ويهمل اهمالا تاما قضية الفعل فلا يتطرق الى ذكر مصدره والصفة منه وفي الوقت نفسه ، لا نجد عند ابن دريد الدقة والوضوح في تفسيره للقواعد الصرفية والنحوية كما نجدها عند الخليل الذي - وإن سبقه في الزمن - فاقه في بعض المزايا

على أن لابن دريد حسنات ومميزات ، فقد تجنب النظام الذي اتبعه الخليل ، فأهمل ترتيب معجمه على المخارج ، وسار على الترتيب السهل الشائع للألف باء ، وابتكر تبويبا جديدا في المواد نفسها وزاد الأبواب اللغوية من المعجم وصيغا كثيرة أهملها صاحب العين وكانت هذه الزيادة من الكثرة بحيث اعتمد عليها الموسوعي الكبير ابن التياني القرطبي في معجمه « الموعب » الذي ظهر في صدر القرن الخامس ، وكان هذا المعجم من أضبط المعاجم وأصدقها رواية

لقد اقتبس ابن دريد الشيء الكثير في اللغة والادب والتاريخ ، واستمد الكثير من الشواهد القرآنية ، وعني بالمعرب والدخيل من الحبشية أو الرومية أو السريانية والعبرانية أو النبطية أو الفارسية ، وأورد أشياء في اللغة لم توجد في كتب المتقدمين على حد قول المسعودي صاحب مروج الذهب ، وأورد كذلك كثيرا من الألفاظ من لغات اليمن فاق بها الخليل ، ومع ذلك فقد رماه أبو منصور الأزهري صاحب معجم « تهذيب اللغة » وأحمد بن فارس صاحب معجم « مقاييس اللغة » بافتعال العربية وتوليد الالفاظ ، وادخال ما ليس من كلام العرب في كلامهم ، وهذه التهمة التي رمياه بها لم تكن صحيحة ، لأنه لم يكن جامدا متزمتا في تفكيره كغيره من اللغويين ، انما كان ذا عقلية حارة يريبها التجدد والابتكار

لقد كان ابن دريد أكبر علماء عصره في اللغة وأقدر النقاد ، لذلك كان يطلق عليه « أعلم الشعراء وأشعر العلماء » وكان ابن الطيب اللغوي يقول عنه في كتابه (مراتب النحويين) « هو الذي انتهت اليه لغة البصريين وكان أحفظ الناس وأوسعهم علما وأقدرهم على الشعر ، وما ازدحم العلم والشعر في صدر أحد ازدحامهما في صدر ابن دريد » وكان رحال اللغة يمتحون منه ويستندون اليها ، منهم أكبر الموسوعيين وأوسعهم شهرة ابن منظور الذي ضم معجم « الجمهرة » من جملة ما ضم من معاجم في معجمه الضخم (لسان العرب) ونظرا لقيمته اللغوية اختصره الصاحب بن عباد في كتاب سماه (الجوهرة)

الطعن في معجم الجمهرة

لم يسلم هذا المعجم من مآخذ اللغويين ولدغات النقاد ، فقد طعن فيه نفطويه أحد أئمة النحو والأدب مدعيا ان كتاب الجمهرة مسروق من كتاب العين الا أن السيوطي أنكر عليه ذلك بقوله « ولا يقبل فيه طعن لأنه كان بينهما منافرة عظيمة » ، والحقيقة أن نفطويه (٨٥٩ - ٩٣٥) م كان متحيزا تحيزا شخصيا اذ كان يكن كراهية خاصة لابن دريد بسبب معاقرته الخمر قال نفطويه هاجيا له

ابن دريد بقره	وفيه عيّ وشره
ويدعي من حمقه	وضع كتاب الجمهره
وهو كتاب العين الا	أنه قد غيره

فرد عليه ابن دريد بقوله

لو أنزل الوحي على نفطويه	لكان ذلك الوحي سخطا عليه
وشاعر يدعى بنصف اسمه	مستأهل للصفع في اخدعيه
أحرقه الله بنصف اسمه	وصير الباقي صراخا عليه

من هذه الأبيات نستطيع أن ندرك شاعرية صاحب الجمهرة الذي يذهب بالشعر كل مذهب ، فطورا يغضب وطورا يرق ، فاسمعوه يقول

عذراء لو جلت الخدود شعاعها
للشمس عند طلوعها لم تشرق
غصن على دعص تأود فوقه
قمر تألق تحت ليل مطبق
لو قيل للحسن : « احتكم » لم يعدها
أو قيل « خاطب غيرها » لم ينطق

وكـ ـا من فـرعـهـا في مغـرب
وكـأنـا من وجـهـهـا في مشـرق
تـ ـر فيهتف للعيـون ضيـاؤها
« الـويـل حـل بمقلة لم تـطـق »

القصيدة المقصورة

وقد اشتهر صاحب « الجمهرة » بقصيدته المقصورة التي مدح بها آل ميكال ، وهي تشتمل على مائتين وثلاثة وخمسين بيتا ، ينتهي كل بيت منها بألف مقصورة ، ويقال انه أحاط في هذه القصيدة بأكثر المقصور وقلده في هذا النوع من الشعر من جاء بعده من الشعراء ، وعنى بشرحها والتعليق عليها عدد من كبار الشراح منهم محمد ابن أحمد بن هشام اللخمي (٥٧٠ هـ / ١١٧ م) ، وأبو زكريا التبريزي (٥٠٢ هـ / ١١٠٨ م) والزمخشري (ت ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م) ، والامام أبو عبد الله محمد بن جعفر المعروف بالقزاز صاحب كتاب « الجامع » في اللغة (ت ٩٥٣ هـ / ١٠٢١ م) وغيرهم كثيرون ونظرا لشهرة هذه القصيدة وتداولها بين الناس ، نشرها أحمد حودت المقدسي المعروف بالعكاري الطرابلسي في طرابلس سنة ١٣١٩ هـ ، وترجمها المستشرقون في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، كما ترجمها بعضهم الى اللاتينية

وقد خمس القصيدة المقصورة سعد بن علي الاربلي ، وعبد الله بن عمر الانصاري الوزير (ت ٧٧٧ هـ / ١٣٧٥ م) وشرف الدين الحسن بن الحسين بن علي وغيرهم وأورد هنا كنموذج لهذه القصيدة المشهورة ثلاثة أبيات مخاطبا فيها امرأة يذكر لها مشيبه وذهاب أيام لهوه

إما تـرى رأسـي حـاكـى لـونـه
طـرة صـبـح تحت أذيـال الـدجـى
واشـتـعـل الـمـبـيـض في مـسـوده
مثـل اشتعـال النـار في جـزل الغضى
فـكـان كـالـلـيـل الـبـهـيـم حـل في
أرجـائـه ضـيـاء صـبـح فـانـجـلى
...ما مطله ... لهو
... أشبهه شيء بـالـمـهـا
تـرعى الخزامى بين أشجـار النقـا

قصائد أخرى مشهورة

ولابن دريد قصائد أخرى مشهورة منها « المقصور والممدود » نظمها في خمسة وعشرين بيتا يحتوي كل منها على كلمتين متماثلتين ، إحداهما مقصورة والأخرى ممدودة مع شرح فروق المعاني بينها في بعض الأحيان وله قصيدة في ثلاثة عشر بيتا عن أعضاء الانسان المذكرة والمؤنثة ، وله أيضا قصيدة على حرف الطاء نظمها سنة ٣١٦ هـ وموجودة في المتحف البريطاني وله مرثيتان الاولى في الامام الشافعي ، والثانية في ابن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٣ م) ذكرهما الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧٢ م) في كتابه « تاريخ بغداد » ، وله قصيدة يهجو فيها أبا نصر أحمد بن حاتم الباهلي (ت ٢٣٥ هـ / ٨٤٨ م) وله أيضا قصيدة يمدح فيها يحيى بن عبد الوهاب الكاتب

ونشر معجم « الجمهرة » في حيدر أباد بالهند في ثلاثة أجزاء سنة ١٣٤٤ هـ ، وطبع لها فهارس في جزء رابع بعناية كل من الشيخ محمد السورتي ، والمستشرق البريطاني كرنكوف (١٨٧٢ -١٩٥٣ م) ، ومنه مختصر لا يعرف مؤلفه موجود في المتحف البريطاني ، في قسم « براون للدراسات الشرقية » وله غير « الجمهرة » كتب كثيرة منها كتاب مشهور موضوعه « اشتقاق أسماء القبائل » يبحث في أسماء القبائل والعمائر وأفخاذها وبطونها وساداتها وشعرائها على شكل معجم ، ويتضمن فوائد لغوية جمة ، ونشره المستشرق الالماني فردينان وستنفلد (١٨٠٨ - ١٨٩٩) في جوتنجين بروسيا في جزءين سنة ١٨٥٣ - ١٨٥٥ ، وقد نفدت نسخه ، فأعاد نشره محققا الاستاذ عبد السلام هارون بالقاهرة عام ١٩٥٨

وعرض لابن دريد وهو في التسعين من عمره فالج فبرىء منه ثم عاوده بسبب غذاء ضار تناوله ، وتوفي عام ٣٢١ هـ ، فيكون قد عاش ٩٨ سنة ، وقد رثاه جحظة البرمكي (٢٢٤ - ٣٤٢ هـ) بقوله

فـقـدت بـابـن دريـد كـل فـائـدة
لـمـا غـدا ثـالث الأحجـار والتـرب
وكنت أبـكي لـفـقـد الجـود مـنـفـردا
فصرت أبكي لفقد الجود والأدب ■■

قسطنطين تيودوري
عمان / الأردن

اذا ألقينا نظرة الى الوراء على عام ١٩٦٠ وعقدنا مقارنة بين التوقعات التي حدثت في ذلك الوقت وبين ما تم فعلا حتى عام ١٩٨٠ لوجدنا أن بعضا من هذه التوقعات قد تحقق ، ولكن عددا كبيرا من الأشياء غير المتوقعة قد حدث ، فهل سيحدث نفس الشيء بالنسبة لتوقعاتنا عام ٢٠٠٠ ؟ للاجابة على هذا السؤال يسعى لنا أن نستعرض ماذا حدث بين عامي ١٩٦٠ و ١٩٨٠

تنظيم الأسرة من ١٩٦٠ - ١٩٨٠

حبوب منع الحمل بدأ استعمال هذه الحبوب للمرة الأولى في شهر يونية ١٩٦٠ بالولايات المتحدة الأمريكية على أساس أنها وسيلة للتحكم في انجاب الاطفال تبعا لرغبة الزوجين ويستخدم هذه الوسيلة في الوقت الحالي من ٦٠ الى ٨٠ مليونا من السيدات الا أن استخدام هذه الحبوب بدأ يقل بسبب الخوف من بعض الأعراض الجانبية مثل تجلط الأوردة وغيرها

اللولب في عام ١٩٦٠ بدأ الاهتمام يزداد أكثر فأكثر باستعمال اللولب الذي يتم ادخاله داخل الرحم ويستخدم هذه الوسيلة الآن حوالي ٢٠ مليونا من السيدات ويرجع الاستخدام المحدود لهذه الوسيلة الى قلة عدد الأشخاص المؤهلين والقادرين على ادخال اللولب الى الرحم بكفاءة ومقدرة ، كما يرجع أيضا الى ازدياد كمية الحيض والآلام التي قد تحدث بعد وضع اللولب

التعقيم لم يكن من المتوقع في عام ١٩٦٠ أن يزداد الاقبال على هذه الوسيلة في عام ١٩٧٠ من ناحية الرجال والسيدات لا سيما في الولايات المتحدة الامريكية والمملكة المتحدة وقد أوضحت الاحصاءات ان ٦٠ مليون سيدة و ٢٠ مليون رجل لجأوا الى هذه الوسيلة لمنع الانجاب وقد تقدمت طريقة تعقيم السيدات في السبعينات وأمكن الاقلال من حجم الندبة المتخلفة عن الجراحة مما أدى الى زيادة الاقبال على هذه الوسيلة

الاجهاض لم يكن أحد يتوقع في عام ١٩٦٠ ... كان الحديث عن الاجهاض لا يجري الا همسا ... خطور

كبير في القوانين الخاصة بالاجهاض في السنوات العشرين الماضية . ففي الوقت الحالي يعيش ثلثا سكان العالم في بلاد تبيح الاجهاض بناء على رغبة السيدة الحامل بدون ابداء الأسباب ، أو في بلاد تبيح الاجهاض لأسباب اجتماعية أو اقتصادية أو صحية وتقدر الاحصاءات ان عمليات الاجهاض التي تجري كل عام تصل الى ٣٠ مليون عملية

ـ الوسائل الخاصة بالرجال في عام ١٩٧٠ اشتد الطلب على الوسائل الخاصة بالرجال مثل استخدام العازل الطبي أو قطع القناة المنوية ولم يتحقق ذلك نتيجة لحركات تحرير المرأة فحسب ، بل لرغبة الرجال أيضا في الاشتراك في مسؤولية تنظيم الأسرة ولكن هاتين الوسيلتين يتناقص استعمالها الآن

ـ استخدام الحقن تم العثور على مستحضر مشتق من البروجسترون يمكن حقنه في السيدة كل ثلاثة شهور ويستعمل هذه الوسيلة الآن مليون وربع فقط من النساء ولم تقابل هذه الوسيلة حظا كبيرا من النجاح لأن هذا المستحضر يوقف الدورة الشهرية عند عدد كبير من السيدات ، كما ان فعالية استعماله لمدة طويلة ليست مضمونة

ـ الوسائل الطبيعية وهذه تعتمد على ممارسة المعاشرة الجنسية خلال فترة الأمان (أي الفترة السابقة على خروج البويضة من المبيض) ولكن نظرا لعدم ضمان هذه الوسيلة فان استخدامها يقل تدريجيا كما ان وجوب الانقطاع عن المعاشرة الجنسية في فترات طويلة معينة يجعل هذه الوسيلة عاجزة عن التعميم

توقعات للمستقبل

في خلال السنوات العشر القادمة سيحدث تطوير بالنسبة لحبوب منع الحمل اليومية للسيدات ، يترتب عليه الاقلال من حدوث الأعراض الجانبية مثل الغثيان والقيء واضطرابات الحيض ، كما أن الأعراض الجانبية الخطيرة مثل حدوث التجلط بالأوردة ستصبح أكثر ندرة وتوجه الآن الجهود نحو ايجاد تركيبات جديدة تساعد على ترسيب المواد الفعالة في حبوب منع الحمل في الأنسجة الدهنية بالجسم ومنها تنطلق بطريقة تلقائية الى سائر أنحاء الجسم ونتيجة لذلك يمكن أن تتحول الحبة اليومية الى حبة أسبوعية أو حبة تؤخذ كل شهر كما أن الأبحاث الحالية تجرى أيضا لادخال تحسينات على اللولب بحيث لا يؤدي الى زيادة كمية الحيض ، وبحيث يستطيع اللولب المكوث في الرحم بدون مضاعفات لمدة عشر سنوات على الاقل وفي عام ١٩٩٠ نتوقع أنه ستكون تحت أيدينا مستحضرات جديدة لمنع الحمل تعطى بواسطة الحقن وسوف تستطيع السيدة عندئذ أن تختار بين أخذ حقنة كل شهر أو كل ثلاثة شهور أو كل ستة شهور ومن المنتظر أيضا تخليق عقاقير تغرس تحت الجلد ويستمر مفعولها لمدة خمس سنوات ، كما يمكن استئصالها اذا رغبت السيدة في الحمل أو في حالة حدوث بعض المضاعفات

ومن المتوقع أيضا أن يتم تعقيم السيدة بدون جراحة عن طريق حقن مواد كيماوية في الرحم تؤدي الى انسداد في الأنابيب

أما في سنوات ١٩٩٠ وما بعدها حتى نهاية القرن العشرين فمن المتوقع أن تحدث تطورات ضخمة في تنظيم المواليد ففي تلك الحقبة سوف تستطيع السيدات الحصول على « فاكسين » يمنع الحمل بطريقة تلقائية عن طريق احداث مناعة ضد الحمل ، أو بالتدخل في المراحل الأولى للحمل بدون أن تشعر السيدة بأن الحمل قد حدث والأبحاث التي تجرى حاليا على هذا « الفاكسين » تهدف الى تحديد مدة مفعوله من سنة الى خمس سنوات بحيث يمكن بعد ذلك أن تستعيد السيدة قدرتها على الانجاب

وفي السنوات الأخيرة وضعت تحت الاختبار بعض العقاقير التي تنظم القدرة على الانجاب عند الرجال ولكن النتائج ليست مشجعة

ان الأمل يحدونا بأنه في خلال السنوات العشرين القادمة سيتوصل العلماء الى اختراع حبوب لمنع الحمل يمكن استعمالها في ظروف مختلفة فمثلا حبة بعد المعاشرة الجنسية تتناولها السيدة في صباح اليوم التالي ، وحبة تتناولها السيدة عندما تلاحظ تأخيرا في ميعاد الحيض ، أو حبة تتكون من مستحضرات جديدة يمكن تناولها بطريقة منتظمة مرة كل شهر مع ضمان مفعولها ■■

د . أنيس فهمي ـ القاهرة

جان بياجيه

٦٠ عاماً من البحث في عقل الطفل

بقلم الدكتور حسن أحمد عيسى

هذا الرحل قضى ٦٠ عاما من عمره يحاول استكشاف الحياة العقلية للطفل وقد مرت الذكرى الاولى لوفاته في الشهر الماضي ، دون أن يذكره أحد ، وهو الذي وصفته مجلة نيوزويك الامريكية بأنه في مرتبة فرويد الذى كان له الدور الأكبر في استكشاف العالم الانفعالي للطفل .

بدأ عالم النفس السويسري جان بياجيه حياته العلمية كباحث في وقت مبكر للغاية ففي سن العاشرة كتب ونشر بحثا عن نوع نادر من الطيور ثم تحول اهتمامه فيما بعد الى دراسة الرخويات وعلى الأخص القواقع ، وكتب الكثير من المقالات عن هذا الموضوع نال منها بعض الشهرة حتى انه قد عرضت عليه سرا وظيفة أمين متحف لمجموعة الرخويات في متحف جنيف مسقط رأسه وهو عرض كان من الممكن أن يقلب حياته رأسا على عقب في حالة قبوله لأنه لم يكن قد أنهى بعد دراسته الثانوية

وقد بدأ بياجيه حياته الأكاديمية فعلا بحصوله على درجة الدكتوراه في البيولوجيا في عمر مبكر نسبيا اذ لم يكن يتجاوز الثانية والعشرين من عمره وبعدها انخرط فجأة في سلك التحليل النفسي الذي ترك تأثيرا واضحا في نظريته عن النمو العقلي للطفل وخاصة في المرحلة الثانية من هذا النمو التي تتميز عنده بالتفكير المتمركز حول الذات

وفي سن الرابعة والعشرين اتجه بياجيه القيام بدراساته الرائدة عن نمو الذكاء عند الاطفال وعندما بلغ الثلاثين من عمره أكسبته دراساته تلك الشهرة الواسعة في أوروبا كلها ، الا أن نظريته لم يتم نقلها في الولايات المتحدة الامريكية وغيرها من البلاد الا ابتداء من الخمسين... وبشكل تدريجي

وعلى الرغم من أن بياجيه قد ظل عقلا نشطا منتجا في ... البحث العلمي لأكثر من ٦٠ عاما ، وترك وراءه ... عن خمسين مصنفا ما بين كتاب وبحث منفرد الا ... ستذكره له الأجيال المقبلة هو أعماله الاولى التي ...

حان بياحيه في بيته بحنيف في مارس ١٩٧٣

العشرينات واكتشف من خلالها ما يمكن أن نسميه « بذرة الذكاء » وتطور نموها كما ينمو الجنين ، أو على حد قوله هو « التطور الجنيني للذكاء أما اهتمامه في السنوات الاخيرة من عمره فقد انصرف الى دراسة المنطق المجرد ، وأصبحت كتبه بالتالي مدعاة لمزيد من الصعوبة في فهمها

بياجيه وفرويد

دا كانت فكرة الانسان عن نفسه قد تغيرت تماما بعد أن قام فرويد بوضع تخطيطه للحياة الانفعالية للطفل ، كذلك فان بياجيه قد وضع خريطة العالم العقلي للطفل وأحدث فيها تحولات كبيرة ويعتبر بياجيه وفرويد من أكثر مفكري القرن العشرين اصالة فيما أتيا به من أفكار جديدة أدت الى استكشافات خطيرة في حياة الطفل والى ... من المهم للانسان وقد أثرت أفكارهما هذه على الكثير من علماء النفس الذين جاءوا بعدهما وساروا على نفس النهج الذي اتبعه كل منهما وابتعدوا عنه قليلا أو كثيرا وحتى عارضوه معارضة شديدة

الا أنه لم يكن لدى بياجيه ـ على عكس فرويد ـ ميل الى بناء النظريات الكبيرة الشاملة كما لم يكن عنده أي ميل الى الآراء القاطعة الموثوق بها ثقة عمياء بحيث يخوض في سبيلها معارك حامية الوطيس من الجدل الأكاديمي ، كما فعل فرويد مع من عارضه من تلاميذه مثل يونج وادلر وغيرهما من المنشقين عليه والمعارضين له بل الواقع أن بياجيه كان يتميز بشخصية متحفظة هادئة تشعر حينما تقابله وهو يسعى في شوارع مدينة جنيف ، سواء كان على قدميه أو فوق دراجته ، بأن وجهه الأبوي مألوف لديك ، بغطاء الرأس الأزرق الذي يرتديه دوما ، والغليون الذي يدخنه باستمرار والنظرات المتألقة في عينيه كما لو كان في طريقه الى اكتشاف الحل لآخر معضلة عقلية واجهته ، ولم يكن بياجيه ممن يعيرون كبير اهتمام للشهرة أو المناظرات الجدلية أو صغائر القول

والثابت أن بياجيه قد أحدث ثورة في دراسة تطور التفكير واللغة عند الطفل ، فقد ابتكر طريقة لم يسبقه اليها الا فرويد في دراسته للاضطرابات الانفعالية ، وكانت جديدة تماما في مجال دراسة تفكير الأطفال ، ونعني بذلك الطريقة الاكلينيكية التي تعنى بدراسة الحالة الفردية دراسة متسعة ومتعمقة في نفس الوقت

وقد أحدثت بحوث بياجيه انتقالة هامة في تاريخ دراسة علم النفس لتفكير الاطفال فبدلا من النظرة السلبية التي كان علم النفس التقليدي يتناول بها تفكير الطفل عن طريق تسجيل نواقص وعيوب هذا المستوى من نمو التفكير الانساني بمقارنته بتفكير الكبار ، حاول بياجيه أن يكشف عن الخصائص الكيفية المميزة لتفكير الطفل من منظور ايجابي فما كان يسترعي اهتمام الباحثين من قبل هو « ما الذي لا يوجد عند الطفل في تفكيره ؟ وما الذي ينقصه بالمقارنة بالكبار ؟ وعلى هذا الأساس حددوا خصائص التفكير عند الطفل بأنه تعوزه القدرة على التفكير المجرد ، وتكوين المفاهيم وربط الاحكام ، والاستنتاج وما الى ذلك ولكن بفضل بياجيه الجدث البحوث في هذا الصدد مسارا آخر يدور حول « ما الذي يوجد عند الطفل ؟وما الذي يتصف به تفكيره من

خصائص وصفات تميزه ؟ » والحق أن ما قام به بياجيه يعتبر جادا وجديدا في تاريخ الفكر السيكولوجي استفاد فيه من آراء « روسو » الذي كان مديرا للمعهد الذي يحمل اسمه بجنيف ، والتي تقول بأن الطفل ليس اطلاقا بالنموذج المصغر للشخص الراشد وبأن عقله ليس بعقل الراشد على نطاق صغير وتكمن وراء هذه الحقيقة التي أيدها بياجيه بالبرهان التجريبي ، فكرة بسيطة في جوهرها ، هي فكرة التطور التي أضاءت كل دراسات بياجيه

وقد أثبت بياجيه أن عقل الطفل يتميز بالنشاط والايجابية منذ الطفولة المبكرة فالطفل يجاهد منذ نعومة أظفاره لكي يفهم هذا العالم المعقد الذي يجد نفسه فيه ، ذلك العالم الذي تتغير فيه أشكال الأشياء بشكل غامض كلما تحركنا حولها ، وتختفي فيه الاشياء دون سابق انذار حينما يقف شيء أو شخص آخر في مواجهتها عالم يجعل الحياة تدب فجأة في مجموعة من حبات « البلي » بمجرد أن توضع على مكان منحدر

كان النهج الذي انتحاه بياجيه هو نهج العالم الطبيعي القائم على الملاحظة والتجريب وكان أهم مفحوصيه الذين أجري عليهم تجاربه وملاحظاته هم أطفاله الثلاثة ، على أن النتائج التي توصل اليها من دراستهم قد تكرر الحصول عليها من تجارب أخرى أجريت على مئات الأطفال من ثقافات ومجتمعات متنوعة

مرصد للذكاء

وكانت عبقرية بياجيه تكمن في أنه يستطيع أن يرى ذروة الذكاء في أعمال لا يرى فيها الآخرون الا مجرد أخطاء طفلية والواقع أن هذه الاخطاء كانت بالنسبة له المادة الخام للبيانات التي يحصل منها على نتائجه الباهرة

ففي احدى تجاربه التقليدية كان يواجه طفلا صغيرا باناءين أحدهما طويل وضيق والآخر متسع وضحل العمق ، ويحتوي كل منهما على نفس الكمية من الماء (أو الخرز) ، وقد اكتشف ان الأطفال كانوا يظنون أن بالاناء الأطول كمية أكثر من الماء عما يوجد منه في الاناء الأقصر (المتسع) ، ولا يمكن أن نجعلهم يغيرون من رأيهم هذا مهما استخدمنا من وسائل لايضاح غير ذلك ، ولكن يحدث لنفس هؤلاء الاطفال فجأة في سن السادسة أو السابعة أن يصلوا بشكل تلقائي الى تكوين التصور القائل بأن حجم السائل لا علاقة له بشكل الاناء الذي يحتويه ، وانه يظل ثابتا دون تغير مهما تغير شكل الاناء

وفي تجربة أخرى كان الاطفال حتى سن الخامسة أو السادسة يعتقدون أن ستة بنسات موضوعة فوق بعضها البعض تكون أقل في كميتها منها هي نفسها حين تكون موضوعة في صف أفقي أما عند سن السابعة أو الثامنة فان كل الاطفال تقريبا يفهمون أن عدد البنسات لا يتغير بصرف النظر عن طريقة ترتيبها وقد يكون لدى الطفل القدرة الفطرية على فهم هذه القاعدة العقلية الجديدة الا أنه لا يتعلمها الا من خلال ما يقوم به من فعل وما يمر به من خبرة

والواقع أن نظرة بياجيه الى تأثير الخبرة لا تنفصل عن تقديره للعوامل الفطرية الكامنة في كل طفل بشري على أساس من الوراثة الانسانية العامة فكل خبرة يمر بها الطفل ، في رأيه ، انما ينظمها الذكاء الفطري لديه وكل طفل عنده يبني لنفسه نموذجه الخاص الفريد عن الواقع ، ويقوم بمراجعة هذا النموذج على الدوام وبتتابع منتظم في مراحل نموه العقلي المتتالية

وصل بياجيه من تلك التجارب والملاحظات التي قام بها في العشرينات والثلاثينات الى تكوين نظريته عن النمو العقلي ومراحله فهو يرى أن الأطفال يمرون جميعا بسلسلة متتابعة من مراحل النمو المحددة تتمثل في خمس مراحل كبرى تنقسم الى عدد من المراحل الفرعية أو الاطوار وتبدأ أولى هذه المراحل عند الميلاد حينما يكون الوليد الصغير غير واع بوجوده الخاص ولا يدرك العالم المحيط به على هيئة أشياء دائمة توجد في المكان والزمان ، وتنتهي بين الحادية عشرة والخامسة عشرة بالوصول الى القدرة على استخدام التفكير المنطقي والمجرد

التمثل والمواءمة

وقبل أن نخوض في تفاصيل هذه المراحل ينبغي أن نش[ير] الى عمليتين هامتين يبدأ بهما بياجيه نظريته في النشاط العق[لي] ويعتقد أنهما أساسيتان لنمو كل كائن عضوي و[هما] عمليتا التمثل والمواءمة ويصفهما بعمليتين متكاملتين

إن للاطفال نظرات مختلفة للعالم ، كما أن لهم طرقا مختلفة في التفكير

مفهوم التكيف والتمثل هو عملية تلقي الأشياء من البيئة واستخدامها في نشاط معين موجود في ذخيرة الكائن العضوي من الأنشطة وأبسط الأمثلة على التمثل هو الأكل ، فالطعام يتغير في أثناء عملية ادخاله للجسم ويصبح جزءا من الكائن العضوي أما المواءمة فتعني اضافة أنشطة جديدة الى ذخيرة الكائن العضوي أو تعديل أنشطته القائمة استجابة لظروف البيئة وتتكامل هاتان العمليتان وتتضمن كل منها الأخرى فاذا كانت أجزاء الطعام المطلوب من الكائن تمثلها كبيرة ، يكون عليه أن يفتح فمه فتحة واسعة كما أن هناك عددا من العمليات البدنية والكيميائية التي تحدث في الكائن العضوي لكي توائم بينه وبين نوع الطعام الذي سيتمثله وتغير في نفس الوقت ما تم هضمه منه ويستعمل بياجيه مصطلحي التمثل والمواءمة بمعنى أوسع لكي ينطبق على العمليات العقلية فيشير التمثل الى أي عملية يغير بها الكائن المعلومات التي يستقبلها ، أي العملية التي يجعلها فيها جزءا من معرفة الكيمية عند الكائن وهكذا فان المعلومات تهضم ، أما المواءمة فتعني أي توافق يكون على الكائن أن يقوم به ازاء العالم الخارجي حتى يتمثل المعلومات ويرجع النمو العقلي الى التبادل المستمر النشط للادوار بين التمثيل والمواءمة

ويحدث التكيف الذكي حينما تتوازن العمليتان أو يكونان في « حالة اتزان » ، ولكن حينما لا يكونان كذلك فان المواءمة أو التوافق مع شيء ما يمكن أن يتغلب على التمثل ، وهذا ما ينتج عنه المحاكاة وبالمقابل فان التمثل قد يتغلب بدوره كما يحدث في ملاءمة الانطباع والادراك مع الخبرة السابقة وتكييفها لحاجة الفرد وهذا ما يحدث في اللعب فهو تمثل خالص يغير المعلومات المتحصلة لتتلاءم مع متطلبات الفرد ويكون اللعب والمحاكاة جزءا متكاملا يساعد في نمو الذكاء عند الطفل الانساني وارتقائه وهذا ما ينتج عن تحقيق نوع من التوازن بين عمليتي التمثل والمواءمة ، كذلك حيث يصبح الطفل أقدر على تناول المثيرات البعيدة عنه في المكان والزمان ، وعلى استخدام الطرق غير المباشرة في حل المشكلات

● جان بياجيه

وقد بذل بياجيه جهدا علميا مضنيا لم يسبقه اليه أحد لكي يحدد بالتفصيل الخصائص المميزة لكل مرحلة من مراحل النمو العقلي التي نتناولها بايجاز

١ ـ مرحلة الذكاء الحسي الحركي

وتبدأ من الميلاد وحتى نهاية العام الثاني تقريبا ويبدأ النمو العقلي فيها معتمدا على انطباعات غير مترابطة تأتي للطفل من حواسه المختلفة فالطفل في البداية لا يميز بين ذاته والعالم الخارجي ثم يبدأ في ادراك ذاته كشيء أو موضوع بين مكونات العالم الكثيرة المحيطة به والتي لا يتأثر عليها نشاطه

وهو يكتسب تدريجيا أثناء هذه المرحلة الاحساس والتآزر الحركي والتوافقي اللازم لادراك الأشياء ومعالجتها في المكان والزمان وتتميز استجابات الطفل الرضيع بأن الحكم على الأشياء يكون عن طريق الاختلاف ، فالزجاجة التي تكون بعيدة عن النظر بالنسبة له هي زجاجة فقدها الى الأبد .وهو قد يتابع نقطة من الضوء المتحرك حينما تكون في مستوى نظره ، ولا يكون هناك أي استجابة لها اذا ابتعدت عن هذا المستوى وهو يستمر في التعرس في شيء ملفت للانتباه ، الى أن يختفي عن نظره ويتعلم الطفل قرب نهاية هذه المرحلة كيف يتحكم في حركاته في الفراغ وأن يكون فكرة دائمة عن الاشياء ، وهذا ما يوفر له نوعا من الاحساس بالثقة النابعة من توقعاته بوجود الانتظام في العالم المحيط به ومن امكانه الاعتماد على ذاته في القيام بأفعال معينة اي انه باختصار يكتشف العالم الخارجي من خلال ذاته كجسم ، فهي الاطار المرجعي الذي ينسب اليه كل ما يدركه في العالم الذي يجد نفسه فيه

٢ ـ مرحلة ما قبل المفاهيم

وتستمر من العام الثاني الى نهاية العام الرابع والطفل فيها يستخدم تمثيلات أو صورا تمثل أو ترمز لأشياء أخرى فبدلا من مجرد القدرة على تخيل الأشياء في حالة غيابها، يتعلم الطفل أن يرمز الى عالم كامل من الأشياء

والعلاقات التي بينها ولكنه لا يزال غير قادر على أن ينظر لهذه الأشياء من وجهة نظر أخرى الا وجهة نظره الخاصة به ، وهذا ما يسميه بياجيه بالتفكير المتمركز حول الذات فهو يضع شيئا الى جانب شيء آخر لأن شيئا من كل منهما قد جذب انتباهه وتعطى أسبابا لما يقوم به من أفعال بطريقة مشابهة فالبالون تطير لأنها حمراء وعليها شريط أو خيط أي أن تفكيره يتميز بأنه نوع من التفكير التحولي من الخاص الى الخاص وهو يختلف عن التفكير الاستنباطي من العام الى الخاص والتفكير الاستقرائي من الخاص الى العام

٣ ـ مرحلة التفكير الحدسي

وتدوم من سن أربع سنوات وحتى السابعة من العمر ويتحرر تفكير الطفل في هذه المرحلة من كثير من نقائص المرحلة السابقة ومع ذلك يظل محكوما بحدود كثيرة ، والسبب الرئيسي لذلك ان التفكير لم يتحرر تماما من الادراك ويتميز التفكير في هذه المرحلة حسب تعبير بياجيه ـ بأنه من النوع الحدسي أو الذهني ، ونفهم معنى ذلك من تجربته المشهورة التي يصب فيها مجموعة من الخرز من اناء زجاجي معين الى اناء زجاجي آخر أطول وأضيق ومع ذلك فان الطفل يقول بأن كمية الخرز صارت أكبر (بسبب طول الاناء وضيقه) والسبب الأساسي في هذا ان الطفل ما زال محكوما بالادراك أكثر منه بالتفكير ، وبالتالي فان نتائجه تتأثر بالتغيرات في النقاط التي تكون مركزا للادراك وبالاضافة الى ذلك فان الطفل يركز على جانب واحد ويتجاهل الجوانب الأخرى فالتمركز يؤدي به الى التهويل من شأن عنصر معين وتجاهل العناصر الأخرى فهو يركز على طول الاناء أو ضيقه ، وليس على كليهما كما يفعل الراشد السوي في مثل هذه الحالة

٤ ـ مرحلة العمليات العيانية

وتستمر من سن السابعة وحتى الحادية عشرة ويبدأ الطفل في هذه المرحلة أولى العمليات الاستدلالية التي يمكن أن تتفق مع أسس المنطق . فالتفكير المنطقي لا يظهر الا حين يتوفر لدى الطفل ذخيرة من المفاهيم التي تنتظم فيما بينها في نسق متماسك وتسمى هذه المفاهيم التي تشكل التفكير المنطقي أو الاجرائي « بالعمليات » لأنها عبارة عن استجابات تم استيعابها وأصبحت تمثل قواعد عقلية أو قوالب للتفكير

وفي هذه المرحلة يصبح الطفل قادرا على عمـ[...] العمليات في ذهنه ، ولكن هذا يحدث فقط في العملـ[...] العيانية (كتجربة صب الخرز من اناء واسع لاناء ضيق) ولا تصبح هذه العمليات مجردة تماما عن كل الأمثلة العيانية الا في المرحلة التالية في سن المراهقة

٥ ـ مرحلة العمليات الصورية

في هذه المرحلة التي تستمر حتى سن الخامسة عشرة يمكن التوصل الى البرهان المنطقي الصوري الذي لا يكون متعلقا بالوقائع بل خالصا في نوع من التفكير المجرد فيمكن للمراهق أن يتأمل الفروض بصرف النظر عما اذا كانت حقيقية أم متخيلة ، كما يستطيع أن يستخدم المنهج الفرضي الاستنباطي كما يستخدم في العلم والرياضيات والمنطق ، وتزداد رغبته في التنظير والنقد

وتتكون المفاهيم في كل مرحلة بالخبرة ومن خلال تبادل الأدوار والتوازن بين أنشطة التمثل والتواؤم فالخبرة وحدها لا تكفي وهناك حدود فطرية للنمو في كل مرحلة ترجع جزئيا الى مرحلة نضج الجهاز العصبي المركزي للطرد كما تعزى جزئيا كذلك الى خبرته في كل من البيئتين المادية والاجتماعية ، ويكون التعاون مع الآخرين وتبادل الأفكار فيما بعد أمرا هاما ، لأنه يجعل الفرد ينظر الى الأشياء من خلال العديد من وجهات النظر المختلفة ، وهذا أمر جوهري لرؤية التضمينات والتناقضات المنطقية

ويعتقد بياجيه بأن الأطفال جميعا يمرون بهذه المراحل بنفس الترتيب وفي نفس الأعمار على وجه التقريب وهو أمر ظل موضع تساؤل ، حتى أثبتت بعض البحوث الحديثة وصول بعض الأطفال الذين يتلقون دراسة من نوع خاص الى بعض هذه المراحل في وقت مبكر عما ذكره بياجيه الا أن المفهوم العام عن هذه المراحل أصبح مقبولا الآن على نطاق واسع من الجميع

لقد كان لأفكار بياجيه عن التربية بوجه خاص تأثير عظيم فقد كتب يقول « ان هدف التربية هو أن تخلق الامكانات للطفل لكي يقوم هو بالاختـ[...]ع والاستكشاف » ويعتبر هذا هو « المانيفستو » [...]ي تلتزم به حركة الاهتمام بالطفولة المبكرة منذ الـ[...]ت والسبعينات وعلى الرغم من اسهامات بياجيه في [...] من

علم النفس والتربية ، الا أنه لا يعتبر نفسه عالم نفس أ. ربيانقدر ما يعتبر نفسه باحثا عن « ارتقاء المعرفة » أو ع. بيولوجيا يطرح متعلسما السؤال الخالد كيف يتعلم الكائن الانساني؟ »

واجابته عليه هي انه يتعلم من ناحية بفضل طبيعته وما يرثه ، ومن ناحية أخرى بفضل بيئته وما يكتسبه فيها من خبرات ويعني بياجيه بذلك ان كل طفل انساني يحتوي على برنامج وراثي على نحو ما لكي يصل الى اكتساب التفكير المنطقي في مراحل للنمو يمكن التنؤ بتتابعها ولكنه يضيف الى ذلك ان النمو يعتمد أيضا على التفاعل القوي مع البيئة وعلى ذلك فالتعليم ليس شيئا يصب داخل الطفل بل انه شيء يساعد الطفل على خلقه من خلال ما يبذله من نشاط خاص به

بين الشرق والغرب

على الرغم من أن أفكار بياجيه السابقة تؤكد على العمليات الفطرية ودورها خلال عملية التعلم ، الا أنه لم يهمل دور البيئة ـ كما رأينا ـ وهو لذلك يسمي نفسه « الرجل الذي يقف في منتصف الطريق » فيما بين الوراثة والبيئة من نزاع ومع ذلك فان نظريته لم يتم تقبلها في الولايات المتحدة الا ابتداء من الستينات نظرا لأن الاتجاه العقلي السائد فيها لسنوات طويلة كان هو التحمس الزائد لمناصرة البيئة على حساب الوراثة فالبيئة في نظر أصحاب هذا الاتجاه هي التي تشكل الشخص وليس الوراثة وهم بالتالي ينكرون وجود غرائز أو غيرها من التكوينات الفطرية التي يمكن أن تؤثر على الانسان نتيجة لذلك كان بياجيه مرفوضا لدى الكثيرين في الهيئات الأكاديمية والكليات الجامعية ولما ثبت علميا خطأ هذا الاتجاه بدأت أعمال بياجيه تنتشر وتساعد الى جانب أعمال بعض العلماء الآخرين مثل الانثروبولوجي كلود ليفي شتراوس وعالم اللغويات نوام كومسكي ـ على اقناع المتشككين من الناس ، بأن هناك بعض أشكال من التكوينات الفطرية التي يمكن أن تؤثر على تشكيل حياة الانسان وتحديد مصيره وبدأ الجانب الخاص بالوراثة يلقى مزيدا من الاحترام باعتباره جانبا هاما من الحقيقة في هذا المجال

أما في الشرق فقد انبرى عالم النفس السوفيتي الشاب ل. س فيجوتسكي الذي ولد مع بياجيه في نفس العام (١٨٩٦) ولكنه توفي في ريعان الشباب عن ٣٨ عاما من العمر ـ انبرى هذا العالم لكي يوجه الى بياجيه أهم نقد وجه الى نظريته على الاطلاق ، والغريب في هذا الأمر ان نقد فيجوتسكي لم يصل الى بياجيه الا بعد أكثر من ربع قرن من وفاة فيجوتسكي (في سنة ١٩٣٤) وقد أقر في تعقيبه على هذا النقد (في سنة ١٩٦٢) بصواب الكثير من الملاحظات النقدية للباحث السوفيتي التي تدور في معظمها حول مرحلة التفكير المتمركز حول الذات وهي التي يرى بياجيه ان التفكير الفردي فيها يسبق التفكير الاجتماعي كما يظهر ذلك من خلال كلام الطفل الذي يدور معظمه حول ذاته بينما يثبت فيجوتسكي بتجاربه التي أجراها وذكرها في كتابه « التفكير واللغة » ان العكس هو الصحيح ، وان هذا التفكير الذي يصفه بياجيه باللاواقعية (تأثرا بفرويد) يرتبط بشكل وثيق بالواقع ويستند الى ما يحيط بالطفل والى ما يحتك به وهو يرى أن الاتجاه الحقيقي لنمو التفكير يسير من التفكير الاجتماعي الى التفكير الفردي ورغم نقده هذا ، الا أن فيجوتسكي يعترف بعظمة أعمال بياجيه ودورها الرائد

ويمكن أن نذكر نقدا شائعا يوجه لبياجيه عموما وهو أن أعماله لم تؤد لأي رؤية واضحة عن كيفية تربية الأطفال وعلى الرغم من ذلك فهناك نتيجتان من نتائجه على درجة كافية من الوضوح في هذا المجال ، هما

١ ـ ان الدافع والجزاء أو المكافأة ليست لازمة بالضرورة للتعلم ، فالتكوينات الموجودة في عقل الطفل تؤدي الى نوع من النمو التلقائي

٢ ـ ان المعلم يلعب دورا محدودا في عملية التعلم فعند بياجيه الطفل هو المربي الحقيقي لنفسه وليس المعلم

وفي التحليل النهائي لحياة هذا العالم الفذ وأعماله ، يكفي أن نذكر ما قاله عنه عالم النفس الامريكي جيروم كيجان الذي يعمل أستاذا في جامعة هارفرد « لقد كان أعظم من وضع النظريات الارتقائية تأثيرا على العصر كله ان لم يكن على كل العصور » ■■

د. حسن أحمد عيسى

المعرفة الإنسانية بين الرواية شفوياً والتدوين كتابياً

بقلم : محمد خليفة التونسي

١ ـ المعرفة بدأت مختلطة شفوية

في كل جماعة من امم العالم ينشأ الادب شفويا على اختلاف انواعه الشعرية والنثرية ، بل هكذا في كل جماعة تنشأ المعرفة كلها شفوية وتكون مختلطة لا يمتاز فيها شيء من غيره ، ثم تنمو وتتطور ، فتتمايز وتتنوع انواعها ، ثم يتفرع كل نوع الى انواع وهلم جرا

وفي البداية يكون الادب متصلا بالمعرفة كلها مختلطا بها ، ثم يتميز عنها بالذاتية التي تغلب عليه ، لأنه تعبير لغوي عن المواجد في نفس صاحبه بخاصة وليس تحديدا لغويا لحقائق ذهنية عامة يشترك الناس في ادراكها بمحض عقولهم على نحو واحد وبصورة واحدة ، ولكن الادب ـ مع سائر الفنون ـ يبقى متصلا بالمعرفة يأخذ منها ويعطيها ، ويتأثر بها ويؤثر فيها وان كان متميزا منها بالذاتية التي هي قوامه وطابعه ، وهذه الميزة او هذه الخصيصة هي التي تجعله متفردا بكيانه وميدانه فلا يختلط بغيره من انواع المعرفة جميعا ، وان بقي متصلا بها اقوى اتصال

٢ ـ الاختراع وليد العبقرية

وما من جديد فيما يخترعه الناس في شئون الثقافة او الحضارة ـ مهما يهن خطره ، وتتيسر اعادته وصنع مثله بعد اختراعه ـ الا وهو في البداية وليد عبقرية مبدعة تؤيدها شجاعة فادية ، بدءا من اختراع اللفظة والنكتة والحرف الى تكوين نظام فلسفي او ديني او اجتماعي ومن استعمال الحجر للرمي وفتل الحبل لتقويته الى بناء الصواريخ والقنابل الذرية والنجوم الصناعية بل قد تكون الطاقة العقلية اللازمة للاهتداء الى فتل الحبل او صنع الفأس اكبر من الطاقة العقلية اللازمة لاختراع صاروخ او نجم صناعي او سفينة فضاء وكل هذا يصدق على الادب كما يصدق على غيره

٣ ـ الخلق قبل النقد

وفي البداية يغلب على المهتمين بكل نوع ادبي انهم يبرعون فيه صنعا او عملا دون ان يهتموا بتعريفه او وضع حدوده ولكنهم ـ على اية حال ـ يكونون على معرفة وافية دقيقة باركانه وشروطه وتراكيبه ومزاياه سواء كانت معرفتهم هذه لدنية من جهة الطبع والبداهة في الفطرة او كانت مكتسبة من جهة التعلم والدرس او مراجعة النظر في التجارب الناجحة والفاشلة وطول الدربة ووفور الخبرة

وقد يظل الانسان بجهوده العقلية والنفسية في مجالات الثقافة والحضارة قبل ان يسأل عن هذه المجالات النظرية والعملية ويبحث عن احوالها ويكتشف قوانينها ويرى

..اطه وركودها : فقد تكلم وغني ونظم ولحن قبل ان
..رف قواعد الكلام والغناء والنظم والتلحين وحكى
..قص ورسم وبنى ، قبل ان يعرف قواعد الحكاية
..لرقص والرسم والبناء ورصد الطبيعة ولاحظ تقلباتها
..ورب قدرته في الانتفاع بظواهرها وموادها قبل ان يدرك
..اميسها ويقسم دراساته لها علوما ويعرف حدود كل علم
..وابه ونظر الى حاجته ثم الى نفسه ، قبل ان يعرف
..صائص الاجتماع وخبايا النفس .

وهكذا الانواع الادبية فاضت بها الحيوية في الفطرة
..شرية تنفيسا عن رغباتها واستجابة لحاجاتها ، ومناجاة
..شواتها وتصويرا لخيالاتها ، وتسجيلا لوقائعها ، قبل ان
..ر العقول بين هذه الانواع ، وتعرز مجال كل نوع ، او
..رسم محيطه ، وتستنبط خصائصه وقواعده .

ـ تنوع الفنون والأدب

ومع تقدم حضارة الجماعات ـ بعد تقدم ثقافتها ـ
..ساير المعارف البشرية وتتنوع ، وتشرع العقول في
..ها والبحث عن أقسامها ، وخصائص كل قسم ومجاله
..واعده وتاريخ تطوره ، وطرق تنوعه

حتى الأدب ـ وهو من الفنون الجميلة التي هي فيض
..واحد النفسية في قوالب حرة مشخصة لخبايا هذه المواجد
..سيلة اللغة ـ يسير كغيره من الفنون في هذا الطريق الذي
..سير فيه كل المعارف الانسانية ، فيبدأ مثلها مختلطا ثم
..مايز ويتفرع ، كما تكون النواة في اختلاطها ، وقواها
..امنة الى أن تصير شجرة نامة ذات جذور وساق وفروع
..أغصان وعساليج وأوراق وأزهار وثمار ، ولكل منها
..واصه ووظيفته ، سواء في ذلك ما كان من اللباب أو كان
.. القشور ومع نمو الأدب يكون منه الشعر كما يكون
..ه النثر ثم يكون الشعر غنائيا أو قصصيا أو تمثيليا أو
..لميميا ، ويكون النثر قصصيا وأمثالا وخطبا وأساطير ،
..رسائل ، وتراجم ، وتواريخ وعهودا ، ومقامات
..مقالات ونكتا ، وألغازا ، وسوانح ، وحكما ،
..سرحيات ، وملاحم ، ورحلات ، ومغامرات وأجوبة
..مكتة وكلمات جامعة

٥ ـ بين الرواية والكتابة

ومع تقدم الحضارة ، بعد تقدم الثقافة ، تتعلم الجماعات الكتابة ، فتحاول تقييد تراثها بعد أن كانت تتناقله رواية بالمشافهة ، وحين تبدأ براعتها في الكتابة تحرص أولا على تقييد أنفس ما في تراثها الثقافي الذي تصونه عن التحريف أو السهو أو الضياع أيا كانت أسباب ايثارها له وصنها به .

وربما كان من أهم هذه الاسباب تعلقه بحاجاتها الحيوية المباشرة ، سواء كانت نفسية أو مادية ، كالشئون الدينية والتجاريةوالقانونية ، كما يظهر من تاريخ الكتابة عند قدماء المصريين ، والبابليين ، والفينيقيين ، والعبرانيين ، واليونانيين ، والصينيين

ومن أهم هذه الاسباب أن هذا التراث نتاج ما أبدعته خاصتها أو أشرافها الذين بأيديهم قيادة الجماعة ، فهم القائمون بسلطانها ، والمسئولون عن توجيهها وفيهم تتمثل أرقى مزاياها ، وهم أشد اهتماما بمستقبلهم ومستقبلها وتخليد مآثرهم ومآثرها

ومنها أن العارفين فيهم بالكتابة أو المقدرين لشرفها يومئذ ، كانوا هم هؤلاء الخواص ، فهم يتعصبون لانتاجهم الخاص بهم ، ويضنون به على الضياع ، وهم دون غيرهم أصحابه ، سواء كانوا هم الذين أبدعوه ،أو كان مما أبدعه لهم غيرهم من العامة ، ولكنهم هم ومفاخرهم موضوعه ، ومن أجلهم وحدهم أبدعه أصحابه ، وذلك كالاشعار التي يمجد فيها قائلوها الأبطال والعلية ، وان كان الشعراء الذين قالوها من العامة أو الدهماء مولدا وتربية ومعيشة ، كما يدل على ذلك تدوين الالياذة والأوديسة اللتين تنسبان الى الشاعر اليوناني هوميروس ، فان هذا الشاعر العبقري الكبير لم يكن يعيش الا كما يعيش السائلون على الصدقات ، وما كان في كل ما وعي من أشعار غيره ، وما أبدع من شعره ، ولفق في اخراج ملاحمه ، ثم أنشادها على قيثارته في المجامع ـ الا مسكينا مهملا ، وكان أبعد همه من كل عمله نظما وانشادا ان يظفر في الحفلات بأكلة يسكن بها جوعته ، ويمسك بها رمقه

٦ ـ النفور من تدوين الحكمه

واذا كانت الأسباب التي دعت وتدعو الى تسجيل بعض التراث الثقافي كثيرة ، فهناك أسباب مثلها كثيرة دعت وتدعو الى اهمال تسجيل بعض هذا التراث بالكتابة ، ولعل اعجب هذه الاسباب ـ ولو ظاهرا ـ بخاسة بعض هذا التراث عند أصحابه ، فهم يضنون به على الكتابة مخافة أن يقع في يد من ليسوا من أهله ، فلا يعرفوا قدره ، أو يسحروه فيما يؤذي الناس ، أو ينشر بينهم الشغب والفتنة ، ومن ذلك المباحث الفلسفية عند اليونان حتى أيام أرسطو وتلميذه الاسكندر ، فان « بلوتارك **plutark** أعظم كتاب التراجم في العصور القديمة ـ كما يظهر من كتابه في عظماء اليونان والرومان ـ يذكر في ترجمته للاسكندر أن أرسطو تعرض لعتاب شديد من تلميذه الاسكندر ، حلال بعده عنه في غزواته الأسيوية ، وسبب هذاالعتاب ما بلغ التلميذ من أن استاذه يدون في أوراقه الحكمة التي كانوا يسمونها « المعرفة الشفوية » فيجعلها عرضة لأن تقع في أيدي من ليسوا أهلا لها فيصاروا بها ويصيروا أكثر مما يتعمون ويفهمون ، وانما سميت هذه الاسرار الحكمية « المعرفة الشفوية » لأن الخاصة من أهلها كانوا يتداولونها مشافهة ،وكان الحكماء العارفون بها لايعلمونها لغيرهم الا شفاها ويختصون بها بين تلاميذهم من هم أهل لها عقلا وخلقا .

٧ ـ ضياع معارف المصريين القدماء

وقبل عصر ارسطو والاسكندر بمئات السنين كان فراعنة مصر وكهنتها يحتكرون البحث في المسائل الآلهية وغيرها من الحكميات ، ويعتدونها اسرارا مقدسة لا يجوز افشاؤها للعامة لا بالكتابة ولا بالمشافهة ، ومن هنا ضاع كثير من مباحثهم الحكمية في الالهيات والفلسفة والسياسة والاجتماع والرياضة والآداب والفنون لزواله بزوال الملك والكهانة ، وكل ذلك مما اتاح للاوروبيين المحدثين أن يردوا كل انواع المعارف في ابتدائها الى قدماء اليونان ، لأنهم منهم بمكانة الأجداد ، ومجد الأجداد فخر للمحدثين ، وهو حامل لهم على العصبية للغرب ولا سيما اليونان ، ولو سجل الكهنة الفرعونيون معارف الحكمة عندهم وحفظها التاريخ كما حفظ كثيرا من الآثار ... في مصر ـ لما تبجح الأوروبيون المحدثون بما يتيهون ... اليوم من سبق اليونان وامتيازهم على غيرهم من الا...

وفيما بين عهد الكهانة الفرعونية وعهد أرسطو والاسكندر ظهر في ايران الحكيم زرادشت **Zaradosht** أو زراوستر **Zaraoster** وحدد المجوسية وكان كتابه الافستا **Avesta** او الابستاق ينطوي على جملة تعاليم مذهبه ، فامر كهنته بتدوين كتابه وحفظه سرا في معابدهم ، حتى لا يطلع عليه غيرهم من العامة لسوء ظنه بالعامة ، اذ هي عاجزة ان تفهمه وتقدره وتلتزم بهداه

٨ ـ عدم القاء الجواهر في طريق الخنازير

ومن وصايا المسيح عليه السلام لتلاميذه الا يلقوا الجواهر في طريق الخنازير ، ومن وصايا النبي محمد عليه الصلاة والسلام لاصحابه « خاطبوا الناس على قدر عقولهم » وجاء في الأثر أيضا « لا تعلموا اولاد السفلة العلم » وجاء فيه « واضع العلم عند غير أهله كمقلد الخنازير قلائد الذهب والجوهر » ومن جوامع الكلم للامام علي كرم الله وجهه « ليس كل ما يعرف يقال » . ولو مضينا مع منطق هذه الكلمة الجامعة وروحها لفهمنا منها أيضا ـ بالضرورة ـ انه « ليس كل ما يعرف يكتب »

وممن تنبه لذلك حجة الاسلام الامام أبو حامد الغزالي ـ رحمه الله ـ فهو صاحب (المضنون به على غير أهله) ، وهو مؤلف كتاب « إلجام العوام عن علم الكلام »

٩ ـ تصعيب اللغة ، والالغاز فيها

ومن أواخر من نزعوا شبيه هذه النزعة « عما نويل كنت » أكبر فلاسفة الألمان في العصر الحديث ، فقد كتب معظم فلسفته ـ ولا سيما كتبه في نقد العقل ـ بأسلوب عويص ، فلما سئل عن ذلك وعوتب عليه اشار الى انه قد تعمد ذلك حتى لا تبتذل فلسفته عند غير أهلها

وكان القدماء من علماء الكيمياء يكتبون في هذ... ملغزين ، فكأنهم لم يكتبوا شيئا الا عند ... رموزهم ، فيفك طلاسم ما يكتبون ، ويقف ... يقصدون

... يب من ذلك ـ وإن كان أدخل في الدحل والمحرقة ـ كتب التنجيم ، فكلتا كتب الدحل وكتب التنحيم ، حافلة بالألغاز واحالة قارئها إلى ما لا قبل له بفهمه أو العثور عليه ، فهي مكتوبة وكأنها غير مكتوبة ، لأن قارئها لا يحصل منها شيئا مفهوما ولو غير نافع

١٠ ـ تدوين القرآن والحديث

ونعلم من تاريخ تدوين القرآن الكريم انه دون متفرقا في حياة النبي على الرقوق أو اللخاف والجريد والعظام ، ولكنه لم يدون في مصحف واحد . فلما جاء ابو بكر اشار عليه عمر ـ رضي الله عنهما ـ بجمع القرآن في مصحف ، فتمنع أبو بكر من ذلك طويلا ، لأنه اتقى أن يعمل ما لم يعمل النبي عليه الصلاة والسلام ، وكان أبو بكر شديد الاعراق في اتباع النبي فيما عمل وما لم يعمل ، ثم بدا له وجه الرأي فيه فأمر بتدوينه في صحف خوفا من ان يضيع القرآن بضياع الحفاظ ، ولا سيما بعد وقعة اليمامة التي قتل فيها مئات من القراء أو حفاظ القرآن الكريم

ونعلم من تاريخ تدوين السنة النبوية ـ ولا سيما القولية ـ أن معظم الصحابة والجيل التالي لهم لم يكونوا يدونون أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام ، حتى لا تختلط بالقرآن الكريم ، فلم يبدأ تدوينها الا في نهاية القرن الهجري الاول واوائل الثاني أي بعد نحو قرن من انتقال النبي الى الرفيق الأعلى

١١ ـ العلم للجميع ، ولكنه يصون نفسه عن غير أهله

وكل من هذه الأحداث يكشف لنا سببا من أسباب العدول عن تدوين جانب من جوانب التراث الذي تعتز به الانسانية وتجله ، وحسبنا أن نشير في هذا الاتجاه المشكل الى ما انتهى به تأملنا وتجربتنا الخاصة ، فنحن مع احساسنا الطيب بالوعي والخلق الانسانيين في الجملة ـ نرى أن كل سبب من أسباب العدول عن تدوين بعض جوانب التراث الانساني العزيز لا يخلو من وجاهة وان كانت اسباب تدوينه لا تخلو من وجاهة أيضا ، ونحن أميل الى أن نقول في اشفاق وتحفظ شديدين ما قاله عبد الله بن طاهر بن الحسين الخراعي ـ وكان أميرا أديبا شاعرا ناقدا ـ « ينبغي ان يبذل العلم لأهله ولغير أهله ، فان العلم أمنع لنفسه من أن يصير الى غير أهله » ولا شك أن تدوين العلم وتعريضه للناس بذل له ، وقد يؤدي البذل الى الابتذال مع سوء الفهم أو سوء الخلق ، وقد يجتمع السوءان معا في نفس واحدة

ومن الكلمات الحكيمة في ذلك ما قاله الاديب الأمريكي إمرسون **Emerson** « ليس في العالم خلال وقت واحد أكثر من اثني عشر شخصا يقرءون افلاطون ويفهمونه ، وليس بين هؤلاء من يقدر على شراء نسخة واحدة من تواليفه ، وانما ـ مع ذلك ـ تنتقل من عصر الى عصر لأجل هذه الصفوة النادرة من القراء ، كأن الله يحملها لهم بيديه» ، وليس نخاف على « إمرسن » ولا على أي قارىء حصيف من قراء الفلسفة أن معظم كتب افلاطون قد كتبت باسلوبه الشعري المتألق الذي يكثر فيه من الأمثلة والاخيلة والأساطير لتقريب الحقائق الى قرائه ، وبخاصة محاوراته التي كتبها في سنوات شبابه وفيها يعرض للجوانب المختلفة والاراء المتباينة فيما يعرض من المسائل ، فهي لذلك من السهولة بمكان عند القراء الأكفاء ، وهي عند غيرهم أحاجي والغاز ، ومعاناة قراءتها كمعاناة نصع الصخور النارية

١٢ ـ بين القضايا الوجدانية والقضايا الذهنية

ومن المعروف عند الحصفاء من قراء الفلسفة وغيرها ان قضايا الفلسفة ومقرراتها يغلب أن تكون ذهنية محضة أو أميل الى ذلك ، ولهذا يقل اختلافها بين عقل وعقل على تباين الازمنة والامكنة ، وهي لذلك ايسر ادراكا من القضايا الدينية والصوفية والسياسية والفنية ونحوها ، مما يعتمد على الذوق والبداهة والمزاج والخبرة ، وهكذا كل

الحقائق الوجدانية التي لا يتفق فيها اثنان في جميع البيئات والعصور ، بل لا يتفق فيها انسان مع نفسه بين حالين متباينين وحسبك أن تقرأ كتابا في الفلسفة ثم تعود الى قراءته بعد أعوام فانك لا تجد الفرق بعيدا بين القراءتين إلا من حيث سعة الفهم وضيقه ، ولكن اقرأ قصيدة ، أو انظر صورة ، أو أسمع لحنا ، وانت في حالة نفسية خاصة ، ثم عد الى هذا الشيء نفسه الذي قرأت ، أو نظرت ، أو سمعت ، ولو بعد ساعة ، وانت في حالة نفسية بعيدة عن حالتك الأولى تحس الفرق بعيدا بين المطالعة الأولى والمطالعة الثانية ، فالفلسفة أو حقائقها ذات وجه واحد غالبا ، فاما أن ينكشف هذا الوجه فيفهم أو يبقى خافيا فلا يفهم وأشد من ذلك تجريدا القضايا الرياضية ، ومثلها العلمية فيزيائية وكيميائية اما الحقائق الذوقية أو النفسية فهي ذات ألف وجه ووجه وكلها قد تكون مكشوفة ، ولكن العين لا تقع منها الا على ما يلائم الحالة النفسية للمتأمل فيها وكذلك استحضار الحالة النفسية المناسبة لها كاستحضار الشياطين لا يتيسر في كل وقت على وفق المشيئة كما أن استبعاد الحالة النفسية غير المناسبة كاستبعاد الشياطين ، لا يخضع لمشيئة الانسان في كل وقت، ولو كان من ذوي الدربة والرياضة على استحضار شياطينه وصرفها وفق المشيئة

ويطول بنا الطريق مع هذا الاتجاه الذي سارت فيه معظم الامم باهمالها عمدا تدوين جانب أو أكثر من تراثها الرفيع القيم ، فلا سبيل أن نستوفي التعريف بهذا الطريق في مقالة قصيرة لنقف على اسباب هذا الاهمال عند كل الأمم

وعند كل الأفراد الذين تمسكوا به عن عمد ، ولو في بعض المجالات دون بعض ، واذن فحسبنا الاشارة الوجيزة السابقة الى هذا الاتجاه وبعض اسبابه وبعض الآخذين به ، ولمن شاء بعد ذلك أن يتتبعه عند أمة أو أكثر ، وأن يكشف عن أسبابه فيها ، أو عند فرد منها ، وان يدرسها دراسة مقارنة ، كأوسع ما تكون الدراسات المقارنة وادقها على نحو ما نشطت الآن في كل ع المعرفة

١٣ - الاتجاه إلى دراسة الفنون الشعبية

ولكننا حريون الا نختم مقالتنا الوجيزة في هذا الاتجاه دون اشارة خاطفة الى أن معظم الأمم فيما قبل العصر الحديث قد اهملت تدوين جملة تراثها الفني ، أو الأدبي / العامي folkliterature الا نبذا متفرقة مبتورة الجذور ، ومن أمثلة ذلك من تراثنا العربي ما نطالعه في بعض كتب الجاحظ وأمثاله ممن عنوا بأدب الجماعات العامية عندنا ، وكذلك ما نطالعه في كتب الأمثال والخرافات والقصص ونحوها عندنا وعند غيرنا من الامم ذوات الثقافات العريقة شرقا وغربا ، ولعدم كتابة هذا الأدب يمكننا ان نسميه الأدب الشفوي Verbal literature، وهو قسم مما يسميه الغربيون المحدثون « الفلكلور folklore وهذا العلم من أحدث العلوم واهمها في الدراسات الانسانية في العصر الحديث

وما من سبب من الاسباب الكريمة الخطيرة التي اشرنا اليها أو لم نشر اليها من قبل - دفع اسلافنا الى اهمال تسجيل هذا الأدب العامي ، بل حداهم الى ذلك - عمدا أو سهوا - اسباب أخرى صغيرة كثيرة ، يمكن ارجاعها الى سبب واحد أكبر واشمل ، هو الاستهانة بهذا الأدب وعدم تقدير خطورته في ثقافة الأمة وتاريخها ، أو في أطوار ثقافتها وحضارتها معا ، مع ان هذا التراث اشبع الجوانب الفكرية في جماعاتها جملة ، وهو أكثر تمثيلا للجذور أو القواعد النفسية والاجتماعية الصغيرة والكبيرة التي تقوم عليها ثقافتها وحضارتها معا بكل ما يتبثق عنهما من فروع ، وهما تستمدان من هذه الجذور اسباب حياتها ونموها وتجددها وازدهارها مهما تختلف أحوال الأمة أو جماعاتها كلها أو بعضها من الرقي أو التخلف ■■

محمد خليفة التونسي

هذه قصة امرأة لعبت ظروفها الخاصة دورا أساسيا في تبنيها لقضية تحرير المرأة بمصر . في بداية القرن الحالي . .

باحثة البادية

أول صوت نسائي يشارك في معركة تحرير المرأة

بقلم : شفيق العمروسي

من الملفت للنظر أن أغلب الباحثين الذين تصدوا لدراسة البدايات الاولى لحركة تحرير المرأة في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين قد أغفلوا الدور الريادي الذي قامت به المرأة تجاه قضيتها. ولعل ذلك يرجع الى أسباب من أهمها أن «قضية المرأة» ظهرت في أول الأمر كنتيجة للصدام مع الحضارة العربية سواء ابان الحملة الفرنسية على مصر سنة ١٧٩٨ او بعد الاحتلال البريطاني سنة ١٨٨٢. ثم ما كان من وجهة نظر تبناها المستفيدون من أبناء الارستقراطية المصرية وابناء الطبقة الوسطى والتي مؤداها ان تخلفنا ـ بالمقارنة بالتقدم الاوروبي ـ سببه نظام الاسرة، ومن ثم وجب اصلاح المرأة كروحة وأم لبناء نظام اسري جديد يدفع الى تقدم المجتمع ككل. وبالرغم من خروج اتجاهات متعددة من هذا المنطلق الا انها جميعا كانت تدور في اطار حل لا يخرج عن النظام الابوي الصارم الذي يكبل الاسرة.

ومن هنا يكون طبيعيا ان تصبح قضية المرأة قضية تهم الرجل في المقام الاول ويصبح هو القادر بمفرده على حلها. ولهذا لم يكن غريبا ان نرى باحثة البادية تطالب في المادة العاشرة من اللائحة التي اقترحتها لترقية المرأة المصرية أنه «على إخواننا الرجال تنفيذ مشروعنا هذا». وتلك العبارة تعطينا مؤشرا في غاية الاهمية لعلاقة المرأة بقضيتها، كما انها تفسر لنا اهمال عديد من الباحثين لدور المرأة الريادي، فغريب مثلا أن نجد اسماء متعددة لرجال يتبنون قضية المرأة. وفي نفس الوقت تهمل اسماء النساء اللاتي شاركن في تلك النهضة. بل اننا سوف ندهش لو رصدنا لحركة الصحافة النسائية في تلك الفترة، اذ سنجد انه من بين سبع مجلات نسائية صدرت في المدة من ١٨٩٦ ـ ١٩١٥ مجلة واحدة اصدرها رجل (عبدالحميد أفندي حمدي) بينما الست مجلات الباقية أصدرتها نساء.

وقد لا نجاوز الحقيقة اذا تحدثنا عن الدور (البطولي) لرائدات المرأة، فكم كانت البطولة لامرأة تواجه مجتمعا متخلفا أشد درجات التخلف لم ينظر للمرأة الا كأداة من أدوات المتعة ووضعها وراء ستار يحول بينها وبين رؤية أي شعاع للنور. وقد يكفي ان نذكر من ذكريات سلامة موسى ـ عن تلك الفترة ـ انه ضرب من اخته لأنه ناداها باسمها في الشارع «اذ كان من الشعائر الاجتماعية الا تعرف أسماء الفتيات» بل لم يكن غريبا أن يكون مقياس الرجولة أن يفخر الرجل بأن زوجته لم تخرج الى الشارع سوى مرتين، الاولى حين خرجت من منزل والدها الى منزله، والثانية حينما خرجت من منزله الى مقرها الاخير.

الشيخ محمد عبده

في ذلك المناخ العام ولدت ملك عام ١٨٨٦ ـ التي اختارت لنفسها اسم (باحثة البادية) توقع به مقالاتها. ولكن ساعدها ألا تصبح واحدة من آلاف النساء المستسلمات لحظهن في مصر أن تولد لرجل (حفني بك ناصف) من رجال العلم. تتلمذ على يد الافغاني وكان صديقا للشيخ محمد عبده، فساعدها على تلقي قدر من التعليم وشجعها على العمل كمدرسة للبنات، وكان طبيعيا لها الآن تتعرف على أفكار محمد عبده وقاسم امين، وان تجد الفرصة سانحة أمامها لصفحات (الجريدة) وجماعة لطفي السيد، الذي كان أحد الرموز الثقافية البارزة في مصر. ثم ما كان من تجربتها الخاصة في الزواج، وقد استطاعت الباحثة بشاعريتها أن ترسم صورة للمرأة في كافة أدوارها في ذلك العصر «تلك المرأة المسلوبة الحق المظلومة في كل أدوار حياتها. نراها يتشاءم منها حتى وهي جنين فاذا ظهرت مولودة تستقبلها الجباه مقطبة والصدور منقبضة. كأنما كان لها بعض الذنب في ولادتها أنثى! . وليس حالنا في سن الشباب بأدعى للطمأنينة منه في الطفولة فاننا لا نزيد عن المساجين شيئا الا بالاسم فقط. واذا تزوجنا لم نزدد الا ضعفا فيقوى الرجل ويستبد» ولذا كان عليها أن تواجه ذلك كله، وأن تشارك في المعارك القائمة حول المرأة في ذلك الوقت بتقديم الحلول والمقترحات.

تجربة الزواج وأثرها

ولقد كانت قضية الزواج من أهم القضايا التي تشغل الرأي العام في ذلك الوقت، فقد كانت هناك مشاكل تعاني منها المجتمع المصري ـ لم نعد نهتم بها الآن ـ كتعدد الزوجات (الضرائر) وكثرة الطلاق واندفاع الشباب المثقف للزواج من الاجنبيات ثم ما كانت تلقاه المرأة من معاملة قاسية على يد زوجها، كل ذلك جعل من الزواج قضية تتناولها كافة الاقلام

حفني ناصف — قاسم أمين — احمد لطفي السيد

يمثل عام ١٩٠٧ نقطة تحول في حياة الباحثة ، ففي ذلك العام اقترنت من عبدالستار الباسل رئيس قبيلة الرماح بالفيوم الذي كان من أكبر الاثرياء ، وظلت حبيسة احدى عشرة سنة تستعر داخلها (نار مقدسة) حدثت ميّ زيادة عنها فيما تبادلتاه من رسائل فضلا عن انها اكتشفت بعد زواجها ان زوجها متزوج من ابنة عمه وأن له ابنة !

كان هذا الزواج دافعا قويا لان تكرس الباحثة جهودها حتى وفاتها عام ١٩١٨ في مناقشة مشاكل الزواج والحياة الزوجية ، بل ونحن نلمس من خلال كتاباتها انها جعلت من الزواج المحور الذي تدور حوله باقي القضايا المتعلقة بتحرير المرأة ، لقد اندفعت لتتحدث عن الحب وتلك كانت اندفاعة خطيرة من امرأة في تلك الفترة ، خاصة اذا عرفنا أن « قاسم أمين » كان يتحدث عن ذلك الموضوع على استحياء شديد وأن أحمد لطفي السيد استخدم تعبير « امتزاج روحين » وهي عندما تضع الحب أساسا للحياة الزوجية المستقرة فانما تأخذ موقف احمد لطفي السيد في مقابل الاساس الذي كان يعتمد عليه المجتمع في ذلك الوقت باعتبار الزواج (صفقة تجارية) أو « عقدا من العقود المالية ، عقد شركة اقتصادية صرفة »

والباحثة حين تضع تلك القاعدة للزواج تصل اليها بعد أن ترى حولها اسلوبا غريبا للزواج ، تصفه قائلة « طريقة الزواج في مصر معوجة عقيمة نتيجتها في الغالب عدم الوفاق بين الزوجين ، يقيم الرجل معالم العرس اياما وليالي ويتكبد مصاريف جمة لعروس لم يرها عمره ولم يتأكد من حسن اخلاقها أو جمال نفسها ، انما سمع عن بياضها وسمنها او مالها من الخاطبة التي تصف حسب نصيبها من مكافأة العروس وأهلها »

هـ الزواج الذي هو في جوهره صفقة تجارية ، سرعان ما يجعل العلاقة بين الزوجين غريبة اشد الغرابة « نسمع الزوجة عندما تقول لزوجها ياسيدي أو يا أفندي وهو يناديها يا هانم كأنهما غريبان بعضهما عن بعض » ولم يكن الامر يتوقف عند ذلك الحد اذ كان الطلاق واتخاذ ضرة من السيوف المسلطة ضد أي زوجة في ذلك الوقت ، فالضرة « اسم فظيع تكاد اناملي تقف بالقلم عند كتابته » والباحثة هنا كعادتها كانت تتحدث حديث الشاعرة التي تريدها التجربة والمعاناة شاعرية « اقرأ كل ما كتبته تجد أنينا متواصلا يخترقه من أوله الى آخره وذلك الانين الذي يكاد يكون ركزا يقلب ساعة الوجع الشديد زئيرا وعويلا » ومن هنا فان دعوتها كانت تقوم على موقف اساسي استمدته من خلال تجربتها الخاصة وما كانت تراه حولها ، وذلك بعكس قاسم امين الذي اعتمد على البحث الاجتماعي القائم على المنهج العلمي الاستقرائي ، فهي حين تقول « اي ازدراء للمرأة وعبث بحقوقها أشد من أن تخرج كلمة من فم الزوج ساعة غضبه فتفرق بينهما وتشتت ملتأمهما » ، كانت تعرف حقا مدى الحجم الذي وصلت اليه مشكلة الطلاق في مصر ولكنها كانت تتحدث حديث المرأة الشاعرة لا حديث الباحث الذي يعرف أن نسبة الطلاق الى حالات الزواج في ذلك الوقت بلغت ١ الى ٢ ومن هنا فان الباحثة تضع مجموعة من الشروط كحل لمشكلة الزواج يمكن اجمالها على النحو التالي

اشتراط أن يقوم الزواج على الحب ـ ضرورة تعرف الخطيبين بعضهما على بعض قبل الزواج ـ تقييد الطلاق وتعدد الزوجات بجعل ذلك باذن من القاضي

وهي حين تعرض حلها تربطه دائما بتعاليم الدين الاسلامي ، مما جعل البعض يقول وقتئذ انه لا ينقصها سوى « العمامة » لتصير شيخا ، ولعلها من جهة كانت متأثرة بتعاليم وافكار الشيخ محمد عبده ومن ناحية اخرى فلعلها كانت تضع سياجا يحميها من أن تتهم في صدق ايمانها والتزامها بتعاليم الاسلام

علموا المرأة اولا

كانت مشكلة الحجاب من أكثر القضايا اثارة في ذلك الوقت ، وقد لا يتصور قارئنا مدى خطورة تلك القضية الا اذا عرف أن « قاسم أمين » الذي اتهم بالكفر لارتباط دعوته بالسفور لم يكن يدعو في ذلك الوقت الى السفور كما نعرفه في أيامنا هذه ، بل كان ينادي بحجاب شرعي يمكن المرأة من اظهار بعض وجهها ! كما أن عبدالحميد (الندي) حمدي الذي أصدر مجلة (السفور) عام ١٩١٣ والذي اطلق عليه (زعيم السفوريين) كان ينادي بحجاب أشبه بغطاء الرأس الذي ترتديه الراهبات ! وهذا يعطينا ضوءا على طبيعة المعركة فلم تكن الدعوة للسفور وقتها الا من قبيل الدعوة الى الغاء حجاب ووضع آخر أخف ، وعلى هذا الحجاب الجديد كانت الثورة المضادة

وفي وسط هذا المناخ ظهرت باحثة البادية ، وكان غريبا على المرأة أن يكون لها رأي في ذلك الوقت ، ثم كان من المتعذر عليها وهي المتأثرة بقاسم أمين أن تؤيد دعوته ـ وقد رأته أمامها ـ وهو الرجل ـ يتعرض لاتهامات شتى امتدت لتشكك في ايمانه ولهذا رأت أن تتبع « طريقا وسطا بين الظلام الدامس الملقي الى التهلكة وبين الضوء الشديد الخاطف للأبصار » وبالرغم من أنها لم توجه نقدا واحدا لدعوة قاسم أمين الى نبذ الحجاب القديم الا أنها لم تتردد صراحة في أن ترفض أن يزج بها الى معسكر قاسم أمين فهي ليست قاسمية متطرفة ولكنها تصدر آراءها « على حسب الأحوال الحاضرة » ولهذا فهي تنحو الى الأخذ بالموقف التدريجي وهي في أكثر من موضع من كتاباتها تؤكد « أن الطفرة محال » ولذا فالتغير الاجتماعي لابد أن يأخذ مجراه بهدوء كامل « اذا أردت هدم بناء افلا تهدمه قليلا قليلا الى أن يتم الهدم فتبنى على أنقاضه أحسن منه ؟» وتلك النظرة كانت تتفق تماما مع مدرسة أحمد لطفي السيد ـ الذي أفسح لها صفحات الجريدة ـ ومنها انطلقت الباحثة للحديث عن الحجاب والسفور وكان عليها أولا أن تحسم القضية من الناحية الدينية خاصة بعد تجربة قاسم أمين ـ ولم يكن صعبا عليها أن تقرر « لست انتقد اقتراح السفور من الوجهة الدينية لاني أعلم أن الدين لم يجرحنا في هذه المسألة » وبالتالي فهي ترى « اتباع عادة نساء الاتراك في الأستانة في الحجاب والخروج » فانها تضع لنفسها الحق في أن يكون السفور مطلبا لها في المستقبل ان كان العمر قد امتد بها ، فهي ان « لامت المنادين بالسفور فلانهم متسرعون » وهي حين تنظر الى القضية من جانب آخر تجد أنها ليست مجرد خلع الحجاب فمن ناحية فان نساء مصر متعودات على الحجاب فلو أمرتهن واحدة بخلعه وترك البرقع لرأيت ما يجلبنه على أنفسهن من الخزي وما يقعن فيه بحكم الطبيعة والتغير الفجائي من أسباب البلاء وتكون النتيجة شرا على الوطن والدين » وهي في حديث لها مع (مي) نشر في جريدة « البروجريه » وذكرته مي في كتابها عن الباحثة تعلنها صريحة « سيمزق الحجاب عن قريب ، ونحن سائرات حتما نحو السفور »

ومن ناحية أخرى فقد حرصت على أن ترى المشكلة من زاويتها الصحيحة فان المسألة ليست في ارتداء الحجاب أو طرحه ، ولكن هي في تلك المرأة المتحجبة بجهلها وراء الحجاب ، ومن هنا كانت دعوتها لتعليم المرأة مرتبطة بقضية الحجاب « رأيي أن الوقت لم يؤذن لرفع الحجاب ، فعلموا المرأة تعليما حقا ، وربوها تربية صحيحة وهذبوا النشء وأصلحوا أخلاقكم بحيث يصير مجموع الامة مهذبا ثم اتركوا لها شأنها تختار ما يوافق مصلحتها ومصلحة الامة » واذا كان الوقت لم يؤذن لرفع الحجاب فان الباحثة تعلنها صريحة « عندي ان المرأة السافرة الحاده في اخلاقها وسيرها خير من المتدثرة بأثقل الحرير وأرفع النقاب وهي خليعة لعوب » وهذا يذكرنا بالطهطاوي حينما وجد ان (وقوع اللخبطة بالنسبة لعفة النساء لا يأتي من كشفهن أو سترهن بل منشأ ذلك التربية الجيدة والخسيسة)

وتلك دعوة طبيعية تتخطى بها الباحثة كل ما يمكن أن تتهم به ، اذا هي اكتفت بالدعوة لرفع الحجاب ، وقد كانت الاذهان في ذلك الوقت قد تهيأت لقبول فكرة تعليم المرأة ، ففي الفترة من ١٩٠٠ الى ١٩١٠ تقريبا اصبح مبدأ تعليم المرأة « مستقرا في المجتمع المصري تقبله الجميع حتى غلاة المحافظين » . وذلك على العكس من تلك الفترة التي تلقت فيها الباحثة تعليمها في أواخر القرن التاسع عشر اذ كان تعليم البنات « موضع التعبير الحائر من السواد الاعظم من الناس » (لاحظ انها نالت الشهادة الابتدائية عام ١٩٠٠ ، ونجحت في دبلوم المعلمات سنة ١٩٠٣) لقد أصبح مبدأ التعليم نفسه مقبولا ولكن « المعركة بقيت دائرة حول ما ينبغي أن تتعلمه المرأة وحول معنى تحررها ومداه »

سعادة المرأة والمساواة

ومن هنا فان الباحثة تخطو خطوات أخرى جديرة

قد عندها ، اذ أنها تضع أمامنا نصا جديدا لم يسبق
هد ن ذهب اليه و ما الغرض من تربية البنت على
موم والمصرية على الخصوص ؟ الغرض تقريبها من
معاده بقدر الامكان واعدادها لان تكون عضوا حيا
فعا في جسم الامة وتهيئتها للقيام باعباء الزوجية
لامومة »

ما نلاحظ ـ أولا ـ أن الباحثة تضع شرطا هاما لتعليم
أة ، هو تقريبها من السعادة وهذا يجعل من فهمها
ية تعليم المرأة في ذلك الوقت فهما متقدما عن دعوة
سم امين التي ارتبطت باعطاء المرأة المقدرة على مواجهة
اكل وضرورات الحياة او على دعوة لطفي السيد التي
بطت ببناء حياة زوجية مثالية ، فتقريب المرأة من
سعادة وان كان قد يبدو للبعض (انانية) وللآخرين مجرد
راد لرومانسية شاعرية ، إلا أن هذا الرأي يسقط تماما
نحن وجدنا أن الباحثة تقوم ـ ثانيا ـ باكمال نصها بأن
أهداف التعليم اعداد المرأة لتصبح عضوا نافعا في
سم الامة ، وهي لن تصبح هذا العضو الناجح الا اذا
ت بواجبات الزوجية والامومة على أصح جانب ،
ليم المرأة هو انقاذ لاطفال مصر ، اذ كيف يمكن للمرأة
سرية وهي على « ماتمهد من الجهل والتأخر ان
ص طفلها من الشوائب والادران . فالطفل الذي
ب والتمائم تثقل عاتقه والخرزة الزرقاء معلقة
لماسوح) على جبهته لا يسعه وهو رجل الا ان يقبل
بات الاضرحة ويذر من تراب ارضها على رأسه وان
قد بالخرافات والسحر وتأثيرهما في شفاء الأمراض بلا
ب ولا دواء » ادن فتعليم المرأة ان كان يحقق لها السعادة
يحقق ذاتها فهو وسيلتنا لمواجهة التخلف الذي يعشش
تمع ، ومن هنا كانت دعوتها لتعليم المرأة الطب بأكمله
لحة التعليم العالي لمن تريد مهن

ومرة أخرى تذهب الباحثة أبعد مما ذهب معاصروها في
بة (تحرير المرأة) وذلك اذا تعرضنا لموقفها من اشتغال
رأة بالسياسة ومساواتها بالرجل في الحقوق المدنية
سياسية ، فاذا كان قاسم أمين قد « احتفظ لنفسه في
لمرأة الجديدة) بحق المطالبة للمرأة مستقبلا بحقوقها
سياسية ، فقد رأى لطفي السيد في اشتغال المرأة
وظائف العامة وبأمور السياسة مصدرا للازعاج العام »
كن الشيخ احمد الكندري يذكر في كتابه (الوسيط في
دب العربي) ان الباحثة وضعت كتابا في (حقوق
ساء) أنجزت منه ثلاث مقالات الاولى في الموازنة بين
أة المسلمة الشرقية والمرأة المتمدينة الغربية في الحقوق
لة . ، الثانية في حقوق المرأة المسلمة من جهة ادارة
عمال عامة ، والثالثة في حقوق المرأة المسلمة من جهة

الانتخاب ولا شك أن ذلك يضعها في موضع الريادة
بشأن المطالبة باعطاء المرأة حقوقها السياسية

وبالرغم من أن نصوص تلك المقالات الثلاث غير
موجودة الآن ، الا أننا لا نستبعد أن يكون للباحثة دراسة
في ذلك الموضوع ، بل انه لابد وأن يكون ذلك موضع
حديث لها ، وذلك لأسباب متعددة ، فمن ناحية فقد كان
الحديث في السياسة من الاشياء الشائعة في مجتمع تسيطر
عليه جيوش احتلال اجنبي ، ثم ان مشكلة المرأة والحقوق
المدنية والسياسية كانت مثارة في ذلك الوقت . ومن ناحية
اخرى فاننا نجد نصا حاسما للباحثة بشأن مساواة الرجل
بالمرأة « ما أظن اصل تقسيم العمل بين الرجال والنساء الا
اختياريا ، بمعنى أن آدم لو كان اختار الطبخ والغسل ،
وحواء السعي وراء القوت لكان ذلك نظاما متبعا الآن »

ومما يعضد وجهة نظرنا نشاطها الدائب بتقديمها
اقتراحات للأميرة (بهوبال) بشأن رفع مستوى المرأة
الهندية ، كما انها اتصلت بالسيدة (خالدة اديب) التي
عينت في منصب أول وزيرة في البلاد الاسلامية الحديثة
(وزيرة معارف في اول وزارة شكلها كمال أتاتورك)
وقد استطاعت الباحثة ـ عن طريقها ـ نشر مجموعة من
المقالات بجريدة (تركيا الفتاة) ثم ان نشاط الباحثة لم
يكن وقفا على الكتابة ونشر المقالات اذ أنها شاركت أيضا
بالخطابة والقاء المحاضرات وكانت أول امرأة تشارك في
المؤتمر المصري الاول الذي عقد بدار سينما روكسي بمصر
الجديدة لبحث « شتى الاتصالات والتوجيهات التي يجدر
بالامة والحكومة انتاجها » عام ١٩١١ وقامت بتأسيس
(اتحاد النساء التهذيبي) وجمعية على غرار الصليب
الاحمر ، ومدرسة لتعليم السيدات التمريض ومشغلا
للفتيات وملجأ للمعوزات

تلك الافكار والصور والانشطة التي تبدو لنا طبيعية
ومألوفة كانت في ذلك الوقت مثار نقاش عنيف واخذ
ورد ، أو كانت ثورة عنيفة تتفجر داخل المجتمع بهدف
تغيير العلاقات الاجتماعية المتخلفة ، وبهدف نفض غبار
لقرون مضت . وان كان لهذه الافكار اهمية بالقياس الى
عصرها فسوف تبقى لها اهمية اخرى ذات دلالة اذ أنها
افكار لامرأة لم يمهلها القدر أكثر من اثنين وثلاثين عاما
لتشارك خلالها في معركة كانت من اقسى معارك هذا
المجتمع في أواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن ،
ولعلها تكون ـ أيضا ـ معركة نهاية هذا القرن ! ! ■■

الاسكندرية ـ شفيق العمروسي

طبيب الأسرة

يجيب على هـ...
الاسئلـة تغيـ...
مـن الاطبـ...

أضرار الاشعاعات

● ما هو الضرر الذي يحدثه الاشعاع في صحة الانسان وكيف يحدثه ؟

ـ ليس لجسم الانسان آية قدرة على التغلب على الاشعاعات ، ذلك أن الله سبحانه وتعالى قد حماه أصلا من هذه الاشعاعات حيث خلق حول الارض منطقة تحيط بها ، فيها من المواد مايجذب اليه كل الاشعاعات القادمة من الشمس هذه المنطقة تسمى « حزام فان ألت » باسم العالم الذي اكتشف وجودها ، ولكن خطر الاشعاعات أصبح في العصر الحديث يهدد الانسان ، وهو بذلك خطر من صنع الانسان نفسه ، الذي اكتشف ثلاثة أنواع من الاشعاعات الذرية والالكترونية والكهرومغناطيسية والانسان يستخدم كل هذه الاشعاعات لأغراضه ولعل أشهرها هي الأشعة الكهرومغناطيسية أو أشعة × أو الأشعة السينية ورغم أن لاستخدامات هذه الاشعاعات فوائد الا أن لها أيضا أضرارا .

يعتمد أثر الاشعاع في الخلية على الجرعة التي تتعرض لها الخلية فاذا كانت الجرعة بسيطة فان أثرها غير معروف للآن أما الجرعات الأكبر نسبيا فانها تؤثر في قدرة الخلية على الانقسام واذا كانت الجرعة أكبر من ذلك فان الخلية قد تهلك تماما والملاحظ أن الخلايا التي تتأثر بسرعة وبحساسية شديدة هي الخلايا التي يكون من خصائصها القدرة على الانقسام والتكاثر كخلايا المبيض والخصية والجنين

وتؤثر الأشعة على الخليه بطريقتين · الأولى أن تصيب المادة الحية في الكروموزمات فتؤثر في مستقبل تكوين الخلية كلها إن لم تقتلها وهذا ما يفسر النسبة العالية من التشوهات الخلقية عند المواليد الذين تعرضت أمهاتهن للاشعاعات خصوصا في الشهور الأولى من الحمل والطريقة الثانية التي يؤثر بها الاشعاع على الخلية هي بتحليل ماء الخلية ، أو جزء منه ، بحيث ينتج الأكسجين الحر ، الذي يكون الماء الثقيل وهذه مادة مؤكسدة ونستخدمها كمطهر لأنها تؤكسد الجراثيم وتقتلها ولكنها في الجد[illegible] تؤكسد أجزاء هامة فتصيبها [illegible] معطل أو العطب واستح[illegible]ات

الاشعاعات تكون بقياسات وحرة وعن طريق أجهزة معقدة بحيث يستطيع الانسان أن يستفيد منها في الأغراض الطبية ، كالتصوير أو العلاج ، وبحيث يمكنه تجنب آثارها الضارة . ولكن هذه الآلات قد تعطب وتفشل في منع الضرر ، كما حدث في الانفجارات التي أصابت المفاعلات الذرية ، أو عدما يصاب الانسان بالجنون ، فيلقي القنابل الذرية على أخيه الانسان . والموت في هذه الحالات يكون مؤكدا اذا زاد تعرض الجسم لأكثر من ٥٠٠٠ وحدة اشعاعية . ولكن حوالي ١٠٠٠ وحدة فقط تترك الانسان في حالة سيئة جدا يموت منها بعد أسبوعين . ويبدو أن ١٠٠ وحدة هي أكبر جرعة يمكن أن يتحملها الانسان بعد المرور بمرحلة صحية صعبة .

الحياة في الجو الحار

لقد رود الله سبحانه وتعالى حسم الانسان بالقدرة على التعلب على ارتفاع الحرارة وانحاصها ولكن هذه الخاصه تعمل بحيث تبقي درحه حرارة الجسم شبه ثابتة عند معدل ٣٧ درجة مئوية تقريبا فان طرأ من الاحواء المحيطة بالجسم ، او التفاعلات التي بداخل الجسم ، مايسبب ارتفاع درجة الحرارة عن هذا المعدل ، فان الخاصية أو القدرة التي ذكرنا تبدأ بالعمل بعدة وسائل أولها ان تتسع شعيرات الدم في الجلد فتندفع اليها كميات اكبر من الدم الذي يحمل اكثر من ٨٠ في المائة من حرارة الجسد

وبذلك ترتفع حرارة الجلد وهو ملاصق لهواء الجو البارد فتنتقل الحرارة الزائدة من الجلد الى الهواء وهكذا حتى تنخفض درجة حرارة الحسم الى المعدل الطبيعي ، أما اذا كانت درجة حرارة الجو اكثر ارتفاعا من درجة حرارة الحسم فان هذه الوسيلة تصبح عديمة الفائدة ويلجأ الجسد الى طريقة اخرى وهي الاكثار من العرق الذي يتبخر من فوق سطح الجلد ويستهلك بالتالي كمية من حرارة الجسد

ولكن هذه الوسيلة ايضا يمكن ان تعطل اذا كان الحو مشبعا بالبخار ، وكانت درجة الرطوبة مرتفعة . من هنا كان ذكر درجة حرارة الحو بلا فائدة الا اذا ذكرت معه الرطوبة النسبية أو نسبة تشبع الجو بالرطوبة فمثلا درجة الحرارة ٣٥ مئوية مع نسبة رطوبة ٩٥ في المائة تكون بنفس سوء درجة حرارة ٤٥ مئوية مع نسبة رطوبة ٤٠ في المائة

فاذا وضع الجسم في مثل هذه الظروف الجوية فان قدرته على التغلب على الحرارة تكون تحت ضغط شديد في بادىءالامر وقبل حدوث التأقلم على تلك الظروف وقد تصيبه نوبات اغماء بسبب نقص الدم الذي يجري في الشرايين وذلك نتيجة اندفاع الدم الى شعيرات الجلد في محاولة لطرد كمية من حرارة الجسد للخارج ونوبات الاغماء هذه تزداد اذا قام الانسان بمجهود أو عمل ما او ظل واقفا لمدة طويلة قبل ان تستعد اعضاء الجسم للعمل في الاجواء الحارة وهذا التعود قد يتطلب حوالى اسبوعين حتى يعود الجسم الى العمل بكفاءته الاصلية

وحتى بعد حدوث التأقلم على العمل في المناطق الحارة ، فان عددا من الاعراض والامراض تهدد سكان هذه المناطق ، كتقلصات العضلات في الساقين والبطن فهذه التقلصات يمكن ان تكون شديدة في البطن بحيث تسبب آلاما شديدة للغاية وهي تحدث في الاشخاص الذين يتعرقون بكثرة ويترتب على ذلك نقص في كميات الماء والملح في الجسم ولكن الاحساس بالعطش يدفع الانسان للشرب ليعوض كمية الماء المفقودة ويعرق من جديد فيفقد ماء وملحا من جديد ولانه لاينتبه الى تعويض كمية الملح كما عوض كمية الماء فان العجز في الملح يتزايد بتكرار العرق والشرب حتى يصل الى الدرجة التي تسبب هذه التقلصات العضلية وعلاجه ان يتناول المرء اقراص ملح الطعام وعند الضرورة يمكن حقن سائل الملح في الاورده

اما ضربة الشمس فهذه مسألة خطرة حقا ويجب على العاملين في المناطق الحارة التنبه لتحاشيها قبل وقوعها ، ذلك ان الاشخاص المعرضين لضربة الشمس هم الذين يقعون تحت تأثير الحرارة لمدة طويلة بحيث تنهار كل قدرة الجسد على التغلب على الحرارة ، فترتفع حرارة الجسد بحيث تصل الى ٤٣ درجة مئوية مثلا ، وهذه درجة لايتحملها الجهاز العصبي فيصبح الانسان مضطربا في كل وظائفه واهمها النطق والقدرة على التفكير فلا يلبث أن ينهار تماما ، ويصيبه الاغماء التام وقد لايمكن التغلب على هذه الحالة بحيث تكون الوفاة هي القدر المحتوم

والعلاج اولا الوقاية وذلك بعدم البقاء في الاجواء الحارة لمدة طويلة ، فان بدأت اعراض ضربة الشمس فلابد من نقل المصاب الى اماكن معدة لعلاجه كالمستشفيات وعلى الاقل يجب نقله الى مكان بارد او مكيف . ويمكن حتى لفه في رداء واحد طته بقطع الثلج حتى يمكن نقله الى اقرب مستشفى .

المطوعة

ودورهم في حراسة ديار العروبة والاسلام

بقلم الدكتور احسان صدقي العمد

قام المطوعة - المجاهدون المتطوعون - على طول التاريخ العربي الاسلامي ، ومازالوا يقومون كلما اتيحت لهم الفرصة ، بدور حيوي بارز في الدفاع عن ديار العروبة والاسلام ، كانوا يهبون في الظروف الخطرة لمواجهة الاعداء وشد ازر القوات النظامية في التصدي لهم دفاعا عن الدولة

عرف الماوردي في الاحكام السلطانية المجاهدين المطوعة بانهم « الخارجون عن الديوان - ديوان الجند المرتزق - من البوادي والاعراب وسكان القرى والامصار ، الذين خرجوا في النفير ، الذي ندب الله تعالى اليه بقوله « انفروا خفافا وثقالا ، وجاهدوا بأموالكم وانفسكم في سبيل الله » وهناك العديد من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية والاحكام الفقهية التي تحث على الجهاد وترغب فيه وتثيب عليه وتبوىء المجاهدين المكانة السامية لدى المجتمع العربي والاسلامي ، وتخصهم بالمنزلة الاسمى في الدار الباقية ، مما حمل الكثيرين يقبلون عليه ، ويتنادون من كل حدب وصوب ، علهم حين يضربون بسهم فيه ينالون رضا الله في الدارين

التطوع هو الاصل

وبالرغم من ان الدولة العربية الاسلامية عرفت منذ وقت مبكر في صدر الاسلام الجند النظامي ، وفرضت له الاعطيات والارزاق للدفاع عن الدولة وحمل رسالتها والجهاد في سبيلها ، بالرغم من ذلك فان « التطوع » كان هو القاعدة الاساسية التي دعا اليها الرسول الكريم وبعدها في جميع غزواته وسراياه ، واتبعها من بعده خليفته ابو بكر الصديق رضي الله عنه فكان النبي صلى الله عليه وسلم يندب المسلمين للقتال ، ويرتدي لباس الحرب ، ثم يعسكر على مقربة من المدينة المنورة حتى يكتمل توافد المطوعة من اصحابه المجاهدين في عددهم وجهازهم وبعدها يتوكل على الله ويسير في اصحابه الى الوجهة التي حددها وكان صلى الله عليه وسلم لا يأتيه احد من المسلمين معتذرا عن الخروج معه للقتال الا قبل عذره ، واعفاه من الاشتراك معه في مجاهدة العدو ، وكان يقول عندما يندب المسلمين للتجهز لمحاربة الاعداء « لا يخرجن معنا الا راغب في الجهاد » ولعل الرسول القائد كان يهدف من وراء ذلك الى الحرص على ان لا يشترك في قتال الاعداء سوى المسلمين المؤمنين من ذوي العزيمة القوية والرغبة في الجهاد الصادق ، وابقاء المنافقين

واصحاب القلوب المريضة والمترددين بعيدا عن جو المجاهدين حتى لا يبثوا روح الهزيمة في صفوفهم ، وهو اكده الله تعالى في سورة التوبة بقوله « لو خرجوا فيكم مازادوكم الا خبالا ، ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة ، وفيكم سماعون لهم ، والله عليم بالظالمين »

وسار ابو بكر الصديق رضي الله عنه على هدى الرسول صلى الله عليه وسلم فكانت جميع قواته وجيوشه التي حارب بها المرتدين ثم ارسلها للفتوح من الجند المطوعة اصحاب النية والثبات والاحتساب

وكان طبيعيا ان يؤدي اتساع رقعة الدولة وتراخي ميادين الجهاد التي خاضها المجاهدون المسلمون ، الى اقامة الجند النظامي ابتداء من عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وتعزز هذا التنظيم بالحاجة الى انشاء قواعد ثابتة ينطلق منها المجاهدون ويرابطون فيها كما كان الحال بالنسبة للكوفة والبصرة وواسط والرملة والفسطاط والقيروان ، وعشرات غيرها من المسالح والرباطات انتشرت على طول تخوم الدولة الاسلامية وثغورها وسواحلها

على ان قيام الجند النظامي لم يوقف تدفق المطوعة الى ميادين القتال وجبهاته في المشرق والمغرب لشد ازر المسلمين والاسهام في مجاهدة اعدائهم طلبا للشهادة هؤلاء المطوعة يشكلون فرقا او جماعات ، ويعينون رؤساء من بينهم على غير ما كان عليه الحال بالنسبة للجند النظامي الذي كان يخضع لقواد تعينهم الدولة وقد ارتبطت المطوعة باندفاعهم الى ميادين الجهاد بالارتباط الاسمى بين العبادة والجهاد واشاعوا في اماكن تواجدهم سواء في المعارك او الرباطات والثغور شعورا دينيا خاصا كان ابعد الاثر في الصمود والنصر في كثير من المواقع ، وتحدثنا في المصادر بالوف من المطوعة الذين خرجوا من ديارهم للجهاد في سبيل الله ويمكن اعتبار الروافد التي التحقوا بالامصار الاسلامية في القرن الاول الهجري من أولئك المتطوعين وقد ساهموا مع اخوانهم في الامصار بواجب الدفاع عن الدولة ومجاهدة اعدائها

طلاب نصر أو شهادة

، المطوعة في ملاقاتهم للعدو يحرصون اشد الحرص
صر او الشهادة ويصرون على هذا الموقف بعزم
، حتى في احلك الظروف والمواقف ويحدثنا
ي عن موقف مماثل لهؤلاء في الحملة التي قادها
س ابي بكرة على سجستان (افغانستان الحالية)
١هـ اد رفض شريح بن هاني مصالحة الترك لدى
بهم المسلمين ، واصر على قتالهم حتى الموت ،
ائلا « يا اهل الاسلام ، من اراد منكم الشهادة
فاتبعه ناس من المتطوعة وفرسان الناس واهل
، فقاتلوا حتى اصيبوا الا قليلا » كذلك انضمت
كبيرة من المطوعة الى حملات الصوائف والشواتي
سندت اليها منذ وقت مبكر مهمة الدفاع عن الثغور
مية المتاخمة للروم في حدود شرق آسيا الصغرى
بط الوف المتطوعين من شتى ارجاء الدولة الاسلامية
، الثغور ووقفوا حياتهم على جهاد الروم ودرء
م عن بلاد الشام والجزيرة الفراتية وما زال جهاد
، البطال والآلاف العشرة من المتطوعين الذين دوخ
وم في آسيا الصغرى في القرن الاول الهجري ماثلا
هان

ل اوضح مثال على ذلك ما كان من امر ثغر
س الذي اعتبر اهم ثغور الدولة الاسلامية مما يلي
الروم البيزنطيين فقد كان المطوعة يتوافدون على
هر من معظم اقاليم الدولة طلبا للجهاد والدفاع عن
سلمين من خطر اجتياح الروم لها ويقول ابن
ان حوالي مائة الف فارس من اولئك المجاهدين
ين كانوا يرابطون فيها ويخرجون فيها في اوقات
،لغزو الروم ويقرر « ان ليس مدينة عظيمة من
سجستان وكرمان وفارس وخوزستان والري
بان وجميع الجبال ، وطبرستان والجزيرة واذربيجان
ق والحجاز واليمن والشامات ومصر والمغرب ، الا
لاهلها دار ورباط ، فينزل غزاة تلك البلدة
لون بها اذا وردوها » ويأتي في مقدمة هؤلاء في
الثاني الهجري المجاهد المتطوع والفقيه العالم عبد الله
بارك الذي كان يرابط في ذلك الثغر ويخرج منه لجهاد
وهو الذي وضع اول كتاب عن الجهاد في الاسلام
ا حوليات التاريخ العربي الاسلامي عن تنادي
ة من كل مكان لوقف اجتياح الروم لشمال بلاد الشام
رة الفراتية في فترات من القرنين الثالث والرابع
ف ما ترامت انباء هذا الاجتياح الى العاصمة
بة و سرها من المدن والنواحي الاسلامية عام
ـد حتمعت العامة ببغداد بالصراخ والنداء

بالنفير ثم اخرج اهل اليسار من اهل بغداد وسامراء اموالا لحرب الروم بذلك واقبلت العامة ـ المطوعة ـ من نواحي الجبل وفارس والاهواز وغيرها لغزو الروم » وتكررت مبادرة المطوعة لنجدة الثغور الاسلامية المتاخمة للروم في منتصف القرن الرابع الهجري فقد توجه ثمانية آلاف فارس وراجل من هؤلاء المطوعة للدفاع عن ميافارقين عام ٣٥٢هـ ، حتى اذا اجتاح الروم الثغور كلها بعد ذلك بسنتين احتشدت جموع من المطوعة تقدر بعشرين الف رجل في محاولة لرد ذلك الاجتياح

ولم يقتصر نشاط المطوعة على الدفاع عن الثغور الرومية والجزرية وانما شمل ايضا الدفاع عن الجبهة الشمالية للدولة الاسلامية حيث شكل الخزر خطرا ماثلا على طول تلك الجبهة وبخاصة في اواخر الدولة الاموية . فقد انضمت جماعات من المطوعة المجاهدين الى جيش سعيد الحرشي الذي وجهه هشام بن عبد الملك لقتال الخزر ويمدنا ابن اعثم الكوفي في كتابه الفتوح بنماذج عديدة رائعة من جهاد المطوعة في تلك الجبهة كما تميزت حدود الدولة الشمالية الشرقية فيما وراء النهر بمرابطة المتطوعين فيها ، بل كان معظم المسلمين هناك في عداد المجاهدين المطوعة الذين ينفقون اموالهم على « الرباطات وعمارة الارض والوقوف على سبيل الجهاد ووجوه الخير » وقد اعفتهم الدولة من الخراج ، « وذلك ليصرف اهلها خراجها في ثمن السلاح والمعونة على المقام في تلك الارض » وقام المطوعة في الجناح الشرقي للدولة الاسلامية بدور سياسي بعد ذلك ، اذ استطاع احد قادتها وهو يعقوب بن الليث الصفار ان ينشىء الدولة الصفارية في المشرق ، كما انضم عشرون الفا من مطوعة بلاد ما وراء النهر الى قوات السلطان محمود الغزنوي ، وكان لهم دور بارز في فتوحاته المشهورة » كذلك ساهم المطوعة في حملة المهدي العباسية البحرية ضد ثورة الزط في السند عام ١٦٠هـ وضمت تلك الحملة عشرة آلاف مقاتل بينهم الف من مطوعة البصرة والف وخمسمائة من المطوعة الذين كانوا يلازمون الرباطات كما شاركوا مشاركة فعلية في القضاء على ثورة بابك الخرمي في عهد المعتصم

جهاد متصل

واذا انتقلنا الى الثغور البحرية على طول سواحل بلاد الشام ومصر والشمال الافريقي ، نجد المطوعة يرابطون في هذه الثغور الى جانب حاميات الدولة من الجند النظامي وقد احرزت هذه الثغور والرباطات شهرة كبيرة بحصونها ومجاهديها ، كما هو الحال بالنسبة لقيسارية بفلسطين ودمياط والاسكندرية بمصر والمنستير في تونس

والرباط والسوس في المغرب . وشهد الجناح الغربي للدولة الاسلامية دورا سياسيا للمطوعة يماثل دورهم في المشرق ، حيث استطاعوا ان ينشئوا دولتي المرابطين والموحدين اللتين اسهمتا بجهد مشكور في الدفاع عن ديار العرب والمسلمين في المغرب والاندلس .

وهناك في الاندلس كانت للمطوعة صولات وجولات ، وكان الجيش النظامي يغزو في الصوائف والشواتي الاندلسية باعداد كبيرة من المطوعة بل ان جانبا من المتطوعين دخل الاندلس مع المرابطين بقيادة يوسف بن تاشفين واسهموا في تحقيق النصر الذي حققته قواته على القوى الاسبانية في وقعة الزلاقة عام ٤٧٩هـ وكانوا يتقدمون الصفوف عند ملاقاة الاعداء ويتسابقون الى الشهادة في ميادين القتال اذ تحدثنا المصادر عن استشهاد عشرين الفا منهم في وقعة كتندة في الاندلس عام ٥١٤هـ . كما يذكر ابن خلدون ان ثلاثة آلاف من مطوعة زناته قد توجهوا للجهاد في الاندلس عام ٦٦١هـ . في زمن بني الاحمر « فحسنت آثارهم في الجهاد وكرمت مقاماتهم » وشارك مطوعة الصوفية كذلك بجهود كبيرة في ميادين الجهاد في الاندلس بينهم على سبيل المثال لا الحصر ابو مروان عبد الملك بن ابراهيم بن بشر القيسي وابو جعفر احمد بن الحسن بن علي بن الزيات الذي كان « موغلا في الكلف بالجهاد حريصا على الشهادة » وجعفر بن احمد الخزاعي صاحب « الحدوي في نفير الجهاد » وغالب ابن حسن الذي كان من اهل الجلد والمثابرة على الرباط والخفوف الى الجهاد وكانت اعداد كبيرة من هؤلاء المطوعة يقيمون في الارباض والرباطات استعدادا للمدافعة والجهاد ، حتى ان بعض هذه الارباض كان يخرج منه حوالي عشرة آلاف مجاهد من المتطوعين .

واستمر جهاد المطوعة متصلا ومتواصلا لدرء الخطر الصليبي ثم المغولي عن ديار العرب والمسلمين وكان هؤلاء المجاهدون المتطوعون يتعرضون للقوات الصليبية في حال تقدمها وتقهقرها ويقطعون الامدادات عنها ويحدثنا ابن الاثير عن بلاءبعضهم في موقعة حطين عام ٥٨٣هـ ، اذ اشعل نفر منهم الحرائق في ارض المعركة عندما كان الريح باتجاه الصليبيين « فاجتمع عليهم العطش وحر الزمان وحر النار والدخان وحر القتال مما ساعد في هزيمتهم » بل ان هجمات المطوعة على امدادات جيوش الصليبيين وراء القدس كانت سببا رئيسيا في رفع الحصار عن المدينة ، وكان صلاح الدين يسير المطوعة ليلا لحصد غلات العدو « وما يبرح مكانه حتى يعودوا بجمالهم واحمالهم موثقة باثقالها » وهذا شاب نحاس من مطوعة دمشق يتطوع لحرق ابراج الصليبيين المطلة على سور عكا ، ويرفض ان يأخذ اجرا او جائزة على عمله ويقول « انما عملت ذلك ابتغاء وجه الله ، ورجاء ما عنده سبحانه فلا اريد منكم جزاء ولا شكورا » ودور المطوعة مشهور ومشهود في صد الصليبيين عن دمياط والمنصورة . وقد وصف المقريزي وصول المطوعة من كل النواحي للجهاد حيث « اخذوا في الغارة على الفرنج ومناوشتهم وما من يوم الا ويقتل من الفرنج ويؤسر وقد لقوا من عامة المسلمين (المطوعة) نكاية عظيمة وتخطفوا منهم وقتلوا كثيرا » .

وبالرغم من النكسات التي مني بها العرب والمسلمون في تاريخهم الحديث ، فان جهاد المتطوعين منهم ضد قوات الاحتلال الاجنبية الغازية كان ولا يزال انصع صفحة في هذا التاريخ ويسهب الجبرتي في الحديث عن دور المطوعة من اولاد البلد والفتوات في تنظيم انفسهم ووضع الخطط وشراء السلاح لمقاومة الفرنسيين ابان حملة نابليون على مصر في مطلع القرن التاسع عشر ، وتكرر هذا الموقف من مطوعة اهل فلسطين عندما تقدم نابليون حتى عكا ونرى آلافا من المطوعة يقفون الى جانب حامية رشيد ويفشلون الغزو الانجليزي لها عام ١٨٠٧م وكان في جملة المتطوعين المصريين نفر من اهل مكة والمغرب كانوا يقيمون في مصر آنذاك ، ويقول الجبرتي في ذلك « وكثر المتطوعون ونصبوا لهم بيارق واعلاما ، وجمعوا من بعضهم دراهم وصرفوا على من انضم اليهم من الفقراء وخرجوا في مواكب وطبول وزمور ، فلما وصلوا الى متاريس الانجليز دهموهم من كل ناحية وصدقوا في الحملة عليهم واختلطوا بهم وادهشوهم بالتكبير والصياح حتى ابطلوا رميهم ونيرانهم فألقوا سلاحهم وذبحوا الكثير منهم . . . وفر الباقون » وفي تاريخ بلاد العرب والمسلمين الحديث في المشرق والمغرب حديث طويل عن جهاد المتطوعين ومقاومتهم الباسلة للعدو المستعمر فقد تصدوا للمستعمرين الاسبان والبرتغاليين والفرنسيين والانجليز ، ففي مصر والمغرب الكبير انضمت الوف منهم تحت لواء عبد القادر الجزائري واحمد عرابي وعبد الكريم الخطابي ، وثورات التحرير الاخيرة في ليبيا وتونس والجزائر والمغرب وشهد الخليج العربي في المشرق جهادا مشرفا مماثلا ضد المستعمرين لدى محاولتهم بسط نفوذهم على سواحله ولا يزال المجاهدون المتطوعون يقومون بمثل هذه الجهود في المشرق العربي والاسلامي منذ انتهاء الحرب العالمية الاولى وحتى الابتلاء بالغزو الصهيوني لفلسطين والتدخل العسكري السوفياتي في افغانستان مما لا يحتاج الى مزيد من شرح ، لقرب عهدنا باخباره ومعايشتنا اياه ■

د . احسان صدقي العمد

أصالة لغوية في اللهجات الأردنية

بقلم : توفيق أبو الرب

اللهجات الدراجة في الأردن ، وان بدت للبعض غير مفهومة ، ليست بعيدة تماما عن اللغة العربيةالفصحى ، بل ان بصمات الأصالة اللغوية واضحة فيها

تتحلى مظاهر الأصالة اللغوية في لهجات سكان الضفة الشرقية من الأردن - كما تبدو من خلال الغناء الشعبي والأمثال - في ناحيتين رئيسيتين الاولى صرفية والثانية نحوية

اما الناحية الصرفية فتتجلى حين نلاحظ أن كثيرا من اللهجات العربية القديمة التي ذكرتها كتب اللغة لاتزال الى اليوم حية ، تنطق في البادية الأردنية ، كما يظهر ذلك واضحا في الغناء الشعبي البدوي مثل . العنعنة وهي إبدال الهمزة عينا ، ومثالها في الغناء الأردني .

يابو منديل امشنك

ماحاكك

عشيرك (يسعل) عنك

عند الطلياب [1]

فقد قال « يسعل » اي يسأل ، وهذه لهجة قديمة مشهورة ذكرتها كتب اللغة ، ومنها قول ذي الرمة

أعن ترسمت من خرقاء منزلة ماء الصبابة من عينيك مسجوم

أراد « أأن ترسمت » ، ومنها ما أنشده يعقوب

فلا تلهك الدنيا عن الدين واعتمل لآخرة لابد عن ستصيرها

أراد « لابد أن »

ومثل الكشكشة وهي ابدال الكاف شينا ، ومثالها في الغناء الشعبي الأردني

قلبي يحبش ويريدش

وش طالع بيدي وبيدش

ما ادري المحبة من الله ولايرادت عبيدش

. وهذه ايضا لهجة عربية قديمة كانت تنطق بها ربيعة ومضر ومنها قول الشاعر القديم .

فعيناش عيناها ، وجيدش جيدها

ولونش الا انها غير عاطل

ومثل « التلتلة » . وهي كسر اوائل الافعال المضارعة ومثالها في الغناء الأردني .

يقول على ما قال ادبيس الغاير

من فوق صفرا كالحليب الصافي

والتلتلة لغة جيع العرب الا اهل الحجاز ، فانهم لايتكلمون بها

ومثل ابدال القاف جيما ، ومثالها في الغناء الأردني ·

ولك ياغراب حيد عن طريجي

واريد اشرب ميه بالبريجي

يريد « طريقي وبالابريق » وهذه لهجة عربية قديمة ذكر الدكتور صبحي الصالح في كتاب « دراسات في فقه

[1] . طلياب معردها طلا ، وهو الحمل ساعة ولادته

اللغة » « والقاف ابدلوها على تقارب حيا فقالوا ، عانقت الرجل وعانجته ص٧٣ »
ومثل قلب العين نونا في الفعل « اعطى » خاصة ، فيقال « انطي » وشاهدها في الغناء الشعبي الاردني

ونا اطيتك عهد
عيني ماتفارق عينك

وابدال العين نونا ظاهرة لغوية قديمة ، تدعي في كتب اللغة « الاستنطاء » وهي لهجة يمنية ، نسبت قديما مضي الى قبائل سعد بن بكر وهذيل والازد
ومثل ابدال الجيم ياء في لهجة عشيرة عيسى الأردنية كقول شاعرها الشعبي
هينت ركبنا من هلا (اليوف) مداد
بين اليوم وبين حشم الحماد
اراد « الجوف » وهذه لهجة عربية قديمة ايضا ، وقد ذكرها الاشموني في شرحه كما ذكرتها معظم كتب الصرف ، وشاهدها قول الشاعر القديم
اذا لم يكن فيكن ظل ولاجنى
فابعدكن الله من شيرات
اراد شجرات
ومثل ابدال الفاء في كلمة « فم » ثاء بحيث يقول سكان الريف الاردني « ثم » بينما يقول سكان البادية « اثم » ، وشاهدها في الغناء الشعبي
انا ما صيدي صلاه
ودي حبه(٢) من اثمك
وهذا الابدال في الكلمة هو اثر من لهجة تميمية مشهورة مازالت متبقية ، قال الدكتور صبحي الصالح « الثاء عند تميم تقابل الفاء عند الحجازيين ، ومن ذلك قوله تعالى في سورة البقرة « يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها ، وقثائها وفومها وعدسها وبصلها » ومثلها قولهم « الاثاثي » فانها لغة تميم في الاثافي « ومثل ابدال الميم في كلمة « غيم » نونا ، اذ ان الاردنيين في الريف والبادية على السواء ينطقون الكلمة دائما بالابدال فيقولون « غين » وهذا الابدال عربي قديم ، وشاهده قول شاعر من بني تغلب يصف فرسا
فانت حبوتني بعنان طرف
شديد الشد ذي بذل وصون

كأني من حافيي عقاب
يريد حمامة في يوم غـ

والحق اننا اذا رحنا نتقصى كل اللهجات العربية القديمة في اللهجات الاردنية الحالية ، فاننا لاشك سنجد الكثير منها لايزال حيا ينطق به ، ولكننا مع ذلك نفتقد بعض اللهجات العربية القديمة مثل كسكسة بكر وفحفحة هذيل وطمطمانية حمير وعجعجة قضاعة ولخلخانية شحر وعمان

من الناحية النحوية

هذا من الناحية الصرفية ، واما من الناحية النحوية فيظهر ذلك من خلال احتفاظ اللهجة البدوية الاردنية خاصة ، ببعض مظاهر الفصاحة القديمة ، كتحريكها أواخر الكلمات احيانا بالفتح او بالكسر ومثال التحريك بالكسر وبالفتح في الغناء الشعبي الأردني
يابنت يللي هويت اثنين
ناشدتش الله منو العالي
الاول منهم صبي النمر
والثاني من الروح حلقاني
وفضلا عن تحريك بعض الكلمات في البيتين السابقين بالفتح وبالكسر ، فان فيهما ايضا ظاهرة لغوية ، تدل على عراقة اللهجة ، اذ ان سكان الضفة الشرقية من الاردن يقولون في السؤال عن العاقل « منو » اي من هو ؟ و« مني » اي من هي؟ وشاهده في البيتين السابقين « منو العالي ؟ وهذا فصيح وجائز في باب حكاية الاستفهام عن العاقل ، قال ابن هشام في اوضحه « ويجب في من الاشباع فتقول « منو » و « مني » ، واما قوله
أتوا ناري فقلت منون انتم ؟
فقالوا الجن قلت عموا ظلاما
فذلك نادر في الشعر ، ولايقاس عليه خلافا ليونس »(٣)
كما يلاحظ على البيتين السابقين انه اعمل حرف الجر فقال من الروح » على ان ذلك يأتي في كلامهم اتفاقا دون قاعدة ثابتة ، والغريب ان اللهجات الاردنية تستثقل حركة الضم ، لذا فمن النادر ان نلحظها فيها !
ومن مظاهر الاصالة النحوية المتبقية في اللهجات الاردنية كما تبدو من خلال الغناء الشعبي تنوين اواخر الكلمات احيانا ومثال ذلك

---

(٢) ودي بودي اي ارغب ، في حبة قبلة او لثمة

(٣) انظر باب الحكاية من كتاب اوضح المسالك الى ألفية ابن مالك - ج٣ - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ص٢٣٢

الـ ـبـد صـدت عـن الـمطـمـوم
ـن يـوم فـارقـت سـلومـه
(م يـونـتـن) وحـرجـت بـالـسـوم
لـردى (دانـيـن) يـومـه

التنوين ظاهر في البيت الثاني في كلمتي « مزيونة » و « ...يا »

على ان ذلك يأتي في كلامهم دون قاعدة ثابتة ، ويلاحظ على اللهجات الاردنية انها تستثقل ايضا تنوين الرفع استثقالها حركة الضم !

ومن مظاهر الأصالة اللغوية المتبقية في اللهجات الاردنية ان البدو الاردنيين خاصة لايزالون يحافظون في كلامهم على جميع صيغ الافعال الخمسة باستثناء صيغتي التثنية (يفعلان ، تفعلان) ومثال صيغة الجمع في الغناء الشعبي الاردني هذا المطلع الشهير

يـاطـابـخ الـبـبـر دونـك دلـونـا دونـك
تـلـي يـحـبـك واهـلي مـايـريـدونـك

والشاهد فيه كلمة « يريدونك » ومن جهة اخرى يلاحظ ان صدر البيت يكاد يكون منقولا حرفيا عن بيت شعري قديم ، استشهدت به كتب النحو في باب اسماء الافعال وهو

يـأيـهـا الـمـائـح دلـوي دونـكـا
اني رايـت الـنـاس يـحـمـدونـكـا

ومثال صيغة المفرد المؤنث « تفعلين » في الغناء البدوي الاردني

يـابـنـيـه يـا أردنـيـه
يـابـنـيـه يـا اردنـيـه
(لاتمشين) بـحـر الـعـور
بـقـدم حـفـي شـمـسـيـه

والشاهد في كلمة « تمشين »

واما صيغتا المثنى « يفعلان »و«يفعلان » فهم يعبرون عنهما بصيغتي الجمع « يفعلون » و « تفعلون » مثلما يخاطبون المثنى بلغة جمع المذكر السالم ، كما هو واضح في هذا البيت الشعبي الشهير

ياعيال يامشرقين اثنين يامنيلين المساديل

فقد خاطب الاثنين بقوله يا « مشرقين » ويا « منيلين » ، وبها يخاطب الجمع المذكر ايضا ■■

توفيق ابو الرب
اربد ـ الاردن

ماذا تقولين ؟

يحكى أن جارية عرضت على أم جعفر زوجة الرشيد ، وطلب البائع لها ثمنا باهظا ، فقال الرشيد ، اني أدفع لك هذا الثمن ... الا الجارية حتى اسألها ، ثم قال لها : ماذا تقولين لمن خطب ودك ، وأضناه الشوق عليك ، وتلهف الى وصلك ؟

قالت اذا رأينا ... قد أسرته
أسير الصبابة ... أسلنا

فأعجب الرشيد بجوابها واشتراها

أســـرار ضربة الكاراتيه تنكشف

بقلم الدكتور محمد نبهان سويلم

كيف يستطيع انسان بيده العارية كسر كتلة من الاسمنت أو الخرسانة المسلحة ، كيف يستطيع أن يخترق باصبعه لوحا من الصلب أو يصد بعظامه ضربة سيف مصقول دون أن يخدش جلده أو تسقط منه نقطة دم واحدة ؟

هـل يمكن أن يكون ذلك نوعا من السحر القديم احترفه كهنة التبت وأسموه « كاراتيه » ، وظلت أسراره حكـرا عليهم حتى جاء تجار السينما والمسلسلات والتليفزيون بعد عشرات السنين ثم حولوه مع مطلع هذا العقد الى تجارة ومصدر لا ينضب للعنف ، يضمن لهم أرباحا خيالية ولتجارتهم في الترفيه والتسرية عن المهمومين والمكدودين الرواج والاستمرار فالتجارة بالكاراتيه تجارة رائجة اليوم تلعب على أوتار التصور البشري صوب القوة وتسقط في ذهن المشاهد ما يعجز عن تحقيقه من الواقع الفعلي في وضح النهار ، فيقدمها له تجار اللعبة على الأشرطة حلما يعيش معه وبه ، عندما ينحسر الضوء عن الناس وتهدأ السابلة من الطرقات والشوارع

قد تكون مسألة التجارة بالكاراتيه في الأشرطة والفيديو صحيحة ، لكن مسألة السحر هذه تستوجب منا مزيدا من التأني في القول والتدقيق والتمحيص فلم يعد مقبولا في نهايات القرن العشرين ودخول العلماء بمهم العلم متحررين من كل شاردة وواردة وسعيهم غير الكلول لمعرفة حقائق الكون حتى أعمق أعماقه ، وكشفهم أسرار هذا الكون

◀ اللاعب يحطم بيده اليمنى ثلاثة قوالب من الطوب يزن الواحد منها ٦½ كيلو جرام وطول القالب ٤٠ سم وعرضه ١٩ سم وسمكه ٤ سم

لحظة التلامس بين اليد الهاوية وقطع الطوب والتشقق الحادث

مسيح الممتد الى مالا نهاية ودحول العلم برأسه من أدق أصغر وأدق مكونات الذرة ثم يبقى الوهم محيطا لكاراتيه

ولو حكمنا العقل وأخذنا الفطرة السليمة هي المنطق لذي نتناقش على هديه وضوئه لقلنا لو كان الكاراتيه سحرا كما يتوهم البعض لظل مقصورا على عدد محدود معروف من الناس يمارسونه بعيدا عن العيون يحرصون بعضا منه على الناس فيرهبون منهم القلوب الأفئدة ، لكن الكاراتيه رياضة بدنية يستطيع ممارستها ن هب أو دب دون سابق خبرة أو معرفة بعد عدة أشهر ، هو لو أحسن التدريب وأطاع تعليمات المدرب ، ستطيع منافسة باقي مزاولي اللعبة وربما استطاع أن يحقق سرا مؤثرا عليهم ولن يندرج انتصاره تحت بند معجزات أو الخوارق انما هو حصيلة عرق سال ، على مهنه عزم لا يلين على تحقيق النصر والفوز ، وثمرة جهد ل ومجهود لم يبخل به

بالتالي أستطيع الزعم وأنا مطمئن ان لعبة الكاراتيه تنضوي تحت لواء قوانين الطبيعة وتخضع لضوابطها وليس بالافلات منها كما هو المفترض في السحر الحقيقي

رياضة جسدية وذهنية

والكاراتيه الذي يزاوله كل لاعب اليوم هو طريقة أو فن للدفاع عن النفس له تاريخ قديم يعود الى عدة قرون منصرمة ، فمن الثابت ان الجودو ـ المصارعة اليابانية ـ والعاب المبارزة بالسيف (الكمبو والكندو) والكاراتيه كلها تفرعات أو أوجه تباين ومشتقات من فن الصين القديم المسمى ـ شوان فا ـ أي طريقة القبضة

وما يعنينا هنا هو فن الكاراتيه ولفظة « كاراتا » اليابانية تعني خالية أما لفظة « تي » فتعني يد ، ومن هنا فان الكاراتيه معناه اليد الخالية واستخدامها في الدفاع عن النفس

والكاراتيه نقله اليابانيون عن سكان جزيرة أوكيناوا في القرن السابع عشر الميلادي عندما فرض اليابانيون اثر

معدلات اكتساب يده لسرعة ٦٠ ـ ٩٠ كيلو مترا في الساعة تتضح من هذه الصورة وتقل السرعة الى أقصاها قبل انفراج الذراع على امتداده الطبيعي مما يعطي عزما وقوة هائلة

حتلالهم الجزيرة حظر حمل السلاح أو صناعته وقضوا على صناعة السيوف ومنعوا استخدامها ، حتى في الأعياد الوطنية والاحتفالات الدينية ، ومن هنا لجأ الأهالي الى الرهبان الذين أسدوا اليهم المشورة بوضع قواعد لاستخدام اليد الخالية ونبهوهم الى القوة البشرية المركزة في اليد والكوع والركبة الى آخر هذه المناطق وهكذا نشأ فن الكاراتيه وشاع وانتشر في شرق آسيا بأسرها

على أن اليد الطولى في تطويره ووضع أسس وقواعد له كانت للخبراء العسكريين ورجال بلاط القصر في كل من اليابان وكوريا حتى صدر مرسوم امبراطوري ياباني بضرورة اجادة أفراد الحرس الامبراطوري للكاراتيه

ومرت الأيام حتى جاء رجل يدعى فونا كوشي كواحد من أعظم خبراء الكاراتيه في العالم ، ووضع الأسس الحديثة له في عام ١٩٢٢ ميلادية وتبنت وزارة التعليم اليابانية طريقة الرجل وقررت اللعبة في جميع المدارس والجامعات

ويعتبر فونا كوشي أول من قال بأن لعبة الكاراتيه هي لعبة بدنية وذهنية بخلاف ما كان معتقدا بأنها لعبة بدنية محضة لا دخل لقوى العقل فيها لأن اللاعب يركز كل طاقة جسده في برهة زمنية قصيرة للغاية تقع على مساحة محدودة لتؤتي تأثيرها البالغ

والكاراتيه على هذا النحو تدريب ممتاز ليس للناحية الجسدية فقط ، انما للقدرات الذهنية عما تكسبه للاعب من التركيز البالغ والدقة الفائقة وهذا ما توصل اليه حكماء التبت القدماء دون أن يتبينوها بيقين لكي يصلوا الى هذه القوانين والى الحد الاقصى لاحتمال انطباقها وسدادها في الواقع الفعلي

بداية اكتشاف السر

ونتناول هنا احدى الدراسات الشيقة والممتعة التي وضعت لعبة الكاراتيه تحت أضواء العلم وعلى مشارفه حيث لا فرصة للخلل أو البعد عن المصداقية ، لكنا سنقدم الدراسة في خطوطها العامة دون أن نغوص في أعماقها ، فذلك يتطلب من القارىء جهدا شاقا والماما بقوانين الرياضيات والنظريات الفيزيائية وميكانيكا المواقع وعلوم الاهتزازات ، وهذا ليس هدفي بحال من الأحوال .

والحكاية هي ان عالم رياضيات تطبيقية مختصا بعلوم الكومبيوتر ، وأستاذا لها باحدى جامعات انجلترا هوى الكاراتيه ، فمارس اللعبة مع زمرة من الطلبة على ملاعب كلية العلوم لكنه بحدس العالم ورغبة العلماء الجامحة في المعرفة العلمية المؤصلة والموثوقة ، لاحظ على أحد اللاعبين أنه يتقدم في فنون الكاراتيه بطريقة مثيرة للدهشة والاعجاب فالطالب دائما يحقق أعلى النتائج ولا تقف في طريقه صعاب ، فسعى اليه سائلا ومدققا وباحثا

ومقبا ، وفي مناقشة عابرة سأله العالم الانجليزي بضمة أسئلة عن سر تفوقه ، وهز الطالب رأسه وقال دون مبالاة "قد يعود السر الى محاولتي تركيز ضرباتي على أصغر مساحة ممكنة من قطعة الخشب أو الطوب أو الحديد بعد أن استجمع كل ارادتي بسرعة كافية لتوجيه الضربة بالعضو الذي استخدمه يدي أو قدمي"

وعاد العالم الى منزله يفكر في مقولة الطالب مرة ومرات وكأن حديثه كان ومضة ضوء مبهر برقت في ذهن العالم وحدبت اهتمامه ووجهت فكره صوب دراسة اللعبة وفق قواعد البحث العلمي ، فراح العالم يحلل تعاليم أساتذة الكاراتيه عبر القرون والعصور فوجد أن ملاحظة الطالب صادقة تماما ، رغم أن لكل لاعب طريقة يستخدم فيها أجزاء بعينها من يده أو المرفق أو القدم فإن الجزء المستخدم يركز ـ عند ملامسته الغرض ـ الجانب الأكبر من طاقة الجسد كله على أصغر مساحة ممكنة

وأعد العالم عدته وقام بمئات التجارب على تحطيم قطع الخشب والطوب والخرسانة المسلحة ومنها وضحت الأسباب وتكشفت أسرار الكاراتيه لأول مرة بطريقة علمية

من هنا ننطلق للرد على السؤال كيف يستطيع لاعب بيده المجردة تحطيم هذه الأشياء ؟

النقلة ١ ـ نقطة الحد المرن
النقلة ٢ ـ نقطة الكسر

والاجابة العلمية هي الصدمة التي تحدثها قبضة اللاعب على قطعة خشب مثلا تؤثر على السطح العلوي فينثني تحت وقع الضربة ويتأثر بالتضاغط في اتجاه حركة القبضة بينما يقع السطح السفلي للخشب تحت وقع الشد المريع ، وتبدأ قطعة الخشب في التشقق من سطحها السفلي وينتشر التأثير عموديا بسرعة مذهلة الى أعلى عكس اتجاه
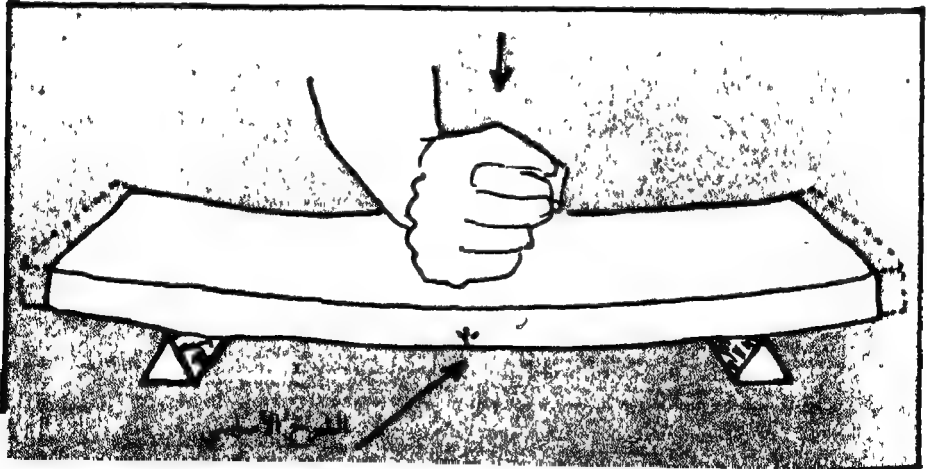
شكل مبالغ فيه يوضح ميكانيكية كسر قطعة من الخشب حيث تحمل قطعة الخشب كأنها زمبرك أو ... سوستة تتلقى الصدمة وتحاول استعادة شكلها الأساسي الموضح بخط لكن متى تعدت حد المرونة بدأت الشروخ

القبضة حتى تنهار القطعة وتتكسر الى قطع صغيرة وأشلاء .

ووفق قواعد علوم المرونة فان قطعة الخشب أو الطوب أو الخرسانة المسلحة تنحني ويتناسب هذا الانحناء مقدارا واتجاها تناسبا طرديا مع مقدار القوة ، ويتقلص السطح العلوي ويتمدد السطح السفلي ، ويفقد الجسم مرونته متى تعدت القوة حد المرونة أي النقطة التي يعود فيها الجسم الى شكله وأبعاده الاصلية دون تحطيم ، وكأن الجسم عبارة عن زمبرك مرن

نتائج مدهشة

وقام العالم مع فريق من معاونيه الى وضع معادلة رياضية تحكم هذه المتغيرات ، واستخدم لذلك حاسبا آليا ذا كفاءة عالية ثم شرع في احصاء الطاقة اللازمة للكسر التي تركزها الضربة ومقارنتها بكمية الطاقة المناظرة لكسر الكتل الخشبية أو الخرسانية مستخدما في ذلك قوانين الصوت وحركة الموجات وانتقال الاهتزازات

وكل التجارب تم تسجيلها صوتيا بوسائل التصوير العلمي السريع ووضح من الصور ان سرعة اليد كانت تتزايد بمعدل هائل ثم تنخفض السرعة حين تدور قبضة اليد على محور المعصم لثلاثة أرباع الدورة تقريبا ، ثم تزيد السرعة زيادة مخيفة قبل الملامسة التي تأتي على شكل تصادم بسرعة تصل الى ٦٠ كيلومترا في الساعة ، وفي دراسة على نوع آخر من الضربات المعروفة باسم « الشاكوش » أو المطرقة تهبط اليد على قطعة الخشب بسرعة تتعدى ٩٠ كيلومترا في الساعة

معنى هذه السرعات ان رفع القبضة بسرعة تتراوح بين ٦٠ الى ٩٠ كيلو مترا يحمل طاقة رهيبة وحين تقع هذه الكمية من الطاقة لمدة زمنية لا تتعدى عدة أجزاء من ألف جزء من الثانية (ميللي ثانية) فانها تماثل شحنة كهربية قوتها نحو ١٥ كيلو واط ساعة

وقد ثبت من القياسات المعملية دون الاستعانة بلاعبي الكاراتيه ان قطعة الخشب أو قالب الطوب أو بلاط خرسانة لا يحتاج في الحقيقة لأكثر من $\frac{١}{٤}$ كمية الطاقة التي تحملها يد اللاعب لكسر الخشب ، ولا تحتاج الخرسانة الى $\frac{١}{١٠}$ ذات الكمية ولا يحتاج الطوب الى $\frac{١}{٨}$ نفس كمية الطاقة

أليس غريبا على الناس ان قطعة الخشب تحتاج طاقة أكثر مما تحتاج بلاطات الخرسانة أو الطوب ؟

نعم غريب لكن في دراسات أخرى تمت بالولايات المتحدة الامريكية على كسر الخشب والخرسانة باستخدام مكابس هيدروليكية ، ومن حساب حدود المرونة ثبت بما لا يدع مجالا للشك أن يد أو رجل أو كوع لاعب الكاراتيه تحمل قدرا رهيبا من الطاقة الحركية هذا أولا وثانيا ان الخشب على درجة كبيرة من المرونة أكثر من الخرسانة أو الطوب يجعل الوصول به الى حد المرونة أكثر مشقة من الخرسانة أو الطوب رغم هشاشة الخشب الشديدة ورغم أن لاعب الكاراتيه يستهلك نحو ٧٥٪ من الطاقة في الكسر

إنه لصحيح أن الألم الذي يتولد من اصطدام يد اللاعب مع الخرسانة أو الطوب يفوق الألم المتولد من اصطدام يده بالخشب الذي يمتص قدرا أكبر من الطاقة فيخفف الألم الناتج عنها لكن الألم المتولد من ضرب الخشب يفوق الألم المتولد من ضرب قطعة أو قضيب من الحديد لذات الأسباب

وتوضح مجموعة الصور - مع المقال - الدراسات على الكاراتيه ، كما يوضح المنحنى المرفق حدود الكسر وبحد أن الاجهاد داخل المادة يساوي القوة أو الطاقة التي اكتسبتها يد اللاعب مقسومة على مساحة مقطع الخشب أو الخرسانة أو الطوب كما ان الاستطالة نتيجة الصدمة تقدر بالتطاول في القطعة على طولها الاصلي ، ومن المقدارين يمكن حساب حد المرونة لكل مادة ومقدرة اللاعب

وبهذه الدراسة ومثيلاتها يوضع الكاراتيه في موقعه الصحيح من القدرات البشرية ويمحو السر عن واحد من أحسن فنون الدفاع عن النفس كرياضة روحية وبدنية سامية

ويمضي العلم يزيح أستارا من وراء أستار كاشفا النقاب عن مزيد من الأسرار ، ويصدق قول الحق جل وعلا

« وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما » ■■

د محمد نبهان سويلم

الغريب

تأليف : فرانسيس ستيغمولر

تعريب : حسن بو غنام

لو لم تكن السماء تمطر عندما خرجت من السينما ، لذهبت سيرا على الأقدام الى بيتي ، فالشقة التي أسكنها ليست بعيدة ، انما الطريق اليها معقد بعض الشيء اذ عليك أن تسلك طريق البوليفار وتقطع شارعين اثنين وتنحرف يمينا نحو الشارع الثالث ، شارع غرينل ، حيث منزلي

أشرت لسيارة تاكسي ، وما ان أعطيت السائق العنوان حتى انطلق في طريقه ، وفي الطريق ومن خلال مرآة السيارة بدا السائق على حقيقته رجل متقدم في السن ، أحمر الوجه تظهر عليه امارات المشاكسة والعصبية ، وتأكد لي ذلك ، لأنه ما ان سلك طريق البوليفار حتى انحرف يمينا نحو الشارع الأول ، شارع سان دومينيك فصحت : « لا ، ليس من هنا » ، فتمتم بكلمات غير مفهومة وعاد ثانية الى البوليفار ، ومن ثم دار ليدخل الشارع الثاني ، فما كان مني الا أن صحت ثانية « الشارع التالي من فضلك هو شارعي ، شارع غرينل »

في هذه اللحظة رمقني بنظرة قاسية ، وما ان قفل عائدا الى البوليفار حتى انطلق بسرعة هائلة متجاوزا الشارع المطلوب ، مما اضطرني لتنبيهه للمرة الثالثة قائلا « والآن لقد تجاوزت الشارع ، كان عليك أن تنحرف نحو اليمين أرجوك أن تعود الى شارع غرينل »

ولدهشتي وحوفي ادار السائق سيارته واندفع بسرعة (جهنمية) ، ولم يتوقف الا عند مدخل شارع غرينل بقسوة ومرارة « اخرج اخرج من سيارتي حالا لن أتقدم خطوة واحدة لقد عاملتني ثلاث مرات كأبله لقد أهنتني ثلاث مرات سيارتي ليست للغرباء اخرج حالا »

قلت له « في هذا المطر لا ، لن أفعل ذلك لم أوجه اليك أية اهانة ؟ لقد كنت أحاول ان ألفت انتباهك لتوصلني الى منزلي ولكن دون جدوى والآن من فضلك أوصلني سأعطيك « بقشيشاً » محترما وسنفترق بطريقة حبية

لم ينتظر نهاية حديثي حتى عاد ليقول : « اخرج لقد اهنتني ، وستخرج من سيارتي » وتابع مهددا « اما ان تخرج من سيارتي او سأمضي بك الى مركز الشرطة ، وسأدعي عليك واطلب تعويضا عن الاهانات التي لحقت بشرفي احترام .

قلت له « في هذا الجو الماطر ليس لي الخيار الى مركز الشرطة هيا »

وفي مركز الشرطة الذي لا يبعد عن منزلي سوى مسافة قليلة ، وحيث المكان مألوف لدي ، دخلنا معاً الى

غرفة المفوض ، الذي ما ان وقع نظره علي حتى حياني وناداني باسمي كأحد معارفه قائلا « مساء الخير يا سيدي بم أساعدك ؟ هل من خدمة أؤديها لك »

غير أن الرجل العجوز ، سائق السيارة ، والذي لم يكد يلتفت اليه المفوض لم يترك لي مجالا للكلام فصرخ قائلا « انا من يحتاج الى الخدمة انا من يرغب في الادعاء على هذا الغريب . لقد عاملني هذا السيد ثلاث مرات كأبله لقد أهانني ثلاث مرات اني أطلب العدالة يا سيدي »

نظر المفوض الى السائق باهمال مندهشا من الحالة العصبية التي بدا فيها الرجل ، واتجه نحوي ليطلب مني بكل احترام أن أقول ما لدي

أخذ المفوض قلما وفتح سجلا كبيرا أمامه ، وعرضت القضية بالتفصيل « إعطائي العنوان للسائق الدورتان اللتان قام بهما بشكل خاطئ التمتمة بكلام غير مفهوم ،

عدم ايصالي الى الشارع المقصود الهياج ، وأحيرا طلب حروجي من السيارة في ذلك الحو الممطر »

كان المفوص يقاطعني أحيانا ليسأل السائق عن بعض التفاصيل وكانت اجابته لا تتناقض مع أقوالي ، وعندما أنهيت كلامي تابع المفوض الكتابة للحظات ، ومن ثم شكرني ، والتفت نحو السائق بجفاء ، وطلب منه أن يقول ما عنده

لم يكن لدى السائق ما يدعيه سوى أن يعيد ما قاله في البداية « ثلاث مرات عوملت كأبله ، ثلاث مرات أهنت من قبل هذا الغريب » كان يردد ذلك بصوته الأجش الغامض وحركاته الناقمة

أخيرا وضع المفوض قلمه وقال « المسألة أصبحت واضحة »

أنت أيها السيد (وأشار الي) من أخطأ في هذه القضية ، وسأكون سعيدا لأعلن قراري بأن على هذا السيد (وأشار الى السائق) أن يوصلك الى منزلك دون مقابل ولكن اذا لم يكن لدى السيد أي ازعاج أرجو أن يسمح لي بالقاء نظرة على أوراقه .- يطلب القانون الفرنسي من الغرباء ابراز بطاقة الهوية في مثل هذه الحالات - وسأنهي المشكلة الآن « هويتك من فضلك »

أحسست بقلبي يهبط ، وأصابني الدوار ، فقد نسيت « هويتي » على الطاولة في المنزل ، وبصوت متلعثم قلت « سيدي بسبب المطر الغزير تركت هويتي في المنزل حتى لا تتلفها الرطوبة في الصباح سأحضرها بكل تأكيد ، وأرجو أن يكون هذا سببا مقنعا وكافيا ، مع اعتقادي بوجوب حمل البطاقة وضرورة ذلك »

غير أن ما قلته لم يقنع المفوض ، وتغير كل شيء ، وانقلبت المواقف ، وتبدلت لهجة المفوض الذي قال بصوت رصين ووجه بدا كالحجر « ان ما قلته ليس كافيا لانهاء القضية . من الواضح أنك ستحضر البطاقة غدا صباحا ، ولكن بالنظر الى هذه الحالة الحاضرة أنا مضطر لتغيير حكمي في القضية فبسبب المطر الغزير أرجو السيد السائق أن يتكرم بايصالك الى منزلك ، ولكني أطلب منك أن تدفع له بالمقابل ليس فقط أجرة الرحلة من البداية حتى النهاية ، بل أجرة الوقت الذي هدر بمجيئكما الى هذا المكتب ، وأظن - متوجها الى السائق - لقد تركت عداد سيارتك شغالا

هز السائق رأسه بالموافقة ، ووقف المفوض ليقول : « مع السلامة » والتفت نحوي عابسا (لاتنس أيها السيد موعدنا غدا صباحا) .

وخنبا الى جنب ، كما دخلنا ، خرجنا من مركز الشرطة لقد لاحظت بريقا يطل من عيني السائق عندما انقلبت المحاكمة ، ولكن لم تظهر عليه علامات الانتصار لقد أوصلني الى منزلي دون أية كلمة ، وعندما وصلنا ونقدته الاجرة كاملة كما طلب المفوض قال ببرود « لا أعتقد أن سيدي نسي وعده لي « ببقشيش » محترم وأن نفترق بطريقة حية » ■■

حسن بو غنام

جوركي وتولستوي

● اطلعت في عدد العربي (٢٨٣) على مقالة عنوانها « الاكاديميون والدكاترة » ، وقد تبين فيها خطأ غير مقصود ، اذ اشير فيها الى ان الاديب الروسي تولستوي لم يتلق تعليما جامعيا ، والحقيقة ان المقصود بهذا هو الاديب الروسي جوركي ، فنرجو التنبيه الى ذلك

د السيد محمد عمار/المنصورة/مصر

العربي :

لا خلاف في ان مكسيم جوركي ، لم يتلق تعليما جامعيا ، ولكن تولستوي لم يكمل تعليمه الجامعي ايضا ، ففي سن السادسة عشرة مال الى دخول السلك السياسي واخذ يتلقى دروسا في لغات كثيرة منها العربية والتركية استعدادا للالتحاق بكلية الدراسات الشرقية في جامعة ـ قازان ـ الروسية ، فنجح بعد اعادة الامتحان والتحق بها ، واخفق في نهاية السنة الاولى ، فترك الجامعة وكان حريصا على احراز تعليم جامعي ، فدخل كلية الحقوق واستمر فيها سنتين ثم انقطع بسبب مرضه .

ومن هنا يظهر لنا ان تولستوي لم يتم تعليمه الجامعي ، ولعل هذا ما اراده كاتب المقالة .

الاسلوب المعقد

● أنا طالب في الصف الرابع الثانوى ، واود في بداية رسالتي ان اشكر جميع الذين يعملون في مجلة العربي ، والحقيقة انها اصبحت ضرورية في كل شهر لما تقدمه من معلومات مفيدة ومواضيع هامة ولما أجده من متعة لي حين قراءتها ، الا انني الاحظ ان بعض الكتاب يستعملون احيانا أساليب معقدة في كتاباتهم ، وأطلب منهم ان يحاولوا الكتابة بأسلوب بسيط حتى يسهل فهمه

محمد العربي .. الدار البيضاء ـ المغرب

الدكتور احمد زكي

● أرجو اعطائي فكرة عن المرتبة العلمية التي وصل اليها المرحوم الدكتور احمد زكي ـ طيب الله ثراه ـ أول رئيس لتحرير مجلتنا « العربي » مع ذكر الدرجات العلمية والشهادات التي حصل عليها ـ رحمه الله ـ وجوانب من حياته

يحيى محسن / اللاذقية / سوريا

العربي :

عمل المرحوم الدكتور احمد زكي مديرا لجامعة القاهرة ، ووزيرا في احدى الوزارات المصرية السابقة ، وهو حاصل على شهادة الدكتوراه العلمية عام ١٩٢٤ ودكتوراه العلوم ١٩٤٨ وقد سبق له ان تولى رئاسة الاتحاد الثقافي المصري ، واشترك في تأسيس لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة وهو عضو في مجمع اللغة العربية بالقاهرة والمجمع العلمي بدمشق والمجمع ببغداد ، تولى رئاسة تحرير مجلة الهلال خمس سنوات بالاضافة الى اعماله الرسمية ومن كتبه المؤلفة والمترجمة « غادة الكاميليا ـ ساعات السحر ـ مواقف حاسمة في تاريخ العلوم ـ جان دارك ـ مع الناس ـ مع الله في السماء ـ قصة الميكروب ـ

وعيرها من الكتب ـ وقد وصل الدكتور احمدزكي الى الكويت في مارس ١٩٥٨ ليرأس تحرير العربي وبقى فيها حتى ١٩٧٥ حيث انتقل الى الدار الآخرة

عشرة كواكب

● رغم تقدم العلوم في انحاء العالم فان الكثير يصرون بالابقاء على معلوماتهم القديمة وعدم تجديدها وفقا لما يطرأ من اكتشافات مختلفة ، واكبر دليل على ذلك ما نلاحظه في المجلات المختلفة حيث يشير كتاب المقالات فيها الى أن عدد كواكب لمجموعة الشمسية هو تسعة فقط عم ان عددها اصبح عشرة اثر كتشاف كوكب « خيرون » عام ١٩٧ وكذا الحال بالنسبة لاقمار مواكب النظام الشمسي فقد تفع عددها من ٣٤ قمرا الى ٣٩ را بعد اكتشاف قمري المشترى الث عشر والرابع عشر وقمر ـل الحادي عشر وقمري بتو

سامر السراج

مة دمشق ـ كلية الهندسة

علم الالكترونيك

● نشكر لكم جهودكم الرائعة التي تبذلونها لخدمة الانسان عبر مجلتكم ـ العربي ـ التي تتناول جميع المواضيع التي تهمنا في هذه الحياة بيد انه مازال هناك موضوع اريد ان الفت نظركم اليه وهو علم الالكترونيك . وهو العلم الذي بات يقاس به مدى حضارة الدول وتطورها لاهميته في مختلف المجالات ، هذا العلم دخل متأخرا الى عالمنا العربي ووجد كثيرا من المهتمين به ـ ونحن منهم ـ لذلك نرجو ان تنشروا لنا مواضيع تتعلق به سيما وان مكتباتنا العربية تعاني من نقص في هذا المجال

عامر عواضه ـ بيروت / لبنان

اقتراحات ...... عن فلسطين

●شهرا بعد شهر ، وجدت نفسي احد رواد مجلة « العربي » بما يتيسر لي منها رغم التشويهات التي كان الرقيب الاسـرائيلي يجريها على المجلة حين وصولها الى اسواق الأرض المحتلة عن طريق « غور الاردن » اما الآن فلا استطيع ان اصف لكم شعوري بعد انتقالي الى عمان للدراسة في الجامعة الأردنية اذ اصبح بوسعي الحصول على مجلتي كاملة وبلا تدخل من الرقيب الاسرائيلي

وأريد أن أشير لبعض النقاط التي أقترحها عليكم

× نشـر استطلاعـات او مقالات مصورة « محكمة تجميعا » عن مدن وقرى فلسطين وربوعها الحبيبـة ، وهـذا لا يعني ان « العربي » لا تقوم بذلك ، بل نريد المزيد

× تخصيص ركن ثـابت في المجلة لفلسطين ، يقوم بالكتابة فيه نخبة من ابـرز كتاب العالم الاسـلامي والعربي ، بهـدف تعريف الناشئة العربية بقضيتهم المصيرية

× اعطاء المواضيع السياسية اهتماما اكبر بتحليل الكثير من القضايا السياسية سواء الحاضرة أو التي مضى عليها زمن يسير ، من أجل تنوير الذين لم يعاصروا الاحداث المعاصرة الخاصـة بـقضيـة الشرق الاوسط وفلسطين .

مارع عود ثـابي/عمان/الجامعة الاردنية

أعمال الفنانين

في عددكم (٢٨٣) قرأت مقالا عن الفنان [illegible] ولا شك ان مقالات عن [illegible] الشرح [illegible] الفنانين [illegible] وتمنيت [illegible] حول هؤلاء [illegible] في مقالات [illegible] ان تتابع العربي [illegible] في الاعتناء [illegible] العربي [illegible] الفنانين العرب والمسلمين مع اضافة نماذج من اعمال هؤلاء الفنانين بالألوان اذ ان اسلوب الفنان في توصيل رسالته عبر الألوان وتوزيع الظل والنور . . .

محمد حسان [illegible]
حلب/سوريا

اللغة العربية

●اكتب لكم بشـأن اللغـة العربية في مجلتنا العربي ، وهـو أمـر لا يمكن التهاون فيـه او السكوت عليه ، وقـد يكـون السكوت اشد خطورة من المأخذ نفسه ، في عدد يـوليو ١٩٨٢ م يـطالعنا الـغلاف الخارجي - كجميع الاعداد قبله بشهر يوليو وبين قوسين ، (تموز) اي ان الاسم العربي هو الذي يجب ان يقع عليه الاهمال فيدخل بين القـوسين بينما العكس هـو الصحيح .

ابـراهيم عـبد الله حسن -
الاسكندرية - مصر

العربي :

حتى تموز شهـر سرياني ونحن نستعمل الشهر الاجنبي كشأن معظم البلاد العربية ، وقد كان المغاربه والاندلسيون قبل قرون يؤرخون بهذه الشهور ولكن بنطق مختلف . وشكرا لغيرتك العربية

أغلفة النساء

●اتابع باستمرار ما يكتب في زاوية حوار القراء وارى فيها منبرا للصراحة المتناهية بين « العربي » والعرب المسلمين في كل مكان ومن هذا المنطلق فقد بعثت لكم بهذه الملحوظة آملا ان تلقى اهتمامكم لقد اطلعت على صورة الغلاف في جميع اعداد ١٩٨٠ و ١٩٨١ م فوجدت انه يغلب عليها صور النساء على الرجال بنسبة ٩ - ٣ في ١٩٨٠ و ١١ - ١ في ١٩٨١ ، فما تفسير ذلك بنظركم ؟ ، هل هو تفضيل للأنثى ؟ ام انه اقتداء بالمجلات العربية المنتشرة والتي لا ترقى لمنزلة « العـربي » الثقافية والادبية

مـاجـد سيف الـدين محمد
ارمد/الاردن

بعبارة رومان رولان هذه تبدأ الباحثة السوفيتية يفغينيا أندريفنا بيتروفا كتابها « مسرح الثورة » عند رومان رولان الصادر عن جامعة ساراتوف في نهاية ١٩٧٩ [1] والمكرس لواحدة من أهم ظواهر الأدب الأوربي العربي والمسرح في بداية القرن العشرين ـ مسرحيات رولان التاريخية حول أحداث الثورة الفرنسية

وتشير الباحثة في مستهل كتابها الى أن تحليل مسرحيات الفنان في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين يستند الى دراسة العديد من المصادر التاريخية الهامة ، التي أرسى « مسرح الثورة » عليها ـ الوثائق التاريخية وأبحاث العلماء الفرنسيين ، التي اعتمد عليها رولان في كتابة مسرحياته وعلى المسرحيات نفسها بالطبع

رولان والمسرح

يقول رولان « كان المسرح ، ولا يزال أحب أشكال الفن الي » وبالفعل فقد ظل رولان محافظا على حبه للمسرح حتى نهاية حياته فقد بدأ طريقه الابداعي وأنهاه بالكتابة المسرحية ، وذلك على الرغم من أن مسرحياته ، وبالأخص « مسرح الثورة » ، لم تحظ بذلك المجد الذي حظيت به رواياته ولكن رولان كان على قناعة تامة أن تجربته المسرحية لن تلبث ، ان عاجلا أو آجلا ، أن تنال حقها من التقويم ، سواء لدى النقاد أو الجمهور

وقد تجلى عطاء رولان المسرحي بأروع صوره في « مسرح الثورة » ، الذي يضم ثماني مسرحيات مكرسة للثورةالفرنسية العظمى والذي كان نسيج وحده بين التيارات المسرحية المعاصرة . البورجوازية ـ التسلية ، والدراما الطبيعية والطبيعية الجديدة والرمزية وقد كان ذلك بالذات أحد الأسباب الكامنة وراء ظهور المزاعم التي تصور « مسرح الثورة » ، الذي يطرح نموذجا جديدا للفن البطولي ، على أنه بعيد عن النهج الأساسي لتطور المسرح الأوروبي في القرن العشرين ولكن ذوي النظرة الثاقبة كانوا يدركون أن « مسرح الثورة » لم يكن ظاهرة مصادفة في الحياة الأدبية آنذاك

والواقع أن فكرة ابداع لوحة درامية كبيرة ، مكرسة لأحداث ثورة ١٧٨٩ ، ولدت في وعي الفنان وهو في سن الشباب والى ذلك يشير رولان فيقول ان الانطباعات القوية ، التي تركتها التمثيلية المقتبسة عن رواية فكتور هيجو « عام ثلاثة وتسعين » كانت بمثابة « التربة » الأولى لابداع هذه اللوحة ـ « الياذة » الشعب الفرنسي

ولابد من الاشارة هنا الى أن هذه الفكرة وليدة طبيعية ومنطقية لاهتمام رولان بالثورة الفرنسية العظمى ، ففي عام ١٨٩٨ كتب يقول « اني مشبع بهذا العصر البطولي وكلما ازددت تعمقا في هذا العالم انداحت الحدود أمامي ، وشعرت أن رأسي يشهد مخاض ملحمة هائلة

يقول روبير ميرل « في بريطانيا تطالعنا مسرحيات شكسبير التاريخية الخالدة وقبل رومان رولان لم تكن فرنسا تملك شيئا من هذا الفن فقد كان التاريخ اليوناني والروماني وحتى الاسباني أكثر جاذبية بالنسبة لكتابنا المسرحيين لقد بعث رومان رولان التراجيديا الشكسبيرية العظمى ان « مسرح الثورة » مشبع بالروح التاريخية الأصيلة ، فيه نعثر على المغامرات العاطفية والمصائر الفردانية ، ولكنه يتطلع بالدرجة الأولى نحو تجسيد هذا الحدث التاريخي أو ذاك وبث الحياة فيه على خشبة المسرح »

هذا وعلى الرغم من اهتمام النقاد والباحثين ـ الكبير برولان الروائي والكاتب الاجتماعي والمنظر الفني وحتى الموسيقي ، فان الابحاث المكرسة لرولان المسرحي لاتزال قليلة ، وفي هذا الكتاب ، الذي تضعه « العربي » بين أيدي القراء ، تتناول الباحثة السوفيتية بيتروفا المسرحيات الأربع الأولى من « مسرح الثورة » لدى رولان ـ « الذئاب »، « وتغلب العقل » ، « دانتون » و « الرابع عشر من تموز » ، وقد كتب رولان هذه المسرحيات خلال ثلاث سنوات (١٨٩٨ ـ ١٩٠١)

« الذئاب » كانت البداية

كتب رولان مسرحية « الذئاب » في عام ١٨٩٨ وهو في الثلاثين من عمره ، وقبل ذلك كان قد كتب عشر مسرحيات ، كانت أحداث تسع منها تعود الى العصور الغابرة من تاريخ فرنسا وأوروبا ولكن هذه المسرحيات ، على كثرتها ، لم تجلب لرولان الشهرة ، وقد جاءت « الذئاب » ـ الدراما الأولى في « مسرح الثورة » ـ ففتحت باب الشهرة على مصراعيه في وجه الفنان والى أهمية هذه المسرحية يشير رولان نفسه فيقول « فتحت مسرحية « الذئاب » الباب لجميع مسرحياتي الأخرى ، المكرسة للثورة انها مسرحية سياسية ، وهي تتميز بالحدة وقد اسقطت أحداث عصر الثورة على الأحداث الراهنة » . ويقصد رولان « بالأحداث الراهنة » النقاش الحاد حول قضية « دريفوس » ، التي عصفت

---

* يفغينيا أندريفنا بيتروفا « مسرح الثورة » عند رومان رولان ـ جامعة ساراتوف ١٩٧٩ ٢٨٤ صفحة

ـالحياة الفرنسية في منتصف العقد الأخير من القرن الماضي ووضعت البلاد على شفا هاوية الحرب الأهلية

وفي رسائله الى فون ميوزيبوع وفي يومياته ، العائدة الى عام ١٨٩٨ وفي تعليقاته على « الذئاب » يصر رولان على أن مسرحية « الذئاب » لاتقتصر على كونها سياسية وفلسفية ، بل هي في الوقت نفسه شريحة تاريخية مستقاة من أحداث حروب ١٧٩٣ الجمهورية

ولكن ما الذي جعل رولان يتناول فن المسرحية التاريخية ، وهو الذي أعلن أكثر من مرة رفضه مثل هذا النوع من المسرحيات ، فقد كتب عن مسرحيته « لودفيغ القدس » يقول « اني أحاول طمس الأسماء التاريخية حيث أمكن لأن بودي خلط الواقع بالخيال » ولكن رولان لم يلبث أن اكتشف في أواسط التسعينات أن بوسع التاريخ أن يكون عبرة تعتبر ودرسا رائعا للمعاصرة وحل مشاكلها المعقدة

ان رولان ، اذ يدلي بدلوه في قضية دريفوس ، يحاول صلاح ذات البين بين المتخاصمين ، وتذكيرهم بمصالح لأمة وضرورة الدفاع عن الجمهورية ، وليس من باب لمصادفة أن المسرحية تنتهي باعدام دأوآرون ، المتهم بالخيانة ظلما وبهتانا ، كرمز لأولوية مصالح الوطن بالنسبة لمصالح الشخصية ان طريق رولان من المعاصرة الى لتاريخ الفعلي طويل وقاس ، فلم يكد رولان يبدع سرحية « الذئاب » ، التي تتحلى بهذه الصفة الرفيعة لجديدة ، حتى راح يبذل قصارى جهده من أجل جعلها مفهومة ومعترفا بها من قبل الآخرين

ففي رسالته الى فون ميزنبوع (٢٨ أيار ١٨٩٨) أورد ولان عددا من البراهين ، الدالة على تاريخية مسرحيته أولا ـ كون الأبطال الرئيسيين والشخصيات الأخرى تعمل بصمات عصر ١٧٩٣ ، ثانيا مطابقة أحداث لمسرحية للأحداث التاريخية ، ثالثا ـ خصائص الاسلوب للغوي ، الذي يتناسب ولغة عهد الثورة الفرنسية »

وقد تمكن رولان ، مع المحافظة على روح الثورة ، من بداع مسرحية يدق فيها نبض عصره ، وتتردد فيها لمسائل ، التي اسقطت على المعاصرة بشكل غاية في الجودة والاقناع

رومان رولان
١٨٦٦ ـ ١٩٤٤

ولد في بلدة كلاميسي في نيفر بفرنسا في ٢٩ يناير ١٨٦٦ كان عضوا في المدرسة الفرنسية في روما في ما بين ١٨٨٩ ـ ١٨٩١ ، ثم شغل منصبا في تاريخ الفنون وذلك في المدرسة الشهيرة « ايكول نورمال سوبيريور » اعتبارا من سنة ١٨٩٥ ، ثم عين استاذا في السوربون حيث ادخل دراسة موضوع تاريخ الموسيقى

وكان رولان منتجا غزير الانتاج ، وكتب ـ خارج اطار المسرح ـ عديدا من الكتب النقدية والتاريخية الى جانب كتب السير التي وضعها عن ميليه (١٩٠٢) وبيتهوفن (١٩٠٣) وميخائيل انجلو (١٩٠٦) على أن أهم سيرة كتبها كانت عن الموسيقي الالماني جان كريستوف ، وقد استغرقت ثماني سنوات (١٩٠٤ ـ ١٩١٢) ملأت عشرة مجلدات ويعتبر كتابه عن المهاتما غاندي (١٩٣٤) دفاعا موضوعيا ونزيها عن الزعيم الهندي

نال رومان رولان جائزة نوبل للأدب سنة ١٩١٥ وتوفي في فازليه في فرنسا في ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٤٤

وتغلب العقل

بعد الضجة الهائلة ، التي أثارتها مسرحية « الذئاب » كتب رولان يقول « لقد حصلت على مكان لتمسي - قد لايكون تحت الشمس ، وقد يكون تحت المطر ، تحت الثلج تحت صفعات الرياح المتقاطعة ولكن ، والحمد لله ، فالقارب يسير نحو الامام ، في هزيم الرعد أو عصف الرياح ! »

هذا وتجدر الاشارة الى أن رولان في تناوله للثورة الفرنسية يركز ، بالدرجة الأولى ، على التناقضات الداخلية ، على صراع الأحزاب والأجنحة في حكومة الجمهورية الفتية ، لأن ذلك ، كما يؤكد رولان ، كان سبب فاجعة ١٧٩٤ ، لأن الجمهورية لم تتمكن ، بعد أن استنزفت قواها في النزاعات والصراعات الداخلية من التصدي للحلف البورجوازي المعادي للثورة ، الذي تمكن في النهاية من الوصول الى سدة الحكم

ففي « وتغلب العقل » يصور رولان المرحلة الأولى من تشكل هذه التناقضات وتطورها والموضوع الرئيسي لهذه المسرحية هو مصير الجيرونديين - الحرب الذي تحدى اليعاقبة ، وهم الأغلبية في الجمعية ويحاول فيها فهم الجيروندية من الداخل ، عن طريق تحليلها بشكل موضوعي وشامل مع الالتزام التام بمبدأ رولان المعروف - الموضوعية المطلقة في تقويم الناس والأحداث

ولكن وجهة نظر رولان تبدو واضحة جدا في « وتغلب العقل » فرولان لايكتفي بالدراسة الشاملة للظاهرة ، بل ويقومها

فمنذ الأسطر الأولى يحدد رولان موضوع مسرحيته - الجيرونديون والشعب ، مع التركيز على كراهية الجيرونديين للشعب ، الذي تغلب على حزبهم في تموز ٣١ أيار - حزيران ١٧٩٣ وقد وصل بهم الحقد لدرجة أنهم كانوا على استعداد لمحو مدينة كاملة عن بكرة أبيها ، لأن « الغوغاء » فيها تجرأت فشقت عصا الطاعة ، وتمردت على حزبهم ، وراحت تطالب بطردهم ، بعد أن كانت تناصرهم وتؤازرهم

ان شارلوتا كوردي ، اذ اغتالت مارات ، صديق الشعب ، قد ترجمت الى الواقع نوايا الجيرونديين الدفينة - قطع دابر الارهاب ووقف مسيرة الثورة ، واعادة عجلة التاريخ الى الوراء الى عهد جمهورية الجيرونديين

ولكن اغتيال مارات جاء مخيبا لآمال الجيرونديين ، وهذا مايعترف به فابير عمرارة « ان الدم المسموم يخضب الأرض اني أشعر أن ظلام باريس المشئوم يصبح اليوم بآلاف « المارات » وبالفعل فإن الشعب ، الذي كان يطالب في البداية بسجن الجيرونديين قد أصبح يتعطش الآن لدمهم وعلى الرغم من أن أبطال « وتغلب العقل » يبدون وكأنهم أبرياء من دم مارات ، فان عليهم أن يدفعوا ثمنه فمنذ البداية يقف ابطال المسرحية أمام خيارين « أحلاهما مر » اما اقتفاء أثر شارلوتا كوردي في النضال ضد اليعاقبة ، واما التخلي عن المنافسة معهم ، والابتعاد عن طريق الثورة ، مضحين بمبادئهم وبأنفسهم من أجلها وفي المشهد الثاني من المسرحية يقع اختيار هيجو وفابير وليوكس على الخيار الأول حتى أن هيجو يقترح التحالف مع بريطانيا - عدو الجمهورية

ويأتي المشهد الثالث ، الذي يحتل مكانة متميزة في البنية العامة للمسرحية ، مكرسا لتغلب عقل الأبطال - الجيرونديين ، وتأتي أحداثه غنية بالشحنات الملحمية والأخلاقية الكبيرة فيه تحل العقدة ، بتخلي الجيرونديين عن ادعاءاتهم السابقة ، وبمغادرة أحد الطرفين المتخاصمين ساحة الصراع ، بيد أنهم - وهم على حافة الموت - واثقون من أن حياتهم لم تكن عقيمة ، وأن نضالهم لم يكن عبثا ، فقد ساهموا بانجازاتهم في السنوات الأولى للثورة في حمل وأداء الرسالة الخالدة ، التي تهدف الى تغيير العالم على أسس العقل والعدالة فهذا « هيجو » ، الصامد حتى النهاية ، يعلن بصوت يعطى على ضجة الغوغاء ستصبح الحياة كما أريدها ، لقد سقت النصر ولكن النصر سيكون الى جانبي »

وهذا فابير الذي حكم عليه اليعاقبة بالاعدام يعلن بصوت مفعم بالايمان الراسخ والهادىء « على الرغم من كل شيء فإن الروح تنتصر لقد جلبنا العقل للناس ، ولكن رؤوسهم كانت أضعف من أن تتحمل الشراب الثقيل »

ان مفهوم العقل عند رولان مرتبط سواء بشخصيات الأبطال المتمردين ، الذين يدفعون دمهم تكفيرا عن ذنبهم

بحق الجمهورية ، أو بشخصية الشعب الذي يحتفل بالنصر واعدام الجيروندييں ، ولكن اذا كان الأولون يتحلون عن وعي بمبادىء هذا العقل ويدافعون عنها ، فان الآخرين هم اداته غير الواعية ، وهي أداة فظة لاتخلو من القسوة

ان التضاد بين العقل والغريزة بين الفكر والسلوك يطالعنا في المشهد الثالث كمبدأ لمنظومة رولان الفلسفية ـ التاريخية ومن هنا التباين بين الانتصار الفعلي لعقل الجيرونديين وبين تقديس الشعب للعقل ، هذا التقديس ، الذي يفتقر للحوافز الواعية وعلى هذا التباين يقوم المبنى المجازي للمشهد الختامي »

«دانتون» وتناقضات الجمهورية

تعتبر مسرحية « دانتون » استمرارا ، أكثر عمقا ، لموضوع الدراما السابقة ـ التناقضات الداخلية للجمهورية الفتية وإذا كان الصراع في « وتعلن العقل » يدور بين اليعاقبة والجيرونديين فانه في « دانتون » بين دانتون وروبسبير ـ زعيمي الحزبين ، الأساسيين في الجمعية

تبدأ أحداث هذه المسرحية في الرابع والعشرين من آذار (مارس) ١٨٩٤ ـ اليوم الذي تم فيه اعدام زعماء كومونة باريس ، ممثلي الفئات الدنيا ، وتنتهي في الخامس من نيسان / ابريل / اليوم الذي صدر فيه الحكم باعدام الدانتونيين ـ زعماء حزب « المعتدلين » أو « المعطوفين » ، ممثلي التكتل الليبرالي البورجوازي في جمعية اليعاقبة ويكتسب الصراع هنا ـ كما في المسرحية السابقة ـ طابع التصادم بين المبادىء الايديولوجية والمعايير الأخلاقية المختلفة ؛ وهو هنا أيضا على ارتباط وثيق ، بخيوط غير مرئية ، بالأحداث المعاصرة

ولم تكد « دانتون » ترى النور حتى أثارت موجة من الجدل والنقاش بصدد النزاع بين دانتون وروبسبير فمن كان منهما على حق دانتون ، الذي رفض بشكل قاطع في المرحلة الراهنة تبني سياسة الارهاب الثوري ، والذي دفع حياته ثمن ذلك ، أم روبسبير ، الذي اعتنق هذه السياسة ، ولم يتورع ـ من أجل انتصارها ـ عن ارسال دانتون الى المقصلة ؟

اذا كان المؤرخون الفرنسيون ، في تقويمهم لهذين الزعيمين ، يتبنون موقفين متناقضين تماما ، بعضهم موال لهذا لدرجة التطرف ، والبعض الآخر لذاك لدرجة التطرف أيضا ، فان رولان يحاول ، معتمدا على موضوعيته المبدئية ، انصاف هذا وذاك . فبالاختلاف عن بلان ، يضع رولان كل عبء مسؤولية دم دانتون المراق على عاتق روبسبير ، ولكنه يرفض السير في أعقاب المؤرخين امثال تير ، ميشلي وأو أولار ؛ فيا بالك بتين ، الذين يرجعون العداء بين دانتون وروبسبير الى أسباب الأنانية ، ويرى أن جذور هذا العداء تكمن ـ قبل كل شيء ـ في الخلافات المبدئية بين دانتون وروبسبير بصدد المسائل الهامة ، المتعلقة بتبني الثورة واهدافها ومهامها

ومن هنا فان التضحية لاتتم على مذبح الانانية ولا نتيجة سوء فهم ، بل من أجل مصلحة الجمهورية ، كما يفهمها روبسبير وللاجابة على سؤال ، فيما اذا كان لاراقة دم دانتون ما يبرره ، ومدى ضرورة ذلك ، رأى رولان أنه لابد من النفوذ الى منطق تفكير روبسبير وفهمه من الداخل ففي عام ١٨٩٦ كتب رولان يقول : « كلما ازددت نفوذا الى روح الابطال ! ازدادت فرص المشاركة في نشاطهم ولذا فمن المهم رؤية الأبطال ، ليس في اللحظة الحرجة فقط حينما ترفعهم الأزمة أو تشوههم بل لابد من رؤيتهم في لحظة الراحة » ، وانطلاقا من ذلك يكرس رولان المشهد الثاني من مسرحيته لروبسبير ، بهدف النفوذ الى عالمه الداخلي وحياته الخاصة

ولكن هل تمكن رولان من اعادة الاعتبار لروبسبير وبلوغ الهدف الذي وضعه نصب عينيه مذ ولدت فكرة هذه المسرحية في رأسه ؟ ينقسم النقاد في الاجابة على هذا السؤال الى قسمين الأول ـ ويرى أن روبسبير في « دانتون » لايختلف عن روبسبير التقليدي ، الذي شوهت الأجيال المتعددة من العلماء البورجوازيين صورته ، بحيث لم يعد بالامكان التعرف عليه ، والثاني يرى العكس تماما

ان دانتون بالنسبة لرولان ابن فرنسا العظيم ، الذي ساهم في انتصار الجمهورية ولكن رولان يرفض الطابع البورجوازي لبرنامج دانتون ، كما يرفض سياسة الحلول الوسط ، وكل ما يقوم عليه تقديس دانتون في الأوساط الفرنسية الرسمية ولهذا يسمو بروبسبير على دانتون ولكن عظمة روبسبير ـ رولان لاتمت بصلة الى تقديسه ،

فكلاهما في نظر الفنان ابناء الثورة واذا كان دانتون ابنها العظيم فان روبسبير ابنها الأكثر عظمة ، واذا كان دانتون أحد ضحاياها المأساويين فإن روبسبير الأكثر مأساوية وللكشف عن عظمة روبسبير المأساوية كان رولان يخطط لكتابة دراما أخرى بعنوان « روبسبير » ، ولكنه لم يتمكن من ذلك الا بعد أربعين عاما

الرابع عشر من تموز

انها المسرحية الأخيرة من المسرحيات الأربع ، التي كتبها رولان في نهاية القرن الماضي وبداية القرن الجاري في اطار ما يعرف باسم « مسرح الثورة » ، الذي ولد في ذهن الكاتب في عام ١٩٠٠

وتأتي أهمية هذه المسرحية في أنها جاءت مكرسة لموضوع الشعب ودوره في الثورة . فقد كتب رولان عشية عرض هذه المسرحية في مسرح « رينيسانس » يقول ، على لسان أحد معاصري الثورة الفرنسية « لقد حاولت طويلا تجسيد الثورة في بطل واحد ، وقد بحثت عن هذا البطل في لافاييت وميرابو ورولان وفيرنير وروبسبير ولكن بطل هذه الملحمة ليس مرئيا انه الجنس البشري ، الذي يكتسب ملامح بعض الناس ، كي يتجلى لأعين الناس ، فالجندي البسيط ، الذي يستشهد ، وهو يردد « عاشت الجمهورية ! » ، والبحار ، الذي لايزال يطلق هزيم الرعد من البطارية الأخيرة في سفينته الغارقة ، والعامل الشريف ، الذي يريق عرقه ليلا ونهارا كي يسقي الحديد لتحرير البلاد ـ لايقلون عبقرية في نظري عن روبسبير نفسه »

ان الشعب الفرنسي بالذات ، وفقراء باريس الذين لااسم لهم ، الذين اقتحموا الباستيل ، كي يقيموا على أطلال العالم القديم عالما جديدا سداه المساواة ولحمته العدالة ، يجسدون في « الرابع عشر من تموز » عبقرية الثورة وعظمتها

والواقع أن اختيار رولان لم يقع على الشعب كبطل للمسرحية ، مصادفة ، فقد كانت هذه المسألة غاية في الالحاح في تلك الفترة ، حيث كانت البلاد على شفا هاوية الحرب الأهلية وهكذا فان عودة رولان الى بطون التاريخ تهدف هنا أيضا الى اكتشاف الدروس والعبر من أجل بناء الحاضر والمستقبل

ان رولان في مسرحيته يتطلع نحو مدّ يد العون للشعب في وعي نفسه وادراك رسالته ومن أجل هذا الهدف ينضوي رولان تحت راية « حركة من أجل المسرح الشعبي » ويصبح من أكثر أعضائها نشاطا ، وقد تجلى ذلك ـ فيما تجلى ـ في عطاءاته الفنية الشعبية ، التي تمثلت في ابداع « مسرح للثورة » ـ « البادة الشعب الفرنسي الخالدة

كانت مسرحية « حصار مانتوى » ١٨٩٤ أول مسرحية رولانية يعطى فيها الشعب بعض الدور ، ويظهر فيها هذا الشعب (حرفيو القرون الوسطى وبورجوازيو المدينة متحليا بالمواطنة الفعلية والدفاع عن الأرض الأم وفي مسرحية « لودفيغ المقدس » / ١٨٩٥ / يكتشف أدلة جديدة ، أكثر وضوحا وسطوعا على اهتمام رولان

فيه رقّي

أرسل عثمان بن عفان مع عبد له كيسا من النقود الى أبي ذر الغفاري . وقال له : ان قبل هذا فأنت حر ، فأتى الغلام بالكيس الى ابي ذر وألحّ عليه فلم يقبله . فقال : اقبله ففيه عتقي ، فقال أبو ذر . ولكن فيه رقّي

بالشعب ودوره في التاريخ ونفس هذه السمات تتجلى في مسرحية « ايرت » / ١٨٩٦ / ، فبطلها الرئيس أمير صغير ، يبحث جاهدا عن التقرب من الشعب ، وهو على قناعة راسخة بحتمية انقاذ الوطن من براثن المغتصبين ، اذا اعتمد في ذلك على تأييد الشعب ودعمه له

ولكن مشكلة الشعب لم تكتسب أبعادها الكاملة الا في « الرابع عشر من تموز » حيث أصبحت موضوعها المركزي ، وأصبح الشعب بطلها الفعلي ، وأصبحت حياته سداتها المسرحية ولحمتها

ان رولان على قناعة تامة بأن الفضل في انتصار الشعب الفرنسي المجيد في الرابع عشر من تموز يعود - قبل كل شيء - الى التلاحم والتعاضد في صفوف هذا الشعب ، يلهمه الاندفاع نحو الحرية ، ويحدوه التطلع الى العدالة وهكذا فان فكرة الانسجام ، فكرة التكاتف والتآلف ، هي الفكرة الأساسية في مسرحية « الرابع عشر من تموز » فقد كان رولان يرى أن انعدام الانسجام وتفشي التشتت وانقسام الأمة الى طبقات متناحرة فيما بينها يعتبر كارثة وطنية ومصدرا للمصائب والمحن

واذا كان رولان قد حاول في « وتغلب العقل » و « دانتون » الكشف عن أخطاء زعماء الثورة بحق الثورة والشعب فهو يحاول في « الرابع عشر من تموز » فهم هذا الشعب والقوانين الكاملة في حياته الداخلية والمحرك الأساسي لسلوكه والالمام بجوهر طبيعته

ان هذه المسرحية المكرسة للثورة المصرية تجسد آمال الفنان وأمانيه في اندلاع الثورة القادمة ، والى ذلك يشير رولان مباشرة في مقدمة مسرحيته فيقول انني ، اذ كتبت هذه المسرحية عن ثورة ١٧٨٩ المظفرة ، أضع نصب عيني هدفا محددا وواضحا « اكمال القضية التي قطعت في عام ١٧٩٤ ، واستئنافها وتنفيذها على أيدي الشعب الأكثر نضجا والأعمق تفهما لرسالته »

يقول رولان في مذكراته « ان ملحمتي البطولية عن الثورة ليست مخصصة للوضع على رفوف المكتبات بل يجب أن تصدح على مسامع الشعب الفرنسي ، ومن أجل ذلك كان لابد من المسرح الشعبي » وكان لابد من مسرحية « الرابع عشر من تموز »

ولكن مسيرة هذا المسرح تعثرت ، وهي لاتزال في سنواتها الأولى « لقد منينا بالفشل - كما اعترف رولان - لأن عناية الحكومة الرائدة بمسرح الشعب قد حولته الى مؤسسة رسمية - مسلية لاضرر منها وانطفأت جذوة المسارح الشعبية المسكينة في باريس بسبب قلة الوفود هل تريد ابداع فن شعبي ؟ فابدأ اذن بخلق الشعب ، الشعب المتحرر ، بما فيه الكفاية من المشاغل ، كي يتمكن من تذوق الفن ، الشعب ، الذي لاتثقله الحاجة ، ولاينوء تحت عبء الأعمال القاسية ، الشعب ، الذي لاتخدره الخزعبلات والخرافات ولايسيطر عليه التعصب من اليمين واليسار ، الشعب الذي يملك تقرير مصيره بنفسه ، الشعب المظفر في الصراع الدائر حاليا ». ■■

موسكو - هاشم حمادي

سخرية

بينما كان طاليس الفلكي خارجا من مرصده ، اذ مر بحفرة عميقة ، فوقع فيها ، فرأته عجوز فأخرجته منها وهي تقول اتزعم يا طاليس انك تعلم جميع ما في السماء مع انك لم تعلم ما تحت رجليك ؟

مسابقة العدد

● مسابقة هذا العدد هي (الكلمات المتقاطعة) والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحة العدد بقطعها منه أما المنشور في أسفل الصفحة المقابلة ، فمن الضروري أن يرفق بالاجابة حتى تفوز بواحدة من الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار تمنح على الوجه الآتي
الجائزة الأولى قيمتها ٣٠ دينارا ـ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا ـ الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و ٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير
ترسل الاجابات على العنوان التالي مجلة العربي ـ صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ٢٨٧ » وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو أول ديسمبر (١٩٨٢)

اثنتان في واحدة

اذا استطعت حل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، ستجد في (٨) أفقيا اسم عالم نحوي ولغوي عربي كما ستجد في (٨) رأسيا اسم كاتب ووزير عربي .

كلمات افقية

(١) أول رئيس جمهورية تركي ـ جهاز لقياس الضغط
(٢) مصور شهير من عصر النهضة الايطالي ـ قرصان انجليزي شهير .
(٣) فيوع صيت ـ ناعم وجميل
(٤) مقام موسيقي ـ بحيرة افريقية ـ حرف أبجدي
(٥) يكتمل ـ عملات أوروبية ـ دولة آسيوية
(٦) عملة عربية ـ يسبق الى الأداء ـ حرفان متشابهان
(٧) من وسائل الانتقال ـ من مستلزمات العالم الملكم
(٨) عالم نحوى ولغوى عربي
(٩) أداة تعريف ـ للاستفهام ـ حيوان شهير في غزو الفضاء ـ نصف كلمة (خندق)
(١٠) من الالوان ـ يسانده ـ تخمين
(١١) حادة ـ حرف استفهام ـ أنافس

١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١

(١٢) أعراص - عالم عربي قديم - نصف كلمة (فروع)
(١٣) أبصرت - صيد .
(١٤) دولة أوروبية - بغي - سكان الصحراء
(١٥) ماسك - هجم - نطلي - حيوان قطبي

كلمات رأسية :
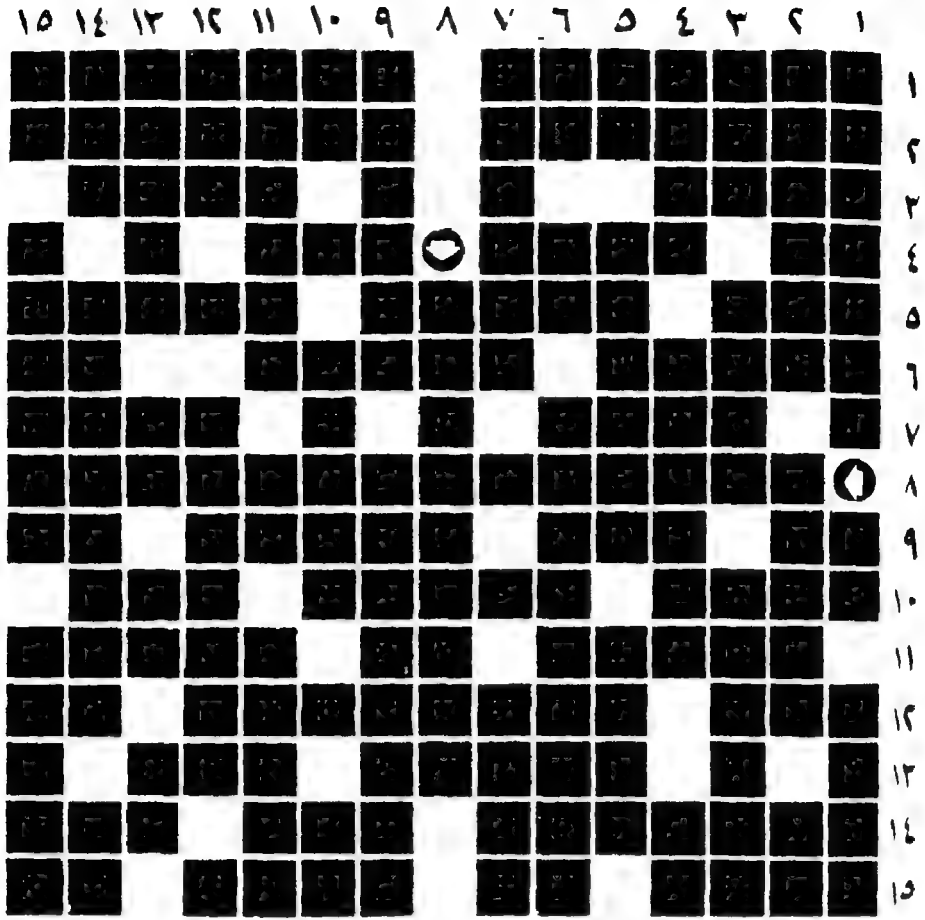
(١) عالم يوناني قدير عاش قبل الميلاد - حرفان متشابهان - من مصادر مياه الشرب
(٢) جزيرة معروفة في المحيط الهادي الجنوبي - صيغة جمع لحيوان مستأنس - للنداء
(٣) أهرب - باحث - موثوقة
(٤) صلت - أحواله - من الأقارب
(٥) لفظ تعجب - عالم عربي قديم - غير ناجح
(٦) مقام موسيقي - نصف كلمة (أجي) - مكتشف أشعة اكس
(٧) صحراء افريقية - يضاف الى الطعام
(٨) كاتب ووزير عربي
(٩) عاصمة كولومبيا - شاعر فرنسي شهير من القرن التاسع عشر
(١٠) أداة تعريف - خبرة - مناص
(١١) فنان تشكيلي فرنسي من المدرسة التأثيرية - نصف كلمة (نكره) - عاصمة آسيوية
(١٢) لمع - مرافقين
(١٣) مؤامرة - نصف كلمة (رائد) - نصف كلمة (داني) - عاشق
(١٤) تجدها في كلمة (تيار) - رحالة فارسي شهير - حرفان متشابهان
(١٥) أجاب - وحدات قياس مساحات - من الأنبياء .
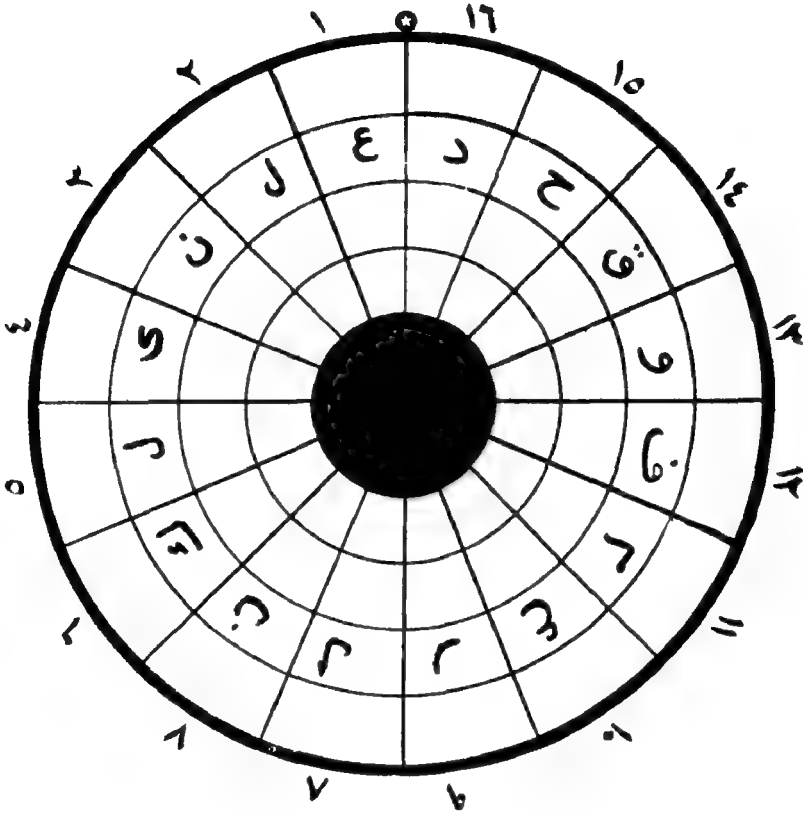
كوبون مسابقة
العدد ٢٨٧

حول الدائرة السوداء

ضع الكلمات ذات الحروف الأربعة ، والتي تعطيك معانيها ، في أماكنها وفقا للارقام يساعدك وجود الحرف الثاني من كل كلمة . ستجد حول الدائرة السوداء اسم
عالم كيميائي سويدي من القرن التاسع عشر

(١) من الماشية (٢) العب (٣) موت (٤) سور (٥) ألوذ (٦) ريب (٧) يسلم (٨) حيوانات (٩) دان(١٠) يقصد (١١) حيوان (١٢) يكسب (١٣) شهر هجري (١٤) يبعد (١٥) يطيب (١٦) يطأ .
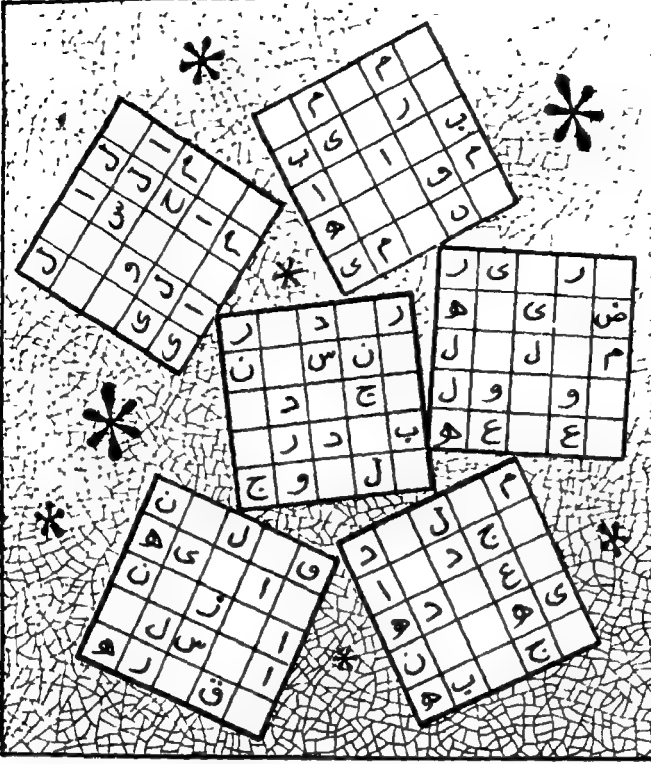
العواصم

أمامك ستة مربعات ذات اطارات حارجية سميكة . في كل مربع من هذه المربعات خمس كلمات ذات خمسة حروف ، ينقصها جميعا نفس الحرف . اجمع الحروف الناقصة في المربعات الستة ، ورتبها لتحصل على اسم عاصمة عالمية

مثل عربي

ل			ر

م	

ى		و	

	ن

	س		د
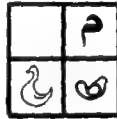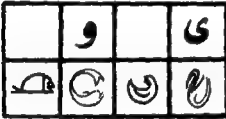
أمامك مثل عربي ، يرمز لكل حرف من حروفه أحد الرسوم ، بحيث يمثل الحرف الواحد نفس الرسم دائما على سبيل المساعدة نعطيك بعض الحروف من كلمات المثل في مواضعها . هل يمكنك الوصول الى المثل المطلوب اذا عرفت أنه يضرب :

لتأكيد أن الرجل لايرأس قومه ، الا بالاستحقاق

الحلول

حول الدائرة السوداء : العواصم مثل عربي

رولكس "آرنولد پالمر"
دائماً تدور ستّين

في نادي غولف
بركدِيل" الملكي لوحة
ي ذكرى أشهر ضربات
ب " آرنولد پالمر".
حدث ذلك أثناء المباراة
أقيمت عام ١٩٦١
يطانيا للاعبين المؤهلين فنيًا
مول المباراة،
ا انتهت رمية " پالمر"
مسة عشرة - وكان
ريش" الويلزي يستحقه
ره - بأن استقرت الكرة
 شجيرة خفيضة.
أن أمسك " پالمر"
ضرب "رقم ٥"،
 أدرك
مور النظارة أنه يحاول
 الكرة
لمرج الأخضر
بعد ١٥٠ ياردة.
يما بعد، قال "پالمر"
لم يسبق له
ضرب الكرة بهذه القوة،
انه قطع الشجيرة بمضربه
لها عن الأرض وانطلقت
 بعيدًا نحو الهدف.
ضربات جريئة كهذه هي التي اكتسبت
لد پالمر" المقام الرفيع
 ألقاب البطولة في هذه اللعبة.
عة التي يتقلدها شبيهة به من حيث
والدقة والشهرة.

إنها " رولكس داي-د
التي اكتسبت هي أيضًا
أرفع مقام مستطاع ونال
لقب" الكرونومتر السويـ
الذي يصبو اليه كثيرون
الواقع، وعلى الرغـ
من أن إنتاجها
لا يشكل سوى جزء ضئـ
من الإنتاج الإجمالي
للساعات السويسرية، فقد
حصلت رولكس
على ما يقرب من
نصف الشهادات التي منحت
في أي وقت مضى
لصانعي الساعات الكرونومتـ
عندما يقذف " پالمـ
الكرة بمضربه تنطلق
بسرعة ١٥٠ ميلاً في السا
ويساوي وزن
قوة الصدمة الدافعة القصو
ما يزيد على الطن.
ومع ذلك، يستطيع
" پالمر"، بضربة فنية دقيقة
أن يدخل الكرة في الحفرة
ويحرز معها
قصب السبق.

هذا الجمع بين القوة العارمة والدقة البالغة
هو الذي جعل من " آرنولد پالمر" أشهر لاعب
عرفه مضمار الغولف.
إحساس كهذا
ليس غريبًا عنا.

ROLEX
رولكس

ساعة رولكس « داي-ديت » كرونومتر [illegible]

Let Me Teach YOU English!

—full tuition for Pitmans, LCC or RSA exams.

A GOOD COMMAND OF ENGLISH can bring you success! It can improve your chances of promotion — increase your earning power — get you a better job, and enhance your social life. You can learn it quickly and easily.

To help you be successful, we offer you a unique, easy to understand, home-study training for a Diploma in Business English You are also prepared for Pitmans, LCC and RSA exams.

Your training teaches you English — both written and spoken — and how to use it in your job English grammar is made simple You learn how to increase your vocabulary You are shown how to construct sentences, how to write business letters, office memoranda, minutes of meetings, reports and lots more. You also learn how to speak English clearly and distinctly with the help of cassette tapes. You thus get a really practical and thorough training in Business English

If you work in business, commerce, administration, an office of any kind — or use English in any way in your life — the Business English Course is the training for you It has been specially developed by leading businessmen and teachers to help you be more successful

In fact, we are so confident that you will be completely satisfied with it, we let you have the first parts on trial If you don't like them, send them back and your fees are returned without question.

Your Business English training will take you about 6-8 months to complete. It is conducted entirely in English, and has been specially written for people whose moth tongue is not English If you understand tl advertisement, you will also understand t prospectus, giving fuller details — which sent FREE on request Don't miss yo chance! Write NOW for your copy, includi checkable proof of big success by ordina men and women Send your name a address in BLOCK CAPITALS to Busin Training Ltd., Dept AAB282, Sevend House, 7 Dale Street, Manchester M1 1J England.

'Accredited by the Council for the Accreditation of Correspondence Colleges'

Advanced Business English training is available for people whose standard of English is up to GCE "O" level or equivalent. Please ask for separate details

BUSINESS TRAINING LIMITED
Dept AAB282,
Sevendale House,
7 Dale Street,
Manchester,
M1 1JB,
England

Please send me free details by air of your speciali home-study course in Business English and how I ca qualify for my Business Training Diploma

NAME AND ADDRESS IN BLOCK CAPITALS PLEASE

Surname

Other names

Address

المجلة العربية للعلوم الإنسانية

مجلة فصلية محكمة ، تقدم البحوث الاصيلة والدراسات الميدانية والتطبيقية في شتى فروع العلوم الانسانية والاجتماعية باللغتين العربية والانجليزية

تصدر عن جامعة الكويت

صدر العدد الأول في يناير ١٩٨١

رئيس التحرير د. عبدالله العتيبي

مدير التحرير عبدالعزيز السيد

- تتناول المجلة الجوانب المختلفة للعلوم الانسانية والاجتماعية مما يخدم القارىء والمثقف والمتخصص
- تعالج موضوعات المجلة الميادين التاليـة
  اللغويات النظرية والتطبيقية - الآداب والآداب المقارنة - الدراسات الفلسفية الدراسات النفسية - الدراسات الاجتماعية المتصلة بالعلوم الانسانية - الدراسات التاريخية - الدراسات الجغرافية - الدراسات التربوية - الدراسات حول الفنون (الموسيقى - التراث الشعبي - الفنون التشكيلية - النحت الخ) - الدراسات الاثارية (الاركيولوجية)
- تقدم المجلة معالجاتها من خلال نشر
  البحوث والدراسات - مراجعات الكتب - التقارير العلمية - المناقشات الفكرية
- مواعيد صدور المجلة كانون ثاني - نيسان - تموز - تشرين أول
- تنشر المجلة ملخصات للبحوث العربية بالانجليزية ، وملخصات بالعربية للبحوث الانجليزية

ثمن العدد للأفراد ٤٠٠ فلس
للطلاب ٢٠٠ فلس

الاشتراكات السنوية

	داخل الكويت	في الخارج
- للمؤسسات	١٠ د ك	٤٠ دولاراً أمريكيا
- للأفراد	٢ د ك	١٥ دولاراً أمريكيا
- للاساتذة والطلاب	١ د ك	١٠ دولارات أمريكية

- تقبل الاشتراكات في المجلة لمدة سنة أو عدة سنوات
- قواعد النشر تطلب من رئيس التحرير
- جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير :ـ

ص ب ٢٦٥٨٥ (الصفاة)

الكويت - الشويخ - ت ٨٢١٦٣٩ - ٨١٧٦٨٩ - ٨١٥٤٥٣

استثمارات

منذ زمن طويل ونحن نقوم باستثمار الأموال في اسواق المواد الأولية، وهناك الكثيرون من زبائننا العرب الراضين تماما عن استثمار اموالهم لديبا

نصيحتنا اليكم اليوم بتفويضنا بافتتاح رصيد شخصي لكم وقيامنا بادارة واستثمار أموال الرصيد الشخصي هذا لصالحكم

مبلغ الاستثمار الأدنى ٢٠٠٠٠ دولار اميركي

اليكم مثالاً عن افضل نتيجة استثمار حققناها في العامين الماضيين لصالح احد زبائننا

قيمة الاستثمار ٢٦٢١١,٧٢ دولارا اميركيا وبعد مدة شهر واحد من قيامنا باستثمار هذا المبلغ وصلت قيمته الى ١٢١٨٦٢,٩٢ دولارا اميركيا اي بربح صاف قيمته ٩٥٦٥١,٢٠ دولارا اميركيا او بنسبة ٣٦٤,٩٢ بالمئة

لهذه الاستثمارات [illegible]

عالم المعرفة

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

اكتوبر
١٩٨٢م

تأليف : جون ماكوري

ترجمة : الدكتور امام عبد الفتاح امام

مراجعة : الدكتور فؤاد زكريا

الكتاب الثامن والخمسون

المراسلات :
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

مجلة العلوم الاجتماعية

تصدر عن جامعة الكويت

فصلية اكاديمية علمية متخصصة بالشؤون النظرية والتطبيقية في مختلف حقول العلوم الاجتماعية

رئيس التحرير د. أسعد عبد الرحمن

سكرتير التحرير عبد الرحمن فايز

يحوي العدد حوالي ٢٠٠ صفحة تشتمل على :

- ابحاث بالعربية تعالج مختلف حقول العلوم الاجتماعية.
- مراجعات لكتب حديثة تبحث للموضوعات التي تعالجها المجلة.
- ملخصات .
- ابواب ثابتة : تقارير علمية. دليل الجامعات والمؤسسات التعليمية العليا.
- ندوة العدد .

الاشتراكات :

للمؤسسات والدوائر الحكومية، في الكويت ١٢ دينارا ، في الخارج ٤٥ دولارا أو ما يعادلها.

للأفراد : في الكويت دينارات كويتيان ، دينار للطلاب .

في الوطن العربي : ديناران ونصف كويتيان أو ما يعادلها ، ديناران للطلاب،

في الدول الاخرى : ١٥ دولارا أمريكيا أو ما يعادلها.

توجه جميع المراسلات والابحاث باسم رئيس التحرير على العنوان التالي :
مجلة العلوم الاجتماعية - جامعة الكويت - ص.ب : ٥٤٨٦ - الكويت
هاتف : ٥١٠١٨٨ / ٣٧٣ / ٢٥٠

من المسرح العالمي

وزارة الإعلام في الكويت

أول اكتوبر ١٩٨٢

١٥٧

حملة الدكتوراة

تأليف : موريل سبارك
ترجمة وتقديم : د. احمد النادى
مراجعة : د. طه محمود طه

مقياس الاناقه

الجمال يعني السمة في مفهوم محدد للصور المرئية
الأمر الذي لا يتحقق بين ليلة وضحاها لأن الجمال
والأناقة هما تعبير عن حاجة يتطلبها الرقي الفكري،
المتطور عبر الأجيال ، وليد الشجاعة والذكاء
والشعور المرهف . لهذا كانت رادو دائماً فئة
متميزة في حد ذاتها ـ ساعة متفوقة تتحدى
التقليد على الإطلاق لأنها جاءت نتيجة للتقدم
التكنولوجي الرائد في مجال التصميم وقياس الزمن

RADO رادو

مقياس الاناقة . مقياس المتانة . مقياس الزمن

Mod. dép

مجلة
دراسات الخليج والجزيرة العربية

تصدر عن جامعة الكويت

رئيس التحرير
الدكتور عبد الله الغنيم

صدر العدد الأول في كانون ثاني (يناير) ١٩٧٥

تصل أعدادها الى أيدي نحو ١٢٥٫٠٠٠ قارئ

يحوي كل عدد على حوالى ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير تشتمل على –

- مجموعة من الأبحاث تعالج الشئون المختلفة للمنطقة بأقلام عدد من كبار الكتاب المتخصصين في هذه الشئون
- عدد من المراجعات لطائفة من أهم الكتب التي تبحث في المناحي المختلفة للمنطقة
- ابواب ثابتة تقارير – وثائق – يوميات – ببليوجرافيا
- ملخصات للأبحاث باللغة الانجليزية

ثمن العدد ٥٠٠ فلس كويتي أو ما يعادلها في الخارج

الاشتراكات للافراد سنويا ديناران كويتيان في الكويت ، ١٥ دولارا أمريكيا في الخارج (بالبريد الجوي)

للشركات والمؤسسات والدوائر الرسمية ١٢ دينارا كويتيا في الكويت ، ٤٠ دولارا امريكيا في الخارج (بالبريد الجوي)

منشورات المجلة

يصدر المجلة أيضا دراسات مستقلة متعلقة بشئون المنطقة صدر منها

١ - كتاب التكامل الاقتصادي في الخليج العربي (د. محمد هشام خواجكية) ١٩٧٩

٢ - كتاب آفاق التنمية الصناعية في دول الخليج العربي (د. عبد الاله أبو عياش) ١٩٧٩

٣ - كتاب حقوق الطفل في دولة الكويت (د. بدرية العوضي) ١٩٧٩

٤ - كتاب الاحصاءات الاقتصادية في المملكة العربية السعودية (بدوي خليل) ١٩٨٠

٥ - دور جريدة فتاة الجزيرة في أحداث عام ١٩٤٨ بصنعاء (سلطان ناجي) ١٩٨٠

سلسلة وثائق الخليج والجزيرة العربية لعام صدر منها

الكتاب الأول وثائق الخليج والجزيرة العربية لعام ١٩٧٧ ١٩٧٩

العنوان جامعة الكويت – كلية الآداب والتربية – الشويخ – دولة الكويت
ص ب ١٧٠٧٣ – الخالدية
الهاتف ٨١٦٨٠٧ – ٨١٦٧٩٩ – ٨١٦٨٢

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير

MT-800A
مطحنة كهربائية
لفرم اللحوم

جهاز
تحضير القهوة
HCD-800M

ER-798ET
فرن يعمل
بالميكروويف

TFP-1200
جهاز
تحضير الطعام

MX-460G
خلاط

JC-580A
عصار وخلاط

الهوزا: مسلمون عند سطح العالم

بعد مائة عام: دروس الحركة المهدية

خلال ثلاثين عامًا
شاهدنا الكثير من التطوّرات

يوم بدأنا أعمالنا كانت
روبية هي العملة السارية ،
ي عام ١٩٦١، أي بعد تسع
نوات، ساهم بنك الكويت
طني في استبدال الروبية
لدينار الكويتي
تأسس بنك الكويت الوطني
مرسوم أميري في ١٩ مايو ١٩٥٢،
كان أول بنك كويتي
ؤسسه مجموعة من
عاليات الإقتصادية عندما
كانت الكويت بحاجة ماسة
لمؤسسة مالية باستطاعتها
خدمة متطلباتها المحلية

ومنذ تأسيسه، ركّز بنك
الكويت الوطني جهده في نشر
الوعي المصرفي وتوفير خدماته
في كافة أنحاء البلاد، عاكسًا
بذلك تطوّر الكويت تجاريًا
وصناعيًا واجتماعيًا

يوجد لدينا اليوم أكثر من
٤ فرعًا منتشرة في كافة أنحاء
الكويت بالإضافة إلى ك
بنك مراسل في العالم و
تمثيل في لندن وسنغا

للمزيد من المعلوم
بنك الكويت الوطني و
الخدمات التي يقدمه
نا اليوم.

رائد البنوك الكويتية

عزيزي القارئ

وسط تلك الظروف المقضة والمعتمة التي تحاصر العالم العربي ، فانه عندما يصدر كتاب ، فذلك يعد حبرا يستحق الرصد ، وعندما يقام معرض للكتاب فان ذلك يصبح حدثا كبيرا جديرا بالاحتفال .

بهذا المنطق استقبلنا في الشهر الماضي المعرض الثامن للكتاب العربي الذي أقيم بالكويت ، والذي كان بمثابة تظاهرة ثقافية هادئة وعميقة الدلالة في الظروف الراهنة وبرغم أن حضور دور النشر اللبنانية تأثر نسبيا بسبب الظروف التي مرت بها بيروت ، وبرغم أن القديم كان أكثر من الحديد في كتب المعرض ، وأن الذي يخاطب الماضي منها كان أكثر مما يخاطب الحاضر والمستقبل ، برغم هذه الملاحظات وغيرها ، الا أن وقوع الحدث بحد ذاته كان أمرا له أهميته .

وفي زمن تميز بالشرود العربي ، وتباعدت فيه المسافات بين أطراف الجسد الواحد ، وحفرت الخنادق في أرجاء الوطن الواحد واشهرت السيوف والمدافع بين الأشقاء ، في زمن كهذا يصبح أي لقاء عربي مهما كان مستواه أو مجاله انجازا كبيرا .

ان ترحيبنا بمعرض الكتاب العربي الذي أشرف على اقامته المجلس الوطني للفنون والآداب بالكويت ، لايعادله الا أملنا في أن تتكرر اللقاءات بين أبناء الثقافة الواحدة ، وأن تتنوع ميادين هذه اللقاءات ، علها تقرب ما تباعد ، وتضمد جراحا غائرة وعميقة

وكما كان معرض الكتاب هو الحدث الثقافي الأهم في الشهر الماضي فان مجلة العربي تتطلع لأن يأخذ عددها الممتاز في يناير مكانه ضمن الأحداث الثقافية للشهر القادم . ذلك أننا منذ عدة أشهر ونحن نعيد النظر في العديد من أبواب المجلة وموضوعاتها ، شأن محاولاتنا الدائمة في كل عام لتطوير المجلة وتحسين خدمتها للقارىء ، في بداية العام الجديد .

سوف يجد القارىء باذن الله في عدد يناير تغييرا في بعض ملامح المجلة ، شكلا وموضوعا ، وكلها تصب في هدفها الكبير الذي حرصت عليه منذ صدورها : أن تكون للقارىء منارة للمعرفة ، وأن تكون لكل العرب منبرا ثقافيا صادقا وملتزما . ■■

« العربي »

● وجهان من الهونزا ، تلك الامارة الاسطورية التي تعيش عند سقف العالم ، في أقصى شمال غرب باكستان ، حيث الجبال العملاقة والطبيعة العذراء ، واحد معاقل المذهب الاسماعيلي ! [انظر الاستطلاع ص ١٠٠]

العدد

قضايا عامة

عروبة واسلام

طب وعلوم

آداب وفنون

قضايا حيوية

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

رئيس التحرير: الدكتور محمد الرميحي

مدير التحرير: فهمي هويدي

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت للعالم العربي ولكل قارئ للعربية في العالم. الوزارة غير مسؤولة عما ينشر فيها من آراء والمجلة غير ملزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر.

ثمن النسخة: بالكويت [illegible]

الاعلانات: يتفق عليها مع الادارة - قسم الاعلانات

المراسلات: باسم رئيس التحرير

عنوان المجلة بالكويت: صندوق بريد ٧٤٨ - [illegible]

الاشتراكات

ترسل الطلبات الى

قسم الاشتراكات

المكتب الفني - وزارة الاعلام

ص.ب (١٩٣) - دولة الكويت

[illegible]

البلاد العربية ٢/٥٠٠ (ديناران ونصف)

البلاد غير العربية ٣/٥٠٠ (ثلاثة دنانير ونصف)

العربي - العدد ٢٨٩ - ديسمبر ١٩٨٢

AL-ARABI, NO 289 - December, 1982

P. O. Box, 748 - KUWAIT

استطلاعات مصورة

تاريخ وشخصيات

فلسفة

ابواب ثابتة

رئيس اليونسكو

حديث الشهر

بقلم

الدكتور محمد الرميحي

كيف تكون الكتابة معتدلة سلسة سهلة ، يهضمها القارىء دون عسر هضم ، يتشرب الفكرة من خلال الكلمات دون إزعاج عصبي أو نفسي .

كثيرا ما دارت في ذهني هذه التساؤلات وأحسب أنها تؤرق الكثيرين من حملة القلم بشتى تخصصاتهم .

ويلحق بهذه التساؤلات تساؤل آخر هام هو : متى يحق لكاتب ما أن يشير إلى الآخرين ـ من خلال فكره أو انتاجه الأدبي ـ أن يتبعوا هذا الطريق أو ذاك في حياتهم العملية والاجتماعية . وهل كل قادر على الكتابة يستطيع أن يوصل رسالته إلى القارىء أم أن ذلك يحتاج الى موهبة خاصة وقدرة من نوع ما .

هذه الأسئلة يمكن أن توضع بأشكال أخرى أعم هي : هل الكتابة ـ بأشكالها المختلفة ـ فن أم علم ؟ أهي موهبة أم خبرة وممارسة ؟

وهل هناك دائما معاناة ، من نوع ما ، يعانيها الكاتب أو الكاتبة قبل أن ينتهي من عمله الأدبي أو الفكري ؟ وهل تتطلب الكتابة جوا معينا في

البيت أو مكان الكتابة يتسم بمواصفات معينة أم أن الكاتب يستطيع أن يكتب في أي مكان بصرف النظر عن الجو المحيط به سواء كان هادئا أو صاخبا ، وفي أي موضوع يتقنه الكاتب أو لا يتقنه ؟

هل الكاتب المبدع يمكن أن يظهر فجأة ويختفي فجأة كأن يكون لدى شخص ما دافع خفي يجعله يكتب موضوعا أو قصة أو مقالا يبدع فيه ثم ينتهي هذا الابداع بانتهاء ذلك العمل .

كل تلك الأسئلة تطوف بالخاطر عندما نستعرض تجارب بعض المبدعين .

القدرة والعجز .. وذهب مع الريح

المشكلات الشخصية والانسانية ، وكذلك المشكلات العامة الوطنية والقومية ، قد تخلق ذاك الكاتب المبدع من خلال معاناته ، إما الشخصية أو العامة .

ومن القصص الطريفة في مجال الخلق والابداع بدافع ذاتي ، قصة

(مرجريت متشل) الصحفية الشابة التي كانت طريحة الفراش نتيجة حادث طريق عادي ، فعندما كانت تقطع الطريق مع زوجها في أحد شوارع مدينة (اتلانتا) الأمريكية ، اجتاحتها سيارة مسرعة أقعدتها عن الحركة لمدة ثلاث سنوات كانت أثناءها مقيدة الحركة ، وحتى تقضي على المعاناة التي لازمتها وكذلك للتخفيف عن زوجها ، داومت على القراءة إلى أن جاء الوقت الذي لم يستطع فيه زوجها أن يجلب لها كتبا جديدة من مكتبة الحي فاقترح عليها أن تكتب هي بدلا من أن تقرأ فحسب . وبدأت بالفعل محاولة كتابة رواية طويلة تستطيع أن تسليها مدة أطول ولكن كيف تبدأ . وبدأت من الفصل الأخير رواية طويلة عن تاريخ الحرب الأهلية الأمريكية ، وانتهت من الفصل الأخير لتبدأ بالفصل الذي قبله وهكذا تعافت الكاتبة قبل أن تكتب الفصل الأول ، ولم تكن واثقة أن ما كتبته صالح للنشر ، حتى هيىء لها ناشر أعجب بما كتبت وطلب منها كتابة الفصل الأول للرواية ـ تلك الرواية التي عرفت لاحقا بعنوانها « ذهب مع الريح » ـ والتي حولت إلى فيلم سينمائي ناجح وبيع منها ملايين النسخ ، واشتهرت مارجريت متشل من خلال النجاح الهائل الذي حققته الرواية . إلا أن الأقدار كانت لها بالمرصاد ، ففي مساء أحد أيام أغسطس ١٩٤٩ ، كانت مارجريت متشل تعبر الشارع مع زوجها هذه المرة في طريقها الى المبنى الواقع عبر الشارع لمشاهدة فيلم « ذهب مع الريح » وفجأة جاءت سيارة أجرة مسرعة لتصدم مارجريت المسكينة في حادث جديد هذه المرة لتبقى خمسة أيام أخرى على قيد الحياة ثم تفارقها متأثرة بجراحها . وتذهب مارجريت متشل لتظل روايتها « ذهب مع الريح » رواية خالدة في تاريخ الأدب العالمي ، والرواية الوحيدة للمؤلفة المغمورة .

التصرفات الشاذة

ويقول لنا تاريخ الأدب إن شخصية روائية مثل « إرنست همنجواي » المحب للحياة بكل ملذاتها يتحول إلى شخص آخر عندما يبدأ كتابة رواية له ، ففي الوقت الذي كان يفتح مقر إقامته لأصدقائه الكثيرين من فنانين وكتاب وسينمائيين في مزرعته الكبيرة في غرب

الولايات المتحدة في الأوقات العادية ، كـان يطلب من الجميع عدم زيارته أو مغادرة المكان إن كانوا هناك حين يبدأ في كتابة رواية أو قصة ، فوق ذلك ينصرف عن الحديث للمقربين منه بل مع من يسكن معه في المنزل ويغلق عليه حجرة الكتابة في الوقت الذي يضع لافتة على باب منزله كتب عليها : يمنع الدخول .

كما يذكر لنا تاريخ الأدب أن « جورج سيمونز » كان عندما يكتب يتصرف وكأنه مسافر أو مريض ، فالزيارات غير مسموح بها والرسائل والبرقيات لا تفتح وحتى التليفون لا يرد على ندائه ، وعنـدما تتعـثر الكتابة لأي سبب كان يلقى بكل ما كتبه في سلة المهملات كي يبدأ من جديد .

أما أجاثا كرستي ، التي شغلت نفسها بالكتابة في الجرائم والقصص البوليسية والتي تعد في عصرنا ملكة في مملكة الروايـات البوليسيـة ، فكانت تستوحي أفكارها البوليسية في (الحمام) وكانت تقول : إني في العشرة أيام الأخيرة قبل الكتابة أحتاج لتركيز محكم على أن أظل وحدي دون ضيوف ودون رسائل ودون تليفونات ، ثم أبدأ في كتابة الرواية بعد ذلك .

روايات أجاثا كرستي المثيرة ما زالت تعرض على مسـارح لندن - ومسرحية مصيدة الفئران شاهدتها في الصيف الماضي وهي تعرض دون انقطاع في الثلاثين سنة الأخيرة وما زال الجمهور يقبل عليها ، كانت أجاثا كرستي تكتب رواياتها في خيمة في الصحراء عندما تكون برفقة زوجها المنقب عن الآثار .

الابداع والمعاناة

ولكن هل هذه تصرفات شاذة أم هي حالة طبيعية يمر بها الكاتب الخلاق نتيجة معاناة إنسانية حقيقية كي ينتج ما ينتج من فن وأدب ؟ في

تجارب كثير من الكتاب في مجالات كثيرة نجد مثل هذه التصرفات والسلوك والذي يكون إعدادا نفسيا مسبقا للكتابة .

فالكتابة ليست عملية ميكانيكية يدرب عليها الانسان كما يدرب حيوان ما على التقاط كرة أو يدرب طير ما لترديد ما يقوله الآخرون ، فإذا اختفت المعاناة اختفى الابداع . ونحن نجد اليوم عشرات بل مئات المقالات والقصص والروايات والمؤلفات ولكن عندما يفتقد كتابها المعاناة تفتقد كتاباتهم الروح المؤثرة على القارىء فتصبح مجرد صفوف من الكلمات .

والكتابة ـ بجانب كونها إيداعا وفنا ـ هي علم كذلك وتكنيك ، فعدم الالمام بهذا العلم أو التقنية والتكنيك يجعل من الكاتب مجرد كاتب متوسط على أبعد تقدير .

فكما للقصة والرواية تكنيك محدد يتبعه الكاتب ، كذلك للمقال والدراسة وحتى للتحقيق الصحفي ، وهناك مؤلفات تنشر اليوم يمكن من خلالها أن نعرف كيف تكون الكتابة مقنعة ومنطقية وسلسة ، بأي لغة كانت .

والفرق بين الكاتب الجيد وغير الجيد هو فرق في المعاناة والمدخل والتناول .

ليس جمع المعلومات وتنظيمها ثم وضعها على ورق يعني الانجاز الجيد لكاتب مقال أو دراسة ، وليست مقدمة وحبكة ونهاية القصة هو المطلوب في القصاص والروائي ، ولكن بجانب ذلك فان المعاناة الانسانية للكاتب والقاص هي التي تجعل عمله ناجحا أو العكس .

فكاتب المقال الصحفي إن لم يكن ملما بتقنية الكتابة مثل كيفية الدخول في الموضوع ومناقشة آراء الخصوم واحدا تلو آخر بادئا بأقوى

حجة لديهم منتهيا بأضعفها مفندا لها وراح مبتدئا بعد ذلك بأضعف حجة لديه منتهيا بأقواها كي يترك الانطباع الأقوى لدى القارىء أو السامع - إن لم يكن ملما بهذه التقنية فهو جامع كلمات أكثر منه كاتب مقال صحفي ناجح .

ومثاله مثال آخرين في مهن أخرى . فكما لا يستطيع أي مغن أن يطرب ، وكل عازف على الآلة الموسيقية أن يشجي ، لا يستطيع جامع الكلمات أن يؤثر ويصبح كاتبا إلا إذا أتقن فنه علما ومعاناة .

وليس بالضرورة أن يكون الانسان طبيبا ناجحا أو مهندسا قديرا أو اقتصاديا بارعا أو سياسيا ذكيا أو حتى أستاذ جامعة لامعا وأن يكون كاتبا قادرا على توصيل فكره وآرائه إلى الآخرين من خلال الكتابة بنفس الوقت . وأصبح فن الكتابة والاقناع له أساتذة متخصصون يرجع إليهم في تدبيج الكتابات كما هو حاصل في كتابة الخطب السياسية ، حيث يقوم محترفون بهذا العمل .

من هنا نجد أن الكتابة فن وعلم وكذلك عملية سهلة وممتنعة ، فدون تعميق الموهبة بالعلم والدراسة وفهم تقنية الكتابة وإجادتها ، تسود الصفحات دون طائل أو جدوى ، بل قد تأتي النتائج مضادة للهدف المراد .

ونجد اليوم في وطننا العربي أمثلة كثيرة على ذلك ، فمن يكتب في التراث قد يسيء إليه أكثر مما يخدمه ان هو ركب مركب العاطفة وتجاوز حدود العلم وتقنية الكتابة ، ومن يكتب في السياسة والاجتماع والفكر دون روية ومعاناة وتقنية يفسد الرسالة وكذلك عقول الآخرين .

فالكتابة عملية سهلة في الظاهر ، ممتنعة على الكثيرين في الواقع العملي .

□

محمد الرميحي

خواطر

للدكتور حسان حتحوت

مستقبليات

بين يدي كتاب صغير لا يتجاوز نصفاً وثلاثين صفحة صدر عن بريطاني اسمه فرنسيس كسمان ، وهو اختصاصي في الاستقراء الاقتصادي ولعل هذا التخصص جديد على القاريء العربي بل على العالم العربي ، ولكنه استقر لدرجة كبيرة في الغرب ، ومداره أنك تعطي هذا الاختصاص ما توفر من المعلومات والمعطيات في الحاضر فيرسم لك بموجبها صورة أو اكثر ـ لما يكون عليه الامر في المستقبل « وعلم المستقبل » كما يسمونه الآن ليس رجماً بالغيب ولكنه أشبه الأشياء بعمل رجال الأرصاد الجوية مطبقاً في شتى مجالات الحياة ومن قرأ كتاب « لعبة الأمم » لمايلز كوبلاند يذكر أنهم اجتمعوا مع زملائهم في المخابرات الأمريكية في الخمسينات ، وعلى ضوء معلوماتهم عن مصر وشخصية عبد الناصر طرحوا سؤالاً عما يصير إن سحبت أمريكا عرضها بتمويل إنشاء السد العالي (كما حدث من بعد) ، فكانت إجابته هو ـ وقد أسندوا إليه تمثيل دور عبد الناصر ـ « أؤمم قناة السويس » وهذا ما حدث من بعد بالفعل !

كتاب فرنسيس كسمان ليس من وضعه هو ولكنه إجمال عام مشترك لآراء خمسة عشر من المستقرئين الكتاب اسمه « الزمن المقبل نبوءات عن الثمانينات » وقد كتب عام ١٩٧٩ ونشر في فبراير ١٩٨٠ ومنذ صدر صدقت الأيام مما ورد فيه أموراً هامة فقد تحدث عن عودة أنديرا غاندي للسلطة ، وعن خطوة عسكرية لروسيا ، وعن مصرعين في الشرق الأوسط أحدهما شاه إيران والثاني السادات ، وعن حرب إسرائيلية أخرى في الشرق الأوسط ، ولعل أهم نبوءاته بداية تخلي أمريكا عن إسرائيل

بين عدد من توقعات التغيير العالمية في المجالات الروحية والأخلاقية والاقتصادية

والخاطرة التي وددت أن أقتنصها لقرائي لنقف لديها بشيء من التأمل هي « بداية تخلي أمريكا عن إسرائيل » . . وماذا يبقى لاسرائيل إن تخلت عنها أمريكا ؟ ! . ولكن هل الى ذلك من سبيل ؟؟

الواقع أن النفوذ الاسرائيلي الصهيوني في أمريكا غير عريق ولكن اليهود الذين استوطنوا أمريكا وصاروا أمريكانا قد نظموا أنفسهم وجعلوا من عددهم المحدود قوة ضغط كبيرة في مجالات السياسة والاقتصاد والاعلام ويخطىء من يظن أن المواطن الأمريكي المسيحي العادي غافل عن هذا أو راض عنه بل إن كوامن النفوس تحمل بذور تغيير تنبت وتثمر إن وجدت من يتعهدها ويتولّاها من كان يتصور أن الجنرال براون القائد الأعلى للقوات الأمريكية منذ سنوات يصرح أن أمريكا تسلح إسرائيل لدرجة تعرض أمن أمريكا ذاتها للخطر وأن الصحافة الأمريكية تتساءل عن ولاء اليهود الأمريكان ـ هل هو لأمريكا أم لاسرائيل ، وتتحدث عن تحويل دافع الضرائب الأمريكي لنزوات إسرائيل التوسعية إن عضواً في البرلمان الأمريكي هو السناتور ما كلوسكي صرح هذا العام أن اليهود الأمريكان لا يعملون لصالح أمريكا وهذا في أمريكا حدث خطير وجاء موعد الانتخابات التالية ولأول مرة تصدى المسلمون الأمريكان في دائرته الانتخابية لنصرته وتكتل اليهود ضده وخسر الرجل الانتخاب ولكن هذه بداية ، فهذا سياسي أمريكي تحرر من أسر الخوف من اليهود ، والمسلمون الأمريكان ـ والأمريكان من أصل عربي ـ ما زالوا على بداية طريق جديد من الاحتشاد السياسي والتمرس بالحياة العامة وحين يأتي اليوم الذي يجمح فيه ماكلوسكي أو مثيل له في رأيه في اليهود ، فسيكون هذا أول الغيث ، لأن هناك لكثيرين ممن يترقبون كسر طوق الاحتكار اليهودي لمقدرات السياسة الأمريكية

والأمريكان المسلمون والأمريكان ذوو الاصول العربية في أمريكا ليسوا أقل عدداً من ليهود ، وقد قامت من بينهم بالفعل أعداد قليلة تحاول أن توقظ النوام وتعيد الشاردين تنظم المشتتين وتنظم هذه الخرزات المتناثرة في خيط واحد ليكون منها كيان ، له قيمة له ر

ترى هل لهؤلاء الرواد من حق علينا ؟
وهل في رقابنا من واجب نحوهم ؟

كثيراً ما جمح بي الخيال فغبطت المسيحية على أن لها كنيسة وأعلم أن ليس في الاسلام ...وت وليس له كنيسة فكل مسلم داعية ، والحكومة المسلمة قائمة على أمر سلام . ومع ذلك فربما مرت على لحظات تلفت فيها حولي وقلت « لو كان للاسلام ... تنساه وتتولاه ؟ . ثم ما ألبث أن أقول « أستغفر الله ولا حول ولا قوة إلّا بالله ... وإنا إليه راجعون » ■■

تقرير من داخل ثاني مؤتمر عالمي للقمة الثقافية

- فرنسا تفجر قضية الغزو الثقافي الأمريكي للعالم
- واليونان تطالب برد الآثار المنهوبة من العالم الثالث
- العرب يثيرون قضية استلاب الهوية الثقافية للشعب الفلسطيني

بقلم : سليمان موسى

كان المؤتمر العالمي للسيمسات الثقافية الذي عقد في مدينة المكسيك خلال أيام ٢٦ تموز - ٦ آب ١٩٨٢، ثاني مؤتمر من نوعه تاريخ العالم ذلك أن المؤتمر الاول عقد في مدينة البندقية بايطاليا سنة ١٩٧٠ وللتدليل على ذلك يكفي القول بأن ١٥٤ دولة اشتركت في أعماله، وأن ٩٨ وزير ثقافة كانوا على رأس وفود بلادهم، وأن عدد أعضاء الوفود الى المؤتمر تراوح ما بين ٩٠٠ و ١٠٠٠ شخص ومن هنا كان وزير ثقافة المكسيك فرناندو سالونا على حق عندما أطلق على المؤتمر اسم (القمة الثقافية)، إذ لم يسبق في تاريخ الجنس البشري أن التأم مؤتمر ثقافي بمثل هذه الضخامة وهذا الشمول

انقضت الأيام الثلاثة الأولى من أيام المؤتمر في الاستماع إلى خطابات ممثلي الدول الكبرى وغيرهم ممن كانوا طلبوا القاء خطابات قبل عقد المؤتمر بأشهر، وفي الاستماع أيضا إلى خطابات بعض الشخصيات البارزة في عالم الثقافة التي دعيت بصورة استثنائية وخاصة، لالقاء كلمات في المؤتمر، وأخص بالذكر من بينها الرئيس السابق ليوبولد سنغور، ورئيس وزراء تونس الأستاذ محمد مزالي، وكذلك الدكتور محي الدين صابر، المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (يونسكو العرب)

كان الحضور العربي في المؤتمر قويا وواضحا، مع أنه كان من الممكن أن يكون أكثر قوة ووضوحا، فقد اشتركت جميع الدول العربية فيه باستثناء دولتي عمان واليمن الجنوبي وكان هناك ثمانية وزراء ثقافة عرب على رأس وفود بلادهم (الامارات، قطر، الكويت، سوريا، الجزائر، تونس، المغرب، مصر)[1]

وعقدت الوفود العربية، عدة اجتماعات لتنسيق مواقفها، وكان من جملة ما اتفق عليه أن يلقي رؤساء الوفود خطاباتهم باللغة العربية، باعتبار أنها احدى اللغات الست المعترف بها في منظمة اليونسكو (اللغات الأخرى هي الانجليزية والفرنسية والاسبانية والصينية) وقد انتخب عشرون نائبا لرئيس المؤتمر (وزير ثقافة المكسيك) كان من بينهم اثنان من العرب هما وزيرة ثقافة سوريا ووزير ثقافة دولة الامارات العربية، وتراوح عدد أعضاء الوفود العربية من أحد عشر شخصا (تونس ومصر) إلى شخص واحد (ليبيا والاردن والسودان وموريتانيا والصومال) وفي هذا الصدد لا بد من تسجيل ملاحظتين (١) إن بعض الوفود العربية غادرت المؤتمر قبل أن يختتم أعماله و(٢) أن الحد الادنى

---

١ - وزراء الثقافة العرب الذين اشتركوا في المؤتمر هم السيدة نجاح العطار (سوريا)، السادة سعيد بن ش(المغرب) عبدالمجيد مازيان (الجزائر)، بشير بن سلامة (تونس) عبد العزيز حسين (الكويت)، سعيد سلمان (الامارات) محمد بن حمد آل ثاني (قطر)، ومحمد عبد الحميد رضوان (مصر)

مليسا ميركوري وزيرة ثقافة اليونان

أحمد مختار أمبو رئيس اليونسكو

عدداعضاء كل وفد ما كان يجب ان يقل عن ثلاثة ، لملء
كرسي الدولة في قاعة الاجتماعات الرئيسية وفي قاعتي
للجنة الاولى واللجنة الثانية

ومن خلال مسيرة المؤتمر ، اتضحت مواقف الدول ـ
ن غربية وشرقية ، ويمينية ويسارية ومعتدلة كما
ضحت درجة الوعي الثقافي من خلال قوة المتابعة
المبادرة أو ضعفها فهناك دول أرسلت اختصاصيين
ذي خبرة واسعة في قضايا الثقافة وعلى مستوى عال في
لم المسؤولية الثقافية ، وهناك دول أرسلت أشخاصا
وظفين عاديين ، لاخبرة لهم بالقضايا الخطيرة التي
رحت على المؤتمر وهناك دول حرص مندوبوها على
ابعة مسيرة المؤتمر ، والمشاركة في كل خطوة ، وعلى
بعة ما كان يلقى من خطابات وتحليل المواقف على
ونها ، مع تسجيل الملاحظات وأخذ المبادرات ولم
ن ذلك النشاط مقصورا على الدول المتقدمة في دنيا
سافة والصناعة ، لأني لمست من بعض دول آسيا
رقية نشاطا ويقظة لامثيل لها

فتحت رئاسة المؤتمر مجال الحديث لرؤساء الوفود ،
ند هؤلاء يتسابقون على أخذ الادوار لالقاء الخطب ،
حلون فيها مواقفهم ويطرحون قضاياهم وآراءهم ،
. ضاق الوقت ، وامتدت الجلسات أحيانا الى منتصف
ل ، وأخذت رئاسة المؤتمر ترجو وتلحف في الرجاء بأن
سر الخطباء ، وتقلص الوقت المتاح أمام كل خطيب في
، الأخيرة الى خمس عشرة دقيقة ، بينما أطال البعض في
الأولى ساعة بل أكثر من ساعة .

خلاف في الصف الغربي

وسرعان ما اتضح أن المؤتمرين قد انقسموا في نظرتهم للاطار الذي يجب أن تسير فيه الأعمال ، الى قسمين رئيسين

الأول . ويدعو الى حصر النقاش في نطاق العمل الثقافي المحض ، والميزانيات المالية المخصصة له ، والأساليب التي يمكن اتباعها للنهوض بالثقافة وتوسيع القاعدة الثقافية . وقد تزعمت هذا الرأي دول أوروبا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية وكان من رأي السفيرة جين جيرارد ، رئيسة الوفد الأمريكي ، أن المؤتمرين يجب أن لايتحدثوا عن دول فقيرة ودول غنية ، لأن كل دولةتمثل جذورا وقيما ثقافية وتاريخية فريدة في بابها ، ويجب عدم بحث القضايا السياسية على هذا المنبر لأن ذلك يمثل ابتعادا عن أهداف المؤتمر ـ الأهداف التي ترمي الى تحسين العلاقات بين شعوب العالم وتسهيل التبادل الثقافي وكان موقف بريطانيا منسجما مع موقف الولايات المتحدة ، اذ أكد وزير الثقافة والفنون على ضرورة ابقاء الحرية فوق كل شيء ، وأن على الحكومات أن تبتعد عن توجيه المضمون الثقافي ، وأن تكتفي بخلق الفرص والحوافز ، ولا تملي على الناس ما يجب أن يشاهدوا أو يسمعوا واختتم خطابه بقوله « ان الحرية لا تزدهر إلا في مجتمع حر »

الثاني . ويقول انه لايمكن فصل الثقافة عن جوانب الحياة الأخرى فكيف يمكن لشعب يتعرض أمنه للتهديد

، يعمل على النهوض بالثقافة ؟ وكيف يمكن لشعب فقير ائع أن يخصص ميزانية لدعم المسرح والموسيقى بينما يجد كثيرون من أبنائه رغيف الخبز ؟ وقد تزعمت روسيا لذا الاتجاه ، اذ جاء في خطاب يوري باراباش ، نائب زير الثقافة في الاتحادالسوفياتي قوله ان الثقافة والأمن السلام يجب أن تمثل لنا جميعا كلا لايتجزأ ، وان هدف سياسات الثقافية بالنسبة لنا أن تحقق أفضل ما يمكن تحقيقه من التقدم الاجتماعي ـ الاقتصادي وتطور الحياة لثقافية وفيما بعد أعلن أنه يدعو المؤتمر الى شجب لمحاولات الرامية الى تسخير الثقافة واستعمالها أداة في لحرب الباردة

ولكن الاختلاف في المواقف لم يقتصر على ما حدث بين لغرب والشرق (أوبين اليمين واليسار) ، بل حدث صدع كبير في داخل الصف الغربي ذلك أن وزير الثقافة لفرنسي اتخذ موقفا ثقافيا ذا طابع سياسي ، اذ أنه في خطابه (الذي استغرق أكثر من ساعة) هاجم السياسة لثقافية الاعلامية للولايات المتحدة قائلا انها تريد فرض سيطرتها على الثقافة والاعلام في العالم ، وأن فرنسا ستدعو لدامى المثقفين من جميع أنحاء العالم لعقد مؤتمر في كوبا ، بحث هذا الموضوع ثم عقد مؤتمرا صحافيا اتهم فيه لولايات المتحدة بالاستعمار الدولي ماليا ، وبأنها تسيطر لى وسائل الاعلام الجماهيري في العالم ثم قال انا في خطر بأن نصبح كالشاطر والمشطور في أشداق مؤسسات بسط ظلها على العالم بأسره وقال ان السيطرة الأمريكية لى وسائل الاعلام الدولي تشجع على تدمير الثقافات لأخرى ، وخاصة ثقافات الشعوب الصغيرة ، وأن قبضة مريكا على الاقتصاد العالمي سوف تؤدي الى السيطرة على ذهان الناس اذا ما سمح لها بالمضي فيما هي سبيله أضاف قائلا اليس من الأفضل أن نتكلم بصراحة نسمي الأشياء بأسمائها ؟ ان الولايات المتحدة تغرق لعالم بخاصيتها الثقافية فتتسبب في نشوء تصحم دولي

وفي معرض ردها على الوزير الفرنسي ، قالت رئيسة لوفد الأمريكي اننا لن نصغي لهجمات الوفود لأخرى ، ولكننا سندافع عن القيم التي نؤمن بها وقال ن وايشتاين ، نائب رئيسة الوفد الأمريكي (وهو استاذ ي جامعة جورجتاون) انه يدعو الوزير الفرنسي الى مناقشة علنية مع السفيرة جين جيرارد ثم قال في مؤتمر صحفي لاتصغوا للأنباء الكاذبة ان فرنسا تعمل أيضا على تصدير ثقافتها ، وتعمل كذلك دول عديدة أخرى واتهم الوزير الفرنسي بأنه انما يعمل على كسب ود الدول ليسارية

سوليداد سريل وزيرة ثقافة اسبانيا

وقد فتح الوزير الفرنسي في خطابه مجالا لعدد من رؤساء الوفود الاخرى ، فقد أيدت وزيرة ثقافة اليونان وجهة نظره بقولها (مثلما نعارض في أن تغزو دولة ما دولة أخرى بجيوشها وأسلحتها ، فاننا نعارض قيام احدى الدول بغزو بلاد أخرى ثقافيا) وأضافت تقول (انها تشعر بالانزعاج لسيطرة الولايات المتحدة في الميادين الثقافية في العالم ، انا نتعرض للغزو عن طريق السراويل الصبغة الزرقاء Blue Jeans والافلام والموسيقى حتى أسماء المتاجر في أثينا أخذوا يكتبونها بالانجليزية هذا أمر يجب مقاومته للحفاظ على تراثنا وجذورنا » وقال الوزير الكوبي ان ٧٠٪ من برامج التلفزيون ونشرات الأنباء المستعملة في أمريكا الجنوبية تأتي من الولايات المتحدة بل ان وزير ثقافة نيكاراجوا قال ان مقاومة الغزو المسلح أسهل من مقاومة الغزو الثقافي ، وخاصة ما تقوم به وكالات الأنباء الكبرى (الاسوشيتدبرس واليونايتدبرس وأمثالها)ذلك أن تلك الوكالات تعدل الأخبار وتحورها على هواها لكي تلائم المصالح السياسية للولايات المتحدة

ورد واينشتاين على هذا كله بأن أمريكا ترفض أية ضغوطات تستهدف حق النشاط الابداعي ، وسترفض أية قيود قد تفرضها الدول على حرية تدفق المعلومات وكان جواب حاك لانج حرية من ؟ حرية الثعلب في قن الدجاج ؟

وفي هذا الصدد قال وزير ثقافة الباكستان ـ الاستعباد الثقافي هو أسوأ أنواع الاستعباد التي يمكن ـ يتعرض لها قطر من الأقطار ومن أجل مقاومة هذا الاستعباد على كل أمة أن ترفع من مستوى ثقافتها القومية وعلى دول العالم الثالث أن تتعاون لكبح جماح الغزو الثقافي الذي تقوم به دول الغرب الصناعية وقال ان باكستان تمنع عرض مسلسلات العنف والجنس

عنوان الجريدة التي أصدرتها اليونسكو لتغطية أخبار المؤتمر

أزمة الممتلكات الثقافية

لم تقتصر المبارزة الكلامية على ما حدث بين الوفدين الفرنسي والأمريكي (وأنصارهما) ، لأن وزيرة ثقافة اليونان ملينا ميركوري لم تلبث أن أثارت ضجة واسعة عندما أعلنت في خطابها أن حكومتها تطلب رسميا أن تعيد بريطانيا تماثيل المرمر التي أخذتها من هيكل البارثينون ، والتي يسميها الانجليز (رخامات الجن Elgin Marbles) على اسم اللورد « الجن » الذي اقتلعها من الاكروبوليس عام ١٨٨٠ وقدمها الى المتحف البريطاني ، فأطلقت ادارة المتحف اسمه عليها ، وأنها تتخذ الاجراءات لاقامة دعوى قضائية في المحاكم البريطانية من أجل استعادة تلك التحف الأثرية الى مكانها الطبيعي.

لقد حظيت ميركوري بتصفيق لايقل عن التصفيق الذي حظي به جاك لانج ، ليس فقط لأنها شابة حسناء وممثلة شهيرة ومغنية واشتراكية ، بل لأن خطابها صيغ بأسلوب عاطفي ورصع بأبيات الشعر والأقوال المأثورة وحفل بالاشارات الذكية والعبارات المتعلقة بأساطير الاغريق. هذا كله أتاح لها أن تستولي على ألباب المؤتمرين الذين غصت بهم القاعة الرحيبة. ومما جاء في خطابها قولها : انها من تلك الأقلية من نساء العالم اللائي يتولين منصب الوزارة ، مع أن الأساطير القديمة تقول ان آلهة الحكمة وآلهة السلام من الاناث ، ورسالتهما حفظ الحياة. وفي عبارة ذات مغزى قالت ان هذا المؤتمر كان جديرا بأن يحقق نتائج أفضل لو أن النساء المشتركات فيه كن أكثر عددا (كان هناك أكثر من عشر سيدات يترأسن وفود بلادهن). ولم تكتف الممثلة المرموقة بالمطالبة بكنوز اليونان الأثرية ، بل طالبت جميع الدول التي نهبت آثار غيرها من شعوب العالم الثالث ـ أن تبادر الى اعادة تلك الآثار الى أصحابها الشرعيين. ووصفت عمل اللورد الجن بأنه جبان ، اذ ألحق تخريبا فظيعا بهيكل البارثينون الذي أنشىء في القرن الخامس قبل الميلاد وهو من أهم معالم الحضارة اليونانية.

ولكن المجابهة الحقيقية في موضوع اعادة الممتلكات الثقافية ، حدثت قبل انتهاء المؤتمر بيومين ، عندما عرضت على اللجنة الثانية مشروع توصية يونانية بهذا الشأن. وقد أخفقت محاولة لتخفيف صيغة التوصية ، اذ اقترح وفد الدانمرك أن يوصي المؤتمر بريطانيا واليونان ببحث الموضوع بينهما. وقال وفد المانيا الغربية ان التصويت على توصية كهذه سيدمر اليونسكو. ولكن الوفد اليوناني أصر على أن تطرح التوصية للتصويت دون تعديل. كان الجو مشحونا بالتوتر والعصبية. وتم التصويت فأيدت التوصية ٥٦ دولة وعارضتها ١١ دولة (أكثر دول أوروبا الغربية) وامتنعت ٢٦ دولة عن التصويت. وكما يتوقع القارىء فان جميع أقطار العالم الثالث صوتت مع التوصية. (في ذلك اليوم كانت وفود بعض الدول قد غادرت المؤتمر أو تغيبت ، ومن بينها خمس دول عربية).

بعد التصويت تساءل كثيرون : والنتيجة العملية ، ماذا ستكون ؟ هل يمكن أن تعيد بريطانيا التماثيل اليونانية ؟ ان مجال التفاؤل في هذا الأمر ضئيل ، لأن الكنوز الأثرية التي حصلت عليها الدول الغربية من مختلف أقطار العالم كثيرة ولاتقدر بثمن. ومن الصعب ـ ان لم يكن من المستحيل ـ أن توافق أية دولة طائعة مختارة على اعادة أي شيء. والواقع أن رئيس الوفد البريطاني أعلن أن ما تضمه متاحف بريطانيا من تحف يؤلف جزءا من تراث بريطانيا الثقافي « لقد حافظنا على كنوز كانت ستضيع لولانا. ولن نسمح لصنف الجماعات المتعصبة أن تدمر تراثا لايعتبر قوميا فحسب بل عالميا ، يستطيع أن يشاهده كل انسان ، وهو يؤلف مراكز للدراسة والبحث ». ثم قال : ان بريطانيا حصلت على ما لديها من آثار بصورة قانونية.

نهب مدينة القدس

ومثلما كانت لكثير من الدول قضايا تتبناها ، فقد كانت للدول العربية قضايا بالغة الخطورة تتعلق بما يجري في الأراضي المحتلة من استلاب ثقافي ومن تدمير للمعالم التاريخية والثقافية ، وبما فعل الغزاة في لبنان ولم يكتف رؤساء الوفود العربية بمناشدة وفود المؤتمر أن تقف بحزم في وجه اجراءات العدو التي تستهدف القضاء على الهوية الثقافية للشعب الفلسطيني ، بل أعدوا - بالتعاون مع دول عدم الانحياز - عددا من مشاريع التوصيات التي تدين تلك الاجراءات وكان مشروع التوصية رقم ١٥٠ من أهم ما قدم في اللجنة الثانية ، وهو يتعلق بمدينة القدس ، وبما تتعرض له من خطر فقدان طابعها الفريد الذي تميزت به ، وادراجها في قائمة المدن المهددة بخطر الاندثار

عندما طرح رئيس اللجنة (رئيس وفد سيرالانكا) مشروع التوصية اعترض المندوب الامريكي قائلا كيف نستطيع أن نقرر أن المدينة مهددة ، وهل لدينا تقارير تثبت ذلك ؟ أقترح تعديل التوصية بحيث تدعو إلى ايفاد لجنة تتقصى الحقائق وفد المانيا الغربية أيد الوفد الأمريكي في موقفه . تحدثت مندوبة العدو عن اصلاحات وأعمال عمران قاموا بها في القدس ، وكررت بعض الاتهامات ضد العرب تكلم عدد من المندوبين العرب قدم أحدهم احصاءات عن تناقص السكان العرب ، حتى هبط عدد المسيحيين العرب في المدينة من ٣٠ الفا عام ١٩٤٨ الى ١٢ الفا فقط عام ١٩٨١ ما نفع الأماكن المقدسة اذا بقيت دون سكان ؟ أتبقى متاحف سياحية ومعالم أثرية لجلب العملات الصعبة التي ينفقها السياح ؟ الأماكن الاسلامية في خطر أشد ؟ ففي عام ١٩٦٩ حاول أحد الاسرائيليين احراق المسجد الأقصى . وفي أيار ١٩٨٢ أطلق شخص آخر النار على المصلين في المسجد الأقصى فقتل عددا منهم وجود القدس في خطر يدلل عليه القرار الذي اتخذه مؤتمر اليونسكو العام الذي عقد في بلغراد عام ١٩٨٠ (رقم ٤/ ١٤)

قال المندوب الأمريكي اننا نتحفظ كثيرا على طرح هذه التوصية للتصويت ولكن اذا كانت الأكثرية ترى ذلك فليكن

تم التصويت على طريقة المناداة بالاسم كانت النتيجة ان ٤٩ صوتا أيدت التوصية بينما امتنع ٢٤ وفدا عن اعطاء رأي عارض التوصية مندوبا الولايات المتحدة واسرائيل فقط دول أوروبا العربية (باستثناء أسبانيا) امتنعت عن اعطاء رأيها بعد اعلان النتيجة طلب واينشتاين من رئاسة المؤتمر اعطاء احصاء بالدول الغائبة (لكي يظهر أن ٤٩ صوتا لاتؤلف أكثرية) أحد المندوبين العرب سأل الرئيس هل نؤلف نحن نصابا قانونيا أم لا ؟ رد الرئيس قائلا اننا بالفعل نؤلف نصابا قانونيا ، وقد أصبحت التوصية نافذة

عندما تم التصويت يوم ٥ آب كانت مقاعد عدد من الدول العربية خالية ، بسبب عودة اعضاء الوفود الى

دعا الاستاذ عبد العزيز حسين وزير الدولة ورئيس وفد الكويت في كلمته امام المؤتمر الى مقاومة الاستلاب الثقافي والقضاء على الذاتية الثقافية ودعا الى ضرورة تصحيح دور وسائل الاعلام لتكون وسيلة لتيسير التبادل الثقافي بين الشعوب لا أن تكون وسيلة لفرض ثقافة واحدة هي ثقافة الاقوياء على الثقافات الاخرى .

كما أيد وفد الكويت اعادة بعض الآثار التاريخية والفنية التي تسربت عن الكثير من البلاد وخاصة في دول العالم الثالث والذي تعرضت له في المرحلة الإستعمارية .

كما طالبت العديد من الوفود العربية بانقاذ تراث الشعب الفلسطيني ومساعدته على المحافظة على الشخصية الفلسطينية ، وطالبوا اليونسكو بأن تقوم بمسئوليتها في صون مدينة القدس وادراجها في قائمة التراث العالمي المهدد بالخطر ، والعمل على الحفاظ على التراث الفلسطيني .

وأيدت الوفود العربية صون التراث الثقافي وإحياءه ، باعتبار أن هذا التراث هو مظهر الأبداع الجماعي مما يؤكد الشخصية الاساسية لكل أمة ، وهو لايقتصر على الآثار التاريخية بل يمتد ويشمل الفولكلور والحرف والتقنيات والمهن التعليمية وأشكال العروض الفنية المختلفة والعادات الشعبية وأنشطة الألعاب الرياضية القديمة . وغيرها .

لادهم قبل اختتام المؤتمر

ومثلما أحرزت التوصية رقم ١٥ أغلبية الأصوات ، نال الأكثرية في اللجنة الأولى أجازت التوصية رقم ١٢٦ وعنوانها (الذاتية الثقافية وتراث الشعب الفلسطيني) ومن المؤسف أن معظم دول أوروبا الغربية اختارت أن تمتنع في الحالتين عن التصويت على الرغم من تعاطفها مع العرب (وخاصة فرنسا وايطاليا) وهنا لابد من الاشارة الى أن دولة زائير كانت الدولة الافريقية الوحيدة التي وقفت موقف المعارضة من القضايا العربية

كان الوفد الاسرائيلي في المؤتمر على مستوى جيد من الكفاءة الاختصاصية ، فقد كان برئاسة مدير عام وزارة التعليم والثقافة ، ومن بين أعضائه مندوبة اسرائيل لدى اليونسكو واستاذ في الجامعة ـ ووزير تعليم وثقافة سابق وقد كان هؤلاء يتابعون أعمال المؤتمر بيقظة ويردون على ما يرون ضرورة الرد عليه ، ولايتمكنون عن ترديد الاتهامات ضد العرب ـ بالباطل في أكثر الاحيان ، وفي الوقت نفسه يتجاهلون الحقائق التي تمس سمعتهم فقد كانوا يرددون دائما أن الأردنيين دمروا الحي اليهودي في القدس (وقد حدث ذلك في أثناء حرب ١٩٤٨ وبعد أن أصر اليهود على اتخاذ ذلك الحي قاعدة عسكرية) ، ولكنهم لم يجيبوا أبدا على القول انهم اغتصبوا ١٢ حيا عربيا في القدس وحدها ، ودمروا حي المغاربة في القدس القديمة (بعد انتهاء الحرب)وأزالوا من الوجود عشرات القرى العربية بجوامعها وكنائسها ومقابرها ومزاراتها

تفجرت في المؤتمر خلافات سياسية عديدة ، ألبسها أصحابها حلة ثقافية ومن جملتها نزاع العراق مع ايران ونزاع تركيا مع قبارصة اليونان ، ونزاع كوبا مع الولايات المتحدة

وقدمت للمؤتمر أكثر من مائتي توصية ، ومعظم التوصيات التي أجمعت الوفود على قبولها تؤكد على حرية الثقافة والفن وتشجيع المؤلفين وأصحاب المواهب ، وعلى حق جميع الأجناس والشعوب في ممارسة ثقافاتها ، دون تفريق في الجنس والعنصر والقومية

وأخيرا وليس آخرا ، يجدر التنويه بنشاط رجل قدير هو أحمد مختار امبو ، المدير العام لمنظمة اليونسكو ، ذلك النشاط الذي تجلى في الترتيبات الدقيقة للمؤتمر والسيد امو سنغالي كان يعمل أصلا في السلك الديلوماسي قبل أن يسحب لهذا المنصب .

وفي حديث له مع الصحافة عرفنا أنه مؤرخ ويدير عمله بروح المؤرخ من رأيه أن المؤرخ يجب أن يكون مستعدا لفهم أي وضع من أوضاع التاريخ ليس من منطلق موقفه الشخصي ، ولا من منطلق المجتمع الذي يعيش فيه ، بل من منطلق المجتمع الذي يدرسه المؤرخ يجب أن يتعامل مع كل الأزمنة ومع كل الشعوب عليه أن يتمثل مشاعر الفترة التي يدرسها ويتعرف عليها وعليه أن يبذل جهدا لكي يفهم الأشخاص على اختلاف ثقافاتهم

لقد حشدت منظمة اليونسكو أكثر من مائة موظف لكتابة كل ما يقال في المؤتمر علنا ، وليعملوا على ترجمته الى اللغات الست المعمول بها في اليونسكو وهناك آلات طباعة صغيرة لم ينته المؤتمر الا وكانت قد طبعت أكثر من مليوني صفحة وقال أحد الخبراء ان هذه الصفحات لو وضعت فوق بعضها البعض لارتفعت أكثر من عشرين مترا وكانت هناك آلات لتصوير الوثائق تصور ما يقارب ٢٠ الف صفحة يوميا وأصدر المؤتمر جريدة يومية (وقت الثقافة) باللغتين الانجليزية والفرنسية ، وكانت تنقل خلاصة ما يدور في المؤتمر من مناقشات وما يلقى فيه من خطب وقد أرسلت اليونسكو من باريس الى مدينة المكسيك ٦٠٠ صندوق كبير وزنها عشرة أطنان ، وتتألف من كتب ونشرات ووثائق وكان هناك ٤٨ مترجما ومترجمة ينقلون أقوال المتحدثين الى اللغات الخمس الأخرى وقد غطى هؤلاء المترجمون اجتماعات الهيئة العامة واللجنتين الأولى والثانية ولولاهم لما استطاع ذلك الحشد القادم من مختلف بقاع العالم وبلغاته المتعددة أن يتفاهم مع بعضه البعض لولاهم لكان المؤتمر بمثابة « برج بابل » حقيقي وقد لاحظت أن بعض المترجمين العرب لم يكونوا بالمستوى الضروري من حيث ضبط الالفاظ ونطق الحروف ، اذ سمعتهم يلفظون (الثقافة السقافة والنظرات النررات) و « الجميل القميل » ، مما لاتسمع مثله عند لفظ لغة أخرى

كان المؤتمر فريدا في بابه حقا وخير ما أختتم به أن أنقل ما كتبته محررة جريدة (وقت الثقافة) في أحد أعدادها

اذا كانت الكلمة أفضل سلاح للقضاء على الجهل ، فان جيشا سينطلق من ردهات هذا المؤتمر لكي يدافع عن ثقافة المجتمع البشري هناك يقف برج من الورق ، شاهدا صامتا على واحد من أعظم المجهودات الثقافية للانسان ■

عمان ـ الأردن ـ سليمان موسى

ما هو مستقبل البحث العلمي في وطننا العربي ؟

بقلم الدكتور / عبد العظيم أنيس

يحرني ويحزن الكثيرين من أمثالي من المشتغلين بالبحث لعلمي أن نجد مراكز البحوث والجامعات في الوطن لعربي لاتساير التطورات العلمية الرئيسية التي تحدث في وربا أو الولايات المتحدة اذا كانت هذه التطورات حديثة لعهد كأن تكون قد تحققت في السنوات العشر الماضية ثلا وأنا هنا أتحدث عن التطورات الرئيسية وليس أي طورات وقد كنت أظن أن عشر سنوات مدة كافية لكي ستجيب هذه المراكز البحثية لهذه الاكتشافات الجديدة على لاقل من باب الفهم والدراسة والنقد ، ولن أقول من اب التطوير والاضافة

ان مثل هذه الاكتشافات هي ثمرة ديناميكية لمجتمعات الصناعية المتقدمة ، ولذلك يبدو لي أنه الى ان تحول مجتمعاتنا من مجتمعات متخلفة صناعيا الى مجتمعات متقدمة فليس من المتصور أن تبدأ مثل هذه الاكتشافات عندنا

لكن يكون من الضروري على الاقل أن نتابعها ، وأن ترجم المؤلفات الاساسية التي تصدر في الخارج منها ، وأن عقد الندوات التعليمية في مراكز البحوث والجامعات لمناقشتها والقاء الاضواء على خفاياها وهذا يمهد للزمن الآتي حيث نستطيع أن نضيف ونطور ونكون بذلك من المساهمين في حركة البحث الدولية

هل هذا يحدث ؟

لا أعتقد أن شيئا من هذا يحدث في أي جزء من عالمنا العربي ، وأنا على الاقل واثق من أنه لا يحدث في مصر وسوف أضرب مثلين لتطورين أساسيين في مجال العلوم الرياضية وهو المجال الذي أعرفه جيدا ، لم أجد اهتماما في مصر بهما ، ولا شك أن هذا الوضع ينطبق في مجالات أخرى

نظرية الكارثة

منذ عودتي من الكويت منذ أكثر من عام وانا أسأ[...] مراكز البحوث في مصر إن كان هناك اهتمام بما يسمى [...] أوروبا « نظرية الكارثة » Catastrophe Theory

وهذه النظرية الجديدة هي ثمرة السنوات العشر الماض[...]

د أن ظهر أول كتاب عنها عام ١٩٧٢ للرياضي الفرنسي
يه توم وأهمية هذه النظرية أن تطبيقاتها تخرج عن
دود التقليدية للتطبيقات الرياضية في العلوم الطبيعية أو
ندسية الى تطبيقات في العلوم البيولوجية والطبية
لعلوم الاجتماعية ، بل في بحوث الحرب والسلام
ـذا السبب أثارت من الجدل والخلاف والصراعات
كرية ما أثارت بين العلماء في أوربا والولايات المتحدة
حتى اليوم مازال غبار هذه المعارك الفكرية عالقا في أجواء
حث العلمي هناك ، لكننا نحن لا ندري ، أو معمى أدق
يدري المتخصصون عندنا شيئا عن ذلك ، وربما لم
معوا أصلا بهذه النظرية ذاتها

ومن حق القارىء - مادام الموضوع قد أثير - أن أقول
مة عن هذه النظرية هنا حتى يعرف شيئا عن أهميتها

لقد تطورت العلوم الرياضية ابتداء من نيوتن حتى
سية العامة في ارتباط وثيق بالعلوم الفيزيائية والفلكية
اسا وهذه الحقيقة طبعت الاكتشافات الرياضية في
ال الأعم بطابع خاص هو قدرتها على وصف
يرات البطيئة والمتصلة وتحليلها مثل حركة الكواكب
نجوم الخ لكن الظواهر الطبيعية لا تحدث
ها على هذا المنوال فهناك الظواهر الطبيعية التي تحدث
أة كغليان الماء وذوبان الثلوج وحدوث الزلازل الخ
في العلوم البيولوجية نجد هذا السلوك المفاجىء
ظاهرة أساسية في كثير من المواقف ، ومثال ذلك الخلية
ي يمضي إيقاع تكاثرها بشكل عادي ثم فجأة تتضاعف
ضاعف بشكل سرطاني فاذا انتقلنا الى العلوم
جتماعية والسياسية فسوف نجد هذه التحولات الكيفية
ي تحدث بشكل مفاجىء ظاهرة ملموسة كانهيار
ورصة واندلاع الحروب وقيام الثورة الخ وفي
اتنا العادية نتحدث عن القشة التي قصمت ظهر البعير
ن أن نستطيع أن نصف هذه الظاهرة علميا

ان التقنيات الرياضية المتوفرة لم تكن قادرة على وصف
ذه التحولات الكيفية المفاجئة فضلا عن تحليلها لاسباب
ديدة منها كما أسلفنا أن العلوم الرياضية نشأت في حضن
علوم الطبيعية وتأثرت اكتشافاتها الى حد كبير بهذه
حقيقة ومنها أن مثل هذه التحولات المفاجئة في حاجة
رمزية رياضية غير الرمزية التي تعودنا عليها

لماذا لا نهتم ؟

وكما يقول الأوربيون المتخصصون ، في البدء كان

رينيه توم ، العالم الرياضي الفرنسي العبقري الذي أصدر أول كتاب عام ١٩٧٢ باسم « الاستقرار البنيوي والتكوين التشكيلي » وكان حلمه الأساسي هو أن يطوع العلوم البيولوجية رياضيا أي يبني نماذج رياضية تصف الظواهر البيولوجية الأساسية وتقوم بتحليلها ولقد استخدم رينيه توم نظريات الرياضي الفرنسي الاشهر بوانكاريه عن الانظمة الديناميكية ، لكن كتابه كان مع ذلك مثالا في المفاهيم والتصورات الجديدة والبناء الفكري الفذ

ومع ان رينيه توم لم يكن مشغولا بالعلوم الاجتماعية أو السياسية ، فقد كان طبيعيا أن يندفع كثير من علماء الاجتماع والسياسة نحو هذه الفرصة الذهبية للاستفادة منها لقد سمى رينيه توم هذه التغيرات المفاجئة بالكوارث لان كلمة « كارثة » في اللغة الفرنسية هي القادرة في رأيه على اعطاء هذا الشعور بالتغير المفاجىء الدراماتيكي لكن بعض ايحاءات هذه الكلمة في كثير من التطبيقات مضلل ، لكن لا حيلة لنا في هذا فمنذ تسمية رينيه توم أصبح الموضوع معروفا ودوليا باسم « نظرية الكارثة » والكوارث بالمناسبة تنقسم رياضيا الى نوعين الكوارث الاولية والكوارث العامة !

ولاشك ان لمثل هذه النظرية آثارا هامة على تطور علم المنطق ولا سيما الرياضي ، وهو الذي انحصر معظمه حتى اليوم في المنطق الأرسطالي ، ويحق لنا أن نتوقع استيعابا رياضيا جديدا للمنطق الجدلي الذي بدأ على يد هيجل

والغريب ان معظم تطبيقات نظرية الكارثة (والتي لاتثير خلافا) هي في العلوم الطبيعية والهندسية وليست في العلوم الاجتماعية أو البيولوجية وكثيرون يعتقدون أن هذا هو المتوقع الى مستقبل قريب ، وأن الاستخدام الناجح والواسع لهذه النظرية في العلوم البيولوجية هو أمر يتعلق بالمستقبل المتوسط وبعد هذا ، وبعد هذا فقط يمكن أن نتوقع التطبيقات الناجحة في العلوم الاجتماعية وليس هذا هو رأي الجميع على اي حال ، ويكفي ان نشير الى محاولة علماء رومانيا بناء نموذج رياضي باستخدام نظرية الكارثة لوصف مشكلة الصراع بين المعسكر الرأسمالي والمعسكر الاشتراكي من ناحية ، وبين الدول الفقيرة والدول الغنية من ناحية أخرى

فهل نحن مهتمون في الوطن العربي بهذا التطور العلمي الكبير بتطبيقاته المترامية ؟

في حدود علمي لا اعرف مركزا بحثيا في العالم العربي

مهتما بدراسة وتوسيع دائرة النقاش حوله في المجالات المختلفة وسوف يسعدني جدا أن يثبت أنني مخطيء !

أما المثال الثاني على النوم الذي تغط فيه مراكز بحوثنا فيتعلق بمجال أكثر تخصصا لكنه لا يقل اهمية وهو محاولة للنفاذ الى أسس العلوم الرياضية ويعرف باسم « التحليل غير القياسي » وقد بدأ هذا التطور في الولايات المتحدة أيضا منذ حوالي عشر سنوات على يد رياضي أمريكي يدعى ابراهام روبنسون ، لكنه سرعان ما أخذ أبعادا جديدة وعقدت من أجله ندوات عديدة في أوروبا والولايات المتحدة

ولست أنوي أن أرهق القاريء بشرح معنى هذا التحليل غير القياسي ، لكن يكفي أن اقول ان هذا التطور يثير قضايا فلسفية كثيرة فضلا عن أنه يقدم براهين بسيطة لنظريات رياضية سبق برهانها بأساليب معقدة تماما

أزمة الاتصال الدائم

هذان إذن مثالان على تطورين أساسيين في العلوم الرياضية وقعا في السنوات العشر الاخيرة لا يجدان لهما صدى في الوطن العربي حتى اليوم في دوائر البحث العلمي ولا بد أن تكون العلوم الاخرى حافلة بأمثلة من نفس النوع والمشكلة ليست هي انعدام الباحث العربي المهتم ، وانما هي مشكلة توفر الاتصال الدائم بيننا وبين مراكز البحوث في الخارج ، وتوفر المكتبات المليئة بالمراجع العالمية الحديثة ، وتوفر الوقت الكافي للأكاديميين للانصراف لمثل هذا العمل الجليل بدلا من الجري وراء لقمة العيش !

حكى لي صديق مصري يعمل أستاذا في الجامعة كمتخصص في علوم الكمبيوتر أنه عندما سافر في الصيف الماضي لحضور أحد المؤتمرات العلمية دار بينه وبين أستاذ إنجليزي من نفس تخصصه نقاش استطرد الى التعرض لما هو معروف الآن باسم « النماذج العالمية » التي بدأت على يد « نادي روما » واستخدم فيها الكمبيوتر استخداما واسعا ، وقال لي الاستاذ المصري انه فوجيء بأن الأستاذ الانجليزي على علم دقيق بالنماذج المختلفة التي استخدم الكمبيوتر فيها ، بينما لم يكن هذا الاستاذ المصري قد سمع بنادي روما أصلا !

الى متى يستمر هذا ، ومتى نفيق من الكارثة العلمية التي نعيش في ظلالها ؟

د عبد العظيم انيس

ضاع وضاء

حكي بعض الشعراء أنه دخل على بعض الخلفاء فوجده جالسا والى جانبه جارية سوداء تدعى خالصة ، وعليها من الحلي والمجوهرات ما لا يوصف ، فصار الشاعر يمتدحه وهو غافل عن سماعه ، فلما خرج كتب على الباب :

لقد ضاع شعري على بابكم
كما ضاع در على خالصة

فقرأه بعض حاشيته واخبر الخليفة به ، فغضب ، وامر باحضار الشاعر ، ولما وصل الى الباب مسح العينين من لفظتي « ضاع » و « ضاع » واستبدل بهما همزتين ، فلما احضر بين يديه قال له : ما كتبت على الباب ؟ قال كتبت :

لقد ضاء شعري على بابكم
كما ضاء در على خالصة

فعفا عنه

■ كيسنجر كان دائم الكذب على الرؤساء العرب ، وهم يعرفون ذلك

الرئيس الامريكي جيمي كارتر

■ الساحة الفلسطينية تعرف نمطا فريدا من الديمقراطية ، هو ديمقراطية البنادق

ياسر عرفات

■عندما تهان الكرامة العربية فلا بد من الرد بالمثل ، لا أستطيع أن أقول متى . . ؟ ولكن الرد سوف يأتي يوما ما

الملك فهد بن عبد العزيز

■نحتاج إلى سبعين سنة لمحو الأمية في الوطن العربي

د محمد العمادي

رئيس الصندوق العربي للانماء

■ إذا جاء حزب العمال إلى الحكم فلن يغير شيئا من سياسة إسرائيل التوسعية

المستشار النمساوي كرايسكي

■ لقد ساهمنا نحن العرب في حرب بيروت بتقديم القتلى الأسرياء فقط ، وعند هذا الحد توقف دورنا !

أحمد بهاء الدين

■ ليس هناك إلهام في الشعر ، وإنما هناك جهد وعلاقة جدلية مع النفس والحياة والناس والتاريخ والزمان

الشاعر اليمني عبد الله البردوني

■ من حسن حظ الانسان أن يجد في هذا الزمن العربي المزدحم بالسماسرة والمقاولين ، والمحررين ، كرسيا يجلس عليه ، وورقة يبكي على صدرها .

نزار قباني

هذه الحركات قادرة على هدم مالاتريد ،

لكنها عاجزة عن اقامة ما تريد .

الحركة المهدية

دروس التجربة بعد مضيّ مائة عام

بقلم الدكتور : محمد جابر الأنصاري

عام ١٨٨٢ ـ أي قبل مائة سنة على وجه التحديد ـ كانت الثورة الاسلامية المهدية في السودان تستأثر باهتمام العالم العربي الاسلامي ، واهتمام القوى الكبرى المتنافسة على حد سواء فقد كان انبثاقها وانتصاراتها الكبيرة المتلاحقة ـ في زمن الهزائم والتراجعات الاسلامية أمامَ الغرب ـ مدعاة دهشة ومثار عجب واعجاب للعرب والمسلمين أنفسهم قبل غيرهم

فقد أثبتت هذه الثورة ، كما يقول الباحث درموند ستيوارت في تأريخه للشرق الأوسط الحديث « ان الاسلام يستطيع دون مدافع حديثة ، أو خطوط برق ، أن يكون في القرن التاسع عشر قوة لاتقاوم ، كما كان في القرن السابع »

وقد مر الآن قرن كامل على الثورة المهدية ، هذه الثورة يمكن أن نعتبرها بمثابة « النموذج » المبكر لمختلف الحركات الاسلامية الجماهيرية التي شهدها ويشهدها الاسلام الحديث ، منذ أن جابه تحدي الحضارة الغربية واستعمارها ، في غمرة استفاقته على ضعفه الداخلي وأزمته الذاتية ، وسعيه للتعويض عن ذلك

والحديث اليوم عن الثورة المهدية ليس فقط حديث ذكرى « كما أنه لايخص تاريخ السودان وحده »

ان الحديث عن هذه الثورة اليوم هو حديث دروس وعبر ، وحديث خلاصات تاريخية مفيدة بالنسبة للدارسين والمهتمين بالظاهرة الاسلامية المعاصرة على اختلاف اتجاهاتهم ومشاربهم ، وعلى الأخص فيما يتعلق باكتشاف نقاط الأضواء والظلال ، وجوانب السلب والايجاب ، والنجاح والاخفاق ، في مجمل مساراتها وتوجهاتها

ذلك أن استخلاص الدروس الكاملة ـ سلبا وايجابا ـ من تاريخ الثورة المهدية في بدايتها ونهايتها ، بدايتها الرائعة ونهايتها المحزنة ـ يمثل في نظرنا الخطوة الأولى لفهم وتقييم الظاهرة الاسلامية في ساعتها الراهنة ، ويدخل في صلب هموم المعاناة العربية الاسلامية التي يتمخض بها عالمنا العربي الاسلامي في هذه الأيام بكل الألم والاحباطات والتطلعات التي تكتنفنا ، خاصة وأن الثورة المهدية لم تبق حركة معارضة ، وانما أقامت سلطة ودخلت تجربة الحكم أو بالأحرى محرقته !

فكيف تبدو لنا دروس الثورة المهدية وعبرها بعد ما

بيت المهدى بمدينة الخرطوم

سنة وفي مرحلة مماثلة ـ الى حد كبير ـ لمرحلتها القاسية من حيث تفاقم التحديات والاعتداءات الخارجية ، واستشراء الضعف الداخلي ، وعودة الاسلام الشعبي الجماهيري ، والسلفي الأصولي للرد على حالة التقهقر ، باسلوب مماثل ؟؟

التحدى بفكرة المخلص

قامت الحركة المهدية في السودان كردة فعل لوقوع شمال وادي النيل تحت الاحتلال البريطاني المباشر وفشل انتفاضة أحمد عرابي بمصر عام ١٨٨١ ، بحيث أصبح جنوب الوادي أيضا لقمة سائغة أمام القوة المحتلة ولكن جذور هذه الثورة تعود الى ما هو أعمق من ذلك

فقد كان هناك التحدي الحضاري الغربي للاسلام على مستوى العقائد والأفكار والمنتجات الحديثة

وكان هناك التحدي السياسي العسكري المحدق بديار الاسلام من جميع الجهات وكان هناك الاستغلال الاقتصادي الذي وصل الى الأراضي السودانية البكر ، ذاتها ، متمثلا في المغامرين الأوروبيين وعملائهم من باشوات الأتراك والمحليين الذين انصب استغلالهم على الجماهير مباشرة وأشعرها بالتسلط والقهر

وبالاضافة إلى ذلك كان هناك الانحطاط والفساد المستشري في أوصال الدولة العثمانية التي أخذت ـ عبثا ـ تطرح صيغة اصلاحية تحتاجها العصر ، وأجهضها الانحلال الساري في الكيان العام للدولة ونظمها ، فابتعدت عن جوهر الاسلام ، ولم تعد قادرة على مجابهة تحديات العصر ، ولا على الوصول الى الجماهير المسلمة في آلامها وتطلعاتها الحقيقية

ثم جاء الاخفاق السياسي للنخبة الفكرية التوفيقية متمثلة في جماعة الافغاني ومحمد عبده ، وللنخبة العسكرية الاصلاحية متمثلة في جماعة أحمد عرابي ، ليؤكد الحاجة الى تحرك جديد من نوع آخر تحرك جماهيري واسع يلجأ الى « الايدلوجية » الشعبية الاسلامية باعتبارها الايدلوجية الوحيدة القادرة على تحريك الجماهير ، ودفعها للعمل والاستشهاد والتصدي والرد خاصة في أوقات النكبات والهزائم ، والانهيارات الكبرى عندما تصل حربة التحدي المعادي الى صميم الوجود الاسلامي في العمق

ولم تكن المدن العربية الكبرى وأقاليمها المركزية الواقعة مباشرة تحت وطأة الاحتلال الغربي أو التركي مهيأة أو قادرة على هذا النوع من التحرك ، بعد أن أخفقت فيها المحاولات الاصلاحية الوسطية ، وانتهت بالوقوع تحت السيطرة الاجنبية المباشرة

لذلك فان أقاليم الأطراف هي التي تصدت لتوليد حركات المقاومة العنيفة للتعويض عن سقوط الحواضر الاسلامية المركزية ولقد كان جنوب وادي النيل ، بحكم هذه الظروف مجتمعة ، احدى الساحات الأكثر اخصابا وتقبلا لهذه الحركة الجماهيرية المتسلحة بالأفكار الدينية الاصولية المبسطة ، والقائمة على روح التقشف والجهاد ، باسلوب الحسم ورفض الحلول الوسط

اعتمدت الحركة على فكرة ظهور « المهدي » ـ وهي الفكرة التي ظلت تراود الجماهير المسلمة ـ على اختلاف مذاهبها ـ منذ عصور الاسلام الأولى ، معبرة عن توقها لرجل الخلاص المنتظر ونظامه المثالي العادل الذي سيقيمه

للمؤمنين الفقراء ، ليملأها عدلا بعد أن ملئت ظلما

وتنبثق من فكرة ظهور المهدي دعوة الجهاد العام ، ودعوة التقشف والزهد والتصوف ، ونبذ حياة اللهو والترف ، ومحاربة المترفين ، وتكديسهم للثروات ، والعمل على اقامة العدل الاجتماعي بين الكافة

وهذه التوجهات تعني أن الحركة وان اتسمت بالطابع الصوفي الديني ، لكنها مرتبطة ارتباطا وثيقا بالعوامل الاجتماعية الاقتصادية الفاعلة في حياة الجماهير ، شأنها في ذلك شأن معظم الحركات الدينية ذات المنشأ الاجتماعي التي دخلت معترك السياسة في تاريخ الاسلام

يقول المؤرخ المستعرب فلاديمير لوتسكي في الربط بين الناحيتين « وفي آخر المطاف أدت مواعظ محمد أحمد (المهدي) المنطلقة من مقدمات أخلاقية ودينية الى نضال وطني تحرري وطبقي ، وكانت ثمرة كافة الظروف الاقتصادية والسياسية القائمة في البلاد »

ما أنجزته الثورة

هذه الحركة الجماهيرية الروحية الفاعلة في ميدان الواقع السياسي الاجتماعي ، والمتفاعلةمعه ، أنجزت في بدايتها النتائج التالية :

○ أولا : استطاعت الجماهير الفقيرة بأسلحتها البدائية تحقيق انتصارات حاسمة ضد جيش الاحتلال المتفوق عليها تنظيما وتسليحا ، ووقعت معظم مدن البلاد وأقاليمها تحت سيطرة قوات الثورة ، بما في ذلك العاصمة ، وقتل الثوار أكبر قائدين استعماريين أرسلا لاخمادها وهما هيكس باشا والجنرال غوردون اللذان كانا يتمتعان بشهرة عسكرية عالمية في وقتها

مثل هذه الانتصارات لم يستطع تحقيقهاجيش عرابي بنخبته العسكرية - المفتقرة الى تنظيم جماهيري فاعل ، كما لم تستطع تحقيق شيء منها جيوش السلطان العثماني رغم ما مر بها من اصلاح وتحديث

كان شيئا جديدا مدهشا : أن تنتصر جماهير فقيرة متواضعة التسليح على قوات عصرية تسيرها أقدر القوى العالمية في ذلك الوقت وهي بريطانيا العظمى وإداراتها الاستعمارية بمصر

بل ان قوات الثورة كانت تدمر قوات الغزو تدميرا تاما وتبيدها ابادة كاملة حملة بعد حملة وهجوما بعد آخر .

(هذا الدرس يجب ألا يقتصر على زمانه : فهذه التجربة يمكن أن تعيدها الجماهير العربية المسلمة ضد جيش الاحتلال الاسرائيلي في أكثر من جبهة عندما تتوفر ظروف المواجهة الحقيقية بين الجانبين)

○ ثانيا : استطاعت الثورة أن تحبط أول مناورة سياسية تعرضت لها وأن تسقطها تماما ، وذلك عندما رفضت الخدعة البريطانية القائمة على التظاهر بمنح السودان استقلاله عن مصر ، والاعتراف به ككيان منفصل تتعامل معه الدولة البريطانية مباشرة وذلك في محاولة من الانجليز لالقاء كل اللوم على فساد الادارة المصرية في السودان والتستر على أبعاد المخطط الاستعماري الشامل الذي هو السبب الحقيقي لفساد الوضع

وردت الثورة على ذلك بتعميق التحالف بينها وبين القوى الوطنية المصرية ، حتى أن فرقا عسكرية من الجيش المصري - من بينها فرق مدفعية - وجدها الانجليز تقاتل في صفوف الثورة ! بدل قيامها بمهمتها « الرسمية » الموكلة بالقتال الى جانب الانجليز !

ثالثا : بعد الانتصار السياسي والعسكري ، أي بعد اسقاط النظام القديم ، بدأت الحركة تسعى لاقامة معالم المجتمع الجديد المنشود الذي بشرت به : ونجحت في البداية في تحديد بعض معالمه الهامة

يقول المؤرخ لوتسكي : « كانت الدولة المهدية » تتسم في باديء الأمر بطابع ديمقراطي ، اذ كان الجيش يتألف من الفلاحين والبدو الرحل ، والأرقاء . وشغل مناصب القيادة فيه أبناء الشعب . وقد خفضت الضرائب تخفيضا كبيرا . ومارس الضباط وموظفو الدولة الزهد والتقشف كنموذج لحياتهم . وكان رئيس قضاة الدولة المهدية يتناول ٤٠ تاليرة شهريا ، أي ما يعادل متوسط راتب الصانع الحرفي . وناهض المهديون الاثراء الفردي وسعوا الى المساواة العامة ، وعاقبوا أولئك الذين يهبون ويسلبون عقابا شديدا ، وفرض المهدي على أتباعه تقديم الأشياء الذهبية والثمينة الى بيت المال الذي كان يشرف على الحياة الاقتصادية في البلاد ، و سمح بذبح خروف واحد فقط من أجل مآدب الأعراس ، وخفض المهر الى ١٠ تاليرات » - (راجع لوتسكي ، تاريخ الأقطار العربية الحديث ، ص ٣٠٥)

هذه التجربة « الخطيرة » والخارجة على المألوف ، لا تتسامح معها بطبيعة الحال أية قوة دولية أو أي نظام اقليمي آخر . فقد كان استمرارها يعني أشياء كثيرة في مقدمتها قلب مجرى التاريخ في المنظمة الاسلامية العربية رأسا على

كانت القوى الكبرى منهمكة حينئذ في تصفية الكيان الاسلامي الهرم المتمثل في الدولة العثمانية لوراثة تركته ، ولم يكن من المنتظر أن تتسامح مع كيان اسلامي جديد صاعد يعيد الحيوية والشباب الى روح الاسلام ويدفع الجماهير الى المقدمة في ساحات القتال « لتهزم جيوش الرجل الأوروبي الأبيض !

لذلك بقيت الدولة المهدية طوال عمرها البالغ ١٣ سنة (حتى عام ١٨٩٨) ـ عبارة عن « معسكر مسلح محاط بالاعداء من كل جانب ومعرض للحصار بصورة متواصلة ، وكانت مهمتها الرئيسية تنظيم الدفاع ، ولهذه الغاية شيد الخليفة عبد الله (خليفة المهدي) ترسانات بدائية ومعامل ودورا لبناء السفن ، كما أصلح السفن التي حصل عليها كمخلفات حتى أنه شيد دارا للطباعة ولتنظيم الجيش والصناعة الحربية استخدم الأسرى الأوربيين كاختصاصيين » ـ (انظر لوتسكي ، ص ٣٠٤ ـ ٣٠٥)

السقوط في الداخل أولا

ولكن برغم شراسة قوى الخصم ، فان الدولة المهدية لم تسقط من الخارج وانما سقطت قبل ذلك من الداخل ، ثم تم الاجهاز عليها من القوى الخارجية المتربصة

وهنا نصل الى جوهر الدرس الذي ينبغي استيعابه والتفكير فيه مليا من جانب جميع المهتمين بالظاهرة الاسلامية الحاضرة فأين بدأ القصور والخطأ في تجربة الدولة المهدية وانتهى بهذه التجربة الاسلامية المتميزة الى الاجهاض ؟؟

يمكننا اجمال الاجابة في العوامل الحاسمة التالية ـ

أولا ان التجربة المهدية افتقرت الى برامج حكم دقيقة والى غايات وأهداف واضحة محددة بعد تسلم السلطة والى تكتيك تفصيلي لمواجهة الأعداء والى خطط مرسومة لخوض معركة البناء . بناء الدولة والمجتمع والمؤسسات الجديدة وكان الطابع العفوي يغلب على نشاطها وغني عن البيان أن الافتقار الى برنامج عمل محدد كان القاسم المشترك بين الحركات الدينية وما يزال حتى يومنا هذا فيما نرى حولنا من تجارب فاذا لاحظنا أن معسكر الخصم يعتمد أدق الخطط والتكتيكات للقضاء على هذه الحركات التي تمتلك خطط المواجهة ، أدركنا مدى الفارق بين الجانبين في هذا المجال ، وهو فارق لابد أن يعكس نفسه آجلا أو عاجلا على ساحة المواجهة مهما كانت تضحيات الجماهير مكثفة وهائلة لأن هذه التضحيات والطاقات لاتصب في قنوات منظمة ، وانما تذهب حيث يجب ألا تهدر .

ثانيا لغياب الرؤية الاستراتيجية وبرامج العمل ، تنشق الثورة ـ كما يحدث في الأغلب الى تيارين محافظ وثوري ـ الأول يريد امتيازات جديدة والتحول الى دولة تقليدية منتقيا من الحجج الدينية ما يلائم توجهاته ، بينما يستمر الثاني باحثا برومانسية عن الحلم الضائع في اقامة النظام الجديد المأمول ويستمر الصراع لفترة بين التيارين ، ويأخذ التيار المحافظ زمام المبادرة لأنه أقرب بميوله ومصالحه الى بقايا المجتمع القديم الذي كان يفترض تغييره ولكن لاتتغير سوى الأسماء ويبقى الأرقاء الذين حاربوا مع الثورة أرقاء يعيشون على وعد الحرية ، ويسود قانون الارهاب والعنف الدموي غير المبرر بين أطراف الثورة ذاتها ، ويبتعد شيئا فشيئا حلم الديمقراطية ومعه حلم العدالة ولا يبقى غير كابوس الحصار في الداخل والخارج

ثالثا · سرعان ما تستنفد الثورة بعد أن تصبح نظاما ودولة رصيدها المتألق الذي حققته عندما كانت في مرحلة المعارضة ، فتذبل الاحلام الكبيرة ، ويبدأ الواقع المرير الذي عجزت القيادة عن التعامل معه في فرض نفسه ، فتنكفىء الثورة على نفسها ولا تعود نموذجا مشعا قابلا للتأثير في الأقطار الأخرى فتبدأ القوى الحليفة لها في التخلي عنها وتهبط الهمم ويجد المعسكر الآخر فرصته السانحة لاحكام الحصار حولها في اقليمها الأصلي دون أن تتمكن هي من الرد بفتح جبهات أخرى ومما يلفت النظر أن الامام محمد عبده ، رغم معارضته لأسلوب العنف الثوري في التغيير ، فكر جيدا في الالتحاق بالمهدي ، والانضمام الى الثورة ليدعو من هناك بقية الاقطار الاسلامية الى الالتحاق بركبها ، ولكنه عدل عن ذلك فيما بعد عندما رأى سرعة التباعد بين الواقع والمثال في مسار الحركة ولا شك أن أية حركة اسلامية تصاب بالتعثر في موقع انطلاقها تقضي على نفسها بالتقوقع والتحول الى حدث محلي ، ولا تعود قادرة على استخدام ساحة المواجهة الشاملة ضد الخصم في مختلف الجهات والأقطار

رابعا هذا العامل هو أهم وأقوى عوامل القصور التي أدت الى اجهاض التجربة وسائر العوامل التي ذكرناها تتفرع منه وتعود اليه وقد وضعناه في هذا الموضع ليكون بمثابة خلاصة النقد والتقييم لهذه الحركة هذا العامل يمكن أن نطلق عليه عامل الافتقار الى الحداثة، أو العامل

الحضاري » فلقد ظل فكر الحركة سلفيا خالصا ونقليا حرفيا ، ولم يستوعب روح العصر وجوهر التقدم ، باستحال عليها خلق عناصر وطنية عصرية متحضة لبناء الدولة ورسم برامجها وتلبية احتياجات المواجهة ضد الخصم التكنولوجي المتقدم هذا القصور يتضح بجلاء اذا علمنا انها اضطرت للاعتماد على خبرات أسراها الأوربيين في شئون الدفاع وقد كان هذا مقتلا لها ، لأن هؤلاء الأجانب اعتمدوا أساليب التخريب والتعطيل المتعمد على نطاق واسع في المعامل الحربية والسفن والانشاءات ـ كما أكدوا ذلك في مذكراتهم فيما بعد

وهذا مصير أية دولة ناشئة تعتمد على الخبراء الأجانب في هذه الناحية الحيوية من وجودها

استيعاب روح العصر

إن إخفاق الحركات الدينية في استيعاب روح العصر والتقدم سيظل العامل الأكبر في عجزها عن بناء نظامها ومجتمعها المنشود لأن الافتقار إلى امتلاك ناصية العقل الحديث والعلم الحديث ومقوماتها الأساسية ، يؤدي الى عدة نتائج قاتلة لأية حركة سياسية تجابه تحديات العصر ، فهذا الافتقار يحول دون رسم برامج العمل الضرورية لسير الحركة ، كما لاحظنا ـ خاصة بعد أن تتسلم الحكم ، كما يحول دون فهمها للاستراتيجيات الدولية المحيطة بها ، وتكتيكاتها المتشابكة التي هي نتاج العقل الحديث أيضاً ، أضف الى ذلك ما يؤدي إليه الافتقار للحداثة من عجز عن خلق العناصر والمؤسسات العلمية المنتجة التي لا يمكن أن تقوم وتستمر بدونها دولة في العصر الحديث

وكل هذه المقومات افتقدتها الحركة المهدية لابتعادها عن استيعاب جوهر العقل الحديث وحضارته الحديثة وما يتفرع عنهما من فكر سياسي

وربما أمكننا التعرف الى « نوعية » فكرها السياسي لو قرأنا هذه السطور من منشور عام وجهه المهدي الى الجماهير « أخبرني سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بأن الله جعل لي على المهدية علامة وهي الخال على خدي الايمن ، وكذلك جعل لي علامة أخرى تخرج راية من نور ، وتكون معي في حالة الحرب يحملها عزرائيل عليه السلام ، فلا يلقاني أحد بعداوة إلاّ خذله الله وليكن في معلومكم اني من نسل رسول الله ، فأبي حسني من جهة أبيه وأمه ، وأمي كذلك من جهة أمها ، وأبوها عباسي والعلم لله ان لي نسبة الى الحسين

أما طريقة انتقال السلطة في الدولة المهدية فقد تقررت على النحو التالي في غياب مبدأ الشورى كانت آخر كلمات المهدي لأتباعه « ان النبي صلى الله عليه وسلم اختار الخليفة عبد الله الصديق خليفة لي وهو مني وأنا منه . فأطيعوه ما أطعتموني »

والملاحظ أن الحركات الدينية بقدر ما تقدم من تضحيات مدهشة في مجال الجهاد والعمل الشعبي لانجاح الثورة وإسقاط النظام القديم ، بقدر ما تكون عاجزة بعد ذلك عن تقديم منجزات حقيقية ملموسة للجماهير ، وعن إقامة اسس ثابتة مستمرة للنظام الجديد المنتظر ، الذي يطول انتظاره ، ولا يأتي ، حتى تفقد الجماهير أملها في اقترابه ، وتبدأ في انتظار مهدي آخر أو مرشد آخر يأتيها بعد قرن آخر ، وهكذا في سلسلة تاريخية متوالية تتصف دائما بروعة الاستشهاد لكنها تفتقر الى قدرة البناء

ولقد لفتت هذه الظاهرة المتكررة المفكر فردريك إنجلز عندما تحدث عن الثورة المهدية في زمنه ولاحظ كيف أنها قاومت الانجليز بنجاح ثم أخفقت في تثبيت نظامها الجديد ونقض العلاقات الاجتماعية القديمة ، شأنها في ذلك شأن ما سبقها من حركات مشابهة

ولو أردنا أن نلخص بإيجاز على ضوء التجربة المهدية أزمة الحركات الاسلامية في العصر الحديث لقلنا بإيجاز ان هذه الحركات قادرة على هدم ما لا تريد ، لكنها عاجزة عن إقامة ما تريد فهل ستتمكن يوماً ما من كسر هذه الحلقة المفرغة ؟

ذلك هو السؤال الذي يواجهها

وذلك ما تطرحه الحركة المهدية في ذكراها المئوية

وأيا كانت مصاعب التجربة وإحباطاتها ، فان ما يبقى لنا من الذكرى حيا موحيا هو قدرة الجماهير المدهشة على مواجهة هيكس باشا والجنرال غوردن وكل القوى التي يمثلانها في تلك الحقبة

وهي ذكرى نحتاج إلى عبرها في وقت تواجه فيه عناصر شريفة ، قليلة العدد ، من أمتنا ، مناحم بيغن وأريل شارون وكل القوى التي يمثلانها في معركة طويلة لا غنى لها عن الاستفادة من كل عبر التجارب الماضية ودروسها القاسية ووميضها الرائع ○

باريس د محمد جابر الانصاري

تجربة فرنسا الاقتصادية بين المصالح والمبادئ

بقلم الدكتور حازم الببلاوي

يبدو أن المزاج السياسي والاقتصادي يمر في دورات متعاقبة ، وأن عقد الثمانينات يمثل عقد المحافظين واليمين فرونالد ريغان يكتسح كارتر ببرنامج يطالب بالعودة الى نظام الحرية الاقتصادية ومحاربة تدخل الدولة ، وقبله بقليل جاءت مسز تاتشر ممثلة لأكثر أجنحة حزب المحافظين تشددا ومنذ أسابيع قليلة سقط التحالف الاشتراكي في المانيا الاتحادية مفسحا الطريق أمام الديموقراطيين المسيحيين بعد غياب استمر أكثر من ثلاثة عشر عاما وهكذا يبدو أن المزاج العام السائد في معظم دول العالم أقرب الى المحافظين واليمين وقد انعكس ذلك على أهداف السياسات الاقتصادية فالاستقرار وليس النمو هو الهدف ، كما أن مكافحة التضخم قد علت على اعتبارات البطالة وحل شعار « القانون والنظام » محل شعارات « المجتمع العظيم » و « الآفاق الجديدة » ، وسيطرت نغمة التشاؤم على الآمال المتفائلة والتي سادت في الستينات

ولعل ذلك يرجع الى تغير الظروف الاقتصادية الدولية فمنذ نهاية الحرب العالمية الثانية وحتى منتصف الستينات عرف العالم أكثر فترات الازدهار الاقتصادي والتي تمثلت في معدلات مرتفعة في النمو مع استقرار كبير في الأسعار فالدول الصناعية عرفت ـ وبشكل مطرد ـ معدلات للنمو تراوحت بين ٤ ـ ٥ ٪ سنويا مع ثبات كبير في الأسعار حيث لم يتجاوز معدل التضخم ٣ ـ ٦ ٪ حسب الدول كما أن الدول النامية حققت بدورها معدلات تاريخية للنمو تتراوح بين ٦ ـ ٨ ٪ واستمر ذلك لحوالي عقدين من الزمان

وانقلبت الآية

ومنذ نهاية الستينات وخاصة مع بداية السبعينات انقلبت الآية فتراخى معدل النمو الى ١ ـ ٢ ٪ وكان سلبيا في بعض السنوات وارتفعت الاسعار حتى جاوزت ١٥ ـ ٢٠ ٪ في دول عرفت بالاستقرار وبلغ التضخم في دول أمريكا اللاتينية ١٤٠ ـ ٢٠٠ ٪ وهكذا بدأ العالم الثمانينات وجو الأزمة يغلب عليه ، وتعلمت عريزة « البقاء » عو [illegible] عة في « التقدم » ، وأصبح الهاجس الأكبر هو [illegible] المحافظة على النظام والحيلولة دون الكارثة وهو [illegible] تغلب فيه الدعوات « المحافظة » والرجوع [illegible] لنظر الى المستقبل فعادت قوة التيارات المحافظة واليمينية واستردت الاتجاهات الدينية قوتها في عدد غير قليل من الدول النامية

وفي هذا الجو العام جاءت الانتخابات الفرنسية في بداية الثمانينات استثناء من الاتجاه العام فبعد أكثر من اثنين وعشرين عاما من حكم الديجوليين وحلفائهم ، جاء ميتران الاشتراكي ونجح الحزب الشيوعي في الحكم ولأول مرة منذ تجربة ١٩٤٧ وهكذا بدا أن فرنسا الا[illegible] تسير في اتجاه معاكس للاتجاه العالمي

● « شيفمون » وزير الصناعة الجديد في فرنسا

ومع ذلك فيبدو أن الاتجاه العام أقوى من برامج الاحزاب. فسياسة فرنسا الخارجية تكاد تصنعها مع الاتجاهات الأكثر محافظة. حقا ان فرنسا تساعد حركات التحرر في السلفادور ، ولكنها في القضايا الأكثر جدية تقف أقرب الى السياسة الامريكية. فالحكومة الفرنسية الاشتراكية أكثر حماسا لحلف الأطلنطي من الحكومات السابقة ، وأشد معارضة للاتحاد السوفييتي في بولندة وأفغانستان. وهي أكثر ميلا لاتفاقات كامب ديفيد وأكثر تنسيقا مع الحكومة الأمريكية في سياستها في الشرق الأوسط ولبنان.

واذا انتقلنا الى السياسة الاقتصادية الداخلية فان تحولا هاما يبدو أنه يتم الآن. ففي خلال العام الأول من حكم الاشتراكيين وعندما كانت الوعود الانتخابية ما زالت ماثلة في الأذهان ، فان السياسة الاقتصادية قد أخذت ببعض الاتجاهات التوسعية مثل زيادة الاجازات المدفوعة وبعض مزايا التأمينات الاجتماعية. كذلك لجأت الحكومة الى بعض التأميمات ، ولكنها حرصت على أن تكون في حدود الحد الأدنى الوارد في البرنامج المشترك للانتخابات ، مع التأكيد دائما على أنه لاتأميمات أخرى. كذلك فرضت الضرائب على الثروة ولكن في حدود أقل مما كان متوقعا وكانت حصيلة العام الأول غير مشجعة على الاطلاق. خفض الفرنك الفرنسي مرتين وانخفض سعره من حوالي ٤,٩ من الفرنك للدولار الى حوالي ٧,٢ الآن. كذلك ارتفعت البطالة وازداد العجز في ميزان المدفوعات وتدهورت الاحتياطات .

امتثال على الطريق

والآن وفي مواجهة هذه الأوضاع ، اذا بالحكومة

نسية تجري تغييرا شاملا في سياستها الاقتصادية يكاد مها في نفس الاتجاه تقريبا لسياسة ريموند بار الاقتصادي ـيي فسياسة التقشف وتوازن الميزانية وقد كانت ـقا مستمرا للنقد ، أصبحت اليوم أساس السياسة اقتصادية لوزير الاقتصاد القوي (ديلور) وبعد أن كان هذا الوزير يمثل الاقلية الأكثر محافظة في الوزارة أصبح ديلور ومعه رئيس الوزراء موروا المعتدل يمثل الاتجاه الأكثر غلبة بل ان وزير الصناعة الجديد (شيفنموه) وبعد أن كان أحد أعمدة الراديكاليين قد تحول الى استخدام لغة اقتصادية أقرب الى تعبيرات الاقتصاديين المحافظين ، بل انه يعلن صراحة أنه في عالم رأسمالي لابد من ممارسة اللعبة الرأسمالية وبعد أن كان يمثل أحد العناصر الأكثر مذهبية إذا به في وزارة الصناعة والبحث العلمي الأقرب الى نفوس رجال الأعمال وفي نفس الوقت عمدت الحكومة الاشتراكية بالرغم من معارضة شركائها الشيوعيين الى تخفيف أعباء التأمينات الاجتماعية على رجال الأعمال وبدلا من نبذ السوق الدولية للاقتراض ، لجأت فرنسا الى سوق اليوروماركت للحصول على واحد من أكبر القروض (٤ بلايين دولار) لتدعيم سعر الفرنك والخلاصة أنه بعد عام من الممارسة والتجربة والخطأ ، أصبحت السياسة الاقتصادية في فرنسا لاتكاد تختلف عن تلك المتبعة في انجلترا مع تاتشر (الحديدية) ، أو في الولايات المتحدة مع فولكر على قمة الجهاز المصرفي وأصبح حرص فرنسا على استقرار الفرنك وضمان بقائها ضمن نظام النقد الأوربي أهم أهداف السياسة الاقتصادية ، وتوارت أهداف المساواة والمشاركة في الادارة والسيطرة على أدوات الانتاج الى درجة متأخرة ان لم تكن قد ضاعت فعلا في طي النسيان وهذه كلها أمور جديدة على الأحزاب الاشتراكية فرضتها الظروف الدولية ، والمرونة السياسية لحكومة ميتران

ولعل الفارق الأساسي الذي يميز الاشتراكيين الاوربيين الآن كما تعبر عنهم التجربة الفرنسية يرجع الى مدى استجابة نقابات العمال لهم أكثر مما يكمن في اتجاهات السياسة فأهداف السياسة الاقتصادية الفرنسية لاتكاد تختلف عن تلك المطبقة من حكومات أخرى محافظة ، ولكن الاشتراكيين يتمتعون بميزة اضافية وهي انصياع نقابات العمال لهم بدرجة أكبر . فبالرغم من الاجراءات التقشفية التي بدأت تميل اليها الحكومة الفرنسية ، وبالرغم من استمرار معدلات البطالة فان فرنسا لم تواجه الاضـ ابات الشديدة التي كانت تميز الفترات السابقة واستخدام الحزب الشيوعي والحزب الاشتراكي نفوذهما لدى نقابات العمال لغرض تجميد الاجور والأسعار ماكان يمكن أن يتم بنفس السهولة بغير توفر نوع من الولاء الحزبي

الكل في مربع واحد

وهكذا يبدو أن التغيير السياسي في فرنسا لا يكاد يختلف عن الاتجاه العام السائد في معظم الدول الصناعية ، كما يتأكد من جديد أن حقائق الحياة الاقتصادية تفرض نفسها بقوة تتراخى معها الاعتبارات المذهبية

وعلاقة الحزب الشيوعي بالحكم أمر يستوقف النظر ، فقد أدى تراجع شعبية الحزب من حوالي ٢٣ / من الناخبين الى أقل من ١٧ / في الانتخابات الأخيرة الى ضعف الحزب على الخريطة السياسية الفرنسية ، مقابل ما حققه الحزب الاشتراكي من تقدم مذهل مكنه من الحصول على الأغلبية المطلقة لتشكيل حكومة اشتراكية دون حاجة الى أصوات الشيوعيين ولكن ميتران اختار بدلا من ذلك استراتيجية أخرى وهي اشراك الحزب الشيوعي معه في الحكومة ، وهو أمر أثار في ذلك الوقت فزعا لدى الادارة الأمريكية ولكن سياسة ميتران أوضحت على العكس أنه على المدى الطويل قد قلم أظافر الحزب الشيوعي في الحياة السياسية الفرنسية محولا اياه الى مجرد تابع للحكومة الاشتراكية ، فهو باشراكه في الحكم قد فقد الكثير من قدرته على المعارضة السياسية الفعالة ولكنه من ناحية أخرى يشترك في الحكومة باختيار من الحزب الاشتراكي وليس ضرورة للحصول على أصواته ، ومن ثم فان تأثيره الفعلي على اتجاه الاحداث لايزال محدودا وعلى العكس فان هذا الحزب بتأثيره الواضح على نقابات CGT بوجه خاص قد حيد مقاومة الطبقة العاملة لعدد من الاجراءات التقشفية للحكومة وهكذا يبدو أن مشاركة الحزب الشيوعي في الحكم الفرنسي قد ساعدت على قبول واستيعاب سياسة الحكومة التقشفية دون أن يكون للحزب تأثير كبير في رسم هذه السياسة

وبذلك يتأكد من جديد أن الانسجام على رقعة السياسة الدولية للدول الصناعية المتقدمة أكبر مما يبدو للوهلة الأولى ، وأن وجود حكومة اشتراكية في فرنسا ليس أكيدا مع الادارة الجمهورية الحالية في الولايات المتحدة الأمريكية أو حكومة المحافظين في انجلترا ومع الحكم الجديد في المانيا الغربية ولعلها الطريقة الفرنسية في تنفيذ الأشياء ▢

د . حازم الببلاوي

كل هذا الألق الرائع يا بيروت
كان مخبوءا بأضلاعك ،
في قلب البيوت
كل هذا اللهب المضرم شوقا للفداء
كان مخبوءا إلى يوم اللقاء
وملايين ملايين الرصاصات ،
وأمطار القنابل
لم تجد إلا جدارا من صمود
وفلسطينا تقاتل
وجموعا لا تموت

ما الذي نحكيه لليل الصموت
بعد أن جردنا الأعداء من كل انتماء
وأحالونا تماثيل من الشمع ،
وأنصابا من الرمل ،
وأشباحا على أرض الأساطير
وشعبا يرتجى الغوث من الجلاد
والجلاد يسقيه بحيرات دماء
وزعوا الموت بطاقات ، وأعطونا مواعيد الفناء

ورضينا كسرة الذل ، وأطرقنا الرؤوس
غير أنّا لم نزل نضحك في غير اتزان
كلما ثرثر بالسلم مع الوحش الخرافي جبان
كلما اختال على الشاشة طاووس ،
وراوغ ببغاء

وسط هذي المحنة الصّمّاء يا بيروت ،
هذي الظلمة السوداء
يصنع الثوار فجر الكبرياء
أيقظوا في الأمة الوسنى تواريخ الإباء
أطلعوا الشمس من الغيب ،
وصلوا للغد الآتي ،
وصلوا للضياء
فإذا الأطفال صرعى ، والنساء
ودماء الشهداء
وإذا أطلال بيروت وآلاف الخرائب
والشجيرات التي ظلت تحارب
عبر غابات الرصاص
تطلع الفجر ، وتعطينا مواعيد الخلاص

القارات .. الراحمة كيف كانت وكيف أصبحت ١ - قبل ٢٠٠ مليون سنة ٢ - قبل ٣٥

نظرية زحزحة القارات

بقلم الدكتور : محمد على الفرا

كيف كان شكل الارض منذ ملايين القرون ؟ في هذا المقال يتعرض الكاتب لابحاث علمية تستند الى ادلة ملموسة تؤكد أن انقلابا هائلا قد حدث منذ قرون بعيدة تحولت الارض معه من كتلة يابسة واحدة الى ما هي عليه اليوم .

(سـ ٣ ـ القارات كما هي في الوقت الحاضر ٤ ـ القارات كما ستصبح بعد ٥٠ مليون سنة .

تب ـ ث من جديد

كانت نشأة الكرة الارضية ، وتباين أشكال سطحها ، وتوزيع اليابس والماء من القضايا الهامة التي شملت وما زالت تشغل أفكار الكثيرين من العلماء والباحثين فالبحار والمحيطات تغطي اليوم معظم سطح هذا الكوكب بحيث تصل نسبتها الى نحو ٧٢٪ من جملة السطح بينما يبلغ مساحة اليابس ٢٨٪ فقط ، ونظرا لغلبة الماء على اليابس فقد اطلق البعض على الارض الكوكب المائي

وهناك بعض النظريات التي حاولت أن تعطي تفسيرا لكيفية نشوء المحيطات والقارات نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر الفرضية التراهيدية أو الهرمية لصاحبها « لوثيان جرين » البريطاني في عام ١٨٧٥ ومفادها بأنه نظرا لاستمرار فقدان الأرض لحرارتها ، وتعرضها للبرودة ، فان سطحها أخذ في الانكماش التدريجي متخذا في النهاية شكل الهرم الثلاثي ، قاعدته في الشمال ،

ورأسه في الجنوب وتحتل القارات حافات هذا الهرم في حين تغطي البحار والمحيطات جوانبه المسطحة

أما لابورث فيرى بأن الارض حينما بردت انكمشت مثل انكماش التفاحة بعد ان تفقد عصارتها ، ثم تجمدت دون أن تتخذ أي شكل من الاشكال الهندسية وقد شغلت المياه المناطق المنخفضة ، في حين شكلت المرتفعات الارض اليابسة

ويعتقد العالم الفرنسي « سولاس » أن الارض كانت في أول نشأتها لينة سريعة الاستجابة لعامل الضغط الجوي الذي يختلف تأثيره على مناطقها فالجهات التي تأثرت بالضغط الجوي المرتفع هبطت وانخفضت مكونه قيعان البحار والمحيطات أما المناطق التي تعرضت للضغط الجوي المنخفض فظلت مرتفعة نسبيا وكونت القارات

توزيع اليابس والماء

لو نظرنا اليوم الى خريطة العالم لأخذنا فكرة عامة وسريعة عن شكل توزيع اليابس والماء ففي نصف الكرة الشمالي يتركز معظم اليابس ، وتتقارب القارات من بعضها البعض حتى يكاد يخيل الينا بأنها تشكل كتلة واحدة لا تفصلها عن بعضها سوى بحار ضيقة وخلجان متعرجة ويشكل اليابس نحو ٦٠ر٨/ من مساحة نصف الكرة الشمالي في مقابل ٣٩ر٢/ للماء أما في نصف الكرة الجنوبي فالصورة مقلوبة حيث تصل نسبة الماء الى ٨٠ر٨/ بينما لا تزيد نسبة اليابس فيه عن ١٩ر٢/ فقط .

إن هذا التوزيع الحالي للماء واليابس يختلف تمام الاختلاف عن التوزيع الذي كان سائدا في العصور البعيدة . فقد تعرض كل من اليابس والماء الى تغيرات كثيرة في مختلف الأزمنة والعصور الجيولوجية نتيجة عوامل كثيرة ومتباينة .

ويستدل العلماء والباحثون على ما تعرض له توزيع اليابس والماء خلال العصور الجيولوجية بكثير من الأدلة والشواهد كالرواسب البحرية ، والمحلفات القارية ، وبقايا النباتات والحيوانات وما تركته من حفريات لقد عثر الباحثون على رواسب بحرية في مناطق لا تغمرها مياه البحار والمحيطات في عصرنا الحاضر فالخليج العربي - على سبيل المثال - كان يشمل مساحة اكبر بكثير من التي يشغلها الآن فقد كان على شكل منخفض حوضي طولي تغطي مياهه مناطق كبيرة هي اليوم أراض واسعة تشـ[...] معظم الاقطار العربية الواقعة على هذا الخليج ، عـ[...] على أجزاء لا يستهان بها من الأراضي الايرانية الواقعة الشاطىء الشرقي من الخليج كما وأن البحر المتوسط [...] بحرا عظيما يمتد حتى يغطي مناطق واسعة في اور[...] وافريقية وآسيا حتى الهند ، بحيث غطت مياهه المنطقة [التي] تحتلها اليوم سلاسل جبال هيمالايا وقد اطلق عليه اسم بحر « تثيس » Tethys آنذاك ومن الرواسب التي تراكمت خلال ملايين السنين وتعرضت للضغوط المختلفة برزت هذه الجبال الالتوائية التي تشمل فيما تشمل جبال الألب في اوروبا ، واطلس في افريقية وهيمالايا في آسيا

الاقوام البشرية الاولى

ومن الامور الأخرى التي نستدل بها على تغير توزيع اليابس والماء عبر الأزمنة الجيولوجية الحفريات أو الاحافير ومفردها حفرية أو أحفورة وهي عبارة عن هياكل وبقايا متحجرة للكائنات النباتية والحيوانية التي كانت تعيش في ذلك الزمن وكان بعضها يعيش في البحار وتوجد هذه الحفريات والمحلفات النباتية والحيوانية البحرية اليوم بعيدا عن البحار ومختلطة مع صخور اليابس وهذا يدل على اغراق مياه البحار هذا الجزء من الأرض الذي يبدو لنا اليوم على شكل يابس

وفي المقابل نجد اليوم مناطق تغمرها مياه البحار كانت في الماضي أرضا يابسة ولعل شط الدوجر في بحر الشمال بين الجزر البريطانية والقارة الاوروبية أكبر مثل على ذلك فقد عثر في قاعه على بقايا ومخلفات حيوانات ونباتات كانت تعيش على الارض اليابسة ، مما يثبت أن هذه المنطقة البحرية كانت في زمن من الازمان أرضا يابسة .

ومن الأدلة على اختلاف توزيع اليابس والماء وجود العديد من المعابر والمضايق والارخبيلات التي تصل بين بحار العالم ومحيطاته . وهذه المعابر مكنت الانسان من الانتقال والانتشار في انحاء العالم في اول مراحل توزيعه على سطح هذا الكوكب ومن هذه المعابر نخص بالذكر - على سبيل المثال - باب المندب الذي عبرته الاقوام البشرية الأولى التي انتقلت من شبه جزيرة العرب الى افريقية وقد تشكل فيما بعد على أثر تباعد أراضيه واختفاء بعض جزره تحت مياه البحر الى مضيق عدن الحالي وكذلك معبر مضيق جبل طارق ومعبر تونس - صقلية - ايطاليا .

كان يمكن للانسان الانتقال من افريقية الى اوروبا [illegible] بواسطة العديد من الجزر واشباهها والممتدة على [illegible] هذين المعبرين قبل ان تهبط وتختفي ، ويصبح [illegible] البرمائي غير ممكن وبناء عليه فان شكل [illegible] الافريقية والاوروبية المطلة على البحر المتوسط [illegible] في مراحل متعددة من عدم الاستقرار قبل ان تتخذ [illegible] الحالي كما وان الفصل التام بين افريقيا واوروبا لم [illegible] الا مؤخرا فمنذ أول ظهور الانسان وبداية انتشاره على سطح الارض كان الاتصال واضحا [illegible]

عملية زحزحة القارات

[illegible] العلماء [illegible] [illegible] والماء [illegible] [illegible] جوهرية أي ان الشكل العام لهذا التوزيع ظل [illegible] [illegible] ثابتا وكل ما في الأمر أن تغيرات طرأت على [illegible] كل من اليابس والماء ، وان هناك مناطق من اليابس [illegible] ثابتة لم يطرأ عليها أي تغيير ، ولم يغمرها البحر بمياهه [illegible] الهضاب القديمة التي هي بمثابة الدروع ، مثل هضبة شبه الجزيرة العربية وهضبة الدكن بالهند وفي المقابل فإن [illegible] المحيطات لم تتعرض هي الأخرى لأي تغير فقد ظلت على الدوام منخفضات تغمرها المياه

وهناك رأي آخر يرى بأن تغيرات جوهرية طرأت على توزيع اليابس والماء وهذا التوزيع كان مختلفا تمام الاختلاف عما هو عليه اليوم كما وأن شكل هذا التوزيع لا يتفق بأي حال من الاحوال مع الشكل الذي كان سائدا في الماضي ويعتبر الباحث الألماني « الفرد فيجنر » Alfred Wegener من أكبر انصار هذا الرأي فقال في عام ١٩٢٢ بأن نوعا من الزحزحة حدثت في الارض اليابسة نتيجة ضغوط وعوامل عديدة مما أدت الى حدوث التوزيع الحالي لليابس والماء وقد أطلق على هذا الرأي نظرية « زحزحة القارات » أو « انحراف القارات » Drflıng of the Continenls « وبموجب نظرية زحزحة القارات يرى « فجنر » بأن اليابس كان يشكل كتلة واحدة في الزمن الجيولوجي الأول أي قبل نحو ٢٠٠ مليون سنة وقد اطلق فجنر على كتلة اليابس الهائلة هذا اسم « بانجي » Pangae وتحتوي هذه الكتلة على قارتين هما قارة جندوانا في الجنوب ، وقارة لوراسيا Lautasia في الشمال وتتخلل كتلة اليابس هذه بحار داخلية لعل اهمها بحر « تيثس » Tethys بامتداده الكبير من الشرق إلى الغرب

ويقع القسم الأكبر من هذا اليابس العظيم أو كتلة « بانجي » جنوب الاستواء بحيث يمتد حتى يصل إلى القطب الجنوبي وفي منتصف الزمن الجيولوجي الثاني أي قبل حوالى ١٣٥ مليون سنة بدأت كل من قارتي جندوانا ولوراسيا بالتمزق بعد أن تعرضتا الى الانكسارات [illegible] التالية [illegible] كثير من أجزائها بالزحف بعيدا من [illegible] الاصلي على امتداد تلك الانكسارات

[illegible] الزحزحة هذه [illegible] [illegible] نحو الشمال [illegible] الشرق [illegible] [illegible] [illegible] الغرب فالزحزحة المتجهة [illegible] نتج عنها انفصال معظم اليابس تدريجيا [illegible] القطب الجنوبي [illegible] القارة القطبية [illegible] Antarctica والتي كانت جزءا من [illegible] جندوانا ولكنها حافظت على وضعها وظلت في مكانها

أما الزحزحة نحو الشرق فقد نتج عنها انفصال اليابس مكونا معظم القارة الاسترالية وهضبة الدكن الهندية ، وشبه الجزيرة العربية وجميعها كان كتلة واحدة وجزءا من قارة جندوانا

اما الزحزحة نحو الغرب فقد نجم عنها انفصال اليابس الذي تشكل منه قارة امريكا الجنوبية وقد نتج عن هذه الزحزحة ايضا انفصال كتلتين من قارة (لوراسيا) وكونتا جزيرة جرينلند ، وقارة امريكا الشمالية

وكما ظل الجزء الاكبر من قارة جندوانا على حاله وحيث هو مكونا قارة افريقية فان القسم الاعظم من قارة لوراسيا ظل على ما هو عليه مكونا كلا من قارة اوروبا وقارة اسيا وبناء عليه يمكن اعتبار قارات العالم القديم النواة الاساسية لكتلة بانجي « والمكونات الاساسية لقارتي جندوانا ولوراسيا »

الادلة على حدوث الزحزحة

بدأ « فجنر » منذ عام ١٩١٠ في البحث عن الدلائل والبراهين التي يدعم بها نظرية زحزحة القارات وقد وجدها في نهاية الامر في صورة تبدو لنا غريبة في التوزيع الحالي والعالمي للحيوانات الجرابية Marsupials والتي

تحمل صغارها في كيس بجسمها كالكنغر والابوسوم Opossum وقال فجنر بان هذه الحيوانات الغريبة اصبح وجودها قاصرا بشكل كبير على قارتي استراليا وامريكا الجنوبية اللتين تبعدان عن بعضهما الاف الاميال وتفصلهما مياه المحيط الشاسعة وعلى الرغم من عامل المسافة هذا الا ان طفيليات الحيوانات الجرابية في كل من استراليا وامريكا الجنوبية واحدة واستنتج « فجنر » بأن هذه الظاهرة تعود الى الماضي حينما كانت استراليا لا تزال متصلة بامريكا الجنوبية عبر قارة القطب الجنوبي « انتاراكتيكا »

وتعتبر قارة القطب الجنوبي بمثابة منطقة الوصل بين امريكا واستراليا وذلك قبل ٦٥ مليون سنة ومنذ ذلك الحين بدأت قارة جندوانا بالتكسر مكونة افريقيا وامريكا الجنوبية والهند واستراليا وقارة القطب الجنوبي وقد اثبت ذلك الكشوفات التي تمثلت في عظام الحيوانات الجرابية المتحجرة والتي وجدت في المعابر الارضية التي كانت تصل بين هذه الكتل عشية انفصالها التام

ويبدو ان وضع جدول زمني لتاريخ عملية الانفصال القاري والزحزحة يسمح بحل بعض الأمور الغامضة التي تتعلق بهجرة الحيوانات وتطورها فعلى سبيل المثال يعتقد الدكتور كراكرافت Joel Cracraft بجامعة الينوي بالولايات المتحدة الامريكية بأن نظرية الزحزحة هي بمثابة مفتاح الحل الذي يفسر مسألة تطور الطيور ويرى ان الطيور المسالمة التي تنتشر انتشارا واسعا عبر مناطق مترامية الامتداد تشترك في انتمائها الى اسلاف مشتركة وانها هاجرت الى مواطنها الحالية قبيل حدوث الانفصال التام لقارة جندوانا ومن هذه الطيور نذكر على سبيل المثال النعام الافريقي والشبم الاسترالي Australian Cassowary والريه الامريكية Rhea والكيوي النيوزيلندي وكلها تشبه النعام

ومن البراهين الاخرى التي استند عليها « فجنر » في اثبات نظرية زحزحة القارات شكل واتجاهات وتعاريج السواحل المتقابلة على جانبي المحيط الاطلسي وعلى جانبي المحيط الهندي والتي تدل على تداخل هذه السواحل بنتوءاتها وفجواتها وعلى انها كانت رتقا قبل ان تتزحزح ولو كانت لتتقابل من جديد لتداخلت تلك السواحل وامتلأت فجواتها بنتوءاتها على نحو من الانسجام والاكتمال ويبدو هذا واضحا بصفة خاصة بالنسبة لسواحل شمال شرق امريكا الجنوبية والسواحل المقابلة لها على خليج غانة في غرب افريقية

بين اوروبا وامريكا

ولعل من احدث المكتشفات واشدها اثارة والتي تعطي تفسيرا منطقيا لتعبير جغرافية سطح الارض تتمثل في حفائر الحيوانات التي كانت تستوطن جزيرة « السمير » Elles-mere في اقصى شمال قارة امريكا الشمالية منذ خمسين مليون سنة وتشمل هذه الحفريات الليمور الطائر Lemur وهو حيوان من فصيلة القردة يتميز بطول ذيله وكذلك الزواحف التي تشبه التمساح الاسترالي والحيوانات الثديية القريبة من وحيد القرن علاوة على انواع اخرى تعيش في المناخ الدافيء وتشبه الحيوانات التي كانت موجودة في اوروبا الغربية في تلك الفترة نفسها ويقول الدكتور « مالكولم ماك كينا » احد كبار المسؤولين بالمتحف الامريكي للتاريخ الطبيعي في نيويورك ان هناك نحو ٣٤ نوعا من مجموع ٦٠ نوعا من انواع الثدييات الموجودة انذاك في اوروبا كانت تعيش ايضا في امريكا الشمالية واثنان فقط منها في اسيا

وعلى الرغم من ابتعاد قارتي اوروبا وامريكا الشمالية عن بعضهما وظهور المحيط الاطلسي الشمالي الا ان الدكتور (ماك كينا) يعتقد ببقاء معبرين بريين سمحا للحيوانات بالتحرك فوقها والانتقال بين اوروبا وامريكا الشمالية وهذا هو التفسير المنطقي لظاهرة المكتشفات المتمثلة في حفريات تلك الحيوانات في اقصى شمال امريكا الشمالية وتشابهها مع حيوانات اوروبا الغربية اثناء فترة المناخ الدافيء ويرى هذا العالم وغيره من العلماء بأن احد هذه المعابر الارضية كان يصل الاراضي الكندية القطبية بجنوب جرينلند وايسلند وجزر فارو واسكتلندا اما المعبر الثاني فيربط شمال جرينلند بشمال النرويج مرورا بأرخبيل سبتسبرجن

ان ارض جزيرة (السمير) لم تغير موضعها ومكانها كما هي عليه منذ خمسين مليون سنة فهي مازالت قريبة ومجاورة للقطب الشمالي ولكن وجود كائنات المناخ الدافيء في هذه الجزيرة يدل على ان عالم ما قبل التاريخ كان ادفأ من عالم اليوم

وعلى خلاف جزيرة السمير « فان قارة القطب الجنوبي التي كانت تربط استراليا بأمريكا الجنوبية منذ نحو ٩٠ مليون سنة كانت تقع في عروض مناخية اكثر دفئا مما سهل مرور حيوانات المناطق المعتدلة وقد اهتمت المؤسسة العلمية القومية الامريكية بتمويل عملية البحث عن حفريات تبرهن على وجود تلك المعابر والروابط التي ركزت بحوثها على جزيرة « سيمور Seymour قرب

قارة القطب الجنوبي والمشهورة بحفريات طائر البطريق الصحم

قبل ٤٠ مليون سنة

وفي شهر فبراير من عام ١٩٨٢ قاد الدكتور « وليم رسمستر » William J. Zinsmeister من معهد الدراسات القطبية بجامعة ولاية اوهايو الامريكية فريقا الى تلك المناطق القطبية الجنوبية ومكث بها اربعة اسابيع ولم يعثر هذا الفريق على شيء حتى نهاية اقامته هناك وفي اثناء عودته اكتشف الفريق موقعا غنيا بمخلفات طائر السجوين

وقد عثر « مايكل وودبيرن » Michael Wood-burne بجامعة كاليفورنيا على عظم فك لحيوان من فصيلة الكمر (اي حيوان جرابي) كما عثر ايضا على اربع قطع من حيوانين يشبهان الحيوانات التي كانت تعيش في تلك الفترة ، اي قبل اربعين مليون سنة وذلك في الطرف الجنوبي لقارة امريكا الجنوبية

وربما يبدو لنا غريبا ان الحيوانات الجرابية وليس حيوانات المشيمة هي التي عبرت وانتقلت من امريكا الجنوبية الى استراليا ويفسر العلماء ذلك بان اناث حيوانات المشيمة تعرضت لتطور عضو وعائي في رحمها وان المشيمة اصبحت تغذي الجنين ابتداء من شهره الثالث وحتى مرحلة متقدمة من تطوره في رحم امه اما صغار الحيوانات الجرابية فتولد مبكرة عن حيوانات المشيمة وتكمل نموها في جراب امها . ولكن كيف استطاعت هذه الحيوانات الجرابية التكيف مع مناخ البلاد لقارة القطب الجنوبي ؟ والجواب على ذلك هو ان اقليم القارة القطبية الجنوبية القريب من امريكا الجنوبية كان خاليا من الجليد وربما كان هو نفسه عبارة عن ارخبيل

ونظرا الى ان اقدم الحفريات المعروفة للحيوانات الجرابية التي تشبه الابوسوم وجدت في امريكا الشمالية فقد افترض الباحثون ان تلك الثدييات ظهرت لاول مرة في تلك القارة منذ ٧٠ مليون سنة الا ان « زنسميستر » يقول بان اربع عائلات من الحيوانات الجرابية ظهرت في امريكا الجنوبية مما يدل على انها نشأت وتطورت هناك قبل ابناء عمومتها في امريكا الشمالية وبناء عليه فان الحيوانات الجرابية ظهرت اول الامر في امريكا الجنوبية وقارة القطب الجنوبي واستراليا واثناء انفصال الامريكيتين عن بعضهما فان امريكا الجنوبية تمكنت من تطوير حيوانات جرابية لتملأ ما فيها من بيئات ايكولوجية

والبحوث ما زالت مستمرة ومتصلة باثبات نظرية زحف القارات وتأكيدها ومحاولة رسم صورة جغرافية لما كانت عليه الارض منذ ملايين القرون ! □

د محمد علي الفرا

■ الحب أكثر من العاطفة ، والمرأة أكثر من الحس .

(لورانس)

■ لا توقظوا المرأة التي تحب ، دعوها في احلامها حتى لا تبكي عندما تعود الى الواقع المر

(مارك توين)

■ الحب قناع تبرقع المرأة نفسها عن الرحيل ، وهذا هو السر في عذاب العاشقين

(ستندال)

■ قلب المرأة العاشقة محراب مذهب . غالبا ما يحتضن صنما من طين

(ليميرك)

في عدد الشهر الماضي من العربي قدم الشاعر أحمد حجازى عددا من الشعراء المصريين الذين كتبوا بالفرنسية ، وفي هذا العدد يقدم نماذج من أشعارهم من ترجمته من الاصل الفرنسي

مصر وشعرها الفرنسي

بقلم احمد عبد المعطى حجازى

العلماء

للأمير حيدر فاصل

قرءوا تقريبا كل الكتب ، قرءوا دون انقطاع ،
حلوا لغائف الرموز ، واحصوا نيران السماء
عرفوا في النهاية ما يتألف منه العسل
وما يتشكل منه العصب المثلث في جمجمة سكران

كتبوا دون توقف ليمتلكوا الخلود ،
واعتقدوا أنهم عرفوا الزائف والصحيح ،
تناقشوا حول الطاقة والحاشدة ،
وبحثوا إن كان في قدرة الانسان أن يحيا إلى الأبد ،

وفي الوقت الذى التهمت فيه الحرب عشرين مليونا !
كانوا هم يدرسون أجنحة الصراصير ،
ويحرثون أعماق المحيطات المترامية ،
بعثروا أمعاء الحرير والكلب
ليعثروا على أسرار الموت والميلاد
ولم يعرفوا في النهاية أنهم لم يعرفوا شيئا ! ..

ديوان « باقة من الشرق »

الشاعر الذى كتب هذه الكلمات هو الامير حيدر فاصل بن الأمير أحمد رشدى ابن أحمد الخديو إسماعيل ولد عام ١٨٧٨ وحصل على البكالوريا من المدرسة الفرنسية التركية في استانبول ، ثم التحق بكلية الحقوق في باريس عام ١٨٩٧ لكنه مالبث أن تفرغ تماما للأدب توطدت صداقته مع عدد من الكتاب ورجال القانون الفرنسيين مثل جوليت آدم ، وبيير لوتى ، وشارل ريشيه ، وجورج دوهاميل ، وكان يكتب رسائله اليهم أبياتا منظومة

ترجم إلى الفرنسية نظما عدة سور من القرآن الكريم . كما ترجم إليها عدة حرفات مما كتبه ناصر الدين خوجة بالتركية على طريقة ابن المقفع ولافونتين ، وتوفي عام ١٩٢٩ مخلفا مجموعتين شعريتين ، الأولى هي « الورود المضرجة » وقد صدرت في القاهرة عام ١٩١٩ ، والأخرى « باقة من الشرق » الصادرة في القاهرة أيضا عام ١٩٢١ إلى جانب مؤلفات أخرى في الرحلات والتاريخ .

ينتسب شعره إلى المدرسة البارناسية التي نشأت في فرنسا في النصف الأخير من القرن الماضي ردا على الرومانتيكية ، وكانت تنزع بوحي من افتتان زعمائها بالفن الاغريقي والثقافة الهلينية عامة إلى خلق لغة شعرية تتميز بالرصانة والنبل والتنزه عن كل من الغاية العاطفية الذاتية أو الغاية الأخلاقية الاجتماعية ، وترى أن غاية الفن هي الجمال ، أو أن غايته هي اللاغاية . لكن الشاعر الأمير الذي حافظ بدقة على هذه الأصول المذهبية الفنية حاول أن يطوعها للتعبير عن روح شرقية إسلامية وذوق مترفع محتشم .

الكروان

لمحمد ذو الفقار

طائر صبابي
لانتبيه أبدا
رغم القمر الساطع .
أبيض أم أسود ؟
لاندري .
شلال من هتاف
يمزق الليل
والصمت .
ضحك أم بكاء ؟

لاندري . .
الكروان يضرب بالجناح
ويمضي نحو هذه
التي لم يعد لها وجود
هناك حيث الأسمار المشتعلة
وظلمات العشق المحترقة
هناك حيث تذهب الأرواح
أرواح الذين نحبهم .

ولد محمد ذو الفقار في الزقازيق عام ١٨٩٣ ودرس في مدرسة الزراعة العليا . اختاره السلطان حسين كامل رئيسا للتشريفات ، وظل في هذه الوظيفة في عهد الملك فؤاد ثم تركها بعد وفاته ليصبح عضوا منتخبا في البرلمان . توفي عام ١٩٤٦ وترك مجموعة شعرية صدرت في القاهرة عام ١٩٣٧ بعنوان « أوراق » .

يقول جورج دوماس عن شعره إنه « فطرة ودماثة » في آن واحد . حميمية واحترام للذوق ويظهر أن ثقافته العربية كانت تؤهله لمتابعة الشعر العربي المعاصر كما يبدو . وفي هذه القصيدة التي تدور حول موضوع سبق إليه العقاد وكتب فيه عدة قصائد ضمنها ديوانه « هدية الكروان » الذي صدر عام ١٩٣٣ بل إن التأثر يتعدى الموضوع إلى بعض معاني العقاد وصوره التي ترددت أصداؤها في قصيدة ذي الفقار الفرنسية ، كما نرى فيما هو مشترك بينها وبين الأبيات من قصيدة « الكروان المجدد » للعقاد :

هل يسمعون سوى هدى الكروان
صوتا يرفرف في الهزيع الثاني
من كل سارٍ في الظلام كأنه
بعض الظلام تضله العينان
يدعو إذا ما الليل أطبق فوقه
موج الدياجر دعوة الغرقان

المرأة بسكّين في القلب

لجورج حنين

هناك في داكرتي عرفة بلا شكل
تطل مشاركة في الشعور بمضيّ الوقت
و، في هذه العرفة ، الى الوراء قليلا ،
امرأة ممدودة ، بعيون مغمضة ، كمن هو في نقاهة
اسمها ريرموند أو هذا على الأقل ما استنتج
بعد مثل أسماء أخرى عديدة
بهداها من طيور حرر تستيقظ مرة في العام
لتتخلص يتلدد من ريشها لابد من حضور
العرص ، دلك لأن المطر يلحد عندئذ في السقوط

ويسرع الخدم الصموتون الأسلحة من أعمادها ليضعوها
على أثاث واطيء ، والى هدا الحد لم يكن استعماله
معسرا المطر يتوطن ، والعجلات في أوقات الفجر لاتدور
الا ببطء شديد في بواخر يمكن من الشاطئين رؤية
تفاصيلها ، بما فيها من حطاب يتمعمون في البهو الكبير
عتل فظ يندفع ويبدأ في تحطيم الشربات بايماءات
مرارع يقلم أشجاره يرحي منه الحلوس ينرع
أحديته الطويلة ويتصدى على الفور للموضوعات المحرمة
نهاية المطر ، توقف المهدين عن الحركة ، احتناق الطيور
هدا الجمهور ، جمهور موسم الأمطار ، كما رغم
تشتته وتنافره نتعلم أن نتأسف عليه عندما أحد
الطقس يعود إلى الصحو
كانت هناك الشابات الملمويات اللاتي كن يدبن حتى
في وقت الجد كحفنة من رمال ، والنساء الرائعات
بنظامهن الدي كان وليد حركة طائشة ، واللاتي كن
يعبن في براقعهن كما يغيب المرء في داخل كاتدرائية كانت
هناك أيضا نساء بأصابع عارية من الخواتم ، وأخريات
لم يضعن القدم أبدا في مياه نقية
كان من شأن هؤلاء الملمويات أن يدسسن أسئلة
ماكرة والشيء الوحيد الذي كان يمكن أن يوحدهن
حقا هو الرغبة في معرفة المزيد عن ريرموند
لكن ريرموند لم تكن تتكلم كانت مرة واحدة قد
لمحت للسكّين ، للسكين دات الحد الشبيه بوجه
من أعمده في قلبها كنا نشعر جيدا أن دلك كان بالنسبة
لها نوعا من الانتباه النبيل شيء تحمله ، كما كان يفعل

مي سالف الأيام حامل أحتام المدينة فوق محدة من
محمل في حالة ريرموند ، هده الصورة لم تكن بلا
مقابل ذات صباح ، كان شخص أعجف ومقدام
يندفع عبر الشوارع المقفرة وخلف النوافذ ، كان
الكل يرقب سقطته الأولى
رئيت حطاه وقد صارت أكثر ترددا ، ثم ، في أحد
التقاطعات الوسخة ، انحنى فوق الرصرانة الأرضية لوردة
التصرفات المهذبة تصبح هنا خطرة وبالية أن
تستشل الوردة معناه أن تقتل الأكثر عطاء
العجلات في أوقات الفجر لا تدور الا عمياء حالمة
انه موسم الأمطار ، موسم الطيور المتهيجة والحطاب
الذين يتجمعون على بعد متساو من كلا الشاطئين
ريرموند حركت رأسها الأسلحة تصلنا الآن
على الركبة إن لها ربما خفية أكثر خطرا من التهديد
لا أحد مضطهد

* *

أظن أن جورج حنين هو أكبر شاعر مصري بالفرنسية كان ينتمي إلى الثقافة الفرنسية ككل ، وخاصة إلى الحركة السوريالية بأصولها الفلسفية ، وتعبيراتها الابداعية المختلفة في الشعر والرسم ، وصلاتها بالفكر الاجتماعي والسياسي وخاصة بأفكار تروتسكي وقد اتصل جورج حنين بهذه الأفكار إبان ظهورها وانتشارها ، وتتلمذ على زعمائها وعرف بعضهم معرفة شخصية مثله مثل زملائه الفرنسيين من جيله ، مما أهله لأن يكون مؤسسا أصيلا لا مقلدا ، وصاحب شخصية لابد من الرجوع إليها لمعرفة الحركة السورياليةمعرفة شاملة دقيقة

وشعر جورج حنين شعر عقلاني صارم ، تدل مفرداته على أشياء ومعان محددة لكن الخيال الذي يؤلف بين هذه المفردات ، والذي يستمد منطقه من منطق الحلم والكابوس ، يجعل شعره مزيجا من المعقول واللامنطقي ، وهو ما نجده أيضا في أشعار السورياليين وصورهم ورسومهم وربما تميز شعر جورج حنين عن شعر زملائه بميزات لغوية خاصة ، وبما فيه من حس درامي له طابع عبثي أسيف

ولد في القاهرة عام ١٩١٤ ورحل وهو طفل مع والده إلى إيطاليا ثم إلى فرنسا حيث تلقى دراسته ، وعاد إلى مصر ليكرس جهوده لخلق أدب وفن جديدين عن طريق إصدار مجلات لم تعمّر طويلا مثل مجلة « التطور » ونشرات ، وكتيبات ، فضلا عن تنظيم الندوات واقامة المعارض الفنية

كانت له صلة شخصية بعدد من كبار الشعراء والمثقفين الفرنسيين مثل أندريه بريتون وبيريه وقد اضطر في أعقاب قيام ثورة ١٩٥٢ بإيقاف النشاط السياسي والفكري في البلاد ، للهجرة الى فرنسا حيث عاش مع زوجته حفيدة أمير الشعراء شوقي على الكتابة لبعض الصحف الفرنسية وخاصة مجلة « الاكسبريس » التي توفي وهو مدير لقسم التحقيقات فيها ، بالغا من العمر حوالى ٥٦ سنة

من مجموعاته الشعرية « عياء الكائن » و« القيض » وله مجموعة قصصية بعنوان « زمن الفتاة الصغيرة » ☐

باريس ـ أحمد عبد المعطي حجازي

بقلم : فهمي هويدى

عندما أرسل رئيس جمعية « ارض البشر » السويسرية خطابا الى الرئيس اللبناني يعرض فيه استعداد جمعيته لتوفير « أسر بديله » لليتامى من الأطفال الذين حلفتهم مأساة الحرب في لبنان ، فان الرجل ، واسمه ادمون كايزر ، ربما كان مدفوعا بدوافع انسانية وخيره ، لكنه كان يهدف في النهاية لا إلى مجرد تدبير مأوى لهؤلاء الاطفال . ولكنه كان يسعى ايضا الى فتح مجال جديد لنشاط جمعيته التبشيرية !

وما فعله ادمون كايزر ليس تصرفا فريدا من نوعه ، فقد سبقه الى الميدان ذاته آخرون ، يمثلون العديد من جمعيات التبشير في اوروبا وامريكا ، ولعلنا نذكر زيارة الأم « تيريزا » التي منحت جائزة نوبل للسلام . الى بيروت الغربيه اثناء القتال ، حيث قامت بنقل عدد من اطفال اللاجئين الى بيروت الشرقية ، لايوائهم وعلاج المصابين منهم ، « ورعايتهم » بعد ذلك فضلا عن انه بين يدى نشرة صادرة في كندا باسم « اخوة الايمان » ، تاريخها يوليو ـ اكتوبر ٨١ ، تتحدث عن ٦٠٠ من اطفال المسلمين في بيروت وصيدا . « ترعاهم » الكنيسة الانجيلية في مدارسها

وما لبنان الا نموذج واحد ، وحقل واحد نشطت فيه جمعيات التنشير خلال السنوات الاخيرة ، لان النماذج المماثلة الأخرى كثيرة في انحاء العالم العربي والاسلامي فحيث يوجد اللاجئون والفقراء ، تشمر جمعيات التنشير عن سواعدها ، وتتسابق لتقديم « خدماتها » ، مدعومة بامكانيات ضخمة ، وقدرات كبيرة على جمع المال

ولانه ليس هناك لاجئون وفقراء الا في العالم الثالث ولأن اكبر نسبة من هؤلاء هم من المسلمين ، كما تشير تقارير ودراسات عديدة ، فقد باتت ملايينهم البائسة ميدانا خصبا لنشاط جمعيات التبشير ومؤسساته

ولأن الأقدار حكمت على هؤلاء أن يعيشوا في ظروف تعسه هددت أكثرهم بالموت وبالامراض وبمختلف البلايا ، فان الامكانيات المتوفرة لتلك الجمعيات ، تحدث تأثيرها السحرى بين اللاجئين ، وتمهد الطريق لما هو ابعد اخى لزعزعة الاعتقاد ثم التنصير !

●●●

واللاجئون المسلمون في العالم الآن هم اساسا ضحايا نوعين من الكوارث الحروب والمجاعات ، وليس هناك حصر لاعدادهم ، ولكنهم يقدرون بالملايين على اية حال فاذا تابعنا مسرح تلك الكوارث على خريطة العالم الاسلامي فسوف نجد مايلي

● بالنسبة للحروب: حرب لبنان أفرزت حوالى نصف مليون لاجئ ، حرب العراق وايران التي لم تنته ، ادت الى تشريد مليون شخص على الجانب الايراني ٠ الاحتلال السوفيتي لافغانستان ، والمقاومة المسلحة له ، كان من نتيجتها

روح مليون شخص على الاقل الى الحدود الباكستانية حرب الحبشه وارتيريا ، لايعرف عدد ضحاياها من اللاجئين ، وإن كان عددهم لايقل عن نصف مليون آخرين ـ الصدام المسلح بين الحبشه والصومال يدفع الى العراء كل مرة بالوف اللاجئين ، مقاومة المسلمين في جنوب الفليبين تدفع الى حدود ماليزيا واندونيسيا بألوف اخرى في كل موجة

● بالنسبة للمجاعات ، مسرحها الممتد بين غرب افريقيا وشرقها حافل منذ اكثر من سبع سنوات بصور رهيبة، يطلل فيها شبح الموت ملايين المسلمين من موريتانيا ومالي ، الى الصومال واوغندا فضلا عن مناطق المجاعات الدائمة مثل بنجلاديش ، وبعض ولايات الهند ومناطق باكستان هذه الملايين الجائعة والمشردة ، هي المسرح الذي تستهدفه وتنشط عليه جمعيات التبشير وهم يقولون ذلك علنا وبمنتهى الوضوح والصراحة" وقد تلقيت كتيبا بهذا المعنى طبع في كاليفورنيا ، في اغسطس ١٩٨١ ، والعنوان المكتوب على غلافه هو « الفرصة العظمى للمسيحية » وتحت العنوان خريطة للعالم الاسلامي ، كتب تحتها اسم الجمعية التي اصدرته وهي « اخوة الايمان من اجل المسلمين » وعلى الغلاف الخلفي اشارة الى ان لها فروعا في كندا واستراليا ونيوزيلندا وبداخله مقال عنوانه عنوان الكتيب ، لشخص اسمه ريموند جويس ، يقول في الصفحة السادسة منه مانصه

« ان الجمعيات المسيحية التي تعمل في ظروف صعبة وسط مناطق المجاعات ومعسكرات اللاجئين تقدم عطف المسيح وحنانه لأولئك المسلمين التعساء الذين يعيشون في بلدان مثل الصومال وبنجلاديش وباكستان »

ويضيف كاتب المقال « ان اوضاع العالم الاسلامي مواتية لنا باكثر من اى وقت مضى ، بسبب التمزقات والاضطرابات التي تسوده ، من صراعات بين السنة والشيعة ، الى نزعات للتطرف روعت الجميع ، واثارت خوف الكثيرين من الاسلام »

ثم يقول ريموند جويس بنفس القدر من الصراحة ، « ورغم ان العديد من المؤتمرات الاسلامية العالمية دعا الى وقف نشاطات المبشرين بمستشفياتهم ومدارسهم وملاجئهم ، التي تمارس عملها في بلاد المسلمين ، الا ان هذه المؤسسات لم تتوقف عن تقديم خدماتها ـ فضلا عن ان ثمة دلائل على ان تلك الخدمات اصبحت تؤدى الآن بموافقة الحكومات الاسلامية او بدعوة صريحة من جانبها !! »

ان العالم الغربي يشهد في السنوات الاخيرة حملات متتالية تقوم بها جمعيات التبشير ، لجمع التبرعات المادية والمساهمات العينية ، من اجل اللاجئين المسلمين في آسيا وافريقيا وقد اطلعت على نشرة صادرة عن « مشروع » « مواجهة الجوع العالمي » ، الذي يشرف عليه المجلس الانجيلي في الولايات المتحدة ، بتاريخ ٢٨ يوليو ١٩٨٠ ، تضمنت تصويرا لمدير المشروع ـ واسمه الدكتور لاري وارد ـ يدعو الامريكان الى التبرع للاجئي الصومال ، ويقول « ان هناك لاجئا بين كل اربعة صوماليين ، وان ٧٠٪ من هؤلاء اللاجئين من النساء والاطفال

●●●

كما اطلعت على قسيمة لجمع تبرعات لاطفال المسلمين اللاجئين من افغانستان ، صادرة عن المشروع ذاته ، توضح للمتبرع ما يمكن ان يحققه اسهامه ، وكيف انه اذا تبرع بمائة دولار ، فسوف يمكن المختصين من انشاء مزرعة للخنازير « تغذي اللاجئين المسلمين !

وتلقيت تقريرا لمنظمة تحمل اسم « صندوق الاطفال المسيحيين » ، مقرها ريتشموند بالولايات المتحدة ، فيه دعوة للتبرع ، ومرفقة به بطاقة ترسل الى الصندوق في حالة الرغبة في تبنى اى طفل او طفلة وللشخص ان يختار الدولة التي يريد ان يتبنى منها ومن بين تلك الدول المرشحة اندونيسيا والهند والفلبين والنيجر واوغندا وتلك مناطق تضم عشرات الملايين من المسلمين

وفي نشرة تصدرها جمعية باسم « محبة العالم » تصدر في « سياتل » بالولايات المتحدة عثرت على خريطة مفصلة لمختلف انواع « الخدمات » التي تقدمها الجمعية للمناطق الاسلامية الفقيرة ، وهي لم تترك منطقة الا ولها فيها موطىء قدم

وهذه ليست الا امثلة لسيل الدعوات التي تتبناها جمعيات التبشير ، لتدعم امكانيات عملها وسط فقراء المسلمين وتعسائهم ، مستثمرين « الفرصة العظمى »

وخارج دائرة اللاجئين هذه ، فان عملية التبشير مستمرة دون توقف داخل مجتمعات المسلمين ، بصورة لايلفت النظر فيها مجرد الاصرار والتركيز ، بل ايضا تلك التسهيلات التي تقدم لبعثات التبشير من قبل السلطات الحكومية المحلية

ويمكن القول كقاعدة ان ثمة اختراقا تبشيريا للاغلبية الساحقة من الدول العربية اذا لم يكن بالمدرسة او المستشفى والكنيسة ، فبالكتاب والاذاعات بكافة اللغات وفي النشرة التي تسجل معالم النشاط التبشيري في الفترة من يوليو ، الى اكتوبر ١٩٨١ ، والصادرة عن جماعة « أخوة الايمان » في تورنتو بكندا ، معلومات هامة عما تم « انجازه » خلال تلك الفترة في كافة انحاء الوطن العربي ، مشرقه ومغربه

ولا مجال هنا للتفصيل ، وان كانت المعلومات متاحة لمن يشاء ، ولن أعرض الا ما تسجله تقارير الجمعيات التبشيرية عن نشاطها في ثلاث مناطق ، هي سلطنة عمان ، ووسط مسلمي الصين ، وداخل الجمهورية الاسلامية في ايران !

في عدد من مجلة « نداء الكنيسة » (تشرش هيرالد) ، الصادر في ٢١ سبتمبر عام ١٩٧٩ ، مقال بعنوان « اخبار طيبة من الشرق الاوسط » كتبه جون بوتين سكرتير التجمع العالمي للمبشرين في نيويورك ، استهله بقوله « في هذا العام ١٩٧٩ ، تمر ٩٠ سنة على نشاط البعثات التبشيرية الكاثوليكية في الشرق الاوسط ، وهذه مناسبة لاستعراض ما انجزته تلك البعثات خلال هذه الفترة

عن سلطنة عمان يقول كاتب المقال مانصه « لقد استطاع الجهد التبشيري ان يخترق الواقع الثقافي باكثر مما كان متاحا له في اى وقت مضى فالمبشرون مدوا خدماتهم من العاصمة مسقط الى امتداداتها وضواحيها حتى وصلوا الى منطقتي مطرح وروى وهناك مبشرون آخرون يعملون في بلدتي صور وتنام ، ويقومون بزيارات منتظمة الى صلاله وبالرغم من ان اعداد المبشرين ليست كبيره الا انهم استطاعوا ان يشكلوا خلايا للمسيحيين والمؤمنين في تلك المناطق وهناك اجتماعات منظمه لهذه الخلايا في المناطق الداخلية للسلطنه ،

ويضيف كاتب المقال « انه تمت الموافقة على تقديم قطعة ارض هدية لهم في صلالة ، من اجل ان يقام عليها المركز المسيحي للعبادة » وان الكنيستين الكاثوليكية والبروتستانتيه ستتعاونان في اقامة مقر متواضع على هذه الارض ،

وفي ختام التقرير يقول الكاتب لقرائه تذكروا ان ذلك يحدث في بقعة لم يكن مسموحا فيها لأى من الغرباء بالدخول حتى ١٩٧٠ باستثناء زيارات موسمية ، كانت تقوم بها البعثات الطبية لجمعيات التبشير

وعن ايران يقول تقرير جمعية « اخوة الايمان » عن اعمالها في الفترة من يوليو ، الى اكتوبر ١٩٨١ « انه بالرغم من منع نشاط الكنيسة الانجيلية رسميا وابعاد ثلاثة من روادها ، لم يتوقف العمل الدؤوب من اجل تعميق فهم المسلمين وايمانهم بالكتاب المقدس »

ويدعو التقرير الى الصلاة من اجل عدد من الاشخاص بينهم فتاتان ، اشار الى الحروف الاولى من اسمائهم يقومون بالتبشير وعقد الاجتماعات في بيوتهم ، ولا يزالون رغم كل شيء مستمرين في توزيع الكتاب المقدس على بيوت المسلمين ! »

ويستغرب المرء لتلك المحاولات التي تبذل من جانب المبشرين لتنصير المسلمين في الصين فالتقرير ذاته يقول ان التقديرات تشير الى ان في الصين ٣٦ مليون مسلم وفي الوقت الذي يروج للبعث الاسلامي ، فان هناك ...

من المؤمنين الصينيين (المسيحيين) يعيشون وسط تجمعات المسلمين في اقصى الشمال الغربي من البلاد (مقاطعة سيكيانج) ، وبعد ان يدعو التقرير الى الصلاة من اجل تلك المئات ، يقول « ان هناك طالبا من بنجلاديش في بكين يستمع هو وأصدقاؤه الى برامج الاذاعات المسيحية » ، (لاحظ التدقيق في الرصد ، والاهتمام بالاشارة الى الطالب البنجالي ، وسط الف مليون صيني !)

ورغم أن التقرير حافل بالمعلومات الهامة ، الا أن بعضها بات معروفا وشائعا ، مثل صور النشاط التبشيري في اندونيسيا والفلبين وماليزيا وبنجلاديش لكن ثمة اضافات أخرى تلفت الانتباه ايضا في التقرير ، منها اشارته الى الاستعداد لدخول مناطق المسلمين في وسط آسيا (جمهوريات جنوب الاتحاد السوفيتي) وكيف انه تم تنصير بعض الشباب الذين ينتمون الى قومية القرغيز ، وكيف انهم يواجهون مشكلة ترجمة مطبوعات البعثات التبشيرية الى اللغات المحلية ، وهو ما تتولاه الان الجمعيات التبشيرية في السويد !

الخبر الأخير في هذا السياق هو ما اشارت اليه نشرة « الفرصة العظمى للمسيحية » (ص ١٤) والذي يذيع على من يهمه الامر أن معهد صامويل رويمر في باسادينا بولاية كاليفورنيا انشأ برنامجا تدريبيا اكاديميا .. ! للتبشير بين المسلمين !

●●●

لامجال للتعقيب على هذا القدر من المعلومات ، التي تنطق بالكثير مما يدمي القلب ويجرح كرامة المسلم . لكن اود ان انبه الى مجموعة من النقاط

- ان المعلومات عما يجري داخل العالم العربي وفيرة ومثيرة ، وقد اوجزت في عرضها لاسباب لاتخفى على اللبيب .

- أن تلك النشاطات التي تمارسها الجمعيات التبشيرية ، لاعلاقة لها مباشرة بنشاطات غير المسلمين الذين يعيشون كمواطنين داخل مجتمعاتنا الاسلامية وليس من الحكمة ان نحسب على هؤلاء مخططات جمعيات التبشير في اوروبا وامريكا ، كما أنه من الحماقة أن تستقبل تلك المخططات بمشاعر التعصب التي تفتح الباب لريح الفتنة التي تهدد الجميع

- ان اللاجئين وفقراء المسلمين ليسوا مطالبين بالامتناع عن التداوي او الاكتساء او الاحتماء بالخيام التي تقدمها اليهم تلك الجمعيات التبشيرية ، ويعذرون اذا قبلوا منهم كل شيء لكن المطالب حقا بالتحرك هو الحكومات العربية والاسلامية

- وأن التحرك المطلوب ليس مجرد ايقاف نشاطات تلك الجمعيات ، ولكنه ينبغي أن يتمثل - اولا - في المسارعة الى تقديم الخدمة البديلة الى اولئك اللاجئين حتى تلبي الحد الادنى من احتياجاتهم واذا تحركت المشاعر الانسانية النبيلة لدى أي طرف في أي مكان في العالم ، ورغبت هيئة او جمعية في تقديم مساعداتها العينية او النقدية فينبغي ان تسلم تلك المساعدات الى مؤسسات محلية خاضعة للاشراف الوطني ، لتتولى توجيه المساعدات في مسارها الطبيعي ، بحيث نضمن الا تتعرض تلك المساعدات للتبديد والنهب من قبل بعض أدوات البيروقراطية المحلية غائبة الضمير

- ان العشرين مليون دولار التي يدفعها برنامج الخليج العربي سنويا الى منظمات الامم المتحدة الانمائية ، ينبغي ان توجه على الفور الى اللاجئين المسلمين ، وليكن انفاقها تحت اشراف الامم المتحدة

ان التقاعس العربي لم يعد يهدد دنيانا فقط ، وانما بات يهدد ديننا ايضا ! ○

● سارتر

تقديم : سيد محمود القمني

اذا أردت أن تتعرف على وجودك البشرى الأصيل ، فلا تتردد في المغامرة ، فحياتك كلها مخاطرة ، وارحل معنا داخل وجودك في رحلة فكرية رائعة ، داخل عالم الوجودية الكبير ، الممتلىء بك .

ولتطمئن قليلا ، فدليلك في هذه الرحلة مؤلف مقتدر ، ورجل دين له وزنه ، هو الأب جون ماكورى ، ولمزيد من الاطمئنان ، فهو ليس ككل رجال الدين التقليديين ، لأنه يهملك مع أول فصول كتابه تحترم - في بعضهم - هذه القدرة الفريدة على التحصيل العلمي ، والصبر والأناة في العرض السلس ، وذلك التمسك الفريد بالنزاهة والموضوعية خاصة وهويعالج موضوعا كالوجودية !

أما الترجمة الصادقة الأمينة - والناجحة الى حد بعيد - في نقل الفكرة والاصطلاح إلى داخلك ، والتي أداها كأحسن ما يكون الأداء ، الدكتور . امام عبد الفتاح امام ، مع مراجعة رجل فلسفة عريق مثل الدكتور فؤاد زكريا للترجمة ، فهي عوامل حاسمة لتأخذ قرارك بالرحيل معنا ، إلى داخلك الى عمق وجودك البشرى

ورحلتنا من النوع المثير ، فهي مغامرة اذا قبلت دخولها ، اثارها متواصلة ، لا يقطع استمتاعك بها تعدد للفلاسفة وآرائهم المختلفة وأحيانا المتضاربة ، بل تتصل في سيرها

مع المفاهيم الوجودية ، ذاتها ، عبر الأسلوب الوجودى في التفلسف ، فالقس ماكورى يسبح بك وسط عالمك المثير - ذاتك - حتى أنك لا ترى فيه صورا عتيقة تقليدية لفلاسفة وقورين ذوى جلال ومهابة ، ولا رأيا متصلا يقطع عليك متعة الرحلة انما سيتراءى لك الفلاسفة بين الفينة والأخرى ، كصور أو لافتات أو علامات على الطريق ، تطالعك فقط بين الحين والحين ، لكن في لحظات وعيك ستدهشك الواقعة ، فتكتشف أن ما رأيته لم يكن صورا مختلفة ، بل مرايا ترى فيها ذاتك من جوانب مختلفة

رحلة توقظ فيك الشعور بالحرية حتى الامتلاء ، امتلاء ليس حتى الثمالة - بل حتى الوعي ، الوعى بوجودك ، وعي تخفت كل المؤثرات الخارجية إزاء وميضه داخلك فلا تعود تسمع سوى صوت ضميرك ، ويتفجر وجدانك بالتحدى لكل شرائع القبيلة التي قولبوها لك سلفا

ولكن ، بما أنها مغامرة ، فهي مخاطرة ، فالرحلة ستثير داخلك الخوف والقلق ، وضميرك سيتحول اليك ويضع على كاهلك مسئوليتك ، وهي في ثقل الجبال

● نيتشه

ويدفعك لتبذل نفسك بسخاء ، بعد أن كنت متراخيا تلقي تبعات أعمالك على عاتق القدر وأصرابه

وهنا قد تفكر في العودة في رحلتك ، وأنت في اتخاذ القرار حر ، حر بالعودة الى الآخرين ـ حيث الأمان المعتاد ـ من أول صفحات الكتاب ، أو الخروج اليهم من آخره ، نعم أنت حر في الانبثاق إلى الآخرين أو فيهم ، من نهاية الرحلة وهم داخلك ، أو بالعودة إليهم من بداية الرحلة وأنت داخلهم ، وعلى قدر شعورك بدوافع قرارك ، سيكون ندمك أو أملك !

من الحمل الى المخاض

عبر رحلتك في عالم الوحودية الهلامي ، لن تستطيع بداية أن تمسك شيئا محددا ، ففي هذا العالم لا تجد صورا دقيقة محكمة للفكر الوجودي ، ولا نظرية عامة ينتمي اليها أهل هذا العالم ، فقط ستشعر بجو العائلة الواحدة ، فالقسمات تتشابه ، والسمات تتقارب لكن كلا منهم قد انهمك في عمل مستقل ، مديرا ظهره للآخر ، ومع كل منهم هوية مكتوب عليها أنا لا أنتمي لهذه العائلة ، أنا لست وجوديا !

وقبل أن تتساءل يجيبك الأب ماكوري إن في عالم الوجودية ، يريد كل فرد أن يؤكد عدم انتمائه ، ويرفض أي منهم أن يصنف داخل جماعة ، لهذا يحملون هذه الهويات !

نحن ضد العقلانية النظرية المجردة الجافة ، لذلك ، نحن أيضا مع البراجتيين ، لأن البراجماتية تنحط من تحقيق الايمان لانسانيتنا أو حطه منها ، أساسا لتأكيد الايمان أو تزييفه » . . هذا ما يقوله لك الوجوديون ، لكن مع استدراك إننا أيضا نخالف هذه المذاهب ، وحتى المتبتل المتصوف عميق الايمان أبوهم كيركجارد ، يعلن لك بكل عصبية أنه أول الثائرين على الصور التقليدية للايمان ، ويجب أن تصدقه عندما يؤكد أن ثورته هذه انما هي من أجل ايمان أقوى

ولك أن تعجب . اذا كانوا عائلة واحدة ، فلماذا الخلاف ! ؟ والاجابة ـ وهنا براعة الاب ماكوري ـ تعود بك الى الوراء عبر دروب الزمان ، الى حيث الجذور الأولى للوجودية إلى ما قبل ظهور الفلسفات من عصر الميثولوجيا الى عصر الأنبياء العبرانيين إلى بزوغ الفكر الفلسفي اليوناني الى ديانات الشرق القديم ، الى ظهور المسيحية ومن ثم العصور المظلمة الى عصر النهضة والتنوير ، حيث يلوح لك بين ركام هذا الكم الهائل من نتاج الفكر الانساني عبر تدرجه التطوري ، انسانا يبحث وينقب عن ذاته ووجوده ، عن هويته ومصيره

ومن الطبيعي أن تتباين الفروع بتباين الجذور واختلاف تربتها وظروفها وطرق الفكر فيها لهذا يصبح خلاف الوجوديين اليوم أمرا طبيعيا ، بل وبديهيا لقد ظلت الوجودية طوال هذا التاريخ في فترة الحمل ، حتى جاءها المخاض في العصر الحديث والمعاصر وان اختلاف فلاسفتها الحالي وتنوع اتجاهاتهم انما يعكس تلك الاختلافات المبكرة ، أما ظهورها في هذا العصر بالذات مع الانتشار الواسع ، فناتج طبيعي آخر لوضع ذلك الانسان الذى ظل يبحث عن ذاته ، حتى فوجىء أن وضعه قد أصبح مهددا اليوم ، حيث تقوضت بنية المجتمع رأسا على عقب ، وأصبحت اعادة تقويم القيم كلها مطلبا هاما وملحا ، فكان أن قام متمردا ، يعلن أنه قد عثر على وجوده ، لكنه عثر عليه ناقصا ، لذلك انتقل من البحث الى الوعي الوعي بما هو ، وما سيكون وبأن وجوده لن يتحقق الا بالتجاوز المستمر من الحالة الراهنة الى حالة اخرى تعاليا ، لأنه بين كل هذا الركام الفكري وجد وجوده لم يكتمل بعد ، وعليه أن يواجه أقسى عملية اختيار ، أن يكون أولا يكون ولا يدري هل يستسلم لليأس والتشاؤم أم يتفاءل بالامل ؟ ومتى يكتمل والموت يقف متربصا به الدوائر ؟

أنا والعالم والآخرون

أنا والعالم مرادفان لمعنى واحد (هذا ما يؤكده لك الوجودى) ، لأن تعبير العالم يتضمن وجهة نظر البشرية ، فالعالم فيه وحدة ونظام ، لذلك فهو ذو معنى

(هذا ما يتطوع وجودي مؤمن باعلانه لك) ، فيعترضه آخر تخلى عن الايمان ليؤكد أن الانسان هو صاحب الدور الأول ، في إضفاء النظام والمعنى على كثرة الأشياء المبعثرة في العالم بلا معنى الا أن سارتر يعترف أنه بدون العالم لا وجود لي ، وبدوني لاوجود للعالم لأنه معنى أن أوجد ، هو أن أواجه شيئا يختلف عني ، ومع ذلك ـ وهنا المفارقة المؤسفة ـ فان هذا العالم الذي ارتبط به هو الذي يهدد وجودي ، لأن الأشياء التي خلقتها أخذت تستعبدني ، فأنا الذي اخترعتها وامتلكتها ، لكي أقلق على ملكيتها ، فتبدأ هي في امتلاكي ورغم أني جسد في هذا العالم ، فان العالم يشغلني عن جسدي ، لذلك يجب أن أسعى للشعور بمزيد من الألفة مع جسدي

والعالم ليس أشياء فقط ، بل أيضا موجودات بشرية ، وكما لا أوجد بدون العالم ، كذلك لا أوجد بدون الآخرين لكن كيركجارد يجعل وجودهم لاحقا لوجود الفرد (ولكن أخرى) ألا يمكن اعتبار المذهبين الفردى والجمعى صورتين لخطأ واحد ؟ والحل الوجودى هو تجنب الخطأ بالبداية من الوجود البشرى العيني بوصفه وجودا مع الآخرين .

بوبر يعترف بوجودك ، بوجود الآخرين ، فهم ليسوا مجرد اضافات تلحق بالفرد والدليل على فكرة عدم اكتمال الفرد بدون الآخرين الجنس واللغة ، والجنس لأني أملك أجهزة عضوية متكاملة في جسدي ، لكي لا أملك سوى نصف الجهاز الجنسي ، والنصف يحتاج الى النصف الآخر ، واللغة ، لأنها هي التي تجعل فكرى متاحا للآخر

إذن البشر ليسوا كأشياء العالم يمكنني استخدامهم كأدوات ، لانهم فاعلون مثلي تماما

بوبر لازال يطالعنا في رحلتنا ، يصر على إسماعنا الصوت الجماعي في الوجودية ، ويحاورنا ، لأنه يعتبر علاقة الفرد بالآخر حوارا وليست مسارا أحادى الاتجاه فليس فيها نزوع للسيطرة بل تتميز بالانفتاح ، الاستماع والتلقي ، الحديث والعطاء فالوجود البشرى أنا وأنت ، ولا (أنا) بدون (أنت)

مارسيل ايضا ، الوجود البشرى الأصيل عنده هو الذي يبذل نفسه بسخاء فيكون حاضرا في الآخرين ألا نتعهد لبعضنا البعض دوما ؟ (أعدك أن ألقاك غدا ، وعدا مني ستقضي مصلحتك ، لا أستطيع ذلك فقد قطعت عهدا) صيغ مختلفة لعهود نقطعها باستمرار ، هي حقا

أصالة الفعل البشرى الذى تقوم عليه الجماعة

كيركجارد يعود مرتديا فكره الصوفي ، متوشحـ مسيحيته ، يستدفىء بايمانه الأمان ، يحتج الآخر عائق ولا حوار الا مع الله ؟

ودليلك في رحلتك يعلق هل الارتباط مع الله يستدعي الابتعاد عن الآخرين أم التحول إليهم ؟ سؤال لا يحتاج منك اجابة

وسارتر ، مع لافتة أخرى على الطريق تقول (الجحيم هم الآخرون) ، لكنه يردف ومع ذلك أعترف بالتزامي بصالح الآخرين وسعادتهم ، رغم أنهم عقبة تحول دون تحقيق وجودى

الوجود الاصيل

إنه فعلا عالم غريب ، لكن هذا هو عالمك ووجودك ، واحساسك بالاغتراب أمر طبيعي والاغتراب موضوع سارترى كبير ، بالطبع أنت تدرك جسدك بطريقة تختلف تماما عن ادراكك للأشياء وجسد الآخر ليس شيئا ، فجسمه موضوع لك وجسمك موضوع له ، ومن هنا تشعر باغترابك عن جسمك فتصاب بالخجل والحياء والارتباك ، لأنك تعي جسمك على نحو مايراه الآخر ، والمشكلة عند سارتر هي كيف أتخلص من كوني موضوعا للآخر ، الحل رومانتيكي جدا وسهل جدا ، الحب بالحب تتمثل نفسك في الآخر ، ولكن سارتر لا يتركك في هذا الشعور الحالم ، فيضيف أنه حب يمتزج بالكراهية ، لأنك كي تجعل الآخر يحبك لابد أن تصبح موضوعا يثير حبه فتتذبذب العلاقة بين رغبتك في امتلاكه ورغبتك في أن يمتلكك ، اضافة الى أن اكتمال الفعل الجنسي يحبط الاندفاع للوحدة مع الآخر

ونسقط في الفردية مرة أخرى ، ومن الوحدة ينتشلـ الأب ماكورى ، فينبهنا الى أن الفعل الجنسي ليس وحدة مكتملة بذاتها ، انما فعل في سياق سلسلة أفعال ، في علاقة بين شخصين هي أغنى بكثير من الفعل الجنسي ذاته ثم أليس الجنس مؤسسا لنظام الزواج ونظام الزواج مؤسسا للجماعية ؟

يبدو الان أن رحلتنا الفكرية أصبحت مشكلة ، فكيف نوفق بين الطابع الجماعي للوجود البشرى ، وبين الغر[illegible] الوجودية الواضحة؟ كيركجارد يزدرى الجماعة ليـ[illegible]

● كيركجارد

● ديكارت

حشدا ، نيتشه يزيد من ازدرائه فيسميها القطيع ، يسبرر يطلق على الآخرين الجمع ، ويعني به سيطرة الدهماء غير المفكرين على معايير الحياة ويسوقون تسريرات ، كيركجارد مثلا يؤكد أن الحشد يحول الفرد الى شخص غير مسؤول ، لايتوب ولا يندم ، ويضعف إحساسه بالمسئولية بل قد يتحول الحشد إلى إله ! نعم ألم تؤله النازية الدولة ؟ إذن فما هو المعيار الوجودي للوجود مع الآخرين ؟ الاجابة أن يكون وجودك أصيلا ، بمعنى أن تؤكد وجودك بالحرية والمسئولية ، أما اذا أدت العلاقة بالآخرين إلى ضياع الجانب الشخصي الانساني ، فوجودك سيكون حتما وجودا زائفا ! والحل لبناء جماعة أصيلة هو كسر طوق الوجود المشوه مع الآخرين ، وتحطيم علاقة الاضطهاد ، للاحساس بالاستقلال والشعور بالكرامة

وحتى لاتتحول رحلتنا الى متاهة ، يدلنا الاب ماكوري على نوعين من الوجودية نوع يذهب إلى أن الخطوة الأولى للتحرر تبدأ بمسخ العلاقة مع الآخر ، مما يتيح للفرد تكوين علاقات حقيقية أصيلة جديدة ، ونوع يرى أن كل هذه المحاولات فاشلة تماما ، لكن لا تتشاءم ، هكذا ينصحك سارتر ! !

من المعرفة الى الفعل الحر

أبو الفلسفة العقلية الحديثة (ديكارت) صاحب التأملات المشهورة ، له قول أشهر (أنا أفكر إذن أنا موجود) وتتجمع الأيدي الوجودية هذه المرة متكاتفة ، لتقلب هذه العبارة رأسا على عقب لتصبح . (أنا موجود اذن أنا أفكر) ! وهكذا تحل مشكلات كثيرة عنيدة في الفلسفة وتتفادى ثنائية الذهن والمادة ، الجسم والنفس ، الذات والعالم الخ

وبفخر يؤكد الوجوديون أنهم قد حلوا مشكلة المعرفة بعد استعصائها طويلا . ومرد استعصائها أنها صيغت بطريقة خاطئة فصلت بين العارف والمعروف ، أما الوجودية فتبدأ من وحدة الوجود مع الآخرين في العالم ، فيشمل الوجود المعرفة ، ولكن . أية معرفة يقصدون ؟

مرة أخرى يسبحون ضد التيار ، فلا يقصدون بالمعرفة المعرفة العملية المجردة ، ولا المعرفة الموضوعية بالوقائع التجريبية ، إنما هي المعرفة بك وبي ، بالأشخاص ، معرفة ذاتية استبطانية للذات ، لأن الرؤية التجريدية لن تفهم الجانب الانساني ، فهو جانب لا يعرف إلا بالمشاركة في الوجود البشري أما الحقيقة فتتم في الداخل في الذات ، كيركجارد يؤكد هذا ، أما برديايف ومارسيل فقد ذهبا إلى أنه رغم البعد الشخصي للحقيقة ، فهي تعتمد على جماعية الصدق

الأب ماكوري لايتركنا ، فيتدخل منبها الى أن رفض الوجوديين للعقلانية خطر داهم يهدد الفكر الوجودي ، فقد يتحول إلى انفعال واقتناع شخصي بدلا من البرهان ، فيصبح الغموض عمقا ! والتنبيه مطلوب ازاء نقدهم للفكر المجرد ، لمجرد أنه يفصلنا عن الواقع

إذن هذا هو الفكر عند الوجودي ، فكيف يتحول إلى فعل ؟ بالانفعال والقرار الذى يتضمن حرية الفعل والحرية عند سارتر لاتلحق بوجودي ، بل إن كون إنسانا معناه أن حر وهنا يأتينا صوت برديايف رافضا كل الحجج التقليدية في حرية الارادة لأنها توضع الحرية ، بينما الحرية مسلمة مفترضة مقدما كشرط لوجودنا ، وليست موضوعا للبرهنة ، بل إنها موجودة قبل الفكر ، فلا إنسانية بلا حرية

وتبدأ خطورة الرحلة فعلا لكن مادمت معنا حتى الآن فلا مفر من استكمالها ، وعزاؤك أن لا كرامة بشرية بدون حرية

إذن فالى التمرد ، والمتمرد كامن أمامك على الطريق يرفع راية الكفاح ضد المحرمات التي تقيد الحياة الأخلاقية ، فخذ قرارك من داخلك ، واستعد لتحمل مأساويته ، بلى ستعاني لأن كل قرار تتخذه سيحد من الممكنات أما قراراتك المقبلة وبلى سينتابك القلق فتحاول إرجاء قرارك خشية الحرمان من بقية الممكنات وبلى إنك لا ترجم بالغيب ، فكيف تلزم نفسك بظروف لم تتضح بعد دون قلق من المخاطرة ؟ ولكن سارتر ومارسيل يشيران اليك ، إن قرارك هو التزام بما ستختاره على المدى البعيد ، وان ما تختاره هو عين ذاتك ، لذلك ستسقط في ممكن دون آخر لكنك ستحدد ما ستكون عليه ، وهذه هي القضية .

بالطبع يمكنك الآن استنتاج أن الفعل الذى لا يتضح فيه قرارك الواعي هو فعل عبودية ، عبودية للعرف والعادة

والروتين ، ولن تتركك الضغوط الاجتماعية ، صحافة ، تلفاز ، إعلان وإعلام كلها تلتف حولك لتضعك في قالب نمطي ، فخذ حذرك فالقرارات اتخذت لك مقدما ، وعليك بالصحو والوعي لتختار وتقرر بنفسك

من الفرد الى المجتمع

وإبان رحلتك الفكرية في كتاب الأب ماكوري ، تلتقي بمجرى مائي واسع يسبح فيه جميع الناس ، إنه التاريخ لأن الوجود البشري نفسه موضوع التاريخ ، وامكان معرفة التاريخ انما تتاح بفضل التشابه بين التاريخ والوجود الفردي

ولأن التاريخ مجرى يسبح فيه الجميع ، فقد كانت المشكلة التي نقلت اهتمام الوجوديين من الفرد إلى المجتمع ، والاهتمام بالتاريخ عندهم ليس اهتماما بالماضي ، انما للعثور على طريقنا في الحاضر والمستقبل ، من خلال دراسة الممكنات البشرية في التاريخ ، فالتاريخ يسترجع من الماضي الامكانات الأصيلة للوجود البشري ، التي يمكن تكرارها ، لكي يسقطها على المستقبل ، مع اتفاق وجودي على أن التاريخ لا يعرف الا بالاندماج فيه

نيتشه هنا يشير إلى طرق ثلاثة للارتباط بالتاريخ طريق المعالم الكبرى ، وفيه إمكان أن يوجد الشيء العظيم الماضي مرة أخرى ، والطريق الاثرى ، وفيه يقف البعض ـ مثل حالتنا كعرب تماما ـ نقدم للماضي فروض الطاعة والتسليم ، سعيا وراء استقراء يمجد كل ما هو قديم لمجرد أنه قديم ، والطريق النقدي ، لكنه الطريق الذي يحتاج الانسان القوي الجريء ، الذي يقوم بوضع حد للماضي بل ويحاكم الماضي ويسائله بغير رحمة واذا كنا ـ كعرب ـ نقف في الطريق الأثري ، فهل ثمة ما يمنع من اكتشاف الطريقين الاخرين ؟ ماكوري يؤكد أن الاستفادة مؤكدة من الطرق الثلاثة بحيث يصبح الماضي كاشفا للحاضر والحاضر كاشفا للماضي والآن نقف جميعا على الحافة الآنية من التاريخ ، ولحظتنا الآن في التاريخ مخيفة ، لا توازن بيئي ، نهب لموارد الارض يهدد بانتزاع الجانب الانساني في العالم ، فهل نستمر ؟ أم نعود إلى مرحلة ماضية من التاريخ ؟ هنا يصرح الوجوديون بعدم رفضهم لمجتمع التكنولوجيا ، لكن الرفض ينصب أساسا على تضييق نطاق الحياة الانسانية ، حتى أصبح الانسان مغتربا ، ولهذا يدعون إلى تدعيم الاحساس بانسانية الانسان ، وحمايته من المزيد من التآكل .

ولهذا أيضا يؤكد الوجودي أنه ليس فرديا بمعنى عدم اكتراثه بالتنظيمات السياسية والاجتماعية ولكن ليحتفظ لنفسه بحرية نقد أي حركة سياسية تقيد حريته بلا داع ، وتقلل من كرامة الانسان ، لذلك يعلن رفضه التحالف مع أي لون سياسي ، بل أن الوجوديين لم يخلقوا لانفسهم أيدلوجية خاصة وانما اكتفوا بالدفاع عن كرامة الانسان ضد جميع الانتهاكات السياسية ، ومن ثم اتبعوا أسلوبا آخر يكسر الدوائر الضيقة التي يحصر فيها الفلاسفة المحترفون أنفسهم ، ليمارسوا تأثيرا ثقافيا أوسع ، من خلال التعبير عن روح الثقافة أو نقدها ، لذلك كان أثرهم الواسع فعلا في علم النفس والتربية والادب والفن واللاهوت والاخلاق

والأخلاق الوجودية في بلادنا هي محل الاعتراض ، حيث شاع أنها ترتبط بالانحلال والفوضى والخروج على الأخلاق ، لكن الوجودية حين ترفض التقيد الحرفي بالقواعد ، فذلك لأنها تنظر للقوانين كأشياء مفروضة علينا من الخارج ، تجبرنا على نمط محدد سلفا من السلوك ، وتمنع الفرد من تحقيق ذاته الفريدة الأصيلة ، كذلك هم لايدعون للفوضى والانحلال ، إنما يشجعون الموقف الأخلاقي الذي يتحدد تجاه الفعل الذي يجد فيه الفاعل نفسه ، أي أن الوجودية تعلي من شأن الموقف على القاعدة ، واذا كانت أخلاق الماضي تجلب الاستقرار فانها أيضا تجلب الركود ، أما أخلاق الموقف فتتجه نحو المستقبل وما هو جديد ، ويتحدد الفعل فيها آخذا في اعتباره هذا الجديد

إلى هنا توشك الرحلة على الانتهاء ، وفي الزمن المتبقي للخروج من الجهة الاخرى ، يتطوع الأب ماكوري بعرض أهم ما وجه للوجودية من انتقادات كونها ذات إتجاه لاعقلاني ، كونها متشائمة ، كونها لاتكترث للاخلاق الموروثة ، كونها سلبية لكنه يذكر بأن لكل مذهب جوانب ضعفه وسلبياته ومبالغاته ، ومن ثم يشير الى ما أعطته لنا من استبصارات جديدة عميقة حول وجودنا البشري ، بتدعيم الموقف الانساني في مواجهة ما يتهدده وما قدمته من معايير نفسر بها أحداث العالم المعاصر ونقومها .

وفي نهاية المرحلة يفاجئك الأب ماكوري بابراز هويته ، هوية مكتوب عليها . أنا لا أنتمي لهذه العائلة . أنا لست وجوديا ؟ !

سيد محمود القمني

بقلم . عبد الرزاق البصير

يسرني ايها الصديق العزيز أن تضحك بملء فيك ، فاني اذا استطعت أن أدعو الضحك اليك في هذا الاقتراح الذي أتقدم به والذي لم أر بأسا في أن أنشره بين الناس ، والذي ربما أضحك من يطلع عليه ، اني اذا استطعت أن افعل ذلك فاني أكون قد صنعت شيئا أشكر عليه لأن الضحك الحقيقي في هذه الايام معدوم ، أو أنه نادر على الاقل ، فان ما يلقانا من أحداث فيما نشاهد وفيما نقرأ وفيما نسمع ، لابد وأن يبعدنا عن الضحك أشد البعد ، ويقربنا من الحزن كل القرب وغير خفي عليك ان في الضحك الحقيقي منافع كثيرة تحدث عنها علماء النفس وأطالوا الحديث ، ثم انني لست بحاجة الى أن أورد ما تحدث به علماء النفس عن الضحك ، لأن منافعه واضحة محسوسة يشعر بها كل أحد فلنسارع الى تقديم هذا الاقتراح الذي أخذ يلح على الرغم مما اشعر به من سأم وملل ، لأخفف منه ، سيما وانا قد قدمت بأنه اذا كان فيه ترفيه عن النفوس فانه حسبي وفيه الكفاية ، أما هذا الاقتراح فانه يتلخص في :

أن ننشىء جمعية نطلق عليها (جمعية استرداد الحقوق) يوضع لها قانون يتألف من عدة مواد حسب ما يتوصل اليه الاعضاء حين يفكرون في انشائه ولست أخفي عليك أيها الصديق بأنني أتصور أن جدلا طويلا سينشأ بين الاعضاء حين يفكرون في مواد هذا القانون ، وذلك ان لفظة الحقوق تعني معاني واسعة كثيرة ، يخطئها العد والاحصاء ، اذ ان هذه اللفظة تشمل جميع نواحي حياة الانسان على هذه الارض ، فما من ناحية من نواحي الحياة الا وتنطبق عليها هذه اللفظة لك أن تتصور مثلا حياة الاسرة ألا ترى أن فيها حقوقا وواجبات ، ولقد ضربت لك هذا المثل عامدا متعمدا لأنه أمر يواجه الانسان عند أول يوم يأتي فيه الى هذه الحياة التي ليتنا لم نأت اليها وقد عرف الانسان بغريزته وهو طفل أن له حقوقا على من يرعاه ، سواء كان

من أسرته أو من غير أسرته ، لهذا نجده يحتج بكل شدة على كل من يتأخر عن إعطائه ما يحتاج اليه ، ويتمثل هذا الاحتجاج في البكاء الذي لا يكاد يبلغ اسماع من يربيه حتى يبادر الى تلبية رغبته وحقوق الانسان في أول نشأته قليلة يسيرة لا تكلف من يرعاه الا الهيّن من الامور لكنها تأخذ في الاتساع والتكاثر حتى تتفرع الى فروع كثيرة متشعبة ـ أطلقنا على كل فرع من فروعها اسما من الاسماء ، ثم لم يلبث هذا الاسم أن أصبح علما من العلوم ، فهناك الصحة والتربية والاقتصاد والاجتماع وما الى ذلك من الأمور الكثيرة التي لا تحصى

ولا تسل عما كتب في هذه العلوم من كتب ودراسات وبحوث تخصص فيها المتخصصون ونالوا بها أعظم المناصب وأعلى الدرجات ، منهم من نالها بحق ، ومنهم من نالها بغير حق

اذن فالجدل بين الاعضاء المؤسسين لهذه الجمعية المقترحة سيطول ويمتد الى ما شاء الله عندما يجلسون ويفكرون في وضع قوانينها فلا بد لي ولك من أن نطيل التفكير في أوصاف الاعضاء المؤسسين لتلك الجمعية ، وأولها على ما أظن أن يكون العضو واسع الصدر ، هادىء الطبع ، عميق الثقافة ، ليتصور لي أن ما يجري بينهم من حوار سيثري العقول أعظم الاثراء اذ ان ذلك الحوار سيكون شبيها بأسلوب افلاطون في جمهوريته ، والفارابي في مدينته الفاضلة ، وهو اسلوب جرى عليه كثير من الفلاسفة ، وانت يا صديقي حيث تقرأ هذه الكتب التي ترك أصحابها العنان لعقولهم الصافية فانك لا تسأم من الاستمتاع بها

وقد تسألني ايها الصديق ما الذي دفعني الى التقدم بهذا الاقتراح الذي يثير الضحك في هذه الفترة الذي أصبح جنون القتل شائعا فيها ، أوليس ذلك أمرا يثير الضحك ؟

وأجيبك أني لا انكر بأني قد قدمت في أول هذه الكلمة ، بأن كل ما يستطيع أن يثير الضحك في الناس بانه يصنع شيئا يشكر عليه وأضيف الى ذلك أن هناك أمرا آخر دفعني الى تقديم هذه الدعوة ، وهو أن آذاننا وعقولنا شبعت من ضجيج أقلام الشعراء والكتاب بأصواتهم الكئيبة من انتهاك الحرمات وهدر الحقوق ، ومن يدري فقد تكون هذه الجماعة قادرة على تعيين الحقوق وايضاحها ، فان هدر الحقوق أصبح ميدانا سهلا خاض فيه المخلصون وغير المخلصين

وأخشى ايها الصديق أن تقول بأن وطننا العربي الكبير لا سيما مشرقه قد شهد في مطلع هذا القرن جماعات عديدة قاموا بنشاط واسع كان له اكبر الاثر على جماهير غفيرة غير أننا لم نحصد شيئا من هذا النشاط ، وجوابي على ذلك أنني أعلم بأن كثيرا من الناس يميلون الى هذا الرأي الا أن لي تحفظات عليه يمنعني من الحديث عنها بالتفصيل خوف الخروج عن القصد ، وأنا أريد أن أجمله بأن ما ذكرته من رأيي حول نشاط تلك الجماعات ينطبق على الميدان السياسي وهو ميدان متقلب بين المد والجزر ، ومن الواضح اننا في حالة جزر شديد ملأ

للو.. يأسا وقنوطا كادا ينسياننا كل شيء؟ وعلى كل حال فان الدعوة التي أتقدم بها اليك - وانني ارجو أن شترك معنا فيها البعض - تخص الناحية الفكرية وفي اعتقادي أنك تشاركني الرأي في أن هذه الناحية مظلومة ظلما عظيما بدليل ابعاد اصحابها عن دورهم ، واني لآمل من هذه الجماعة أن تجيب على هذا السؤال لذي أخذ يلح علي منذ مدة طويلة وهو !

ما هي حقوق المواطن وما هي واجباته ؟

أريد ان تجيب عليه جوابا صريحا لكي يعرفه الجميع ومن المحقق عندي أنك تدرك أن لهذا السؤال لبسيط خطورته العظيمة بل انه من أخطر الأمور فيما أتصور ، فنحن حين نتأمل معظم النشاط الفكري للانسان نجده يدور حول ذلك السؤال ، اذ أن جماعة من المفكرين اعتقدوا أن نشاط الفرد ينبغي ان يكون جزءا من نشاط المجتمع ولقد آمن اولئك المفكرون بهذا الرأي ايمانا لا يشوبه شك أو توقف ، فكتبوا في تلك الكتب ونشروا المقالات فاستطاعوا أن يجتذبوا اليهم أناسا كثيرين واذا بهؤلاء الناس يسعون سعيا حثيثا لنشر هذه الفكرة بين اناس آخرين واذا بهم ينجحون اعظم النجاح حتى بلغ من عظم نجاحهم أن دولا كثيرة ارتكزت في مسيرة حياتها على تطبيق هذه الفكرة وهذه الدول أصبحت تؤلف نصف سكان العالم على وجه التقريب ، أما النصف الآخر فان الكثير منه يرى أن ما على الفرد من حقوق وماله من واجبات هي الاساس الذي ينبغي أن يسير عليه الانسان ، ولقد نشأ من هذا الاختلاف صراع خطير واسع يتمثل في التسابق على القوة ، وفيما نشهده من نشاط في عالم الفكر والسياسة والاقتصاد حتى أصبح لكل مذهب من هذين المذهبين عالم قائم بذاته له أدباؤه ومفكروه وزعماؤه وعلماؤه وجيوشه ، اذن فالسؤال الذي أود أن تجيب عليه تلك الجماعة له اهميته العظمى على ان هناك الكثير من القضايا الفكرية ، يحسن بهذه الجماعة أن تطيل التفكير فيها وأن تجري حولها حوارا قد يمتد ويتسع ، ولكنه سيكون حتما حوارا خصبا ينتفع منه العقل البشري أعظم الانتفاع . على شرط أن ينشر هذا الحوار بين الناس ▢

عبد الرزاق البصير

العدد القادم من :

عدد ممتاز

رواية الأديب الفلسطيني يحي خلف

أو تحولات بدر العنكبوت

بقلم : محمود الريماوي

تبدو رواية يحيى يخلف « تفاح المجانين » في قراءة عابرة أشبه بمجموعة من حكايات الطفولة ، التي وان جمعها خيط خفي واه ، فانها تظل حكايات متناثرة تتغير فيها المواقف وتختلف الأحداث ، لكن الاشخاص يتكررون هم أنفسهم ، ربما لتثبيت صورتهم في الأذهان .

ويستمد هذا الانطباع الأولي بعض الوجاهة ، مما تحمله الرواية من مواقف طريفة ولقطات كاريكاتيرية تقترب من التصورات الطفولية كمشهد حمار اعتاد الأطفال الهزء منه وينقلب فجأة من حالة الهدوء والدعة والخمول ، الى حالة من الجموح والهياج والعنفوان ، اذ يذرع شوارع البلدة على حين غرة ، بسرعة خاطفة تثير الدهشة والذعر بين الناس أو بما تتضمنه الرواية من توظيف لعنصر الخرافة ودورها في توجيه اختيارات الناس وتحديد سلوكهم ، كما هو الشأن في القصص الخرافي للاطفال . ويتعزز هذا الانطباع مرة أخرى في كون الرواية مكتوبة بـ (منطق) وأداء شديد القرب من منطق الطفولة الذي يكسر حواجز الزمن ويلغي الحدود بين الحسي والتجريدي . الراوي ولد يتحدث عن نفسه وعن جاره وصديقه الولد . والاسماء طابعها طفولي البطل هو بدر العنكبوت (الحشرات)

الدكتور اسمه باز (الطيور) . الجار يحمل اسم تحصيل دار (اسم ذو أصل تركي لجابي الضرائب وتركيب الاسم بالعربية يوحي بركاكة طريفة) بائع السمك يعرف بلقبه المشط (كناية عن كونه قصيرا)

هكذا يحيل القارىء هذه الرواية القصيرة التي تقل صفحاتها عن المائة ، الى نسيج شفاف من حكايات الطفولة الأسرة ، التي تختلط فيها المعاناة بالمسرات ، والاخفاق بالانتصارات وحيث يجري تمجيد شجاعة الطفل أمام الكبار ، مع سعيه الحثيث لكسر طوق الطفولة ، والضعف الى أن ينجح أخيرا في اكتشاف مثله الأعلى ، المتمثل في خاله العائد بعد غياب ثم لايلبث أن يغيب مرة أخرى

شجرة التفاح الغريبة

« كان صيفا جافا قاحلا هام بعض الناس في البراري وأكلوا من ثمرة تفاح المجانين فاصابهم مس وقاموا بأفعال جنونية ، دبت فيهم قوة مؤقتة فدحرجوا الصخور واقتلعوا الأشجار من جذورها وأحدهم صارع ذئبا ولوى عنقه . كان أهلنا يحذروننا من الاقتراب من هذه الاشجار الشوكية الجافة التي كان مرآها يملأ النفس رعبا ، ويقولون بأن من يأكلها يصيبه الجنون ولا يكون مسؤولا عن أفعاله ، ويقولون أيضا بأن من يأكلها تصبح له قوة الاسود ودهاء الثعالب وزهو الطواويس وكبرياء النسور وقد يدفعه ذلك الى القيام بأعمال جنونية وعلاج الممسوس في المراحل الأولى يكون بفصد دمه » (ص٣٨) يتضح من هذا المقطع أن شجرة التفاح المقصودة هي احدى الأشج[ار] السامة التي تحمل ثمرا له لون أو شكل التفاح ويصيب هـ[ذا] الثمر آكله في البداية بهيجان شديد تعقبه حالة تسمم حـ[ادة] تقتضي بفصد الدم لاخراج السم انها شجرة ملعـ[ونة] يتجنبها الراشدون والعقلاء لكن أطفال البلدة و[منهم] الراوي وصديقه بدر العنكبوت يجذبهم السحر الط[اغي] [لـ]هذه الشجرة فهم فقراء الحال يشكون الفاقة والحر[مان] وازاء هذا تبدو الشجرة أو ثمارها بمثابة الحل السحـ[ري]

تفاح المجانين

رواية

الذي يحرق المراحل وينقل الطفل دفعة واحدة من عجز الطفولة ومحدوديتها الى قوة ورجاحة عالم الرجولة وعجز الأطفال لايرجع هنا الى أعمارهم القصيرة بل لبؤس الحياة التي يعيشون ، فهم يسكنون في حوش واسع حوش معص بالمستأجرين ، امرأة ترضع طفلا من ثديها الضامر ، وأخرى تغسل الملابس ببقايا صابونة تكاد تتلاشى رجال يعرون عاسين يجرجرون أقدامهم رجال عاطلون ، حوش يمتلىء بحسال الصيل والملاقط والدبول والانكسار (ص ١٢)

في هذه البيئة التي تتحمص فيها فرص الحياة والطمأنينة والأمل يشب الأطفال يرتشمون الفقر ببطء وعمق مع قطرات الحليب ويمتصون البؤس مع فتات الخبز ، ومن عيون الأهل الكليلة ومن قساوة شاويش المحصر وعنجهة العورمس (أحد رجال مشروع النقطة الرابعة الأمريكي . وهو مراقب العمال) ومن نكد الحاجة أم أمين صاحبة الحوش ومن اهانات المدرّسة الست انجيل (مدرسة الارسالية) ومن ابتزاز وارهاب زوجة « العورمس » بجمالها الصاخب وثرائها الفاحش وتميزها الصارخ عن نساء الحارة ، في هذه الظروف التي عاشها بدر العنكبوت وصاحبه الراوي بعد سنوات من الخروج أو الهجرة ، بدأ البطل الصغير يبحث عن سر القوة ومصدرها ، في البدء أخذ يتعلم الملاكمة ورفع الأثقال حتى تصبح له قوة ثلاثة أحصنة وأربعة ثيران . الى أن جاء ا الحارة شمشون الجبار برفقة النوَر (الغجر) لم يكن منهم لكنه جاء معهم . رجل طويل بعضلات مفتولة ولحية طويلة وقام بالعاب خارقة كسروا صخرة فوق بطنه ونام على سرير من المسامير

كان بدر العنكبوت يحدق فيه مذهولا ولعله كان يفكر بالعملقة وبفعل الخوارق هكذا تبدأ رحلة الفتى في اكتشاف مصادر القوة والسعي الى امتلاكها وتجسيدها يعززها شعوره المتنامي بفداحة البؤس المتمادي حوله وتقدمه في العمر سنة بعد أخرى .

ثمرة كأنها قنبلة

في احدى الليالي استدعى والد بدر تحصيل دار الى المخفر بطريقة مهينة لأمر يتعلق بظاهرة جرت في اليوم ذاته وفي صباح اليوم التالي سحبت المدرسة « ست انجيل » بدر العنكبوت من اذنه لأنه كان بلا منديل ولأنه متسخ الرأس والأظافر ولم يكن يحمل حقيبة كتبه طلبت منه أن يرفع ذراعيه الى أعلى فما كان منه الا أن كسر مسطرة المدرسة وهرب من الخيمة هرب بعيدا الى البراري وجعل هناك يفكر بطريقة ينتقم فيها من شاويش المخفر ، يقول الراوي « كانت الاشجار الحمراء الوحشية تصهل وتزأر وتتفجر ، ثم تعيد تكوين نفسها قفز من مكانه ودفعني نحوها ثم قطف واحدة وناولني اياها ارتجفت يدي كأني أحمل قنبلة ، صاح بدر العنكبوت كلها والا لن تعود صديقي أكلتها دفعة واحدة وفي الحال تحولت الى جمرة ناولني ثانية وثالثة فصرت سفودا أحمر يقترب من درجة الذوبان ثم أحسست أني أتحول من ماء الى بخار ومن حولي كان البرقوق يتحول الى عيون أبقار وكان نبات عرف الديك الذي يتوج رأس تلك الطيور الصلعة ينبت على كتفي وعلى رؤوس أصابعي » (ص ٤٨)
هكذا عبر الصاحبان التجربة القاسية وقد امتطيا الخرافة (الأجنحة الشمعية) محلقين الى الأعالي فوق صخور الواقع الصلدة وأشواكه الحادة يعمرهما الشوق ويملأهما الشوق لبلوغ آفاق الحرية والتجاوز ولكن أجنحة الخرافة أشبه بأجنحة شمعية لاتلبث أن تذوب في وهج شمس الحقائق !

على هذا النحو تدفعها الظروف البائسة الضاغطة الى محاولة كسر شروط الواقع بأسلحة الواقع الفاسد ذاته فترتد التجربة المريرة عليهما . فاذا بهما من حديد يفتحان عينيهما على وسعهما بغية اكتشاف وسائل أجدى للعملقة ، خارج معطيات الواقع الخادعة ، بعد أن أدركا ، بجسديهما ، عقم التجربة الا أنه لم يكن أمامهما أن يخترعا مصدرا للقوة من بنات الأفكار » ، أو أن يسعيا لنموذج جاهز من خارج ، كان عليهما فقط مع دبيب الوعي المبكر والحاسة المرهفة أن يعمدا الى التمييز والتدقيق بين ما هو ميت وما يبعث الحياة . بين عوامل

الانكفاء والضعف والتسليم ، وعناصر المبادرة والقوة والعمل ، في بيئتها ومحيطها الانساني والاجتماعي

حتى دخل الى حياتها الخال عمران (خال الراوي) دخل عبر رسالة تلقاها الوالد منه ، عن طريق الصليب الأحمر الدولي ، ذلك أن عمران مسجون في اسرائيل ووصلت رسالة ثانية وثالثة من الخال وكانت الأحاديث تدور في الاماسي ، حول الذكريات الحية الدافئة لعمران ومن سبقه من مجاهدين الرسالة الأخيرة حملت خبر اقتراب موعد الافراج عن عمران وابعاده حتى خرج الخال حقا بعد شهرين وبحث الوالد عن كفيل يمضي (إمضاء) كفالة بمائة دينار لاخراج الخال من المحضر ولكن هيهات ! من أين مع الفقر الذي لم يترك دينارا في الجيوب ؟ عند ذاك سرح بدر العنكبوت في الشوارع ، غاب وغاب حتى خيل اليه أنه ذهب الى البراري وتساءل كيف يكبلون أيدي الجبال الشاهقة ، كيف يشدون وثاقها كيف يحبسون الفضاء الواسع كيف كيف ؟ ثم استعانت الوالدة شقيقة الخال بروحة العورس لاقناع روحها بكفالة الخال

ولكن .. أين البندقية ؟

وتنعطف الأحداث مرة أخرى يقع العم تحصيل دار (والد بدر) صريع المرض ويموت يبكي بدر بصمت ثم بصوت عال اذا لم يبك الفتى والده فمن يبكي اذن ؟ وخرج بدر العنكبوت من خيمة الأحزان باحثا عن فضاء أما الخال فعاد في المساء ملطخ الثياب بالقار والزيت بعد أن وجد عملا في رصف الطرق فتساءل بدر يجوع الفدائي ويأكل التراب والحشيش والأفاعي ولا يشتغل مثل هذا الشغل وذات يوم وجد بدر قطع حديد غريبة الشكل جاء بها الى البيت واجتهد بائع السمك المشط بأنها نوع من القنابل ضحك الخال وقال انها (بواجي) سيارات فأعرب المشط عن خجله لأنه بلغ هذا العمر ولا يتقن استعمال السلاح وتمنى على الخال أن يشرح له كيفية استعمال البندقية فتساءل هذا . ولكن أين البندقية ؟ ثم حمل الخال قلم رصاص وأخذ يرسم بندقية رسم فوهة الماسورة القبضة . كتلة الترباس الأخمص النابض الزناد رسم الفرح والدهشة رسم الفضاء والمسافات الشاسعة رسم الرمال وقطرات المطر وفي النهار التالي عكف بدر على صنع بندقية خشب وأحد يعلم أولاد الحارة صنعها بعد أ واضحا انه اكتشف سر القوة لم تكن هذه الأحد وحدها التي أعقبت موت تحصيل دار فقد كان أمام ان تقي نفسها شر الفاقة اذا ما جرى شطب اسم الر ووكالة الغوث من جهتها كانت تسعى آنذاك الى عدد المسجلين في احصائياتها لاذابة الناس حـ هويتهم ، حتى وقع الاختيار على الخال للعب دور عد دار عندما تأتي لجنة الاحصاء لتحصي النفوس وبالـ دور ! كان عليه أن يحني ظهره ليبدو شبيها بالمرحو ليبدو هو نفسه وما أن وصلت اللجنة حتى شحب وجه الرجل فشلت التجربة بطريقة مؤلمة وبدا كما لو أن كبرياءه تحطمت فقد أخطأ مرتين مرة عندما قبل لعب هذا الدور الذي يتناقض مع مبادئه ومرة عندما أحسن في اتقان الدور وحرم العائلة من بطاقة الاعاشة ، فخرج من الزوابة الكبيرة باحثا عن الفضاء والهواء والندى ركض الى البراري وركض المشط وراءه وبدر وراءهما ووجدت نفسي أركض وراءهم أيضا يقول الراوي

ولم يستطع أحد اللحاق به كانت البراري صافية وأوراق الشجيرات الوحشية أخذت تتساقط والثمار بدأت تذوي وتجف

رصد للتحولات

تبدو هذه الرواية من القراءة العابرة كما ذكرنا في البداية أشبه بمجموعة من حكايات الطفولة المتناثرة الا أن قراءة أكثر دقة للرواية (وهي الثانية لمؤلفها بعد بحران تحت الصفر) تكشف أن هذا العمل يرصد التحولات التي طرأت على قطاع كبير من المجتمع الفلسطيني ، عقب الهجرة وحتى تجدد الكفاح المسلح في مرحلته المعاصرة عين الطفولة البريئة النافذة هي التي ترصد هذه التحولات كما تسجل انعكاسها على جيل جديد ولد وشب بعد هجرة ٤٨ ١٩ ولم يمتد به الوقت حتى يلمس الطريق الصحيح الى وطنه

واذا كان آدم وحواء قد طردا من الفردوس بعد خطيئة تناولهما للتفاحة المحرمة فان تناول الجيل الفلسطيني الطالع لتفاحة الحرائق ، والحلول السريعة والسحر قد

بـرور وعي مبكر يتلمس الطاقة الذاتية لأداء واستنهاض قوى سائر أبناء الحارة » للسير على لحال عمران

هـ ـا تحمل الرواية أكثر من مستوى للقـراءة فهي ـتوى أول مغامرات طفولة شقية وشيقة معـا ، لا ـ يشبون بين مظاهر البؤس لكن قوة الحياة الكامنة م يدفعهم الى التمرد باشكال مختلفة وعلى مستوى فان الرواية تتابع عبر النقاط والتفاصيل وإضاءتها ، التحولات التي تصيب الحـارة وأبناءهـا بعد صدمة مرة واكتشاف الواقع المر للمنفى

على صعيد آخـر تكشف الروايـة في مستوى أول اهر الغربة والحنين الوطني الخفي ،والشعور بفقدان يد الحياة الوطنية . أمام ظروف لاترحم ، ويظل هذا حس ينمت وينمو ببطء كأنما تحت الجلد ، حتى يطل ل عمران (وهو هنا فدائي يمثل مرحلة أوعقدا سابقا النضال) وعندما يطل ينكشف المحسوء وتتفجر اعر الكامنة . وتتتـالى أحاديث الـذكريـات ، وتتجه ين والأفئدة مرة أخرى صوب الوطن

الى حوار هذا الهاجس الوطني ، يتولد وعي اجتماعي خلال الصراع ضد الظروف البائسة ومسببها ويبدو زاوج بين الشأن الاجتماعي والوطني حيا وعضويا لفورمن (مراقب العمـال في المشروع الأمـريكي) شـاويش حسـن والسـت انجيـل (مـدرسـة رسالية .) هؤلاء معـا يقومـون بأدوار متكـاملة في ضغط على أبناء الحارة وتهديـدهم في رزقهم وكرامتهم طية وفي غمرة الصراع مع هذه القـوى يظهـر الخال ران بعد الافراج عنه لكن هذه القوى تعمد الى تكبيل ران من حديد بمعاملته كخارج على الأمن ثم دفعه الى وق العمـل البـائس الـذي يستنـزف قـواه البـدنيـة روحية

س غافل القول أن الرواية نجحت في حل قضية لية دون الانزلاق الى الدعاية السياسية والأيديولوجية ما برع كـاتبهـا (وهـو الأمـين العـام لاتحاد الكتـاب لصحفيين الفلسطينيين) في رسم أشخاص أحياء من م ودم وأعصاب وأحلام ، وتجنب تنصيب نماذج وأنماط اهرة تمثل البؤس أو الشجاعة كما حقق لروايته لغة عربية رقيقة تنبثق من داخل العمل الروائي ، وتشيع في يا المواقف والاحداث ، ولا تلتصق بـالعمل كحلية يعة خارجية وفي العرض الذي قدمناه غير مقطع يكشف هذا الحس الشعري المرهف أو الذوق الشعوري المتميز

وبعد هذا العرض « للايجـابيات » الكبيـرة في العمل تبقى مـلاحـظتـان الأولى حـول عـودة الخـال من السجن لقد بدا الأمر في الرواية ، كما لـو أن الكاتب استدعى « الخال ليملأ » فراغا في الحارة وليبهض الهمم فماذا لو أنه لم يعرج عنه ؟ لقد انطلقت شرارة الكفاح كما هو معروف من « المنفى » من تجمعات الفلسطينيين في الخـارج الذين استأنفوا كفـاح آبائهم ، وأجـدادهم في الوطن

وهكذا فان مجيء عمران جاء أشبه بـ « حيلة » للتدليل عـلى نضج الخيـارات التي بلغها الـراوي وصاحبـه بدر وتشبههم السريع به أضفى على العمـل مسحة تعليمية « أضعفت قوة الايحاء في العمل

المـلاحظة الثـانيـة تتعلق بنـزوع العمـل في بعض المـواقف الى المبالغة والتشهير الأيـديـولـوجي اذا صـح الوصف اذ لم يكتف العمل بأن جعل زوجة الفورمن على جانب من الجمال الصارخ والثراء الفاحش (رغم أن زوجات الأثرياء ليس من المحتم أن يكن فاتنات في سائر الأحـوال) ولكنه أضـاف الى ذلك أنها تقـدم جسـدهـا بسـهولة وأين ؟ في بيئة محافظة كـ « الحارة » موضـوع هذه الرواية وتكتمل المبالغة عندما تختار الخال لتعطيه جسـدهـا ، فهل أن صـورة الفـدائي العـامـة هي النموذج الذي يجذب النساء ويفتنهن من اللحظة الأولى ؟ هـل هذا تحليل واقعي لشخصية الفدائي الذي هو في حقيقة الأمر أكثر النماذج طبيعية واعتيادية في مجتمعه ؟

كذلك الأمر مع الست انجيل التي بدت نموذجا صارخا للاستعلاء والقمع التعليمي اوحق على فرض صحة ذلك واحتمال وجوده في الواقع ، فقد كان الاقرب الى المنطق تقديم صورة أقـل احترالا وابتسـارا ، لا الاقتصار عـلى استغلال السمعة الايديولوجية السيئة لمدرسة الارسالية

هـاتان المـلاحظتـان (أو المؤاخذتـان) على الـروايـة لاتقللان بالطبع من جودتها وتميزها ، فبالاضافة الى ماسبق ذكره من ملاحظات ايجابية فان هذه الرواية تحمل قـدرا كبيرا من الامتاع وتعيد قارئها الى العناصر الأولى للادب القصصي وأهمها الامتاع ، حيث تجري اعادة انتاج الواقع في الأثر ، ولكن بعد تحريره من ربقة عاديته اليومية وبعد استبعـاد الأراء والتصـورات الســابقـة ذات الـطـابـع الفكري ، مع التركيز على العواطف البشرية الأسـاسية ومفارقات الحياة الكبرى ذات الدلالة ◘

محمود الريماوي

اشترك في كتابة هذا المقال للعربي كل من الدكتور عبد القوي عياد بقسم الفلك في جامعة القاهرة ، والدكتور جوزيف كيزك بمرصد اندريوف في تشيكوسلوفاكيا

الشمس مفاعل نووي هائل لخدمة البشر

بقلم الدكتور / عبد القوي زكي عياد

والدكتور / جوزيف كيزك

الشمس نجمة كبيرة من لهبات الصاحنة تزيد في حجمها ملايين المرات عن كرتنا الأرضية . وما هذا القرص اللامع الذي يملأ الدنيا بالضوء من حولنا ، إلا نجم عادي ضمن ملايين النجوم الأخرى التي يتابعها المشاهدون من خرة سكة التبانه ، ذلك الحزام اللامع الممتد خلال سماء الليل . إلا أن جميع النجوم الأخرى بعيدة جدا عنا لدرجة أننا نراها كنقط ضئيلة الاضاءة حتى بأكبر المناظير . ويحتاج ضوء تلك النجوم عدة سنوات حتى يصل الى الارض . أما ضوء الشمس فيصل الينا بعد مغادرة سطحها بثماني دقائق وعشرين ثانية فقط . لهذا فإن الشمس أقرب الينا عدة ملايين المرات عن النجوم الأخرى . ومن هنا أيضاً يأتي إحساسنا باشعاع الشمس وبظهورها كقرص كبير في السماء . وتفوق الشمس في الأهمية بالنسبة للحياة على سطح الأرض ما يزيد على ١٥٠ بليون نجم أخرى في مجرة سكة التبانه وحدها . والمجرات الأخرى بعيدة جداً بحيث يقل تأثيرها عن نجوم مجرتنا .

٢ كيلووات للفرد

وشمسنا ، شأنها في ذلك شأن النجوم الأخرى ، عبارة عن مفاعل نووي كبير . ففي أجزاء الشمس المركزية ، وعلى عمق ٦٥٠ ألف كيلو متر من السطح يتحول كل ثانية حوالي ٥٠٠ مليون طن من نوى الهيدروجين الى نوى الهليوم . ولا مجال هنا ، حيث درجة الحرارة بالملايين ، للحديث عن الذرات وإنما عن خليط من النوى والاليكترونات . وخلال تلك العملية من الاندماج النووي تتحرر كل الطاقة الشمسية ، أي كل ثانية ٣٨٠ تيراتيراوات (١) . ويطلق على هذه الكمية لمعان الشمس .

ومن مركز الشمس تنتقل الطاقة المتحررة على شكل إشعاع كهرو مغناطيسي في اتجاه السطح الذي يطلق عليه اسم الفوتوسفير أو الكرة المضيئة .

ومن الكرة المضيئة (الفوتوسفير) يتم إشعاع طاقة الشمس في الفضاء المحيط . وقليل جداً فقط من إشعاع الشمس هو الذي يصلنا على سطح الأرض . فلا يزيد هذا القدر اليسير عن جزء أو اثنين من بليون جزء من الاشعاع الشمسي كله أي ١٨٠ ألف تيراوات . ورغم صغر هذا الجزء فانه تمثل نصيباً هائلاً إذا قارناه باستغلال البشرية من الطاقة . ذلك أن كمية الطاقة التي يستعملها الانسان تبلغ ٨ ملايين كيلو جول أو ٨ ملايين كيلو وات لكل ثانية ، أي ٨ تيراوات لكل ثانية . وإذا قسمنا هذه الكمية على ٤ ملايين ادمي يعيشون فوق هذا الكوكب لاتضح أن نصيب الفرد في المتوسط هو ٢ كيلووات . ويزيد معدل الاستهلاك في الدول الصناعية عن هذا المتوسط ليصل الى ١٠ كيلووات بينما يقل عن ذلك في الدول الفقيرة جداً ليصل فقط ١و كيلووات .

وإذا كانت الارض كما ذكرنا تتلقى من الشمس ١٨٠٠٠٠ تيراوات بينما كل البشرية تستهلك فقط ٨ تيروات فانه يبدو جليا أن الشمس تعطينا من الطاقة حوالي ٢٢ ألف مرة أكثر مما نحتاجه . لهذا فإن الطاقة الشمسية تعد أكثر من كافية لتغطية احتياجات الانسان على هذا الكوكب . بل وأكثر من ذلك فإن الاشعاع الشمسي مصدر لا ينضب للطاقة . فقد قدر الفلكيون أن الشمس بها هيدروجين في الجزء المركزي يكفي لانطلاق الطاقة بالمستوى الحالي لأطول من خمسة بلايين عام أخرى .

والشمس مصدر نظيف للطاقة ، نظرا لأنه لا يسبب أي تلوث للبيئة كما هو الحال في مصادر الطاقة الاخرى (كالفحم والزيت واليورانيوم . . . الخ) . وليس هناك شك في أن الشمس سوف تصبح أهم مصدر للطاقة للأجيال القادمة . ومن دراسة توزيع الاشعاع الساقط على سطح الأرض يمكننا أن نتبين أن البلاد العربية غنية جداً بالطاقة الشمسية .

(١) تيرا = مليون مليون

وقبل أن ندخل في بعض الاستخدامات العملية للطاقة الشمسية يجدر بنا التذكير بأن كل مصادر الطاقة التي نستخدمها حاليا (باستثناء مفاعلات الاندماج النووي والطاقة الحرارية الارضية) مصدرها الشمس . فطاقة الرياح ، وطاقة الماء والزيت والفحم والغاز الطبيعي والخشب وقوة الحيوانات ما هي الا إشعاع الشمس الذي تحول واختزن في صورة أو أخرى .

تحويل الطاقة الشمسية

وتأتي الطاقة الشمسية من الشمس في صورة اشعاع . فعلى كل متر مربع خارج الغلاف الجوي الأرضي يسقط حوالى ١,٤ كيلوات ، وهذه الكمية هي ما يسمى بالثابت الشمسي . وشدة الاشعاع أقل من ذلك بالطبع على سطح الأرض بسبب فقد الاشعاع بالامتصاص والانعكاس جزئياً أثناء مروره خلال الغلاف الجوي الارضي . وأثناء الليل لا يصل اشعاع الشمس الى الجزء المظلم من سطح الارض . وبرغم ذلك فان الاشعاع الكلي الواصل الى الارض على متر مربع من الصحراء الكبرى أو شبه الجزيرة العربية خلال عام يبلغ ٢٠٠٠ كيلو وات ساعة ، أو ٨٢٢ حول كل ساعة . ومساحة الصحراء الكبرى وحدها تبلغ حوالي ٧ ملايين كيلو متر مربع . ومن هنا يسهل حساب أن جزءا صغيرا من الصحراء (مليون كيلو متر مربع مثلا) سوف يكفي لانتاج ٥٠ تيراوات من الكهرباء اي اكثر ٦ مرات مما تحتاجه البشرية في الوقت الحاضر .

ويصعب تخزين الطاقة الشمسية أو استعمالها مباشرة ، لذلك لا بد من تحويلها الى صور أخرى من الطاقة نحتاجها في الصناعة والنقل والزراعة واستهلاك المنازل . فنحن نحتاج طاقة حرارية وطاقة كيماوية وطاقة كهربائية وطاقة ميكانيكية . وللتوضيح نعطي هنا بعض الأمثلة على تحويل الطاقة الشمسية ألى صور اخرى .

● تحويل الطاقة الشمسية الى طاقة حرارية . سقوط أشعة الشمس على جسم داكن اللون يتم امتصاص الطاقة الشمسية ، أي تتحول الى طاقة حركة لجزيئات الجسم الداكن اللون أي يزداد محتواه الحراري فترتفع درجة حرارته .

وفي الطبيعة من حولنا نلاحظ أن عملية الامتصاص من الامور الشائعة . فحوالي ١٢٠٠٠٠ تيراوات من إشعاع الشمس (البالغ ١٨٠٠٠٠ تيراوات في أعلى الغلاف الجوي الأرضي) يتحول الى حرارة في الغلاف الجوي الارضي مقيم تتراوح بين ٣٥٠٠٠ تيراوات في الاجزاء العالية من الغلاف الجوي و ٨٥٠٠٠ تيراوات قريبا من سطح الارض . وبدون هذا التحول للطاقة الشمسية بالامتصاص يصبح كوكبنا جسما باردا لا تزيد درجة حرارته عن ٢٦٣ درجة مئوية تحت الصفر .

وتوجد عدة تصميمات لاستغلال امتصاص أشعة الشمس بطريقة أكفأ مما يحدث في الطبيعة . ونعني عن البيان ذلك المجمع الشمسي المسطح . والجزء الأساسي في هذا المجمع . عبارة عن سطح أسود من لوح معدني ويغطى الصندوق المعزول بزجاج يحمي السطح الماص من فقد الاشعاع . وبداخل الصندوق نظام من الانابيب المعدنية متصلة بالجهاز وتعمل على انتقال الحرارة بسهولة مع جريان الماء أو أي سائل آخر خارج الصندوق . ويمكن تخزين الماء لحين الاستخدام فيما يسمى مسخن الماء الذي بدأ استخدامه في البلاد العربية .

والمطبخ الشمسي تطبيق آخر يتم فيه طهي الوجبات بواسطة الاشعاع الشمسي ، وهذا الفرن عبارة عن مرآة على شكل قطع مكافىء ، ويتم بواسطة المرآة تركيز اشعة الشمس من بؤرة تمثل شعلة الطهي . وفي الاماكن المعزولة عن مصادر الطاقة الاخرى (مثل الجهات الصحراوية) أثبت المطبخ الشمسي انه فعال ونافع في طهي الوجبات .

وهناك افران شمسية كبيرة تصلح لاغراض التعدين والكيمياء ، وتصل درجات الحرارة في بؤرتها لحوالي ٤٠٠٠ درجة .

ومقطر الماء الشمسي يستخدم الاشعاع الشمسي لانتاج ماء صالح للشرب والزراعة من ماء البحر . وما ذلك الا محاكاة لما يحدث في الطبيعة من دورة للمياه ولكن على مقياس أصغر وبطريقة أكفأ . فالحرارة الناتجة من امتصاص الاشعاع الشمسي تعمل على تبخير جزيئات الماء تاركة وراءها كل الشوائب والأملاح والميكروبات وتتكاثف جزيئات الماء عندما تقابل سطحاً باردا . ويتم تجميع الماء النقي الصالح للشرب في خزانات . ويتم إضافة بعض المعادن لهذا الماء ليصبح صالحا تماما للشرب .

● **تحويل الطاقة الشمسية الى طاقة كيمائية** . ويمكن تحويل الطاقة الشمسية الى طاقة كيمائية . ومثال ذلك استعمال الطاقة الشمسية لتحـ[illegible]

. الى غازيه الهيدروجين والاكسجين فبتكسير
جزيء الماء يتم تخزين طاقة عندما يتحد كل من
الهيدروجين والاكسجين (في احتراق الهيدروجين)
تتحرر الطاقة المختزنة ثانية على شكل حرارة

ولعل أحسن تحويل كيمائي لأشعة أو طاقة الشمس هو التمثيل الضوئي فالنباتات الخضراء تستخدم ثاني اكسيد الكربون والماء كمواد خام تنتج منها ، باستعمال الطاقة الشمسية ، جزيئات عضوية معقدة (مثل السكر والنشا وغيرها) وهذه الجزيئات تستخدم كغذاء لبقية الأحياء على سطح الأرض وفي الغذاء تخزن الطاقة الشمسية التي تتحرر بالتنفس ، أي بتكسير الجزيئات المعقدة الى ثاني أكسيد الكربون والماء والتمثيل الكلوروفيلي ، لهذا ، عبارة عن بوابة يدخل فيها الاشعاع الشمسي للمجال الحيوي كله ففي النهاية تتغذى آكلات اللحوم على آكلات العشب الذي تكونت فيه المواد الغذائية بواسطة الاشعاع الشمسي

● تحويل الطاقة الشمسية الى طاقة كهربائية

انه لمن الصعب تصور حياتنا حاليا بدون كهرباء وهناك طرق عدة للحصول على الكهرباء من الاشعاع الشمسي ففي البطاريات أو الخلايا الشمسية يتم تحويل الاشعاع الشمسي مباشرة الى كهرباء وأفضل الأنواع المعروفة هي خلايا بلورات السيليكون المطلية من كلا سطحيها بعناصر خاصة ويتج من الاشعاع الساقط على الخلية فرق جهد يمر بيه تيار كهربائي وتبلغ كفاءة التحويل في الخلايا الجيدة جدا حوالي عشرين في المائة وأحسن خلية معملية (خلايا التاندام) تعطي ٣٥٪

واذا كان كل متر مربع من الصحراء العربية يستقبل ٢٠٠٠ كيلو وات ساعة من الاشعاع الشمسي كل عام ، فإن هذا يمكن ان يعطي ككفاءة التحويل العادية (٢٠٪) حوالي ٤٠٠ كيلو وات ساعة من الكهرباء كل عام وكل كيلو متر مربع يعطي بذلك ٤٠٠ مليون كيلو وات ساعة كل عام ، تساوي ٤ ملايين جنيه بحساب قرش واحد للكيلو والصحراء الكبرى وحدها مساحتها ٧ ملايين كيلو متر مربع !!

ويمكن الحصول على كهرباء من الاشعاع الشمسي مرورا بالتحول الكيمائي بتحليل الماء الى جزيئيه: الهيدروجين والاكسجين ثم حرق الهيدروجين ليتحد بالاكسجين فيعطي طاقة حرارية تستعمل في تشغيل ميكانيكي لمحطات كهرباء حرارية وقد تم بالمعمل اختبار صلاحية مثل هذه الطرق وغيرها

ويجدر بنا أن نذكر مشروعين حديثين لانتاج الكهرباء من الاشعاع الشمسي يستعين الاول بالفارق في درجة الحرارة بين سطح المحيطات واعمق الاماكن فقد وجد ان درجة الحرارة عند سطح المحيط في المناطق الاستوائية تبلغ من ٢٥ ـ ٢٨ درجة بينما درجة حرارة الأعماق حوالي ٥ درجات على عمق حوالي ٤٠٠ متر ويمكن عمل ماكينة ضخمة تعمل بفارق درجتي الحرارة لتقوم بتوليد الكهرباء على نطاق واسع وقد تم تصميم لمثل هذا المشروع في كل من كوبا وافريقيا

أما المشروع الثاني فهو عبارة عن قمر صناعي يدور على ارتفاع حوالي ٤٢ الف كيلو متر فوق سطح الارض ويقوم هذا القمر بدورة حول الأرض كل ٢٤ ساعة وفي نفس اتجاه دورانها وبذلك يظل ثابتا مكانه في الفضاء بالنسبة للارض وبتغطية اجنحة كبيرة لهذا القمر بخلايا شمسية ، يستطيع تجميع قدر كبير من الطاقة الشمسية (التي لم تضعف بعد لعدم مرورها بالاجزاء الكثيفة للغلاف الجوي الارضي) ويتم تركيز هذه الطاقة وبثها في صورة موجات كهرومغناطيسية قصيرة الموجة جدا الى محطات استقبال ارضية ان مثل هذا القمر الصناعي يمكن ان يعمل ليلا ونهارا ويرسل حوالى ١٠ ملايين كيلوات من الطاقة الكهربائية الى سطح الارض وعلى مثل هذا المشروع ان يجتاز مناقشات حامية قبل إقراره ليبدأ تشغيله في التسعينات

● الطاقة الميكانيكية من الطاقة الشمسية

والاشعاع الشمسي لا يمكن تحويله مباشرة وبفعالية عالية الى طاقة ميكانيكية . ولكن يمكن الحصول على الطاقة الميكانيكية بطريقة غير مباشرة مرورا بالتحول الكيمائي أو الكهربائي كما ذكرنا وتوجد حاليا مختبرات لمثل هذه التحولات على شكل سيارات أو طائرات تستخدم الطاقة الشمسية كوقود ، وجدير بالذكر أن أحد الأمريكان كان قد صمم في بداية هذا القرن نظاما للري يعمل بالطاقة الشمسية

ان ماهية الطاقة الشمسية وكيفية استخدامها قد أصبحتا معروفتين ، ولكن شيوع استخدامها سوف يتطلب على الاقل نصف قرن وعلينا ألا ننتظر حتى يقوم الآخرون لنا بهذه المهمة ، فعلينا ان نزيد من اهتمامنا بهذا المصدر النظيف ، وغير المكلف ، وغير المحدود من الطاقة ، بهذا المفاعل النووي ـ الشمس ❍

د عبد القوي عياد
د جوزيف كيزك

صورة من الماضي .

قصة بقلم عبد الحميد بن هدوقه

كان عامل البريد يبتسم ليونس كأنه يؤكد له أن البريد حافظ أمين وخطر بباله أن يسأله ·

متى سيصل تقريبا ؟

ـ غدا

ـ شكرا

بقي يونس واقفا أمام الشباك ينتظر توصيل الارسال من عامل البريد ، وعيناه شاخصتان نحو سلة الطرود المحاذية للعامل وردد في نفسه « غدا سيصل احتلط بغيره من الطرود وصار مثلها من يستطيع أن يتنبأ بأن هذا الطرد يحمل نهاية صداقة ونهاية حياة ؟ عليه طوابع كغيره من الطرود مثلها تماما سيفرح به قابضه كما يفرح جميع أصحاب هذه الطرود التي تنتظر في سلة البريد يد الانسان . »

وبدت له فكرة : « يد الانسان فعلا هي التي عبأت هذه الطرود وربطتها وكتبت فوقها أسماء تدل على حيوات . وحملتها الى هنا كما ستحملها الى عناوينها . يد الانسان هي التي طبعتها وأعطتها صبغة شرعية لتتنقل بين أماكن وأيد مختلفة دون أن تخشى الضياع . يد الانسان هي التي تقبضها وتفتحها فيفرح البعض بمحتواها والبعض يموت . . . يد الانسان في البداية والنهاية . »

وتبعت هذه الفكرة أخرى لاتقل قساوة عن الأولى ، وانطبعت على شفتيه الرماديتين ابتسامة صفراء :

« أنا أيضا انسان أشبه هذا الطرد من يستطيع أن يعرف ما أضمر ؟ من بامكانه أن يسبر ضميري ويدرك أني انسان مجرم ؟ أشبه هذا الطرد تماما هو يحمل الموت وأنا أحمل الجريمة ، بطاعة ما يخفي غطاها طرفه وبشاعة ما أضمر يغطيها جسمي بطوابعه البريدية يمشي حيث أردت ، وبابتسامتي أمشي أين أريد لكنه يحمل موت غيره وأحمل بذرة موتي »

أخذ توصيل الارسال وشيع الطرد بنظرة قاسية حمراء وقفل راجعا وفي نفسه يجري حديث طويل

«الآن انتهى كل شيء . فترة من الندم تتبع هذه النهاية قد تمتد شهورا ثم تأخذ يد النسيان في محوها ، سوف تزول آلام أهله وذويه وأحزانهم عليه . سيمحى ذكره وفعله ولن يبقى له ظل في هذه الأرض سيتخذ له مسكنا بعد غد أو بعد ثلاثة أيام في مستطيل لايزيد طوله عن مترين وعرضه عن ذراع . لن يستطيع أخذ شيء من هذه الأرض سيصير هو نفسه أرضا في أرض . . . أرضا

تراها الشمس أبدا مستقبل وجهه التجداد أما أنا . أنا سأبقى هكذا أردد نفس الاغنية في ألحان جديدة أبدا وأعيد الى النهاية ، سوف أعمل مع رؤساء جدد وربما سأقتلهم كما قتلت هذا ثم ماذا ؟ ثم لاشيء »

بدأ القطار يتحرك مبحوح الصوت ، مختنق الأنفاس ، كأنه يتألم من النار التي تتأجج في أحشائه وبدأت الأفكار تتحرك في نفس يونس .

« اني جبان ، أمرت بقتله في مكتبه لابهذه الطريقة

كان على أن انفذ الأمر بكل دقة . أوامر الانسان أقوى من أوامر السماء ، كل توسع فيها يعد تمردا . لم أومر بارسال طرد له يحوي قنبلة أمرت بقتله ،كان على أن أطبق الأمر وأعاين انجازه كان على أن أقتله بخنجر اني جبان ، جئت من « البويرة » الى « الجزائر » لارسال الطرد لأبعد عني كل شبهة ، لأحيا منافقا أبدا : أظهر الخير للناس وأمقتهم جميعا وأضمر لهم الشر واحدا واحدا اني جبان . »

وأعاد هذه الكلمة بمرارة وألم عميقين « اني جبان » .

خرج القطار من محطة الجزائر الرئيسية متجها الى غايته في عنف ، شاقا طريقه بين العمارات المطمئنة الحالمة والمعامل الصامتة ، في عويل وصخب بالغين كأن سائقه شعر فجأة بوجوده الأسود وبيده السوداء فحنق على جميع من في الأرض فانتقم ممن حوله من ساكني العمارات بارسال صيحات القطار تباعا ومضاعفة صريره وحشرجته .

كانت الساعة الواحدة بعد الزوال ، وكانت أشعة الشمس نازلة على الأرض كأعمدة من نار كان العرق يتصبب من جباه راكبي القطار والعطش يلفح صدورهم . أما يونس فكان يحس كأن عرقه يسيل في قلبه ، وكأن افكاره هبطت الى رجليه

كان القطار يجري ,العمارات حوله تجري ، وعرق المسافرين يجري ، وأفكار يونس وذكرياته تجري . . كان يراها بين رجليه مختلطة مع رماد وأعقاب السقاير . « ذكرياتي كأعقاب هذه السقاير »

لم يكن الا أفراد قلائل من الأوروبيين في هذه العربة .كانت من الدرجة الثالثة . وبالمقصورة حيث

---

(١) مدينة بمقاطعة الجزائر .

س كان يركب أربعة أشخاص وفتاة ، صحب يونس أن
ى فتاة أوروبية تركب مع العرب كانت عيناها
قاوين صافيتين عميقتي النظرات ، يعلوهما حاجبان
سودان أنف عال يشمر بكبرياء صاحبته أجزاء
سمها متناسبة متوائمة لكن ملامحها كانت خالية من
، تعبير تلبس قميصا أزرق من « النيلون » وفستانا
ميرا من « التيرقال » بلون البحر تشد وسطها حيلة
، « البلاستيك » بيضاء ، وتحتذي حذاء صيفيا أبيض
اها لاتظهران ، كانت تلبس قفازا أبيض لم تكن تنظر
، أي فرد ممن معها في المقصورة بل تنظر الى الباب كأنها
ظر مجيء أحد لم تبد منها أية حركة أو خفقة تنم عن
سابقتها من ركوبها المقصورة مع العرب

الى يمينها يجلس حرائري صميم ماهر الستين تبدو
ليه آثار النعمة كان بالرغم من حرارة الطقس يلبس
نسين فوق العباءة والبدلة ، شد رأسه بعمامة صفراء
خيوط من وبر كان بكثرة ملابسه تلك كأنه يتحدى
لحرارة الملتهبة التي لفحت الأرض في ذلك اليوم وكانت
،اه على بطنه تتحركان تحت العباءة أما الثلاثة الآخرون
كان لباسهم أوروبيا صاخبا طافحا بالألوان وأيديهم
ية غليظة كانوا عمالا بفرنسا تعلو وجوههم
رحة العودة وبشرى الرجوع كانوا يضحكون
تحادثون بأصوات عالية وبلغة فرنسية حطمتها الستهم
نوية الصلبة يتحدثون عن معامل « سيطروين »وعن
سفرهم بالباخرة من مرسيليا الى الجزائر لكن
ضحكهم واستبشارهم ومرحهم ذاك لم يخفف تلك
لحضرة الداكنة التي اصطبغت بها جلودهم كغيرهم من
عمال الجزائريين بفرنسا

وصل القطار الى محطة « لاغا » كانت نائمة تحت
شمس لم يكن بها سوى نفرين على الرصيف ، أحدهما
بس سروال عمل مالت زرقته الى البياض من القدم ،
شد رأسه بمنديل فوق شاشيته ، أرسل حزما منه على
قفاه ويداه تدفعان في كسل ظاهر عربة بضائع أما
لآخر فكان يرتدي لباسا صيفيا أصفر من نوع
كاكي » على رأسه قبعة شركة السكة الحديدية في
ده اليمنى علم صغير وفي اليسرى صفارة

لم يلبث القطار الا لحظات قصيرة ثم أعطيت له اشارة
لانطلاق فاستأنف شخيره وعويله من جديد

كانت مدينة الجزائر نائمة في اللهب ، وكانت السماء
ضا نائمة وكان ركاب القطار نائمين ما عدا
مقصورة واحدة في الدرجة الثالثة لم يكن أصحابها
نائمين فشاء أحد العمال الثلاثة أن يداعب الفتاة
(هل تعرفين باريس يا آنستي)؟
فابتسمت الفتاة بالرغم منها ولكنها لم تجبه فالتفت الى
رفيقيه قائلا « ان الآنسة طيبة »
واشتدت الحرارة ، واشتدت سرعة القطار ،
وتزاحمت على يونس افكاره وذكرياته

« ارادوا أن يتخلصوا منا واحد يقتل والآخر
يسجن ، ولو كان غرضهم قتله هو وحده لاستطاعوا ذلك
بغاية السهولة أمروني بقتله أنا لا ، لم يعتقدوا أبدا
اخلاصي للثورة ، والا لاتخذوا كل الاحتياطات
الضرورية لانقاذي بعد انتهاء المهمة »

« سيصله الطرد غدا أو بعد غد سيصله الساعة
الرابعة والنصف لن يفتحه بالمكتب سيأخذه الى بيته
ويفتحه هناك لن يموت وحده اني جبان ، أمرت
بقتل شخص فاتسبب في قتل عدد من الأرواح قد يكون من
بينهم طفل لكن ليموتوا جميعا فلن اسلم نفسي للسجن
ولا للموت لا لن أموت ليمت جميع من في الارض
فلست وحدي مجرما كم انا جبان أذعنت لأمر قد
لايكون أصلا من منظمة الثورة قد يكون ذلك الراعي
اللعين راعي البقر ، أحب ان ينتقم مني فاملى أمرا
من محض خياله ونفسه القذرة
« من قال سيصير ذلك البائس البليد يتأمر على راعي
البقر لكن من ينكر عليه تدبيره ؟ سوف يزداد شأنه
خطرا وينال حظوة من رؤسائه » حظوة بعمل باشرته
يداي »

سوف يقول لرئيسه : « تخلصنا من القايد وكاتبه بأيسر
سبيل أمرت كاتبه بقتله أحدهما يموت والاخر
يسجن ، دون أن نكلف أنفسنا عناء آه راعي البقر
اللعين
« ولكن لن ينجو مني سأعرف كيف أنتقم منه لن ينجو
ولو أخفى نفسه تحت الأرض »
(لايوجد « المترو »هنايا آنسة ، في باريس هناك
« المترو »
لم تجبه الفتاة كانت عيناها الزرقاوان مصوبتين نحو
الباب لم تحول نظرها عنه منذ أن ركبت .
أضاف هناك ، كل أحد اذهب الى سان لازار وساحة
كليش نعم . أنا هناك ، كل أحد أمشي . أمشي كامل
النهار في باريس ولذلك أنا أعرف باريس .)
ثم حدث نفسه : « بعد قتل راعي البقر اذهب الى
باريس »
« غدا سيموت القايد أو بعد غد ترى من

يتولى مكانه ؟ لن يقبل أحد أن يخلفه الناس يخافون من يد الانسان لو عرض علي نفسه لقبلت أصير قائدا ولم لا ؟ لن أصبح لا لفرنسا ولا للثوار ، أعمل مع كليهما ولن أخلص لواحد منهما لن يهم أحدا اسحق كل من يعترض طريقي كهذا القطار لن يردني أحد ثم ماذا ؟ ثم لاشيء لست وحدي مجرما الحياة نفسها جريمة ، جريمة من جرائم الانسان من أجل لذة عابرة زمان أي في هذه الحياة هل فكر أثناء سعيه وراء لذته ؟هل فكر لحظة في نتائج فعله ؟ كلا كلنا مجرمون خلقنا من جريمة من فعل يستحى منه أمام الأعين »

***

ألا تحسين الحرارة يا آنسة ؟ أنا أحس حرارة شديدة لاحرارة في نارس الصيف جميل فيها لكن الشرطة حاملون الجزائري الذي لايعمل يقاد الى السجن ولذلك لم أبق هناك لقضاء عطلتي)

وفي محطة «الحراش» ركب شرطيان ، واذ رأتهما الفتاة امتقع لونها ركبا لتفقد أوراق المسافرين

قامت الفتاة ، تود الخروج واذا بشرطي أشقر عريض المنكبين رأسه كرأس الثور يقف أمام الباب كان قميصه الاصفر مبلول الابطين من شدة عرقه ، يمسك باحدى يديه رشاشه (أوراقكم)

أخرج جميع من في المقصورة أوراق تعريفهم ما عدا الفتاة زعمت أنها نسيت أوراق تعريفها بالبيت فقادها معه كانت جزائرية

وصاح العمال الثلاثة مدهوشين « مثلنا عربية »

كان عدد كبير من الجند على رصيف المحطة يتأهبون لركوب القطار ورأى يونس الفتاة تمشي بين الشرطيين مرفوعة الرأس لاتظهر عليها ذرة من الخوف بالرغم من فوهة رشاش أحد الشرطيين الملتصقة بجنبها

« فتاة أشجع مني لو قتلت القائد بخنجري مكتبه لأظهرت بذلك اخلاصي للثورة وعدائي لفرنسا وأصبحت بطلا أنا بطل لا لم أخلق للبطولة ، خلقت للاجرام »

كاد أن يصيح في أوجه من معه « أنا مجرم انظروا الى يدي انني قتلت صديقي ورئيسي منذ عشر سنوات لم أقتله من أجل الوطن قتلته جبنا ، قتلته لافقاد نفسي القدرة انظروا الى يدي ألا ترون عليها آثار الاجرام ؟ لاترون عليها الآثار لأنها يد مجرم جبان

ولكن لم يستطع حلقه اخراج هذه الصرخات

كان القطار يمرق الحقول أمامه تمريقا عنيفا وبدأت أشعة الشمس تمتد مع النوافذ فتتغلغل الى أعمق أعماق المسافرين ، فضاقت الصدور وجفت الحلوق وانعقدت الالسنة وانطفأت الأبصار ما عدا نظرا واحدا لم تطفئه نظر الرجل المعمم لم يكن يفكر كان ينظر حالما الى هذه الحقول الجميلة الشاسعة الممتدة امتداد النظر على جانبي الطريق أراضي المعمرين

وقال لرفاقه وعيناه سابحتان مع هذه السهول الثرية « أخذوها كلها أخذوا أرضنا ورموا بنا في الفيافي »فلم يجبه أحد أما يونس فسخر منه وتمتم في نفسه « يحلم باسترجاعها »

فأضاف الرجل المعمم قائلا في لهجة تنم على الرضا والاطمئنان « ولكنهم سيغادرونها عما قريب »

فلم يتمالك يونس أن قال له ساخرا انظر ؟

وكان القطار وصل الى مكان ملتو تظهر عرباته الأولى من هذه العربة مكتظة بالجند

فلم يأبه الرجل المعمم بقول يونس ، وأعاد في نفس الاطمئنان السابق سيغادرونها »

وأخذت العربات الأولى تختفي من حديد وخطر في نفس يونس أن فرنسا كهذا القطار تسحق كل من يعترض سبيلها »

ولكن القطار كان قد وصل الى جسر ! ، وبالجسر كان لغم يتربص وتراءت ليونس اثر الانفجار يد سوداء تملأ الأفق تنقض كالصاعقة على رأسه وتمتم والدماء تسيل من فمه « يد الانسان » ◯

الجزائر ـ عبد الحميد بن هدوقة

معركة النباتات في الصحاري

بقلم الدكتور صلاح بركات

برغم قسوة الحياة في الصحارى نجد ان ثمة كائنات استطاعت ان تواجه التحدي وان تعيش فيها ، بل نجد أن هناك نباتات قد أتخمت جوفها بالمياه ، رغم ندرة الندى والطل ، ونباتات تبعث من موتها مع طلائع الورق المتساقط ، وأخريات تجعل الارض كالبساط السندسي المزخرف بأزهارها الجميلة ، بعد ان تسمع صيحة السماء

بعض أنواع النباتات الصبارية الاسطوانية الشكل

١ ـ السيروس الاريزوني ٢ ـ أوكوتيلو

ان وجود كائنات نباتية في مكان ما على سطح الأرض يرتبط بتوفر شروط ثلاثة .

الماء ، وان يكون بصورة قابلة للامتصاص وصالحة للنبات ، ودرجة مناسبة من الحرارة مع توفر كمية كافية من الضوء فتوفر الماء اساسي وعامل محدد لانتشار ونمو الكائنات ، والحرارة المناسبة لازمة أيضا لنموها بشرط أن تكون في حدود إمكانية التحمل لها فلا تكون عالية لا طاقة للنبات بتحملها فيجف عوده وتسقط اوراقه ويذبل ويموت ، ولا تكون منخفضة فلا يقوى على اتمام دورة حياته ونموه فيضعف ويموت أيضا ، وكذلك شدة الاضاءة فهي تلعب دورا هاما في تواجد النباتات ، فتكاد تكون شبه معدومة في قيعان البحار والمحيطات ، حيث يسود الظلام ويختفي النور هذه الشروط تبلغ درجة المثالية في مناطق خط الاستواء ، ولهذا فان نمو النباتات يصل الى حده الأعظم فيها ، واذا ما افتقد شرط من الشروط السابقة في منطقة معينة فان وجود النباتات فيها يتناسب مع شدة غياب أو تأثير هذا العنصر

الماء والحياة

ان الحياة على اليابسة كانت وما زالت مرتبطة ومتواجدة بالاماكن المحتوية على مصادر المياه ، وقد أشارت الدراسات سواء القديمة منها أو الحديثة الى أن أصول الحياة قد بدأت في المياه ومن ثم انتقلت الى اليابسة ، واستقراء سريع للحضارات الأولية في العالم يظهر لنا بأنها قد نمت وترعرعت بالقرب من ينابيع المياه سواء كانت أنهارا أو بحيرات أو بحارا فكأن تلك الينابيع المائية كانت ينابيع الحياة والحضارة

وأهمية الماء لاتعود فقط الى أنه يشكل وسطا للعيش والنمو بداخله لكثير من الكائنات ؛ وانما له دور آخر في داخل بنيانها ، فجزيء الماء يتكون من ذرتي هيدروجين وذرة أوكسجين H2o ويشترك في كثير من التفاعلات الكيميائية الهامة جدا بالنسبة لحياة الكائنات ، ويلاحظ أن معظم أجسام الكائنات مركبة من حوالي ٨٠ / من الماء على الأقل ، كما أن هناك بعض الحيوانات تبلغ هذه النسبة فيها الى ٩٩ ٪ويلعب داخل جسم الكائن ادوارا عديدة .

- فهو يعتبر وسيلة نقل للمواد الغذائية ، اذ يقوم بنقل المواد الأولية من الجذور الى الأوراق بفضل تماسك جزيئات الماء مع بعضها البعض ، هذا التماسك أدى الى

شجرة السيروس الكاليفورن ، تصل أطوالها الى ١٥ م

ايجاد قوة معاكسة لقوة الجاذبية الأرضية ، كما أنه يقوم بنقل المواد المتكونة في الأوراق نتيجة عملية التمثيل الضوئي أو اليخضوري من سكريات وغيرها الى أعضاء النبات الأخرى

- يشكل الماء وسطا عالي الاذابة ، فعن طريق الماء يتم اذابة وتصريف كثير من المواد الضارة لجسم الكائن والناتجة عن العمليات الحيوية كحمض البول السام لأجسام الحيوانات ان معظم التفاعلات الكيميائية لا تتم الا عندما تكون المواد المتفاعلة بصورة محاليل .

اذ يتم بذلك تشرد المركبات الى وحداتها الأولية وانتشارها وسط المحلول المائي حاملة معها شحناتها السالبة أو الموجبة ، هذا الانتشار يسهل عملية الربط ما بين هذه الشوارد لتشكيل مواد جديدة

ولا يفوتنا هنا ذكر خاصية الماء الحرارية ، اذ يتصف بقدرته على امتصاص كمية كبيرة من الحرارة دون أن تتغير حرارته إلا بصورة طفيفة ، هذه الخاصية تعمل على حماية

المركبات العضوية الحساسة للحرارة من الارتفاع الزائد لها ، فالماء المتواجد داخل الخلايا يعمل على توصيل ونقل الحرارة الزائدة والناتجة عن العمليات الحيوية المنتجة للحرارة الى الخلايا والأوساط المجاورة لتلك . وعملية النقل وحركة المياه هذه تزداد بازدياد انتاج الحرارة ، ولهذا فان درجة الحرارة للخلية تكاد لاترتفع عن درجة الوسط المحيط بها

ويتبين من هذه الأمثلة القليلة على أهمية الماء وتوفره أمر أساسي لتحقيق الحياة واستمرارها عند الكائنات ، ولهذا فانها تسعى للحصول عليه بشتى الوسائل كما تحاول الحفاظ على مخزونها منه بشتى الوسائل أيضا وتتبع طرقا مختلفة تقلل من فقدان محتواها المائي وخاصة عندما يندر وجود الماء كما في المناطق الصحراوية

الصحارى : الأرض المنبوذة

لو أخذنا الصحراء بالتعريف لقلنا بأنها عبارة عن منطقة منبوذة من قبل أغلب الكائنات الحية ، وخالية من الانسان تماما في بعض الأماكن منها ، والمعنى قريب من ذلك ، في كلتا اللغتين الفرنسية والانجليزية ، اذ يكون الفعل أو المصدر لها Déserter بمعنى غادر وهجر ، وعلى هذا يمكن أن نطلق على مناطق القطب الجليدية اسم الصحارى البيضاء مثلا ، الا أن هذا التعبير حصر على المناطق التي تتصف بقلة وندرة مياه الأمطار ، وجفاف أراضي هذه المناطق يكاد يكون مستمرا طوال العام باستثناء فترة قصيرة

ان انخفاض كمية الأمطار الهاطلة وعدم انتظامها في كل سنة يزيد في قساوة العيش ، فقد تمر سنوات عديدة من دون هطول قطرة واحدة ، اضافة لذلك فان معظم الصحارى تتواجد بالمناطق المدارية والتي تتعرض لرياح مستمرة ولدرجة عالية من الحرارة . هذه العوامل تزيد من كثافة التبخر للمياه ـ بالرغم من ندرة وجودها أصلا وقلة وجود بخار الماء في طبقات الهواء للمناطق الصحراوية يسبب تغيرات حرارية يومية وفصلية حادة ، اذ ترتفع الحرارة نهارا بشكل كبير وتنخفض بشكل كبير أيضا خلال الليل ، وهذا الارتفاع والانخفاض سببه قلة وجود بخار الماء في طبقات الهواء كما ذكرنا اذ يعمل على امتصاص الحرارة اثناء وجود الشمس يعطيها أثناء الليل ، وبذلك يلعب دورا مساعدا ومخففا لفروق الحرارة خلال اليوم هذه التغيرات تكون قليلة خلال فترات المطر وشديدة خلال الجفاف

تشكل السوق الخضراء عند نبات ريبوتيا مستودعات للمياه

وتبين من خلال الدراسات بأن سطح الأرض الصحراوية يمكن أن تصل درجة حرارته الى ٦٠ مْ ، بينما لا تتعدى حرارة طبقة الهواء المجاورة له مباشرة ٣٠ مْ ، ولذلك فان التربة تسخن أكثر من الهواء ، هذا التسخين للتربة تصل سماكته ما بين ٢٠ الى ٢٥ سم كما أن الفروق الحرارية اليومية عند هذا العمق من التربة لاتكون كبيرة ، بحيث أنها لاتتعدى في معظم الحالات الـ ٣٠مْ ، وهذا يتيح لكثير من الحيوانات فرصة العيش في تلك الأماكن

ولا شك أخيرا بأن الهبوب الدائم والمستمر للعواصف الرملية في تلك المناطق أمر طبيعي نتيجة التغيرات الحرارية الكبيرة ، فيزيد في عملية التبخر للماء من الكائنات والتربة ، لذلك فان الرطوبة النسبية غالبا ما تكون ضعيفة ، وتتراوح ما بين ١٥ و ٥٠ ٪ ما عدا الأيام الماطرة

تأقلم الكائنات النباتية

ان الانواع النباتية النامية في هذه الشروط القاسية ، هي النباتات التي استطاعت ونجحت في ايجاد طرق مناسبة للعيش وسط هذا المناخ الجاف ، والعالي الحرارة ، والمتصف بقلة الأمطار هذا النجاح ولا شك جاء بهداية الله سبحانه وتعالى لها ، ويمكن أن نلاحظ بأن النباتات قد اتخذت صورا ثلاثة لتستطيع سكنى تلك الاصقاع

ـ فهناك نوع من النباتات عملت على تقصير مدة دورة حياتها ، وفترة عيشها تكون متوافقة مع فترة هطول الأمطار ، فبذورها تنبت مع بداية سقوط المطر فتنمو وتكبر وتزهر وتثمر وتكون الخلف وتجف وتموت مع انتهاء تلك الفترة . هذه النباتات أطلق عليها النباتات المؤقتة أو السريعة الزوال

ـ فهناك نوع من النباتات عملت على تقصير مدة دورة حياتها ، وفترة عيشها تكون متوافقة مع فترة هطول الأمطار ، فبذورها تنبت مع بداية سقوط المطر فتنمو وتكبر وتزهر وتثمر وتكون الخلف وتجف وتموت مع انتهاء تلك الفترة . هذه النباتات أطلق عليها النباتات المؤقتة أو السريعة الزوال

ـ وهناك أنواع أخرى نباتية تتميز بتواجد جهازها الخضري بشكل مستمر ودائم رغم كل شدة الحرارة وجفاف المياه . هذه النباتات تظهر تغيرات فيزيولوجية وشكلية وتشريحية تجعلها قادرة على تحمل الظروف المتواجدة فيها ، وقد دعيت بالنباتات الصحراوية ، وقسمت إلى قسمين حسب طريقة مقاومتها للجفاف ، فهناك النباتات العصارية التي اختزنت الماء داخل انسجتها ، والأنواع الأخرى تخشبت انسجتها وتغلظت ودعيت بالنباتات الخشبية . ولو أجرينا مقارنة ما بين هذه الأنواع الثلاثة لتبين لنا بأنه لا يمكن وصف النباتات السريعة الزوال ولا النباتات العصارية بأنها نباتات تتحمل الجفاف ، بمعنى أن خلاياها تتحمل فقدان كميات كبيرة من الماء لفترة طويلة ، بدون أن تتضرر كما هو الحال عند النباتات العائدة للحياة كالطحالب Mousses والحزازيات Lichens والأشنيات Algues فهذه النباتات يمكن أن تجف تماما خلال فترات الجفاف ، ولكنها تحتفظ بحيويتها وتستأنف فعاليات الحياة بسرعة عند عودة ظروف الرطوبة الملائمة

وهناك أنواع نباتية أخرى راقية كشجرة الكريوسوت حيث تنخفض نسبة الماء في أوراق هذه الشجرة في فصل الجفاف الى ٥٠٪ من الوزن الجاف دون أن تتضرر ، علما بأن نسبة الماء في أوراق النباتات الخشبية النامية في المناطق المعتدلة تتراوح ما بين ١٠٠ و ٣٠٠ ٪ من وزنها الجاف

وتبين من خلال الدراسات بأن موت الخلايا النباتية لاينتج بالدرجة الأولى عن تجفيف الخلايا وفقدان الماء منها ، بل ينتج من تأثير الاضطرابات الميكانيكية المحرضة الناتجة عن فقدان الماء من الخلايا وعودته اليها وعمليات الضغط والتقلص والتمزق لعجوات وسيتو بلازم الخلايا . هذه العوامل هي التي تكون السبب في اتلاف وموت الخلايا

وحتى ندرك كيفية مقاومة النباتات للجفاف بشكل واضح علينا أن نتذكر تركيب النبات العام ، فهو يتركب بشكل مبسط من قسمين

تعتبر أزهار نبات الالوة مستودعات للمياه

تتلون أوراق نبات ستبليا اللحمية باللون الأحمر أما كؤوس الأزهار فيلون أصفر

قسم يعلو سطح التربة (ساق ، فروع ، أوراق ، وأزهار) ويدعى بالقسم الخضري أو الهوائي لتعرضه للهواء . وهذا الجزء مسئول عن توفير الطاقة اللازمة للعمليات الحيوية عن طريق التقاط الأشعة الشمسية وتحويلها الى طاقة كيميائية أما القسم الثاني فينفذ داخل التربة (الجذور) ويحصل للنبات على العناصر الغذائية الأولية من آزوت وفوسفور وبوتاسيوم وماء

النباتات سريعة الزوال

هذه النباتات قصيرة الأجل ، تسرع باتمام دورة نموها خلال فترة وجيزة ، وهي الفترة التي تسقط بها الأمطار ، وتمضي فترة الجفاف الطويلة بصورة بذور (حولية) أو بصورة بصيلات كنبات البروق والريزومات (نباتات أرضية معمرة)

ولهذا فان هذه النباتات تظهر بشكل فجائي بعد نزول الأمطار وتنمو بشكل سريع ملفت للنظر ، لاتمام دورة حياتها خلال فترة الامطار هذه ، وفترة النمو عندها متغيرة من نبات لآخر ، ولكن بشكل عام تكون من شهر واحد لأربعة أشهر ، وهناك أنواع نباتية تكمل دورة حياتها ما بين ثمانية أيام الى خمسة عشر يوماً كالانواع التابعة لجنس بوراليا وتريبولوس ، في هذه الحالة فان النبات يتصف بحجم صغير جدا وتظهر أزهاره على الساق التي لم تحتو بعد الا على ورقة أو اثنتين ، ويصل طول هذه الساق من ١ ـ ٢ سم ، هذه النباتات الصغيرة التي أعطت الأزهار والثمار يطلق عليها بالنباتات الوقتية

ولقد تبين من مقارنة انبات ٥٠ نوعا من هذه النباتات ذات النضوج المبكر والمأخوذة من صحارى شمال أفريقيا مع أنواع دانمركية بأن ٨٨ ٪ من هذه الأنواع الصحراوية قد أنبتت وانتشت خلال ثلاثة أيام ، بينما لم ينبت الا ٦ ٪ من الأنواع الدانمركية ، هذه النباتات المؤقتة تماثل النباتات النامية في المناخات الرطبة والمعتدلة في التركيب التشريحي ، وبين الباحث ليمي حديثا بأنها لا تبدي أية تغيرات أو اختلافات فيزيولوجية واضحة ، وان احتياجاتها المائية تماثل نباتات المناطق المعتدلة وهي تشكل غالبا ما بعد فترة نزول الأمطار سجادة متصلة تغطي التربة وتشكل القسم الأساسي من الأعلاف لتغذية حيوانات تلك المناطق ويطلق عليها اسم العشب ، هذه النباتات تقضي فترة الجفاف بصورة بذور أو بصورة بصيلات أرضية أو ريزومات . ليطلق عليها النباتات المختفية أو النباتات الأرضية أيضا

نبات فريدوليا ذو الشكل القسيدي يمكن أن يصل علو هذا النبات الى متر واحد

وبعض النباتات لها القدرة على تحمل الجفاف الشديد والطويل من دون أن تتضرر أو تتأذى خلاياها ، وتصل درجة انخفاض نسبة الماء في أعضاء بعض الأنواع المتحملة الى درجة الخلو منه تماما هذه النباتات تعود للحياة حالما تجد الماء فتنشط لتمارس كافة العمليات الحياتية ، هذا النوع من النباتات المنبعثة من مراقدها ، نجده خاصة عند الأنواع النباتية البدائية كالحرازيات ـ أو حراز الصخر ـ وتتكون من كائنين مشتركين لا يمكن لكليهما العيش متفردا ، هما الفطر والاشنة ، والطحالب (نباتات لها سوق وورق وليس لها جذور حقيقية)هذه النباتات تتواجد في المناطق الرطبة وفي الصحارى القاحلة ونلاحظ أن هذه الظاهرة . موجودة عند أنواع قليلة من النباتات الراقية

ان طريقة مقاومة تلك النباتات للجفاف شدت انتباه الباحثين لها ، فأفاضوا الأبحاث عنها ودرسوا مراحل مقاومة تلك النباتات لنقصان المياه فيها

الدخول في الحياة البطيئة

ان جفاف قسم من نبات الطحلب يؤدي أو يعطي الاشارة الى ايقاف النمو في كل أجزاء النبات ، وهذا يسبب ذبول الأوراق واصفرار كل الأجزاء المحتوية على الكلوروفيل .

ان دخول هذه النباتات في هذا النوع من الحياة البطيئة متناسب مع الرطوبة داخلها ، فكلما ازداد انخفاضا ازداد تباطؤ العمليات الحيوية بداخلها ، وذلك نتيجة لازدياد انخفاض امتصاص الأوكسجين الهوائي هذا التباطؤ يبدأ حالما تصل نسبة الرطوبة داخل الأعضاء النباتية

نفس المنظر السابق انما بعد سقوط ونمو نباتات أخرى وخاصة كونفولفيوليوس وأنواع من العائلة المركبة

الى ١٧٠٪ من الوزن الجاف للنبات وينعدم التنفس تماما حينما تصل نسبة الرطوبة الى ٢٠ / من الوزن الجاف للنبات ولكن هذا لايعني موت الخلايا ، وانما عملت على ايقاف كل نشاطاتهاالحيوية مع الاحتفاظ بحياتها ، هذه النشاطات تبدأ مع عودة امتصاص الماء للخلايا وتزداد بازديادها حتى تبلغ الدرجة العظمى لها ما بعد نسبة الرطوبة ١٧٠ ٪ من الوزن الجاف

ان ايقاف نمو النباتات في فترة الجفاف وانخفاض نسبة المياه فيها يحفظها من الموت وهذه العملية تقابل نباتات المناطق المعتدلة ، اذ توقف نشاطاتها الحيوية خلال الفصل البارد (الشتاء) كطريقة لمقاومة البرودة .

النباتات الصحراوية

تتميز الأراضي الجافة الصحراوية الواقعة في المناطق المدارية وفي منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط بوجود نباتات معمرة ودائمة القسم الخضري رغم الجفاف ، هذا الجهاز الخضري أو الهوائي يخفف من نشاطه حين تعرضه لجفاف شديد ، هذه النباتات تعمل على تحمل الجفاف بطريقتين :

ـ نباتات تعتمد على رفع امتصاصها للمياه الى الدرجة القصوى ، وتخفض الى الحد الادنى عملية فقدان الماء بواسطة النتح ، ولهذا فانها غالبا ما تكون شوكية الاوراق ، وذات سوق متخشبة وأطوال مختلفة يمكن أن تصل فى بعض الأحيا الى ٧ امتار . هذا النوع من النباتات يطلق عليه النباتات الخشبية ـ نباتات سميكة الأوراق لحمية وهى تعمل على جمع الماء داخل أنسجة خاصة خلال هطول الامطار لتستعملها خلال فترة الجفاف مثل هذه النباتات تدعى أيضا بالنباتات العصارية ويلاحظ ان العامل الاساسي الذى تحاول النباتات التحكم فيه ، هو السيطرة على فقدان المياه منها والذى يتم عبر مسامات موجودة على الأوراق والسوق ، ويطلق على عملية فقدان المياه . بتلك الصورة بالنتح هذا الفقدان يزداد بزيادة أعداد المسامات وبارتفاع درجة الحرارة ، وبحركة الهواء ورقة طبقة الكتين المغطية لبشرة الأوراق نجد بان النبات قد عمل على تصغير سطحه النباتي وزيادة سمك طبقة الكتين حتى يقلل من فقدان الماء منه

وتتألف الأجزاء الهوائية من أوراق وساق ، وتكون لحمية سميكة مملوءة بالماء وهي مكسيكية الأصل تتواجد في الصحارى الأمريكية وتدعى بالصباريات وهي من النباتات ذوات الفلقتين وتتحمل الجفاف بفضل مخزونها العالي من المياه الموجودة بسوقها أو بأوراقها وهناك بعض الأنواع تتصف بتحور أوراقها الى أشواك ، وتكون الساق في هذه الحالة خازنة للماء تتواجد هذه النباتات أيضا في أفريقيا ومدغشقر كنبات الافربيون ، كما أن هناك أنواعا أخرى تتواجد في المناطق الجافة المعتدلة من حوض البحر الأبيض المتوسط كنبات المخلدة ونبات سيدوم

وهذه النباتات تمتص المياه بشكل كميات كبيرة أثناء سقوط الأمطار ، وتختزنه داخل أنسجة تدعى بالأنسجة البرانشيحية المائية ،وتتميز خلايا هذه الأنسجة بكبر حجمها وبنواتها النامية جدا

يتم حفظ المياه بشكل سوائل سكرية لزجة ، ذات ضغط حلولي ضعيف ، ويمكن تمييز مكان خزن المياه .

ـ في الأوراق . كما في نبات الأكاف والمخلدة والأيزون ، أما نبات كونوفيتوم (صورة ٤) ، فو الأوراق الوردية الشكل ، فانه يتواجد في المناطق الجافة من أفريقيا الجنوبية . ويمكن لهذا النبات أن يشكل سجادة مزهرة خضراء اللون بعد هطول أمطار وفيرة ، بينما نجد أزهار نبات ستابيليا (صورة ٥) تتميز بضخامة كؤوسها الصفراء اللون ، وأعضاء التكاثر عندها تتواجد متعمقة في مركز الأوراق الكاسية تعطي هذه الزهور رائحة كريهة لجذب الذباب وتأمين اللقاح لها . وهناك بعض الأنواع بالاضافة الى أوراقها اللحمية نجد أن زهورها لحمية أيضا ومقاومة للجفاف ، كما في نبات الالوة (صورة٦)

وتلقح هذه الزهور بواسطة العصافير الباحثة عن المياه والغذاء .

يمضي نبات الزروق فترة الجفاف الطويلة بصورة نصيلات أرضية ، واعتبره القدماء رمزا للحياة الابدية

ـ في السوق تختزن بعض النباتات اللحمية الماء في سوقها ، وهذه السوق تكون عادة خضراء ومغطاة تماما بالأشواك ، والأوراق الصغيرة جدا التي تتساقط عندما يزداد الجفاف وهي متنوعة الأشكال فمنها الدائري والكروي ، وبالاضافة الى خزنها للماء فانها تقوم أيضا بعملية التمثيل الضوئي لاحتوائها على مادة الكلوروفيل من هذه النباتات نبات الشيحة (شروية)والعربيون وكارالوما

ويلاحظ أن كمية المياه المحفوظة داخل النباتات الصبارية هذه ، تتحدد عن طريق النسبة ما بين قدرة النبات على احتواء الماء ومساحة سطحه ، فكلما تناقصت مساحة سطحه نقصت بالتالي نسبة فقدان المياه منه ولهذا نجد هذه النباتات قد هديت من قبل الخالق الى الأشكال والحجوم الأقل سطحا لحجم معين فالأشكال الكروية والاسطوانية هي الأقل سطحا من غيرها من الأشكال ويصل المخزون المائي فيها الى أكثر من ٩٠/ من وزنها

والنباتات العصارية تقلل من فقدان المياه منها عن طريق تقليص السطح النباتي المعرض للهواء ، ويغطى سطحها المكشوف ؛ من ساق وأوراق بطبقة سميكة من الكيوتين المغلف بمادة شمعية كتيمة ، وبأوبار كثيفة عند بعض النباتات الأخرى هذه العوامل تحد لدرجة كبيرة من عملية النتح النباتي لدرجة أنه يكاد ينعدم تماما عند بعضها وخاصة عن انغلاق المسامات ، ويتم ذلك عندما ينخفض مستوى الماء في الخلايا عن حده الطبيعي من ١٠ الى ١٥ /

تتواجد المسامات عادة في سطح غائرة داخل الورقة أو الساق وتحاط غالبا باوبار تقلل من حركة الهواء ونتيجتها يتم تقليل فقدان المياه ، وهناك انواع من النباتات لاتفتح مساماتها إلا ليلا وذلك لتتجنب ارتفاع فقدان المياه عن طريق التبخر بواسطة أشعة الشمس القوية ، وعن طريق هذه المسامات المفتوحة ليلا يتم حصول الخلايا على غاز الفحم ويحتفظ به على شكل احماض عضوية ، ثم تفكيكها خلال النهار للحصول على غاز الفحم لاستخدامه في عملية التمثيل الضوئي لتكوين السكاكر

ولا شك أن هذه النباتات تؤمن تلك المياه المختزنة عن طريق امتصاصها من التربة بفضل جذورها المتفرعة ، خاصة تلك القريبة من سطح الأرض والتي يطلق عليها جذور الندى ويصل جذورها المتعمقة داخل التربة

النباتات الخشبية

تتواجد مثل هذه النباتات في الصحارى القريبة من البحر المتوسط ، وهي لاتختزن المياه كما في الحالة السابقة

تقاوم جفاف الوسط بفضل بعض التغيرات الشكلية و[التـ]ـشريحية التي طرأت عليها ، والأمثلة كثيرة على هذه [النبـ]ـاتات ولا شك بأن شجرة النخيل معروفة لدى اكثرنا ، [و]تعد من أكثر الأشجار انتشارا في صحارى شمال أفريقيا ، فقد قدر عدد الأشجار المتواجدة في المغرب العربي بحوالي ١٠ ملايين شجرة ، ثلث هذا العدد موجود بجنوب الجزائر ويقارب هذا العدد من الأشجار ما يوجد بمصر وليبيا ، وقد قدر ما تحتويه آسيا من النخيل ما يفوق الـ ٥٠ مليون شجرة وتتباين هذه النباتات بطريقة تحملها للجفاف ، فمنها ما اعتمد على زيادة مقدار حصولها على الماء ، ومنها ما عملت على تقليل فقدان الماء منها

وتتميز هذه النباتات بجهاز جذري متنوع الأشكال ونمو سريع ، اذ قدر نمو جذور شجرة الفستق خلال فصل واحد ١,٥ ، هذه الجذور تتميز بمناطق كثيفة من الشعيرات الماصة ، ولا شك بأن حجوم هذه الجذور تصل الى أحجام تعادل عدة مرات حجم الجزء الهوائي كما في نبات الارطماسية العطرى الرائحة ، اذ أن الجذر الوتدي أو الرئيسي لها يصل الى أعماق كبيرة بحثا عن المياه الجوفية فقد لوحظ أن بعض أنواع نباتات الحبوب الصغيرة والتي لايتعدى أطوال سوقها عدة سنتيمترات ، يمكن أن يصل طول جذورها الى أكثر من متر واحد ، أما في نبات الحجي فتصل الى عدة أمتار والى ١١ مترا في نبات الافدرا ، والنوع الشجري المسمى بروروس من العائلة القولية المتواجد في المناطق الصحراوية من أمريكا الشمالية يصل طول جذره في بعض الأحيان الى ٣٠ مترا ، هذه النباتات تملك شبكة من الجذور السطحية الواسعة الانتشار تؤمن لها صيد وامتصاص الكمية العظمى من الأمطار الهاطلة قبل أن تغور في أعماق التربة والمعروف أن ٩٧ / من المياه الهاطلة في المناطق الجافة تحفظ بالطبقة السطحية من التربة

ان نظام الامتصاص الافقي والعمودي للمياه ، يؤمن التغذية المائية الكافية لهذه النباتات بحيث تصبح قادرة على تحمل شدة الجفاف وفترته الطويلة ، هذه المياه الممتصة من قبل الجذور يتم نقلها الى الأوراق عبر أوعية خشبية مصورة وواسعة تسمح بجريان المياه السريع ، وذات شكل مسامي مثلا كما في نبات الطرفاء

وهناك بعض الأنواع يعتبر وجودها دلالة على وجود المياه الجوفية ، فالنبات المسمى بنبات المياه الجوفية تمتد جذوره الرئيسية لأكثر من ٢٠ مترا بحثا عن المياه ، وقد قام الباحث بافيليشينكو **Pavelécheko** بقياس جذور نبا[ت] « اكروبيروم » الموجودة داخل دائرة نصف قطرها ٢ ...

• ثم كما لاحظ بعض الباحثين عند كثير من الأنواع الصحراوية الرملية التصاق طبقة من حبيبات الرمال بالجذور

والنوع الثاني من النباتات الخشبية يحاول أن يقلل من فقدان الماء منها الى الحد الأدنى ولهذا فقد اتخذت أشكالا وحجوما معينة لتقلل من فقدان الماء عن طريق النتح ، كما يلاحظ أن عدد أوراقها قد تناقص أو أصبح حرشفيا كما في حالة نبات الطرفاء ، وحتى هذه الأوراق الصغيرة نراها تسقط اذا طالت مدة الجفاف ، وهناك أنواع أخرى من النباتات خالية تماما من الأوراق وتدعى بالاسليات وهذه النباتات تكون عبارة عن غصون فقط وتحتوي على الكلوروفيل بداخل طبقة البشرة ، وبذلك فان تلك الأغصان تقوم مقام الأوراق في عملية التمثيل الضوئي

النباتات الوسيدية

هناك انواع من نباتات الصحراء اخذت شكل الكرة او الوسيدة (تصغير الوسادة) كما في حالة نبات فوعونيا وفريدوليا وهو نبات معمر ، والقسم الخضري منه قد أخذ شكل الكرة أو الوسيدة وقد يصل حجم الكبير منه الى متر كامل وقد تبين من خلال التجارب التي أجريت على تلك النباتات ، داخل وسادته او وسيدته هذه بأن درجة حرارته لاتتعدى ال ٢٠ م عندما تكون حرارة التربة ٣٥ م عند الظهيرة أما نسبة الرطوبة داخل هذه الوسائد فتبقى ثابتة تقريبا خلال ساعات النهار وتكون ما بين ٨٠ / ، بينما تنخفض خلال ساعات الظهيرة في التربة الى ٥/

بهذه الصورة يحصل النبات داخل وسيدته على مناخ خاص ملائم للنمو يستطيع فيه تحقيق كل عملياته الحيوية على اكمل وجه

وهكذا يتبين لنا بأن نباتات الصحارى لها طبع خاص مختلف عن بقية النباتات الأخرى ، لأنها تعيش في مكان متميز فيه المياه قليلة ، والحرارة زائدة ، والشمس ساطعة طوال أيام السنة تقريبا ، ولهذا كان لابد لها من التهيؤ والاستعداد لتحمل هذه الظروف القاسية ، حتى تتمكن من العيش فيها ، فهداها الرحمن بأمره الى كيفية حفظ حياتها ، وبث في بذورها ، قبل أن يأتيها دبيب الحياة ، ما أنار لنسلها الطريق ، وجعلها تحذو حذو الآباء في استيطان تلك الاصقاع ، وتعمر الأرض فتطعم الغير ، وتقيه الحر والبرد ، وتسر الناظر بأزهارها فيتذكر ويحمد الخالق على ما أعطى وقدر ○

الباحث ـ د صلاح بركات

كليرانشرللى

امرأة تدافع عن الثورة العربية وفقراء باريس والمتمردين في العالم

بقلم : محمود قاسم

كلير اتشرللي أديبة تجمع في أعمالها كل خصوصية عالم المرأة المطحونة التي تحاول أن تجد لنفسها مكانا وسط مجتمع قاس لا يعرف للعواطف ميزانا أو مقياسا .

اذا حاولنا التحدث عن السمات التي تجمع بين كتابات النساء الأديبات خلال السنوات الماضية فسوف نجد أنهن يتمتعن بعالم خاص جدا ، ويعبرن في أعمالهن عن مشاعرهن وأحاسيسهن بصدق أكثر مما يفعل الرجل والكثيرات من هؤلاء النسوة يفضلن كتابة الرواية أو ممارسة الاخراج السينمائي أكثر من ممارسة ألوان أخرى من الكتابة . مثل الشعر أو الأقصوصة أو المسرح حتى من مارسن الفن التشكيلي منهن ، وجدن في الرواية عالما أفضل مثل جان شامبيون .

وكلير اتشرللي هي الوحيدة بين الكاتبات المعاصرات التي تتحدث عن التمرد والثورة والنضال من خلال البحث عن عالم أفضل . ونساؤها الثلاث اللاتي استعرضتهن في رواياتها الثلاث من صناع الثورة في الأماكن التي يعشن فيها لا يعترفن بالأمر الواقع يعشن في عالم يملؤه الفقر والاستغلال . ولذا فان النضال هو وسيلتهن الأولى في التعبير . كي يعشن في عالم آخر ليس فيه ظلم أو اضطرابات . .

سيرة ذاتية

وقد نشرت كلير ثلاث روايات فقط خلال خمسة عشر عاما هي على التوالي « اليزا أو الحياة الحقيقية عام ١٩٦٧ وفيما يتعلق بكليمانص عام ١٩٧٣ » ثم « شجرة مسافرة » عام ١٩٧٨ ولأن أولى رواياتها تدور بين فتاة فرنسية وشاب عربي جزائري ابان ثورة الجزائر فسوف نتناول هذه الرواية بشيء من التفصيل مع عرض موجز لروايتيها الأخيرتين

ولدت كلير في الحادي عشر من يناير (كانون ثان) عام ١٩٣٤ بمدينة بوردو بفرنسا وقد اشترك أبوها في المقاومة الفرنسية المسلحة ضد الاحتلال النازي ابان الحرب العالمية الثانية لكن الألمان أسروه عام ٩٤٢ وأعدم رميا بالرصاص في العام التالي وكان هذا الحادث سببا في أن تتعلم كلير التمرد الذي تشربته من أبيها وهي لاتزال طفلة لم تعرف الكثير من الاشياء اوالاسماء . فأمر الثوري سوف تراه مجسدا بصورة واضحة في شخصية

ـوسيان والجزائري ارزقي في روايتها « الير »

وبعد ان مات الأب ذهبت الصغيرة تعيش مع حدها في اقليم الباسك . ثم رحلت فيما بعد الى أمها التي تولت رعايتها

وفي وسط مجتمع فقير وأسرة متواضعة الحال استطاعت كلير أن تنال قدرا ضئيلا من التعليم سمح لها باستكمال دراستها ثم ما لبثت أن تركت التعليم لتتزوج وهي في الثامنة عشرة من عمرها وفي عام ١٩٥٢ حاولت نشر أولى رواياتها وكانت آنذاك في التاسعة عشرةمن عمرها ، لكن الناشرين أعادوا اليها الرواية مرة أخرى فاتجهت الى نظم الشعر ونشرت بعضا منه وفي عام ١٩٦٠ رزقت بطفل صغير ثم انفصلت عن زوجها ورحلت الى باريس لتعمل موظفة في فرع شركة ستروين للسيارات وتتفرغ تماما لتربية ابنتها مثلما ستفعل بطلات رواياتها فيما بعد وتقضي معظم أوقاتها تقرأ حتى تتمخض هذه القراءات والمواقف عن أولى رواياتها « الير أو الحياة الحقيقية » عام ١٩٦٧ لتعبر من خلالها عن مزيج من تجربة شخصية عاشتها بنفسها وتجارب أخرى عاشتها بعض صديقاتها

تدور أحداث هذه الرواية في نفس الأماكن التي عاشت فيها كلير . مدينتا بوردو وباريس أما الوسط فهو نفس العالم الذي عبقت منه طيلة حياتها الشخصيات الذين قابلتهم أكثرهم من الفقراء والعمال البارسيين المطحونين فاليز تعيش في أسرة صغيرة تتكون من أخيها الأكبر لوسيان وحدتها يعيش الثلاثة في ضنك شديد لكن اليز تحلم وتدرس وكل من الحلم والدراسة كفيل أن يجعلها تنتظر أن تحيا « حياة حقيقية »

أما لوسيان فقد فشل في عدة أمور متلاحقة مثل الدراسة وبعض العلاقات العاطفية يلتقي يوما هنري أحد أصدقائه القدامى في المدرسة يدرس القانون الآن ويعتبر نفسه مناضلا لأنه يستعد للاشتراك في حرب الجزائر

يرحل لوسيان الى باريس حيث يلتقي بآنا وهي بدورها مناضلة تنتمي الى إحدى النقابات يعيش معها تحت سقف واحد فينضم إلى نفس النقابة ، ويرسل لأخته أن تلحق به في باريس .

تجد اليز نفسها في مدينة تستهلك الكثير من النقود وتتطلب ماديات كثيرة فعليها أن تعمل كي يمكنها أن تعيش بالمدينة التي يسميها ـ الآخرون ـ عاصمة الضباب في نفس المصنع الذي تعمل به مع أخيها تقابل ارزقي شاب جزائري في الثلاثين من العمر ومن خلال تعاطفها مع قضيته وسلوكه يرتبطان ارتباطا عاطفيا علاقته بها تنمو شيئا فشيئا الى أن تغدو شديدة الارتباط فهو شاب بسيط يفتح لها آفاقا مجهولة .

« يبدو مشغوفا بحياتي البسيطةوبمشاعري الفياضة وبآفاقي المحدودة ، وبأحاسيسي الحية هذه الأشياء فجرت هذا الحب الكامن » .

على طريق النضـــال

وتتحدث عن أرزقي قائلة . « كان وجهه جميلا حلوا لا يعرف الخجل لكنه يبدو أقل شبابا من الآخرين »

يدعو اليرا لتناول القهوة بمناسبة عيد ميلاده الحادي والثلاثين ترى أنه يحمل صفات الانسان الكامل الحنون . فهي تتعلم منه كلمات كثيرة باللغة العربية حول ماذا يعني « الواجب » وماذا تعني كلمة « أحبك » وهو يتعلم منها الحب والحنان والعطاء

أما هي فتحاول من خلال أرزقي أن تفهم زميلاتها قضية الشعب الجزائري الذي يحارب ضد فرنسا مطالبا بالاستقلال وأن تصبح بلادهم دولة لها سيادتها واستقلالها بعد مائة وثلاثين عاما من الاحتلال الفرنسي

ـ « هل تريدون أن تنتشوا بعذاب الجزائريين »

ـ « يحب الفرنسي الجزائري كما يحب الحصان الذي يمتطيه »

تقول له « لو لم أعمل مع العرب أو الزنوج واذا لم أقف بجانبهم فماذا أفعل ؟ »

فيقول « النضال هو أن ينتمي المرء الى بلد مطحون »

ولكن العلاقة لاتدوم فذات مساء يتم القبض على الشاب ويتم ترحيله الى حيث لا تعلم . وبعد فترة قصيرة يموت أخوها في حادث ابان قيام العمال الفرنسيين بثورة ضد أصحاب العمل « علمني ماذا تعني كل هذه المشاعر ، الفشل وابتلاع اللعاب وان يبقى القلب مزموما وهو الذي كان يضحك دائما كان جسدي كله يتألم »

واليز تجد سلواها في قراءة الصحف التي يتركها أخوها ، كي تعرف منها قضايا العالم الذي يحيطها فهي تعاني كثيرا من العمل في المصنع لكنها مضطرة كي تعيش . « الصباح دائما يجلب الضجة . وبسبب التعب كنت أشعر بالعنف يفسد رأسي »

فبعد أن تجد الير نفسها قد خسرت أقرب الناس اليها ، تقرر أن تعود الى بوردو كي تعيش مع جدتها بعد أن أدركت تماما أن الفقراء أمثالها لن يعيشوا « الحياة الحقيقية » قط لقد استغرقت الحياة الحقيقية بالنسبة لها تسعة أشهر فقط أحبت خلالها الشاب الجزائري « أرزقي » . لكن الأمل يرقد الآن تحت الرماد « أرفض أن أتخيل ما ينتظرني يجب أن أعمل فسوف أحتار ـ دون شك ـ

وسيلة أزرقي في عالم لا توجد فيه علاقات إنسانية لقد دامت الحياة الحقيقية تسعة أشهر انسحبت داخل نفسي فأنا لم أمت بعد »

وعن حبيبها تقول « كان ازرقي يختار كلماته بدقة فهو يحب أن يردد دائما كلمة أخي عندما يعبر عن شعبه الكلام لديه يمثل قدرة والكلمة يمكنها أن تمثل شيئا »

وفي القرية التي تعيش فيها مع جدتها تجتر ذكرياتها وأحزانها « لقد سقط شاب جزائري » ولا تنسى تلك الأيام الرائعة التي عاشتها هناك

اليرا ـ التي هي صورة مجسدة من كلير اتشرلي ذاتها ـ هي إحدى الشخصيات الرائعة التي تمثل مجتمعا ما وهي الشخصية الرئيسية في الرواية التي تقص حكاياتها فقد ربتها جدتها وأخوها في مجتمع فقير معزول وهم يعيشون جميعا في بيئة فقيرة يرتعون من عدمها تركت المدرسة في سن السادسة عشرة ولكنها عندما بدأت العمل تحولت الى إنسانة أكثر التزاما « لم أطلب يوما إثارة وأتطلع دائما نحو الأعلى » « في سن العشرين كنت أبدو أكثر شبابا وبدوت متكبرة بثقلي أرتدي ملابس غير ملونة وأبدو راضية إنني لست مثل الأخريات »

ولوسيان هو الرجل الأول في حياتها فقد علمها أشياء كثيرة بعد أن استيقظت على الحياة وهي طفلة علمها كل القيم وواصل من أجلها ترك التعليم كي يتولى أمور الأسرة « في سن الرابعة عشرة كان للوسيان عاطفتان صداقة نحو هنري وتلك كانت مشاعر نبيلة ثم التزلج فوق الجليد » وهو يميل أكثر إلى العمل في المصنع ويفخر بعصويته في نقابة العمال وقد قتلته سيارة ذات مساء في نفس الليلة التي هرب فيها كي يشارك في مظاهرة لاجدوى منها

وكما أشرنا فان كلير عاشت ظروفا مشابهة وقد حصلت هذه الرواية على جائزة فمينا عام ١٩٦٨ وهذه الجائزة تمنح لأفضل الأعمال الأدبية التي تتولى الدفاع عن حق المرأة وعن وضعيتها وهي تمنح للرجال والنساء على السواء لكن شرط أن تتناول الفكرة الابداعية للرواية مناصرة حركة المرأة وقد أعجب المخرج الفرنسي ميشيل دراش بهذه الرواية فقدمها عام ١٩٧٥ في فيلم من بطولة زوجته ماري جوزيه بات

ثائرة أيضا

في عام ١٩٧٣ قدمت كلير روايتها الثانية « فيما يخص كليمانص » وفيها ترى اليز أخرى امرأة رقيقة ، شاعرة ، تعيش حياة بسيطة فهي عاملة بسيطة تعمل في مصنع تشعر أنها أسيرة للعديد من الأشياء الآلات في المصنع الرجل الذي يحاول أن يتحكم فيها وأن يقودها حسبما يشاء واذا كانت اليز قد أحبت جزائريا ثوريا فان كليمانص تحب رجلا أسبانيا هاجر من بلاده بعد أن اشترك في التمرد ضد حكم الجنرال فرانكو أو الكوديللو الذي حكم أسبانيا سنوات طويلة وهي تتعلم منه ماذا يعني التمرد ؟ وما هي الثورة فتغدو امرأة تختلف أكثر ايجابية وموضوعية ، تتعدى افكار حبيبها ومبادئه ، لكنه في الوقت الذي يسعى فيه الرجل قضيته شيئا فشيئا بابتعاده عن بلاده ، تتحول هي الى أكثر مدافعة عن الثورة الأساسية

المرأة نفسها تظهر مرة أخرى في احدث رواياتها « شجرة مسافرة » ففيها نرى امرأة ثائرة أيضا امرأة تحلم بالصوت وأن تدخل حلبة الصراع نراها ترى نفسها جنديا يحارب في معركة حية هي أم لثلاثة أطفال أنجبت أبناءها الثلاثة دون زواج « لا أحب هذه الحياة التي أعيشها » وهي ترى أن كل شيء ليس على ما يرام طالما أن هناك بطالة واجازات مرضية فقد اضطرتها الظروف الصعبة أن ترسل أبناءها كي يتوسلوا الى البقالين ليأتوا لأنفسهم بشيء يأكلونه وتقضي فترة لا ترتبط خلالها بأي من الرجال فقد أصبح أبناؤها هم كل عالمها

وترتبط ميللي ـ وهذا هو اسمها ـ بامرأة تدعى آنا وهناك تقارب بين المرأتين ، فقد ولدتا أطفالا من رجلين أحباهما دون الزواج منهما وتبحث المرأتان بصفة دائمة عن وظائف تجد آنا عملا في احدى الأدوار السفلية على آلة طباعة وهذا العمل في رأيها لا قيمة له ويسبب لها الكثير من المتاعب بينما يعاني أبناؤها من مرض بسبب تلك الغرفة المظلمة الرديئة التهوية التي يعيشون فيها

من باريس الى براج

ميللي امرأة أكثر مرونة وواقعية وصلابة فتقوم برسم الكثير من اللوحات حول الفقراء في أحياء باريس تقوم بتأجير منزل في إحدى القرى القريبة من العاصمة وتعيش مع أبنائها تتولى تربيتهم وفي القرية تلتقي بوالتر الفنان الذي يقوم بتحويل المباني القديمة الى مبان فاخرة وهو انسان يعيش حياته بمنطقه « نحن في عصر يجب أن نصبح فيه أثرياء » فهناك في باريس وحدها أكثر من مائة وعشرين ألف عاطل

ميللي ترقب ما يحدث في مدينة باريس ابان مايو (ايار) ١٩٦٨ حيث قام الطلبة بثورتهم ضد الحكومة والأوضاع

البالية وانتقلت ثورعهم الى العمال وفئات كثيرة هذه الأحداث تعبر من السلبية التي تعيشها ، فعليها أن تناضل من أجل مجتمع أفضل يسوده الحب ويموت فيه التعصب « وكل ما يحدث هنا سوف يخلصني »

ولا يهم والتر ما اعترى المرأة من تغير فقد ودت أن تشارك في أحداث الطلبة إنها تعتبر نفسها شجرة مساعدة تظلل بداخلها أبناءها وتعرق بجذورها في حياة ماضيها عاشتها في الأقبية دون أن تستقبل قط الهواء النقي الذي يجلب حرية الآخرين »

ويبدي والتر قلقه من أنباء ميللي الذين يعيشون في عالم بدأت تتمزج فيه الراية الحمراء أما هي فلم تعتد أن يحكمها رجل . ولم تعتقد أن تبقى في المنزل تتصور الثورة مرة أخرى إلى العاصمة لكن أمل تغيير الأشياء أصبح هشا بعد مرور مايو (أيار) لكن هناك حدثا آخر يعيشونها بقلق شديد في أغسطس (آب) من العام نفسه حين دخلت الدبابات الروسية إلى براغ لتحولها إلى مدينة حية لقد خنقت القوات الروسية هناك ربيعا بمصر قلب الشباب حيث انتقلت ثورة الشباب العربي إلى أكثر من مكان في العالم ووجدت طريقها إلى قلب الشعب التشيكوسلوفاكي لكن الجيش الروسي حطم وشعرت ميللي أن قلبها يتحطم أيضا لكنها تعيش على أمل

وكلير اتشرللي تنهي رواياتها دائما بالأمل . فحكي بطلاتها بالحيوية حينما تقابل ميللي رجلا يدعى عاشق أحبته منذ عدة سنوات وتحتفظ له بأحلى الذكريات .

تغير فانش وأصبح انسانا يختلف انتقد عالم الخمر ، وتحول من إنسان صانع الى انسان أكثر رقة وارتباطا بامرأة غيرتها ظروف بلادها وظروف العالم من حولها إنه رجل يختلف عن والتر الذي كان لا يؤمن بحريتها ولا رغبتها في التعبير

وعن أسلوب كلير اتشرللي يتحدث الناقد هنري حولمين في مجلة لونوفيل اوبزر فاتور ٣١ يوليو (تموز) ١٩٧٨ « ان تقنياتها مؤكدة ، وأسلوبها محدد يخلب لب القارىء . ويجذبه إلى عالمها وهو ملىء بالدفء الانساني وبالنبل البشري وبطلات كلير اتشرللي ذوات شعور عام ولهن مشاعر لازمة إنهن لسن سلبيات ولا يمكنهن أن يفصلن مشاكلهن الخاصة عن المشاكل الاجتماعية »

ونحن اذا قارنا كتابات كلير بكتابات أخرى تكتبها نساء المعاصرات سوف نرى أن بطلات رواياتها أكثر ثورية وتفردا وسوية من كل النساء في روايات أديبات أخريات مثل مرجريت يورسنار أو نيكول آفريل أو شانتال شواف وهؤلاء النسوة أقرب في صفاتهن بها فهي امرأة تتطلع دائما لأعلى تميل إلى الثورة لتمرد وترى أن على المرء أن يرتبط بكل ما يحدث في العالم وألا يكتفي الانسان بالنظر فقط داخل نفسه وإنما أن يخرج هذه النفس بكل المعاناة التي يعانيها البشر في كل أنحاء العالم ❍

الاسكندرية ـ محمود قاسم

عصر الإقتراض

بقلم : محمود المراغي

يبدو أن الاقتراض قد أصبح سمة من سمات العصر ، فمن بين (١١٩) دولة قام البنك الدولي بتحديد موقف معاملاتها المالية مع العالم الخارجي، كانت هناك ـ عام ١٩٨٠ ـ خمس وسبعون دولة تعاني من عجز في موازين مدفوعاتها الجارية ، وتعالج مشاكلها بالاقتراض !

في الستينات ، كانت المشكلة أقل حدة ، ولكن مع متغيرات السبعينات . من زيادة كبيرة في أسعار الطاقة والمواد المصنوعة الى سياسة الباب المفتوح في الدول النامية ـ أو معظمها ـ الى انتشار أنماط غير مناسبة من الاستهلاك في الدول الفقيرة مع هذه المتغيرات فقد الكثير من الدول توازنه فعرف العجز ، وعرف الاقتراض على نطاق واسع وكلما واجه عجزا سارع الى اقتراض خارجي

في مواجهة ذلك رفعت المنظمات الاقتصادية الدولية شعار التكيف فالصدمات التي تلقتها الدول النامية ـ أكثر من غيرها ـ لا حل لها بغير مجموعة من السياسات التي تقلل العجز وتعيد للاقتصاد توازنه وتدفع بالتنمية للأمام ولكن ، وفي مقدمة الأدوات اللازمة لذلك ـ من وجهة نظر هذه المنظمات ـ زيادة المساعدات الدولية التي تأخذ شكل الهبات أو القروض الميسرة (وهي الجزء الاعظم) .

والسؤال من الذي منح ؟ ومن الذي أخذ ؟ وما هي الحصيلة النهائية لما تسمى مساعدات التنمية الرسمية ؟

حسب ارقام البنك الدولي فقد قدمت دول منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية والتي تضم الدول الصناعية الكبرى (٢٧ر٣) مليار دولار خلال عام ١٩٨٠ وقدمت دول الاوبك (٥ر٥) من المليار منها (٤ر٩) من المليار ، لمجموعة الاوابك العربية الارقام المجردة تشير الى أن الدول الصناعية تدفع أكثر ولكن بحساب الناتج القومي وما تمثله هذه المساعدات كنسبة مئوية منه فان الوضع يختلف تماما

لقد دفعت الدول الصناعية (دول منظمة التعاون) (٣٨ /) من ناتجها للمساعدات عام ١٩٨٠ وحافظت على نسبة قريبة من ذلك طوال السبعينات وحتى عام ١٩٨١ بينما كان نصيبها في الاقراض والمنح الرسمية في الستينات في حدود ٥ر/ من الناتج القومي

على النقيض من ذلك كانت مساهمة الدول العربية المنتجة للبترول (الاوابك) . إنها تعطي في المتوسط ما يعادل ٣/من ناتجها القومي من أجل المساعدات الخارجية .

في عام ١٩٧٥ كانت النسبة مرتفعة اذ قاربت ٥٪ من الناتج وفي عام ١٩٨٠ كانت النسبة قد تراجعت لتهبط قليلا عن ٣٪ أو هي بالتحديد ٨٣ ر٢٪

واذا انتقلنا من النسب للأرقام فاننا نجد أن أكبر المانحين (والمانحون هنا لفظ ابتكرته مؤسسات البنك الدولي والامم المتحدة) هو الولايات المتحدة الاميركية والتي أعطت من القروض والمعونات الرسمية عام ١٩٨٠ ٧١٣٨ مليون دولار وكانت الدول التالية لها فرنسا والمانيا الغربية واليابان ثم السعودية فالكويت

وبالعودة للنسب المئوية قياسا مع الناتج القومي فاننا نجد أن أكبر المانحين(بالقياس الى دخلهم) هي دولة الامارات التي خصصت عام ١٩٨٠ . ٩٦ر٣٪ من دخلها للمساعدات الرسمية ودولة الكويت التي خصصت ٨٨ر٣٪

مازال السؤال مطروحا . هل غطت هذه المساعدات والتي يتشكل معظمها كما قلنا من قروص ذات فوائد احتياجات دول « العجز » ؟ . وهل دفعت بالتنمية للأمام ، وبما ساعد هذه الدول للوصول الى حالة من التوازن ؟

والاجابة ان الفرق مازال شاسعا بين حجم العجز وحجم العون . . ويكفي ان نعرف أن عجز لخمس دول هي البرازيل والمكسيك وكوريا والارجنتين والهند ، قد فاق كل ما قدم من معونات خلال عام ١٩٨٠ وأن عجز المكسيك وحدها قد فاق كل ما تقدمه الولايات المتحدة الامريكية وعجز البرازيل (١٣ مليارا) قد تساوى تقريبا مع ما يقدمه أكبر ثلاثة من المانحين (الولايات المتحدة - فرنسا - ألمانيا)

أيضا ، فانه في التقييم النهائي نجد دول العجز في تزايد وعجزها يتحول - في كثير من الحالات - من عجز طارىء الى عجز مزمن والسباق بين نتائج التنمية وأعباء القروض يجري لغير صالحها

فاذا أضفنا الى ذلك شروط المنح والمعونات والتي تصاحبها في كثير من الاحيان . التزامات سياسية وأسعار فائدة مرتفعة للاقتراض اذا أضفنا ذلك لاستطعنا أن نقول ان المعونات وحدها لا تفيد وأنه صحيح ما طالبت به الهيئات الدولية - وتابعته عن كثب - من ضرورة وجود سياسات للتكيف تخفف أثر الصدمة وتصنع اقتصادا سليم البيئة في الدول منخفضة ومتوسطة الدخل

ولكن ، هل هذا هو التكيف ؟

أخشى ان اقول ان محصلة حقبة من المعونات كانت لصالح الدول الصناعية الكبرى في الاساس وأنه عندما تحتل الولايات المتحدة الامريكية وحدها نحو ربع المعونات الممنوحة فان الامر يلفت النظر

وأخشى ان اقول ان المعونات في كثير من الاحوال لم تدفع بالتنمية للأمام ، ولم تساعد على توازن اجتماعي أو عدالة اجتماعية ، ولم تمثل غير عبء على أجيال قادمة ، ومساندة لأنظمة سياسية قائمة

أخشى أن أقول ذلك ، لكن النتائج تؤيده

فهل من سياسات أخرى ؟ ■■

فلندفن أساطيرنا بشجاعة

الدكتور : محمد مهدي

كتب الأستاد راحي طاهر ـ وهو أحد كبار المفكرين العرب في أمريكا وصاحب حريدة « البيان » المحجوبة ـ مقالة سنة ١٩٦٧ بعد الهزيمة الشنعاء تحت عنوان « فلندفن أساطيرنا وبلا دموع »

وبما أن العرب لم يدفنوا الأساطير وكرروها وأعادوا تكرارها ، حلت بنا الداهية الأخيرة حيث يأمرنا الرحل الدي حاء من بولونيا (مناحيم بيغن) وعزا فلسطين وضم الجولان واعتدى على لبنان أن نخرج من مدينتنا (بيروت) فنخرج ونحن مضطرون إلى الاصغاء إليه

وقد بدأت الأساطير العربية قبل سنة ١٩٤٨ عندما كانت الدعاية العربية تشير إلى الصهاينة في فلسطين بـ « حفنة عصابات » وقد خدعنا أنفسنا بالكلام الفارغ وكأننا عندما نقلل من شأن العدو بالأقوال وتكيل الكلام جزافا في ذمه ومدح القوى العربية فسيضعف العدو ونزداد في الحقيقة قوة !

إعداد : مصطفى نبيل

لقد أخطأنا منذ البداية عندما نظرنا الى الحركة الصهيونية وكأنها « مشكلة في فلسطين » وكانت في الواقع وما زالت حركة عالمية كالأفعى التي ذيلها في الشرق العربي ورأسها في العالم الغربي وخصوصاً ـ الآن ـ في القارة الأمريكية

ونتيجة لخداعنا أنفسنا خسرنا المعارك الأولى وضربتنا الجيوش الاسرائيلية ضربات بعد ضربات حتى إذا ما فتح العرب عيونهم وجدوا أنفسهم في جزيرة رودوس يوقعون معاهدات الهدنة الأولى !

ثم خدع العرب أنفسهم بعد الاعتداء الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦ وجعلوا من الهزيمة العربية أمام أقوى دولتين كبيرتين (فرنسا وانكلترا) واسرائيل ـ جعلوا من الهزيمة نصراً !

وبعد النصر الاسرائيلي سنة ١٩٦٧ واحتلالهم سيناء والضفة الغربية والجولان ، قامت الدعاية العربية بطرية جديدة غريبة لتبرهن النصر العربي والفشل الاسرائيلي ان اسرائيل كانت ترمي الى قلب نظام الحكم في بعض العواصم العربية ، وقد فشلت في ذلك فشلاً ذريعاً وانتصر العرب رغم الاحتلال الاسرائيلي لسيناء والجولان والبقية الباقية من فلسطين !

وبعد النجاح العربي الباهر سنة ١٩٧٣ وعبور القناة ودك خط « بارليف » تدخلت أمريكا وبنت الجسر الجوي الذي نقل الى اسرائيل خلال أيام معدودة ٥٢ ألف طن من الأسلحة عن طريق الجو والبحر وكان التدخل الامريكي برهاناً على صحة نظريتنا في أن رأس الأفعى الصهيونية في أمريكا ، وبأن العرب لن يستطيعوا التغلب على ذنب الأفعى (اسرائيل في فلسطين) ما لم نفصل رأس الأفعى عن ذنبها

وكان الأجدر بالعرب أن يصرفوا المبالغ الهائلة لفتح ميدان جديد لهذه الحرب الحرب الاعلامية في أمريكا وأوروبا لقطع شرايين الحياة التي تربط الدولة الدخيلة الغاصبة بالعالم الخارجي وإيقاف المساعدات الغربية وخصوصاً الأمريكية التي تذهب الى اسرائيل وتغذيها وتعطيها المقدرة على الاعتداء والتوسع في الشرق العربي

ولم يفهم العرب دروس سنة ١٩٧٣ وراحوا يرددون الأساطير القديمة . وقالوا « ان هناك علاقة عضوية بين أمريكا واسرائيل » ليبرروا الفشل دون أن يحاولوا مواجهة الحقيقة والحقيقة هي أن أمريكا بلاد مفتوحة لمن اشتغل ، وقد اشتغل الصهاينة في حقل الدعاية بالأسلوب الأمريكي والعقلية الأمريكية والحجم الأمريكي فنجحوا أما العرب فجلسوا واشتكوا وقالوا « لا يمكن العمل في أمريكا للفصل بين أمريكا واسرائيل » وبذلك خسروا نصف المعركة قبل أن يبدءوا بها ويعلم الله أنه لاتوجد علاقات عضوية أو غير عضوية بين الدول ، والعلاقات هي باستمرار علاقات مصالح ، والمصالح تتغير والمعلوم أن المصالح الاقتصادية للشعب الامريكي هي اليوم مع العرب ولا شك ، وليست مع الدولة المغلسة (اسرائيل) ، ولكن العرب لا يستغلون الظروف بحملة إعلامية كبرى أمريكية التفكير والأسلوب ، وأمريكية الحجم للتأثير على الصعيد السياسي على الرأي العام الأمريكي وبالتالي التأثير على السياسيين الأمريكيين والسياسة الأمريكية تجاه العرب

فكيف يستطيع العرب النجاح في حرب السلاح وهم لم يستعدوا إلى الآن للحرب الاعلامية ضد العدو في عقر داره في أمريكا بالأسلوب العصري الأمريكي

والآن وقد تغلب الصهاينة علينا سنة ١٩٨٢ وطردونا من بيروت ، سيبدأ العرب بخلق أساطير جديدة « تبرهن » بأن اسرائيل هي التي فشلت في الحرب ، ذلك لأننا أوقفناها عند حدها في بيروت

ويجب أن نذكر للحق والتاريخ بأن المحاربين الفلسطينيين الأشاوس أبلوا بلاء حسناً مشرفاً ولكن صواريخ المقاومة ضد الطائرات الأمريكية كانت كالرماح والنبال بوجه أكبر الدبابات وأصحمها وأفتك الطائرات المصرية وإذ يجب علينا أن نكرم القوى الفلسطينية التي دافعت عن شرف العروبة بشجاعة وبسالة ، يجب ألا نخدع أنفسنا بخلق أسطورة جديدة بأننا تغلبنا على اسرائيل لأنها لم تستطع القضاء على المنظمة أو تدخل بيروت قهراً نحن لم نحاصر تل أبيب وهم حاصروا بيروت !

ويجب أن نعترف (أولاً) بأن جهودنا الحربية ـ على أحسنها ـ هي غير قادرة على التغلب عسكرياً على أمريكا واسرائيل ، وما دامت أمريكا تساعد الدولة الدخيلة ، فاسرائيل ستكون باقية وقادرة على التوسع وأنها إذا ◀◀

كانت جيوشها وصلت الى بيروت فستكون جيوشها غدا على مشارف دمشق وبغداد ، اذا ما استمر العرب على خلق الأساطير لخداع النفس ومواصلة التفكير القديم والتركيز على محاربة ذنب الأفعى الصهيونية في فلسطين وليس رأسها في أمريكا

(ثانيا) إننا بحاجة إلى استراتيجية جديدة وتفكير جديد القلم قبل السيفْ ، والرأي قبل شجاعة الشجعان

إن الصهاينة نجحوا في فلسطين بالبندقية لأنهم نجحوا قبل ذلك بالقلم والكلمة والدعاية في أوروبا وأمريكا

ونحن ندعو الأخ المجاهد « أبا عمار » والمنظمة والشعب العربي الفلسطيني خاصة والعرب بصورة عامة لفتح ميادين جديدة للمعركة في الساحة العربية وسلاح القلم والكلمة الحسنة كخطوة أولى لقطع شرايين الحياة عن اسرائيل ولاسترجاع الحق العربي في لبنان والجولان وفلسطين

ان حوالي ٨٠٪ من الشعب الأمريكي يتعاطف اليوم مع العرب ، والحاجة الآن هي الى توجيه هذه الأغلبية الأمريكية لتعمل على الصعيد السياسي وتطلب من الرئيس الأمريكي إيقاف المساعدات الأمريكية العسكرية والاقتصادية والسياسية عن إسرائيل ! ويجب أن نقوم نحن مثلا بحملة لارسال عشرة ملايين بطاقة ورسالة إلى البيت الأبيض لمطالبة الرئيس « ريغان » أن يوقف المساعدات عن اسرائيل وأن يطلب من « بيغن » أن ينسحب من لبنان والجولان وأن يعترف بحقوق الفلسطينيين في العودة الى فلسطين

ان المقاومة الفلسطينية يجب أن تستمر رغم الخسارة في هذه المعركة في لبنان وفي بيروت ولكننا نكون كالعميان إذا ركزنا آمالنا على العمل الحربي لتحرير فلسطين من إسرائيل ولم نر بأن إسرائيل مدعومة من قبل أكبر دولة في العالم قولها هو الفصل فاذا أيدت أميركا إسرائيل نجحت إسرائيل ، وإن أيد الآسيويون والأفارقة وكتل المنظومة الشرقية والعالم الثالث وحتى - أوروبا العربية - الحقوق العربية الفلسطينية

ان الواجب الأول على كل إنسان عربي هو أن يفكر في هذا السؤال كيف نستطيع فصل أمريكا عن اسرائيل ؟ والواجب الثاني عليه هو أن يعمل ما بامكانه من جهاد بالمال

وقال الله سبحانه وتعالى « وجاهدوا بأموالكم » وحتى الكلمة الطيبة للعمل على ذلك الفصل

وبعد ، فبعد مأساة بيروت يجب أن ندفن أساطيرنا بشجاعة وبلا دموع، ونبدأ الآن بتفكير عصري جديد لمحاربة الصهيونية من رأسها وليس من ذنبها - وإلا فاذا استمررنا في خداع النفس وحبك الأساطير تكررت مأساة بيروت في دمشق وفي عمان وبغداد وغيرها من العواصم العربية

فهل أنتم يا اخواننا وسادتي سامعون ؟

عودة الابن المنفي

ضامن محمد

أثار الأستاذ الشاعر أحمد عبد المعطي حجازي في مقالته « عودة الابن المنفي » عدد ٢٨٤ من مجلة العربي الغراء موضوعا من الاهمية بمكان ، لا من مغرب الوطن العربي فحسب بل من مشرقه،لأن القضية بالدرجة الاولى هي مسألة مبدأ قومي شريف

والذي دفعني للكتابة في هذا الموضوع كونه شغلني من وقت ليس بالقريب كنت به مترددا بين مستنكر له ومحب ، وان كنت الى الثانية أميل الا أن لي معها بعض الملاحظات أبينها فيما يأتي

١ - لا شك ان اللغة واسطة ثقافية كما هو معروف غير أنها من الأدب واسطة مشروطة ان لم أقل مقدسة فاذا كان المترجم ممن يتقن اللغتين كل الاتقان ويجيدهما كل

الا...ة ، وله من القدرة على استعمال اللغة الاجنبية مثل ما... في اللغة الأم فقد امتلك ناصية الامر ، وان كان هذا من القلة بمكان ، ذلك لان اللغة أحيانا تأسرنا من حيث لا ...ري ، وبدلا من أن تكون طيعة لنا خادمة لأغراضنا تصبح عبيدا لها تمتلكنا شعوريا وفكريا خاصة اذا تعلق الامر بالأدب وكل ماله صبغة أدبية ، ولنا من الكتاب الكبار أسوة ، فلقد تعبوا من ترجمة النصوص الى لغتهم وتقديمها الى القارىء الجديد في قالب يحافظ على جمال اللغة الأم ويخضع لقواعدها وأساليب تعبيرها وآفاق خيالها ومستويات التذوق والفهم

نقول هذا واللغة من الأدب ـ كما قلنا ـ أصعب مراسا لأنها تصبح في يد الكاتب الأديب أداة وليست وسيلة فهو لايسعى الى تبليغ الحقائق فقط بل الى رسم لوحة فنية ، وتقديم أكلة شهية تناسب معدات المستهلكين وقدراتهم على الهضم والاستقلاب وهو أمر تختلف فيه لغة عن لغة اخرى بحكم تنوع الثقافات وتعدد طرق التعبير وأساليب التبليغ

وهنا تصبح عملية ترجمة العمل الأدبي من أكثر الأعمال خطورة لأنها تستوجب الى جانب العمل القدرة على تمثل المعاني وتقديمها في قالب جديد يناسب الاحساس الجديد واللغة الجديدة المترجمة لها والا أصبحت الترجمة تحريفا وتشويها لروح النص وبنيته

إن الأديب يخلق الكلمة ولا يستهلكها ، وبالتالي فهو مبدع على مستوى الكلمة كما هو مبدع على مستوى الفكرة ـ وفي ميدان الترجمة تتضاعف المؤهلات وتصبح الطريق أشد التواء حيث يصبح الابداع لا على مستوى الكلمة والفكرة فقط بل على مستوى تعريب النص من قالبه الأصلي وصبه في قالب جديد ، وهنا تكون حظوظ النجاح قليلة جدا

٢ـ إننا للأسف الشديد ما نزال نتصرف في الكثير من أمورنا الفكرية بعاطفة متأججة هي من الأصل شعور بالهوية المسلوبة وحب في سد الفراغ وتطلع الى ملاحقة الغرب إلا أننا للأسف الشديد نخطىء الهدف حيث لا نسلك له المسالك المطلوبة

والنتيجة أن أكثر أعمالنا في هذا المجال تطغى عليها السرعة والعجلة والتباري إلى البسط وتحصيل الأولوية وهذا ما يجعل ترجماتنا أقرب إلى الهراء والسفاسف منها الى ادراك المسؤولية وتحمل التبعات الحضارية والفكرية

أقول هذا ولنا في مغربنا الأقصى أمثلة أذكر منها كتب العروي الذي ترجمت أعماله إلى اللغة العربية وهي ترجمات ساهم فيها اخوة من المشرق والمغرب ، ولكن هذه الترجمات ـ وبكل أسف ـ مما يخجل المترجم والقارىء معا فهي إما ترجمات كلمة بكلمة أو هي ترجمات معنى بغير استيعاب ومراجعة واستقصاء ، وفي كلا الحالين فهي تجني على الكاتب وما يكتب وتضلل القارىء بأسلوب أو بآخر

لا أريد هنا تقديم النماذج فهي كثيرة ومتعددة مما لا يسمح به المقام ولكنها الاشارة إلى خطورة العملية من جانب المترجم والكاتب والقارىء معا حيث تنعدم الشروط العلمية ، وهي شروط أقسى مما يتصوره من يكتفون بقراءة العناوين وتصفح الكتب والانسياق وراء المظهر الخارجي البراق الذي تقدم به مثل هذه الكتب التي لا تستهدف إلا الربح السريع والشهرة الرخيصة إذن ما العمل ؟

وأرى أن نعالج المشكلة على الشكل الآتي

ـ تأسيس هيئة علمية لها وزنها وماضيها في ميدان الترجمة لتقوم بهذا العمل الجليل ممن عرفت فيهم الأمانة العلمية والذوق الأدبي الرفيع وهي هيئة يستحسن أن تشرف عليها جهة رسمية وترعاها بالمال ، الشيء الذي يعود ـ وبلا شك ـ على الفكر والثقافة في البلاد العربية بالشيء الكثير

ـ عدم السماح للترجمات الفردية الرخيصة بالرواج والتداول في السوق إلا بعد عرضها على هذه الهيئة لتبدي فيها وجهة نظرها فتسمح لها بالانتشار أو تصادرها بموجب قوانين تسنها الدولة وتحميها

إنشاء هيئة عليا على المستوى القومي تشرف على عملية التوزيع والتبادل على مستوى الترجمات وبأسعار مناسبة ومن صورة ما يسمى بكتب الجيب تعميما للثقافة

ـ تحديد وخلق مباريات ورصد جوائز مالية مغرية على المستوى الوطني أو القومي ، الشيء الذي يحفز ويغري من يتوسمون في نفوسهم القدرة على القيام بهذه المهام الشاقة. بهذا الشكل يمكن للمكتبة العربية أن تستعيد حقا وتسد فراغا كبيرا وبالتالي تقدم للفكر العربي خدمة جليلة وهي مساهمة جادة ومثمرة لا تحد نتائجها ولا تحصى لاعلى المستوى الثقافي المحدود بل على المستوى الخلقي والانتاجي والحضاري

وهذا في الحقيقة مطمح كل عربي يحمل في قلبه حبا لهذا الوطن الكبير وبهذا نصل الحاضر بالماضي ونعيد لفكرنا ولغتنا مكانتهما العريقة

الشورى بين التقريب والتغريب

الدكتور ـ جمال الدين محمد محمود

* من الامور التي تسهل ملاحظتها في بحوث الدراسات السياسية الاسلامية أن يربط الباحث بين مفهوم اسلامي له أصوله الاسلامية من النصوص وبين الصورة التي تبدو مشابهة له في النظم السياسية المعاصرة . ومن ذلك مفهوم « الشورى » التي ورد ذكرها في نصوص القرآن والسنة وجرى تطبيقها في الصدر الاول على يد الخلفاء الراشدين . وحين يراد تقريب مفهوم الشورى الى العقل المعاصر يربط البعض بينه وبين مفهوم الديمقراطية التي تبلورت صورتها في النظم السياسية المعاصرة ، ويبدو الأمر في بعض الدراسات كما لو كنا نضع أجوبة غربية لأسئلة إسلامية أو العكس ويكون الخطر حين ينتهي الأمر الى تغريب المفهوم الاسلامي وليس تقريبه فحسب

* الشورى في الاسلام : الشورى لغة طلب الرأي وإظهاره وفي الاصطلاح الذي يعتمده البعض أنها استطلاع رأي الامة أو من ينوب عنها في الامور العامة المتعلقة بها وهنا نجد فارقا بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي في بيان أن موضوع الشورى أمر عام يهم المسلمين وأنه يصح أن ينيب المسلمون من يبدي رأيه في أمورهم ومع ذلك فان المعنى الاصطلاحي هو الاقرب الى مفهوم الشورى التي وردت في الآية الكريمة « والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون » . وفي هذه الآية وردت الشورى في سياق أوصاف معينة تقوم في المجتمع المسلم وأولها الايمان وإقامة الصلاة وهي عمود الدين وأوسطها أن تكون أمور هذا المجتمع التي تهمه بشورى بين أهله ، وأخيرا فان هذا المجتمع ينفق فيه من يستطيع الانفاق في أوجه الخير ، وقد لفت هذا السياق والترتيب نظر بعض الباحثين ودعـ[اهم الى] القول بأن الشورى تعد الفريضة السياسية للمجتمع توسطت الفريضة الدينية وهي اقامة الصلاة والفر[يضة] الاجتماعية وهي الانفاق في سبيل الله (أو الزكـ[اة] ويضاف الى ذلك أن الامر بالمشاورة في الآية الكـ[ريمة] « فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر » يعمـ[ق] المفهوم الاسلامي للشورى والذي يجعلها فريضة اجتماعية في الامور العامة للمسلمين

* ومع التسليم بأن الشورى الاسلامية تجمع الفضائل [التي] عددها الباحثون ومنها ان تمثل احتراما للعقل الانسـ[اني] وانها تظهر المساواة الاسلامية وهي فضيلة انسـ[انية] واخلاقية فانه ينبغي ألا نتصورها في النظم السياسـ[ية] فحسب أو أنها النظام السياسي للاسلام . فان هـ[ذا] التصور هو الذي يقود الى أنها المدخل الاسلامي للديمقراطية أو حكم الاغلبية . فالواقع أن الشورى اعـ[م] وأوسع من أن تكون نظاما للحكم فحسب وهي فريضة اجتماعية قبل أن تكون صورة لنظام سياسي وقد انتبه [الى] ذلك المرحوم الاستاذ سيد قطب في « ظلال القرآن » حين ذهب الى أنها اعمق من ان تكون نظاما سياسيا وانها طابع أساسي للجماعة كلها . وهنا يجب ألا نربط بين الشورى وبين النظام السياسي للمجتمع أو نعني أوضح احتـ[يار] الحاكم وادارة الحكم فحسب ، ذلك أن المفهوم الاسلامي للشورى يتسع للمسائل السياسية والعلمية والدينية فطلب الرأي والاستعانة بخبرة الغير ورأيه فضيلة إسلامية على المستوى الفردي والجماعي . وفي كل مؤسسات المجتمع العلمية أو السياسية أو الدينية ينبغي أن تسير ادارتها وتسييرها هذه الفضيلة وان كان النظام السـ[ياسي] ومؤسساته بالذات أحوج من غيره الى الاخذ بالشورى بمفهومها الذي ذكرناه

** ويدل التطبيق الاسلامي الاول لمفهوم [الشورى] على أنها كانت تطبق على أوسع نطاق ولم تقتصر على ما يعد الآن من مسائل نظام الحكم أو المسائل السياسية بوجه عام بل تعدى التطبيق الى كل مسألة يكون فيها استطلاع الرأي ومعرفة الرأي الآخر مفيدا قبل اتخاذ القرار ممن يملكه سواء كانت المسألة ذات صبغة سياسية أو دينية أو علمية وان كانت الامثلة البارزة فيما يذكره الباحثون تتعلق في الغالب بالامور التي تعد سياسية وذلك كما استشار الرسول (ص) في أسرى بدر وفي الخروج لقتال أعدائه ، ومع ذلك لا ننسى أن النبي (ص) شاور أصحابه في مسألة تعد من هذا القبيل ولا هي من المسائل العامة اذ استشـ[ار] النبي (ص) اصحابه في أمر أم المؤمنين السيدة عائشـ[ة]

ـي الله عنها في حديث الافك واستمع لـرأيهم قبل ان ـل القرآن الكريم بفصل الخطاب في الامر . واستشار ـو بكر الصديق الصحابة في جمع القرآن الكريم ـ وهي ـالة دينية ظاهرة ، واستشار عمر بن الخطاب في مسائل ـعلق بالادارة والاقتصاد كما في انشاء الدواوين وتوزيع ـعطايا وفي قسمة الأراضي المفتوحة على المقاتلين ـفاتحين

* بين الشورى والديمقراطية واذا كانت الشورى تعد ـريضة وفضيلة إسلامية على المستوى الفردي والجماعي ـما بينا ويعد تطبيقها أكثر أهمية والحاحا في نظام الحكم الاسلامي بالذات فاننا نعتقد انها تختلف عن مفهوم الديمقراطية الغربية . فقد نشأت هذه الديمقراطية على ـساس من التراث الاغريقي في الفلسفة ويعني ان نقرر ـن الصوره التي انتهت اليها الديمقراطية الغربية ـ ومن ـهم سماتها حكم الاغلبية ـ لم تكن واردة في تلك التراث بل كان الامر على العكس . فكان المجتمع الاغريقي ابعد ما يكون عن الديمقراطية بمفهومها المعاصر كما يقول المؤرخ هولندي ، هندريك فان لون » فكان لا يعترف الا بطبقة واحدة من المواطنين لها حق مناقشة مسائل الحكم جميعا وهذه الطبقة هي الاحرار السادة وكانت نسبتهم الى الناس تعادل واحدا الى خمسة تقريبا ـ ومع التطور الاجتماعي والسياسي الطويل استقرت الديمقراطية الغربية بمعنى حكم الشعب للشعب ومن أهم سماته أن يكون الحكم للأغلبية وأن يكون الحق في المعارضة مضمونا

* واذا كان مبدأ حكم الأغلبية والحق في المعارضة هما جوهر النظم الديمقراطية المعاصرة فان هذين المبدأين مع أهميتهما وسلامتهما لا يتفرعان عن مبدأ الشورى الاسلامي الأصل والذي أوردنا مفهومه فيما سبق ، فالشورى هي ميزان الحق لأن تعدد الرأي في المسألة الواحدة كفيل باظهار الصواب من الخطأ ، أما مبدأ الكثرة أو الأغلبية فهو ميزان « الأمن » اذ يقصد به اتباع رأي الاكثرية مطلقا عند التنازع حفظا للأمن ، وهذا المعنى موافق على ما أورده الدكتور عبد الحميد الانصاري من الاعتداد بالكثرة وتغليبها عند النزاع وليس عند البحث عن الحقيقة ، فاذا كانت الشورى تضمن التوصل الى الحق فان الاغلبية تضمن الوصول الى « الأمن » على اقل تقدير . ومن هنا تظهر أهمية مبدأ الاغلبية في النظام السياسي الاسلامي الذي يرفض وقوع الفتنة في المجتمع رفضا حاسم

* وقد يرتبط الحق في المعارضة بالشورى كمفهوم إسلامي لأن جوهرها استطلاع الرأي والاستماع اليه مع احتمال وقوع الاختلاف أو تعدد الرأي ولكننا هنا أيضا نقع في خطأ التقريب الذي يؤدي الى خطر التعريب ، فالحق في المعارضة مضمون في الاسلام بنصوص تكفله كالولاية المتبادلة بين المؤمنين والتي قررها القرآن الكريم والحق في التناصح كما بينه السنة النبوية . وهنا نجد أننا نبتعد عن المفهوم الاسلامي الأصيل حين نصف هذه الولاية المتبادلة والحق في التناصح بأنه « معارضة » فالاسلام يمنح ذلك لكل الأفراد في المجتمع بصفتهم أفرادا وليس من اللازم أن يقوم حزب أو هيئة معينة لممارسته . وفضلا عن ذلك فان هذه المعارضة لا يقصد بها ازاحة سلطة معينة في المجتمع وحلول غيرها في ممارسة سلطاتها . والولاية المتبادلة وحق التناصح في الاسلام يفترض كلاهما التسوية بين الآراء حتى يتبين للعقل التمييز والاختيار بينها ، وبهذا المفهوم قبل النبي صلى الله عليه وسلم وهو أغنى الخلق عن النصح ان يستمع برأي أصحابه فيما عرضه عليهم من أمور عامة كمسألة أسرى بدر والخروج للقتال وغير ذلك من الامور كما قبل عمر بن الخطاب رأي امرأة ناقشته فيما نهى عنه من التغالي في المهور وأقر علانية بصواب رأيها ، وكل ذلك أدخل في باب الولاية المتبادلة وحق التناصح بين المسلمين منه الى « المعارضة » بمفهومها الذي استقر في النظم السياسية المعاصرة اذ لا يتصور أن يكون ابداء الرأي أو المشورة أمام النبي صلى الله عليه وسلم قائما على « حق المعارضة » لأنها ممتنعة بحكم الشرع وبنصوص واضحة من القرآن الكريم (١) ○

(١) بقوله تعالى « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » سورة النساء ٦٥ والعديد من الآيات التي تقرن طاعة الرسول بطاعة الله

أحكام الأسرة

في الجاهلية والإسلام

قراءة جديدة

عرض : محمد خليفة التونسي

(هذا كتاب جديد مؤلفه هو الأستاذ محمد فوزي عضو المحكمة الدستورية العليا في سورية ، وقد جعل عنوان كتابه « أحكام الاسرة في الجاهلية والاسلام » وذيله بكلمات نؤثر نقلها كما جاءت على الغلاف ، لأنها توضح في ايجاز منذ البداية ، موضوع كتابه ومنهجه فيه معا ، والكلمات هي « دراسة مقارنة بين أحكام الأسرة في الجاهلية وفي الشريعة الاسلامية وفي الفقه الاسلامي ، وفي قوانين الأحوال الشخصية في البلاد العربية »

فاذا اعتبرنا هذه الكلمات وعدا من المؤلف لقارئه بوفاء هذا الموضوع ، ثم درسنا كتابه وجدنا أنه قد وفى بوعده خير وفاء ، والتزم فيه الصدق والأمانة ، بل انه قد وفى بأكثر من ذلك من موضوعات تشريعية أسرية وغير أسرية مشتركة بين الجاهلية والشريعة الاسلامية والفقه الاسلامي وقوانين الأحوال الشخصية ، بل قد وفى بما هو أعم وأهم وأنفع ولو في نظر بعض القراء القادرين على التعمق في التشريعات بفكر مستقل ، لأنه يرشدهم الى الطريقة المثلى في التفكير الحر الأصيل ، حين يدرسون أي موضوع من موضوعات الشريعة الاسلامية ، سواء كان من صميمها بحق ، أو نسب اليها بغير حق ، أو حين يدرسون موضوعا تشريعيا آخر ، وهذا مما يسهل المراجعة والحساب بينهم وبين المؤلف فيما يوافقونه فيه او يخالفونه ، لأن المناقشة هنا وفاقا أو خلافا قائمة على بينة من العقل الحر والتفكير المستقل ، مع الالتزام بأصول الاسلام

قديما وصف بعضهم كتب الجاحظ بأنها تعلم العقل أولا ، والعلم ثانيا وهذا الكتاب جدير بمثل هذا الوصف فمن يدرسه ينل من العلم بموضوعه مغنما عظيما ومن يستوعب منهج مؤلفه في الدرس والفقه يفز لعقله بمغنم أعظم .

منهج البحث المقارن

والفضل في هذا يرجع الى التزام المؤلف في دراسة موضوعه بالمنهج المقارن (وان كان ذلك في حدود مسير

وقد مهد المؤلف لكتابه بمقدمة ، ثم قسم كتابه خمسة اقسام ، سمى كلا منها « كتابا » بدل أن يسميه بابا أو فصلا ، وكذلك يفعل كثير من المؤلفين عندنا ، كما فعل بعض أسلافنا ومنهم ابن عبد ربة مؤلف كتاب « العقد » ولا بأس بذلك ، لأنه لامشاحة في الاصطلاح كما يقال ، مادام المصطلح واضح الدلالة على مسماه
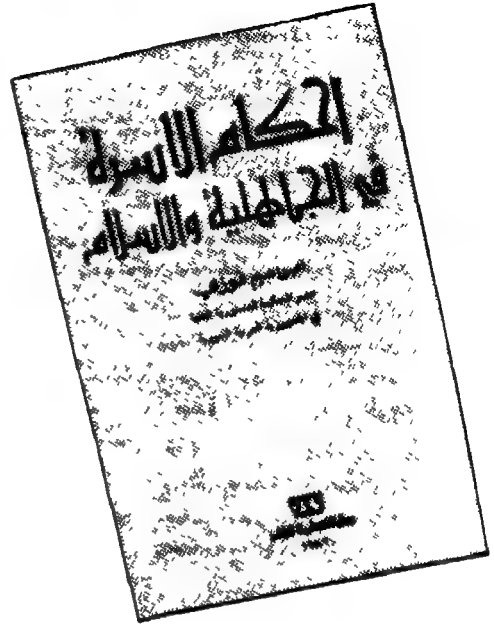
موضوع القسم الأول ، الزواج في الجاهلية والاسلام ، وموضوع الثاني انحلال الزواج ، والثالث الوصية ، والرابع ، أحكام الارث والمؤلف يعني بالجاهلية ماكان عليه العرب قبل الاسلام ويعني بالاسلام هنا أمرين أولهما ما جاء في القرآن والسنة ، والامر الثاني ما استنه فقهاء المسلمين من أحكام باجتهادهم في فهم الكتاب والسنة ، وهذا الأمر الثاني هو الفقه على اختلاف مذاهبه وأئمته ، ويلحق بهذا الفقه في احكام الأسرة ما استحدثته فيها الشعوب الاسلامية في هذا العصر من قوانين الاحوال الشخصية ، وأما القسم الخامس والاخير من الكتاب فهو كما سماه المؤلف « ملحق عن تشريع السنة » لان له في فهم السنة وجهة قد تلقى بالاستغراب ، ولهذا رأي أن يأتي من السنة وتاريخها بما يوضح وجهته ويؤيدها ، وضم الى ذلك ترجمة « الاعلان العالمي ، للقضاء على التمييز ضد المرأة » ومن هنا تبدو الصلة الوثيقة بين الملحق وموضوع الكتاب ، فهي توسع نظر قارئه وتطلعه على أحدث الأحكام في الأسرة ، وما يرى لها محبو الخير للانسانية بجميع شعوبها وأممها من صلاح ، ولاشيء منها يعلو على ما جاء به الاسلام في القرآن والسنة النبوية لو وعينا هما حق الوعي

وموضوع المقدمة « التشريع العرفي في الجاهلية والفقه الاسلامي » ، وهي مدخل ضروري لمن يريد دراسة التشريع العرفي في الجاهلية والفقه الاسلامي فيما تضمناه من أحكام ، لافي مجال أحوال الاسرة فحسب ، كالزواج والطلاق والوصية والميراث ، بل في مجال الجنايات وعقوبتها ومجال المعاملات المدنية أيضا الى أن تصل الى القمة في نظام الحكومة ورياسة الدولة

(الدائم والمتغير في الدين)

لقد جاء الاسلام عقب الجاهلية لاصلاحها ، بل لاصلاح البشرية فقدم لها وجهته الخاصة في مجالات أربعة · العقيدة والاخلاق ، والعبادة ، والمعاملات ، وتعاليمه في المجالات الثلاثة الأولى لاتتغير بتغير الازمان

الحضارية) وهو منهج يكاد يكون فتحا جديدا من فتوح العصر الحديث في دراسة الموضوعات المتنوعة منذ انتشر بين الباحثين فيما بين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، اذ طبقوه في دراسة الآداب واللغات والفنون وغيرها من مجالات المعرفة ، فهو أشد المناهج توضيحا للموضوعات المقارنة ، وعلاقة بعضها ببعض فيما تتفق أو تختلف فيه ، بيئة واتجاها وأحوالا وهذا ماتظهره الدراسة المقارنة في كل مجال

وهذا المنهج هو أصعب المناهج مسلكا وأحوجها الى قدرة فائقة على الاستيعاب والتأمل والاستنباط ، وهو أنفع من بحث كل موضوع على حدة من جانب واحد ، وأنفع من الموازنات أو المقابلات التي يجريها بعض الباحثين بيننا ، ويزعمونها « مقارنات » وليست هي في حقيقتها الا جمع عدة أقوال أو آراء في موضوع او مسألة أو أكثر ، بدلا من الاقتصار على قول أو رأى واحد ، كما نجد مثلا في كتاب « اختلاف الفقهاء » للامام الطبري المفسر المؤرخ ، وكما نجد اليوم في كثير من الكتب التي يزعم لها أصحابها صفة « المقارنة » وهي مجرد جمع وترتيب لعدة وجهات دون بيان أصولها وبيناتها واوجه الاتفاق والاختلاف فيها ، ومن المؤسف أن بعضها دراسات أكاديمية لاساتذة من جامعاتنا العربية

والبيئات ، أو تغير المجتمعات ، لأنها تتجه للانسان بما هو ه انسان ، وأما تعاليم الاسلام في مجال المعاملات وهي جتماعية بالضرورة فتتوخى صلاح الجماعات ، فهي ترتبط بما تكون عليه كل جماعة بظروفها ، والظروف بين الجماعات متنوعة ، بل هي متغيرة في الجماعة الواحدة بين بيئة وبيئة ، أو زمن وزمن مع تغير المعايش ، ولهذا اختلف الفقهاء بعضهم عن بعض فيما يتصل بها ، بل نجد أحدهم وهو الامام الشافعي قد كانت له أحكام فقهية في بعض المسائل حين كان في العراق فلما ذهب الى مصر في سنواته الاخيرة كانت له أحكام فقهية أخرى في المسائل ذاتها ولاصلة لهذه الاحكام بالعقيدة أو الاخلاق ، أو العبادة ، بل بالمعاملات ، لاختلافها بين بيئة العراق يومئذ وبيئة مصر وان شملهما عصر واحد ولو أن الشافعي حل في بلد آخر أو بلاد أخرى ، تختلف بيئة عن العراق ومصر لكان له في تلك المسائل أحكام ثالثة ورابعة على وفق تلك البيئات الجديدة ، وهكذا ينبغي أن يكون الفقيه المجتهد في تحمل مسئوليته بأمانة وبصيرة وشجاعة تجاه كل بيئة على انفراد ، فلا يوحد في الحكم بين أمرين مختلفين

أما البلاء الذي أصاب شريعتنا العظيمة فمرجعه المتفقهة المقلدون على اختلاف طبقاتهم علوا وسفلا ، فانهم يسيرون على مثل الطريقة الصينية القديمة في الاحتفاظ بأقدام النساء صغيرة ، لاستحسانهم ذلك ، لكانوا يتركون أقدام الصغيرات حتى تنمو الى الحد الذي يستحسنونه ثم يشدون حولها لفائف محكمة تكون كالحذاء حتى لاتنمو ، أو تزيد على هذا الحد ، ويشير المؤلف الى بعض هذا فيقول لقد التبس على رجال الفقه الاسلامي جزء العبادات والمعاملات المدنية في الكتاب والسنة ، فمزجوا بينهما (أي العبادات والمعاملات المدنية) واعتبروهما شيئا واحدا هو الفقه الاسلامي ، دون أن يكون بينهما ثمة علاقة في الموضوع ولا في الغاية ، فالعبادات هي الواجبات الدينية المفروضة على الانسان تجاه خالقه وهي ثابتة لايعتريها تغيير ولاتبديل مهما تغير المجتمع ، ومهما تغيرت حياة الانسان ، أما المعاملات المدنية فهي القواعد والأحكام التي تعرض على الناس في علاقاتهم الاجتماعية ، وهي علاقات متغيرة ومتبدلة تبعا لتغيير المجتمع وتبدل الحاجات الاجتماعية وهي لاتقف عند حد ، مازالت حياة الانسان تنمو وتتغير باستمرار وما زال المجتمع يخلق على الدوام حاجات جديدة كلما نما وازدهر »

الخلط بين الدائم والمتغير في الدين

ويقول مؤلفنا في موضع آخر « الخلط بين العبادات والمعاملات ، واعتبارها (المعاملات) من الدين لم تقتصر على النصوص التي جاءت في الكتاب والسنة وانما أضيفت الصفة الدينية الى اجتهادات الفقهاء القدامى التي انقسم الناس حولها الى مذاهب دينية ، وقد استمدت قوانين الأحوال الشخصية في البلاد العربية احكامها من هذه الاجتهادات ، دون ان تخرج عليها بشيء ، ودون ان يعطي المشرعون انفسهم صفة المجتهدين ليفسروا الشريعة بالنسبة لحاجات العصر فجاءت هذه القوانين محافظة على اعراف الجاهلية في اكثر أحكامها

ولايزال الكثيرون يتشبثون بهذه الأعراف ، توهما أنها من الدين ، ويعتبرون كل اجتهاد في تعديلها أو تبديلها وفاقا لضرورات العصر ، خروجا على الاسلام ، والاسلام بريء من هذه الاوهام/ ٢٧

والمؤلف يغوص في مراجعه الكثيرة من كتب التاريخ والتفسير والحديث والفقه والكلام وقوانين الاحوال الشخصية المعاصرة وغيرها ليبرهن على آرائه هذه وغيرها ، بما يزعزع الاطمئنان الى كثير من الاحكام الفقهية ، وما بنته عليها التشريعات الحديثة في أحوال الأسرة وغيرها ، وأنها لاتوافق روح الشريعة الاسلامية الحكيمة الصافية كما وضحها القرآن والسنة ، ان لم تكن تنافيها لأن تلك الأحكام أحكام جاهلية تسربت بحكم الالف والعادة الى الفقه الاسلامي ثم الى التشريعات الحديثة ، وهي الاحكام التي جاء الاسلام لتغيير بعضها بما يتلاءم والمرحلة التاريخية الجديدة عند ظهوره ، واقر مالم تدع الحاجة يومئذ الى تبديله فبقي الناس يتعاملون بها في الاسلام

ويضرب المؤلف الامثلة على هذا التسرب بكثير من التشريعات الجنائية والمعاملات المدنية ونظام الحكم وأحكام الاسرة ، كما يشير المؤلف الى بعض ما استنبطه الفقهاء من علل لما وحدوه من أحكام شرعية ، وظنوا أنها العلل الحقيقية لهذه الاحكام ، وهي ليست كذلك بل هي شبهات وهمية أو قاصرة ، ومع ذلك تمسكوا بها وتمسك بها غيرهم حتى اليوم والمؤلف يحذر من فرض حلول

تشر ـة ثابته لمجتمع متغير (كحكاية القدم الصينيه للمرأة في ته ثمها المحكمة كالحذاء) ويرى أن الاصرار على هذه الحلول سيقود المجتمع لامحالة الى أحد أمرين ـ

ـ إما الجمود والتوقف عن النمو والتقدم ـ نتيجة حبس المجتمع في قوقعة من التشريعات الجامدة ـ وعدم تطويرها مع تطور الحياة ـ وهذا ما حدث للحضارة الاسلامية

٢ ـ وإما الى الثورة لكسر قوقعة التشريعات الجامدة عندما تضيق عن استيعاب النمو الاجتماعي ـ وهذا ما حدث في أوربا عند مطلع الحضارة الحديثة

ونرى نحن أن اقطارنا في أمان من الامرين بعد تأثرنا في وضع قوانين للمعاملات بالحضارة الحديثة فلا كهنوت في الاسلام وان حاول بعض المتفقهة حتى اليوم في بعض الاقطار ان يزعموا لأنفسهم مايشبه ذلك باعتبار أن آراءهم وحدها هي التي تمثل الشريعة الاسلامية ، مع أن أحدا من أعاظم فقهاء الاسلام لم يدع لنفسه الانفراد بالصواب ، بل ان معظمهم نهوا عن أن يقلدهم أحد في شيء مالم يعرف حجتهم فيه ويقتنع بها ، وكان منهم من يرى أنه لا أحد الا ويؤخذ من قوله ويترك منه الا النبي عليه الصلاة والسلام ، وميزوا بين ما هو شريعة من سنته وما ليس شريعة ، واقتصر بعضهم من السنة على أقواله

ومن يتتبع اطوار التشريع في مسيرتنا التاريخية لايسعه الا الشعور بالغبطة لقيام الهيئات أو السلطات التشريعية في كل قطر بتولي توحيد القوانين فيه وتدوينها أبوابا ومواد ، على اختلاف أنواع المعاملات ، لضبط أوجه النشاط الاجتماعي وأحكامها بدلا من ترك كل قاض يحكم فيها باجتهاده ، أو وفقا لمذهبه ، ولم يتحقق عندنا هذا المرجع التشريعي في أي عصر بعد النبي عليه الصلاة والسلام ، وكذلك نغتبط بتطور التشريع في كل قطر لتكون قوانينه أنسب لأحواله ثم السير بها كلما طرأ جديد وفقا لوجهة نظر اجتماعية وعلمية

ونعرف من تاريخ التشريع في مصر أن الدولة في القرن الماضي حاولت مثل ذلك فرفض المتفقهة أي قانون موحد مصوغ في مواد ولم يجدوا معهم ما يقدمونه اليها الا كتبهم الفقهية التي يدرسونها وكلها مما ألف في الفترة المظلمة التي انهزم فيها العقل وضاعت الهمم وليس منها كتاب لفقيه مجتهد بل كلها لمقلدين ، بل لمقلدي المقلدين ، وكل حظهم من الفقه أن يحفظوا هذه الكتب ، فاضطرت الدولة الى القيام بسن قوانين مناسبة على أيدى آخرين من العارفين بأصول الشريعة ، كما نعرف أن الدولة العثمانية يومئذ حاولت مثل ذلك فوضعت ما سمي « المجلة العدلية » واستمر الحال في هذا التطوير في أقطارنا حتى اليوم دون حاجة الى ثورة وهذا أفضل وأحفظ لبقاء الأواصر بين أجيال المجتمع في ماض وحاضر لتغير التقاليد دون هزاهز

هل العقل قاصر عن التشريع ؟

يقول المؤلف عن الفقه الاسلامي « قام على قصور عقل الانسان ووحد أنه عاجز عن التمييز بين الخير والشر ، والعدل والظلم ، والحق والباطل ، وبالاستناد الى هذه الفطرية حصر الفقهاء حق التشريع بالله تعالى ، وحرموا على الانسان أن يشرع غير ما شرعه الله » ثم يشير أيضا الى أن هذا القول يعلم للطلاب في المدارس ، ونزيد أنه ما يزال شائعا بين الجماهير بسبب ترديده بينها على ألسنة المتفقهة ، يؤيدونه بحجج جدلية غير منطقية ولا علمية ، ولا تعمق في الشريعة كما وردت في القرآن والسنة النبوية ، ثم نزيد أن هذا القول لم يسع في المجتمع الاسلامي الا في عصر هزيمة العقل في الحرب بين المعتزلة وغيرهم من طوائف المتكلمين ، ولم ينتشر ويشتد الا بعد الانتصار على المعتزلة الذين كانوا يرون أن الحسن والقبح أمران عقليان ، على حين قال الأشاعرة وأنصارهم من المتكلمين « ان الحسن والقبح شرعيان » دون أن يفرر هؤلاء وهؤلاء مجال المعاملات ، ويربطونه بالمصلحة الاجتماعية ، وهي التي قامت لتحقيقها الشريعة الاسلامية مع أن دعوة الاسلام ـ كما يقول المؤلف ـ استهدفت الغاء النظام القبلي الذي كان يشتت شمل العرب ، واقامة نظام سياسي واجتماعي يقوم على وحدة الأمة كما نصت عليه الآية الكريمة « وان هذه أمتكم أمة واحدة »

ويقول « وقد وضعت الشريعة في الكتاب والسنة المبادىء والقواعد العامة لاقامة مجتمع اسلامي يسوده العدل والمساواة في الحقوق بين الناس وهي ماثلة في أكثر سور القرآن أما التشريعات في العلاقات الاجتماعية والتي تخضع للتطور وتتبع المجتمع في نموه وتقدمه فقد جاء

الاسلام بأحكام خاصة في نطاق الاعراف القائمة بين الناس ، فالغى بعضها ، وعدل بعضها الآخر بما يتلاءم مع المرحلة التاريخية الجديدة ، وأقر ما لم تدع الحاجة الى تبديله أو تعديله آنذاك وبقيت عادات وأعراف كثيرة لم تتعرض لها الشريعة بالتعديل فبقي الناس يتعاملون بها في الاسلام »

ونرى نحن أن ابقاء الاسلام على ما لا يصادمه وما لاضرر فيه من تلك العادات والأعراف ، هو عين الحكمة لتأليف المجتمع ، وعدم نفوره من التعاليم الجديدة ، ولكن خطأ المتأخرين من المقلدين ، هو عدم التحول كلما تغيرت الأحوال أودعت مناسبات ولو وقتية وأماالمجتهدون الأول فقد اجتهدوا في هذه الأحوال الجديدة ، ومن هنا تعددت أحكام الفقه في العصر الواحد ، ثم في عصر بعد عصر ، ومن أمثلة ذلك ما فعله الخليفة عمر - رضي الله - عنه عند فتح أرض السواد في العراق فأبقى الأرض ولم يقسمها بين المقاتلين ، لتكون ذخرا لكل المسلمين ، كما أنه أوقف حد السرقة في عام الرمادة وأوقف عطاء المؤلفة قلوبهم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم مع ورود حد السرقة وعطاء المؤلفة قلوبهم في القرآن الكريم ، ولم يقل أحد أن عمر عطل نصا قرآنيا، بل قيل أنه تعمق في هذه الأحكام ، فلما رأى انقطاع الدواعي أوقف الحكم وهذا التطوير هو ما يعارضه المتفقهة المقلده بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ونريد أيضا أن نوقفهم هنا عند أقوال أئمتهم مع اختلاف الأحوال بسبب ارتباك الأذهان ، مع أن من القضايا الأصولية في المعاملات « تغير الأحكام بتغير الأزمان » ثم نريد أن هذه المعارضة من جانب المقلدين هي أهم الأسباب في تسرب أعراف قديمة ومنها العرف الجاهلي الى عصور متأخرة ، بل حتى اليوم

ما سكتت عنه الشريعة

يرى مؤلفنا أن الشريعة لم تحدد عقوبة الا لخمس جرائم هي القتل العمد والسرقة ، والزنا ، والقذف ، وشرب الخمر ، وان عشرات الجرائم بقيت دون تحديد عقوباتها وترك تجريمها وتحديد عقوبتها للقاضي أو لولي الأمر لأن الشريعة لم تنص على تجريمها ولا تحديد عقوبة لها ، كما يشير مؤلفنا الى أن أوروبا في عصورها المظلمة عرفت مثل هذه الجرائم المسكوت عنها والتي يعاقب عليها بعقوبات كيفية (وهو ما يسمى عندنا التعزير) فكان ذلك هو « الركيزة الأساسية للحكم الفردي ومنشأ الظلم والطغيان وقد كان من أول المبادىء التي نصت عليها حقوق الانسان في عصرنا مبدأ لا جريمة ولا عقوبة الا بقانون »

ومن هنا لزم قيام سلطة تشريعية لسن قوانين موحدة ليقضي بها كل القضاة وهذا ما تسير عليه أقطارنا اليوم ، يترك للقضاة اجتهاد الا في أضيق نطاق وقد كانت هذه السلطة غائبة في مجتمعاتنا بعد عصر النبي صلى الله عليه وسلم كما أسلفنا ونحن نعرف من تاريخ أديبنا عبد الله ابن المقفع أنه وجه الى المنصور ثاني ملوك بني العباس رسالة اسمها « رسالة الصحابة » يدعوه فيها الى جمع الاجتهادات في كل معاملة واعتماد رأي واحد منها ليأخذ به القضاة في الأحكام ، بدلا من ترك الأمور لهم ليحكموا باجتهادهم ، فتتباين أحكامهم في المسألة الواحدة ، ولكن المنصور لم يفعل ، وان حاول شيئا شبيها به فلم يوفق ، اذ طلب من الامام مالك أن يجعل كتابه « الموطأ » هذا المرجع العام الواحد فأبى الامام ذلك ، ولا نعرف أن هذه المحاولة تكررت في أي قطر اسلامي قبل العصر الحاضر عشرات وعشرات من القضايا يعرضها مؤلفنا في كل قسم من أقسام كتابه الاربعة وهي صلب الكتاب يتتبع تاريخ أكثرها من الجاهلية الى عصر الاسلام وما تلاه ، ويتعمق دراستها ، ويبين مواضع القوة والضعف فيها ، ويجدد رأيه فيها مستندا الى حجج حاسمة أو راجحة ولا سبيل الى عرض ذلك بتفصيل ولا اجمال في مقالة مهما تطل ، ولهذا نكتفي ببعض الأمثلة من القسم الأول

في الجاهلية والاسلام

القسم الأول موضوعه الزواج وفيه يعرض المؤلف حالة المرأة في الجاهلية وسقوط مكانتها كالرقيق ، خاضعة للولاية طول حياتها ، فهي في ولاية أبيها ما عاش فاذا مات فلوليها أحد عصباتها الذكور ، فاذا تزوجت فوليها زوجها وكان لوليها قبل الزواج أن يحرمها الزواج اذا شاء ، أو يزوجها لمن يشاء ويقبض ثمنها وهو المهر ويتصرف فيه كما يشاء ، يأخذه كله أو بعضه مع اعطائها بعضه لأنه ثمنها وقد يقع الزواج بمقاوضة زوجة بزوجة بين الرجلين وهو ما يسمى (نكاح الشغار)وكان من تعديلات الشريعة الاسلام -

١ ـ . اعتبرها انساما كما أن الرحل اسسان فلا سد في رواحها من رصاها والا بطل العقد

٢ ـ ولم تعتبر المهر ثمنا للمرأة مل هدية لها وحرمت نكاح الشغار وهو مقايضة امرأة بامرأة

٣ ـ ولذا لم يعتبر المهر شيئا الزاميأو أساسا في الزواج بدليل أن النبي قال لرحل يريد الزواج « التمس ولو خاتما من حديد » وروج رحلا من امرأة دون صداق وروح آخر لس معه مهر ولكنه يحفظ بعض سور القرآن فقال له « اذهب فقد روحتك اياها بما معك من سور القرآن »وبهذه التعديلات الثلاثة صاغ ركنان أساسيان من أركان الزواج من حيث هو عقد ، فالعقد لا محل له ، لأن المرأة أحد طرفيه وليست المعقود عليه ، ثم ان المهر هدية ولهذا لايعتبر الزواج عقدا بل اتفاقية أو كما قال الدكتور عبد الرزاق السنهوري « لايجوز أن يطلق على الزواج اسم « عقد » اذ لايسمى الاتفاق عقدا الا اذا تضمن التزاما ماليا في نطاق الحقوق الخاصة،وقد أحسن الجمهور حين سمى هذا الاتفاق كتابا » وقد ناقش المؤلف آراء المذاهب الفقهية وبين تجاوزها حين اعتبرت الزواج عقدا ولو رجعوا الى أصل المهر في الجاهلية وعللوه تاريخيا لما فاتهم ذلك ، فليست الشريعة الاسلامية هي التي شرعت المهر ، وانما كان المهر من الأعراف الجاهلية عند ما كان وضع المرأة كوضع الرقيق يشتريها الرحل من أهلها ويدفع لهم ثمنها وهو المهر فبقيت آثارها في اذهان الناس واستمد منها الفقهاء اجتهاداتهم أكثر مما استمدوه من الشريعة فاجمعوا على الزاميته وهو غير لازم وهو من آثار الزواج لا من أركانه

فالشريعة أبقت عادة المهر المتوارثة من العصور القديمة ، ولم تلغها ، ولكنها بالمقابل لم تبطل ارادة المتعاقدين فيما لو اتفقا على الزواج بدون مهر للزوجة واذا كان المسلمون في هذا العصر وفي كل العصور يتمسكون بعادة المهر للزوجة ، ويبالغون فيه ـ فما ذلك الا لأن الفقه الاسلامي ليس فيه ما يدرأ البؤس عن المرأة التي يمكن أن تتعرض له مهما كان الرحل متعسفا في طلاقه ويقول ان قانون الأحوال الشخصية في مصر أخيرا كان أحنى على المرأة في هذه الحالة وغيرها ، وأرعى لحقوقها ، حتى حقها في حضانة أولادها اناثا وذكورا

ويرى مؤلفنا أن قانون الأحوال الشخصية (السوري) لم يكن دقيقا في تسميته الزواج عقدا ، وهذا نص القانون« الزواج عقد بين رحل وامرأة تحل له شرعا ، غايته انشاء رابطة للحياة المشتركة والنسل » ويعقب مؤلفنا على هذا النص فيقول اقحم القانون « النسل »في تعريف الزواج ، وهو مما لا يصح الاتفاق ولا التعاقد عليه فقد لا تكون غاية الزواج النسل ، كزواج رحل من امرأة دخلت سن اليأس ، أو كان أحد الزوجين عقيما ، فاذا لم يتناسلا لا يكون الزواج باطلا »

ويتناول المؤلف كل أمور الزواج لا يترك منها شيئا ، ومن ذلك عملية الزواج وكيف تتحقق ، والكفاءة بين الزوجين ، حتى الكفاءة في الدين ، والولاية على المرأة ، وحقها في ولاية نفسها ، وفي الولاية على بناتها في الزواج ، والحضانة ، ثم الولاية على القاصر ومحرمات الزواج في الجاهلية والشريعة والفقه ، والاجراءات الادارية في الزواج ، ونفقة الزوجة ، ومدة الحمل واثبات النسب

وهكذا يمضي المؤلف في كل مسائل كتابه الفرعية فيستعرض كلا منها ، وشتى الأقوال فيها بشمول ودقة وعمق ، ويمضي هذه الأقوال بعد مناقشتها ، حتى يخرج منها باللباب الذي يساير روح الاسلام واخلاقه ، ويربط بينها وبين المجتمع ومصالحه الانسانية ، دون أن يعارض شيئا من الشريعة ، وان عارض كثيرا من الأقوال الفقهية (اجتهادات الفقهاء) والقوانين الحديثة ، وقلما عالج مسألة الا صفاها وخرج منها برأي طريف مستنير ، يستحق التأمل والتقدير

وقد اعتمد المؤلف ـ كما ذكر في آخر مقدمته ، وكما تدل هوامش الصفحات عند ذكر الشواهد ـ على كثير من « كتب تفسير القرآن والحديث ومصادر اسلامية أخرى لكشف عادات الجاهلية وأعرافها ، وما عدلته الشريعة وما لم تعدله ، » كما استعرض اجتهادات المذاهب الفقهية الأربعة هي (الحنفي ، والمالكي ، والشافعي والحنبلي) بالاضافة الى المذهب الشيعي الامامي الجعفري ، في تفسير النصوص وما اختلفت فيه تفسيرا واستنباطا للاحكام ، وما أخذت به منها قوانين الأحوال الشخصية في بلادنا العربية ، بل انه قد عرج على المذهب الظاهري (ابن

حزم) أحيانا ، كما عرج على كتب رجال القانون المعاصرين من أصحاب الاجتهادات ، وله اشارات كثيرة الى آراء بعض فلاسفة الغرب ومشترعيه

يقول المؤلف « لقد اتخذنا قانون الأحوال الشخصية السوري الذي يتفق في أكثر أحكامه مع القانون المصري ، نموذجا للدراسة والمقارنة بالنسبة لباقي قوانين البلاد العربية ، اذا أن جميعها أخذت بفقه اصحاب المذاهب الأربعة ، ما عدا مسائل قليلة أخذت من فقه الشيعة الامامية (الجعفرية)

وباستثناء القانون التونسي الذي خرج في الكلية من أحكامه عن الفقه الاسلامي فمنع تعدد الزوجات ، وحصر الطلاق بين القضاء ، واباحة التبني وغير ذلك .

للعبادة معنى خاص ومعنى عام

يقول المؤلف « ان اعتبار المعاملات المدنية في الفقه الاسلامي من الدين وأنها ثابتة كالعبادات لم يكن سوى وهم لا أساس له في الشريعة الاسلامية » وهذه الفكرة هي محور كتابه ، وقد أشرنا من قبل الى نقده لحملة الفقهاء والمتكلمين الذين مزجوا بين العبادات والمعاملات المدنية

واعتبروهما أمورا شرعية لايدرك العقل حكمتها ، و[...] ثابتة لا تتغير ، ولعلنا لانبعد عن وجهة نظر المؤلف [...] نفرق بين العبادة بمعناها الخاص الذي يشمل الص[...] والصوم والزكاة والحج والعبادة بمعناها العام ، وهو[...] رعاية الله في كل تصرفاتنا بل نياتنا ، سواء فيما بيننا و[...] أنفسنا أو بيننا وبين الآخرين ، لارتباط هذه العـ[...] بالعقيدة وبالاخلاق الاسلامية فروح هذه العبادة ينبغي [...] تتمكن من ضمير المسلم في كل أنفاسه ، حتى حين يأكل [...] يشرب أو ينام ، باعتبار أن كل أعماله الصالحة طاعات أو عبادة كما جاء في الأثر « ما عبد الله بمثل عمل صالح » ومثله « انّ الله يحب اذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه » ومثله « اتق الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك » ومثله « الكلمة الطيبة صدقة » ومثله « لاتحتقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق » والآية « قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى » والآية « ان الله يأمر بالعدل والاحسان » كل هذه الاشارات تحمل المسلم على أن يستشعر هذا النحو من العبادة بالمعنى العام ، وهذه هي روح الدين ، فالمرء في معاملاته المدنية وغيرها ينبغي أن يكون موصول الوشائج بهذه الروح ، لأنه ان أفلت من حساب القانون في السر أو بحيلة ـ لن يفلت من حساب الاخلاق أو الضمير أو من حساب ربه ■■

محمد خليفة التونسي

لو عُدتِ*

شعر : فاضل خلف

لو عُدتِ فرشتُ لك الدَّربا   بالورد وعَطّرْتُ العُشْبا
ولَثمتُ جبينَكِ في شغف   ومسحت عن الوجهِ التُّرْبا
وأرحتُ عن القلب المُضني   أحزانك في ريِّس القُربى
خمسٌ وثلاثون انسلختْ   لم أنسكِ أو أنسى الحُبّا
أنساكِ ؟ وهل أنسى قدَري ؟   هل أنسَى عالَمكِ الرَّحبا ؟
قد كنتِ عطاءً مُزدهِرا   لم تبْدي منّا أو عَتْبا
لولاكِ حياتي ما اكتملتْ   وفتاكِ لما عرفَ الدَّرْبا
يمشي والحبُّ يُسايِرُهُ   وَغدا في الحُبِّ فتًى صبّا
بصلاتك كانتْ لي نَغَما   وصيامك كان هَوًى عذْبا
وتهجُّدك السَّامي شذْواً   وتسابُحكِ الشّادي كَسْبا
تروين حِكاياتٍ مُثْلى   جعلتْني أستوحي الشُّهْبا
قِصَصٌ في اللّيلِ تُسلّيني   فتزيدُ حياتي خِصْبا
فأنامُ على صدرٍ رَحْبٍ   ما كانَ شحيحا أو جَدْبا

× × × ×

لو عُدتِ رأيتِ مَرابِعَنا   سُكِنَتْ فيها النُّعمى سَكْبا
والقريةُ أضْحتْ شادِيَةً   مُلِئتْ خيرا وزكَتْ سُحْبا
جَنَباتُها كُلٌّ مُنَوَّرةٌ   وقدِ ازدادَتْ مِنها قُرْبا
تسعى والسَّعْيُ لها دأبٌ   ويُسابِقُ كوكبُها الرَّكْبا
نفحات الله تبارِكُها   إنْ هَبَّتْ شَرقا أو غَربا

× × × ×

أُماهُ وأنتِ مُلْهِمَتي   أصبحتِ لأشعاري قُطْبا
عُذْرا إنْ قصَّر إنشادي   ونَدتْ لكِ ألحاني نُهْبى
فحياتُكِ كانتْ مَرْحَمةً   وَعرائسُها كانتْ سِرْبا
مازالَ خيالُكِ يُؤنِسُني   فيُسهِّلُ لي الزَّمنَ الصَّعْبا
وحنانُكِ ليسَ له أَمَدٌ   مازالَ بأعماقي رَطْبا
ورَحلْتِ إلى الأخرى سَحَراً   فطَوَيْتُ على الحُبِّ القَلْبا

■ ■

---

* يزور الشاعر قبر جدته فينظم هذه القصيدة . وريس القربى في البيت الثالث كناية عن ابنها الوحيد الذي توفي شابا لم يبلغ العشرين

الجديد في العلوم

اعداد : يوسف زعبلاوي

حتى الدهن ... ابتكروا له بديلا ...

● نشرت احدى المجلات الطبية الامريكية American-Journal of Clinical-Nutriton مؤخرا مقالا عن بديل للدهن جديد اكتشفه حديثا فريق طبي من علماء جامعة سنسناتي في الولايات المتحدة برئاسة الدكتور شارلز حلوك (Dr.Glueck)

وقد أصابت التجارب الأولية التي أجراها الباحثون من النجاح ما حملهم على تسجيل نتائجها في المقال السالف الذكر

ومما ذكروه عن بديل الدهن الجديد أنه والدهن الطبيعي صنوان يتعذر التمييز بينهما من حيث الطعم ، حتى على الخبراء ومع ذلك فان البديل لا يحتوي على سعرات حرارية ، ويبشر بفوائد عظيمة للذين يعانون من مرض البدانة « البدانة العادية » التي لا صلة لها بافرازات الغدد الصم ، ومرض السكري وما إليهما شأنه في ذلك شأن السكارين ، بديل السكر المعروف ، مع الفارق الكبير في نصيب كل من البديلين من جملة ما يتناول الانسان من طعام ، وهو نصيب أكبر بكثير في حالة بديل الدهن ، كما لا يخفى لا عجب إذن إن كان بديل الدهن يبشر البدينين بامكانية إنقاص وزنهم بحوالي ربع كيلو يوميا أي أن المرأة السمينة تستطيع التخلص من نحو ٧,٥ كيلو من وزنها شهريا إذا هي واظبت على استعمال البديل الجديد عوضا عن الدهون التقليدية الغنية بالسعرات الحرارية

أما التجارب الاولية التي أجراها الدكتور حلوك ورفاقه على البديل الجديد (ويسمونه Surose Polyester) فقد شملت عشرة رجال كلهم سمان ولا يشكو أي منهم من أي اضطرابات في افرازات الغدد الداخلية واستغرقت تلك التجارب حوالي خمسين يوما وأعطي الرجال العشرة في العشرين يوما الأولى مأكولات معدة بالدهن الطبيعي ثم اعطوا في العشرين يوما الاخيرة المأكولات نفسها ولكنها معدة ببديل الدهن الاصطناعي أما مدة العشرة ايام التي توسطت هاتين الفترتين فكانت بمثابة فترة انتقال استبدلوا فيها الدهن الطبيعي بالبديل الاصطناعي بمعدل ٥٦ جراما للرجل يوميا وقد بلغ من الشبه بين طعم الدهنين أن ثمانية من الرجال العشرة لم يستطيعوا التمييز بينهما اطلاقا

وقد أدى تناولهم الدهن البديل إلى انخفاض كمية السعرات الحرارية التي اكتسبوها من وجبات الطعام بنسبة ٣٠٪ وترتب على ذلك إنقاص الوزن بمعدل ٠,٤ من الرطل (١٨,٠ من الكيلو) لكل واحد من الرجال العشرة يوميا

ويؤكد الدكتور حلوك ـ (سوكرور البولياستر) يؤدي ـ بالاضافة إلى ذلك ـ من تخفيض الكولسترول في الدم ، وبالتالي من احتمالات الاصا

ناس ... القلب ولعل الاثر
الحس الوحيد للدهن الدبل انه
تحديد مستوى الفيتاميات A,E
و حسم ومهما يكن من أمر
فإنه مازال بحاجة الى مزيد من
تجارب للتأكد نهائيا من حسناته
وسيئاته

الاتحاد السوفياتي يحدث تغييرات جذرية في جغرافية بلاده

● ينوي الاتحاد السوفياتي إحداث تغييرات جذرية في جغرافية بلاده الطبيعية فقد قرر تحويل مجرى عدد من انهاره الشمالية بحيث تطلق مياهها الى الجنوب بدلا من الانطلاق الى الشمال وتصب في بحر قزوين وبحر الاورال بدلا من ان تصب في بحار الشمال

وتعود فكرة هذا المشروع الهندسي الضخم الى سنة ١٨٣٠ ، حين اقترح أحد مساحي الحكومة ، الكسندر شرنك ، العمل على ايصال نهر بشوار الى نهر الفولغا وعادت هذه الفكرة الى الظهور ثانية قبل نحو ١٥ سنة حين بدت اكثر قابلية للتنفيذ تبعا للتقدم التكنولوجي الذي احرزه السوفيات واتجهت انظار العلماء الى التفجير النووي للقيام بأعمال الحفر المطلوبة وهي هائلة وقد تستغرق أجيالا اذا تمت بالطرق العادية التقليدية

ويشمل المشروع في مرحلته الأولى نهر بشوار ونهر اوبيجا ونهر دفينا ويستهدف إقامة ٢٥ سدا من السدود الضخمة

وستعمل هذه السدود على تجزئة تلك الأنهار بحيث يرتفع مستوى الماء في كل جزء لدى اكتماله ، بنحو من ٢٥ - ٣٢ قدما وبذلك تصبح بحيرة اوبيجا أعمق مما هي الآن بحوالي ٢٥ - ٣٢ قدما ويتم فصل هذه البحيرة في مطلع التشعبات فتمنع مياهها المتكاثرة من الانطلاق الى المحيط المتجمد الشمالي ، وتضطر إلى الانطلاق جنوبا وتعبر في طريقها خمس بحيرات أخرى أصغر منها حتى تبلغ شبكة الأقنية المعقدة التي يتطلب المشروع إقامتها ،

حيث يوجد حاليا حوض رابنسك لتخرج المياه من تلك الشبكة وتصب آخر الأمر في نهر الفولجا

وستستغرق تلك المرحلة الأولى من المشروع حوالى عشر سنوات أو تزيد قليلا وستبلغ تكاليفها نحوا من (٣٠,٠٠٠) مليون دولار

ولا مجال هنا للحديث عن مراحل المشروع الأخرى وحسبك أن السوفيات ينوون العبث بنهري سيبريا الكبيرين ، نهر الاوب ونهر ينيسي ، بحيث تنطلق مياههما في اتجاه الجنوب لتصب في بحر اورال عبر القناة الطويلة التي سيشقونها لهذا الغرض

ومن شأن هذا المشروع ، لدى اكتماله أن ينقذ ٥٠ كيلومترا مكعبا من الماء العذب كانت تصب في الماضي في مياه البحر المالحة بلا طائل وسيوفرها المشروع السوفياتي لأغراض الشرب والزراعة في عصر شحت فيه مصادر الماء العذب إلى درجة كبيرة تنذر بمخاطر كبيرة

ولعل المشروع السوفياتي هو اضخم مشاريع القرن العشرين حقا وقد ملأت تفاصيله نحوا من ١٤٠ مجلدا وسيستمر العمل فيه حوالي (٥٠) عاما

ولا يخفى أن العلماء على علم بالكثير من النتائج التي ستترتب على تحقيق المشروع فهم يعلمون حق العلم أن المياه ستغمر مساحات شاسعة من الاراضي الزراعية قدروا مساحتها بملايين الفدادين وستغرق مئات من المواقع والمباني التاريخية والاثرية وتشرد مئات الآلاف من سكان الأرياف

أما أثر المشروع السوفياتي على البيئة فهذا ما يعجز العلماء عن الجزم بتفاصيله فهناك من يذهب إلى أن المشروع سيعبث لا بالبيئة السوفياتية أو الاوربية فحسب ، ولكن ببيئة نصف الكرة الشمالي ككل أيضا ذلك أن أكثر الاوكسجين في البيئة الاوربية إنما هو من انتاج الغابات الشمالية في روسيا وقد يؤدي المشروع السوفياتي إلى زيادة نسبة هذا الاوكسجين أو الانتقاص منها ونستطيع ان نتصور ما قد يترتب على ذلك من نتائج

ومن العلماء من يذهب أيضا إلى أن المشروع سيحدث تغييرات كبيرة في الطقس فيقصر فترة نمو النباتات وهي قصيرة أصلا في تلك الاصقاع الشمالية وقد تزداد سرعة الرياح وتشح أمطار الربيع وتتضاعف أمطار الخريف بحيث تقضي على كثير من المحاصيل

انتشار السعال الديكي في بريطانيا

● انتشر السعال الديكي في بلاد الانجليز حتى زاد مجموع المصابين به (شهر سبتمبر ١٩٨٢) على ٤٠,٠٠٠ أي حوالى أربعة أضعاف مجموعهم في مثل هذا الوقت من السنة الماضية وهم في ازدياد بمعدل ٣٠٠٠ مصاب أسبوعيا

وغني عن البيان أن الوباء خطير وقد يسبب الوفاة

أما السبب في هذا الانتشار المفاجيء فهو احجام الانجليز عن تلقيح أولادهم بلقاحه فقد تردد قبل حين أن ذلك اللقاح قد يسبب التلف للمخ وما أسرع ما عادوا إلى تلقيحهم بلقاحه ثانية حين تكاثر عدد المصابين به وتبعا لحملة التوعية التي قامت بها الحكومة

وبلغ من الاقبال على هذا التلقيح أن نفدت كمياته في الاسواق واضطرت المؤسسة الوحيدة التي تصنعه في بريطانيا (Wellcome Foundation) إلى الحد من تصديره إلى الخارج ، وذلك لصالح بريطانيا ، ريثما تنتهي الأزمة

ويجري العمل على انتاجه بمعدل ١٢ ساعة يوميا وسبعة أيام اسبوعيا دون عطلة

حل مسابقة العدد

اثنتان في واحدة :

حل مسابقة العدد ٢٨٦

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥
١	ا	س	ط	ر	ل	ا	ب		ا	ل	ح	ا	ن	ج	■
٢	ف	ا	ن	ج	ا	ر	د		ل		ا	ل	ه	م	ا
٣	ر	ن	■	ع	م	ى	د	○	ب	و	ر	م	ا		ل
٤	و	ه	ن	ت	■	ك	ه	ا	ر	ب		ف	ر	ا	ر
٥	د	و	ى	■	ه	ه		ب	ت	ل	ا	ت		ل	ى
٦	ى	ا	ر	د	ه		ا	ن			ل	ى	ب	ى	ا
٧	ت	ن	ف	ر	■	ا	ل	خ	ل	ى	ل		و	م	ض
٨	■	ه	ا	ب	و	د	ل	ف	ا	ل	ع	ج	ل	ى	■
٩	ح	ب	ن	■	ا	س	ه	ا	م		ب	و	ى	ن	ج
١٠	ا	ع	ا	ن	ت	ه		ح	ا	ف		ت	ف		د
١١	ك	ى	■	د	و		ن	ه	ر	ا	ل	ن	ى	ل	■
١٢	ا	د	م	■	س	ل	س		ت	ر	ع	ب	ا	ن	ه
١٣	ر	■	ا	ل	ى	م	ن		ى	ا	س	ر		د	ر
١٤	ب	م	ر	ن	■	س	ا		ن	د		ج	ا	ن	ب
١٥	ا	ن	ك	ا	ر		س			د	ى		ا		ب

(٨) أفقيا أبو دلف العجلي قائد وأديب وشاعر من الدولة العباسية ، وأمير الكرج . له عدة مؤلفات من بينها « سياسة الملوك » ، و« البزاة والصيد » ، و « السلاح والنزه » .

(٨) رأسيا ابن خفاجة شاعر أندلسي ابدع في وصف طبيعة بلاده له شعر في الغزل والمدح ، ولكن أعظم شعره في وصف الطبيعة .

الفائزون بالجوائز

الجائزة الأولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها ـ عبد الرزاق داود أبو زيد ـ الزرقاء/الاردن

● الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها ـ أحمد حسن عبيد ـ طرابلس/ليبيا

● الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها ـ أحمد عبد الرحيم الخطيب ـ صلالة/سلطنة عمان

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير فاز بها كل من

١ ـ مجدي محمد أمين اسلامي ـ جدة السعودية

٢ ـ فاطمة يوسف الشيعان ـ المحرق/البحرين

٣ ـ كمال علي عبدالله علوان ـ عدن/اليمن الديمقراطي

٤ ـ احمد محمد عبد الله رحمة ـ الخرطوم/السودان

٥ ـ رضاب عبد الكريم فرحان ـ بغداد/العراق

٦ ـ صالح مصطفى صالح ـ الكويت

٧ ـ محمد علي محمد ـ بني سويف/مصر

٨ ـ عدنان محمد ـ بالملاط/الجزائر

اهنزا

وسط شوامخ الجبال العاتية يعيشون حيثما يعملون ، نساء ورجالا   والصورة لبعض النسوة في طريقهن الى قريتهن موق

: مسلمون عند سطح العالم

استطلاع : فهمي هويدى　　　　تصوير : صلاح آدم

ن أباد العاصمة الحكومية للامارة ، والمشوار بسيط للغاية ، عشرة كيلو مترات في الذهاب ومثلها في العودة !

هذا الشعب اتصل بعالمنا الارضي في السبعيات من القرن الحالي ، بعدما عاشت احياله طوال ني عام في عزلة أسطورية على عتبات سقف الدنيا ، جنبا الى جنب مع « دوماني » ام السحب وشيما » الهة الجبال وعالم الحر والتين السحين ، ووسط أعتى الكتل الصخرية وأعظم القمم كثرها شموخا وجبروتا واثارة في الكوكب الارضي .

تعرفهم كتب التاريخ باسم شعب « الهونزا » ، سجل تراثهم أنهم من نسل جيش الاسكندر الأكبر . يطهم الرحالة والروائيون بهالة من الاكبار والانبهار ، يصف بلادهم جيمس هيلتون في روايته الشهيرة لأفق المفقود » ، بأنها واحة السلام والنعيم والعمر لويل في هذا العالم

وأن يكون على وجه الارض شعب تحيطه هذه الظروف ريبة ، فتلك مفاجأة بحد ذاتها ثم ان يكون هؤلاء ما مسلمين موحدين بالله ، فتلك مفاجأة ثانية ، تسر ل تأكيد لكنه سرور افسدته وعكرته المفاجأة الثالثة ، ث اكتشفت انهم « اسماعيليون » ، ليس في جبالهم متدة مسجد واحد ، في حين يتجهون بقبلتهم الى حيث م إمامهم في احدى ضواحي باريس !

أين تقع الهونزا ؟

السؤال طرحه نظام حيدر اباد على امير الهونزا ، المير م خان ، حين التقيا في كلكتا في أواخر القرن الماضي ، حدى المرات النادرة التي غادر فيها المير قلعته الحصينة - ما كانت المرة الاولى - وكانت الرحلة قد تمت استجابة وة من الحاكم البريطاني للهند وقتئذ .

نلقى سلطان الهونزا السؤال بعدم ارتياح فيما يبدو ، اب على سؤال المهراجا المتدي اجابة غامضة لا تخلو من يم ، د قال ان بلاده تقع حيث تلتقي ثلاث راطوريات ومملكة واحدة (يقصد روسيا والصين ند ، ومملكة التبت)

لأنه كان أغنى رجل في العالم وقتذاك ، فان نظام حيدر راد ان يكسب « نقطة » لصالحه في الحوار ، فسأل المير عن دخله الذي يحصله من مملكته الغامضة تلك فاجاب سلطان الهونزا باعتداد قائلا : ان تحصيل الايرادات امر يتولاه الاتباع وصغار الموظفين ولا ينبغي ان يشغل الحكام بمثل هذه التفاصيل !

لكن الامر كان اكثر يسرا بالنسبة لي فيأول مرة زرت فيها باكستان الا وسمعت عن الهونزا روايات وحكايات تشبه الاساطير وعبر كتابات عديدة سعيت اليها كانت الاطلالة الاولى لي على مملكة الهونزا ، حيث تبينت أن الجانب المتعلق بالحقيقة اكبر بكثير من نصيب الاسطورة في قصة تلك المملكة الفريدة. وان كلمة الهونزا معناها « السهم » او المتماسكون كالسهم ،في لغة بروشسكي السائدة بالمنطقة وقد كانت المنطقة الواقعة في اقصى شمال الهند وقتئذ تحت حكم اسرة واحدة منذ حوالي الف عام . ولكن احفاد الاسرة اختلفوا فقسموا المملكة بين اثنين من الاشقاء في القرن السادس عشر الى شطرين : هونزا ونجر وظلت هونزا هي الأقوى الى الآن ، حيث يمتد سلطانها الى مسافة ٧ آلاف كيلو متر مربع ، تنتهي بمقاطعة سنيكيانج الصينية اما سكانها فعددهم ٣٠ الفا ، موزعين على ٤٤ قرية

ليسوا أحفاد الاسكندر

وثمة اعتقاد سائد بأن أهل الهونزا ذوو اصول اغريقية . والقصة الشائعة تقول ان خمسة من جنود الاسكندر الاكبر (القرن الرابع قبل الميلاد) ضلوا طريقهم في الهونزا ، وانهم مرضوا واستقروا هناك ، حيث تزوجوا وتناسلوا ، وزرعوا جذور بعض القبائل الحالية .

لكن الدراسات التاريخية لا تتفق على صحة هذه المقولة بشكل مطلق . وأكثر الباحثين اعتدالا لايستبعد هذا

منطقة الهونزا وخط السير من جلجيت الى خونجراب مرورا بكريم اباد

الاصل الافريقي لقلة من الهونزاكوتيين . لكنه يرجح ان تكون الملامح الاوروبية البادية على الاكثرية متأثرة بالاصول الطورانية (التركية) التي تتفرع عنها قبائل عديدة في المنطقة . خاصة وأن الاتراك أساسا قادمون من قلب آسيا . وسكان مقاطعة سينكيانج الصينية الملاصقة للهونزا (أربعة ملايين) اتراك عرقا ولغة وتقاليد ، الى الآن .

وسواء كانوا من اصول طورانية او آرية او ايرانية ، كم
يقول الباحثون ، فان الحد الادنى المتفق عليه هو أن شعب
الهونزا من أصول آسيوية وليست أوروبية ، رغم أن
الارستقراطية الهونزاكوتية الممثلة من الاسرة الحاكمـ
اساسا ، تصر على أنها من تلك الاصول الافريقية

لكن الأصول لم تكن هي الجانب الاكثر اثارة في قصة
الهونزا ، لان هناك جوانب اخرى عديدة تفرد بها شعـ
تلك المنطقة ، وأشاعت حوله ذلك الجو الاسطوري الذي
لا يتوفر لأي من شعوب الارض ولك ان تتصور تلك
الملامح الفريدة التي يمكن ان يتسم بها مجتمع عاش في عزلة
عن العالم لمدة ألفي عام ، لا يعرف سلطة الحكومة ولا لغة
النقود او الضرائب ، ولم يسمع باسم السجون ، ويعتمد
في غذائه ودوائه على فاكهة المشمش ، وتطول حياة الناس
فيه حتى يبلغ متوسط العمر مائة عام ! ويمضي الجميع
اعمارهم بين الصخور والثلوج وفي خدمة الأمير !

ثم قدر لهذه الصورة التي بدت عديدا من الباحثي

جيل الغد الذي لم يعرف العزلة وعصر التحدي الحقيقي بين الانسان والطبيعة صبية من بنات الهوبرا اسمها زهرة ، ارتدت الزي القومي ، غطاء الرأس المطرز والخمار الشفاف ، وابتسمت لعالم اكثر اشراقا

عدة وجوه من الهوبرا ، الى اليمين (فوق) النقيب نصرت ضابط أمن المنطقة و (تحت) ملامح افريقية صرفة لواحد ربما كان من احفاد جند الاسكندر ، والى اليسار علي مراد شيخ المعمرين في الهوبرا ، يحتضن واحدا من احفاده

والأدباء والمغامرين أن تتغير تماما في السبعينات ، التي شهدت تحولين هامين في تاريخ مملكة الهونزا ، الاول هو اخضاع المملكة للسلطة الادارية لحكومة باكستان ، والغاء مناصب الامراء والنواب والخانات ، وهو القرار الذي أعلنه رئيس الوزراء الباكستاني ذو الفقار علي بوتو في عام ١٩٧٤ ، والذي أنهى به آخر ما تبقى للهونزا من خصوصية واستقلالية . والحدث الثاني والأهم هو افتتاح طريق كراكورام الدولي في عام ١٩٧٨ ، الذي أنهى تماما عزلة هذه المنطقة ، وأحدث انقلابا شاملا في كل نواحي الحياة بها .

كانت اكثر تلك الكتابات لضباط في الجيش البريطاني ، قدر لهم ان يتولوا مناصب مختلفة في ادارة المنطقة خلال فترة الاستعمار البريطاني للهند . ولم يتح لأهل الهونزا ان يسجلوا تاريخهم او تراثهم ، لأن لغاتهم ـ وفي مقدمتها لغة بروشسكي ـ منطوقة وليست مكتوبة . حتى بات على الباحث عن تاريخ المنطقة ان ينقب عنه بين الوثائق الانجليزية اولا ، ثم الصينية والتركية .

مفاجآت في الطريق

لكن الرحلة الى كريم اباد عاصمة الهونزا لم تكن بالامر الهين ، وان بدت ميسورة عندما جرى حولها الحديث لاول مرة في مقر وزارة الاعلام الباكستانية بالعاصمة اسلام اباد . قال محدثي ونحن جلوس حول طاولة صغيرة : ان الرحلة ستتم على مرحلتين احداهما طولها ٦٠٠ كيلو متر ، من روالبندي (الملاصقة لاسلام اباد) الى جلجيت ، مقر الادارة في المقاطعة الشمالية الغربية ، التي كانت تعرف باسم دارد ستان حتى منتصف القرن الحالي ، وهذه ستتم بالطائرة التي لن تستغرق رحلتها اكثر من ساعة ونصف . والثانية طولها ١١٢ كيلو مترا من جلجيت الى كريم اباد عاصمة الهونزا ، وهذه يجب ان تتم بواسطة سيارة « جيب » ، وتستغرق ما بين ثلاث واربع ساعات حسب الظروف . اما اذا اردت ان تواصل الرحلة الى سقف الدنيا عند الحدود فيما بين باكستان والصين ـ اضاف محدثي ـ فان الرحلة سوف تستغرق اربع ساعات اضافية تقريبا ، ويلزمكم ان تقطعوا ١٧٥ كيلو مترا من كريم اباد على الطريق ذاته .

ركبنا الطائرة ونحن نمني انفسنا برحلة هادئة ، لكن اكثر من مفاجأة كانت في انتظارنا . فكما يحدث في افلام الرعب ، بدأت الرحلة بواحد من تلك المشاهد التي تشد الاعصاب وتوقف شعر الرأس . اذ لم تكد الطائرة تخترق السحابات ناصعة البياض ، حتى رفع الستار عن ذلك المشهد المروع . فالطائرة باتت محاصرة بكتلة هائلة من الجبال السوداء التي كانت بمثابة لوحة متجهمة صماء تسد الافق ، وتوحي للناظر من النافذة بان كارثة محققة ستقع بعد ثانية واحدة . ادرت وجهي من النافذة بسرعة متوقعا أن أجد الجالسين وقد قفزوا من فوق مقاعدهم ، وان الهرج سوف يسود الطائرة ، لكن ما أدهشني أن الجميع كانوا في حالة من الهدوء والسكينة البالغين . البعض كان يتسلى بالنظر الى النافذة ، وكأنه يشاهد شريطا مسليا لاحدى حلقات الرسوم المتحركة . في حين كان آخرون يواصلون القراءة في الصحف الاردية والانجليزية التي وزعتها احدى المضيفات . اما الباقون ، فكانوا بين متأهب للنعاس ، او مداعب للاطفال الذين املت عيارهم بعد فك الاحزمة ، أو غير مبال بكل ما يجري .

ادركت انه ليس ثمة خطأ او خطر في الجانب المتعلق بالطائرة ، وان الخطأ كان من نصيبي وزميلي صلاح آدم مصور العربي ، وقد كنا الاجنبيين الوحيدين في الطائرة ، بينما الباقون كانوا من ابناء المنطقة الذين الفوا هذا الخطر ، وباتوا يستقبلونه بهدوء وبغير اكتراث .

زالت الغمة ، وخرجنا من ذلك النفق الصخري الكئيب الى مشهد آخر يبهر العين ويملؤها بالضياء ، فقد ظهرت ـ اخيرا ! ـ صفحة السماء ناصعة البياض ، بينما الكتل الصخرية الضخمة بدت من بعيد مكسوة ببسط هائلة من الثلج ، فيما برزت قمم الجبال كمنارات منصوبة فوق الصخور ، وقد استسلمت لأغطية الثلج الكثيفة .

كانت الطائرة في صعود مستمر ، حتى تصبح في مستوى يرتفع فوق تلك الابراج الثلجية المتناثرة . لكن ثمة قمة واحدة صادفتنا ، لم تحاول الطائرة ان تتخطاها ، وهي القمة المعروفة باسم « نانجا باربات » ومعناها القمة العارية ، وهي التي لا يخلو كتاب عن الشمال الباكستاني من ذكرها ، اولا لارتفاعها المدهش (٦٦٠ ٦

قدما) ثم لكمّ القصص والاساطير التي نسج حولها ، والذي تلعب فيه الجنيات دورا أساسيا ، حيث تتولى ، في كل قصة ، اختطاف كل من يحاول بلوغ تلك القمة العالية . وقد شاعت تلك الاساطير بعد فشل كافة محاولات المتسلقين والمغامرين في الوصول الى ذروة الجبل ، ولكنها خبت ، وتحولت الى روايات تاريخية ، بعد ما نجح بعض الالمان في تحدي الجنيات ، والوصول الى القمة العارية في عام ١٩٥٢ !

مرت الطائرة الى جوار القمة الثلجية التي بدت منتصبة بينما الكل سجود حولها في سكون ابدي ، واتجهت الى حيث حلقت فوق وادي نهر الاندوس (الكبير) الذي بدا شريطا رفيعا ومتواضعا ، تظلمه الرؤية بالعين من ذلك البعد الشاسع ، فضلا عن ظلم آخر يحيف به من جانب سلاسل الجبال العملاقة التي تكاد تطبق عليه من الجانبين ، في اكتساح لمسرح المنطقة لا يقبل المنافسة !

ولسنا نبالغ اذا قلنا ان الجبل هو السيد الحقيقي في تلك المقاطعة الشمالية . تلك شهادة التاريخ والجغرافيا معا واذا كانت الاسطورة الهندية لم تجد لآلهة الجبال « شيما » مقرا ومستقرا سوى هذه المنطقة ، فان ذلك الاختيار لم يتم اعتباطا ، بل هو نموذج لاحدى ممارسات الحكمة الهندية العريقة . فاذا كان لابد ان يكون للجبال اله ، فلن يجد له عرشا جديرا به ، ولا بلاطا وحاشية ، ولا حتى رعية (!) اجدر ولا افضل مما سيجده في هذا المكان

فهذه المنطقة من الشمال الباكستاني تشهد منذ آلاف السنين « مؤتمرا » لشوامخ الجبال في العالم والوصف لمؤلف كتاب « كراكورام هونزا » ! .

جلجيت : مدينة العابرين

من فوق وادي نهر الأندوس ، انحرفت الطائرة لتعبر ممر « بابوسار » الذي يتخلل كتل الصخور الشاهقة ، على ارتفاع ١٤ الف قدم . وكان الممر هو الباب الذي دلفنا منه الى وادي جلجيت ، المليء بالحدائق ومجاري المياه التي تنساب من فوق القمم العالية ، لتتعانق في الوادي وتروي ظمأه .

بعد دقائق معدودة كنا في جلجيت المدينة ، التي تتمدد في بطن الوادي بينما هامات الجبال العظيمة تطل عليها من كل اتجاه . هنا محطة انطلاقنا الى الهونزا . وتلك وظيفة المدينة منذ الأزل لاأحد يقصدها لذاتها ، وانما هي دائما وبحكم موقعها الجغرافي مدينة العابرين ، ومفتاح جبهة الشمال . ومن هذا الباب دخلت التاريخ واصبحت محطا للانظار . الجغرافيا هي التي صنعت لها تاريخها

ولا نظلمها اذا قلنا ان جلجيت قد حازت لقب « مدينة » ـ ايضا ـ لاسباب جغرافية وليس لاسباب عمرانية . اذ هي في الحقيقة قرية متواضعة ، شوارعها متربة وبيوتها مبنية من الطين واهلها فقراء يزرعون في الوادي او يتعيشون من تجارة العبور لكنه ـ مع ذلك ـ مقر لعدد من الاجهزة الادارية الهامة التي يمتد سلطانها الى مختلف أجزاء المقاطعة الممتدة الى حدود الصين ، فضلا عن أنها مركز قيادة الجيش في القطاع الشمالي ، ولاهميتها الاستراتيجية فانها خاضعة للحكم العسكري ، ويصرف امورها ضابط كبير برتبة لواء ، باسمه يصدر التصريح للاجانب بالتجول في المنطقة ، وشأن كافة محطات الوقوف والعبور ، فان الناس فيها خليط من كافة اجناس واعراق المنطقة

وتاريخيا فان جلجيت وما حولها كانت منطقة صراع النفوذ بين الامبراطوريتين البريطانية والروسية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، الامر الذي دفع بريطانيا الى ارسال حامية لتعسكر فيها تحسبا لأية احتمالات ، في أواخر القرن التاسع عشر .

وكانت الهونزا لها أهمية خاصة في استراتيجية المتصارعين ، حيث انها تقع مباشرة امام خط التقدم السوفيتي في اتجاه جنوب آسيا . ولهذا السبب قامت بريطانيا باحتلالها في سنة ١٨٩١ .

لم يعد الوصول الى الهونزا هو تلك المغامرة الخطرة التي يخشى هولها المسافر ، بعد ان حدثت متغيرات اساسية في خريطة المنطقة ، وهذه المتغيرات دخلت من باب سحري اسمه طريق كراكورام ، الذي يضمه الباكستانيون الى عجائب الدنيا السبع ، ويعتبرونه ـ عن حق ـ ثامن تلك العجائب !

وجوه موزاكوتية في مدرسة البالية ببلدة جوليت والصورة بلا تعليق !

على طريق كراكورام

وعندما يكتب التاريخ الحديث لهذه المنطقة ، فان طريق كراكورام لابد وان يستأثر باهتمام يليق بخطورة الدور الذي يؤديه ، بل لا بد وان يخرج - في التصنيف - من دائرة المشروعات العمرانية الاسطورية ، التي فكت إسار عشرات الألوف من البشر ، ظلوا يعيشون في ثنايا تلك الجبال العالية منذ قرون عديدة ، ليدخل في دائرة التحولات الاستراتيجية بالغة الأهمية في القارة الآسيوية ، يكفي أن يفتح طريق كراكورام الابواب لكي تصل الصين الى بحر العرب . والذين يعرفون ما هي الصين ودورها في موازين القوة في آسيا والعالم بأسره ، ويعرفون موقع بحر العرب من قلب العالم النفطي ، يدركون ابعاد ذلك الحدث الضخم .

كراكورام ، التي تكتب بالاردية ذات الحروف العربية « قراقرم » (بضم القاف الثانية) كلمة مركبة معناها « الصخرة السوداء المبعثرة » اطلقها اتراك وسط آسيا منذ الأزمنة القديمة على حزام الصخور الوحشية الذي يشكل الذراع الغربي لجبال الهملايا توأم جبال هندوكش والبامير

انطلقت بنا السيارة من جلجيت ذات صباح حيث بلغنا الطريق الكبير ، وصرنا فوق ذلك المسرح الاسطوري ، حيث غاصت السيارة في بطن حزام الصخور الوحشية والسوداء ،وحيث تختلط لدى الانسان مشاعر الرهبة والدهشة والانبهار في آن واحد ،رهبة موقف يجد فيه المرء نفسه وقد تضاءل الى جانب تلك الجدران الصخرية العملاقة والدهشة ازاء تلك القسمات التي كانت تطل علينا بين الحين والآخر مخترقة ومتحدية طبقات الصخر المتراكمة عبر ملايين السنين ، لتدلك على أن البشر ، برغم كل شيء ، أقوى من الحجر ! فلا بد أن يأخذك العجب من زراعات شيطانية تنشق عنها الصخور ليست شجرة او مجموعة اشجار ، وذلك بحد ذاته أمر مدهش ، وإن لم يكن للانسان يد فيه لكن ما هو مستغرب ومدهش حقا هو تلك المربعات المزروعة التي كانت تظهر وسط الصخور . حيث لا تعرف أولا كيف ومن أين وصل الانسان - أو هبط - الى تلك المواقع ؟ ثم تعجز عن أن تعرف كيف أقام مزرعة فوق الصخر ، كما تعجز عن ان تتصور الامكانيات التي توفرت له ليحقق هذا الانجاز الكبير ، وهي امكانيات لا بد وان تكون بدائية ، الثابت منها الى الآن هو قرون الكباش والبقر ! ، اما الانبهار فلا بد أن يتملك الانسان وهو يتطلع الى القمم الثلجية البيضاء التي تتوج المشهد كله ، مغلفة بالـ حينا ، ولامعة كالفضة تحت أشعة الشمس حينا آخر وفي كل حين تنساب جداول المياه من تلك القمم تتـ فيها خيوط الفضة في دلال ، قادمة من الذروة الى الـ والسفوح ثم النهر

لكن ذلك كله في جانب ، والطريق الذي نحن عـ جانب آخر ، اذ يظل مثيرا للدهشة أن يخترق تلك الـ الصخرية طريق ناعم وممهد بطول ٩٥٥ كيلو مترا ، المسافة بين شمال العاصمة الباكستانية ، وحدود الصـ

وتعجز الكلمات عن وصف سلسلة جبال كراكو بقدر ما تقصر عن تصور الجهد الهائل الذي من أجـ الطريق ، ليصل بارتفاع أكثر من ١٥ الف قدم الى الصين . فهذه الجبال التي تشكل المسرح الـ للمشروع ، تغطي ثلاثة ارباع مقاطعة شمال باكـ ولكي تتصور مدى ضخامة هذا المسرح واستحالة اقتحامه ، فينبغي أن تتذكر انه من بين أعلى ٣٠ للجبال في الكوكب الأرضي ، تستأثر جبال كراكـ بأثنتي عشرة قمة كما ينبغي ان تتذكر ان ذلك الـ الجبلي الاسطوري يضم بين جنباته أضخم وأطول انهار جليدية في العالم (في منطقة الهونزا ١٢ نهرا جـ خارج المنطقة القطبية وعلى سبيل المثال ، فانه اذ أطول الانهار الثلجية في جبال الألب السويسرية لايتـ عشرة أميال ونصفا ، فانها تصل في جبال كراكورا ٣٠و٥٠ وحتى سبعين ميلا

لهذا كله ليس مستغربا ان يستمر العمل في المشـ ١٨ عاما ، وليس كثيرا ان يحشد له جيش من البشر ٢٤ ألفا و ٥٠٠ انسان ، بينهم ١٤ الف باكستاني والـ من الصينيين وليس مفاجئا ان يصل عدد الذين حياتهم في مختلف مراحل المشروع الى عدد يتراوح ٤٠٠ و ٥٠٠ شخص وازاء الانجاز الذي تحقق عندما تصل تكاليف المشروع الى مليار دولار ، فان لا يذكر ، وعندما يستخدم في محاولات اختراق الـ ٨ آلاف طن من المتفجرات ، فان الأمر يستحق ـ أكثر .

تحت أقدام راكابوشي

تخطف البصر على الطريق قمة « جبل راكابوشي يطلقون عليها اسم « دوماني » ومعناها ام السحب يدهش المرء فيه ليس فقط ارتفاعه المذهل الذي يبـ ألفا و ٥٥٠ قدما ، ولاجماله الباهر الذي تختلـ

الثلوج بثراء الاشجار والخضرة ، ولكن الصـورة التي بدت عليها قمته كانت اخاذة بصورة لا تصدق فتلك ان قمة راكابوشي تتجه باستقامة معجزة من بين مجموعة من القمم المحيطة في وصل مدهش بين الارض والسحاب حتى شبهها البعض بأنها بمثابة سيف ثلجي اسطوري حاد ، مندفع من الارض ومغروس في كبد السماء ولطبيعتها الفريدة تلك ، فقد فشلت جميع المحاولات التي بذلها المغامرون لبلوغ تلك القمة وقهر ارتفاعها الشاهق ، رغم ان المغامرين نجحوا في الوصول الى قمم أعلى منها ، ولكنها كانت ذات تضاريس او طبيعة مختلفة

يقف جبل راكابوشي في الطرف الغربي لسلسلة جبال « كيلاش » ـ المتفرعة عن جبال كراكورام ـ وبها موطن « شيفا » الهة الجبال في الاساطير الهندية القديمة ، التي تقول انه هنا ـ عند سفح راكابوشي ـ احرق « شيفا » آلهة الحب لانها سببت له ازعاجا لم يحتمله . اما « جانيش » إلهة الحكمة التي يصورونها برأس فيل ضخم ، فانها ولدت في احضان كاليش ، و « بحكمتها » استطاعت ان تتعايش مع « شيفا » الجبار !

ولا تزال رائجة بين الناس الى الآن اسطورة التنين الذي سجن في الثلوج منذ ثلاثمائة عام قرب قمة راكابوشي ، وهم يعتقدون انه ينتهز فرصة حلول الربيع كل عام ليحطم أغلاله ويتخلص من سجنه ، الامر الذي يصيب الناس بذعر خفي : مما يدفعهم الى اشعال نيران هائلة مع بداية فصل الربيع ـ في مهرجان خاص ـ لاخافة التنين واجباره على التراجع عن محاولته تلك !

الهونزا . . أخيرا !

بعد أربع ساعات كنا على مشارف كريم اباد عاصمة أمير الهونزا ظلت السيارة تصعد وتصعد ، ثم تدور في حذر بالغ مخترقة طرقا ضيقة وغير مستوية ومتجنبة حواف الصخور والاشجار ، فيما كان خرير المياه الهابطة من قمة الجبل يكاد يطغى على صوت المحرك ، حتى وصلنا الى ارتفاع ثمانية آلاف قدم ، في حالة يرثى لها وعندما ظهرت امامنا بعض البيوت الحجرية المبنية خارج الجبل وداخله ، ولمحنا بعض النسوة بثيابهن ذات الالوان الزاهية ، اللاتي اشحن بوجوههن ثم اختفين في لمح البصر ، بينما ركض الصغار مخترقين سحابات التراب والدخان التي خلفتها السيارة وراءها في محاولة للتعلق بمؤخرتها . . . وقتئذ لكزني مرافقي وقال : هذه هي العاصمة التقليدية لامارة الهونزا !

لم يعد للهونزا أمير ، بعدما صارت السلطة بيد الحكومة . وصار للهونزا مسئول اداري وضابط شرطة ، ودوائر وقانون ومخفر ونفوذ ولم يعد أمير الهونزا يمارس أي نفوذ حقيقي حتى قرار تعيينه عضوا بمجلس المقاطعة جاء تعبيرا عن التقدير ـ أو التعويض ـ الأدبي ، وبالمنطق ذاته عينت له الحكومة ١١ رجلا لحراسته ، بديلا عن « الحاشية » وربما ادرك الأمير الشاب ـ واسمه راجا غزان ـ ان الدنيا تغيرت ، وأن الناس صاروا اتباع الحكومة وليسوا اتباعه ، فاختار ان يُشغَل بالموسيقى وان يقضي وقته في هوايته المفضلة وهي العزف على الجيتار وتحسبا للمستقبل ـ من يدري ؟ ـ فقد التحق بفرقة موسيقية في اسلام اباد ، التي يقضي فيها فصل الشتاء من كل عام ، ثم يهرب هو وزوجته ـ وتلقب راني ـ من حر العاصمة والرطوبة الخانقة فيها الى قصره الذي ورثه عن أبيه في كريم اباد ، والذي تطل واجهته على قمة راكابوشي الثلجية العملاقة

« امير » الهونزا الحقيقي الآن » ، واحد ليس من ابنائها ، هو النقيب نصرت علي خان ، ضابط الشرطة المسئول عن الأمن في المنطقة كلها ، ومقره في علي آباد ، وهي العاصمة الحكومية للهونزا ، وقع الاختيار عليها منذ سنة ٧٥ ، بعد الغاء الامارة ، بديلا عن كريم آباد التي كانت عاصمة في ظل الحكم السابق

تولى النقيب نصرت ايضاح بعض تضاريس المنطقة ، التي قال انها تضم ٣ أقسام ، هونزا العليا الملاصقة لمقاطعة سينكيانج الصينية ، ـ سكانها يتكلمون لغة « واخي » ، والوسطى ، التي كنا فيها وهي القسم الأكبر ، وتتكلم لغة « بروشسكي » ، والسفلى ، الأقرب الى جلجيت ، وأهلها يتحدثون لغة « شينا » . واللغات الثلاث منطوقة وليست مكتوبة . وتضم المناطق الثلاث ٤٤ قرية ، يسكنها ٣٠ الف شخص أكثر من نصفهم بروشيون (يتكلمون لغة بروشسكي)

سألته عن السبب في قلة عدد سكان الهونزا ، فقال ان افراد الطائفة الاسماعيلية ـ أهل المنطقة ـ لا يتزوجون بأكثر من واحدة ، فضلا عن ان الأم تنجب مرة كل ثلاث سنوات ، لان الواحدة ترضع طفلها لمدة سنتين كاملتين . وهو تقليد التزم به الجميع وهم لا يعرفون انه مبني على نص الآية « والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين . » واذا اضفنا سنة الحمل الى سنتي الرضاعة ، فان المجموع يصبح ثلاث سنوات . ولذا فان متوسط عدد أطفال الاسرة في الهونزا في حدود اثنين ، قد يرتفع الى ثلاثة وقد يهبط الى واحد . في حين ان متوسط عدد ابناء

احدى مدارس الطائفة الاسماعيلية ، التي أنشأتها مؤسسة اغا خان ، الواجهة مكتوبة بالاردية وان كانت « مدل سكول » ليست الا كتابة عربية للمدرسة المتوسطة بالانجليزية ، الى اليسار (فوق) بعض التلاميذ في الفصل وصورة النصف الاسفل لفريق من سيدات السوة في رحلة بين قريتين   لاحظ القوام الممشوق والجمال الفائق

بيت المونزاكوني الأصيل أغلبه داخل الجبل ومكون من طابقين ، أحدهما شتوي والآخر صيفي . ولكل طابق بابه
كما يوضح الصورة . الواجهة من الحجارة التي رصت بطريقة دقيقة ومثيرة للانتباه

الاسرة الباكستانية بوجه عام ، يتراوح بين ٥و٧ أطفال ، مع ملاحظة ان تعدد الزوجات قائم في الكثير من المقاطعات الباكستانية .

اغلقوا مكتب البريد !

عن المدارس ومراكز الرعاية الطبية ، قال ان المنطقة لم تعرف المدارس الا في اواخر الخمسينات واوائل الستينات ، وان الطائفة الاسماعيلية هي التي تلعب الدور الأكبر في انشاء المدارس والانفاق عليها ، وان الحكومة تسهم بقدر في هذه العملية وقد اصبح الآن في كل قرية مدرسة ابتدائية ، وفي منطقة الهونزا كلها ثلاث مدارس ثانوية اما مراكز الرعاية الطبية فقد أصبح في كل مجموعة من القرى مركز طبي ، وبلغ عدد هذه المراكز خمسة ، وهي ايضا خاضعة لاشراف مؤسسات الطائفة الاسماعيلية

ألحت على ملاحظة حول كُريم أباد ، بعدما تعدد ذكر كلمة « القرى » ، فقال احد الجالسين ان مفهوم القرية فوق ٩ أو عشرة آلاف قدم فوق سطح البحر ، لا بد وان يختلف عنه في أي مكان آخر فأي تجمع بشري مستقر يمكن ان يشكل قرية وقضية المعمار ليست واردة ، فاغلب بيوت الهونزا محفورة داخل الجبال ، او مبنية من الصخور والاحجار على السفوح ، ثم ان القرى منثورة حول مجموعة الجبال ، تكثر حيث يمكن زراعة الارض وحقول الفاكهة ، وتندر اذا حدث العكس خذ مثلا جبل « هون » الذي نعيش في كنفه ـ اضاف محدثي ـ لأن الناس نجحوا في تطويعه وزراعة جوانبه ، فانك حيثما ذهبت ، في شرقه أو غربه ، شماله أو جنوبه ، تجد القرى لصيقة بسفوحه ، حتى بلغ عددها حوالي عشر ، في مقدمتها كريم أباد ، وحيدر أباد ، وحسن أباد ، ومرتضى أباد . . الى آخر القائمة

وقبل ان أسأله عن كلمة « أباد » ـ القاسم المشترك في اسماء القرى ـ وهذا الربط بينها وبين اسماء الاشخاص ، قال ان الكلمة معناها بالاردية « مستقر او موطن » ، اما هؤلاء الاشخاص فهم من ائمة الطائفة الاسماعيلية

وكنت قد قرأت فيما كتب عن الهونزا امتداحا شديدا لاهلها . فقد وصفهم اللورد كيرزون بانهم أكثر الناس شجاعة وجاذبية في قبائل الهندوكوش ، وقال الكولونيل سكومبرج عن رجالها ـ انهم يمثلون واحة من الشجاعة في صحراء من النسوة لابسات السراويل اما اريك شيبتون فقال عنهم : انهم شديدو الاعتزاز بأنفسهم والولاء لمجتمعهم وتقاليدهم ، وبالغو الشجاعة والصفاء » .

ضابط الشرطة ، النقيب نصرت الذي قد يكون محايدا بحكم عدم انتمائه العرقي للمنطقة ضم صوته الى أصوات المتمدحين لأهل الهونزا ، قائلا انهم طراز فريد من البشر ، أفادتهم العزلة الطويلة ، التي جعلت للاستقامة دورا اساسيا في حياتهم ، فالهونزاكوتي على خلق رفيع لا يعرف الكذب ولا المداورة حياته هو واسلافه وسط الصخور جعلته شديد الاستقامة والاعتماد على ذاته ، وقادرا على ان يواجه كل الصعاب بثبات وشجاعة نادرين وهذه القسوة في الحياة اسهمت في تكوينه كمقاتل باسل لايهاب الموت وحولته الى طاقة مليئة بالحيوية والنشاط لأن اي تراخ من جانبه سيهزمه امام التحدي اليومي الذي تمثله الطبيعة الجبارة من حوله واضاف النقيب نصرت ان الهونزاكوتي كان منذ الازل شديد الالتصاق بارضه واسرته وقبيلته ، ولذا لم يكن يقبل على التوطن في الخارج ، وبسبب طول الأجل بهذه التقاليد ، فان الهونزاكوتيين لم تكن لهم اية علاقات بغيرهم خارج مملكتهم حتى ان مكتب البريد الذي فتح في علي أباد في منتصف السبعينات ظل بلا عمل طوال سنتين ، فاضطرت الحكومة الى اغلاقه فلم يكن الناس راغبين في الكتابة الى أحد ، فضلا عن ان المكتب لم يتلق خطابا واحدا من الخارج خلال هذه الفترة

يضاف الى ذلك ان نمطية الحياة جعلت الهونزاكوتي انسانا محافظا بالغ التمسك بقيم مجتمعه وتقاليده ، وكان من نتيجة ذلك ـ مثلا ـ ان هذا المجتمع لا يعرف الجرائم الاخلاقية على الاطلاق

طرحت قضية الأمن نفسها في السياق ، فقال ضابط شرطة المنطقة ان الناس وديعون للغاية ، وانه ليست هناك جريمة بالمعنى الحقيقي وانما هناك منازعات قد تحدث بين الحين والآخر بسبب توزيع المياه وملكية الاراضي ، لأن حدود الاراضي ليست مسجلة فضلا عن ان المياه يشترك فيها الجميع بغير حساب ، لكن الملاحظ ان ثمة تغييرا بدأ يظهر مؤخرا ، فقد سجل المخفر لاول مرة حادثتي سرقة خلال السنوات الثلاث الأخيرة

عندئذ تمتم أحد العجائز الجالسين محتجا وظل يتحدث ملوحا بيده لبعض الوقت ، وتبين بعد الترجمة انه كان يتحسر على الزمن الذي مضى ، ويقول ان الشرور كلها من ذلك الطريق الذي يمر تحت الجبل (يقصد طريق كراكورام) .

في الوحدة الصحية التابعة لمؤسسة أغا خان في بلدة جولميت بمنطقة الهونزا .. الفريق الطبي من كراتشي ، والأم وضعت حديثا

لم تكن تلك وجهة نظر الرجل وحده ، ولكنه رأي جيل كامل في منطقة الهونزا ، لا تزال صورة مرحلة ما قبل الطريق ماثلة في ذاكرته واعماقه ، ولا يزال يعتبر أن سنوات العزلة كانت عصر راحة البال والحيوية والصحة والأمان ، وأن عصر ما بعد الطريق فتح الأبواب لمختلف المثالب والشرور ، التي أطل بعضها برأسه ، والباقي في علم الغيب ، وان كانت نذره لا تطمئن ولا تسر !

أكبر المعمرين سنا في الهونزا يتبنى هذا الرأي ويدافع عنه بقوة . ليس فقط لأن الروماتزم أصاب ساقيه في مرحلة ما بعد الطريق ، ولكن ايضا لأنه كان وزيرا « للمير » جمال خان في اوائل القرن الحالي . الرجل اسمه علي مراد ، وشهرته جونو . عمره مع نهاية العام الحالي ١١٠ سنوات ، ومنذ مات صديقه كمال جان ، في منطقة نم المقابلة للهونزا ، في العام الماضي عن ١٢٠ سنة ، أصبـ « جونو » هو شيخ المعمرين بلا منافس في الهونزا وحـ سينكيانج .

في بيت شيخ المعمرين

لقيناه في بيته كان المكان يفوح برائحة التاريخ . فالرجل ولد هنا منذ ١١٠ سنوات ، ولم يغير بيته طوال تلك السنوات ، بل انه لم يتم خارج هذا البيت الا نادرا ، ولم يغادر قريته خلال ربع القرن الأخير . كان البيت مكونا من طابقين ـ شأن البيوت العتيقة في المنطقة .

الصورة من بلدة جوليت الراقدة على سفوح سلسلة جبال كراكورام العملاقة ، وهؤلاء بنات المدرسة الاعدادية التي اقامتها
مؤسسة اغا خان ، في وقفة وسط احد حقول القمح التي تحيط بالقرية ، وتشكل مع الجبال وقممها الثلجية « بانوراما » مدهشة

للغاية . في جوليت ايضا احد المراكز الصحية لمؤسسة اغا خان ، التي تدير نشاطات الطائفة الاسماعيلية ، وتمول من اموال « الامام » ، ومن مساهمات الاتباع .

طابق سفلي في بطن الجبل ، وله باب يؤدي الى الخارج مباشرة ، وهو مكون من ٦ حجرات ، يقضون فيها فصل الشتاء القارس ، الذي تهبط فيه درجة الحرارة الى ما تحت الصفر بصفة دائمة . يشعلون النار في خشب التدفئة (جذوع الأشجار الجافة) الموضوع في الحجرة الوسط ، ومنها يتسرب الدفء الى الحجرات الخمس المحيطة بها

والطابق العلوي ـ الصيفي ـ بارز على سطح الجبل ، وهو مكون من أربع حجرات ، واحدة جلسنا فيها ، وباقي الحجرات يؤدي كل منها الى الآخر ، ويصل اليها الصغار والكبار عبر النافذتين الصغيرتين وثمة رقعة خشبية توسطت أرضية المكان الذي كنا فيه ، هي المنفذ الذي يوصل فيما بين الطابقين

كانت الى جوار الرجل علبة دخان ، فسألته : ألا تخشى على صحتك من الدخان فقال بصوت صامد للزمن ـ إنه يدخن منذ ستين عاما وعندما كررت سؤالي عن خطر التدخين على صحته ، أجاب بنبرة أسف واضحة : ان زمن العافية الحقيقية قد ولى . وانه شخصيا لم تتدهور صحته الا بعد ان اكل اطعمة هذا الزمان فمنذ ولد وهو يأكل الخضر الطازجة ، والمشمش ، فاكهة وعصيرا (شوموس) ، ويتعاطى منقوع القمح (دنديوم) ، وطوال تلك السنوات التي لم يذق فيها طعم اللحم الا فيما ندر ، لم يشعر بشيء على الاطلاق ، لكنهم منذ عرفوا الطبخ والسمن والأرز وغيره من البلايا التي جاءت عن طريق كراكورام ، منذئذ اصابه الروماتزم وهزمته اوجاع المفاصل !

ثم أضاف ان آخر البلايا التي رزىء بها هو القرار الذي اصدرته الحكومة الباكستانية ـ تطبيقا للشريعة الاسلامية ـ بمنع المسكرات ، ومن بينها النبيذ الذي يتعاطاه الجميع في الهونزا (يسمونه باتي) ويقال انه عرف في المنطقة منذ استوطن فيها جند الاسكندر الأكبر

واخذ الرجل نفسا عميقا ثم قال . اكتب اننا في زمن قلت فيه البركة وندر الخير وعندما استوضحته قال منذ ذهب الملوك واولاد الاصول انقلب حال الدنيا كثرت الثورات واريق دم الوف البشر ولم تتوقف الحروب والمحن ، حتى يكاد المرء يتصور ان هذه هي نهاية العالم . سألته ان كان اسفا على انتهاء عصر « المير » ، فرد بسرعة قائلا . بكل تأكيد ، المير كان رجلا له كلمته وهيبته . كانت اي مشكلة تحل بكلمة منه . الآن لن تستطيع ان تجد حلا لمشكلة خصوصا اذا ذهبت الى الحكومة . فهناك النيابة والشرطة والقضاء والتقارير والاضابير ، التي تروح وتجيء من الهونزا الى جلجيت . وقد تمر شهور طويلة قبل ان يسترد صاحب الحق حقه

أخيرا عندما تحدث عن اسرته ، قال ان زوجته الوحيدة ماتت ، وان مجموع من بقي معه من الاولاد والاحفاد لا يزيد على عشرة اشخاص ثم قال بحزن بالغ : تصور ان لي ابنا مات وعمره ثمانون سنة فقط اليست هذه من كوارث هذا الزمان ؟ واضاف ان الواحد في الزمن القديم كان يعمل في الحقل حتى سن التسعين ، وكنت ترى عشرات في كريم اباد وغيرها فوق المائة ، « الان يعتبرونني شيئا عجيبا في الهونزا » وتساءل ساخرا هل يمضي الزمن الى الامام ام الى الوراء ؟ لقد قالوا اننا اصبحنا على صلة بالعالم بعد فتح الطريق ، واكتشفت فيما بعد ان ذلك يعني اشياء كثيرة بينها ان نصاب بالأمراض ، وان نموت مبكرا !

الصورة من الداخل

كان علي بعد ذلك ان أستوضح من الآخرين الكثير مما اجمله العم جونو او اشار اليه اشارات عابرة كانت مسألة طول عمر الهونزاكوتيين ـ مثلا ـ لغزا بحاجة الى شرح ، وكانت الحياة تحت الصفر طلسما آخر يثير أكثر من سؤال ثم كانت تجربتهم تحت الحكم المطلق للامير بحاجة الى مزيد من الضوء باختصار ، كان المجتمع من الداخل بحاجة الى مزيد من الاقتراب والتدقيق والفهم

هم لا يزالون يذكرون تلك الطبيبة الالمانية التي جاءت اليهم في السبعينات لتدرس ظاهرة تزايد اعداد المعمرين في مملكة الهونزا ، عاشت تلك الطبيبة بينهم ستين تأكل من طعامهم وتقوم بتحليله لتعرف منه سر تلك الظاهرة لكنهم لا يعرفون النتائج التي وصلت اليها ، لانها غادرتهم الى المانيا وانقطعت اخبارها ومع ذلك فثمة اتفاق على أن طعامهم ونمط حياتهم يعطيانهم صحة وعافية غير عادية ، فعندما يعيشون حياتهم يأكلون الخضر الطازجة والفاكهة ويشربون اللبن ، ثم عندما يقطع الواحد منهم عشرات الكيلومترات مشيا على قدميه كل يوم ، ويتنفس هواء نقيا لا يعرف التلوث ، عندما يتحقق للمرء هذا كله ، الا يوفر له ذلك فرصة نادرة يتمتع فيها بالعمر الطويل ؟

ورغم انهم يعرفون البطاطس والبازلاء والقمح والفول ، الا ان الفاكهة تلعب دورا هاما في حياتهم وأهم فواكههم المشمش والتفاح والكرز والكمثرى والعنب ، والمشمش تتجاوز انواعه عشرين صنفا ويحتل الصدارة في غذائهم . فهو يؤكل طازجا في الصيف ، ويجفف منه كميات كبيرة لتستخدم كحساء اثناء الشتاء وهم يشربونه كعصير ويستخدمون الزيت المستخرج من

بذوره في الطبخ ، كما يستخدمونه كعلاج للمغص ، ويدهنون به اجسام الاطفال بعد الحمام . وعندما يصعدون الجبال يختزنون حبات المشمش المجففة في افواههم ، ويستحلبونها لفترة طويلة

اما اللبن فيشربونه طازجا ، ويجيدون اعداد مشتقاته . الحامض والزبد والجبن والزبد يسمونه « مالتاش » ويخزنونه عدة سنوات ثم يأكلونه ، وفي الصيف يضعونه في أوعية ترص تحت الجسور الصغيرة التي تقام فوق المجاري المائية التي ترود من ذوبان الجليد في قمة الجبل . الآن يأكلون الخبز ، وهو متعدد الانواع ، بينها نوع دائري سميك ارتفاعه ثلاث بوصات وقطره أربع اقدام

أما اللحم او الدجاج ، فلا يأكلونه الا نادرا . حتى نكاد نقول ان أكثرهم « نباتيون » ليسوا من أكلة اللحوم أحيانا في فصل الشتاء عندما يشتد البرد ، تذبح الأسرة القادرة شاة او اثنتين يأكلون منها طوال اشهر الصقيع

في الماضي كانوا يمتنعون عن تربية الدواجن ، لانها كانت تعتدي على حبوب القمح ، وهو ما لم يكن مسموحا به لكن قرى الهونزا زحفت عليها الآن مختلف انواع الطيور واصبحت تنتشر في مراعها الصيفة جنبا الى جنب مع الأبقار والأغنام

وفي المناطق الأكثر ارتفاعا من الهونزا العليا يوجد حيوان اشبه بالبقرة يسمونه « ياكي » ذو رأس صغير مكسو بالشعر ويتدلى منها شيء كاللحية ، قبيح المنظر وكريه الرائحة ومع ذلك فهو عظيم الفائدة للناس فالياكي بأرجله القصيرة وضخامة جسمه يعد من أقدر الحيوانات على المشي فوق الثلوج ولذا فهم يستخدمونه في الركوب وحمل الاثقال ! ، ومنه يحلبون كميات كبيرة من الالبان التي تستخدم في صنع الاجبان الممتازة ، فضلا عن أن لحمه غني بالشحوم والسعرات الحرارية التي ترشحه ـ اذا تيسر ـ ليكون ضمن اطعمة الشتاء

وعلى ارتفاع يتراوح بين ١٦و١٧ الف قدم يعيش نوع من الكباش الوحشية ذات القرون الضخمة يعرف باسم « اوفيس بولي » ، ولكن اسمها الشائع هو كباش ماركوبولو لأن الرحالة الايطالي كان أول من اشار اليها في مذكراته عند مروره بالمنطقة في القرن الثالث عشر

أما الخيول فقليلة لأنها باهظة الثمن ، وتفوق قدرة الأغلبية الفقيرة ، رغم انها اساسية في لعبة البولو ذات الشعبية الواسعة في وسط آسيا عامة ، وفي هذه المنطقة بوجه أخص

من يصدق ان هذه الأراضي المزروعة تتمدد على سفوح مجموعة من أعتى الجبال الصخرية ؟

الى اليمين مباراة « للبولو » في حلحيت ، حيث يتصارع فريقان من راكبي الخيول حول كرة من نوع خاص ، ويسعى كل فريق لأن يلقي بالكرة في مرمى الآخر . وتحت الصورة احدى الرقصات الشعبية الهوبراكوتية التي تتخلل مثل هذه المباريات والى أعلى صورتان للاجئين الافغان في معسكرهم قرب حلحيت ، واحدة داخل احدى الخيام ، والثانية لفصل دراسي في العراء

وثمة تقاليد واعراف باتت تحكم الجميع بغير تمييز وعلى سبيل المثال فانه اذا كان الشاب يتزوج من ابنة عمه كقاعدة في الكثير من المجتمعات المتخلفة والنامية ، الا انهم هناك لا يرحبون بهذا الزواج ، وكلما كانت صلة القرابة بعيدة كان الترحيب بالزواج أكبر والمرأة لا تمتلك

الأرض ولا ترثها ، وان كان لها ان تمتلك اشجار المشمش وفي ظل حكم الامارة كان بيع الأرض لأي شخص لا يتم الا بموافقة الأمير ، ولا يسمح به الا للأقارب

في الماضي ايضا كان الزواج لا يتم الا في الشتاء ، بين ١٠ و ٢٠ ديسمبر ، وموسم الزواج هذا يسمونه « دوموشينج » والأمير له اتاوة عن كل عرس ، تتضاعف اذا ما رغبت الاسرتان في عقد القران قبل الموعد المحدد او بعده وكانت الاتاوة بمثابة ١٠ كيلوجرامات من القمح ، وكمية من الزبد المخزون ، غير نصف ذبيحة من البقر ولكن هذا التقليد توقف في بداية الخمسينات ، في عهد المير جمال خان .

اسماعيليون وباطنيون

وأعياد الهونزا الرسمية ثمانية عيدا الفطر والاضحى (الذي يسمونه عيد البقر) ، ثم عيدان موروثان عن الاسلاف هما الغدير والنوروز ، وعيد ميلاد النبي ، ويوم الامامة (ذكرى تولي الامام علي الخلافة) ، وعيد ميلاد مولانا حضرة الامام (آغا خان) والذكرى السنوية للزيارة الأولى التي قام بها مولانا حضرة الامام للهونزا وجلجيت في ٢٠ أكتوبر ١٩٦٠

والاحتفال بعيدي الفطر والأضحى ليس له أهمية الاحتفالات الأخرى ، خاصة تلك التي تهم الطائفة الاسماعيلية دون غيرها والسبب في ذلك ان الاسماعيليين يشكلون ٩٥٪ من سكان منطقة الهونزا وللدقة فان قرية واحدة فقط في منطقة الهونزا ينتمي أهلها الى مذهب الشيعة الجعفرية او الاثنى عشرية ، وهي قرية جانيش وقد « اكتشفت » هذه الحقيقة عندما تنبهت الى ان كافة قرى الهونزا التي مررت بها ليس فيها مساجد ، ولا ترتفع فيها مئذنة ، ولا يرفع فيها الاذان لأي من الصلوات . ثم لاحظت أن في « جانيش » مسجدين ، وعندما سألت من معي من أهل المنطقة ، روى لي تلك الحقيقة المحزنة ، التي أثارت لدي رغبة ملحة في محاولة

فهم تعاليم الطائفة ، مما قادني في النهاية الى اكتشاف عديد من الحقائق المثيرة والخافية على الكثيرين

في البدء قالوا لي ان تلك البقعة القصية من الشمال الباكستاني تنتمي الى المذهب الشيعي ، بتأثيرات قادمة من خراسان وايران ، منذ حوالي سبعة قرون تقريبا ، وانهم كانوا شيعة جعفرية في البداية ، أي من اتباع الامام جعفر الصادق ، الذين تنتشر تعاليمهم بين الأغلبية الساحقة من الشيعة في العالم ، ومركزهم الأساسي في ايران الآن ، ثم العراق ولا تزال امارة « نجر » المواجهة للهونزا تنتمي الى المذهب الشيعي الجعفري الى الآن ومساجدهم قائمة وصلواتهم وصيامهم وحجهم كغيرهم من المسلمين

ولكن امارة الهونزا اعتنقت المذهب الاسماعيلي في حوالي منتصف القرن التاسع عشر أي انهم انتقلوا من المذهب الشيعي الذي يعتقد في استمرار الامامة الى الامام الثاني عشر ، الذي هو الآن في غيبة كبرى ، واعتنقوا مذهب الشيعة الذين يقفون بسلسلة الامامة عند اسماعيل الابن الأكبر للامام السادس جعفر الصادق

هناك الكثير مما يمكن الوقوف عنده في معتقدات الاسماعيلية مما ارجو ان اعود اليه مستقبلا ، وان لم يكن من اليسير ان يتقبل المسلم العادي مثل هذه المعتقدات ، التي تتصادم مع الكثير من اسس الاعتقاد واركان الاسلام وتعاليمه اذ يظل من غير المفهوم الغاؤهم للمساجد ، وغير المقبول قولهم بأن هناك قبلتين ، احداهما ظاهرية في الكعبة ، والأخرى يتجهون اليها بقلوبهم حيث يوجد امامهم التاسع والاربعون في إحدى ضواحي باريس فضلا عن أنه مما يثير الريبة تلك الدولة التي يقيمونها داخل الدولة ، وتلك الأنظمة الحديدية التي يقيمونها بعيدا عن الأعين ، وهذا الرفض القاطع لادخال غيرهم من المسلمين داخل الجماعة خانه .

تنتهي بلاد الهونزا عند سقف العالم !

وسقف العالم هذا يبعد عن كريم آباد بمسافة ١٧٥ كيلومترا ، ويقع على الحدود فيما بين باكستان والصين ، في منطقة تعرف باسم « خو نجراب » والكلمة معناها « وادي الدم » في لغة واخان السائدة في الهونزا العليا واسم الوادي ليس بحاجة الى شرح او تعقيب ، فدلالته كافية في الاشارة الى انه كان ـ تاريخيا ـ مقبرة للعابرين !

والتجربة مثيرة بحد ذاتها ، ان يجد المرء نفسه متربعا فوق سقف العالم ، وواقفا في موقع ارض يطل منه على

كرة الأرضية كلها حيث تصبح باكستان تحت شرفة سقف العالم ، كما تقول مطبوعاتها السياحية ، وتصبح الهند تحت شرفة ثانية ، فيما تتمدد افغانستان في فناء تحت الشرفة ، وتقبع الصين بملايينها الألف وراء ظهر السقف وهكذا

بدأنا الرحلة من كريم آباد الى خونجراب ذات صباح باكر . سلكنا طريق كراكورام ، الى حوار نهر الهونزا ، مارين بمجلس شوامخ الجبال العملاقة في العالم ، الذي اعتدنا عليه خلال ايام تجوالنا في الهونزا الوسطى الأمر الذي بدد من اعماقنا مشاعر الرهبة التي تملكتنا ونحن نتحرك في ظلها ككائنات صغيرة وبالغة التواضع ، حتى بدت تلك الجبال كما لو كانت أكثر ودا وحالا ، وأقل قساوة وجهامة

لم تكن مشكلة الطريق هي الارتفاع وحده كما توقعنا ، ولكن تبين ان الانهار الثلجية كثيرا ما تسرب بعض مياهها ، في لحظات طلوع الشمس ، التي تقطع الطريق وقد تتجمد عليه بين الحين والآخر مما يعرض السيارات العابرة لمخاطر عديدة ، لا بد لتجنبها من تغطية تلك المواضع بأي شيء يحول دون انزلاق السيارة وفقدان السيطرة عليها ، مثل قطع الحجارة او الالواح الخشبية ، وهو ما يتعذر الحصول عليه في تلك المنطقة التي يكسوها الثلج بصفة دائمة . ولهذا السبب لا تتوقف على الطريق دوريات رجال الجيش الباكستاني ، الذين يتولون بوسائلهم ازاحة الثلوج من عليه ، او وقف حركة المرور اذا كان الخطر أكبر ، وفاض أحد الانهار الثلجية على سبيل المثال

انعطفت بنا السيارة يمينا ، حيث أصبحت محاذاة نهر خونجراب ، الذي يؤدي بنا الى الموقع المنشود ، وينتهي بممر خونجراب على الحدود مع الصين كان الصعود مستمرا وكانت المساحات البنية اللون تتقلص أمام أعيننا ، في حين ظلت تتزايد بالمقابل المساحات البيضاء التي تكسوها الثلوج ورويدا صرنا نشعر بأن الجبال الشاهقة بدأت تصغر وتتحول الى تلال وهضاب وكان هذا خداعا للبصر ، لأن الحقيقة اننا كنا نحن الذين نصعد الى أعلى ، مما أبعدنا عن قاعدة سلسلة الجبال ، وقربنا رؤوسنا وقممها . حتى وصلنا الى نقطة بدأت فيها السيارة تسلك في الصعود طرقا دائرية وشديدة الالتواء ، الأمر الذي دعا مرافقنا لأن يقدم الينا دفعة أكبر من الشمش الجاف ، لمضغها واستحلابها . ومنذئذ لم تعد اعيننا تقع الا على ثلوج في الارض ، وغيوم بيضاء مطبقة على قمم الجبال ونكاد نلامسها .

قبل الصعود كنا نرى حقولا في مدرجات بديعة او قرى مبثوثة هنا اوهناك ، وكنا نلمح وعلا يركض أو طيرا يحلق في السماء لكننا منذ دخلنا الى ذلك المشهد الثلجي ، لم نعد نرى او نسمع شيئا ، ولشدة الدوار لم نعد نتكلم أيضا !

قطعنا سبعة عشر كيلو مترا في طواف حول سلسلة الجبال الثلجية ، قبل ان نلمح عن بعد عددا من الجنود الصينيين يقفون على نقطة الحدود ، الى جوار قائم خشبي احمر اللون كتبت عليه كلمة « خونجراب »

أخيرا صرنا فوق سقف العالم !

لم يكن السقف هو أعلى قمة ، لأنه على ارتفاع ١٥ الف قدم ، وهناك جبال تعلو قممها هذا المستوى بكثير ، ولكنه كان أعلى بقعة أو مساحة من الأرض في العالم كان المسرح شاسعا مترامي الاطراف ، تناثرت فيه التلال الصغيرة ، التي اكتست كلها ببساط ثلجي لانهائي ولم يكن هناك سوى هؤلاء الجنود الصينيين الستة ، الذين تدثروا بأغطية ثقيلة ، وبدوا بأجسامهم الصغيرة ، والقدر الذي ظهر من وجوههم ، مثل دمى تتحرك في بطء فوق مسرح للعرائس في الخلاء !

حاولنا دون جدوى أن نتفاهم مع الجنود الصينيين ، اذ قطعت اللغة طريق التفاهم وحاولنا ان نلتقط لهم بعض الصور فرفضوا أيضا والشيء الوحيد الذي قبلوه هو لفائف الدخان التي عرضناها عليهم

وقال مرافقنا ان الحيوانات هنا أكثر من البشر فحول التلال المختلفة توجد الدببة ، وكباش ماركوبولو الوحشية ، وحيوان اسمه مارخور لا يتغذى الا على الثمايين والأفاعي ، وذلك غير الذئاب والياك

ويبدا سقف العالم للحظة ، كما لو كان مماثلا لسقف أي بناية قديمة في بلادنا مهجورا كقاعدة ، ولا يصعد اليه الا حراس البناية ، ولا تسكن فوقه الا الحيوانات والطيور !

لكن ثمة فرقا اساسيا بين السقفين ، ليس فقط في الارتفاع ، ولكن أيضا في تلك الوحدة القاتلة التي يشعر بها الانسان الذي يكتب عليه ان يقضي ايامه فوق سقف العالم .

وقلت لمرافقي انه شيء جميل ومشوق أن يصل المرء الى سقف العالم ، لكن الاجمل من ذلك ان يعود المرء الى حيث كان في قاع العالم !

ملأنا اعيننا بالمشهد ، وملأنا صدورنا بهواء سقف العالم ، ثم استدارت بنا السيارة قاصدة جلجيت ، قبل ان نعود الى اعشاشنا في قاع العالم ◯

نادي «الكويت» في ريف مصر !

استطلاع : منير نصيف

تصوير : عبد الناصر شقرة

الأيدي الصغيرة المدربة مع الخيوط على النول اليدوي تنسج الفن في القرية المصرية الصغيرة القابعة في بطن الدلتا والعاملات (الى اليسار) مثل زميلتهن تماما . من الحقل الى مركز التدريب المهني الذي تحرص فيه بعد أن أجدن هذا الفن ويبرعن فيه هنا في المطعم أثناء فترة الغداء حيث تقدم لهن وجبة غدائية كاملة بالمجان.

لم يكن الطريق الذي وجدنا أنفسنا نسير فيه ، طريقنا . . ولا كانت هذه القرية الصغيرة القابعة في قلب دلتا النيل هي وجهتنا . . لقد وجدنا أنفسنا ، ولا ندري كيف ، نقف فجأة أمام لافتة صغيرة شدتنا اليها شدا ، ونحن ننطلق بالسيارة في الطريق الى أكبر مصنع للاسمدة في مصر بمدينة طلخا ، محافظة الدقهلية . . كان اسم اللافتة جديدا على هذه المنطقة الريفية . كانت تحمل اسم « نادي الكويت الرياضي » ، ولم نتصور أن يقوم في هذه الأرض البعيدة عن كل مظاهر الحضارة ، ناد رياضي يحمل اسم الكويت ولو أنه قام في القاهرة مثلا أو في احدى مدن مصر الكبيرة ، لما استوقفنا ولكن هنا . . في قلب الريف ناد ، رياضي كويتي . شيء لابد وان يكون وراءه قصة . ترى ما هي ؟

كانت هذه الوقفة هي بداية لقائنا مع قصة أكبر وأجمل مما تصورنا قلنا نسأل الرجل العجوز الذي أمسك عصاه وجلس في هدوء أهل الريف على الكنبة الخشبية تحت ظلال شجرة وارفة انه الحارس الذي عاش حكاية هذه الأرض الطيبة مع أهلها منذ عشرات السنين قلنا نسأله « أين نحن في هذا المكان ؟ »

المسجد والنادي

وانطلق الرجل بكل ما عرفه ويعرفه ، في حديث طويل يروي لنا القصة قصة النادي والمسجد الصغير الذي يجري بناؤه في بقعة واحدة ويطل على أرض النادي مباشرة قال . « هذا النادي الجديد يحمل اسم الكويت ، لأن بعض أبناء الكويت هم الذين يبنونه من أجل أبناء هذه القرية والقرى الصغيرة المجاورة وهذا المسجد ايضا يبنيه ابناء الكويت لم يكن هنا شيء على الاطلاق مجرد قطعة من الأرض البور تتوسط مجموعة من القرى المتناثرة هنا وهناك وفجأة وجدنا الحياة تدب فيها ، والرجال قادمون اليها يحملون معدات البناء ويدأوا بالمسجد ثم انتقلوا الى النادي أول ناد اجتماعي ثقافي رياضي من نوعه في هذه الأرض الهادئة في ريف مصر هل تريدون أن تعرفوا المزيد ؟ » قلنا امض . . احك لنا كل ما تعرفه . »

قال . « كل أهل القرية يعرفون القصة »

قلنا : « أية قرية ؟ » .

قال في لهجة يشوبها الاستنكار وكأنه في دهشة من جهلنا « قرية البور كلهم يعرفون قصة أهل الخير مع قريتهم ، وما صنعوا بها وفيها هنا في هذا المكان يقولون ان مواطنا كويتيا كريما من أبناء العنام زارنا وقضى يوما بيننا ، ثم عاد الى بلده ، ولكنه قبل أن يعود شاء أن يكرم الله في أرضه فدفع بسخاء من أجل بناء بيت من بيوت الله يحمل اسم والده الراحل زكاة على روح أبيه »

ويمضي الرجل العجوز وكأنه يقرأ من كتاب « ثم قام النادي ، بعد أن دفع أبناء المرزوق تكاليف بنائه لأحد أبناء القرية الأوفياء الذين نبتوا في ترابها وبقيت قريتهم في قلوبهم ودمائهم ثم لم ينسوها أبدا وحمل ابن القرية البار ما جمعه من مال وعاد الى قريته كما يفعل دائما منذ أن تركها قبل أربعين عاما أو أكثر ليفي بالوعد الذي قطعه على نفسه وهو يتركها صبيا لأول مرة « أن أعيش لقريتي ومن أجل أبنائي وأهلي فيها ، ما دام في العمر بقية »

« وكان صادقا مع قريته دائما فقد كان يعود اليها حاملا الخير الذي رأيناه وعشناه »

في قرية البور

ويمضي الرجل العجوز الطيب : « أنتم هنا على أبواب القرية ، لم تدخلوها بعد . ولا تعرفوا شيئا عنها اذا أردتم ، صحبتكم في جولة الى قلبها ومع أهلها وسار أمامنا وتبعناه وقلنا : « وماذا عندك بعد الذي رأيناه هنا ؟ قال . « الكثير »

والحق كانت مفاجأة ولكن كان حماس عم سيد أبي عطية أكبر من القرية نفسها ومن كل ما رأيناه في رحلتنا القصيرة لقد رحنا نمشي وسط أهلها ونحن نقترب ندخل قريتهم بشوارعها الضيقة وحقولها الواسعة ونقف عند ملامحها الجديدة ونسأل ونستفسر عن كل صغيرة مرت بنا وتطوع الكثيرون كانت الاجابات دائما حاهزة على السنتهم ومعها دعاء لأهل الخير الذين أضفوا على هذه البقعة الصغيرة من ريف مصر في قلب دلتا النيل تلك المسحة « الحضارية » هنا ويشير صاحبنا ـ وهو في هذه المرة احد شبان القرية الذين التفوا حولنا وساروا معنا ـ قامت المدرسة الابتدائية بمبانيها فصولها الحديثة انها تضم اليوم أكثر من ثلاثمائة تلميذ تلميذة من أبناء القرية ، والقرى المجاورة ودخلنا المدرسة ، وحللنا في فصولها ووقف التلاميذ تحية ، ولم تكن التحية لنا ، وانما كانت للشاب الذى جاء معنا مرافقا انه أحد المدرسين الذين كرسوا وقتهم وحياتهم لتعليم تربية الجيل الجديد الناشىء في قرية البور انه أحد أبناء القرية دائما درس في الكتاب وأكمل تعليمه الثانوي في مدرسة الزقازيق وسافر الى القاهرة ليكمل تعليمه العالي فلما أتمه سارع بالعودة الى قريته ليعطي أبناءه واخوته الصغار بعض ما تعلمه

ضيفتان من الكويت

ورحنا نتطلع الى هذه الوجوه الصغيرة النضرة كلها تنبض بالصحة والحياة كلهم يرتدون الملابس النظيفة تحت الزي المدرسي . الفصول رحبة واسعة تدخلها الشمس . يجلسون فوق مقاعد خشبية نظيفة أمام مكاتب صغيرة . . كل ثلاثة على مقعد مشترك انهم سعداء بمدرستهم الجديدة وفي المدرسة التقينا بفتاتين جميلتين . . أحسسنا للوهلة الأولى انهما ربما كانتا صحفيتين جاءتا مثلنا لتسجلا صورة لما يجري في هذه القرية ولكن المدرس الشاب الذي كان يرافقنا سارع يقدمنا اليهما . . قال : انهما طالبتان كويتيتان شقيقتان جاءتا من الكويت خصيصا لزيارة قرية البوز الآنستان نادية ونوال الشراح . . على أية حال انها ليست المرة الأولى التي يجيء الينا فيها زائرون من الكويت فقد زارها الكثيرون . . جاءوا ليروا ماذا صنع الخوانهم بالقرية وماذا صنعت القرية بأهلها »

وتركنا المدرسة وضيوفها والمرافق « عطوة » يتقدمنا ، وعم سيد يسير بيننا وهو لايكف عن تذكير عطوة بما يكون قد نسيه وهو يحكي لنا ويحكي « الذين شيدوا هذه المدرسة النموذجية التي قامت في الكثير من القرى المصرية الكبيرة السعيدة الحظ ، والتي لم نكن نتوقع أنها ستقوم أيضا هنا في قريتنا المنسية الصغيرة الذين قدموا لنا هذا البناء كانوا مجموعة من أهل الخير لا نعرفهم ولكننا نعرف أنهم من أبناء الكويت الشقيق

القرية الصغيرة الكبيرة

وكنا قد وصلنا الى مبنى آخر حديث لا يوحي مظهره الخارجي بشيء خاص ولكن كان فعلا يستحق

المستشفى اكتمل البناء

مدرسة البور الابتدائية . جمعت اطفال القرية وكل القرى المجاورة (الى أعلى) ثم مسجد أحمد العام في أولى مراحل
انشائه ، وقد اكتمل العمل فيه . وجهاد من الريف . الأول في الحقل مع جاموستها والثاني في البستان مع البرتقال (ا
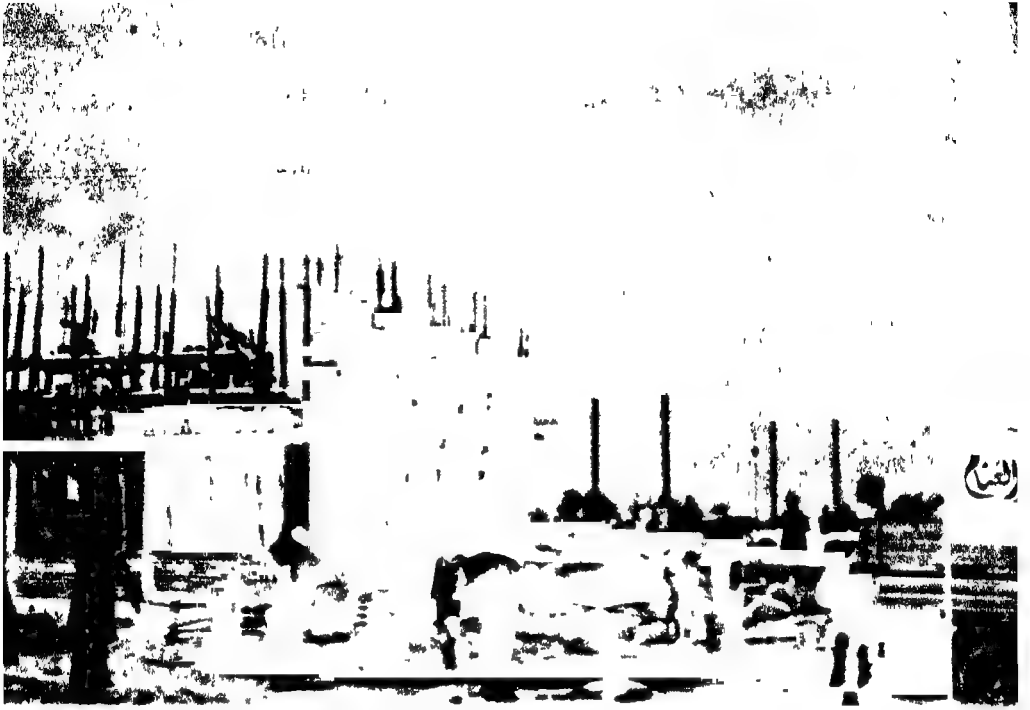
اسفل) والاثنتان هما صانعتا هذه السجادة الجميلة التي وقفت الفتاتان الصبيتان القادمتان من جامعة الكويت تتأملانها في اعجاب .

منا وقفة ، ويمضي عطوة • « انها أول وحدة صحية ريفية تشيد في هذه المنطقة التي تضم مجموعة من القرى المنتشرة حولها ، تقدم خدماتها الصحية لأكثر من ثمانية آلاف نسمة من أهل الريف . ويعمل فيها طبيب متفرغ وحوالي عشرة من الممرضين والممرضات يقيم منهم ثلاثة بصفة دائمة في سكن أعد لهم خصيصا وألحق بالوحدة وهكذا صرنا فجأة نقف على قدم المساواة مع القرى الكبرى في ريف مصر في الدلتا وفي الصعيد

قلنا : ومن كان صاحب هذا المشروع في هذه المرة ؟ »

قالوا « لانعرفهم ولكننا نعرف أنهم أيضا من أبناء الكويت »

وخرج عم سيد متحمسا ، وقال « لقد حان موعد الصلاة وأريد أن أؤذن للصلاة » وتبعناه الى المسجد ولكنه توقف فجأة وكأنه تذكر شيئا هاما وأشار باصبعه الى صحن المسجد وقال . « هنا تقوم الآن مدرسة تحفيظ القرآن الكريم فنحن نحرص على أن يحفظ ابناؤنا القرآن قبل أن يدخلوا المدرسة

وتركنا وذهب يؤذن في المسجد ويؤدي الصلاة ويؤم المصلين

ومضينا نكمل الرحلة الى أين ؟

مع الأطفال الحرفيين

الى أول مركز للتدريب المهني في هذه القرية الصغيرة التي لا يتجاوز تعداد سكانها أربعمائة نسمة موزعين على خمسين بيتا ريفيا صغيرا .

ومراكز التدريب المهني ليست جديدة على قرى مصر . . فهي هناك في قرى دمنهور وفي قرى أسيوط وفي كفر الحمام بمحافظة الشرقية . وغيرها كثير ولكن هنا في هذه القرية الصغيرة . . شيء جديد يستحق التسجيل . وخاصة لأن المركز أو ما قدمه ويقدمه من انتاج ابناء القرية الصغار ، كان فعلا شيئا رائعا بلا مبالغة .

ودخلنا المركز أو مصنع السجاد اليدوي الذي يحوي عشرين نولا ويعمل عليه أكثر من خمسين طفلا من الجنسين . أطفال صغار دربوا على هذه الحرفة وأجادوها حتى وصلوا بمستوى انتاجهم الى أرقى مستويات الانتاج في مصانع مصر في الريف والحضر

انهم يتقاضون أجرهم بقدر ما ينتجون ، وتقدم لهم ادارة المركز وجبة الغداء بالمجان ، ويصل دخل الطفل أو الطفلة العاملة في المتوسط الى عشرين جنيها شهريا وهو رقم طيب اذا ما قورن ببساطة الحياة بين أهل الريف

وفي الثانية بعد الظهر تماما دق الجرس وأسرع العمال الأطفال الى المقصف وتبعناهم وهناك كانت أطباق الطعام في انتظارهم طبق فخي يحوي قطعة من اللحم والارز والخضروات ثم الفاكهة

ولم يتركنا العم سيد فقد حان موعد طعام الغداء وكرم أهل الريف لايرضى بأن يمر غريب على بيت في موعد الطعام ولا يدعونه لمشاركتهم ودخلنا بيوتهم وأكلنا معهم وشكرناهم وقمنا نكمل الجولة

المشروع الكبير

لقد اقتربت من نهايتها وركبنا السيارة نكمل رحلتنا الى طلخا . ولكن عم السيد صاح بنا « أنتم لم تروا بعد أكبر مشروع يجري بناؤه الآن في قرية البور »

وقلنا . « وماذا يكون ؟ »

قال : « اتبعوني » ولا ندري من أين جاءت السيارة التي استقلها عم سيد وعطوه ومجموعة كبيرة من الشباب المتحمس الذي يحرص على ألا يفوتنا شيء لم نره ، وخاصة بعد أن شاهدوا آلة التصوير في أيدينا ونحن

سجل بها كل شيء توقفنا عنده حتى الفلاحة الصغيرة وهي تقود جاموستها الى الترعة لتشرب وترتوي . فالريف هو الريف وكل شيء جديد غريب على الطبيعة التي يعيش أهله في أحضانها يشدهم اليه

وانطلقنا في الطريق المعبد الذي حثنا منه وبعد رحلة قصيرة استغرقت حوالي عشر دقائق كنا قد قطعنا خلالها ما يقرب من خمسة كيلومترات توقفت بنا السيارة فنزلنا وهنا حدثت المفاجأة فقد وجدنا أنفسنا أمام أكبر مبنى يمكن أن تقع عليه عين انسان في الريف الريف الذي اشتهر بصغر حجم مبانيه وبساطتها وبعدها عن الترف الفلاح هو الفلاح الذي تمضي حياته كلها ينتظر يحرث الأرض وينتظر ويبذر الحب وينتظر ويروى الزرع وينتظر ، وتمضي شهور طويلة وهو ما زال ينتظر حتى يجيء في النهاية ثمار كده وتعبه

في هذا الذي شاهدناه في قرية البور الجديدة لم ينتظر الفلاح مجيء هذا الخير الجديد طويلا ان هذا المشروع الانساني الكبير جاء الى القرية من حيث لا يدري أحد

تحية لأهل الكويت

وكانت المفاجأة عندما أشار المهندس عبد الدايم الى المبنى الكبير الماثل أمامنا وقال « هذا هو أكبر مستشفى يقام في الريف من جنوب مصر الى شماله انه مستشفى الحميات الذي سوف يتسع عندما يكتمل لأكثر من مائة وعشرين سريرا لقد بلغت مساحة الأرض التي شيد عليها أكثر من ١٧ الف متر مربع . خصص قسم منها لبناء مساكن الأطباء الذين سيعملون فيه كما خصص قسم آخر لبناء مساكن تتسع لأكثر من ثلاثين ممرضة مقيمة ويحوي غرفة للعمليات سوف تجهز بكل المعدات والآلات الحديثة »

ويقول عبد الدايم : « سوف تبلغ تكاليف هذا المستشفى عندما يكتمل البناء حوالي مليون دولار »

ومن أين توفر هذا المبلغ ؟

ـ من أهل البلد الشقيق الكويت من أولاد سلطان ابن عيسى القناعي وهم لم ينسوا أبدا الله عز وجل فهم باسم الله أقاموا هذا المستشفى الكبير في قلب ريفنا الحبيب وباسم الله سيقيمون المسجد الخاص بالمستشفى وساكنيه »

ـ كيف قام هذا المشروع الخيري ، ولماذا تقرر أن يكون المستشفى للحميات دون غيرها من أمراض أخرى ؟

ويقول المهندس عبد الدايم : « انهم لم يشترطوا شيئا محددا عندما قدموا أموالهم لهذا المشروع ولكننا نحن هنا الذين اخترنا أن يكون المستشفى لعلاج مختلف أنواع الحميات المتوطنة نظرا لحاجة هذه المنطقة الى هذا النوع من الخدمات الصحية ان هذا المستشفى الذي سد فراغا كبيرا في مركز أبو حماد والتل الكبير والقرين » ، وما قريتا البوز القديمة والجديدة سوى قريتين صغيرتين تابعتين لمركز أبو حماد ـ انما شيد لتخليد ذكرى رجل كريم ، وسوف يحمل اسمه ويدعو له الناس دوما برحمة الله ورضوانه

ووقفنا نودع أهل الريف وقلنا ونحن نشد على أيديهم ونشكرهم على حفاوتهم بنا وتكريمهم لنا « براكم على خير مع أهل الخير باذن الله »

قالوا « لم تنسوا شيئا انا لا نعرف من أنتم ومن أين جئتم ؟ »

قلنا « نحن صحفيون من الكويت » وتمنوا في هذه اللحظة أن يعودوا بنا الى بيوتهم ليكرمونا من جديد وودعونا وهم يحملوننا تحية أهل مصر وريف مصر الى أشقائهم في الكويت

قصة تكررت ويمكن أن تتكرر في كل ريف عربي ■■

سمير نصيف

خطر السكري على العين

بقلم الدكتورة: سرى فايز سبع العيش

مع أن العين تتأثر كثيرا بالأمراض العامة التي تصيب أجهزة الجسم المختلفة إلا أنها شديدة الانفعال والتأثر خاصة بالأمراض التي يتغير فيها كيمياء الدم وتختل أوزانه وعلى رأس هذه الأمراض الداء السكري .

يحدث في الداء السكري حدثان هامان من التغيرات - الأول تغير كيمياء النهر الدموي ، والثاني تغير في العروق الدموية الحاوية . أي تغير جدر الأوعية التي يمر فيها الدم سواء منها العروق الكبيرة أو الشعرية في الجانب الشرياني أو الوريدي

ففي الداء السكري تزداد كثافة الدم فيتراكم السكر الذي لا يستهلك بشكل صحيح فعال وتظهر فيه مواد عضوية لم يتم احتراقها ولا يستفيد الجسم منها ، ويزداد انطراح الماء والسكر من الجسم ، بالادرار البولي ، فيحدث الجفاف في الدم ، وتتغير طبقا لذلك لزوجة الدم وحموضته ومركباته وتوتره الحلولي إضافة لما يصيب العروق الدموية من تصلب عصيدي وتنخر يعيق الدوران الطبيعي فتحدث الاختلاطات الكثيرة في الاجهزة الهامة كالدماغ ، والقلب ، والعينين والكليتين .

أما أجزاء العين الأكثر تأثرا في الداء السكري فهي ما يلي :-

● عدسة العين :-

وهي عادة تكون صافية محدبة الوجهين ذات قوة مقدرة تتناسب مع حجم العين وأبعادها وشكلها وتقدر قوتها الكاسرة بقوة عدسة مقربة ذات ١٨ - ٢٠ كسيرة وهي في داخل العين ولما كانت لا تحوي عروقا دموية بل تتغذى رأسا من ماء العين الذي يغمسها ، لذلك تتأثر بسرعة عندما يتغير تركيب ماء العين فاذا زادت حلاوة الدم كثيرا ترتفع كثافة السكر في ماء العين أيضا فيختل انكسار عدسة العين ، وتصبح أكثر تكورا وبالتالي اشد انكسارا فيصاب الشخص بقصر البصر ، أما اذا اخذ المصاب كمية كبيرة من الأنسولين وأصيب بنقص شديد في سكر الدم ، عندها تخف كثافة ماء العين ويختل أيضا تكور العدسة فتصبح أكثر انبساطاً وأقل تحدبا . وبالتالي تضعف قوتها الكاسرة فيصاب الشخص بمد البصر ، إذاً فالتغير المتواتر السريع في قوة النظارات الطبية التي يلبسها الانسان والحاجة إلى تغيير النظارات أو العدسات الطبية باستمرار وفي فترات متقاربة ، مدعاة لفحص سكر الدم والتأكد من اعتداله

هذه التغيرات قابلة للمعالجة بضبط السكر الدموي والانتباه اليه فتعود العدسة سيرتها الأولى ولكن هنالك تغيرات أكثر خطورة وهي التي يتأثر بها غذاء عدسة العين ويضطرب استقلابها نتيجة لتغير كيمياء ماء العين الذي تتغذى منه العدسة ، فيختل صفاؤها وتقل شفافيتها فتتكثف ويبيض نسيجها ويختل الانكسار الضوئي عبرها فتصبح كثيفة تمتص الاشعة الواردة إليها وتبعثر مسيرتها ، فتعيق نفاذها للعين وبالتالي يحدث ضعف البصر الشديد ومن ثم العمى فيضطر جراح العيون لاستئصال العدسة المريضة ليعيد البصر للعينْ بعد أن حرمت منه . هذه الحال

لمرضية تسمى داء الساد المختلط تمييزا له عن داء الساد لشيخي الذي يحدث عند المسنين دون ان يعتريهم الداء السكري لذلك كان لا بد من الاسراع بتحري سكر الدم عند كل انسان تظهر لديه بوادر داء الساد العيني ، في سن مبكرة ولعل أول ما يشكو منه المصاب بالسكري عند حدوث التغيرات الأولى في العدسة البلورية هو صعوبة القراءة بسبب تصلب العدسة وضعف قدرتها على المطابقة ثم يشكو المصاب من تغيم في الرؤية البعيدة ايضا .

● **عضلات العين وأعصابها** :ـ لما كان التغير المرضي في كيمياء الدم يؤثر فعليا على تغذية الجسم جميعه وخاصة الأجهزة المركزية الهامة فيه ومنها الدماغ ، والجهاز العصبي العضلي كان لا بد من تأثر أعصاب العين وعضلاتها إذا لم يضبط السكر الدموي واذا تركت أنصاف مستقلباته تجوب الدم وتعبث في خلايا الجسم فسادا ولعل أهم أعراض إصابة عضلات العين وأعصابها حدوث « الشفع » أي الرؤية المزدوجة والتي قد تحدث نتيجة شلل خفيف في الاعصاب المحركة لعضلات العين ، وقد تكون الاصابة شديدة فتتحدد حركات العين ويصاب الشخص بالحول الصريح وقد يحدث انسدال الجفن وذلك حسب العصب المصاب والعضلات العينية المتأثرة بتلك الاصابة وقد تنفرد عضلات العين الداخلية بالاصابة فيحدث توسع في الحدقة وتنشل المطابقة فتقتصر الاعراض على صعوبة القراءة أو انعدام الرؤية للقريب

● **شبكية العين** :ـ تختلف الاختلاطات الشبكية في الداء السكري عن تلك التي سبق ذكرها بأنها ذات علاقة مبسية بالـ س الذي طال فيه السكري في الجسم إضافة إلى الشدة التي صال فيها السكري دون أن يضبط علما بأن حدوث الاختلاط هذا لا يقتصر على سن معينة ، فكثيرا ما يحدث في السكرى الشباني وكثيرا ما لاحظناه في أطفال لم يتعد عمر الواحد منهم بضعة عشر عاما المهم في حدوثه طول فترة المرض أولا فهو قلّ ان يحدث قبل مضي عشر سنين على الاصابة بالداء السكري . ولعل الحدث الزمني مرتبط بتغيرات تحدث تدريجيا في جدر العروق الدموية الشعرية فتتآكل الخلايا الجدارية الداعمة فيها ، ويتنحر الغشاء القاعدي فترق جدر العروق الدموية وتفقد مرونتها وتحدث اتساعات وانتباجات فيها بشكل أجربة وكييسات تسمى أمهات الدم ينز الدم من خلالها وتتسرب عبرها السوائل وما تحويه من مواد دهنية وزلالية وقد تنفجر فتحدث النزوف الصغيرة فلا تستفيد الشبكية من الدم الذي انبثق عن وعائه وانسكب عبر طبقاتها فتصاب بالعوز الغذائي وتفتقر الى الأوكسجين والمواد الضرورية المفيدة وقد تنسد العروق الدموية الكبيرة في الشبكية فتتخثر الشرايين والأوردة نتيجة ركودة الدم ولزوجته ، وكذلك نتيجة مرض الجدار الوعائي الحاوي له فيحدث اضطراب شديد في تغذية الشبكية وقد يحدث نزيف صاعق في المائع الزجاجي فيحدث العمى الفجائي . ولكن العادة هو أن يتسلل المرض الشبكي بأنزفته الصغيرة ونتوحاته المتعددة ، وتتراكم ارتشاحات الدم الدهنية في طبقات الشبكية مع تكرر الانزفة التي تحدث التليفات في الشبكية وهذه تؤدي لانفصال الشبكية وهكذا ينسل المرض الشبكي دون ان يحس به الانسان إذ أن الانسان يتأثر فعليا ويضطرب بصره عندما تتسرب مركبات الدم إلى منطقة اللطخة الصفراء المركزية ذات الحس البصري العالي ، فهنا يحدث التشوش العملي في الرؤية ويأتي المريض طالبا النجدة من الطبيب وكثيرا ما يكون ذلك بعد استفحال الداء وفوات الأوان

إن أمراض الشبكية يمكن أن يتعرف عليها إخصائي العيون بسهولة لأن الأوعية الدموية في الشبكية هي الأوعية الوحيدة العارية التي يمكن للفاحص أن يراقب فروعها وتغصناتها ويمكن تصويرها بالوانها الطبيعية ويمكن استقصاء صحة الأوعية وسلامتها بتصوير قعر العين بعد حقن الوريد العضدي بمادة الفلورسين إذ تتألق المادة في عروق المشيمة والشبكية بعد ١٠ ـ ١٢ ثانية من الحقن فتكشف عيوب الشجرة الوعائية التي أحدثها الداء السكري ، وبالتالي يتعرف الدارس والمعالج على مواضع الداء الاخرى

ولقد أصبح التصوير بالفلورسين ملازما للمعالجة بطريقة كيّ الشبكية بأشعة ليزر حيث تحرق التشوّات الوعائية الداخلية فتمنع حدوث الأنزفة الصاعقة وتقي الانسان من العمى أي أن المعالجة الحكيمة بأشعة ليزر تستأصل الاجزاء العاطلة المريضة من الشبكية فتوفر الغذاء الضروري للاجزاء الحية من الشبكية . ولقد منعت هذه المعالجة حدوث العمى عند نسبة كبيرة من المرضى السكريين ، علما بأن أكثر الأمراض إحداثا للعمى في البلدان المتقدمة هو الداء السكري

وهذا فالداء السكري وخيم إذا لم يضبط ، اذ كلما ازداد الدم سكرا وطفح حلاوة ، أعقب العين أذى ومرارة واستل الكثير من نعمة البصر فيها . ■■

عمان :ـ د . سرى فايز سبع العيش

الشاعر ظافر أبو ريشة

من صوفية ابن الفارض الى الهامات دوفيني

بقلم : الدكتور نسيب نشاوى

ربما لأن شهرة اخيه الشاعر عمر ابو ريشه طبقت الافاق ، فان كثيرين لم يلفت انظارهم شعر شقيقه الطبيب ظافر أبي ريشه .

ولد الطبيب ظافر عام ١٩١٩ م ببلدة الباب التابعة لمدينة حلب شمالي سورية وهو يقيم الآن مع أسرته شرقي العاصمة دمشق ، كان والده الشاعر الكبير الشافع ابن الشيخ مصطفى أبي ريشة الذى شغل منصب قائمقام بالباب يلح عليه لدراسة الطب ، ولكن الشاعر ظافرا الذي قضى سنوات دراسته الابتدائية والثانوية في مدارس حلب شغف بالمطالعات الأدبية ونظم القصيد ، ومن شعره المبكر منظومة من الغزل العفيف قالها ولما يجاوز الثامنة عشرة مطلعها .

صبابتي فجرها باكية
بالنظرة المشفقة القاسية
حورية يا حسن يا قدها
يختال في أبراده الزاهية

وأدخل الجامعة السورية بدمشق لدراسة طب الأسنان فتخرج فيها عام ١٩٣٩ م ، وافتتح عيادته بحلب حتى عام ١٩٥٨ م ، ثم انتقل الى دمشق طبيبا للاسنان في حي الحريقة ، وظلت روحه تحلق في أجواء الشعر فيلهج به ويبث فيه احساسه المرهف وشكواه الرومانسية ونبضات قلبه المترع بالحب والحنان فتنساب العواطف مع القوافي كانسياب النور بين الأزاهر ، وحملت الصحف الدمشقية بعض هذا الشعر الذى تناغم فيه الاحساس الصوفي الهائم والوجدان الانساني المرهف

تأثر بالشعر الفرنسى

أجاد الشاعر الدكتور ظافر أبو ريشة اللغة الفرنسية كتابة ونظما لسعة اطلاعه عليها ، ثم راح يدور في زوبعة الشاعر الفرد دو فيني **Alfred de Vigny** ١٧٩٧ - ١٨٦٣ م حتى انتشى ، واذا كنا لا نستطيع الآن تقدير آثار المدرسة الفرنسية البرناسية في أدبه ولاسيا شاعرها الأكبر لوكنت دوليل ـ لأن آثار الشاعر ظافر لم تطبع كلها ـ فان في ديوانه الأول أثرا بارزا لالفرد دوفيني الشاعر الفرنسي الذى أحس أن في الكون حقائق خفية تكمن وراء الظواهر الحسية والذى جعل من اشاراته الرمزيه صورا مجسمة تعينه على توضيح أفكاره الفلسفية وبخاصة في قصيدته « موت الذئب » التي كان يطمح فيها الى أن تكون أشبه بدرس في الرواقية وفي تحمل مصائب الحياة ، وقد نقلها الشاعر الدكتور ظافر أبو ريشة الى اللغة العربية شعرا

ونشرها في ديوانه « من نافذة الحب » الذي أصدره في العام الماضي ١٩٨١ م ، وقدأظهر فيها روح التشاؤم المشبع بالزهو والذى لا يؤول الى اليأس ولا يرجع الى العقيدة بل يدفع صاحبه ـ على نحو ما نادت به فلسفة زينون الرواقي ـ الى الصبر وتحمل الشدائد والى العطف والبذل والتضحية . .

تنطلق قصيدة « موت الذئب » التي ترجمها الدكتور ظافر من لوحة تصويرية بارعة ترسم الشاعر يسير مع صحبه وسط الغابات الصامتة ، حتى اذا بدا لهم شجر الصنوبر لاحت حياله رسوم أظفار الذئاب التي جاؤوا يطاردونها بكلابهم وبنادقهم .

وأكب فوق الرسم منا
رأس صياد خبير
يلقي على الأثر الحديث
فراسة الطرف البصير
ويشير لي : انظر
مخالب ذئب أوعال خطير
وهنا مواطىء ذلبة
واثنين من جرو صغير

وتهيأت سكاكين الصيادين وبنادقهم وكلابهم وساروا جميعا يقتفون الأثر ، ولمح الشاعر الذئبة الحسناء مع صغيريها وقد ركنت بهما الى شجيرة تحنو عليهما بغيرة وهما يعبثان بدرة أثدائها ، وانتبه الذئب الوالد لهؤلاء البشر الثعالب الذين أغلقوا باب النجاة عليه وعلى صغاره ، فانتفض واستعد للقاء ، وكانت معركة حارحة بينه وبين الكلب السلوقي المهاجم الذى أرسله الصيادين

وجرى سلوقي اليه
طائش متهالك
فانقض من ذئب الوعو
ل عليه ناب فاتك

وتلقاه الذئب بفك قوى أنشبه في عنقه ، ومع أن نار البنادق المتشابكة الكثيفة انطلقت الى أحشائه لتخليص الكلب من أنيابه فقد ظل يعض بصبر وثبات وعيناه اللامعتان تنظران شزرا الى الصيادين الخصوم ، لقد صمم على الانتقام لصغاره بلا يأس ولا عجز غير عابىء بالدم تدفق غزيرا من جسده الذي بدأت الحياة تفارقه

لم يثنه نار البنادق والحديد السالك
يتهال منا غمسه المتصالب المتشابك

ولما شعر الذئب أنه بصبره وثباته قضى وطره الانتقامي بقتل الكلب نظر الى الصيادين الفاتكين يرمقهم حقدا وهو يودع الحياة بصمت يجرح آذان الفضاء

فاذا انتهى ألقاه شلوا
قبله زمننا قضى
ورنا وحر شفارنا
شدت عليه المقبض
تستنزف الدم كاسيا
ما انهار منه وقوض
ويظل يرمقنا وقر
ت مقلتاه فأغمض
ومضى بصمت جارح
باللحن آذان الفضا

ويتلقى الشاعر درسا في الشجاعة والصبر بعد ما نجت الذئبة بصغارها ويقع في بحر من التفكر والتأمل فيخاطب نفسه .

يا قلب ما أقساك عن
جبن وما أوهاك قلبا
انظر الى الوحشي كيف
يغادر الدنيا وتأبى
عيناه أن ترياه ير
جف مشخنا طعنا وضربا

وتتجسد في هذا التأمل فلسفة زينون الرواقي الافريقي ٣٣٥ ـ ٢٦٤ ق . م صاحب الفلسفة الرواقية القائمة على شكل من الحلول **Pantheisme** الذى يشمله ضياء جوهري يمنح قدرة ذاتية تحول دون التأثر بالظروف الخارجية من أوجاع وفقر ومرض ويلقي درسا في الصبر تعلمه من الذئب :

احبس دموعك عن مآقيها ولا تجهر بصوت
واعمل بقلب في حياتك صادق العزمات ثبت
والطف زهورك واعتصر في الدرب شوكة كل نبت
واذا مسيرك حط في أحد يقلص ظل سبت
فاصبر تحمل بعض أوجاعي ومت مثلي بصمت

وفي القصيدة أبعاد رمزية أخرى منها تصوير القوة النفسية الكامنة في الانسان كاللظى وتصوير عواطف

سفيريها اللذين تمطيهما درسا في البطولة
الد مستمدا من الأدب.

دكتور ظافر أبي ريشة ترجمات شعرية
لفرد دوليني منها قصيدة « جبل الزيتون »
بد المسيح عليه السلام في مناجاة الله وبعثه
، وقصيدة « بنت يفتاح » ، ويعكف في
ل نشر ترجمة قصيدتي « بيت الراعي »

وبالصوفيين العرب

ن هناك جانبا مهما آخر في شخصية الشاعر
ر أبي ريشة وهو تأثره بالمكر الصوفي العربي ،
الى ما أحيط به في نشأته من أجواء الانشاد
ضرات الصوفية في عكا والقرهون وروايا
نتشرة ببيروت وغيرها   ومن أجمل الآثار
، شعره قصيدة « ما افتر الا عن مشاهدة
ا قصيدة « الى أين » فتصف الرحلة الى المصير
، بالانسان بعد الموت اذ يتجرد من قواه النفسية
رحل منهكا تعبا على مركب عار ، ونلمح في
توق الذي هو أشبه ما يكون بحالة نفسية صوفية
د يتلاشى في العالم الأكبر متخليا عن رغباته
شخصيته كما يتذوق ذاك النعيم الأبدي يقول :

في   مركبي   ساري
ومـوج   البـحـر   يـصـطـخـبُ
بجداف   أو   صاري
ولا   درب   ولا   أرب
،   لـيـل   إعـصـاري
وفوقي   أطـبـقـت   سـحـب
د   تـشـف   أستـارى
وتجهل   دونها   الـريـب

فـيـخـفـق   قـلـب   أشـعـاري
ودمـعـي   حـائـر   يـشـب

وكان لانتقاله الى الكويت أثر كبير في أدبه حيث أمضى فيها أربعة عشر عاما منذ ١٩٦٤ الى ١٩٧٨ م اذ أتاح له هذا الانتقال فرصة التعرف والاحتكاك بالتيارات الفكرية العربية مع أبناء الكويت ومصر والسودان والعراق وفلسطين وسائر المثقفين الذين تستقطبهم هذه الدولة الفتية ، فتلون شعره ببعضها وظهر ذلك في قصائد تلح على مبدأ استعمال القوة ضد الاستلاب كتلك المنشورة في ديوانه تحت عنوان « نشيد العودة » وان كانت روح دو فيني تطل بين حروفها ومطلعها

يـا مـن نـشـيـدك في أذني يـوحـعـي
وغـزا ودارك تـبـكـي حـافي الـدار
مـا أعـجـن الـمـيـت لم يـدرج بـرايـتـه
وأحـقـر الـعـيش لم يـمـهـد لـبـتـار
نـحـن الـذيـن عن الـمـأسـاة نـسـأل من
تخـاذل   ومـعـاداة   لأحـرار

ومنذ أربعة أعوام عاد الى دمشق ينظم الشعر ويجمع ما تفرق منه فأصدر عام ١٩٨١ م ديوانه الأول « من نافذة الحب » ، وهو الآن بصدد نشر بقية آثاره ومنها « زورق الأحلام » ، و« لحن المساء » ، وترجمة قصائد أخرى أشرنا اليها .

لقد اتسم شعر الدكتور ظافر أبي ريشة بطابع انساني عام تماوجت فيه صوفية ابن الفارض ورواقية والهامات دوفيني   مع اشارات رمزية شفت عن الانطباعات النفسية والضغوط المختلفة التي صورها لوحات شاخصة جميلة نحتها بأدوات فنية راقية ■■

دمشق - د . ن .ب نشاوي
مجمع اللغة العربية

الألمان :

- حب الزوج ، حياة الزوجة
- من أراد أن يكون سيد بيته ، فلا يتزوج [illegible]
- من تزوج امرأة غنية ، باع حريته

عجائب البحر في ألف ليلة وليلة

بقلم عباس خضر

كان « عبد الله البري » الصياد الذي صار وزيرا وصهرا للملك - يلتقي بصديقه « عبد الله البحري » - الذي يعيش مع أهله في أعماق البحر - على الشاطيء كل يوم ، حيث يبادله الفاكهة البرية بالجواهر البحرية ، ثم استأذن عبد الله البري صاحبه في ان يذهب الى مكة والمدينة المنورة لأداء الحج ، وزيارة الرسول عليه الصلاة والسلام ، فطلب منه الدعاء وقال له

- عندي أمانة ارجو ان تأخذها وتضعها على قبر الرسول ، فادخل معي في البحر لاعطيك الامانة

فأبدى عبدالله البري خوفه من البحر ، فقال له صاحبه .

ـ لاتخف فاني آتيك بدهان تدهن جسمك فلا يضرك الماء

ثم جاءه بالدهان ، فخلع عبد الله ثيابه وحفر لها في الشاطيء وأخفاها في الحفرة ، ثم نزل في الماء ،

عند هذا الحد وقفنا في الفصل السابق على أن نعود الى بقية الحديث لنشاهد عجائب البحر مع عبد الله البري

واليوم نسير ـ باذن الله في عالم البحر العجيب ، كما تحدثت شهرزاد الى الملك شهريار في ليلة من ليالي الف ليلة

عندما هرب السمك

ما أن سار الصديقان الا قليلا حتى رأيا مخلوقا كبيرا يشق الموج ويهدر هديرا فارتعب منه عبد الله البري ، فسأل رفيقه بصوت متحشرج

ـ ما هذا بالله يا أخي ؟

ـ انه « الوندان » اعظم انواع السمك حسيا وأشدها بأسا

ـ انه يقترب منا ماذا افعل ؟

ـ ـ لاتخف فانه متى رآك عرف انك ابن آدم فيخشاك ويهرب ، لأنه اذا أكل ابنآدم مات من ساعته . إن وقع ابن آدم غريقا في البحر تتغير صورته ، ولم يعرف الوندان حقيقته فيأكله ظانا انه من حيوان البحر ، فيموت « فتأخذ شحم كبده ، وهو الذي أتيتك به ودهنت به جسمك

ثم قال البحري للبري

ـ ماذا ترى يا أخي ؟

ـ أرى خيرا يا أخي ، قد صدقت فيما قلت ، فإن الوندان قد ذهب عنا ، ولم يضرنا في شيء

ـ حسن اتبعني .

فتبعه ، ومازالا يمشيان من مكان الى مكان ، وعبد الله البري يرى أمامه وعن يمينه وعن شماله جبالا من الموج وأصنافا من السمك تلعب في الماء ، بعضها كبير ، وبعضها صغير ، منه شيء يشبه الجاموس ، وشيء يشبه الآدميين ، والكل يهرب حين يرى عبدالله البرى ، فقال

يا أخي مالي أرى السمك يهرب منا ؟

ـ انه يخافك ، لان جميع ما خلق الله في البحر يخاف من ابن آدم ولولا اني عرفتك وخبرتك ما وثقت بك وأطمأننت على نفسي منك

وصارا يمشيان حتى وصلا الى جبل مرتفع ، فمشى عبد الله البحري بجانبه ، وصيفه يتبعه ، فسمعا صيحة عظيمة ، فالتفت البري نحو الصوت فرأى شيئا اسود منحدرا الى جهة البحري من ذلك الجبل وجسمه كالجمل ، فقال ـ ما هذا يا أخي ؟

ـ هذا الوندان انه يقصدني ليأكلني ، فصح عليه ياأخي قبل ان يصل الينا فصاح عبد الله البري ، فوقع الوندان ميتا ، فتعجب من ذلك وقال ـ سبحان الله ما ضربته بسيف ولا بسكين كيف مات هذا المخلوق من صيحتي ؟

ـ لا تعجب ، فوالله لو كان من هذا النوع الف او أكثر ـ لماتوا من صيحة ابن آدم ، ثم بلغا مدينة اهلها جميعا إناث لا ذكر فيهن فقال

ـ ما هذه المدينة ؟

ـ هذه مدينة البنات ، أهلها من بنات البحر ، لا يحملن ولا يلدن ، يتفيهن ملك البحر ، كلما غضب على واحدة منهن يرسلها الى هذه المدينة ، وهي لاتستطيع الخروج منها .

ـ هل في البحر مدن أخرى ؟ ـ كثير ، وفيها ذكور واناث

ـ يا أخي اني رأيت في البحر عجائب كثيرة

ـ وماذا رأيت من العجائب ؟ أما سمعت المثل يقول . عجائب البحر اكثر من عجائب البر ؟

ثم اتجه عبدالله البري الى ناحية البنات ، فرأى وجوههن مثل الاقمار ، وشعورهن كشعور النساء ، ولكن ايديهن وأرجلهن في بطونهن ، ولهن أذناب مثل أذناب السمك كسائر أهل البحر

مشى عبد الله البحري الى مدينة أخرى ممتلئة ذكورا واناثا ، صورهم مثل صور اولئك ، الكل عرايا مكشوفو العورات

- يا أخي ، لماذا هم عرايا ؟

- لان اهل البحر لا قماش عندهم

- ماذا يصنعون اذا تزوجوا ؟

- هم لايتزوجون ، بل كل من اعجبته انثى يتصل بها

- هذا حرام ، لماذا لايخطبها ويمهرها ويتزوجها على سنة الله ورسوله ؟ - ليس كلنا ملة واحدة ، بل فينا مسلمون ، وفينا نصارى ويهود ، وغير ذلك ، والذين يتزوجون منا هم المسلمون .

- أي شيء يكون مهر نسائكم ؟ هل تعطوهن جواهر ومعادن ؟

- ان الجواهر عندنا أحجار لا قيمة لها ، انما الذي يريد ان يتزوج يحملون عليه قدرا من السمك يصطاده الفا أو العين من مختلف الاصناف ، يعين المقدار والصنف حسب الحال والاتفاق بين طالب الزواج وأبي الزوجة وعندما يجمع المطلوب يجتمع أهل العروسين ويأكلون ثم يدخلونه على عروسه

أزعر بلا ذنب

وما زال عبد الله البحري يأخذ عبد الله البري ويريه المدن البحرية ، فيرى كل مدينة مختلفة عن الاخرى ، وغير ذلك من عجائب البحر ، ثم قال البري

- مضى لي في صحبتك ثمانون يوما ، وانت لا تطعمني صباحا ومساء الا سمكا طريا ، لا مشويا ولا مطبوخا

ـ أي شيء يكون المشوي والمطبوخ ؟

ـ نحن نشوي السمك في النار ونطبخه ونجعله أصنافا كثيرة

ـ وأين لنا النار ؟ وكيف نوقدها في الماء ؟

ـ دعنا من هذا ، إنك يا أخي قد أطلعتني على مدن كثيرة ، ولكن لم ار مدينتك

ـ اننا مررنا بها وتجاوزناها مسافة ، وهي قريبة من البر ، إنما اردت أولا أن اطلعك على المدن الأخرى .

ـ يكفيني هذا ، فهيا الى مدينتك

رجع به الى مدينته ، وصارا يجوسان خلالها ، حتى وصلا الى مغارة ، فقال البحري .

ـ هذا بيتي ، وهو كما ترى مثل بيوت المدينة

ـ إني اراها كالمغارات المنحوتة ، فلم هي هكذا ؟

ـ كل من اراد ان يصنع له بيتا يذهب الى الملك ، ويقول له مرادي أن أتخذ بيتا في مكان كذا ، فيرسل الملك طائفة من السمك يسمون « النقارين » لهم مناقير تفتت الحجر ، فيأتون الى الجبل الذي يريده صاحب البيت ، وينقرون فيه المغارة ، وفي خلال ذلك يطعمهم صاحب البيت سمكا يصطاده لهم ، وجميع اهل البحر يتعاملون بالسمك ، وكلهم سمك

قال عبد الله البحري ذلك ثم قال لضيفه ـ تفضل ادخل . ونادى ابنته فاقبلت ولها وجه مستدير مثل القمر ، وشعر طويل ، وطرف كحيل ، لكنها عريانة ولها ذنب فلما رأت عبدالله البرى مع أبيها قالت له

ـ يا أبي ، ماهذا « الازعر » الذي جئت به معك ؟

ـ يا ابنتي ، هذا صاحبي البري الذي كنت أجيء ، لك من عنده بالفاكهة البرية تعالي سلمي عليه فتقدمت وسلمت عليه ، فقال لها ابوها

ـ هاتي زادا لضيفنا الذي حلت علينا البركة بقدومه

فجاءت بسمكتين كبيرتين ، فقال له كل . فأكل مضطرا لجوعه ، وليس عند القوم الا السمك ثم أتت زوجة المضيف فاذا هي جميلة ، ومعها ولدان كل منها في يده سمكة يقضمها فلما رأت الرجل البري هي وولداها صاروا يضحكون ويقولون أي والله هذا « أزعر » فخجل عبد الله البري وقال لصاحبه

ـ هل جئت بي لتجعلني سخرية لزوجتك وأولادك ؟

ـ العفو يا أخي ، ان كل من عندنا له ذنب ، فاذا رأوا مثلك لا ذنب له تعجبوا . ثم أقبل عشرة أشخاص غلاظ شداد وقالوا لعبد الله البحري

ـ بلغ الملك ان عندك « أزعر » من أهل البر فأراد أن يراه

نعم هذا هو ضيفي

ـ اننا لا نستطيع أن نعود الا به ، ويمكنك ان تأتي معنا وتقابل الملك

ـ لا بأس ، والتفت الى ضيفه وقال له يطمئنه

ـ لا تخف فان الملك متى علم أنك بري أكرمك وردك الى البر

ـ كما ترى ، اني اتوكل على الله وأمشي معك

ثم مضوا الى ان وصلوا الى الملك ، وما رأى الملك الرجل البري حتى ضحك وقال متلطفا :

ـ مرحبا بالأزعر !

وصار كل الحاضرين يضحكون ويقولون . أي والله إنه أزعر !

اذا مات اهل البحر

ثم تقدم عبد الله البحري الى الملك وأخبره بأحواله وقال له :

ـ هذا من أولاد البر ، وهو صاحبي ، لا يمكث بيننا الا فترة الضيافة ، وقد تعب من أكل السمك نيئا ، فهو لا يحبه كسائر قومه الا مقليا او مطبوخا ، فأرجو ان تأذن لي في أن أرده الى البر

ـ أذنت لك في ذلك

ثم التفت الملك الى عبد الله البري وقال

ـ تمن علي ايها البري

ـ أتمنى عليك أن تعطيني جواهر

نظر الملك الى رجاله وقال لهم

ـ خذوه الى دار الجواهر ، ودعوه يختار ما يحتاج اليه

ـ سمعا وطاعة

وأخذ من الجواهر ما استطاع حمله ، ثم رجع به صاحبه الى مدينته وأخرج له صرة وقال ـ خذ هذه امانة ، وأوصلها الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم

فأخذها وهو لا يعلم ما فيها

ثم خرج معه صاحبه ليوصله الى البر ، فرأى في طريقه رقصا وسمع غناء ، وشاهد سماطا ممدودا من السمك والناس يأكلون ويغنون وهم في فرح عظيم فقال لصاحبه

ـ ما هؤلاء ؟ هل عندهم عرس ؟

ـ كلا ليسوا في عرس ، انما مات عندهم ميت !

ـ هل انتم اذا مات عندكم ميت تفرحون له وتغنون ؟

ـ نعم وانتم يا أهل البر ماذا تفعلون ؟

ـ اذا مات عندنا ميت نحزن عليه ونبكي ، والنساء يلطمن وجوههن ، ويشققن جيوبهن من شدة الحزن

فحدق البحري في عبد الله البري وقال له غاضبا

ـ هات الامانة

فأعطاه اياها وهو مندهش لغضبه ولما وصلا الى البر ، وهم البري بالخروج من الماء قال له البحري وهو يدير عنه وجهه :

ـ ما انتم يأبناء البر بأهل للأمانة قد قطعت صلتي بك ، فبعد اليوم لا تراني ولا أراك !

ـ لم هذا يا أخي ؟

ـ كيف لا يهون عليكم أن الله يأخذ امانته فتبكون وتحزنون اذا استردها ؟ وكيف اعطيك أمانة النبي صلى الله عليه وسلم وانتم اذا اتاكم المولود تفرحون به ، والله تعالى يضع فيه الروح أمانة ، فاذا اخذها يصعب عليكم الامر وتحزنون وتبكون كأنكم تحتجون عليه سبحانه وتعالى ؟ مالنا في صحبتكم حاجة

قال عبد الله البحري ذلك وغطس في الماء ، على حين وقف عبد الله البري حائرا مشدوها ثم قصد الى الحفرة التي خبأ فيها ثيابه ، فأخرجها ولبسها وأخذ جواهره وتوجه الى الملك ، فتلقاه هذا باشتياق وفرح به ، وقال له

ـ كيف انت وما سبب غيابك ؟

فأخبره بقصته وما رأى من العجائب في البحر ، فتعجب الملك من ذلك ، ولما اخبره بغضب البحري وما قاله أسف الملك وقال

ـ انك أخطأت فيما قلت له عما يجري عندنا اذا مات ميت

ظل عبد الله البحري يغدو الى شاطىء البحر كل يوم وينادي عبد الله البحري ، فلا يرد عليه ولا يأتي اليه وأستمر على ذلك مدة من الزمان ، حتى انقطع رجاؤه فانقطع عن الذهاب ، وأقام هو والملك صهره وأهلهما في أحسن حال ، لا يعكر صفوه الا ذكرى ما كان منه اذا استنكر على أهل البحر أن يفرحوا بموت الميت وعودة الروح الى خالقها رب العالمين ، ويتساءل في نفسه

أليسوا هم على حق ونحن على ضلال !

وبعد افلا ترى معي أن هذه « الشريحة » من الف ليلة وليلة تمثل قصة قصيرة موضوعها « الامانة » وانها خير من بعض ما يكتب وينشر في هذه الايام بدون أمانة ؟ ■■

عباس خضر

التصوير والتعبير

فى ألحان سيّد درويش

بقلم الدكتورة : سهير عبد الفتاح

يختلف المهتمون بالموسيقى حول قدرة هدا الفن على لتعبير عن الأفكار والعواطف وتصوير المشاهد الطبيعية فهناك من يرى أن الموسيقى مؤلفة بطريقة خاصة من صوات لايمكن أن تعبر عما تعبر عنه اللغة ونحن نستمتع بهذه الأصوات دون أن نفهم منها مانفهمه من الفنون التي تعتمد على اللغة كالقصة أو الشعر ـ لكن هناك من يرى أن الموسيقى تستطيع أحيانا أن تعبر عما تعبر عنه اللغة.فبعض الباحثين في الموسيقى الأوروبية يقول مثلا عن أغاني عصر النهضة « أصبحت الكلمات والجمل تترجم الى الموسيقى ترجمة دقيقة اعتمادا على تأثيرات من التلوين والالقاء والنبر فاقت جميع المحاولات التي سبق القيام بها »[1] وكثير من هؤلاء الباحثين مقتنعون بان مبادىء الثورة الفرنسية انعكست في موسيقى بتهوفن ، وهناك كلام عن « امبريالية » ريتشارد شتراوس الالماني » وصوفية رخمانينوف الروسي الخ

كما أن مثل هذا التفسير موجود أيضا عند العلماء العرب الذين اعتقدوا ان كل عاطفة من عواطف النفس لها مايقابلها من الايقاعات والمقامات وذلك بسبب اعتقادهم بوجود علاقة بين طبائع النفس وحركات الفلك التي لها علاقة بالموسيقى كما كان يرى بعض الفلاسفة اليونانيين ولهذا يقول الكندي في الفصل الثالث من

(١) الموسيقى والحضارة تأليف هوجو لاختنتريث ترجمة احمد حمدي محمود / القاهرة ص ١٦٤

مقالته الأولى في الموسيقى « انه يجب ان تكسى الأشعار المفرحة بمثل الأهزاج والأرمال والخفيف ، وما كان من المعاني المحزنة بمثل الثقيل الأول والثاني »[٢]

والحقيقة أنني أعتقد أيضا بقدرة الموسيقى على التعبير عن العواطف وتصوير المشاهد والمواقف بطريقتها الخاصة وقد حاولت دراسة هذه المسألة دراسة تطبيقية وذلك في بحثي عن الدلالة الاجتماعية في ألحان الفنان المصري الشهير سيد درويش (١٨٩٢ - ١٩٢٣م)

بين اللغة والموسيقى

اذا كانت الموسيقى جزءا لايتجزأ من الثقافة القومية تخضع للمؤثرات الروحية والمادية التي تخضع لها الثقافة بمجالاتها المختلفة ، فنحن نستطيع أن نقول أولا بشكل عام.ان الموسيقى المصرية في الربع الأول من القرن العشرين عرفت من التطور والتجديد ماعرفه الأدب والمسرح والفنون التشكيلية ، وانفعلت بالموضوعات التي انفعل بها شوقي وحافظ والمنفلوطي وطه حسين والعقاد ويوسف وهبي والكسار ومختار وسواهم من أعمدة الادب والفن ، كانت الثقافة المصرية في هذا الوقت (الربع الاول من هذا القرن) تحاول ان تتخلص من القيود البالية ، لتعبر عن الموضوعات والمعاني الجديدة ، وترتبط بجماهير الشعب وتعالج مشاكله وقضاياه وهذا هو ماحدث في الموسيقى وخاصة في موسيقى سيد درويش التي حاولت أن تساهم في معركة التجديد ، والارتباط بالجماهير بطريقتها طبعا ، فالموسيقى تتأثر بالعوامل التي تؤثر في المجتمع وتنفعل بها وتحاول نقل هذا الانفعال الى المستمع ، وتنجح في التصوير والتعبير خاصة اذا كانت موسيقى لحنية ، أي تلحينا للكلمات ، كما هو الحال في معظم الموسيقى العربية ، وفي موسيقى سيد درويش

واذا كان التفاعل بين اللغة والموسيقى محدودا أو عبر واضح عند بعض الملحنين فقد كان قويا جدا عند سيد درويش الذي كان يريد أن تقول الموسيقى مايقوله الكلام او أن ينطق الاثنان بمعنى واحد

نلاحظ أولا أن الموضوع السياسي والاجتماعي يتأثر بمعظم ألحان سيد درويش ، وخاصة في أعماله المسرحية التي تتمثل فيها أكبر نسبة من ألحانه

وقد قمت باختيار للموضوعات في ألحان سيد درويش المسرحية فوجدت أن مسرحياته واستعراضاته تحتوي على ٢٥٦ لحنا ، منها ١٦٨ لحنا تدور حول القضية الوطنية وحول قضايا المجتمع والطوائف والطبقات وتصوير حياتها والدفاع عن حقوقها أي أن هذه الألحان الوطنية والاجتماعية تمثل حوالى٦٤٪ من ألحانه المسرحية كلها هذه النسبة ترتفع جدا في بعض أعماله ، ففي ١٢ مسرحية ، واستعراضا ، من بينها ولو ، اش ، قولوا له ، كله من ده ، كلها يومين ، رن ، ولسّه ، أم أربعة وأربعين ، احلاهم ووجدت ٦٣ لحنا ، منها ٥٣ لحنا تدور حول الموضوعات الوطنية والاجتماعية ، والنسبة هنا تبلغ حوالى ٨٠٪

من المقهى الى المسرح

لكن السؤال هنا كيف عبرت موسيقى سيد درويش عن هذه الموضوعات ؟

ان أول وسيلة استخدمها سيد درويش في التعبير عن هذه الموضوعات أنه نقل موسيقاه من المقهى الى المسرح ، وبالتالي تغيرت أشكال موسيقاه ، فبدلا من الدور والموشح أصبح يلحن الاستعراضات والحوار والمواقف ويصور الشخصيات وأصبحت الفرقة الموسيقية تؤدي ألحانه بدلا من « التخت » وزادت أهمية « الكورس » الذي أصبح يشارك المغني الفرد مشاركة فعالة ، ولهذا تتميز ألحان سيد درويش عامةومنها « الطقاطيق » - بامكان أدائها عن طريق المجموعة ، أو عن طريق المغني الفرد سواء بسواء ، كما نجد في أداء فيرور مثلا « الحلوة دي قامت تعجن » ، « وزورونى كل سنة مرة » وفي أداء فرقة الموسيقى العربية لهذه الألحان نفسها

هذا الانتقال من التخت الى المسرح ومن الاعتماد التام على المغني الفرد الى توزيع الاداء بينه وبين الكورس - أدى من الناحية الفنية الى خروج سيد درويش على القواعد الضيقة الموروثة في تركيب اللحن هذه القواعد التي كانت تفرض على الملحن ان يبدأ اللحن بداية معينة وأن يسير فيه وينتقل من مقام الى مقام بحسب قانون ثابت الى أن يصل الى الختام ، ومن ذلك تلعب آلات التخت على اختلافها والمغني والبطانة ، أدوارا محددة من قبل ، لكن سيد درويش أعطى لنفسه الحرية في التنقل والقفز والتدفق مع احترام المقامات العربية ، وابتعد عن الزخرفة والبطء

(٢) مؤلفات الكندي الموسيقية حققها زكريا يوسف ، بغداد ، ١٩٦٢ صفحة ٩٩

والرتابة ، مما حقق للألحان التنوع والحركة ، ومكنه من تصوير الانفعالات والمواقف .

في لحن « أنا المصري » من أوبريت « شهرزاد » يبدأ اللحن الذي يغنيه«زعبلة»بطل الأوبريت ـ بنغمة افتتاحية خاطفة تؤديها الآلات ، ثم تتراجع لتفسح مجالا لصوت البطل يؤدي الجزء الأول من الأغنية ، وهو على شكل نشيد مليء بـالجلال ، يفتخر فيه بمجد وطنه القديم والحديث   وهذا الجزء يتكون من جمل عريضة يؤديها صوت البطل مع خلفية من آلات النفخ ، والوتريات ، التي تقوم باثارة ذكريات المجد الماضي ، والحنين الى الوطن ، ثم ينتقل اللحن انتقالا فجائيا الى جملة راقصة يوجه فيها البطل الخطاب الى شهرزاد ليحدثها عن محبوبته التي تنتظره ، حتى يصل الى ختام هذا الجزء الذي يقطع فيه عهدا على نفسه بعدم التحول ، ويستغل سيد درويش الفرصة فيلحن هذا الجزء الختامي على شكل قسم يؤديه الجندي العاشق ، ويعود به بذلك الى نغمة النشيد الذي بدأ به . ويمكنني أن أقول إن العواطف الوطنية والغرامية واضحة تماما حتى لو رفعنا الكلمات واستمعنا الى الموسيقى تؤديها الآلات دون كلام

وهناك وسيلة اخرى استفاد بها سيد درويش في تصوير الجو الشعبي والشخصيات والمعاني الاجتماعية وهي الاستفادة من بعض الألحان الشعبية كما نجد مثلا في لحن « دقت طبول الحرب » من أوبريت « شهرزاد » أيضا وقد استفاد فيه من ايقاعات « النقارية » وهي آلة ايقاع شعبية قديمة هي « طبلة » ذات طابع بدوي تثبت منها واحدتان على سنام جمل يركبه العازف وينقر على الطبلتين بعودين من خشب يمسك كلا منه بيد   وفي لحن « هلا بتصلو معانا » من الاوبريت نفسها يستفيد من الأغنية الشعبية الشامية « دخلك يامه خبيني » وفي لحن « يا أبو الكشاكش » من أوبريت « اش » يستفيد من مداعبات الاطفال لخروف عيد الاضحى ، وفي لحن « الشيالين » يستفيد من صيحة التشجيع الجماعية « هيلا هيلا » وفي لحن « دنجي دنجي » عن وحدة وادي النيل يستفيد من ايقاعات الرقصات النوبية .   هكذا .

بهذه الوسائل وغيرها استطاع سيد درويش أن يحول موسيقاه الى أداة للتصوير والتعبير عن العواطف الوطنية والاجتماعية والذاتية ، وأن يخلصها في الوقت نفسه من كثير من القيود والتقاليد القديمة البالية . ■■

باريس ـ د . سهير عبد الفتاح

الأسنان بين الفلور والفرشاة الكهربائية

كثيرا ما نشاهد إعلانات معجون الاسنان تتبارى في إظهار فاعليتها في الحفاظ على الاسنان ونسبة الفلور المرتفعة فيها ، فهل يعني هذا شيئا في الحقيقة ؟ وهل الفرشاة الكهربائية افضل ؟

ـ بالفعل يعد الفلور أكثر المواد فعالية في معجون الاسنان اذ أنه يقي ويحافظ على الاسنان من التسوس لأنه ـ أيون الفلور ـ يتجمع بسرعة كبيرة على السن فيغنيها به لتقاوم الاحماض المسببة للتسوس كما أن تجمعه على السطح الخارجي للسن يقوم بتحييد الميكروبات وابطال مفعولها لتفقد قدرتها على نخر عظام السن وتركها عرضة للتسوس

وحسب احصائيات الصحة العالمية الاخيرة فان الفلور في معجون الاسنان يخفض نسبة التسوس من ٢٠ ـ ٣٠٪ لكنه يعمل بصورة أفضل اذا ما استعمل في شكل حبوب أو غسول موضعي أو أضيف للماء فانه يخفض نسبة التسوس حتى نسبة ٧٠٪ بالطبع مع استعمال الفرشاة بانتظام وبصورة جيدة تتلخص في أنها يجب أن تطاول أسطح السن جميعها بما فيها الداخلية والجانبية وقد يعد هذا أمرا مستحيلا مما يجعل استخدام الخيط مع الفرشاة أمرا ضروريا في مواجهة مرآة كبيرة ليتأكد الشخص من أنه قد قام بتنظيف أسنانه على ما يرام

وكما ان الألم ليس هو أول علامة على تسوس الاسنان ـ فالحامل مثلا تشعر بآلام الاسنان حينما يبدأ الجنين في سحب رصيدها من الكالسيوم المتحرن في العظام والاسنان ، فان تسوس الاسنان قد يكون مؤلما أو صامتا ، لذا يجب العرض على اخصائي أسنان مرة كل عام بدون شكوى

وتسوس الأسنان في الواقع مسئول عن احداث حسام بعيدا عن الفم فقد لوحظ أن أكثر من ٢٠٪ من التهابات الغشاء المغلف للقلب قد يكون مسؤولا عنها بؤرة صديدية تحت أحد الضروس بل والتهابات المفاصل وأمراض الروماتزم والمعدة والقولون أيضا

واكتشاف السن المسوسة لا يعتمد فقط على رؤيتها أو الألم أو تتبعها باللسان ، ولكن في الاسواق الآن حبة يمكن مضغها فتتلون في الحال السن المسوسة

ولكن هل تظل الفرشاة والخيط أو ربما السواك افضل طريقة لغسل الاسنان وتنظيفها دائما ؟

الاجابة نعم ، متى كان ذلك يتم بصورة مرضية ، اذ أن ما يتوافر الآن من فرش كهربائية يعد من ألوان المبالغة لكن المفيد حقا هو جهاز يستخدم الماء الذي يندفع بقوة لتنظيف اللثة وما بين الاسنان بقوة يمكن التحكم فيها لكنه مكمل لعمل الفرشاة العادية وليس بديلا لها

وأخيرا هناك منشط اللثة وهو قطعة من المطاط تساعد على تدليك اللثة وتحسين الدورة الدموية فيها كما تقوى بطانتها لكنه بالطبع يحتاج ارشاد طبيب لتعلم طريقة استعماله خاصة مع أولئك الذين يعانون من انتفاخات وجيوب في نسيج اللثة تحتمي فيها الميكروبات لتحدث فيها ما يتراءى لها من فساد

تظل في النهاية قواعدنا القديمة محل احترام . فالوقاية بالطبع خير من العلاج ، وتعليم الطفل كيف يمكنه تنظيف أسنانه جيدا . يقينا الكثير من متاعب النمو

●

الجزر وعلاج السرطان

قرأت في احدى المجلات الاجنبية أن الجزر هو إحدى المواد الغذائية المقاومة للسرطان:مامدى صحة هذا الرأي ؟ وهل هناك بالفعل مواد غذائية يمكنها أن تقي من شر السرطان ؟

ـ يظل السرطان اليوم وغدا هو الموضوع الأهم على طاولة البحث العلمية العالمية اذ انه حتى الآن سر مستعص ، كلما حل منه لغز قادنا الآخر في دائرة مفرغة لا حد لها ولا محيط

كل يوم يحمل معلومة جديدة عن السرطان لكنها دائما معلومة تقريبية تكشف جزءا ملاصقا لآخر والثابت ان السرطان هو انفجار مجنون في الخلايا يحولها الى جحيم مشتعل من النشاط يستشري بسرعة تختلف وتعتمد على كثير من الاسباب التي يدور حولها العلم ويختلف كل العلماء .

فلا احد حتى الآن يدري ، فهو ليس مرضا وراثيا . . وإن كانت نسبته أعلى في عائلات دون اخرى . وليس ناجما من ميكروب رغم انهم أخيرا عزلوا بعض الاجسام التي يمكن أن تكون فيروسات في بعض أنواعه

ليس له سبب مباشر وان ارتبط مثلا سرطان الرئة بكثرة التدخين ، رغم انه قد يحدث أيضا لمن لا يدخن والامر في حد ذاته حتى الآن لا يعدو كونه مجموعة ملاحظات علمية حول انتشار السرطان كظاهرة حتى انه هناك نظرية تربط بين السرطان والضغط العصبي

من بين هذه الملاحظات العلمية نسوق على سبيل المثال أنه قد لوحظ أن السرطان قد تعلو نسبة الاصابة به بين من يأكلون الطعام المقدد الغني بالاملاح والمعامل بالخل أو الدخان بالتحديد لسرطان المعدة والمريء وأن المواد الحافظة للأغذية المعلبة قد تكون سببا محفزا للسرطان

كما أن دراسة أمريكية ظهرت أخيرا أثبتت أنه لا علاقة بين السرطان وشرب القهوة برغم أن نشرة أمريكية سابقة أكدت أن شرب القهوة بكثرة هو أهم الأسباب السرطان البنكرياس !

ذات الدراسة نفت أي علاقة بين سكر السكارين والسرطان ونسبت الى الكاروتين وفيتامين (ج) شرف مقاومة السرطان بشجاعة اكبر من بقية الفرسان بل وحددت الاطعمة المقاومة

للسرطان والتي تتوافر فيها نسبة عالية من الكاروتين وفيتامين «ج» كالمشمش والحمصيات كلها والبازلاء والقرع والفراولة والجزر والشمام والطماطم،كما أوصت بمحاولة أكل الطعام في أبسط صوره في قائمة حضراء .. أي مليئة بالخصراوات

وقد اعتبرت اللجنة المعنية باعداد تلك الدراسة أن المواد الدهنية هي المسئول الاول عن سرطانات الثدي والامعاء والبروستاتا اد تبين أن نسبة السرطان قد قلت باستخدام ريجيم غير دهني لحيوانات التجارب

كل هدا حسن وجهد مشكور ، لكنه حتى الآن لا يحمل الصبغة العلمية المؤكدة التي تجعلنا نجزم بأن هناك عوامل مسئولة أو مقاومة للسرطان ما زال العلم والعلماء على طاولة البحث يبحثون في كل الاتجاهات يبدأون وينتهون الى ان السرطان لغز ومازال

●

حول تضخم البروستاتا

أبلغ من العمر الخامسة والخمسين .. كنت قد اصبت بتضخم البروستاتا منذ خمسة أعوام لكني أجلت التدخل الجراحي لما له من آثار ضارة على الحياة الاجتماعية .. . بدأت اشعر بأعراض اكثر حطورة مثل انحباس البول بعض مرة ونزول بعض الصديد في نهاية التبول فهل هذه أعراض المرض الخبيث ؟ وكيف يمكنني الحكم والتأكد ؟

ـ ليس من الضروري أن تكون هذه أعراض سرطان البروستاتا حيث ان تورم البروستاتا لدرجة كبيرة وتأثر المثانة والحالبين والكلى كاف لاحداث مثل هده الأعراض لذا تجب المسارعة بعرض نفسك على طبيب احصائي في المسالك البولية وعمل منظار لمعرفة وتحديد مدى وخطورة التغييرات التي حدثت نتيجة اهمالك في اجراء العملية

والثابت علميا أن عملية ازالة تورم البروستاتا لا علاقة له إطلاقا بالقدرة الحسية على العكس فان زوال الألم والخوف يكون دائما عاملا إيجابيا لصالح المريض بعد العملية أما الانجاب فهو حقا المشكلة اد ان الرجل يصبح عقيا بعدها لأن العملية تسفر عن اتصال مباشر بين عضو التناسل والمثانة مما ينتج عنه انتشار الحيوانات المنوية في البول وبالتالي نزولها معه اثناء التبول

يحدث مع ذلك بالطبع بعض الاستثناءات يمكن معها الانجاب لكنها متروكة حقا للصدفة وليس للتوقع أما سرطان المثانة فانه يعد نسبيا أحد السرطانات التي يمكن التعامل معها بحزم متى اكتشف مبكرا فانه يعالج إما بالهرمونات الانثوية ـ الاستروجية ـ ولا تؤدي هذه الطريقة الى شفاء كامل لكنها تساعد على التخفيف من حدة الالم بدلا من المسكنات والتي أهمها وأخطرها المورفين الى غير ذلك من العلاج بالجراحة او الاشعة أو كليهما معا حسب الحالة

وأفضل الحالات هي التي يبدأ علاجها مبكرا بالجراحة الكاملة مع الاشعة لكن العملية التي تؤدي الى استئصال البروستاتا بشكل كامل ، هي التي تؤدي الى العجز الحسي لان معها تتلف الاعصاب المسئولة عن تتابع العملية الحسية وبالتالي تلغيها ؟

وليس هناك في الواقع أي وسيلة للوقاية من سرطان المثانة ابتداء من سن الخمسين اد يندر تماما قبل ذلك لكن القاعدة الذهبية هي الفحص الدوري كل ستة أشهر حتى بدون أي أعراض لتضخم البروستاتا بداية من سن الاربعين . فوجود تصلب بسيط على سطح المثانة ـ عادة سطحها مرن ـ قد يكشف عن بداية سرطان البروستاتا ودلك يحدد نوع العملية وآثارها

في النهاية يمكننا القول إنه لا الحياة الحسية أو نظام الطعام أو نمط الحياة له أدنى علاقة بتضخم البروستاتا لذا فالحذر منها واجب ، وعلاجها مبكرا أفضل كثيرا من التباطؤ والتأجيل

الموت الثاني

تأليف ـ جراهام جرين

ترجمة ـ شوقي جلال

لقيتني عند المساء تحت الاشجار المزروعة خارج قرية لم أعبأ بها في حياتي ،ولعلي كنت أحصيت نفسي بها لو رأيتها قادمة فأنا على يقين من أنها ستشكو لي من دائل ابنها ، هذا لو اعتبرناها رذائل حقا ، وان كنت ستبعد تماما أن تكون كذلك لقد كان على أية حال كريما شجاعا لايعرف البخل أو الخنوع شأن آخرين في القرية استطيع أن أذكرهم لو شئت

كنت أحلق بشدة في ورقة شجرة ، ولولا ذلك ما صادفتني تدلت الورقة من غصنها وقد انشطر عنقها ربما بفعل الرياح ، أو لأن طفلا من أطفال القرية طوح حجرا فأصابها ولم يبق غير اللحاء الاخضر السميك للعنق يمسك بها وهي معلقة في الهواء ظللت أحلق فيها وأرقبها عن كثب متأملا يرقانة ترحف فوق سطحها ، فتتأرجح الورقة هنا وهناك كانت اليرقانة ترحف صوب الغصن وأنا في دهشة أتساءل ترى هل ستصل الى هدفها آمنة في سلام أو ستسقط بها الورقة في الماء ؟ فقد كانت الأشجار تظلل غديرا يميل ماؤه دائما الى الاحمرار بسبب الطين الكثيف في التربة

لاأعرف هل بلغت اليرقانة الغصن أم لا ، اذ قطع على أملي وصول تلك المرأة البائسة عرفت وصولها أول الأمر عند سماع صوتها خلف أذني مباشرة قالت بصوتها الهرم الثاقب

« بحثت عنك في كل الحانات »

وهذا هو اسلوبها المميز أن تقول « كل الحانات » بينما لاتوجد غير حانتين فقط في القرية فقد دأبت على الادعاء بأن لها شرف تحمل عناء ليس لها منه نصيب في واقع الأمر

أحسست بالضيق ولم أتمالك نفسي ، وانطلق لساني بكلمات خشنة

« كان بوسعك أن تعفي نفسك من تحمل كل هذا العناء وأحرى بك أن تدركي أنني ما كنت لارتاد حانة في ليلة صافية كهذه »

بدا التواضع على العجوز الحيزبون وهذه عادتها دائما أن تبدو طيعة ذليلة اذا ما كانت لها حاجة تريد أن تقضيها

وقالت

« هذا من أجل ابني المسكين »

وهو ما يعني أن ابنها مريض فأنا لم اسمعها تنعته ، وقتما كان صحيحا معافى ، الا بنعوت أفضلها « هذا الولد اللعين » وكانت تحرص على أن يلزم البيت عندما ينتصف الليل كل أيام الاسبوع ، وكأن أذى خطيرا قد يصيب رجلا كهذا يعيش في قرية صغيرة مثل قريتنا ولم نعدم حيلة لخداعها بطبيعة الحال غير أن الشيء الوحيد والأساسي الذي كنت أعترض عليه ـ أن رجلا كبيرا ناضجا ناهز الثلاثين من عمره تحكمه أمه لالشيء الا لأنها

جراهام جرين Graham Green

كاتب وأديب روائي انجليزي . ولد عام ١٩٠٤ ، عمل أربع سنوات ضمن مجلس تحرير صحيفة التايمز من ١٩٢٦ - ١٩٣٠) اعماله الأدبية مؤشرات حياته وسجل أسفاره . قام برحلات كثيرة في كل أنحاء العالم وأكثر رواياته انعكاس لخبراته .

زار المكسيك عام ١٩٣٨ وكتب تقريرا عن الاضطهاد الديني هناك وأصدر روايتين بعد ذلك حكى فيها خبرته وانطباعاته عما

The Lawless Roads, The Power & The Glory.

وفي عام (١٩٤١ ترك وظيفته كمحرر أدبي في صحيفة (سبكتاتور) وسافر الى سيراليون ثلاث سنوات وانبثقت ومنحته هذه رواية The Heart of The Matter ثم رواية Brighton Rock والتي يرى بعض النقاد انها افضل اعماله . وفي عام ١٩٥٥ أصدر رواية

The Quiet American وهي عن حرب فيتنام وقد عاش هناك فترة ... وله غير ذلك اعمال كثيرة من الروايات والقصص القصيرة ومسرحية و الوريث الثاني » وهي من أعماله الباكرة التي كتبها عام ١٩٢٩ وتعكس اهتمام المؤلف بالمصير الروحي للانسان .

بغير روح تتحكم فيه ولكن اذا الم بابنها مرض ، وحتى ولو كان بردا خفيفا ، أصبح « ابني المسكين »

قالت « انه يموت ، والله وحده يعلم ماذا عساي أن أفعل بدونه »

قلت لها « حسن لست أدري كيف اساعدك »

كنت غاضبا لأنه مات مرة قبل هذه ، وفعلت الأم كل شيء الا موارته التراب فعلا وعملا وظننت أن موته هذه المرة من نفس ذلك النوع المألوف ، هذا النوع الذي ينهض بعده المرء صحيحا معافى سبق أن رأيته الاسبوع الماضي وهو في طريقه الى التل ليمتع عينيه بفتاة المزرعة ذات الصدر الفاتر الممتلىء كنت أرقبه حتى يستحيل الى نقطة سوداء صغيرة على البعد تستقر فجأة الى جوار صندوق رمادي مربع وسط الحقول ، هو الحظيرة التي اعتادا اللقاء عندها لي عينان حادتان يحلو لي كثيرا أن أمتع نفسي بالنظر بهما لأرى كيف وعلى أي بعد يمكني أن أرى بهما في وضوح وجلاء وقابلته بعد ذلك ذات مرة بعد منتصف الليل ، وساعدته على دخول البيت خلسة دون أن تحس به أمه وتحسنت حالته الا من شعور طفيف بالنعاس والتعب يلازمانه

عاودت العجوز الحيزبون الكلام بصوتها الحاد الثاقب

« كان يسأل عنك »

قلت لها « اذا كان مريضا على نحو ما ذكرت فالأفضل دعوة طبيب لزيارته »

« الطبيب هناك ، ولكنه عاجز عن فعل أي شيء »

أفزعتني كلماتها للحظة وكنت على وشك أن أصدقها حتى قلت في نفسي « الشيطان العجوز يتمارض . لعله يدبر خطة لأمر ما في نفسه » انه بارع وقادر على خداع اى طبيب تنبهت على صوتها وهي تقول

« استحلفك بالله أن تأتي فهو خائف فزع على ما يبدو »

بدا الصدق في نبرتها ، وأنا أعرف مدى حبها اياه لم أتمالك نفسي عن الاحساس ببعض الأسى نحوها . فأنا أعرف أنه لم يبق على قرش واحد لها ، ولم يحاول قط اخفاء الخاتمة عنها .

حلمت ورائي الأشجار والغدير الضارب الى الحمرة واليرقانة التي تكابد لتشق طريقها نحو هدفها . . . . وسرت معها لأنني أعرف أنها لن تتركني لشأني أبدا ، خاصة وأن « ابنها المسكين » يسأل عني منذ اسبوع واحد فقط لم تدع وسيلة لتباعد بيني وبينه وذهب ظنها الى أنني المسئول عن سلوكه ، وكأن أي امرىء قادر على أن يصده عن امرأة فاتنة ، ويباعد بينه وبينها بعد أن يشبع شهوته

أحسب أن هذه أول مرة أدخل فيها كوخهم من الباب الأمامي ، منذ أن وفدت الى هذه القرية طوال عشر سنوات خلت رمقت شباكه بنظرة خاطفة لاهية حيل الى أنني أرى على الجدار الآثار التي تركها السلم الخشبي الذي استخدمناه الاسبوع الماضي كنا نواجه بعض الصعوبات ونحن نحاول أن نثبته على الجدار وأمه تغط في نوم عميق اعتاد أن يأتي بالسلم من الحظيرة ، وبعد أن يدخل في سلام أحله عائدا الى مكانه وعندما أبلغ الحظيرة أحد فتاته قد رحلت بيد أنك لاتثق في كلمته فقد يكذب على أخلص أصدقائه انه لو عدم حيلة لرشوتك بمال أمه ، فقد يرشوك بوعد الآخرين من الناس

ما ان دخلت من الباب حتى ساورني احساس بالقلق وطبيعي أن يكون البيت هادئا ، فليس لأحدهما أصدقاء ليبقى معهما على الرغم من أن العجوز لها أخت لزوجها تعيش على بعد بضعة اميال كرهت سماع وقع أقدام الطبيب وهو ينزل الدرج لملاقاتنا لوى وجهه وكساه بوقار زائف وكأنه يريد أن يبلغنا شيئا عن رهبة الموت حتى ولو كان موت صديقي .

ابتدرنا بقوله : « لايزال في وعيه ، ولكنه يوشك أن يرحل اذا أردتم له الموت في سلام فالأفضل أن يصعد اليه صديقه توا انه يستشعر خوفا وفزعا من شيء ما » .

صدق الطبيب القول أحسست بصدقه عندما دخلت غرفة صديقي . رأيته جالسا على سريره مسندا ظهره الى حشية وعيناه مثبتتان على الباب ينتظر قدومي عيناه فيهما بريق وخوف ، وشعره أشعث تدلت خصلات لزجة ملبدة فوق جبهته . لم أكن أتصور أن له مثل هذا القبح كانت له عينان تميصان مكرا ودهاء ، ينظر اليك فيستشف حيثيتك وعندما يكون صحيحا معافى ترى في عينيه وميضا ينسيك ما فيهما من مكر ودهاء ويكشف وميض عينيه عن دماثة صافية ومجد وقح وكأنه يقول « اعرف اني ماكر قبيح » ولكن ما قيمة هذا كله ؟ لقد قضيت وطري من الحياة » وأحسب أن بعض النساء كان يأسرهن هذا الوميض ويستثيرهن والآن وقد خبا وميض عينيه بدا وكأنه وغد شريد ولاشيء آخر

رأيت من واجبي أن أرفع روحه المعنوية ، فأطلقت دعابة ساخرا من رقدته وحده على السرير خلت أنه لم يستسغ الدعابة ، وداخلني خوف من أنه بدأ ينظر الى موته نظرة جادة وذلك عندما طلب مني أن أجلس الى جانبه ليتحدث الى حديثا هادئا قاطعا

قال والكلمات تتتابع سريعة على لسانه .

« ها أنذا أقضي نحبي وأود أن أسألك شيئا هذا الطبيب ليس طبيبا حاذقا ، فقد ظن أنني أهذي اني عجوز استبد به الخوف . وأريد أن أسترد يقيني وهدوئي »

وصمت فترة طويلة ليعاود حديثه قائلا ·

« . . . . أن أعود انسانا سليم الفطرة . »

ونزل قليلا عن الحشية داخل فراشه قال

« مرة واحدة في حياتي ألم بي فيها مرض عضال . . . .

وكان ذلك قبل أن يستقر بك المقام هنا . .

ت لأزال صبيا يحكي لي الناس أنهم اقتنعوا بموتي
حملوني ليواروني التراب لولا أن أوقفهم طبيب وحال
وبهم وذلك في الوقت المناسب »

سمعت عن حالات كثيرة مماثلة ولم أر سببا يبرر رغبته
، أن يروي لي حكايته هذه ثم حيل الى أنني أدركت
رماه فأمه لم تكن يوما شديدة القلق مثلما هي اليوم
تأكد من موته حقا ، وان كان لايراودني شك كثير في أنها
شمت عن حزن عميق « ابني المسكين » ولست أدري ماذا
ا فاعلة من بعده وأنا على يقين من أنها صادقة مع نفسها
أن انها ليست قاتلة ولكنها فقط تميل الى سبق
احداث

أمسكت به لأرفعه قليلا فوق الحشيةالتي يسند اليها
ره ، وقلت له .

« انظر . لاداعي للخوف لن تموت . وعلى أية
ل فسوف أتحقق اذا ما كان الطبيب قد قطع لك شريانا
شيئا من هذا القبيل قبل أن يودعوك الى مثواك الأخير
كن هذا كله هراء مرضى اني أراهن بكل ما أملك
، لاتزال أمامك سنوات طويلة بل وفتيات
رات أيضا »

أردفت حديثي بالعبارة الأخيرة علّه يبتسم ولكنه
قال

« ألا تكف عن هذا كله »

وهنا عرفت أنه عاد متدينا وقال

« لماذا . لو قدرت لي الحياة فلن أقرب فتاة أبدا
لن أفعل ذلك ولو مرة واحدة »

حاولت أن أمسك عن الابتسام لكلامه هذا ، ولكن
كان عسيرا أن أحتفظ بوجهي جامدا لا ينم عن رغبة في
الابتسام فهناك دائما ما يثير بعض الضحك في معنويات
الرجل المريض

وقلت له

« على أية حال لاداعي للخوف »

وأجاب قائلا
« ليس هذا هو الموضوع أيها العجوز فأنا عندما عدت
في المرة الماضية ظننت أنني مت لم تكن المسألة شأنها شأن

النوم على الاطلاق ، أو الراحة في سكينة وسلام كان ثمة شخصا ما حولي ، يحيط بي ، عليما بكل شيء ؛ يحصي على كل فتاة عاشرتها ، حتى تلك الصبية الصغيرة التي لم تفهم شيئا حدث ذلك قبل مجيئك كانت تسكن على بعد ميل من بداية الطريق ، حيث تعيش جانيت الآن ، ولكنها رحلت عن هنا هي وعائلتها بل كان يعرف النقود التي أخذتها من أمي أنا لا أعتبر هذا سرقة فهي أمور داخلية من شئون العائلة . لم تكن لدى الفرصة لأوضح الأمور ، أو حتى أن أفصح عن أفكاري ، فالمرء عاجز حتى عن التفكير »

قلت له

ـ « هذا كابوس »

ـ « نعم ، لابد وانه كان حلما ألا يمكن أن يكون كذلك ؟ نوع الحلم الذي يتراءى للناس في حالة المرض ورأيت ما سوف يحدث لي أنا لا احتمل أن يصيبني أذى فليس هذا من العدل في شيء وأردت أن أهيب عن الوعي ويمحى على ، ولكنني لم استطع لأنني كنت ميتا »

قلت له وقد استثارني خوفه

ـ « في الحلم ؟ ثم رددت قولي . « في الحلم !! »

ـ « نعم . لايبدو أنه كان حلما ـ ألا يمكن ذلك ؟ لأني استيقظت الشيء الغريب والمثير انني أحسست أنني صحيح معافى وقوي نهضت ووقفت في الطريق ، ورأيت على مسافة قصيرة حشدا صغيرا يثير عجاجا يشيع رجلا أمامه ثم كان الطبيب الذي أوقفهم وحال بينهم وبين دفني »

قلت له « حسن »

قال . « افترض أيها العجوز صدق ما أقول هب أنني مت تعرف أنني صدقت هذا يومذاك وصدقته أمي أيضا ولكنك لن تثق فيها ومضيت على حالي هذا عامين . حسبت أنها قد تكون فرصة ثانية ثم عامت الأمور أمام عيني . . . وبدت لي على نحو ما أنها غير ممكنة فعلا انها غير ممكنة وطبيعي أنها غير ممكنة وأنت تعرف أنها غير ممكنة ـ أليس كذلك ؟

قلت له . « لم لا ؟ المعجزات من هذا النوع لا تحدث هذه الأيام وعلى أية حال فليس من المحتمل أن تقع لك

أتحسب أنها قد تقع لك ؟ وهنا في أي مكان تحت الشمس رد على قائلا ·

« انه لأمر مفزع حقا لو صح ما تقول ، وسيكون لزاما على أن أعاني كل ذلك مرة ثانية ، أنت لاتعرف ماذا كان سيحدث في الحلم ؟ وقد يكون الحال الآن أسوأ كثيرا

توقف عن الكلام هنيهة ثم أردف وكأنه يقرر واقعة

« عندما يموت المرء ينتهي اللاشعور الى الأبد »

ضغطت على يده وأنا أقول « كان هذا حلما بطبيعة الحال »

ولكنه كان يمزعني بخيالاته وددت لو مات سريعا حتى أفر من عينيه الماكرتين المروعتين المحتقنتين بالدم ، وأبحث عن شيء بهيج يدخل الى نفسي السرور مثل جانيت التي حدثني عنها وتعيش على بعد ميل واحد من الطريق

قلت له · « لماذا ؟ لو كان ثمة رجل يصنع مثل هذه المعجزات فاننا كنا سنسمع عن معجزات أخرى كثيرة حتى ولو في مكان بعيد من تلك المنطقة التي نبذها الرب »

قال لي « هناك معجزات أخرى ولكن القصص سارت على ألسنة الفقراء فقط وهم سيصدقون كل شيء أليس كذلك ؟ ورووا أن الكثيرين من المرضى والعجزة قد أبرئوا ونعموا بالشفاء وهناك رجل ولد أكمه وسرعان ما أبصر بعد لمسة لجفنيه ثم التفت ناحيتي وقال « تلك كانت قصص عجائز النساء ـ أليس كذلك ؟ وتعثرت الكلمات على شفتيه خوفا ، ثم رقد فجأة ساكنا بغير حراك وتكوم حول نفسه فوق السرير

شرعت أفتح فمي لأقول له « طبعا هذه كلها أكاذيب » ولكني امسكت لساني وتوقفت عن الكلام اذ لم تعد ثمة حاجة بي الى ذلك وكل ما استطعت أن أفعله هو أن أنزل الدرج وأطلب من أمه أن تصعد اليه لتسبل له جفنيه لم أستطع أن ألمسهما حتى ولو كان لقاء ذلك كل مال الأرض ومضى زمن طويل منذ أن طاف بخلدي ذلك اليوم . دهور ودهور مضت عندما أحسست لمسة باردة ببرودة اللعاب على جفني ، وفتحت عيني لأرى رجلا مثل شجرة سامقة تحف بها أشجار كثيرة يرحل بعيدا ■■

ترجمة ـ شوقي جلال

اعداد :
يوسف الشهاب

سعر العربي

● بالرغم مما يكتب في صفحة الفهرس حول سعر مجلتنا العربي في كل بلاد العرب ، إلا أن بعض الموزعين في بلادنا يخالفون في الثمن ، فالمجلة تباع هنا بخمسة ريالات بينما السعر الحقيقي هو ثلاثة ريالات ، ولا تهمنا زيادة وانما الأهم هو التعامل بالصدق والحق

ونحن لا نعرف من نصدق بسعر المجلة الحقيقي ، هل الموزع أم القيمة المكتوبة في فهرس المجلة ؟

جلال الرويشان ـ اليمن / صنعاء

العربي

مشكلة القاريء العزيز ، هي مشكلتنا مع بعض الموزعين في بلادنا العربية ، فالسعر معلن بالمجلة لكن هذا البعض يستغل طلبات السوق . وهذا أمر لا حيلة لنا به لأن القضية تتوقف على الامانة والصدق في البيع والشراء . . . .

عن الضمير الأدبي

● لاحظت مع شديد الأسف ، ان مجلة العربي ومجلة الدوحة نشرتا مقالا واحدا لكاتب واحد في شهر واحد . المقال يتناول العلاقات الوثيقة بين الشعبين المصري والفلسطيني وهو موضوع له قيمته وحرمته ، مما يفترض ان كاتبه لم يكتبه الا عن الاحساس العميق بالرسالة وهو موضوع بطبيعته بعيد كل البعد عن أي شبهة متاجرة أو تحقيق الكسب المادي

هذا عن المقال ، أما عن الكاتب فهو لواء سابق في الشرطة ، وهي المهنة التي يتربى صاحبها على احترام القانون والنظام وملاحقة المخالفات ، وهو في الوقت نفسه من أسرة أحد شيوخ الازهر الشريف فمن مهنته السابقة وعائلته ، نتوقع منه أن يكون الدافع الوحيد لنشر المقال ، هو اثراء الحياة الثقافية والعريب أن المقال لم ينشر في مجلتين ثقافيتين متباعدتين ، في الكويت وتونس مثلا ، بل في مجلتين متقاربتين في كل من الكويت وقطر وليس من المبالغة القول ان هذه الظاهرة المؤلمة قد انتشرت في العديد من المجلات الثقافية ، تقف خلفها الاموال النفطية . مما يضع القائمين على شؤون المجلات الثقافية في حيرة من امرهم ، أمام المقالات التي تصلهم بعد ان انعدمت الثقة او كادت

عبد الرزاق البصير

العربي

تأسف معك لهذا الذي وقع ، ونعتذر لقاريء العربي عما أوقعتنا فيه ثقتنا ببعض الكتاب . رنعد القاريء بان نبذل اقصى جهدنا لكي لا يتكرر ذلك . وستمتنع العربي عن نشر أي مقال للكاتب الذي يثبت لدينا أنه يوزع مقالاته بلا ضابط أو حرص على التقاليد .

هدية العدد الممتاز

● أصبحت مجلة العربي ، سفيرا عربيا متنقلا بين جميع العرب فهي تعبر عن أحوالهم وعن حياتهم ، وتجهل الآخرين يتصرفون في أمورهم ، ولأن مجلتنا تقدم هدية كل عام مع العدد الممتاز الذي يصدر في يناير ، فاننا نقترح عليكم . تقديم روزنامة (تقويم) لأشهر السنة يستطيع من خلالها كل قارىء أن يعرف أيام السنة والمناسبات العربية والدولية فيها

عبد الحميد محمود مراد ـ العراق / بغداد

●

الكمبيوتـــر

● أشعر حين أقرأ العربي « في مطلع كل شهر ، أن الثقافة ما زالت موجودة بالصحراء وما زال هناك أمل في مجتمع ثقافي وفي حياة ثقافية راقية يحياها أبناء هذه الأمة . .

وأنا طالب في احدى المدارس البريطانية ، وقد هالني ذلك الاهتمام بالثقافة وبالعلم ، فكان من برامج الحكومة الحالية ان يكون هناك جهاز كمبيوتر لكل مدرسة ثانوية داخل المملكة المتحدة ، من أجل الحصول على معلومات سريعة ـ فهل هناك أمل في أن يطبق مثل هذا الامر في الكويت ، خاصة ان هذا البلد لديه القابلية للحصول على الاجهزة اللازمة ، وأن مثل هذه الاجهزة الحديثة في الخليج سيجعلها شيئا طبيعيا مما سيؤدي الى تواجدها في الجامعات بصورة دراسة مستقلة لتهيئة كوادر بشرية ، وهذا وحده سيكون بداية تقدم حقيقي وحضاري في الوقت نفسه . . .

محمد معروف مصطفى ـ لندن

●

أبواب . . . جديدة

أود أن أعبر عن تقديري للاستطلاعات المصورة ، وخاصة للبلدان التي كانت في الماضي القريب بلدانا اسلامية ، انحسر عنها المد الاسلامي وتغلبت عليها الفرنجة واعداء الاسلام ، وأطمع في ان تحققوا بعض الرغبات حتى تغرسوا في قلوب القراء عزة ومجد العروبة والاسلام وهي إعادة الصفحة الخاصة بالطرائف والحكم العربية التي كانت تبرز فيها روعة وبلاغة وفصاحة اللغة العربية وقدرة العرب البلاغية

اعادة الصفحة الخاصة بالطرائف والنوادر التي كانت

حول مقالة « الخيول المملوكية »

● « يؤسفني غاية الاسف أن أقرر لسيادتكم أن موضوع « الخيول المملوكية » الذي نشر بمجلتكم «العربي» في شهر رمضان سنة ١٤٠٢ هـ (يوليو سنة ١٩٨٢ م) بقلم السيد جمال الغيطاني منقول من كتابي « الخيل ورياضتها في عصر سلاطين المماليك »,وقد نشرته « مكتبة الانجلو المصرية » سنة ١٩٧٦

هذا ومرفق طيه الصفحات التي قام السيد/ جمال الغيطاني بالنقل منها ، للتأكد من صدق ما أقوله ، وعشمي في الله وفيكم كبير أن تنبهوا الى هذا في مجلتكم ، حتى يرتدع كل من تسول له نفسه التكسب أو تحقيق مجد ادبي على حساب الآخرين .

● الدكتور نبيل محمد عبد العزيز

عميد كلية الآداب بسوهاج ـ مصر

تقدم فيها ضحكات وابتسامات تزيل عنا الكآبة وليكن ذلك من خلال القراء .

نريد صفحات تبرز فيها ثروات الأمةالعربية من معادن وزراعة وصناعة ونسب هذه الثروات في العالم ، وأماكن وجودها في الوطن العربي .

تناولوا ما دار من فتوحات وبطولات ومعارك إسلامية وعربية وفضل العرب على الاسبان والبرتغال في اكتشافاتهم الجغرافية وفضل المسلمين في نشر نور الحضارة على ظلمات الجهل التي كانت سائدة في أوروبا

رمضان محمد سليمان
مصر / الاسكندرية

●

الطفل والمرضعات ... ومسابقة العربي

● جاء في العدد (٢٨٣) من العربي ، مقال بعنوان « الطفل والمرضعات في الطب العربي » ، للدكتور سامي خلف حمارنة ، وبعد حوالي شهرين نشر نفس المقالة في العدد الثامن ، السنة التاسعة من مجلة « الثقافة العربية » الصادر بطرابلس - ليبيا في شهر أغسطس / ٨٢ تحت عنوان « العناية بالطفل والمرضعات في الطب العربي » للدكتور سامي خلف أيضا وبعد هذا ألا يحق لمتتبع مجلتكم باهتمام أن يتساءل كيف ولماذا يحدث مثل هذا ؟ علما بانها ليست المرة الاولى ، ولا أضع الوزر على كاتب المقال بل على التخبط واللامبالاة في الكثير من الصحف العربية ، فبدلا من العبارة التي تتصدر معظم المجلات العربية «المقالات التي ترد الى المجلة لا ترد الى صاحبها سواء نشرت أو لم تنشر » أرى أنه من المناسب أن تلزم المجلات نفسها - ولو كان ذلك صعبا - في ان ترد على كاتب المقال وتعلمه بوصول مقالته وأنها صالحة للنشر مع تحديد عدد النشر ، أو انها غير صالحة فهنا يتصرف الكاتب على ضوء الاجابة ولا يكون مضطرا لارسال عدة نسخ الى عدة مجلات في آن واحد

وأود ان اقول لكم أيضا عبر رسالتي هذه أن مسابقة العربي الحالية طالب الكثيرون بالغائها ، على ان تستبدل بها الاسئلة الاعتيادية التي يجد فيها القاريء ثقافته بالبحث والتحري عن الاجابة .

سهيل محمد - سوريا

(العربي)

جاءتنا هذه الرسالة ومعها قائمة ، ذكر الدكتور فيها أرقام الصفحات التي نشرت فيها المقالة في العربي ، وأمام رقم كل صفحة منها أرقام صفحات الكتاب التي يرى أنه قد نقل عنها كاتب المقالة ، وقد راجعنا أصل المقالة التي أرسلت الينا ، فوجدنا كاتبها قد اشار في ذيلها الى سبعة مراجع بأسمائها واسماء مؤلفيها ، ومن بينها اسم الدكتور واسم كتابه ، وعند رجوعنا الى المقارنة بين صفحات المجلة وصفحات الكتاب كما حددها الدكتور ، وجدنا أن كاتب المقالة لم ينقل حرفيا عن الكتاب الا في مواضع قليلة ، والمنقول في كل موضع جملة أو جملتان لم يعبر فيها الكلام ، إلا موضعا واحدا نقل فيه حرفيا ستة أسطر كوامل ، ولا يخلو الامر من شبهات في المواضع الأخرى ، ويكفي في هذا أن نذكر أن الدكتور أشار الى أولى صفحات المقالة مثلا (ص ١٣٧) ثم أشار الى ما يقابلها من أرقام صفحات كتابه على هذا المنوال (١٣٩ ، ١٢ ، ٣٥ ، ١٣ ، ٥ ، ٣٨ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٥ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ١٣ ،)فهذه خمسة عشر موضعا لا تتوالى فيها الارقام على الترتيب الحسابي بل تسير مقبلة مدبرة « والعربي » لاتتساهل من جانبها في التعامل مع أى كاتب يرسل اليها نتاجا ليس له ، أو نتاجا لا يكون لها خاصة .

مقالات في كلمات

■ حياة المرأة كتاب صخم . . مكتوب على كل صمحة من صفحاته كلمة . أحب .

(شوبان)

■ المرأة تحب الرجل . . والرجل يحب الله .

(رينان)

■ خلقت المرأة لتحب الرجل ، وتخضع له

(فولتير)

■ المرأة متطرفة في الحب والكراهية ، ولا تعرف الوسط بينهما

(سيروس)

■ حب المرأة الساقطة يقتل غيرها ، حب المرأة الشريفة يقتلها هي .

(حورج صاند)

■ قلب المرأة لا يسمع الا صدى الحب ، وعقلها لا يفتح الا لكلمة الزواج ، أما اذناها فإنهما تستقبلان كل نداء

(لوثر)

■ تمقت المرأة الرحل الغيور الذي لا تحبه ، ويعضها الحبيب الذي لا يغار

(لنكولن)

■ الرحال يحبون قليلا وغالبا والنساء كثيرا ونادرا

(حورج اليوت)

■ عندما يحب الرحل امرأة فانه يفعل أي شيء من أحلها ، اللهم الا شيئا واحدا هو ان يستمر على حبها .

(اوسكار وايلد)

مقتل نابليون

تأليف :

بن ويدر وديفيد هابجود

تقديم : الدكتور

احمد عبد الرحيم مصطفى

تحليل شعرة من رأس نابليون كشف الستار عن السر الذي بعد قرن ونصف ثبت أنه قتل بسم الزرنيخ

هذا كتاب جديد أحدث ضجة في الأوساط العلمية والتاريخية ، أعلن فيه مؤلفاه - لأول مرة - أن نابليون بونابرت ، أشهر قادة فرنسا وأبطالها ، قتل بسم الزرنيخ ولم يمت بقرحة المعدة كما هو شائع

شغل نابليون المؤرخين والكتاب اكثر مما شغلتهم شخصية أخرى في التاريخ الحديث فهو ابن الثورة الفرنسية « العامد » وقائد جيوشها المظفرة منذ أواخر القرن الثامن عشر حتى هزيمته النهائية في ووترلو عام ١٨١٥ وقد أثبت نابليون طيلة حياته العامة أنه ليس قائدا عسكريا فذا فحسب ، بل إنه استرعى الأنظار وحاز الاعجاب بصفته مشرعا واداريا عبقريا كما أن شخصيته الفذة جعلت الكثيرين يتعلقون به ويسجلون بعض فترات حياتهم معه ، في الوقت الذى زودت فيه مراسلاته ومذكراته وما كتب عن حياته الخاصة وغرامياته المكتبة التاريخية والقصصية بالكثير . وفوق ذلك فان حياة « رجل الأقدار » قد استكملت ملامحها الدرامية لما فيها من تعارض ضخم بين ذروات المجد التي بلغها نابليون وبين النهاية البائسة لحياته في منفى سانت هيلانه ، وهى جزيرة قريبة من خط الاستواء شبه معزولة عن العالم الخارجى ، يناصب حاكمها الانجليزى نابليون العداء ويفرض عليه حراسة مشددة لاتعال فيها للرحمة وهكذا نجد حياة نابليون تستكمل أبعادها الدرامية التى ألهمت الكثير من القصاصين وعباد البطولة في أقطار عديدة ، فكتبوا ماشاءت لهم الكتابة ـ وفي القصص مجال للخيال والتعدى على الحقائق ، بحيث يتسع لما قد لا يتسع له التاريخ بمناهجه الصارمة بل إن اسطوره نابليون لاتزال تتمثل في الجمعيات النابليونية الموجودة في فرنسا وغيرها

ويبدو أن سيل المؤلفات المرتبطة باسم نابليون لم ينقطع بعد ـ ومن ذلك ظهور كتاب مثير[1] هذا العام (١٩٨٢) سعى فيه مؤلفاه إلى اثبات أن نابليون قد قضى عليه سم « الزرنيخ » في جزيرة سانت هيلانه ، وأن وفاته كانت النهاية المتطقية لمؤامرة محبوكة استلزم تنفيذها عدة سنوات دون ان تترك من الآثار ما ينم عنها ، إلى أن أماط النقد العلمى الذى شهدته العقود الأخيرة اللثام عنها

أما مؤلفا الكتاب فهما « بين ويدر » رئيس الجمعية النابليونية في كندا وعضو مجلس الجمعية النابليونية في فرنسا ـ والآخر هو « ديفيد هابجود » رئيس تحرير مجلة فوكس Focus التى تصدرها الجمعية الجغرافية الأمريكية ، وله مقالات في قسم عرض الأحداث الأسيوية في جريدة النيويورك تايمز إلى جانب عدة مؤلفات وترجمات

1 .Ben Weider and David Hapgood, The murder of Napoleon(Robson Books Ltd. London1982)

قصة بوليسية

وكتاب ويدر وهايجود هذا يحكي قصة موت نابليون المؤلم والبطيء نتيجة لمؤامرة مبرمجة وهي قصة شبيهة بالأفلام السينمائية البوليسية وينقل المؤلفان مسرح القصة على التوالي ما بين بلاط سانت هيلانه والأبحاث الحديثة التي أجراها طبيب الأسنان السويدي « ستن فرشفوت » وأثبت في نهايتها أن نابليون كان ضحية جريمة قتل وإذا صحت نتائج تجارب فرشفوت نكون قد وضعنا أيدينا على حقيقة تاريخية جديدة فقد استقر الرأي فيما مضى على أن نابليون قد أصيب بقرحة في المعدة كان مقيضا لها أن تفضي إلى إصابته بالسرطان ، وأن هذه العلة هي التي قضت عليه في سن الحادية والخمسين ، وهي سن وفاة مبكرة بالنسبة إلى شخص كان طيلة حياته يتمتع بصحة جيدة وبنيان قوي وحيوية خارقة للعادة

ولما كانت صحة نابليون قد تدهورت في سانت هيلانه بالصورة التي أثارت قلق كل من الفرنسيين المرافقين لنابليون والحراس الانجليز ، فقد عزيت علة نابليون إلى مناخ الجزيرة وإلى الحكومة الانجليزية التي قيل إنها قد أرسلت نابليون إلى هذا المكان القريب من خط الاستواء بهدف التعجيل بوفاته وما أن توفي حتى جرى تشريح جثته وقدم كل من الاطباء السبعة الذين حضروا عملية التشريح تقريره عن أسباب الوفاة حقيقة انهم اتفقوا جميعا على وجود قرحة في المعدة ، إلا أنهم لم يتفقوا على كتابة تقرير واحد كما أن الطبيب الكورسيكي « انتومارشي » حمل الانجليز مسئولية الوفاة ، خاصة وأن نابليون صرح قبيل وفاته بما يلي « اني أموت قبل الأوان ـ لقد قتلتني الاوليجاركية الانجليزية والمجرم الذي استأجرته » وأن الطبيب الانجليزي توماس شورت وجد الكبد متضخما مما جعل انتومارشي يعزو الوفاة الى المناخ الاستوائي المحيط بسانت هيلانة

وظلت هذه الحقائق مستقرة في الاذهان إلى أن ألقى عليها ستن فوشفورت ظلالا من الشك بل وأثبت أن نابليون مات مسموما . وكان فرشفورت ـ حتى اهتمامه بأسباب وفاة نابليون ـ قد وزع نشاطه ما بين مهنة جراحة الأسنان التي كان يتعيش منها وبين البحوث التي كان يجريها في مجال الأمصال وفحص الدم وما يتصل به من علم السموم ولما كان فرشفوت متمردا على الآراء المتداولة في مهنته ، فانه لم يصب حظا من الشهرة ، ومن ثم كان انصرافه الى مجال آخر استرعى اهتمامه وهكذا كان كل من يدخل منزله يدرك للوهلة الاولى أن نابليون يخيم على جو المسكن . فصوره وتماثيله والنحلة (الرمز الخاص لنابليون) كانت منتشرة انتشارا غير عادي في غرفة المعيشة ، كما كانت غرفة المكتب بالطابق الثالث تمتلىء بالكتب المتصلة بنابليون وعصره وليس في ذلك من عجب ، خاصة وأن فرشفوت قد ورث الولع بنابليون من والده .

وبينما فرشفوت يجلس في غرفة معيشته تحت أنظار صور نابليون وتماثيله ، إذا بيده تمتد إلى مذكرات لويس مارشان ـ رئيس خدم نابليون ـ وهذه المذكرات التي أشرف حفيد مارشان على نشرها خلال ذلك العام ، هي آخر ما نشر من مذكرات مرافقي نابليون في سانت هيلانة وقد اهتم فرشفوت اهتماما خاصا بما كتبه مارشان عن المرض الاخير الذي ألم بالامبراطور ـ وكان الخادم المخلص قد قضى بالقرب من فراش نابليون وقتا أطول مما قضاه أي شخص آخر ولم يكن مارشان ينوي نشر مذكراته التي لايبدو فيها أي تحامل على أحد وما أن مضى فرشفوت في قراءة المذكرات حتى راودته الآمال في أن تلقي بعض الضوء على أسباب وفاة نابليون ، خاصة وأنه خلال تتبعه الوثيق للمساجلات التي جرت بين بعض المتخصصين حول كيفية وأسباب وفاة نابليون لم يقتنع بشيء مما ذهب إليه المتساجلون

بحث عن خصلة الشعر

حقيقة انه لم يقتنع بأن السرطان هو سبب الوفاة إلا أنه لم يشف غليله أي فرض آخر ـ ومن ثم نجده يبحث في مذكرات مارشان عن أي دليل على احتمال جديد ، خاصة وقد وجد فيها تفاصيل عن حياة نابليون من يناير إلى مايو ١٨٢١ لم يرد لها ذكر فيما كتب من قبل . وقد ذكر مارشان بالتفصيل كيف كان نابليون عرضة لدورات متتالية من الرغبة في النوم فالأرق ، وكيف تورمت قدماه وأنه فقد كل شعر جسمه باستثناء شعر رأسه[٢] ، كما عرض لاستجابة نابليون في أيامه الاخيرة لسلسلة الادوية المتلاحقة التي قدمت له وخلال قراءته تبادرت الى دهنه أفكار استقاها

---

٢)ذهب البعض في هذا الصدد الى ان نابليون كان عرضة للتغيرات الفسيولوجية التي كانت تمهد لتحوله الى انثى

من دراسته للسموم وتساءل : هل كان نابليون ضحية للسم ؟ للاجابة على هذا السؤال تراءى له أن نابليون لم تقدم له جرعة سم واحدة قاتلة ، خاصة وأن أدلة ذلك كان لابد أن تبدو واضحة للعيان عند فحص جسده بعد وفاته أو فيما يسجله من يشهده وهو يعانى سكرات الموت ولكن ماذا عن قتل بطىء يستغرق سنوات وشهورا بأن تقدم له جرعات صغيرة من السموم التى كان الزرنيخ أكثرها تداولا في عصر نابليون ؟ لقد وجد الاجابة على ذلك في مذكرات مارشان الميل للنوم ثم الارق ، والاقدام المتورمه وفقدان شعر الجسم - وكان يعلم أن ذلك من الشواهد المعروفة للتسمم بالزرنيخ . وتذكر أن الطبيب أنتومارشى وجد كبد نابليون متضخما ، وهذا دليل اخر على التسمم بالزرنيخ الذى شاع استعماله حينئذ باعتباره دواء وسما ، وان تكن أعراضه شبيهة بأعراض أمراض كثيرة مألوفة مما يجعل تشخيصه مختلطا بتشخيصات أمراض أخرى وكل ذلك مما حمل فرشفوت يربط بين ما ذكره مارشان وبين ماعرفه مؤخرا عن ظروف وفاة نابليون وبعد تردد استمر أربع سنوات بدأ فرشفوت البحث عن قاتل نابليون - وحينئذ قرر أن تكون نقطة البدء هى :

أن يعيد دراسة حياة نابليون منذ أن صعد على ظهر السفينة الحربية الانجليزية بلروفون قاصدا السواحل الانجليزية بعد هزيمة ووترلو في انتظار تقرير مصيره - وكان يأمل أن يسمح له بالاقامة في انجلترا لهذا اطلع فرشفوت على الدراسات العلمية والسير الشعبية الخاصة بنابليون بوكما اطلع على الدراسات الخاصة بيالزرنيخ وأعراضه كسم واستعمالاته القانونية والاجرامية في عصر نابليون . وحين أعاد دراسة ما كتب عن الشخصيات المحيطة بنابليون تبادر إلى ذهنه أن احدهم هو القاتل وانه قد بدت عليه في أواخر أيامه أعراض لا تقل عن ٢٢ من الأعراض الثلاثين المعروفة للتسمم بالزرنيخ . ولما كان فحص بقايا جثة نابليون يكاد يكون أمرا مستحيلا ، فقد قرر فحص عينات من شعره ، خاصة وأن خصلة الشعر في عصر نابليون كانت من الهدايا المعروفة التي يقدمها العظماء ، وأنها كانت بديلا للصورة الممهورة بالامضاء التي يهديها الساسة في عصرنا ومن المعروف أن نابليون قد أهدى كثيرا من خصلات شعره - وقد أورد مارشان في مذكراته أنه جلب معه إلى فرنسا كثيرا من شعر نابليون الذى جرت حلاقته بعد وفاته وأنه وزع معظم هذه الشعرات على أسرة بونابرت وإن يكن قد خلف خصلة واحدة لابنته ، وكانت دراسات فرشفوت قد هدته الى أنه من المعروف أن الشعر أداة ممتازة لقياس ما يحتويه الجسم من الزرنيخ ، خاصة وأن الجسم يسعى إلى طرده عن طريق مسام الشعر - وكانت طريقة تحليل الشعر بحثا عن الزرنيخ قد غدت معروفة ومطبقة منذ عدة أجيال

اول الخيط

ولكن كيف يتسنى له الحصول على الشعر المطلوب ؟ لقد أرشدته مجلة علمية في نهاية المطاف الى أن شعرة واحدة تكفي لاجراء التحليل - وكان كاتب المقال الذى وردت فيه هذه الحقيقة هو الدكتور « هاملتون سميث » العالم بقسم الطب الجنائي بجامعة جلاسجو في اسكتلنده ، وهو شخصية كانت تحظى بقدر كبير من الاحترام في مجال عالم السموم كان قد توصل الى أن استخدام الطاقة الدرية في تحليل الشعر كفيل بتحريك ما يحتويه من زرنيخ بالصورة التي تتيح قياسه بدقة - لهذا قرر فرشفوت طلب مساعدة هاملتون سميث في تحليل إحدى شعرات نابليون ، والحصول على الشعرة قبل كل شيء وهكذا نجده يتوجه إلى باريس حيث حصل بعد لأي على شعرة نابليون من القومندان لاشوك أحد الاعضاء البارزين في دائرة المهتمين بالدراسات النابليونية في باريس ، وكان مديرا لمتحف الجيش في « الانفاليد » حيى مقبرة نابليون وساعد في تحقيق مذكرات مارشان ، وبعد أن حصل فرشفوت على الشعرة أرسلها الى هاملتون سميث لكي يقوم بتحليلها ، ثم وصله منه رد كتابي جاء فيه أن الشعرة تحتوى على نسبة عالية من الزرنيخ

ولا شك أن فرشفوت قد سر كثيرا لهذه النتيجة ، وان يكن قد سعى الى التأكد من النتيجة لاسكات المتشككين الذين بامكانهم مواجهته بالتعليقات التالية لا تكفي تجربة واحدة . . العينة صغيرة جدا . ربما كانت الشعرة ملوثة . . ربما جاء الزرنيخ من البيئة · من المياه أو شيء آخر . . قد تكون شعرة شخص آخر غير نابليون الخ الخ لهذا توجه فرشفوت إلى جلاسجو ليتعرف من هاملتون سميث على تفاصيل تحليله ومغزاه ، وهناك تأكد من أن الزرنيخ كان في الشعر الذى دخله عن طريق مسام الجسم ، وطلب منه سميث مزيدا من الشعر للتأكد من أنه من نفس الجسم وأفاده بأن بامكانه تحليل أجزاء الشعرة مما يمكنه من قياس كميات الزرنيخ التي تناولتها الضحية خلال فترات نمو الشعر . لهذا سعى بمختلف الوسائل الى الحصول على خصلات اخرى من شعر نابليون أجريت عليها مائة وأربعون تجربة - وبعد عمليات الفحص الدقيق تبين أن نابليون تناول السم بجرعات قليلة على فترات ،

وحين اجريت مقارنة بين نتائج التجربة وبين المعلومات الواردة في المذكرات الخاصة بحياة نابليون وفترات المرض ودلائل التسمم الواضحة بين فترة وأخرى تطابقت النتائج .

وما أن ثبت ذلك لفرشفوت حتى انتقل إلى ناحية اخرى الهدف منها الاجابة على التساؤلات التالية هل جرى دس السم لنابليون في أواخر حياته ؟ أو أنه نفذ قبل ذلك بوقت طويل ؟ ومن هو القاتل ؟ وهنا تبادر الى ذهنه السؤال التالي : من هو صاحب المصلحة في التخلص من نابليون ؟

من القاتل ؟

للاجابة على هذا السؤال أحاطت الشكوك باسرة البوربون الحاكمة في فرنسا في أعقاب سقوط نابليون فقد عادت هذه الاسرة الى البلاد « في ركاب الحلفاء » وتصرفت كما لو كانت الثورة الفرنسية لم تنشب على الاطلاق واعتلى عرش فرنسا الملك لويس الثامن عشر الطاعن في السن ، وعاد الى البلاد أخوه الاصغر الكونت دارتوا ألد اعداء نابليون ـ الذي أبدى رغبة شديدة في احتثاث الأفكار الثورية والانتقام لما أصاب اسرته على أيدي الثوار الفرنسيين ـ وكل ذلك جعل نابليون يردد قوله المشهور « ان البوربون لا ينسون شيئا ولا يتعلمون شيئا » ، على حين صرح دارتوا بقوله « ان سلام العالم يقتضي القضاء على هذا الوحش (أي نابليون) »

وسرعان ما أدت أعمال البوربون والنبلاء ورجال الدين العائدين الى العطف على الامبراطور المنفي ، خاصة وقد ساءت أحوال فرنسا التي أرهقتها ديون الحرب في الوقت الذي رزحت فيه تحت شروط صلح مهين ، وازدادت الضرائب في الوقت الذي هبطت فيه قيمة الممتلكات نتيجة لاحتمال اعادتها الى ملاكها السابقين ، وحاول فيه القساوسة إعادة الممارسات الدينية السابقة والمشور الكريهة السارية خلال العهد البائد . وهبطت الحياة السياسية الى مستوى تيارات من الشكوى والاتهامات والمؤمرات ، وأبدى الليبراليون سخطهم على رجعية واستبداد حكم البوربون ، وعم السخط الجيش الذي أبدى رجاله حسرتهم على أمجاد الامبراطورية الضائعة هذه الأوضاع العامة هي المسئولة في السابق عن عودة نابليون الى الحكم بعد فراره من جزيرة ألبا دون أن تراق نقطة واحدة من الدم ، ورغم هزيمة نابليون ونفيه الى جزيرة سانت هيلانه فان مجرد وجوده على قيد الحياة كان يشكل شبحا مخيفا بالنسبة الى أسرة البوربون بوجه عام والكونت دارتوا بوجه خاص ـ فهو الذي طالما دبر المؤامرات لاغتيال نابليون حين كان قنصلا أول ثم امبراطورا ، بل وبعد نفيه إلى جزيرة ألبا وهنا يكمن الخيط الأول للمؤامرة ـ فالبوربون يخشون نابليون والتيار البونابرتي ، وقتله دفعة واحدة بجرعة سم كفيل بكشف المؤامرة حين تبدو آثار الزرنيخ واضحة في الجسد ، مما يؤدي الى نشوب ثورة شعبية يتزعمها المحاربون القدماء والاطاحة بحكم البوربون وربما القضاء عليهم بقتلهم لهذا تركزت شكوك فورشفورت في الكونت مونتولون المشرف على أبنية نابليون ، خاصة وانه لم يكن من رجال نابليون السابقين المخلصين وذهب الى أنه توجه الى سانت هيلانة لتنفيذ مؤامرة قتل نابليون التي كلفه بها الكونت دارتوا وقطع في نهاية المطاف بان الكونت مونتولون هو الذي دس السم لنابليون على جرعات صغيرة حسب خطة متقنة كان لايشك في أنها ستقضي في النهاية الى تصعصع صحة نابليون مما يرغمه على البقاء في سانت هيلانه وافشال محاولات نقله سواء الى أوروبا أو الى أمريكا ، ثم الى وفاته في نهاية الأمر دون أن تبدو على جسده أية آثار للجريمة

إن ما توصل إليه الطبيب السويدي فورشفوت يحتوي على كثير من العناصر الايجابية ، وان التأكد من صحة ما توصل اليه ، الى جانب كشفه عن حقيقة تاريخية هامة ، كفيل بفتح نافذة جديدة على بعض الحقائق التاريخية الغامضة . وهنا يكون قد تم التزاوج بين المناهج التاريخية التقليدية ومناهج العلوم التطبيقية التي تعتمد على التجربة والاختبار ولم يسبق تطبيقها على التاريخ بحكم أن الحادثة التاريخية لا تتكرر وأن الأموات لا يتكلمون ■■

د . احمد عبد الرحيم مصطفى

من مكتبة العربي

الحركة العمالية والنقابية في فلسطين ـ (١٩٤٠ ـ ١٩٤٨)

تأليف : الدكتور فايق حمدي طهبوب

الناشر ، شركة كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع

يقول المؤلف في مقدمة كتابه إن لتاريخ فلسطين جوانب كثيرة تستحق الدراسة والبحث وقد استحوذ الجانب السياسي من تاريخ البلاد على القسم الاكبر من العناية وحظي باهتمام الباحثين والدارسين من عرب ويهود ، وبذلك أهملت الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية من هذا التاريخ ، فكان لا بد أن تتجه البحوث إلى دراسة البنيان الاجتماعي للشعب الفلسطيني في مختلف صوره ويتضمن هذا البنيان الفئات التي يتكون منها هذا المجتمع كالعمال والفلاحين وغيرهم

واذا كان العمال اليوم ركيزة البنيان والعمود الفقري للاقتصاد والقوى المؤثرة في الانتاج والاستهلاك وهم وقود الثورات ، فقد اصبح من الضروري التعرف على حركتهم في فلسطين ، نموها وتطورها ، لمعرفة مدى اثرهم ودورهم في تاريخ فلسطين السياسي

هذه الاسباب مجتمعة وقع اختيار المؤلف على موضوع هذا البحث فطرق هذا الجانب في بحث شامل عن الحركة العمالية والنقابية في فلسطين بحيث يشمل الحركة العمالية العربية والحركة العمالية اليهودية

قسم المؤلف أطروحته إلى سبعة فصول ومقدمة وهي معنونة كالتالي · القوى الرئيسية المؤثرة على الحركة العمالية في فلسطين ، نشأة الحركة العمالية والنقابية في فلسطين ١٩٢٠ ـ ١٩٣٣ ، تدهور الحركة العمالية والنقابية العربية ١٩٣٣ ـ ١٩٣٩ ، ازدهار الحركة العمالية والنقابية العربية ١٩٣٩ ـ ١٩٤٨ ، الحركة العمالية اليهودية الهستدروت ، الهستدروت حكومة ظل ، القوى الصهيونية المساندة للحركة العمالية اليهودية والكتاب بالتالي أطروحة نال بها المؤلف درجة الدكتوراه في الادب من جامعه القاهرة ■ ■

الكتاب في الحضارة الاسلامية

تأليف · عبد الله الحبشي

الناشر شركة الربيعان للنشر والتوزيع

يدرس الكتاب طريقة البحث عند علماء المسلمين واسلوبهم في التأليف والكتابة وكل ما له صلة بالكتاب فعلماء الاسلام في كتاباتهم اعتمدوا على قدراتهم الذاتية في مجال الكتابه والتأليف بأدوات بسيطة قوامها المحبرة والقلم القصب ، ومع ذلك فقد تركوا لنا تراثا ضخما ما زال فخرا للعرب ، كما تركوا ضمن مؤلفاتهم فصولا توجيهية توضح كيفية إعداد آلات الكتابة ابتداء من القلم القصب ومرورا بالمداد وتنويعه وفن التجليد ، وانتهاء بالمواد التي تستخدم لازالة الحبر ونحوه ثم النساخة وهي الوسيلة الوحيدة لنشر وتدوين مؤلفاتهم وقد كانت مهنة فذة احترفها رجال اشتهروا بجودة الخط ودقة الصنعة في تزيين خطوطهم ، كما أن لهم حكايات طريفة تتعلق بمزاولتهم لهذه المهنة وما لاقوه من دعم سخي كانوا يتلقونه من الملوك والخلفاء ثم كيف كانت النساخة سببا في تكوين وانشاء تلك المكتبات الضخمة مثل دار الحكمة وجامعة القيروان وغيرهما اما طريقة التأليف فكانت تعتمد على الحفظ غالبا والنقل كان نادرا وقد كان النقل معيبا ومن هنا كتب البلاغيون ابوابا خاصة بالسرقة اللفظية والمعنوية كما أن اخفاء المراجع التي تم الاعتماد عليها شيء غير لائق ينافي قواعد التأليف وحقوق المؤلف

* *

* *

مسابقة العدد

○ مسابقة هذا العدد هي (الكلمات المتقاطعة) . . والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا . . ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لاتشوه صفحة العدد بقطعها منه أما المنشور في أسفل الصفحة المقابلة ، فمن الضروري أن يرفق بالاجابة حتى تفوز بواحدة من الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار تمنح على الوجه الآتي .

الجائزة الأولى قيمتها ٣٠ دينارا - الجائزة الثانية ٢٠ دينارا - الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير .

ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي - صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ٢٨٩ » وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو أول فبراير (١٩٨٣)

اثنتان في واحدة

اذا استطعت حل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، ستجد في (٨) أفقيا اسم مملوك حكم مصر . كما ستجد في (٨) رأسيا اسم رحالة وجغرافي عربي .

كلمات أفقية

(١) دولة أوروبية - فلكي قديم أثبت دوران الأرض حول الشمس .

(٢) من سلالات الدجاج - شهر هجري .

(٣) جلد يستخدم في حمل الماء - كثيرة الدهن - حيوان - حرف عطف وتخيير .
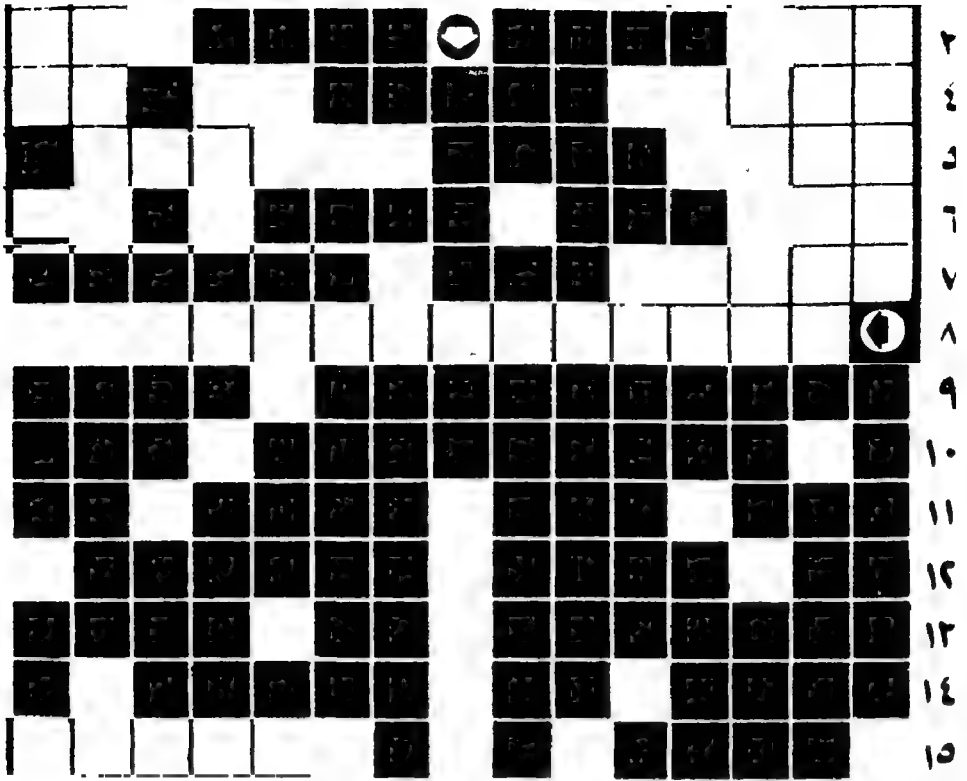
(٤) يتأكد - طائر - نصف كلمة (ظاهر)

(٥) رقع - أسلب - ناشد .

(٦) للنداء - رفض - تبرر .

(٧) مشعوذون - كنس - يسهلها .

(٨) مملوك حكم مصر .

(٩) في الجهاز الدوري - ندرة - اسرة حاكمة صينية .

(١٠) الاسم القديم لفرنسا ـ حرف أبجدي .

(١١) رجوع عن الايمان ـ حرف أبجدي ـ رضيع ـ رمز جبري .

(١٢) للنداء ـ حيوانات ـ رائد الهندسة التقليدية

(١٣) اللي لايتصل بالشئون الداخلية ـ أوقف ـ طيور .

(١٤) عملة عربية ـ نص كلمة (نرجس) ـ أعداد .

(١٥) أشير وأنصح ـ مكانة .

كلمات رأسية :

(١) اله فرعوني يمثل شروق الشمس ـ من شخصيات الف ليلة وليلة .

(٢) من الأحجار الكريمة ـ من الزهور .

(٣) مقام موسيقي ـ حرفان متشابهان ـ واسعة ـ خشى .

(٤) عاصمة أوروبية ـ تقصير ـ طافت .

(٥) نخفي ـ من الأقارب ـ فيلم شهير لأم كلثوم .

(٦) دولة أمريكية ـ طيور منزلية .

(٧) أدينه ـ شتم ـ الاسم الأول لشخصية نسائية آسيوية معروفة .

(٨) رحالة وجغرافي عربي .

(٩) من الموازين ـ من الأسلحة البحرية .

(١٠) من أدوات الحياكة ـ مناسبة دينية إسلامية .

(١١) رغــو ـ من أجزاء الذراع ـ نصف يوم ـ امهض .

(١٢) يجتازه ـ من الأوراق المالية ـ عملة عربية .

(١٣) مقام موسيقي ـ من الفصول ـ ساندت .

(١٤) يتظلم ـ بحيرة افريقية .

(١٥) انصرفوا ـ حرفان متشابهان ـ نوع ـ فترة من الزمن .

حول الدائرة السوداء

ضع الكلمات ذات الحروف الأربعة ، والتي نعطيك معانيها ، في أماكنها وفقا للارقام . يساعدك وجود الحرف الثاني من كل كلمة . ستجد حول الدائرة السوداء اسم :

كاتب يوناني معاصر ، له قصائد وروايات فلسفية

---

(١) أعوام (٢) مرتفع (٣) ريب (٤) أقترب (٥) نوم (٦) غيرك (٧) أشرع (٨) وثيقة (٩) ألوذ (١٠) خلاصة (١١) مكروه (١٢) أكسب (١٣) مشيا (١٤) قريب الوقوع (١٥) مرتفع (١٦) يمنا .

أمامك ستة مربعات ذات اطارات خارجية سميكة . في كل مربع منها خمس كلمات ذات خمسة حروف ، ينقصها جميعا نفس الحرف . اجمع الحروف الناقصة في المربعات الستة ، ورتبها لتحصل على اسم عاصمة عالمية .

أمامك مثل عربي ، يرمز لكل حرف من حروفه أحد الرسوم ، بحيث يمثل الحرف الواحد نفس الرسم دائما . على سبيل المساعدة نعطيك بعض الحروف من كلمات المثل في مواضعها . هل يمكنك الوصول الى المثل المطلوب اذا عرفت أنه يضرب :

للشيء العتيق المستهلك الذي طال به الزمن

العواصم : | حول الدائرة السوداء : | مثل عربي :

فهرس سنة ١٩٨٢

من العدد ٢٧٨ إلى العدد ٢٨٨

اعداد : صلاح صادق

حديث الشهر

بقلم : رئيس التحرير

دين ورجال دين

العـدد القـادم : عـدد ممتـاز

للمناقشة
بقلم : فهمي هويدى

سياسة واقتصاد

الموضوع	الكاتب	الشهر السنة	العدد	الصفحة
أرقام : نقود سريعة الانتشار	محمود المراغي	٨٢/٦	٢٨٣	٤٢
رحلة التوسع الصهيوني - من مشروع « وطن يهودي الى اقامة امبراطورية اسرائيلية »	د. اسعد عبد الرحمن	٨٢/٨	٢٨٥	١٤
الاقتصاد هل هو علم أخلاقي ؟	د. عارف دليلة	٨٢/٨	٢٨٥	٣١
أرقام : النفط ينزل عن عرشه	محمود المراغي	٨٢/٩	٢٨٦	٥٠
انتحار أم بقاء ـ تحديات عام ٢٠٠٠ م	د. عبد العزيز كامل	٨٢/١٠	٢٨٧	١٤
مصير مليار جائع أمام حركة ٥٠٠ مليار دولار .	د. عارف دليلة	٨٢/١٠	٢٨٧	٢٥
القمة الصناعية الغربية من أجل ماذا ؟ وضد من ؟	د. عارف دليلة	٨٢/١١	٢٨٨	٢٢

عروبة

الموضوع	الكاتب	الشهر السنة	العدد	الصفحة
الامن الثقافي .. من يحميه ؟	د. شاكر مصطفى	٨٢/١	٢٧٨	١٦
رأي جديد في قضية نقل التكنولوجيا الحديثة الى العالم العربي	د. أسامه أمين الخولي	٨٢/٢	٢٧٩	٢٤
الا يكفي ٢٠ عاما لدراسة مشروع الموسوعة العربية ؟	مصطفى نبيل	٨٢/٣	٢٨٠	٥٦
الثقافة العربية في الفكر الاسباني المعاصر ..	د. محمد عبد الله الحميدي	٨٢/٣	٢٨٠	١٧٣
المعلومات في الوطن العربي : الازمة والبدعة ، والرسالة !	د. اسامة أمين الخولي	٨٢/٤	٢٨١	٦
من التراث الحديث . الوحدة العربية	عبد الحميد بن باديس	٨٢/٤	٢٨١	٨٥
تجربة يجب أن تعمم في العالم العربي : الثقافة الجماهيرية	سعد كامل	٨٢/٥	٢٨٢	٥٤
الانجاز الحق هو معيار الشرعية	د. عبد الغفار رشاد محمد	٨٢/٥	٢٨٢	٩٤
شخصية مصر في كتاب الدكتور جمال حمدان	د. نعمات احمد فؤاد	٨٢/٦	٢٨٣	٤٤
هم العرب في كل مكان	المختار بن حينا	٨٢/٦	٢٨٣	٧٧
العروبة في لبنان	حسن عيتاني	٨٢/٦	٢٨٣	٩٤
خواطر : الاستقلال الاخضر	د. حسان حتحوت	٨٢/٧	٢٨٤	١٠
قناة البحرين الميت والمتوسط خطر اسرائيلي يهدد العرب	سمير صارم	٨٢/٧	٢٨٤	١٢
محنة العلم ومسيرته المتعثرة في الوطن العربي	د. اسامة أمين الخولي	٨٢/٨	٢٨٥	٢٦

استطلاعات الكويت المصورة

العــدد القــادم : عــدد ممتــاز

الاستطلاعات العربية والخارجية

الموضوع	الكاتب	الشهر السنة	العدد	الصفحة
السنغال في مصيدة التغريب !	فهمي هويدي تصوير . اوسكار مترى	٨٢/١	٢٧٨	٧٦
من الكويت على الخليج . الى « اصيلة » على المحيط !	مصطفي نبيل تصوير اوسكار مترى	٨٢/١	٢٧٨	١٤٤
مسلمو السنغال بين الحقيقة والطريقة . . .	فهمي هويدى تصوير . اوسكار مترى	٨٢/٢	٢٧٩	١٣٢
٥٠٠ قلعة وحصن تروى التاريخ في سلطنة عمان	صادق يلي تصوير فهد الكوح	٨٢/٣	٢٨٠	٩٩
ديرسانت كاترين . رحلة في سيناء	مصطفى نبيل تصوير · اوسكار مترى	٨٢/٤	٢٨١	١٠٠
النيجر : الناس والنهر !	فهمي هويدى تصوير اوسكار مترى	٨٢/٥	٢٨٢	١٠٠
تونس : التجربة والمستقبل !	مصطفي نبيل تصوير اوسكار مترى	٨٢/٦	٢٨٣	١٠٠
مالى : عناق المجد والفقر !	فهمي هويدى تصوير · اوسكار مترى	٨٢/٧	٢٨٤	١٠٠
السويداء قلعة سلطان الاطرش	صادق يلي تصوير فهد الكوح	٨٢/٨	٢٨٥	١٠٠
رسالة جنيف : بلد في القمة ماذا يريد ؟ . . .	منير نصيف	٨٢/٨	٢٨٥	١٢٤
عالم مزاب المسحور . رحلة الى الصحراء الجزائرية	مصطفى نبيل تصوير : اوسكار مترى	٨٢/٩	٢٨٦	١٠٠
الزهد في السودان ورحلة مع الارض والماء .	منير نصيف تصوير طالب الحسيني	٨٢/١٠	٢٨٧	١٠٤
بيروت بعد المذبحة . . صورة من قريب كيف يرون الغد ؟	منير نصيف تصوير طالب الحسيني	٨٢/١١	٢٨٨	١٠٠

أدب ولغة

الموضوع	الكاتب	الشهر السنة	العدد	الصفحة
وديانية . . قراءة في أدب باتريك ديانو	محمود قاسم	٨٢/١	٢٧٨	١٠٩

الموضوع	الكاتب	الشهر السنة	العدد	الصفحة
جلجامش طوفان ما قبل الطوفان	حمال الكتاني	٨٢/١	٢٧٨	١٧٠
من التراث الحديث : لبنان .	د طه حسين	٨٢/٢	٢٧٩	٤٥
أنتونى بيرجيس الابن الشرعى لعصر العنف والتمرد .	محمود قاسم	٨٢/٢	٢٧٩	٥٢
الترجمة هل هى خلق وابداع ؟	د عيسى المصو	٨٢/٢	٢٧٩	٥٦
النشار عميد أدباء الاسكندرية . . .	فؤاد دواره	٨٢/٢	٢٧٩	١١٥
العالم كله في حكاية من ألف ليلة وليلة	عباس خضر	٨٢/٢	٢٧٩	١٥٣
الواقع الجزائرى في كتابات جيل القصاصين	مصطفى بلمشرى	٨٢/٣	٢٨٠	٧٢
اللسان المر وعالم عبد الوهاب الاسوانى	يوسف الشارونى	٨٢/٣	٢٨٠	٧٥
رحلة الادب العربى في يوغسلافيا .	د محمد موفاكو	٨٢/٣	٢٨٠	٧٨
ايريك سيجال مبشر في عالم يفتقد الحب !	محمود قاسم	٨٢/٣	٢٨٠	٩٢
بين العالم والاديب . .	محمود محمود	٨٢/٣	٢٨٠	١٤٥
طه حسين والشك على الطريقة الازهرية	د عبد العزيز المقالح	٨٢/٤	٢٨١	٥٤
جونتر جراس نجم الادب الالمانى المعاصر	محمود قاسم	٨٢/٤	٢٨١	٨٨
انسان وانسانية وانسانيون	عبد الله يوركى حلاق	٨٢/٤	٢٨١	١٦٣
طه حسين والتمرد على الطريقة الازهرية .	د عبد العزيز المقالح	٨٢/٥	٢٨٢	٤٢
فرانسواز ماليه جورى ألمع أديبات فرنسا .	محمود قاسم	٨٢/٥	٢٨٢	٧٠
مم وزين . روميو وجوليت الادب الكردى	رمزى الحاج عقراوى	٨٢/٥	٢٨٢	١٤٠
الترجمة والنهضة العلمية	محمد مروان السبع	٨٢/٦	٢٨٣	٩٦
السواحلية لغة افريقية عربية	د محمد عبد الغنى السعودى	٨٢/٦	٢٨٣	١٤٧
فساد حياتنا الادبية بين السخف والخطأ والتضليل . .	محمود محمد شاكر	٨٢/٧	٢٨٤	١٨
عودة الابن المنفى .	احمد عبد المعطى حجازى	٨٢/٧	٢٨٤	٣٠
من التراث الحديث : حملة الاقلام في سوريا	عجاج نويهض	٨٢/٧	٢٨٤	٥٤
كتابنا وتعليم الجهل	عبدالوهاب احمد الافندى	٨٢/٧	٢٨٤	٩٠
كتابات الأطفال العرب . . .	د على الحديدي	٨٢/٧	٢٨٤	٩٥
امة في كتابات الادباء المغاربة . .	د محمد عبد الله الجميدى	٨٢/٨	٢٨٥	٥٤
امية إنفصالية	رائد حامد	٨٢/٨	٢٨٥	٨٠
لة صمت يوسف ادريس عن الابداع القصصى	عبد الرحمن أبو عوف	٨٢/٨	٢٨٥	٨٧
تابات الاطفال العرب . سوالف كويتية سميميج الى غصون وأخيها غزال	د . على الحديدى	٨٢/٨	٢٨٥	٩٢
يشيا هايسميث والرواية البوليسية سية	محمود قاسم	٨٢/٨	٢٨٥	١٤٢
لاة خارج الاوقات الخمسة وقصص ارق الليبية	احمد محمد عطية	٨٢/٩	٢٨٦	٧٤
س بالدوين . من حى هارلم إلى دارة في الرواية والجاز	محمود قاسم	٨٢/٩	٢٨٦	٨٤
ب اللبنانى	حسن هيتانى	٨٢/٩	٢٨٦	٨٨

الموضوع	الكاتب	الشهر السنة	العدد	الصفحة
للغة العربية والوافدون	ممدوح محمد حسارة	٨٢/٩	٢٨٦	٩١
لعام الخامس	فريدة النقاش	٨٢/٩	٢٨٦	١٢٨
لسير الشعبية العربية	يوسف الشاروني	٨٢/٩	٢٨٦	١٣٨
ديب من شيلي · خوزيه دونوزو المثقف الجنس يسودان العالم	محمود قاسم	٨٢/١٠	٢٨٧	٦٧
ن التراث الحديث . الكتيبة الادبية	د زكي مبارك	٨٢/١٠	٢٨٧	٧٢
صمات القصة العربية على الانتاج الادبي الاوروبي	على شلش	٨٢/١٠	٢٨٧	٧٤
ل تتضافر الجهود لاصدار معجم تاريخي للغة العربية ؟ ...	احسان حمعر	٨٢/١٠	٢٨٧	٧٩
بيد الله كلهم اخوان	عباس خضر	٨٢/١٠	٢٨٧	٩٠
معجم الجمهرة ثاني عمل موسوعي في تاريخ لعرب ..	قسطنطين تيودوري	٨٢/١٠	٢٨٧	١٣١
لمعرفة الانسانية بين الرواية شفويا والتدوين كتابيا	محمد خليفه التونسي	٨٢/١٠	٢٨٧	١٤٢
صالة لغوية في اللهجات الاردنية	توفيق ابو الرب	٨٢/١٠	٢٨٧	١٥٩
حديث عن اللغة . حروف الحاضر وحروف لضارع	عبد الله زكريا الانصارى	٨٢/١١	٢٨٨	٤٣
عمال لم تنشر لغسان كنفاني	سليمان الشيخ	٨٢/١١	٢٨٨	٥٤
لبحث عن طريق جديد للرواية العربية المعاصرة	عبد الرحمن ابو عوف	٨٢/١١	٢٨٨	٥٨
ن التراث الحديث الوسائل والغايات	طه حسين	٨٢/١١	٢٨٨	٦٨
لترجمة في عالم اليوم	د مصطفى كامل فوده	٨٢/١١	٢٨٨	٨٣
ان سوين أديب من الصين	محمود قاسم	٨٢/١١	٢٨٨	١٤٠
لروض العاطر ومسائل نفزاوية	د حسام الخطيب	٨٢/١١	٢٨٨	١٦٠

صفحة في اللغة

بقلم : محمد خليفة التونسى

الموضوع	الشهر السنة	العدد	الصفحة
أسرة اللغة العروبية « السامية »	٨٢/١	٢٧٨	١٦٨
لغتنا بين صيادلتها وأطبائها ...	٨٢/٢	٢٧٩	١٢٠
اللغويون أدلاء لا أوصياء ..	٨٢/٣	٢٨٠	١٦٤
لا كهنوت فى اللغة	٨٢/٤	٢٨١	٧٨
العكوف على علوم اللغة يضير المواهب الادبية	٨٢/٥	٢٨٢	١٦٨
اللغات تكتسب بالممارسة . لا بدراسة علومها	٨٢/٦	٢٨٣	١٦٦

شعر وشعراء

الموضوع	الكاتب	الشهر السنة	العدد	الص
القريب البعيد	حسن عبد الله القرشي	٨٢/٧	٢٨٤	
من التراث الحديث : بيروت نجمتنا الاخيرة .	محمود درويش	٨٢/٨	٢٨٥	
صلاح ستيتية والخيام	احمد عبد المعطي حجازي	٨٢/٨	٢٨٥	
مواساة	احمد بن محمد الشامي	٨٢/٨	٢٨٥	
عندما تجنى المبالغة على الشعراء	عبد الوهاب شكري	٨٢/٨	٢٨٥	
الامانة	محمد عبده غانم	٨٢/٩	٢٨٦	
الدكتور خليل حاوي بشر في شعره بالحياة والتجديد ثم انتحر	محمود الريماوي	٨٢/٩	٢٨٦	
عربي نعم . . لكنه شاعر فرنسي .	احمد عبد المعطي حجازي	٨٢/٩	٢٨٦	
من التراث الحديث : ذكرى الشاعرين شوقي وحافظ	عبد الحميد بن باديس	٨٢/٩	٢٨٦	
لماذا لا يكتب أمين خان بالعربية ؟ . .	احمد عبدالمعطي حجازي	٨٢/١٠	٢٨٧	
بدوي الجبل شاعر العروبة والشام .	احمد محمد قدور	٨٢/١٠	٢٨٧	
غاب فجري	مصطفى عبد الرحمن	٨٢/١١	٢٨٨	
مصر وشعرها الفرنسي	احمد عبد المعطي حجاري	٨٢/١١	٢٨٨	
الامام الشوكاني . شاعرا .	احمد بن محمد الشامي	٨٢/١١	٢٨٨	
اذا . . . قصيدة روديارد كبلنج الخالدة (مترجمة)	د صفاء خلوصي	٨٢/١١	٢٨٨	
السرقة الشعرية لم يسلم منها شاعر	د كمال نشأت	٨٢/١١	٢٨٨	

قصص

الموضوع	الكاتب	الشهر السنة	العدد	ا
أبي يبحث عن « عروسة »	سعد كامل	٨٢/١	٢٧٨	
أبو العريف ـ تأليف سومرست موم (مترجمة) .	شوقي حلال	٨٢/١	٢٧٨	
غرباء في المولد	سعد مكاوى	٨٢/٢	٢٧٩	
الوصية	عبد الحميد بن هدوقة	٨٢/٢	٢٧٩	
على الربابة	عباس خضر	٨٢/٣	٢٨٠	
مأساة ـ تأليف اوهنري (مترجمة)	جمال الكناني	٨٢/٣	٢٨٠	
الغزال	فريدة النقاش	٨٢/٤	٢٨١	
حسنة باجي ـ قصة عميد الادب التركي نجيب فاضل (مترجمة) . . .	محمد حرب	٨٢/٤	٢٨١	
التحقيق	سعيد سالم	٨٢/٥	٢٨٢	
عم الحلاق ـ تأليف وليام ساروبان (مترجمة)	نعوم ابراهيم عبود	٨٢/٥	٢٨٢	
الحل الاخير	د شكري محمد عياد	٨٢/٦	٢٨٣	
قصة خليجية : الافق والخيمة .	فهد الدويري	٨٢/٦	٢٨٣	

علــوم

أنباء الطب والعلم

اعداد : يوسف زعبلاوى

طبيب الاسرة

الموضـــوع	الشهر السنة	العدد	الصفحة
القلق النفسي ـ الازمات الصحية التي تصيب الجنين ـ رسام القلب ـ	٨٢/٩	٢٨٦	١٤٥
اضرار الاشعاعات ـ الحياة في الجو الحار	٨٢/١٠	٢٨٧	١٥٢
هل يفقد الانسان حساسة الذوق ؟ ـ اللغط على القلب	٨٢/١١	٢٨٨	١٥٣

تاريخ

الموضوع	الكاتب	الشهر السنة	العدد	الصفحة
تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي	د . احمد عبد الرحيم مصطفى	٨٢/٢	٢٧٩	١٢٢
وثيقتان : الرحلة الطنجوية رحلة الحج في القرن ١٩	د عبد العزيز التمسماني	٨٢/٢	٢٧٩	١٧٥
واقع المغرب في القرن ١٦	د . أمين الطيبي	٨٢/٢	٢٧٩	١٨١
قصة الخط الحديدي الحجازي لم تتم فصولا ـ الباحثون الغربيون يخفون أن انجلترا وفرنسا ـ وليس العرب ـ هم اللذين خربوا الخط وأوقفوه	سعيد الافغاني	٨٢/٣	٢٨٠	٨٢
ابن بطوطة يظهر في مدريد	محمد بن عبد الله الطنجي	٨٢/٣	٢٨٠	١٧٦
عصر الجزار . . مزيج من الطغيان والمثابرة مع النذالة والجرأة	قسطنسطين خمار	٨٢/٤	٢٨١	١٦٦
« دار النيابة السعيدة » بطنجة واجهة دبلوماسية لمخاطبة قناصل اوروبا	د . عبد العزيز التمسماني	٨٢/٥	٢٨٢	٣٧
صورة من الماضي : عندما جاءت السيارات الى بلادنا	د طلال المجذوب	٨٢/٥	٢٨٢	٥٨
خواطر : جلدور	د حسان حتحوت	٨٢/٦	٢٨٣	١٢
السلطانة الروسية في البلاط العثماني	د احمد عبد الرحيم مصطفى	٨٢/٦	٢٨٣	٨٩
في عالم الخيول المملوكية	جمال الغيطاني	٨٢/٧	٢٨٤	١٣٦
فتح طشقند	محمود شيت خطاب	٨٢/٨	٢٨٥	١٣٤
اليهودي التقليدي بين الخرافة والتاريخ تغيرات جذرية طرأت على العقل اليهودي بعد قيام اسرائيل	احمد محمد رمضان	٨٢/٩	٢٨٦	٣٣
باحثة البادية أول صوت نسائي يشارك في معركة تحرير المرأة	شفيق العمروسي	٨٢/١٠	٢٨٧	١٤٧
حتى تفهم قضية الاندلس	محمد عبد الله عنان	٨٢/١١	٢٨٨	٨٠

تاريخ اشخاص

تربية وعلم نفس

الموضوع	الكاتب	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
في البيت يتكون الطفل القارىء . .	د رشدى احمد طعيمة	٨٢/١	٢٧٨	١٢٠
متقدمون ومتخلفون	د . حسان حتحوت	٨٢/٢	٢٧٩	٢٢
عن الرؤساء	د حسان حتحوت	٨٢/٣	٢٨٠	١٢
العودة الى فرويد . . جاك لاكان وبناء اللاشعور	د احمد ابو زيد	٨٢/٤	٢٨١	٤٧
كيف يتعلم الطفل الصدق ؟ هذه هي أخطر أنواع الكذب عند الاطفال	د ملاك جرجس	٨٢/٤	٢٨١	١٥١
حتى تعرف نفسك · هل انت حاكم « رومانسى » ؟	د خليل فاصل	٨٢/٤	٢٨١	١٥٥
مشكلة الذكاء بين الوراثة والبيئة . .	د عبد الرحمن العيسوى	٨٢/٥	٢٨٢	١٤٥
لغة الرسم عند الاطفال . .	د ماهر الهوارى	٨٢/٥	٢٨٢	١٥٦
اختبر نفسك : هل أنت قوى الشخصية ؟ .	د خليل فاضل	٨٢/٥	٢٨٢	١٦٣
العجوز والجامعة	د عبد العزيز كامل	٨٢/٦	٢٨٣	٢٥
اختبر نفسك : أى نمط من الناس أنت ؟ .	د . خليل فاصل	٨٢/٦	٢٨٣	١٧٤
التعريب هل يؤدى حقا إلى تدهور المستوى العلمي ؟	د فخرى الدباغ	٨٢/٧	٢٨٤	٥٠
هل مات داروين حقا ؟	د احمد ابو زيد	٨٢/٧	٢٧٤	٦٨
كتابنا وتعليم الجهل	عبد الوهاب احمد الافندى	٨٢/٧	٢٨٤	٩٢
رعاية الآخر	د عبد اللهمحمودسليمان	٨٢/٧	٢٨٤	١٤٧
محنة الطفل والأسرة في عالم اليوم	د نبيه عبره	٨٢/٨	٢٨٥	١٥١
شهادات للتصدير	د كاظم ولي آغا	٨٢/٩	٢٨٦	٩٢
فتاة ترفض جنسها	د محمد عماد الدين اسماعيل	٨٢/٩	٢٨٦	١٢١
جان بياجيه : ٦٠ عاما من البحث في عقل الطفل	د حسن احمد عيسى	٨٢/١٠	٢٨٧	١٣٦
اعترافات بيير رفيير . الرجل الذى دخل التاريخ من باب الجريمة	د احمد ابو زيد	٨٢/١١	٢٨٨	٧٠
لغز الذكاء المبكر عند الاطفال	د عدنان رشيد	٨٢/١١	٢٨٨	١٤٦

فلسفة

الموضوع	الكاتب	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
مأساة الفيلسوف الذى خنق زوجته	د احمد ابو زيد	٨٢/١	٢٧٨	١١٣
السياسة كعلم وحيد عند الفارابي . .	سليادور توغالس	٨٢/٣	٢٨٠	١٧٤

مجتمع واجتماع

العدد القادم : عدد ممتاز

ركن الاسرة والمرأة

بقلم منير نصيف

كتب وكتاب الشهر

الفنون واللوحات الفنية

نذكر فيما يلي الابواب التي أغفلها هذا الفهرس العام لتعذر فهرستها ونذكر الى جانبها أسماء محرريها :

نزهة العقل الذكي .... راجي عنايت
طرائف عربية .... صادق يلي
مقالات في كلمات .... منير نصيف
قضايا حيوية .... مصطفي نبيل

حوار القراء : من العدد ٢٧٨ ـ ٢٨٥ عبد الحفيظ يونس
من العدد ٢٨٦ ـ ٢٨٨ يوسف الشهاب

العربي الصغير .... يوسف زعبلاوى
الفهرس العام من إعداد .... صلاح صادق

المجلة العربية للعلوم الإنسانية

مجلة فصلية محكمة ، تقدم البحوث الاصيلة والدراسات الميدانية والتطبيقية في شتى فروع العلوم الانسانية والاجتماعية باللغتين العربية والانجليزية

تصدر عن جامعة الكويت

صدر العدد الأول في يناير ١٩٨١

رئيس التحرير د. عبدالله العتيبي

مدير التحرير عبدالعزيز السيد

- تتناول المجلة الجوانب المختلفة للعلوم الانسانية والاجتماعية مما يخدم القارىء والمثقف والمتخصص
- تعالج موضوعات المجلة الميادين التالية
  اللغويات النظرية والتطبيقية - الآداب والآداب المقارنة - الدراسات الفلسفية الدراسات النفسية - الدراسات الاجتماعية المتصلة بالعلوم الانسانية - الدراسات التاريخية - الدراسات الجغرافية - الدراسات التربوية - الدراسات حول الفنون (الموسيقى - التراث الشعبي - الفنون التشكيلية - النحت الخ) - الدراسات الاثارية (الاركيولوجية)
- تقدم المجلة معالجاتها من خلال نشر
  البحوث والدراسات - مراجعات الكتب - التقارير العلمية - المناقشات الفكرية
- مواعيد صدور المجلة كانون ثاني - نيسان - تموز - تشرين أول
- تنشر المجلة ملخصات للبحوث العربية بالانجليزية ، وملخصات بالعربية للبحوث الانجليزية

ثمن العدد للأفراد ٤٠٠ فلس
للطلاب ٢٠٠ فلس

الاشتراكات السنوية

	داخل الكويت	في الخارج
- للمؤسسات	١٠ د ك	٤٠ دولاراً أمريكيا
- للأفراد	٢ د ك	١٥ دولاراً أمريكيا
- للاساتذة والطلاب	١ د ك	١٠ دولارات أمريكية

- تقبل الاشتراكات في المجلة لمدة سنة أو عدة سنوات
- قواعد النشر تطلب من رئيس التحرير
- جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير :-

ص ب ٢٦٥٨٥ (الصفاة)

الكويت - الشويخ - ت ٨٢١٦٣٩ - ٨١٧٦٨٩ - ٨١٥٤٥٣

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

ديسمبر - كانون أول
١٩٨٢ م

الأيديولوجيّة الصّهيونيّة

تأليف :
د. عبد الوهاب محمد المسيري

الكتاب الستون

٥٠٠ فلس

المراسلات :
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

مِنَ المسرح العالميّ

وزارة الإعلام في الكويت

أول ديسمبر ١٩٨٢

١٥٩

عيد الميلاد في بيت كوبيللو

تأليف : ادواردو دي فيليبو
ترجمة وتقديم : د. سلامة محمد [illegible]
مراجعة : د. محمد سعيد [illegible]

أيُّ رحّالـة دولـيّ حـقّ يـجد في ساعته رولكس ما لا يقدّر بثمن

في عَام ١٩٢٧، رَاح يَراود مخيّله ثور هَيردَال" حلم حَول مَا إذا كانت الحَضارات القديمَة لكل من المكسيك والبيرو وَجزر الباسيفيك ومَصر ووَادي ما بَين النهرَين تنبَع من مصدَر واحُد، علم أراد أن يتبت منه ان عبور المحيطات الثلاثة كان ممكنًا قبل اقدام الأوروبيّين على تحقيق ذلك بأمَد بعيد.

وَبعد عشر سنوات، عَام ١٩٤٧، انطلق هيردال من سَاحل البيرو بطوف من خشب "البلزا" أطلق عَليه إسم "كون - تيكي" مرّ منه يَوم ويَوم رَسا الطوف "كون - تيكي" بعدهَا عَلى جزر البَاسفيك.

وفي عام ١٩٧٠، غادرَت أفريقيا "رع ٢"، سَفينة "ثور هيردال" المصنوعة من قصَب البَرديّ وبعد سبعة وخمسين يومًا، وصَلت "رع ٢" الى "بربادوس" في الجانب الآخر من الأطلسيّ.

وَفي العرَاق، خلال ١٩٧٧ - ٧٨، قام "هيردال" بإنشاء السَفينَة "تايغرس"، أي دجلة، من القصب. أبحَر فيهَا مارًا بمحَاذاة باكستان وسلطنة عمَان حتى مدخل البَحر الأحمر حيث حالت الحَرب المحليّة دون مواصَلة الابحَار وَرغم ذلك، أثبتَت "تايغرس" انه كان من الممكن ان تتفاعل الحَضارات القديمَة لكل من سومر ووادي الأندوس ومَصر بطريق البَحر.

وَيقول هيردال، "المحيطات لم تفصل بَين الحضارات القديمة، بل انهَا ربطت فيما بينها."

Tigris

ويَستند نجاح حملات "هيردال" الى التخطيط الواضح والدقّة التَامّة في كل شاردَة ووَاردَة.

ويضيف هيردال "لقد أنزلنا الى البَحر نمَاذج مطابقة تمامًا للسّفن الأولى التي بناهَا البحّارة القدمَاء واستخدمنا طرقَهم في شدّ الحبَال والأشرعَة والصّواري وَفي التّوجيه، واقتنا بما كانوا يقتنون، واختبرنا أجهزة الملاحة البدائيّة التي استعملوها. ولكن، من أجل تحديد المسَار بطريقة علميّة دقيقة وبالاتصَال اللاسلكي الاضطراري لدى دخولنا الموانئ الحديثة والطرق الملاحيّة، كنّا بحاجة الى مَا كان باستطاعة الانسان القديم الاستغنَاء عَنه سَاعَة حديثة بالغة الدقّة جديرة بالاعتمَاد"

إنّه الاطرَاء في توجيه مجَاملة كهذه الينا، خاصّة وَقد جَاءت عَلى لسَان أشهر رَحّالة دوليّ في العَالم.

السَاعَات التي كان يلبسها "ثور هيردَال" وبحّارته هيَ من صنع رولكس.

ROLEX
رولكس

رولكس "جي - إم - تي - ماستر" متوفرة بالذهب عيار ١٨ قيراطًا، أو فولاذ لا يصدأ، مع سوار ملائم.

مجلة
دراسات الخليج والجزيرة العربية

تصدر عن جامعة الكويت

رئيس التحرير
الدكتور عبدالله الغنيم

صدر العدد الأول في كانون ثاني (يناير) ١٩٧٥

تصل أعدادها الى أيدي نحو ١٢٥,٠٠٠ قارئ

يحتوي كل عدد على حوالى ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير تشتمل على –

- مجموعة من الأبحاث تعالج الشئون المختلفة للمنطقة بأقلام عدد من كبار الكتاب المتخصصين في هذه الشئون
- عدد من المراجعات لطائفة من أهم الكتب التي تبحث في النواحي المختلفة للمنطقة
- أبواب ثابتة تقارير – وثائق – يوميات – بيبليوجرافيا
- ملخصات للأبحاث باللغة الانجليزية

ثمن العدد ٥٠٠ فلس كويتي أو ما يعادلها في الخارج

الاشتراكات للافراد سنويا ديناران كويتيان في الكويت ، ١٥ دولارا أمريكيا في الخارج (بالبريد الجوي)

للشركات والمؤسسات والدوائر الرسمية ١٢ دينارا كويتيا في الكويت ، ٤٠ دولارا أمريكيا في الخارج (بالبريد الجوي)

منشورات المجلة

تصدر المجلة أيضا دراسات مستقلة متعلقة بشئون المنطقة صدر منها

١- كتاب التكامل الاقتصادي في الخليج العربي (د. محمد هشام خواجكية) ١٩٧٩
٢- كتاب آفاق التنمية الصناعية في دول الخليج العربي (د. عبد الاله أبو عياش) ١٩٧٩
٣- كتاب حقوق الطفل في دولة الكويت (د. بدرية العوضي) ١٩٧٩
٤- كتاب الاحصاءات الاقتصادية في المملكة العربية السعودية (بدوي خليل) ١٩٨٠
٥- دور جريدة فتاة الجزيرة في أحداث عام ١٩٤٨ بصنعاء (سلطان ناجي) ١٩٨٠

سلسلة وثائق الخليج والجزيرة العربية لعام صدر منها –

الكتاب الأول – وثائق الخليج والجزيرة العربية لعام ١٩٧٧ ١٩٧٩

العنوان : جامعة الكويت – كلية الآداب والتربية – الشويخ – دولة الكويت
ص ب : ١٧٠٧٣ – الخالدية
الهاتف ٨١٦٨٠٧ – ٨١٦٧٩٩ – ٨١٦٨٢

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير.

في
البيت والترحال

نظام سانيو C5 الميني الجديد لأجهزة لستيريو النقالة المتكاملة

طاقة صوتية هائلة تبلغ ١٢ واط للقنال ستيريو. $FM/MW/SW_1/SW_2$ - خمس موجات متوازية ستيريو كاسيت دك لانتقاء الموسيقى آلياً AMSS ودولبي* NR. قارئ للأشرطة المعدنية. نظام لمكبري الصوت ثنائي الإتجاه يعمل على البطارية أو التيار الكهربائي أو بطارية السيارة (إختياري).
ملائم لتجميعه كوحدة متكاملة للإنتقال به حيثما تشاء.

* دولبي هي العلامة التجارية لمعامل دولبي